

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ
مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفِيهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

١١
٣٢٢٢٥
دوريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

سكرتير التحرير

مدير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

عادل رفاعي خفاجة

الاشتراك السنوي

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

المحرم ١٤٢٩ هـ - فبراير ٢٠٠٨ م - الجزء الأول - السنة (٨١)

أكثر رسائل الجامعات.. هيكل عظمي

لا أزال أذكر أثر الهيكل العظمي حين رأيته في إحدى عيادات طبيب قروي لأول مرة واقفاً في صندوقه الزجاجي وكنت لم أتجاوز العاشرة من العمر؛ ولكن المنظر الجهم المجرد من الدم واللحم قد رجنى رجاً وبيان الألم على وجهي وكان معي والدي - رحمه الله - وهو في كل أموره لا يني يذكر ربه ويتحدث عن اليوم الآخر، وقد لاحظت انقباض العابس، فسألته بماذا أحس؟ هل أشكو ألماً؟ فقلت له: هذا الهيكل الواقف بعينه المنطفئة، ووجهه القاتم وعروقه الخضراء الممتدة في اليدين والرجلين يشير أعصابي كثيراً. فقال لي بكل هدوء: هو أرحم من رؤية عظام المقابر المندثرة في التراب، فقلت له: كفى كفى! قال: كلنا لله يا بني فأقرأ الفاتحة لتنتقل من حال إلى حال!

ولا أدري لماذا تلوح لي صورة الهيكل العظمي كلما أقرأ بعض الرسائل الجامعية التي تهيم كالمنظر هذه الأيام، فأنا أوازن بينها وبين ما كنا نعهد أيام الجد والغيرة العلمية فأجدها كالهيكل العظمي تماماً، قد جردت من ملامح الحياة تماماً، فهي معلومات مرصوفة كيفما اتفق! وكما يخلو هيكل الصندوق الزجاجي من اللحم والدم والنبس خلت من الابتكار المتواضع في تحليل الرأي ومن اطراد السياق في تناول الموضوع، بحيث أصبحت «ملقاً» يدون المعلومات من مصادرها ولا يحاول أن يوجد الرباط بينها وتضحك حين ترى الهوامش مليئة بالمراجع والمصادر ومن بينها آيات كتاب الله والأشعار المشتهرة في دواوين الأعلام لا التكرات! وتقرأ ما تقرأ فتنتقل من غناء إلى غناء.

وكان الأولى بكتاب الرسالة أن يحمد الله على نوال الدرجة العلمية ويحاول سترها عن أعين الناس ولكن الطالب قد اغتر بشيء لجنة المناقشة - وأكثرهم من طرازه في عهد الطلب - فسارع بطبعها، وذكر مباحيا أنها نالت مرتبة الشرف، ثم رأى أن ينتفع بها الطلاب فقرّر جزءاً منها في مدرج وجزءاً في مدرج آخر، وغالتي في الثمن مغالة تدمي العيون، وقد أتاحت له أن يتحدث عنها لطلابه، عنها هي لا عما فيها فأمل وأقرط.

المادة هي الهدف الأول!!

والأصل في اختيار موضوع الرسالة الجامعية أن يكون نابعا من فكر الباحث، بحيث أتاحت له دراسة المستنيتين اللتين قضاها فيما يسمى بالدراسات العليا أن يتشبع بموضوع معين، بدأت عناصره تتجمع في فكره فجذبته جذبا قويا إلى معالجته، وألحت عليه إلحاحا كان مصدر دفع قوي لا يرد، هذا هو الأصل في اختيار موضوع الرسالة، ولكن السائد المتعارف عليه أن يخرج الطالب من دراسته العليا غافلا بعيدا عن كل تفكير فيما سيتناوله بالدراسة، وأساتذته مع ذلك حريصون على أن يتقدم للماجستير ليكون لهم أحر الإشراف فقط! فالمسألة المادية لدى الكثيرين هي الهدف الأول في سير الدراسات العليا لدى الجمهور من أساتذة اليوم، وأقول الجمهور لأنني أعرف نفراً قليلاً يراقبون حق العلم في مزاولة ما يعهد إليهم من الأعمال فهم لا يقبلون الإشراف إلا على الطالب الجيد، كما لا يقبلون أن يكون الموضوع مكرراً لا يوحى بشيء جديد! فإذا تقدم الطالب المسكين لتسجيل موضوع الدراسة لجأ إلى أحد هؤلاء المتلهفين على الإشراف ليختار له موضوع البحث وصاحبنا - كما هو شائع اليوم - ليس له من الخبرة العلمية ما يسمح باختيار موضوع موفق، وإذا كان لابد من الاختيار فهنا يأتي التحايل على اختيار موضوع يلوح في مظهر الجديد الطريف وهو مكرر معاد، ثم يسارع بتسجيله مع مباركة المنتفعين.

عشرون بحثاً مسروقاً في جامعة واحدة!!

أذكر أنني قرأت رسالة في التاريخ الإسلامي عنوانها «الحالة الاجتماعية في عهد الرشيد» وبعد أمد قريب قرأت رسالة عنوانها «بغداد في عهد الرشيد» والكلية واحدة فتاقت نفسى لمراجعة الراسلتين فوجدت ما توقعت أن يكون فالهيكل العلمي للأبواب والفصول متقارب والبداية بحياة الرشيد وتسجيل مواقفه قد طغى طغياناً فاحشاً على الراسلتين وكأنه كل شيء في الموضوع، وبعد ذلك لا تجد غير الحديث المعاد عن شخصية شهيرة تعددت فيها البحوث وكثرت عنها المؤلفات، أما البحثان فقد تما في أقصر مدى يرتقب، وأما المناقشة فقد حفلت بالإشادة والتنويه، وأما الدرجة العلمية فكانت أعلى الدرجات!... وأرجو ألا يتهمني أحد بالمبالغة فقد نشرت الجمهورية عن جامعة بالصعيد عنواناً يتنبئ عن سرقة عشرين بحثاً علمياً في جامعة واحدة! تقدم بها المدرسون لنيل درجات الأستاذية والأستاذية المساعدة فإذا كان هذا مذهب المشرقين على رسائل الطلاب لا في الاقتباس بل في الاختلاس فكيف يرجى التدقيق منهم في اختيار موضوع للطلاب ثم في مراجعة ما كتب وتسديد ما تعثر فيه من أخطاء ثم في مناقشة البحث وإعطائه الدرجة المناسبة، هذا لن يكون! ولعل القارئ الكريم على ذكر من مقالتي الذي كتبت به بالهلال منذ بضعة أعوام تحت عنوان: «فيضان الدكتوات إلى أين» فهو يغني عن كل إسهاب.



العقاد

وإذا أردت أن أقيض في الإشارة إلى الموضوعات المكررة مضمونا، واختلفة اسما فقط فسأرهق القارئ بما لا مزيد عليه من الضيق والتبرم، فلأترك ذلك مع ذبوعه الخجل على مدى رحيب كي أسأل عن وجه الجدية في تسيير رسائل لا تعطى أدنى إضافة ولا تحفل بأي استنتاج علمي مفيد، وإنما هي معلومات متراكمة يجمعها مؤلف غير متخصص إذا وجدت أمامه المراجع! إننا نعيش في عصر المطبعة منذ عدة قرون، هذه المطبعة التي يسرت العسير وسهلت البعيد بحيث أصبحت المصادر قريبة التناول وقد تعددت المكتبات في كل معهد وكلية، بل في كل عاصمة من عواصم الإقليم، فإذا كان المراد هو الحشد والتبويب فما أسهل وما أهون، أما إذا كان المراد هو التحقيق والتفسير والتحليل فقد أصبح في حكم المحالات!

درس من العقاد

أذكر أن أستاذنا الكبير عباس محمود العقاد سمع عن كتاب أدبي ألفه مستشرق إنجليزي يسمى «رفون جست» تحت عنوان «حياة ابن الرومي وأعماله» فلم يسترح حتى جد في العثور عليه وبادر بقراءته قراءة واعية فلم يجد به شيئا غير الجمع والاستقصاء لما هو مدون من الأخبار والأحداث فكان ذلك موضع ملاحظته الناقدة؛ إذ كتب عنه نقدا هادفا بمجلة الكتاب «ديسمبر ١٩٤٥م» قال فيه: «أحاط المؤلف إما بالنقل أو الإشارة إلى كل نص له علاقة بالتاريخ فذكر البلاد التي رحل إليها الشاعر والأمراء الذين قصدهم بالمديح أو أنحى عليهم بالهجاء والوقائع التي اتصلت بسيرة حياته والمؤرخين الذين ترجموا له وجمع من ذلك كله (ملفا) حاويا للمعلومات المستطاعة.

ثم قال العقاد: «وخلاصة ما يقال في هذه الرسالة إنها ما شئت من نصوص وإشارات ولكنها تخرج عن بعد ذلك من كل تقدير أو تفسير كأنه حربة في الدراسة التاريخية لا يجوز أن تلم بها الأقلام... وهي مثال صادق لما يلتزمه المستشرقون، فخذ ما شئت من نصوص وأرقام وقهارس وهوامش وإشارات ودع كل ما وراء ذلك من تقدير وتفسير أو من تخريج وتفكير».

هذا النحو التأليفي المرفوض من العقاد هو مع استنكار العقاد له أوفى هدفا وأبلغ قصدا من كثير من رسائل الجامعيين اليوم؛ لأنه على الأقل أحاط بكل نص له علاقة بالتاريخ حاويا للمعلومات المستطاعة وجودها وذلك ما لا يتم على وجهه المنشود في هذه الرسائل؛ إذ أنها شذور تجمع أشياء وتترك أشياء فليست بذلك ملفا كاملا والمؤلف بعد باحث حر ليس وراءه مشرف أو لجنة مناقشة وقد وجد النقد من ناقد يرعى حرمة البحث ويقدر أبعاده ومرامييه وقد مات العقاد - رحمه الله - قبل أن تسيطر هذه التفاهات في المحيط الجامعي ولو أدركها لصاح واستغاث!

كيف تكتب بحثا أو رسالة؟!

وأشير إلى ناحية ذات مغزى، فقد ألف الأستاذ الجليل أحمد شلبي كتابا تحت عنوان «كيف تكتب بحثا أو رسالة» صادف رواجاً هائلا، إذ قاربت طبعاته العشرين، لأن طلبة الرسائل المساكين قد ظنوا أن مجرد قراءة الكتاب ستجعلهم أصحاب دراية تامة فيما يحاولون مع أن الكتاب وأمثاله لا تقيد غير صاحب الدراية العلمية بأساليب البحث، فهو يستوثق بما فيه في طريقه التأليفي، على شريطة أن يكون قد قرأ من الرسائل الجامعية المتأخرة ما أعطاه انطبعا صادقا عن التأليف المنشود فتكون هذه النماذج موضع المحاذاة الجادة في النهج وطريقة التناول، والذي يعتمد على كتاب الدكتور شلبي ونظائره التي انتشرت الآن على نحو مستفيض دون أن يحمل في أعماقه بذرة الباحث التي تنهيا للنمو للتصل بتكرار القراءة الفاحصة والنظر المستوعب يكون مثاله مثال المقعد الكسيح الذي يقرأ كتابا في تعلم السباحة، فمهما قرأ الكتاب وامتصه امتصاصا فهو لا يستطيع أن يجازف بإلقاء نفسه في الماء؛ لأن الأداة الأولى للسباحة مفقودة، وسيغرق لا محالة بمجرد مباشرة الماء! كذلك تكون حال الذين لم يأخذوا من هذه الكتب غير معلومات عن تنظيم البطاقات ونقل النصوص كاملة أو مبثورة وطرق التمهيش وعلامات الترقيم وفهرسة المصادر والأبواب، ونحن أبناء الجيل الماضي قد كتبنا الرسائل دون أن نقرأ هذه الكتب؛ لأن مزاولة القراءة المثقلة لأنار الكبار من الباحثين قد أغتت عن هذه الكماليات غناء تاما، وإذا كان الذي يعرف الوزن العروضي لا يستطيع أن يكون شاعرا دون موهبة أصيلة فكذلك من يهتم بتصانح هذه الكتب دون أن تتقد في صدره جذوة البحث الدافعة إلى الكمال بحراراتها المشتعلة، وبعض المشرفين - جزاهم الله - يريدون أن يريحوا أنفسهم من كل مسئولية علمية فينصحوا الدارس المبتدىء بشراء هذا الصنف من الكتب وكأنهم بذلك وحده قد هدوه سواء السبيل.

ودرس من الشيخ عبد الوهاب النجار!!

وكنت أسأل نفسي حين أقرأ رسالة من هذا الطراز المؤسف ماذا كتب الفاحص في تقريره الذي رفعه عنها إلى المسئولين والذي قضى بصلاحية الرسالة للمناقشة؟! فوققني الله إلى العثور على بعض هذه التقارير في جامعات مختلفة لا في جامعة واحدة إذ كلنا في الهم شرق، فقرأت القليل مما أستحسن وأحبذ ولكن الكثير - وأأسفاه - لم يزد على أن يكون فهرسا لموضوعات الرسالة حيث ينص المقرر الجليل على أن الرسالة عدة أبواب وعدة فصول، ويذكر عناوين الفصول كما هي، ثم يقرر صلاحيتها للمناقشة، وهو بعمله هذا شبيه بمن يفهرس الكتب في المكتبات فيكتب عن كل كتاب موجزا مقتضيا لأبوابه، ولكنه لا يدعى أنه فاحص ناقد، فهو موظف يؤدي عملا نيظ به، والمقارنة بين الحاضر المزيج والماضي المشرق

أليمة مفاجئة فقد وقع في يدي أول تقرير عن أول رسالة في التاريخ قدمت للجامعة المصرية ١٩٢٠م منذ أكثر من ثمانين عاما، هذا التقرير لم يكتبه أكاديمي متخصص يباهي بدرجة العلمية ومكانته في هيئة التدريس بالجامعة ولكن كتبه عالم جليل تخرج في مدرسة دار العلوم في أواخر القرن التاسع عشر وزاول المحاماة الشرعية حيناً، فالتعليم بالمدارس الحكومية حيناً آخر، ثم اختير بعد أن اشتهر بالفضل والعلم مدرسا للتاريخ بالجامعة المصرية خلفا للشيخ محمد الخضري وكلاهما قوسا رهان في البحث والجدل. وألقى محاضرات ممتازة سجلتها صحيفة «الجامعة المصرية» في أوائل العشرينيات، هذا العالم البهائم المفضل هو شيخنا الأستاذ عبدالوهاب النجار الذي يقول الجارم فيه هذا البيت النادر:

يذل له شمس القول طوعا ويستخذى له المعنى السدل

إذا كان من الذين ناقشوا الدكتور أحمد بيلى في رسالته عن صلاح الدين الأيوبي وكتب عنها تقريراً علمياً نشره المؤلف في صدر كتابه فبهرني أن يكون التقرير في اثنتي عشرة صفحة مستفيضة بما يدل على أن الفاحص قد هضمها هضمًا واستوعبها استيعاباً دقيقاً لا شيء بعده وقد قسم التقرير إلى عناصر هي:

١ «هل أحسن صاحب الرسالة الاختيار؟»

٢ «المصادر التي استقى منها كلامه.»

٣ «لغة الرسالة.»

٤ «المؤاخذات اللغوية، وقد قال في خاتمتها: إن الكثير مما ذكر قد يكون له مساع في اللغة ولكنه حريص على الأجود الأمثل.»

٥ «الرسالة كبحث تاريخي، وقد أفاض في هذا العنصر بما لا مزيد عليه.»

٦ «الأمور التي تحتاج إلى محاوررة سيتناولها أثناء النقاش في الحفل العام.»

فبالله ثم بالله ماذا يقول الناقد حين يوازن بين تقرير كتب منذ أكثر من ثمانين عاما في بدء الدراسة الجامعية وتقارير يكتب الواحد منها في أقل من صفحة ملء الفراغ؟!

الدراسات العليا ... بين المسكنات والعلاج!

هذا عن التقارير «المحترمة» التي يكتبها أساتذة الجامعة في القرن الحادي والعشرين أما المناقشة نفسها فقد أتيج لي أن أسمع خلاصات لها في حلقات «البرنامج الثقافي» أسمعها مضطرا؛ لأن نظري الضعيف لم يعد يسمح لي بالقراءة أثناء الليل ولأنني مصاب بالأرق الذي لا حيلة لي فيه حين يكون ليلى كليل امرئ القيس يطمى بصلبه، ويردف أعجازا، وينوء بكلكل، وإذن

فلاستماع للبرنامج ضرورة لا معدى عنها، وأكرر أن الجيد في حلقات النقاش موجود فعلا، إذ يتم على أيدي أساتذة أصلاء لا أدري ماذا يكون الموقف لدينا حين يشرحون الحياة ويتركون الحلقات لأكثرية تهتم بالقشور ولا تصل إلى اللباب وقد يكون في هؤلاء من يخطئ الصواب فيقابل بالتصفيق ومن يبدل خطأ بخطأ أسوأ منه فيقابل بالتصفيق وكأننا في حفل انتخابي يقوم به مهرج محترف لينزكي مرشحا جمع أنصاره الأجورين والأقربين للبهتان والضجيج؟! ولو أردت أن أضرب الأمثلة لسقطات شائنة مما سمعت لضاق شبر عن مسير.

وأسأل نفسي ما علاج هذا الداء الوبيل الذي استشرى في كل الجامعات لا في بعضها فأجدني وقد حاولت تشخيصه لا أستطيع تحديد الدواء الساجع ومن أنا حتى أقوم بهذا العبء الثقيل ولدينا مجالس للجامعات ومجلس أعلى فوق هذه المجالس، كما لدينا المجالس القومية المتخصصة تضم من الفضلاء من يجب أن ينهضوا بالعمل الجاد للخروج من هذه الأوجال؟ على أني أقترح أن تكون مدة الدراسة العالية أربع سنوات لا سنتين وأن يكون للدراسات العليا كلية خاصة تجمع الأكفاء ممن لهم شهود علمي ملحوظ داخل الجامعة وخارجها، ويستحسن أن يكون أعضاء المناقشة خمسة لا ثلاثة كما يجب أن ينال الطالب درجة الامتياز في ختام السنوات الأربع ولا يكتفى بما دونها. وهذه مسكنات فقط، أما العلاج الحاسم فأتركه لذوى التجربة من الممارسين، وإذا استمر الحال على نحو ما وصفت فستتفقد الدراسات العليا كيانها الحقيقي التي شرعت من أجله وستعود شبيهة بما دونها من الدراسات في الكليات والمدارس الثانوية وما في ذلك مغالاة بل هو الواقع الأليم.

كان أستاذي الكبير أحمد شفيق السيد - رحمه الله - يقول الشعر لنفسه لا للقراء وكان يكتب البيتين والثلاثة على الكتب التي يطالعها دون أن يهتم بجمعها وقد قرأت ذات مرة قوله الناقد مسطرا على مجلد كبير اهتم مؤلفه بالكم لا بالكيف فأوحى للشاعر أن يقول:

أصبح التأليف قسما والتهامسا للمراجع

فإذا رمت إنكارا تجدد الدار بلاقع

وهكذا أكثر رسائل اليوم! فاعتبروا يا أولى الألباب!

د. محمد رجب البيومي

تفسير سورة العبران

لفضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنكُم يَوْمَ التَّنْفِي الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(١٥٥) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١٥٦) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(١٥٧) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾

(الآيات: ١٥٥ - ١٥٨)

ثم أخبر - سبحانه - عن الذين لم يشعروا مع النبي ﷺ يوم أحد، وبين السبب في ذلك وفتح لهم باب عفوه فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنكُم يَوْمَ التَّنْفِي الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

وقوله: ﴿تَوَلَّوْا﴾ من التولى ويستعمل هذا اللفظ بمعنى الإقبال وبمعنى الإقبال كان متعديا بنفسه كان بمعنى الإقبال كما في قوله - تعالى -:

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

(المائدة: ٥٦)

وإذا كان متعديا يعن أو غير متعد أصلا كان بمعنى الإعراض كما في الآية التي معنا. والتولى الذي وقع فيه من ذكرهم الله - تعالى - في الآية التي معنا يتناول الرماة الذين تركوا أماكنهم التي أمرهم الرسول ﷺ بالبقاء فيها لحماية ظهور المسلمين كما يتناول الذين لم يشعروا بجانب النبي ﷺ، بل فروا إلى الجبل أو إلى غيره عندما اضطربت الصفوف.

ولقد حكى لنا التاريخ أن هناك جماعة من المسلمين ثبتت إلى جانب النبي ﷺ بدون وهن أو ضعف، وقد أصيب ممن كان حوله أكثر من ثلاثين، وكلهم يفتدى النبي ﷺ بنفسه ويقول: وجهي لوجهك الفداء ونفسي لنفسك الفداء. وعليك السلام غير مودع^(١).

ومعنى: ﴿اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾

طلب لهم الزلل والخطيئة، أو حملهم عليها بوسوسته لهم: أن يخالفوا أمر رسول الله ﷺ لهم بالثبات في مواقفهم التي عينها لهم، فكانت مخالفتهم لرسولهم وقائدهم طاعة

للسيطان، فحرمهم الله تأييده وتقوية قلوبهم. قال الراغب: استزله إذا تحرى زلته، وقوله - تعالى -:

﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾

أي استجرهم الشيطان حتى زلوا، فإن الخطيئة الصغيرة إذا ترخص الإنسان فيها تصير مسهلة لسبيل الشيطان على نفسه، والزلة في الأصل: استرسال الرجل من غير قصد^(٢).

والمراد بالزلة هنا ما حدث منهم من مخالفة الرسول ﷺ وقد ترتب عليها هزيمتهم. والمعنى: أن الذين تولوا منكم - يا معشر المؤمنين - عن القتال أو تركوا أماكنهم فلم يشعروا فيها طلبا للغنيمة يوم التقيتم بالمركين في معركة أحد:

﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾

أي: طلب منهم الزلل والمعصية، ودعاهم إليها بمكر منه وكان ذلك:

﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾

أي: بسبب بعض ما اكتسبوه من ذنوب، لأن نفوسهم لم تتجه بكلبيتها إلى الله فترتب على ذلك أن منعوا النصر والتأييد وقوة القلب والثبات.

وقال ابن القيم: «كانت أعمالهم جندا عليهم ازداد بها عدوهم قوة فإن الأعمال جند

(١) تفسير القدر الرازي ج ٩ ص ٩١.

(٢) مفردات القرآن للراغب الاصفهاني ص ٢١٤.

للعبد وجند عليه ولا بد للعبد في كل وقت من سرية من نفسه تهزمه أو تنصره. فهو يجد عدوه بأعماله من حيث يظن أنه يقاتل بها، ويبعث إليه سرية تغزوه مع عدوه من حيث يظن أنه يغزو عدوه.

فأعمال العبد تسوقه قسراً إلى مقتضاها من الخير والشر والعبد لا يشعر أو يشعر ويتعamy.

ففرار الإنسان من عدوه وهو يطيقه إنما هو بجند من عمله بعثه له الشيطان واستزله به، ثم أخبر - سبحانه - أنه قد عفا عن هؤلاء الزالين، حتى تكون أمامهم القرصة لتطهير نفوسهم. ويعثها على التوبة الصادقة والإخلاص لله رب العالمين، فقال - تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

أي: ولقد عفا - سبحانه - عنهم لصدق توبتهم وندمهم على ما فرط منهم، لأن فرارهم لم يكن عن نفاق، بل كان عارضا عرض لهم عندما اضطربت الصفوف واختلطت الأصوات ثم عادوا إلى صفوف الثابتين من المؤمنين ليكوتوا معهم في قتال أعدائهم.

ولقد أكد الله - تعالى - هذا العفو بلام التأكيد وبقد المفيدة للتحقيق، وبوصفه - سبحانه - لذاته بالمغفرة فإن هذا الوصف

يؤكد أن العفو شأن من شئونه، وبوصفه - سبحانه - لذاته بالحلم، فإن هذا الوصف يفيد أنه لا يعاجل عباده بالعقاب، بل إن ما أصابهم من مصائب فهو بسبب ما اقترفوه من ذنوب ويعفو - سبحانه - عن كثير.

وصدق الله إذ يقول:

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهِمْ مِنْ ذَاتِكُمْ﴾

(فاطر: ٤٥)

وقد أكد - سبحانه - شأن هذا العفو لتذهب عن نفوس هؤلاء الذين استزله الشيطان حيلتها ولتنخلع عن الماضي، ولتستقبل الحاضر والمستقبل بقلوب عامرة بالإيمان، وبنفوس متغلبة على أهوائها مطيعة لتعاليم دينها.

وبذلك نرى الآية الكريمة قد بينت للمؤمنين بعض الأسباب الظاهرة والخفية لما أصابهم في أحد وفتحت لهم باب التوبة لتطهير أنفسهم، وأخبرتهم بعفو الله عنهم، وفي ذلك ما فيه من عظات وعبر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وبعد هذا الحديث الحكيم عن أحداث معركة أحد وعمات المسلمين في أولها من نصر، ثم عسا جرى لهم بعد ذلك من

اضطراب وتفرق بسبب مخالفة بعضهم لوصايا نبيهم ﷺ

بعد كل ذلك وجه القرآن نداء إلى المؤمنين نهاهم عن التشبه بالكافرين وعن الاستماع إلى أباطيلهم وحضهم فيه على مواصلة الجهاد في سبيل الله، حتى تكون كلمة الله هي العليا وأخبرهم بأن الآجال بيد الله، وأن موتهم من أجل الدفاع عن الحق أشرف لهم من الحياة الدليلة.

وقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا الْإِحْرَامُ﴾

كلام مستأنف قصد به تحذير المؤمنين من التشبه بالكافرين ومن الاستماع إلى أقوالهم الذميمة.

والمراد بالذين كفروا المنافقون كعبد الله ابن أبي بن سلول وأشباهه من المنافقين الذين سبق للقرآن أن حكى عنهم أنهم قالوا:

﴿لَوْ كُنَّا لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنَا﴾

وإنما ذكرهم بصفة الكفر للتصريح بمبائنة حالهم لحال المؤمنين وللتنقيص عن مماثلتهم ومسايرتهم وقيل المراد بهم جميع الكفار.

والمراد بإخوانهم: إخوانهم في الكفر والنفاق والمذهب أو في النسب وقوله:

﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾

أي سافروا فيها للتجارة أو غيرها فماتوا. وأصل الضرب: إيقاع شيء على شيء ثم استعمال في السير، لما فيه من ضرب الأرض بالأرجل، ثم صار حقيقة فيه.

وقوله: ﴿عُزِّي﴾ جمع غاز كراوع وركع، وصائم وصوم، ونائم ونوم.

والمعنى: يا من آمنتم بالله واليوم الآخر لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا بقرع وجرع من أجل إخوانهم الذين فقدوهم بسبب سفرهم للتجارة أو بسبب غزوهم في سبيل الله.

قالوا على سبيل التفجع: لو كان هؤلاء الذين ماتوا في السفر أو الغزو مقيمين معنا، أو ملازمين بيوتهم، ولم يضربوا في الأرض ولم يغزوا فيها لبقوا أحياء ولما ماتوا أو قتلوا.

وقولهم هذا يدل على جبنهم وعجزهم، كما يدل على ضعف عقولهم وعدم إيمانهم بقضاء الله وقدره، إذ لو كانوا مؤمنين بقضاء الله وقدره لعلموا أن كل شيء عنده بمقدار، وأن العاقل هو الذي يعمل ما يجب عليه بجد وإخلاص ثم يترك بعد ذلك النتائج لله يسيرها كيف يشاء.

وقولهم هذا بجانب ذلك يدل على سوء نيتهم، وخبت طويتهم، لأنهم قصدوا به تثبيط عزائم المجاهدين عن الجهاد، وعن السعي في الأرض من أجل طلب الرزق الذي أحله الله.

والنهي في قوله - تعالى:

﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾

يشعر بالتفاوت الشديد بين المقامين : مقام الإيمان ومقام الكفران ، وأنه لا يليق بالمؤمن أن يتحدر إلى المنحدر الدون وهو التشبيه بالكافرين بعد أن رفعه الله بالإيمان إلى أعلى عليين ، وفي هذا تقييح للمنهى عنه بأبلغ وجه وبأدق تصوير .

واللام في قوله (لإخوانهم) يرى صاحب الكشاف^(١) أنها للتعليل فقد قال : قوله :

﴿ وَقَالُوا لِلْإِخْوَانِ نَحْمٌ ﴾

أى لأجل إخوانهم ، كقوله - تعالى :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَأَلْنَا إِلَهُهُ ﴾

(الأحقاف : ١١)

ويجوز أن تكون اللام للدلالة على موضع الخطاب ، ويكون المعنى : لا تكونوا أيها المؤمنون كهؤلاء الذين كفروا وقالوا لإخوانهم الأحياء : لو كان أولئك الذين فقدناهم ملازمين لبيوتهم ولم يضربوا في الأرض ولم يغزوا لما أصابهم ما أصابهم من الموت أو القتل .

قال الفخر الرازي ما ملخصه : فإن قيل إن قوله :

﴿ وَقَالُوا لِلْإِخْوَانِ نَحْمٌ ﴾ يدل على الماضي ،

وقوله :

﴿ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾

يدل على المستقبل فكيف الجمع بينهما ؟ فالجواب من وجوه :

• أولها : أن قوله : ﴿ قَالُوا ﴾ تقديره :

يقولون ، فكأنه قيل : لا تكونوا كالذين كفروا يقولون لإخوانهم كذا وكذا ..

وإنما عبر عن المستقبل بلفظ الماضي للتأكيد وللإشعار بأن جدهم في تقرير الشبهة قد بلغ الغاية ، وصار بسبب ذلك الجهد ينظر إلى هذا المستقبل كالكائن الواقع .

• وثانيها : أن الكلام خرج على سبيل

حكاية الحال الماضية . والمعنى أن إخوانهم إذا ضربوا في الأرض فالكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ، فمن أخير عنهم بعد ذلك فلا بد أن يقول : قالوا .

• وثالثها : قال « قطرب » : « كلمة « إذا » وإذا » يجوز إقامة كل واحدة منهما مقام الأخرى وهو حسن لأننا إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول ، فلأن يجوز إثباتها بالقرآن العظيم أولى^(٢) .

وقوله : ﴿ أَوْ كَانُوا غُرَرِي ﴾ معطوف على

﴿ ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ من عطف الخاص

بعد العام ، اعتناء به لأن الغزو هو المقصود في هذا المقام وما قبله توطئة له .

قالوا : على أنه قد يوجد الغزو بدون الضرب في الأرض بناء على أن المراد بالضرب في الأرض السفر البعيد ، فيكون على هذا بين الضرب في الأرض وبين الغزو خصوص وعموم من وجه .

وإنما لم يقل أو غزوا : للإيذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة ، أو لانقضاء ذلك ، أى كانوا غزاة فيما مضى .

وقوله :

﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴾

في محل نصب مقول القول .

ثم بين - سبحانه - ما ترتب على أقوالهم من عواقب سيئة فقال :

﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾

والحسرة - كما يقول الراغب - هي غم الإنسان على ما فاتته ، والندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه ، أو انحسرت قواه - أى انسلخت - من فرط الغم ، وأدركه إعياء عن تدارك ما فرط^(٣) .

فالحسرة هي الهم المضني الذي يلقي على النفس الحزن المستمر والألم الشديد ، واللام في

قوله : ﴿ لِيَجْعَلَ ﴾ هي التي تسمى بلام العاقبة ، وهي متعلقة بقالوا أى قالوا ما قالوه لغرض من أغراضهم التي يتوهمون من ورائها

منفعتهم ومضرة المؤمنين فكان عاقبة قولهم ومصيره إلى الحسرة والندامة لأن المؤمنين الصادقين لن يلتفتوا إلى هذا القول . بل سيمضون في طريق الجهاد الذي كتبه الله عليهم وسيكون النصر الذي وعدهم الله إياه حليفهم وبذلك يزداد الكافرون المنافقون حسرة على حسرتهم .

ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويكون المعنى : إن الله - تعالى - طبع الكفار على هذه الأخلاق السيئة بسبب كفرهم وضلالهم لأجل أن يجعل الحسرة في قلوبهم والغم في نفوسهم والضلال بهذه الأقوال والأفعال في عقولهم .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت ما متعلق ليجعل ؟ قلت : قالوا . أى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على أن اللام مثلها في :

﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ وَحَرًا ﴾

أو لا تكونوا بمعنى : لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فإن قلت : ما معنى إسناد الفعل إلى الله ؟ قلت : معناه أن الله - تعالى - عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة لهم .. كما قال - تعالى :

(٦) مقدرات القرآن ص ١٨ الرافع الأصغرهاني بتصريف يسير .

(٥) تفسير الفخر الرازي - بتصريف وتلخيص - ج ٩ ص ٥٤ .

(٤) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٢ .

﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾

ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي، أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حيرة في قلوبهم، لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم لما يغمهم ويغيبهم (٧).

والجعل هنا بمعنى النصير، وقوله:

﴿ حَسْرَةً ﴾ مفعول ثان له، وقوله:

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾

متعلق به: «يجعل».

وذكر القلوب مع أن الحسرة لا تكون إلا فيها، لإرادة التمكن، والإيدان بعدم الزوال. وقوله:

﴿ وَاللَّهُ يَجْعَلُ وَيُمِيتُ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

رد على قولهم الباطل إثر بيان سوء عاقبته وحض للمؤمنين على الجهاد في سبيل الله وترغيب لهم في العمل الصالح، أي أن الأرواح كلها بيد الله يقبضها متى شاء، ويرسلها متى شاء، فالقعود في البيوت لا يطيل الآجال كما أن الخروج للجهاد في سبيل الله أو للسعي في طلب الرزق لا ينقصها وما دام الأمر كذلك فعلى العاقل أن يسارع إلى الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، وأن يسعى

(٧) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٣.

في الأرض ذات الطول والعرض ليأكل من رزق الله وأن يباشر الأسباب التي شرعها الله بدون عجز أو كسل وليعلم أن الله مطلع على أعمال الناس وأقوالهم وسيجازيهم عليها يوم القيامة بما يستحقون من خير أو شر.

ثم رد الله - تعالى - على أولئك الكافرين برد آخر، فيه تثبيت للمؤمنين، وترغيب لهم

في الجهاد فقال: ﴿ وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ ﴾

أيها المؤمنون وأنتم تجاهدون

﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾

على فراشكم بدون قتل بعد أن أدبتم رسالتكم في الحياة على أكمل وجه، وأطعتم ربكم فيما أمركم به أو نهاكم عنه لنلتهم مغفرة من الله - تعالى - لذنوبكم ولظفرتم برحمته الواسعة التي تسعدكم.

وقوله: ﴿ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

أي خير مما يجمعه الكفرة من متع الدنيا وشهواتها الزائلة بخلاف مغفرة الله ورحمته فإنهما باقيتان ولا كدر معهما ولا تعب ولا قلق. واللام في قوله: ﴿ وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ ﴾

موطئة للقسم، أي: والله لئن قتلتم في سبيل الله أو متم.

وقوله: ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ ﴾

جواب القسم وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه ووفائه بمعناه.

ثم بين سبحانه - أن مصير العباد جميعا إليه وحده فقال:

﴿ وَلَكِنْ مِّمَّنْ أَوْفَيْتُمْ لِإِلَهِ اللَّهِ تُخْشَرُونَ ﴾

أي ولئن متم - أيها المؤمنون - وأنتم في بيوتكم أو في أي مكان، أو قتلتم بأيدي أعدائكم وأنتم تجاهدون في سبيل الله، فعلى أي وجه من الوجوه كان انقضاء حياتكم فإنكم إلى الله وحده جميعا تعودون وتخشرون فيجازيكم على أعمالكم.

فأنت ترى أن هذه الآيات الكريمة قد اشتملت على أبلغ ألوان الترغيب في الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، لأنها قد بينت أن الحياة والموت بيد الله وحده وأنه سبحانه قد يكتب الحياة للمسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد الخشوف، وقد يميئ المقيم والقاعد في بيته مع حيازته لأسباب السلامة.

وأن الذين يموتون على الإيمان الحق، أو يقتلون وهم يجاهدون في سبيل الله فإن لهم من مغفرة الله ورحمته ما هو خير مما يجمعه الكافرون من حطام الدنيا.

وأن جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم سيعودون إلى الله ليجازيهم على أعمالهم

(٨) تفسير الفخر الرازي ج ٩ ص ٦٠ بتصريف وتلخيص.

يوم الدين. قال الفخر الرازي: واعلم أن في

قوله: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُخْشَرُونَ ﴾

دقائق:

● أحداها: أنه لم يقل: تخشرون إلى الله،

بل قال: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُخْشَرُونَ ﴾

وهذا يفيد الحصر، وهذا يدل على أنه لا حاكم في ذلك اليوم ولا نافع ولا ضار إلا هو.

● وثانيها: أنه ذكر من أسمائه هذا الاسم، وهذا الاسم أعظم الأسماء وهو دال على كمال الرحمة وكمال القهر فهو لدلالته على كمال الرحمة أعظم أنواع الوعد، ولدلالته على كمال القهر أشد أنواع الوعيد.

● وثالثها: أن قوله: ﴿ تُخْشَرُونَ ﴾ فعل

لم يسم فاعله، مع أن فاعل ذلك الخشر هو الله وإنما لم يقع التصريح به لأنه - تعالى - هو العظيم الكبير الذي شهدت العقول بأنه هو الذي يبدى ويعيد، ومنه الإنشاء والإعادة فترك التصريح في مثل هذا الموضع أدل على العظمة.

● ورابعها: أن قوله: ﴿ تُخْشَرُونَ ﴾

خطاب مع الكل فهو يدل على أن جميع العاملين، يخشرون إلى الله فيجتمع المظلوم مع الظالم والمقتول مع القاتل، والله - تعالى - هو الذي يتولى الحكم بينهم (٨).

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

الأحزاب ٣٧)، وكانت كثيرة الخير والصدقة، وقالت عائشة (رضي الله عنه) : ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم أمانة وصدقة، وكانت أول نساء رسول الله ﷺ حوقاً به. توفيت سنة عشرين، وصلى عليها الفاروق، وقيل : هي أول امرأة صنع لها التعش، ودفنت بالبقيع (رضي الله عنها وعن سائر أمهات المؤمنين) .

هي السيدة زينب بنت جحش الأسدية، وتكنى أم الحكم، وأنها أميمة بنت عبد المطلب عمّة النبي ﷺ، تزوجها زيد بن حارثة (رضي الله عنه)، مولى النبي ﷺ، ثم طلقها، فلما انقضت عدتها تزوجها النبي ﷺ ليبطل عادة الجاهلية في تحريم زوج المتبنى، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ أن الله زوجها من السماء (كما تحكي آية سورة

ويل للعرب من شرّ قد اقترب : خصّ
العرب بالذكر؛ لأنهم أول من دخل في
الإسلام، ولإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان
الهلاك أسرع إليهم.

فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج:
أنذرهم النبي ﷺ بقرب قيام الساعة ليتوبوا
قبل أن تهجم عليهم، والثابت أن خروج
يأجوج ومأجوج قبل قيام الساعة، فإذا فتح
ردمهم ذلك القدر على زمنه ﷺ لم يزل
الفتح يتسع على مر الأزمان، نسأل الله
النجاح من شر ذلك.

إذا كثرت الخيبت: المراد به جميع المعاصي والله أعلم.

إن الأحداث دروس عملية يلقيها الزمن ؛
لتكون عظة وعبرة لمن يدرسها ؛ لينتفع بما
فيها من توجيه وحكمة ، وذلك لأن لكل
حادث سبباً يدعو إليه ، ونتيجة تترتب عليه .
وربط النتيجة بالسبب هو موطن العظة ،
ومصدر التوجيه للدارس ، فإذا استبان الدارس
من دراسته خيراً شجعه ذلك على الإكثار من
الأسباب التي تؤدي إلى هذا الخير ، أما إذا
استبان الشر فإنه يجاهد نفسه ، ويدافع هواه ،
ليبتعد بشخصه عن كل ما يسجل له الخزي
والعار ، ويجلب له غضب الله والناس ،
فعندها يغير الله حال هذا الشخص إلى أحسن

مما كان عليه. أما إذا انحرف عن الحق بعد إذ عرقه، وأغلق قلبه عن العظة فإن الله يسلبه بعض ما أنعم عليه. قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يُقِيمُ حَتَّىٰ يَغْيِرَ أَمَانَتَهُمْ﴾
(الرعد: ١١)

وقال:

﴿ ذَٰلِكَ يَأْتِيكَ مُعْرِضًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا
عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعْرِضُوا مَا يَأْنِفُسُهُمْ ۖ ﴾

(الأنفال: ٥٣)

وتلك سنة الله في تهذيب الأمم؛ وهداية الشعوب، يأخذهم باللين تارة، وبالشدة أخرى لعلهم يهتدون. قال تعالى:

﴿ طَهَّرَ الْفَاسِدَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِمَّا كَثَبَ
الَّذِي النَّاسُ يُذِيقُهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(الروم: ٤٩)

وقال :

وَإِذَا أَذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَيَحْوِلُوا إِلَى الْآخِرَةِ لَيْسَ بِتُفْهِينَةٍ يُضَاهِفُونَ لَهَا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَعَلْنَا لِقَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ أُولَئِكَ يَرْجُونَ أَلَّا يَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ أُولَئِكَ
يُحِبُّونَ الْآخِرَةَ عَلَى الْآخِرَةِ لَئِنْ تَوَلَّوْا لَيُخَالِفُوا بِحُكْمِ اللَّهِ أَلَّا يَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾ أُولَئِكَ يَرْجُونَ أَلَّا يَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أُولَئِكَ يَرْجُونَ
أَلَّا يَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ يَرْجُونَ أَلَّا يَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾

(الروم: ٣٦: ٣٨)

وقد حذر الله (عز وجل) عباده من ارتكاب

المعاصي حتى لا يحل بهم عقابه. قال تعالى:

﴿وَلَوْ نَوَيْتُ أَنْ أَخَذَ النَّاسُ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكْتُ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾

(النحل: ٦١)

أى: أنه تعالى لو يؤخذ الناس جميعاً بما اقترفوا من السيئات، وما فعلوا من الذنوب كما فعل بالأمم السالفة - ما ترك على ظهر الأرض من نسيمة تدب عليها من بنى آدم. وقيل: ومن غيرهم - بشؤم معاصيهم

﴿وَلَا يَظِلُّوكَ مِنْهُ أَحَدٌ﴾

(الكهف: ٤٩)

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ

النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

(يونس: ٤٤)

ومن ثم جاء قوله سبحانه:

﴿فَلَمَّا أَصْفُونَا

أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

(الزخرف: ٥٥)

والمعنى: فلما أغضبونا أشد الغضب، لإفراطهم في المعاصي، وإغراقهم في الذنوب - استوجبوا أن يعجل لهم عذابنا، وألا نحلم عليهم، وعقب سبحانه بقوله:

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ

سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾

(الزخرف: ٥٦)

أى: جعلناهم قدوة لمن يأتي بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم - في استحقاق مثل ما حل بهم من العذاب، كما جعلهم الله مثلاً للآخرين، أى: عبرة وعظة لمن يأتي بعدهم، فيستعظ بما حل بهم من العذاب، وبالتالي يمتنع عن المعاصي.. ففى الصحيحين عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه).

هذا ولما قيل لحذيفة (رضى الله عنه): هل تركت بنو إسرائيل دينهم؟ أى: حتى عذبوا بأنواع العذاب الأليم، كمنسختهم قرود وخنازير، وأمرهم قتل أنفسهم - قال: لا، ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء تركوه، وإذا نهوا عن شيء ارتكبوه، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه، وقد ورد فى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ: (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا) يعنى: أشار بيده فوق أنفه.. وقد عبر بالذباب، لأنها أخف الطير وأحققره، ولأنها تدفع بأدنى شيء.. وفى هذا الأثر تمثيل الذنوب فى نظر المؤمن بالجبل ثقلاً وخطراً، وفى نظر الفاجر بالذباب خفة وحقارة، والمعنى: أن المؤمن - لقوة إيمانه، وشدة خوفه من الله تعالى - لا يأمن العقوبة بسبب ذنوبه، فهو لذلك دائم الخوف والمراقبة

يستصغر عمله الصالح، ويخاف من أقل الهفوات.. وأن الفاجر لضعف إيمانه، وقلة خوفه من مولاه يستهين بالذنوب، ولا يبالي بالمعاصي، لذلك قال بعض السلف: (يا أهل المعاصي لا تغتروا بطول حلم الله عليكم، واحذروا أسفه - أى شدة غضبه من الإفراط فى المعاصي - فإنه تعالى قال:

﴿فَلَمَّا أَصْفُونَا

أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

(الزخرف: ٥٥)

فإذا كنا اليوم نعانى كثيراً مما نراه على الساحة من الشذوذ والانحراف وتنكب الصراط السوى، والنهج القويم وما نراه من انهيار الخلق والتسبب، والاجترار على الحرمات، والتنافس البغيض على ماديات الحياة، حتى أصبح المسلمون فى تفرق بعد أن وحد بينهم الإسلام، وتباغض بعد أن استل منهم الإسلام الأحقاد والعداوات، وبدلاً من أن يوجهوا أسلحتهم إلى أعدائهم صوبوها إلى نحورهم وصدورهم، وذلك لأننا لم نستفد من أحداث الماضى، ولم نتعظ من غير التاريخ، ولم نلتزم بطاعة الله (عز وجل)، ولم نمتنع عن المعاصي، كما كان السلف الصالح، والرعيل الأول (رضوان الله عليهم) يفعلون. قال الحسن البصرى (رحمه الله): (ما ضربت ببصرى ولا نطقت بلسانى، ولا بطشت ببدي، ولا نهضت على قدمي حتى أنظر أعلى طاعة، أم على معصية، فإن كانت طاعة تقدمت، وإن

كانت معصية تأخرت).. فهذا عالم جليل أفاد من علمه، لأنه استعمله فى حياته، فحصل به خشية الله (عز وجل) القائل:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

(فاطر: ٢٨)

ومن ثم أحبه الله والناس، ولذلك قيل للمهلب بن أبى صفرة: بم نلت ما وصلت إليه؟ قال «بالعلم»، فقيل: لكن غيرك أعلم منك، ولم يصل إلى مثل ما وصلت إليه؟! قال: لقد حملت العلم واستعملته، أما هم فحملوه ولم يستعملوه.

ومن هنا عانىنا من البلاء والغلاء، وتسلط الأعداء، وتأثرنا بتوالي المصائب والتكبات، ولعل ذلك راجع إلى المعاصي والذنوب التى يرتكبها البعض ممن ران عليهم التسبج والجمود وتبلد المشاعر والأحاسيس ممن فقدوا الدين وعدموا الحياء والأخلاق.

روى عن ابن مسعود (رضى الله عنه) رفعه (إياكم والمعاصي، فإن العبد ليذنب الذنب فيحرم به الشيء من الرزق وقد كان هياً له، وإنه ليذنب الذنب فينسى به الباب من العلم قد كان علمه، وإنه ليذنب الذنب فيمتنع به قيام الليل)، ثم تلا:

(فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون)

مشيراً إلى أصحاب الجنة الذين عاقبهم الله بالحرمان والمنع عندما عزموا على حرمان الفقراء، لتكون العقوبة من جنس الجريمة:

﴿وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

(الكهف: ٤٩)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ
النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(يونس: ٤٤)

ومن ثم جاء قوله (سبحانه) :

﴿ وَأَتَقُوا النَّفْسَ اللَّامِيَّةَ الَّتِي قَالَتْ إِنَّكَ مُخْطِئَةٌ
مِنْكُمْ فَاصْنَعِ الْمَوَاقِيمَ ﴾

(الأنفال: ٢٥)

أي : اتقوا المعاصي ، فإنها سبب لنزول
المصائب الدنيوية ، ولا تصيب الظالم خاصة ،
بل تعم الظالم لظلمه ، وغير الظالم لإقراره ،
أو سكوته ، أو عدم نهيه عن المنكر ، وما كنا
خبر أمة أخرجت للناس إلا لأننا نهى عن
المنكر ونأمر بالمعروف ، ولذلك هدد رسول
الله ﷺ من يترك الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر فقال : (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن
المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا
منه ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم) (٣)

ألا وقد لعن قوم لسكونهم على المنكر ،
وعدم نهيه عن الله : قال تعالى :

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٥٥﴾
كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ عَنْ مَا كَرِهُوا لَكُمْ قَدْ قُلُّوا
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(المائدة: ٧٨ ، ٧٩)

ولذلك لما سألت أم المؤمنين زينب بنت
جحش (رضي الله عنها) رسول الله ﷺ

فقلت له - والحديث في الصحيحين - :
(أنهلك وفينا الصالحون ١٩) قال : (نعم . وإذا
كثر الخبث) ، أي : انتشرت المعاصي ، وسكت
عن ذلك الساكسون ، وغفل عن العلاج
المصلحون .

وهذا حق ، فالشفاعة السليمة في
صندوق معطوب تسرى إليها العدوى في
سرعة مذهلة ، وبالتالي لن يكون لها
حينذاك فضل على غيرها ، وكذلك المسلم
الصالح في نفسه ، الساكت عن تحذير
غيره - لا شك أنه سيخسر فضائله يوما
حين لا تسمح البيئة العفنة ببقائها ، فأهل
المنكر والمعاصي يؤذون أن يكون الناس
جميعاً على شاكلتهم ، والأمثلة على ذلك
كثيرة متعددة ، منها قوله تعالى في
النافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون
الكفر :

﴿ وَذُوالْوَلَدِ

تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾

(النساء: ٨٩)

وقوله في أهل الكتاب :

﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ لَيُرِيدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَمَا لَازَحَكَا
مَنْ عِنْدَ أَنْبِيَائِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا
وَاصْصَبُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(البقرة: ١٠٩)

وهكذا كل جماعة موبوءة تؤذ لو أن الناس
جميعاً على منهجهم ، وبالتالي فإن مقاومة
الشر ، ومحاربة الفساد - ظاهرة صحيحة ،
ودليل قاطع على أن هذه الأمة جديرة بالحياة ،
ولن نهلك مادام المصلحون في هذه الأمة
يؤدون دورهم ويقومون بواجبهم ، قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ

رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾

(هود: ١١٧)

وفي سنن أبي داود (رحمه الله) عن ابن
عميرة الكندي عن النبي ﷺ قال : (إذا
عملت الخطيئة في الأرض كان من شهادتها
فكرها - وقال مرة : أنكرها - كان كمن
غاب عنها ، ومن غاب عنها فريضها كان
كمن شهادها) .

وإن ما وصلت إليه الأمة من اجترار أعدائها
عليها في العراق ، وفي لبنان ، وفلسطين ،
وفي أفغانستان وسائر بلاد المسلمين ، وإن ما
نعانيه من الغلاء والوباء والأزمات راجع إلى
ذنوبنا ومعصيتنا ربنا ، واستخفافنا
بالتكرات ، فإذا أردنا أن نتصرف في كل هذه
المعارك فلنستحضر عظمة الله وسلطانه ،
ولنمتنع عن المعاصي والتكرات ، فإذا ضربت
الجماعة على يد العصاة والمذنبين ، وحالت
دون عصيانهم ، ومنعت ارتكاب جرائمهم

بتطبيق الحد الذي يستحقون - تحت الجماعة ،
وتحت غيرها من العصاة والمذنبين ، وأوضح
دليل على ذلك ما ذكره الرسول الأكرم في
حديث البخاري عن النعمان بن بشير (رضي
الله عنهما) عن النبي ﷺ قال : (مثل القائم
على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم
استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ،
وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا
استقروا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا :
لو أنا فرقتا في نصيبنا قرقاً ، ولم نؤذ من
فوقنا ، فإن يتركوه وما أرادوا هلكوا جميعاً ،
وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً) .
ومن ثم يتضح لنا أن الصراع بين الحق
والباطل ، والخير والشر نشأ مع نشأة
البشرية ، وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن
عليها ، وتلك سنة الله في خلقه .

﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلدِّينِ عَدْلًا

(الأحزاب: ٦٢)

﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلدِّينِ عَدْلًا

(فاطر: ٤٣)

قال تعالى :

﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ

﴿ إِلَّا مَنْ رَجَعَ إِلَى اللَّهِ فَكَانَ حَقِيقَةً ﴾

(هود: ١١٨ و ١١٩)

نسأل الله السلامة والعافية .

يفكرون في طريقة تنجيهم من هذا العذاب الأليم الذي يتعرضون له من المشركين.. قرأى رسول الله ﷺ أن يأذن - لمن يرغب من المسلمين - في الهجرة إلى الحبشة، وقال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه».

وفي رجب سنة خمس من البعثة (٦١٥م) هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة «الهجرة الأولى»، وكان مكوناً من عشرة رجال - وقيل من اثني عشر رجلاً - وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان ومعه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ وقد قال النبي ﷺ فيهما: «إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط - عليهما السلام» ومكث عليه الصلاة والسلام في مكة - وبعض الصحابة - يدعو إلى الله سرا وجهراً.

كان عدد المهاجرين قليلاً، ولكن كان لهجرتهم هذه شأن عظيم في تاريخ الإسلام، فإنها كانت برهاناً ساطعاً، ودليلاً قاطعاً لأهل مكة، على مبلغ إخلاص المسلمين وتفانيهم في احتمال ما يصيبهم من المشقات والخسائر في سبيل تمسكهم بعقيدتهم، وفي الوقت نفسه كانت - في علم الغيب - تدريب عملي على الهجرة الكبرى من مكة إلى المدينة - فيما بعد - للإقامة فيها دائماً، ولإقامة الدولة الإسلامية.

غير أن حب الوطن اشتد بهؤلاء المهاجرين

إلى الحبشة، وقد ترامت إليهم أخبار من مكة تفيد أن قريشاً خفت من عدائها للرسول - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه، بسبب إسلام عمر بن الخطاب وإظهار الإسلام، فعادوا إلى مكة.

ولكن ما إن عادوا إلى مكة حتى وجدوا قريشاً لاتزال على عنادها وإصرارها على مقاومة الرسول ﷺ، وعلى تعذيب أصحابه، وعلى محاربة الإسلام بكل الطرق وبشتى الأساليب.. فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فعادوا مرة أخرى إلى الحبشة «الهجرة الثانية»، وبلغ عدد المهاجرين إلى الحبشة في «الهجرة الثانية» ثلاثة وثمانون رجلاً وتسع عشرة امرأة - على أرجح الأقوال.

الإسراء والمعراج

إن إقامة الدولة الإسلامية في المدينة كان يحتاج إلى أن يكون مؤسسوها أقوياء في العقيدة، أصحاب عقول مستعدة لاستقبال كل خير يخبرهم به رسول الله ﷺ بقلوب مصدقة لا يخالطها شك أو ريب، أسخياء في البذل والعطاء، شجعان في القتال واللقاء.. إذن الأمر يحتاج إلى اختبار للمسلمين الذين أعلنوا إيمانهم ودخلوا في الإسلام، والاختبار يكون في موضوع خارق للعادة، لم تألفه القواعد التي يجري عليها نظام الحياة.

وقد اقتضت حكمة الله - العليم الخبير بما سيكون مستقبلاً - أن يكون حادث الإسراء

والمعراج قبل الهجرة لا بعدها، ليكون هذا الحادث امتحاناً وابتلاءً لغيرلة الجماعة الإسلامية في مكة التي علنت إيمانها بالإسلام، فيظهر من له إيمان ثابت، ويقين مستقر، وإذعان مستسلم، قامن وصدق ورضى بإخلاص بالدين الجديد، وبما يخبر به رسول الله ﷺ... ويظهر من كان من ضعاف البصيرة واليقين يخالطه الشك والريبة، فكم من واه العقيدة يفرق، وكم من منافق يندس بين الجماعة ليخرب، وكم من ماجن يتسرب لينقد، وكم من دنيوى يسعد أن يبيع دعوته ودينه وآخرته بعرض بخص زهيد، وكم وكم...

وقد تحققت الغاية والهدف من هذا الحادث العظيم، فمن الثمار التي جنتها الجماعة الإسلامية في مكة، والتي كانت من مقاصد الإسراء والمعراج، انفصال ضعاف النفوس والشاكين والمترددين عن الجماعة الإسلامية الناشئة لقد كفر عند سماع النبأ - من كفر بعد إعلان إسلامه، وارتد من ارتد بعد إعلان إيمانه، وما كان هؤلاء - لو بقوا في الجماعة الإسلامية - إلا عاملاً من عوامل الضعف أكثر من أن يكونوا عاملاً من عوامل القوة.

إن هؤلاء المكيبين الذين صبروا وصابروا، وتخلصت أنفسهم من جميع النزعات المادية، ومن جميع الأهواء، فأصبحت خالصة لله وحده.. إن هؤلاء المكيبين الذين كان في تقدير

الله - سبحانه - أن تقوم عليهم الدولة الإسلامية في نشأتها، والذين هم من أجل ذلك يجب أن يكونوا مهيبين لأن يصمدوا بكل ما يمكن أن يعترضهم من عقبات... إن هؤلاء المكيبين يجب أن يصفوا تصفية كاملة، ومن وسائل هذه التصفية إعلان نبأ الإسراء والمعراج، لينتكس من ينتكس، وليبقى من يبقى عن بصيرة وبينة، وعن إيمان لا يتزعزع مهما كانت الحوادث، وعن إيمان يصدق الرسول ﷺ في كل ما يأتي به، يصدقه بمجرد إنبائه... وكان المثل الأعلى في كل ذلك هو سيدنا أبو بكر - رضى الله عنه - حينما يعلن في غير تردد ولا فتور، عندما يبلغه رجال من المشركين قائلين: هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: أتصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إنى لأصدقه فيم هو أصدق من ذلك، أصدقه في خير السماء في غدوة وروحة.

لقد كانت غاية الحدث الجليل، الإسراء والمعراج، صهر الجماعة الإسلامية التي ستولى إقامة الدولة الإسلامية قريشاً في المدينة وقيادتها، حيث تهاجر العناصر القوية الصادقة التي تجت بامتياز في هذا الاختبار الدقيق.

إضافة إلى الغايات الدينية الأخرى، والشاهد التي رآها رسول الله ﷺ أثناء رحلة الإسراء والمعراج وأخبرنا بها.

بيعة العقبة الأولى

كما أن إقامة الدولة الإسلامية في المدينة كان يتطلب تهيئة المناخ العام فيها - قبل هجرة الرسول ﷺ إليها - لاستقبال سكان المدينة للرسول عليه الصلاة والسلام، بل والترحيب به والفرحة بقدومه للإقامة بينهم والعيش معهم.

ولتحقيق تهيئة هذا المناخ عقد الرسول عليه الصلاة والسلام بيعة العقبة الأولى مع الأنصار الذين أتوا إلى مكة في موسم الحج سنة اثنتى عشرة من البعثة (٦٢١م)، وكان عددهم اثنا عشر رجلاً - يمثلون الأوس والخزرج -، وسميت هذه البيعة ببيعة النساء، لأنها كانت على الأمور التي ورد ذكرها في سورة الممتحنة خاصة ببيعة النساء، وهي هذه الآية:

﴿يَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْيَهُودِ ثَلَاثَةٌ يَعْزُبُونَ عَنْ غَزَاكَ وَأَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الْيَهُودِ بَيْعَةٌ يَنْفَرُونَ بِكَ وَأَنْ يُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِكَ يَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْيَهُودِ ثَلَاثَةٌ يَعْزُبُونَ عَنْ غَزَاكَ وَأَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الْيَهُودِ بَيْعَةٌ يَنْفَرُونَ بِكَ وَأَنْ يُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِكَ يَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْيَهُودِ ثَلَاثَةٌ يَعْزُبُونَ عَنْ غَزَاكَ وَأَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الْيَهُودِ بَيْعَةٌ يَنْفَرُونَ بِكَ وَأَنْ يُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِكَ﴾

(الممتحنة: ١٢)

وقد قال الرسول ﷺ لهم بعد أن بايعوه على ما ورد في هذه الآية: فإن بقيتم لكم الجنة، ومن غش من ذلك شيئاً كان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

وبعد أن تمت هذه البيعة بعث الرسول ﷺ معهم الصحابي الجليل مصعب بن عمير بن هاشم إلى المدينة يقرئهم القرآن ويعلمهم

الإسلام، فأسلم على يديه سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وكان سعد من أجل رؤسائهم، ثم شاع الإسلام في المدينة وانتشر.

بيعة العقبة الثانية

وفي العام الثاني في ذي الحجة عقد الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية مع الأنصار الذين أتوا إلى مكة في موسم الحج، وكان عددهم سبعين رجلاً وامرأتين «من الأوس والخزرج»، وكان للبراء بن معرور في ليلة البيعة المقام الغمود في الإخلاص والتوثيق لرسول الله ﷺ إذ أخذ بيده وقال: والذي بعثك بالحق لمتنعك مما تمنع منه ذرارينا، فبايعنا يا رسول الله فحنن والله أهل الحرب، فاعترض الكلام أبو الهيثم بن النيهان، حليف بنى عبد الأشهل فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبلاً، وإننا قاطعوها «يعنى اليهود الذين يعيشون مع الأنصار في المدينة» فهل عسيت إن أظهرك الله - عز وجل - أن ترجع إلى قومك وقد عنا؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «بل الدم الدم، الهدم الهدم، أنتم منى وأنا منكم، أسالم من سالتهم، وأحارب من حاربتم...»

واختار رسول الله ﷺ من الأنصار الذين بايعوه اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم: تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، وقال لهم: أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا

كفيل على قومي، وبعد البيعة رجع الأنصار إلى المدينة، فكان قدومهم إليها في ذي الحجة.

وكانت قريش لما بلغهم إسلام من أسلم من الأنصار، اشتدوا على من بمكة من المسلمين، فأصابهم جهد شديد، فأمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فخرجوا إرسالاً حتى لم يبق أحد من المسلمين بمكة مع رسول الله ﷺ إلا أبو بكر وعلي بن أبي طالب وقلعة من المسلمين، وكان عليه الصلاة والسلام ينتظر أن يؤذن له في الهجرة.

أقام رسول الله ﷺ بمكة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر، وهاجر إلى المدينة في ربيع الأول وقدمها لاثنتى عشرة ليلة خلت منه وكان ذلك عام (٦٢٢م).

وعند قدومه إلى المدينة كان المناخ العام مهيناً لاستقباله والترحيب به، وليس أدل على ذلك مما سجله التاريخ من أن سكان المدينة

خرجوا منها وصعدوا على الجبال أحيطة بها ليشاهدوا الرسول عليه الصلاة والسلام من بعد عند قدومه لاستقباله، فرحين مستبشرين، مغنين منشدين:

طلع البدر علينا
من ثنبيات الدواع
وجب الشكر علينا
مما دعانا له دواع
أيها البعوث فينا
جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة
مرحباً يا خير داع
وهكذا توفرت العوامل الإيجابية - قبل الهجرة - لإقامة الدولة الإسلامية في المدينة عند قدوم الرسول ﷺ إليها مهاجراً، وتنهياً المناخ الطيب فيها لإرساء دعائمها..

للحديث بقية عما فعله سيدنا رسول الله ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة.

قطرات من ينابيع الهجرة

للاستاذ الدكتور / محمد فتحي فرج

الهجرة في الأرض قديمة قدم الإنسان ذاته، فالإنسان قد يهاجر طلباً للرزق أو للفرار من كيد الكائدين، وظلم الجائرين، خوفاً على دينه أو عرضه أو ماله أو نفسه، وفي ذلك يقول الشاعر: «وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى»، ولذلك يتحور القرآن الكريم باللائمة على من يرضون على أنفسهم الضيم والمهانة، في بيئة تسومهم الهوان فلا يحركون ساكناً، فيقول عز من قائل:

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ قَدْوَةَ مَعَهُ إِذْ جَاءَهُمْ قَوْمٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَأُوتُوا لَهُمْ جَهَنَّمَ سِتْرًا مِمَّا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾

النساء: ٩٧

وفي الحث على الهجرة، تحت تلك الظروف غير المواتية، يقول الله - تعالى -:

ليس من باب المصادفة أن يجيء عنوان هذا المقال على النحو المتقدم، فالينبوع الذي يتفجر منه الماء، يكون سبباً قويا في جيشان الحياة من حوله، في صورها المختلفة، من نبات وحيوان وإنسان، والله - تعالى - يقول:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾

الأنبياء: ٢٠

وكذلك كانت الهجرة النبوية، على الرغم من التضحيات التي واكبتها، ومنها ترك الأهل والديار والوطن، سبباً أساسياً في بث قبسات الحياة في جسد الأمة، بتمكين المسلمين وتغلغل الإسلام في مختلف جوانب حياتها، وصدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حينما قال: «نحن أمة أعزنا الله بالإسلام...»

﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًى كَثِيرًا وَسَعَةً﴾

النساء: ١٠٠

ومن ثم فالهجرة حق منحه الله - تعالى - لعباده تكريماً لهم، والذين يضعون العراقيل أمامها بقوانين وضعية، ليحدوا منها أو يمنعونها فإنما يضيعون واسعاً، ويقفون أمام أمر أحله الله لعباده حفظاً لكرامتهم وتأكيداً لحريتهم.

الهجرة صنعت أمة

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في سبب الهجرة: إن قريشاً عرفوا لما أسلمت الأنصار، وهاجر أصحاب الرسول إليهم، أن محمداً قد صار له أنصار من غيرهم، في غير بلدهم، فخافوا من ظهور أمره، واشتداد منعته وتعاظم شأنه، فاجتمعوا في دار الندوة، وهي دار قصى بن كلاب، وكانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، للتشاور فيما يصنعون في أمره - عليه الصلاة والسلام - وبعد اجتماعهم وتشاورهم، اتفقت كلمتهم على ما قاله أبو جهل: والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقفتم عليه بعد.

قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟

قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً جليداً نسيباً وسطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه،

فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه بين القبائل جميعاً، ولا أظن هذا الخي من بني هاشم يقومون على حرب قريش كلها، وإنهم إذا رأوا ذلك أخذوا دينه ورضوا بها فتزديها إليهم فقال الشيخ النجدي إبليس: هذا الفتى هو أجودكم رأياً، والقول ما قال، لا أرى غيره، فتفرقوا على ذلك.

فأتى جبريل - عليه السلام - رسول الله ﷺ، وأخبره بذلك، وأذن الله - عز وجل - لرسوله بالخروج إلى المدينة، فخرج مهاجراً، وقد أخذ الله على أبصارهم، فلم يره أحد منهم، ونشر على رؤوسهم تراباً كان في يده، وهو يتلو قول الله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾

﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾

يس: ٩

ثم كان ما كان من خروج الأنصار لاستقباله ﷺ وصاحبه أبي بكر - رضي الله عنه - استقبالا جديراً به في بشر وفرح وسرور مرددين تلك الأنشودة التي لا زال صداها يتردد بعد كل هذه القرون من السنين:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرقاً المدينة مرحبا يا خير داع

إلى آخر هذا النشيد الجميل في معناه ومبناه ثم كان - أيضاً - ما كان من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وتلك الصور الخالدة من التفاعل الأخوي الحى بينهما، وما أظهره الأنصار من التفضيل والإيثار لإخوانهم المهاجرين وفتحهم بيوتهم على مصاريعها لإيوائهم ونصرهم، وما أبداه المهاجرون من لطف وتعفف واعتراف بالجميل والدعاء لإخوانهم الأنصار من ناحية، وضرب المثل في الاعتماد على النفس من ناحية أخرى، كل هذه الصور النبيلة كانت فاتحة خير لإرساء قواعد دولة الإيمان والإسلام على أسس النبيلة، وقيمة الإنسانية العليا، وأولها الإيمان والرحمة والتعاون على البر والتقوى، ومن ثم كان أول ما اهتم به رسولنا الكريم تأسيس المسجد، فللمسجد في شريعة الإسلام وحياة المسلمين مكانة عظيمة، ودور كبير، ولذلك يصف ربنا - جل وعلا - رواده بأنهم «رجال» في قوله تعالى:

﴿لَسَجْدَتَيْنِ عَلَى الثَّقْوَى مِنْ أَلْفٍ يَوْمَ الْحَاقِّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ الْإِصْحَارُ أَنْ يَنْظُرُوا وَفِي كَيْفٍ الْمُنَظَّرُونَ﴾

«التوبة: ١٠٨»

فالمسجد مكان العبادة، وملتقى المسلمين للعلم والرأى والمشورة والفتيا، وبالجملة فهم يُسَيِّرُونَ فيه أمور دينهم ودينناهم، وهو رابطة إسلام وإيمان، أقوى من رابطة اللحم والدم.

دروس وعبر من الهجرة

الدروس المستفادة من الهجرة النبوية الشريفة كثيرة، في كل منحى من نواحيها، في الإعداد الجيد لها والأخذ بالأسباب، وفي الشجاعة التي لا تابه لكيد الكائدين وحقد الحاقدين، وفي العزيمة الصادقة والتوكل على الله، وفي حفظ الأمانات والحقوق، وإعطاء كل ذي حق حقه، لا يمنع ظلمهم من إعطائهم حقوقهم، وفي اليقين من نصر الله - تعالى - مهما انقطعت الأسباب الظاهرة.

ثم إن الهجرة كانت بحق تحولاً هائلاً ومباركاً في حياة المسلمين، نقلهم من حال إلى حال أخرى، حررتهم من الظلم وأهله، وأنقذتهم من الضلالة والجهالة، فتجمعوا وتكتلوا وقويت شوكتهم ونمت دولتهم وعظمت هيبتهم، فأصبحوا في قوة بعد ضعف، وفي كثرة بعد قلة، وفي غزاة بعد ذلة، وفي غنى بعد افتقار، بهدف تثبيت قواعد الإسلام العظيمة، وتوطيد أركانها القويمة، ونشر تعاليمه الحكيمة، ثم شاء الله - تعالى - أن يعودوا مرة أخرى إلى بلدهم، الذي أجبروا على الخروج والهجرة منه، ليردوه إلى ساحة الحق، وينشروا فيه الخير والفضيلة، ويظهروه من رجس الأوثان، ويخلصوه من عبادة الأصنام، ويمحقوا أعداء الإسلام من المشركين ومن ناصرهم ممن كانوا يتربصون بالإسلام الدوائر، ويتصوروا

المتضرعين من الرجال والنساء والولدان، مما حاق بهم من جهل الجاهلين، وظلم الظالمين، وجور الجائرين. لقد كانت الهجرة - باختصار شديد وبحق جلى - حدثاً هائلاً غير وجه التاريخ، وكتب للإسلام الذبوع والانتشار والخلود، ليشع نوره من تلك البقعة المطهرة، في أنحاء العالم كله.

معنى الهجرة

وعلى ذلك فليست الهجرة مجرد حادث نتذكره كلما دار الزمن دورته، وحنان تاريخه بحساب الشهور والأيام، ولكن الهجرة مدد للمسلم متجدد، يحفزهم على النضال في سبيل الحق ونصرة أهله، وهجر الباطل، والوقوف بقوة وعزة وإباء في وجه المظلمين، من صناع الشر والمروجين له، ولذلك يقول رسولنا الأمين: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»^(١)

كما يقول ﷺ أيضاً - فيما رواه الإمام أحمد في مسنده: «الهجرة خصلتان: إحداهما أن تهجر السيئات، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما قبلت التوبة، ولا تزال التوبة

مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت طبع الله على كل قلب بما فيه، وكفى الناس العمل» وفي الحديث النبوي الشريف - أيضاً - : «الهجرة أن تهجر الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وتقسم الصلاة، وتؤتي الزكاة، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر»^(٢).

وهكذا، فلا زالت الهجرة مصدراً حياً، لإستلهام العبر والدروس، التي لا تنتهي، والتي لا يستغنى عنها مسلم، فهي زاد لا ينقد، ونبع لا ينضب ماؤه، ووسيلة فعالة لكل مجاهد، يعمل لنصرة الحق وخذلان الباطل، فهي قرار من الشر للكر عليه، بيقين من الفوز والظفر والنصر، حتى تكون العزة، التي أرادها الله لعباده المؤمنين، حيث قال - تعالى - :

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

«النافقون: ٨»

فاستبشروا أيها المسلمون، وإذا علمتم فما يبقى إلا أن تعملوا، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد!

(١) البخاري

(٢) مسند أحمد

خصائص المجتمع الإسلامي قبل الهجرة

لمضية الشيخ / محمد الغزالي

إعداد الشيخ / علي حارس عبد الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد:

فتنح على أعتاب هجرة كبير المرسلين، وخاتم النبيين، سيد الخليقة كلها وهاديها، سيدنا محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه.

إن رسالة نبينا عليه الصلاة والسلام بدأت في جزيرة العرب، وقد فاجأت هذه الرسالة سكان الجزيرة بحقائق ذات بال، كانوا لا يدرون عنها شيئاً، بل كانت بيشتهم تحياً وفق خرافات وترهات، تناقض هذه الحقائق وتخاصمها.

كان أول ما دعا النبي عليه الصلاة والسلام إليه توحيد الله - جل شأنه -، وتوحيد الله بديهة يحترمها أصحاب العقول، ولكن عرب الجزيرة وغيرهم ممن على غرارهم من التحرفين يعتقدون أن لله شركاء، وقد استغربوا دعوة التوحيد:

﴿وَجَاءَ آلَ بَكَّةَ ثُمَّ مَنَعَهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ
لَعَلَّ الْآلِهَةَ إِلَهُهُمَا وَجَدَا أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ مُجَنَّبٌ﴾

(ص: ٤، ٥)

والعجب ليس في التوحيد، فإن التوحيد حقيقة، ومن أطرف ما يروى لدعم هذه الحقيقة ما قاله علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لابنه: يا بني لو كان لربك شريك لأرسل هذا الشريك رسولا من قبله يعرف به، ويبلغ عنه، ما له أياكم لا يتكلم؟

إن كل المرسلين الذين جاءوا نساءوا أن الله واحد، وبلغوا أنهم من عند الإله الواحد:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّبِعُونِ﴾

(الأنبياء: ٢٥)

ومن الأغلاط الشائعة في تصوير الرسالة الإسلامية أنهم يقولون: جاء محمد في بيئة مشركة فدعاها إلى التوحيد، هذا تصوير ناقص للرسالة الإسلامية، فإن الرسالة الإسلامية ليست علاقة بين العبد وربه فقط، ولكنها تضمنت مع هذه العلاقة بين الإنسان وربه تنظيمًا اجتماعيًا للكيان الإنساني الكبير، يقوم هذا التنظيم على المسؤولية المشتركة، بمعنى أن المجتمع لا يجوز أن يكون فيه جوع وشبع، وعز وذل، كبير ووضاعة، علم وجهل، ينبغي أن يمد القادر العالم الواحد المكثر يده إلى من دونه حتى يتساوى الجميع في نعمة الله

وقضله، لا تساويًا يزِيل الفوارق بين الأفراد فهذا مستحيل، ولكنه تساوي يحقق الرحمة والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر.

ولذلك في أول ما نزل من القرآن لتنظيم العلاقة بين الناس وربهم نجد أن هذا التنظيم تناول العلاقة بين الإنسان والإنسان، سورة المدثر من أول ما نزل، ومع ذلك فانت تقرا فيها قوله تعالى على لسان أهل الجنة وهم يتساءلون عن المجرمين يقولون لهم:

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ قَالَُوا لَمْ نَمُكِّنْ

الْمُصَلِّينَ ﴿وَلَمْ نَكُنْ نَطْعُمُ الْمُسْكِينِ﴾

(المدثر: ٤٢-٤٤)

وعندما انقسم المجتمع في الجاهلية إلى متكبرين مترفعين ينظرون شذرا إلى من دونهم جاهاً ومالاً، وعندما حاول هؤلاء المتكبرون المترفعون أن يقرضوا تقاليدهم على صاحب الرسالة ﷺ وعرضوا عليه أن يحضروا في مجلسه وأن يستمعوا إليه تمهيداً للإيمان به، والدخول في دينه، لكن شريطة ألا يسووا بمن دونهم مكانة ومنزلة في نظرهم، فلم يتأن الرحي أو يستدرج هؤلاء للإيمان، بل رفض لأن هؤلاء الذين يريدون الدخول في الإسلام وفق فهمهم وكبرهم أرادوا طرد المؤمنين الضعاف أو على الأقل رميهم وراء ظهورهم في المجلس فنزل قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرُؤُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ مَا عَظُمَ مِنْ حِكَايِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِكَايَةٍ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَفَقَطَّرَدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾
 وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾

(الأنعام: ٥٢-٥٣)

مجتمع ما قبل الهجرة

دخل الإسلام ناس، نريد أن نعرف الخصائص العقلية والنفسية لمن دخل الإسلام، وأنشرح به صدره، حتى نعرف من هم المسلمون قبل الهجرة؟ ما خلافتهم؟ ما فضائلهم؟ ما الميزات الإنسانية التي توافرت فيهم مادياً وأدبياً حتى بدأ مجتمع ما قبل الهجرة يتكون؟

أول ما نلاحظه في المسلمين أنهم أصحاب تحرر عقلي، لم؟ لأن طبيعة الإيمان عندنا في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ طبيعة تقدمية، نحن في عالم يفخر بأنه تقدمي، الحقيقة أن العالم فعلاً ارتقى علمياً في جوانب، ووقف في جوانب أخرى، وتراجع في جوانب كثيرة.. ولكن الإسلام عندما يعرض الآن ربما نظر الناس إليه من خلال الأمم الهابطة المنتسبة إليه، فأزروا به واستهانوا بقيمه.

نريد أن نعرف الإسلام من خلال الذين اعتنقوه أولاً، كان هؤلاء كما قلت أصحاب حرية عقلية، إنسان بدأ يحدث الناس ويقول لهم: أنا أعرض عليكم ما عندي، ما عندك؟ من أين جئت به؟ وما تريد؟ وما دليلك؟

فيكون الجواب:

﴿ حَمْدٌ ﴿ تَزِيلُ الْكَسْبَ مِنَ اللَّهِ الْمَزِيدَ الْعَلِيمَ ﴾ ﴿ فِي شَمْسٍ وَنَارٍ وَالْأَرْضِ لَا يَنْتَبِهُنَّ لِتَوَقُّبِهِمْ فِي شَيْءٍ ﴾ ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَكُونُ مِنْ نَارٍ مَكِينٍ ﴾ ﴿ تَقُومُ يَوْمَئِذٍ فَتَقُولُ ﴿ وَالْحَقُّ أَكْبَرُ وَمَا تَرَى لِلنَّاسِ ﴾ ﴿ مِنْ رِزْقٍ فَخَابَهُ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَخَصِرَ يَبِ الْيَتِيمِ ﴾ ﴿ لَيْسَ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُمَّ عَلَيْنَا الْغَوْقُ فَإِنِّي حَرِيصٌ بِعَدَاةِ الْيَوْمِ مَا يَكُونُ يَوْمَئِذٍ ﴾

(الجنات: ١-٦)

خطاب للعقل البشري، تحريك للفكر الإنساني، لكن هناك ناسا جمعت أفكارهم، وتحجرت عقولهم، هؤلاء يصفهم الله فيقول:

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَلَا يَرَوْنَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَكُونُوا يُنَادُوا لِلْإِيمَانِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ ﴾

(الأنعام: ٢٥)

هذا النوع المتحجر هبط إلى مستوى الحيوانية:

﴿ إِنَّ شَرَّ الْأَنْبَاءِ عِنْدَ أَهْلِ الْأُثَمِّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

(الأنفال: ٢٢)

إذن بدأ الإسلام حرية عقلية، فكان الجيل الذي اعتنق الإسلام يمثل في أرض الله الواسعة مجتمعاً تقدمياً أرقى فكراً وأنظر نظراً وأعمق استدلالاً، وأوسع آفاقاً من المجتمعات المتخلفة الأخرى.

انضم إلى هذه الحرية العقلية في مجتمع ما قبل الهجرة شيء آخر هو القدرة النفسية على مخالفة الجماعة إذا كانت مخطئة والقدرة النفسية على المشي مع الحق وإن كان الناس مبطلين، هذه القدرة لا يزرعها كل إنسان.

فالقدرة على التخلص من البيئة المنحرفة، أو من التقاليد السخيفة أو من التيارات المعوجة لا

يستطيعها كل إنسان، بل رأينا ناساً رأوا الصواب ولكن لعجزهم النفسي، ولعدم قدرتهم على ترك ما ألفوا بقوا مع الضلال!! يقول الله في هؤلاء:

﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي أَنْتَ نَذِيرٌ ﴿ وَإِنَّا لَنَجِدُهُمْ تَكْفُورُونَ ﴾ ﴿ قُلْ أَوَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ آيَاتٍ أَنْ تَتَذَكَّرُوا ﴾ ﴿ إِنَّا لَنَجِدُهُمْ تَكْفُورُونَ ﴾ ﴿ فَاسْتَفْتَيْنَاهُمْ فَانْطَرَكْتُمْ ﴾ ﴿ كَذَلِكَ نَجْعَلُ الْمُتَكَذِّبِينَ ﴾

(الزخرف: ٢٣-٢٥)

هكذا ربي القرآن الجيل الذي تكون قبل الهجرة، رماه على قدرة مخالفة الموارث السائدة، والتقاليد الموطدة، والتيارات الغالبة، وفي هذا نقرأ قوله تعالى في سورة هود المكية:

﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿ وَانظُرُوا إِلَىٰ مَا تُسْأَلُونَ ﴾

(هود: ١٢١، ١٢٢)

ونقرأ قوله تعالى في سورة الأنعام المكية:

﴿ قَدْ يَتَقَوْمُ ﴿ تَسْمَعُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ فِي عَامِلٍ فَتَسْأَلُ عَنْهُمْ ﴿ مَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَقِيَّةٌ أَتِلْهَا بِنْتٌ لَمْ يَكُنْ لَهَا فَتُطْلَعُ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ ﴾

(الأنعام: ١٣٥)

قدرة نفسية على مخالفة البيئة إذا ضلت، لكن مخالفة البيئة إذا ضلت قد تكلف صاحبها تعباً، وقد تحشمه عتناً.

ثلاثة أنواع من الحروب!!

وهنا نجد أن صاحب الحق الذي اعتنقه واستراح إليه لا يبالي في سبيل الحق أن يتحمل العنت وهذه خاصة في الرسالة الإسلامية جعلتنا نرى أن الذين آمنوا ووجهوا بثلاثة أنواع من الحروب:

● النوع الأول: حرب الاضطهاد، وقد وجهت للضعاف الذين لا عزوة لهم ولا عصية، والرسول ﷺ في أول أمره كان لا يملك شيئاً، وليس لديه ما يقدمه من حماية، إذا رأى أسيرة كأسرة عمار بن ياسر هو ووالده وأمه - رضى الله عنهم -، إذا رأى الأسيرة تعذب ماذا يقول لها؟ لا يستطيع أن يقول إلا: «اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة»^(١).

الأنبياء لا يملكون أموالاً يرشون بها، ولا يملكون سلطة يفرضون بها حمايتهم على اتباعهم، بل في الهجرة الأولى إلى الحبشة هاجر عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ومعه زوجه رقية - رضى الله عنها - بنت رسول الله ﷺ.

● النوع الثاني: حرب السخرية، وحرب السخرية كانت حرباً فيها نوع من الإيذاء النفسي ومن الإحراج البالغ، كانت حرباً موجهة:

﴿ وَقَالُوا إِنَّا نَبِيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ لَمَجْنُونٌ ﴾

(الحجر: ٦)

سبحان الله.. أعقل إنسان في الأولين والآخرين يقال له هذا؟!

(١) ذكره البيهقي في الجمع ٢٩٢/٩ وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات، وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بعمار وأخته وهم يعذبون فقال: «أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة»، رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ٣٨٨/٣.

﴿ إِنَّا لَنَرِيكَ

أَنزَمُوا كَأَنَّمَا لَمْ يَمُوتُوا الَّذِينَ آمَنُوا يُصْحَكُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٣٣﴾ يُنَادُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّا نَقُولُ إِنَّ أَفْئِدَتَهُمْ غُلُوفٌ مِّنْ أَفْئِدَةٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّا رَآؤُهُمْ قُلُوبًا مِّنْ قُلُوبٍ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ

(المطففين: ٢٩-٣٢)

إنهم بضحكون، ويسخرون، وينكتون، غمز ولم وتكتيت وسخرية، لكن أتباع محمد ﷺ تبثوا وصبروا على هذا كله.

● النوع الثالث: حرب المقاطعة، وهي حرب مؤذية، عندما يكون الإنسان تاجراً ثم تنقرر مقاطعته، أو عندما يكون له بنات وبنون فيتقرر ألا يتزوج أحد من بناته، هكذا صنع المشركون بأتباع محمد عليه الصلاة والسلام، لكنهم تحملوا هذا كله.

فكان إلى جانب الحرية العقلية، وكان إلى جانب القدرة النفسية على مخالفة البيئة كان إلى جانب هذين شيء ثالث وهو الثبات والتحمل في ذات الله، والصبر على ما يكون من شدائد!!

الدعوة إلى الهجرة

ثم كان الأمر الأخير وهو الدعوة إلى الهجرة، والدعوة إلى الهجرة شيء أحب لمناسبتة أن أعقد مقارنة عاجلة سريعة بين الدعوة إلى الهجرة في مكة لإقامة دولة دينية أو مجتمع ديني في المدينة، وبين ما وقع في عصرنا هذا.

الدعوة إلى الهجرة كانت صريحة، سننقل إلى المدينة لنقيم فيها دولة الإسلام بعد أن عجزنا عن إقامتها في مكة.

ومهاجرة الناس من أوطانهم وأسهرهم

وماضيهم، وما ألغوا إلى مكان لقيموا فيه دولة وفق ما يعتقدون شيء عرفه المسلمون قديماً عندما هاجروا إلى المدينة المنورة، وأريد أن ألقت النظر إلى فارق شاسع بين ما وقع من مسلمي الأمس وبين ما وقع من اليهود اليوم.

إن اليهود قرروا في مؤتمراتهم أن يهاجروا إلى إسرائيل كي يقيموا في فلسطين دولة لهم باسم إسرائيل، وفعلاً بدأت الهجرة، واستطاع هؤلاء المهاجرون أن يقيموا دولة توصف بأنها دينية، وجعلوا عنوانها إسرائيل، هناك فروق واسعة بين هجرة المسلمين قديماً إلى المدينة وهجرة اليهود حديثاً إلى فلسطين، هذه الفروق أريد أن أخصها على عجل:

أول هذه الفروق أن المسلمين الذين تركوا مكة إلى المدينة يمكن أن يوصفوا بتعبير العصر الحديث بأنهم مغامرون، لأنه لم يكن لهم على ظهر الأرض نصير، كانت الدنيا كلها ضدهم، أما المشركون فلأن القرآن غاب الأصنام، وحفر الأوثان، وهدم تقاليد الجاهلية، وطلع على الناس بوضع جديد يصب فيه الإنسانية صبا من طراز آخر!؟

شتان.. شتان!!

هؤلاء الذين فعلوا ذلك كانوا شيئاً آخر مخالفاً من كل جانب هجرة اليهود إلى فلسطين، فإن اليهود قبل أن يهاجروا إلى فلسطين تعهدت الدولة الأولى في العالم يومئذ -إنجلترا- بأن تكيف الظروف في فلسطين لاستقبالهم، فكان الحاكم الإنجليزي في فلسطين يذل العرب، ويعطش أرضهم

حتى لا ينبت فيها زرع، وحتى يكرهون على بيعها بأيخس ثمن أو بأعلاه، وكانت الرخصة إذا وجدت في بيت عربي سبياً في أن يهدم البيت من أعلاه إلى أدناه!

وكان الاستعمار البريطاني من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٤٨، كان عالمياً ومحلياً يهيب، الظروف لاستقبال اليهود المهاجرين، فكان رأس المال اليهودي إذا هاجر فمن مأمّن إلى مأمّن، ومن حرام إلى حرام، ومن حارس إلى حارس.

شتان بين هذا وبين المهاجرين الأوائل، شتان.. شتان.. ثم إن المهاجرين الأولين ذهبوا إلى المدينة المنورة، أي هجرة هذه؟

يوم اضطررنا الظروف الصعبة إلى أن نستقبل المهاجرين من السويس والإسماعيلية، تحركت الأجهزة الاقتصادية والثقافية والحكومية والأهلية لاستقبال المهاجرين، وصدرت قوانين، وبدأت أمور كثيرة تتخذ لكن الهجرة إلى المدينة أشرف عليها شيء واحد هو الدين والخلق، كان المسلمون في المدينة يستقبلون الوافدين عليهم بصدر واسع، لا سلطات، لا قوانين، ومع ذلك فما نزل مهاجري على أنصاري إلا بقرعة.

كان التنافس بين بيوت الأنصار تنافساً

غالباً لاستقبال أولئك القادمين الذين جمعهم الإيمان.

ثم شتان.. شتان.. إن الدولة التي أقامها الإسلام بعد الهجرة دولة لعبادة الله.. لصقل النفس البشرية، لسيادة القيم التي يساندها العقل والفطرة.

أما دولة إسرائيل فدولة وثنية، لعبادة المال والحقا والشهوة والضلال، لعبادة الجبروت والمظالم والطغيان.

إذا كان الشاعر العربي قال:

والمال مذ كان تمثال يطاف به

والناس مذ خلقوا عباد تمثال

فإن عبادة المال وعبادة الدنيا، لا اعتراف

بالآخرة، لا اعتراف بقيم، لا اعتراف بشريعة

السماء، لا شيء عند اليهود أكثر من المادة،

العجل الذهبي الذي عذب قديماً، أعيدت

عبادته بشكل آخر. ولولا أن المسلمين باعدت

بينهم وبين دينهم أزمات روحية ومادية طاحنة

لكان لليهود مصير آخر وشأن آخر.

إنها مقارنة بين المسلمين الأولين وما

امتازوا به، وكيف أن ما امتازوا به نقلوه وهم

يهاجرون وأسسوا به دولة على عين الدنيا،

هي الوالد الحقيقي لكل ما على ظهر الأرض

الآن من قيم ومن تقدم ومن حضارة.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

الطريق.. إلى السعادة

للاستاذ الدكتور / محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

يقول الله - عز وجل - في سورة هود :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

«هود: ٢٢»

عبر واحدة من الإذاعات العربية.. استمعت إلى المتحدث العربي المسلم يستفتي واحدا من حكماء الغرب عن السعادة.. وكيف الوصول إليها؟؟ وأجاب الحكيم الغربي : لكي تكون سعيدا ينبغي أن تجدد حياتك.. بمعنى أن تزيد اهتماماتك لتكسر بالجدید.. جمود القديم!! وقلت : سبحان الله!! لقد أكمل الله لنا الدين.. فلا يحتاج إلى مزيد.. وأنتم علينا نعمته : فلا نحتاج إلى استجداء الحلول من غيرنا!! أجل : إن الحكمة ضالة المؤمن : أنى وجدها فهو أحق بها.. ولكننا نقول : ومتى كانت الحكمة هنا غائبة.. حتى نبحث عنها هناك عند فاقد الشئ.. الذي لا يعطيه!!؟

وقلت : أولا : لقد سماها القرآن الكريم «الحياة الطيبة» وهي ما يعبرون عنه هناك بالسعادة!

وذلك قوله - عز وجل - في سورة النحل :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أُولَٰئِكَ هُم مِّنَ الصَّالِحِينَ حَيَاتُهُمْ طَيِّبَةٌ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧)

إنها.. الحياة الطيبة!! فيها من «الطيب» رائحته.. وفيها من الطعام إذا طاب : نضجه وفائدته وطعمه.. قال العلماء : (الطيب في عيشة هنية : إذا كان موسرا.. فلا كلام فيه.. وإن كان معسرا : فبالقناعة والرضا بحكم النفس المطمئنة يكون مطمئنا والفاجر : بالعكس : إن كان معسرا.. فواضح.. وإن كان موسرا : فحرصه لا بدعه بهنا : فهو لا يزال في عيشة ضنك).

والآية الكريمة التي صدرنا بها ذلك الحديث ترسم الطريق اللائح إلى هذه الحياة الطيبة في الدنيا وفي الآخرة : وأول خطوة على هذا الطريق هي الإيمان.

الإيمان الذي يشكل القاعدة الأصيلة والتي يدور عليها سلوك الإنسان، ولكن الحكيم الغربي يتجاهل الإيمان كمحرك أساسي لحركة الإنسان.. الذي يريد حرا يفعل ما يشاء..

وينشئ في كل يوم عادات جديدة واهتمامات جديدة لا تنقف به عند حد ليكون في النهاية كالنافقة الهيماء لا يموت ولا يحيى!!؟

إنه ينكر هذا «البساطين» وأثره على الظاهر.. بل لا يؤمن إلا باغسوس الذي تراه العين وتلمسه اليد.. ليكون الإنسان حرا.. وسيد مصيره يصوغه كما شاء له هذا.. وما يترتب على ذلك من بوار وخسران!!

والخطوة الثانية على الطريق هي : العمل بل العمل الصالح الذي يحقق المقصود منه بصلاحة..

شروط العمل الصالح

لا بد للعمل حتى يكون صالحا من شروط أربعة :

- ١- المعرفة .
- ٢- النية .
- ٣- الإرادة .
- ٤- الرضا .

أما عن الشرط الأول فنقرأ قوله - عز وجل - :

﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ ﴾

(النساء/ ٤٣)

وتسائل حديث رسول الله ﷺ : (ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها) (١).

وإذن.. فلا بد من المعرفة أولا بما تفعله ليكون في ميزان حسناتك.

(١) إتحاف السادة الفقهاء ج ٤ - ص ١٢٢.

وأما عن الشرط الثاني وهو النية.. فنقرأ قوله - عليه الصلاة والسلام - :

(إنما الأعمال بالنيات) ^(١) ويترتب على ذلك أن من تناول كأس عصير وفي نيته أنها خمر فهو آثم؛ ذلك بأن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، مسلم / كتاب اللباس.

إن النية وحدها: ضوء خافت لا يقوى على الدفع..

والعمل الظاهري: قد يخدم المجتمع.. ولكن لا علاقة له بمعاني الأخوة.. فإذا فانت النية الخالصة.. فإن صورة العمل الباقية لا تنشيء الفضيلة الكاملة.. فلا بد من الظاهر والباطن معا:

إن الله - تعالى - لا يقبل قولاً إلا بعمل ولا يقبل قولاً ولا عملاً إلا بنية، ثم لا بد من موافقة العمل للسنة.. والذي يحدد طريقة التنفيذ هو الرسول.

أما الإرادة فنقول: إن الإنسان مخلوق من عنصرين: ترابي وروحي، وإذن: فهو مستعد للخير وللشر.. وبلا جبر.

ومما يساعد على نمو دوافع الخير وتراجع دوافع الشر: تذكر الآخرة بما فيها من حساب جزاء.. وإذن: فالإنسان عامل أبداً.. عكس ما تقرره مذاهب الأرض.. إنه يعتقد أن هذه

الدنيا مريعة الزوال.. وأن الأمر فيها قد يكون للأشرار.. وإذن.. فإذا لم تشع هذه الدنيا لجزائه.. فهذا الجزاء مدخر له عند من لا تصنع عنده الودائع - سبحانه وتعالى - وصدق القائل: بأنني مخير ولكن لا أقدر أن أجعل صورتي أحسن ولا قامتي أطول ولست يقادر على إرجاع «الأمس».

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

(الأنفال: ٦٠)

معنى الإخبات

ثم - يقول عز وجل - :

﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَيْبِهِمْ﴾

(هود: ٢٣)

ومن معاني الإخبات كما تقول كتب اللغة:

الخبت: المظمن من الأرض.. الواسع.. السهل.. أو هو الوادي: فيه رمل.

ويعنى ذلك أن الخبت فيه مزيج من:

الاطمئنان وسعة الصدر والسهولة، ثم هو مع سعته وسهولته فيه ما يشبه الرمل الناعم.. ولك أن تتصور عبر الطريق كومة من الرمال تندفع نحوها سيارة منطلقة لتدرك كيف ضاع غشم السيارة واندفاعها في هذه الكومة من

الرمال، وكذلك المسلم، إنه يعيد الله - تعالى - كأنه يراه.. في صحة منظومة من الأخلاق هي في نفس الأمر ثمرة هذه العبادة..

أخلاق المخبتين

ومن خلائق المخبتين:

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

(الحج: ٣٥)

قد يكون أحدهم غنيا وقد يكون قويا وقد يغريه غناه.. وقد تحرضه قوته ليظلم الآخرين.. ولكنه عندما يتذكر أن الله - تعالى - أغنى منه وأقوى وأكبر فإن هذه التذكرة كافية في رد بآسه ليعود إلى حجمه الطبيعي عبدا خاشعا متراضعا.

﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾

(الحج: ٣٥)

إنهم راضون بالبلاء مصطبرون مادام نازلا من الله - عز وجل - أما البلاء من البشر: فإذا كان فردا.. فالعفو أولى

﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾

(البقرة: ٢٣٧)

أما من الأعداء: فلا بد من مقاومته.. وخذ

مثالا على ذلك.. سعد بن أبي وقاص - رضى الله عنه - لقد ذهب بصره: وهو خال رسول الله ﷺ ^(٢) ثم هو مستجاب الدعوة، وذات يوم كان بينه وبين ولده حوار طلب ابنه فيه أن يدع الله يرد بصره إليه وهو مستجاب الدعاء فما كان جواب أبيه إلا أن قال: الرضا بقضاء الله - تعالى - ألد لي من عود بصرى إلى؟! ولقد كان في نفس الوقت قائدا عسكريا أدب الله تعالى به الطفلة الذين قامهم بسلاحه ولم يشأ أن يكون بين أيديهم غنيمة باردة!!

ومن أخلاق المخبتين: أنهم يحققون معنى العبادة تعظيما لله - تعالى - بإقام الصلاة وشفقة على خلقه:

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾

(الحج: ٣٥)

تخلقت لديهم ملكة الإنفاق الذي يحددونه كلما دعا إلى الإنفاق داع ومن معاني ذلك كله أن المسلم: رجل متحضر؛ لأنه يضيف وجوده إلى الضعيف.. ليقوى وإلى الذي كبا لينهض فكان واحداً من مقاييس حضارة الأمة التي لا تسير فقط بسير أضعفها ولكنها تقويه ليكون الكل في العافية سواء..

(٢) قال الشيخ الطبري صاحب الرياض النضرة في مناقب العشرة ص ٢٥٦: «كان سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه من بني زهرة وأم النبي ﷺ من بني زهرة».

طريق الجنة

وهذا هو طريق الجنة في الآخرة.. وطريق الحياة الطيبة اليوم يبدو من خلال آيات القرآن الكريم.. الأمر الذي يفرض علينا أن نتدبر الآيات.. لتري في مرآتها طريق الوصول إلى كل مأمول، ألا وإن أسعد الناس هم أقلهم انشغالا بالسعادة والمسلم إذا لم يأتد اليوم ما يسعده فإنه يحىء بما يسعد الآخرين.

أما بعد :

فقد نقل المتحدث العربى عن الحكيم العربى حديثا مستفيضاً عن الصبر.. وضرورة أن يصبر الإنسان على ما أصابه.. فيما يشبه أن يكون تحذيراً للفريسة حتى لا تقوم لها قائمة!! وألفت نظر القارئ العزيز إلى ما سبق من بيان هذه القضية ثم إلى ملخص ما رد به أستاذنا المرحوم الغمراوى بما يحىى فى قلوب المسلمين روح المقاومة لهذه التوجيهات المقصودة!! قال رحمه الله - تعالى - ما ملخصه: (٤)

كثير الطاعنون على الإسلام من جهة أهله والطاعنون فيه من أعدائه ولم يكن ذلك ليحدث لو كان للإسلام عزة فى بلاده وكانت للمسلم غيرته، ولكن النظام الإسلامى كقبل بحفظ كرامته خارج بلاده وداخلها، ولكن المسلمين فرطوا فدخل الفساد ومن عوارضه: الطعن عليه وذلك على النحو الآتى:

إن الإسلام دين الحرية وكما يصون حرية الفرد يمنعه من أن يعتدى على غيره بالسرقة مثلاً وعلى نفسه بشرب الخمر، ويمنعه من فتح باب الهلاك على نفسه وعلى غيره بالطعن، والطعن: لون من محاربة الله ورسوله، بل هو الأخطر: لأنه يعرضنا لشقوة الأبد: ونقرأ فى ذلك قوله - عز وجل -:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاؤُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ وَلَهُمْ أَكْفَأُ مَا ظَنَرْتُمْ ٣٥﴾

(المائدة / ٣٣-٣٤)

ويقيد قوله - تعالى -:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾

أن الإسلام يريد الردع.. ولا يريد التشفى: فالأصل فى الإسلام: تحريم كل ما يشم منه رائحة الطعن. ولو حدث ذلك من دولة. ثم لم تعتذر حاربتنا.

ثم.. إن مكوتنا على الطعن باسم حرية الرأى خيانة إذ ليس من المعقول أن يتصف الإسلام بغيره.. ولا يكفل هذا الحق لنفسه ولذويه.

وإذن.. فتحن نرفض كل تحريج باسم: حرية البحث مثلاً.. ولا بد أن تبقى الغيرة على الإسلام حية فى النفوس.

الضعف

واجبنا ألا نشترى متهم ولا نبيع لهم: إنها إذن المقاطعة الاقتصادية والمقاطعة الأدبية.

فإذا ضعفت هذه الروح المانعة للأعداء من الطعن.. فلننظر فى أسباب ذلك.. الضعف: إنه ضعف التربية، وعليهم:

أ- إنشاء مدارس إسلامية.

ب- قراءة قدر يسير من القرآن.

ج- دراسة السيرة النبوية وسيرة الصحابة دراسة تحليل.

د- عدم التعرض لدحض شبه الطاعنين بالمناقشة لأن ذلك يغريهم بالكلام.

فإذا كان رد: فليكن مرتكزا على حقائق العلم والتاريخ.. فى قالب من السخرية حتى يشعر الطاعن أن طعنه ليس له قيمة ويشعر المسلم: بأن العزة له.

واجب المسلمين

ولكن: ماهر واجب المسلمين فى دول ليست فيها حكومة إسلامية؟ إن حكمهم هو حكم المسلمين قبل الهجرة.. وعندما لم تكن لهم قوة. وعليهم إذا لم يملكوا منع الطاعن.. أن يدركوا أنهم يملكون منع عيونهم وأذانهم من قراءة أو سماع ما بهرف به الطاعنون.. طاعة لله - تعالى - القائل سبحانه:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾

(الأنعام: ٦٨)

فإذا نسى.. فليقم عند تذكيره.. مشعرا للخائضين بأنه غير راض عما يقولون.. ولهذا السبب يغادر المجلس.

فإن استمر قاعدا.. فهو اللوم.. وهو على خطر عظيم.. لأن البعد عتدئذ مهم.. قبل أن يعلق فى نفوس الناشئة شىء، يعينه على النصر أن الطاعن مبطل.. والمبطل: مقاتله كثيرة.

وإذا كان الطاعنون يسخرون منا أحيانا ليُشعروا المفتونين بهم أنهم أقوىاء.. فأحرى بنا أن نحاربهم بمثل سلاحهم.

(٤) ملخص محاضرة للدكتور محمد الغمراوى

أحداث ومواقف بعد الهجرة إلى المدينة

لتفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

إن الهجرة إلى المدينة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - وما صاحبها من أحداث وما سبقها من استعداد جيد؛ هو دائماً محور الحديث في هذه المناسبة الجليلة. وبرغم قناعتي بأهمية ذلك وتقديرى له، إلا أنني أرى أن جواتب أخرى لا تقل أهمية عما سبق يجب أن نتناولها بالبحث المتأنى والدراسة الواعية للكشف عن مضامينها ومحتوياتها ونترسم خطاها لإعمار الكون وإنشاء «عولمة» صالحة مستقيمة رشيدة تحترم إنسانية الإنسان ويحترمها الناس لأنها رحيمة لا تعرف القهر ولا تمارس القتل ولا تغتصب الثروات.

إن الدخول إلى المدينة المنورة لم يكن غزواً عسكرياً صاحبه تدمير وقتل وإبادة ثم تبعه تبرير فج مزور، كما لم تسبقه ادعاءات سخيفة كما هو واقع ومشاهد في حملات الإبادة والغطرسة في العراق وأفغانستان والبوسنة والصومال، وكما هو متوقع في السودان حماه الله مما يحاك ويدبر له.

لم يكن الدخول إلى المدينة إلا هدياً مهبطاً له شوق صادق بلغ حد الوكّه والهيّام بالدعوة، يسر له رب العزة - جل جلاله - بأحداث في المدينة جعلت أفئدة أهلها تشرب إلى المنقذ الهادي، وقد سبقت الهجرة بيعتان عظيمتان فيهما موثيق وعهود أمانت وأوضحت معدن الرجال بقوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، كما أن مغير الدعوة الصادح بالقرآن مصعب بن عمير وهو يرتل ويعلم، مهبط الطريق وفتح القلوب وغرس في الرجال آيات الله تتلى فتزلزل أركان الشرك والوثنية وتحيل ظلام النفوس والقلوب إلى نور وهداية وتمسح أدران الجاهلية، وتصحوا المدينة على نور التوحيد وعدالة الدعوة ونبل الداعية وسموه، وترقى في سلم

الإنسانية العظيمة لتنبؤاً مكان الريادة في العالمين.

طبية

إن هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة كانت بناء على دعوة كريمة من أهل المدينة عرفت في التاريخ باسم «البيعة» كما أنها على جانب آخر - وهو الأهم - أن الله - سبحانه وتعالى - قضاه لنبيه ﷺ، وأراها له في رحلة الإسراء يقول النبي ﷺ: «مررتنا - هو وجبريل - بأرض ذات نخل، فقال جبريل: انزل فصل، فصليت. فقال: أتدري أين صليت؟ قلت: لا.. قال: في طيبة والبيها المهاجرة»^(١) فكان أن هيا الله الأسباب حتى ينقذ وعد الله، وهاجر الرسول ﷺ وصحبه وطاب لهم المقام، ثم كانت في طيبة أحداث جسام هي علامة بارزة في تاريخ الدعوة، لا تدعى أننا سنحسبها، لكننا لا نستطيع أن نتجاوزها وسوف نقف عند بعضها نتأمله ونستخلص منه عبره، كما نستجلي فيه معالم النبوة ورعاية الله لحزبه المفلحين.

تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها -: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله في الحنى... فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه،

فكان أبو بكر وعامر بن قهيسرة وبلال وغيرهم أصابتهم الحمى، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فنظر إلى السماء وقال: «اللهم حبب إلينا المدينة، كما حببت إلينا مكة أو أشد وانقل حماها إلى الجحفة، اللهم بارك لنا في مدنا وصاعنا..» واستجاب الله لدعوة نبيه ﷺ قطابت المدينة وطاب هواؤها وشقى أبو بكر وبلال وكل الصحابة والحمد لله^(٢).

ليس ذلك فقط... ولكن اسمح لي أن أقول لك: هل تذكر - ويجب أن تذكر - عمرة القضاء؟ والأصحاب يطوفون مع النبي ﷺ بالبيت والملا من قريش ينظرون إليهم يتأملونهم، ويتمنون من قلوبهم لو أن حمى يشرب أضعفتهم فأجهدهم الطواف... لكن الله خيب ظنهم وأطلع الله نبيه على ما يعتمل في قلوبهم فقال ﷺ يستحث أصحابه أن يظهروا البأس ويستعرضوا القوة، قال: «رحم الله أمراء أراهم اليوم من نفسه قوة»، ومن ثم شرع الرمل في الأشواط الثلاثة الأولى من الطواف، هل تدري ما معنى الرمل؟ هو سير أقل من الجري وأسرع من المشي، هو هرولة لكن فيها دلال وتبخر، فيه استعراض للقوة وليس المقصود الإسراع إنما

(١) سنن النسائي.

(٢) صحيح البخاري.

سبحانه وتعالى - لسيدنا إبراهيم لما امتثل أمر ربه :

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَتَمَكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾

(إبراهيم: الآية ٣٧)

وكذلك تحقق رجاء هاجر لما قالت لسيدنا إبراهيم - عليه السلام - عندما تركها عند البيت : «الله أمرك بهذا؟» قال : نعم .. فقالت : إذن لن يضيعنا .. فكل هذه المعاني باقية والمسلمون في حاجة ماسة إلى تذكرها وإلى الثقة بوعده الله - تعالى - أن ينصر دينه لو أن المسلمون استقاموا على شرعه وشريعته، فعلة الرمل في السعي باقية بخلاف علة الرمل في الطواف، فإنها زالت بتزول الحكم بزوالها وبقي الرمل في السعي فيزول علته.

المؤافاة

● قال صاحبى : بعد أن اطمأن واستراح إلى ما قلت - حدثنا عن مشاهد وأحداث المدينة المنورة بعد هجرة النبي ﷺ إليها هو وصحبه ..

● قلت لصاحبى : إن مشاهد وأحداث المدينة كثيرة وعظيمة الشراء، وعلى المسلمين أن يفهموا أهدافها ومراميتها وآثارها، ويقتدوا بها حتى تؤتي ثمارها .. تأمل معي ما كان من النبي ﷺ عند قدومه المدينة وما صنعه من مؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

المقصود إظهار القوة .. قال الفقهاء إن الحكم يدور مع علته وجوداً أو عدماً، يعنى أن الحكم إذا شرع لعله، وانتفت هذه العلة التي شرع من أجلها الحكم، فإن الحكم يزول تبعاً لزوال حكمته. وإعمالاً لهذه القاعدة وتطبيقاً لها فإن الإسراع والرمل في الطواف زال بزوال علته، لأن علته كان إظهار القوة واستعراضها أمام المشركين، ولم يعد هناك مشركون، ولم تعد هناك حمى في المدينة المنورة.

● قال صاحبى : ما قولك في الرمل في السعي بين الصفا والمروة بين المبلين الأخضرين، هل هو باق أم أنه زال؟

● قلت لصاحبى : تأمل رعاك الله ما قلته لك من قول الفقهاء .. فهل علة الرمل في السعي باقية، أم أنها زالت، فيزول الحكم بزوالها؟ قال صاحبى : لا أدري، لكنني أعرف أن هذا رمل وذاك رمل، وأن كلاهما كان لحكمة وعلة .. قلت : نعم هذا رمل وذاك رمل وكلاهما كان لعله. لكن ليس بينهما تلازم، حيث إن علة الرمل في الطواف كانت إظهار القوة، واستعراضها أمام المشركين ولم يعد هناك مشركون حول البيت، فلا داعي لاستعراض القوة، بخلاف الرمل في السعي فإن علته هي تذكر موقف السيدة هاجر أم إسماعيل ولهفتها على وليدها وهي تبحث عن الماء، وتحقق وعد الله -

العاقبة في الخشع والأثرة والعدوان، لقد بين الله - سبحانه وتعالى - معنى الإيثار الذي وقع وحدث بين المهاجرين والأنصار، فقال :

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحْتَوُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(الحشر: الآية ٩)

إن الإيثار عمل رفيع عن قناعة ورضا وحب جعل الأنصارى يؤثر بطعامه أخاه المهاجر إذا رآه في حاجة إلى طعام وببيت طاوياً.

كما أن المهاجر إذا كان في حاجة إلى كساء لأنه أحس بالبرد، فإن الأنصارى يؤثره على نفسه ويعطيه ثوباً وغطاءً، أو تدرى من الذي يشعر بالدفع؟

إنه الأنصارى .. هذا هو الإيثار بمفهومه الإسلامى، تعطى أخاك رغم حاجتك إلى ما تعطيه والله يهدينا إلى ما يحب ويرضى.

إن هذه المؤاخاة لم تحدث في تاريخ البشرية، وأن أى فاع على مر التاريخ مهما أوتى من الفطنة والحكمة والخبرة في سبر أغوار النفوس لم ينطرق ذهنه إلى شيء من قبيل هذا العمل الجليل الذي أسسه ومنه رسول الله ﷺ. هذه المؤاخاة التي ظهرت آثارها واضحة في تماسك المجتمع وانصهاره في بوتقة واحدة، غرست قيمة الإيثار في المجتمع الناشئ الوليد، وأصبح الإيثار سمة في المجتمع الإسلامى كله - أو هكذا ينبغي أن يكون - لكنه في حاجة إلى تفعيل، ثم قلت لصاحبى : أو تدرى معنى الإيثار؟ ثم أضفت : أظنك تحسبه أن يعطى الغنى ذا الفاقة المضطر، لا .. ليس ذلك إيثاراً بالمعنى الإسلامى الذي غرسه النبي ﷺ في أمته، إنما الإيثار الخمدى أن المحتاج الذي لا يكاد يجد ما يسد حاجته، هو الذي يرى أن أخاه أحق بما عنده مهما كانت حاجته هو. ثم قلت لصاحبى : أنا أعلم أن هذا المعنى الرقيق لا يمكن أن تستوعبه أفهام العرب المادية المكدودة

الهجرة بين الدلالات اللغوية والتنوع المادي والشعوري

لأستاذ الدكتور / صابر عبد الدايم
عميد كلية اللغة العربية بالقازيق

﴿وَأَهْجَرَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾

(الزمل: ١٠)

المعنى يخرج معنى، ومن لا شيء تخلق أشياء، لأنك منها اتصلت بأسرار نفسك، ومن نفسك اتصلت بأسرار فوقها، فيصبح التاريخ معك فن الوجود الإنساني على الوجه الذي أفضت به الحكم إلى الحياة لتستمر بالنفس الإنسانية، لا فن علم الناس على الوجه الذي أفضت به الحوادث مما بين الحياة والموت (١).

هجرة مادية وهجرة شعورية

وفي ضوء الدلالة الاصطلاحية يقسم بعض الباحثين الهجرة إلى نوعين: وهما الهجرة المادية، والهجرة الشعورية، فالهجرة المادية: هي الهجرة الحركية التي ينتج عنها: الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، أما الهجرة الشعورية فتعني: الانتقال بالنفسية الإسلامية من مرحلة إلى مرحلة أخرى بحيث تكون المرحلة الثانية أفضل من الأولى كالانتقال من حالة التفرقة إلى حالة الوحدة، أو تعدد مكملة لها كالانتقال بالدعوة الإسلامية من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة.

وأما الهجرة بمعناها الاصطلاحي فهي الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وفي هذه الدائرة الاصطلاحية تتموج أحداث هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة، ثم هجرتهم إلى يثرب، ثم هجرة المصطفى ﷺ إلى المدينة المنورة، والرافعي يسجل في أسلوب أدبي بليغ أثر أحداث الهجرة النبوية في نفسه وعقله ووجدانه فيقول: قرأت بالأمس تاريخ الهجرة النبوية في كتاب أبي جعفر الطبري فلم أكن - علم الله - في كتاب ولا حكاية، بل في عالم ينبثق في نفسي مخلوقاً تاماً بأهله، وحوادث أهله، وأسرار أهله جميعاً، كما يرى الحب حبيبه: لا يكون الجميل في محل إلا امتلاً مكانه بعاشقه، فهو مكان من النفس، لا من الدنيا وحدها، وفيه الحياة كما هي في الوجود بمظهر المادة، وكما هي في الحب بمظهر الروح، وتلك حالة من القراءة بالروح، والكتابة بالروح، متى أنت سموت إليها رأيت فيها غير

أسمى القواعد الروحية والتشريعية الشاملة التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع، والتي تصلح لتنظيم حياة الإنسان في كل البيئات بغض النظر عن مكانه أو زمانه أو معتقداته (٢).

وللهجرة دلالات متعددة، وموجبات تفجرها هذه الدلالات، ومنها الدلالة اللغوية، والدلالة الاصطلاحية.

فالدلالة اللغوية تفودنا إلى عدة معانٍ تتجمع كلها لتعطي معنى الشدة والقوة والطول والعظم، والجيد من كل شيء، والفائق الفاضل على غيره.

دلالات

وهذه الدلالات الإيجابية يمكن أن نستضيء بها في تأمل ملابسات «الهجرة» وبواعثها وأهدافها وآثارها، ومن معاني الهجرة المباشرة والمناسبة لسياق الحدث: ترك شيء إلى آخر، أو الانتقال من حال إلى حال، أو من بلد إلى بلد، قال تعالى:

﴿وَالرُّجْزَ فَأَهْجَرْ﴾ (الذثر: ٥)

وقال سبحانه:

للهجرة النبوية آثارها في تغيير وجه التاريخ، والارتقاء بالإنسانية إلى أفق أعلى، ورغبات أسمى، وتطلعات أكثر اقترباً من فطرة الإنسان، وليس يوم أحق بالتاريخ إذا - كما يقول العقاد (٣) - من اليوم الذي هجر فيه النبي بلده. قال تعالى:

﴿إِلَّا تَصْزَوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزِنَا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْفَائِزِينَ اللَّهُ سَكِّنَ لَهُمْ بَيْتَهُمْ وَأَيَّدَهُمْ بِجُودِهِ لَمَّا تَزَاوَعَا وَجَعَلَ لِكَلِمَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْشَّقْلَ وَكَلِمَةَ آلِهِمُ الْفَيْحَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(التوبة: ٤٠)

ولقد كان لحادث «الهجرة» آثار جليلة على المسلمين، ليس فقط في عصر رسول الله ﷺ، ولكن آثاره الخيرة قد امتدت لتشمل حياة المسلمين في كل عصر ومصر، كما أن آثاره شملت الإنسانية أيضاً، لأن الحضارة الإسلامية التي قامت على أساس الحق والعدل والحرية والمساواة هي حضارة إنسانية قدمت، ولا زالت تقدم للبشرية

(١) انظر: وحى القلم للرافعي ج ٢ مقالة وحى الهجرة - وهي أولى مقالاته في مجلة الرسالة - أنشأها للعبد السئو الخاضع

بالهجرة

(٢) انظر: عبقرية محمد: مجلس محمود العقاد: دار الهلال: العدد الأول من ٢٢٦، كتاب الهلال العدد ٢١١ يونيو ١٩٥١ م - رمضان ١٣٧٠ هـ.

(٣) انظر مجلة الأمة العدد الأول: محرم ١٤٠١ هـ مقال الأستاذ/ تيه بخيرية.

مسافر في الزمان

شعر / السيد الصديق حافظ

فأَمسى حديثاً لمن يدكر!
مرور الرؤى وتوالي الصبور!
وبينهما يتلاشى العُمُر!
منحل حصد بجذ العُمر!
ومن شدة النزع يخفى الوتر!

فقد حل عام عظيم الخطر!
وماذا يخفى فيه القدر!
إذا ما أتى الموعد المنتظر!
له الحكم فيما قضى أو أمر!

وبستان عمري ردى الثمر!
بأعمال خير وجئت بشور!
يعض البنان على ما بدر!
وهل منك إلا إليك المفسر!
وفوق المكان وفوق البشر!
وصغت الوجود لأمر قدر!
فأعرض عنها وولى الدهر!
شئون الحياة خلت من كدر!
وما العلم إلا ضياء سفر!
فهذا الحديث وهذى السور!
فيهم في ضلال وهم في سُمر!

طوى الدهر صفحة عام غير
بمسر الزمان وأحداثه
نهيار يكر وليل يفر
فهذا الهلال الذي نجعل عليه
بلى! إنه القوس ترمى بها

لئن مر عام عميق الأثر
ولا يعلم القسوم ماذا به
وكل إلى ربه صائر
ولله في خلقه حكمة

تباركت ربي زمانى مضى
إذا جاءك الناس يوم الحساب
فلا ضاق عفوك عن مذهب
تعالى علاك! فمن لى سواك!
تعاليت يارب فوق الزمان
خلقت الزمان وقدرته
فيا غافلاً كم رأى آية
إذا الدين والعلم قاما على
فما الدين إلا سبيل الهدى
وما اصطدمما قط في موقف!
ومن كذبوا الله في كُتبهم



محمد حسين هيكل

عليه الصلاة والسلام: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»، أما قوله عليه السلام: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية» فالمراد بها هنا أن لا هجرة واجبة بعد الفتح، وقد زاد مسلم: «وإذا استقرتم فانفروا»^(٥).

سعادتنا وقوتنا

ويقول د. محمد حسين هيكل في ختام وصفه لرحلته إلى غار ثور ورصد بعض أحداث الهجرة وآثارها: أخطأ الذين يحسبون في حياتنا المادية سبب سعادتنا أو سبب قوتنا، إنما سعادتنا وقوتنا في حياتنا النفسية، لنكن طلقاء في البادية أو حبيسين في الغار، أو حيثما شئنا من أرض الله، فنحن سعداء، ونحن أقوياء بإرادة الله وإرادتنا ما وهبنا نفوسنا لله، نريد غاية سامية نحققها لإخواننا بنى الإنسان، وهذا بعض ما يدعو محمد إليه حين يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٦) وهذه بعض العبرة في ذلك الغار وقصته، وقصة الهجرة أكبر عبرة لقوم يعقلون».

الهجرة الشعورية من مقوماتها: إنكار ومعاداة كل ما لا يرضى الله أو يخالف شريعة الله، ويظهر المسلم هذا الإنكار بكل الوسائل الممكنة بالجوارح أو باللسان أو بالقلب، ويعمل على تغييرها بكل الإمكانيات المتاحة، فالرسول عليه السلام يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(٧)، وأساس هذه الهجرة «النية» عملاً بقول النبي عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق على صحته. رواه البخاري ومسلم.

وقال بعض الصالحين: «إنما الأعمال بالنيات» يتعلق بما وقع في القلوب من أنوار الغيوب.

وإذا كانت الهجرة المادية تجب في بعض الأحوال، فإن الهجرة الشعورية واجبة على كل حال، وفي كل حين، وهي من آثار ومكونات الهجرة المادية: لأنها تتعلق بهجر ما لا يرضى الله تعالى، وهي قائمة إلى أن تقوم الساعة، ورد في صحيح مسلم أن مجاشع بن مسعود السلمي قال: جئت بأخي أبي معبد إلى رسول الله عليه السلام بعد الفتح فقلت: يا رسول الله: بايعه على الهجرة، فقال عليه السلام: «قد مضت الهجرة بأهلها»، قال مجاشع: فبأى شيء تبايعه؟ فقال رسول الله عليه السلام: «على الإسلام والجهاد والخير»؛ ويقول الرسول

(٥) مجلة الأمة، العدد الأول، محرم ١٤٠١ هـ مقال / تبيين عجزه.

(٦) في منزل الوحي، د. محمد حسين هيكل ص ٢٦٢.

(٧) صحيح مسلم.

(٨) صحيح البخاري.

في الطريق إلى مكة

لأستاذ الدكتور / أبي حسام

على أماكنتهم ثم يتناول طعامه مما بقي مغتبطا سعيدا ولا تسل عن أماكن الاستراحة في الطريق المستد بين خراسان ومكة، حيث عرف ما يصلح للمبيت والمقبل وما يحفل بينابيع الماء، فإذا شاءت القافلة أن ترتاح نصبت الخيام ودوى ذكر الله تلبية وتهليلا فإذا صليت العشاء ألقى درس الحديث وانتقل السامعون من الأرض إلى السماء وهم يسمعون كلام رسول الله مفسرا للقرآن أو هاديا للناس، وقد حسب كل سامع أنه تجرد من شئون الدنيا هذه الحقبة الممتدة ليثم رائحة الجنة في الآخرة، وما الجنة إلا السعي في أداء قريضة الله مع التزام قرائضه واجتناب نواهيه، وصحبة ابن المبارك في جوده الواسع وعلمه الناصح وخلقه القويم.

وما كادت القافلة الخراسانية تقبل على

شاع في خراسان أن قافلة عبدالله بن المبارك تنأهب للحج بعد ثلاثة أيام من شوال، فأخذ القوم يستعدون إلى صحبته، فهم يعلمون أنه رئيس القوم ومحدث الأمة وفقهه الناس، وفي صحبته سرور ولذة، إذ ألف أن يحج عاما ويترك عاما آخر للغزو في سبيل الله، مع من يقفون في الرباط يواجهون الروم إذا تازم موقف أو احتدم اشتباك، وقد جعل كل قادر على النفقة من الأثرياء يتقدم إليه بما سينفق ليضمه إلى خازنه رصيدا للنفقة المنتظرة، أما غير القادر ممن يقف ابن المبارك على كفافهم فيتقدمون بما يستطيعون ليأخذه ابن المبارك بيده فيكتب قيمته ويدعه في صندوقه الخاص. والقادر وغير القادر سواء في الطعام والشراب والإنابة والإقامة، لأن إدارة القافلة تقدم الزاد للجميع دون تفضيل. وعند الطعام يتفقد عبدالله الأكلين ويدور

مكة حتى تدفق الحجاج من كل صوب يشاهدون محفل عبدالله بن المبارك ويلتفون بالركب إتحافا لا يبقى معه في البطحاء موضع لقدم وأصوات التهليل والتكبير ترج الأرض رجا فيتجمع إليها القاصي والداني ممن يستعدون أن يكونوا في ركب عبدالله وكان هارون الرشيد في بعض سنوات حجه يجلس مع حاشيته في قصر الحكم قريبا من بيت الله فسمع الضجة الهائلة ونظر إلى القوم يهرولون إلى موكب عبدالله فرحين مغتبطين فتذكر أنه كان يطوف بالأمس وهو أمير المؤمنين فيجد الناس يتباعدون حذرين ولا يقرب منه غير من يعهد من رجال حاشيته ومستشاريه ثم ها هو ذا يجد الحشد الصاحب يسير وراء عبدالله، وابن المبارك لا يجهل مكانه لديه، فهو محدث الأمة ومن أعلامها البارزين، وقد سارت كتبه من الناس لتؤكد منزلته العلمية في الإسلام وقرأها الرشيد فيما قرأ من الصحف ذات الفقه والحديث، أفشكون عزة العلم أبهى من عزة الملك؟ هذا ما يؤيده العيان المشاهد، إذ كيف تضاعل موكب الرشيد وانكمش، واتسع موكب ابن المبارك وامتد؟ ثم منح هارون الرشيد بخاطره إلى موقف آخر يكاد يراه بأحدائه مرسوما في خاطره، موكب الحساب في الآخرة حين تتلاشى القوارق بين الراعي والراعية، وحين يتقدم في الآخرة من تأخر

مكانه في الدنيا وقد يتأخر من رأس وتقدم، تذكر هذا الموقف، فسأل ربه أن يكون يوم الهول من الناجين.

وكان الموسم موسم جفاف إذ شحت السماء بمطرها الهائل وتطلع الحجاج لكرامة تهبط بها المياه من السحب فلدجوا إلى صلاة الاستسقاء في ضراعة وخشوع، وأوصى الرشيد أن يؤم الناس عبدالله بن المبارك في الصلاة، فهو بمنزلة من ربه جدير باستجابة الدعاء ووقف العالم المحدث الفقيه يدعو ربه وخلفه وعن يمينه وشماله في الحرم المكي آلاف الناس يؤمنون ويدعون، وقد سادت الخشية بين النفوس حين جأر عبدالله بدعاء علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - في هذا الموقف فقال متضرعا خاشعا: اللهم قد بيست جبالنا وأغبرت أرجنا وهامت دوابنا وتحيرت في مرائبها وعجت عجيج الشكالي على أولادها وملت التردد في مراتعها والحنين إلى مواردها، اللهم فارحم أتينا الآنة وحنين الحانة، اللهم فارحم حيرتها في مذهبها وأتيتها في مواجها، اللهم أخرجنا إليك حين اعتكرت علينا السنون فكنت الرجاء للمبتسئس والبلاغ للملتئس، ندعوك حين قط الأنام ومنع الغمام وهلك السوام ألا تؤاخذنا بأعمالنا، ولا تأخذنا بذنوبنا، اللهم سقيا منك تعشب بها نجادنا وتجري بها وهادنا، وتخصب بها جنابتنا، فإنك تنزل

الغيث من بعد ما قنطوا، وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد، ثم ختم الصلاة آملا راجيا. فإذا فرغ الناس من حوله تعاطفه حول الموقف حين يستمر الجفاف فاتجه وحده إلى مكان يعرفه بين زمزم والمقام كي يؤدي صلاة منفردة يثنى بها ما تقدم من صلاة الجمع فشاهد شابا أسمر الوجه داكن السحنة، يقف داعيا ربه أن يغيث الناس، ويقول في دعائه: «اللهم لا أسألك لنفسي فأنا لا أخشى الموت ظمنا، ولكن أسألك للطفل الرضيع والحيوان الجائع والأرملة اليائسة، هم عبادك يا رب وقد قصدوا حرملك وأموا ساحتك»، فاستعير عبدالله لما سمع وترقرق الدمع على خده وأخذ ينظر إلى الشاب مأخوذاً دون أن يراه المصلي المستهمل، وتوقع أن يختم الصلاة فيجلس في الحرم، ليسعد بلفائه، ولكنه فر سريعا إلى حيث ضاع في الحشد المزدحم وشاءت السماء أن تجود بمائها بعد انقطاع فاندفع الناس يقولون أجاب الله دعاء ابن المبارك أجاب الله دعاء ابن المبارك ففوجئ الشيخ بما سمع فصاح في القوم: كلا كلا إنه الشاب الأسمر وأنا أبحت عنه، فليتني ألقاه. أخذ عبدالله في طوافه وإقامته بالحرم يتأمل الوجوه متفرسا وهو شديد الشغف بلقاء صاحبه حتى أسعده الحظ برؤيته في مكانه المهود قائما يصلي، فقال لبعض أصحابه: تتبع هذا الشاب إذا انتهى من أمره وانظر أين

يقصد؟ فإذا عرفنا منزله سعينا إليه، وقد يكون لنا معه شأن وما أتم الشاب صلاته حتى انتقل سريعا إلى خارج البيت ومن ورائه من يترصد خطوه حتى انتهى به السير إلى دار ميمون الأشدق وهو يتاجر في العبيد وقد سارت له شهرة في هذه التجارة فرجع المتعقب إلى عبدالله يخبره بما كان من أمر الشاب فعرض على شفته وقال لا بد من شرائه وعنته إذا كان كما نظن.

وعزم ابن المبارك في الصباح على زيارة دار ميمون فتعجب الناس أن يشغل عبدالله نفسه برؤية تاجر من أهل الدنيا يجمع العبيد والثقيان. وطار الخبر إلى ميمون فحسب أن الله قد رضى عنه إذ يجيئه عالم خراسان وإمام الحديث زائرا والناس من خلفه يتقاطرون متزاحمين! وما كاد ابن المبارك يلج باب ميمون حتى سألته أين عبيدك؟ فقال الرجل: هم طوع أمرك لك أن تشتري من تشاء. قال: فأعرضهم علي فعرضهم واحدا واحدا وعبدالله ينظر فلا يجد رغبته فقال: هل بقي أحد؟ قال ميمون: شاب أهوج لا تقع فيه. قال عبدالله: أريد أن أراه. فإذا هو صاحبه فهش ابن المبارك للشباب وتهلل، وقال لميمون: هو طليتي فبأى ثمن تباع؟ قال ميمون: قلنا لك يا سيدي إنه شاب أهوج وذو رية، فاختر سواه فأنا أدري بمن لدى. صاح ابن المبارك: قلت لا أريد سواه ونظر الشاب

إلى ابن المبارك حائرا حين دفع الثمن وقال له: قد اعتقتك فانتظرني حيث كنت تصلي صلاة الاستسقاء بالحرم إذ أن لي معك شأنا فقال الشاب: إذا كنت قد اعتقتني فدعني حرا انتظر أو لا أنتظر. فدهش ابن المبارك وقال: ما تراه يا بني فهيا وليتني ألك كما أريد. وانطلق الشاب مسرعا إلى حيث يشاء.

قال ميمون: قلت لك إنه أهوج وذو رية فلم تصدق فصاح ابن المبارك: كف يا رجل عنه فأنا أعرف مكانته من ربه وقد شاهدت عنه ما شاهدت. فقلب التاجر كفيه وقال: إن لم تصدقني فاسأل زيتونة فهي تحكي عنه ما تعلم. سأل عبدالله: ومن زيتونة؟ قال: جارية هنا بدار الرقيق. فتشوق ابن المبارك أن يراها مع ميمون دون أن يصحبهما أحد، فخلا المكان إلا منهما، ونادى التاجر، فأقبلت زيتونة باكية تنسج، وقد علمت برحيل الشاب فسكت ابن المبارك برهة ثم سأل: ما شأن هذا الشاب معك يا أمة الله؟ فقالت زيتونة: أنا تجنيت عليه واقتريت الباطل لقد وقع هواه في قلبي وعز علي أن أجند الراحة دون لقائه وركبني من الشوق ما زلزل الفؤاد وحرم النوم فانتبهت فرصة خلاها في مكان معتزل وهرعت إليه أقبيله دون مقدمة فصفعني على وجهي وصرخت من الألم ودوى الصوت فتجمع القوم وحضر سيدي ميمون فأردت أن أنقذ نفسي وقلت: إنه

راودني فأبيت فلطمني وسكت الشاب ولم ينطق فصديق سيدي ما زعمت ولم أزل ناقمة على نفسي أتلمس الطريق لاسترضائه حتى فوجئت الآن بعنته وفراره هو برئ وأنا المريسة. قال ابن المبارك وكم ثمن هذه يا ميمون؟ لقد صدقت القول فلا بد أن تعتق وعندي من سيتر وجهها في ركب خراسان إذا رضيت فهيا يا بيتي.

- ٢ -

عرف ابن المبارك أن شيخه اتخذ حماد بن زيد قد سأل عنه ويطلب لقاءه بعد أن يحضر من دار ميمون وهو مقيم بالحجون مع صفوة من تلاميذه، فدهش عبدالله إذ كان لا يعرف أن أستاذه بين حجاج هذا العام، وقال متحسرا: يسأل عني شيخى ويحضر إلى مخيم خراسان للقائي وأنا غافل عن تادية واجبه وهو الشيخ الكبير وأنا التلميذ الصغير.. كيف هذا؟! لن أهدأ حتى ألقاه؟ ثم اتجه إلى الحجون في مخيم الكوفة فوجد شيخه حمادا يجلس صامتا بين تلاميذه وحين رآه خف إلى لقائه فتعانقا على شوق، وقال الأستاذ للتلميذ مداعبا أحضر إلى مخيم خراسان فأجد عبدالله بن المبارك يترك مناسك الحج ويذهب لشراء الجوارى والغلمان لقد تغيرت بعدى يا بن المبارك. قال عبدالله: إن أذن شيخى اعترفت له

بأنى كنت أنشد شابا نشأ في عبادة الله وقد رأيت منه ما أسعدنى وحاولت شراءه كى أعتقه ثم انصرف عني بعد أن خيب رجائي.

نظر حماد حائرا وقال: أى رجاء لك فيه ولن يبلغ مبلغك من الفقه والحديث؟ فقال عبدالله: لم أختره لفقه أو حديثه ولكن ليكون زوج ابنتى فلن أجد تقيا ورعا أحب إلى الله منه ومضى يذكر ما كان من أمره منذ عرفه إلى أن انطلق دون أن يعلم مثواه.

فقال حماد - بعد أن عجب وعجب الحاضرون من حديث ابن المبارك -: وهل مترضى فتانك بشاب أسود كان رقيقا بالأمس وحرور على يدك. فتبسم ابن المبارك وقال: هى تعرف قصة زواج والدى الأجير من ابنة تاجر مرو ولم يكن يملك درهما واحدا.

تطلع الحاضرون إلى ما سيقول ابن المبارك وتبسم حماد وهو يقول: زدنى إيضاحا كيف تزوج والدك الفقير بابنة تاجر مرو الموسر وهو لا يملك الصداق!

قال عبدالله: كان أبى «ناطورا» يحرس بستان التاجر فى مرو فجاء صاحب البستان يوما فأمره أن يقطع له رمانة حلوة فذهب وجاء برمانة فذاقها ثم رماها وقال: حامضة فاحضر سواها، فذهب وأتى بثانية فذاقها فإذا بها حامضة، فصاح به أريد رمانة حلوة فقطف ثالثة وأتى بها فوجدها كسابقتها فصاح به: ويلك! أما تعرف الحلو من الحامض؟ فقال أبى: وكيف

أعرفه وأنا لم أذقه. فقلب كفه وهو يقول: بقى لك فى البستان ست سنوات ولم تذق منه شيئا. فقال أبى: نعم لأنك لم تأذن لى فى أكل شيء؟ فجعل صاحب البستان يسأل مجاوريه هل شاهدتم الأجير يأكل ثمرة من فاكهة البستان؟ فقالوا: ما رأيناه يأكل غير كسرة الخبز وبعض الإدام مما يباع. وكان للتاجر ابنة كثر خطابها وكلهم طامعون فى ماله فقال لوالدى:

اسمع يا بنى: أهل الجاهلية كانوا يزوجون للحب، واليهود يزوجون من أجل المال، والنصارى للخفة والجمال، وهذه الأمة تزوج للدين وقد رأيتك ذا دين وخشية فأنت أحق بها وأجدر، ثم ذهب إلى منزله وتم القرآن وواظب أبى على حراسة البستان فلم يأكل منه شيئا بادى الأمر فقال لوالدى ضاحكا: أتمنع عن مالك؟ فهل تتأكد من وارث قادم؟ قال أبى: لم تأذن لى بعد. فقال التاجر: فقد أذنت منذ اخترتك قرينا لا ينتى فكل ما تشاء. قال حماد: قصة عجيبة وأعجب منها أن يروى ابن المبارك صاحب الجاه الممتد فى العلم والثراء والشجاعة ثم لا ينقص منها حرفا، وابن المبارك جئت حين أبدأ مجلس الحديث عليك أن تريحنى فتجلس مكانى لتحدث التلاميذ. فقال ابن المبارك: معاذ الله أن أحدث وشيخى جالس يستمع، فقال حماد: أقسمت عليك لتفعلن أقسمت عليك لتفعلن: فقال ابن المبارك سأحدث بكل ما رويته عنك. وبدأ يقول: حدثنى شيخى حماد بن زيد

عن فلان وفلان، وهكذا يتابع الأحاديث وكلها عن حماد: وكان ابن المبارك أراد أن يعلن فضل أستاذه وأنه مع شهرته الذائعة فى الحديث ينزل منه المنزلة القديمة حين كان شابا يستمع ويحفظ، وتعجب السامعون لكثرة ما روى عن حماد، فقال الشيخ: هكذا أضمن بقاء درسى ما بقى ابن المبارك. فصاح عبدالله: ولئى فى ذلك أمثال وأمثال.

انتهى مجلس حماد فجعل ابن المبارك يدعوه إلى زيارة الخراسانيين فى مخيمهم القريب ليفرحوا بأستاذ أستاذهم فتعلل بضعف الصحة وانطلق ابن المبارك ليسأل كاتبه عن أسماء الذين دفعوا النفقة اليسيرة فى مبدأ الرحلة، فجاءت قائمة الأسماء بين يديه فكان يستدعى الواحد بعد الواحد منهم فيقول له: هل أوصاك عيالك أن تشتري لهم شيئا من طرف مكة والمدينة؟ فيقول: نعم. فيقول: وم أوصوك؟ يقول: بكذا وكذا. فيقيد ما ذكر ويدعو الثانى بعد الأول، والثالث بعد الثانى، حتى فرغ من أسماء القائمة وقد كتب جوار كل واحد وصية أبناؤه، وخف إلى السوق مع ثلاثة من معاونيه فاشتري كل ما أوصى به وزاد بما رآه فلما بلغ الركب فى رجوعه مشارف مرو أوقف القافلة ويعث إلى كل منزل من منازل هؤلاء من يقوم بتزيتته وتزيمته وإصلاحه ترحيبا بمقدم الحاج الغائب وبعد أن انتهى العمل أقام وليمة حافلة

أكل فيها الركب بأجمعه ودعا بالصناديق المليئة بحاجات الأهل فأخذ ينادى كل إنسان ويعطيه ما أوصى به بنوه فوزع من الثياب الجديدة ما لا يقف عند حد وعم البشر وجوه الناس حتى قال الأثرياء: يا ابن المبارك ليتك أخذت تقودنا واشتريت ما نريد لنفرح كما فرح هؤلاء. فقال عبدالله: إذا كانت المرة القادمة وأذن الله باجتماع الشمل وسلمت القافلة فاشترى للجميع.

وفى الطريق إلى باب مرو نظر عبدالله فشاهد رجلا يأتى إلى كناسة فيحمل منها طائرا ميتا فيتعجب وينهض فيسأله عما يفعل وقد تفرس فى وجهه ما ينبئ عن الفاقة فقال الرجل فى ضراعة: أحلت لى الميتة وأنا مضطر فقد كان أبونا ذا مال فقتل وصودر ماله ظلما وبقيت أتكفف لأسرتى فلا أجد فدمعت عينا عبدالله، وقال لرفاقه الصدقة لهذا أولى من الحج المتكرر. وصاح بوكيله: كم بقى لديك من نفقات الرحلة؟ فقال: ألف دينار. قال خذ منها عشرين دينارا تكفيتنا حتى نأتى مرو وادفع ما بقى من الألف إلى الرجل فهذا أفضل من حجتنا هذا العام وانصرف الرجل ثريا موسعا عليه وهو لا يعلم كيف هيظت عليه الثروة وكأنها نزلت من السماء، ثم حانت مرو فتمت الرحلة واستأنف المسافرون حياتهم التقليدية فرحين بما فى أذهانهم من أعذب الذكريات عن الحج وعن عبدالله.

﴿ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْهَاءَاتُ الْقُرَاءِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.
اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر شوال ١٤٢٨ بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٤ م.
المقيد برقم ١٦٦٢ لسنة ٢٠٠٧ م المتضمن:

إذا توسطت السلعة فلاربا

● ورد من المهندس / محمد عبد الحفيظ :

معرض يقوم ببيع سيارات بالتقسيط وبالنقد، وفي حالة البيع لا يتقاضى مقدماً من الثمن إلا أنه يحرر بضمن السيارة شيكات إلى البنك، وبعددها يقوم البنك بإعطاء صاحب المعرض ثمن السيارة نقداً ويقوم البنك بعد ذلك بتحصيل الشيكات المقسطة من المشتري فما الحكم في البيع بهذا الصورة؟

●● الجواب : هذه الصورة عبارة عن مرابحة .. يتوسط فيها البنك بين المعرض والعميل، وتكليفها شرعاً : أنها تتضمن

معاملتين، يأخذ البنك في المعاملة الأولى السيارة نقداً بضمن حال، ثم يبيعها في المعاملة الثانية للعميل بضمن مؤجل معلوم الأجل والأصل والزيادة، ومن المقرر شرعاً أنه يصح البيع بضمن حال، و بضمن مؤجل إلى أجل معلوم، والزيادة في الثمن نظير الأجل المعلوم جائزة شرعاً على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، لأنها من قبيل المربحة، وهي نوع من أنواع البيوع الجائزة شرعاً التي يجوز فيها اشتراط الزيادة في الثمن في مقابلة الأجل، لأن الأجل وإن لم يكن مالاً حقيقة إلا أنه في باب المربحة يزداد في الثمن لأجله إذا ذكر الأجل المعلوم في مقابلة زيادة الثمن، قصداً

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

لولدَى أخته الشقيقة ذكراً وأنثى، لأنهم جميعاً من ذوى الأرحام المؤخرين في الميراث عن أصحاب القروض والعصبات، هذا إذا كان العم شقيقاً لأبيه أو أخاً له لأب.
أما إن كان أخاً له لأم فإن الشركة تكون لولدَى الأخت الشقيقة للذكر منهما ضعف الأنثى، لأنهما من الصنف الثالث من ذوى الأرحام، وذلك لعدم وجود صاحب فرض ولا عاصب ولا أحد من أصناف ذوى الأرحام المقدمة عليهما، ولا شيء لأولاد العم لأم ذكورين وأنثيين، لأنهم حينئذ من الطائفة الثانية من الصنف الرابع من ذوى الأرحام، والصنف الثالث من ذوى الأرحام مقدم على الصنف الرابع منهم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

موارث

● ورد من السيد ح. ع. أ.

توفي رجل وترك : أربعة من أولاد أبناء العم ذكرين وأنثيين، وولدَى أخت شقيقة ذكراً وأنثى. فمن يرث ومن لا يرث في هذه المسألة؟

●● الجواب : بوفاء هذا الرجل عن المذكورين فقط تكون كل تركته للذكورين فقط من أولاد أبناء عمه مناصفة بينهما تعصيباً، لعدم وجود صاحب فرض ولا عاصب أقرب، ولا شيء للأنثيين منهم، ولا

عن الخروج في القرآن الكريم

للاستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب
الأستاذ بجامعة الأزهر

من جنابية الفكر
الإسلامي المعاصر على
قرآنه العظيم تسطيع
مفاهيمه الغائرة،
وتدوين مصطلحاته
المحددة، ربما عن
عمد ساذج أحيانا،
وربما عن مرور لا مبال
أحيانا أخرى، وربما
عن قصور في حركة
استقصاء هذه
المصطلحات وهذه
المفاهيم وتنظيرها
على مستوى علمي
يكفل لها التوافق مع
منطق الوحي وطبيعة
التنزيل!!!

إن المفردة القرآنية ليست مجرد حجر في بناء، وإنما
هي خلية حية في بناء عضوي صاعد من منطق إلهي
ومنه إلى منطق إلهي، بمعنى أن القرآن في حركة تعبيره
عن وضعية الإنسان في الكون، ووضعية الكون
والإنسان، لا يمكن أن يتسلح بمفردة عاجزة عن الحوار
مع كل ما عداها من المفردات، إن كل مفردة قرآنية
تشكل منطلقاً من شيء ومنطلقاً إلى شيء بحيث لا
يمكن أن يكون التعبير عن حقيقة من الحقائق قابلاً
للاتضاء تحت راية الفهم إلا من خلال وضعية هذه
المفردة بذاتها أولاً، وبجداها مع غيرها ثانياً،
وبالتشكيل البنائي كما هو وارد في القرآن آخر الأمر!!
وما دام ذلك كذلك.. ما دام للقرآن مصطلحه
المنضبط، ومفاهيمه التي تنطوي بالضرورة على لونها

العفائدي من جهة، وما دام للمفردة القرآنية
وضعها الذاتي والجدلي والبنائي جميعاً من
جهة أخرى، فإن جهوداً بلا حدود يجب أن
تبذل على طريق التأصيل لهذه المسألة؛ لأن
ذلك وحده هو ما ينفي عن عقولنا، وقلوبنا
جميعاً كسل العادة في حركة تلقينا للقرآن،
وهو وحده كذلك ما يسقط كل الأقنعة عن
كل وجوه الكاذبين الذين يشرثون في حقولنا
الفكرية بلا فهم، ويتاجرون في حياتنا
العفائدية بلا رصد، وهو وحده في النهاية ما
يعطي للمفردة القرآنية جلال وضعها القرآني
بما هي هادفة إلى غائية معينة، وضالعة في
سياق محدد، ومرابطة -في نسقها الوضعي-
على ثغر من ثغور الحقائق الكبرى التي يروج
بها قرآننا العظيم!!

مصطلح «الخروج» أو قل «مفردة»
الخروج.. هي ما أحاول أن أتأمل أبعادها
الضوئية من خلال وجودها القرآني وأنا أؤكد
منذ البدء أن هذه المفردة لم ترد حتى في آية
واحدة من القرآن العظيم إلا وهي حاملة
كنوزها بيديها جميعاً صائرة من حتمية
كونها كلمة تنطق إلى حتمية كونها طاقة
تحرك وتستقطب وتشير!! وإذا غامرت
بتحديد المحاور التي تدور فيها هذه المفردة
القرآنية ثم لم أستطع تحديدها تماماً، فإن
القصور إذن هو قضية عجز الإنسان وليست
قضية نضوب المصطلح القابل أبداً لمزيد من
العطاءات، ولكن الأمر هنا أهدي من
الصمت، على الأقل لأن فيه رمزاً يومئ إلى

حركة البدء، وليس في الصمت سوى خنق
للبدء، وخنق للحركة جميعاً هكذا بلا
حوار!!
«وللخروج» في القرآن محاور أبرزها على
الإطلاق:

● التذليل على قدرة الخالق:

ولا يدور التذليل «بالخروج» على قدرة
الخالق في إطار واحد متيسر لا يتجاوز إلى ما
سواه، وإنما هو يدور في أطر متباينة ومتكاملة
معاً، بحيث يفضي في النهاية إلى تأكيد
قضية القدرة الخالقة من كل الجوانب وعلى
كل المستويات.. فللتذليل على قدرة
التشكيل الحي «في مجال بشري» بازغ من
اللاشيء يتألق «الخروج» في سياقه القرآني:

﴿ وقفة ﴾

أَفَرَأَيْتُمْ مَنْ يُطْعَمُونَ أَفَأَنْتُمْ تُكْفِرُونَ شَيْئًا وَتَعْمَلُونَ
لَكُمْ الشُّعْرَ وَالْأَنْصُرَ وَالْأَفْنِدَةَ لَكُمْ عَلَيْكُمْ تُشْكِرُونَ ﴿

(النحل: ٧٨)

وللتذليل على قدرة الإبداع «في مجال
طبيعي».. خلقاً وتجيلاً.. يتوأمض «الخروج»
في سياقه القرآني:

﴿ وقرة العيون ﴾

مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَآخَرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نَخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مَتَرًا كَيْتًا وَمِنَ الشَّجَرِ مِنْ قُلُوبِهَا
فَتَوَارَتْ مِنْهُ خَيْبَةٌ مِّنْ أَعْيُنِ النَّاسِ وَرَأَوْهَا كَأَنَّهَا غِيبَةٌ
مِّنْ سَحَابٍ لِّخَلْقٍ كَثِيرٍ بَصِيرَةٍ وَالْغَيْبُ لَمَّا كَانَتْ مِنْهُ
فَإِذَا تَوَارَتْ كَأَنَّهَا غِيبَةٌ مِّنْ سَحَابٍ لِّخَلْقٍ كَثِيرٍ بَصِيرَةٍ
وَالْغَيْبُ لَمَّا كَانَتْ مِنْهُ فَإِذَا تَوَارَتْ كَأَنَّهَا غِيبَةٌ مِّنْ سَحَابٍ
لِّخَلْقٍ كَثِيرٍ بَصِيرَةٍ وَالْغَيْبُ لَمَّا كَانَتْ مِنْهُ

(الأنعام: ٩٩)

وللتدليل على قدرة عمل الخالق «في مجال كوني» تختلط فيه حركة السُّدُم بحركة الجدل بين الوجود والعدم يترقرق «الخروج» في سياقه القرآني:

فِي سَبَاحَةِ الْفَرَانِ : ﴿ تَوَلَّجَ الْبَلَدَ
فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّجَ الْهَارَ فِي الْبَلَدِ وَتَخْرِجُ الْعَيْنَ مِنَ الْبَلَدِ
وَتَخْرِجُ الْبَلَدَ مِنَ الْعَيْنِ وَتَوَلَّجُ مَنْ قَسَاءَ بَعْدَ جَكَابَ ﴾

(آل عمران: ۲۷)

وللتدليل على قدرة المزعج والفصل في مجال كوني ويثري جميعاً يتشامخ «الخروج» في سياقه القرآني:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾
(طہ: ۵۵)

إن التذليل «الخروج» هنا لم يدر في إطار واحد متجمد، وإنما دار في أطر متباينة ومتكاملة معاً، فمن مستوى التشكيل الحى في مجال بشرى، إلى مستوى الإبداع فى مجال طبيعى، إلى مستوى العمل الخالق فى مجال كونى، إلى مستوى القدرة على المزج والفصل بين الأشياء والأضداد على مستوى كونى وبشرى، وهذا يعطى - كما قلت - حتمية أن المفردة القرآنية لا ترد فى القرآن هكذا كما يكون أى من الأحجار فى أى من البناءات، وإنما هى ترد فى سياقها المعجز صاعدة من منطق الحتم ومنتهية إلى منطق الحتم على السواء، لقد استقطب مصطلح «الخروج» هنا كل

عوامل الأشياء، والأحياء: البشر..
والطبيعة.. والسدم.. وغيرها، ولم
يتردد في الحركة المشيرة إلى قدرة الخالق
في كل هذه المجالات. وأن يعقد بين كل
هذه المفاهيم وبين وضعيته «اللغوية»
صداقات بلا حدود، إن مفردة من
مفردات هذا المصطلح لم تند لحظة
واحدة عن مناطها الطبيعي والوضعي في
كل السياقات القرآنية السالفة، مما
يوحي على الفور بقضية إعجاز من لون
آخر لعله إعجاز اللغة من حيث قدرتها
الرائعة على احتواء كل هذه المضامين !!

● **مُحَوَّرُ الثَّانِي** من المَحوَرِ الَّتِي يَدورُ فِيهَا مُصْطَلَحُ «الخُرُوجِ» فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هو: «مُحَوَّرُ تَعَقُّبِ الْحَقِّ لِلْبَاطِلِ».. وَكَمَا فِي مَحَوَّرِ التَّذَلُّلِ بِاخْرُوجِ عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ مِنْ تَنْوَعٍ وَتَيَّابِينَ وَتَكَامُلٍ.. كَذَلِكَ نَسْتَطِيعُ هُنَا أَنْ نُلَمِّحَ هَذِهِ الْخُصَائِصَ أَوْ قُلْ هَذَا التَّكَامُلَ، وَذَلِكَ كُلُّهُ فِي الْوَاقِعِ يَنْبَشِقُ مِنْ مَنْطِقٍ طَبِيعِيٍّ بِلَا مَغَالَاةٍ، فَلَيْسَ لِلْحَقِّ فِي تَعَقُّبِهِ لِلْبَاطِلِ سِلَاحٌ وَاحِدٌ لَيْسَ لَهُ مِنْ بَدِيلٍ، إِنَّهُ يَنْتَضِي فِي مَعَارِكِ الْمُوَاجَهَةِ كُلِّ أَسْلِحَتِهِ، وَيَسْتَفِيدُ مِنْ كُلِّ الْأَسَالِيبِ، فَإِذَا اسْتَضَرَّتِ الْقِسْمَةُ أَوْ كَادَتْ، وَإِذَا سَلَ الْبَاطِلُ سَيْوفَ حَقْدِهِ التَّارِيخِي لِيَشْرُدَ الْحَقُّ، هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ هَدِيرُهُ الْحَاسِمُ:

وَالْتَوَلَّوْهُمْ حَيْثُ تَلَفَسُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوهُمْ ﴿٢٠٠﴾

(البقرة: ١٩١)

ولكى يقعد لتوعية الولاءات في الأرض،
لن تعطى ومن تستلب، مؤسماً ذلك كله
ليس على فرضيات هلامية، وإنما على نوع
من التجربة القاسية راكم فيها الباطل نذالاته،
وبدا كما لو كان آمناً كل الأمن من صولة
العقاب، يؤكد القرآن شاهراً سيف
«الخروج»:

إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْعَبَثِ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ

(الممتحنة: ٩)

وحيث يصاب الباطل بالضمم ويرفض أن
يصيغ إلى حوار الحق في ملائمة ودمائة
واتساق يجعل القرآن «بالخروج» على لسان
سليمان النبي موجهاً تذييره إلى ملكة سبا
ومن وراءها جميعاً:

﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ
بِجُنُودٍ لَّا قِلَّةَ لَهَا وَنُخْرِجُهُمْ مِنْهَا أَعْمَةً وَمُمْسِرُونَ ﴾

(النمل: ٣٧)

لقد استلّ الحق في تعقبه للباطل هنا
الوانا من الأسلحة، أو قل إنه استلّ سلاح
«الخروج» في معارك المواجهة مرة
ليتناصل ويحسم، ومرة ليرفض أنماطاً
مائعة من الولاءات، ومرة لينتقم من
الصمم الفادح الذي يتحصن وراء
الأغبياء... وهو في ذلك كله يتكئ على
مصطلح «الخروج» انكاءً مثيراً غير

مكرور، ومبرراً غير عشوائي، ورائعاً غير
منطقي الأساليب!!

● المحور الثالث من المحاور التي يدور فيها مصطلح «الخروج» في القرآن الكريم هو: «محور اضطهاد الباطل للحق».. إنها القضية النقيض، وكان القرآن العظيم يلقي بمفردة «الخروج» من هذا الجدل العقائدي، مرة حين يتعقب الحق قلول الباطل الغارب، ومرة حين يضطهد الباطل المدجج كتائب الحق الأعزل، ليؤكد قضية أن «المفردة» القرآنية لا تلقى هكذا جنة مقتولة على السطور، وإنما هي تأتي في سياقها الحي منفصلة وقاعلة، متممة وبائدة، معبرة وحافزة على التعبير.. ولا أريد أن تمر هنا دون أن نلاحظ أن «الخروج» في تعقب الحق للباطل كان رداً على «خروج» مسبق أو اقتحاماً لعزلة فكرية رفضت أن تخرج بمنطقها إلى محاور الحوار، ولكن «الخروج» هنا.. في اضطهاد الباطل للحق يدور كأنما هو جبرية غبية وعدوانية بلا حدود!

فلكى يعكس القرآن صورة «الخروج»
القرى كنمط من أنماط الاضطهاد المخطط
يقول:

﴿ إِنَّا نَتَّبِعُهُ فَنَقْدُ تَصَكُّرُهُ أَفَلَا إِذَا أَخْرَجَهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَكْفَرَ أَتَيْنَ إِذَا هُمْ أَفَ الْفَكْرِ إِذَا
يَقُولُ لِمُحْسِنِهِ، لَأَتَخَرَّنَ إِنْ أَتَى اللَّهُ مَعًا فَأَنزَلَ
اللَّهُ كَيْفَ تَمَّ عَلَيْهِ وَأَيْدِي مُجْسُودٍ لَمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السَّخْفَ
وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا وَاللَّهُ غَيْرُ مُرْهِقٍ ﴾

(التربية: 4)

ولكى يبرز القرآن «الخروج» كلون من ألوان الاضطهاد الماروم يقول:

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَيْبٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَوْمِنَا وَلَتَعْلَمُنَّ فِيهِ مِثْلَنَا﴾

(الأعراف: ٨٨)

ولكى يؤكد القرآن قضية عجز الباطل في اضطهاده للحق شاهراً في وجهه سيف «الخروج» يقول:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يُتَخَذُوا لَكَ أُتْمَارُهُمْ فِي يَدَيْهِمْ فَكَشَفْنَاهُمْ عَنْكَ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(الأنفال: ٣٠)

ولكى يعمق القرآن مفهوم «الخروج» كاضطهاد عقائدي غير مبرر على الإطلاق بما هو اضطهاد غير مؤسس على أي من المستويات العضوية أو الفكرية أو الحياتية يقول:

﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾

(الحج: ٤٠)

ويقول:

﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِنَّا لَهُم بِكَ كَاذِبُونَ﴾

(المتحة: ١)

فيذا خلصنا الآن إلى استعراض شمول

المواطن الذي يورد القرآن فيها مصطلح «الخروج» في مجال اضطهاد الباطل للحق، عرفنا إلى أي مدى يسلح القرآن كل مفردة من مفرداته بالوعي، وإلى أي مدى يهبها إمكانية الفتح على كل المستويات !!

● المحور الرابع من المحاور التي يدور فيها مصطلح «الخروج» في القرآن الكريم هو: «محور الهجرة من الظلمات إلى النور»:

﴿الرَّكِبِ كَتَبَ الْفُرْقَانَهُ إِنَّا لَنُخْرِجَنَّكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ﴾

(إبراهيم: ١)

﴿رَسُولًا يَبْلُغُ إِلَيْكُمْ أَمْرُ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

(الطلاق: ١١)

﴿إِنَّا وَفَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُخْرِجَهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

(البقرة: ٢٥٧)

إن هذه المواطن الثلاثة التي ورد فيها مصطلح «الخروج» كلون من ألوان الهجرة من قارات الظلمات إلى قارات النور لم تكرر نفسها أبداً، ففي المواطن الأول تبدو «الكلمة» أسبق في الفعل:

﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ﴾

وفي المواطن الثاني يبدو «الإنسان» أقمن بالعبء:

﴿رَسُولًا يَبْلُغُ إِلَيْكُمْ﴾

وفي المواطن الثالث يبدو «الخالق» أعطف على القضية:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

وهكذا تتكامل أبعاد القضية من خلال اتكاء القرآن على مصطلح «الخروج».. بالكلمة والإنسان والله !!!

● المحور الخامس من المحاور التي يدور فيها مصطلح «الخروج» في القرآن الكريم هو: «محور الارتداد من النور إلى الظلمات». وكان القرآن يشفق على الإنسان من هذه الردة فيكاد لا يجسد أحزانها إلا في عبور:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوَّلَ مَا نَفَعَهُمُ الظُّلُمَاتُ يَخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾

(البقرة: ٢٥٧)

﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾

(الشعراء: ٥٧)

وبعد..

فقد آثرت مصطلح «الخروج» من مادة «خرج» على غيره من مصادر هذه المادة ومشتقاتها جميعاً؛ لأن «الخروج» ألصق بطبيعة الفعل بينما ينتمي مصطلح «الإخراج» إلى طبيعة الفاعل، وفي يقيني أن مأساوية الصراع بين الحق والباطل، بين الظلمات والنور، بين الجحود والإقرار، إنما تنبع أساساً من بعدنا عن معانقة فهمنا للفعل، ومحاولة شدنا منذ البدء إلى أوج أعلى من ذلك وأضوأ، إن قضية الفعل والفاعل لا تتجزأ هكذا.. أعلم ذلك ولكنني على يقين من أن منهج القرآن هو تشييد كل الجسور للعبور من روعة الفعل إلى وجودية الفاعل، ومن شمولية الفاعل إلى اليعضوية المنتمية بالضرورة في الفعل.

الصلح

واجب شرعي وقانوني

للمستشار حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

وقد احترمت شريعة الإسلام في الإنسان تأثيره بهذه الحالة من طبائع الدهر، فقد يحدث التباعد والاختلاف بين الأفراد، وربما يصل هذا الأمر إلى الهجر فيما بينهم، ولكن يجب عليهم عندئذ عدم التماذي في هذا الهجر، وهذا ما نهى عنه الرسول الكريم ﷺ، بقوله الذي رواه أبو داود والترمذي عن أبي أيوب رضي الله عنه: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام».

وإذا كانت الشريعة الغراء قد وضعت الوسائل الكفيلة، لتحقيق الصلح بين المتخاصمين، فإن التطبيق العملي يحتاج إلى تدخل العقلاء من أبناء الأمة، للوصول إلى هذه الغاية، ولأهمية هذا الدور، فإننا نعرض له بالبيان تفصيلاً، على النحو التالي:-

من المعلوم أن من طبائع الدهر، أنه في قلب دائم وتغير مستمر، ولا قرار للإنسان فيه على حال واحدة، فقد تصضو بعض أيامه، وقد تكدر الأخرى، وليست العلاقات البشرية بمنأى عن هذه الطبائع، فقد تصاب بالضرقة والتباعد، ويطرأ على أطرافها التناافر والتضاد، ومن ثم كان من الضروري السعي الجاد عن الوسائل الكفيلة، بإزالة الشوائب التي تعكر صفو هذه العلاقات، لإعادتها إلى سيرتها الأولى من الوثام والوفاق، وهذه المهمة كانت من نصيب المصلحين على مر التاريخ، وكان الدين أعظم سند لهم في ذلك.

أولاً: أهمية الصلح بين المتخاصمين

يعد الصلح بين المتخاصمين، هو من أفضل الوسائل لتحقيق هذه الغاية، لأن الصلح في أبسط معانيه هو قطع النزاع، ومن أهميته في حياة الناس، اعتباره الشرع عقد وضع لرفع النزاع بين المتخاصمين، وحضهم على الانقياد له.

ولما في الصلح من فوائد جليلة تعود على الفرد والمجتمع، حض عليه الإسلام الحنيف، بل وأمر به على كل المستويات:

أ- بالنسبة للأفراد، كما في قول الحق تعالى:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

(الأنفال: ١)

وقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

(الحجرات: ١٠)

وكما روى الحاكم عن أنس - رضي الله عنه -، أن رسول الله ﷺ، قال: «اتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة»، أي يوفق بينهم بأن يلهم المظلوم العفو عن ظالمه، ويعرضه عن ذلك بأحسن الجزاء، وكما روى ابن مردويه عن أنس - رضي الله عنه -، أن الرسول ﷺ،

قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أهل التوحيد، إن الله قد عفا عنكم، فليعف بعضكم عن بعض وعلى الله الثواب».

ب- بالنسبة بين الجماعات والطوائف المختلفة من المسلمين، كما في قوله تعالى:

﴿وَلَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَفْتُلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَتَمْلِكُوا الَّذِي بَيْنَهُمَا وَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

(الحجرات: ٩)

ج- حتى بالنسبة فيما لو تعلق الخصام بين فردين فقط كالزوجين مثلاً، كما في قوله تعالى:

﴿وَإِنْ أَمْرُهُ خَفَّتْ مِنْ بَيْنِهِمَا شُرُوءٌ أَوْ إِعْرَاضٌ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْبِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

(النساء: ١٢٨)

ثانياً: الصلح خير

يعد الصلح من أعظم القربات إلى الله تعالى، فقد روى الطبراني عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ، قال: «أفضل الصدقة، إصلاح ذات البين»، والبين هو: العداوة والبغضاء والفرقة، وكان هذا الفعل أفضل صدقة، لأن فيه إصلاح الفساد بين الناس، وإزالة الفتنة بينهم، وإسكان الثائرة، بما يستلزم إحياء النفوس، وهذا من حيث عموم نفعه أفضل

من أى صدقة أخرى، ويزيد هذا الفضل فيما لو كان هذا الصلح بين طائفتين وقعت فتنة بينهما، فتحمل رجل مالا ليصلح بينهما.

ويؤكد هذا المعنى ما رواه أبو داود والترمذي والإمام أحمد عن أبي الدرداء، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، أى تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل موسى الشعر.

ونظرا لما فى الصلح بين المتخاصمين من عموم المنافع الدينية والدنيوية، من التعاون والتناصر، والألفة والاجتماع على الخير، فقد أباح الشارع الحكيم فيه الكذب، فقد روى أبو داود والترمذي عن أم كلثوم بنت عتبة - رضى الله عنها - والطبراني عن شداد بن أوس - رضى الله عنه -، أن رسول الله ﷺ قال:

«ليس الكذاب بالذى يصلح بين الناس، فيسمى خيرا، ويقول خيرا» أى يبلغ خير ما يسمعه ويدع شرا، وفى رواية أخرى: «لا أعده كاذبا: الرجل يصلح بين الناس، يقول القول لا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول فى الحرب والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها» والمقصود هنا ليس نفي الكذب فى ذاته، ولكن نفي كونه إثما وقد قال العلماء: إنما نفي عن الصلح كونه كذابا، باعتبار قصده، لأن هذه أمور قد يضطر الإنسان فيها إلى زيادة القول، ومجاوزة الصدق، طلبا للسلامة، ودفعاً للضرر، ورخص فى اليسير من الفساد لما يؤمل

فيه من الصلاح، والكذب فى الإصلاح بين اثنين، أن يبلغ من أحدهما إلى صاحبه خيرا، ويبلغه منه جميلا، وإن لم يكن سمعه منه بقصد الإصلاح.

ولكن الصلح المرخص بالكذب فيه، ليس عاما مطلقا، بل هو مقيد، بما رواه الحاكم وأبو داود عن أبي هريرة - رضى الله عنه -، أن الرسول ﷺ قال: «الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحا أحل حراما، أو حرم حلالا»، وعلى هذا لا يجوز الصلح فيما يترتب عليه الحرام كالمصالحة فى دراهم على أكثر منها، فتحرم للربا وكأن يصالح المسلم على نحو خمر، أو فيما يؤدى إلى تحريم ما هو حلال أو مباح، كمن يصالح زوجته على ألا يصل رحمه، أو ألا يمس زوجته الأخرى.

ثالثا: الصلح كإجراء فى بعض القوانين

وقد راعى المشرع القانونى أهمية الصلح بين المتخاصمين فى سياسته التشريعية فى مختلف فروع القانون، سواء الجنائية أو المدنية أو الأحوال الشخصية، فعلى سبيل المثال: فى القانون الجنائى جعل المشرع الصلح أحد أسباب انقضاء الدعوى الجنائية، حتى بعد صدور حكم نهائى بالإدانة، أو إحدى الرخص المخولة للقاضى لتخفيف العقوبة، أو إيقاف آثار تنفيذها، وفى القانون المدنى جعل المشرع من الصلح عقدا رضائيا، ووضع له تنظيما متكاملا، كسائر العقود الأخرى، وفى قانون التجارة المصرى

اعتبر المشرع الصلح وسيلة لتوفى إشهار إفلاس التاجر، وغير ذلك من الأوضاع القانونية التى يعول فيها على الصلح، فى إنهاء بعض الآثار المترتبة عليها، ولكن تعد مسائل الأحوال الشخصية والأسرة، من أهم النماذج القانونية التى تطلب المشرع فيها الصلح، كإجراء أساسى فى دعاوى القضاية المتعلقة بها.

ماهية عرض الصلح فى قضايا الأسرة والهدف منه

المقصود من هذا الإجراء هو: التوفيق بين الزوجين، بما فيه صلاح حالهما واستمرار الحياة الزوجية وحسن المعاشرة بينهما، بما يحقق الإمسالك بمعروف، ويكون ذلك بأية صورة ممكنة يراها القاضى، موصلة إلى استدامة العشرة بينهما، وذلك بالتعرف على حقيقة الخلاف القائم بينهما وظروفه وملابساته المحيطة به، حتى يتخذ السبل الناجحة لإنهائه صلحا، وهو مجرد إجراء تقوم به المحكمة، ببذل عناية فى الإصلاح بين الزوجين المتنازعين، وليس تحقيق نتيجة فى الوصول إليه.

وأن الهدف من إلزام القاضى بالعمل على الإصلاح بين الزوجين، قبل قضائه بالتفريق هو محاولة إزالة أسباب الشقاق، وعودة الحياة الزوجية إلى ما كانت عليه، من نقاء السكنية وحسن العشرة بين أطرافها.

تقنين الصلح فى قضايا الأسرة

اتبع المشرع القانونى فى مجال البحث عن الحلول المفيدة لعلاج المشكلات الأسرية، سياسة تقنين وسيلة عرض الصلح بين أطراف العلاقة الزوجية، فقد اشترط للحكم بالتطبيق للضرر تطبيقا للمادة السادسة من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩، وللحكم بالتطبيق للزوج بأخرى تطبيقا للمادة ١١ مكررا منه وللحكم بالتطبيق للشقاق تطبيقا للمادة ١١ مكررا ثانيا من ذات القانون، وجوب تدخل المحكمة لإنهاء النزاع صلحا، وأن يثبت عجزها عن الإصلاح بين الزوجين، وإلا كان حكمها باطلا.

وقد توسع المشرع فى استعمال هذا الإجراء، فبصدور القانون رقم (١) لسنة ٢٠٠٠، امتد العمل بهذا الإجراء، ليشمل كل مسائل الولاية على النفس، فقد جاء نص المادة ١٨ منه على أنه: «تلتزم المحكمة فى دعاوى الولاية على النفس، بعرض الصلح على الخصوم، ويعد من تخلف عن حضور جلسة الصلح مع علمه بها - بغير عذر مقبول - رافضا له. وفى دعاوى الطلاق والتطليق، لا يحكم بهما إلا بعد أن تبذل المحكمة جهدا فى محاولة الصلح بين الزوجين وتعجز عن ذلك، فإن كان للزوجين ولد تلتزم المحكمة بعرض الصلح مرتين على الأقل تفصل بينهما مدة لا تقل عن ثلاثين يوما، ولا تزيد على ستين يوما.

أحوال عرض الصلح في هذه القضايا

هناك ثلاث حالات لوجوب عرض الصلح في قضايا الأسرة، هي:-

١- الحالة الأولى: مجرد عرض الصلح من المحكمة، التي تنظر أى دعوى متعلقة بإحدى مسائل الأحوال الشخصية للولاية على النفس، على الخصوم الحاضرين الجلسة، ومن لم يحضر منهم يتم إعلانه بالصلح، وهذا العرض يكفي لتحقيقه أن يعرضه القاضى شفاهة على الخصوم بالجلسة، ويثبت بحضورها ما يقيد حدوث ذلك، فمثلا إثبات عبارة: «أن المحكمة عرضت الصلح على الطرفين»، فى محضر الجلسة، يكفي لتحقيق عرض الصلح الذى عناه المشرع.

٢- الحالة الثانية: فى دعاوى الطلاق والتطليق، فإن مجرد عرض الصلح على الخصوم على النحو سالف الذكر، لا يكفي لصحة الحكم فيها، ولكن يجب على المحكمة أن تبذل جهدا فى محاولة الإصلاح بين الزوجين، ويثبت عجزها عن إتمام الصلح، أى أن المحكمة يجب أن تتخذ موقفا أكثر ايجابية فى إنهاء النزاع بين الخصوم عن طريق الصلح.

٣- الحالة الثالثة: إذا كان للزوجين ولد، فإنه يجب على المحكمة عرض الصلح على الخصوم فى هذه الدعاوى سالف الذكر، مرتين على الأقل تفصل بينهما مدة لا تقل عن ثلاثين

يوما، ولا تزيد على ستين يوما، وذلك مراعاة لظروف هذا الولد، وهذا الميعاد تنظمى لم يضع المشرع أى جزاء على مخالفته.

وفى كل الأحوال إذا تم عرض الصلح على الخصوم الحاضرين الجلسة، فإن غرض المشرع منه يكون قد تحقق أما إذا لم يكن أحد الخصوم حاضرا جلسة عرض الصلح، فيجب على المحكمة إعلانه بهذا الصلح إعلانا قانونيا، والتنبيه عليه بالحضور بجلسة أخرى، تحدد لها لإبداء رأيه فى الصلح، وبعد علمه بهذه الجلسة يجب عليه الحضور، فإن تخلف عن ذلك دون عذر مقبول، فقد أقام المشرع من عدم حضوره فى هذه الحالة قرينة على رفضه لهذا الصلح، وللمحكمة بناء على ذلك أن تحكم فى الدعوى بحالتها باعتبار أن إجراء الصلح الذى تطلبه القانون قد تحقق، وهذه القرينة تقبل إثبات العكس، وذلك إذا أثبت الخصم الغائب أن شهادته كان يعذر تقدره المحكمة.

عمومية هذا الإجراء

فإذا كان إجراء عرض الصلح، يستند فى تقنيته إلى مبادئ الشريعة الغراء، فمن باب سماحة هذه الشريعة مع غير معنيقها، فقد أوجب المشرع مراعاة هذا الإجراء فى جميع مسائل الولاية على النفس، أيا كانت ديانة أطرافها، مسلمين أو غير مسلمين، لأن النص عليه جاء فى القانون رقم (١) لسنة ٢٠٠٠ بإجراءات التقاضى فى مسائل الأحوال الشخصية، وهو قانون إجرائى عام،

يسرى على جميع المقيمين على أرض مصر، بغض النظر عن ديانتهم.

ويتعين على المحكمة أن تثبت قيامها بعرض الصلح، فى الحكم الذى تصدره فى الدعوى، باعتبار أن عرض الصلح على الزوجين شرط لذلك فى القانون، وبكفى عرض القاضى الصلح على الطرفين، وإثبات ذلك يستوى أن يقبله الطرفان أو أحدهما، وهذا فى حد ذاته كاف لإثبات عجز المحكمة عن الإصلاح بين الزوجين، فلا يشترط القانون، حضور الزوجين بشخصيهما أمام القاضى لعرض الصلح عليهما، بل يكفي أن يمثل أحدهما بشخصه، والآخر بوكيله، أو يمثل الطرفان بوكيلهما المفوضين بالصلح عنهما.

مكتب تسوية المنازعات الأسرية

وقد أنشأ المشرع لأول مرة مكتب خاص لتسوية المنازعات الأسرية، بالقانون رقم ١٠ لسنة ٢٠٠٤ الصادر بإنشاء محكمة الأسرة، وهو يقوم بدوره فى المرحلة السابقة لقيام محكمة الأسرة بدورها، وفى بيان طبيعة هذا الدور تقول المذكرة الإيضاحية للقانون: «استحدث المشرع مرحلة للتسوية فى المنازعات الأسرية تسبق مرحلة التقاضى، وتتولاها مكاتب لتسوية المنازعات الأسرية، على أن تسبق هذه المكاتب وزارة العدل، وهى مرحلة تنفيا

إنهاء المنازعة صلحا، واشترط القانون للجوء إليها الآتى:-

١- أن تكون المنازعة المطلوب عرضها على هذا المكتب، من غير دعاوى الأحوال الشخصية التى لا يجوز فيها الصلح، والدعاوى المستعجلة، ومنازعات التنفيذ، والأوامر الوقائية.

٢- أن تكون هذه المنازعة متعلقة بإحدى مسائل الأحوال الشخصية، التى تختص محكمة الأسرة بنظرها.

٣- أن يقدم من يرغب فى إقامة الدعوى طلبا لتسوية النزاع إلى المكتب المختص، وفقا للإجراءات التى يحددها قرار يصدر من وزير العدل.

وقد أوجب القانون على الخصوم قبل رفع الدعوى اللجوء إلى هذا المكتب، ورتب جزاء قانونيا على مخالفة ذلك، وهو عدم قبول الدعوى، التى ترفع ابتداء إلى محاكم الأسرة، بشأن المنازعات التى تختص بها، ولكن للمحكمة أن تأمر بإحالة الدعوى إلى المكتب المختص، للقيام بمهمة التسوية، بدلا من القضاء بعدم قبول الدعوى، وذلك تحقيقا للغاية التى من أجلها أنشئ هذا المكتب.

والله تعالى ولى التوفيق..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،،

الأصول الإسلامية للطب البيطري

للاستاذ الدكتور مصطفى رجب
جامعة سوهاج

يخطئ كثير من المثقفين المسلمين حين يقولون - أو يعتقدون - أن الرفق بالحيوان مبدأ غربي بحت، وليد حضارة الغرب الحديثة. ولعل ضعف صلتهم بدينهم، وقلة بصرهم بتراثهم وراء هذا القول أو ذلك الاعتقاد.

ومهنة الطب البيطري التي تشمل رعاية الحيوان وعلاجه ووقايته من المرض من أبواب الطب العربي القديم، وله في كتب التراث تبويب خاص به بين العلوم المكتسبة، ومن أراد أن يطلع على ذلك فليرجع إلى كتب تصنيف العلوم مثل «الفهرست» لابن النديم، و«مفتاح السعادة» لطاش كبرى زاده، و«أبجد العلوم» لصديق حسن الفتوحى، وقبل هذين الأخيرين كتاب «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد» لابن الأكفانى.

(١) والأصل الشرعى الأول لمهنة الطب البيطري يستند إلى ما حضت عليه الشريعة

من «الرفق» وهو أصل من الأصول العامة للسلوك الإسلامى. فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: (يا عائشة. إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على ما سواه)^(١).

(٢) والأصل الشرعى الثانى لمهنة الطب البيطري هو النفعة (بلغة عصرنا) - أو ابتغاء فضل الله - (بلغة الشرع) فيما جعل الله لنا فى هذه الحيوانات من منافع تيسر على الناس حياتهم.

(٣) والأصل الشرعى الثالث لمهنة الطب البيطري هو أن للحيوانات صوتاً، ولا تقوم

معاملة الإنسان لها على مجرد «الرفق» فقط، بل إن هذا واجب عليه.

(٤) والأصل الشرعى الرابع إن علاقة الإنسان بالحيوان لها جوانب عقائدية لا يكتمل إيمانه إلا باعتقادها والتصديق عليها. وفيما يلى إيضاح لهذه الأصول:

أولاً: مبدأ الرفق بالحيوان

إن معنى الرفق بضاد معنى العنف والخسونة، وقد أشرنا فيما سبق إلى أن الرفق أصل من الأصول التى نادى الشريعة الإسلامية بغرسها فى نفوس المسلمين، فقال - تعالى - فى وصف المؤمنين:

﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح ٢٩).

وقال أيضاً:

﴿وَتَوَّاصُوا بِالرَّحْمَةِ﴾ (البقره ١٧).

وأخرج البخارى فى صحيحه عن مالك ابن الحويرث - رضى الله عنه - قال: «أتيت النبى ﷺ فى نفر من قومه، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيماً رفيقاً^(٢). فالإسلام بهذه المثابة يشجع أتباعه على اعتناق مبدأ الرفق والرحمة والسماحة فى كل سلوكياتهم.

وقد أوصى الرسول ﷺ بالحيوان فى أكثر من موضع فعن سراقه بن جعشم قال: سألت رسول الله ﷺ عن ضالة الإبل تغشى حياضى قد لطنها لإبلى فهل لى من أجر إن سقيتها؟ قال: (نعم فى كل ذات كبد حرى أجر)^(٣). و«مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره بيطنه، فقال: (اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلفوها صالحة)^(٤).

على أن دعوة الإسلام إلى الرفق بالحيوان، ليس مناطها الرحمة فقط، بل إن الإسلام رتب على هذا السلوك أجراً عظيماً، وخيراً عميماً، وهذا المنهج - أعنى ربط السلوك بالأجر - فيه نزعة تربوية سامية، لأنه يخلق داخل النفس الإنسانية «دافعية» نحو السلوك الخير حتى يعتاده الإنسان بمرور الوقت والتكرار فيصبح جزءاً أساسياً من شخصيته. وهذا وجه فريد من وجوه الإعجاز التربوى الإسلامى.

يدل على ذلك ما صح عن النبى ﷺ فيما رواه البخارى بسنده: (بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى

(١) - صحيح البخارى. كتاب الأذان - باب من قال ليؤذن فى السفر مؤثراً والحد، حديث رقم (٦٠٢).

(٢) - سنن ابن ماجه. كتاب الألب - باب فضل ضيقة الماء، حديث رقم (٣٧٦٦).

(٣) - سنن أبى داود، كتاب الجهاد - باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، حديث رقم (٦٥٤٨).

(١) - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق - حديث رقم (٢٥٩٣).

فتزل البشر قملاً خفه ثم أمسكه بفيه فسقى
الكلب فشكر الله له فغفر له (١٢).

وإذا كان الترغيب في الشيء، يتضمن
حتماً، التنفير من ضده، فقد اشتهد النكير
على من يؤذى حيواناً بغير ذنب كما في
الحديث الصحيح عن المرأة التي دخلت النار
بسبب هرة حبستها فلم تطعمها ولم
تدعها تأكل من خشاش الأرض، ليكون
جزاءها العنيف بالتعذيب في نار جهنم
درساً متجدداً لكل من يصنع مثل هذا
الصنيع المردول.

فإذا علم هذا، وتأكد أن الإسلام يحث
على الرفق بالحيوان ويرتب عليه أجراً،
وينهى عن إيلاسه وإيذاؤه ويرتب عليه
وعيداً شديداً. فإن مهنة الطب البيطري
تكتسب مكانة شرعية مرموقة لأنها تنغي
- بالدرجة الأولى - تخفيف الألم عن
الحيوان، وعلاجه، ووقايته، بوصفه مصدر
خير وعون للإنسان. ثم هي تطمح -
بالدرجة التالية - إلى الحيلولة دون ما
ينتقل إلى الإنسان من أمراض الحيوانات،
فإذا ابتغى الطبيب البيطري ومعاونوه في
مسلكهم الأجر من الله - تعالى - نالوه
بإذن الله.

(١٢) - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم (٥٦٦٢).

المبدأ الثاني: المنفعة

قال تعالى:

﴿وَالْأَنْفَ
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ
وَتَحْمِلُ أَوْفَاقَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّزَكُوا لِيَلْجَأَ بِيَهِ الْأَشْيَاقُ
وَالْأَفْسَادُ وَرَبُّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
وَالْحَمِيرَ لَكُمْ كِبْوَهُمْ وَأَرْبَاقُهُمْ وَمِنْهَا لَكُمْ نَقَلٌ وَمِنْهَا
لَكُمْ سُرُورٌ﴾

(التحل: ٥ - ٨)

وأوضحت هذه الآيات الكريمة وغيرها ما
يعود على الإنسان من منافع وفوائد يجنيها
من اقتناء الدواب والأنعام وأهم هذه المنافع:

١- ما يتخذه الناس من ملابس وأغطية وأكسية
من صوف الحيوانات وأشعارها وأوبارها.

٢- الألبان وما يتصنع منها من أطعمة.

٣- اتخاذ الإبل والخيول والبغال والحمير
وسائل مواصلات.

٤- اتخاذ جلود الأنعام خياماً ينتقل بها
أهل البداوة فيحتمون بها من الحر والبرد.

٥- استخدام الحيوانات مصادر للحوم
الحلال كالبقرة والغنم.

ويلحق بذلك ما أحل الله من الطيور
كالحمام ومن السابحات في الماء كالأسمك

والخيتان. كل ذلك يدخل تحت اسم «الحيوان»
من جهة اللغة، ويدخل ضمن المأمور بالرفقة به
من جهة، والانتفاع به من جهة أخرى بتسخير
من الله الخالق جل وعلا.

وتأسيساً على ذلك، تكون مهنة الطب
البيطري وسيلة لتعظيم انتفاع الإنسان بما أحل
الله تعالى، له من الطيبات من الرزق الخبوء في
الحيوان. وتكون رعاية الحيوانات - بمعناها
الواسع - أسلوباً من أساليب تنمية الثروات
الغذائية وطريقة من طرق تحقيق الانتفاع بما
سوى الغذاء مما في الحيوان من منافع.

المبدأ الثالث: حقوق الحيوان

تختلف نظرة الإسلام إلى الحيوان عن نظرة
الحضارة الغربية الحديثة.

فمعاملة الحيوان في الإسلام تسمو إلى
درجة مدهلة، والمتبع للأحاديث النبوية
الشريفة يجد أن الإسلام يحتفظ لها بحقوقها
في الحياة وحقوقها في الغذاء وإحسان ذبحها
ويحرم قتلها.. إلخ. فمثلاً:

● يحرم قتل الحيوانات بغير حق.

● يحرم تعليق شيء في رقابها حتى لا
تختنق إذا أساءت الحركة.

● يحرم منع الطعام والشراب عن الحيوانات.

● يأمر بإعطائها قدر ما يكفيها من الأكل

والشرب.

● يؤكد حق صغارها في الطعام والرضاع.
● ينهى الإسلام عن حرق الحيوانات
بالنار.

● يحرم اتخاذها هدفاً للتسلية.

● يأمر بإحسان الذبح والقتل.

كما يحفظ الإسلام للحيوانات حقوقها في
العناية بصحتها. وهذا من أهم أصول مهنة
الطب البيطري في الإسلام فمثلاً:

● يأمر الإسلام بوقاية الحيوانات من المرض
وبعلاجها إذا مرضت.

● ما ينهى عن إعطائها طعاماً خبيثاً ضاراً.

● ويأمر بنظافة حظائرها ونظافتها الشخصية.

المبدأ الرابع: الجوانب العقائدية

إذا كانت مهنة الطب البيطري تستند إلى
مبادئ الرفق، والمنفعة، ورعاية حقوق
الحيوان، فإن لصلة الإنسان بالحيوان جوانب
عقائدية ينبغي على كل مسلم أن يدرسها
ويعرفها ومنها على سبيل الإجمال:

● ما يتعلق بها من نجاسات.

● ما يتعلق بنقل أعضائها إلى الإنسان.

- ما يتعلق بأسلوب الذكزية (الذبح

الشرعي) من أحكام.

- دعاء الحيوانات للعلماء ودعاء القوم

لصاحبه.. إلخ.

نشأة الاختلاف وأدبه

بقلم الأستاذ الدكتور: /السيد فرج
الأستاذ بجامعة المنصورة

اقتضت حكمة الله ومشيئته أن يختلف الناس في المدارك والتصورات والأفكار، ولعل هذا الاختلاف نعمة من نعم الله - تعالى - على البشر، فاختلاف الألوان والتصورات والأفكار من الأشياء التي تيسر على الناس أمورهم ومعاشهم وإن أدى ذلك الاختلاف إلى تعدد الآراء والأحكام، المستنبطة من أدلة الاختلاف.

والاختلاف على كل حال دليل من أدلة قدرة الله البالغة في خلقه، ولهذا جعل الله كل واحد منهم ميسر لما خلق له، يقول تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُ الْمُخَلَّفِينَ
﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ لَخَلْقُهُمْ﴾

(هود: ١١٨، ١١٩)

ولقد وقع الاختلاف في سلف الأمة -

ولا يزال واقعا، ولكن الاختلاف الذي وقع في سلف الأمة كانت له آداب، ولذا كان ظاهرة

إيجابية تدور فوائده حول:

١- إتاحة التعرف على جميع الاحتمالات التي يمكن أن يرمى إليها الدليل بوجه من الوجوه.

٢- أنها تضع الحلول أمام المجتهد، فيختار منها الحل الأكثر ملاءمة، لموضوع اجتهاده، والذي يتناسب وينسب الدين على الناس، وهم يتعاملون معاملاتهم من واقع حياتهم.

٣- الاختلاف عادة - ما دام لم يتجاوز حدوده - وما دام يلتزم شروطه، فإنه رياضة ذهنية، تفتح مجالات كثيرة للتفكير الصحيح الذي يوصل إلى الافتراضات، التي تتلاءم مع العقول المختلفة، فتأخذ منها بما يلائمها، وبما وصل فهمه إلى عقولها.

٤- وهذه الفوائد وغيرها، التي تحقق النفع للمسلمين، يشترط لتحقيقها أن تظل الاختلافات محاطة بشروطها الإيجابية، فلا تتجاوزها، على أن يحرص الأئمة المجتهدون على مراعاتها، والحفاظ عليها.

٥- هذه الاختلافات إذا تجاوزت شروط الاجتهاد الصحيح، فأسست على قواعد الهوى، ولم تراعى المبادئ الأصلية التي وضعت لها، تحولت إلى نوع من الجدل العقيم، الذي يؤدي إلى الشقاق بين الأئمة المجتهدين، بل ربما صنعت شروخا في أركان الأمة الإسلامية وتحولت إلى معاول لهدمها.

الخلاف القائم على الهوى!!

والإسلام لا يرفض الاختلاف - بشروطه الإيجابية - ولكنه يحذر من الخلاف بأحواله السلبية. لأن الاختلاف قائم على الاجتهاد الصحيح بينما الخلاف قائم على رغبة التظاهر بالفهم، أو بالعلم، أو بالفقه وهذا الخلاف محرم مذموم، لأن الهوى فيه غلب الحرص على تحري الحق، فالهوى مطية الظلم ومجانية العدل، وكذلك انحراف إلى الضلال يقول تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

(ص: ٢٦)

فخلاف الهوى إذن، هو الذي ينحرف بالإنسان إلى الفساد، وسبيل الضلال، كما أنه لا يوصل إلى علم، لأنه نقيض العلم. وإذا تعددت أسباب الهوى ودوافعه، فإنها في الحقيقة ترجع إلى هوى النفس وحب الذات والغرور، كما فعل أهل الهوى من أصحاب البدع والملل والنحل، (و) من أراد الزيادة والاستقصاء في هذا الباب فليرجع إلى كتب الفرق فليس هنا محله).

ولقد وقف لهؤلاء - بحمد الله وتوفيقه - علماء أهل السنة، فبينوا ذلك الخلاف القبيح الذي حاول أصحابه تزيينه

للمسلمين، واكتشفوه، وبينوا زيفه بقواعد وضعوها وأسس أسسوها مثل:

١- إظهار مناقضة أقوالهم لصريح وحى الله - سبحانه وتعالى -، وسنة رسول الله ﷺ، وهذه الآراء لا تخفى على علماء الأصول الزادين عن الدين.

٢- أما الاختلاف الذى أملاه الحق، ودفع إليه العلم، وفرضه الإيمان ورجحه العقل، فهو الاختلاف البناء المقبول، لأن الذى دفع الاجتهاد إليه، إنما إخلاصه لدينه وغيبرته على شريعته، وهو قائم على اتباع قواعد صحيحة من الشرع بحكم إليها، وإلى ضوابط تنظمه، وآداب تهيمن عليه وتحفظه من الوقوع فى المزالق، وبذل المجهود فى استخراج الأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية.

٣- وقد قطع العلماء أن الاختلاف فى مسائل الاجتهاد، واقع من حصل له بمحض الرحمة، وقد بدأ فى زمن الصحابة، ومن اتبعهم بإحسان رضى الله عنهم أجمعين، يقول الشاطبى فى (الاعتصام)، وكذلك ابن عبد البر فى (جامع بيان العلم وفضله)، إن بيان كون الاختلاف المذكور رحمة: ما روى عن القاسم بن محمد قال: لقد نفع الله باختلاف أصحاب رسول الله

ﷺ فى العمل، لا يعمل العامل بعلم وعمل رجل منهم إلا رأى أنه فى سعة، وعن ضمرة ابن رجاء قال:

اجتمع عمر بن عبدالعزيز والقاسم بن محمد فجعلوا يتذاكران الحديث، قال - فجعل عمر يجيء بالشئ يخالف فيه القاسم - وجعل القاسم يشق ذلك عليه حتى يشين ذلك فيه، فقال له عمر: لا تفعل: فما يسرنى باختلافهم حمر النعم.

وروى ابن وهب عن القاسم أيضا قال: لقد أعجبنى قول عمر بن عبدالعزيز: ما أحب أن أصحاب محمد ﷺ لا يختلفون، لأنه لو كان قولاً واحداً لكان الناس فى ضيق وأنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان سنة.

يقول الشاطبى: ومعنى ذلك أنهم فتحوا للناس باب الاجتهاد وجواز الاختلاف فيه، أنهم لو لم يفتحوه لكان المجتهدون فى ضيق، لأن مجال الاجتهاد ومجالات الظنون لا تتفق عادة فيصير أهل الاجتهاد مع تكليفهم باتباع ما غلب على ظنونهم مكلفين باتباع خلافهم، وهو نوع من تكليف مالا يطاق، وذلك من أعظم الضيق، فوسع الله على الأمة بوجود الخلاف الفروعى فيهم، فكان فتح باب

للأمة للدخول فى هذه الرحمة فكيف لا يدخلون فى قسم من رحمة ربك؟
فاختلافهم فى الفروع كاتفاقهم فيها - والحمد لله.

وبين هذين الطريقتين، واسطة أدنى من الرتبة الأولى، وأعلى من الرتبة الثانية، وهى أن يقع الاتفاق فى أصل الدين، ولا يقع الاختلاف فى قواعده الكلية وهو المؤدى إلى التفرق شيئا.

اختلاف الصحابة على عهد رسول الله ﷺ

لم يكن فى عهد رسول الله ﷺ، ما يمكن أن يؤدى إلى الاختلاف، ذلك لأن الرسول ﷺ، كان مرجع الصحابة، إذا غمض عليهم أمر، وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - إذا اختلفوا فى شئ ردوه إلى الرسول ﷺ، فبينه لهم على وجه الحق، ولكن كان ينزل بهم من الأمور وهم فى مكان بعيد عن الرسول، فلا يستطيعون رده إليه، ويكون أمرا عاجلا فيجتهدون فيه، لأنهم فى مكان بعيد عن المدينة، والوقت لا يسعهم أن يتبعوه حتى يردوه على الرسول ﷺ فكانوا يجتهدون جهدهم فى الوصول إلى الحكم فى هذا الأمر واستنباطه بما لا يتعارض مع نصوص كتاب الله الكريم ولا سنة رسوله ﷺ. وكان يقع

الاختلاف، لأنهم لا يجدون فى الأمر نصا من كتاب ولا سنة. حتى إذا عادوا إلى المدينة عرضوا أمرهم على رسول الله، فيقرهم الرسول فيه، فيصبح من السنة ومن أمثلة ذلك:

أخرج البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال يوم الأحزاب: لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة، فأدركهم العصر فى الطريق، فقال بعضهم لا نصلى حتى نأتىها، أى ديار بنى قريظة.

وقال بعضهم: بل نصلى، فذكر ذلك للرسول ﷺ، فلم يعنف واحدا منهم.

وظاهر الحديث أن الصحابة - رضوان الله عليهم - انقسموا فريقين من فهم حديث الرسول ﷺ من أداء صلاة العصر.

● الفريق الأول: أخذ بظاهر اللفظ، أو بعبارة النص، فصلى العصر فى بنى قريظة.

● الفريق الثانى: فقد استنبط من النص معنى خصصه به، وهو إرادة الرسول ﷺ، الإسراع بالسير إلى ديار بنى قريظة.

وتصويب رسول الله ﷺ لرأى كل فريق، دليل على صحة رأيه، ومشروعية الأخذ به، والعمل بما يوافقه.

كذلك فى تصويب الرسول ﷺ لكلا الرأيين إجازة لهما على مشروعية

الاجتهاد، وإن اختلف فيه، مع بذل الجهد، وبناء الاستنباط على قواعد صحيحة من الأدلة الشرعية. ومن ثم فقد اعتبر الفريق الذي صلى قبل الوصول إلى بنى قريظة، لا ينافي أمر رسول الله ﷺ، مادامت الصلاة لن تؤخرهم عن الوصول، كما أن الفريق الثاني اجتهد، لأنه رأى أن إقامة الصلاة في الطريق قد تؤخرهم عن الوصول.

ولقد تقبل الرسول فعل كل فريق بالقبول الحسن، ولم يعتف أحدهما، ومن هنا صار من السنة التقريرية.

خلاف المتحابين

ومع ذلك فقد كان الرسول ﷺ يحذر أصحابه من الاختلاف فكان يقول لهم: (لا تختلفوا فتختلف قلوبكم) (١)، وكان يحذرهم من الاختلاف وهم يقرأون القرآن فيقول في الحديث الصحيح: «اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم، فإن اختلفتم فيه فقوموا». (أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي رضي الله عنهم).

بوصيهم الرسول ﷺ أن يواصلوا قراءة

القرآن، والتدبر في فهم آيات الكتاب العزيز إذا ما اختلفت القلوب، أما إذا اختلفوا في بعض أحرف القراءة، أو في فهم بعض معاني الآيات الكريمة، فقد أوصاهم بالقيام، حتى تنتفى دواعي الاختلاف، ورد ما اختلفوا فيه إلى الرسول ﷺ.

ولم يكن الصحابة - رضوان الله عليهم - يكثرون من الاختلاف. أو الكلام في المسائل التي تشتمل على كثير من التفرعات، فإذا وقع الاختلاف فيما بينهم، سارعوا إلى رد الأمر إلى رسول الله ﷺ، والخضوع إلى حكم الله - من كتاب الله - ورسوله والتسليم الكامل بما يحكم به رسول الله ﷺ.

وكان الصحابة - رضوان الله عليهم -، في أوقات الاختلاف متحابين لا يعرف الهوى أو التعصب الطريق إلى نفوسهم، بل التزموا فقط بما يمليه عليهم الورع والتقوى وتجنب الهوى، وجعل الحقيقة وحدها هدفاً لاختلافين فلا يهم أحدهما ظهور الحقيقة برأيه، أو برأى أخيه.

(يتبع)

(١) صحيح مسلم.

سياسة العقاب وآداب في التشريع الإسلامي

هدف سياسية العقاب، في الشريعة الإسلامية، حماية المصلحة العامة، وحماية الفضيلة، ودفع الفساد، ومن أجل ذلك، فإن العقوبات الشرعية يستتبع توقيعها:

أولاً، الزجر: بمعنى ردع ومنع الجناة من العودة إلى ارتكاب الجريمة، وكذلك منع الغير من اقتراف ذات الجرم، وهذا يتمثل على وجه خاص في الحدود الشرعية.

ثانياً، تحقيق العدالة، إذ إن العقوبة تنزل بالجاني لما تراه الجماعة المجنى عليها مقابل لذات الجرم، فتهدأ النفوس، وتطهر نفس الجرم، ويعود إلى الاستقامة مقلعاً عن جريمته، ذلك لأن إصلاح ذات الإنسان المنحرف المرتكب للخطيئة أهم أغراض العقاب في الشريعة.

ومن أجل تهذيب النفوس وإصلاح حال الخطائين، نرى أن العقوبة تقع على جسد الخاطيء، بالجلد، والضرب، وعلى داخل نفسه، بشهود جمع من الناس، توقيع هذا الجزاء:

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(النور: ٢)

في حد الزنا لغير الغصن وهو الذي لم يتزوج بعد. وهذا لا شك أدخل في العقاب، وأدنى ثمرة في الإصلاح، وزجر الغير، والابتعاد به عن مجرد التفكير في اقتراف مثل هذا الجرم.

● وإذا كان هدف العقوبة دائماً الردع والإصلاح، فالأولى أن نعود إلى النظر في كثير من الجزاءات المقررة في قانون العقوبات، لنستبدل بالحس، الجلد، أو الضرب العلني، حتى تجدى في الزجر، لأن أساس العقوبة في الشريعة، هو الجلد، لا السجن والحبس.

● والجلد عقوبة بدنية مؤقتة بساعات، لا تهدر آدمية

فتيلة الشيخ

على عبد الباقي شحاتة

الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية

٢

المستحق لها وتتيح للمذنب فرصة التوبة والأدب والصلاح وخدمة الأسرة والجماعة، بل وخدمة النفس، بالسعى المشرف والعمل النافع، إذ إن الحبس أو التغريم، أو هما معاً، لا يردعان الكثير من الخاطئين.

● وسرى أن السجون وقتئذ، قد قلّ روادها، وانحسرت كثرتهم الحالية عن فئة المخترفين وعشاة المجرمين، الذين اعتادوا الجريمة على اختلاف صنوفها، واستمروا كسبها، وهؤلاء نرى أن فقهاء الإسلام قد قالوا في شأنهم - على ما جاء في الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى الخبلي - أنه يجوز للأمير فيمن تكررت منه الجرائم ولم ينزجر عنها بالحدود، أن يستديم حبسه، إذا استضر الناس بجرائمه، حتى يموت، بعد أن يقوم بقتله، وكسوته، من بيت المال، ليدفع ضرره عن الناس.

● ومن أجل هذه السياسة العقابية، في الشريعة الإسلامية، لم تكن السجون بهذه الكثرة التي نشهدها، فقد كانت عقوبة الحبس في الأعم الأغلب، إما حبس في تهمة استظهاراً، واحتياطاً، كما فعله الرسول ﷺ فقد روى الحاكم في المستدرک، عن عراك بن مالك، عن أبيه، عن جده، عن أبي هريرة - رضي الله عنهم - أن النبي ﷺ حبس رجلاً في تهمة يوماً وليلة استظهاراً واحتياطاً، وهذا الوجه من الحبس يقابل في نظامنا الآن،

الحبس الاحتياطي على ذمة التحقيق وإما حبساً مستديماً للخطرين، الذين اعتادوا الإجرام، والذين يتضرر الناس من جرائمهم ويروعون الآمنين، في الأموال والأنفس والأعراض والثمرات.

حقوق السجين

● والمتنبع لأقوال الفقهاء المتناثرة، في مواضع كثيرة، من كتب الفقه الإسلامي في شأن السجون، يجد أنها في نطاق القول الجامع، الصادر من الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء...) فهم يوصون بتوفير الإنسان الخبوس، والامتناع عن إهدار كرامته، التي حفظها الله، وأوصى بها، وتوفير الرعاية الصحية له، والقيام على أمور معاشه، داخل السجن، وأمور أسرته من: زوج، وولد، ووالد، واستدامة زيارتهم له، واستقباله إياهم صلة للرحم، واستعانة بهم على إصلاح ذات نفسه وانتزاع الشرور من بين جنبه، كما يوصى الفقهاء - إعمالاً لتلك القاعدة الجامعة - بأن يكون في السجن العلاج من داء الإجرام، باستئصال السجين بما يعود عليه نفعه مادياً، كعمل يدر عليه كسباً أو مهنة يتعلمها، ليحترفها، تعطيه ربحاً طيباً، ولذلك

يجب أن يتوسع في إلحاق مصانع بالسجون، يتدرب فيها المسجونون، ويعملون، وتصرف لهم أجورهم، أو إلى المستحقين لها عنهم، أو تدخر لهم، وأن تلحق بها كذلك مدارس ابتدائية وإعدادية، وثانوية وللنظر في إدخال عقوبة الجلد وحدها أو مع الحبس في بعض الجرائم وفي حالة الجمع بينهما، يكون الحبس عقوبة تبعية، ولنعمل على وضع النماذج الصالحة من البشر أمامه، تركوا برؤيتها نفسه، ويلين قلبه، ونعني بهذه النماذج نقرأ من المستقيمين في دينهم، ودنياهم، عظة وقدوة.

● ومع هذه الوصايا من فقهاء الإسلام، فإنهم قد احتاطوا لئلا يكون السجن مدرسة خطيرة تؤلف بين قلوب المجرمين فقالوا بوجوب تصنيفهم والبعد بذوى المروءات الذين زلت أقدامهم عن طريق الحق والفضائل في مكان قصي، عمن ساءت دخائلهم وصارت الجريمة كسبهم ومأواهم.

ومن هنا كانت عقوبة التعزير، سواء بالجلد والضرب، أو الحبس، أو بالتغريم، أو بالعظة، والنصح، واللوم مختلفة باختلاف الناس وما جبلوا عليه وهم في ذلك جد مختلفون.

ويعد:

● فإن عقوبة الحبس، أو السجن، بالمصطلح السائد قانوناً، قد صارت غالبية، وقد أوجزت فيما سبق، خطة السجن، والمسجون، كما أوصت بها نصوص الشريعة الإسلامية.

● هذه العقوبات المقررة التي تحدثت عنها تكون في حق من ثبت في حقه الجريمة المستوجبة للعقوبة، أما الحديث عن التعذيب، أو الضرب، أو الجلد، أو الحبس في حق من لم يثبت بعد في حقه الحدث، فهذا أمر لا تقره الشريعة الإسلامية، باعتبار أن الإنسان في هذه الحالة بريء ولم تثبت في حقه الجناية، فإذا حدث هذا فإنه يعتبر إكراهاً له يرفضه الشرع.

وآمل - ونحن نعمل على مراجعة القوانين ونشر الإصلاحات في مجتمعنا تشريعاً وسلوكاً وقضاء واقتضاء - أن تتعدل سياسة العقاب وفقاً لنصوص الشريعة حداً، وتعزيراً

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

المائدة: ٥٠

وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله... ويشرق نور الإسلام، وقوة اليقين في قلوب الآمنين، فيخشون الله وتحيا ضمائرهم، فإنها لا تعمى الأبصار... ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. ● اللهم اهدنا الصراط المستقيم... صراط الذين أنعمت عليهم... ولا الضالين، آمين.



ليس كذلك

تأليف

د. زيجريد هونكه

ترجمة

د. غريب محمد غريب

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض
الأستاذ بجامعة الأزهر

من نعم الله - تعالى - على الإنسان - ونعمه لا تحصى - أنه يهيب، في كل زمان ومكان من يفسد على إبليس نوعه أبناء آدم أن يترصده لهم كل السبل ليضلهم ويغويهم ويخضعهم لسلطانه منذ قال - في سياق تحديده لرب العالمين -:

﴿لَأَقْضِيَنَّكَ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۚ ثُمَّ لَا يَنْتَهِيَنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُوا أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾

(الأعراف: ١٦-١٧)

فكلما أناخ إبليس بضلالاته وجهالاته على جماعة... ظهر من بينهم من يؤدى دور الشمعة فى الظلام الدامس؛ ليكون نواة الخير التى تستقطب ذوى النفوس الحيرة، فتنتشلهم من براثن الجهل والضلال بما تشعه فى قلوبهم وعقولهم من أسباب الهدى والأمان.

ولقد قدم القرآن الكريم أمثلة كثيرة لذلك المنقذ، ولعل من أبرز تلك الأمثلة.. مؤمن آل فرعون الذى أبى التسليم لفرعون بما نشره إبليس على لسانه من ضلال وقهر للناس، حتى وصل فرعون وأعوانه إلى أقصى درجات النجس فقال: أنا ربكم الأعلى.

وظن إبليس أنه بذلك أعمى أبصار الناس، فلم يعد للحقيقة وجود، وأن أحدا لن يستطيع أن يقيم لها قائمة، ولو كان نبيا مرسلا.

عندئذ نهضت تلك الشمعة لتؤدى دورها فى تمزيق نسيج هذا الظلام فى كلمات معدودات نطق بها مؤمن بالله الخالق من آل فرعون يكتم إيمانه فى

قوله:

﴿أَفَقُلْ لِّرَبِّكَ أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾

(عافر: ٢٨)

كما قدم من بيت فرعون شمعة أخرى أدت دورها بين النساء لتكشف عبث فرعون فى ادعائه الربوبية، فليس أقرب إليه، ولا أدرى بحقيقته من أمرائه التى نهضت متجهة إلى الله الخالق، متبرئة من زعم فرعون وغيره، قائلة:

﴿رَبِّائِنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتَايَ الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

(التحریم: ١١)

فكانت مثلا ضربه الله مثلا للذين آمنوا، منبها إلى أثر مثلها فى تبديد ظلام إبليس وضلالاته التى تحدى بها ربه فى شأن بنى آدم. ولقد تواصلت هذه النعمة الربانية، وظهرت فى كل زمان ومكان بأشكال مختلفة، وبأساليب متباينة، واستمرت قرونا ممتدة لتراها فى عصرنا الحديث متمثلة فى نفر من الأوربيين توجهوا إلى الاستشراق لغايات ومقاصد متعددة، فاهتدوا إلى الحقيقة التى كاد الأباليس يطمسون معالمها هناك؛ حيث برز من بين مفكرى ألمانيا طائفة هدوا إلى الصراط المستقيم؛ فبذلوا جهدا مشكورا

لمعاونة الآخرين على التعرف إلى الحقيقة، والفرار من ظلال الجهل الإبليسى.

ومن أدى هذا الدور الكاشف فى هذا العصر: الدكتور (آنا ماري شمل)، والدكتورة (زيجريد هونكه)، والدكتور (مراد هوفمان)، وغيرهم كثير.

ولقد قدمنا فى الأعداد السابقة من مجلة الأزهر واحدا من كتب الدكتور (مراد هوفمان) التى توجه بها إلى الأوربيين عامة، وإلى الألمانين خاصة معرقا بالإسلام وجدارته أن يكون بديلا يتفقد العالم من الضلالات الوضعية التى قدمها إبليس بأقلام جمع من أعوانه البشر.

ونحن اليوم نبدأ بتقديم واحد من كتب الدكتورة (زيجريد هونكه) على الطريق نفسه.

والدكتورة (زيجريد هونكه) هى ابنة العالم الألمانى (هاينرس هونكه)، ولدت فى ٢٦ من أبريل سنة ١٩١٣، وقد ذاع صيتها فى ميدان الدراسات التاريخية، والبحث فى فلسفة الحضارات، وعلم النفس الجمعى، وعلم الأديان المقارن، واللغة الألمانية وآدابها. تخرجت فى جامعة (كيل)، و(فرايبورج)، و(برلين)، وحصلت على درجة الدكتوراة سنة ١٩٤٠، ونالت جوائز وأوسمة كثيرة من ألمانيا، ومن مصر.

وإيماننا منها بفضل الشرق الإسلامى على الغرب... أسست سنة ١٩٧٣ رابطة تحمل

اسمها، وهي الرئيسة الفخرية لها.

أما كتاب (الله ليس كذلك) فقد قصدت الدكتورة به التصدي - علميا وموضوعيا - لما يلصقه الغرب بالإسلام ظلما وعدوانا، أو جهلا بالعرب وبالإسلام، قاصدة تحرير الغربيين من قبضة الفئة الاستعمارية والتشهيرية التي زيفت التاريخ، وقلبت الحق باطلا.

مغالطات غربية لتضليل الغربيين

وقد مهدت الدكتورة (زيجريد) لدراستها بالتنبيه إلى المغالطات التي يحرض بعض الغربيين على بثها ليقيموا منها سورا يحجب حقيقة الإسلام؛ فلقت النظر إلى محاولتهم حجب اسم الإسلام بإطلاق اسم (أحمديون) على المسلمين، على الرغم من أن أحدا من المسلمين لم يسم نفسه بذلك على مدى أكثر من ثلاثة عشر قرنا، ولكن الغربيين اليوم يرددون تعبير سكان إسبانيا إبان حكم المسلمين لها منذ نحو سبعمائة عام. وقد درج الإنجليزي (ويليام) على هذا في قصصه البشعة التي نسجها من خياله، وقدمها على أنها حقائق تصور هؤلاء المسلمين الذين استقروا في قرطبة التي زعم أنها مقر سلطان عبدة الشيطان، ورسم للمسلمين وللإسلام هناك صورة مخيفة مرعبة لأتباع محمد.

وتعلن الدكتورة عن دهشتها وتعجبها وخجلها من استمرار سيطرة هذا الجهل على الغربيين مع معاشتهم المسلمين في إسبانيا،

وإيطاليا ثمانية قرون، ومغالطتهم قرابة ثلاثة قرون في أثناء الحروب الصليبية، حيث لموا في رحابهم روح التسامح، والأمن، والتقدم العلمي والحضاري.

وتلاحظ الدكتورة: أن هذه المغالطات والأكاذيب بدأت بدعوة البابا (أوربان الثاني) في السابع من نوفمبر سنة ١٠٩٥ كافة فرسان الغرب إلى حمل الصليب، والزحف لتحرير قبر عيسى المقدس في بيت المقدس، زاعما أنه قد تخرب وتهدم.

وتلاحظ: أن الذي دفع البابا إلى ذلك الكذب هو رغبته في أن يحقق خطة البابا السابق (جريجوري السابع) في رأب صدع الكنيسة، وإعادة الكنيسة الشرقية المنشقة إلى حظيرة الاتحاد الكنسي من جديد، فما إن طلب منه القيصر البيزنطي (الكسيوس) أن يمدد بجيش من الفرسان والمرتزقة من نصارى الغرب لينقذوه من الجحافل التركية، حتى سارع إلى نشر تلك الأكاذيب ليدفع فرسان الغرب إلى الإسراع في معارضة القيصر، أملا في أن يحقق - بذلك - التمام الكنيسة الشرقية مع الكنيسة الغربية، على الرغم من تيقنه أن مزاعمه كاذبة؛ لأن تلك الأبنية المقدسة كانت قد تهدمت قبل أربعة أجيال، وكان قد بدأ ترميمها، وإعادة بنائها، ولم يكن هناك أي خطر يتهددها، ولكن غايته بررت له هذه الوسيلة المشينة، فاندفع في طريقه هذا، وخطط بدقة لمؤتمر كنسي، دعا لانهقاده، كي

يراصل تحريضه على قتال المسلمين ناطقا باسم المسيح، ومنتقيا عبارات شديدة التأثير في عرضه أحداثا مصطنعة لا وجود لها، مؤكدا نداءه بقوله: «ولست أنا الذي يندركم، وإنما الرب نفسه يطلب إليكم ويحذركم، بصفتكم حملة لواء المسيح، والمبشرين الداعين إليه أن تظهروا الأرض المقدسة التي يعيش فيها إخوانكم المسيحيون من أولئك الرعاع».

فكانت هذه الصيحات شرارات لا تخدم ظلت تحرك الغربيين - إلى يومنا هذا - لحرب العالم الإسلامي، والعمل الدائب على تشويه وجه العرب وصورة المسلمين.

شراك الأكاذيب والتضليل تؤتي ثمارها

وفي الفصل الأول: (إشعال نار الكراهية والبغضاء) ذكرت الدكتورة: أن البابا (أوربان) أخفى أهدافه الرئيسية وراء ما انتقاء من شعارات، وما روجها من إشاعات، صنع منها شراكا أوقع فيها الأوروبيين، وجعل منهم وحوشا ضارية، تلح عليهم شهوة الاقتراس التخفية في رداء الانتقام، دون أن يدركوا مدى تسامح المسلمين وسماحتهم التي وضحت في سلوك الحكام والعامّة، حتى إن هارون الرشيد عهد شخصا إلى القيصر الألماني (كارل) بيسط حمايته الشرقية لكنيسة القيامة، وسلم بطريركها الأكبر مفاتيح البقاع المقدسة؛ مما أشاع بين الناس هناك السماحة والاستقرار، ومما جعل

البطريرك (ثيودوسوس) من بيت المقدس يكتب رسالة إلى أخيه الروحي الأسقف (أجستايوس) في بيزنطة جاء فيها: «إن العرب هنا هم رؤساؤنا الحكام، وهم لا يحاربون النصرانية، بل يحموننا، ويؤدون عنها، ويوقرون قساوستنا ورهباننا، ويجلون قديسينا».

هذا في الوقت نفسه الذي كان الموت يترص فيه بالمسلمين في كل مكان استجابة لما أحدثته الأكاذيب والأحقاد من عدااء متوحش للمسلمين حتى أصبحت الساحة حلبة بالحروب الصليبية؛ فقد شهدت مدينة (كلير مونت) الفرنسية من الدعايات البابوية القائمة على الزيف والكيد، والتي ردها زبانية البابا في كل مكان حول المسلمين الذين أطلقوا عليهم (أعداء الرب)، وغير ذلك من الأكاذيب التي أذكت نيران العصبية، وأثارت النفوس، وألهبت الأخيلة، فانطلقوا سبلا بربريا يجرف كل السدود، ويأتي على الأخضر واليابس، فلا تقع أعينهم على مسلم إلا قتلوه، حتى ذكرت المصادر الغربية أن حصاد تلك المذبحة الوحشية بلغ عشرة آلاف ذبيح، وجساء في وصف المؤرخ الأوربي (ميشائيل درسيرر) أن البطريرك نفسه كان يعدو في زقاق بيت المقدس وسيغه يقطر دما، حاصدا به كل من وجده في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة، فأخذ يغسل يديه من الدماء اللاصقة بها، مرددا كلمات المزمور: «يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار،

ويعسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقا إن للصديقين مكافأة، وإن في الأرض إلهًا يقضى. ثم أخذ في أداء القداس قائلا: «إنه لم يتقدم في حياته للرب بأى قربان أعظم من ذلك، ليرضى به الرب».

وهكذا ملأت تلك الأكاذيب نفوس الأوربيين بالحقد والبغضاء، فانطلقوا وحوشا ضارية تحاول الفتك بالمسلمين، وتعمل على تدمير ما أقاموا من حضارات تحت عنوان (الحروب الصليبية)، فتوهم البابا وزبائنه أن آمانياتهم قد تحققت، ولكن سرعان ما فوجئوا بالهزائم المتوالية تحقيق بجيوشهم المعتدية، حيث منيت الحملات الصليبية بأسوأ هزيمة كلفت العالم على مدى قرون فقد الآلاف من البشر الأبرياء، والجنود المضللين، فزلزلت الصدمة كيان الأوربيين، وزعزعت الفرسان، وهوى الشعور بالثقة، والاعتداد بالنفس، ونفخة الكبرياء والتعالى التي خلقتها الدعايات المسمومة المشحونة بالمفت والبغضاء، مخلفة عقدة نفسية غائرة، مازالت تسيطر على العالم النصراني في الغرب إلى اليوم، وتغلق الطريق أمام كل معرفة موضوعية تتفق مع الواقع الحقيقي، دون تحيز لأى حكم مسبق، فلم تعد تستقبل من الأوربيين إلا الهجوم والتجريح للعرب المسلمين، وإلى إلصاق الأحكام الظالمة المسبقة التي لا أساس لها من الحقيقة، ولا جذور لها في الواقع.

ولكن من الأوربيين من ترفع عن ذلك

وفي الفصل الثانى: (الفروسية الألمانية والنصراني) رصدت من سجلات التاريخ أن بعض الشخصيات الألمانية رفضت الانسياق وراء الحماس المسعور الذى أججه دعاة الحروب الصليبية من البابوات بالتأكد من أن هؤلاء البابوات يستغلون الحروب الصليبية فى فرض سيطرتهم على الأباطرة والقيصرية بعد تحطيم سلطانهم، ليؤكدوا حقهم المقدس فى حكم الممالك الألمانية، معتمدين فى ذلك على الضرائب التى جبيت باسم الحروب الصليبية، حتى إنهم يدعوا من فوق منابر الكنيسة إلى شن حرب صليبية على الإمبراطورية الألمانية وأباطرتها من سلالة (شتاوفر).

ومن هنا... لجأ بعض القياصرة الألمان إلى الإسهام فى الحروب الصليبية لكي ينتزعوا السلاح السياسى من يد البابا ويتولوا زمام الأمر دونة، فلا يتمكن من شهره فى وجوههم، بل إن ثلاثة من هؤلاء القياصرة الألمان كانوا على علاقة وثيقة مع بعض السلاطين المسلمين؛ متجردة من التعصب الدينى الذى كان يشه ويرعاه أولئك البابوات وأعوانهم.

وقد برز من بين هؤلاء القياصرة (فريدريك الأول) الذى سارت العلاقات الدبلوماسية، وروح الوئام والسلام بينه وبين السلطان صلاح الدين الأيوبي فى الوقت الذى كانت تيران الحروب الصليبية فيه على أشدها، حتى إن

صلاح الدين أرسل سنة ١١٧٣ وقد إلى بلاد القيصصر فى (آخن) حاملا رسالته التى يطلب فيها يد ابنة القيصصر لابنه بهدف الرىط بين الشرق والغرب.

ولما لجأ دعاة الحروب الصليبية إلى كل وسيلة تؤجج نيران الحقد فى نفوس الغربيين ليشأروا من العرب... رفض القيصصر توسلات مبعوث البابا ثلاث مرات، دون تأثر بما سجله خطباؤهم المقوهون من العبارات المؤثرة فى كل مرة. ولما عرضوا عليه شارة الصليب رفض قبولها وأبى مشاركتهم فى خوض الحرب.

ولكنه بعد عام اتخذ قرارا منفردا بخوض الحرب دون وصاية أو تكليف بابوى، فأرسل فى ٢٦ مايو سنة ١١٨٨ إلى السلطان صلاح الدين رسالة ضمنها شكره إياه، وأسفاه لاضطراره إلى خوض الحرب ضده إذا رفض التنازل عن بيت المقدس. ثم عاد فأرسل إليه فى أول نوفمبر سنة ١١٨٩ يطلب منه الاكتفاء بمبارزة شخصية حقنا لدماء الجند.

وتقديرًا من صلاح الدين لهذه الروح... اقترح على القيصصر أن يكتفى بإطلاق سراح أسرى الفرنجة كافة، وإطلاق حرية العبادة، وحرية النصارى فى الحج، مقابل إعادة جميع القلاع والحصون التى استولى عليها الفرنجة.

ولكن الموت عاجل القيصصر فلم تتم المنازلة بين البطلين الصديقين، ولم يعرف أحد القرار الذى كان القيصصر قد اتخذه.

وجاء ابنه القيصصر (هايزن) السادس، ثم ابن

ابنه القيصصر (فريدريك) الثانى فاقتنيا خطرات الأب، حيث عقد الابن أوامر الصداقة مع صلاح الدين بحملته السلمية دون إراقة دماء. وحقق الخفيد بحملته التى لم يرفع فيها سلاحا، ولم يهرق نقطة دم... أربعة أضعاف ما كان عرضه من قبل صلاح الدين، حيث عقد مع السلطان الملك الكامل ابن أخ صلاح الدين معاهدة ضمنت المساواة التامة بين المسلمين وغير المسلمين، والاحترام المتبادل، والحرية الكاملة لليهود والنصارى والمسلمين فى إقامة شعائهم الدينية فى كافة الأراضى المقدسة، فحقق مالم يستطع أحد تحقيقه بالحرب، فوضع البابا فى موقف حرج -إزاء ما أنفقه من أموال، وما ضحى به من أرواح بريئة، دون أن يحقق أى مكسب- دفع به إلى إضرام نيران مقتته على أعلى مستويات الكنيسة للقيصصر الألمانى، حيث أنزل به لعنة الطرد من الكنيسة، وأعلن موت القيصصر بالنسبة له، ووجه جيوشه لمحاربه، وبلغ به الانحطاط درجة الذروة؛ فدبر مع فرسان المعبد خطة لاغتياله عند توجهه إلى نهر الأردن ليتعمد فى مياهه.

وهكذا... يتضح أن الفروسية النصرانية لم تعرف أى التزام خلقى -بسبب أحقاد البابا وأعوانه- حتى إن فرسان الحملة الصليبية سنة ١٢٠٤ سفكوا دم إخوانهم من النصارى فى بيزنطة، فأخذ (نيكتاس أكوينا توس) يبكى مصارعهم قائلا: «إن محاربى المسلمين الأعداء أنفسهم رحماء طيبون قياسا إلى أولئك الذين يحملون صليب المسيح على أكتافهم».

الحملة الفرنسية وبدايات الازدواجية في نموذج التقدم

لأستاذ الدكتور / محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

«فراغاً كبيراً - في الفكر والواقع - لهذا النموذج الغربي يسرح ويمرح فيه،

٢- وتيار التفريب؛

والمحاكاة والتقليد للمرجعية الغربية والنموذج الغربي في التحديث.. ولقد تميزت في داخل هذا التيار فصائل عدة، تبعاً لتمايز تيارات وفصائل المرجعية الغربية.. فعرفت بلادنا: «الليبراليين - الفرديين - الرأسماليين».. و«الماركسيين - الماديين - الشموليين».. و«القوميين - على النمط القومي الغربي» الذين أقاموا القومية على «عصبية العرق» وقطعوا روابط العروبة بالإسلام، بسبب علمانيتهم، التي تفصل الدين عن العمران، نظراً وتطبيقاً، أو بسبب اليأس من «الجامعة الإسلامية» التي كانت تعوقها عن الحركة يومئذ الأمراض والقيود التي أثقلت وأعجزت الدولة العثمانية.

ولقد جمعت بين فصائل هذا التيار: الفكرية الوضعية والمادية والعلمانية

وشعوبها من مشكلات. فالغزوة التي جاءتنا بالفكر والصحيفة والبعثة العلمية - مع المدفع والبارود والجيش والنهب الاقتصادي - قد أقامت، ببلادنا، ازدواجية في الحلول للمشكلات، وثنائية في مرجعيات مشاريع التجديد والتحديث والنهوض والتغيير.. فلم تعد الحلول الإسلامية وحدها هي النموذج والمرجع، كما كان الحال في تاريخنا الطويل.. وإنما أصبحت الحلول الغربية، والمرجعية الوضعية، والنموذج العلماني والنظريات المادية تراحم النموذج الإسلامي في تقديم الحلول لمشكلات عالم الإسلام.. وتخلقت منذ ذلك التاريخ، في واقعنا الفكري تيارات ثلاثة:

١- تيار التقليد: الذي كان له شرف المحافظة على تراث الأمة.. والرفض المطلق لكل واقع غربي.. لكنه عجز - بسبب الجمود والتقليد - عن تقديم البديل الجديد القادر على منافسة النموذج الغربي في التغيير والتحديث.. فترك

في مواجهة صدمة هذه الحملة الفرنسية على مصر [١٢١٣هـ - ١٧٩٨م]، التي كشفت حقيقة تخلفنا وتراجعنا الحضاري، عندما قورن بالتقدم الأوربي، تصاعدت الدعوات الإسلامية إلى التغيير والتجديد الذي يقدم الحلول لمشكلات الواقع والفكر الإسلامي.. وكانت كلمات الشيخ حسن العطار [١١٨٠ - ١٢٥٠هـ - ١٧٦٦م - ١٨٣٥م] التي قال فيها: «إن بلادنا لا بد أن تتغير، ويتجدد بها من العلوم والمعارف ما ليس فيها» علامة على منعطف جديد على طريق التجديد الإسلامي الحديث.

لكن هذه الغزوة الاستعمارية الحديثة لبلادنا، قد ألفت في واقعنا الفكري - لأول مرة في تاريخ المواجهة بين الغرب والإسلام - بفكرية المرجعية الغربية، ذات الطابع الوضعي والعلماني والمادي، وبالنموذج الغربي في النهوض والتغيير، وبالحلول الغربية التي قدمتها المسيرة الحضارية الغربية لما واجهته دولها

الغربية ومناهجها في النظر، ونماذجها في الحلول التي تقدمها للمشكلات.

٢- وتيار الإحياء والتجديد: وهو

الذي احتضن موروث الأمة ومرجعيتها الإسلامية في التجديد والتغيير، لكنه دعا إلى التمييز بين المتابع والأصول المقدسة والمألوفة - في الكتاب والسنة - وبين الفكر والمذاهب الإسلامية، التي اصطفت بصبغة متغيرات عصورها وتحارب أجيالها، فهي مما يستأنس بها، دون إلزام.

كما ميز هذا التيار، في «الوافد الغربي» بين حقائق وقوانين العلوم الطبيعية والتجريبية المحايدة - التي هي مشترك إنساني عام، لا يتغايّر بتغايّر العقائد والخضارات - وبين نظريات العلوم الإنسانية والاجتماعية والعقائد والفلسفات والثقافات والقيم والآداب،

التي تمتاز فيها العقائد والحضارات. ولقد رفض هذا التيار التجديدي كلا من «التقليد والجمود» الإسلامي.. والتحديث على النمط الغربي».. ودعا إلى إسلامية الحلول لمشكلات الواقع الإسلامي.. أى أنه سعى إلى التغيير، لكن بحلول إسلامية، من داخل النسق الفكري الإسلامي.

ركان البديل الغربى

وبسبب من انقسام أهل الأصالة الإسلامية - إلى مقلدين ومجددين - والصراع الذى قام بينهما، والذى أضعفهما معاً.. وبسبب من جاذبية النموذج الحضارى الغربى - الذى لم تكن قد ظهرت عيوبه وثغراته فى القرن التاسع عشر - وبسبب هيمنة الغرب على دول وأقطار العالم الإسلامى.. تخلقت للنموذج الغربى، فى واقعنا، دعوات وتيارات وأحزاب، وتبنى حلوله وأنماطه فى التحديث أعلام ومناير ومؤسسات - وكانت القوى الاستعمارية هى البائدة بإقامة ركان هذا «البديل الغربى» للمرجعية الإسلامية فى التحديث والتغيير.. ومنذ اللحظات الأولى للغزوة

الاستعمارية الغربية الحديثة لعالم الإسلام.

● لقد ألقى

«بونابرت» - إبان

الحملة الفرنسية

على مصر - خيوط

«التبعية الفكرية» لنصر من «أراذل النصارى» فى مصر - من الأقباط والطوائف الأخرى - الذين شذوا عن الموقف العام للكنيسة القبطية وأغلبية أبنائها - فكونوا «فيلقاً قبطياً» حارب الشعب المصرى مع قوات الاحتلال، وقاد هذا الفيلق «المعلم» يعقوب حنا [١١٥٨ - ١٢١٦هـ - ١٧٤٥ - ١٨٠١م] - الذى سماه الجبرتى [١١٦٧ - ١٢٣٧هـ - ١٧٥٤ - ١٨٢٢م]: «يعقوب اللعين»! - وفيلقاً من النصارى الأروام، قاده «برطلمين ينسى الرومى» - الذى اشتهر لدى العامة بـ «فرط الرمان»! -

وكما يقول الجبرتى - مؤرخ العصر - فإن فيلق المعلم يعقوب قد ضم من شباب القبط بالصعيد نحو ألفين^(١).. وشارك هذا الفيلق مع الجيش الفرنسى - الذى



بونابرت

قاده «ديزيه» - فى «فتح صعيد مصر»!.. وتدرج المعلم يعقوب فى مراتب الجيش الفرنسى فمُنحه «كليب» ورتبة «كولونيل»، وأنعم عليه «منو» برتبة «جنرال» فى مارس ١٨٠١م.

وعندما فكر «بونابرت» فى تكوين «ديوان للمثورة»، جعل لهذه الأقليات - التى اجتذبتها إلى دائرة «التبعية الفكرية».. والعمالة الحضارية - نصف عضوية الديوان الدائم والخاص^(٢).. فضم هذا الديوان: خمسة من علماء الأزهر، اثنين من التجار المسلمين.. وسبعة من الأقليات النصرانية.. ومع الأربعة عشر عضواً عدد من الفرنسيين^(٣)..!

أما الجهاز المالى والإدارى لسلطة الاحتلال - أى الحكومة الحقيقية - فلقد اختص الفرنسيون بها هذه الشريحة التابعة من أبناء الأقليات، فكانوا جهاز القهر وأدوات القمع لجمهور الشعب.. وكما يقول الجبرتى: فإن الجنرال «كليب» قد عهد إلى المعلم يعقوب «بأن يفعل فى المسلمين ما يشاء»^(٤).. حتى «تطاولت النصارى، من القبط والنصارى الشوام على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا

منهم أغراضهم، وأظهروا حقن دمه ولم يبقوا للصالح مكاناً!؟ وصرخوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين^(٥)! نعم - لقد بدأ الفرنسيون انقلاباً على «ملة المسلمين وأيام الموحدين»، استخدموا فيه شريحة من الأقليات النصرانية لإخضاع مصر لحضارتهم الأوروبية، وتغيير هوية بلادنا من الأساس.

وعلى يد هذه الشريحة التى التحقت بالعدو الغازى، بدأ أول حديث فى الشرق الإسلامى عن الالتحاق بالغرب حضارياً، وعن «استقلال» مصر عن هويتها ومرجعيتها الإسلامية. «استقلالها» عن تاريخها وتراثها الإسلامى، و«استقلالها» عن المحيط العربى والإسلامى.. وبتعبير معاصر، بدأ الحديث عن «الحداثة الغربية» كحلول بديلة للحلول الإسلامية فى التجديد والتغيير.. وهى «حداثة» نقيم «قطيعة معرفية» مع الماضى والمحيط الإسلاميين!.. مع الخضوع للتنفوذ الغربى والإحقاق بالنموذج الغربى، والتسنى للحلول الغربية فى التقدم والتحديث!.. ولقد تجسد هذا التوجه فى «وصية»

(١) [عجائب الآثار فى التراجم والأخبار] ج ٦ ص ١٤٨، ١٤٩، تحقيق: حسن محمد جومر، عمر التمسوقي، السيد إبراهيم سالم، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م.

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٤.

(٣) المصدر السابق ج ٥ ص ١٢٤.

(٤) المصدر السابق ج ٥ ص ١٣٦.

المعلم يعقوب - التي أملاها وهو على ظهر السفينة - التي أقلته مع الجيش الفرنسي المطرود من مصر - والتي توجه بها إلى إنجلترا - بعد فشل الغزوة الفرنسية - فدعا إنجلترا إلى العمل على «استقلال» مصر عن محيطها الإسلامي - العثماني يومئذ - وإخضاعها للنفوذ الإنجليزي.. فقال: «توشك الإمبراطورية العثمانية على الانهيار، ولذا فيهم الإنجليز، قبل أن تقع الواقعة، أن يلتصموا لأنفسهم من الوسائل المؤكدة ما يكفل لهم الإفادة من ذلك الحدث عند وقوعه، فيحققوا مصالحهم السياسية، وإذا كان من المستحيل عليهم أن يستعمروا مصر - كما استحال ذلك من قبل على فرنسا - فيكفى أن تخضع مصر المستقلة لنفوذ بريطانيا صاحبة التفوق في البحار المحيطة بها.. إن بريطانيا لها من مبادئها البحرية ما يجعلها تتأثر بتجارة مصر الخارجية، ويضمن لها بالتالي أن يكون لها ما تريد من نفوذ فيها.. إن مصر المستقلة لن تكون إلا موالية لبريطانيا، ومن ثم فعلى بريطانيا أن تعمل على استقلال مصر.. وهذا الاستقلال لن يكون نتيجة وعى الأمة، ولكنه سيكون نتيجة

تغيير جبرى تفرضه القوة القاهرة على قوم مسالين جهلاء!.. وللدفاع عن هذا الاستقلال - فإن المصريين يمكنهم أن يعتمدوا على قوات أجنبية تعمل لحسابهم يتراوح عددها بين ١٢,٠٠٠ و ١٥,٠٠٠ جندي، يكفون تماماً لصد الترك عند الصحراء ولسحق المماليك داخل مصر.. إن أى حكومة فى العالم أفضل من الاستبداد التركى»^(٦)

تلك كانت بواكير الدعوة إلى «استقلال» مصر عن هويتها ومرجعيتها الإسلامية.. وعن محيطها الإسلامى.. والاتحاق - بدلاً من ذلك بأوروبا..

أما رفقاء المعلم يعقوب - الذين نزلوا إلى ميناء «مرسيليا» بعد موته على ظهر السفينة فى عرض البحر - فلقد كتبوا إلى «بونابرت» - باسم «الوفد المصرى» - ووكيله «عمر أفندى» - يعرضون خدماتهم، ومنها «الولاء لبونابرت» و«التشريع لمصر التشريعات والنظم التى نرضى عنها فرنسا».. معلنين بذلك ولادة التوجه الفكرى الداعى إلى إلحاق مصر بأوروبا فى النظم والتشريعات، أى استبدال الحل الغربى بالحل الإسلامى.. فقالوا لبونابرت: «إن الوفد المصرى،

الذى فرضه المصريون الباقون على ولائهم لك، سيشرع لمصر ما ترضاه لها من نظم عندما يعود إليها من فرنسا»^(٧)

بل إن هدف الإلحاق الحضارى لم يقف عند مصر.. فلقد تحدث «رواد» هذا الاتجاه عن أن فى هذا الإلحاق مد لنفوذ فرنسا إلى أفريقيا وتحقيق غنط وحلم لويس الرابع عشر [١٦٣٨ - ١٧١٥ م] بضم الكنيسة الأثيوبية إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية - قبل إلحاق مصر بفرنسا يضمنون الاستعانة بنفوذ كنيستها القبطية على الكنيسة الأثيوبية - فكتبوا إلى وزير الخارجية الفرنسى «تاليران» [١٧٥٤ - ١٨٣٨ م] يقولون: «لقد كان لويس الرابع عشر يعمل فى الظاهر على ضم كنيسة أثيوبيا إلى الكنيسة الرومانية (الكاثوليكية)، ولكنه كان يسعى فى الحقيقة لمد نفوذه السياسى نحو أقاليم وسط أفريقيا الجذابة الغامضة. ومن ثم بذل عدة جهود - لم يقدر لها النجاح - لكى يتعلم فى فرنسا عدد من شباب

القبط المصريين؛ لأن بطريك الأقباط هو نفسه رأس الكنيسة الأثيوبية. وإذا كان الملك قد أحقق فى مسعاه، فإن الجمهورية الفرنسية اليوم - إذا أرادت - يمكنها عن طريق الأمة المصرية، التى ستكون موالية لها، مد نفوذها نحو أواسط أفريقيا.. وبذلك تحقق ما عجزت عن تحقيقه الملكية المطلقة الاستبدادية»^(٨)

فالمقاصد والغايات هى «استقلال مصر» عن هويتها الإسلامية وتاريخها الإسلامى ومحيطها العربى الإسلامى، وإحلال النظم والتشريعات الأوروبية فيها بدلاً من النظم والتشريعات الإسلامية، وجعلها بوابة التبعية الفكرية التى تربط أفريقيا بالغرب تحقيقاً للحلم الفرنسى القديم!

هكذا بدأت بواكير «الحل الإسلامى» وظلائع الحلول الغربية التى أخذت، منذ ذلك التاريخ، فى مزاحمة الحلول الإسلامية لمشكلات الأمة فى التقدم والتجديد والتغيير والتحديث.

(يتبع)

(٦) المرجع السابق، ص ١٢٩، ١٣٠ - ملحق رقم ٧.

(٧) المرجع السابق، ص ١٢١، ١٢٢ - ملحق رقم ٨ - وتاريخ هذه المذكرة ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٠١ م، ١٨ جمادى الأولى سنة ١٢٢٦ هـ.

(٨) د. أحمد حسين الصاوى [المعلم يعقوب بين الحقيقة والأسطورة] ص ١٢٢ - ١٢٥ - ملحق رقم ٦ - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٦ م.

عبد القادر الحسيني

شهيد معركة القسطل^(١)



للشاعر المطبوع الأستاذ / أحمد مخيمر

نلت الشهادة فاهنا أيها البطل
أمامك الجنة الخضراء تفتحها
السابقون من الأبطال قد دخلوا
ودوا حب الوغى لو أنهم رجعوا
يعانقون طباها، وهي هاوية
سلتقون على أنهارها زمراً
والدوح يرقص والأنوار هامية
بمثل عزمك تبني مجدها الدول
لك الدماء التي أهرقت والأسل^(٢)
والصاعدون من الأحرار قد وصلوا
ليقتلوا مرة أخرى، كما قتلوا^(٣)
كأنما الطعن في لبائهم قبل^(٤)
وقوف أرواحكم من خلفها ظل^(٥)
والطير تدنو، وتستعلي، وترتجل^(٦)

(١) مجلة الرسالة العدد ١٧٤، والأستاذ أحمد مخيمر شاعر مجيد تخرج في دار العلوم وازاول التدريس زمناً وله عدة نواوين شعرية وملاحم جيدة، توفي سنة ١٩٧٨م.
(٢) الوغى : الحرب
(٣) الطبا : جمع طقة وهي حد السيف لبائهم : صديروهم
(٤) زمراً : جماعات
(٥) النوح : الشجر العظيم

يا ابن الحسين! دموع الحزن جارية
على شبايك تكي لوعة وأسى
شمس طوتها المنايا وهي مشرقة
وزهرة من نصير الزهر ذات ندى
على ابتسامك، والهبجاء عابسة
على افتتاحك، والأبطال شاكبة
على إرادة مرهوب العزيمة، لا
كانتها هبة الأعصار جارفة
إن يقتلوك قبل الذل الذي شربوا
ملأتهم بظلام الخوف، فانطلقوا
من لا تبادره بالسيف بادره
لو لم يعنهم بنو الشامير ما حملوا
أحسن ما شهدت الأرض من أمم
للموت ما ولدوا، للقبر ما حشدوا،
الذائقون على كفيك مصرعهم
والكاذبون إذا أبطأكم صدقوا

وناره في طوايا القلب تشعل
وإن يكن لحياة الخلد ينقل
صباحاً ولم يدن من آفاقها الطفل^(٧)
لم يشيع الغل منه غصنها الخصل^(٨)
والنار تصرخ، والأسياف تقتل^(٩)
واللدماء على أبدانها سيل^(١٠)
ريث إذا طمت البلوى، ولا عجل^(١١)
ودفعة السيل، والعسالة الذبل^(١٢)
من راحتك وبالضيم الذي نهلوا^(١٣)
وفوق أعينهم من ليله سدل^(١٤)
من نفسه القاتلان الجين والوجل^(١٥)
رمحاً ولا قاتلوا لو أنهم حملوا^(١٦)
كانتهم من قرار الذل قد جبلوا^(١٧)
للخسر ما بذلوا، للضيم ما نسلوا^(١٨)
والثائون، فلا سهل ولا جبل^(١٩)
والقاتلون إذا شجعانكم عبلوا

(٦) المنايا : التوت المقل: وشك الغروب
(٨) الهبجاء : الحرب
(١٠) ريث : مشعل، طمت : غمرت وعت
(١٢) نهلوا : شربوا
(١٤) الوجل : الخوف
(١٦) جبلوا : خللوا
(١٨) أي لا مكان يجمعهم
(٧) الخصل : القتي
(٩) افتتاحك : جراحك، سيل : طرق
(١١) العسالة الذبل : الرماح اللينة المهترئة
(١٣) سدل : استار
(١٥) بنو الشامير : الإنجليز
(١٧) نسلوا : ولدوا

والحاشدون ألقوا لا غناء بها
لهم من الحرب أغلالاً ومسكنة،
يا حامي القدس من كيد يراد به
أغناك عزمك عن نظم، وعن خطب
أرسلتها كلمات منه دامية
بريقها وهي تهوي في مقاتلتهم
لو لم تكن بك قد هامت مضاربه
بكي فابكي ولم تشرح مدايمه
يرنو لشبلتك محزوناً ونائحة
قد أذهلتها النايا فهي حاسرة
لم يبق في قلبها الشويع من جلد
يا حامي القدس، دعهم يشمتون فما
في حومة المجد والأرماع مشرعة
فما جنت على ياس، كما جبنوا
ولا أدرت وجوه الخيل مذبذبة
وليس أشرف من مسوت حظيت به

يوم الصدام، وخير منهم رجل^(١٩)
وذلة ولك الأسلاب والنقل^(٢٠)
خلا العرين، ومات الضيغم البطل^(٢١)
فلم تزل بلسان السيف ترتجل^(٢٢)
حمرء أذانها الأخلاذ والقفل^(٢٣)
بلاغة خشيت لألاءها القفل^(٢٤)
لما غدا وله من حوزته ألق^(٢٥)
لما قضيت مع الباكين تنهيل^(٢٦)
وراء نعشك ثكلى شقها الخيل^(٢٧)
بين الحشود، فلا خدر ولا كليل^(٢٨)
إن الفراق بغيض ليس يحتمل^(٢٩)
يستأخر العمر يوماً إن دنا الأجل
لقيت حتفك، والأبطال تنتحل^(٣٠)
ولا خذلت على روع كما خذلوا^(٣١)
في الموقف الضنك من خوف وقد فعلوا^(٣٢)
والنصر دان إلى عينيك مقبيل^(٣٣)

(١٩) الصدام : القتال.

(٢٠) الضيغم : الأسد.

(٢١) الأخلاذ : العقول، القل : العوالي والراد بها الروس.

(٢٢) مضاربه : جمع مضرب وهو حدة. ألق : تنل.

(٢٣) شقها : انحطها.

(٢٤) جلد : صبر.

(٢٥) روع : فرح.

(٢٦) حظيت به : ظفرت به. دان : قريب.

(٢٠) أغلال : قيود. النقل : الغنائم دون قتال.

(٢٢) ترتجل : تلقى الروائع بديهة.

(٢٤) لألاءها : بريقها، القل : العين.

(٢٦) تنهيل : تسيل.

(٢٨) حاسرة : ساقرة. كليل : ستور نحيب.

(٣٠) حتفك : هلاكك. تنتحل : يرمي بعضهم بعضاً.

(٣٢) الضنك : الضيق المتأزم.

والنقع فوق رؤوس القوم يشقله
وللكماسة على أسلابهم فرح
وراية العرب تستعلى ورايتهم
يا ابن الحسين تحيات ترددها

غامرت في الشرف الأعلى فغزت به
ونلت في حومة الهيحاء ما طمحت
جنات عدن إلى لقياك ظامئة
من لؤلؤ قصرك الثاوي على شرف
والماء من ربوات الخلد يدقعه
والظل بالماء في الشيطان مقنن
وللملائك تسبيح وهنمة
فانعم بخلدك في أنباهه فرحاً

من الدماء التي أهرقتها بلل^(٣٤)
وللسيوف على أشلائهم زجل^(٣٥)
ممزق جانبيها العار والخجل
ما أشرق الصبح أو ما أبيضت الأصل^(٣٦)

وجاذباك إليه الحب والأمل^(٣٧)
يوماً إلى مثله آياؤك الأول^(٣٨)
والسابقون لدار الخلد، والرسل
يرف في ساحتيه البشر والجذل^(٣٩)
لظله الأبد المذخور والأزل^(٤٠)
والماء بالقصر دون الظل مشعل
كما ترئم شاد بالهوى زجل^(٤١)
إن الخلود جزاء أيها البطل

(٣٤) النقع : القبار. أهرقتها : أسلتها.

(٣٦) الأصل : جمع أصيل هو الوقت المعروف.

(٣٨) الهيحاء : الحرب. طمحت : تطعت.

(٤٠) ربوات : جمع ربوة وهي المكان المرتفع المزدهر.

(٤١) هنمة : صوت خلق، والراد : استغفار وتبيل. زجل : مغرد.

(٣٥) الكفاة : للفرسان الشجعان. زجل : غناء.

(٣٧) جاذباك : دافعاك.

(٣٩) شرف : مكان عال.

تركيا والأزمة الكردية

لأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد
باحث في الشؤون السياسية

العمق التركي ضد أهداف عسكرية ومدنية، كان آخرها عملية أسفرت عن مقتل ١٢ جنديا تركيا، وأسر ٨ آخرين، وذلك في الحادي والعشرين من أكتوبر ٢٠٠٧، وهو ما دفع البرلمان التركي إلى الموافقة على منح الجيش التركي الحق في القيام بعمليات عسكرية في الشمال العراقي، حيث توجد معسكرات مواقع حزب العمال الكردستاني - إذا ما اقتضت الضرورة ذلك.

وعلى الرغم من تراجع «عبدالله أوجلان» زعيم الحزب الكردستاني، بعد اعتقاله عام ١٩٩٩ عن فكرة الدولة الكردية، والاكتفاء بحكم ذاتي للأكراد، فإن هذه الدعوة فهمتها السلطات التركية على أنها ضد مبادئ «أنا تورك» واعتبرتها مقدمة للانفصال الكامل عن تركيا الوطن الأم. ومن هنا بادرت الحكومة التركية بتوقيع أكبر اتفاقية

يرى الزعيم العلماني «مصطفى كمال أتاتورك» أن وحدة الوطن الذي حارب من أجله المحاربون، هي أمانة في عنق الشعب التركي، الذي لا يرضى بالتجزئة أو التقسيم، ومن هنا تقف الدولة التركية ضد حركة حزب العمال الكردستاني الذي يطالب بفصل الجنوب الشرقي من تركيا لتأليف كيان مستقل يضم الأقلية الكردية، وقد بدأت الحركة الكردية التركية كفاحها المسلح من أجل هذا الهدف، اعتبارا من ١٥ أغسطس ١٩٨٤ تحت قيادة الزعيم الكردي «عبدالله أوجلان» وليس حزب العمال الكردستاني، الذي يقضى حاليا عقوبة السجن مدى الحياة منذ عام ١٩٩٩ بتهمة الخيانة، إلا أن هذا لم يمنع عناصر مقاتلي هذا الحزب الكردي، التي تقدر بحوالي ٣٥٠٠ مقاتل من اتخاذ شمال العراق منطلقا لتنفيذ هجمات عسكرية في

أمنية عسكرية مع حكومة البعث العراقي في عهد صدام حسين، يحق بموجبها للجيش التركي إرسال جنوده داخل أراضي كردستان، شمال العراق، مسافة عشرات الكيلومترات لمطاردة عناصر مقاتلي حزب العمال الكردستاني التركي، وبالفعل نفذ الجيش التركي نحو ٢٤ عملية عسكرية في الشمال العراقي.

واللافت أنه منذ تأسيس هذا الحزب في الثمانينيات من القرن العشرين، وهو يرفع شعار استقلال أكراد العراق، وأخذ يخوض حربا ضارية ضد الحكومات التركية المتعاقبة، وكلفه ذلك أكثر من ثلاثين ألف قتيل وعشرات آلاف الجرحى، وتدمير ما يقرب من أربعين ألف قرية، وتشريد مليوني شخص من مناطق سكنهم، واضطروا هم إلى الرحيل إلى أطراف المدن التركية حيث سكنوا في بيوت من صفيح. والحقيقة أنه لأول مرة يعترف الجنرالات الاتراك، الذين حاربوا حزب العمل الكردستاني على مدى ٢٤ عاما منذ ١٥ أغسطس ١٩٨٤، حين أعلن الحزب كفاحه المسلح، بأخطائهم التي ارتكبوها في حق أكراد تركيا، فقد أجرت صحيفة «ملييت» التركية حوارات مع جنرالات متقاعدين، ابتداء من «كنعان إفرين» قائد الانقلاب العسكري في ١٢

سبتمبر ١٩٨٠، وانتهاء بالقائد السابق لهيئة الأركان «حلمي أوسكوك»، تحت عنوان: «الجنرالات الذي أمضوا ٢٤ سنة مع حزب العمال الكردستاني» فيقول «كنعان إفرين»: «إن الخطأ الذي وقعنا فيه بعد الانقلاب في ١٢ سبتمبر ١٩٨٠، هو حظرنا اللغة الكردية، في كل مرافق الدولة، فحين كنت رئيسا للدولة قمت بزيارة إحدى المدارس الابتدائية، في إحدى قرى جنوب شرقي البلاد، وفتحت كتابا، وطلبت من أحد الأطفال الأكراد، القراءة، غير أنه لم يستطع واندحشت كيف وصل الطفل إلى الصف الرابع، ولا يعرف القراءة بالتركية! وعرفت أن المدرس كردي، ويعلم الأطفال الأكراد باللغة الكردية وحال عودتي من هناك أصدرت قرارا يحظر التكلم بالكردية وعرفت الآن، أن ذلك كان خاطئا» وهكذا أقر الرئيس الأسبق «كنعان إفرين» بأحقية أكراد تركيا بأن تكون لهم لغتهم الخاصة بهم واعترف بخطئه عندما أصدر قراره بحظر التكلم بالكردية في المدارس الكردية.

وحول جدوى الاجتياح العسكري التركي المتوقع لكردستان في شمال العراق، لضرب قواعد عناصر حزب العمال الكردستاني، صرح القائد السابق

لهيئة الأركان التركية «حلمى أوسكوك» قائلا: «يظنون أنهم بحملة تمهيط واسعة النطاق في شمال العراق، سينجزون المهمة لا، لن يستطيعوا فعل ذلك لماذا؟ لأننا في السابق قمنا بحملات تمهيطية عدة، إذ أن المقاتلين الأكراد يمتلكون خبرة وعمقا استراتيجيا، وهم دائمو الحركة، ولديهم «حقيبة» تحتوي كل حاجاتهم، يضعونها على ظهورهم، ويقطعون أكثر من ٢٠٠ كيلومتر سيرا على الأقدام، في شكل متواصل، فلا مكان ثابت لتوهمهم، أو تدريبهم، فإذا كانت الحال هذه، فأين سنتجه، هكذا يعترف القائد السابق لهيئة الأركان التركية بصعوبة تعقب عناصر مقاتلي حزب العمال الكردستاني وبالتالي استحالة القضاء عليهم بالقوة المسلحة.

وفي هذا السياق يقول الفريق أول «إيتاج بالمان» الذي كان في عام ١٩٩٨ قائد الجيش الثاني في المؤسسة العسكرية التركية، وظل حتى عام ٢٠٠٢، قائدا للقوات البرية: «إن حزب العمال الكردستاني ظهر نتيجة للمساءلة الكردية في تركيا، ولأنهم أنكروا كلا من الشعب الكردي، والمساءلة الكردية ولم يقوموا بحلها، وصلت تركيا إلى ما هي عليه الآن» ويذكر «المان» كيفية إنكارهم

للشعب الكردي في السبعينيات فيقول: «كان الأكراد يريدون فقط أن يتحدوا بلغتهم الأم، والاستماع لأغانيهم، وإحياء ثقافتهم، وكنا نعتبر مطالبهم الاجتماعية رغبة في الانفصال» وهذا اعتراف صريح من قائد أركان تركي سابق بأن سبب الأزمة الكردية التركية هو إنكار السلطات التركية للشعب الكردي والمساءلة الكردية، وماذا يضير أن يتحدث أكراد تركيا باللغة الكردية إلى جانب التركية، ما دام ذلك يعمل على إيجاد نوع من الحل للقضية والأزمة الكردية.

وفي هذا الإطار يذكر المحلل السياسي «هوشنك أوسي» في مقال بجريدة الحياة (١٣/١١/٢٠٠٧): «إن «كتعان إفرين» فجر قبلة في الأشهر الماضية في لقاء تليفزيوني على إحدى القنوات التركية حينما قال: «إن مصير تركيا هو النظام الفيدرالي، وأن لا مناص أمامها سوى التخلي عن النظام المركزي، والتحول إلى «فيدراليات» وهو ما جعله عرضة لحملة إعلامية تركية واسعة النطاق، واتهامه حتى بـ «الخيانة» وتبنيه لأطروحات وأفكار «عبدالله أوجلان» حول طبيعة الحكم في تركيا».

ومن جانب آخر، بادر رئيس حكومة كردستان «نجير فان بارزاني» بعد عودته

من الولايات المتحدة إلى طرح أفكار حيوية لحل الأزمة الكردية التركية، وكان سيقا إلى إغلاق مكاتب حزب العمال الكردستاني في أربيل ودهوك والسليمانية كما بذل جهودا كبيرة على سبيل إطلاق سراح الجنود الأتراك الثمانية الذين أسرههم حزب العمال الكردستاني في عملياته العسكرية في ٢١ أكتوبر ٢٠٠٧، وطالبه بوقف نشاطاته العسكرية ضد الدولة التركية، وقد نشرت حكومة كردستان العراق، شبكة واسعة من نقاط للتفتيش والسيطرة العسكرية على الطرق المؤدية إلى جبال قنديل وخواركورك لمنع وصول الأسلحة والإمدادات إلى عناصر مقاتلي حزب العمال الكردستاني.

وفي هذا السياق يرى بعض المراقبين أن ثمة عوامل ثلاثة لها تأثير عميق في التحول الجارى في سياسة تركيا الإقليمية إزاء الأزمة الكردية.

الأول: قلق تركيا من قيام إقليم كردستان العراق بالتوقيع على سبعة عقود للتنقيب عن النفط في المنطقة الخاضعة لسيطرتها مع شركات أجنبية دون الرجوع إلى حكومة بغداد المركزية، وهو ما تعتبره تركيا اتجاها متصاعدا لدى حكومة كردستان العراق للانفصال عن الحكومة المركزية في بغداد العاصمة وهو ما تخشاه

تركيا من أن يقوم أكرادها في جنوب شرقي البلاد بتبني النموذج الكردستاني العراقي، والانفصال عن الدولة التركية.

والثاني: هو مخاوف أنقرة من تنامي الدور الإيراني في العراق إلى جانب مشروعها النووي الذي يداعب تطلعات شعوب المنطقة، وهو ما قد يكون في نظر تركيا مدعاة للتمسك بضرورة اجتياحها للشمال العراقي والبقاء في بعض المواقع لتحقيق قدر من التوازن مع النفوذ الإيراني المتصاعد في العراق.

والثالث: خشية الأتراك من أن تكون واشنطن عازمة على استخدام حزب العمال الكردستاني كورقة ضاغطة على تركيا بالعمل على ترسيخ وجود هذا الحزب في شمال العراق ليكون ميقا مسلطا على الرقبة التركية؛ خصوصا أن الجنرال الأمريكي «تومى فرانكس» - الذي قاد الحرب على العراق - أقسم أن يدفع قادة تركيا الصاع صاعين، حين رفضوا إنزال الفرقة الرابعة الأمريكية في أراضيهم قبل الحرب الأمريكية على العراق بأيام قليلة، وهو يفسر رفض القوات الأمريكية في البداية طرد مقاتلي حزب العمال الكردستاني من شمال العراق.

وعلى الجانب الآخر سارع «حزب المجتمع الديمقراطي» الجناح السياسي

حزب العمال الكردستاني والذي له مجموعة برلمانية مكونة من ٢٢ عضواً في البرلمان التركي - إلى الإعلان عن «خريطة طريق» لإغلاق الملف الكردي في تركيا، وذلك برفع سقف مطالبه من «مطالب ثقافية» إلى ما يقارب الحكم الذاتي من خلال تقسيم تركيا إدارياً، إلى محافظات، وإقرار ذلك في الدستور الجديد، وتحت هذا السقف، الذي وضعه هذا الحزب الكردي الوليد منذ عام ٢٠٠٦، سيبدأ التفاوض السياسي داخليا حول المقابل الذي سيتخلى من أجله حزب العمال الكردستاني التركي عن سلاحه ومن المعروف أن «حزب المجتمع الديمقراطي» الكردي هو الحزب الذي رفض بشدة اتجاه الحكومة التركية للقيام بعمليات عسكرية ضد حزب العمال الكردستاني، كما أنه رفض اعتبار هذا الحزب الكردستاني «منظمة إرهابية» كما تصفه تركيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي الذي رفع الادعاء العام التركي دعوى إلى المحكمة الدستورية التركية يطالب فيه هذه المحكمة بإصدار قرارها بحظر نشاط «حزب المجتمع الديمقراطي» الوجه السياسي لحزب العمال الكردستاني. لقد استنكر زعيم الحزب السياسي «نورالدين دميراطاس» الدعوة

المرفوعة من النيابة العامة بحظر نشاط الحزب قائلا: «إن ذلك يتنافى مع مبادئ الديمقراطية التي تتغنى بها تركيا». والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو «تري ماذا يمثل حظر نشاط حزب المجتمع الديمقراطي الكردي في حال إقرار المحكمة الدستورية بذلك؟ ويرى محللون أنه لو تم حظر نشاط هذا الحزب الكردي فإن ذلك سيؤدي إلى تفاقم الأزمة الكردية ويعكس في الوقت نفسه ردة في مسيرة الحياة الديمقراطية التركية، وانتهاكاً لها.

وفي إطار السعي إلى إيجاد حل للأزمة الكردية التركية، عادت واشنطن - لأهداف تراها - إلى طرح عرضها القديم بإنهاء حزب العمال الكردستاني، الذي شكل الحجة الكبرى لتدخل تركيا في شمال العراق، فقد كان «جلال طالباني» زعيم الاتحاد الوطني الكردستاني قد طرح عام ٢٠٠٢ مشروع صفقة، على أنقرة، بدعم أمريكي وأوروبي، يقضي بإعطاء قيادات حزب العمال الكردستاني لجوءاً سياسياً في السويد، وعودة بقية عناصر الحزب، صغار السن الذين لم يشاركوا في القتال، إلى تركيا في مقابل عفو عنهم، وأن يسلموا سلاحهم إلى الإدارة الكردية في شمال العراق، لكن الجناح العسكري

في مجلس الأمن التركي، رفض العرض الذي أبدت الاستخبارات والحكومة التركية استعدادهما لقبوله، لكن يبدو أن الجيش التركي لا يريد إغلاق الملف الكردي، حتى يمكن من خلاله، أن يضبط تطورات إقليم كردستان العراق، ويمنع التحضير لقيام «دولة كردية» فيه عبر الوجود العسكري التركي المستمر على حدوده، بحجة مراقبة حزب العمال الكردستاني المتمركز هناك، وقد تعمد الجنرال «يشاربيوك أنيت» قائد الأركان التركي أن يحول أنظار الأتراك إلى شمال العراق فيقول: «إن الحل الوحيد للأكراد لقطع دابر هجمات حزب العمال الكردستاني المتواترة ضد تركيا، يكمن في دخول شمال العراق للقضاء على معسكرات الحزب هناك» وجاء هذا التصريح ليقطع الطريق على محاولات كانت تجري سرا بين أنقرة وأربيل للنصيدي لحزب العمال الكردستاني والحديث عن مستقبل العلاقات بين تركيا وكردستان العراق، خصوصاً أن أنقرة ترفض الاعتراف بفيدرالية شمال العراق، كما أن اقتراح الجيش التركي دخول شمال العراق، كان هدفه إحراج الحكومة التركية التي تفضل التنسيق مع واشنطن وأربيل عاصمة إقليم كردستان، حتى لا

تخسر صديقا وحليفا مهما كواشنطن وإذا عدنا إلى الهجوم غير المسبوق من جانب عناصر حزب العمال الكردستاني في الحادي عشر من أكتوبر ٢٠٠٧ ضد القوات التركية الذي راح ضحيته ١٢ جندياً تركيا، وأسر ٨ آخرين نجد أن هذه العملية العسكرية وضعت تركيا أمام خيارين مؤلمين.

الأول: وقوف تركيا مكتوفة اليدين، منتظرة من حليفها الأمريكي التحرك لإنقاذها من هذا المأزق الذي وضع أنقرة في حرج من أمرها.

والثاني: أن تدخل تركيا شمال العراق في مجازفة غير محسوبة، قد لا تؤدي بالتأكيد إلى القضاء على حزب العمال الكردستاني، بل قد تفجر صراعا تركيا كرديا في المنطقة، لا يعلم مداه إلا الله.

ومن هنا جاءت تصريحات رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» يوم الجمعة ٣٠ / ١١ / ٢٠٠٧، تحمل الإجابة الشافية حيث قال في معرض تصريحاته للصحفيين: «تعلمون أننا حصلنا من البرلمان على «رخصة» في ١٧ أكتوبر ٢٠٠٧، تخولنا إعطاء الجيش صلاحية القيام بتدخل عسكري، خارج الحدود التركية. وفي ٢٤ من نفس الشهر بعثنا

«رسالة خطية» إلى رئاسة الأركان العامة لإبلاغنا بكل احتياجاتهم بخصوص العمليات العسكرية ضد حزب العمال الكردستاني» فأبلغونا بدورهم برسالة يعثوها إلينا في أول نوفمبر الماضي، وفي أعقاب اجتماع مجلس الوزراء، عقد يوم الأربعاء ٢٨ نوفمبر، متحنا تخويلاً بمصادقة رئيس الجمهورية، للقوات المسلحة، للقيام بالعمليات خارج الحدود» وهكذا منح البرلمان التركي، الجيش التركي رخصة اجتياز شمال العراق، وكأنه أمر مباح دولياً انتهاك سيادة دولة أخرى بحجة الدفاع عن النفس.

ومن ناحية أخرى أعلن الرئيس الأمريكي «جورج بوش» في الخامس من نوفمبر ٢٠٠٧ عقب لقائه رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» في واشنطن أن حزب العمال الكردستاني يمثل «عدواً مشتركاً» لكل من أمريكا وتركيا» ومن ثم قامت الإدارة الأمريكية بممارسة ضغوط مكثفة على حكومة بغداد المركزية، وحكومة إقليم كردستان بضرورة وقف الدعم لمقاتلي حزب العمال الكردستاني، الشيء المهم في هذا الشأن، هو الاتفاق الأمريكي - التركي على تشكيل آلية ثلاثية مؤلفة من نائب رئيس الأركان الأمريكي الجنرال «جيمس كارترايت»، وقائد القوات الأمريكية في العراق الجنرال «ديفيد بترابوس» والجنرال التركي «أرغين سايقون» لتنسيق المواقف العسكرية بين الجانبين، وتزويد تركيا بالمعلومات الاستخباراتية ضد متمردي حزب العمال الكردستاني في شمال العراق ويرى المراقبون العسكريون أن الدلائل تشير إلى أن العمليات العسكرية، التي سيقوم بها الجيش التركي بصعب توسيع نطاقها على الأقل في الوقت الحالي، وستظل على نحو خاص، مقصورة على ضربات الجوية، وإزاء تحركات عناصر مقاتلي حزب العمال الكردستاني التركي، دون اللجوء إلى عملية توغل برية في شمال العراق. والجدير بالذكر في هذا السياق أن الاتفاق الذي أبرم بين الرئيس «جورج بوش»، ورئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» في الخامس من نوفمبر ٢٠٠٧، في واشنطن، أشار إلى أنه في حال قيام تركيا بأية عملية عسكرية في شمال العراق، يتوجب فيها، تفادي ضرب أي مواقع أمريكية، أو للبعثميركة الكردية، التي تمثل جيش إقليم كردستان ولا ضرر من أن تلجأ قيادات حزب العمال الكردستاني التركي إلى الدول الاسكتندنافية، أو أن يتقوا في شمال

العراق لكن تحت مسمى آخر، وهو «حزب بيجاك» الذي سيمتد في هجماته ضد إيران، واللافت أنه في ضوء الإجراءات التي اتخذتها حكومة كردستان العراق لوقف نشاط المتمردين الأكراد في شمال العراق، قال «نجير فان بارزاني» رئيس حكومة كردستان العراق: «اتخذنا إجراءات في المطارات، لمنعهم من السفر عبرها، وزيادة المراقبة على «مخيم مخمور» - الذي يضم عائلات كردية تركية، تشرف عليه الأمم المتحدة، ويقع جنوب أربيل - لمنعهم من التنقل، وتشديد الإجراءات في نقاط التفتيش للحيلولة دون وصول الإمدادات إليهم» ومن اللافت للانتباه أنه يوجد في إقليم كردستان العراق، مطاران رئيسيان، أحدهما في أربيل العاصمة، والآخر في السليمانية. وفي الختام يمكن القول بأن الأزمة الكردية التركية، ربما تظل تراوح مكانها بدون حل في المدى القريب، فقد أعلن «جميل بابيك» القيادي في حزب العمال

الكردستاني، رفضه عرض رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» بالتخلي عن السلاح، وحل القضية الكردية في البرلمان، فقال «بابيك» في حديث إلى «وكالة دجلة» الكردية: «إن العرض يهدف إلى تصفية حركة التحرير الكردية في المنطقة، وهذا لن يحصل أبداً» غير أن حزب العمال الكردستاني عرض مؤخرًا استعداداً لإلقاء سلاحه، ووقف إطلاق النار، في مقابل إعلان أنقرة، العفو العام عن مقاتلي الحزب، والاعتراف بالهوية الكردية، واللغة الكردية إلى جانب اللغة التركية، والإفراج عن جميع قيادات الحزب في السجون التركية، والسماح لهم بالمشاركة في الحياة السياسية. لكن يبدو أن تركيا عازمة على تصفية حزب العمال الكردستاني، في حال رفضه إلقاء السلاح ووقف إطلاق النار، فقد أكد الرئيس التركي «عبدالله جول» مجدداً، استعداد تركيا، وحققها في التدخل في شمال العراق.

الماسونية حكومة العالم الخفية

للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق
باحث في الدراسات الإسرائيلية

يروج صهاينة اليهود لمجموعة من الأساطير التي يتضردوا بها عن سائر شعوب العالم قاطبة، بدءا بشعب الله المختار، ومرورا بنقاء اليهود العرقي والحضاري وعدم اختلاطهم بالشعوب، وفكرة المسيح المنتظر الذي سيخلص اليهود من الشتات عبر السنين. وغيرها من مزاعم، فاليهود كانوا دائما أقليات متفرقة لا يربطها رباط حضاري واحد فنراهم قد قاتلوا بعديد من الحضارات والشعوب وتزاوجوا مع غيرهم من الشعوب.

منظمة يهودية

وقد بذلت الصهيونية قصارى جهدها واستغلت كل الطرق لهدف كانت تسعى إليه وهو حتمية إنشاء دولة صهيونية مستقلة.

وبعد احتلال الأرض وإقامة الدولة العبرية التي لا حدود لها أجمع حكامها بأن كل ما تحتله إسرائيل من أراض وتحافظ

وتفصح هذه المزاعم نظرة واحدة إلى مختلف الأقليات العرقية اليهودية في إسرائيل، فيهود الغرب «الاشكناز» الشقري لا ينتمون إلى يهود «الفلاشا» أو حتى يهود المشرق الإسلامي، وكذلك أسطورة النقاء الحضاري، فقد تأثروا بالمسيحية والإسلام عبر مراحل التاريخ اليهودي وحتى الحديث منه وهذا كلام موسى بن ميمون أهم مفكر ديني عندهم.

عليه يدخل ضمن حدودها!

وذن العرب والعالم أن ما فعلته إسرائيل هو نهاية المطاف، ولكن اتضح أن الصهيونية تسعى لما هو أبعد من هذا، إنها تسعى لاحتلال العالم أجمع تحت حكومة صهيونية واحدة وقد سعوا لتحقيق هذا الهدف، وكان التلمود بداية الطريق والماسونية تكمله له.

والماسونية: منظمة سرية يهودية ظهرت قبل الميلاد ولا تزال تمارس نشاطها حتى الآن واستطاعت استقطاب الكثير إلى صفوفها وهناك أكثر من ستة آلاف محفل ماسوني في العالم تخضع لإشراف الخلل الماسوني الأعظم في إنجلترا.

القوة الخفية

وقد أسس اليهود الماسونية اليهودية سنة ١٣٤٣ م، وأطلقوا عليها «القوة الخفية» وقد اعتبر الملك «هيرودس» بوزيره «حيرام» وقال لجماعته بأن «حيرام» أول من عرض فكرة تأسيس هذه الجمعية، وشكل الملك الجمعية ونصب نفسه رئيسا و«حيرام» نائبا و«مؤاب» كاتب سر وستة أعضاء مؤسسين وذلك في شهر يونيو سنة ١٣٤٣ م.

وقد هاجم الملك «هيرودس» المسيح عليه السلام- في أول خطبة له وأنه ليس المسيح المنتظر اليهودي والذي يحتفظ

اليهود بعلامات نجسته وردت في التوراة كما يدعون.

وعناية الماسونية العالمية هي إقامة أو إعادة بناء هيكل سليمان واعتلاء ملكهم أو مسيحهم المنتظر كى يحكموا العالم بواسطة ذلك المسيح المزعوم والذي من أجله أنشئت الماسونية وبتأسيسها ويديرها مجلس الثلاثمائة أو نادى الثلاثمائة.

إذن فالماسونية بنيت على بعض التقاليد الإسرائيلية الواردة في التوراة وتؤكد دوائر المعارف على أن الماسونية هي مؤسسة بشرية يكون أعضاؤها جمعية سرية.

وقد نجح الماسون اليهود في اختراق المسيحية منذ نشأتها وأضفوا عليها نظامهم الكهنتوتى من الأسرار والألقاب والملابس والصلوات.

الهيكل وشعار الأفعى!!

ويقولون إن نشأة الماسونية كانت في هيكل سليمان، وأنها تسعى لإعادة بنائه للمرة الثالثة، وأن الطقوس الماسونية مستمدة من التوراة، والماسونية في فكرهم بديل عن الدين والمشاحنات بين الأديان.

ويقول حنا أبر راشد عميد الماسونية في الشرق: «إنها يهودية في بعض طقوسها، وإنها مسيحية لأنها تدعو إلى

المحبة وإنها إسلامية لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر».

ويقول يوسف الحاج - في كتابه «في سبيل الحق، هيكل سليمان» الذي اعتلى أرقى المناصب الماسونية ثم هداه الله وعاد إلى رشده وكتب كتابه وفيه فضح الماسونية وسر غورها - «الأسماء الواردة في الدرجات الرمزية كلها يهودية حتى شعار الأقعي فهو رمز لقصة سيدنا موسى عليه السلام، وجميع النقوش الموجودة في المحافل الماسونية لها جذور يهودية وهدفها هو إعادة بناء الهيكل السليمانى المزعوم وإعادة مملكة بنى إسرائيل إلى الوجود».

ودرجات الماسونية الثلاث والثلاثون يهودية صهيونية واللون الأزرق الذى اتخذته الماسونية هو راية إسرائيل والنجمة السداسية نجمة إسرائيل وللقاعة مواصفات خاصة وكل عضو له مكانه المحدد سلفا للجلوس فى القاعة وهناك مراسم خاصة لتنصيب عضو جديد وقد أثار اختراق الماسونية للمسيحية وإدخال صلواتهم فى الكنائس والكاتدرائيات سخط البعض واستياءهم وكما ينتقل العضو من درجة إلى درجة أعلى، عليه المرور بعدة اختبارات وطقوس خاصة جدا يلحق خلالها ببعض الأسرار الخاصة بالجماعة.

ومما لا شك فيه فإن الماسونية تجذب عددا كبيرا من يهود الطبقة المتوسطة فى البلاد الرأسمالية الذين يودون الهرب من ديانتهم القومية إلى دين جديد رحب، وهم يجدون فى الماسونية ضالتهم المنشودة، إذ أنها أشبه «بالدين الطبيعى» الذى يحاول أن يصل إلى فكرة الألوهية والخلود من خلال التأمل الفردى دونما حاجة إلى وحى إلهى منزل أو كتب مقدسة وهذا «الدين الطبيعى» هو حلم مفكرى عصر الاستنارة البورجوازية أمثال فولتير وروسو.

وقد اعترفت اليهودية صراحة بصيغ الماسونية بالروح اليهودية، ففى كتاب «الحقيقة الإسرائيلية» المطبوع سنة ١٨٩١م: «الروح الماسونية هى نفسها الروح اليهودية لا اختلاف فى معتقداتهما الأساسية».

الولايات المتحدة.. مركز الماسونية

وقد رأى اليهود أن يجعلوا مركز الماسونية الأعلى فى الولايات المتحدة الأمريكية فسيطرت على سياساتها الداخلية والخارجية وصار رؤساء الولايات المتحدة وأكبر رجالات السياسة والإدارة والحرب خاضعين لنفوذ الماسونيين ومن سولت له نفسه أن يشذ قمصيره تشويه السمعة أو القتل.

ومن أقدم الكتب فى الماسونية «كتاب القوانين» للدكتور «جيمس أندرسون» طبع فى لندن ١٧٢٣م، والمعروف والثابت أن جيمس يهودى سواء أكانت يهوديته أصلية أم تهود، ويزعم فى هذا الكتاب أن الأستاذ الأكبر للماسونية هو موسى عليه السلام - وهو الذى أنشأ الخفل الماسونى ونظم صفوف الإسرائيليين ووحدهم فى محفل ماسونى منظم عندما كان فى التيه.

وأعاد طبع كتابه ١٧٣٨ وأهداه إلى الأمير ويلز بصفته كبير الماسونيين.

وطوال القرن التاسع عشر عملت اليهودية جاهدة على أن تطوى محافل الماسونية فى العلم وتحولت إلى مؤسسة يهودية خالصة وانتزعوها من المسيحيين انتزاعا.

وقد نال درجة ثلاثة وثلاثون من الطبقة الثانية «الماسونية الملوكية» كل من: تشرشل، بلفور، ترومان. وما ينال هذه الدرجة إلا كل من خرج على وطنه وأمه وأخلص لليهودية.

ومن الماسونية الكونية: «هوتزل» مؤسس الصهيونية.

وما يزال العرب اليوم الأمة الوحيدة فى العالم التى تقاوم الماسونية وتجاهد فى إصرار وعناد، وإن كانوا قد استيقظوا سياسيا فإنهم لم يفتنوا بعد لكل أساليب الماسونية التى أفست الأخلاق وأضعفت صوت الدين فى العالم العربى والإسلامى. أما المسيحية فلم تعد قادرة على الحماية والحراسة والإنقاذ لأن اليهود أفرغوها من محتواها الإلهى.

تساؤلات مهمة

ولم ينس اليهود هيكلهم الذى دمره البابليون «العراقيون»، وهذا هو سر عداة إسرائيل الحالى لهم بسبب تدمير الهيكل؟

هل ما يحدث فى العراق اليوم للماسونية يد فيه؟

هل السبى البابلى لليهود ٧٢٢ ق.م تحول إلى انتقام لبابل ومن فيها؟ سؤال مستجيب عنه الأيام.

ظرائف.. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد المحليم

العدل

دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال الزهري: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعية كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات.

قال الزهري: هذا باطل يا أمير المؤمنين، أنبي خليفة أكرم على الله، أم خليفة غير نبي؟ قال: بل خليفة نبي: قال الزهري: فإن الله يقول لنبيه داود:

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَخُذْ بِمَا آتَيْنَاكَ الْحَقَّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾

(ص: ٢٦)

فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبي؟ قال أمير المؤمنين: إن الناس ليغرونا عن ديننا.

الحسد

الحسد: تمنى زوال نعمة المحسود وحصول الحاسد على مثلها. ومن أحسن ما قيل فيه من الشعر قول الشاعر:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم

غيري من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم

ومات أكثرنا غيظاً بما يجد

وقال شاعر آخر:

اصبر على حسد الحسود

دفع إن صبرك قاتله

النار تاكل بعضهما

إن لم تجد ما تأكله

الحاجة

دخل محمد بن واسع على بعض الأمراء فقال: «أتيتك في حاجة فإن شئت قضيتها وكنا كريمين، وإن شئت لم تقضها وكنا لثيمين». أراد إن قضيتها كنت أنت كريماً بقضائها، وكنت أنا كريماً بسؤالك إياها، لأنني وضعت الظلمة في موضعها، فإن لم تقضها كنت أنت لثيماً بمنعك، وكنت أنا لثيماً بسوء اختياري لك، فأخذ أبو تمام هذا المعنى وقال:

عباس إنك للثمين وإنني

مذ صرت موضع مطلب للثمين

قال: ما حاجتك أبا عبد الله؟ قال: أن يكتب إلي أبي موسى بن عبد الملك في تعجيل أرزاقه، فأجابه إلى طلبه. فأنشد سوار يقول:

فيايك أيمن أبوابهم

ودارك ما حولك عامره

وكفك حين ترى المجتدين أئدي من الليلة الماطرة

حلم معاوية

قال معاوية لأبي الجهم العدوي: أنا أكبر أم أنت؟ فأجابه: لقد أكلت في عرس أمك يا أمير المؤمنين. قال معاوية: عند أي زواجها؟ قال عند حفص بن المغيرة.

فقال معاوية: يا أبا الجهم إياك والسلطان، فإنه بغضب غضب الصبي وبأخذ أخذ الأسد.

وأبو الجهم هذا هو الذي قال في معاوية:

نغضبه لنخبر حالتيه

فتخبر منهما كرمنا ولينا

نميل على جوانبه كأننا

نميل إذا نميل على أبينا

وقدم عقبة الأزدي على معاوية ودفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات:

معاوي إننا بشر فأسجح

فلنا بالخيال ولا الحديد

أكلتم أرضنا فجردتموها

فهل من قائم أو من حصيد

أستطمع بأخلود إذا هلكنا

وليس لنا ولا لك من خلود

فهبنا أمة هلكت ضياعاً

يزيد أمبيرها وأبو يزيد

فدعا به معاوية وقال: ما جرأك علي؟ قال

تصحتك إذ غشوك وصدقتك إذ كذبوك. فقال

له معاوية: ما أظنك إلا صادقاً وقضى حاجته.

مخاطبات

قام رجل إلى عمرو بن العاص وإلى مصر وهو يخطب يوم الجمعة، وقال له: يا أيها الأمير من أمك؟ فأجابه عمرو قائلاً: هي النابغة بنت عبد الله أصابتها رماح العرب، فبيعت بعكاظ، فاشترأها عبد الله بن جدعان للعاص بن وائل، فولدت فأنجبت! فإن كانوا جعلوا لك شيئاً فخذة!

وقام رجل إلى هارون الرشيد وهو يخطب بمكة فقال:

﴿كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ أَهْلِهِ أَنْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

(الصف: ٣)

فأمر به فضرب مائة صوت؛ فبات هذا الرجل يئن الليل كله من ألم الضرب وهو يقول: الموت الموت! فأخبر بذلك أمير المؤمنين هارون وقيل له إنه رجل صالح. فأرسل إليه يعتذر إليه ويستحله، فأحله.

الإخوان

قال الأحنف بن قيس: خير الإخوان من إن استغفرت عنه لم يزدك في المودة، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها، وإن كوثر عتدك، وإن استرفدت رفقك.

وأشد: أخوك الذي إن تدعاه للممة يحبك وإن تغضب إلى السيف يغضب ولما صارت الخلافة إلى المنصور كتب إليه رجل من إخوانه كتاباً فيه هذه الأبيات:

إنا بظانك الألى
كنا نكابد ما نكابد
ونرى فنعرِف بالعدا
وة والبعد لمن تباعد
وتبليت من شفق عليك
رئيسة والليل هاجد
فوقع أبو جعفر على الكتاب: صدقت، ودعا به فأخذه بإخوانه.

اتقاء الذم

روى عن الحسين بن علي - رضي الله عنهما - أن شاعراً مدحه فأجزل ثوابه، فلامه بعض أصحابه على ذلك فقال:

«أتراني خفت أن يقول: لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله، ولا ابن علي بن أبي طالب؟ ولكني خفت أن يقول: لست كرسول الله ﷺ، ولا كعلي - رضي الله عنه -، فيصدق ويحمل عنه، ويبقى مخلداً في الكتب، محفوظاً على ألسنة الرواة».

فقال الشاعر: أنت والله يا ابن رسول الله أعلم بالمدح والذم متى.

وقد أثر عن أخيه الحسن مثل ذلك فقد روى أنه أعطى مالا كثيراً، فقيل له: أنعطى شاعراً يعصى الرحمن ويقول البهتان؟ فقال: أن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك، وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر.

دعاء

اللهم آدم بفضلك نعمتك علينا، والطف بنا فيما قدرته علينا، واعطنا من واسع رزقك الحلال ما تصون به وجوهنا عن التعرض لذل السؤال أنت المعطي الوهاب الرزاق بغير حساب.

بِالله

الصحف

9

المجلدات

إعداد

محمود الفشني

علاء عبد الرحمن

اغتيال بينظير ومستقبل باكستان

في يوم ٢٨ / ١٢ / ٢٠٠٧م تم اغتيال بينظير بوتو رئيسة وزراء باكستان «السابقة» وزعيمة حزب الشعب الباكستاني وقد عقب الكتاب والصحفيون على هذا الحدث... تذكر بعضاً من هذه التعليقات والتحليلات:

بوتو والسقوط في هاوية الفساد

لا يكاد يذكر اسم بينظير بوتو إلا ونشد كره على الفور والدها ذو القهار على بوتو، ورئيس وزراء باكستان، أوائل السبعينيات، فلقد ارتبط اسمها به ليس فقط لكونه والدها، ولكن لأنها ورثت عنه التحديث والديمقراطية والتفتح على العالم الأخرى، وقد صقلت كل ذلك بدراساتها التي أتمتها في جامعتي أكسفورد وهارفارد، لم توث بينظير من والدها السياسة فحسب ولكنها ورثت منه المصادقية التي هي أهم من السياسة نفسها لذلك لم تحتل رؤية والدها على حبل المشنقة عام ١٩٧٧، بعد اتهامه بالقتل، فشرعت في إنشاء مكتب حزب الشعب الباكستاني في العاصمة البريطانية لندن وكانت مهمتها الرئيسية آنذاك هي مهاجمة الجنرال ضياء الحق الذي أعاد والدها، وفور أن رحل ضياء الحق عن الحياة إثر انفجار طائرته عام ١٩٨٨ فقزت فوراً على كرسی رئاسة الوزراء الباكستاني، ذلك الكرسي الذي يحمل عبق تاريخ والدها. ولكن تسبب طمع زوجها آصف زرداری في اتهامها بالفساد وإقالتها من منصبها الذي تولته وكانت الأولى عام ١٩٨٨ والثانية عام ١٩٩٣ كانت بينظير ولا تزال تمثل للعالم كله كارتزما نسائية سياسية، ولكن يبدو أن النجاح الزائد في بعض الأحيان يكون هو المنحنى الذي يقذف بصاحبه في مستنقع الفساد.

الأهرام العربي

٢٩ / ١٢ / ٢٠٠٧م

بنت موت

قالت بينظير بوتو: لقد وضعت حياتي في خطر حين جئت إلى هنا، هكذا أنهت بوتو خطبتها في مدينة روالپنڊى.

إن اسم بينظير بوتو عبارة معناها السيدة التي ليس لها نظير، وقد كانت كذلك.

ولدت سنة ١٩٥٣، ودرست في أكسفورد، وعاشت في بيت في أحضان أب يشتغل بالسياسة ويعرف معنى الحرية وهو ذو الفقار علي بوتو. وهكذا رحلت امرأة ليس لها نظير.. امرأة كانت تطالب الجنرالات بالعودة إلى ثكناتهم وترك السياسة للسياسيين، كما كانت تطالب باحترام الدستور، وعدم اعتباره مطية يركبها الحاكم، كما كانت تعارض امتلاك الأحزاب ميليشيات مسلحة، كما كانت تطالب بإسقاط الدويلات القائمة في الأقاليم، ودعت إلى نشر قيم الاعتدال والتقدم، وكانت هذه الأفكار النبيلة هي التي قتلت صاحبها أخيراً.

أحمد بهجت

الأهرام ٢٠٠٧/١٢/٣٠

بوتو.. اغتيال حلم

قالت بينظير بوتو: «أنا بحاجة أن أعيش ما تبقى من عمري في باكستان وسط شعبي.. أنا بحاجة إلى أبناء بلدي.. ولن يمنعتني أي شيء عن خدمة باكستان والباكستانيين.. سأعمل على إعادة وحدة الشعب، وإعادة الديمقراطية، والمساعدة في إخماد نار التطرف، فلا يمكن أن نظل الديمقراطية عبثية والصراع قائماً والقتل سيد الموقف والضحية هو الشعب..»

جيلان الجمل

الأهرام ٢٠٠٧/١٢/٢٩

هل قتلها كلماتها؟!

ولكن الأرجح طبقاً لبعض الآراء أن بينظير هي التي وضعت نفسها في صراع علني مع تنظيم القاعدة والعناصر الأصولية، حين اتهمت الرئيس

مشرف بأنه لم يفعل شيئاً للقضاء على هذه العناصر. ووصفت المدارس الدينية التي تغذي صفوف القاعدة وطالبان بأنها تخرج أطفالاً ليكونوا قتلًا. ووعدت بأنها إذا فازت في الانتخابات، فسوف تسمح للقوات الأمريكية بضرب التنظيمات الإرهابية التي تؤويها القبائل الباكستانية على الحدود. ووصفت بوتو هذه القبائل بأنها تعيش في العصور الوسطى ولا تخضع لأي نظام سياسي أو قانوني، وأنها عازمة على تغيير البناء الاجتماعي لهذه القبائل والارتقاء بمسؤولها.

وهكذا فليس من المستبعد أن تكون تصريحات بوتو الهجومية التي أصارت حفيظة القوى الأصولية المتشددة هي التي قتلتها.. وهي لا تدري أنها وضعت يدها على حقل ألغام متفجرة في مجتمع تسيطر عليه قوى، تنظر إلى علمانية بوتو وانتماءاتها الغربية نظرة عداء وكرهية.

سلامة أحمد سلامة

الأهرام ٢٠٠٧/١٢/٣٠

بينظير بوتو

وبغياب بوتو ضاعفت القرصة التي كان الأمريكيون يأملون في نجاحها، عندما تشكل مع الجنرال برويز مشرف ثنائية للحكم تضمن استمرار الجيش في معركته ضد تنظيم القاعدة وطالبان على الحدود الباكستانية الأفغانية، وتضمن بوجود بوتو رئيسة للوزراء حزباً مديناً قومياً يحمي الجبهة الداخلية من الجماعات المتطرفة، لكن اغتيال بوتو قطع الطريق على هذه الخطة لتعيش باكستان فراغاً سياسياً موحشاً.

مكرم محمد أحمد

الأهرام ٢٠٠٧/١٢/٣٠

القدس الكبرى... وحملة إسرائيل ضد مصر

كتب محمد علي إبراهيم رئيس تحرير (الجمهورية)، تحت عنوان «مصر المستقبل» قائلاً: ظهرت في الفترة الأخيرة عدد من المقالات بالصحف الأمريكية والعالية لكتاب كبار مثل جيم هوكلاند وتوماس فريدمان وفلورا لويس وغيرهم.. يحملون فيها على مصر بسبب تغاضبها عن تهريب الأسلحة إلى قطاع غزة، الأمر الذي يعطى انطباعاً بأن مصر تساعد «حماس» على ارتكاب ما تسميه واشنطن وتل أبيب إرهاباً.

ويتعجب الصحفيون الغربيون من موقف مصر التي ترتبط باتفاق سلام مع إسرائيل، ومع ذلك لا تتعاون معها في القضاء على الإرهاب.

والحقائق التي يتجاهلها هؤلاء نلخص في أشياء هامة أولها أن مصر وقعت اتفاق سلام بعد حرب وليس اتفاق استسلام وبين الاثنين فارق كبير.

ثانياً: اتفاقية كامب ديفيد لا تتضمن في شروطها أو ملاحقها نصاً يقول إن مصر عليها أن تنسق مع إسرائيل أو الولايات المتحدة في القرارات التي تتخذها في شؤونها السيادية والداخلية.

ثالثاً: نفس هذه الاتفاقية لم تنص على أن تقوم مصر بالضغط على الفلسطينيين لتنفيذ ما تريده إسرائيل، بل على العكس فإن الاتفاقية تطالب بأن يحصل الشعب الفلسطيني على حقوقه المشروعة والعدالة.

وهكذا فإن مصر لم يلزمها اتفاق السلام مع إسرائيل بأي شيء يناقض سيادتها أو يفتشت على

حقوقها أو ينال من كرامتها التي حافظت عليها حراً ومسلماً.

لذلك فإن إسرائيل وهي تمارس كل أنواع الضغوط على مصر لا تضع نصب عينيها أنها دولة وقعت معها اتفاق سلام، لكنها ما زالت تتعامل معنا على أننا الوحيدون القادرون على التصدي لمشاريعهم الاستيطانية في الوطن العربي وعلى تنصلهم من قضية السلام مع الفلسطينيين.

وهنا ينبغي أن نؤكد أنه مع الاحترام لكل الدول العربية في دفع عملية السلام مع إسرائيل، فإن هذه الأخيرة لا تعبا إلا بمصر.. فمصر هي التي ضغطت بقوة ليسترد محمود عباس موقع الشريك الفلسطيني في المفاوضات بعد ٧ أعوام من التوقف.. ومصر هي التي نجحت في تحييد موضوع الإرهاب الذي حاولت إسرائيل أكثر من مرة إصفاقه بـ «حماس» وطالب الرئيس مبارك في كل لقاءاته بضرورة التركيز على حقائق الوضع الفلسطيني باعتباره قضية شعب وحقوق مشروعة وأرض محتلة.

والرئيس مبارك هو الذي قاد قبل مؤتمر أنابوليس حملة لتصبح مرجعية المؤتمر وضرورة الالتزام بشروط خريطة الطريق الداعية إلى وقف الاستيطان.

وكانت نصائح مصر للاستمرار للفلسطينيين بضرورة الالتزام بخريطة الطريق واليادرة العربية وكل ما نصت عليه من خطوات قبل الشروع في التفاوض.

لكن أولمرت زعم أن قرارات تحقيق القدس الكبرى صدرت قبل أنابوليس وأن الجانب الفلسطيني فشل في وقف العمليات الإرهابية التي وضعت كشرط لأي اتفاق.

لكن مصر نهت أبومازن أن الانقسامات الداخلية بين فتح وحماس تتمتع التوصل إلى تفاهم مشترك في أنابوليس وأن إسرائيل تستغل الانقسام للتهرب من تطبيق قرارات الأمم المتحدة.

وهكذا يتضح مما سبق أن مصر تتكفل انطلاقاً من مفهوم أمنها القومي وحرصها على القضية الفلسطينية قضية العرب الأولى بالنصدي لإسرائيل في كل المشاكل التي تخلقها.. وتولي عن طيب خاطر وبإحساس بالمسؤولية شرح أبعاد المخطط الصهيوني للأصدقاء في أوروبا والعالم، ولا تقل من التردد على مسامع أمريكا أن حل القضية الفلسطينية سيكون بداية الانفراج لأزمة الشرق الأوسط.

ومما سبق يتضح أن مصر منذ أن أخذت بنارها من إسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣ وبعد أن وقعت معها اتفاقية السلام، لا يهمها سوى أن يتحقق السلام العادل والشامل للفلسطينيين بحيث تهدأ المنطقة ويتم نزع فتيل التوتر منها.

غير أن إسرائيل التي لا تعيش إلا بالتوتر تنظر إلى جهود مصر لتأييد الفلسطينيين على أنها حرب تشنها القاهرة ضدها.. وبنفس الهارة التي تكتتم بها القاهرة أبناء حرب أكتوبر، فإنها تكشف للجميع مخططات إسرائيل وكتيبها وأخطائها ومزاعماتها.

لذلك فإنه بعيداً عن حسم وحزم تصريحات الرئيس مبارك ليدعوت أحرونوت التي زلزلت إسرائيل، فإن هذه التصريحات تكشف أيضاً أن مصر لديها الكثير لتقوله عن إسرائيل، وأن التقارير المصرية والأمن القومي المصري في أعلى كفاءة له حالياً وأنه لا تخفى عليه خافية في إسرائيل أو في غيرها.

ومن ثم فإن إسرائيل لديها شعور بالإحباط مما تخلقه مصر للفلسطينيين، ومن عدم مقدرتها على خداعنا أو التغير بنا أو تضليلنا.

لذلك فإن إسرائيل تبذل جهدها الأكبر لنشتت انتباهنا عن قضية العرب الأولى وتسخر لذلك أصدقاءها في الكونجرس وفي الصحافة لتشويه مصر وصورتها بكل سبيل ممكن.

ومن كثرة ما كشفنا إسرائيل، أصبحت بالحساسية وصارت ضغوطها علينا تأخذ أشكالاً مختلفة وتوقيعات متنوعة بما يخدم توجهاتها.. واتضح أنها كلما أرادت تمرير شيء تطلق أكاذيب في اتجاه مصر.. والحيلة التي تشنها حالياً ضدنا سببها الأول والأخير التغطية على أكبر عملية استيطان تقوم بها تل أبيب حالياً فقد أعطى إيهود باراك وزير الدفاع الإسرائيلي قراراً بإقامة حي جديد في مستوطنة «هارحوما» به ٣٠٠ وحدة سكنية.. كما تم إنشاء مشروعين آخرين يضمن ٧٤٠ وحدة سكنية بينها ٢٤٠ في مستوطنة «معاليه أدوميم».

إسرائيل تريد أن تضع غمامة على أعيننا حتى لا نفطن إلى أن كل ما تقوم به يؤكد رفضها للسلام.. وأولرت بنفذ مشروع «القدس الكبرى» حالياً ليجعل الاتفاق مع الفلسطينيين مستحيلاً.. إسرائيل لن تنفذ شيئاً بعد الآن.. ربما مع سجيء الرئيس الأمريكي الجديد سيدأون الكلام مرة أخرى.. وهم «أهل كلام» وليسوا أبداً «أهل فعل»، وبالتالي فإن الحديث عن السلام «هجص» كبير فلا إسرائيل تريد ولا أمريكا مهتمة به.

الجمهورية، ٣٠/١٢/٢٠٠٧

القنابل العنقودية لن تحقق السلام!

تحت هذا العنوان الذي جاء في «رأي الأهرام» كتب اغرور يقول:

ذابت إسرائيل منذ اغتصابها الأراضي الفلسطينية والعربية على تحدى القانون الدولي، وحرب كل القوانين والقرارات الدولية بعرض الحائط. ولم تتوقف يوماً عن القيام بعمليات عسكرية غير إنسانية وغير شرعية ضد المدنيين الآمنين، وقد كشف عسكريون عن استخدام الجيش الإسرائيلي القنابل العنقودية على نطاق واسع خلال الحرب التي شنها العام الماضي ضد قوات ومقاتلي حزب الله في جنوب لبنان، مبررين أن ذلك كان مشروعاً طبقاً للقانون الدولي!

وهذا المنطق لا يستقيم مع حقوق الإنسان، ولا مع محاولات إقرار السلام بالمنطقة، ولا مع ما كشفت عنه الأمم المتحدة من أن أربعة ملايين قنبلة عنقودية أسقطت على لبنان خلال الحرب التي استمرت ٣٤ يوماً، وأن عدداً كبيراً من تلك القنابل لم ينفجر عند سقوطه، مما شكل خطراً على المدنيين.

إن هذه الانتهاكات ليست جديدة على حكومة تل أبيب وجيشها الذي يقتل الفلسطينيين يومياً، ويقتحم للمسجد الأقصى، ويجرف الأراضي، ويعتقل الآلاف من الرجال والنساء دون استثناء، بينما العالم كله يقف بلا حراك إزاء هذه الممارسات التعسفية والإجرامية.

إن استخدام القنابل العنقودية الإسرائيلية لم ولن يحقق السلام، وهو عمل غير مشروع، وغير قانوني، وجريمة يجب أن يعاقب على ارتكابها غلافته أبسط قواعد القانون الدولي الذي يحرم قتل الأبرياء والمدنيين أثناء الحرب، وعلى جميع المنظمات

الإنسانية الدولية أن تتخذ الإجراءات الكفيلة بوقف هذا السلوك الأحمق، حتى لا يتكرر مرة أخرى.

الأهرام

٢٦/١٢/٢٠٠٧م

اعتداءات إسرائيلية.... وأزمات مفتعلة

تحت هذا العنوان كتب اغرور في عامود «الجمهورية تقول» في جريدة يقول:

توجهت السلطة الفلسطينية ومعها الدول العربية إلى أنابوليس الأمريكية، بعد أن أغراها البيت الأبيض بعرض مقادير إقامة الدولة الفلسطينية في عام واحد، وتابعته الحكومة الإسرائيلية بإعلان استعدادها لتقديم ما أسمته تنازلات مؤلمة، ولكن المؤتمر تمخض فولد مغالطات رسمية إسرائيلية فلسطينية لا تقدم ولا تؤخر، لأن التوايا الإسرائيلية تركز على التوسع في الاستيطان وقهر غزة، لا التفاوض حول قضايا الحل النهائي.

إن الحكومة الإسرائيلية التي توجه الاتهامات الكاذبة لمصر وتفتعل الأزمات مثلما تشيعه عن اتفاق غزة، ليهي للمسئولة عن تدهور الأوضاع في المنطقة بسبب اعتداءاتها الوحشية على الشعب الفلسطيني وتنصلها من كافة الالتزامات التي تعهدت طريق السلام أو تستعيد الأمل في تحقيقه، في الوقت الذي لم تدخر فيه مصر جهداً من أجل التهدئة وتوفير أنسب الأجواء لإجراء مفاوضات مثمرة تستند للتوايا الطيبة وقرارات الشرعية الدولية التي هي الأساس لتسوية سلمية عادلة تحفظ السلام والأمن لكافة شعوب المنطقة.

الجمهورية

٢٦/١٢/٢٠٠٧م

الخطاب الإسلامي أمانة كبيرة ومسئولية ثقيلة

رسالة مكة من عاطف مصطفى

(القواطع، حقيقة الإلوهية، عصمة النبوة، عدالة الصحابة، الضرورات الخمس).

(الاجتهاد: وهو كل ما لم يرد في نص قاطع من الكتاب والسنة).

٣- الخطاب الإسلامي بين التأويل الصحيح والفساد لنصوص الوحي (التأويل الصحيح: منطلقاته، خصائصه، مقاصده).

(التأويل الفاسد: أسبابه، مرتكزاته، وسائله، أهدافه).

٤- الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول (الواقع: الهامشية، الضعف، النظرة الضيقة، ضعف الشمولية، ضعف التناول، ضعف الآخذ بمستجدات العصر المتطورة، ضعف في جذب الآخر).

(المأمول: تحديد الآليات والوسائل: القوة في الطرح، شمولية النظرة، معرفة الآخر، الإقناع في التناول والعرض، معرفة تأثيرات

عبد السلام، د. حمزة بن حسين الفعير، د. سعيد بن حارب المهيري، د. سعيد بن محمد القرني، د. سعيد بن إسماعيل حبيني، د. صالح بن عبدالله بن حميد، د. عبدالكريم بن محمد الحسن بكار، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، د. عصام البشير، د. محمد المختار محمد المهدي، د. محمد أبو زيد الفقي.

نوقش في المؤتمر ثلاثة محاور:

الأول: الخطاب وأهميته:

١- أهمية الخطاب وحاجة الإنسان إليه.

٢- الخطاب الإنساني بين الإصلاح والفساد.

٣- الخطاب في العصر الجاهلي (دوافعه - أنواعه - أهدافه).

أما المحور الثاني فقد تناول الخطاب الإسلامي.

١- الخطاب الإسلامي (التعريف، الأسس والقنومات، الأسباب، الوسائل والمنطلقات، الخصائص، الأهداف والمقاصد).

٢- الخطاب الإسلامي بين القواطع والاجتهاد.

وبيئته، ومقومات النهوض بصاحب الخطاب، حتى يستجيب لمتطلبات المرحلة. ومن أبرز أهداف هذا المؤتمر:

• التعريف بأهمية الخطاب الإسلامي وحاجة الإنسان إليه.

• تقديم الرؤى العملية حول مرجعية الخطاب الإسلامي وتطوير آلياته ووسائله التي تتيح له الانتشار في دوائر أوسع.

• ترشيد الخطاب الإسلامي من حيث الشكل والمضمون بشمولية النظرة، ومعرفة الآخر، والإقناع في التناول والعرض.

• مراجعة المشكلات التي تواجه الخطاب الإسلامي في إطار عقيدة الأمة وثوابتها.

وأخيراً تقديم رؤية واضحة تتضافر من خلالها جهود المسلمين في حل إشكالات العصر، وفي مقدمتها الذرائع التي تتخذ لتفرقة الصف المسلم، وإشغال الأمة بالفتن والكوارث.

وشارك في المؤتمر عشرات من العلماء والمفكرين من بينهم د. أحمد بن إسماعيل نوفل، د. أحمد بن محمد نعمان، د. جعفر

يحظى الخطاب الإسلامي الآن باهتمام كبير من كل المسلمين في ظل ما يتعرض له الإسلام من محاولات التشويه والنيل منه.

وفي مكة المكرمة وأثناء موسم الحج في الفترة من ٧:٥ من ذي الحجة ١٤٢٨ هـ ١٧:١٥ من ديسمبر ٢٠٠٧ عقدت رابطة العالم الإسلامي بمقرها، مؤتمر مكة المكرمة الثامن برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز بعنوان «الخطاب الإسلامي وإشكاليات العصر».

وحرصت الرابطة وهي تعد لمؤتمرها على التأكيد على أن الخطاب الإسلامي يكتسب أهميته الحيوية في هذا العصر من أهمية الإسلام، ذلك أن الخطاب الإسلامي يعني تعاليم الإسلام الموجهة في رسالة أو خطبة أو درس أو برنامج إعلامي، أو كتاب أو نص أدبي.

ولعل التغير المتسارع في الوضع الدولي، وما يترتب عليه في تحاذيات الخطابات المختلفة، يدفع إلى الحوار حول الخطاب الإسلامي، من حيث أهميته ومرجعياته



الزمان والمكان، الولاء لله ولرسوله ﷺ، ومخاطبة كل قوم بما يعرفون، الأخذ بوسائل التقنية ومستجدات العصر المناسبة.

وتناول المحور الثالث: المشكلات التي تواجه الخطاب الإسلامي:

١- التشجيع، الاسترخاء، التهييج، العوالة، القنوات الفضائية المخالفة، الغلو، التطرف، تسويق الشبهات والشبهوات، مستجدات العصر المخالفة، أحقاد وضغائن.

٢- موقف الآخرين من الخطاب الإسلامي، الأسباب والعلاج.

قناة الدعوة إلى الإسلام

وفي الجلسة الافتتاحية أشار معالي الدكتور عبدالله بن عبدالحسن التركي إلى أن الخطاب الإسلامي هو القناة التي تنفذ من خلالها الدعوة إلى الإسلام والتعريف به ونشر تعاليمه بين الناس سواء كانت هذه القناة كتاباً مسطوراً، أو كلمة مسموعة، فهو إذن

وسيلة وما يتضمنها هو الغاية المقصودة منه والوسيلة تشرف بشرف غايتها، وعلى هذا فالخطاب الإسلامي الذي هو ممارسة بشرية في التعامل مع الإسلام بياناً وتفسيراً، إنما يكتسب قوته وشرفه من ذات الإسلام، الذي يعبر عنه تعريفاً به، أو ترغيباً فيه، أو دحضاً للشبهات والأباطيل التي تنار ضده، وفي بيان هذا الشرف يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

فصلت: ٣٣

وبين الدكتور التركي أن الخطاب الإسلامي أمانة كبيرة ومسئولية ثقيلة عندما يتعلق برسالة الله الخاتمة، وهي رسالة عالمية ومستمرة إلى يوم القيامة:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ سِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

سبا: ٢٨

وهي رسالة رحمة:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

الأنبياء: ١٠٧

والمؤمنون بعد رسول الله ﷺ على أحافضة عليها وتبليغها للناس سليمة كما تلقوها، هم العلماء الربانيون الشقات الذين هم ورثة الأنبياء، وهذا يتطلب أن يكون الخطاب الذي تؤدي من خلاله رسالة الإسلام، متناسباً مع كل عصر من معطياته الثقافية والاجتماعية، ومراعياً لمستجداته وتطوراتها، حتى يتناسب مع المستوى العام للفهم والاستيعاب لدى الناس، كما قال علي - رضي الله عنه -: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟

وقال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة.

وهكذا يحتاج الخطاب الإسلامي إلى ترشيد مستمر، يمكنه من الموازنة بحكمة واقتدار بين أسس الشريعة ومتغيرات الواقع، فيستلهم عناصر التجديد لأساليبه وفنونه بين التنوع والتخصص من معطيات المناخ الثقافي الذي يعيشه الناس، ومن تجارب الحياة ومن ثم يقدم حلولاً عملية، يوثق بجداولها ويسهل تطبيقها عند معالجة المشكلات التي يتناولها، والقضايا التي يهتم بها، ويركز في الأذهان قواعد التدرج في الإصلاح والتربية والمعالجة، وهذا من البصيرة التي جعلها الله - تعالى - صفة لدعوة نبينا ﷺ:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

يوسف: ١٠٨

مراعاة الواقع

وأكد معالي الدكتور عبدالله التركي على أن من سمات الخطاب الإسلامي الرشيد أن يكون متوازناً في تعامله مع قضايا الإسلام بين ثلاثة أطراف، لا يطغى طرف منها على الآخر:

● مراعاة الواقع الذي يعيشه الناس في حاضرهم.

● والاستفادة من الماضي الذي يعتبر مصدراً للعبير المستخلصة من تجارب الأمم، والذي يعتبر عهد سلفنا الصالح صفحة مشرقة فيه، تتخذ منه الأمم أسوتها وقودتها.

● واستشراف المستقبل الذي يعتبر فرصة لتلافي الأخطاء وتحسين الأحوال، وصفحة تتطلع إليها الطموحات والآمال.

ودخول هذه الأطراف الثلاثة في تكوين الخطاب الإسلامي، بتوازن واعتدال، هو منهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، اللذين هما القدوة والإمام.

وأوضح أن من سمات الخطاب الإسلامي الرشيد - أيضاً - أنه يتعامل مع قضايا الأمة بفكر مستنير، ومنهجية وتخطيط، وقوة في

التناول فيستبعد السطحية والارتجال والانطلاق من مجرد ردود الأفعال، ومن المنهجية والتخطيط في الخطاب الإسلامي توظيف التقنية الحديثة، واستثمار الدراسات المتخصصة في تنويع فنون الأداء والاتصال، حسب أصناف المتلقين من حيث الجنس والعمر والثقافة والاختصاص، والمخيط الذي يعيشون فيه.

فهذا يرجي للخطاب الإسلامي أن يكون رائداً يرتقى ذاباً بالمستوى الفكري والسلوكي العام للأمة، وينقيها من بذور التطرف والغلو، سواء في فهم الدين وممارسته، أو الابتعاد عنه والانحلال منه.

وفي كلمته في الجلسة الافتتاحية قال صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن فيصل بن عبدالعزيز آل سعود أمير منطقة مكة المكرمة: لا شك أن حاجة أمتنا الإسلامية للتضامن، تصبح الآن أكثر إلحاحاً للدخول الآمن في النظام العالمي الجديد ومواكبة العصر، وحتى نقيم الحجة عملياً على أن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، مما يفرض مداومة النظر فيما بين أيدينا، وما يجري حولنا للأخذ بأسباب العصر والحفاظ على هويتنا، ولهذه الأمة في رصيدها الديني من القيم والمبادئ الإنسانية والحضارية الراقية ما يمكنها من إنجاز المهمة - إن شاء الله - على خير وجه.

ويأتى على رأس المهام المنوطة بهذا

التضامن تحرير صورة الإسلام والمسلمين مما أحقت به آليات العداء، وما حشدته عنها سلباً في ذهن الآخر، على خلفية أحداث نسبت لحفنة من الخارجيين على أمثنا وشرعها، ولعل ذلك ما يستدعي المزيد من الانفتاح على بعضنا البعض، والتعاون في القضايا والهموم المشتركة وعلى رأسها التصدي للفكر المتحرف، والإرهاب المتأسلم، والاتفاق على الأصول، والتعامل مع الخلافات في الفروع، بروح الحوار والتشاور والمقاربة بين الرؤى، ثم الخروج إلى العالم بخطاب إسلامي واحد، يعرف من خلاله حقيقة هذه الأمة وعقيدتها على النحر الصحيح، ويؤهلها إلى الدخول إلى عالم اليوم، على أساس حوار الحضارات والتعايش السلمي، المبني على العدل والمساواة بين الأمم، والمشاركة الفاعلة في إنتاج المشروع النهضوي العالمي.

وقال أمير منطقة مكة المكرمة: إن الأمل معقود على رابطة العالم الإسلامي باعتبارها من أكبر المنظمات الإسلامية، أن تتبنى الدعوة إلى منهجية الوسط العدل في الفكر الإسلامي، وتجنّب الأمة شرور الغلو، وحمايتها من الفوضى الفكرية، التي تتعرض لها، والحفاظة على صفاء الفكر الإسلامي الموجه للشباب خاصة، حتى لا يقع في حيايل الفكر المتطرف الذي يسعى لدمار الأمة، ويعطى لأعدائها الذرائع والحجج للنيل منها ومن دينها الحنيف.

خطاب يقوم على النهج السليم

أما سعيد بن حارب من دولة الإمارات العربية المتحدة والذي ألقى كلمة نيابة عن المشاركين في مؤتمر مكة المكرمة الثامن قال: إننا نلتقي اليوم لنناقش قضية من أهم القضايا التي تشغل واقع المسلمين، ألا وهي قضية الخطاب الإسلامي، الذي يشكل محورا أساسياً في النهوض بالأمة، حيث لا يخفى على أحد أثر هذا الخطاب في حياة المسلمين منذ بدء الدعوة الإسلامية وإلى وقتنا الحاضر، ونحن اليوم أشد حاجة إلى هذا الخطاب الإسلامي المنطلق من العقيدة الصحيحة والفكر النقي لمعالجة كثير من شئون حياتنا.

وبين أننا بحاجة إلى خطاب إسلامي يقوم على النهج السليم من الاعتدال والوسطية والتسامح في الفكر والعمل، والتعامل مع الواقع بروح إسلامية تجمع بين ثبات الأصل وجديد العصر. كما أننا بحاجة إلى خطاب إسلامي يصحح ما ساء فهمه من المبادئ والقيم التي تلبسها بعض أبناء المسلمين انحرفاً في الفهم وخطأ في السلوك.

وقال سعيد بن حارب المهيري أيضاً: نحن بحاجة إلى خطاب إسلامي تتواصل به مع غيرنا من شعوب الأرض تعريفاً بالإسلام ونشراً له ودفاعاً عنه، فالإسلام رسالة للناس كافة، وقد حال سوء الفهم أو كيد الأعداء من التواصل بين المسلمين وغيرهم، وحاد الوقت لأن يكون الخطاب الإسلامي جسراً للتواصل مع الآخرين انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ

بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

سيا: الآية ٢٨

كما أكد على أن المسلمين بحاجة إلى خطاب إسلامي يضع لهم قدماً في مراكز المعرفة والبحث والثقافة، فديننا دين العلم والتقدم وليس من الإنصاف أن يتخلف المسلمون عن الإسهام في الحضارة الإنسانية المعاصرة، فالعلم اليوم يتقدم في مجالات العلوم والصناعات والتقنيات بخطوات سريعة، ومعظم المسلمين يعيشون مستهلكين لما ينتجه الآخرون، لذا لابد من خطاب إسلامي يحيى في الأمة النهضة العلمية والتقنية.

كان الدكتور أحمد المورعي رئيس اللجنة العلمية للمؤتمر قد حدد أهم سمات الخطاب الإسلامي ومنها:

إن الخطاب الإسلامي ذو مرجعية شرعية، ويتميز عن غيره من الخطابات بهذه المرجعية التي تحقق له سلامة الهدف ونبل الغاية فضلاً عن أنه خطاب عقدي ينطلق من التعريف بالعقيدة وحمايتها والدفاع عنها، ولذلك لابد أن يكون للعقيدة أثر قوى فيه كما أشار إلى أن الخطاب الإسلامي خطاب بشري معبر عن فهم المسلمين للنصوص والأحكام الشرعية، ولابد من النظر إليه باعتباره فكر إنسانياً لابد من مراجعته وتقويمه.

وبعد ذلك وعلى مدى أيام المؤتمر عقدت خمس جلسات تناولت البحوث ونوقشت فيها آراء الباحثين... وهذا ما سوف نتناوله في عدد قادم بإذن الله.

طلائع الهجرة

لأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

بتاريخ الروم، ومنهم من رأى أن يؤرخوا بتاريخ فارس، ومنهم من رأى أن يؤرخوا بحادث المبعث النبوي، ومنهم من رأى أن يؤرخوا بحادث الهجرة، فاستقر الوضع على الهجرة وقال: فلنؤرخ بالهجرة النبوية لأنها فرقت بين الحق والباطل.

وكان بداية التاريخ بها من شهر الله المحرم حيث بدأ العزم والتصميم على الهجرة منذ هذا الشهر، وبعد بيعتي العقبة، كان العزم والتصميم في شهر الله المحرم، ولذا كانت بداية التاريخ الهجري بشهر الله المحرم.

وشهر الله المحرم أيها الإخوة المؤمنون هو من الأشهر الحرم، والأشهر الحرم هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. والأشهر الحرم يستحب الصوم فيها، فقد ندب إلى الصوم في بعض أيامها سيدنا المصطفى ﷺ، فعندما جاءه الرجل الباهلي وذكره نفسه وقال له: أأنت تعرفني أنا الباهلي

من أهم الأحداث العظيمة في تاريخ الإسلام والمسلمين حادث الهجرة النبوية الذي يبدأ الحديث عنه كلما ابتداء شهر الله المحرم.

وإنما كان الابتداء بشهر الله المحرم لأن أبا موسى الأشعري - رضي الله عنه - عندما بعث إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قائلاً له: تأتينا كتب من عندك غير مؤرخة فأرخ لنا الكتب فأراد أن يتخذ مبدءاً للتاريخ، وما كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ليفترح أو ليلزم الأمة بأمر براه هو وحده أو ينفرد هو وحده به، وإنما يطبق مبدأ الشورى الذي علمه وطبقه وأخذهم به سيدنا رسول الله ﷺ. فجمع سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الصحابة ليشيرهم في بداية التاريخ وبأى حدث من أحداث الإسلام يؤرخ، واستمع إلى آرائهم، فكان من الآراء من يرى أن يؤرخوا

الذي جئتكم عام الأول. فقال له النبي ﷺ: وقد رآه تحيلاً نحيفاً ضعيفاً، فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة؟ فقال له: منذ فارقتك لم أطعم طعاماً ولم أشرب شرباً إلا بليل - أي أنه يظل صائماً - فقال له النبي ﷺ: لم عذبت نفسك؟ ثم قال: صم شهر الصبر ويوماً من كل شهر. فقال يا رسول الله زدني فإن بي قوة قال: صم يومين. قال الرجل: يا رسول الله فإن بي قوة، قال صم ثلاثة أيام - ومعلوم أن هناك الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر عربي وتسمى الأيام البيض وصيامها سنة ومستحب - فقال الرجل: يا رسول الله، زدني فإن بي قوة، فقال عليه الصلاة والسلام: صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك^(١).

شهر الله المحرم

والمقصود بقوله ﷺ: صم من الحرم واترك، أي صم من الأشهر الحرم ما تستطيع وأفطر منها أيضاً فلا تصمها كلها، صم بعضها ما تستطيع، وأفطر حتى لا تكون صائماً الأشهر الحرم كلها. فقد كان رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان

رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم^(٢) أي أن الإنسان يصوم تقرباً إلى الله ويفطر تقوية لبدنه واستجماماً لعافيته ليستطيع مواصلة العبادة.

والشاهد أن للأشهر الحرم فضيلة، وأن شهر الله المحرم هو واحد من هذه الأشهر المباركة التي حرم الله تعالى فيها القتال. وابتدأ التاريخ الهجري منه حيث بدأ العزم والتصميم على الهجرة، وكان قد سبق الهجرة النبوية بيعتان هما بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية، إذ أن النبي ﷺ منذ جاءه الأمر الإلهي أن يصدع بأمر الله وأن يجهر بالدعوة أخذ يلتقي بالوفود في مواسم الحج، وكان هذا اللقاء مع ستة نفر التقى بهم من الأوس والخزرج فرحوا بلقائه واستقبلوا دعوته استقبال الظمان للماء البارد، وقالوا: إن بين قومتنا وبين إخوانهم من العداوة ما بينهم فلعل الله تعالى يطفى نار الحروب التي اشتعلت بينهم، وكانت بين الأوس والخزرج حروب وخصومات وآمنوا وأسلموا واتبعوا الرسول ﷺ ورجعوا إلى المدينة - التي كانت تسمى آنذاك يثرب - فنشروا دين الله في أرجائها وجاءوه في العام الآخر وأصبح العدد اثني عشر رجلاً وبايعوا رسول الله ﷺ على أن

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصوم باب في صوم شهر المحرم.

(٢) رواه البخاري في الصيام ومسلم في الصوم.

يعبدوا الله وحده وأن لا يشركوا به شيئاً وأن لا يعصوا في معروف وأن لا يسرقوا وأن لا يزنوا وأن لا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم. فعلى هذا بايعهم رسول الله ﷺ وقال لهم كما جاء في الحديث: بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه (٣).

ولما بايعهم ﷺ على ذلك أرسل معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه فنشر دين الله في أرجاء المدينة، وجاءوا في العام الذي بعده أكثر من سبعين رجلاً، فبايعوه ﷺ على السمع والطاعة وعلى أن ينصروه ويمنعوه مما يمتنعون منه أبناءهم فكان هؤلاء جميعاً طلائع الهجرة ومقدماتها إلى أن شاء الله تعالى أن يأذن لرسوله ﷺ وللمسلمين بالهجرة، بيد أن الحديث عنها لم يكن بادئاً منذ ذلك الحين وإنما كان الحديث عن الهجرة منذ أول لحظة نزلت فيها أول آية بالوحي الإلهي على قلب

رسول الله ﷺ منذ كان معتكفاً في غار حراء، ونزل عليه الوحي «اقرأ» وهو يقول ما أنا بقارئ - ثلاث مرات إلى أن قال له جبريل عليه السلام:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ

(العلق: ١-٥)

وعاد رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ويقول: «زملوني زملوني» حتى ذهب عنه الروح وأخذت زوجه خديجة رضي الله تعالى عنها التي كانت مرفقاً راحة وأمان له ﷺ تقول: «أبشر يا ابن العم: فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق» وأخذت بيده وانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وقالت له: يا ابن العم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خير ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً (٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب علامة الإيمان حب الأنصار. وأخرجه مسلم في كتاب الحدود باب الحدود كفارات لأهلها.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي.

هنا بدأ الحديث عن الهجرة وليس من ذلك الوقت الذي تمت فيه البيعة، فمتد ذلك الحين وقد وقر في قلب نبينا ﷺ أنه سيأتيه اليوم الذي يخرجونه. والذي يتآمرون فيه على إخراجه، فالحق في صراع مع الباطل إلى يوم القيامة:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۚ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۚ﴾

(الفرقان: ٣١)

منذ ذلك الحين كان الحديث عن الهجرة، فإذا ما تمت بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية يقرر الله لنبيه ﷺ حقيقة الهجرة ويطلعه في منامه ويخبر أصحابه قائلًا: «قد أريت دار هجرتكم رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين» (٥).

أم سلمة وزوجها!!

ويحقيق الله تعالى لرسوله ﷺ دار مهجرة وهي المدينة التي كانت من قبل يثرب وأصبحت بهجرته المدينة المنورة به ﷺ، لقد أذن لأصحابه بالهجرة فكانوا يهاجرون ذرافات ووحدانا، وكان أعداء الإسلام يتربصون بالمهاجرين الدوائر مخافة أن يكونوا في المدينة دولة وقوة يأتونهم بعد ذلك بجيش لا قبل لهم به فأخذوا يقفون في وجوه المهاجرين

ويمتنعونهم فإذا ما أراد أن يهاجر واحد هو أول المهاجرين وامرأته وهي أول ظعينة قدمت المدينة هي السيدة أم سلمة وزوجها أبو سلمة فحين خرج الرجل على بعيره ومعه زوجته وابنه وقف له أهل زوجته بالمرصاد وقالوا له: نفسك وقد غلبتنا عليها فكيف نفرط في ابنتنا تخرج معك في الصحراء والله لن تخرج معك أم سلمة وحالوا بينه وبين زوجته. قائلين إن أردت أن تخرج فإخرج من غير الزوجة، وجاء أهل الرجل، وقالوا لهم مادمتم قد انتزعتهم ابنتكم من زوجها فلن يبقى الولد معكم فلنأخذه نحن أهل أبيه فانتزعه كل فريق حتى نزعوا ذراع الطفل الصغير، حالوا بين الرجل وبين زوجته وبنته وبين طفله، ومع هذا انظروا إلى الإيمان كيف يصنع بالرجال، انظروا إلى حب الله وحب رسوله كيف يؤثره الرجل على أحب الناس إليه، ويؤثر حب الله ورسوله على أهله وزوجته وأرضه وماله فيهاجر أبو سلمة حتى يصل إلى قباء، ثم نحن الزوجة إلى الرحيل وتخرج بالأبطح عشيبة وضحاها تبكي بكاء مرا حتى جاء بعض العرب ممن عندهم نخوة وقال: ألا رحمتم هذه المسكينة التي فرقتم بينها وبين زوجها ووليدها. حتى أذنوا لها أن تخرج

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الكفالة باب جوار ابن بكر في عهد رسول الله ﷺ.

فماذا فعلت أم سلمة؟ أعدت البعير وأعطتها أهل زوجها الطفل الصغير، فإذا بواحد من العرب وهو مشرك إنه عثمان ابن طلحة قبل أن يدخل الإسلام يقول لها: إلى أين؟ فتقول: إلى زوجي حيث الهجرة. فيقول: والله مالك من متوك في هذه الصحراء التي لا تستطيع المرأة أن تسير فيها في هذه الغربة.

نخوة العريسي

انظروا إلى هذا الرجل العريسي، وانظروا إلى نخوة الرجل وأصالته التي نفتقدها اليوم، نفتقد اليوم الأصالة والمروءة والنخوة العربية التي تقف بجوار المظلوم، رجل عربي رغم أنه لم يدخل الإسلام بعد، ولكنه أخذ بخطام بعير هذه المرأة ورضيعها من المكان الذي يسمى بالتنعيم، والتنعيم في أول مكة للداخل من جدة، الذي يريد الإحرام بالعمرة يذهب إلى مسجد التنعيم، قاد بعيرها من مكان التنعيم إلى قباء حيث مدينة الرسول ﷺ ماشياً على القدمين. وتحكي السيدة أم سلمة وتقول: فكان إذا جاء وقت الراحة يخرج الرجل بعيداً وينبئ الراحلة ويذهب بعيداً حتى لا يقع بصره عليها، فإذا ما نزلت واستراحت وذهب بعيداً في ظل شجرة ذهب وحل عقاب بعيره ويقود البعير حتى ما وصل إلى القرية قال لها: هنا زوجك فاذهبي إليه في أمان^(٦). انظروا إلى أصالة المعدن، إلى الأخلاق التي تستقبل الإسلام بعد ذلك فتعنتقه في حب، أين هذه المروءة والنخوة ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم ويضرب بعضهم رقاب بعض، أين هذه الأخلاق العربية وأصالة المعدن الذي لم يدع امرأة تمشي في الطريق وحدها بل يظل حارساً وخادماً وقائداً لبعيرها؟ أين هذه من الذين يتسلط بعضهم على بعض، ولا يحمي بعضهم بعضاً، ولا ينصر بعضهم بعضاً، ويرى المستضعفين في الأرض فلا يحن لنصرتهم عشية أو ضحاها.

كانت أول طعينة قدمت المدينة كما يقول المؤرخون.

ريح البيع

ومن بين أولئك الذين هاجروا أيضاً صهيب الرومي، وكان لصهيب الرومي موقف عظيم، فعندما أراد أن يهاجر وقفوا له أيضاً كما وقفوا لأبي سلمة وقالوا له: أتبتنا صعلوكاً فقيراً لا مال لك، أفيان جمعت المال، وأصبحت فيما أصبحت فيه تريد أن تخرج؟ والله لن تخرج أبداً.

فتقال لهم: لا المال أريد ولكن أريد الله ورسوله أفرأيتم إن تركت لكم المال تتركوني؟ لقد وقفوا يترصدون به. فقال لهم: اعلّموا إنني من أركم رجلاً وما في كنانتي من سهام سوف أفرغها قتلاً فيكم إن لم تتركوني مهاجراً، أما عن المال فطرح لهم ما معه وأخبرهم بمكان الباقي وقال لهم: خذوه فإنني لا أريد مالا، فأذنوا له بالهجرة، وقبل أن يقدم على سيدنا رسول الله ﷺ وهو في الطريق عن بعد يطلع الله حبيبته على موقف صهيب فيلتفت الرسول ﷺ لأصحابه ويقول نادياً لصهيب: ربح البيع يا صهيب، ربح البيع يا صهيب، هكذا كان صحابة سيدنا رسول الله ﷺ في محبتهم وفي ثقتهم وفي إيمانهم بالنفس، وفي التضحية بالمال نصرة لدين الله ونصرة للمستضعفين في الأرض، الذين يريدون أن يبلغوا كلمة الله للناس، فقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يلتقي بهم حين أمر أن يصدع بالدعوة ويقول: ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي^(٧) يريد أن يبلغ دين الله، يريد

أن يبلغ دعوة الله إلى القلوب القاسية، إلى القلوب المظلمة، يريد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور، فكان لهذه الفئة المؤمنة من المهاجرين الذين أودوا في سبيل الدعوة مكانتهم العظيمة، ولقد واجهوا كل أذى واضطهاد بصدر رحب، وينفس راضية فاستحقوا أن يسجلهم الله تعالى في القرآن الكريم في آيات خالدة بأن لهم الجنة وبأنهم السابقون:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

(التوبة: ١٠٠)

وهكذا يتحدث القرآن عن الهجرة النبوية حديث النصر لا حديث الفرار، حديث النصر لا حديث الهروب:

﴿إِلَّا أَنْصَرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَلَاثِينَ إِذْ هَمَّ فِي الْعَكَاكِيزِ يَتَقُولُ لِمَنْ كَفَرُوا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كُنْتَ تَرَاهُمْ لَعَنَهُمْ عَلَى كَيْفَتِهِمْ وَآيَاتُهُ يَجُودُونَ ثُمَّ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّنْجُورَ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(التوبة: ٤٠)

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب في القرآن. وأخرجه الترمذي في كتاب ثواب القرآن. وأخرجه ابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجبهة.

(٦) انظر سيرة ابن هشام تمت عنوان ذكر المهاجرين إلى المدينة.

لحظات طيبات مع ابن حزم الأندلسي

للأستاذ / عادل خفاجة

« قم فصل تحية المسجد ... اجلس، فليس هذا وقت صلاة، هذان الأمران.. كان لهما وقع المطرقة على رأس ابن حزم، فحزن حزناً شديداً. ومثلما تكون الشدة دافعة للرقى.. تكون نظرات الناس - الواشية باعتقادهم بجهل من ينظرون إليه في وضع المخالفة - دافعة أيضاً لهؤلاء المخالفين إلى تتبع مصادر العلم أينما كانت.

كان ابن حزم - يوماً أحد المخالفين - حين شهد جنازة، فدخل المسجد فجلس - انتظارا للصلاة - وكان وقتها قد بلغ ستاً وعشرين سنة، فقال له رجل: « قم فصل تحية المسجد ». يقول ابن حزم: فقممت وركعت، فلما رجعتنا من الصلاة على الجنازة دخلت المسجد فبادرت بالركوع، فقيل لي: « اجلس.. اجلس.. ليس ذا وقت صلاة، وكان بعد العصر، يقول ابن حزم: فانصرفت وقد حزنت رجاء للأستاذ.. حزن ابن حزم لأنه أخطأ مرتين في يوم واحد.. فانطلق يبحث عن الأستاذ الذي يمحو جهله بهذه الأمور الفقهية، ولأنه كان يطمح دائماً إلى المعالي ويحب دائماً الاحتفاظ بالمجد والتسامي فيه.. من أجل ذلك مكث مع أبي عبد الله بن دحون نحواً من ثلاثة أعوام قرأ عليه موطأ الإمام مالك وتابع قراءاته عليه وعلى غيره. فمن هو ابن حزم؟

نسبه

مولده

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان ابن سفيان بن الأصم ثم الأندلسي القرطبي^(١) ولد أبو محمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن الأصم ثم الأندلسي القرطبي^(١) أبو عمرو أحمد الذي كان رئيساً للوزارة في عهد

(١) - (٢) سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٨٥، ص ١٨٦.

النصور بن أبي عامر وكان مولده في آخر يوم من رمضان سنة ٣٨٤ هـ.

فنشأ نشأة كريمة فيها نباهة الشأن ورجاحة العقل وحرية الرأي وشجاعة القلب، وجرأة المنطق.. إلخ^(٢).

شيوخه

حفظ ابن حزم القرآن في سن مبكرة، ثم عني بحفظ كثير من العلوم وهو لا يزال يافعاً، وكان من أساتذته العالم الكبير عبد الرحمن ابن أبي يزيد الأزدي، والشيخ أحمد بن الجسور عالم الأندلس والشيخ يحيى بن مسعود المحدث المشهور وله شيوخ آخر كانوا يترددون على منزل والده.

غير أن ابن حزم كان لا يحب أن يركن إلى ما يستخلصه أساتذته بل أخذ يقرأ لنفسه حين آنس من نفسه مقدرة على الاستقلال فبدأ يقرأ لنفسه ويعتد بفكره وفهمه.

شخصية ابن حزم:

كان لحفظ القرآن الأثر الطيب في شخصية ابن حزم، كما كان لنشأته في بيت يعج بالسياسة ومعالجة شئون الدولة، الأثر الواضح في تشكيل تلك الشخصية، بالإضافة إلى حكمة أبيه وتواضعه.

فانسمت شخصيته لأجل ذلك بحرية

الرأى ورجاحة العقل والشجاعة والجرأة والطموح والخضوع للحق. وكان محصلة هذه الصفات النبيلة شخصية لا تتوقف عن النطق بالحق والإعلان عن الرأى دون خوف من سطوة حاكم أو غضب عالم.

غير أن الدهر - كما يقولون -: حوّل قلب.. إن أسعد يوماً أحزن أياماً، فقدت نشبت الاضطرابات في قرطبة وتغيّرت الوزارة، فعانى ابن حزم ووالده من أجل ذلك وبخاصة حين عاد هشام الثاني إلى العرش وعاش ابن حزم ينتقل من شدة إلى شدة حتى إنه ترك قرطبة قلمياً تودى عبد الرحمن الخامس خليفة وكان الخليفة الجديد صديقاً لابن حزم عاد ابن حزم إلى قرطبة بعد ست سنوات، ولكن حظه العاثر لازمه مرة أخرى، وقُتل صديقه عبد الرحمن بعد بضعة أسابيع، وزج بابن حزم في السجن^(٣).

ويذكر التاريخ أن ابن حزم تقلد منصب الوزارة، غير أننا في هذه العجالة يهمنا الحديث عن إنتاجه العلمي.

مؤلفاته

• يقول المؤرخون: إن من بواكير مؤلفاته «طوق الحمامة»، وأنه ألفه في شاطئة حوالى سنة ٤١٨ هـ على ما يقول بعض الباحثين، والمطلع على هذا الكتاب يرى ابن حزم مثلاً

(٣) ابن حزم الشيخ عبد الله المراكشي - مجلة الأزهر مجلد ١٩ السنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م ص ٤٣٤.

(٤) ابن حزم للفضيلة الشيخ عبد الله المراكشي - مجلة الأزهر مجلد ١٩ السنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م ص ٤٣٦.

لصفاء العاطفة، ورقة المشاعر.

● «رسالة في فضل الأندلس»: تكلم فيها عن تصارييف مسلمى الأندلس المتقدمين وفيها يظهر تحول ابن حزم من المذهب الشافعي إلى المذهب الظاهري.

● ومنها كتاب جمهرة الأنساب أو أنساب العرب. ولهذا الكتاب وزن كبير في نظر المؤرخين^(٥).

● ومنها كتاب في أسماء الله يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه^(٦).

● ومنها مجلدا في حجة الوداع^(٧).

● وله «أغلي» قال عنه الشيخ عز الدين بن عبد السلام: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل «أغلي لابن حزم»^(٨).

● ولابن حزم مصنفات جليلة أكبرها كتاب الإيصال في فهم كتاب الخصال.. خمسة عشر ألف ورقة^(٩).

ولابن حزم آراؤه الواضحة الصريحة التي لا يحابي فيها أحدا، وهل يحابي أو يجامل من كذب على رسول الله؟!!

فابن حزم شدد النكير على حديث رواه المهلب بن أبي صفرة عن ابن مناس عن محمد ابن سرور عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن الحارث بن نبهان عن محمد بن عبيد الله العرزمي عن عبد الله بن أبي سعيد عن

أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما بلغكم عنى من قول حسن لم أقله فأنا قلته» فقال ابن حزم: الحارث ضعيف، والعرزمي ضعيف وعبد الله بن سعيد كذاب مشهور، وهذا هو نسبة الكذب إلى رسول الله ﷺ لأنه حكى عنه أنه قال: «لم أقله فأنا قلته» فكيف يستجيز هذا إلا كذاب، زنديق، كافر، أحمق.

● وتناقض طائفة أخرى تقول بالاكْتفاء بالقرآن الكريم مأخذاً للأحكام، وحكم بكفر هذه الطائفة إجماعاً.

● وله كتاب «قسمة الخمس».

● وله كتاب: «اليقين في نقض تمويه المعتزدين عن إبليس وسائر المشركين».

● ولابن حزم مؤلفات كثيرة لا يتسع المقام لسردها، ناهيك عما ضاع منها حين غضب المعتضد بن عباد فأحرق كتبه بأشبهلية مما دعاه إلى أن يقول:

إن تحرقوا القرطاس لن تحرقوا الذي

تضمنه القرطاس بل هو في صدري يسير معي حيث استقرت ركاتي

وينزل إن أنزل ويدفن في قبري ويكفي دليلاً على كثرة ما ألف أن نمرد هنا قول ابنه أبي رافع الفضل إذ يقول: «اجتمع عندي بخط أبي من تواليقه نحو أربع مائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة»^(١٠).

(٥) ابن حزم: لفضيلة الشيخ عبد الله المرافي.. مجلة الأزهر.. المجلد ١٩ ص ٨٠٢.

(٦) سيرة ابن كثير ج ٤ ص ٢١١.

(٧) يمكن الرجوع لسير أعلام النبلاء لمن أراد الاستزادة.

(٨) تاريخ الإسلام ج ١.

(٩) سير أعلام النبلاء.

ولكى نقرب من شخصية ابن حزم فإننا نعرض جزءاً من أول كتاب «الإحكام» حيث ينضح منه مدى فهم ابن حزم للنفس البشرية وما ركب الله فيها من قوى حيث يقول:

أما بعد فإن الله ركب في النفس الإنسانية قوى مختلفة فمنها (عدل) يزين لها الإنصاف ويحجب إليها موافقة الحق قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾

(النحل: ٩٠)

وقال:

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾

(النساء: ١٣٥)

ومنها (غضب وشهوة) يزينان لها الجور ويعميانها عن طريق الرشداً قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾

(البقرة: ٢٠٦)

وقال:

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرِحُونَ﴾

(الروم: ٣٢)

فالفاضل يسر بمعرفته والجاهل يسر بما لا يدري حقيقة وجهه وبما فيه وباله ومنها (فهم) يلبح لها الحق من قريب وينير لها في ظلمات المشكلات فتري به الصواب ظاهراً

جلياً ومنها (جهل) يطمس عليها الطريق ويساوي عندها بين السبل فتبقى النفس في حيرة تتردد وفي ريب تتلدد ويهجم بها على أحد الطرق المجانية للحق تهوِّراً وإقداماً قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(الزمر: ٩)

ومنها (قوة التمييز) التي سماها الأوائل المنطق فجعل لها خالقها بهذه القوة سبيلاً إلى فهم خطابه وإلى معرفة الأشياء على ما هي عليه وإلى إمكان التفهم فيها تكون معرفة الحق من الباطل. ومنها (قوة العقل) التي تعين النفس المميز على نصرة العدل فمن اتبع ما أناره له العقل الصحيح نجح وفاز ومن عاج عنه هلك قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ

لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

(ق: ٣٧)

وفي الإحكام يقول - أيضاً - عن شريعة الإسلام:

«إن الله أودع تلك الشرائع في الكلام الذي أمر رسول الله ﷺ بتبليغه إلينا وأسماء قرآنا، وفي الكلام الذي أنطق به رسوله وأسماء وحيا غير قرآن، وألزمنا في كل ذلك طاعة نبينا عليه السلام، وألزمنا تسع تلك الشرائع في هذين الكلامين، لنخلص بذلك من العذاب، ونحصل

(١٠) فتح الطيب ج ٢ ص ٧٨.

على السلامة والخطوة في دار الخلود - ووجدناه تعالى قد ألزمتنا ذلك بكتابه المنزل :

﴿ وَمَا كُنَّا الْمُؤْمِنُونَ إِلَّا نَسِيحُوا كَافَّةً
فَلَوْلَا نَفْعٌ مِنْ نَارِهِمْ لَخَافَتُهُ لِسُلْطَانِهِمْ فِي الدِّينِ
وَلَوْلَا قَوْلُ مَوْجِهِمْ زَادَ رَجْمُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

(التوبة: ١٢٢)

فوجب علينا أن ننفر لما استغفرتنا له خالقنا - عز وجل - فوجدناه قد قال في القرآن الذي قد ثبت أنه من قبله - عز وجل - والذي أودعه عهده اللازمة إلينا

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَذُرُوا
الْأَمْوَالَ الَّتِي كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا لَئِنْ قَرَأْتُمْ هَٰذَا فَذُرُوا إِلَٰهَ الدِّينِ وَالرَّسُولَ لِيَخْلُفَكُمْ
يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

(النساء: ٥٩)

ثم يقسول ابن حزم: فنظرنا في هذه الآية فوجدناها جامعة لكل ما تكلم الناس فيه أولهم عن آخرهم مما أجمعوا عليه واختلفوا فيه من الأحكام والعبادات التي شرعها الله عز وجل لهم لا يشذ عنها شيء من ذلك. فكان كتابنا هذا كله في بيان العمل بهذه الآية، وكيفية بيان الطاعتين المأمور بهما لله تعالى ولرسوله عليه السلام، وهذا هو جماع الديانة كلها.

ومن هنا نرى رفض ابن حزم القاطع لقبول القياس كدليل من الأدلة الشرعية. ولم يتورع ابن حزم عن الزاوية بمخالفيه فرماهم بالكذب والإفك وجاقى بذلك ما ورد في الأسلوب القرآني من أدب في حوار المخالفين.

فتتركه الكثير من أهل العلم وطلابه على ما هو عليه من غزارة المادة وصفاء الذهن وحسن الاستدلال.

وبعد فهل يمكن أن يصدق أحد أن هذا العالم الفذ - الذي ألف كل هذا الكم من الكتب في شتى فروع العلم - كان لا يعرف أنه يجب أن يصلي ركعتين تحية للمسجد عند دخوله وقد بلغ من العمر ستا وعشرين عاماً؟! وأنه أيضاً لم يكن يعلم أن الوقت بعد صلاة العصر وقت كراهة لا تجب فيه صلاة النافلة!

لقد سمع ابن حزم تنبيهات من الرجال المصلين حوله، وقد تكون هذه التنبيهات في صيغة أمرة حازمة!! إلا أنها صادفت نفساً عاليه تواقفة للمعالي فائتمرت... نعم كان الشباب في ذلك العصر يتقبلون الإرشاد برحابة صدر... وكان ابن حزم حافظاً للقرآن مثل الكثير من أقرانه في ذلك الوقت... فقد أتم حفظ القرآن في سن مبكرة... والقرآن يطبع الأبناء على حب القسم واحترام الشيوخ.

ولعل لنا جميعاً في هذه الومضة عظة ومن هذا الموقف اعتبار فعلي شيوخنا أن يقدموا النصح لأبنائنا المسلمين وليعلموا أن الزمان قد تغير، وأنهم إنما يقدمون النصح لأبنائهم وغالبهم لا يحفظ القرآن، وأكثرهم لا يتقبل النصح في صيغة الأمر فعليهم بالرفق فإن الرفق ما خالط شيئاً إلا زانة وما فارق شيئاً إلا شانه.

فلعل النصح والإرشاد برفق يخرج من بين شبابنا الكثير مثل ابن حزم.

يسر المجلة

و

القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد فقي الدين

القابضون على الجمر

يأتى على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر

(سنن الترمذى)
أجل... أصبح التمسك بفرائض الإسلام مدعاة للاتهام بالإرهاب.. فمن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. يعد إرهابياً ومن يواظب على ارتياد المساجد إرهابياً.. ومن يخرج الزكاة للفقراء والأيتام والمساكين إرهابياً.. ومن يصوم رمضان إرهابياً ومن يؤدي فريضة الحج إرهابياً.. وبهذا المنطق.. منطلق العالم الجديد الذى بشر به جورج بوش فى حروبه الأخيرة ضد العالم الإسلامى سمحت إسرائيل لنفسها أن تمتنع من يريد أداء فريضة الحج من أبناء فلسطين من الخروج.. بحجة أنهم ليسوا ذاهبين للحج.. وإنما هم يتوون الذهاب لمعسكرات تدريب إرهابية للعودة لضرب أهداف مدنية إسرائيلية...!! هكذا ادعوا.

وعندما تدخلت مصر تم السماح للمواطنين فى أداء فريضة الحج بالسفر إلى الأراضى المقدسة. ولكن عند عودة الحجاج رفضت إسرائيل السماح لهم بالعودة إلى الأراضى الفلسطينية إلا بعد إجراءات معينة لم تحددها!! فقط حددت لهم معبراً محدداً للعبور منه وهو معبر «كرم أبو سالم» الواقع تحت السيطرة الإسرائيلية للخضوع هناك لإجراءات التفتيش والنحرى والننى قد تصل لحد الاعتقال وربما القتل... فأحجم الحجاج الفلسطينيون عن الدخول عبر المعبر الإسرائيلى لعلمهم بما سيحدث لهم فى إسرائيل قررت أن من يتمسك بشعائر الإسلام إرهابى وهم سيظلون على تمسكهم بإسلامهم. وبالتالي فهم ما بين معتقل ومقتول... فتكدست جموعهم على الحدود المصرية الفلسطينية فى انتظار بارقة أمل!! وعثناً حاولت مصر إقناع الحكومة الإسرائيلية بترك الحجاج

دروس من هجرة المصطفى ﷺ

من الأستاذ / أحمد عبد المحسن على محمد - مدرسة الأورمان الثانوية للبنين
النموذجية بالدقي - جيزة - كانت هذه الرسالة. قال:

فقد سبق القرار النهائي لهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الهجرة بدأت قبل قرار النبي ﷺ لصحابته عندما كانوا يهاجرون إلى الحبشة ونحن نعرف أن أهل مكة بعثوا من يتفاوض مع ملك الحبشة حتى يعيدهم إلى مكة مرة أخرى لكن الله سبحانه وتعالى ألقى في قلب التجاشي حب المسلمين فلم تغره الهدايا التي قدمها مشركو مكة وأعاد أولئك الذين ذهبوا للتفاوض معه دون أن يحصلوا على أدنى شيء فهذا مظهر من مظاهر عناية الله برسوله وأصحابه.

• وكانت الهجرة إلى المدينة المنورة ولم تكن إلى غيرها وذلك لأنه لم يكن في الجزيرة العربية ما يناظر مكة إلا يثرب حيث كانت الحياة ميسرة فيها وكانوا أكثر أهل الجزيرة قبولا للمسلمين عندما كانوا في مكة.

• ومن دلالة الاحتفال بحدث الهجرة في كل عام لا بد أن نقف لتراجع أنفسنا فإذا أردنا أن تكون الآن في حياتنا المعاصرة الحياة الحرة الكريمة فكما يقال لا يصلح حال آخر الأمة إلا بما صلح به أولها وهو العمل بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل جوانب الحياة قال رسول الله ﷺ: «ترك في ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعد أبدى كتاب الله وسنتي».

كانت الهجرة خطوة هامة قوى بها عود الإسلام واشتد بنيانه وثبتت أقدامه لقد تمت الهجرة فكانت نعمة ومنة امتن الله بها على رسوله ﷺ. إن في الهجرة دروسا مستفادة ومن أهم تلك الدروس الإخاء الذي تم بين المهاجرين والأنصار يقدم لنا الدرس العملي الذي ينبغي أن يكون بين المسلمين في كل زمان ومكان فالقوة والشوكة لا تكون إلا بالائتلاف والتآلف وهذا هو السر في التأخي.

• ولقد هاجر المهاجرون من مكة وليس معهم شيء من مالهم فاستقبلهم الأنصار في المدينة المنورة وقدموا أروع مثل للإيثار، وهو الأمر الذي ينبغي أن يستمر دائما والمسلمون في حاجة إلى العمل بهذا الدرس في كل زمان ومكان حينما يتذكر المسلمون ما تم قديما في تاريخهم فإنهم بغير شك يسارعون لكي يقتدوا بإخوانهم المسلمين الأولين.

لقد كان أول أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم بناء المسجد ودلالة ذلك أن المسجد هو المكان الذي تنأسس فيه العقيدة وتربى فيه القلوب ولا بد من بناء المكان الذي يتربى فيه كل المسلمين وفيه تربية السلوك وفي شموله بكل ما يتعلق بجوانب الحياة.

• لقد واكبت عناية الله رسوله ﷺ وأصحابه

إسلامية. نصت دستايرها على أن الإسلام هو المصدر الأول لدينها للتشريع وتبدي قلقها ومخاوفها من انتشار الإسلام في القارة الأوروبية. لماذا هذا كله؟

الجواب لأنها تعلم أن أساس الصراع بينها وبين جيرانها المحيطين بها صراع ديني في جوهره وأنه مادام هناك مسلمين يتمسكون بدينهم فوجودها محقوف باخطار فهي لن تنسى أبداً أن نبي المسلمين محمد ﷺ والراشدون من خلفائه أجلوهم عن الجزيرة العربية منذ نحو ألف وأربعمائة عام ولذا فهي تتعامل مع كل مسلم يتمسك بتعاليم دينه بمنطق أن هذا المسلم المتمسك بإسلامه هو الذي يمثل الخطر الداهم نحوهم حتى لو كان طاعنا في السن غير قادر على حمل السلاح أو جتينا في بطن أمه.. إنه المنطق الذي يحكم السياسة الإسرائيلية منذ مذبحه دير ياسين سنة ١٩٤٨ وحتى اليوم.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾

المائدة ٨٢

أحمد تقى الدين

يعودون إلى أراضيهم وبيوتهم ولكن دون جدوى.. فكان القرار المصري بدخول الحجاج الفلسطينيين غزة عبر معبر رفح وهو القرار الذي لقي ابتهاجا فلسطينيا ترجمته تصريحات القادة الفلسطينيين الذين أكدوا أن القرار المصري يؤكد بمالا يدع مجالا للشك أن مصر كانت ومازالت حريصة على عدم التفريط في حقوق الفلسطينيين.

وفي المقابل انتابت إسرائيل حالة من الغضب لأن مصر حرمتها من ممارسة ساديتها على الفلسطينيين المتمسكين بإقامة فروض الإسلام مهما كلفهم الأمر حتى لو اتهموا بالإرهاب!! أجل غضب الإسرائيليون لأن مصر حرمتهم من فرصة إفراغ الأراضي الفلسطينية من بضعة مئات من الفلسطينيين كانوا سيتحولون إلى لاجئين وبالتالي يحرمونهم حق العودة إلى أراضيهم!!

كل هذا فقط بسبب إصرار الشعب الفلسطيني على التمسك بأداء فروض الإسلام على الرغم من أن إسرائيل أعلنت منذ قيامها مرارا وتكرارا أنها دولة عبرية لليهود فقط!! أي أنها دولة قامت على أساس ديني.. وتتهم العالم كله بمعاداتها وتتهم كل جيرانها بالتنظر والإرهاب.. لأن كل الدول المجاورة لها دول

أول جمعة في الإسلام

ومن القارئ مسعد عبد الله، الإسكندرية، كانت هذه الرسالة عن أول خطبة خطبها النبي ﷺ في المدينة المنورة، قال:

روى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا

من ثنيات السوداء

وجب الشكر علينا

مادعنا للهدى

أيها البعوث فينا

جئت بالأمر المطاع

ولما ارتفع النهار، ركب رسول الله ﷺ ناقته القصواء، في موكب حافل، والمسلمون يحيطون به مشاة وركبانا، وقد تقلدوا سيوفهم، وتحلوا بأحسن ملابسهم، وعلا جوههم الزهو والبشر والابتهاج بمقدم رسول الله ﷺ، وقد بلغ من حرصهم على كرامة رسول الله ﷺ وتعظيمه، أن كانوا يتزاحمون أمام ناقته، حتى ينافر أحدهم صاحبه في الوصول إليه والتبرك به.

وتوجه ﷺ نحو المدينة فجعل لا يمر بدار من دور الأنصار إلا اعترضوا طريقه وقالوا: «هلم يا رسول الله إلى القوة والمنعة والثروة!» فينتهم ﷺ شاكرًا ويدعو لهم بخير ثم يقول وهو يشير إلى

ناقته: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة».

وقد كان في المدينة دور كثيرة تبلغ تسعاً، كل دار محلة مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها، وكل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم، فهي كالقرى المتلاصقة.

فلما وصل ﷺ إلى دار بنى سالم بن عوف أدركت صلاة الجمعة، فصلّاها هنالك في واديهم بمن كان معه من المسلمين، فكانت أول جمعة أقامها ﷺ في الإسلام وكانت أول خطبة خطبها أن قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس، فقد مروا لأنفسكم، تعلمن - والله - ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ليقولن له ربه.

ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي قبلك، وآيتك مالا وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فليظنن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرن قدماه فلا يرى غير جهنم.. فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليقل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته».

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذين / محمد جمعة
أحمد رضوان

عالم لاهوت كبير:

الإسلام أعظم الأديان وهو المنقذ والنبي محمد الأعظم

أكد هانز كونغ، عالم اللاهوت الكاثوليكي السويسري، الذي يعد من أهم مائة مفكر بالعالم، أن الإسلام هو أعظم الأديان، وأنه يمثل طرق النجاة من خلال أحكامه وقواعده التي تتفوق في تحديدها وتركيزها على الديانات السماوية الأخرى، كما وصف كونغ رسول الله ﷺ بأنه أعظم شخصية في التاريخ.

وأوضح أنه توصل من خلال دراساته العميقة في الأديان السماوية الثلاثة إلى أن الإسلام هو أعظمها، وأنه يمتاز عن غيره من الأديان بأن كلام الله ﷻ القرآن الكريم محفوظ في كتاب الله كما هو بنصه المنزل من السماء على الرسول محمد ﷺ.

ويقول هانز كونغ: كنت شغوفاً بالإسلام والأديان السماوية منذ شبابه ومررت علاقته بالإسلام برحلة مختلفة، كشفت لي عن العمق الذي يتمتع به الإسلام، ومقدار الإنسانية التي يزرعها.

وأكد على تكريم القرآن الكريم للمرأة، مشيراً إلى أن الإسلام أعطاه حقوقاً التي لم تكن متاحة من قبل مثل: الذمة المالية المنفصلة، وأن من حقها أن يتفق زوجها عليها، كما أن لها أيضاً حق الإرث في زوجها، كما ذكر في القرآن الكريم.

اللواء الإسلامي

٢٠٠٧/١٢/١٣ م

الإسلام ثالث دين في إيرلندا وارتفاع نسبة معتنقيه بنسبة ٧٠٪

أظهرت إحصائية رسمية جرت في جمهورية إيرلندا أن المسلمين أصبحوا يشكلون الدين الثالث في البلاد بعد الكاثوليك وأتباع كنيسة إيرلندا وذلك حسب مسح بين سكان البلاد خلال العام الماضي.

كشف المكتب المركزي للإحصاء في إيرلندا أن أكثر من ٣٢ ألفاً من المقيمين على أراضيها يدينون بالإسلام، بلغت نسبة الذكور منهم ٣٠,٥٩٪ والإناث ٤٠,٤٦٪، مما يعني أن ارتفاعاً ملحوظاً قد سجل مقارنة مع العام ٢٠٠٣ إذ قفز مجموع عدد المسلمين بنسبة ٩,٦٩ بالمائة، وحسب أرقام المكتب الإحصائي ومقره دبلن فإن أكثر من نصف المسلمين في إيرلندا ينحدرون من أصول آسيوية وأفريقية، بينما يشكل حملة الجنسية الأيرلندية منهم قرابة الثلث، ويظل الكاثوليك أكبر تجمع ديني في الجمهورية الأيرلندية إذ بلغ عددهم ثلاثة ملايين و٦٨١ ألف نسمة بينما حل أتباع كنيسة إيرلندا الأنجليكانية في المركز الثاني بواقع ١٢٥ ألف نسمة وذلك من أصل العدد الإجمالي والبالغ أربعة ملايين و٢٣٩ ألف نسمة.

اللواء الإسلامي - ٢٠٠٧/١٢/٦

جمعية إسرائيلية تؤكد تزايد العنصرية ضد العرب داخل إسرائيل

أظهر تقرير لجمعية حقوق الإنسان الإسرائيلية تزايد العنصرية ضد العرب داخل إسرائيل وكشف التقرير المستوى لجمعية حقوق الإنسان الإسرائيلية أن العنصرية في إسرائيل متفشية بطريقة غير مسبوقة، حيث أعرب أكثر من ٧٠٪ من اليهود عن عدم استعدادهم للسكن بالقرب من العرب أو السماح للعرب بزيارتهم في منازلهم.. كما أعرب أكثر من ٦٠٪ من اليهود عن تأييدهم للفصل بين العرب واليهود في الأماكن العامة، وأظهر التقرير أن أكثر من ٧٠٪ من الشباب اليهود يزيد طرد العرب.

من جانبها، اعتبرت راحيل بين زيمان مديرة جمعية حقوق الإنسان الإسرائيلية: أن العنصرية في إسرائيل أصبحت ظاهرة مقلقة فهي في ازدياد مستمر عاماً بعد عام.

اللواء الإسلامي - ٢٠٠٧/١٢/٢٧

محاضرات دعوية لطلبة الجامعات الأوكرانية لتعريفهم بقيم الإسلام

ينظم اتحاد المنظمات الاجتماعية الإسلامية «الرائد» في أوكرانيا سلسلة من المحاضرات الدعوية بجامعات العاصمة بهدف تعريف النخبة من الشباب غير المسلم بالقيم الحقيقية للإسلام وتعريفه بالثقافة والحضارة الإسلامية.

وقال بيان صادر عن الاتحاد: إن أولى هذه المحاضرات تم إلغاؤها على طلبة السنة الثانية في الأكاديمية الوطنية بحضور ما يزيد على ١٠٠ طالب وطالبة ممن يدرسون الاستشراف والمهتمين بالثقافة الشرقية.. ويشير البيان إلى أن المحاضرة التي ألقاها الداعية طارق سرحان باللغة الروسية والتي كانت بعنوان: «أصول العرب قبل الإسلام وتأثير الإسلام عليهم» لاقت اهتماماً كبيراً من الطلبة والمدرسين.

ومن المقرر أن ينظم الاتحاد دورة للمدرسين الأوكرانيين في الجامعة والمتخصصين في تدريس مادة الثقافة الشرقية لتعريفهم جيداً بالإسلام.

اللواء الإسلامي - ٢٠٠٧/١٢/١٣

هولندا تحظر إقامة معرض نساء للنبي ﷺ

حظرت إدارة متحف البلدية في مدينة لاهاي غربي هولندا إقامة معرض فني لامرأة إيرانية حاولت عرض صور ولقطات فيديو نساء إلى الإسلام والنبي محمد ﷺ والصحابة.. ذكرت صحيفة «البايس» الأسبانية في تقرير نشرته أن صاحبة المعرض كانت تستهدف الإحياء للزور لمفاهيم مغلوطة عن الإسلام.. مشيرة إلى أن إدارة المتحف اعتذرت عن إقامة المعرض حتى لا تؤذي مشاعر المسلمين.

أشارت إلى أن صاحبة المعرض تدعى سورية هيرا وهي إيرانية تقسم في هولندا منذ ٧ سنوات وتدرس في أكاديمية الفنون وهي معروفة بتنفيذ أعمال تتركز على عالم الشواذ جنسياً!!

الجمهورية - ٢٠٠٧/١٢/٣

حلف الناقو: الإسلام ليس عدواً للغرب

أكد جان فرانسوا بوريو الأمين العام المساعد للدبلوماسية العامة في حلف شمال الأطلسي «الناتو» أن الحلف بحاجة لمزيد من التفاهم مع الدول العربية الإسلامية من خلال مبادرة اسطنبول.. وقال بوريو: إن الإسلام دين قوى ومتشعر وليس عدواً للغرب على الإطلاق، واعتبر أن إحلال السلام ممكن في الشرق الأوسط لوجود رغبة لدى كل الأطراف لإنهاء الصراع، مشيراً إلى حرص الناتو على السلام للتوازن بين كل الأطراف المعنية، ونفى أن تكون داخل مقر «الناتو» في بروكسل أية أفكار تدل على أن هناك حيوياً سوف تندلع بين الغرب والإسلام، ورفض أن يكون الإسلام عدواً للغرب كما يشاع، وقال: إن الإسلام منتشر بكثرة ولست في مواجهة مع الإسلام مطلقاً.

اللواء الإسلامي - ٢٠٠٧/١٢/١٣

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للاستاذ / عبدالموجود أمين



الإمام
الأكبر
يهنئ
العاملين
بمجمع
البحوث
الإسلامية
بعيد
الأضحى
المبارك

في أبوة حانية كعادته دائما تفضل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بزيارة مجمع البحوث الإسلامية لتهنئة العاملين بعيد الأضحى المبارك وقد دعا فضيلته لهم بالتوفيق في العمل متمنيا لهم حياة سعيدة.

الإمام الأكبر يتدخل للإفراج عن مبعوث الأزهر في الفلبين

تعرض الشيخ محمد السيد أحمد موسى عضو بعثة الأزهر الشريف في دولة الفلبين بولاية كوتاباتو للقبض عليه من منزله يوم ٢٠٠٧/١٢/١٩ أول أيام عيد الفطر المبارك بتهمة حيازة مواد يمكن استخدامها في صناعة متفجرات وقور علم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بهذا الموضوع قام فضيلته

الطلاب العرب يهجرون أمريكا

بالرغم من الجهود الكبيرة التي تبذلها الولايات المتحدة الأمريكية لاستعادة الطلاب العرب للدراسة بجامعاتها ومعاهدها، حيث تناقصت أعدادهم بشدة عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، إلا أن هذه الجهود باءت بالفشل حسب تقرير لعهد التعليم الدولي بنيويورك، وتحول الطلاب العرب إلى الدراسة في استراليا بدلا من الولايات المتحدة، وذكر تقرير العهد الدولي الذي نشرته صحيفة واشنطن بوست الأمريكية أن عدد الطلاب الإماراتيين على سبيل المثال الذين اختاروا الدراسة في الولايات المتحدة انخفض بنسبة ١٠٪ في عام ٢٠٠٦، كما انخفض عدد العمانيين الراغبين في الدراسة بأمريكا بنسبة ٢٥٪، وكذلك انخفض عدد الطلاب الكويتيين واللبنانيين والأردنيين بنسب متفاوتة، وكشف التقرير عن أن استراليا أصبحت الوجهة الأولى للطلاب العرب الراغبين في الدراسة بالخارج، حيث قفز عدد الطلاب العرب والإيرانيين الدارسين بها من ٢٥٨٠ طالبا عام ٢٠٠٢ إلى ٧١٢٢ طالبا عام ٢٠٠٦.

الأهرام - ٢٠٠٧/١٢/٢١

تركيا تتجه لتخفيف الحظر على الحجاب

لحق حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا إلى اعترافه تخفيف الحظر الصارم المفروض على ارتداء الحجاب في الجامعات بموجب مشروع دستور جديد. قال دنجير فيرات نائب رئيس الحزب ذو الجذور الإسلامية في تصريح له: «إن هذا الدستور الجديد سيحل مشكلة الحجاب بروح تحررية أكبر. وأوضح أن الحجاب هو امتداد حرية العقيدة، مشيرا إلى أن الدستور الجديد سيحل محل دستور يرجع إلى الحكم العسكري في الثمانينيات وأنه سيعزز الحرية الفردية في تركيا المرشحة للانضمام للاتحاد الأوروبي».

الجمهورية - ٢٠٠٧/١١/٢٨

بالانصال بالسيد وزير الخارجية والسيدة السفيرة سلوى مفيد سفيرة مصر في الفلبين للوقوف على أبعاد القضية واتخاذ الإجراءات اللازمة وقد أمر فضيلة الإمام الأكبر بتشكيل غرفة عمليات لتابعة الموضوع برئاسة فضيلة الشيخ على عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية. حيث استدعاه فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم الخميس ٢٠ / ١٢ ثانياً أيام العيد لتابعة هذا الموضوع وفتح خط اتصال مباشر مع الخارجية المصرية والسفارة المصرية في الفلبين ورئيس البعثة الأزهرية.

وقد قامت السفارة المصرية بدفع الكفالة المطلوبة للإفراج عنه وتوكيل أحد المحامين بناء على طلب الإمام الأكبر.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عقب زيارة السيد السفير / أحمد القويصني مساعد وزير الخارجية للشئون القنصلية بعد الاطلاع على كل ملابسات القضية أن وجود عطلات في دولة الفلبين هذه الأيام كان سبباً مباشراً في تأخير عرض المبعوث على القاضي المختص والإفراج عنه.

وقد تم الإفراج رسمياً عن المبعوث صباح يوم الخميس ٢٧ / ١٢ / ٢٠٠٧ وذكر فضيلة الشيخ / على عبد الباقي أن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وافق على اقتراح السفارة بنقل مبعوثي الأزهر الشريف في ولاية كوتاباتو بما فيهم الشيخ محمد السيد مرسى إلى العاصمة مانيلا وتوزيعهم على المعاهد والمدارس الإسلامية بالعاصمة مانيلا حرصاً عليهم وخوفاً من أن يتسبب هذا الحادث في تعريضهم لأي خطر.

وقد ذكر المحامي الموكل في القضية أن الأوراق والمستندات الرسمية التي اطلع عليها تفيد بأن الشخص المطلوب يدعى محمد سعيد الشهير بأبي حسين وليس محمد السيد موسى مبعوث الأزهر مما يؤكد لدينا براءة الشيخ محمد السيد موسى ولا سيما وأن السلطات الفلبينية قد تحررت عنه ومنحته تأشيرة الدخول والإقامة من قبل ذلك وما زالت غرفة عمليات التي شكلها فضيلة الإمام تتابع الموضوع مع الخارجية والسفارة المصرية والمحامي الفلبيني المكلف بتولى القضية حتى الانتهاء منها وإثبات براءة المبعوث.

ويشيد فضيلة الشيخ على عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية باهتمام وزير الخارجية والسيد السفير أحمد القويصني والسيدة السفيرة سلوى مفيد بالموضوع وجهودهم المشكورة في رعاية مبعوثي الأزهر.

إجازة إجهاض المفتصة

ناقش مجلس مجمع البحوث الإسلامية في جلسته المنعقدة في ١٧ من ذي الحجة ١٤٢٨ هـ - ٢٧ / ١٢ / ٢٠٠٧ مذكرة لجنة البحوث الفقهية بجلستها بتاريخ ٣ من ذي الحجة ١٤٢٨ هـ - ١٢ / ١٢ / ٢٠٠٧ بشأن مدى جواز إجهاض الحامل من عملية الاغتصاب. وقد أقر المجلس جواز إجهاض الحامل من الاغتصاب وقد قرر المجلس أنه يجب على المفتصة أن تتخلص فور علمها به ما لم ير الطبيب المختص ضرورة بقائها لإرجاء الإجهاض في أسرع وقت.

مشكلات الأقليات الإسلامية

كما ناقش المجلس في ذات الجلسة المذكورة المقدمة من السيد الأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندي بشأن الأقليات المسلمة في الدول الغربية وسائر دول العالم على السواء. وتضمنت المذكرة البنود الآتية:

- ١- المواطنة في الدول غير الإسلامية ومدى ارتباطها بالولاء لنظام غير إسلامي.
 - ٢- المشاركة في النظام السياسي غير الإسلامي سواء بالترشيح أو التصويت.
 - ٣- شراء البيوت أو المساكن بقوائد بتكية.
 - ٤- زى المسلمة في المجتمعات غير الإسلامية والانخراط في الحياة العامة.
 - ٥- الالتحاق بنظام التعليم والثقافة العلمانية في المجتمعات غير الدينية.
 - ٦- العمل في مجالات غير مشروعة إسلامياً.
 - ٧- التجنيد في جيش دولة غير إسلامية.
 - ٨- حق حضانة الأم غير المسلمة التي انفصلت عن أب الطفل المسلم.
 - ٩- اللجوء إلى النظام القضائي غير الإسلامي في منازعات الأسرة المسلمة.
 - ١٠- عدم إجازة العقود للمسلم عملاً بالقوانين الغربية.
 - ١١- تحديد بداية الصوم تبعاً لاختلاف المطالع وعدد ساعات الصوم في المناطق القطبية ومواقيت الصلاة فيها.
 - ١٢- منهج وأسلوب الدعوة الإسلامية في العالم المعاصر.
- وقد قرر المجلس أن يعد السادة الأعضاء أبحاث في هذه الموضوعات للعرض على المجلس في جلسة قادمة كل في تخصصه.

their books and correspond to them. (Narrated by Al-Bukhary, Abu Dawud and At-Termethy). Thus, many Muslims were keen on learning and translating to and from many languages.

The beloved Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was a perfect example for caring about spreading reading and writing to reform the new Islamic society, and to prepare the human being by science first to be the foundation stone of new human society moving toward progress and improvement.

In comparison with the instructions of Islam for reading and imposing the scientific research, the United Nations declared that every human being has the right of culture and education. However, it did not impose this right, rendering this right as a recommendation. There is a great difference between recommending the education of the human being and declaring the necessity of reading and science, as Islam did without fear creating great love for science and knowledge.

Jostaf Lobon mentioned in his book "The Arabs' Civilization", "The great interest of the Arabs in science was marvelous. Although many nations became equal to them, no other nation preceded them as I think. If they conquered a city, their first interest was establishing a mosque and a school. There were not only many schools in the big cities, but also there were universities in Baghdad, Cairo, Tulaitelah, and Qurtubah...etc. These universities were equipped with labs, observatories, rich libraries and the necessary articles needed for scientific research.

The civilized beginning of the progress of the Muslims is one of the phenomena of kindness, the attribute that distinguished them in their conquests. Some of the philosophers of the west said, "There were no conquerors kinder than the Muslims, and no more tender religion than Islam."

The most remarkable attribute that distinguished Islam from any other religion and organization is its call for establishing life system on the basis of science and belief. The Noble Qur'an recorded this fact in the first verses that descended and were applied by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

May the blessings and peace of Allah be upon the Prophet Muhammad at every time till the Day of Judgment. Our last prayer is praise be to Allah, the Lord of the worlds.

Translated by: Eman Ali El-khateb.

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil

دورات تدريبية للوعاظ الجدد

صرح فضيلة الشيخ عبد الحميد الأطرش الأمين العام المساعد للدعوة بأنه يجري حالياً عقد دورات تدريبية للوعاظ الجدد على مستوى الجمهورية للتدريب على مهام العمل الدعوى والفتوى. وذلك بمقر مدينة البحوث الإسلامية بالقاهرة مدة الدورة خمسة عشر يوماً وعدد الدارسين خمسة عشر واعظاً يمنح كل متدرب شهادة بذلك فى نهاية الدورة.

٦٢٤٥ دارسا بالأزهر من دولة ماليزيا

صرح فضيلة الشيخ فوزى زيدان مدير عام إدارة الرافدين باجمع أن عدد الدارسين للعام الدراسى ٢٠٠٦، ٢٠٠٧ من دولة ماليزيا الشقيقة بلغ ٦٢٤٥ فى مختلف المراحل التعليمية وأن عدد الدارسين منهم على نفقة الأزهر اثنان وستون طالباً وطالبة بالإضافة إلى مائة وستين على منح من جهات مختلفة وستة آلاف وثلاثة وعشرين طالباً وطالبة على نفقتهم الخاصة.

من أجل حوار لا يفسد للود قضية



صدر عن إدارة المطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية إصدار جديد بعنوان «من أجل حوار لا يفسد للود قضية» للمفكر الإسلامى الأستاذ الدكتور محمود محمد عمار عمدة فيه الكاتب إلى إظهار فن الحوار الإسلامى.. وقد فند المؤلف آراء المستشرقين بحجج ساطعة دون المساس بالأديان.

يقع الكتاب فى ثلاثة فصول، الأول: تناول المؤلف فيه الجدل من البداية إلى الغاية.. وفى الفصل الثانى: تناول المجادلة مع أهل الكتاب وأخلاقيات الجدل.. والالتزام بأدب الحوار.. أما الفصل الثالث: فقد ذكر فيه بعض صور الجدل ثم طاف حول وطبيعة الداعية وما يتصف به من حلم وصبر بالإضافة إلى كثير من الموضوعات الشيقة التى طوّف بها المفكر الكبير.

Ibn Al-Qayem (may Allah forgive him) mentioned that the Surah starts with the order of reading resulting from knowledge. He mentioned the creation in general and in particular in His saying:

«Read : In the Name of your Lord who created. Created man from clots. Read: And your Lord is The Most Honorable.» [Al- Alaq (the clot) : 1-3]

Allah distinguished the human being from the other creatures by manifesting in the human being His miracles, the signs of His Divine abilities, His wisdom, His comprehensive mercy and oneness. Allah mentioned the word "clot", as it is the beginning of the creation.

Then, Allah repeated the order of reading informing that He is the Most Honorable, as He is the source of honor and generosity, and the Most Perfect and Most Glorious. Then, Allah mentioned knowledge in general and in particular.

«He taught man what he did not know». [Al- Alaq (the clot) : 5]

The verse means that Allah granted all the creatures His graces. Creation includes four levels:

The first: The exterior level that is expressed by the word "create"

The second: The intellectual level indicated by His saying:

{He taught man what he did not know}

The third and fourth levels: The verbal and written levels, the later of which is mentioned frankly in His saying:

«Who taught by the pen.»

Written education depends on the verbal one, as writing is a branch of pronunciation, which is a branch of imagination. These words include all the levels of existence. Allah granted His creation knowledge and He is the Creator of all creatures. Nothing could be written, known or said except by His Will and Ability. These are the signs of His existence and proofs of His Wisdom. There is no god but Allah, the Most Gracious, The Most Merciful.

Allah is known to His creatures by the knowledge that He taught them, being represented in writing, reading and meaning. Knowledge is the most remarkable proof of the existence of Allah.²

Thus, the books of explanation indicate the significances of the first verses of the Noble Qur'an calling for knowledge to start new history for humanity. The Divine speech is directed to the Messenger Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him), and to every one to understand that he is ordered to read.

Reading refers to every useful science; Allah mentioned reading in particular because it is the starting point for the human being, and the key of his progress. Work in Islam should depend on knowledge, which depends on reading and illiteracy eradication.

² The explanation of Ibn Kathir volume 4, page 528.

³ The key of happiness, volume 1, page 58 taken from the previous reference.

In response to the first instructions of the Noble Qur'an, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was keen on getting rid of illiteracy that spread among the Arabians, as they were known among the nations by "the illiterates". Allah, Glory be to Him, said:

«He is the One Who has sent forth among the illiterate a Messenger from among them.»

[Al-Gum'ah (Friday): 2]

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said expressing the prevailing reality, "We are an illiterate nation that neither writes nor counts." (Narrated by Al-Bukhary). It is really wonderful that the illiterate Prophet who belongs to an illiterate nation started to fight illiteracy by all means.

When the Muslims captivated some of the Quraysh men in Badr invasion, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) determined the ransom of some of them to be teaching some of the Muslim illiterates. He imposed on every captive to teach ten Muslims to get rid of arresting.

Ibn Sa'd Ibn 'Amer Al-Sha'by mentioned, "Allah's Messenger arrested in Badr day seventy captives whose ransom was determined according to the quantity of their money. The people of Mecca were literate, while those of Medina were illiterate. The one who has no money had to teach ten of the youth of Medina. He would be released if the youth he taught became literate."⁴

It was mentioned that Zayd Bin Thabit, one of the writers of the revelation, was taught by one of the captives of Quraysh. Thus, the Prophet's plan did not depend on poor knowledge. However, it depended on excellent command unless the trainee would forget and become illiterate again.⁵

The difference of religions did not prevent the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) from taking the best of the disbelievers, especially learning how to write does not include particular kind of thinking or culture. Also, it can not be affected by the attitude of the teacher.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) did not limit learning to men only, but he urged also the women to learn, as Al-Shifa' Bint Abdullah taught the mother of the believers, Hafsa Bint Omar.

As for learning languages, some of the Prophet's companions knew Persian, Habashi and Roman languages, and translated many sorts of knowledge. No one of his companions knew Hebrew, the language used by the Jews; thus, he ordered the writer of the revelation, the genius supporter (Ansary), Zayd Bin Thabit (may Allah be pleased with him) to have good command of writing and reading it to do without the Jewish mediators.⁶

Zayd said, "When Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) ordered me to learn Hebrew, after a month and a half, I had good command of it. I could read

⁴ The levels of Ibn Sa'd, volume 1, page 22, Beirut edition

⁵ Dr. Yousif Al-Qaradawy, The Prophet and Science, Resalah foundation, Beirut, 146 H-1985 G.

⁶ The previous reference

**With
Muhammad the Beloved Messenger' (may the blessings
and peace of Allah be upon him)
Regarding the Meaning of (Read)....!**

By: Dr. Ahmad Fou'ad pasha

The Noble Qur'an referred to this religion in the saying of Allah, Glory be to Him:

{Ibrahim was in no way a Jew, neither a Christian; but he was an unswervingly (upright) Muslim; and he was in no way one of the associators.

[Al-Imran (The House of Imran): 67]

When the beloved Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was forty years old, the revelation descended to him while worshipping in Hira' cave. The inspiration informed him that he would become the Messenger of Allah to bring the world out of darkness to light, calling the people to avoid worshipping the idols, to get rid of the superstitions of the pre-Islamic era, to worship Allah only. Moreover, his role is to call the people to believe in Allah, His Angels, Books, Messengers and the hereafter, to reform the human society, develop it to reach luxurious life in which the human being joins the good of the present life with that of the hereafter. The first verses of the Noble Qur'an that descended are:

{Read: In the Name of your Lord who created. Created man from clots. Read: And your Lord is The Most Honorable. Who taught by the pen. He taught man what he did not know.}

[Al-Alaq (The Clot): 1-5]

There is no more decisive proof for the importance of science and urging the human being to ask for it than beginning the Noble Qur'an by the brilliant verses ordering the people to read. The order, which is mentioned twice, does not mean a specific kind of reading. The word "science" is mentioned thrice without determining its subjects. It does not matter whether the "subject" of reading and science is religious or worldly, as long as its research aims at serving Islam, improving life, and guiding the human being at every time and place.

The holy verses included the word "the pen" as a means of writing.

The Noble Qur'an asked solely for being limited by the following:

{Read: In the Name of your Lord who created}

Thus, it could be directed to right and good because Allah is their source. This is the reading meant by Islam for the sake of science regardless of its subject. It should be under the umbrella of Islam and for the sake of sublime patterns.

Al-Qortoby (may Allah forgive him) said, "Most of the explainers said that this Surah is the first one that descended by Gibri' while the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was worshipping in Hira' cave. Gibri' taught him five verses. Then, Al-Qortoby said:

{Who taught by the pen}

He meant writing, as Allah taught the human being writing using the pen. Bin Qutadah narrated that the pen is a great grace granted by Allah, without which neither religion, nor life could exist. One of the graces of Allah is that He taught His worshippers the matters that they did not know transferring them from the darkness of illiteracy to the light of learning.

Moreover, Allah draws the human attention to the grace of writing, as it has various benefits not known to any one except Allah. Then, Al-Qortoby (may Allah forgive him) said the saying of Allah, Glory be to Him:

{He taught man what he did not know}

It was said that the human being is Adam (may the blessings of Allah be upon him), who was taught the names of every thing, as Allah, Glory be to Him, said:

{And He taught Adam all the names}

[Al-Baqarah (The Cow): 31]

Adam knew the names of every thing in all languages, and mentioned them to the angels. Thus, his grace, ability and prophecy appeared, and the proof of Allah was known to the angels, who yielded to Him for His great ability. Then, his ascendants inherited and transferred them generation after generation.

It was also said that "the human being" means the Prophet (may the peace and blessings of Allah be upon him), and the proof is the saying of Allah, Glory be to him:

«And he has taught you whatever you did not know» [An-Nis'a (Women): 13]

Thus, the meaning of "he has taught you" is the future. It is one of the first verses that descended. Other explainers said that it has a general meaning for the saying of Allah:

{And Allah brought you out of your mothers' bellies not knowing anything, and He has made for you hearing and beholdings and heart-sights, that possibly you would thank (Him).}

[Al-Nahl (The Bees): 78]¹

Ibn Kathir (may Allah forgive him) said, "These holy verses are the first verses that descended, and the first mercy by which Allah pitied His worshippers. It contains the first hint that the human being is created out of a clot. Praise be to Allah, Glory be to Him, Who informed the human being with the unknown matters glorifying and honoring him. It is the destiny by which Adam, the father of the creation, was distinguished.

Sometimes knowledge occurs in the mind, while sometimes it exists on the tongue. It may exist in writing by fingertips either intellectually, verbally or officially.

«And your Lord is The Most Honorable. Who taught by the pen. He taught man what he did not know» [Al-Alaq (the clot): 3-5]

¹ The explanation of Al-Qortoby page 7217, narrated by Abi Abdullah Ibn Said Ibn Raslan about the grace and benefit of science and knowledge, the ways of attaining them, the morals that should be maintained in attaining them, The Islamic House of Sciences, Cairo, 1407 H-1987 G

earth." They (the Angels) say, "Was not the earth of Allah wide so that you (could) have emigrated in it?" So, the abode for those (men) is Hell, and what an odious Destiny! »

[An-Nisaa (the Women):97]

Self-oppression is represented in avoiding the declaration of the right for fear of getting hurt, as well as avoiding Hegira for the sake of freedom and dignity.

«And whoever emigrates in the way of Allah will find in the earth many reinstatements and affluence. And whoever goes out of his home an emigrant to Allah and His Messenger, (and) thereafter death overtakes him, then his reward will have already befallen on Allah; and Allah has been Ever-Forgiving, Ever-Merciful...»

[An-Nisa (The Women):100]

After all of the kinds of torture and torment practiced against the Muslims by the disbelievers, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him) ought to start immigrating. Some signs of hope seemed to accompany the idea of Hegira, as he knew that the Jews of Yathreb told its people, "There is a Prophet sent by Allah, Glory be to Him, whom we will follow to kill you as Add and Eram were killed."

There are some people belonging to Al-Khazraj told the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him): "We left our people who have the severest hatred that ever exists. May Allah help you to reconcile them, as there no one will be expect good future for his Dāwa at yathreb, more precious than you if you succeed." The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

The people whom the prophet met at hajj found their hearts after their return to Yathreb opened to belief and eager to the religion. The name of the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was mentioned at every home at that time. Thus, the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was preoccupied by Hegira feeling at ease about it.

This idea was performed quickly because of the conspiracy of Quraysh against him, as a group of them were collected around his home to kill him. Then, Allah ordered Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to immigrate coming out among the killers, whom Allah made blind. He went to Abu Bakr telling him about the order of Allah. Then, Abu Bakr asked him to accompany him in his Hegira, and the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) accepted. Hegira took place after the risks that faced the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his companion, but Allah protected them.

Allah, Glory be to Him, says:

«In case ever you do not vindicate him, yet Allah readily vindicated him, as the ones who disbelieved drove him out the second of two, as the two were in the cavern, as he said to his companion, "Grieve not; surely Allah is with us." Then Allah sent down His serenity on him and aided him with hosts you did not see; and He made the word of the ones who disbelieved the basest; and the Word of Allah (is the one) (which) is the Uppermost; and Allah is Ever-Mighty, Ever-Wise»

[At-Tawbah (The Repentance): 40]

Hegira resulted in the fact that many people entered Islam as well as the Divine Shari'a started to be directed to the human society. Allah honored the human being, whom he made His successor on earth.

The religion supported freedom, glorified the human reason, honored science and scientists, equalized the people without distinction between the rich and the poor or governor and the governed except by piety, which is the only criterion of distinction in Islam. Money, prestige, lineage and color are not the criteria of distinction in Islam.

Islam does not accept the mediation between Allah and His worshippers, as Allah is the Ever-Great, and the only One Who deserves worshipping; anyone who needs help should be directed to Allah, who emphasized the importance of mercy and benevolence against the poor, the weak and the miserable. Allah imposed almsgiving on the rich to be given to the needy, and ordered the Muslims to be united.

Allah ordered the Muslims to cooperate for the sake of benevolence and piety, and prevented the Muslims to cooperate for sin and aggression. Allah underestimated life and honored the rank of the hereafter making it the only destination to which the Muslims should be directed. Allah ordered the people to abide by good manners and justice and forbade sins, atrocity and oppression.

Thus, it is the duty of the Muslims to take lessons from Hegira and to follow the pattern of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) in all of his deeds. The Muslims should believe that their dignity and honor were not carried out before this religion; and the humiliation occurring today resulted from being dispatched from the religion.

Allah, Glory be to Him, says:

«Allah has promised the ones of you who have believed and done deeds of righteousness that indeed He will definitely make them successors in the earth, (even) as He made the ones who were before them successors, and that indeed He will definitely establish for them their religion [An-Nur(The light): 55]

Also, Allah, Glory be to Him, says:

{The ones who have believed, and have emigrated, and have striven in the way of Allah with their riches and their selves are more magnificent in degree in the Providence of Allah; and those are they (who are) the triumphant. Their Lord gives them good tidings of mercy from Him and all-blessed Satisfaction, and Gardens wherein they will have perpetual bliss. Eternally therein (abiding) forever, surely in the Providence of Allah is a magnificent reward.

[At-Tawbah (The Repentance) 20-22]

These verses mean the continuance of Hegira, which result in great victory especially when supported by striving by money. Also, one of the results of Hegira and striving is winning Allah's mercy as well as eternal pleasure in paradise.

The earlier emigrants were a great pattern in striving by money and soul, as Abu Bakr received the news of Hegira by eagerness and great happiness. Abu Bakr expressed his great happiness by saying, "O you Allah's Messenger! I want to be your companion." Omar Ibn Al-Khattab insisted on emigrating to vindicate Islam and Muslims. He said loudly in Mecca challenging the disbelievers of Mecca, "The one who wants to die can follow me behind this valley." However, no one followed him.

There are many other examples that signify the strength of belief, underestimating death and all of the pleasure of life. Hegira is not just a historical event that took place and came to an end, however, it is a continuous principle that gives lessons and charges the soul pushing it to abide by the perfect behavior in life.



﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

Hegira Means Lessons and Sermons

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The fair caliph, Omar Ibn Al-Khattab (may Allah be pleased with him), who was the second caliph, chose Hegira among many matters to be the beginning of the Islamic calendar supporting his choice by saying, "It distinguished between right and wrong". The Muslims should celebrate this important event, and speculate on its sermons and lessons; it has a great effect on Islam as a religion and on the Muslims.

This event reminds us of the violent conflict that occurred between right and wrong as well as the decisive victory taking place after Hegira. This victory would not have occurred except by the strong belief of the Prophet's companions (may the blessings and peace of Allah be upon them), as they endured the difficulties that faced them sacrificing money, family life and homeland for the sake of their religion.

This religion supports freedom of opinion, human dignity and self-esteem. The Prophet Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was seeking neither sovereignty nor money. moreover, he did not care about life desires and pleasure. He was ascetic in life being satisfied by the least properties. He was not bad-mannered to the extent that people may avoid him. On the contrary, he was attributed by chivalry being the most generous person to his guests.

He was extremely honest, truthful and kind in dealing with everyone. His attributes were well-known to his people who called him by the truthful and the honest. He was extremely virtuous, meek and generous. He used to help the weak, support the oppressed and sympathize with the distressed, the miserable, widowers and orphans.

In spite of all of these attributes, his people forced him to leave his homeland. He was surrounded by enmity as the disbelievers lurked to him at every place. Their hatred for him resulted in enmity, although he resorted to every way not to hurt him, and to listen to his call (da'wa) for the new religion.

They preferred to imitate their fathers, and to be proud of their power. Pride and imitation render the person unable to distinguish between the good and evil or right and wrong, as they eliminate sound thinking and turn the human being into an animal. It was natural that the Prophet should leave this spoiled environment to perform the Message of Allah and inform His da'wa. He wanted to inform another people who have sound thinking and are attributed by kindness with his da'wa, as he tended to help the weak and the poor, and to direct the tyrants who oppress the weak to the right path.

He wanted to tell all of the people:

«O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant».

[Al-Hujurat (The Apartments):13]

His Shari'a called the one who endures much of humiliation and tyranny as self-oppressive, the attribute that may be entitled to the one who did not start to immigrate

«Surely the ones whom the Angels take up, (while) they are unjust to themselves- (to them) (the Angels) say, "In what (condition) were you?" They say, "We were deemed weak in the

الفهرس

- أكثر رسائل الجامعات.. هيكل عظمي، الافتتاحية،
للاستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي — ٢
- تفسير سورة آل عمران
لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي — ٨
- واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي — ١٦
- الهجرة وأثرها في إقامة الدولة الإسلامية
لفضيلة الشيخ / فوزي الزغراف — ٢٢
- قطرات من ينابيع الهجرة
للاستاذ الدكتور / محمد فتحي قرج — ٢٨
- خصائص الرّجوع الإسلامي قبل الهجرة
لفضيلة الشيخ / محمد الغزالي — ٣٢
- الطريق إلى السعادة
للاستاذ الدكتور / محمود عمارة — ٣٨
- أحداث ومواقف بعد الهجرة إلى المدينة
لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي — ٤٤
- الهجرة بين الدلالات القويّة والسّوق الماديّ والشعوريّ
للاستاذ الدكتور / صابر عبدالدايم — ٤٨
- قصة العبد في الطريق إلى مكة
للاستاذ الدكتور / أبي حسام — ٥٢
- استقنابات القراء
يجيب عنها أ. د/ علي جمعة — ٥٨
- عن الخروج في القرآن الكريم
للاستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب — ٦٠
- الصلح وأجابه شرعي وقانوني
للمستشار حسن حسن منصور — ٦٦
- الأصول الإسلامية للطب البيطري
للاستاذ الدكتور / مصطفى رجب — ٧٢
- نشأة الاختلاف وأدبه
للاستاذ الدكتور / السيد فرج — ٧٦
- سياسة العقاب وأدبه في التشريع الإسلامي
لفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي شحاتة — ٨١
- كتاب الشهر: الله ليس كذلك
عرض وتحليل أ. د/ إبراهيم عوضين — ٨٤
- المجلة الفرنسية وبنابات الأزواجية في نموذج التقدم
للاستاذ الدكتور / محمد عمارة — ٩٠
- عبدالقادر الحسيني، قصيدة
للشاعر المطبوع الأستاذ / أحمد مخيمر — ٩٦
- تركيا والأزمة الكردية
للاستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد — ١٠٠
- الأسبوعية حكومة العالم الخفية
للدكتور / محمد حسن عبدالخالق — ١٠٨
- طرقت ومواقف
للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم — ١١٢
- بين الصحف والمجلات
إعداد: محمود الفسني - علا عبدالرحمن — ١١٥
- مؤتمركمكة التامن
رسالة مكة من / عاطف مصطفي — ١٢٠
- طلائع الهجرة
للاستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم — ١٢٦
- لحظات طيبات مع الإمام ابن حزم
للاستاذ / عادل خفاجة — ١٣٢
- بين المجلة والقارئ
للاستاذ / أحمد السيد تقي الدين — ١٣٧
- أنباء العالم الإسلامي
إعداد: محمد جمعة - أحمد رضوان — ١٤١
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية
إعداد الأستاذ / عبدالجود أمين — ١٤٥
- القسم الإنجليزي
إشراف وإعداد أ. د. إبراهيم الأصيل — ١٥٧
- استبانة — ١٥٩

استبانة

حرصنا من مجلة الأزهر، على مشاركة القراء في سياسة التحرير بالمجلة.. وحرصاً منها أيضاً في أن يجد القارئ ما يريد من مقالات وأبواب تقدم هذه الاستبانة.. ونحن نشكر المشاركين في الاستبانة، ونأمل أن تكون المشاركة فعالة مثل الأعوام السابقة..

والله من وراء القصد..

- هل تحرص على اقتناء مجلة الأزهر بصفة مستمرة؟

(١) نعم (٢) لا (٣) إلى حد ما.

- هل تجد صعوبة في الحصول على المجلة؟

(١) نعم (٢) لا (٣) إلى حد ما.

- هل تصل إليك المجلة في وقت مناسب؟

(١) نعم (٢) لا (٣) إلى حد ما.

- ماهي أكثر المجالات الإسلامية التي تحظى باهتمامك؟ مع ذكر الأسباب.

(١) مجلة الأزهر (٢) منبر الإسلام (٣) التوحيد (٤) أخرى..

- ما رأيك في طباعة المجلة؟

(١) جيدة (٢) مقبولة (٣) رديئة.

- ما رأيك في غلاف المجلة؟

(١) مناسب (٢) غير مناسب (٣) إلى حد ما.

- ما رأيك في عدد المقالات التي تنشر داخل المجلة؟

(١) كافٍ (٢) غير كافٍ (٣) إلى حد ما.

- ما رأيك في حجم الخط المستخدم في المجلة؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردى.

- ما رأيك في استخدام الألوان داخل المجلة؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردى.

- ما رأيك في استخدام الصور (شخصية - أحداث) داخل المجلة؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردى.

- ماهى أكثر المقالات التى حظيت باهتمامك هذا العام؟

- من هو الكاتب المفضل الذى يحظى باهتمامك داخل المجلة؟

- ماهى أكثر الأبواب التى تحظى باهتمامك؟

- ما رأيك في ملحق المجلة (الهدية)؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردى (٤) لا أدرى.

- ماهى اقتراحاتك وأراؤك التى تود أن تكون فى المجلة؟ (يمكن إضافة ورقة منفصلة).

كما نرجو توضيح بيانات المشترك على النحو التالى:

(١) الاسم :

(٢) السن :

(٣) المؤهل الدراسى :

(٤) الوظيفة :

(٥) العنوان :

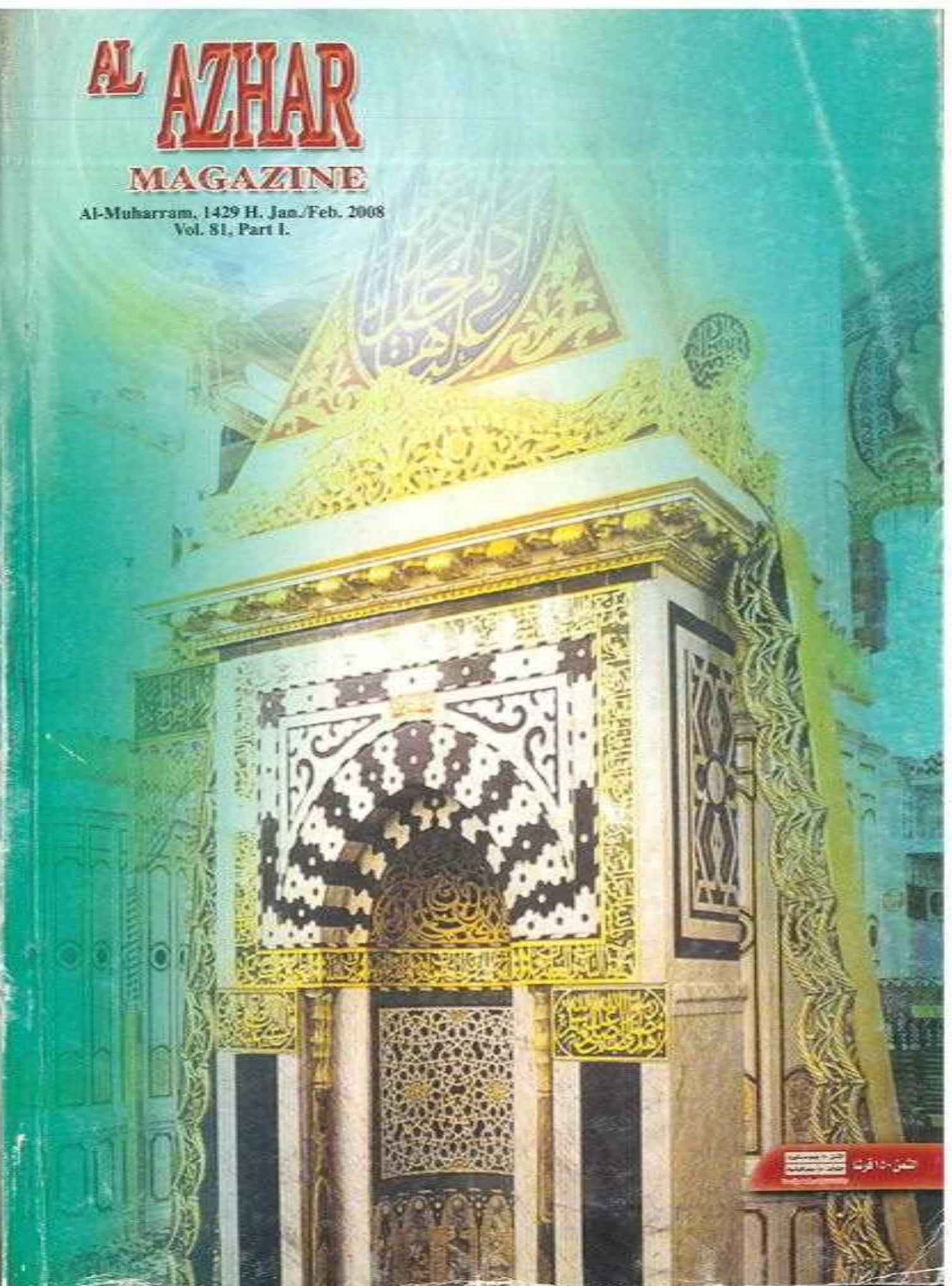
يمكن للقراء الأعضاء إرسال إجاباتهم على صورة النموذج.



AL AZHAR

MAGAZINE

Al-Muharram, 1429 H. Jan./Feb. 2008
Vol. 81, Part I.



العدد ٨١ - الجزء الأول
الطبعة الأولى: ٢٠٠٨
الطبعة الثانية: ٢٠٠٨

هدية العدد
شاعر الإسلام
الدكتور / محمد إقبال

الأهرام

مجلة إسلامية شهرية تصدرها مجمع البحوث الإسلامية
صفر ١٤٢٥ هـ - فبراير/مارس ٢٠٠٤ - الجزء ٢ - السنة ٨١

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا
الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا



١١
٣٢٢٢٥
دوريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

الاشتراك السنوي

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

مكتبة الأزهر الشريف

صفر ١٤٢٩ هـ - فبراير/ مارس ٢٠٠٨ م - الجزء الثاني - السنة (٨١)

العدد /

مكتبة

الجريدة اليومية

والمقالات الأدبية والدينية

الجريدة اليومية ذات رسالة حيوية جادة، ونود لها من الارتقاء والازدهار ما يوده القارئون على تحريرها. فإذا أجه النقد الهادف إلى بعض أبوابها فهو النقد اخلص العطوف، الذي يعاون على تسديد الخطأ دون إجحاف بالجهود المبذولة، والعقبات التي تذلل في صبر وأناة، والقصور الذي نلاحظه فيها مما يسهل تلافيه، إذا صدقت الهمم، وخلصت النيات، ووجوده الدائم هو نقص القادرين على التمام، الذي عده المتنبي من أفدح العيوب!

تطالع صفحة الأدب كل أسبوع، فنجدها صفحة أخبار الأدب لا صفحة الأدب، فالكلمات الخاصة بالكتب أبناء لا آراء، والأسماء التي تذكر لأدنى مناسبة ذات أخبار لا تتصل بالأدب إلا لأن بعض من نعتيهم قد وضعوا في صفوف الأدباء، والندوات الثقافية لا تهتم الجريدة بنشر الدقيق من أفكارها المتنازع عليها. بل برصد الصور، ورؤوس الموضوعات، والمبالغة في الاحتفاء بمتكلم وإهمال سواه مع أنه لم يقل شيئاً ذا بال، وهي بهذا الاعتبار لا تخرج كثيراً عن صفحة الفن، مع الفارق البعيد، لأن قارئ صفحة الفن من الجمهور العريض ينتظر الأخبار لا الآراء ويرحب بالصور الأنيقة للجماليات من المثالات، فهي عرض مقصود لذاته، فإذا قضى أرباباً من هذه الناحية فقد رضى عن الجريدة. أما قارئ صفحة الأدب فلا ينتظر صوراً، ولا يريد أخباراً، ولكنه يريد توجيهها وارتفاعاً بمستواه، لذلك تسقط الصفحة من يده حين يدركه مثل النوم، فلا يسارع بإعادتها إذ قرأ العناوين سريعاً، فعرف كل شيء!!



محمد حسين هيكل

قد يقول قائل: إن اكتفاء الصفحة الأدبية بشذرات موجزة عن الكتاب المعروف أو بمعلومات خاطفة عن الموضوع المرصود، هو الأمر الطبيعي الذي يقدم «الساندوتش» لقارئ عادي. أما النقد التحليلي للكتاب، أو الإحاطة الشاملة للموضوع، فمن شأن المجلات الأدبية المتخصصة، ولها قراؤها المتميزون، فإذا التزمت الجريدة اليومية منحنى المجلة المتخصصة فقد أثقلت على القارئ بما لا يريد، وصرفت عن أخبار الأدب والأدباء معاً، وهذا ما فطن إليه القارئون على الصفحة الأدبية. فلم يقدموا اللحم الدسم لذوى الأسنان الهشة من الأطفال. واكتفوا بكوب صغير من اللبن، وهو غذاء مفيد!

وهذا التبرير الخطابي ينكره الواقع المعاصر لصفحة الأدب في الجريدة اليومية من قبل، فمنذ ظهرت جريدة السياسة اليومية سنة ١٩٢٣م وقام على تحريرها الأديب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل - رحمه الله - أخذت صفحة الأدب تقدم من البحوث الأدبية، والمقالات التاريخية والتراجم الإنسانية ما أعطى للمصاحفة رسالة قوية في اليقظة الفكرية، وقد جمعت هذه البحوث في مؤلفات مستقلة أصبحت مرجع الباحثين، وتعددت طبعاتها مرة بعد مرة، ورأت الصحف الأخرى أن السياسة قد سبقت بصفحتها الأدبية. فسارعت باحتذائها وهكذا كان للبلاغ وكوكب الشرق والأهرام والمصرى والراوى والجهاد صفحاتها المماثلة. وكتابتها الأعلام من كبار الأدباء! ولن أرسل الكلام إرسالاً هتافاً دون تمثيل بين!

حديث الأربعاء

إن لدينا - مثلاً - كتاب «حديث الأربعاء» بأجزائه الثلاثة للدكتور طه حسين قد نشر أكثره على صفحات السياسة اليومية. فأحدث معركة فكرية، واتسعت أنهار السياسة لمعارك قلمية أدارها أمثال رفيق العظم وأحمد زكي باشا، وشكيب أرسلان على صفحات السياسة، وانتقل الصدى إلى جريدة المقطم فكتب الأستاذ محمد سليمان نائب المحكمة العليا الشرعية مقالات نسقت دعوى الدكتور طه حسين في الطابع الغيبي العام للعصر العباسي نسفاً، ورد الدكتور على بعض دون بعض، رد على من سأل لهجة ومديحاً واتقاء، وسكت عمن أوجعه وخراً وطعناً! كل ذلك في صفحة الأدب اليومية بالسياسة! فهل قال قائل: إن قارئ الجريدة اليومية ملول ساذج لا يريد الدسم المرئي!

مع عبد العزيز البشري



الرافعي

عبد العزيز البشري

ولا أترك جريدة السياسة دون أن أشير إلى هذا اللون الأدبي الجديد الذي ابتكره الأستاذ عبد العزيز البشري في صفحة الأدب بالجريدة نفسها حين كتب «في المرأة» ليصور أعلام الأدب والسياسة والفكر في مصر تصويراً قلمياً رائعاً، أخذ على القارئين ألبابهم وجعل كل وزير خطير

يتربص حذراً أن يصوره البشري بما يسقط مكانته لدى القراء، وقد قال إسماعيل صدقي لبعض أصدقائه: إنه لم يتم الليل حين أخبره أحد محرري السياسة أن مقال الغد في المرأة خاص به، وقد قرأ المقال قبل أن تكتحل عينه بالنوم صباحاً واطمأن خاطره فأرسل كتاباً رقيقاً للبشري، نشرته السياسة في العدد التالي، وأعاد البشري نشره بمجموعة «في المرأة»!

أما الأستاذ عباس محمود العقاد، فأكثر كتبه قد نشرت في الصفحة الأدبية بالجرائد اليومية، كالمطالعات والفصول والمراجعات، وساعات بين الكتب وغيرها مما نشر في البلاغ اليومي، والبلاغ الأسبوعي والساء والجهاد، والعقاد موجز البيان، دقيق المعاني، وقد يغمض ويصعب أحياناً، فهو لا يتحدر كالسيل مثل طه، ولا يتخفف بالفكاهة مثل المازني، ولكنه في الصفحة اليومية أستاذ كبير مع تلاميذ متطلعين، وقد أحدث حركة فكرية مثالية بما بعث من آراء ظلت موضع الشد والجذب بينه وبين ناقديه! فهل قال أحد إن الجريدة اليومية لا تحتل شموخ العقاد ولا تمتد إلى أقصى مراميه؟ لم يقل ذلك أحد، وإنما أقبل القراء على آثاره في العشرينيات حين لم تكن لدينا إلا جامعة ناشئة لم تكتمل كلياتها بعد، ولم يكن لدينا من المدارس الثانوية غير ما لا يتجاوز عدد الأصابع!

القارئ الساذج ترضيه السطحية

أما الآن في القرن الحادي والعشرين حين تعددت الجامعات وانتشرت آلاف المدارس وتنوعت المكتبات وتعددت دوائر الإعلام من إذاعة مسموعة ومرئية ومسارح وقصور ثقافة أما الآن فالصفحة الأدبية في الجريدة اليومية صفحة أخبار، فإن زادت فيما هو شبيه بالأخبار! لماذا؟ لأن القارئ الساذج ترضيه السطحية، ويظمن للفشور.

ولن استطرد فأذكر مقالات الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كوكب الشرق والبلاغ، أو مقالات المازني في الأخبار الراقية والبلاغ، وهما لا يقلان مكانة عن طه وعن العقاد ولكني أقول إن تألقهم جميعاً قد سطع في سماء الصفحة الأدبية في الجريدة اليومية! فأبطلوا حجج الكسالي والمتراخين، ومن الحظ الحسن أن كتبهما التي جمعت هذه المقالات لاتزال زائعة يتداولها قراء اليوم مثل: تحت راية القرآن وحصاد الهشيم وقبض الريح... فما معنى هذا؟ إن الذي يصف الصفحة الأدبية في الجريدة اليومية بالشلل ينتهي إلى عدة أشياء، أحدها الإيجاز الغل المتسر في تناول الموضوع، إذ من رأى المشرفين على هذه الصحف أن تتسع الصفحة لأكثر من ست مواد فيأتي المقال غائماً لا يفصح عن وجه مشرق، وقد يكون مقدمة لا نتيجة لها أو نتيجة لم تسبق بمقدمات فيفقد ثمرته المرجاه، وقد قنع الناشر والكاتب بالعنوان والاسم، وكأنهما كل شيء وهذا في الكثير الملموس دون أن تغفل الجهد الضارم لدى نفر يكتبون ما يقيد عن موهبة واستعداد، فماذا يضير لو اكتفت الجريدة بمادتين أو ثلاث على الأكثر وامتألت بها الصفحة كما كانت تحتل من قبل بمقال واحد للدكتور طه حسين، ولكن كيف؟ ومن وراء هذه المواد المتسرة أعمدة تتحدث عن أخبار أدبية، وكتب ستجد قريباً أو بعيداً طريقها للنشر، ومواعيد لتدوات ثقافية وصور لمن وردت أسماؤهم عرضاً في الأخبار، هذا غير إعلانات أسفل الصفحة تتحدث عن كتب تباع مع الجرائد! وكل هذا في الصفحة الواحدة.

هدم اللغة العربية في صفحات الأدب

فإذا تركنا الإيجاز الغل فإننا نشير إلى ظاهرة أخرى، تتجسد في تكرار أسماء معينة تسعد بصداقة القارئ على النشر فيتباح لها النشر الدائم دون أن تكون لها مقدرة على العطاء المستمر، وإنما هو الشغف بملء الفراغ فحسب، وقد يكون لدى الناشر من المقالات ما يقدم الجديد لأسماء لا يعرف أصحابها. ومن العسير في ضوء هذه الجاملات الشخصية أن تظهر هذه المقالات الجادة وهكذا تظهر الصفحة ذات الأنهار الثمانية مليئة بالحروف والكلمات دون مضمون مفيد وإذا شاء أحد أن يماري قيماً أسطره من النقد فيسأل نفسه أيرى فيما ينشر من هذه المتسرات ما يهين كتاباً جاداً يصبح أثراً رائعاً من آثار المكتبة العربية ككتب: هيكل، والمازني، وطه، والعقاد، بل ككتب الصف الثاني من أمثال محمد مندور، وعبد الرحمن الخميسي وسعد مكاوي وقد ائلقوا جميعاً في الصفحة الأخيرة من جريدة المصري مع غيرهم ممن غابت أسماؤهم عن الذاكرة، فإذا كان الجواب هو استحالة أن

ينشأ من هذه الهلاليات أثر يفيد القارئ، فقد صح ما نقول دون ارتياب. ولعل لا أغفل القول عن أمر ثالث يلوح في هذه المواد المتسرة الكليلة وهو اتجاه بعض الخاطفين إلى الحديث عن مصطلح غربي، عفا أثره في موطنه، وعاد هناك كالطلل الدارس، وقد ظنه من الطرائف النادرة لا لأنه استبطن خوافيه، وولج إلى أعماقه، بل لأنه قرأ عنه مقالاً في جريدة أجنبية وقد تكون جريدة عربية فمن يدري؟ ثم رأى أن يسهل القراء بما ألم ولم تسعفه قدرته العقلية، ولا لغته البيانية في الإفصاح عن بعض ما فهم، ولكنه امتشق القلم، لينثر جملاً متضاربة تتشاجر تحت عنوان المصطلح الحبيب لنفسه، تقرأ ما تقرأ فلا تعرف شيئاً مما عناء الكاتب، فاللغة عربية الحروف فحسب، والمعاني لا تستقيم على سنن معهود، فقد يوجد مبتدأ لا خبر له إلا في عقل الكاتب، وقد يوجد فعل يبحث عن فاعله فيستحيل وجوده، ومن القراء أمثال من يظن أن مستوى الموضوع أرقى من أن ينحدر إلى العقول المتواضعة، فيكتفون بالأسف على أن حرمهم الله موهبة الفهم الدقيق إذ شاء أن يختص بها نفر من ذوى النبوغ الفائق كهذا الذي تفضل بكتابة هذا الإبداع!

إن صفحة الأدب يجب أن تتحرر من أوهاقها الثقيل، وأول خطوات هذا التحرر أن يكون القارئ عليها ذا أمانة خلقية تلزمه أن يجهر بالحق متى تعين الجهر، ولي في هذا الناحية واقعة أليمة فقد شاء أحد السارقين أن يسطر على عدة كتب مترجمة إلى العربية عن الإنجليزية في علوم التربية والاجتماع وعلم النفس قطبها باسمه، وقام بالنشر تاجر بيروتى، وظهرت الكتب المسروقة متوجة بقلم المترجم السارق وتحت اسمه ما يلي: «مراجعة الدكتور محمد رجب البيومي عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة» وجاءني النبأ الفاجع فعجبت إذ كيف أراجع كتب عن الإنجليزية وأنا لا أعرفها فبعثت بأربعة أسطر فقط إلى جريدة يومية استنكر ما حدث ولم تسمح الجريدة لمظلوم أن يجار بشكواه، فاضطرت إلى التجدة باجملات التي أكتب فيها بمصر والبلاد العربية فكانت مجلة الهلال في طليعة المنجدين فيبالله!! أتمتلىء صفحة الجريدة اليومية بأخبار الندوات الأدبية وتشيد بالمرافقات اللاتي يبدأن الخطوات الأولى ثم تضمن على مظلوم وقع في بهتان الإفك بأربعة أسطر؟ أهذه رسالة الأدب التي يرعاها أساتذة الصحافة في عهدنا السعيد؟! لقد غابت المسؤولية الخلقية غياباً مؤلماً، فهل ستعود؟.

الصفحة الدينية



فريد وجدي

هذا بعض ما يقال عن الصفحة الأدبية فماذا نقول عن الصفحة الدينية؟ إن مهمة الصفحة الدينية في الجريدة اليومية أصعب بكثير من مهمة الصفحة الأدبية، فالصفحة الأدبية تواجه جمهوراً القراء غالباً بكثير مما لا يعلمون فيجدون بها بعض ما لم يعرفوه من قبل، إذ إن هذه الجمهورية لم تلم يشون الأدب نظراً لظروفهم المعيشية، أما الصفحة الدينية فتتعرض لأمر أقاضيت فيها إذاعة القرآن الكريم منذ أكثر من ثلاثين عاماً إفاحة ملحة دائية،

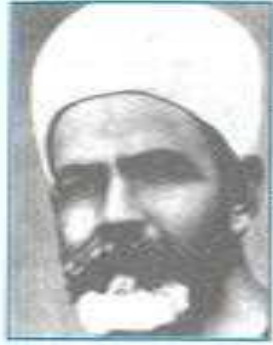
ولهذه الإذاعة أكبر نفوذ على السامعين، فهي المسموعة في المتجر والمصنع والحقل والشارع حتى الأمي الذي لا يفهم بعض ما يقال يطمئن إلى مجرد السماع واثقاً من ثواب الله فيه، وفرض على القارئ على هذه الصفحة أن يعوا ذلك جيداً إذ لا يجوز أن يعيدوا أحاديث الإذاعة بعبارة مختلفة تنتهي إلى معنى واحد، بل عليهم أن يتعمقوا ما يعرضونه تعمقاً يتفح بالجديد من التحليل، والتطريف من التفسير فيشعر قارئ الجريدة المتواضع أنه يقرأ ما لم يسمعه من قبل، فيقبل عليه في شوق، ولكن المشاهد غير ذلك، فكللمات الإذاعة القرآنية بعينها هي كلمات الصفحة. والمتكلمون هم الكاتبون في أكثر الأحوال هذا إلى الولوع بالإيجاز اخل على نحو ما أشرنا إليه في حديثنا عن الصفحة الأدبية، وهذا الإيجاز يتجه دائماً إلى القشور لا إلى اللباب وكأن المراد أن تملأ الفراغ فحسب، وما يقال عن تبرير هذه الكلمات المتسرة في الصفحة الأدبية، يقال عنها في تبرير القصص الواضح في علاج الموضوعات الدينية. إذ يقال: إن البحوث الدينية لها مجالها في الصحف المتخصصة، وأن القارئ يسأم المقال المستوعب الجاد فلا يلتفت إليه، وإذا كنت فندت ما قيل عن ذلك في صفحة الأدب بالاستشهاد بكبار الكتاب في عهد الازدهار الأدبي فأنأ أفعل ذلك تماماً في مجال الحديث عن الصفحة الدينية فأقول: إن كاتباً كبيراً كالأستاذ محمد فريد وجدي نشر كتابه: «الإسلام دين عام خالد» متوالياً في الصفحة الدينية بجريدة الجهاد اليومية، وقد لاقى احتفال الأستاذ محمد توفيق دياب، إذ حرص على نشر المقالات الطويلة إشباعاً لرغبة القراء وشكره الأستاذ وجدي في مقدمة الكتاب حين قدم الطبعة الأولى منه، لقد لمس الأستاذ توفيق دياب الخذاب القراء منذ سبعين عاماً فأكثر إلى هذه البحوث المسهية المستقيضة فآثرها بالاحتفاء، وكذلك فعل الأستاذ خليل ثابت رئيس تحرير المظم حين أفرد لمقالات الشيوخ الكبار: يوسف الدجوى ومحمد شاكر وعلى سرور الزنكلوني ومحمد سليمان مساحات شاسعة وبعضها كان يتصدر نصف

الصفحة الأولى من المقطع ثم تأتي البقية في نصف آخر بالصفحة الثانية، وكانت هذه المقالات مصدر رواج للجريدة، إذ يقبل عليها القراء في نهم زائد! أفنقول الآن: إن الوعي لدى قرائنا الآن لا يتحمل غير ما يكتب في القصاصات؟! نقوله بعد أكثر من ثمانين عاماً إذ إن مقالات هؤلاء الكبار نشرت في العشريتين!

صحافة البلبلة!!

وحين تجد أمور مهمة تشغل ذهن المصري كأحكام نقل الأعضاء والاستنساخ، وفوائد الاستثمار يقع القارئ على الصفحات الدينية بالجرائد اليومية في خطأ واضح يعقبه الاضطراب الشديد إذ ترسل كل صفحة مندوباً من محرري الجريدة إلى كل من يتزى بزى أهل العلم، قد يكون إماماً في مسجد أو مدرساً في معهد، أو أستاذاً في كلية لتسأله عن حكم الله فيما جد.. والمسئول عند نفسه عالم أزهري يحمل درجة العالية أو ما فوقها.. فلا بد أن يبدى رأيه في الحدث الجديد ولا يعنيه أن كان أهلاً للفتوى بتضلعه الدقيق، ومراسه الطويل أو أنه مجرد إنسان ينتسب إلى أهل العلم فقط، وهنا تخرج الصحيفة بعنوان ضخم يملأ مساحة الأنهار السبعة أو الثمانية، ثم بمستطيل طويل تحت العنوان الضخم يضم صور هؤلاء الذين تبرعوا بالإجابة من غير ذوى الاختصاص ويقرأ القارئ فيجد من تضارب وجهات النظر ما يبلغ التناقض الصريح، واختلاف العلماء في الرأي الفقهي مشهور معروف، ولدينا في التراث التشريعي ما يعرف بكتب الخلاف! ولكن أي علماء يقع بينهم الخلاف؟ هم الفقهاء الأتباع الذين بلغوا مرتبة الاجتهاد، فلهم أن يختلفوا بالدليل ومعهم أسلحتهم الأصولية من القياس والاستحسان ومرعاة العرف إلى آخر ما هو مقرر لدى هؤلاء! أما أن يبدى كل متعلم رأيه فيما جد من المسائل وأما أن ينشر ذلك في جريدة سيارة، فهذا ما يدعو إلى الاضطراب.

إن الفتوى التي يجيب عليها المسئول في الجريدة اليومية نوعان، نوع يتجه إلى المقرر المتعارف مما درس في كتب الفقه من أحكام متداولة تتعلق بالعبادات والمعاملات، وقد نص عليها المؤلفون وهذا النوع المعروف أحكامه مما يجيب عنه كل دارس، ونوع جديد لم تقرر فيه أحكام سابقة، وهذا لا يجيب عنه إلا هيئة مسئولة كمجمع البحوث أو لجنة الفتوى، ولا يجوز للجريدة ولا للإذاعة أن تخلط بين هذين النوعين فتفتح الباب لكل قائل يرى في نفسه كفاية تفتقد الدليل. بل إنني للأسف الشديد قرأت في رمضان الماضي فتوى تنتمي إلى النوع الأول، وقد ذاعت عنها الإجابة الصحيحة في مناسبات متعددة حتى أصبحت من قبيل تحصيل الحاصل، ولكن المسئول تورط فذكر من الحكم ما هو خطأ يوقع في البلبلة! لقد أفتى الأئمة الكبار عبد المجيد سليم، ومحمود شلتوت، وأبو زهرة بأن تناول الفطرة بالعين في شهر رمضان لا يبطل الصوم، واعتمدت الفتوى على الدليل القنع، وأفتى بها من قرأها وكنت أحد الفئتين تابعا غير متبوع! كان هذا منذ سنوات رسخ فيها الحكم



عبد المجيد سليم

رسوخاً لا يتزلزل، ثم طلعت علينا جريدة شهيرة في رمضان الماضي بعنوان كبير يقول: فطرة العين تفطر في رمضان وقد نسبت الفتوى لعالم مهم قبل عنه فهو تلميذ لهؤلاء الثلاثة الكبار وكان عليه إذا خالف الرأي الذائع ألا يلقي بالحكم مجرداً كهذا، بل يقول.. مثلاً: ذهبت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وذهب الأئمة عبد المجيد سليم ومحمود شلتوت ومحمد أبو زهرة وغيرهم من كبار المعاصرين إلى جواز تعاطي الفطرة في رمضان، ولكني أرى غير ذلك. على أن يكون النشر في مجلة متخصصة يقرؤها الدارسون وليس في صفحة يومية تورث البلبلة في النفوس وكان من واجب المشرف على الصحيفة أن يترى في نشر غير المشتهر هذا إذا كان قد درس الحكم من قبل! ويظهر أنه لم يدرس شيئاً!

تفوق الماضي على الحاضر!!

وما يتوجه إليه النقد في هذا الخيال أن نرى بالصفحة الدينية سطورا موجزة في هيئة كلمات ذات موضوع تحت عناوين: أبو بكر الصديق، عمر، عثمان، خالد، الحسين، عمرو بن العاص وغيرهم من المشاهير الأعلام في الدين والسياسة والزهد، وتقرأ فتجد ما هو معروف لتلميذ المدرسة الابتدائية، ولو كان ذلك في مجلة للطفل كالبراعم أو ميكي ونشر بحروف كبيرة ذات شكل بارز لقلنا: إنه غذاء مناسب لبرعم غض، أما أن تأتي بهذه الذائعات المشتهرة ثم تكون مهيورة باسم كاتب متطلع، فهذا استهزاء بالقارئ، وملء فراغ يجب أن يشغل بما يفيد، ومن المضحك جداً أن يجلل المقال بصورة للكاتب العميق.

لقد قارنت منذ أكثر من عام على صفحات الهلال بين العمود اليومي للصحافة في عهدي مختلفين فكان سبق للعهد الأول، وهذا المقال يقطع بتفوق الماضي على الحاضر فيما ينشر بصفحتي الأدب والدين، وهي مشكلة تتطلب العلاج، لأننا يجب أن نتقدم لا أن نتأخر، وتعظم المفارقة حين نعلم أن المشرقيين على صحف الأمس كانوا من منازلهم لم يلتحقوا بكلليات الإعلام الباهرة، ولم يأخذوا المذكرات الجامعية الرقيقة بالثمن الفاحش ثم هم يصلون بالسفينة إلى الشاطئ في مأمن من العواصف الهوج! وما أقرره في هذا المجال يؤمن به الذين قرءوا صحافة العهدين، وأكاد أسمع أصواتهم الموافقة، وإن لم ينطقوا بحرف تأكيداً لقول الشريف الرضى: قسقت: نعم، لم تسمع الأذن دعوة

د. محمد رجب البيومي

تفسير سورة العبران

لفضيلة الأيام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿فِيمَا رَحِمَهُم مِّنَ

اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[الآيات: ١٥٩ - ١٦٠]

فالخطاب في قوله - تعالى -:

﴿فِيمَا رَحِمَهُم مِّنَ

اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

.. إلخ للنبي ﷺ.

والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبيء عنه السياق من استحقاق الفارين

والخالفين للملامة والتعنيف منه ﷺ بمقتضى
الجملة البشرية.

والباء هنا للسببية، و«ما» مزيدة للتأكيد
ولتنويع معنى الرحمة «لنت» من لان يلين لنا
وليأنا بمعنى الرفق وسعة الخلق والفظ
الغلظ الجافى فى المعاشرة قولاً وفعلًا.

وأصل الفظ - كما يقول الراجب - ماء
الكرش وهو مكروه شربه بمقتضى الطبع ولا
يشرب إلا فى أشد حالات الضرورة.

وغلظ القلب عبارة عن قسوته وقلة تأثره
من الغلظة ضد الرقة، وتنشأ عن هذه الغلظة
الفظاظة والجفاء.

والمعنى: فبسبب رحمة عظيمة فياضة
منحك الله إياها يا محمد كنت لنا مع
أتباعك فى كل أحوالك، ولكن بدون إفراط
أو تفريط، فقد وقفت من أخطائهم التى
وقعوا فيها فى غزوة أحد موقف القائد الحكيم
المليهم فلم تعنفهم على ما وقع منهم وأنت
تراهم قد استغرقهم الحزن والهم... بل كنت
لنا رفيقا معهم.

وهكذا القائد الحكيم لا يكشر من لوم
جنده على أخطائهم الماضية؛ لأن كثرة
اللوم والتعنيف قد تولد اليأس، وإنما
يلتفت إلى الماضى ليأخذ منه العبرة والعظة
حاضره ومستقبله ويغرس فى نفوس الذين
معه ما يحفز هممتهم ويشجذ عزيمتهم
ويجعلهم ينظرون إلى حاضره
ومستقبلهم بثقة واطمئنان وبصيرة
مستنيرة.

وإن الشدة فى غير موضعها تفرق ولا تجمع
وتضعف ولا تقوى، ولذا قال - تعالى -:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

أى ولو كنت - يا محمد - كبريه الخلق،
خشن الجانب، جافياً فى أقوالك وأفعالك،
قاسى القلب لا تتأثر لما يصيب أصحابك... ولو
كنت كذلك «لأنفصوا من حولك» أى: لتفرقوا
عنك، ونفروا منك ولم يسكنوا إليك.

فالجملة الكريمة تنفى عن الرسول ﷺ أن
يكون فظاً أو غليظاً؛ لأن «لو» تدل على نفى
الجواب لنفى الشرط. أى أنك لست - يا
محمد - فظاً ولا غليظ القلب ولذلك التفت
أصحابك من حولك يفتدونك بأرواحهم
وبكل مرتخص وغال، ويحبونك حبا يفوق
حبهم لأنفسهم ولأولادهم ولآبائهم ولأحب
الأشياء إليهم.

وقال - سبحانه -:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾

لينفى عنه ﷺ القسوة والغلظة فى الظاهر
والباطن: إذ القسوة الظاهرية تبدو أكثر ما تبدو
فى الفظاظة التى هى خشونة الجانب، وجفاء
الطبع، والقسوة الباطنية تكون بسبب يوسة
القلب، وغلظ النفس وعدم تأثرها بما يصيب
غيرها، والرسول ﷺ كان ميراً من كل ذلك،
ويكفى أن الله - تعالى - قد قال فى وصفه:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ

بِنَبِيِّهِ وَمَا يَنبَغِي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا بِهِ

رَبُّهُ وَقَرِيبٌ ﴿١٢٨﴾﴾ (التوبة: ١٢٨)

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: إني أرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة. إنه ليس بفظ، ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح^(١).

ولقد كان من أخلاقه ﷺ مداراة الناس إلا أن يكون في المداراة حق مضيع فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «قال رسول الله ﷺ: إن الله أمرني بمدارة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض»^(٢).

ثم أمر الله تعالى، نبيه ﷺ، بما يترتب على الرفق والبشاشة فقال:

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

فالقاء هنا تفيد ترتيب ما بعدها على ما قبلها، أي أنه يترتب على لين جانبك مع أصحابك، ورحمتك بهم، أن تعفو عنهم فيما وقعوا فيه من أخطاء تتعلق بشخصك أو ما وقعوا فيه من مخالفات أدت إلى هزيمتهم في أحد، فقد كانت زلة منهم وقد أدبهم الله عليها.

وأن تلتمس من الله تعالى، أن يغفر لهم ما فرط منهم؛ إذ في إظهارك ذلك لهم تأكيد لعفوك عنهم. وتشجيع لهم على الطاعة والاستجابة لأمرك. وأن تشاورهم في الأمر أي في أمر الحرب ونحوه مما تجرى فيه المشاورة في العادة من الأمور التي نهى الله عنها.

وقد جاءت هذه الأوامر للنبي ﷺ على أحسن نسق، وأحكم ترتيب؛ لأن الله تعالى أمره أولاً بالعفو عنهم فيما يتعلق بخاتمة نفسه، فإذا ما انتهوا إلى هذا المقام، أمره بأن يستغفر لهم ما بينهم وبين الله تعالى؛ لتزاح عنهم التبعات، فإذا صاروا إلى هذه الدرجة، أمره بأن يشاورهم في الأمر؛ لأنهم قد أصبحوا أهلاً لهذه المشاورة.

ولقد تكلم العلماء كلاماً طويلاً عن حكم المشاورة وعن معناها، وعن فوائدها، فقد قال القرطبي ما ملخصه: والاستشارة مأخوذة من قول العرب شرت الدابة وشورتها، إذا علمت خبرها وحالها يجري أو غيره... وقد يكون من قولهم: شرت العسل واشترته، إذا أخذته من موضعه.

ثم قال: واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يشاور فيه أصحابه فقالت طائفة: ذلك في مكائد الحروب، وعند لقاء العدو، تطبيقاً لنفوسهم ورفعاً لأقذارهم وإن كان الله - تعالى - قد أغناه عن رأيهم بوجه.

قال آخرون: ذلك فيما لم يأت فيه وحى. فقد قال الحسن: ما أمر الله - تعالى - نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل ولتقتدى به أمته من بعده.

ثم قال: والشورى من قواعد الشريعة، وعرائم الأحكام، والذي لا يستشير أهل العلم والدين - والخبرة - فعزله واجب وهذا لا خلاف فيه.

وقد استشار النبي ﷺ أصحابه في كثير من الأمور، وقال «الاستشارة مؤتمن»^(٣) وقال «ما ندم من استشار ولا خاب من استشار»^(٤) وقال: «ما شقي قط عبد بمشورة وما سعد باستغناء رأي»^(٥).

وقال البخاري: «وكانت الأمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها»^(٦).

وقال الفخر الرازي ما ملخصه: «اتفقوا على أن كل ما نزل فيه وحى من عند الله لم يجز للرسول ﷺ أن يشاور فيه الأمة؛ لأنه إذا جاء النص بطل الرأي والقياس، فأما ما لا نص فيه فهل يجوز المشاورة فيه في جميع الأشياء أو لا؟ قال بعضهم: هذا الأمر مخصوص بالمشاورة في الحروب؛ لأن الألف واللام في لفظ «الأمر» تعود على المعهود السابق وهو ما يتعلق بالحروب - إذ الكلام في غزوة أحد -.

وقال آخرون: اللفظ عام خص منه ما نزل فيه وحى فتبقى حجته في الباقي وظاهر الأمر

في قوله:

﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ للوجوب وحمله الشافعي على الندب...^(٧).

والحق أن الشورى أصل من أصول الحكم في الإسلام، وقد استشار النبي ﷺ أصحابه في غزوات بدر وأحد والأحزاب وفي غير ذلك من الأمور التي تتعلق بمصالح المسلمين، وسار على هذا المنهج السلف الصالح من هذه الأمة.

ولقد كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يكتب لعماله يأمرهم بالتشاور ويتمثل لهم في كتبه بقول الشاعر:

خليلي ليس الرأي في صدر واحد

أشيرا على بالذي تريان
وقد تمدح الحكماء والشعراء بقضية الشورى وما يترتب عليها من خير ومنفعة ومن ذلك قول يشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستمع

برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تحسب الشورى عليك غصاصة

فإن الخواقي قوة للقوادم

والحكام العقلاء المنصفون المنحرون للحق

والعدل هم الذين يقيمون حكمهم على مبدأ

الشورى ولا يعادي الشورى من الحكام إلا أحد

اثنين:

(١) سنن البيهقي ٢٢١/٤

(٢) تفسير القرطبي ج ٤ / ٢٤٩ بتصرف وتلخيص

(٣) أبوداود ٥١٢٨، الترمذي ٢٨٢٢، ٢٨٢٣

(٤) تفسير القرطبي ج ٤ / ٢٥١

(٥) تفسير الفخر الرازي ج ٦ / ٦٧

(٦) المرجع السابق

(٧) تفسير ابن كثير، ج ٤ / ٢٤٠

إما رجل قد أصيب بداء الغرور والتعالي، فهو يتوهم أن قوله هو الحق الذي لا يخالطه باطل، وأنه ليس محتاجاً إلى مشورة غيره وإما رجل ظالم مستبد بجانب للحق، فهو ينفذ ما يريد بدون مشورة أحد لأنه يخشى إذا استشار غيره أن يطلع الناس على ظلمه وجوره وفجوره.

هذا ومتى تمت المشورة على أحسن الوجوه وأصلحها واستقرت الأمور على وجه معين، فعلى العاقل أن يمضي على ما استقر عليه الرأي بدون تردد أو تخاذل، ولذا قال - سبحانه -

﴿إِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

أى: فإذا عقدت تبتك على إتمام الأمر وإمضائه بعد المشاورة السليمة وبعد أن تبين لك وجه السداد فيما يجب أن تسلكه فبادر بتنفيذ ما عقدت العزم على تنفيذه و﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أى اعتمد عليه فى الوصول إلى غايتك، فإن الله - تعالى - يحب المعتمدين عليه، المفوضين أمورهم إليه مع مباشرة الأسباب التى شرعها لهم لكي يصلوا إلى مطلوبهم.

فالحملة الكريمة تأمر النبي ﷺ وتأمركل من يتأني له الخطاب بأن يبذل أقصى جهده لمعرفة ما هو صواب بأن يستشير أهل الخبرة كل فى مجال تخصصه فإذا ما

استقر رأيه على وجهة نظر معينة - بعد أن درسها دراسة فاحصة واستشار العقلاء الأمناء فيها - فعليه أن يبادر إلى تنفيذها بدون تردد فإن التردد يضيع الأوقات والتأخير كثيراً ما يحول الحسنات إلى سيئات وعليه مع حسن الاستعداد أن يكون معتمداً على الله، مظهراً العجز أمام قدرته - سبحانه - لأنه هو الخالق للأسباب والمسببات وهو القادر على تغييرها.

وكم من أناس اعتمدوا على قوتهم وحدها، أو على مباشرتهم؛ للأسباب وحدها دون أن يجعلوا للاعتماد على الله مكاناً فى نفوسهم، فكانت نتيجتهم الفشل والخذلان وكانت الهزيمة المتكررة المرة التى اكتسبوها بسبب غرورهم وفجورهم وفسوقهم عن أمر الله. ورحم الله القائل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى

فأول ما يجنى عليه اجتهاده

ولقد أكد الله - تعالى - وجوب التوكل

عليه بعد ذلك فى قوله:

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُ لَكُمْ فَمنَ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾

والمراد بالنصر هنا العون الذى يسوقه

لعباده حتى ينتصروا على أعدائهم. والمراد بالخذلان ترك العون. واخذول: هو المتروك الذى لا يعأ به.

يقال: خذلت الوحشية إذا أقامت على ولدها فى المرعى وتركت صواحباتها.

والمعنى: إن يرد الله - تعالى - نصركم كما نصركم يوم بدر - ﴿فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾ أى فإنه لا يوجد قوم يستطيعون قهركم؛ لأن الله معكم، ومن كان الله معه فلن يغلبه أحد من الخلق.

وإن يرد أن يخذلكم ويمنع عنكم عونه كما حدث لكم يوم أحد، فلن يستطيع أحد أن ينصركم من بعد خذلانه؛ لأنه لا يوجد أحد عنده قدرة تقف أمام قدرة الله - تعالى - ومشيبته.

والاستفهام هنا إنكارى بمعنى النفى، أى لا أحد يستطيع نصركم إن أراد الله خذلانكم، وهو جواب للشرط الثانى.

وفيه لطف بالمؤمنين؛ حيث صرح لهم بعدم الغلبة فى الأول، ولم يصرح لهم

بأنهم لا ناصر لهم فى الثانى، بل أتى به فى صورة الاستفهام وإن كان معناه نفيًا ليكون أبلغ؛ إذ فى مجيئه على هذه الصورة الاستفهامية توجيه لأنظار المخاطبين إلى البحث عن قوى تكون قدرته كافية للوقوف أمام إرادة الله - تعالى - ولا شك أنهم لن يجدوه، وعندئذ سيعتقدون عن يقين بأن الله وحده هو الكبير المتعال، وأنه لا ناصر لهم سواه.

وقوله:

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾

وعلى الله وحده لا على أحد سواه. فليجعل المؤمنون اعتمادهم واتكالهم عليه؛ لأن الذين يعتمدون على أى قوة سوى الله - تعالى - لن يصلوا إلى العاقبة الطيبة التى أعدها - سبحانه - لعباده المتقين.

فالآية الكريمة كلام مستأنف، وقد سبق بطرق تلوين الخطاب، تشريعاً للمؤمنين لإيجاب التوكل عليه والترغيب فى طاعته التى تؤدى إلى النصر، وتحذيراً لهم من معصيته التى تفضى إلى الخسران والخذلان.

ختماء الأسرار شيمة الخيار

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: أتى على رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان. قال: فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر. قالت: لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحداً.

الشرح والبيان

هذا الحديث الشريف يوضح حال الرعيل الأول، والسلف الصالح (رضوان الله عليهم)؛ حيث كانوا يتمتعون بالأمانة، وحفظ الأسرار، كباراً وصغاراً. ترى ذلك - بجلاء ووضوح - حين سألت الأم الصحابية الجليلة أم سليم بنت ملحان (رضي الله عنها) ولدها أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن سبب تأخره، فأخبرها أن رسول الله ﷺ بعثه في حاجة، فلما سأله: ما حاجته؟ أخبرها أنها سر استودعه إياه النبي ﷺ، فلم تلج على ولدها في معرفته، بل أقرته على حفظ السر، وأمرت ألا يحدث بسر رسول الله ﷺ أحداً.. وهكذا مجتمع الإسلام يحفظ الأسرار، وبالتالي تخفى الأحقاد والعداوات والخصومات؛ لأن إفشاء السر يُلْهب النفوس، ويملؤها غيظاً وحقداً.

وقد تناول القرآن الكريم هذه القضية، فقال رب العالمين (سبحانه):

الَّذِينَ إِذَا أَتَوْا مُّسَاجِدَ أَوْ مَآثِرَ لِلَّهِ لَمْ يُفِضُوا مِنْهُمْ شَيْئًا ۚ وَالَّذِينَ إِذَا أَتَوْا مُّسَاجِدَ أَوْ مَآثِرَ لِلَّهِ لَمْ يُفِضُوا مِنْهُمْ شَيْئًا ۚ وَالَّذِينَ إِذَا أَتَوْا مُّسَاجِدَ أَوْ مَآثِرَ لِلَّهِ لَمْ يُفِضُوا مِنْهُمْ شَيْئًا ۚ وَالَّذِينَ إِذَا أَتَوْا مُّسَاجِدَ أَوْ مَآثِرَ لِلَّهِ لَمْ يُفِضُوا مِنْهُمْ شَيْئًا ۚ

(انجاذلة : ٧)

لقد ابتدأ الله - سبحانه وتعالى - هذه الآية بالعلم، واختتمها أيضاً بالعلم، لينبه إلى إحاطة علمه (جل وعلا) بالجزئيات والكليات، وأنه (سبحانه) لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماوات، مهما غاب عن الأبصار، وخفى عن الأنظار؛ لأنه قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، فهو يرى الخلق، ويسمع كلامهم، ويعلم سرهم ونجواهم. قال تعالى:

﴿الرَّعُوفُونَ﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنْ
اللَّهُ عَلِيمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠﴾

(التربة: ٧٨)

فلا يقع حديث بين ثلاثة إلا كان الله رابعهم، ولا خمسة إلا كان سادسهم، ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا كان الله معهم، يرى ويسمع، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم.

إِذَا كَانَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) حَاضِرًا سَمِيعًا
فَذَلِكَ وَحْدَهُ أَمْرٌ هَائِلٌ عَظِيمٌ، فَكَيْفَ إِذَا
كَانَ لِهَذَا الْخُصْمِ مَا بَعْدَهُ مِنْ حِسَابٍ

وثواب وعقاب؟! وكيف إذا كان ما يسرّه
التناجون سيعرض على رؤوس الأشهاد يوم
العرض والحساب. من أجل ذلك نهى الله
عباده المؤمنين عن التناجى بالإثم والعدوان
والمعصية وأمرهم أن يتناجوا بالبر
والنقوى. قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا تَجَسَّيْتُمْ فَلَا تَخَافُوا يُلَاقِيهِمُ الْعَذَابُ
وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَحَاجُوا الْيَزِيدَ وَالْقَوْلَى وَاتَّقُوا اللَّهَ لَئِنْ
يَاكُمُ خُشْرٌ ۖ

(المجادلة: ٩)

وقد وردت أحاديث نبوية كريمة في
الحالات التي تؤدى إلى الريبة، ونزع
الثقة، والحالات التي تؤدى إلى التوجس
والتخوف، ففي الصحيحين من حديث
عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال:
قال رسول الله ﷺ: (إذا كنتم ثلاثة فلا
يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك
يحرّته)، وهذا صحيح، فقد بطن الثالث
أنهما يخططان لاغتiale، أو يدبران الكيد
له، أو يؤذيانه بأي لون من ألوان الأذى.

ولذلك وَحَّحَ الحقَّ (سبحانه) أنَّ حديث النفس الذي يتردد في الصدر، ولا يقصح عنه الإنسان يعلمه الله (سبحانه). قال تعالى:

﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى ﴾

(طه: ٧)

لأن السر يكون بين اثنين، أما الأخفى من السر فهو ما يكتنه الإنسان في صدره، ويخفيه عن غيره، ولذلك قال عز من قائل:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْا بِهِ فَتَسْمِعُونَ نَأْوِي إِلَيْهِ مِنْ تَحْتِ الْوُرُودِ ﴾

(ق: ١٦)

فنفس الإنسان مكشوفة لله (عز وجل) لا يحجبها شيء، وكل ما فيها من وساوس خافية يعلمها الله (سيحانه)، وعلى ضوء هذا المعنى ينبغي أن نفهم قوله تعالى:

﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

(الملك: ١٣)

أي: أخفوا قولكم أيها الناس وأعلنوه وأظهروه، فسواء أخفيتموه أو أظهرتموه فإن الله يعلمه، فهو يعلم ما تكن الأعين، وما تخفى الصدور، يعلم ما يخطر بالقلوب، وما توسوس به الصدور:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

(الملك: ١٤)

فما السر؟ السر هو ذلكم المكنون الذي تضمه الجوارح والصدور، وينبغي كتمانها وعدم إظهارها؛ لأنه لو ظهر لم يعد سرا، وذلك يحتاج إلى قلب كبير، وضمير حي، وعزيمة قوية، فلا يستطيع كتمانها والحفاظ عليه إلا أولو العزم من الناس الذين ترفعوا عن شهوات أنفسهم، وتمردوا على حب الشهرة، وحب الذات، فعصموا أنفسهم من الزلات.

فهناك أسرار الامتحانات في المدارس والجامعات، وكم سمعنا عن تسرب الأسئلة على مر العصور، وتنازع الأجيال في مقابل الزهيد من المال، وعن قيام المسئولين بإعادة صياغتها وطبعها من جديد؛ ضمانا لتحقيق العدالة، وهناك أسرار الزوجية، وكم رأينا من رجل أفشى سر زوجته فكرهته، وحال ذلك دون مواصلة العشرة، وكان سببا في الطلاق والانفصال، روى مسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته - أي: يصل إليها بالباشرة

والجمامعة - وتفضي إليه، ثم ينشر سرها).

وكم رأينا صديقا أفشى سر صديقه، فكان إفشاء السر سببا في الخصومة والقطيعة! أما حفظ السر وصيانته فيحفظ الحب، ويدم الودة، لذلك نهى رسول الله ﷺ عن إفشاء السر الذي يكون بين الصديقين، فقد ورد في الحديث الشريف عن أبي بكر بن محمد بن بكر بن حزم قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة، ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره)^(١).

وينبغي أن نعلم أن إفشاء السر له وسائل متعددة، إذ قد يكون الإفشاء بالكلمة الصريحة، أو بالإشارة المعبرة، أو بالكلمة المكتوبة، أو الخبر المنشور على صفحات الجرائد والمجلات، وقد يكون بالتشيرات والتقريرات، وقد يكون بالتحسس والتجسس... إلى غير ذلك، مما يجب التنفطن إليه، والحذر من الوقوع فيه، حتى لا نضل طريق الحق والصواب. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

(الإسراء: ٣٦)

هذا ومجالات السر أيضا متعددة متنوعة؛ فهناك أسرار عسكرية، وأسرار سياسية، وأخرى اقتصادية وتجارية، وهناك أسرار المصانع والمعامل، وأسرار الشركات والمقاولات، وأسرار الأسرة، وأسرار الجيرة، وأسرار الزمالة، باختصار توجد الأسرار في كل المجالات، وجميع المستويات، فمن أفشى سرا من هذه الأسرار فقد فعل محذورا، وارتكب محرما؛ لأنه يؤدي إلى الضرر، والضرر منهي عنه شرعا. قال رسول الله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام)^(٢).

وإفشاء السر خيانة، لأنه أمانة، ويكون الذنب أكبر، والجرم أشنع إن كان هناك وعد بالصيانة. روى أبو داود عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: (إذا حدث الرجل بالحدث، ثم التفت ففشي أمانة).

وقد نفى رسول الله ﷺ كمال الإيمان عن فاقدة الأمانة، وكمال الدين عمن لا

(١) اتحاف السادة المتقين ٢/٢١٧، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨٢/١١.

(٢) نصب الراية ٤/٣٨٤.

عهد له، روى ابن حبان عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال في الخطبة: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له).

لذلك تحدثنا كتب السيرة أن رسول الله ﷺ لما أجمع المسير إلى مكة لفتحها.. طلب إلى أصحابه حفظ هذا السر، لكن حاطب بن أبي بلتعة (رضي الله عنه) كتب كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ، ثم أعطاه امرأة لتوصيله، وأتى رسول الله ﷺ الخبير من السماء بما صنع حاطب، فبعث بعض أصحابه لإدراك المرأة وإحضار الكتاب، ففعلوا، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً، فقال: يا حاطب، ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله، أما والله إنني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت وما بدلت، ولكنني كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم، فقال عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه وأرضاه): (دعني فلاضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق)، فقال رسول الله ﷺ: (وما يدرك ياعمري، لعل الله قد اطلع على أهل بدر،

فقال: اعملوا ما شئتم) (١٣).

فالرجل من السابقين للإسلام، ومن شهدوا بدرًا، ومع ذلك فقد أنزل الله في شأنه هذه الآيات الكريمة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجِدُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولِيَاءَ تَلْفُوتُ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَآيَةُ مَرْحَاتِي لِمُؤْمِنِي بِاللَّهِ وَالْيَوْمَةِ أَنَا الْغَلِيظُ الْخَفِيظُ وَمَا أُغْنِيكُمْ عَنْهُ يَوْمَ يُفْعَلُ بِكُمْ فَفَدَحَلْ سَوَاءَ السَّبِيلِ

(المتحنة: ١)

ولذلك قيل: (الصبر على القبض على الجمر أيسر من الصبر على كتمان السر)، وقد أنشد الشاعر الأمين:

وما السر في صدري كشار بقبره
لأنني أرى المقبور ينتظر النشرا
ولكنني أنساه حتى كأنني
بما كان منه لم أخط ساعة خبرا
وحفظ الأسرار يوثق صلة الإنسان
بأخيه حين يحفظ أسرارها؛ لأن حفظ السر يؤدي إلى توثيق عرى المحبة بين الإنسان ومن يحفظ عليه سره، وهو فضيلة إنسانية يرتقى بها المرء في درجات الجمال والجلال والكمال.

ولا يفشي السر إلا رجل ضيق الصدر، قليل الصبر، غبي أحمق، يخاطر بما لا يعرف عقباؤه؛ لذلك ينبغي أن يكتب الناس عنه أسرارهم ليسلموا من أذاه، ولا يحفظ السر إلا رجل قوى الإرادة، صلب العزيمة، استطاع أن يقهر نفسه، ويغلب شيطانه، ويصرع هواه، وأن يصبر على ما يكره، حتى استحق أن يأنس الناس به، ويستريحوا إليه، ويأتمنوه على أسرارهم، وإذا كان الإسلام قد حرم إقضاء السر فقد أجاز العلماء الكذب حفظاً للسر من أن يظهر، وذلك لأن الصدق لا يكون محموداً في جميع الأحوال، فقد يطلب الكذب في بعض الأحوال، ومثاله لو حضر إنسان في مكان وجاء خلفه آخر بالسلاح ليقتله، فسأل عنه من رآه، فهل يرشده إلى مكانه ليقتله؟! إن المسألة هنا تتطلب الحكمة والتعقل والروية، فينبغي الكذب في مثل هذه الحالة، منعاً للجريمة، وصيانة للنفس التي

أمر الله (سيحانه وتعالى) بالمحافظة عليها، ومثل هذه الحالة ما يكون من المصلح بين المتخاصمين حين يسمع من كل خصم على حدة ما يبشئ إلى الآخر، فينكر ما سمعه من كل منهما، ويذكر خيراً، بغية الإصلاح، وتضميد الجراح. روى الترمذي عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نعى خيراً) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وروى الطبراني في المعجم الكبير عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: مارأيت رسول الله ﷺ يرخص في الكذب في شيء إلا في ثلاث: كان رسول الله ﷺ لا يعدّه كذباً: (الرجل يصلح بين الناس يزيد في القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها)... والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

من وحى الهجرة

لفضيلة الشيخ / عمر الديب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

ومن ثم لم يكن هناك بد أن تكون هناك قيادة للمجتمع المسلم الذي نشأ في مكة المكرمة بقيادة رسول الله ﷺ ومن بعده في كل قيادة إسلامية تستهدف رد الناس إلى ألوهية الله وحده ربوبيته وقوامته وحاكميته وسلطانه وشريعته، وهكذا وجد الإسلام نفسه محاصراً في مكة المكرمة بهؤلاء المتتمين إلى العصر الجاهلي الذين يجدون ضالتهم في عبادة الأصنام والأوثان فكان لابد من اتخاذ الخطوات الجادة لإقامة هذا المجتمع المسلم. ومن هنا جاءت الهجرة النبوية الشريفة لتكون سبيلاً لإقامة هذا الدين وانتشاره في ربوع الجزيرة العربية بل والعالم أجمع فيما بعد، ولهذا فإن قرار الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة لم يكن قراراً بالهروب أو الفرار ولكن هذا القرار جاء تنفيذاً لأمر إلهي هو أن يكون لهذا الدين الأرض الخصبة التي ينمو فيها هذا الدين وينتشر في أنحاء المعمورة.

وقد حاول المجتمع الجاهلي المتمثل في كفار مكة ومشركي قريش حاولوا أن يقضوا على هذا المجتمع الوليد فإذا بالرسول ﷺ يهاجر هو وصحبه إلى تلك الأرض التي قدر الله لها أن تكون هي الأرض المناسبة لهذا الدين ونشره بين الأنعام، وما أن دخل المدينة المنورة (يقرب سابقاً) حتى وجد في أهلها مسلمين يبايعون القيادة الإسلامية على الولاء المطلق والسمع والطاعة في المنشط^(١) والكراهة وحماية رسول الله ﷺ مما يحمون منه أموالهم وأولادهم ونساءهم وقامت الدولة المسلمة في المدينة بقيادة رسول الله ﷺ وكان القرار الذي اتخذته قائد هذه الدولة

إن الإسلام منذ نشأته يقوم على قاعدة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومعنى ذلك إفراد الله - سبحانه وتعالى - بالألوهية والربوبية والقوامية والسلطان فلا رب غيره ولا معبود سواه.

إن إفراده بها اعتقاد تابع من الضمير وعبادة في الشعائر وشرعية في واقع الحياة فشهادة أن لا إله إلا الله لا توجد فعلاً ولا تعتبر موجودة شرعاً إلا في تلك الصورة المتكاملة التي تعطيها وجوداً جدياً حقيقياً يقوم عليه اعتبار قائلها مسلماً.

رسول الله ﷺ هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار تلك المؤاخاة التي تقوم مقام رابطة الدم والنسب كذلك بكل مقتضياتها بما في ذلك الإرث والديات والتعويضات التي تقوم بها رابطة الدم في الأسرة والعشيرة، وكان حكم الله - تعالى - :

﴿إِنَّ الَّذِينَ

آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَأُولَئِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ الْوَلَاةُ وَنُصْرَتُهُ أُولَئِكَ يَتَعَصَّى أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ

(الأنفال: ٧٢)

فهم أولياء في النصرة وأولياء في الإرث وأولياء في الديات والتعويض وسائر ما يترتب على رابطة الدم والنسب من التزامات وعلاقات وهكذا نجد أن هذا القرار الذي اتخذته رسول الإسلام ﷺ يفوق ما يتشدد به العالم الغربي من تجمعات هنا وهناك واتحادات هنا وهناك؛ لأن ما فعله الرسول ﷺ في هذه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وبعد ذلك وجد أفراد آخرون دخلوا في هذا الدين عقيدة ولكنهم لم يهاجروا إلى المدينة المنورة - وهي التي كانت تسمى دار الإسلام - التي تحكمها شريعة الله هؤلاء الأفراد الذين يعتنقون الإسلام ولكنهم لا يفضلون الإقامة والعيش في هذا المجتمع الذي يقوم على هذه العقيدة وهؤلاء وضع الله - تعالى - لهم ميثاقاً جاء فيه :

﴿وَالَّذِينَ

آمَنُوا لَهُمْ يَهِاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ خَشِيَ جَاهِلُونَ وَإِنْ أَنْصَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَقَدْ أَنْصَرَكُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَكَانَ اللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ

(الأنفال: ٧٢)

مصلحة المجتمع المسلم

فهؤلاء الأفراد ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم ومن ثم لا تكون بينهم وبينه ولاية ولكن هناك رابطة العقيدة وهذه لا ترتب وحدها على الدولة المسلمة أعباء تجاه هؤلاء الأفراد اللهم إلا أن يعتدى عليهم في دينهم فيفتنوا عن عقيدتهم، فإذا طلبوا النصرة من الدولة والمجتمع المسلم كان الواجب على المسلمين أن ينصروهم في هذا ولكن بشرط ألا يخل هذا النصر والتأييد بعهد عاهدة المسلمون مع معسكر آخر ولو كان هذا المعسكر هو المعتدى على أولئك الأفراد في دينهم وعقيدتهم؛ ذلك أن الأصل هو مصلحة المجتمع المسلم وما يترتب عليها من تعاملات وعقود فهذه لها الرعاية أولاً حتى تجاه الاعتداء على عقيدة أولئك الذين آمنوا.

ثم يضع القائد المسلم أسس العلاقة بين الكفار ومن على عقيدتهم فيقول - تعالى - :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ

(الأنفال: ٧٣)

(١) المنشط: مفعول من النشاط وهو الأمر الذي تنشط له وتخف إليه وتؤثر فعله وهو مصدر بمعنى النشاط.

وَكَاثَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ

للدكتور/ حمدي فتوح والي

برغم ما يبدو من هيمنة الحضارة المادية، وسيطرتها على مقاليد الأمور. وبرغم ما يتراءى من تمكنهم وعلوهم في الأرض فبأنى على يقين راسخ بأن علوهم إلى انحطاط، وتمكنهم إلى انحلال، وعمراتهم إلى خراب وبيوار، لأننى على ثقة من قول ربى سبحانه:

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾
(هود: ١٠٢)

ومن قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ، فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ۖ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(الأنعام: ٤٤، ٤٥)

ونعلم مما علمنا نبينا ﷺ، أن الله يملئ للظالم حتى إذا أخذ له يظلمته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ۚ كَتَبَ اللَّهُ لَآئِلِهِمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

(الجمادى: ٢٠ - ٢١)

بهذه الثوابت الإلهية يحضى المؤمن في هذه الحياة مستشعرا معية الله له وخذلانه لأعدائه، فيطمئن إلى نصره، ويستبشر بتمكينه وثقا من قول ربه:

يتحالفوا مع أى عدو للمسلمين أو أى معتد على المدينة، ولكن اليهود كعادتهم نقضوا هذه العهود وديروا المكائد والصراعات بين المسلمين وناصروا أعداء الإسلام فكان ما كان من منازلات بين المسلمين وأعدائهم للدفاع عن هذا الكيان فقد كان هذا المجتمع مجتمعا مفتوحا لجميع الأجناس والأقوام والألوان واللغات بلا عائق من هذه العوائق الحيوانية السخيفة وقد اجتمع فى هذا المجتمع المسلم رباط الاعتقاد بربهم الواحد وتبرز فيها إنسانيتهم وحدها بلا عائق وهذا ما لم يتحقق لأى تجمع آخر على مدى التاريخ.

رابطة الإنسانية

لقد كان أشهر تجمع بشرى فى التاريخ القديم هو تجمع الإمبراطورية الرومانية مثلا فقد ضمت بالفعل أجناسا متعددة ولغات متعددة وأرضين متعددة ولكن هذا كله لم يرقم على رابطة الإنسانية أو العقيدة بل كانت تحكمها العنصرية والطبقية؛ فقد كانت هناك طبقة الأشراف وطبقة العبيد بل وهناك طبقة الرومان وطبقة غيرهم، ومن هنا فإن هذا التجمع لم يرتفع أو يتسامى إلى هذا التجمع الذى أقامه رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة والذي أصبح نواة العالم الإسلامى الذى يضم أكثر من مليار ونصف مليار مسلم اليوم؛ لأن الله أرسل رسوله بهذا الدين كى يسقى وينتشر وصدق - تعالى - حين يقول:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾
(الصف: ٩)

فالكفار هم الذين يتولون الأعباء المترتبة على هذه العقيدة دون أن يكون للمسلمين فيها شأن أو يكون تجاههم مطلب، وهكذا نجد أن الإسلام وهو يبنى هذه الدولة المسلمة يستمع ويستجيب لمطالبات المجتمع بكل طوائفه ولا أدل على ذلك من العهود والمواثيق التى وضعها النبى ﷺ والتى مثلت أول دستور ينظم العلاقات بين طوائف مختلفة فى العقيدة والتى ينادى بها أولئك الذين يدعون الحرص على حقوق الإنسان فى زماننا المعاصر. إن الإسلام وضع أساسا للحرص على حقوق الإنسان جميعا المسلم وغير المسلم بل إن رسول الله ﷺ وضع فى العهد الذى أبرمه مع اليهود ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات ونص على أن لليهود أن يسبقوا على عقيدتهم وديانتهم وليس لأحد أن يجبرهم على الدخول فى الإسلام فالقاعدة العامة:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾
(الكهف: ٢٩)

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾

(الكافرون: ٦)

ونظم هذا العهد الدفاع عن المدينة وهى الوطن للجميع - المسلمين واليهود - فالواجب على جميع قاطنى المدينة أن يدافعوا عن المدينة تجاه الغزو الخارجى، كذلك فالواجب على اليهود ألا

ومستيقنا من وعده ربه له بقوله:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(الروم: ٤٧)

ولما كان المؤمنون الصادقون موعودين بالنصر من ربهم إن هم أخلصوا النية، وصدقوا العمل، وجاهدوا في الله حق جهاده، كان أحشى ما نخشاه عليهم هو أن يصابون في يقينهم بربهم، وثقتهم بخالقهم، وعمق إيمانهم بالله سبحانه وتعالى فيفقدون بسبب ذلك توفيق الله لهم، ولطفه بهم، وتجليه عليهم، ويتكشف عنهم غطاء المعية، واستمرار المدد، ونزول الملائكة وتثبيت الأقدام.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ نَبِيُّ رَبِّكُمْ أَلَمْ تُؤْمِنُوا سَأَلْتُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الزُّلْفَى فَخَرَّوهُمُ فَأَفْوَكَ الْأَخْطَانِ فَخَرُّوا مِنْهُمْ كُلُّ بَنَانٍ﴾

(الأنفال: ١٢)

الوهن!!

إن أخطر ما تصاب به الأمم في مسيرة حياتها هو أن تصاب بالوهن الذي يورثها الهزيمة والخذلان، وذلك يأتي عندما تنقطع علاقة الأمة بربها، فلا ترى مشغولة بذكره، حافظة لعهدده، مطبقة لشريعته، وفاقية عند حدوده، مستجيبة لأوامره، منتبهة عن نواحيه يوم تفقد الأمة هذا الشعور الإيماني

العميق لا بد أن تصاب بالشذات، وشدة المؤونة، وهو ما توعدنا الله به بقوله:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾

(طه: ١٢٤)

وحذرنا منه نبينا ﷺ بقوله في الحديث الذي رواه ابن مسعود والبخاري والبيهقي واللفظ له - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «خمس خصال - إن ابتليتم بهن ونزلن بكم، أعوذ بالله أن تدركوهن - لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالستين وشدة المؤنة، وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سلب عليهم عدو من غيرهم فياخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أنفسهم بكتاب الله، إلا جعل بأسهم بينهم».

فبسبب ضعف الإيمان، وغياب اليقين، وغلبة حب الدنيا على سلطان الدين وبسبب عجز العلماء، وجهل الأبناء،

وتعالى بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

(البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩)

واجب الأمة

فإن أول واجب من واجبات هذه الأمة حكماً ومحكوماً يقتضيها أن تنهض بواجب الدعوة إلى الله، وقوة اللجوء له وصدق العودة إليه والالتزام الكامل بشريعته عقيدة وعبادة، قضاء وأحكاماً، أخلاقاً وسلوكاً، سياسة واقتصاداً، حلالاً وحراماً، آداباً ومعاملات، وأن نجعل القيام بهذا الواجب بمثابة الاستغفار وإبداء الاعتذار لما فرط منا في حق الله سبحانه وتعالى، عسى الله أن يفك عن الأمة قيدها، وأن يفرج كربها، وأن يبارك لها في أرزاقها وأقواتها. وأن نكون أهلاً لتحقيق وعده الكريم فينا بقوله سبحانه:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ ظَالِمِينَ﴾
﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيبَ وَيُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾
﴿لَكُمْ حُرَّتٌ وَحُكْمٌ كَمَا كُنْتُمْ﴾

(نوح: ١٠ - ١٢)

واستبداد الأمراء، واستئثار فئة من الأغنياء بغالب أموال المسلمين وغياب رحمتهم بالفقراء والمعوذين أوشك أنه يتكشف عن الأمة غطاء المعية، ويرتفع عنها ستار البركة، وينقطع عنها مدد التوفيق ويسقط عن أعين الكافرين قناع الهيبة من هذه الأمة ويصدق في الأمة قول نبينا صلوات الله وسلامه عليه:

«يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما يتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟! قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم، ولينقصن في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن يا رسول الله قال: حب الدنيا وكراهية الموت، وفي رواية وكراهية القتال»^(١).

وإذا كان غياب الذكر يورث الأمة الضنك والفقر وقلة البركة. وشيوع هذه الخصال الخمس يورثها ما علمنا من مقتضياتها المرعبة كما مر في الحديث الشريف، وإذا كان شيوع الربا يوقف الأمة أمام حرب يؤذن بها الجبار سبحانه

(١) رواه مسلم.

وأن يشملنا قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

(الأعراف: ٩٦)

إن الاعتذار إلى الله بالعودة إليه، والاستغفار عما فرط من ذنوبنا، في مجالات الحياة المختلفة، هو مفتاح أماننا وسبب سعادتنا، وسر قوتنا وضمنان من غضب الله ونزول عذابه:

﴿وَمَا كَانَتْ أَفْئِدَتُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنَّهُمْ يُخْفُونَ﴾

(الأنفال: ٣٣)

البداية الحقيقية

إن البداية الحقيقية للتخلص من حالة الوهن وحب الدنيا وكرهية الموت، وأن نستعيد هيبتنا في أعين أعدائنا، وأن نعود مرة أخرى خير أمة أخرجت للناس، لا يكلفنا إلا أن نكره تلك الحال الخبيثة من أعماق قلوبنا، وأن نستشعر الندم على ما فرط منا، وأن نعترف بحق من نحب ومن نكره، ومن نوالى ومن نعادي، وأن نمتلك المعيار الإلهي الصادق الذي نقيس عليه

(٢) متفق عليه.

حبنا وبغضنا وولاءنا وبرائنا، وصادقتنا وعداوتنا، ونحقق فينا قول نبينا ﷺ: «من أحب في الله وكره في الله فقد استكمل عرى الإيمان»^(٢)، فنتخلص بذلك من حالة النظم الدائم بين طبقات الأمة، الذي أورثها عداوة الفقير للغني، وكرهية المظلوم للظالم، وجعل العامي يسخر من العالم، عندما رآه يخاف أن يقول للظالم يا ظالم.

الاستشراق والحرب على الإسلام

وشهادة التاريخ الحديث والمعاصر والمتصفون من عقلاء الأمة يدركون بأن ما أصاب الأمة فأورثها ماهي فيه من التبعية والتخلف وغياب الهيبة والهيوان على الناس، لم يقع في يوم وليلة، وإنما تم بتدبير محكم وتآمر رهيب، واجتمعت لتلك الغاية الشيطانية دراسات استشراقية وحملات عسكرية وخطط صليبية ومؤامرات يهودية، منتهزين حالة الضعف والتشرذم، وما أصاب الأمة جميعاً من شعور بالظلم والاضطهاد، تحت وطأة ولادة جفافة قساة أرهقوا كاهل الناس بالضرائب والإتاوات، وما شاع من أمور

الرشوة وبيع المناصب، وتوقف الاجتهاد، وشيوع التقليد وانتشار البدع، والتخلف عن ركب الحضارة العالمية، والاكتفاء بحفظ المتن والتلاعب بالألفاظ، وترك ميراث الآباء من علوم الطب والفلك والرياضيات والكيمياء والصيدلة وعلوم الأرض لبدع فيها أعداؤنا، ويتقووا بها علينا، مما هب الأمة لتكون ميراثاً سهلاً لدول الغرب الصليبي، فلم يجدوا كبير جهد لإخضاع عواصم الأمة الإسلامية لإرادتهم، وأفاق العالم ليجد ميراث محمد ﷺ قد توزعته إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وغيرها ولتتحول البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة صليبية، ويجتمع ممثلو إنجلترا وفرنسا ليقسموا بينهما تركة «الرجل المريض» ويعتنون به الدولة العثمانية وإذا أرض الإسلام وأبناء المسلمين يوزعون غنيمة بين إنجلترا التي يمثلها وزير خارجيتها «سايكس» وفرنسا التي يمثلها وزير خارجيتها «بيكو» بمقتضى اتفاق ودى بينهما عرف باتفاق «سايكس - بيكو» في بدايات القرن العشرين لتظل الأمة على مدى قرن كامل صريعة أيد حاقدة حاسدة مدمرة تعمل بكل قواها السياسية والعلمية والعسكرية والثقافية على قتل ونهب

وسحق كل مقومات القوة في هذه الأمة مادياً وروحياً وثقافياً لكن أخطر ما أصابته في كيان أمتنا وأشد عنصر استحوذ على اهتمامهم، كان هو الجانب الذي يذكر الأمة بوجودها، ويحفظ لها شخصيتها ويصون هويتها وهو جانب الدين، لأنهم علموا أن الدين الإسلامي يمثل لدى أمة الإسلام مددها الروحي، ورباطها الديني، وانتماءها التاريخي، ومنهجها الفكري ونظامها السياسي، بل وبرنامج حياتها اليومي، كما أحس أعداء الإسلام أن عنصر الممانعة الأكيد والذي صمدت به الأمة طيلة ألف عام أو يزيد، كان هو العمق الروحي واليقين الإيماني، ولهذا عمدوا إليه ليضعفوه، ووجهوا ضرباتهم إليه ليقتلوه.

حفظ الله!!

وإذا كنا لا ننكر أن ضرباتهم كانت حارقة حاقدة موجعة، وأن خسائرنا كانت فادحة مفرجة، فإن الذي نحمد الله عليه أنها لم تكن مفتية قاتلة؛ لأن الله تبارك وتعالى هو الذي تولى بنفسه حفظ كتابه وصيانة دينه، وسنة رسوله غيرة على البشرية كلها أن تظل بغير دين وبغير كتاب فتضل ضلالاً بعيداً.

اختلاف الصحابة بعد الرسول ﷺ

للاستاذ الدكتور / السيد أحمد فرج
الأستاذ بجامعة المنصورة

اختلف الصحابة بعد رسول الله وكان اختلافهم بعده، كاختلافهم على عهده، ولا فرق بين طبيعة اختلافهم الأول والثاني، إلا مقتضيات الزمن، وما حدث فيه للمسلمين من سعة في العيش، وتشعب في أمورهم الحياتية.

اختلافهم حول قتال مانعي الزكاة

وكان لاختلافهم في كل الأحوال أسبابه، كما كانت له في كل الأحوال آداب التزموا بها. وكان مما اختلفوا فيه (على سبيل المثال لا الحصر، اختلافهم حول قتال مانعي الزكاة وقد استطاعوا التغلب على ذلك الاختلاف بصدق نيّتهم، وسموا غايتهم ونبل مقصدهم، ففي خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - ارتدت بعض قبائل العرب وامتنعوا عن دفع الزكاة، بتأويل خاطيء منهم أن الزكاة

كانت للرسول ﷺ، وليست لأبي بكر - رضي الله عنه -، فقد زعموا أن الزكاة في أصل الدين لا تدفع لغير الرسول ﷺ، لأنه هو المخاطب بأخذها في قوله تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَافْتَخِرْ بَيْنَهُمْ سَلَامًا﴾

(التوبة: ١٠٣)

ولقد خاطب القرآن الرسول ﷺ بصفته إماما ورئيسا للمسلمين، وبصفته حاكما لهم، يأخذ الصدقات منهم ويردها على

مستحقيها من المسلمين. ثم تنتقل هذه المسؤولية إلى من يليها من أئمة المسلمين بعد رسول الله ﷺ نيابة عن أمة المسلمين. ولهذا رأى أبو بكر - رضي الله عنه - حملهم على أدائها له، فهو خليفة رسول الله ﷺ.

ولكن حدث اختلاف بين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - في قتال مانعي الزكاة.

روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر - رضي الله عنه - وكفر من كفر من العرب. فقال عمر: فكيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»^(١) - فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر - رضي الله عنه - للقتال فعرفت أنه الحق.

قال الطبري: قال ابن زيد: افترضت الصلاة والزكاة - جميعا - لم يفرق بينهما وقرأ قوله تعالى:

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَفُتِحَتْ بَابُ الْحَنَانِ﴾

(التوبة: ١١)

وأبي أبو بكر أن تقبل الصلاة إلا بالزكاة. وقال: رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه يريد بذلك إصراره على مقابلة من فرق بين الصلاة والزكاة.

وكان سبب الاختلاف بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أبا بكر رضي الله عنه اجتهد واستنبط الحكم وعرف أن الصلاة لا تفرق الزكاة.

كما اجتهد عمر رضي الله عنه، فتمسك بظاهر لفظ الحديث ورأى أن مجرد دخول الإنسان الإسلام بالنطق بالشهادتين - عاصما لدمه وماله ومحرم لقتاله.

أما الصديق رضي الله عنه، فقد تمسك بقوله ﷺ «إلا بحقها»، واعتبر الزكاة حق المال، الذي تفقد بالامتناع عن أدائه عصمة النفس والمال. كما فهم من اقتران الصلاة والزكاة في معظم آي الكتاب، وأحاديث الرسول ﷺ أنهما مثلان لا فرق بينهما.

وما داموا متفقين على أن الامتناع عن الصلاة دليل ارتداد، فإن الامتناع عن الزكاة

ينبغي أن يعتبر كدليل ارتداد يقاثل مرتكبه.

وبذلك استطاع الصديق - رضى الله عنه - أن يقنع الصحابة بصواب اجتهاده في وجوب قتال مانعي الزكاة واعتبارهم مرتدين، وبذلك انفقت الكلمة وارتفع الخلاف في هذه المسألة.

واختلف الصحابة في أمور كثيرة. فقد اختلفوا في قسمة الأراضي المفتوحة وكان عمر يرى وقفها ولم يقسمها، فوافقته الصحابة وشرح الله صدورهم لما شرح له صدر عمر رضى الله عنهم أجمعين.

واختلفوا في المفاضلة في العطاء، فكان أبو بكر يرى التسوية في الأعطيات، بينما كان عمر يرى المفاضلة بين المسلمين في أعطياتهم بحسب سبقهم للإسلام، وبلائهم فيه.

كذلك اختلفوا في الاستخلاف، فقد استخلف أبو بكر، ولم يستخلف عمر رضى الله عنهم أجمعين.

وروى أن عمر أرسل إلى امرأة مغيبة (زوجها غائب) وكان يدخل عليها، وقد أنكر عمر رضى الله عنه ذلك، فأرسل إليها، فبينما هي في الطريق فرغت، فألقت ولدها (حملها) فصاح المولود صيحيتين ثم مات. فاستشار عمر أصحاب النبي ﷺ، فأشار عليه بعضهم: أنه ليس عليك شيء إنما أنت وال مؤدب.

ولكن سأل عمر عليا - رضى الله عنهما -

فقال: إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأ رأيهم. وإن كانوا قالوا في هوائك فلم ينصحوا لك، أرى أن دينه عليك فإنك أنت أقرعتهم، وألقت ولدها بسببك. فأمر عمر أن يقسم عقله (دينه) على قومه.

ما الذى أوقع الناس فى الخلاف؟

ولكن الذى أوقع الناس فى الخلاف اتباع الهوى، فاتبعوا أهواءهم، ولم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها. بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، أو كان منهم من يخشى السلطان لنيل ما عنده، أو طمعا للرياسة، وطلبا لها.

واتباع الهوى هو أصل الزيف عن الصراط المستقيم قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاهِنُونَ قُلُوبُهُمْ مُتَّعِينَ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا لَهُمْ بِالْآلِهَةِ أَلَاءٌ﴾

(آل عمران: ٧) فمن شأنهم أن يتركوا الواضح، ويتبعوا المتشابه.

وقد يتبعون آباءهم أو أشياخهم، وهو التقليد المذموم لأنهم استمسكوا بمجرد التقليد الخاطيء، سواء كان موافقا للشرع أو مخالفا له.

فالتبع هواء، أو التقليد الأعشى للمتبع

هواء، كلاهما ضال، لم يبلغ الدرجة التى بلغها أهل العلم، وأهل الاجتهاد فيه، فهو يلقي برأيه من غير إحاطة الشريعة أو رسوخ قدم فى فهم مقاصدها، وعليه نبه الحديث الصحيح أنه ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فضلوا وأضلوا»^(١)

موقف العلماء من الاختلافات الفقهية

لو تدبرنا ما سبق أن نقلناه عن الشاطبى وابن عبد البر فى قولى عمر بن عبد العزيز والقاسم بن محمد عالم المدينة - رضى الله عنهما - فى أن اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ كان رحمة، لأنهم وسعوا للناس دائرة العمل، ولو أضفنا إلى هذا القول قول العلامة الدهلوى رحمه الله فى كتاب الانتصاف فى بيان أسباب الاختلاف، لانتضحت لنا طبيعة هذه الاختلافات، ومنها أن أكثر صور الاختلاف بين الفقهاء لاسيما فى المسائل التى ظهر فيها أقوال الصحابة فى الجانبين كتكبيرات العيدين، وتشهد ابن عباس وابن مسعود والإخفاء بالبسملة وبآمين، والإشفاق والإيتار فى الإقامة ونحو ذلك، إنما هو ترجيح أحد القولين.

(٢) البخارى ٣٦٠١

وكان السلف لا يختلفون فى أصل من أصول الشريعة، وإنما كان خلافهم فى أولى الأمرين، ونظيره اختلاف القراء فى وجوه القراءات.

وقد عللوا كثيرا من هذا الباب، بأن الصحابة مختلفون، وأنهم جميعا على الهدى، ولذلك لم يزل العلماء يجوزون فتاوى المفتين فى المسائل الاجتهادية ويسلمون قضاء القضاة، ويعملون فى بعض الأحيان بخلاف مذهبهم.

وما نقلناه عن ابن عبد البر والشاطبى والذهلوى بين إمكان الاقتداء بالصحابة فى مسائل الاختلاف كما يبين أنهم - رضوان الله عليهم - لم يختلفوا فى أمور كتلك التى تجددت بتجدد العصور، وأحوال المسلمين من بعدهم.

كما تبين أن الاختلاف فى امتنياط المسائل الفقهية وتعدد الآراء فى المسألة الواحدة أمر طبيعى تبعا للأساليب التى يقتضيها الاختلاف. واختلافهم على ما يقول ابن عبد البر دليل على أنهم اجتهدوا فاختلفوا. كما اجتهد الذين جاءوا من بعدهم من أصحاب المذاهب الفقهية فاختلفوا.

(وللحديث بقية)

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

[آل عمران: ١٠٤]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم والسنة النبوية

لفضيلة الشيخ / فوزي الزقزاق
عضو مجمع البحوث الإسلامية

٣

يقول الله - سبحانه وتعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ إِنْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْبَرُ لَهُمُ الْفَاتِيحُونَ ﴾

آية ١١٠ سورة آل عمران

ففضل الله الأمة الإسلامية، وجعلها خير
أمة أخرجت للناس، وبين - جل شأنه -
أسباب تلك الخيرية، وأرجعها إلى أن الأمة
الإسلامية تحقق أصليين أساسيين:

● **الأصل الأول:** أنها تقسوم بالأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنهما سياج
الدين، ولا يمكن أن تقوم الأمة الإسلامية
وتنهض إلا على دعائم قوية من الخير
والفضيلة والأخلاق الكريمة.. ومفتاح ذلك
هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما
هلكت الأمم السابقة، واستحققت لعنة الله
وعذابه إلا بتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، يقول الله - تعالى -:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
وَأَنْ تَقُولُوا بِمِثْلِ مَا قِيلَ لَكُمُ اللَّهُ مُبْدِي
وَالْآخِرُ أَوَّلُهَا وَلَكِنْ الْبِرُّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
فَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

الآيتان ٧٨، ٧٩ سورة المائدة

● **الأصل الثاني:** الإيمان بالله - جل شأنه
- وبحميع ما أمر به ونهى عنه من تكاليف
تتعلق بالعقيدة والشريعة، والعبادات
والمعاملات: قولاً وعملاً.

فإذا أهملت الأمة الإسلامية هذين
الأصليين الأساسيين، فلا يمكن أن توصف
بالخيرية.. وهل رعت الأمة الإسلامية هذا
التكريم الإلهي الذي حياها الله به؟ وذلك
التفضيل والإعلاء من شأنها وقدرها الذي
خصها الله به؟ فحافظت على الالتزام
بتنفيذ هذين الأصلين؟؟

إن واقع المسلمين في الزمن الحالي، المليء
بالضعف والهوان، والدلة والمهانة، والاستكانة
والخنوع يقول غير ذلك!! ولا مخرج للأمة
الإسلامية من هذا الواقع المؤلم الحزين، إلى
الخيرية التي أنعم الله بها عليها، إلا بعودتها
إلى تحقيق هذين الأصلين الأساسيين.

(١) مسلم ١٠٠٦.

الأمر بالمعروف صدقة

إن الفضائل التي تحقق الخيرية للأمة
الإسلامية كثيرة ومتعددة، وقد يسهل الإسلام
لكل مسلم على قدر استطاعته وطاقته
وجهد.. عن أبي ذر - رضي الله عنه - أن ناساً
من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي عليه الصلاة
والسلام: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور
«الثال الكثير» بالأجور، يصلون كما نصلي،
ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول
أموالهم، قال: «أو ليس قد جعل الله لكم ما
تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل
تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل
تهليلة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهي عن
منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا:
يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له
فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام
أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في
الحلال كان له أجر» (١).

ولو نظرنا إلى الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر نجد أن رسول الله ﷺ قد كرر
الحث على فعله والحض على عمله في كل
مناسبة يسأل فيها عن بيان أعمال الخير
التي يجب على المسلم أن يحرص على
أدائها والتمسك بتنفيذها.

عن أبي كثير السحيمي عن أبيه قال: سألت أبا ذر قلت: ذلني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة؟ قال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ قال: «تؤمن بالله واليوم الآخر» قلت: يا رسول الله: إن مع الإيمان عملاً؟ قال: «يرضخ - يعطي - مما رزقه الله»، قلت: يا رسول الله: أرايت إن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ به؟ قال: «يا امر بالمعروف وينهى عن المنكر» قال: قلت يا رسول الله: أرايت إن كان عبياً لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال: «يصنع لأخرق» - يبحث عن جاهل ضعيف أحسنق وبفسده ليكسب صدقة -، قلت: أرايت إن كان أخرق أن يصنع شيئاً؟ قال: «يعين مغلوباً»، قلت: أرايت إن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يعين مغلوباً؟ قال: «ما تريد أن يكون في صاحبك من خير؟ يمسك عن أذى الناس»، فقلت: يا رسول الله: إذا فعل ذلك دخل الجنة؟ قال: «ما من مسلم بفعل خصلة من هؤلاء إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة» (١).

الأمرون والناهون

والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر لا يثنى عليهم عن أداء تلك الطاعة ما يواجهونه من

صعاب، وما يلاقونه من مشاق، وما يصيبهم من أذى ولو وصل الأمر بهم إلى التضحية بحياتهم في سبيل القيام بهذا العمل، لأنهم يؤمنون بوعد الله لهم بأن ينالوا الجنة جزاء لهم، يقول الله - تعالى -:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَقُولُونَ وَيَقُولُونَ وَغَدَا عَلَيْهِمْ حَقٌّ فِي النَّارِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَشِيرُوا بِشَيْعِكُمُ الَّذِينَ يُبْعَثُونَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ الْعَظِيمُونَ الشَّيْخُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَكِيمُونَ الْأَمِيرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

الآيات ١١١، ١١٢ سورة التوبة

فقد بينت الآية الكريمة الثواب الذي منحه الله - عز وجل - للمجاهدين في سبيله، الذين يبذلون أموالهم وأنفسهم في هذا الجهاد، وأن المقابل لذلك الجنة ونعيمها، وأن هذا الثواب والجزاء أكده الله - تعالى - وأثبتته في الكتب السماوية التي أنزلها على رسله «التوراة»، الإنجيل، القرآن»، ولا أحد أوفى بعهده من الله - تعالى -، فاستشيروا أيها المجاهدون بهذا الجزاء لأنه هو الفوز العظيم.

يروي عن الحسن البصري أنه قرأ هذه الآية فقال: انظروا إلى كرم الله - تعالى - أنفس هو خالقها، وأموال هو رازقها ثم يكافئنا عليها متى بذلناها في سبيله بالجنة!!

ثم ذكرت الآية الكريمة تسعة أوصاف لهؤلاء المؤمنين: الستة الأولى تتعلق بمعاملة الخالق، والوصفان السابع والثامن بتعلقان بمعاملة المخلوق، والوصف التاسع يعم القبيلين.. فمن أوصاف هؤلاء المؤمنين: أنهم النائبون عن المعاصي وعن كل ما نهت عنه شريعة الله، وأنهم العابدون لخالقهم عبادة خالصة لوجهه، وأنهم الحامدون لله في السراء والضراء وفي العسر واليسر، وأنهم السائحون في الأرض للتدبير والاعتبار والتفكير في خلق الله والعمل على طاعته ورضاه، وأنهم الراكعون الساجدون لله عن طريق الصلاة التي هي عماد الدين وأنهم الأمرون غيرهم بالمعروف وبكل ما حسنه الشرع والناهون غيرهم عن المنكر وعن كل ما تاباه الشرائع والعقول السليمة، والحافظون لحدود الله. أي: لشرائعه وفرائضه وأحكامه وآدابه.. هؤلاء المتصفون بتلك الصفات الكريمة بشهرهم يا محمد بكل ما يسعدهم ويشرح صدورهم، فهم المؤمنون

حقاً، وهم الذين أعد الله - تعالى - لهم الأجر الجزيل، والرزق الكريم، والثواب العظيم. ولم يذكر الله - سبحانه - البشيرة في قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ للإشارة إلى أنه أمر جليل لا يحيط به الوصف، ولا تدركه العقول.

لقد أبرزت لنا الآية الكريمة أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوضحت أن أصحاب تلك الصفة لهم قدر عال ومنزلة سامية عند الله، وأنهم لا يخافون أحداً من خلقه.

أعظم الجهاد

عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: جاء أعرابي فقال: يا نبي الله - علمني عملاً يدخلني الجنة، قال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة - جئت بها واسعة - أعنت النعمة وفك الرقية»، قال الأعرابي: أو ليست بواحد؟ قال: «لا، إن عنت النعمة أن تفرد بعثتها، وفك الرقية أن تعين في عتقها، والمنحة الوكوف - العزيرة اللين -، والفىء على ذى الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع، واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير» (٢).

(٢) مسند أحمد ٢٩٩/١ واللفظ.

(١) الترغيب والترهيب للمتقري ج ٣/ ٢٢٠.

دخل معاوية يوماً مسجد دمشق، وجلس على المنبر، فناداه أبو مسلم الخولاني قائلاً: يا معاوية، إنما أنت قبر من القبور، إن جئت بشيء كان لك شيء، وإن لم تجيء فلا شيء لك، يا معاوية: لا تحسن الخلافة جمع المال وتفريقه، ولكن الخلافة العمل بالحق، والقول بالمعدلة، وأخذ الناس في ذات الله - عز وجل -، يا معاوية: إنما لا نبالي بكدر الأنهار ما صفا لنا رأس عيننا، وأنت رأس عيننا، يا معاوية: إياك أن تخيف على قبيلة من قبائل العرب، فيذهب حيفك بعدلك.

قال الحسن البصري - رحمه الله تعالى: مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر وإلا كنتم أنتم المؤعظات «أى: يوعظ بكم غيركم لما يحل بكم من مسخط الله ولعنته بسبب إهمال هذا الأصل».

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»^(١).

روى أن معاوية حبس العطاء، فقام إليه أبو مسلم الخولاني قال له: يا معاوية: إنه ليس من كدك ولا من كد أميك ولا من كد أمك، قال: فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم: مكانكم. وغاب عن أعينهم

ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال: إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليستوضأ»^(٢)، وإني دخلت فاغتسلت، وصدق أبو مسلم إنه ليس من كدى ولا من كد أبي فهلموا إلى عطائكم.

مع الفاروق رضي الله عنه

وروى عن ضبة بن محصن العنزي قال: كان علينا أبو موسى الأشعري أميراً بالبصرة، فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، وأنشأ يدعو لعمر - رضي الله عنه - قال: فغاضني ذلك منه، فقممت إليه فقلت له: أين أنت من صاحبه تفضله عليه؟ فصنع ذلك جمعاً، ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول: إن ضبة ابن محصن العنزي يتعريض لي في خطبتي. فكتب إليه عمر: أن أشخصه إلى قال: فأشخصني إليه، فقدمت قسريته عليه الباب فخرج إلى قال: من أنت؟ فقلت: أنا ضبة، فقال لي: لا مرحباً ولا أهلاً، قلت: أما المرحب فمن الله وأما

(١) أبو داود.

(٢) أبو داود، والترمذي، واللفظ له.

الأهل فلا أهل لي ولا مال، فيماذا استحللت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيت به؟ فقال: ما الذي شجر بينك وبين عاملي؟ قال: قلت الآن أخبرك به، إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، ثم أنشأ يدعو لك فغاضني ذلك منه، فقممت إليه فقلت له: أين أنت من صاحبه تفضله عليه؟ فصنع ذلك جمعاً، ثم كتب إليك يشكوني، قال: فاندفع عمر - رضي الله عنه - باكياً وهو يقول: أنت والله أوفق منه وأرشد، فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك؟ قال: قلت: غفر الله لك يا أمير المؤمنين، قال: ثم اندفع باكياً وهو يقول: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر، فهل لك أن أحدثك بليته ويومه؟ قلت: نعم. قال:

أما الليلة: فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هارباً من المشركين خرج ليلاً، فتبعه أبو بكر، فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره، فقال رسول الله ﷺ: «ما هذا يا أبا بكر؟ ما أعرف هذا من أفعالك؟» فقال: يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك، ومرة عن يسارك لآمن عليك، قال: فمشى رسول الله ﷺ ليلته على

أطراف أصابعه حتى حفيت، فلما رأى أبو بكر أنها حفيت حملة على عاتقه، وجعل يشتد به حتى أتى قم الغار فأنزله، ثم قال: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك قال: قد دخل فلم ير فيه شيئاً فحملة فأدخله وكان في الغار خرق فيه حيايات وأفاع، فآلقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله ﷺ فيؤذيه - وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه، وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم ما يجد، ورسول الله ﷺ يقول له: «يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبي بكر.. فهذه ليلته.

وأما يومه: فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب، فقال بعضهم: نصلي ولا نركع، فأتيتهم لا آله نصحاً، فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ: تألف الناس وارفق بهم فقال: أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام؟ فيماذا أتألفهم؟ قبض رسول الله ﷺ وارفع الوحي فوالله لو منعوني عقلاً كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقائلتهم عليه. قال: فقائلنا عليه، فكان رشيد الأمر.. فهذا يومه.. ثم كتب إلى أبي موسى يلومه.

لهذه عقيدتنا

لفضيلة الشيخ / على عبد الباقي شحاتة
الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية

تختلف الأسماء باختلاف الأزمان، وحقوق الإنسان واحدة من الأسماء التي ظهرت حديثاً، والسؤال الذي يطرح نفسه.. هل كانت حقوق الإنسان مهددة قبل أن يناقشها الغرب، ويجعلها ضمن قوانين الأمم المتحدة؟.. نقول: إن الإسلام أحاط حقوق الإنسان بالرعاية والعناية منذ أول يوم نزل فيه الوحي.

فأول آية نزلت من القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ وهو يتحنث بفار حراء تحمل حق الإنسان في التعلم، وتعلنه حقاً صريحاً لا مرأى فيه:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

(العلق / ٥:١)

إن المسلمين مارسوا هذا الحق في التعلم متأسين برسول الله ﷺ الذي علمهم الآية قولاً وعملاً حين أمر بأن يكون فداء الأسير أن يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة.

نعم.. إن الإسلام نادى بحقوق الإنسان ومارسها المسلمون الأوائل ومن تبعهم بإحسان، ولكنهم لم يصنضوا هذه الأفعال تحت هذه الأسماء بعينها، لأنهم كانوا يبتغون رضوان الله - سبحانه وتعالى - ولم يكن عندهم أن يقول الناس فعل المسلمون كذا وكذا.

إن الإسلام دين سماوى لم يأت للتفرقة بين البشر، وإنما هو خطاب الله ودستور الإسلام الذى جاء لعموم الخلائق من أبناء آدم، حيث يواجه القرآن الكريم نداه للبشر جميعاً فى قوله - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهُنَّ وَأَرْسَلَهُمْ رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

(النساء: ١)

ومعلوم من الأسلوب القرآنى أنه حينما يخاطب كافة البشر: مؤمنهم وكافرهم يناديهم بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾

فإذا أراد تخصيص المؤمنين بالذكر قال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

ومن هنا نعلم - نحن المسلمين - من قوله - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ﴾

(الحجرات / ١٣)

أنه - سبحانه وتعالى - ينبه الناس ويشد انتباههم إلى وحدة التكوين وإلى وحدة الأصل، فالخالق واحد والكل من أب واحد ومن أم واحدة، فلا فضل لأحد على أحد،

فهم جميعاً متساوون فى الحقوق والواجبات.

واختلاف البشر إنما يكون من حيث الجنس واللون واللغة، وكذلك يكون فى الصحة والمرض والغنى والفقر والجاه والسلطان.... إلخ.

والاختلاف كما يكون فى البشر يكون - أيضاً - فى المخلوقات الأخرى، فنراه فى الحيوان والنبات والجماد، وهذا الاختلاف والتباين آية من آيات الله الدالة على طلاقة قدرته - سبحانه وتعالى -

ولقد فطر الله الناس جميعاً على الإيمان ولم يرض لهم الكفر، ولكنهم اختلفوا، فأرسل الله رسوله لهداية الناس جميعاً؛ وليخرجوهم من الظلمات إلى النور، فآمن بهم من آمن وكفر بهم من كفر، ولقد أتاح الله - سبحانه وتعالى - للإنسان فرصة للاختيار فقال - جل شأنه:

﴿ إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرُوا وَإِنَّمَا كَفَرُوا ﴾

(الإنسان / ٣)

ولم يكن الدين يوماً أساس التعامل بين الإنسان وأخيه الإنسان، لأن الدين أساس فى التفاضل عند الله، لقوله - تعالى -:

﴿ إِنَّا كَرَّمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ بِأَقْنَمِكُمْ ﴾

ولكن المتعصبين فى شتى بقاع الأرض

وفى كل الأمم يخلطون بين كون الدين أساس التعامل أو كونه أساس التفاضل.

ولكى لا يحدث هذا الخلط تؤكد على أن أساس المفاضلة عند الله وحده تقواه، ولا ينبغي لأحد بعد الله أن يدعى هذا الحق لنفسه.

ولذلك جاء الإسلام ليؤكد هذه الحقائق، حيث يقول:

﴿لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ كَافَّةً﴾

(يونس: ٩٩)

ويقول:

﴿لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُ الْمُتَكَلِّفُونَ إِلَّا آمَنَ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَمَّا خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾

(هود: ١١٨، ١١٩)

فإن الله - سبحانه وتعالى - الذى أعطى للإنسان الحق فى اختيار ما يعتقد؛ هو وحده الذى سيحاسبه على هذا الاختيار، أو بعبارة أخرى الله وحده هو الذى سيحاسبه على خروجه عن القطرة التى فطره عليها.

أما عن التعامل، فالتاريخ الإسلامى مليء بالصورة المشرقة التى تثبت - بما لا

يدع مجالاً للشك - أن الإسلام دين لا يقبل التعصب، وأنه دين يرحب بالآخر ويعطيه أعلى درجات الاهتمام والعناية إذا طلب ذلك وللتأمل فى ذلك قول الحق - تبارك وتعالى:

﴿وَلَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَبِيلٌ لِّتَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تُلَاقَهُ مَأْمُومٌ﴾

(التوبة: ٦)

وعلى كل صاحب عقل وفكر أن يتأمل ما جاء فى السنة النبوية فى خطبة الوداع حينما كان الرسول ﷺ يخطب يوم عرفة فى المسلمين، وكلهم جاء حاجباً فكان المقام أن يناديهم بلفظ يفيد الإيمان ولكن الخطاب جاء مبدوءاً بـ: أيها الناس.

فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع: «أيها الناس أى يوم هذا؟ قالوا: هذا يوم حرام، قال: أى بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال: فأى شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال: إن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، فى بلدكم هذا، فى شهركم هذا، ثم أعادها مراراً ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: «اللهم هل بلغت، مراراً^(١)».

إذا تأملنا هذا النداء الخاص بكل البشر، وإذا تأملنا المعانى التى وردت فى خطبة الوداع والتى تناولت الوحدة فى أصل التكوين ووحدة المصير ووحدة الربوبية ووحدة الأبوة، علمنا أن هذه الأمور مخاطب بها جميع البشر، وهى فى حق المسلمين أكثر وجوباً؛ لذلك طبق المسلمون هذه المعانى على أرض الواقع.

- وكان الدرس الأول: حين أمر النبى ﷺ أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة؛ فعلموا أن اختلاف العقائد ليس مانعاً من نصرة الحق..

وفى بلال الحبشى وصهيب الرومى، وسلمان الفارسى أصدق مثال على أن الإسلام لا يعرف التفرقة العنصرية والدليل أن هؤلاء وغيرهم صاروا من سادات المسلمين وقادتهم عبر تاريخ الدولة الإسلامية.

أقول هذا للمسلمين من باب التذكير مسترشداً بقوله تعالى:

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(الذاريات: ٥٥)

وأقوله لغير المسلمين ليعلموا أن هذه عقيدتنا نؤمن بالمساواة بيننا وبين غيرنا فى جميع الحقوق والواجبات، وأننا لو خالفنا ذلك فإن الله يعاقبنا، وعقاب الله هو أشد ما نخشاه، وليس القانون الرضى أو أى إنسان!

وليعلم الذين يتربصون بالإسلام والذين يحرصون على التشكيك فيه أن الإسلام يدعو إلى المساواة فى الحقوق والواجبات بين البشر جميعاً، وأنه دين يؤخذ بين البشر ويدعوهم إلى التعاون والتآزر ونيل الخلافات ونيل التشاحن والبغضاء.

إن الإسلام دين لو طبقت أحكامه لعم السلام كل بقاع الأرض فى كل زمان.



الله ليس كذلك

تأليف

د. زيجريد هونكه

ترجمة

د. غريب محمد غريب

٢

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض

الأستاذ بجامعة الأزهر

من أهم ما يشير دهشة الغربيين وغيرهم من المفكرين: ما يلاحظونه من انتشار الإسلام في شتى البقاع، ومختلف البيئات؛ فلم يجد كثير منهم إلا أن يرجع ذلك إلى المقولة الساذجة التي صنعها بعض رجال الكهنوت وروجوها، مغفلين أن أحداً في العالم لم يتوسل لنشر الدين أو الفكر مثلهم.

ولو أنهم جردوا أنفسهم من الضلال وخلصوها من الحقد، ونظروا إلى ما يحدثه المسلم بسلوكه السوي، وخلقه السمح، والتزامه بما فرضه عليه الإسلام من وفاء بالعهد، وصدق في القول، وأمانة في التعامل... إذن لعرفوا أن المسلمين بأخلاقيات الإسلام وقيمه يفتحون القلوب، ويحركون النفوس، ويحتذيون العقول للدخول في الإسلام أفواجا.

فالإسلام - بهذا - ليس في حاجة إلى القهر بالسيف، ولا الجذب بالإغراء المادي الزائف أياً كان لونه ومداه.

لقد كان يكفي الغربيين - لو كانوا جادين في التعرف على الإسلام على ما أوضحتها الدكتورة هونكه - أن يتأملوا في كلمات (نيكيتاس أكومينانوس) التي قارن فيها بين معاملة أهل ملته ومعاملة المسلمين أعدائه التي جاء فيها: «إن محاربي المسلمين الأعداء رحماء طيبون قياساً إلى أولئك الذين يحملون صليب المسيح على أكتافهم».

صفات صيغت لتشويه الإسلام

ولكن مع وجود هذه الحقائق الدامغة... ظلت الصفات التي بشها البابا (أوربان) وأغوانه هي أساس معرفة الغربيين بالإسلام؛ فهم لا يعرفون عن المسلم إلا أنه إنسان مجبر مسير، خطيئة آدم جعلته عبداً لله.

ولو أنهم أمعنوا النظر في تلك الصفات لتنبهوا إلى أنها ليست سوى النظرة النصرانية إلى الإنسان النصراني، وأن المسلم منها يرى؛ فالإسلام لم يقل مطلقاً بأن هناك وارثاً خطيئة آدم، ولا بأن أول إنسان كان أثيماً؛ فخطيئة في الإسلام قد تغتفر إذا تاب الإنسان توبة نصوحاً، كما اغتفر الله زلة آدم. ولكن الإنجيل هو الذي يلح على خطيئة آدم، ويؤكد أن كل الولايات والشعور المستشرية في هذه الدنيا مصدرها الأول آدم.

ومن هذه الصفات المشوهة ما يفتره المفكرون المسيحيون على الإسلام في مسألة الإيمان بالقدر، كما يتضح من مقارنة الفيلسوف الألماني (لايبنز) التي أقامها على أن القدر النصراني يسبق على الإنسان السكينة، حيث يجعله راضياً بأن الرب الرحيم مُصَرِّف الأمور، بخلاف القدر الحمدي الذي يجعل الإنسان خائفاً متشائماً، لا يجد أي فرصة لتجنب الأخطار، فليس أمامه إلا أن يرمى بنفسه في خضم تلك الأخطار أعمى البصر والبصيرة.

والدكتورة تذكر: أن هذا الافتراء لا وجود له في الإسلام؛ يتعارض مع ما جاء به القرآن والسنة النبوية تمام التعارض؛ لأن القرآن والسنة - على العكس من هذا الافتراء - يدعوان الإنسان دائماً: أن يحتكم إلى إرادته الحرة للبت في الأمور، ويدفعانه إلى التبصر وتفحص أبعاد الفضيلة والرديلة ليختار اختياراً حراً ما يميل إليه، فيما أن يتبع هواه، وإما أن يستجيب لمشيئة الله.

وتذكر: أن فريضة الجهاد مما يشوهون به حقيقة الإسلام وصورة المسلم، فهم يصورون الجهاد في هيئة الحرب المقدسة، ويزعمون أنه كان وسيلة الإسلام للانتشار، ويحيكون من الأساطير والقصص الخيالية ما يمكن لهذه الأكذوبة من نفوس الغربيين جميعاً، متجاهلين: أن الجهاد في الإسلام يعني: كل سعي مبذول لتثبيت الإسلام في النفس؛ فهو يشمل جهاد النفس، وجهاد الفكر والعقل، وجهاد الرغبة، كما يشمل التأهب ليقظ الدائم لرفع أي عدوان ضد الإسلام والمسلمين؛ متغافلين عما قرره القرآن في شأن الدعوة إلى الإسلام بنهيهِ عن الإكراه في الدين، ولكنهم يحاولون إلصاق الجرائم التي صدرت - وتصدر - منهم في كل مكان بالمسلمين، ظناً منهم أن ذلك قد ينجح في إعاقه المد الإسلامي في جميع بقاع العالم.

وتقدم الدكتورة (زيجريد هونكة) الدليل الحاسم على ذلك التشويه المتعمد من الغربيين للإسلام فتذكر في الفصل الثالث (شارل مارتل منقذ الغرب) : أن الغربيين لم يكتشفوا - في تشويه الإسلام - بيث الشائعات، ولكنهم لجأوا إلى كتب التاريخ المدرسية فشحنوها بهذه الأكاذيب ملء مخيلة التلاميذ الصغار بصورة مجسدة لذلك الخطر المزعوم الذي كاد يعصف بأوروبا لولا تمكن (شارل مارتل) من سحق جيوش المسلمين وانتصاره عليهم في موقعة (بواتيه) فانتقد الحضارة النصرانية من الإبادة، وإكراه أهلها على اعتناق دين محمد.

وقد غاب عن مزيفي التاريخ هؤلاء أن رسالة روما التي يشوبها المبعوث البابوي هي التي أجبرت الشعوب على النصرانية، وذهبت الآلاف الذين أبوا ذلك، وهي التي سعت إلى (التهويد السامي) لصورة الإنسان الآثم، والاعتقاد بأنه لا نجاة له إلا بتخليص الخلق، وهي التي أشاعت الكره والبغضاء لليهود تاراً لصلب المسيح.

وعلى طريق هذا التزييف... أغفلت الحديث عما أشاعه الإسلام والمسلمون من نور العلم والتحضر في إسبانيا على مدى ثمانية قرون، حيث استظل جزء من أوروبا بظلال التسامح الإسلامي، ونعم يرخاء الأمن

والأمان، بينما كانت بقية أوروبا تعاني أشد المعاناة في ظلال الهيمنة الكاثوليكية التي قضت قضاء مبرماً على كل دين آخر يجرؤ على الظهور إلى جانب الكاثوليكية. وأغفلوا الاعتراف بأن الحضارة الزاهرة التي غمرت أوروبا عدة قرون في ظل الإسلام لم تكن امتداداً لبقايا حضارات أوروبية غربية سابقة، ولا أخذاً لنمط حضاري موجود، ولكنها كانت حضارة إسلامية خالصة - كما تقره الوقائع العامة والخاصة - في شتى المجالات من معمار، وشعر، وعلم، وموسيقى، وفروسية.

وحول المرأة مزاعم مضللة

وفي الفصل الرابع (المرأة مضطهدة تُسام الخسف في الإسلام) حرصت الدكتورة على تقديم الصورة المشوهة التي رسمها الغربيون للمرأة في ظل الإسلام إصراراً منهم على مواصلة الرحلة التضليلية كي ينفروا المرأة الغربية من الإسلام.

١- فذكرت : إن مؤرخي الغرب ومفكره قدموا للأوروبيين المرأة المسلمة في هيئة امرأة قابضة خلف قضبان الحريم، في جو مخنق، وحياة سادرة، لا هم فيها سوى الاشتغال باللاشيء، والقيال والقال، والغيرة المستمرة من ضرائها الأخريات، فهي كائن بلا روح، محرومة من كافة الحقوق، تنتظر في بيت أبيها القادر الذي يشتريها.

بينما الإسلام في حقيقته الجليلة يرى كل البراءة من هذا، بل هو على عكس ذلك تماماً، فليس في القرآن ولا في السنة ما يشير إلى أن الإسلام أوصى بشيء من هذا، ولكنه يؤكد دائماً : أنه لا فرق بين الذكر والأنثى، لا في الجوهر، ولا في العبادات، ولا في الأمور المالية والعلاقات الاجتماعية. والفارق بينهما المقرر في الإسلام لا يخرج عن العلاقة بين الجنسين الكامنة في الكينونة المجتمعة للإنسان، وهو نفسه المقرر منذ الأزل في كل الديانات بين الرجل والمرأة. والعلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام تمتاز بقيامها على الثقة والخضوع والولاء، ولا تعنى عبثاً بنوء المرء تحته، بل إنه يتمتع بخضوعه هنا، دون الخط من قدره، حيث يبلغ بهذا الخضوع أسمى الدرجات، سواء في عبوديته لله، أو في حبه من يحب.

فإذا كانت نصوص العهد القديم تقرر : أن الصراع بين آدم وحواء صراع أزلي، وجاء العهد الجديد فصعد هذا الصراع فجعله كراهية عنيفة.

فإن الإسلام لا يصف المرأة بأنها أصل الخطيئة، ولا يعرف الصراع بين الرجل والمرأة، بل إن القرآن دائم الإخاح على المسؤولية الخاصة، والخضوع على الرقة في رعاية البنات الصغيرات، محرماً ما كان شائعاً في الجاهلية من وأد للبنات.

٢- وذكرت : أن هؤلاء المضللين استغلوا إباحة الزواج بأكثر من زوجة، قساروا إلى اتخاذ ذلك وسيلة لتشويه الإسلام، مغفلين الحقيقة التي تكاد تلغى تلك الإباحة، حيث علقها القرآن على تيقن العدل بين الزوجات، حيث قال :

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ ﴾

(النساء: ٣)

وحيث أكد عدم استطاعة العدل في قوله تعالى :

﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾

(النساء: ١٢٩)

بما يقرر : أن تعدد الزوجات ليس القاعدة، وإنما هو على سبيل الاستثناء.

٣- وأن هؤلاء المضللين استغلوا منح الرجل حق تطليق زوجته عندما تستحيل العشرة، مغفلين ما منحه المرأة من حق المرأة في طلب التطليق من زوجها كذلك، وحققها في أن تشترط عليه شروطاً عند عقد الزواج ضماناً لحقوقها.

٤- وأن إصرارهم على تشويه صورة الإسلام جعلهم يستقبلون ما كرم به الإسلام المرأة من فرض صداق لها قبل الزوج... فجعلوه مظهراً من مظاهر إهانتها، حيث وصفوه بأنه ثمن يدفعه الرجل لشراء المرأة.

وتعجب الدكتور من جرأة هؤلاء المضللين في إغفالهم ما لاقته المرأة من مكانة وتقدير في ظل الإسلام، حيث شهدت مجالس العلم فقيهاً يلقين المحاضرات العامة، ويقمن بتدريس الشريعة والعقيدة، حتى لُقِبَ بعضهنَّ بفقيهات الفقيهات، ولم يجد أحد في ذلك أي غرابة.

الواقع يكذب ضلالات الغربيين

وبعد الإفاضة في عرض أمثلة من أضاليل الغربيين... قدمت الدكتورة (زيجريد هونكة) من واقع المرأة الفلسطينية - في هذا العصر - ما يكشف أكاذيب هؤلاء المضللين، فذكرت: أن هذه المرأة - أمام معاناة الرجال في سجون الإسرائيليين - قامت وحدها بأعباء الأسرة وتربية الأطفال وتنشئتهم، وحماية أنفسهم وأمرهم من الأذى، إلى جانب مشاركتهم في المقاومة على جميع المستويات، حتى أصبح يحملن مسؤولية تقرير المصير في التحول الاجتماعي على الرغم من الزج بالكثيرات منهن في السجون الإسرائيلية، والإمعان في تعذيبهن، حتى أصبحن علامات مشرقة تقرر: أن تحرير جميع الأرض المحتلة سوف يتحدد في ضوء تحقق المساواة وتحرير المرأة.

وحريق مكتبة الإسكندرية

وفي الفصل الخامس (وحريق مكتبة الإسكندرية الكبرى!) أبدت الدكتورة دهشتها لإصرار الغربيين على إلصاق تهمة حريق مكتبة الإسكندرية بالمسلمين على الرغم من تأكيد زيفها، ووضوح افتراءها؛ فقد كان القرن الثالث الميلادي بداية تدميرها المخطط، حيث ثبت أن القيصر «كاراكلا» هو الذي ألغى أكاديمية الإسكندرية، وسفك دماء علمائها في مذبحه وحشية، كما أن البطريق أغلق المجمع سنة ٢٧٢ وشرد علماءه، مع أمره بحرق مؤلفات الكفرة - يعني غير النصارى - وفي سنة ٣٦٦ أمر القيصر «فالنس» بتحويل «السيزاريوم» إلى كنيسة، ونهب مكتبته وحرق كتبها، ولاحق فلاسفته بتهمة السحر والشعوذة. وفي سنة ٣٩١ نجح البطريق «ثيوفيلدس» في الحصول على إذن القيصر «ثيودوزيوس» بهدم كبرى الأكاديميات وآخرها، وترك مكتبتها نهياً للنيران ليشتد كنيسة على أنقاضها.

من كل ما يؤكد أن جميع المكتبات القديمة في مصر لم يكن لها وجود عند دخول العرب الإسكندرية سنة ٦٤٢.

لذلك كله... رأت الدكتورة أن هذا الإصرار من الغربيين إنما يدل على انحطاط فكري سادر، جعلهم يتفنون في اختراع

الأحكام الظالمة، وإلصاقها بالعرب... حتى لكان استمئاعهم بدفن الحقائق التاريخية ألهاهم عن الحرص في اختراع العبارات، فنسبوا إلى عمر بن الخطاب زوراً تعبيره عن القرآن بقوله: «إنه الكتاب الذي لا كتاب سواه» غافلين عن أن المسلمين لم يطلقوا على القرآن هذه التسمية، وإنما هي من إطلاقات النصرانية على الإنجيل أخذاً عن اليونانية.

وما يؤكد براءة عمر مما ألصقوه به ما جاء فيما أملاه من نصوص المعاهدات من التزامه بأن لا يخسب الأرض ولا الزرع، وأن لا يستبيح ماله أو عرضه أو دمه، بناء على توصيات الرسول ﷺ... بل إن ما تضمنه عهد الأمان الذي عقده قائد جيوشه عمرو بن العاص مع البطريق البيزنطي «المقوقس» في الإسكندرية، وما التزمه في هذا العهد من مقررات تتضاءل إلى جانب سماحتها وحكمتها كل عهود الأمان قبله وبعده.

هذا كله... بخلاف ما جاء في العهد القديم من وصايا موسى إلى قومه التي قال فيها: «ولكن هكذا تفعلون بهم: تهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتقطعون سواربهم، وتحرقون تماثيلهم بالنار...»

هذا... إلى أن معرفة عمر بحرض الرسول ﷺ على طلب العلم، وحشه عليه لا يمكن

بأي حال أن تسمح له ولا لغيره من المسلمين بالمرافقة على حرق كتاب - وليس مكتبة - بل لقد انطلقوا ينهلون العلم من شتى منابعه ومصادره، استجابة لأمره تعالى في قوله:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

(طه: ١١٤)

حتى جمعوا شتات المخطوطات التي حوت علم الإغريق مما أقلت من الحرق، حتى كانوا هم الذين أنقذوا الحضارة الإغريقية الهلينية، وليس الروم، ولا البيزنطيون، ولا النصارى بجميع فرقهم.

والمسلمون - في انطلاقتهم تلك - لم يجمدوا على الحفظ أو النقل، ولكنهم طوروها ما وصل إليهم من علوم، ولم يقفوا عند حدود التقليد الآلي، ولا اكتفوا بالوقوف عند المستوى الذي بلغه السابقون.

ولكن المغرضين من الغربيين يعملون - بكل الوسائل - على إخفاء ذلك عن الشعوب الغربية، لتسلم لهم جميع مفترياتهم وأصاليهم التي قصدوا تشويه الإسلام والمسلمين بها، والتي وصلت بهم إلى الفتك بكل من يعجب بواحد من علماء المسلمين، على نحو ما صنعوه مع «روجر باكون»، حتى إن قبول مؤلفات العرب وأعمالهم الذي صادف أعظم ترحيب من الدوائر التي احتفلت بالدراسات الطبيعية مثل المدارس العليا في فرنسا وألمانيا وإنجلترا... كما صادف ترحيب

هؤلاء... اصطدم - من ناحية أخرى - بالرفض
الفظ المحتدم، والشك المتهم، والتزييف البين،
والانتحال الوقح.

الإسلام أعظم ديانة على ظهر الأرض

وفي الفصل السادس (الصدمة النفسية
العربية للغرب تنشط من جديد) لاحظت
الدكتورة (زيجريد) ارتباط ما يحدث
اليوم من الأوروبيين ضد العرب
والمسلمين - استجابة للتضليل المتعمد -
بما كان يحدث قديماً من العداوة والكيد
للمسلمين حين دعا البابا «أوربان» الثاني
إلى تسيير الحملة الصليبية بحجة درء
الخطر الإسلامي الخيق. ولا أدل على ذلك
من دعوة الغرب اليوم لصد الخطر
التركى، على الرغم من أن أحداً في
الغرب لم يتعرض لأذى في أرواحهم
ولا أجسادهم من قبل الأتراك، فضلاً عن
أنه لم يحدث إطلاقاً أن أحداً من المسلمين
أبدى رغبته في التيسير لكي يحول
النصارى إلى مسلمين؛ لإيمان المسلمين
بأن الإسلام لا يسمح أن يضار أحد - مادياً
أو معنوياً - أو أن يكره على اعتناق
الإسلام؛ فمسئولية كل مسلم تنحصر في
تمثيل الإسلام قولاً وعملاً حتى يكون
الإسلام من خلاله واقعاً ملموساً، والدفاع
عنه إنما يتم بتنفيذ الأحكام الخاطئة التي

يرمى بها ظلماً وتضليلاً. وهذا هو ما
يعنيه مبدأ «الدعوة بالحكمة والموعظة
الحسنة».

وتسرى الدكتوراة داعية قومها إلى أن
يتخلوا عن الاقتداء بدعاة الحملة الصليبية؛
لأن الوقت قد حان أخيراً للتخلص من غرورنا
وكبرياتنا الزائف، وتحطيم ذلك السد الخزي
الذي تولد عن الصدمة النفسية المتغلغلة في
نفوس الغربيين نتيجة فخروهم الكاذب بعد
تسعمائة عام من ذلك النداء البابوي المشؤم
إلى النصارى بأنهم «شعب الله المختار».

ويعد...

قال الكتاب - على صغر حجمه - عمل كبير
مهم، تقدم فيه الدكتوراة (زيجريد هونكة) -
بحيادية تامة - ثمرة ما تكشف لها - بعد
نظرها التاريخي الموضوعي الأمين - من حقائق
الإسلام، وما دبره الغرب بقيادة البابا «أوربان»
منذ تسعة قرون حتى اليوم أملاً في إيقاف المد
الإسلامي، وانتشاره في أوروبا؛ فقد وجدت أن
الإسلام هو أعظم ديانة ظهرت على الأرض،
سماحة وإنصافاً، وأن على الغرب اليوم أن
يسارع بتقبل هذا الشريك والصديق، مع ضمان
حقه في أن يكون كما هو.

فهو صيحة مخلصنة أمينة، جذيرة بأن
ينصت إليها كل إنسان - مسلماً كان أو غير
مسلم - لأن ذلك خير خدمة للبشرية.

قصة العدد

عتاب

للاستاذ الكبير / محمد قدرى لطفى

كان النبي ﷺ يود لو أنهم أسلموا
ليعتز بهم الإسلام، ويدعو الله أن يهبه من
لذنه حكمة لعله يصرقهم عن الضلالة أو
يجعلهم من المهتدين؛ وكان النبي ﷺ
حريصاً على إسلامهم ملحاً فيه، لأن
أشخاصهم عند قريش مهيبة، وأسماءهم
عند العرب رفيعة، فلما دخل عليهم وقد
اجتمعوا عنده، حياهم فردوا عليه تحيته،
مخلصين أو غير مخلصين، ثم أخذ مكانه
بينهم، فكان صمت، وكان جلال رهيب،
ولم يلبث أن سرى بين الجميع صوت
مهيبة، فيه قوة لأنه صوت الحق، وفيه
إيمان لأنه وحى القلب؛ وكان الصوت
متجهاً نحو عتبة بن ربيعة وأخيه، يقول:
أما أن يا عتبة أن تدخل أنت وأخوك شعبة
في دين الله؟ ما دعوتكما لأمرى ولا لشيء
هو من عندي، وإنما دعوتكما لأمر الله رب

العالمين؛ وهذا كلامه بين يدي فاستمعاه
وأصغيا إليه لعله تعالى يهديكما فتكونا
من عباده المسلمين. ولكن عتبة وأخاه لم
يلبثا أن جادلاه فجادلهما، وأخذ النبي
منهما وأخذاً منه، حتى إذا غلبهما الرسول
منطقه وقوة حجته، لم يلبثا أن عقد
الصمت لسانهما، قالتفت النبي إلى
العباس بن عبد المطلب وكان مصغياً يسمع
إلى قوله لابن ربيعة، وقال له إنك يا ابن
عبد المطلب لو اهتديت بهدى الإسلام وأنت
من صناديد قريش لاهتدى معك جميع
كثير، فلا تكونن بصدك عن دين الله حائلاً
بين الناس والجنة، ولا تضربن لقريش مثلاً
من الغي والضلال، فتضل وتضل، وأنت
حري أن يكون لهم منك هاد معين. فلم
يرفع العباس رأسه ولم تتحرك له شفتان،
وإنما ود لو أن النبي تركه إلى الوليد بن

المغيرة أو إلى أمية بن خلف، فلما شعر النبي ﷺ أن العباس حائر بين عقله وعاطفته، ورآه مطرقاً إلى الأرض، لم يلبث أن تحول عنه إلى أمية بن خلف، قال: يا أمية، ما كان لسادة الناس أن يكفروا بسيد العالمين، الله الذي فضله على عشيرتهم وذوى قرباهم، وما كان لك أن تكون لقومك قدوة سوء، لعمر الله ليس بعد الكفر ذنب، وما ينبغي لك أن ترغب عن دعوة الله وتصد قومك عن الدين بإعراضك عنه. قال يا محمد أمهلني يوماً أو بعض يوم. فإن الأمر أعسر عندي من يسره لديك. واتجه الرسول إلى أبي جهل بن هشام وكان يجلس بجوار الوليد بن المغيرة، فقال لهما وقد دنا منهما: أيقظا لكما أن تسبقا الناس في الدنيا حتى إذا كانت الآخرة كنتما آخر الناس عند الله؟ والله مالكما في آلهتكم غناء، وما كنتما لتجعلوا رضى الشيطان في عصيان الله.

ولكن أبا جهل لم يكن ليصبر كما صبر العباس أو يسكت كما سكت وإنما جادل النبي في عنف فجادله النبي في لين، وأثر أبو جهل الحدة، ولم يكن النبي ليحتد. واتجه الرسول إلى القوم جاداً في دعوتهم، ملحاً في إقناعهم، يمنيهم بالوعود يوم الدين، ويحذرهم عقوبة الكفر يوم القيامة، وأخذ النبي يفيض عليهم

من بيانه، ويشع على القوم قيساً من إيمانه حتى أقبل الكل عليه يستمعون له ويصغون إليه، وبينما النبي يدعوهم فبأنصرف إلى الدعوة بكل إيمانه، كان يسعى إليه رجل يتوكأ على عصاه يتحسس بها الطريق إليه حتى إذا بلغ مجلس النبي لم يستمع إليه ولم يلق بالاً إلى قوله، ولم يدر أن النبي يدعو حنانياً قريش إلى ما دعا الله، وإنما بادر النبي يسأله أن أقرني وعلمني مما علمك الله؛ وكان النبي عنه في شغل، وكان ضيوف النبي قد نلخوا عنه بما هم فيه، فلم يلتفت إليه أحد، ولم يرد عليه مجيب؛ فقال أقرني وعلمني مما علمك الله، فلم يكن حظه في الثانية خيراً منه في الأولى، والرجل واقف في مكانه لا يريم، ملح في طلبه لا يسأم فأخذ يعيده، وطفق يكرره حتى كره النبي ﷺ أن يقطع عليه الحديث، وأى حديث، أو يلقى عليه قول ولما ينتبه من قوله، فعبس في وجه الرجل وأعرض عنه، ولم يلبث النبي أن أنصرف القوم من عنده، فيهم الذي أوشك أن يقتنع، وفيهم الذي يترك على بالدعوة ما خطأ، وفيهم الذي ينكر على الرسول قوله، وفيهم الذي يحب أن يترث في الأمر فلا يقطع فيه برأى؛ وكان النبي قد ظن أنه بالغ منهم في يومه ما لم يبلغه في أمسه، وأنه لابد اليوم مقتنعهم حتى يسلموا، فلم يدر بعد ذهابهم ماذا أخذ عليه نفسه وقد كانت

معه وله؟ ولا كيف ضاق صدره وقد كان واسعاً لا يضيق بشيء ولا يتبرم بسوء؟ وشعر النبي بحرج لم يدر ما هو ولا من أين أتاه، فقد كان عند أمر ربه يؤدي الرسالة في صدق وأمانة، لم يدع سبيلاً لهداية القوم إلا سلكتها، أو باباً إلى قلوبهم الغليظة إلا طرقه؛ ولم يلبث النبي إذ خلا لنفسه أن أحس بما يحس به حين يريد الله أن يبعث إليه بحديث أو ينزل عليه شيئاً من آية، وإذا الوحي له لا للمسلمين، وإذا القول له لا للمشركين، وإذا الله عاتب عليه يقول إنه:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ﴾

(عبس: ١-٢)

ويقول له:

﴿وَمَا يَذْكُرُكَ إِلَّا دُجْرٌ ۖ﴾

﴿يَذْكُرُ فَتَنَمَنَّا الْأَعْمَى ۚ﴾

﴿وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا بَرَكٌ ۖ﴾

(عبس: ٣-٧)

وإذا ربه يلومه ويقول في لومه:

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ﴾

﴿وَهُوَ يَخْشَى ۚ﴾

(عبس: ٨-١١)

عند ذلك ذكر النبي قوم قريش وما كان بينه وبينهم من حديث، وهنف هائف كأنه عمرو بن قيس يقول: أقرنتي وعلمني ما

علمك الله، وتصور النبي حال الرجل يسأل وليس من مجيب، ويقف وليس من يأذن له بالجلوس ولكنه لم يكن يدرى أنه أساء إلى الرجل أو قصد إلى إساءته، فليس النبي من يسيء إلى أحد، وليس النبي من يصد عن الناس بله عن السائلين، وإنما شغله أمر ربه فاشتغل عن عمرو وأقبل على سادة قريش، فألقاه حرصه على إسلامهم وهم كفرة عمن أسلم، وإنما يريد أن يقرأ وأن يستزيد من العلم. وبات النبي ﷺ ليلته مسهد الجفن قلقاً، يفكر فيما سمع من ربه، وفيمن عبس بالأمس في وجهه، وأعرض عنه، حتى إذا طلع الفجر كان النبي يلتمس ابن أم مكتوم يلقيه هاشاً باشاً، يسلم عليه ويشد على يده ويقول له: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي؛ وكان النبي يلقيه بعد ذلك فيكرمه ويسأله حاجته، وكأنما أراد الله أن يصبح إعراض النبي عنه إقبالاً عليه، وأن يغدو عبوس النبي في وجهه بشاشة له وارتياحاً للقائه، وإذا عمرو بن قيس مؤذن لرسول الله ﷺ، وإذا عمرو بن قيس خليفة رسول الله على المدينة، لم يستخلفه النبي عليها مرة أو مرتين، وإنما استخلفه عليها في غزواته ثلاث عشرة مرة، وإذا النبي يخرج إلى حجة الوداع فلا يستخلف على المدينة إلا عمرو بن قيس. وكان حقاً قول المصطفى: أدبني ربي فأحسن تأديبي.

الحملة الفرنسية وبدايات الأزدي واجبة في نمسودة التقدم

لأستاذ الدكتور / محمد عماره
عضو مجمع البحوث الإسلامية

والجامعة... وبواسطة أعلام ومفكرين من مثل «سليم ثقلا» [١٢٦٥ - ١٣٠٩هـ - ١٨٤٩ - ١٨٩٢م] وبشارة ثقلا [١٢٦٨ - ١٣١٩هـ - ١٨٥٢ - ١٩٠١م] ويعقوب صروف [١٢٦٨ - ١٣٤٥هـ - ١٨٥٢ - ١٩٢٧م] وفارس نمر [١٢٧٢ - ١٣٧٠هـ - ١٨٥٦ - ١٩٥١م] وشاهين مكاربوس [١٢٦٩ - ١٣٢٨هـ - ١٨٥٣ - ١٩١٠م] وجرجي زيدان [١٢٧٨ - ١٣٣٢هـ - ١٨٦١ - ١٩١٤م] وفروح أنطون [١٢٩١ - ١٣٤٠هـ - ١٨٧٤ - ١٩٢٢م] وشيلي شميل [١٢٧٦ - ١٣٣٥هـ - ١٨٦٠ - ١٩١٧م] ونقولا حداد [١٢٩٥ - ١٣٧٣هـ - ١٨٧٨ - ١٩٥٤م]... إلخ... إلخ.

● وفي موازاة مع هذه الطلائع «الوطنية» المتعربة، والمؤسسات الفكرية والثقافية والإعلامية التي أقامت أو أطلت على العقل

حققتها الغرب على أغلب بلاد الإسلام، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعقدين الأولين من القرن العشرين... فظل هذه الحقبة أصبحت «دولنا» في قبضة الأجنبي... وبواسطتها أقام لفكره المناهض والمؤسسات والنصحف والمجلات... فبدأت المرحلة التي تخلقت فيها للحلول الغربية في واقعنا الفكري مدارس وتيارات.

ومرة أخرى، بدأ الغرب يتفر من أبناء الأقلية المارونية، الذين تربوا في مدارس التبشير النصرانية، والذين هاجروا إلى مصر ونهضوا بدور «الجناح الفكري» لسلطة الاحتلال الإنجليزي... فكان التبشير العلني، في واقعنا الفكري، وللمرة الأولى، صريحاً وجريئاً بالحلول العلمانية والوضعية والمادية الغربية، والدعوة إلى إحلالها محل الحلول الإسلامية في التجديد والتحديث... ومن خلال مؤسسات ومجلات وصحف مثل «الأهرام» و«المقتطف» و«المقطم» و«الهلال»



محمد علي

أخذت تنمو، كما وكيفا، مع تزايد عدد الجاليات الأجنبية وتأثير النفوذ الأجنبي، وخاصة بعد نجاح «السلطان» سيمونيون في الحصول على امتياز شق قناة السويس - وهو من مشاريع «عالياتهم وأمميتهم الغربية»، الذي استهدفوا من وراءه - على الجبهة الفكرية - إقامة «ممر عالمي»، يمسلكه الغرب، ويتخذ طريقاً لتسويد فلسفته في العالم^(١)...

● وإذا كانت استعارة تجربة محمد علي باشا من أوروبا، قد وقعت في الأساس عند علوم التمدن المدني، وخبرات التقنية، دون العقائد والفلسفات والآداب والإنسانيات والشرائع... فإن الأمر لم يقف عند هذه الحدود في ظل الهيمنة الاستعمارية التي

● إذا كانت التبعية الفكرية واستعارة الحلول الغربية قد قبرت مع أصحابها - الذين ماتوا في فرنسا -.. فلقد أتاح تجارب التحديث وبناء الدولة العصرية التي شهدتها الدولة العثمانية... وتونس، على عهد الباي أحمد باشا [١٢٢١ - ١٢٧١هـ - ١٨٠٦ - ١٨٥٥م]... وأيضاً - وبوجه خاص - تجربة مصر الحديثة في عهد محمد علي باشا الكبير - أتاح هذه التجارب وفود الخبراء الغربيين إلى بلادنا، بما يحملون من رؤى وفلسفات، قدموا وفقاً لها الآراء والمشورات... فالسان سيمونيون - أتباع الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي «سان سيمون» [١٦٧٥ - ١٧٥٥م] - قد جاءوا إلى مصر، إبان حكم محمد علي باشا - ووفق مخطط مدرّس - وقادوا العديد من إنجازات «التحديث على النمط الأوروبي»، وبه غرسوا بذوراً لفلسفتهم «الوضعية» المعادية «للمرجعية الدينية»... وهي بذور

(١) انظر: د. محمد طه عيسى (اتباع سان سيمون: فلسفتهم الاجتماعية وتطبيقها في مصر) طبعه القاهرة: دار القومية.

العربي من خلالها .. كانت هناك إرساليات التنصير، ومدارسها وجامعاتها، التي زحفت على الشرق - وبخاصة لبنان ومصر، في القرن التاسع عشر - والتي توسلت بالتغريب والعلمنة - بل وبالمادية .. وأحياناً بالإلحاد! - لرحضة الشرق عن المرجعية الإسلامية والحلول الإسلامية، وقسره - بواسطة صياغة عقول «النخبة» - على تبني الحلول الغربية لمشكلاته، بدلاً من حلول الإسلام.

العمالة الحضارية!!

لقد كانت مدارس إرساليات التنصير تصوغ «العمالة الحضارية والسياسية» الصريحة، ليخرج منها الخريجون فيمارسون هذه «العمالة» في ثياب ممهدة، تحمل عناوين «العلمانية» و«التقدم والتحديث على النمط الغربي» الذي كان مزدهراً في ذلك التاريخ .. وإذا شئنا نماذج على هذا الدور الذي احترفت القيام به هذه المؤسسات والمدارس، فإن في مراسلات قناصل فرنسا في بيروت إلى حكومتهم البراهين على احتراف هذه المؤسسات صناعة «العمالة والعلماء» الذين احترفوا تقديم الحلول الغربية بدلاً عن الحلول الإسلامية للأمة المنطلعة إلى النهوض والتغيير.

المصالح الدينية!!

ففي مراسلات عن المدرسة التي أقاموها في قرية «عينطورة» - اللبنانية - يتحدثون عن «ما يحققه توسع هذه المدرسة لنفوذنا .. وإذا كان بالإمكان توفير قسم من المنح لبعض أطفال الأسر المارونية .. فإن حكومة الملك - [ملك فرنسا] - ستخلق بين هذه العائلات، من خلال نشر اللغة والثقافة الفرنسيتين، نقاط اتصال جديدة معها ومع البلد، ورموزاً جديدة وثرية للاعتراف بفضلها .. إن حكومة الملك .. تدرك تماماً أن خدمتها للمصالح الدينية، يعني خدمة الحضارة، التي هي في الوقت نفسه مصالح السياسة الفرنسية»!!

وتتدرج المراسلات فيزداد إفصاحها عن المقاصد الحقيقية من مدارس إرساليات التنصير .. فهي: «جعل سوريا حليفاً أكثر أهمية من مستعمرة!!» و«تأمين هيمنة بلدنا على منطقة خصبة ومتجة!!» و«تكوين جيش متفان لفرنسا في كل وقت!!» بل لقد كتب القنصل الفرنسي لسقير بلاده يقول - في ديسمبر سنة ١٨٤٧م - إن الهدف هو «أن تنحني البربرية العربية لا إرادياً أمام الحضارة المسيحية لأوروبا»!!^(٢)

(٢) من محفوظات أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية لسنوات: ١٨٤٠، ١٨٤١، ١٨٤٤، ١٨٤٨، ١٨٩٧، ١٨٩٨م.

لقد كان الهدف طي صفحة المرجعية الإسلامية، وإحلال المرجعية الغربية محلها .. وهو ما عبر عنه الكاردينال الفرنسي «لافيجري» - بالنسبة للجزائر - عندما أعلن في الاحتفال بمرور قرن على إحقاقها بفرنسا: «لقد ولي عهد الهلال، وأقبل عهد الصليب، وإنه سيستمر إلى الأبد، وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهد الدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بمجدنية وحبها الإنجيل»!

التبعية الفكرية

أما خريجو هذه المدارس، الذين لم تكن باستطاعتهم - ولا من حسن السياسة بالنسبة لهم - تقديم أفكارهم على هذا النحو «العاري - والصارخ» .. فإنهم قد احترفوا التبشير بمذاهب الغرب وحلوله العلمانية والوضعية والمادية في التقدم والتحديث، بدلاً من مذاهب الإسلام وحلوله في التجديد والتغيير.

● والدعوة إلى التبعية الفكرية للغرب، في النظم والتشريع، التي بدأت على استحياء لدى المعلم «يعقوب حنا» و«نمر أفتدي» في مطلع القرن التاسع عشر .. نجدها

تتقدم «عارية - وصارخة» لدى سلامة موسى [١٣٠٥ - ١٣٧٧هـ - ١٨٨٨ - ١٩٥٨م] الذي دعا إلى الانسلاخ عن الشرق والإسلام، واستبدال التفرغ والحلول الإفرنجية بالحلول الشرقية والإسلامية .. فكتب يقول: «إنه إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة، فإن الرابطة الدينية وقاحة. والرابطة الحقيقية هي رابطتنا بأوروبا .. فهي الرابطة الطبيعية لنا .. وكلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا، زاد حبي لها، وتعلقى بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها .. فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب. وهذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سراً وجهرة»^(٣)

طه حسين

● وعند الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ - ١٨٨٩ - ١٩٧٣م] تغلف هذه الدعوى بدعوى نظرية تزعم أن عقلنا الشرقي، كنان ولا يزال يوناني الطابع والمكونات، وأن الإسلام والقرآن لم يغير من يونانية عقلنا الشرقي، كما لم تغير المسيحية والإنجيل من يونانية العقل الأوربي؛ لأن

(٣) المرجع السابق ج١ ص ٤٤.

(٤) المرجع السابق ج١ ص ٣٦، ٣٧.

الإسلام والقرآن - بزعمه - ليس فيهما أكثر مما في المسيحية والإنجيل .. «إن كل شيء يدل على أنه ليس هناك عقل أوربي يمتاز عن هذا العقل الشرقي الذي يعيش في مصر وما جاورها من بلاد الشرق القريب . وإنما هو عقل واحد .. مرده إلى عناصر ثلاثة :

١- حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن .

٢- وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه .

٣- والمسيحية وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان .

النموذج الإسلامي

ولو أردنا أن نحلل العقل الإسلامي لما رأيناه ينحل إلى شيء آخر غير هذه العناصر الثلاثة .. وإذا صح أن المسيحية لم تخرج العقل الأوربي عن يونانيته، فيجب أن يصح أن الإسلام لم يغير عقل الشعوب التي اعتنقته، والتي كانت متأثرة بالبحر الأبيض المتوسط .. فبين الإسلام والمسيحية تشابه في التاريخ .. وجوهر الإسلام ومصدره هما جوهر المسيحية ومصدرها .. والقرآن إنما

جاء متمماً ومصدقاً لما في الإنجيل^(١)

وبناء على هذا الحكم - الذي تجاهل تميز الإسلام «بشرعية» لم تعرفها المسيحية -

التي تركت ما لقيصر

لقيصر - ووقفت عند مملكة السماء وخلّاص الروح .. وتجاهل وسطية الإسلام، الجامعة بين المادة والروح - والتي امتازت بذلك وتميزت عن اليهودية والمسيحية كليهما ..

كما تجاهل زيف دعوى يونانية العقل الشرقي القديم .. يخلص الدكتور طه حسين إلى المقصد الأعظم من هذه الدعوى .. وهو

استبدال النموذج الغربي والحل الأوربي بالنموذج الإسلامي وحلوله المتميزة في التجديد والتغيير .. فيعلن أن «السبيل واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي : أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لتكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها وشرها، ما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يُعاب^(٢)»

بل ويكشف الرجل عن أن السير سيرة



طه حسين

الأوربيين، والأخذ بالحلول التي أخذوا بها يتعدى حدود «اختيارنا» . فهو «الزام» أوربي لنا، «والتزام» منا أمام أوربا بمقتضى المعاهدات؟! .. يكشف عن تحول «التبعية الفكرية والحضارية» إلى «الزام .. والتزام» .. فيقول : «لقد التزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع . التزمنا هذا كله أمام أوربا . وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال - [سنة ١٩٣٦م] - ومعاهدة إلغاء الامتيازات - [١٩٣٨م] - إلا التزاماً صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوربيين في الحكم والإدارة والتشريع»^(٣) .

لقد كتب طه حسين هذا سنة ١٩٣٨م .. فذكرنا ببداية الخيوط التي نسج منها فكر التبعية للغرب، وبأول الخطوات على طريق التبني للحلول الغربية، بدلاً من الحلول الإسلامية - عند مواجهة قضايانا في التقدم

والتحديث .. لقد ذكرنا بزمرة المعلم يعقوب حنا، الذين أعلنوا - سنة ١٨٠١م - ولائهم ليونابرت، متعهدين بأن يشرعوا لمصر النظم التي يرضاها؟! ..

فغير هذه السنوات .. تبلور في واقعنا الفكري تيار التبعية الفكرية - بمدارسه المتعددة .. ومستوياته المختلفة - ذلك الذي دعا إلى استلهاج النموذج الغربي، بدلاً من النموذج الإسلامي .. وتبنى الحلول الوضعية والعلمانية الغربية، بدلاً من الحلول الإسلامية، في معالجة مشكلات التقدم والنهضة والتحديث .. فكان هذا التيار هو الترجمة الموضوعية لدعوة المعلم يعقوب إلى «استقلال» مصر عن ماضيها وهويتها وخصوصيتها الإسلامية، وإحاطها بحضارة الغرب .. «خيرها وشرها، حلوها وشرها، ما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يُعاب»^(٤) .. على حد تعبير الدكتور طه حسين !



(١) [الديم والغد] ص ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ٢٠٠، طبعة القاهرة ١٩٢٨م

(٢) [استقبل الثقافة في مصر] ج ١ ص ٢٨، ٢٩، ٢٢، ٢٣، طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م

حتمية النصر وعودة القدس



لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

قال تعالى في سورة الإسراء:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ١﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ٢ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَا كُمُ أَكْثَرًا نَفِيرًا ٣ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُئَرُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ٤ عَنِ ذِكْرِكَ لَئِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا جَعَلَهُمُ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ٥﴾

سورة الإسراء: (٤-٨)

وردت هذه الآيات البينات في أوائل سورة الإسراء، وتسمى سورة بنى إسرائيل، وقد تحدثت عن حلقة من حياة اليهود لم تذكر في غيرها من سور القرآن الكريم، وهذه السورة مكية، وهي - كعادة أغلب السور المكية - تتحدث عن العقيدة وأطرافها وما يشتملها في وجدان المؤمن، وما يبنى عليها من السلوك الاجتماعي في حياة الأفراد والجماعات والأمم.

وقد بدئت السورة بحديث مقتضب عن معجزة الإسراء، التي

تمت لرسول الله ﷺ في لحظة يسيرة من الليل بالرغم من طول المسافة، وبعد السفر بين مكة حيث كان رسول الله ﷺ وبين بيت المقدس بالقدس الشريف !!

ثم وصلت الحديث بما أنبأ الله به موسى - عليه السلام - وما أعطاه من التوراة لتكون هداية لقومه من بنى إسرائيل، وما ينتظر أن يحدث لهؤلاء القوم نتيجة لغلوهم وشططهم في الإفساد الذي شاء الله - عز وجل - أن يتكرر منهم مرة بعد أخرى وفي كل مرة يصيبهم الله بعقاب من عنده لعلهم يرتدعون، ولكنهم لا يرتدعون !! ولذا تكرر نزول العذاب والبلاء عليهم، وسوف يظل يتكرر هكذا كلما تكرر منهم الإفساد في الأرض.

﴿وَلَا يَظِلُّوكَ أَحَدًا﴾

(الكهف: ٤٩)

والعلاقة بين تذكير الله للمؤمنين بحادث الإسراء العظيم وبين الحديث عن هذه الحلقة من قصة بنى إسرائيل ظاهرة، حيث يعلم الله أولاً ما ستكون عليه أحداث المستقبل: القريب والبعيد إلى يوم القيامة، من أطماع اليهود التاريخية والمستقبلية في الاستيلاء على هذا الحرم القدسي الشريف، وما حوله من الأراضي المقدسة، التي شهدت معجزة الإسراء وما اقتربوا بها من معجزة المعراج

الخالدين، واللذين تؤكدان على ضرورة أن يكون «القدس الشريف» وما حوله من الأماكن المقدسة في حضان الإسلام قريناً لشقيقه الأكبر «البيت الحرام» الذي انبثقت منه الدعوة الإسلامية المباركة.

أسباب النصر على اليهود

وأحداث المعركة بين المسلمين واليهود طويلة ومريرة... وقد أثبت التاريخ أن النصر دائماً يكون حليفاً للمسلمين طالما كانوا متحدين ومعتصمين بكتاب الله عز وجل ومتمسكين بهديه في قوله تعالى:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

(آل عمران: ١٠٣)

فإذا ما تفرقوا، ودبت بينهم أسباب الخلاف، وذهب كل فريق إلى وجهة غير وجهة أخيه، كان الابتلاء الشديد على يد أعدائهم من النصارى واليهود.

إن ما يحدث الآن على أرض فلسطين من الجرائم المنكرة، التي لن ينساها التاريخ حلقة في سلسلة الإفسادات التي أشارت إليها الآيات المباركة في قوله تعالى:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾

فلقد ذهب فريق من المفسرين إلى أن المرة الأولى كانت قبيل الأسر البابلي الذي تم على

يد «تبوخذ نصر» أو «بختنصر» كما يطلق عليه البعض، وقد سلط الله عز وجل عليهم هذا الحاكم القوي الظالم، فقتل منهم خلقا كثيرا وأسر الباقين مصداقا لقول الشاعر الحكيم:

وما من يد إلا يد الله فوقها

ولا ظالم إلا سبلى بظالم
وتم الدرس الأول، وعادوا مرة أخرى إلى حياتهم السوية فشرة من الزمان، ثم عاودتهم عادتهم المتأصلة فيهم، وهو الإفساد الشديد في الأرض، فكانت العاقبة المحتومة على يد المسلمين، وفي زمن النبي ﷺ من خلال ما حدث لبني قريظة وبني قينقاع وبني النضير وخيبر، حيث أجلي الرسول ﷺ بعضهم عن الجزيرة العربية وقتل بعضهم حتى ظهر الله أرض الإسلام من رجسهم وفسادهم.

وعبد الله لا يتخلف

وفريق آخر من المفسرين ذهب إلى أن الإفساد الأولى التي أشارت إليها الآيات المباركة هي التي عوقبوا عليها أيام رسول الله ﷺ وأما الإفساد الثانية فهي ما يحدث الآن في الجولة التي نعيش أحداثها المرة منذ عام ١٩١٧ وحتى الآن، ولا يعلم إلا الله متى تنتهي، ولكن المؤكد أنها ستنتهي وهي التي أشارت إليها الآيات المباركة:

﴿فَإِذَا حَكَاةٌ

وَعَدَا لَآخِرَةٌ لِيَسْتَأْذِنُوا فَرَعًا فَأَنفَعُوا النَّاسَ
كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَسْتَأْذِنُوا فَرَعًا فَأَنفَعُوا النَّاسَ

(الإسراء: ٧)

وأصحاب هذا الرأي يستدلون على ذلك بما نشهده الآن من تلك الإمدادات المتوالية التي يمد بها الغرب بزعماء أمريكا هؤلاء اليهود: من المال والسلاح والرجال المدربين وما يجمعونه من الأصوات التي تقف بجانبهم في الحافل الدولية...!! وأصحاب هذا الرأي يرون في ذلك تصديقا لقول الله عز وجل:

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَنفَعْنَاهُمْ يَوْمًا وَلَئِنْ كُنْتُمْ عَلِيمِينَ

(الإسراء: ٦)

وأيا ما كان الأمر فهناك الآية المباركة التي تظل مرفوعة فوق رؤوسهم إلى يوم القيامة، والتي تؤكد أنهم سيلقون نفس المصير حتما كلما عادوا إلى الإفساد:

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ
وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا

(الإسراء: ٨)

وقوله عز وجل:

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
فِيكُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَتَوَعَّلُونَ قَارِعَةً حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ
الْعَذَابُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْوَعْدَ

(الرعد: ٣١)

وهل هناك أكثر صراحة في بيان ما سيلقونه من النكال والحزى وسوء المنقلب من

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ دُرَّةً أَعْيُنُهَا فِيهَا كَيْفَ لَكُم مِّنَ
الْعَذَابِ إِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
لَقَدْ رَجَعْتُمْ

(الأعراف: ١٦٧)

فتوى يهودية بقتل الأطفال!!

لقد بغى اليهود وزاد إفسادهم إلى الحد الذي ترفضه جميع الشرائع والقوانين السماوية والأرضية، مما يستوجب العقاب الشديد الذي سيحل بهم في المستقبل القريب أو البعيد - حسبما يشاء الله عز وجل - وبعد أن تتحد كلمة المسلمين وتتوحد صفوفهم وتوجه إمكاناتهم المادية والبشرية والعلمية لتحقيق النصر الكبير وتحرير القدس الشريف وبلاد فلسطين كلها، وإن هذا اليوم لآت بإذن الله تعالى.

لقد زاد بغى هؤلاء اليهود إلى الحد الذي يعلنون فيه في صراحة تامة وتبجح شديد، أنهم قتل الأطفال دون حياء أو رادع فلقد اتهمت منظمة أمريكية حقوقية معنية بحقوق الأطفال، الجيش الإسرائيلي بقتل أطفال فلسطين وفق خطة رسمية منظمة غايتها قتلهم والتخلص منهم قبل نموهم، وقبل أن يكونوا عناصر المقاومة الإسلامية

في فلسطين، ووقتها ستقوم إسرائيل بقتلهم عن طريق الاغتيال، وفي الحالات سيقيم اليهود بقتلهم فالأفضل قتلهم في طفولتهم.

وقد اعترف الكيان الصهيوني بهذه الخطة ولم يتكرها وصرح رئيس أركان الجيش الإسرائيلي أن القيادة العسكرية حصلت على فتوى دينية يهودية رسمية من كبير حاخامات إسرائيل، مفادها أن قيام الجيش الإسرائيلي بقصف البيوت والمدارس الفلسطينية التي يتواجد بها الأطفال الفلسطينيون أمر حلال، ولا يحتوى أى شبهة إثم، طالما أن ذلك في صالح الشعب اليهودي وكيان دولة إسرائيل، المثير للدهشة أن الحاخام اليهودي الأكبر في إسرائيل «إسرائيل مستجيرى» أكد في فتواه التي منح بها صك الغفران لقتلة الأطفال أن الفلسطيني يجب أن يموت في كافة الأحوال طالما أن كل فلسطيني يؤمن ولا يريد أن يتنازل عن إيمانه هذا بأن القدس حق فلسطيني أصيل.

أليس هذا أسوأ مما فعله فرعون مع المؤمنين المستضعفين؟ ومع هذا أغرق الله فرعون وجنوده في البحر، ونجا المؤمنين المستضعفين وكان الخبر عبرة للناس من بعدهم^(١) قال الحق تبارك وتعالى:

(١) الشيخ محمد الشنوار في كتابه «مكتبة زوال إسرائيل في ضوء القرآن والسنة والتاريخ» ص ٤٥، ٤٦، حاشية.

العلم المصري يرقف فوق خط بارليف الحصين
إثر سقوطه في أيدي الجيش المصري في
الأساس من أكتوبر بصيحة «الله أكبر»

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنْ كُنَّتَ لَعَنَ خَلْقَكَ، أَيْنَ﴾

(یوتی ۹۲)

(الحشر: ٢)

آية على مر التاريخ تدل على أن كل ظالم
لا بد له من نهاية أليمة تكافئ ما ارتكبه في
حق الإنسانية من شرور وآثام.

لقد كتب الله -عز وجل- على اليهود
الذلة والهوان، نتيجة أفعالهم المنكرة التي لم
تجر على أيدي أمة أخرى من أمم الأرض، فكان
أن عاقبهم الله بأن يسلط عليهم في كل مرة
من يسومهم سوء العذاب، ويخرجهم من



555

حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب،
كما يقال: «يؤتى الحذر من مأمته» لتكون
الضربة عليهم أوقع، والطامة أشد، والشال
على ذلك واضح فيما حدث لحط بارليف
التيع الذي أطاح به الجيش المصري البطل في
ست ساعات يوم العاشر من رمضان السادس
من أكتوبر الشهير وذلك بصيحة «الله أكبر».

وهناك كثير من الأدلة التي تؤكد على اقتراب النصر الساحق على هذا العدو المتغطرس، المدجج بالسلح النورى والتقليدى مهما بلغت قوته نكفى منها بحديث رسول الله ﷺ فيما رواه أبوهريرة مرفوعا: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود).^(٢١)

(٢) حديث صحيح رواه مسلم كذا في صحيح الجامع الصغير برقم ٧٤٢٧.

كل شيء يدل عليهم، ويكشف عنهم...
أي ما كان المراد، فالمعنى أن كل شيء
سيكون في صالح المسلمين، وضد أعدائهم
اليهود وأن النصر على اليهود آت لا ريب
فيه، وأن أسطورة القوة التي لا تقهر التي
يعيشها اليهود لن تستمر، وأن الذين
اغتصبوا بقوة السلاح وسلاح القوة
سيخذلهم الله الذي يملئ للظالمين، ثم
ياخذهم أخذاً أليماً شديداً، ولن تغنى عنهم
ترساتهم النووية التي يدلون بها، كما لم
تغن حصون أسلافهم من بني النضير عنهم
شيئاً حين جاء بأس الله الذي لا يرد عن
القوم الظالمين، (٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

عَامُرُوا إِلَىٰ تَعْمُرُوا وَاللَّهُ يَبْصِرُكُمْ وَيُؤَيِّتُ لِمَا مَكُرْتُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَتَعْلَمُوا وَأَسْأَلُ عَمَلَهُمْ ﴿٦﴾

(٢) حديث صحيح رواه مسلم كذا في صحيح الجامع الصغير برقم ٧٤٢٧.

الشهيد المجهول

للشاعر الكبير / فؤاد الخطيب

يا جيرة البان^(١) مهلاً واسألوا البان
فكم تهدكت^(٢) الأفنان^(٣) مصغية
والنفت^(٤) الورق^(٥) أسراباً^(٦) مصففة
والريح تهمس في الأذان ملهمة
تلك الملاعب أقوت^(٧) وانطوت حجج^(٨)
تسربت^(٩) في حنايا الصدر^(١٠) فانعقدت

هل فيه أي صدى من رجع^(١١) شكوانا
إليه وانتفض^(١٢) التوار^(١٣) يقظانا
على الكتيب^(١٤) ثبت^(١٥) الوجد أحنانا
والزهر ينصب^(١٦) للالهام آذاننا
أمت جوى، وحني برحاً^(١٧)، وأشجانا^(١٨)
هماً تشب^(١٩) به الأنفاس نيراننا

- (١) البان : شجر ينمو ويطول لمن ورقه كورق الصفاف وشرته تشبه قرون التوباء شديدة الخطورة ولاستواء اغصانه وطولها وتعميتها تشبه بها استواء القوائم الطويل القاعم، والحنه بانه
(٢) ما يُعاد مرثاً من الصوت والرجع كذلك جواب الرسالة
(٣) امسخت ونالت
(٤) تنبه وتحرك بشدة وانتفض الكرم تقصر ورقه
(٥) أخذاً من قولهم الثبات الثف أي اختلط بعضه ببعض والتف القوم على كذا اترجموا وتجنعوا
(٦) الحمايم لونها كالرماد
(٧) القل من الرمل
(٨) يرفع
(٩) البرج إلى الشجيد الشاق
(١٠) تسالت إليها داخلة فيها
(١١) جمع سرب وهو القطيع من الظباء والطيور ونحو ذلك
(١٢) تدب وتلش
(١٣) مقلت والفتوت
(١٤) جمع حبة وهي السدة
(١٥) الأحران
(١٦) حنايا الصدر: الضلوع
(١٧) تشتعل وتشتد
(١٨) تشب

هي «الهموم» فل عنها الخبير بها
تالله لو فعلت^(٢٠) في الجسم ما فعلت
وأصبح الخلق غير الخلق من صور
حتى «الطبيعة» تلقاهم فتكرهم^(٢١)
وإن من طينة^(٢٢) «السعلة»^(٢٣) شرذمة^(٢٤)
يحققها^(٢٥) القوم قد ضمت جوانحهم^(٢٦)
وحولهم ضجة من كل ذي ملق^(٢٧)
مستهترين^(٢٨) فما يخشون من شطط^(٢٩)
يمشون في الغي والأهواء ترفعهم
فبان أردت بعيد الذكر من أمم^(٣٠)
واهتف، وعريد، وقل ما شئت ثرثرة
واضرب على الوتر الحساس معتتماً
وكم هنالك دجال له زبد

فكم تجرع^(٣١) منها الموت ألوانا
في «النفس» لم يعرف الإنسان إنسانا
شعاعاً تمسخهم شيباً وولدانا
وإن رأيت قبلهم جناً وغيلانا^(٣٢)
قد أحرزت قصبات السبق^(٣٣) بهتاننا^(٣٤)
حر المحجم على الأحرار أضغاننا^(٣٥)
سمح^(٣٦) تطوع صخاباً^(٣٧) ولغاننا^(٣٨)
مستوفزين^(٣٩) جمع السحت^(٤٠) وحدانا^(٤١)
كنا الشرك يرفع أنصاباً^(٤٢) وأوثانا
فاجمع لديك من الغوغاء أعوانا
تصبح فتي الشرق تطيلاً وإعلانا
من هوشة^(٤٣) القوم صوت المدح رنانا
من فوق شدقيه^(٤٤) يخفي الدجل إتقاننا

- (٢٠) تجرع كذا : شربه متكرراً وفي شطط مرة بعد أخرى
(٢١) فعلت أي أثرت وفعل في كذا أثر فيه
(٢٢) الغيلان جمع حول وتجمع كذلك على الخوال
(٢٣) السعلة: الغول
(٢٤) يقال أحرزت قصبات السبق أي كان الفائز الغالب وأصله أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبات ومن سبق فأنطها كانت له الغلبة
(٢٥) البهتان : الكذب والافتراء
(٢٦) حقه يحقه أي الحاط به واستدار حوله يقال حقه وحف به
(٢٧) الأضلاع مما يلي الصدر
(٢٨) الشفاق والتؤيد الكتيب
(٢٩) صخب فهو صخاب
(٣٠) المستهتر: هو الذي يتبع هواه لا يبالي ما يصنع
(٣١) استوفز فهو مستوفز أي تهيأ للتويز
(٣٢) الوجدان جمع واحد
(٣٣) قروب
(٣٤) الشقي رابوة القم من باطن الخفين

- (٣٥) انكره ينكره أي لم يعرفه وكان غريباً عنه
(٣٦) القينة: الخلقة والحيطة
(٣٧) الجماعة القليلة من الناس
(٣٨) جمع صغر وهو الخقد
(٣٩) الطبع الخبيث
(٤٠) كثير السب والتعن
(٤١) الشلط: مجاوزة الحد والإفراط في التباعد عن الحق
(٤٢) ما قيل وخبت من المكاتب فلزم عنه العار
(٤٣) الحجارة تدب عليها القرابين
(٤٤) الهوشة الفتنة والاضطراب

يُسدى الحماسة إرغاء^(٤٥) فإن بلغت
وكم شهدت من الطاغين فحققة
تسرى^(٤٦) المراكب والأبصار شاخصة
فيوركت عصبه صدت^(٤٧) فما انغمست^(٤٨)
وكيف تنقم^(٤٩) منها عند غضبتها
وغمة شزرة^(٥٠) أو لفحة ثقلت
فانظر إلى النسم العلوي منطلقا
فإن هو انحط منها اعتل من كمد
وانساب^(٥١) تحت ظلال الأليك^(٥٢) مرقيا
فكيف بالنفس من غليائها انحدرت
فإن يكن حظ حلف^(٥٣) الدس طنطنة^(٥٤)
فالشمس تظهر للعينين قد نقصت
ظل يمر ثقيل الوطء^(٥٥) يحجبها

حد التشنج^(٤٦) ضج القوم إيمانا
على الطريق مشاة فيه ركبانا
إلى «الزعامة» حتى كانا ما كانا
فيهم ولم نأل^(٥٠) للطغيان عصبانا
عنفا نجيش^(٥٢) به الألفاظ أحيانا
عليك أو خلقتا وعبر^(٥٤) وجدلانا^(٥٥)
فوق الجبال يجر الذيل تشوانا^(٥٦)
فدب^(٥٧) يزفر حول السفح^(٥٨) حيرانا
واندس^(٥٩) بين زوايا الصخر إمعانا^(٦٠)
والنفس أصدق إحساسا ووجدانا
وكان حظ سرى^(٥٥) النفس حرمانا
لدى الكسوف^(٦١) وتأبى الشمس نقصانا
مر الخطوب بحر قليل قد هانا^(٦٢)

ويح «السياسة» كم طاش الخيال^(٦٩) بها
فاستضحكت^(٧٢) كل أرض وهي هازئة
فاسأل بها القوم هل جرت على أحد
وهل جنت^(٧٣) رقة^(٧٤) الشطرنج فائدة
يا بنت مغرب كم من موجع دنف^(٧٦)
يذود^(٧٨) عنك خفي الغدر معتصما^(٧٩)
كم خاض معركة خرساء دامية
فلم يجشمك^(٨٤) عباء^(٨٥) المن^(٨٦) منتقحا
وأنت يلهيك عنه الصائحون معا
يا ويح جنديك المجبول منجدلا^(٨٩)
قد مات دونك لم يمتن^(٩١) عليك يدا^(٩٢)
مهلا قصبحك والتاريخ يوم غد

فصورت من بغاث^(٧٠) الطير عقبان^(٧١)
بذى الجناح يشق الجو غضبانا
إلا على أهلها الألعاب خسرا
لأن «بيدقها»^(٧٥) قد صار «فيرزانا»
لم تذكر به فلم يجحدك^(٧٧) نسيانا
بالصبر يحمل ما يرضيك جدلانا^(٨٠)
شبت^(٨١) وأوغل^(٨٢) فيه السيف إتحانا^(٨٣)
بالعجب واحتمل الآلام كتمانا
خبا^(٨٧) فتناين^(٨٨) إعراسا وهجرانا
على الصعيد^(٩٠) سلب الثوب عريانا
ولم ينل منك عند الموت أكفانا
سيرفغان غشاء^(٩٣) يسدل^(٩٤) الآن

(٤٥) أرغى إرغاء: صارت له زغر فوق فمه من كثرة الضجيج والصياح.

(٤٦) التشنج تقلص العضلات.

(٤٨) صدت أي اعترضت.

(٥٠) يقال لم يجر جهدا أي لم يقصر في الجهد ولم يبش.

(٥٢) تغلى وتغور وجاش البحر: هاج واضطرب.

(٥٤) الحلق الغليظ.

(٥٦) التشوان المرح الطروب وهو في الأصل السكران.

(٥٨) سق الجبل: أصله أو أسطه.

(٥٩) جرى وتذاع في مشيه كالحيه.

(٦١) اندس في كذا: دفن نفسه فيه واختفى.

(٦٢) اشعن إشعاعا: أبعث وباع في الاستقصاء والنصب في جحره غاب في انحصار.

(٦٤) يقال هو خلف كذا أي ملازم له لا يفارقه.

(٦٥) الشريف العالي النفس.

(٦٧) الوطء: يستعمل بمعنى الضغط والأخذ الشديد.

(٤٧) تنوأل واحد بعد واحد.

(٤٩) اندس في كذا: رمى بنفسه فيه فغاص وغطى.

(٥١) نغم عليه كذا: عتب عليه من أجله وغضب.

(٥٣) نظرة الغضب: يمزح بعينه.

(٥٥) عدم التصرة والعونة.

(٥٧) مشى على هيئة كالطفل أو على يديه ورجليه.

(٦٠) الشجر الكثير الثقل.

(٦١) ارتقاع الصوت كالناقوس.

(٦٢) احتجاب نور الشمس.

(٦٨) هان أي نال وضعف.

(٦٩) خيل يخيل خيلا وخيالا: جن ولمسد عنه.

(٧٠) البغاث من الطير وما لا يصيد.

(٧١) جمع عقاب طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوي الخالب وله ستار اعقف.

(٧٢) استضحكت: كثر ضحكها.

(٧٣) حتى الشئ: كسبه وحصل عليه.

(٧٤) رقة الشطرنج: اللوح الذي تصف أدواته عليه أو الخرفة.

(٧٥) البيدق: من حجارة الشطرنج وهي ستة الشاه والفرزان والرخ والغرس والبقيل والبيش.

(٧٦) مشرف على الهلاك.

(٧٧) جحدته كثر به وانكره.

(٧٨) يدقم عنه.

(٧٩) اعتصم بكذا: لزمه وتمسك به.

(٨٠) قرخ مسرور.

(٨١) اشتكت وانتكت.

(٨٢) أوغل في كذا: اسرع فيبالغ وأبعد.

(٨٣) إتحن إتحنا: بالغ في القتل.

(٨٤) يكلف المصاعب ويشق عليك.

(٨٥) من عليه من أي عد له ما قطع من الجميل والصنائع.

(٨٦) يتناين: تتعنين.

(٨٧) الخداع والغش.

(٨٨) التجمل الثقي: الطروح على الأرض.

(٨٩) بعده ويذكر من قبيل التفرير.

(٩٠) الصعيد: وجه الأرض وكذلك ترابها.

(٩١) اليد: النعمة والإحسان.

(٩٢) يرخي ويرسل وأسدل الثوب ارتخاه وأرسله.

(٩٣) الغشاء هو الغطاء.

(٩٤) يسدل: يسدل.

مؤتمر أنابوليس وتحديات عملية السلام

بقلم / صلاح عبد الرحيم محمد
باحث في الشؤون السياسية

انعقد مؤتمر أنابوليس الدولي للسلام، بناءً على دعوة من الرئيس الأمريكي «جورج بوش»، في السابع والعشرين من نوفمبر ٢٠٠٧ في مدينة «أنابوليس» بولاية ميريلاند، تلك المدينة التاريخية التي كانت عاصمة الولايات المتحدة الأولى قبل واشنطن العاصمة الحالية، وافتتح الرئيس الأمريكي هذا المؤتمر، وسط مشاركة دولية واسعة، كان على رأسها ١٦ دولة عربية، منها سوريا ولبنان، حيث أعلن «بيانا» بالبدء الفوري للمفاوضات بين الوفدين الفلسطينيين برئاسة «أحمد قريع» رئيس الوزراء الأسبق، والإسرائيلي برئاسة «تسيبي ليفني» وزيرة الخارجية الإسرائيلية، وقال «بوش» في بيانه: «اتفقنا على البدء فوراً بنية خالصة، في مفاوضات ثنائية قوية ومستمرة، وببذل كل جهد ممكن للتوصل إلى معاهدة سلام قبل نهاية عام ٢٠٠٨».

وأضاف قوله: «إن هدف المفاوضات هو حقن الدماء، والتوصل إلى حل على أساس دولتين إسرائيلية وفلسطينية تعيشان جنباً إلى جنب في أمن وسلام».

وفي هذا السياق يرى «برنت سكروفت» المستشار السابق لمجلس الأمن القومي للرئيس «جورج بوش» أن المؤتمر يجب أن يركز في القضايا الجوهرية لتحقيق السلام الشامل

العادل، وأن يركز على أسس الحل النهائي والرجوع إلى قرارات الأمم المتحدة وبمساعدة الرباعية الدولية، وما توصل إليه «بيل كلينتون» في كامب ديفيد ٢٠٠٠.

لائحة الرفض الإسرائيلية

والحقيقة أن مؤتمر أنابوليس للسلام انعقد في وقت تباعدت فيه مواقف الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي ويات المؤلف بينهما هو الراعي الأمريكي، صاحب هذه المبادرة؛ بما يملكه من قوة مؤثرة، تلزم الطرفين المعنيين مباشرة بالصراع، برؤيته الخاصة بحل الدولتين. فتجد أنه في الوقت الذي تملك السلطة الفلسطينية بمفاوضات تعاطي مع قضايا الوضع النهائي وهي الحدود، والمستوطنات والقدس، واللاجئون والمياه، والعلاقات المشتركة، وفق جدول زمني محدد للتفاوض، وطبقاً للمرجعيات الدولية، وفي مقدمتها قرارات الشرعية الدولية، وخريطة الطريق، والمبادرة العربية للسلام، فإن إسرائيل ترفض:

أولاً: تحديد جدول زمني للتفاوض،

وثانياً: المبادرة العربية للسلام،

وثالثاً: حق عودة اللاجئين إلى ديارهم، وتشترط في الوقت نفسه اعتراف الفلسطينيين بيهودية دولة إسرائيل، وما

يترتب على ذلك من إسقاط حق العودة، وترحيل أي عربي يقيم في إسرائيل اليهودية.

تطبيع بلا ثمن!!

ومن هنا فإن ثمة شكوكاً ومخاوف في شأن دوافع الولايات المتحدة من وراء عقد هذا المؤتمر، فالبعض يخشى أن يكون معي الرئيس الأمريكي «بوش» الحقيقي هو تقديم خدمة أخيرة لإسرائيل بتطبيع علاقاتها مع الدول العربية بلا ثمن تلتزم بدفعه يتمثل في إقامة دولة فلسطينية والانسحاب من الأراضي العربية المحتلة بما فيها الجولان ومزارع شبعاء، ومن ناحية أخرى يتخوف البعض الآخر من تمسك إسرائيل برسالة الضمانات التي وجهها الرئيس الأمريكي بوش، في أبريل ٢٠٠٤، إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق «أريئيل شارون»، في شأن حدود الدولة، ومبدأ تبادل الأراضي بين الإسرائيليين والفلسطينيين، والسماح بضم الكتل الاستيطانية الكبيرة في الضفة الغربية، والاعتراف بيهودية الدولة، وما يترتب على ذلك من فصل الضفة عن القدس ومن ثم جعل هذه الضمانات جزءاً من حل الدولتين الذي يهدف إليه مؤتمر أنابوليس، وهذا ما تسعى إليه إسرائيل.

القتل في أفغانستان والعراق

ويرى معظم المراقبين أن هدف إقامة هذا المؤتمر هو التغلطة على قتل الرئيس الأمريكي في أفغانستان والعراق، وسعيه إذا نجح في إقامة دولة فلسطينية أن يدخل التاريخ كما دخل من قبل الرئيس الأمريكي الأسبق «جيمي كارتر» بما حققه من إنجاز عقد معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩.

الشروط الإسرائيلية لخريطة الطريق

وفي هذا الإطار فإن خريطة الطريق، في نظر الإدارتين الأمريكية والإسرائيلية تعتبر المرجعية الأولى لمفاوضات حل الدولتين، فهي تتكون من ثلاث مراحل:

● **الأولى:** تطالب السلطة الفلسطينية بالوقف الفوري للعنف، وعودة التنسيق الأمني بين الجانبين الإسرائيليين والفلسطينيين في مقابل قيام إسرائيل بتحسين الظروف الإنسانية للفلسطينيين، والكف عن المس بالمدينين وأموالهم، وتجميد الاستيطان، والانسحاب إلى المناطق التي احتلتها إسرائيل عقب انتفاضة الأقصى في ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠.

● **الثانية:** تشهد بدء مفاوضات في شأن إقامة الدولة الفلسطينية بحدود مؤقتة.

● **والثالثة:** يعقد في غضون مؤتمراً دولياً للتفاوض بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل على قضايا الوضع النهائي وحل الدولتين، والتوصل إلى تسوية سياسية شاملة للنزاع.

المستوطنات

وكانت الجولة الأولى من المفاوضات الفلسطينية-الإسرائيلية، بدأت في القدس يوم ١٢ / ١٢ / ٢٠٠٧ حيث التقى الوفدان الفلسطيني والإسرائيلي في فندق كبير في المدينة، وركز اللقاء على موضوع «الاستيطان» إذ طالب الجانب الفلسطيني بوقف كامل للنشاط الاستيطاني سواء توسيع المستوطنات الحالية أو بناء مستوطنات جديدة.

واللافت للانتباه أنه في الوقت الذي اتفق فيه الجانبان الإسرائيلي والفلسطيني في «مؤتمر أنابوليس» الدولي للسلام، الذي رعته إدارة بوش في ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٧، على إطلاق مفاوضات الوضع النهائي، نجد أن إسرائيل استبقت الجلسة التفاوضية الأولى (١٢ / ١٢ / ٢٠٠٧) بإعلانها إقامة حي جديد مؤلف من ٣٠٠ وحدة سكنية في مستوطنة «هارحوما» المقامة في جبل أبو غنيم في جنوب القدس الشرقية، كما لوحظ أيضاً، قبل الجلسة التفاوضية الثانية (٢٤ / ١٢ / ٢٠٠٧) أن إسرائيل أعلنت مشروعين لإقامة ٧٤٠ وحدة سكنية

استيطانية جديدة، منها ٥٠٠ وحدة في مستوطنة «هارحوما» و ٢٤٠ وحدة أخرى في مستوطنة (معاليه أدوميم) في شرقي مدينة القدس الشرقية.

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل نشرت وسائل الإعلام الإسرائيلية خبراً مفاده أن وزارة الإسكان الإسرائيلية أعدت خطة لإقامة مستوطنة جديدة بين القدس ورام الله تتسع لـ ١٠٠٠ وحدة سكنية بالقرب من حاجز قلنديا.

ولقد طلبت «كونداليزا رايس» وزيرة الخارجية الأمريكية «توضيحات» من الحكومة الإسرائيلية حول قرارها بتوسيع الاستيطان في القدس الشرقية. وأجاب على هذا الطلب الأمريكي «إفيجندور ليرمان» وزير الشؤون الاستراتيجية الإسرائيلية ونائب رئيس الوزراء الإسرائيلي، حين أعلن على شاشة التلفزيون الإسرائيلي: «أن أعمال البناء الاستيطاني ستواصل بالسرعة القصوى، وأنه يجب إبلاغ الأمر إلى أصدقائنا، فإنه من الواضح للعالم أجمع، أن «هارحوما» جزء لا يتجزأ من إسرائيل وستظل» وفي هذا الصدد قال «يهود أولمرت» رئيس الوزراء الإسرائيلي في تصريحات نشرتها صحيفة «جيروزايم بوست»، الإسرائيلية في ١ / ١ / ٢٠٠٨ «أوضحت رسالة الضمانات التي أعطتها

الرئيس الأمريكي «جورج بوش» إلى رئيس الوزراء السابق «شارون» بما لا يدع مجالاً للشك، حق إسرائيل في الحصول على بعض أراضي يهودا والسامرة (أي الضفة الغربية) وأضاف قوله: «لا يمكنني أن أتصور إسرائيل من دون مستوطنة معاليه أدوميم، ولا أعتقد أنهم يقصدونها (أي الفلسطينيين) عندما يتحدثون عن المستوطنات».

قضية اللاجئين

وأعرب «أولمرت» عن اعتقاده بأن الرئيس «محمود عباس» «يريد السلام» مشيراً إلى أنه يتفهم مخاوف الفلسطينيين فيما يخص المستوطنات، لكنه شدد على أنه «لن يقلل حق العودة للاجئين الفلسطينيين» وقال: إنه مقتنع بأن «عباس» «احترافاً قلبه» بين أسطورة حق العودة وقيام دولة فلسطينية تستوعب جميع اللاجئين.

وهكذا أكد «أولمرت» احتفاظه بكبرى المستوطنات استناداً إلى «رسالة الضمانات» الأمريكية وكأنها رسالة سماوية مقدسة ملزمة للفلسطينيين بل وصل الأمر به أن يصف حق العودة بالأسطورة التي ليس لها أساس من الواقع، وأنكر تبعاً لذلك القرار الدولي رقم ١٩٤ لعام ١٩٤٨، واشترط قيام الدولة الفلسطينية الجديدة على أساس استيعابها

للاجئين الفلسطينيين، وأن دولة إسرائيل هي لليهود فقط، لا يشاركهم فيها أحد من الفلسطينيين، وهو ما يهدد الأقلية العربية في فلسطين التاريخية بالطرد والإبعاد.

ومن ناحية أخرى فإن مؤتمر أنابوليس للسلام الذي استغرق يوماً واحداً (٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧)، انتهى بالفعل دون أن يحقق شيئاً إلا دعوة الفلسطينيين والإسرائيليين ببدء مفاوضات السلام النهائي خلال عام ٢٠٠٨، بعد توقف دام سبع سنوات.

الإرهاب الإسرائيلي في غزة!!

لقد انعقد مؤتمر أنابوليس بعد حوالي شهرين من إعلان «يهود أولمرت» رئيس وزراء إسرائيل، قطاع غزة «كيانا معادياً» للدولة العبرية، وهو ما يعنى إحكام الحصار الخانق على الفلسطينيين في القطاع (١,٥ مليون نسمة)، وإذا كان الإسرائيليون يزعمون أن هذا الحصار بسبب إطلاق قذائف القسام الصاروخية صوب الداخل الإسرائيلي، فهل تنهوب إسرائيل من مسئوليتها القانونية عن قطاع غزة، الذي مازالت تسيطر على حدوده، ومجاله الجوي، ومياهه الإقليمية، رغم انسحاب قواتها العسكرية منه منذ عام ٢٠٠٥. أليس من الوطنية أن يقاوم الشعب الفلسطيني محاصريه الذين يريدون خنقه؟ وإذا كانت المقاومة الفلسطينية تعد في نظر الإدارتين

الأمريكية والإسرائيلية، إرهاباً فماذا تسمى ما تفعله إسرائيل من عقاب جماعي لسكان غزة؟ أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟ إن كل ما تفعله إسرائيل في القطاع، سببه، وجود، وسيطرة حماس على غزة. لقد بلغ العداء الإسرائيلي لحركة حماس أقصاه، فقد أماطت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية في ٢١ / ٨ / ٢٠٠٧، اللثام عن خطة ترمى إلى تعزيز قبضة السلطة الفلسطينية، خصوصاً بعد استيلاء حماس على قطاع غزة في ١٤ يونيو ٢٠٠٧، فقد حذرت هذه الخطة من أن حركة حماس مستولى على الضفة الغربية في غضون عامين، إذا أخفقت السلطة الفلسطينية - التي تهيمن عليها حركة فتح، في تأمين نظام رفاه اجتماعي للسكان. ويتساءل الكثيرون منذ متى كانت إسرائيل الناصح الأمين للسلطة الفلسطينية؟ الواقع أن النخبة الحاكمة في إسرائيل لا تبتغي من وراء ذلك إلا تعميق الهوة الفاصلة بين فتح وحماس، للاستفراد بطرف على حساب طرف آخر، والهدف إملاء شروطها بتنازل الفلسطينيين عن حق العودة، والقول بأن تضم الدولة العبرية المستوطنات الكبرى في الضفة الغربية إليها، ومحاولة الحصول على اعتراف أصحاب فلسطين الشرعيين على يهودية دولة إسرائيل، حتى يمكن إسقاط حق العودة، والتخلص أيضاً من الأقلية العربية المقيمة في فلسطين التاريخية منذ عام ١٩٤٨. وفي هذا

السياق قال القيادي في «حركة الجهاد الإسلامي» الدكتور «محمد الهندي»: «اليوم اتضح أكثر من أي وقت مضى أن العدو يريد تخطيم غزة، وإظهار الرئيس «محمود عباس» وكأنه متواطئ» إنها سياسة فرق تسد. ولرباب الصدع بين فتح وحماس ولتوحيد الموقف الفلسطيني، خاصة أن الوفد الفلسطيني المفاوض على أبواب العديد من الجولات التفاوضية مع خصم ماكر ومراوغ وعنيد قال «إسماعيل هنية»: «نحن مع الحوار، وتدعو إليه، ونحن مستعدون أن نبحت كل القضايا. إن الحوار يجب أن يكون على أساس قاعدة لاغالب ولا مغلوب»، كما صرح الرئيس الفلسطيني «محمود عباس» أن قطاع غزة جزء لا يتجزأ من الدولة الفلسطينية القادمة.

وتساءل: ألم يحن الوقت بعد لتصافح القلوب قبل أن تنصافح الأيدي بين الإخوة من حماس وفتح؟

حدود مؤقتة للدولة الفلسطينية!!

ومن جهة أخرى يرى البعض أن ثمة تصورات إسرائيلية وأمريكية محددة في موضوعات الحل النهائي الأربعة وهي: القدس والمستوطنات والحدود، واللاجئون، لا تتلاءم مع القرارات الدولية، ومع المبادرة العربية، وحتى مع خريطة الطريق. وحسب

هذه التصورات يريدون أن تبقى القدس موحدة وعاصمة أبدية للدولة العبرية. أما المستوطنات فهم يريدون، وبإصرار الاحتفاظ بالكتل الاستيطانية الكبرى منها، وعلى الجدار الواقى من حولها. والمعتدلون جداً من الإسرائيليين يقبلون بتعويض الفلسطينيين عن المستولى عليه بأراض في صحراء النقب. ويشند الجدار فيما بينهم على الحدود. وهل يسمح للدولة الفلسطينية الوليدة أن تكون لها حدود مع مصر والأردن أم لا؟ إن إسرائيل تريد حدوداً مؤقتة للدولة الفلسطينية القادمة، ومنزوعة السلاح الفلسطيني أما مسألة اللاجئين، فهي من أعقد المسائل التي سيقابلها المفاوض الفلسطيني لأن الجانب الإسرائيلي لا يرغب في البحث فيها، ولا الاحتكام إلى القرار الدولي رقم ١٩٤ القاضي بعودة اللاجئين إلى ديارهم التي كانوا يقيمون فيها عام ١٩٤٨.

ومن هنا فقد أكد «يهود أولمرت» في تصريحات لصحيفة «جيروزايم بوست» الإسرائيلية في الأول من يناير ٢٠٠٨ عدم قبوله حق العودة للاجئين الفلسطينيين، ووصفها بالأسطورة، وعلق قيام دولة فلسطينية باستيعاب هؤلاء اللاجئين فيها وإلا فلا دولة للفلسطينيين.

موقف حماس

وفي هذا السياق وقع نواب حركة حماس في المجلس التشريعي الفلسطيني يوم ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٧ - أي قبل انعقاد مؤتمر أنابوليس بيوم واحد - وثيقة «عدم التفريط في القدس واللاجئين» وجاء في هذه الوثيقة التي تلاها رئيس المجلس التشريعي الدكتور «أحمد بحر»: «إن الشعب هو صاحب الحق الوحيد في تقرير مصيره، بالكيفية التي يراها مناسبة، ولا تنتقص من حقوقه التاريخية شيئاً، وهو صاحب الأرض التي تمتد من نهر الأردن شرقاً إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط غرباً، ومن الحدود المصرية جنوباً إلى الحدود السورية اللبنانية شمالاً، وحقه في هذه الأرض لا يسقط بالتقادم، ولن يختزل بفعل الضغوطات والممارسات الإجرامية التي تمارس ضد شعبنا. ونؤكد على العمق العربي والإسلامي للقضية الفلسطينية، وأنه لا يجوز لأي كان أن يتنازل عن شبر واحد من أرض فلسطين، ومقدساتها باعتبار أنها أرض وقف لكل المسلمين في كل مكان». وهكذا أعلنت حماس تمسكها بحقوقها الذي لا يمكن التفريط فيه من أرض فلسطين.

يهودية الدولة ووعد بوش !!

والجدير بالذكر أن الإدارة الأمريكية حرصت على تشكيل لجنة مستقبلية يشارك فيها العديد من الأطراف الدولية، وتحت إشراف الولايات المتحدة الأمريكية المباشر،

لتذليل أي مشكلات تعترض المفاوضات الجارية بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني، وقد أعلنت الخارجية الأمريكية أن هذه اللجنة ستجتمع في العاصمة الروسية «موسكو» خلال شهر يناير ٢٠٠٨ للوقوف على ما أنجز من نجاحات في المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية.

في ضوء العرض السابق، يمكن رصد أهم التحديات التي تواجه عملية السلام التي انعقد مؤتمر أنابوليس من أجل إحيائها من جديد، على النحو التالي:

● مسألة يهودية الدولة التي أكد عليها الرئيس الأمريكي «جورج بوش» في كلمته أمام المؤتمر، تعني إغلاق الباب تماماً أمام عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي أجبروا على تركها عام ١٩٤٨، وبالتالي التنازل للقرار الدولي رقم ١٩٤ القاضي بعودة اللاجئين إلى ديارهم، وأيضاً احتمال إحيار الأقلية العربية في فلسطين التاريخية المحتلة على الرحيل إلى دولة فلسطين المرتقة.

● رسالة الضمانات (أو ما يسمى وعد بوش) التي وجهها «جورج بوش» إلى رئيس الوزراء السابق «شارون» في أبريل ٢٠٠٤، والتي ترى إسرائيل أنها تمنحها الحق في ضم المستوطنات الكبرى إليها، تمثل أكبر التحديات التي تواجه المفاوضات الفلسطينية،

وقد علق «إيهود أولمرت» رئيس الوزراء الإسرائيلي عليها حين صرح لصحيفة «جبروزايم بوست» الإسرائيلية في ١/١/٢٠٠٨ بقوله: «لقد أوضحت هذه الرسالة بما لا يدع مجالاً للشك، حق إسرائيل في الحصول على بعض أراضي يهودا والسامرة، (وهو يعني الضفة الغربية)».

● استمرار إسرائيل، وبوتيرة متسارعة، في توسيع المستوطنات الحالية أو بناء أحياء استيطانية جديدة فقد أعلن «ياريف أوبنهايم» المتحدث باسم «حركة السلام الآن» الإسرائيلية، أن حركته اكتشفت أن ميزانية الدولة الإسرائيلية في عام ٢٠٠٨، تتضمن ٤٨ مليون شيكل لبناء ٢٥٠ وحدة سكنية في مستوطنة «معاليه أدوميم»، و ٥٠ مليون شيكل لبناء ٥٠٠ وحدة سكنية في «هارحوما» الحي الاستيطاني الواقع على «جبل أبو غنيم» في القدس الشرقية المحتلة.

القدس والجدار الفاصل

وأكد «رافي إيتان» وزير شؤون القدس أن إسرائيل تعتزم تنفيذ هذه المشروعات.

وقال: «قلنا دائماً: إننا نستطيع البناء في «هارحوما» التي تقع داخل الحدود البلدية للقدس، فهي جزء لا يتجزأ من القدس،

وإسرائيل لن توقف البناء هناك. ومن واجب إسرائيل أن توفر مكاناً لمواطنيها ليقموا فيه» إنه كما ترى إصراراً على مواصلة البناء وتوسيع المستوطنات وهو ما يشكل ضرباً للمفاوضات الجارية عرض الحائط على مرأى ومسمع راعي مؤتمر أنابوليس.

الجدار الفاصل، الذي هازلت إسرائيل تواصل بناءه، لكي يصل طوله إلى ٧٠٤ كيلومتر، يقسم الضفة الغربية إلى أربعة تجمعات سكانية معزولة، وتسيطر إسرائيل على محيطها. ومن ثم يقضي هذا الجدار العنصري على إمكانية قيام دولة فلسطينية متصلة جغرافياً، وقابلة للحياة ضمن حدود ما قبل ١٩٦٧.

القدس الشرقية، يتمسك بها الفلسطينيون كاملة وقد ضمها الإسرائيليون إلى القدس الغربية وأعلنوا أنها العاصمة الأبدية لدولة الشعب اليهودي، ولا يجوز تقسيمها بعد توحيدها، والسؤال الذي يطرح نفسه، في الختام، هل يمكن للرئيس الأمريكي «بوش» صاحب مبادرة أنابوليس إجبار إسرائيل وليس الضغط عليها على أن تعيد القدس العربية إلى الفلسطينيين، لتكون عاصمة دولة فلسطين المنشودة، التي من أجلها، انعقد مؤتمر أنابوليس للسلام !!

الناس بين المدح والقرح

للاستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ / علي عامر عبد الرزيم

يا أتباع محمد ﷺ:

من الحقائق التي يجب أن ترسخ في العقول والقلوب أن الناس إما مدح، أو قراح، أو ناصح، وخير الثلاثة هو الأخير. والمدح سلاح خطير ينحرف به صاحبه فيخرب ويدمر، وفي المجتمع أناس كالعلق، يمدحون كل الناس ويحملون لهم العيوب، ويقلبون سيئاتهم إلى حسنات. ليخدعهم عن أنفسهم، ويغرروهم بذواتهم، وينالوا منهم ما يريدون، وبذلك المديح القماش الكاذب، تضع حقوقي، وتسمع شخصيات، وأخطر هؤلاء المداحين الضالين المضلين أولئك الذين يتصلون بالكبراء، أو يكونون بطانة وحاشية للعظماء؛ لأنهم يحملون لهم القبايح، ويحسنون لهم الأخطاء، ويجعلون أمامهم الحق باطلاً، والباطل حقاً، وبذلك يتعود الكبراء

الحمد لله تبارك وتعالى، له دعوة الحق وكلمة الصدق:

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾

(النساء: ١٣٢)

أشهد أن لا إله إلا الله، يحق الحق بكلماته، يمحى الباطل بآياته، إن الباطل كان زهوقاً، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله. الناطق بالحكمة، الهادي للأمة، فعليه من ربه الصلاة والسلام، وعلى آله وذريته، وأنصاره وصحابته، والقائمين بأمر دعوته.

﴿قُلْ لَكُمْ عُذْرٌ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(البقرة: ١٤)

كلمات الشاء والإطراء؛ فيخيل إليهم أنهم معصومون من الزلل، أو أنهم مخلوقون من طينة أخرى أزكى من طينة الناس، ولو أنصف هؤلاء الكبراء لفعلوا كما فعل خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز - رضوان الله عليه - حينما تولى الخلافة، فقد أحضر عمرو بن مهاجر، وكان رجلاً فقيهاً بصيراً داعية، وأمره بأن يلازمه، وقال له: «يا عمرو، إذا رأيتني قد ملت عن الحق، فضع يدك في تلايبي، ثم هزني، ثم قل لي: ماذا تصنع؟».

المدح الكاذب!!

وهذا هو سيدنا رسول الله ﷺ يبين خطر المدح الكاذب والثناء المسرف، فيقول: «ياكم والمدح والتماذج فإنه الذبح»^(١)، ويحذرننا من أولئك المداحين الذين يتخذون المدح عادة وصناعة وتجارة، بلا صدق أو انصاف، فيقول:

«إذا رأيتم المداحين فاحشوا في وجوههم التراب»^(٢).

لقد سمع - صلوات الله وسلامه عليه - رجلاً يسرف ويبالغ في مدح آخر، فقال له:

«قطعتم ظهر الرجل»^(٣). وهذا لا يمتنع من تقدير العاملين وشكر المناضلين والثناء على القاضين؛ لأن الإنصاف خلق من أخلاق الإسلام، وبهذا الإنصاف يكون التنافس على الخير، والتسابق في مجال البر، ولذلك أثنى رسول الله على صحابته بما هم أهل له؛ فوصف أبا بكر أنه الصديق، وعمر بأنه القاروق، وعثمان بأنه ذو النورين، وعلي بأنه باب مدينة العلم، وأبو عبيدة بأنه أمين الأمة، وهكذا.

وأما «القراح»: فهو ذلك الخسيس اللثيم الذي يفتح دائماً فمه عن لسان قذر وضيع، يطعن به ذات اليمين وذات الشمال، فهو يذم دائماً، ويفترى دائماً، ويتوقع دائماً، وفي المجتمع مع الأسف أناس أنذال، يمثلون بالسنتهم العقارب أو الحيات أو الكلاب العاوية باستمرار، فهم يعيشون وراء بذاة كلامهم، ووقاحة منطقهم، يقرضون الأعراس والحرمان، ويتناولون على الكرام والبنات من الناس بلا استثناء؛ حتى يرهيبهم الكثير من الخلق، ويتفادوا الالتقاء بهم والتعرض لهم، وصلوات الله وسلامه على رسوله حين قال: «إن من شر الناس من اتقاه

(٢) صحيح مسلم

(٣) مؤطا مالك

(١) المعجم الكبير للطبراني بلفظ: «اتقوا التمدح فإنه الذبح»

(٢) صحيح مسلم

الناس لشدة^(٤). ولقد صور القرآن المجيد شأن هؤلاء القادحين الجارحين القاضمين المتبجحين بصورة منكرة، فقال للمسلمين في شأن المنافقين المحرمين:

﴿ فَإِذَا ذَهَبَ لَظْفُوكُمْ سَفَوفُكُم بِالسِّنَةِ جَدَارٍ ﴾

(الأحزاب: ١٩)

أي إذا اطمأنوا وتمكنوا طعنواكم بالسنة كالحديد من شراستها وبذاءتها. كما صور القرآن أولئك القاضمين لأعراض الناس، القادحين في أشخاص سواهم، تلك الصورة المنفرة المذكرة فقال:

﴿ لَا يَتَّبِعُ بَعْضُكُم بَعْضًا يَخِبُ أَحَدُكُمُ رَأْسَهُ عَنْ كَلِّ لَحْمِ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾

(الحجرات: ١٢)

وهذا هو رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - يقول: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش ولا البذيء»^(٥) ويقول: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه، يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته»^(٦) ويقول: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»^(٧).

واجب التحذير

وهذا لا يمنع أن يؤدي الإنسان لأخيه واجب التحذير من خطأ أو انحراف، وواجب التذكير بما يجب أن يكون عليه بأسلوب الحكيم، ولقد قال بعض السلف: «إذا كنت عيب أخيك عنه فقد خنته، وإذا واجهته به فقد بهتته» أي واجهته بالأذى فألثته، وإذا ذكرته لغيره فقد اغتيتته، ولكن عرض به واجعله في جملة الحديث. وما أحوجتنا إلى أناس يراجعون المخطئين في لياقة وبراعة، ليحملوهم على الخير، ويصدوهم عن الشر، وما أخرج حكمانا وكبرائنا إلى هذا الصنف الكريم من الناس حتى يحيط بهم أهل الخير والرشاد، والرسول يقول: «ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان «حاشيتان» بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه فالمعصوم من عصم الله تعالى»^(٨) أي صاحب التوفيق هو من لا يأخذ برأي أهل السوء، ويستعين بأهل الحق والخير.

(٦) مجمع الزوائد

(٨) صحيح البخاري

(٥) سنن الترمذي

(٧) صحيح البخاري

«الناصح»: هو خير هؤلاء الثلاثة؛ لأنه يخلص في توجيهه وتشجيعه وتحذيره؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة»^(٩)، والقرآن الحكيم يعلمنا أن تبادل النصيح الخالص الصادق الأمين هو طريق النجاة والفلاح، فيقول:

﴿ وَالْعَصْرُ ۝ إِذَا الْإِنْسَانُ لَقِي خَيْرَهُ ۝ إِلَّا الَّذِينَ كَانُوا يَعْبَدُونَ ۝ أَفَلَا تَصْنَعُونَ ۝ وَالْحَقُّ أَنَا رَبُّكَ فَاعْبُدْنِي ۝ وَأَعِزَّنِي ۝ فَاقْصِرْ وَاصْبِرْ ۝ وَأَسْمِعْ ۝ وَأَنْصِتْ ۝ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ الْبَصِيرُ ۝ ﴾

(العصر: ١-٣)

حقيقة المؤمن

ولقد كان النبي - صلوات الله وسلامه عليه - يبايع كل فرد يدخل الإسلام على أن ينصح لكل مسلم، ويقول: «إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحه»^(١٠) ولا عجب فالؤمن أخو المؤمن، والمؤمن مرآة أخيه، والنصيحة الصادقة لون من ألوان التعاون والمحمود الذي يطالب القرآن القائل:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنََّّهُ سَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ﴾

(المائدة: ٢)

وهذا التناصح هو الصيغة الأساسية التي طالب بها القرآن أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - حيث قال:

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾

(آل عمران: ١٠٤)

يا أتباع محمد ﷺ:

«الناس إما ماذح، أو قاذح، أو ناصح، وخير الثلاثة الأخير». قول أروده وأؤكد، وأعيد وأوطده، فليتنظر كل منا أن يكون من هؤلاء الثلاثة: إمعة تضيع ذاته وشخصيته في مدح كل من هب ودب بلا صدق ولا إخلاص، أم هو صاحب لسان كالمرد يؤدي به عباد الله فيكون كالحية الرقطاء، أم هو معنصم يحيل الله، داع إلى صراط الله، ناطق بكلمة الخير ابتغاء وجه الله؟ وعلى الله قصد السبيل، ومنها جائر، ولو شاء لهداكم أجمعين، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

(٩) صحيح البخاري

(١٠) مسند أحمد

دور الشباب من القول.. إلى الفعل

لأستاذ الدكتور / محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

قال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمقائم لا يضتر والصائم لا يضطر»
وهي رواية «كالمجاهد في سبيل الله».

(صحيح البخاري)

تمهيد

مجموعة من طلاب الطب والهندسة والأدب: سمعتهم يختلفون حول قضية زوجة اتفقت مع زوجها على أداء العمرة.. ثم كان الموت أسبق إلى الزوج من العمرة.. فسألت الزوجة عن موقفها لو أنها خرجت لأداء العمرة عنها ثم عن زوجها.. أيجوز ذلك شرعاً؟ أم أن خروجها يخل بالحداد؟؟

وقلت للطلاب المختلفين: إن الحداد هو قضية الوفاء تقديراً للراحل الذي كان ملء السمع وملء البصر.. ثم إذا هو اليوم غائب.. لن يعود.

وقصة هذه المرأة هي قصة ذلك الوفاء أيضاً.. والذي يتقاضاها اليوم أن تقي بالعهد الذي كان بينهما بالأمس القريب.. ولتبحث القضية في هذا الإطار.. وكان مما قلته للطلاب المتحمسين.. اغتربين في غير ميدان: هأنتم أولاء جادلتم عنها من الناحية الفقهية.. فأين بعد هذا دوركم المرموق للتخفيف من حدة بلائها؟؟

ماذا أنتم فاعلون لهذه التي غاب عائلها.. وتحملت مسئولية صغارها؟؟ إن الحديث الشريف الذي معنا.. إنما هو لفت نظر لكل قادر على أن يعمل شيئاً يحفظ على هذه الخزينة توازنها.. وكرامتها.. وأن وراء الحكم الفقهي على أهميته دوراً مهماً في عنق المجتمع كله.. حري بأن يتنافس فيه المتنافسون.. قبل أن ينهار البيت على ما فيه ومن فيه! وهو:

التكفل بحاجة هذه الأسرة.. حتى تظل واقفة على قدميها.. ثم يكبر صغارها ليكونوا للإسلام جنداً.. بدل إهمالهم ليكونوا لكم أعداء؟؟

وقفات بين يدي الحديث الشريف

١- تخيلوا هذه الأرملة تجتر ذكرياتها في سالف عمرها.. فتقول:

سررت بوادي النمل يا صاح بكرة فصحت وأجريت الدموع على خدي

وشممت منه موقف الهاشمي الذي ملا الأرض توحيداً يزيد على العدد وكم موقف أفرشته حر جبهتي وأبديت في أرجائه ذلة العبد!

٢- تصوروا هذه الضراعة.. التي يهيب بكم الحديث الشريف أن تهرعوا إلى مصدرها.. للتخفيف من حداثها.. فيما يؤكد حضارة أمة لا تترك الضعيف يواجه الأحداث وحده.. وإنما تقف إلى جانبه.

٣- وإذا كنا منهيين عن كثرة الدخول على الطغاة حتى لا يسرى إلينا طغيانهم بالعدوى؛ فإننا هنا مأمورون بمساعدة الضعفاء.. فلعل ذلك يكسر حدة الغرور فينا.

٤- ولقد كان الجزاء عظيماً:

إنه مثل جزاء القائم.. وباستمرار.. والصائم وباستمرار أيضاً.. بل كمن يحمل سلاحه مجاهداً في سبيل الله.

٥- وذلك مشروط بما يلي:

أن يكون السعي لك وصفاً.. بل طبعاً واسخاً «الساعي» ولا تكن كهذا الذي أعطي قليلاً وأكدى، اغترف غرفة بيده.. ثم ترك الضحية ظمأى!

إن بعض الأخيار قد يتفق من رصيده المدخر في «البنك» وهو ممن يعيشون في الغرفات آمين.. لا.

لا يكفى هذا.. بل لا بد أن يكون منك سعى :
حركة ذاتية مكلفة تنصب منها عرفاً .

٦- على أن يكون ذلك من منطق العزة والتجرد.. وذلك بعض ما يفيد حروف الجر (على) بمعنى: أنك تخدم الأرملة «عليها» مستعلياً لا تسعى إليها.. ولا لها.. لا تستهدف جمالها.. ولا مصلحة شخصية من ورائها.. وإنما أنت الطائر المخلوق في أجواز الفضاء: يلقي إليها الحب.. وليس في ذهنك الحب!!!

لأنك تسعى «عليها» مستعلياً بإيمانك على كل رغبة هابطة.. إن الأرملة قد يكون فيها مطمع والمسكين: في زحمة المجتمع: مضيق.. وأنت مطالب بالسعى عليهما.. من فوق: متجاوزاً ما يحبط العمل من شهوات الدنيا.. فإن فعلت.. فإن الجزاء عظيم.. عظيم.. لا يصل إلى ساحله السباح الماهر.. مهما خاض إليه وسبح.. وليس هو مما يعده العادون.. بل هو فوق ما يتوهم المتوهمون.

٧- عينك على صعود تلك القمة العالية ما تراه في مملكة الحشرات.. التي تتعاون على البر والتقوى.. وافرأ قوله - عز وجل -:

﴿حَرِّ إِذَا اتَّوَعَلَ وَإِذَا تَنَفَّسَتْ فَذِلَّتْ بِهَا أَنْفُسُهَا أَتَتْهُنَّ أُنْثَىٰ لَوْ كُنَّ يَدْرُسْنَ عَلَيْكُم مِّنْكُمْ لَا تُحِيطُ بِكُمْ سَلَوْنَ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

(النمل: ١٨)

ولاحظ ما يلي:

أ- النملة.. والتي لا تكاد ترى بالعيس المجردة تنحلي عن «الأنا» عن الأثرة.. إلى «نحن» أى إلى «الإشارة»: لم تكن قضيتها أن تنجس من الخطر الداهم بجلدها.. وإنما همها.. نجاة أقربائها وجيرانها.

ب- وأهم من ذلك.. أنها تعتذر عن سليمان - عليه السلام - وجنوده.. الذين لو حدث منهم التحطيم.. لكان ذلك بلا قصد منهم لذلك.

ج- ولا بأس هنا أن نشير إلى أن للنمل «ساكن» هي حق الإنسان.. الذي ينبغي أن يكون له منزل يسكن إليه.. ويجد فيه راحته.

وقلت للفتيان المختلفين.. التحمسين.. وهذا تاريخكم شاهد بما كان من سلفنا الصالح.. من رعاية للأرامل.

مع الضعيف حتى يقوى

فالجزاء وإن بدا ضخماً.. إلا أنه على مستوى هذا التكافل الاجتماعي قال السعي دائم موصول.. في سبيل ناس لو أهملوا لكانوا وبالاً على المجتمع.. وقد يبرز من هؤلاء من له موهبة تسمو بها الأمة.

الأمة: التي لا تنطلق وراء ملذاتها مخلقة من ورائها بعضها.. وإنما يتوقف ركبها ليسير

يسير أضعفها.. إنها لا تنسى أفرادها في عمرة انطلاقها.. وإنما هي مع الضعيف.. حتى يقوى.. والفقير حتى يستغنى.

ويستراى الأمل في ذهن كل من خذلته الحياة في موقع ما.. ليتأكد أنه لا يعيش في هذه الدنيا وحده.. وإنما هو غصن يأسق في شجرة الخلود.. إنه في ضمان أمته سبيلاً إلى روضات الجنات.

في مجال التطبيق

لم يكن التكافل الاجتماعي حبراً على ورق.. وإنما كان واقعاً ملموساً سجله التاريخ:

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «خرجت مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى السوق فلحق عمر امرأة شابة.. فقالت: يا أمير المؤمنين: هلك زوجي وترك حبيبة صغاراً والله ما ينضحون كراعاً يعجزون عن تدبير شئوتهم، ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري وقد شهد أبي الحديبية مع النبي - ﷺ -».

فوقف معها عمر ولم يمتض ثم قال: مرحباً بنسب قريب «غفار وقريش

(١) من قفى: والمعنى: نصيبنا من القيمة. أى: أننا نتلق في خيرهما.

أقرباء.. ثم انصرف إلى يعير ظهير «قوى» معد للحاجة. كان مربوطاً في الدار فحمل عليه غرارتين «جوالين» ملأهما طعاماً وحمل بينهما نفقة وثياباً ثم ناولها بخطامه ثم قال: اقتاديه فلن يقنى حتى يأتىكم الله بخير.

فقال رجل يا أمير المؤمنين: أكثرت لها!! قال عمر: ثكلتك أمك! والله إنى لأرى أبا هذه وأخاها. قد حاصراً حصناً زماناً فافتتحاه ثم أصبحنا نستقى^(١) سهماننا فيه). فتح الباري ٧ / ٤٦٠.

ماذا في الموقف من دروس؟

والموقف حافل بالدروس التي تتقاضانا استيعابها: ومن هذه الدروس:

١ - الولد يروى عن أبيه.. وإذن: فقد كان الأبناء يعيشون داخل الدار يتلقون التوجيه من آبائهم.. ويمثلون معهم قناة من قنوات المعرفة تحمل العلم إلى الأجيال من بعدهم.. ولم يكن الأمن في مكان والوالد في مكان لا تطوله يداه.. فنشأ ناشئ الفتيان على ما كان عوده أبوه.

٢ - والموقف واحد من الدروس القيمة بما يحفل من عطات وعبر:

فالحليفة يتابع أسعار السلع في السوق .
كما يراقب الكيل والميزان .. فرارا من معاناة
الإنسان . وحماية له من جشع بعض التجار .

وكان خروجه فرصة لثل هذه المرأة التي
فقدت عائلتها .. ولو أنه عاش خلف الأبواب
والحجاب لما كان هذا اللقاء ..

٣ - وقد نجحت المرأة في استمالة الخليفة
بما ملكت من نصاعة البيان الذي كشفت به
عن واقعها الأليم .. مؤكدة أنه إذا كان من
حقنا أن نعيش .. فإن من واجبنا أن نطالب
بذلك .. وإلا .. فالحاكم غير مسئول .. إذا لم
يصل إليه صوتنا ..

٤ - ولقد كان من فقد عمر - رضى الله
عنه - أن طيب خاطرها بقوله :

أ - (مرحبا بتسب قريب) مما يرفع من
معنوياتها .. على نحو يؤكد أنها تأخذ ما
تأخذ من موطن العزة .. لا بوصف كونه
صدقة .. قد نحس معها الحرة بالانكسار !

ب - ثم بإعطائها أكرم ما عنده :

● التعبير القوي ..

● الجوابين من الدقيق .

وكان ذلك علانية خالية من عنصر الإحراج ..
ولكننا نلاحظ من أمارات فقهه ورعايته
لشاعر الإنسان : أنه جعل بين الجوابين

الدراهم والثياب .. من كل ما يخرج الآخذ لو
كان علانية ، فلم يعلنه .. وإنما دسها
خفياً .

٥ - وقبل أن تنتوه برد عمر - رضى الله
عنه - على من استكثر ذلك العطاء ..
لايسعنا إلا تسجيل إعجابنا بهذا الصحابي
الجليل .. الذي وجد في نفسه الشجاعة
الأدبية ليواجه الحاكم بما يظنه مخالفا ..
والذي قال ما قال لأنه لم يستوعب حقائق
التاريخ التي وضعتها له الخليفة .. الذي بين له
أن ما تعيش فيه الأمة اليوم من خير إنما هو من
جهاد أبيها وأخيها ..

وحين تقف الأمة معها اليوم .. فإنما رد
بعض الجميل إليها .. فضلا عن كونه رعاية
لأسر المجاهدين .. وبخاصة هذه الأرملة التي
يذكر تاريخنا أن جدها «إيماء» الغفاري كان
من استقبل الرسول ﷺ بالأبواء .. بالمدينة ..
ثم أهدى إلى النبي ﷺ مائة شاة ..
وبعيرين .. وكان أبوها «خفاف» هو الذي
أرسله أبوه بها ..

وقد وزع ﷺ الهدية .. ثم دعا للمهدى
بالبركة :

البركة التي كان من ثمراتها : ما تحصل
عليه حفيدته اليوم !!

ولقد كانت هذه هجيري (١٦) عمر - رضى

الله عنه - السعى على الأرامل .

قارورة عطر

وقد لاحظ واحد من الصحابة أنه يختلف
إلى بيت فيه امرأة !!

فدخل الصحابي وسألها عما يفعله عمر -
رضى الله عنه - وكانت : امرأة .. عجوزا :
عمياء مقعدة !

وكان ردها : إنه يخدمها . وينظف لها
بيتها .. حتى قال الصحابي :

يا ويلتى : تحسست على عمر ..

ونقول نحن :

لم يكن ذلك نجسا .. وإنما كان من تدبير
الله - عز وجل - أن تنكسر «قارورة» العطر
حتى يفوح ريحها .. وليعلم الناس كيف كان
سلفنا الصالح يطبقون الإسلام فعلا .. وليس
فقط قولاً !

وليعلموا كذلك : أن المؤرخ اليوم : قد
لا يكتب عن عالم اشتهر .. اكتفاء بما كتب
عنه .. وقد لا يكتب عن واحد من الأحياء ..

لأنه قد يغير رأيه إلا الصحابي .. فحياتهم
كلها خير .. وكلها دروس يصلح الله بها
دنيانا .

وذلك قوله ﷺ :

«أصحابي كالنجوم : فبايهم اقتديتم
اقتديتم» (١) .

أى صحابي .. وأى عمل يعمله :

ألا إننا محتاجون اليوم إلى الرجوع إلى
تاريخنا .. وعلى ضوءه تجديد حياتنا ..

إنه لا توجد أمة غلكت مثلما غلكت من تاريخ
عظيم .. يتقاضانا فقهه .. والسير على
هده ..

أما مجرد حفظ النصوص .. فلن تغني عن
الحق شيئا .. وهي شاهد يذكرنا بعلّة من علل
الإنسان وهي : رغبته الملحة في كل عمل لا
يكلفه جهدا .. ولكن ذلك لن يصل بنا إلى
تحقيق آمالنا .. وإنما الأمر على ما قيل :

وما قيل المطالب بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا !!

دعوة الإسلام إلى التخلي عن الكبر والتخلي بالتواضع

لأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ

كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ ۖ

(غافر: ٣٥)

● **ثانياً:** إن الله تعالى لا يحب كل مختال فخور، ولا يحظى بكرم الله تعالى إلا من أحبه فالتكبر بعيد عن الله، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۖ

(لقمان: ١٨)

● **ثالثاً:** يمتد خطر الكبر حتى يصل صاحبه إلى أن يستكبر عن عبادة ربه سبحانه وتعالى، فتكون نهايته جهنم وبئس القرار قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۖ

(غافر: ٦٠)

فقال: هذا - يعني عبد الله بن عمرو - زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه» (١).

ومن الآثار السيئة التي تشرتب على هذا المرض الخلقى - الكبر - ما يأتي:

● **أولاً:** إن الله تعالى يعصى قلب المتكبر، فلا يهتدى إلى الحق، ولا يفهم آيات الله تعالى، ولا يتدبر ما فيها، لأن الله تعالى طمس على قلبه عقوبة له على تكبره، وفي هذا إنذار لكل من تسول له نفسه أن يتكبر، وأن العاقبة الوخيمة لكل من يصرف عن آيات الله بسبب تكبره، قال سبحانه:

﴿سَاصِرُفٌّ عَنْ عَيْنِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۖ

(الأعراف: ١٤٦)

وقال سبحانه:

حسنة؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بظن الحق وغمط الناس (١). ومعنى بظن الحق: رده وعدم قبوله، ومعنى غمط الناس: احتقارهم وعدم احترامهم.

والكبر من صفات الله تعالى، فهو سبحانه:

﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۖ

(الحشر: ٢٣)

فالعظمة إزاره، والكبرياء رداؤه، قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «الكبرياء رداؤى، والعظمة إزارى، فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي» (٢).

والكبر يورد صاحبه موارد الهلاك، لأنه يدفعه إلى كل شر ويبعده عن كل خير، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: التقى عبد الله ابن عمرو وعبد الله بن عمرو على الصفا فتواقفا، فمضى ابن عمرو، وأقام ابن عمرو يكي، فقالوا: ما يكيك يا أبا عبد الرحمن؟

الكبر: هو استعلاء الإنسان على غيره من الناس، والتشرف على من دونه، وهو مرض خلقى، ورذيلة من أسوأ الرذائل نهى الإسلام عنها وحذر منها. قال الله تعالى:

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ

(لقمان: ١٨)

وقال سبحانه:

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَتَّخِذَ الْوُدَّ عُقْدًا ۚ

(الإسراء: ٣٧)

والصورة الواضحة في معنى الكبر، تظهر عندما يدفع المتكبر الحق ويرده، فلا يقبله، وحين يزدري الناس ويحتقرهم، ولا يحترمهم. عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله

(١) رواه مسلم والترمذى.

(٢) رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه واللفظ له.

(٣) رواه أحمد والبيهقى في شعب الإيمان.

● رابعاً: من الآثار التي تعود على التكبر غضب الله سبحانه، وسوء خاتمته حتى يلقى الله وهو عليه غضبان، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تعظم في نفسه واختال في مشيئته لقي الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان» (٤).

● خامساً: إن الله تعالى يعجل للمتكبر العقوبة ويضاعفها له حتى تصل إلى الخسف في الدنيا، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يتبختر في برده، إذ أعجبتة نفسه، فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» (٥).

● سادساً: إن التكبر يظل في جهل، وإذا علم شيئاً لا يزداد علمه، لأن كبره يمنعه أن يسأل أهل العلم، وأن يحضر مجالس العلم، وأن يستفسر عما يجهله.. وهذا على عكس الإنسان المتواضع فإنه لا يرى بأساً من أن يأخذ العلم عن العلماء وعمن هو أكبر منه وعمن هو مثله وعمن هو دونه، كما قال بعض سلفنا: «لا ينبل الرجل حتى يأخذ العلم وعمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه».

(٤) رواه الحاكم والطبراني في الكبير

(٥) رواه البخاري ومسلم

● سابعاً: ومن آثار الكبر السيئة التي تعود على صاحبه بالويل والثبور، أنه يمنع الإنسان من قبول آراء الآخرين ونصائحهم وتوجيهاتهم، فتراه يتعصب لرأيه، أو للرأي الذي يعتقده ويزعم أن ماعده من الآراء الأخرى غير صحيح، وأن رأيه هو وحده الصحيح، فيظل جامداً على رأي واحد، وفكر معين، لا يقبل غيره، ولا يقبل نصائح الآخرين.

وفي هذا التعصب ما فيه من الأضرار، التي تضيق ما وسع الله، وتمنع الخير عن الإنسان، وعمن يحيط به من إخوانه، وبني جنسه، والتعصب هو شر الآثار السيئة التي تأتي نتيجة الكبر والغرور والصلف.

أسباب التكبر

والذي يدفع الإنسان إلى رذيلة التكبر، هو ضعف إيمانه بالله تعالى إذ لو كان قوي الإيمان بالله، ما تكبر، لأنه يكون حينئذ - مؤمناً بأن الله وحده هو الكبير المتعالي، وهو العزيز الجبار المتكبر.

فأول أسباب التكبر، هو ضعف الإيمان بالله، وعدم الإيمان بالآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب، وأن الملك فيها لله الواحد القهار، قال الله تعالى:

﴿لَا يَزِيدُونَ إِلَّا خِزْيَ قُلُوبِهِمْ تُنْكَرُ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾
(النحل: ٢٢)

ومن أسباب التكبر التفاخر بالأحساب والأنساب، والله تعالى قد جعل ميزان لأفضلية بتقواه لا بالأحساب ولا بالأنساب:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾
(الحجرات: ١٣)

وعن أبي بن كعب - رضي الله عنه - أنه قال: إن رجلين تفاخرا عند النبي ﷺ، فقال أحدهما للآخر: أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة، فمن أنت لا أم لك، فقال النبي ﷺ: افتخر رجلان عند موسى - عليه السلام - فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: قل للذي افتخر: بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم (٦).

ومن أسباب التكبر أن يكون الإنسان أكثر عبادة من غيره، وكان عليه أن يدرك أن حسن الخاتمة بيد الله تعالى وحده، ولا يدري أحد من نفسه أيثبت على الطاعة أم لا، ورب معصية أورثت ذلاً وصغاراً، خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً وقد روى أن رجلاً من بني إسرائيل أتى عابداً فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له العابد: ارفع قوائله لا يغفر الله لك،

(٦) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد السنن

(٧) رواه أبو داود

فأوحى الله إليه «أيها المتألي على بل أنت لا يغفر الله لك» (٧).

ومن أسباب التكبر: المال وكثرة العرض، وعلى من بيده مال ألا يتعالى على الناس به، بل عليه أن يشكر الرزاق فيصرفه في الوجوه المشروعة، فالمال عرض زائل، وهو فتنة لصاحبه، فيكون سبب هلاكه إن طغى وتكبر بسبب المال، ويكون خيراً له إن تواضع به وأعطى حقوق العباد منه، وعليه ألا ينسى أنه من تراب وإلى تراب.

قال الشاعر:

نسى الطين ساعة أنه طين
حقير فصال تيهها وعريد
وكسا الخبز جسمه فتياهي
وحوى المال كيده فتمرد
يا أخى لا تململ بوجهك عنى
ما أنا فحمة ولا أنت فرقد
أنت في البسرة الموشاة مثلي
في كسائي الرديم تشفى وتعد
أمانى كلها من تراب
وأمانيك كلها من عسجد
وأمانى كلها للثلاثي
وأمانيك للخلود المؤكد
لا فهذي وتلك ثأني وتغضى
كذوبها وأى شئ سرمد

أنت مثلي من الثرى وإليه

فلماذا يا صاحبي التيه والصد^(٨)

وكان على صاحب المال ألا يتعالى على الناس به وألا يتفاخر ويتكاثر، بل يخرج زكاة ماله، ويتفق منه، قنم المال الصالح للرجل الصالح، فحيذا لو جعل منه صدقة جارية تبقى له بعد موته. كما قال عليه السلام: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٩).

والذي يتكبر بالمال، لا يأمن أن تزول النعمة من يده، أو يهلك ماله، فليس له أن يستعلي على الناس بالمال بل عليه أن يؤدي حق الله وحق العباد.

المنصب والجاه

ومن أسباب التكبر: المنصب والسلطان والجاه، فكثير من الناس يتغيرون في معاملاتهم إذا ولوا منصبا، ويأخذهم الصلف والغرور، ويتسولون رفقاء رحلتهم أيام التعب والخسونة، ولكن شأن كرام المؤمنين ألا تغيرهم المناصب، وألا يتسوا إخوانهم، كما قال الشاعر:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا

من كان يألّفهم في الوطن الحشن

وعلى من رأى في نفسه الاستعلاء بسبب المنصب أن يرى نفسه أصلها وأن يتخلى عن مرض الغرور، ويتحلى بالتواضع، فيها هو عسر بن الخطاب - رضي الله عنه - يخطب فيقول: أيها الناس لقد رأيتني أرعى الغنم عند خالات لي من بني مخزوم، فأقبض من التمر والزبيب، فأطّل بها يومى، فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، ما زدت على أن عبت نفسك؟ فقال له عمر: ويحك يا بن عوف، إنى خلوت بنفسى فحدثتنى، فقالت: أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها بنفسها. وها هو عمر بن عبد العزيز كان مع بعض جلسائه فاحتاج السراج إلى إصلاح فقام ليصلحه، فقالوا له: كلنا نكفيك ذلك؟ فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قمت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر، ما نقص منى شيء.

وبمثل هذا التصرف الحكيم يعالج العقلاء نزوات النفوس التي توردهم موارد

الصلف والغرور ويعالجون ضعف أنفسهم بالحكمة.

أهل العلم بين الأمس واليوم

وقد يكون العلم من أسباب التكبر عند بعض الناس، وذلك حين لا يطلبه صاحبه لوجه الله، وحين يباهى به الناس أو يتظاهر بأنه أعلم الناس وأعظم الناس، والله تعالى يقول:

﴿وَمَا أُوتِشِرْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(الإمراء: ٨٥)

وقد كان الأولى بأهل العلم أن يكونوا أكثر الناس تواضعا، لأنهم أعلم الناس بفضل التواضع، وأدري الناس بنهاية الغرور والتكبرين.

وقد كان أهل العلم من سلفنا أكثر الناس تواضعا، وقدوتهم في ذلك رسول

الله عليه السلام، الذي كان يستوقفه الرجل والعجوز والصغير والكبير في الطريق وفي كل مكان فيقف ويجيب كل سائل دون ملل أو تبرم، وكان لسلفنا الصالح نماذج عالية في هذا المضمار، رأى ابن عباس - رضي الله عنهما - زيد بن ثابت يوما يركب دابته فأخذ يركابه يقود به، فقال زيد: تتع يا بن عم رسول الله عليه السلام، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا. فقال زيد: أرني يدك، فأخرج ابن عباس يده فقبلها زيد، وقال: وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

هكذا نرى تواضع العلماء مع كبارهم، وتوقيرهم لهم وتواضع كبارهم وآل بيت النبي عليه السلام، إنها قمة التواضع والخلق الرفيع والأدب العالي العظيم.

تصويب

وقع خطأ مطبعي غير مقصود في عدد شهر المحرم ١٤٢٩ هـ بهامش ص ٩٦ في تاريخ وفاة الشاعر أحمد مخيمر - رحمه الله - وصحته: «توفي سنة ١٩٤٧ م».

(٨) الجداول «ديوان شعر إيليا أبو ماضي».

(٩) رواه مسلم والبخاري في الأدب.

المخطوطات العلمية الشارحة

أهمية المخطوطات الشارحة وأنواعها

مقدمة

الشرح في اللغة، البسط والتوسعة، شرح الشيء، يشرحه شرحاً، بسطه ووسعه يقال شرح صدره بالأمـر. قال تعالى:

﴿الَّذِي نَزَّلَ فِي صَدْرِكَ﴾

(سورة الشرح: ١)

والعرب تطلق عظم الصدر وتريد به القوة وعظيم المنة، والسرة وانبساط النفس، ويضخرون بذلك في مدائحهم، من قبل أن سعة الصدر تعطى الأحشاء فسحة للنمو والراحة، وإذا تم ذلك للمرء كان ذهنه حاضراً لا يضيق ذرعاً بأمر، ومعنى الآية الكريمة: إذا شرحنا لك صدرك فما أخرجناك من الحيرة التي كنت تضيق بها ذرعاً، بما كنت تلاقى من عناد قومك واستكبارهم عن اتباع الحق، وكنت تتلمس الطريق لهدايتهم، فهديت إلى الوسيلة التي تنقذهم بها من التهلكة، وتجنبهم الردى الذي كانوا مشرفين عليه، وقصارى ذلك: إذا أذهبنا عن نفسك جميع الهموم حتى لا تقلق ولا تضجر، وجعلناك راضى النفس، مطمئن الخاطر، وثقاً من تأييد الله ونصره، عالماً كل العلم أن الذي أرسلك لا يخذلك، ولا يعين عليك عدواً. فلقد شرحنا صدرك بما أودعنا فيه من الهدى والإيمان^(١).

ولهذا تضرع موسى إلى ربه أن يشرح له صدره ليذهب عنه الغضب، وليؤدى رسالة ربه:

﴿قَالَ رَبِّ انْشُرْ لِي صَدْرِي ۖ وَسَيَرْفَعُ أَمْرِي ۖ وَأَحْلَلْ عُقْدَتِي ۖ لَكَ ۖ يَنْفَعُ أَقْوَلُ﴾

(سورة طه: ٢٥-٢٨)

وعموماً من يكتب الله له الهداية يتسع صدره لنور الإسلام، ومن يكتب عليه الضلال يكن صدره ضيقاً شديداً الضيق، كأنه من الضيق كمن يصعد إلى مكان مرتفع بعيد الارتفاع كالسماء فتصاعد أنفاسه، ولا يستطيع شئاً:

﴿فَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُهْدِيَ يَهْدِيهِ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾

(الأنعام: ١٢٥)

وبالنسبة للكلام يقال: شرح الكلام: أوضحه وفسره وكشف غامضه وعلق عليه.

(١) العجم الوجيز، مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٩٠م - المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف القاهرة ١٩٩٥م - تفسير المرافى، مطبعة الخليل، القاهرة ١٩٤٦م.

أهمية المخطوطات الشارحة وأنواعها

جاءت الشروح في التراث العربى الإسلامى لغاية علمية بحثية تستهدف تعميق العلم وتفسيره وتطويره وتعليقه وتحليل أصوله، أو لغاية تعليمية تستهدف تبسيطه، وتسهيله وشرح غامضه، أو لنقده وتفنيد الآراء الواردة فيه وهذا ما يشرى الشرح ويجعله أحياناً ذا أهمية لا تقل بمكان عن المخطوط أو الكتاب الشروح، وربما يفوقه شهرة وأهمية واهتماماً، وأحياناً يكون للشرح شرح أو شروح نتيجة لتوالى الأفكار وتكاثرها، وهناك أيضاً شروح مختصرات ومختصرات الشروح.

وتقاس أهمية العمل الشارح بما يكشفه من تطور معرفى ومنهجى، وبمدى استقلال الشرح فى بنيته عن بنية النص^(٢).

ونذكر من أمثلة المخطوطات الشارحة التى

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا نائب رئيس جامعة القاهرة سابقاً

حققت هذه الغايات وحظيت بشروح عديدة على فترات متقاربة أو متباعدة: شروح كتاب «المجسطى» فى الفلك لبطليموس، الذى ترجم من اليونانية إلى العربية أربع مرات خلال القرنين (الثامن والتاسع م)، وقد بلغت الشروح التطويرية قيمتها على يد ابن الهيثم فى القرن (العاشر م)، ثم على يد نصير الدين الطوسى فى القرن (الثالث عشر م)، وشروح «الأصول» لأوقليدس ولعل أهمها «شرح مصادرات كتاب أوقليدس» للحسن بن الهيثم، وشرح الخازنى فى «ميزان الحكمة» مخطوطة البيرونى المفقودة عن الأوزان النوعية هناك أيضاً المخطوطات المصورة التى تتضمن رسوماً وأشكالاً توضيحية بالإضافة إلى النصوص العلمية والتقنية الشارحة: كما فى «كتاب الحيل» لأبناء موسى بن شاكر - (يوضح بالرسم والشرح الآلات وتركيبها

(٢) أعمال مؤتمر «المخطوطات الشارحة»، مكتبة الإسكندرية ٩-٧ مارس ٢٠٠٦م - د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمى الحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة، القاهرة ١٩٨٢م.

وعملها) - وكتاب «التصريف» للزهراوى (يوضح بالرسم والشرح الأدوات الجراحية المختلفة)، وكتاب «تقويم الأبدان فى تدبير الإنسان» لابن جزلة (يوضح فى جداول الأدوات الجراحية وأسبابه وعلاماته وطرق علاجه)، وكتاب «شفاء الأسقام» لعمر الشفالى (يوجد به مجموعة من صور الأعشاب والزهور مع شرح مبسط لكل منها على حدة)، وهناك «شرح قاضى زادة على الملخص فى الهيئة البسيطة» للجغمينى بالإضافة إلى شروح أخرى لعبد الرحمن السويدي، وفضل الله العبيدي، والشريف الجرجاني، ومحمد بن زادة الطيب، وكمال الدين التركمانى، ونجدد الإشارة هنا - على سبيل المثال والتوضيح - إلى أهمية ملخص الجغمينى (ت ١٣٤٤م) ككتاب تعليمي يحوى العديد من المباحث المهمة فلكياً وجغرافياً مثل كروية الأرض وحركتها وحركة الكواكب حولها، ولذلك قام العديد من العلماء بشرح هذا الكتاب واعتبروه من المصادر المهمة فى علوم الفلك والجغرافيا ومن ثم فقد ذاع وانتشر فى مختلف الأقطار الإسلامية، وذلك لدقته وشمول مباحثه، وقال

عنه العلامة نيلليو أنه أحد الكتب المهمة فى تاريخ علم الفلك العربى، وكانت دراسته شرطاً مهماً لإجازة طلاب الفلك والجغرافيا، ومن ثم يمكن اعتباره كتاباً تعليمياً أساسياً فى تاريخ العلم الإسلامى وقد ترجم هذا الكتاب إلى الألمانية سنة ١٨٩٣م^(٢).

هل يعد النظم التعليمى نصاً شارحاً؟

لقد أدى النظم التعليمي دوراً مهماً فى تيسير حفظ العلوم والمعارف بوجه عام، وسهولة تمثيلها واسترجاعها فضلاً عن أنه أسهم فى أحيان كثيرة فى الحفاظ على المعارف ذاتها ذلك أن صوغ المعارف الإنسانية فى قوالب شعرية يجعلها أكثر قابلية للحفظ والاستظهار وأكثر صوناً عن الخطأ والزلل والتحريف، حيث تحكمها قواعد محددة وتضبطها موازين دقيقة ولقد أفادت حضارات متقدمة كالحضارة الإغريقية، والحضارة الهندية، إلى جانب الحضارة الإسلامية، من المنظومات التعليمية ولعل التوسع فى هذا النظم - وهو سمة واكبت إلى حد كبير ركب الحضارة العربية الإسلامية بصفة خاصة - يفسر لنا ظاهرة الإلمام المبكر لعلماء هذه

الحضارة بعدد ليس بالقليل من العلوم والمعارف، فإنه بحفظ مجموعة من «التون» التى عادة ما كانت تشمل منظومات تعليمية، يتسنى للدارس تكوين خلفية موسوعية تؤهله - حتى فى سن مبكر - للإدلاء بدلوه فى بحر الحضارة العربية الإسلامية الزاخر^(٤).

وليس هناك من شك فى أن التعبير عن ألوان المعرفة فى قوالب شعرية رصينة يستلزم توفر شرطين لازمين: أولهما: الاستيعاب التام للمحتوى العلمى، أو المضمون، وثانيهما: القدرة على أداء المعنى بأسلوب منظوم، جيد البناء، محكم القوافى والأوزان، الأمر الذى يقتضى جمعاً بين تمكن فى العلم، وتميز فى الأدب، ويستدعى تألفاً بين دقة المعنى، وجمال التعبير، والتقيد بضوابط النظم وهذه الخصائص من شأنها أن تساعد أيضاً على حفظ النظم وسهولة استرجاعه وتداوله كلما دعت الحاجة مثال ذلك «ألفية ابن مالك» التى تساعد بالتأكيد على تمثل القاعدة النحوية عندما يحتاج إليها.

وإذا ما قبلنا - فى ضوء هذا التصور - أن

تعد المنظومات التعليمية نصواً شارحة أو على الأقل معينة على الشرح فإن علينا أن نولى هذا الجانب من النشاط الفكرى المهم فى الحضارة الإسلامية اهتماماً خاصاً يتناسب مع الثراء العظيم فى المنظومات التعليمية التى وضعها أعلام هذه الحضارة فى مختلف فروع المعرفة على اتساع مجالاتها وتعدد مصادرها - المخطوطة والمطبوعة - رغم تقديرنا لصعوبة الحصول عليها من مظانها المختلفة فى أنحاء المعمورة.

وفى مجال العلوم العقلية (الرياضية والطبيعية) بدأ النظم منذ القرن الأول للهجرة حيث ألف الأمير خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥هـ / ٧٠٤م) كتاب «فردوس الحكمة» وهو ديوان يشتمل على أكثر من ٢٣٠٠ بيت من قوافٍ مختلفة فى علم الكيمياء ومصطلحاته وتوجد له مخطوطات منتشرة فى مكتبات العالم^(٥) وأوله:

الحمد لله العلى الفرد
الواحد القهار رب الحمد
يا طالباً بصناعة الحكماء
عى (ع) منطقاً حقاً بغير خفاء
ومن هذا النوع من المنظومات التى تفوق

(١) د. جلال شوقي، العلوم العقلية فى المنظومات العربية، دراسة وثائقية وتصويرة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى سلسلة التراث العلمى العربى، الكويت ١٩٩٠م.

(٥) يقال: إن ديوان خالد بن يزيد فى الحكمة يضم ٢٩٠٢ بيتاً جمعها محمد الميقاتى سنة ١٠٣٧هـ / ١٦٢٧م.

(٢) إسهامات الحضارة العربية والإسلامية فى علوم الفلك، من واقع المخطوطات العلمية بمكتبة الأزهر، إشراف وتقديم د. أحمد فؤاد باشا، مركز توثيق التراث الحضارى والطبيعى بالتعاون مع اليونسكو ومكتبة الإسكندرية والأزهر القاهرة ٢٠٠٦م، بالعربية والإنجليزية والفرنسية.

عدة أبياتها الألف بيت فذكر على سبيل المثال «أرجوزة في الطب» وتضم ١٣٢٦ بيتاً نظمها الشيخ الرئيس ابن سينا (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م)، و«الأرجوزة في الطب» أو «رجز في الطب» وتشتمل على أكثر من ٧٧٠٠ بيت نظمها محمد بن عبد الملك بن الطغريل (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م).

أما المنظومات العربية في مختلف العلوم العقلية فمنها الألفيات وما دونها، وهناك منظومات حظيت بشروح عديدة منها: «الأرجوزة الياسمينية في علم الجبر والمقابلة» لابن الياسمين (ت ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م)، ويبلغ عددها ٥٣ بيتاً من بحر الرجز^(٦)، وهي تعرض بصفة أساسية لشرح أصول علم الجبر، واستخراج جذور معادلات الدرجة الثانية بأنواعها الستة وفيها يقول:

لما بدت لي الجذور مغلقة
نظمت في أجnasها المحففة
أرجوزة تبين ما قد أنبهم
وتوضح المشكل من تلك البهم
يا ساتلي عن صنعة الجذور

اسمع هديت أرشد الأمور
فإنها قد قسمت لستة
لضرب ثم الجمع ثم القسمة
وبعده التضعيف يتلو الطرحا
والسادس التجذير فيها أصحي
هناك أيضاً: «أرجوزة صور الكواكب» لعبد الرحمن الصوفي (ت ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م) وهو صاحب كتاب «صور الكواكب» الذي نظمت الأرجوزة من واقعه ومحتواه في ٢٤٤ بيتاً، و«القصيدة العينية في المنازل والبروج» للحسن بن الهيثم (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م) وتقع في ٧٧ بيتاً، و«نظم في البروج وما يخصها من النجوم» لعبد الله الخليلي (ت ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)، و«بغية الطلاب في علم الأسطرلاب» للحباك التلمساني (ت ٨٦٧هـ/ ١٤٦٣م)، و«منظومة في القبان» ليحيى الخزرجي الأنصاري (كتب المخطوط حوالي ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م) وغير ذلك كثير.

(٦) أصل تقاعيل بحر الرجز: مستعلن مستعلن مستعلن لكل من الصراعين.

تهنئة ودعاء

أصدر السيد الرئيس/

محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية القرار رقم (٢٩٤) لسنة ٢٠٠٧م بتعيين فضيلة الشيخ:

عبد الفتاح علي محمد علام

وكيلاً للأزهر الشريف

اعتباراً من ٢٠٠٧/١٢/٩م وحتى بلوغه السن القانونية المقررة لانتهاء الخدمة.

وأسرة مجلة الأزهر تتقدم بخالص التهنئة لفضيلة الشيخ عبد الفتاح علي محمد علام وتدعو لفضيلته أن ينفع الله به الأزهر والأمة الإسلامية إنه ربنا نعم المولى ونعم المجيب



أصدر الدكتور أحمد نظيف رئيس مجلس الوزراء القرار رقم ١٥٠ لسنة ٢٠٠٨م بتعيين فضيلة الشيخ/

علي عبد الباقي شحاتة شكر

أميناً عاماً لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بالدرجة الممتازة حتى بلوغه السن القانونية المقررة لانتهاء الخدمة.

وأسرة مجلة الأزهر تتقدم بخالص التهنئة لفضيلة

الشيخ علي عبد الباقي وتدعو لفضيلته أن ينفع الله به الأزهر والأمة الإسلامية إنه ربنا نعم المولى ونعم المجيب



﴿ فَتَشْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْئَاتُ الْقُرَاءِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.
اطلعنا على الطلب المقدم من/مجلة الأزهر المقيد برقم ١٩٤٤ لسنة ٢٠٠٧م المتضمن:

زكاة المال

● السؤال الأول :- ورد من السيد م/أ/ع

شخص فتح له والده دفتر توفير للاذخار ولما بلغ عمره عشرين عاماً أعطاه والده الدفتر، وقد كان والده لا يخرج الزكاة سنوياً عن المبالغ المودعة بالدفتر، فهل يزكى عن المبلغ مرة واحدة؟ أم يحسب الزكاة عن جميع السنوات الماضية؟

●● الجواب: تكون الزكاة على هذه المبالغ بإخراج ربع العشر على المال المودع في الدفتر الذي بلغ نصاباً وعمر عليه حول قمرى وعلى المال الذى يمر عليه حول قمرى من الأرباح كذلك، والنصاب هو نصاب الذهب، وقدره

خمسة وثمانون جراماً من الذهب من العيار واحد وعشرين، على ما هو المعمول به فى نصاب الزكاة فى النقود الورقية، وعليه فتحسب الزكاة عن كل الأحوال القمرية الماضية.

مواثيق

● السؤال الثانى :- ورد من السيد ع/م/أ

توفى رجل وترك زوجة وبنتاً وإخوة وأخوات أشقاء، ولكنه أوصى بثلاث ما ترك للفقرى، ولديه خمسة أقدنة وما زالت هذه الأرض عليها أقساط تدفع للدولة، فهل تنفذ الوصية؟ ومن يدفع بقية الأقساط؟

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتى جمهورية مصر العربية

●● الجواب: إذا كان هذه الوصية ثابتة بما ثبت به الحق قضاء أو لم تكن كذلك غير أن الورثة جميعاً مقرون بها فإنه يجب تنفيذها، ويجب إخراجها من التركة قبل توزيعها، لقوله تعالى فى معرض الكلام على أنصبة الوراثين:

﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي رُوحِي بِمَا أُوَدِّعُ ﴾

(النساء: ١١)

فإذا كانت هذه الأقدنة الخمسة هى كل التركة فإن ثلثها هى الوصية، والثلثان الباقيان هى التركة التى يمتلكها الورثة المذكورون بعد إخراج الوصية بنسبة أنصبتهم: للزوجة ثمنها «سهم من ثمانية»، وللبنات نصفها «أربعة أسهم من ثمانية» وللإخوة والأخوات الأشقاء الباقي «ثلاثة أسهم» للذكر منهم مثل حظ الأنثيين، فيدفعون ما بقى من أقساطها بهذه النسب ويخرجون ثلثها وصية

بعد أن يخصموا من الوصية ثلث الأقساط التى يدفعونها والتى تخص الثلث الموصى به، ثم يتملكونها فى النهاية بهذه النسب أيضاً.

الهبة

● السؤال الثالث :- ورد من السيد أ/خ/س

شخص يريد أن يكتب لزوجته جزءاً من أرضه وماله نظراً لأنها ساعدته كثيراً فى حياته، وليس لهما ولد، وذلك خوفاً عليها من إخوته بعد وفاته. فما الحكم فى ذلك؟

●● الجواب: يجوز للإنسان أن يتصرف

فى ملكه فى حال كمال أهليته بالبلغ والعقل والاختيار وعدم الحجر عليه أو كونه فى مرض الموت بشتى أنواع التصرفات المشروعة كما يشاء حسبما يراه محققاً للمصلحة، فإذا فعل ذلك ثم مات فإن هذه

التصرفات - سواء أكانت هبات أم تنازلات أم بيوعاً أم غير ذلك - هي عقود شرعية صحيحة نافذة يعمل بها، ولا تدخل الأشياء التي تصرف فيها بهذه العقود ضمن التركة، بل تكون حقاً خالصاً لمن كتبت له لا يشاركه فيها غيره من ورثة الميت، ولا حق لهم في المطالبة بشيء منها، وقد يختص بعض من يصيرون وراثته شيء زائد عن غيرهم لمعنى صحيح معتبر شرعاً، كمواساة في حاجة أو مرض أو بلاء أو كثرة عيال أو لضمان حظ صغار أو لكفاة على بر وإحسان أو لمزيد حب أو لمساعدة على تعليم أو زواج أو غير ذلك، ولا يكون بذلك مرتكباً للجور أو الخيف، لوجود علة التفضيل، وبهذا يعلل ما وجد من تفضيل بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم لنفر

من ورثتهم على نفر آخر، كما روى ذلك عن أبي بكر وعائشة رضي الله تعالى عنهما وغيرهما.

وعليه فلا مانع من أن يهب زوجته هذا الشيء للسبب المذكور.

● السؤال الرابع :- ورد من السيد /ع /ق /أ /

ماتت وتركت أولاد شقيقها التوفي، قبل تراث بنات الأخ في عمتهم؟ وما نصيب كل وارث؟

●● الجواب :- إذا كان الحال كما ورد بالسؤال فالتركة كلها للذكور فقط من أولاد الأخ الشقيق بالسوية بينهم تعصيباً، لعدم وجود صاحب فرض ولا عاصب أقرب، ولا شيء للإناث منهم، لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين في الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات. والله سبحانه وتعالى أعلى أعلم

بإله

الصحف

9

المجلات

إعداد

محمود الفشني

علاء عبد الرحمن

وصية الشيخ

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ أحمد بهجت في جريدة (الأهرام) بعددها الصادر في ٢١/١/٢٠٠٨ في زاوية «صندوق الدنيا» مذكراً للفرقاء في فلسطين بوصية الشيخ الذي أراد أن ينيه أولاده إلى أن في تجمعهم قوة وفي تفرقهم الضعف، وساق في بداية مقاله تلك الوصية التي قرأناها جميعاً في مطلع دراستنا ثم قال:

ذكر قادة فتح أن إسرائيل تستغل الخلافات القائمة بين الحركتين لصالحها، وقد تحولت غزوة على يد إسرائيل إلى سجن كبير لا طعام فيه ولا ماء ولا دواء؛ إنما أنهار من دماء الفلسطينيين، ووسط هذا الجحيم الذي تمسك إسرائيل بمفاتيحه لا يبقى أمام القضية إلا أن يتحد أطراف الصراع من الجانبين في محاولة أخيرة لإنقاذ الموقف، وقد توقع مسئولون معتدلون في الجانبين الوصول إلى اتفاق في حالة بدء الحوار بين فتح وحماس، ومن غير المتوقع حدوث تقدم فوري في العلاقة بين فتح وحماس، ولكن المؤكد أن التطورات الأخيرة كسرت الجليد بين الطرفين وأعادت ترميم المشاعر والعلاقات الشخصية.. الأمر الذي يمهد لحدوث تقدم في المستقبل. دعونا نأمل أن يكون المستقبل أفضل من الحاضر.

زيارة بوش والبشرى بالأمل لحياة أفضل؟

في (عقيدتي) تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ مجدى سالم في عددها الصادر في ٨/١/٢٠٠٨ قبل زيارة بوش قائلاً:

قبل أن يبدأ الرئيس الأمريكى جورج بوش زيارته لمنطقة الشرق الأوسط خرج علينا المتحدث باسم البيت الأبيض

بتصريح يؤكد فيه أن زيارة بوش للمنطقة تحمل الأمل لشعوبها التي تسعى لحياة أفضل ! هكذا وبكل بساطة مازالت الإدارة الأمريكية تواصل عمليات الاستخفاف بعقول البشر .. أى أمل يحمله جورج بوش لشعوب المنطقة التي تسعى لحياة أفضل وهو الرجل الذى حمل للبشر - ليس فى هذه المنطقة وحدها وإنما فى جميع أنحاء العالم - مشاكل توقد نيران الحرب فى كل مكان تصل إليه يده وسياساته ولنعد إلى التاريخ القريب .. ومنذ بدأ جورج بوش ولايته الأولى لنقرأ كيف أدت سياسة جورج بوش إلى إشعال الحروب والفتن وإشاعة القتل والترويع والجوع بين البشر دون تفرقة بين لون ولون .. وجنس وجنس .. أى أمل حملته سياسة جورج بوش طوال فترتي ولايته للبشر وقد أصبح العالم اليوم أكثر سخونة وتكاد الأرض تلتهب تحت أقدام من يمشون عليها .. هل أصبح العالم اليوم أكثر أمناً؟ .. دعنا من العالم كله .. ولنتساءل .. هل أصبحت أمريكا نفسها اليوم أكثر أمناً من ذى قبل؟! الجواب بالتأكيد بالنفى .. امتلأ العالم بالإرهاب والترويع .. وعدنا إلى حافة الهاوية والتهديد بقيام حرب عالمية ثالثة .. وأثمرت سياسة القوضى الخلاقة التى رفع شعارها رجال اليمين الأمريكى إلى فوضى تعجز أمريكا نفسها عن مواجهتها ..

انتشر الجوع واليأس وأصبح الأمر ينذر بخطر كبير على مستقبل البشرية .. فعل جورج بوش كل هذا وسيفعل أكثر فيمابقى له من فترة فى حكم أمريكا من أجل أنه يرى نفسه مبعوث العناية الإلهية لتخليص البشر من آلامهم .. حتى ولو بالقتل!!! .. ولنتأكد من ذلك .. انظروا لما تفعل سياساته وآثارها فى أفغانستان والعراق وفلسطين وأفريقيا .. وحتى فى أمريكا نفسها!!!

القول لبروكسل .. والفعل لتل أبيب

وكتب الأستاذ/ محمد الشماع فى مجلة (آخر ساعة) بعددها الصادر فى ٢٠٠٨/١/٢٣ عن قرار البرلمان الأوروبي بخصوص سجل حقوق الإنسان فى مصر قائلاً:

لا يتصور العديد من الدول أصحاب المصالح مع القاهرة أن تتخلى مصر عن الدور الريادى والقيادى لها فى تلك المنطقة الحساسة من العالم أو حتى خارجها؟! والذى يتمثل فى مشاركات مع العديد من قوات حفظ السلام الدولية من أجل السلام الدولى خارج حدود منطقة الشرق الأوسط، والتى تعدت السبع عشرة مشاركة فى مناطق التوتر بالعالم وبينها أوروبا نفسها؛ حيث كانت المشاركة المصرية فى البوسنة من أنزه المشاركات وأكثرها حياداً بعكس الكثير من المشاركات الأوروبية المتحازة

لأطراف الصراع من دول الاتحاد اليوغسلافى السابق .. ومصر التى تدرك كل هذه الحقائق وتدرك حجمها ودورها فى الأمن القومى العربى تنصرف بما يميله عليها حجمها ودورها ومصالحها ومصالح أمتها ولا تهتز تحت التهديد بتخفيض معونة أو بقرار اتخذته أقلية فى البرلمان الأوروبى الذى لن يضربنا قطع العلاقات معه.

ولا شيء بعد بوش سيتغير

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ محمد ابوالحديد بجريدة (الجمهورية) بعددها الصادر فى ٢٠٠٨/١/١٧ قائلاً:

جاء بوش .. ذهب بوش، ولا شيء تغير أو سيتغير .. إنه يريد أن تواصل أمريكا - بنا نحن العرب - احتلال العراق لعشر سنوات أخرى على الأقل .. ويريد أن يحارب بنا نحن العرب إيران بزعم أنها خطر علينا وعلى العالم، ولابد من مواجهته قبل قوات الأوان .. ويريد بنا الضغط على الفلسطينيين لكي يقضى نصفهم على النصف الآخر، فلا يتبقى منهم فى النهاية ما يحمل إسرائيل على أن تجلس معهم أو تقيم لهم دولة، بعد أن يصيحوا منزوعى الأسنان والسلاح .. ويريد أن يسترد منا ما دفعته أو تحملته الخزانة الأمريكية من أموال نتيجة الزيادات الرهيبة فى أسعار البترول .. ويريد منا أن نتبع النمط الأمريكى فى الحياة، وفى

الديمقراطية، و .. و .. هو يريد أن يحقق لأمريكا .. بنا وبأموالنا استراتيجيتها فى المنطقة .. وعندما نضع أمامه مطلبنا الوحيد وهو أن تمارس أمريكا الضغط على إسرائيل حتى تخلو عن الأراضى الفلسطينية وتفتح الباب لإقامة نموذج الدولتين وفقاً لرؤيته هو، يكون رده النهائى: «لا نستطيع» وفى الحقيقة .. هو .. لا يريد ..

الشجب لا يحل مشكلة غزة

فى «راى الأهرام» بعددها الصادر فى ٢٠٠٨/١/٢١ كتب المحرر عن أحداث غزة وما يجرى فيها قائلاً:

الاجتماع الطارىء مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة يجب ألا يكتفى بشجب وإدانة ما ترتكبه إسرائيل فى قطاع غزة من قتل للأبرياء ومن تعتقد أنهم كوادى المقاومة، وقطع إمدادات الوقود والكهرباء عن أبناء القطاع، بما فيها المستشفيات؟ فالشجب والإدانة والتصريحات لن تحل مشكلة شعب يموت خنقاً بالحصار، وقتلاً بالرصاص وقذائف الطائرات.

يجب أن يتخذ مجلس حقوق الإنسان إجراءً عملياً ولا يخضع لضغوط الولايات المتحدة أو ابتزاز إسرائيل، وأن يصدر قراراً لا ليس فيه بأن ما يحدث جريمة ضد الإنسانية يعاقب عليها القانون وتستوجب التدخل الدولى، ويجب أن تتوقف تل أبيب عنه

فسورا، وإلا تمت إحالة المسألة إلى مجلس الأمن باعتباره الذراع التنفيذية للأمم المتحدة ليتخذ بشأنها قرارا مقترنا بفرض عقوبات مناسبة على إسرائيل حتى تقلع عن جرائمها. صحيح أن حلفاء إسرائيل، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة، سيعوقون على الأرجح عمل مجلس الأمن وسيمنعون من اتخاذ قرار بفرض عقوبات ضدها في ضوء اعتبار واشنطن العمليات الإسرائيلية دفاعا عن النفس، لكن على الأقل سيكون قد تم قسح جرائم إسرائيل وتخاذه الولايات المتحدة وغيرها أمام المجتمع الدولي، الأمر الذي يشكل على الأقل ضغوطا معنوية عليهما أمام شعوب العالم وشعوبهما.

الهدف.. الحقيقي!!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ هشام عبدالرؤوف في جريدة (المساء) الصادرة في ٢٠٠٨/١/٢٠ يقول:

مرت فترة وحتى الآن... وأنا أحاول فهم الهدف الحقيقي من المؤتمر الذي عقدته منظمة اليونسكو مؤخرا حول المسجد الأقصى في مدينة القدس المحتلة.

ومثل هذا المؤتمر لا ينبغي أن نتظر منه خيرا... فهو يعقد في المدينة المقدسة التي تروّج تحت الاحتلال الإسرائيلي.. وفي الوقت نفسه فقد امتد النفوذ اليهودي إلى تلك المؤسسة الثقافية والتراثية العالمية.

لكن ما يلفت النظر حقا هو مشاركة مجموعة من الخبراء الأردنيين في هذا المؤتمر أو الاجتماع أو المنتدى.. لا أحد يعرف اسمه بالضبط. وفي هذه المشاركة تقدم الخبراء الأردنيون بتصميم لجسر يؤدي إلى باب المغاربة وهو أحد أبواب الحرم القدسي الشريف والذي تقسم إسرائيل بإجراء حفريات حوله وتحت بما يمكن أن يؤدي إلى انهياره. وقال الخبراء الأردنيون: إن هذا التصميم يراعي الطابع الإسلامي والثقافي للمنطقة!! وهذا أمر غريب بل يمثل كارثة.. فالحفريات كما حذرت أكثر من مؤسسة إسلامية في القدس.. ومن واقع ما ورد في الصحافة الإسرائيلية تهدف إلى إقامة جسر يساعد اليهود على الدخول بشكل سريع ومباشر إلى ساحة الحرم الشريف. وبمعنى آخر فإن هذا التصميم يعني ببساطة أن دخولهم سيكون عبر جسر يحمل الطابع الإسلامي!!

وكنا نظن أن هؤلاء «الخبراء» قد حضروا لتوضيح مخاطر المؤامرة الإسرائيلية على هذا المعلم المهم والذي يعتبر من عيون التراث الإنساني الجديرة بالحماية. إنه مؤتمر مشبوه يصب في مصلحة إسرائيل بكل تأكيد وعلينا أن نذكر في النهاية أن المسجد الأقصى هو الملف الرئيسي في الصراع وأن إسرائيل تسعى لهدمه من أجل إقامة الهيكل

المزعوم وعلينا التصدي لهذه المؤامرة.. لا أن نكون جزءا منها. وللعلم.. فقد دس وزير الأمن الداخلي الصهيوني وعدد من ضباط الاحتلال حرم المسجد الأقصى أثناء انعقاد هذا المؤتمر!!..

الأمم المتحدة الأمريكية!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ فرحات حسام الدين في جريدة الاهرام الصادرة في ٢٠٠٨/١/٢٢ يقول:

تزامن دفاع جون هولمز مساعد الأمين العام للأمم المتحدة للشئون الإنسانية عن حق إسرائيل في الدفاع عن النفس والرد على التهديدات الأمنية الفلسطينية مع إعلان الإدارة الأمريكية على لسان شون ماكورماك المتحدث باسم الخارجية الأمريكية، رفضها توجيه أي انتقادات إلى إسرائيل بسبب اغتازر التي ارتكبتها -ولا تزال- ترتكبتها ضد الشعب الفلسطيني في غزة وإحكام الحصار عليها بضوء أخضر من الرئيس الأمريكي جورج بوش، قبل أن يغادر المنطقة. وقد عمق هذا التزام والتطابق في وجهة نظر مسئول الأمم المتحدة والإدارة الأمريكية من جديد الإحساس لدى الفلسطينيين والعرب والعالم بأن الأمم المتحدة لا تزال وستبقى تابعة للولايات المتحدة وكأنها إحدى إدارات الخارجية الأمريكية، حيث بدا ذلك واضحا في تأكيد

هولمز وماكورماك وجهة النظر الأمريكية السائدة والتحايزة لإسرائيل على طول الخط. فواشنطن بعد أن أصبحت القطب الأوحده، تفرض على الأمم المتحدة أن تنفذ توجيهاتها وتنتهي بنواهيها، وإذا لم تفعل المنظمة ذلك فلا تنفذ أمريكا من القرارات الدولية إلا ما يتفق مع سياستها، أي أن الولايات المتحدة تريد أن يحدث تداخل بينها وبين الأمم المتحدة حتى أطلق البعض على المنظمة الدولية في بعض قراراتها «الأمم المتحدة الأمريكية». ولأن الدكتور بطرس غالي الأمين العام الأسبق أصر على إعلان نتائج تحقيق الأمم المتحدة حول مذبحه «قانا» التي أكدت مسئولية جيش الاحتلال عنها ومقتل ١٠٠ مدني لبناني، رفضت واشنطن التجديد له وأصرت على الإطاحة به، وحتى لا يلقي كسوف أنان الأمين العام السابق للمنظمة ورجل أمريكا الذي اختارته على هواها مصير غالي سارع بالامتنال لتعليمات الإدارة الأمريكية وضغوط إسرائيل بحل لجنة التحقيق الدولية في مذبحه «جنين»، وسحب موظفي ومفتشي المنظمة من العراق إيذانا ببداية الحرب على بغداد التي أكدت واشنطن خلالها تجاهلها للأمم المتحدة لعدم تمريرها مشروعات القرارات الأمريكية وفقا لمصالحها وسياستها باعتبارها «الأمم المتحدة الأمريكية»!

دور الخطاب الإسلامي في إشاعة مفاهيم العدل والسلام

٢

- من الضروري استحضار البعد العالي في الخطاب القرآني باعتباره أصلاً يستمد منه الخطاب الإسلامي مادته وأسلوبه.
- إشاعة روح التفاضل المرتكز على الإيجابيات في الخطاب الإسلامي.
- إنشاء قناة فضائية باللغات الحية توضح حقائق الإسلام وتركز على إبراز معالم الحضارة الإسلامية.

مؤتمر مكة الثامن والذي عقد بمقر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة قبيل عيد الأضحى مباشرة وطوال جلساته الخمس والتي شارك فيها كتاب ومفكرون من علماء المسلمين من كل البلاد الإسلامية أبرز من خلال المناقشات أن المقصود بمعالجة «الخطاب الإسلامي»، لا يعني أن يقوم الناس بتغيير أحكام هذا الدين، أو يتعرضون لأسس الإسلام وأحكامه القطعية، لأن هذه القضايا من عند الله سبحانه وتعالى، والبشر عليهم أن يدعئوا ويستسلموا لأحكامه، وأن يعملوا على تطبيقها في مختلف قضاياهم، سواء كانت قضايا عامة أو قضايا خاصة.

والبحوث التي نوقشت كان من بينها «الخطاب الإسلامي سماته وأهدافه» للدكتور سعيد بن حارب المهدي، و«المشكلات التي تواجه الخطاب الإسلامي القصور الذاتي» للدكتور عبدالكريم محمد بكار... والخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول للدكتور عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، وبحث للدكتور جعفر عبدالسلام بعنوان «موقف الآخرين من الخطاب الإسلامي - الأسباب والعلاج» و«جوانب من مشكلات الخطاب الإسلامي» للدكتور محمد الحبيب الهيلة هذه البحوث القيمة والتي تحتاج لمؤتمرات وليس لمؤتمر واحد، تتناول بالفعل المشكلات التي تواجه الخطاب الإسلامي. وتناقش الخطاب الإسلامي بين الرفض والتسليم، و«الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول» لا تخفى أهميته كما يقول الدكتور عبدالله الرحيلي الأستاذ

بجامعة طيبة بالمدينة المنورة في بداية بحثه: إن هذا الموضوع لا تخفى أهميته على المعنيين بالإصلاح اليوم، والمستغلين بالعلاقات والتواصل وإن اختلفت الرؤى. إن استقرار ورصد الخطاب الإسلامي، يحتاج إلى جهد كبير، وإلى دراسة مسحية لأدبيات أصحاب هذا الخطاب على اختلاف مناهجهم ومشاربهم وأطروحاتهم، وذلك بعد تفعيد القواعد المنهجية التي ينبغي الأحكام إليها وتطبيقها بهذا الخصوص.

ومن خصائص الخطاب أنه لا تحده حدود لتحصره في منحنى خاص من مناحي الحياة، كما أنه توجد علاقة وثيقة بين الخطاب والسلوك، وبين القول والفعل، وبين البرامح والأهداف.

تناول البحث النشاط الثقافي والفكري وقضايا العلاقات، وأنماط التواصل مع الآخرين، وما تستلزمه من أفعال وتصرفات وأنشطة.

وإذا كان البشر عامة يحتاجون إلى

رسالة مكة من عاطف مصطفى

التواصل فيما بينهم، فإن حاجة المسلمين لذلك أولى وأشد، فإنهم أصحاب الرسالة الخاتمة التي أمر الله باستفاضة البلاغ بها.

والخطاب بمفهومه الشامل هو أهم وسائل هذه الاستفاضة، ومن هنا كان للمسلمين مسلكهم الخاص في خطابهم، ذلك الخطاب الذي لا ينحصر في مخاطبة الآخر غير المسلم، بل يشمل كذلك الخطاب الإسلامي تجاه المسلم.

ويؤكد البحث على كشف النقاب عن واقع الخطاب الإسلامي، ومدى ملاءمته للمطلوب شرعاً، ومدى التزامه بهدى الكتاب والسنة في هذا الباب ومن هنا تعرض البحث إلى أصناف الخطاب الإسلامي وهي ثلاثة:

أولاً: الصنف الذي التزم منهج الغلو في



التكفير والتبديع والهجر، فخرج بذلك عن دائرة الفقه الإسلامي الصحيح.

ثانياً: هو الذى التزم منهج المعارضة والنقد للخطاب الإسلامى بشتى أنواعه من منطلق الاعتراض على الخطاب الإسلامى، من حيث هو خطاب إسلامى، بغية الإساءة إليه، ولكن بأسلوب غير مباشر قد يؤثر فى كثير من المسلمين.

ثالثاً: الصنف الذى التزم منهج الوسيلة والاعتدال، وفق دلالات الكتاب والسنة، وجمع بين التماسيل الشرعى والمعاصرة المتضبطة بضوابط الشرع.

وقد ركز البحث على الصنف الأول، لأنه هو الذى له أثاره السلبية على الخطاب الإسلامى، فبين جملة من المنزلقات التى وقع

فيها بعض القائمين بالخطاب الإسلامى، وأورد البحث كذلك أمثلة ونماذج من تطبيقات منهج الصنف الأول، وذلك فى التقديم والحديث مع مناقشة موضوعية لها وتعليقات تهدف إلى بيان الحق والصواب.

ثم خُصص البحث إلى إبراد نماذج من معالم الخطاب النبوى، من خلال أحاديث النبى ﷺ، سواء ما تعلق منها بصورة مباشرة بمسئولية الكلمة وأمانتها، أو ما كان فيه مخاطبة للمسلمين وغير المسلمين من الموافقين والختالفين، أو ما اشتمل على مكاتبات الرسول للمسلمين وغيرهم وذلك بغية التعرف على منهجه فى الخطاب واستخراج القواعد والآداب المتعلقة بذلك، مما ينبغى للمسلمين مراعاته بدقة فى خطابهم، حتى ينالوا السعادة فى الدنيا، والنجاة فى الآخرة.

ذلكم هو منهج الحرص على خير الناس جميعاً، ونجاتهم من النار، ودفع الضرر عنهم، وجلب المصلحة لهم، وتكريمهم ورحمتهم بهم والإحسان إليهم ودفع سوء الإحسان، مما يقلب العدو إلى صديق حميم.

أشار الدكتور عبد الله الرحيلى إلى عدة نقاط حول نتائج الخطاب النبوى الكريم وأثاره الحسنة فى الآخرين ما يلى:

١- بيان هدى الإسلام فى الخطاب والعلاقة والتعامل والحوار والتواصل.

٢- تقرير الأسس الشرعية للخطاب الإسلامى.

٣- تشريع منهج الخطاب الإسلامى للأمة.

٤- قوة التأثير الحسن فى مخاطبين وفق ذلك المنهج القديم.

٥- تأليف قلوب الناس على الإسلام وعلى الخير.

٦- تخفيف عداوة الخصوم وتحييد شرهم.

٧- التعامل مع الخصوم ومع غير المسلمين بعيد نظر تحسب فيه مصلحة الأمة.

٨- تربية المسلمين على منهج الخطاب النبوى، وضرب المثل والقدوة الحسنة.

٩- خلو الروايات من أى أثر سلبى للخطاب النبوى فى أى من الناس وهذه بشرى عظيمة لمن كان له قلب أو ألقى السمع

وهو شهيد.

كما أورد البحث جملة من الآداب والقواعد الأساسية المتعلقة بالخطاب الإسلامى منها:

- أنزل الله هذا الدين العظيم لينعم الناس جميعاً بخيره، وكلف الله المسلمين بدعوة غيرهم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن قوة فى الحجة وجمالاً فى الأسلوب.

- مهمة المسلمين العرض لا الغرض، وعدم الإكراه فى الدين من الأحكام الأساسية المعلومة من الدين بالضرورة.

- اشتمل الرضى من كتاب وسنة على منهج الخطاب الإسلامى وأسس وقواعده وآدابه، والواجب الاهتداء بذلك والوقوف على دلالاته ومقاصده.

- لكل حال ومقام حكم ومقال، فقه حال السلم يختلف عن فقه حال الحرب، ولا يجوز الخلط بين الأمرين، أو الخطأ فى تطبيق أحكام حال على آخر.

- يجب أن نراعى فى منهج الخطاب الإسلامى قاعدة تحقيق المصالح وتكميلها ودرء المفاسد.

- باب الاجتهاد فى الدين يضوابطه الشرعية مفتوح، وعلى الخطاب الإسلامى مراعاة ذلك بدقة بالغة.

كما تعرض البحث إلى بعض سمات

الخطاب الإسلامي الأصيل من خلال استقراء نصوص الكتاب والسنة، مثل جمعه بين الصدق والحق، وقوة الحجّة وبين جمال الأسلوب وسمو العبارة.. والعناية بتصحيح الأخطاء وتقويم السلوك، بدل الوقوف عند إصدار الأحكام على الناس والأمر بالصبر والتقوى والعدل والإحسان، والدعوة إلى لين الجانب وطيب الكلام وحسن المعشر.

الخلط في المفاهيم

وعلى هامش المؤتمر والجلسات عقد الأمين العام معالي الدكتور عبدالله بن عبدالحسن التركي مؤتمراً صحفياً حيث دعا من يتصدون إلى الخطاب الإسلامي إلى عدم الخوض في مجالات ليست من اختصاصهم.. مشيراً إلى المتبعين للخطاب الإسلامي يرصدون مثل هذه الخطابات التي فيها خروج عن الطريق السوي، ويأخذون منها فكرة أن الإسلام يعادي الآخرين، وأنه لا يريد التعاون مع الأمم الأخرى مشيراً إلى أن كثيراً من الأبحاث والدراسات والتقارير التي تصدر في العالم الغربي بالذات عن الإسلام والمسلمين لا تتبع إلا مثل هذه الخطابات التي فيها تطرف وتشدد، أو الآراء التي تميل إلى القسوة، ولا ينظرون - للأسف الشديد - إلى الغالبية من المسلمين الذين يسبغون على الطريق الصحيح. وحذر الدكتور التركي الذين يتصدون



عبدالله تركي

للخطاب الإسلامي من الخلط في مفاهيم بعض الأمور، مثل الجهاد وأحكامه ومشروعيته. وما يتعلق بالولاء البراء، وما يتعلق بعلاقة المسلمين مع

الآخر، ودار الإسلام ودار الكفر، وقصة الهجرة، وقضية الإقامة في غير بلاد المسلمين، ومشكلات الأقليات الإسلامية، وما يتعلق بالمرأة والأحكام التي تخصها، وحقوق الإنسان.

وأوضح معاليه أنه كلما كان خطاب المسلمين خطاباً معتدلاً ومتكاملاً ومراعياً للمصالح، كلما كان في ذلك خير للإسلام والعالم الآخر، لاسيما وأن هناك فئة واسعة من الناس ترغب في التعاون مع المسلمين.

التعريف بمبادئ الإسلام

البحوث التي ناقشها المشاركون في مؤتمر مكة الثامن استنكرت الخطاب الذي ينشر الدعاية السوداء ضد الإسلام والمسلمين، وينفث سموم التشويه والسياب والتحريف لدينهم، ويلصق ظلماً واعتسافاً بهم الإرهاب والوحشية بهم، ويذكي روح الكراهية والعداء لهم، ويضعهم ودينهم العظيم في قفص الاتهام وأكد المشاركون في المؤتمر على

أن هذا الخطاب الذي شذ عن القيم الإنسانية، ونجّاهل آداب العلاقات بين الأمم عمل على طمس مبادئ الحق والعدالة والسلام والأمن والمساواة والحرية والكرامة والتعاون وغيرها من المبادئ السامية التي يتشدها الخطاب الإسلامي في مهمته بالتعريف بمبادئ الإسلام، وإشاعته لمفاهيم العدل والسلام والتعاون والتعايش بين البشر.

وأكدوا على أن الخطاب الشاذ الذي تعلو نبرته للنيل من الإسلام وحامل رسالته ﷺ، والافتراء على كتاب الله الكريم، لن يزيد الإسلام ودعوته إلا قوة وصلابة، لأن الدين محفوظ بحفظ الله لكتابه كما يقول تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

الحوار واجب ديني

وبعد مناقشات مستفيضة في خمس جلسات على مدى يومين ومحاضرات مصاحبة لفعاليات المؤتمر من بينها محاضرة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ المفتي العام للمملكة العربية السعودية بعنوان «المرأة ومكانتها في الإسلام» ومحاضرة أخرى للدكتور عصام البشير الأمين العام للمركز العالمي للوساطة عن «الخطاب الإسلامي» مسارات الحاضر ودروب المستقبل وقد ألقى الدكتور أحمد بن نافع المورعي

رئيس اللجنة العلمية للمؤتمر في الجلسة الختامية بيان المؤتمر وتوصياته.

حيث أشار إلى أن مؤتمر مكة المكرمة الثامن للعام ١٤٢٨ هـ تحت عنوان «الخطاب الإسلامي وإشكالات العصر» والذي بدأ أعماله في ١٢/٦/١٤٢٨ هـ الموافق ١٥/١٢/٢٠٠٧ م انعقد في ظل أهم سمات الخطاب الإسلامي، وأبرزها ما يلي:

١- الخطاب الإسلامي ذو مرجعية شرعية، يتميز عن غيره من الخطابات بهذه المرجعية التي تحقق له سلامة الهدف ونيل الغاية.

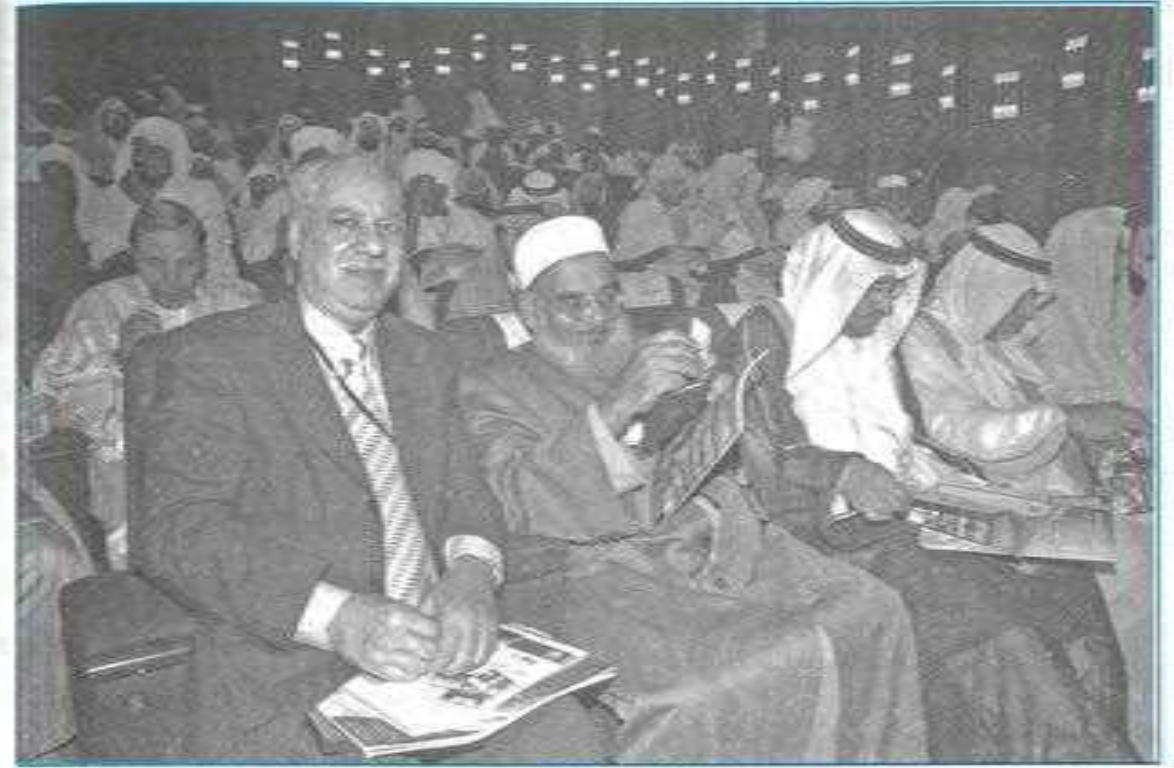
٢- الخطاب الإسلامي خطاب عقدي ينطلق من التعريف بالعقيدة وحمياتها والدفاع عنها، ولذلك لا بد أن يكون للعقيدة أثر قوي فيه.

٣- الخطاب الإسلامي خطاب بشري معبر عن فهم المسلمين للنصوص والأحكام الشرعية، ولا بد من النظر إليه باعتباره فكراً إنسانياً لا بد من مراجعته وتقويمه.

٤- أيضاً هو خطاب وسطي معتدل، ينبذ الانفعال والانسياق وراء ردود الأفعال، ويتلاءم مع مهمة أمة الوسط.

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

البقرة: ١٤٣



٥- والخطاب الإسلامي أيضا خطاب

حضاري، يبرز حالة الشهود الحضاري للأمة من خلال مشاركتها مع الآخرين في وضع الحضارة القائمة على العدل والحق والخير.

الخطاب الإسلامي وإشاعة روح التفاؤل

وقد توصل المؤتمر إلى ثلاث عشرة توصية من بينها:

١- يؤكد مؤتمر مكة المكرمة على أن الإسلام دعا منذ ظهوره إلى الحوار بين الحضارات، وقد اتخذ النبي ﷺ من العقل والحكمة والمجادلة بالحسنى أساساً ومنهاجا لحوار المخالفين، ودعوتهم إلى الإسلام استجابة

٢- دعوة الجامعات الإسلامية لإبراز منهج الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، في الدعوة إلى الله والحوار مع المخالفين وما يجب لهم من التوفيق، بما يتناسب مع منزلتهم ومكانتهم عند الله - عز وجل -، وإبراز جملة من صفاتهم التي أكرمهم الله تعالى بها.

٣- دعوة الجامعات والعلماء والدعاة إلى العناية بشباب الأمة وتنويعتهم وتربيتهم على المنهاج الصحيح، وتحذيرهم من الإقدام على الفتيان غير أهلية شرعية.

٤- نظراً إلى أن الخطاب الإسلامي يعبر عن الإسلام وهو رسالة عالمية، فإن مما ينبغي العناية به:

- استحضار البعد العالمي في الخطاب القرآني، باعتباره أصلاً يستمد منه الخطاب الإسلامي مادته وأسلوبه.

- تناول أبرز مشكلات الواقع الإنساني في إطاره العالمي مع ملاحظة الفروق بين ما هو مشترك إنسانياً، وما هو خصوصية حضارية.

- العناية بالمقاصد الشرعية للخطاب الإسلامي التي تؤكد عالمية الإسلام وتبرز قيمه بوصفه منهاج حياة، يقدر الاختلاف والتنوع بين البشر.

- مراعاة الخصوصية الثقافية لغير المسلمين عند توجيه الخطاب إليهم.

- إشاعة روح التسامح المتكسر على الإيجابيات في الخطاب الإسلامي.

- توظيف وسائل الإعلام واستغلال تقنية وسائل الاتصالات الحديثة للوصول إلى

الآخرين وتعريفهم بطبيعة الدين الإسلامي. وكان من بين التوصيات المهمة للمؤتمر أيضاً وبهدف تفعيل الخطاب الإسلامي في عصرنا. التواصل المستمر مع المؤسسات الإسلامية داخل المجتمعات الغربية ودعمها، والتواصل مع المنصفين من غير المسلمين، من المؤسسات والعلماء، وإقامة المؤتمرات والندوات الإسلامية الدولية، ودعوة المختصين من غير المسلمين لحضورها والمشاركة فيها.

كما تضمنت التوصيات دعوة رابطة العالم الإسلامي لإنشاء قناة فضائية باللغات الحية لكي توضح للرأي العام حقائق الإسلام وحضارته، والتركيز على إبراز معالم الحضارة الإسلامية، فضلاً عن المطالبة بتضامن العالم الإسلامي، في مواجهة الغزو الذي يستهدف هويته وثقافته واقتصاده باسم «العلمانية» و«العولمة» و«النظام العالمي الجديد».

والخطاب الإسلامي هو القناة التي تنفذ من خلالها الدعوة إلى الإسلام والتعريف به ونشر تعاليمه بين الناس.

والأمل أن يكون هذا الخطاب رائداً يرتقي بالمستوى الفكري والسلوكي العام للأمة وينقيها من بذور التطرف والغلو.



ظرائف.. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مجاهدة النفس

قال رسول الله - ﷺ : «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب» (١).
وقال عون بن عبد الله: إذا عصت نفسك فيما كرهت، فلا تطعها فيما أحبت، ولا يغررك ثناء من جهل أمرك.
وقال الأحنف بن قيس: من ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدم دينه كان مخدعه أهدم.
وقال بعض الحكماء: من رضى عن نفسه أسخط الناس عليه.
وقال آخر: من قوى على نفسه تناهى في القوة، ومن صبر عن شهوته بالغ في المروءة.

قوة معاوية وحلمه

مرض معاوية بن أبي سفيان مرضاً شديداً فأرجف مصقلة بن هبيرة، وساعده قوم على ذلك، ثم تماثل وهم في إرجافهم.

فحمل زياد مصقلة إلى معاوية وكتب إليه أنه يرجف به ويسلط أقواماً على أن يحذو حذوه، وذلك ليرى رأيه فيه. فلما دخل مصقلة على معاوية قال له ادن مني. فلما دنا منه أخذ بيده فجذبه فسقط مصقلة على الأرض. فقال معاوية:
أبقى الحوادث من خلتي
ملك مثل جندلة المراجع
صلياً إذا خاب الرجاء
لأبلى ممسح الشكائم
فقد رامت الأعداء قب
ملك فاستنعت من المظالم
فقال له مصقلة: يا أمير المؤمنين قد أبقي الله منك ما هو أعظم من ذلك حلماً وكلاً ومرعى لأولياك، ومما ناقعاً لأعدائك. كانت الجاهلية فكان أبوك سيد المشركين، وأصبح الناس مسلمين، وأنت أمير

المؤمنين.

ثم نهض مصقلة، فوصله معاوية (أي أعطاه صلة): وأذن له في الانصراف إلى الكوفة. فقليل له كيف تركت معاوية؟ فقال: زعمتم أنه لما به، والله لقد غمزني غمزة كاد يحطمني وجذبتني جذبة كاد يكسر عظامي مني.

حكم منشورة

قال حكيم: إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو شكراً للقدره عليه.
قيمة كل امرئ ما يحسنه. وقال الحسن محمد بن لنكك البصري:
عدياً في زماننا
عن حديث الكرام
من كفى الناس شره
في قهر في جود حاتم
وقال أبو الطيب المتنبي:
إنما لقى زمن ترك القسبيح به
من أكثر الناس إحسان وإجمال

موعظة بليغة

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - : رحم الله عبداً سمع قوعى، ودعى إلى الرشاد فدنا، وأخذ بحجرة هاد فتجأ، وراقب ربه، وخاف ذنبه، وقدم خالصاً وعمل صالحاً، واكتسب مذكوراً، واجتنب محذوراً،

ورمى غرضاً، وأصاب عوضاً، وكابر هواه، وكذب مناه، وحذر أجلاً، وأدب عملاً، وجعل الصبر رغبة حياته، والتقى عدة وفاته، يظهر دون ما يكتف، ويكتفى بأقل مما يعلم، لزم الطريقة الغراء، والمحنة البيضاء، واغتتم المهل، وبادر الأجل، وتزود من العمل!

الحجاب

قال أبو مسهر: أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان فحجبتني فكتبت إليه:
إني أتيت للتسليم أمس فلم تأذن عليك لي الأستار والحجب
وقد علمت بأنني لم أرد ولا والله ما راد إلا العلم والأدب
قال فأجابني ابن عبد كان بقوله:
لو كنت كافيت بالحسنى لقلت كما
قال ابن أوس وقيسما قاله أدب
ليس الحجاب بمقص منك يا أملي
إن السماء ترجى حين تحتجب
ووقف بباب محمد بن منصور رجل من خاصته فحجب عنه فكتب إليه:
على أي باب أطلب الإذن بعد ما حجبت علي باب الذي أنا حاجبه
ووقف أبو العتاهية الشاعر المشهور إلى باب بعض الهاشميين، فطلب الإذن، فقليل له تكون لك عودة فقال:

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/٦٠٤.

السؤال عن العلم

• قال علي بن أبي طالب: قرنت الهيبية بالحية، والحياء بالحرمات. والحكمة ضالة المؤمن.

• قال الحسن البصري: من استتر عن الطلب بالحياء ليس للجهل سر باله.

• قال الخليل بن أحمد: منزلة الجهل بين الحياء والأنفة.

• وكان ذوو الحجى من حكماء الأمة يقولون: إذا جلست إلى عالم فسل تفقها، ولا تسل تعتنا.

المهابة

أحسن ما قيل في التهيب قول الشاعر:

بنفسي من لو سر برد بناته
على كبدي كانت شفاء أنامله
ومن هابني في كل شيء وهبته
فلا هو يعطيني ولا أنا مائله

وقال آخر:

أهابني يافتي دين ودينا
ومن هو في الباب من الباب
أهابك أن أبوح بذات نفسي
وتركي للعقاب من العباب

دعاء

اللهم أعطني من الخلم أجمعه، ومن العلم أنفعه ومن الرزق أوسع، واجعلني من عبادة الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.

لئن عدت بعد اليوم إنى لظالم

سأصرف وجهي حيث تبغى المكارم
منى يظفر الغادى إليك بحاجة
وتصفك محجوب وتصفك نائم

الحرب

قيل لعنترة: صف لنا الحرب. فقال: أولها شكوى، وأوسطها نجوى، وآخرها بلوى.

وقال ابن عدي: مؤلف العقد الفريد: هي رحي ثقالها الصبر، وقطبها المكر، ومدارها الاجتهاد، وزمامها الحذر. ولكل شيء من هذه ثمرة، فثمرة المكر الظفر، وثمررة الصبر التأيد، وثمررة الاجتهاد التوفيق، وثمررة الحذر السلامة، ولكل مقام مقال، ولكل زمان رجال، والحرب بين الناس سجال، والرأى فيها أبلغ من القتال.

وسأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الفارس المغوار عمرو بن معد يكرب أن يصف له الحرب، فقال: مرة المذاق، إذا كشفت عن ساق، من صبر فيها عرف، ومن نكل عنها تلف. ثم أنشد:

الحرب أول ما تكون فتية
تسعى بزيبتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشب ضرامها
عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جرت رأسها وتنكرت
مكروهة للثم والتفصيل

ذكريات

إسلامية

لتنمية

الذاكرة

٢

المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف

إننا نعتقد أن ارتباط الأعمال بالنية (أى بالإرادة) هو مناط الثواب والعقاب، وقد أخذ بهذه القاعدة الإسلامية الكثير من القوانين الحديثة والمعاصرة في العالم حيث يرتبط فيها الجزاء بمدى دور الإرادة في تنقية الفعل أكثر من نتيجته ويسمون النية هنا (سبق الإصرار).

أما إذا أرجعنا كل سيئة تركبها إلى الشيطان اللعين فما هي إذن مسئوليتنا نحن؟ ثم ألا يدل هذا على ضعف الإيمان حيث إن الإرادة والإيمان تتلازمان قوة وضعفا؟ ومن هنا يقول النبي ﷺ: (المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف) (١).

وهكذا فإننا لا نلتمس الأعذار لأهل التفاف بحجة أنهم - وأمثالهم - ضحايا إبليس الرحيم، لأن الله - عز وجل - قد من علينا - في مقبل الضعف أمام الغريات - بعقل يعقل شهواتنا ويكبح سلوكياتنا، ولذلك يقول رسول الله ﷺ: (إياك وكل أمر يعتز منه) (٢) أى أن المرء ينبغي - قبل أن يقدم على عمل ما - أن يقلب وجوه الأمر، وجوانب المسألة حتى لا يأتي بخطأ يضطر بعده إلى الاعتذار منه أمام نفسه وأمام الناس، وحتى يقدم على العمل وقد بحث كل ما يرتبط به من محافير ومعايير متوكلا على الحى الذى لا يموت واتقوا من إيمانه به - عز وجل - فإذا قبل الإنسان لرجله قبل الخطر موضعها أقدم وشكر أما إذا أراد الحق - سبحانه - غير ما يريد العبد، رضى وصبر، لأن الله يعلم وأنتم لا تعلمون، ولأنه سبحانه القائل:

﴿ قَسَىَٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۚ ﴾

(النساء: ١٩)

أما اعتماد ارتكاب الوزر بكامل الإرادة وتتمام الرغبة فإن الجزاء دائما من جنس العمل.

للاستاذ / محمد مصطفى البسيونى

(١) رواه مسلم: كنز الحقائق للإمام التاوى.

(٢) القضاة عن انس (الجامع الصغير).

وكان ابن سلول هذا من بنى عوف بن الحزرج وكان كما أسلفنا رأس المنافقين واليه كانوا يجتمعون وهو الذي قال:

﴿لَيْتَ رَجَعْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنِي الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾

(النافقون ٨)

وذلك في «عزوة بنى المصطلق»، وفي قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بأسرها، كما كان هو ورهطه يرسلون يهود بنى النضير سرا حين حاصرهم رسول الله ﷺ محرضين لهم على الثبات فقتلهم لهم:

فوالله لئن أخرجتم لخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لتنصرنكم فأنزل الله تعالى فيهم:

﴿الَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ﴾

﴿الَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ﴾

(الحشر ١١)

ثم تواصل الآيات تكذيب هؤلاء المنافقين وكشفهم أمام أنفسهم وأمام الناس إلى قوله تعالى:

﴿كُنْ لِلْإِنسَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

(الحشر ١٦)

ولقد جاء في السيرة (١٦): إنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وكان عبد الله بن أبي بن سلول له مقام يقومه كل

جمعة لا يتكر شرفا له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفا إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: «أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله به، وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا»، ثم يجلس، حتى إذا صنع يوم أحد، ما صنع ورجع بالناس قام بفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بشيابه من نواحيه وقالوا: اجلس أي عبد الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بجرا (١٤) أن قمت أشدد أمره، فلقبه رجل من الأنصار بباب المسجد فقال: مالك وبلك؟! قال: قمت أشدد أمره فوثب علي رجال من أصحابه يجيدونني (١٥) ويعفونني لكأنما قلت بجرا أن قمت أشدد أمره، قال: وبلك أرجع يستغفر لك رسول الله ﷺ، قال: والله ما ابتغى أن يستغفر لي. (١٦)

عصاة النفاق

ولم يكن عبد الله بن أبي بن سلول وحده هو المنافق الوحيد الذي واجه الحيفية السمحاء بالغدر الخفي والحقد للستور ولكنه كان علما شاعها على عصاة شوهاء ممن هم على شاكلته ومن ظنوا أنهم يخادعون النبي ﷺ وأصحابه بينما هم لا يخدعون إلا أنفسهم وهم سادرون في غيهم لا يشعرون ولا يفتقون.

ومن هؤلاء (نبتل بن الحرث) وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ (من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر «نبتل بن الحرث» وكان «نبتل» هذا يأتي رسول الله ﷺ

(٤) البجر: أي الشر، أو الأمر العظيم (التجد)

(٦) سيرة ابن هشام

(٣) ابن هشام عن ابن مسعود

(٥) جيد يعني جذب (المصدر السابق)

يتحدث إليه ويسمع منه ثم ينقل حديثه إلى المنافقين، وهو الذي قال: «إنما محمد أذن من حديثه شيئا صدقه فأنزل الله - عز وجل - فيه:

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكُولُ أَعْدَانِي وَلَا يَتَّقِي الْآلِيَةَ﴾

(النوبة ٦١)

وكان منهم كذلك ممن بنى (مسجد الضرار) أبو حيفة بن الأزعر وعبد بن حنيف، ووديعه بن ثابت الذي قال (إنما كنا نخوض ونلعب) فأنزل الله - تبارك وتعالى - فيهم:

﴿وَلَيْسَ كَالنَّهْزِ﴾

(النوبة ٦٥)

كما كان من هؤلاء الأشرار أيضا أوس بن قيطي الذي قال لرسول الله ﷺ يوم الخندق: إن بيوتنا عورة (٨) فأذن لنا فترجع فأنزل الله - تبارك وتعالى - فيه:

﴿وَسَتَذَرُونَ﴾

(الأحزاب ١٣)

كما كان منهم الجد بن قيس، وهو الذي نقل عنهم قوله الأثيم: يا محمد اتدن لي ولا تفتني فأنزل الله - تعالى - فيه:

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكُولُ أَعْدَانِي وَلَا يَتَّقِي الْآلِيَةَ﴾

والله در علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عندما أقرط رجل منافق من مبغضيه في الثناء عليه فقال له علي: «أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك».

وكذلك المنافقون لا يسكتهم إلا الإحجام ولا يتطرقهم إلا الصمت عن المناجزة بالكلام.

ابن سبأ

ولم يقتصر «اعتناق النفاق» على الجاهلين فحسب بل شارك في هذه العدوى قوم من أهل الكتاب ولا سيما من اليهود الذين قرأوا كتبهم القديمة وعلموا منها البشري بالنبي العربي الذي سيشرق نجمه في مكة، وكانوا لا يفتأون يتباهون أمام سكان الجزيرة العربية بأنهم على علم بتأشير هذه النبوة الخاتمة، وعلامات هذا النبي:

﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوءًا عِنْدَهُمْ﴾

﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾

(الأعراف ١٥٧)

(٧) مسجد الضرار هو مبنى أسسه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ليقروا جماعة المسلمين وجاء جماعة منهم إلى الرسول ﷺ طالبين منه أن يصلي لهم فيه فسأهم عن سبب بناءه فحلفوا بالله إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكانت بين قاتل عليه السلام جماعة من أصحابه أن يهدموه ففعلوا وكان ذلك عند عودته عليه السلام من تبوك.

(٨) عورة أي معزة للعدو وصنائه.

وقد بدأ تاريخهم الأسود في مواجهة الإسلام بالجن والذوم أمام هذا الدين الذي يدعو إلى السلم والأمن والطمأنينة فلم يحاربوه بالسلاح ولكن جابهوه بالنفاق والمراورة والمداورة فدخل من أحبارهم في الإسلام لتظاهروا الذين كانوا يبدون اللودة ويخفون البغض البغيض وكان كثير منهم من يهود بنى قينقاع مثل: سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت، ونعمان بن أبي أوفى بن عمرو، وعثمان بن أوفى، وتسجل كتب السيرة أن ابن اللصيت، هذا هو الذي قاتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يسوق بنى قينقاع وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ: (يزعم محمد أنه يأتيه خير السماء وهو لا يدري أين ناقة)!! فقال رسول الله ﷺ عندما جاءه الخبر بما قال علو الله وقد دل الله - تبارك وتعالى - رسوله ﷺ على ناقة: (إن قاتلا قال يزعم محمد أنه يأتيه خير السماء ولا يدري أين ناقة. وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزملها) فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ وكما وصف.

ومن هؤلاء اليهود الذين تظاهروا بالإسلام نفاقا (رافع بن جريملة) وهو الذي قال عنه رسول الله ﷺ حين مات: «قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين». وكان كبير هؤلاء المنافقين ذلك الأثيم الذي كان يسمى أحيانا بـ عبد الله بن سبأ، الذي تظاهر بالإسلام في عهد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ثم غلا وأظهر الطعن على أبي بكر، وعمر، - وعثمان رضي

الله عنهم -، وتبرأ منهم زاعما أن عليا - كرم الله وجهه - قد أمره بذلك، بل سول له تبججه وجرأته أن يقر أنهم على بهذا الزعم الفاجر فأمر بقتله، وعندما شفع له الناس صبره على إلى المدائن ولقد كان من سعى هذا الدعي الكذاب أن ادعى النبوة زاعما كذلك أن عليا - رضي الله عنه - هو الله ونعوذ بالله من ذلك مبلغ ذلك عليا فدعاه وسأله فقير بذلك وقال: (نعم أنت هو وقد أتني في روعي أنك أنت الله وأني نبي)، فقال له علي - كرم الله وجهه -: «ويلك، قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا تكلمك أمك وتب، فإني، فحبسه واستأبته ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار»^(٩)

وتسمى جماعة المارق عبد الله بن سبأ أحيانا (بالسبابة) لأنهم كان يسبون الشيخين^(١٠) كما أنشأ أصحابه الأشرار فرقة تنسب إليه وتسمى «السببية» وكان يقول - وهو يهودي - قبل أن يتظاهر بالإسلام «يوشع بن نون»^(١١) وصي موسى، مثل ما قال في على بأنه وصي محمد ﷺ، فهو خاتم الأوصياء كما أن محمدا هو خاتم الأنبياء ﷺ كما كان ابن سبأ من أبرز الغلاة الذين زعموا أن عليا حي لم يقتل^(١٢).

ويذهب البعض إلى أنه قد أحكم كبده إحكاما فحشد في الأمصار جماعات سرية تستتر بالكيد وتتداعى فيما بينها إلى الفتنة حتى تم الخروج على الخليفة عثمان ذي النورين - رضي الله عنه - وحصاره وقتله. ولله در من شبه هذا الخداع بإبليس - لعنه الله - عندما شرع مع كفار مكة في (دار الندوة) في التبرير

لقتل النبي ﷺ في ليلة الهجرة، حيث جعل إبليس يسهل آراء كل منهم حتى أعجب برأى حليفه الأثمي أبي جهل أنحرق الله منواه.

كذلك «ابن السوداء» حين اجتماع أتباعه من أهل الشقاق والفرقة عندما أحسوا بقرب التوصل إلى اتفاق على الصلح بين المختطفين حول قتل عثمان، إذ كان الرأي الذي أعجب به ذلك الشقي هو أن يحزموا أمرهم ويكتموا سرهم حتى إذا التفتي الجمعان أنشوا القتال من غير أمر من علي - كرم الله وجهه - وهكذا يوقعون الفتنة التي لعن الله من أيقظها، ويشيرون الحرب، ويحولون بين الفريقين وبين ما كانا يريدان من صلح ووثام، وهكذا حق على «ابن السوداء» أن يلقب «بإبليس الجماعة»، شأن «إبليس القوم» في دار الندوة.

وبعد، فإن الحديث عن سيرة أئمة النفاق وشذاذ الآفاق وشواذ الفكر والأخلاق التي وأكبت مسيرة الصراط المستقيم والحق القويم هو حديث - وإن كان يصيب المرء بالغثيان - فإنه يريح النفس بكشف مستور الزور والبهتان، كما أنه حديث لا ينتهي لأن أحداثه لا تنتهي طالما يوجد إله حي لا يموت وشيطان مارد له زبانية من الجن والإنس يرون لذتهم في وقع شعاع أستاذهم الرجيم:

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

(الأعراف: ١٦)

حتى لقد صدق على حالهم الكريه قول الحق عز وجل: ﴿وَيَحْمِلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾

(الواقعة: ٨٢)

وحسبك ما نراه اليوم ليلا ونهارا وسرا وجهارا من أساليب المواجهة الشرسة للإسلام بالسلاح، وأساليب مقابلة السمحة (بالكاركاتير).

وما هذا كله إلا نتاج جديدة لمقدمات قديمة، والحذر كل الحذر من أن تكون أيضا بدايات قديمة لمقدمات قادمة، وقد قضت سنة المولى - جل وعلا - أن يستمر ذلك حتى يميز الحبيث من الطيب وحتى يكشف التضاد الحاد بين الحق والباطل وعندئذ يحل قضاؤه - سبحانه وتعالى - عندما يقول:

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾

عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴿ (الأنبياء: ١٨) وليكن هم المخلصين العاملين وهم يعمررون الأرض التي استخلفهم الحق فيها، هو معليشة القانون الإلهي السرمدى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ فَسَيَمْسَكُمْ الْعَذَابُ وَهُمْ لَا يُحْسِنُونَ﴾ (الطارق: ١٥-١٧)

وإن هذه ليست مجرد ذكريات إنما هي عظات حية أمام أبصارنا غادية ورائحة تهيب بنا أن ما أشبه الليلة بالبارحة.

وقد قصدنا بذكرها أن نصحو ذاكرة المسلمين الذين ربما يكون (الشيطان) قد أساهم إياها فيما نزعهم من (رحمة الحياة) واللاهات وراء متطلبات العيش وغير ذلك من غلل لا تربطها بالعلولات علاقة حقيقة أو صلة واضحة.

وهنا يحق لنا أن نلهج بإرادتنا قبل ألسنتنا:

﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلَّذِينَ كَرِهُوا﴾

(هود: ١١٤)

(٩) موسوعة الفرق الإسلامية - بيروت.

(١٠) خطط القرينى - والشيخان في السيرة هما أبو بكر وعمر، وفي الحديث البخارى ومسلم.

(١١) النون هو الحوت. والنون هي السمكة. ونون النون لقب يوشع - عليه السلام (الذي تقدمه الحوت) أى النون.

(١٢) المثل والنحل: الشهرستاني.

أحقاد يهودية قديمة متجددة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

كنا في زمن الإعلام المقروء والمسموع نتابع الفواجع والمآسي التي تحدث لنا في فلسطين - وغيرها في الوطن الإسلامي - ونكاد نموت كميئاً!!! والآن وبعد البث المباشر للتلفزيون وتعدد القنوات أصبحنا نعيش المآسي والفواجع في الوطن كله الذي يتمزق أشلاء.

لكن يبدو أننا فقدنا الأحساس بالألم!! وكأن منظر الدماء والأشلاء لا يثير فينا نخوة النجدة وحمية الفداء وكأننا فقدنا روابط المودة حتى تقطعت أواصر الأخوة التي قال عنها رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١).. هل فقدنا الإيمان فلم يعد ثمة ود يغذى التراحم؟ أم نزعنا الرحمة فتقطعت

أواصر الأخوة فلم يعد سبل الدم المراق يحرك مشاعرنا؟

ما الذي دهاك يا أمة الإسلام؟ ولماذا لم تعد لك هبة ولا اعتبار في قلوب الأمم؟

أحسب أننا نعيش ذلك الزمن الذي أخبر عنه المصطفى ﷺ حيث قال: «ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، ولينقذن الله في قلوبكم الوهن» فقال قائل: يا رسول الله: وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكرهية الموت»^(٢).

● قال صاحبي منفعلاً: مالك ملأت قلوبنا حسرة وحلوقنا مرارة!! وتركت عنوان مقالك وتسرب منك ما بدا أنه من مقالات السابق عن أحداث مهمة ومهمات عظيمة وقعت بعد الهجرة وهو مسلك طيب - حيث إنك تركت السرد المتكرر لما جرى في رحلة الهجرة!! أظن أننا نعرفه

(٢) سنن أبي داود، كتاب الملاحم.

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة.

لكن شيوذك وخلأتك - خطباء المناسبات - مولعون به!!!

● قلت لصاحبي - وأنا أكظم غيظاً قهزني: الحمد لله أن جعل لكم قلوباً تتحسر وحلوقاً تحس بالمرارة!!

ثم واصلت حديثي قائلاً: هذه الأحقاد وتلك المآسي التي نشاهدها صباح مساء، ليست وليدة اليوم، ولكنها قديمة، قديمة منذ فجر الدعوة الإسلامية، أخذت تتقلب في الأزمان، وتأخذ أشكالاً عديدة. قد تعقد أحلاف، وربما تنقض معاهدات، وهدفها واحد هو الكيد للإسلام والقضاء عليه، وذلك ما ظهر من اليهود منذ الهجرة النبوية واستمر حتى اليوم، وأخذ أشكالاً وأبعاداً متعددة أخطبوطية نمت وتشعبت رأسياً وأفقياً.

● قال صاحبي في لهفة متعجلة: احك لي عن كل ذلك أو بعضه - إن استطعت - فأننا أحب أن نسمع من حكايات هؤلاء القوم.

● قلت: الأمر أخطر من حكايات «إنها مؤامرات وصراع، وأحقاد وحسد، فنحن في حاجة إلى يقظة وانتباه ووعي، لأن حقن اليهود ومكرهم فاق كل خيالاتنا اللاهية المسترخية، وذكاءهم ودأبهم وحيلهم التي لا تنتهي فاقت كل طموحاتنا الشريفة العاجزة. إن الاستمرارية والدأب واللدود والابتزاز

للموالين، الطامعين - أيضاً - ليس له نهاية!!

ثم قلت لصاحبي: تعال معي، إلى التاريخ لترى كيف يتعامل هؤلاء معنا. لن أذهب بك إلى تاريخ موغل إلى «هززل» ومؤتمر «بال» في سويسرا!!

● قال صاحبي فيما يشبه الملل: حدثني عن اليهود بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة..

● قلت: سوف أروي لك ما يثبت مكر هؤلاء القوم وخدايعهم وتزويرهم. ثم واصلت حديثي قائلاً: روى البيهقي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «وصف محمداً ﷺ في التوراة: أكحل العينين ربعة، جعد الشعر، حسن الوجه.. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة - ورآه اليهود على هذه الصفة من الحسن والجمال - حسده أحيار اليهود، فغيروا صفته في كتابهم. وقالوا: نجد نعته عندنا النبي الأمي طويل أزرق سبط الشعر».. تأمل التزوير والتحريف في كتابتهم التوراة بأيديهم حسداً للنبي ﷺ - وقالوا: للسفلة - يعني العامة من الشعب - ليس هذا نعت النبي الذي يحرم كذا وكذا فآلئسوا بذلك على الناس، يعني أصدقوا الشك عند الناس بما قالوا وغيروا - إنما فعلوا ذلك - يعني الأحيار غيروا وزوروا لماذا؟ لأن الأحيار كانت لهم مأكلة يطعمهم إياها السفلة - أي العامة - لقيامهم على التوراة، فخافوا أن يؤمن السفلة

فتنقطع عنهم تلك المأكلة، تأمل خافوا أن يدخل عامة الناس في الإسلام فتنقطع عنهم الرواتب فزوروا في التوراة.. هل هناك أنفس أحقد من ذلك من أجل الرواتب يزورون ويدلون في الكتب المنزلة، لقد حرقوا كتابهم بأيديهم.

ويروى ابن إسحق والبيهقي وأبو نعيم عن أم المؤمنين صفية بنت حبي بن أخطب - رضي الله عنها - أنها قالت: لم يكن من ولد أبي وعمي أبو ياسر أحب إليهما مني، لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذاني ذونه، فلما قدم رسول الله ﷺ - المدينة - غدا إليه أبي وعمي - ذهبا إليه ليتعرفا عليه وهما من أكابر يهود خيبر - مغلسين - يعني وقت الغلس - بعد طلوع الفجر، وقبل طلوع الشمس - فوالله ما جاءنا إلا مع غروب الشمس، فجاءنا بأمر - النبي ﷺ - جاء كالين كسلانين ساقطين بمشيان الهويني، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظرا إلي، واحد منهما - يعني لم يرحب بي واحد منهما كما كانا يفعلان - وذلك لأنهما مهمومين لما أصابهما وما شاهدا، وتحققا من وصف رسول الله ﷺ كما جاء في التوراة - فسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حبي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم.. قال: أعرفته بصفته ونعته؟ قال: نعم.. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت!!!

هذه نصوص واضحة جلية تبين بجلاء ووضوح حقد اليهود على المسلمين وكراهيتهم لليهدى الذي جاء به رسول الله ﷺ، وكراهيتهم لكل خير، وأن الحقد والكراهية طبع أصيل فيهم، كما أن التلون والتحول من التقيض إلى التقيض جيلة فيهم، فهم براوغون كما يتنفسون، ويكذبون كما يشربون، طبيعة خبيثة، وخداع فطري وشذوذ غير مألوف في بني آدم، لكنه عند هؤلاء القوم عادي وطبيعي ومألوف لأنهم جبلوا على الخداع والمراوغة وهم في استعداد دائم لتدمير العالم من أجل مصالحهم وأطماعهم.

● قال صاحبى: لماذا ناصبوا النبي ﷺ العدا مع أنهم أهل التوراة، وقد بشرت بالنبي ﷺ وذكرته أوصافه وأن أحبارهم وجدوا أوصافه كما ذكرت التوراة.. أليس هذا غريبا؟

● قلت لصاحبي - وأنا مغشيط لمتابعتة واهتمامه -: ليس هذا وحده هو الغريب والعجيب، إنما الغريب والعجيب أنهم آمنوا به قبل بعثته وأنهم كانوا إذا قامت بينهم وبين المشركين - الأوس والخزرج - حرب يتوسلون إلى الله - تعالى - بالنبي ﷺ أن ينصرهم على أعدائهم من المشركين ويقولون: اللهم إنا نستنصر بحق محمد النبي الأمي إلا نصرتنا عليهم.

● قال صاحبى: - متسائلا: إذا لماذا كفروا بالنبي ﷺ بعد هذا كله، فهو جاء في كتبهم ويعرفونه ووجدوه كما وصفته التوراة؟ عجيب أمر هؤلاء، لماذا كفروا؟ ثم واصل في وعي متائق أعجبتني - أرايت أنهم لم يكفروا بنبي الإسلام، ورسالته فقط أنهم كفروا بكتابهم التوراة؟

● قلت على الفور - في لهفة وفرح مقاطعا صاحبى وأنا أريد أن أستخرج ما في وعيه المتائق - كيف تقول إنهم كفروا بكتابهم مع أنهم يهود وكتابهم التوراة؟

● قال - في ثقة محبة وفصاحة ووضوح ومنطق -: ألم تقل إن التوراة بشرت بالنبي ﷺ؟ وأن نعته وصفته وردا في التوراة، وأنهم عرفوا صفته كما جاءت في التوراة؟ وأنهم كانوا يستنصرون الله - سبحانه وتعالى - به على الذين كفروا، أليس كذلك؟

● قلت في لهفة وأنا أترقب إجابة التائق من صاحبى: بلى..

● قال صاحبى: إذا هم كفروا بالتوراة ولم يستجيبوا لما جاءت به. ثم واصل كلامه في تأكيد ومنطق: لقد ورد ذكر الأنبياء والرسل في القرآن الكريم، فما هو القول فيما لم يصدق بالنبوة.. أليس كافرا؟

﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

لأنه أنكر شيئا لزم من الدين بالضرورة وهم كافرون بالتوراة لأنهم أنكروا ما جاء بها، بل وبدلوه وزوروه، وأثبتوا ما لم يكن فيها؟

● قلت: وعاك الله يا صاحبى، هل تعتقد أن يهود اليوم أصحاب ديانة؟ ثم أجبت: بالقطع لا، إنهم أصحاب أحقاد ومصالح وحسد، لا دين لهم لأنهم كفروا بما جاء في كتابهم. يقول الله - تعالى -:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

(البقرة: ٨٩)

ويقول الله - سبحانه وتعالى - أيضا عنهم:

﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَا كُفَرُونَ﴾

﴿أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَنِيْلِ﴾

(التوبة: ٣٤)

● قلت لصاحبي: أعتقد أن في ذلك كفاية.

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ

قراءة في كتاب

اليهودية واليهودية
التاريخ والعقيدة والأخلاق



الدكتور السيد أحمد فرج

للاستاذ / عادل خضاجة

١

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المحاضرات عن اليهودية: التاريخ والعقيدة والأخلاق.

يكشف فيه المؤلف مزاعم اليهود الرامية للتوسع كما يكشف عن حبهم الشديد لسفك الدماء.. مستشهداً بنصوص من كتبهم المقدس، ومؤيداً أقواله بأقوال العلماء ما وسعه إلى ذلك سبيلاً، فنراه يستشهد بأقوال علماء غربيين بالإضافة إلى استشهاده بأقوال علماء من اليهود أنفسهم.

ويقع الكتاب في اثنتين وتسعين ومائة صفحة من القطع (٢٣ × ١٦,٥) صدر عن دار الوقاء للطباعة والنشر والتوزيع بالنصرة وقد قسمه المؤلف إلى تسعة فصول تناول الفصل الأول دراسة عن الاسم والتاريخ وأن أول من شغل أرض فلسطين هم الفلسطينيون وأن إدعاء الإسرائيليين بأحقيتهم في تملك هذه البلاد مغالطة كبرى.

وقد قدم المؤلف شهادة توماس كيرنان التي سجلها في ص ٢٥٣ من كتابه (العرب) حيث قال: «الصهيونيون أوروبيون تماماً وليس هناك أي رابطة بيولوجية أو انثروبولوجية بين يهود أوروبا والقبائل العبرية القديمة، أي: ليس هناك أي قرابة عضوية أو قرابة دم بين الصهيونيين من أهل أوروبا - المدعين كذباً بأنهم شعب الله المختار الموعود بالأرض وبين قدماء العبريين».

يدلل المؤلف على ما يتمتع به اليهود من حب لسفك الدماء فيقول:

ولكن موسى وهارون -عليهما السلام- ماتا في التيه في سيناء، وترك موسى تلميذه «يشوع» ١٢٦٧ / ١١٥٧ قبل الميلاد في قيادة اليهود، وبحسب روايات التوراة فإن مع بداية قيادة يشوع لليهود يبدأ عصر المذابح الدموية التي ارتكبتها اليهود؛ لأن الرب -بزعمهم- حدد له مملكة اليهود التي يجب عليهم الاستيلاء عليها.

وكانت أول المذابح التي قام بها (يشوع) مذبحه أريحا حيث خربها (يشوع) وأحرقها ودمرها تدميراً وذبح كل من فيها سوى الزانية راحاب.. كما جاء في سفر يشوع: «فتكون المدينة وكل ما فيها محرماً للرب (راحاب) الزانية فقط وكل من معها في البيت؛ لأنها قد خبأت الخاسوسين. وحرقوا (أبيدوا) كل ما في المدينة بالنار مع كل ما فيها وحلف يشوع في ذلك الوقت: ملعون قدام الرب الذي يقوم ويبنى هذه المدينة» (يشوع: ١١، ١) وعلى هذا المثال الوارد في التوراة تشيع الدولة الصهيونية الآن قرية تبرير ما تفعله من مذابح بذريعة دينية، أي أنها تقتل الأبرياء بموجب أمر الرب.

ومع أن سفر يشوع مختلق تماماً، لأن يشوع فتى موسى لا يفعل كل هذا الدمار بلا مبرر، والذي يؤكد أن سفر يشوع من إفراز خيالهم المريض ما نقله رجاء جارودي عن عالم اللاهوت الأب ديفو الذي أكد أن أريحا لم يكن لها وجود على الإطلاق في عهد يشوع.

خلق اليهود

ويوضح المؤلف في هذا الفصل ما تعلق اليهود به من صفات دلت على سقولهم وأن في مقدمة هذه الصفات إصافهم البهتان بأنبيائهم. وأورد المؤلف عدداً من هذه الصفات التي رمى بها اليهود أنبياءهم زوراً وبهتاناً فقال ص ٥١:

«ترغم التوراة أن يعقوب فر من وجه أخيه (عيسو) إلى مساكن خاله (لايان) الأرامي أبي زوجته (ليث - وراحيل) ثم فر من خاله بعد أن سرق أغنامه وأمواله وأصنامه بحيلة غريبة وهي أن يعرض على الأغنام وهي حوامل عيذاناً مخططة فولدت أغناماً مخططة فسرقها.

ويقول ص ٦٠ من هذا الفصل: وبلغ بهم الأمر أن انتشرت عبارة الأوثان والزنا واللواط، بل وحصل الأمر إلى أن المعابد كان يخصص لها عدد من العاهرات المتبرعات بالزنا من أجل المعبد والكهنة والشعب.

التوراة وأسفار اليهود

وقد خصص المؤلف هذا الفصل لعرض آراء العلماء في التوراة فجعل الجزء الأول منه لآراء علماء اليهود والنصارى والجزء الثاني لآراء علماء المسلمين ثم اختتم بما ذكر في القرآن عن التوراة.

ومن الآراء التي عرضها المؤلف في هذا الصدد:

١- رأى الأب ديفو حيث قال ص ٦٨: «ومن أكثر الدراسات الغربية الموضوعية:

دراسة الأب ديفو، وقد بدأ شكه في صحة التوراة فقد رأى أنها كتاب غير كتاب موسى عليه السلام؛ لما ورد فيها من تحديد يوم موت موسى ودفنه وغير ذلك فكيف فعل موسى ذلك؟ أفعله بعد موته؟ إنه من المستحيل أن يكتب موسى - عليه السلام - بنفسه كيف مات ودفن.

٢- ومن هذه الآراء -أيضاً- رأى موريس بوكاي حيث يقول: إن التوراة حقيقية، وأنها في الأصل كتاب سماوي أنزل على موسى -عليه السلام- لكن لضياح النسخة الأصلية؛ ولأن اليهود ظلوا يكتبون فيه ويضيفون ويدلون على مدى يربو على ألف عام اعتماداً على تراث كان ينتقل بين العبرانيين مشافهة مع تحويرهم له وتحريفهم فيه بسبب أحداثهم التاريخية وبسبب ما انطوت عليه نفوسهم من عدم الاستقرار وحب التقلب انتهى إلى هذه الصورة التي هو عليها.

٣- أما إدموند جاكوب فيقرر «أن التوراة اختلط بها الكثير من الأقوال والأمثال الشعبية والأغاني الفلكلورية، وأن تناقل هذه الأقوال كان يتم إما عن طريق الأسرة وإما عن طريق المعابد في شكل روايات لتاريخ شعب الله المختار».

ويرى جارودي أن كتابة التوراة خضعت لأهداف سياسية ولاهوتية أدت إلى إيجاد هذه الصورة فاختلطت فيه أهداف الإنسان بإرادة الرب.

وخلاصة القول: إن ما تضمنته التوراة ليس من تاريخ اليهود وحدهم، ولكنه يحوى قبسات من تاريخ أمة كثيرة وحوادث متفرقة وشرائع متباينة لأمة مختلفة.

أما آراء العلماء المسلمين، فقد أورد المؤلف عدداً منها (بدءاً من ص ٧١) تذكر هنا قول الجويني المتوفى سنة ٤٧٨ حيث يقول: «إن التوراة التي بيد اليهود الآن هي التوراة التي كتبها (عزرا الوراق) بعد فنتتهم مع (نبوخذ نصر) وقتله جموعهم وطوائفهم... وجعله أمورهم غنيمة لسراياه وعساكره، وإتلافه ما بأيديهم من الكتب لعدم انقياده لأحكام شريعتهم».

وذكر المؤلف آراء أخرى لابن القيم والشيخ رحمة الله خليل الرحمن الهندي تدور جميعها في نفس الفلك.

وكلام علماء المسلمين عن التوراة جاء في ضوء ما أورده القرآن الكريم، فالقرآن يعترف بالتوراة كتاباً سماوياً منزلاً من عند الله -تعالى- بدين التوحيد على موسى ولكنهم ضيعوه بأيديهم بين التحريف والكتمان والإخفاء من ذلك قول الحق تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا كِتَابَ اللَّهِ فَإِذَا تَوَلَّيْتُمْ فَاصْطَبِقُوا فَعَقَبَتِ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ يُطَهِّرُ اللَّهُ وَهُوَ غَوِيٌّ لَا يُرْجَى﴾ (البقرة: ١٧٧)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا يُبَدِّلُ كِتَابَ اللَّهِ فَمَنْ بَدَّلَهُ فَمَا لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْءٌ إِنَّهُ يَجْمَعُ الْفَاسِقِينَ إِلَى جَهَنَّمَ يَدْخُلُونَهَا مِنْ أَبْوَابٍ وَمِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ أَنْفُسُ الَّذِينَ أَصَابُوا لَكُمْ أَضْلَالًا وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٨)

(المائدة: ١٥، ١٦)

وفي هذا الفصل يتناول المؤلف اللغات التي كتبت بها التوراة.. فيقول ص ٧٩:

«ليس أمام الدارسين سند يبين ما هي اللغة

التي نزلت بها التوراة، بل عد بعض الدارسين أن عدم وجود السند لكتب العهد القديم يقدح في كونها صحيحة مبرأة من التحريف والتبديل».

أهم فرق اليهود واعتقاداتهم

يذهب المؤلف إلى أن اليهود تفرقوا إلى إحدى وسبعين فرقة أهمها:

١- القريسيون: وهم الريانيون الأشعية القائلون بأقوال الأخبار ومذاهبهم وهم جمهور اليهود وأكثرهم عدداً في تاريخهم القديم والحديث.

وقد بالغوا في تفضيل أنفسهم حتى على الملائكة فقالوا ص ٩٧: يوجد لدى اليهود صلاة عديمة المثال يصلونها باللغة الكلدانية، والملائكة يجهلون هذه اللغة حتى لا يحسدون اليهود على صلاتهم، واليهودي هو الإنسان فقط، وباقي الناس حيوانات في صورة إنسان هم: حمير وكلاب وخنازير ويزعمون أن اليهودي معتبر عند الله أرقى من الملائكة.

٢- الصدوقيون: وهذه الفرقة تعتقد أن العزيز ابن الله. وهم ينكرون وجود الملائكة والشياطين والجن، ولا يؤمنون بالقضاء والقدر ويرون أن اللذة هدف منشود لذاته.

٣- السامرية: نسبة إلى السامرة وهي منطقة في نابلس غرب الأردن.

وهم أثبتوا نبوة موسى -عليه السلام- وهارون ويشوع بن نون وأنكروا من بعدهم من الأنبياء إلا نبياً واحداً وقالوا: إن التوراة ما بشرت

إلا بنى واحد يأتي من بعد موسى، ولكن لم يتفقوا عليه.

٤- العنانية: القراؤون

من فرق اليهود التي ظهرت بالعراق في زمن أبي جعفر المنصور العباسي، وتنسب إلى عنان بن داود، ولهذا يسمون بالعنانية، أما تسميتهم بالقرائين فمعناها المتمسكون بالكتاب.

ويزعمون أن الإنجيل ليس كتاباً أنزل على عيسى وحياً من الله -تعالى- بل هو جمع أحواله من مبدئة إلى كماله، وإنما جمعه أربعة من أصحابه الخواريين.

يرون أن التلمود ما هو إلا موسوعة من الأكاذيب؛ ولهذا سماهم التلمود (مينم) أي الزنادقة الكفرة وفي المقابل فهم يتبرؤون من قول الأخبار (التلمود) ويكذبوهم.

٥- العيسوية: هم أصحاب أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني.

وكان أبو عيسى هذا قد زعم أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر.

حرم في كتابه الذبائح كلها، ونهى عن أكل كل ذي روح على الإطلاق.

خالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكثيرة المذكورة في التوراة.

أعياد اليهود وأيامهم الدينية

السبت:

وهو العيد الأسبوعي عندهم ويبدأ من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت

لا يفعلون فيه شيئاً ولا يؤدون عملاً حتى لو اشتد المرضى بأحدهم لا يستدعى الطبيب يوم السبت.

ومن يخرج على هذه الشريعة (يوم السبت) يقتل، ولا توجد عقوبة في توراتهم أقل من ذلك؛ لأن يوم السبت يوم مقدس، وكل عمل دنيوي في شريعتهم يندسه ومن دنسه يقتل قتلاً.

هذا ظاهر شريعتهم في (السبت)، ولكن الحقيقة أنهم يحتالون فيه، ويحاربون ويعتدون لأن حاخاماتهم أباحوا لهم ذلك. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك.

عيد الغفران (يوم كيبور)

وهو اليوم العاشر من الشهر السابع العبري، وفي هذا اليوم يلزم اليهود الصوم والعمل، ويعترفون لحاخاماتهم بالخطايا.

ولأن في هذا اليوم سيحمل عنهم (تيس الخطايا) كل خطاياهم؛ لهذا يسادرون إلى ارتكاب جميع المزيقات قبل أن يأتي الكاهن ويقدم الذبائح طالباً من الله الغفران.

عيد المظال

وهو عيد زراعي، يحتفلون فيه بالعنب وتخزين الحاصل الزراعي. ويسمى بعيد المظال لأنهم يظلون في مخيمات (مظال) من سعف النخيل لمدة أسبوع تذكيراً لرحلة التيه التي استمرت أربعين سنة كانوا لا يجدون فيه ما يحميهم من الشمس إلا هذه المظال من سعف النخيل وأغصان الزيتون.

عيد الأبواق

ويقع في غرة شهر إيثانيم (أكتوبر) أول السنة اليهودية فهو عندهم عيد بلر البذور، وعيد رأس السنة اليهودية، وعيد ميلاد العالم، وفيه يهتفون بالأبواق بكثرة في الشوارع إلا أن يكون يوم سبت فيكتفون بعمل الأبواق في العابد فقط. ويحرم العمل فيه وتقدم فيه الذبائح وتحرق المحارق للرب، كما يفعلون في كل أعيادهم.

عيد الفصح (عيد الفطير)

وهو أشهر أعيادهم وأهمها على الإطلاق يحتفلون فيه بخروجهم من مصر، أي: بنجاتهم من فرعون، لأن الخروج يعني ميلاد أمة اليهود والفصح من كلمة عبرية معناها العبور.

ويسمونه عيد الفطير؛ لأنهم يأكلون فيه فطيراً لم يختمر بدل الخبز في أثناء احتفالاتهم به ويستمر سبعة أيام.

وعلى كل أسرة في هذا العيد أن تذبح خروفاً وتقس عتبة الباب العليا والقائمين بدم الخروف تنفيذاً لما جاء في سفر الخروج.

واليهود يمزجون ويعجنون الفطير بدم آدمي غير يهودي إذا تيسر لهم ذلك، مثلما حدث في فبراير ١٨٤٥ حيث خطف اليهود (توما - الكبوجي) من أصل إيطالي - وخادمه (إبراهيم عمارة) وعجنوا فطير عيد الفصح بدميهما. وكان الذي أشار بذلك على يهود دمشق الحاخام (العنتابي) كبير حاخامات يهود الشام.

تبع

قضية فلسطين.. إلى أين؟!

في سنة ١٩١٧م صدر عن الحكومة البريطانية الوعد المشهور بـ «وعد بلفور» وزير خارجيتها والذي نص على النظر بعين العطف لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.. ذلك الوعد الذي صدر ممن لا يملك لصالح من لا يستحق!!

ومضت سنوات كانت العصابات الصهيونية فيها قد نشطت لتحويل الوعد إلى واقع على أرض فلسطين العربية.. وانفجر الصراع بين غرباء دخلاء يملكون المال والسلاح، وبين أبناء الأرض البسطاء المحرومين من السلاح.

أجل.. كان الصراع غير متكافئ، ففلسطين كانت بلا جيش وبلا حكومة، وإنما كانت تحت الإدارة البريطانية وبشكل كامل، الفلسطينيون كانوا بلا سلاح، في حين عسكروا البريطانيون إلى تسليح العصابات الصهيونية وتدريبها على أعمال الإرهاب والسطو على الأراضي العربية.. فأصيب الفلسطينيون بالفرق من هول مبايواجهون.. القوم كانوا يعيشون في أمن وسلام إلى أن وجدوا أنفسهم في مواجهة الخطط الشيطانية منفردين.. ثم صدرت قرارات الأمم المتحدة لتعترف بالوجود الشيطاني الصهيوني على جزء من أرض فلسطين. وشيئاً فشيئاً اتسعت المساحة لتستولي العصابات الصهيونية على كل فلسطين.. ويصبح أبناء الأرض الأصليين مشردين ولاجئين على أرضهم، وعلى أراضي غيرهم.. ومضت السنون.. واختار الفلسطينيون المقاومة المسلحة لاسترداد أرضهم المسلوبة.. فلم يستطيعوا!! ثم وضعوا السلاح ووافقوا على السلام.. فتم اعتقالهم داخل أراضي منزوعة السلاح.. قائلوا: لا يمكن أن تكون سلاحاً ذا بال.. إنها أسلحة أشبه بالألعاب النارية التي يلعب بها الأطفال في الأعياد والمناسبات ولا يمكن مقارنتها على الإطلاق بالترسانة العسكرية الإسرائيلية من طائرات، وبوارج، وصواريخ وقنابل موجهة بالليزر.. فضلاً عن السلاح النووي!!

وزدادت وطأة الحصار.. وبدأ البعض يشعر بالخروج.. مجرد الخروج فانطلقت عدة مبادرات شكلية آخرها خريطة الطريق الأمريكية.. وهي في مجملها مجرد وعود بإقامة وطن قومي للشعب الفلسطيني على جزء ضئيل من الأرض الفلسطينية!!

سين المجلة و القارة

إعداد وتقديم

د. محمد السيد فقي الدين

كهرياء، وبلا كساء، وبلا وقود.. فلم يجد الفلسطينيون أمامهم - وقد انشغل قادتهم في صراع هزلي على سلطة لا وجود لها - سوى مخرج واحد لم يصوب سلاحه تجاههم.. إنها سيناء.. إنها مصر التي لم ولن تبخل يوماً بكل غال نفيس تجاه أشقائها في أراضي فلسطين المحتلة.

ولكن.. هل يرضى أبناء فلسطين الشرفاء.. بعدما قدموا من تضحيات جسيمة في نضال شرس لاسترداد الأرض السليبة والحقوق الضائعة.. أن يستبدلوا أرضهم بأرض جارتهم التي احتضنتهم ودعمتهم وقدمت زهرة شبابها دفاعاً عنهم.

هل يرضى الفلسطينيون اليوم بالتنازل عن حلمهم في الحياة على أرضهم وعاصمتها القدس ويستبدلوها بغزة الكبرى وعاصمتها رفح؟؟

هل يرضى الفلسطينيون بتحقيق حلم إسرائيل بإخلاء أرض فلسطين بالكامل من سكانها العرب لتصبح دولة يهودية خالصة مع ما يترتب عليه ذلك من ضياع القدس للأبد؟؟

يبدو أن هناك من يحاول دفع الإخوة الفلسطينيين إلى أن يرضوا بذلك، بل ويطالبوا بذلك، وأعني بهم أولئك الذين عمدوا إلى الاشتباك مع قوات الأمن المصرية دون أسباب مفهومة، خاصة بعد أن وافق الرئيس محمد حسني مبارك على دخول الإخوة الفلسطينيين إلى مصر لشراء احتياجاتهم من الغذاء والدواء.. وإلا فما هي مبررات العدوان على قوات الأمن المصرية في رفح خاصة وأنها تخلت بأقصى درجات ضبط النفس، فلم تنطلق رصاصة مصرية واحدة تجاه الأشقاء أثناء عبورهم الجراف للحدود!!

ليس هذا فقط.. بل سقط تجار رفح المصرية والعريش البسطاء ضحية الغدر عندما اكتشفوا أن الإخوة الفلسطينيين سددوا ثمن ما اشترروه من طعام وكساء ودواء بدولارات مزيفة، ليجد

وتصور البعض أن المسألة في طريقها للتفراج.. وأنه كما حصل اليهود قديماً على وعد بلفور وأنشأوا لهم وطناً بمقتضاه على أرض فلسطين.. فإن الفلسطينيين سيحصلون على الأمر نفسه على الطريقة الأمريكية.. ولكن هيهات!! لأن الرجوع مختلف.. العصابات الصهيونية قديماً انفتحت كلمتها وتوحدت صفوفها وتكلمت لغة واحدة عنوانها: «الموت للعرب» وحصلوا على دعم عسكري غير محدود من أوروبا بزعامة بريطانيا.. وهي أمور لم تتوفر للشعب الفلسطيني الذي سقط أبنائه ضحية صراع طائش على سلطة ليس لها على أرض الواقع وجود وكان اقتتال فلسطيني / فلسطيني أهوج وطائش كان من نتيجته أن أصبح أبناء شعب فلسطين البسطاء في حالة يأس كامل.. فالموت بهم محيط من كل جانب ليس بالرصاص والقنابل فقط.. حيث ظهر لهم عدو جديد هو الجوع والفقر والمرض.

وسط كل هذا تفتق ذهن الصهاينة عن مشروع جديد.. مشروع ظاهره صالح الفلسطينين.. وباطنه الاستيلاء على كل أرض فلسطين.. مشروع غزة الكبرى وهي دولة فلسطينية تقام على غزة، ورفع الفلسطينية، ورفع المصرية، وألف كيلو متر من أرض سيناء المصرية.. وتكون رفح الموحدة عاصمة لهذه الدولة المقترحة التي تخرج الشعب الفلسطيني كله من الأراضي الفلسطينية باستثناء غزة ورفع الفلسطينية، بمعنى أن إسرائيل تستولي في المقابل على الضفة الغربية بالكامل بما فيها القدس!!

ولوضع الفكرة الخبيثة موضع التنفيذ بدأ مخطط تجويع الشعب الفلسطيني وفرض حصار صارم من جهة الأراضي الخاضعة للسيطرة الإسرائيلية، وقطع كل مقومات الحياة عن الشعب الفلسطيني، في غزة ورفع، بحيث يصبحون بلا ماء وبلا طعام، وبلا دواء وبلا

هؤلاء أنفسهم في مواجهة كارثة حقيقية وهي أنهم أصبحوا أو كادوا مقلنين ولا أحد يعلم من أين حصل الفلسطينيون على هذه الدولارات المزيفة، ولكن المؤكد أنها لا يمكن أن تدخل الأراضي الفلسطينية إلا بعلم السلطات الإسرائيلية.

تري هل يتخدد الفلسطينيون باخططات الإسرائيلية أم تراهم يقيقون فيبحثوا أولاً عن ذاتهم التي ضاعت أو على الأقل كادت أن تضيع بفعل فتنة حمقاء تصر على أن تقودهم تجاه الهاوية!!؟

أحمد تقي الدين

المجموع - أول!!

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ / محمد عباس محمد عرابي، قال:

غياب التوعية التربوية الصحيحة التي توضح للطلاب والطالبات للمقاصد الرئيسية من وسائل الاتصال.

● انتشار وسائل اللغو والترفيه الرخيصة عبر بعض وسائل الإعلام الفضائي وما تتيحه هذه الوسائل من أفلام ومسلسلات تشكل نموذجاً رديئاً للمحاكاة لدى المراهقين والمراهقات. يضاف إلى ذلك جماعات رفاق السوء وتأثيرها المباشر على سلوكيات الكثير من أفراد المجتمع من الشباب نظراً لما تمثله هذه الجماعات من سلوكيات متحرقة.

● وللتقليل من خطورة هذه الظاهرة نقترح:

١- ضرورة تكاتف فئات المجتمع معاً في التوعية بخطورة مثل هذه الظاهرة وشيوع انتشارها واستخدام وسائل الإعلام المختلفة، مسموعة ومرئية، ومقروءة، في توعية أفراد المجتمع بترشيد استخدام وسائل الاتصال وخصوصاً على الأغراض المحددة لها فقط.

٢- مخاطبة البنين والبنات بأسلوب تربوي يتمشى مع مراحلهم العمرية وذلك لغرس الثقافة الصحيحة في نفوسهم، وجعلهم يمتثلون المجتمع في ذواتهم فيصبح كل سلوك صادر منهم لخدمة ذلك المجتمع، والحفاظ عليه، وعلى بقاءه واستمراره قوياً سليماً.

٣- ضرورة وضع ضوابط مجتمعية رادعة لمن لا يقبل بضرورة التعايش مع المجتمع في ظل ثقافته، ومن ثم دفع هؤلاء الذين يستخدمون الهواتف المحمولة في المعاكسة كما يجب على الوالدين أن يوجهوا أبنائهم إلى الطريق الصحيح، ويتبغى على الأم بصغة خاصة أن تغرس في بناتها سلوك العفة، ومقاومة المحاولات السخيفة التي تعمل على وضع الفتاة في مواقف لا تليق

أصبح العالم الآن قرية كونية صغيرة، فأنت تستطيع أن تحدث قريباً لك أو صديقاً في أي مكان في العالم عبر الإنترنت أو عبر الهواتف المحمولة والثابتة، ورغم أن وسائل الاتصال اخترعت من أجل مساعدة الإنسان وقضاء حاجاته وراحته إلا أن إساءة استخدامها أصبحت تشكل ظاهرة في أغلب المجتمعات، ولكن هذه الظاهرة (أعني سوء استخدام الهاتف) تتراوح بين اللد والجور في مجتمع ما، وفقاً لقواعد الضبط الرسمي وغير الرسمي المتعلقة به، ووفقاً لقواعد وأسس التنشئة الاجتماعية للعمول بها، وإضافة لذلك ووفقاً لوعي المجتمع بما يجب أن يكون عليه أبنائه ومتطلبات المجتمع التنموية من أفراد.

فأسباب انتشار هذه الظاهرة:

● شيوع امتلاك شريحة عريضة من المراهقات والمراهقين لهذه الوسيلة دون أدنى حاجة إلى استخدامها سوى لاعتبارات التقليد والمظهرية وغياب الوعي الاجتماعي والتربوي لدى بعض الآباء والأمهات فيما يتعلق بغرس السلوك الصحيح لدى الأبناء في ظل ثقافتنا الإسلامية وأيضاً رغبة بعض المراهقين والمراهقات في تقليد ثقافات مغايرة لثقافتنا ولا تتمشى معها مثل الرغبة في مصادقة الجنس الآخر، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى الانحراف. وانتشار بعض السلوكيات المنحرفة لدى شريحة من المجتمع دون رادع أو ضابط يزرع مثل هذه السلوكيات ويمنع انتشارها الوبائي المتزايد وكذلك ضعف الرقابة المدرسية ومماح بعض المؤسسات التعليمية بأن يحمل الطلاب هواتفهم المحمولة معهم داخل المدرسة والقصور الدراسية مع

بها وتوعية الأبناء والبنات بضرورة ترسيخ الهويات
النشأة إلا في مقاصدها الصحيحة ولا يسرقا في منح
أولادهم مثل هذه الوسائل وبصفة خاصة من هم في سن
المراهقة، وأن يكون الأبوان نموذجاً للاقتصاد داخل
الأسرة. كما يجب على الفتاة ألا تضع نفسها موضع
الشبهات وأن تقطع الطريق على كل من يحاول أن

تقنيات!!

ومن الأستاذ عاصم سيد المحامي كانت تلك الكلمة:

تتميت أن أكون مقرناً وقارناً للقرآن الكريم، ماعراً
به، لكي أكون مع السفرة الكرام البررة ولكني أمتنع
فيه أحياناً ولم يهني الله الصوت العزب الجميل
وبالتالي لم أكن كذلك.

تتميت أن أكون مربياً معلماً للفضيلة والأخلاق
الحسنة لأجيال وأجيال، يذكرونني مهما مرت الأيام
بهم.

تتميت أن أكون عاملاً وقتياً أعرف كل شيء.

تتميت... تتميت... ولكن مع لحظة تأمل وجدت
تحقيق كل الأمنيات أمامي رويداً رويداً ووجد نفسي في
كل مخلص في عمله عاشقاً له تروق نفسه بالارتياح
والإطمئنان والرضا عند ممارسة عمله كما لو كنت أرى
نفسى في كل مهنة تتميتها، وكأنني أسمع صوت
صدي مقنع يحدثني عما يدور في داخلي بانعكاس
رغبة البعض أن يكونوا مثلي حينما ألتفت وأخلص أنا
أيضاً في عملي إعمالاً لنص حديث رسول الله ﷺ:

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه...»
فلا بد أن نكرس كل مجهودنا لجودة وإتقان العمل حتى
يحبه الله، وإذا أحببنا يكون - عز وجل - سمعنا الذي

نسمع به ويدنا التي نبطش بها، فهل عنا من لا يرغب
في أن يكون عبداً رباتياً يقول للشيء: كن فيكون...
ولنشارك في الفكر، هل تتميت أنت أيضاً مهنة ما و
تحولت بك دقة الحياة لسائر ثان لتوجه بك لتصير آخر
خلافاً ما تتبعه؟ ووجدت ما تتميته في صورة شخص
آخر أخلص في مهنته وأتقنها وأصبح بارعاً فيها
وسعدت به ودعوت له بدوام التوفيق...!!

تتميت أن أكون مقرناً وقارناً للقرآن الكريم، ماعراً
به، لكي أكون مع السفرة الكرام البررة ولكني أمتنع
فيه أحياناً ولم يهني الله الصوت العزب الجميل
وبالتالي لم أكن كذلك.

تتميت أن أكون ميتها تشدو معي الريح والطير
كسبيلنا دارود - عليه السلام - ولكن لم أمتنع
بمقومات البتة من قوة الصوت وجمال الأداء وغيره
ولكن - كما يقال - ليس كل ما يتمناه المرء يدركه
وبالتالي لم أكن كذلك.

تتميت أن أكون داعياً إلى الله في جميع دول العالم
ابتغاء مرضاة الله في نشر الدعوة بالحكمة والموعظة
الحسنة، لا أريد جزاء ولا شكوراً، أنير قلوب الغافلين،
وأقول قولاً ليلاً للقاسية قلوبهم، ولكن لم يمهد لي
الطريق، وبما أن كل ميسر لما خلق له لم أكن كذلك.

تتميت أن أكون بجاراً أشق البحار والمحيطات والأنهار
طولاً وعرضاً، غواصاً في الأعماق، أرى كل الكور
التي لم يرها أحد... ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي
السفن، ولم أكن كذلك.

تتميت أن أكون طياراً أخلق في الهواء طليقاً، أعبر
الفجرات، أعلو أقصم الجبال، أكتشف كل جديد،
ولكن... لم يحالفني الحظ ولم أكن كذلك.

تتميت أن أكون مهندساً معمارياً أشيد المباني قوية
تنحدي الرياح غير قابلة للسقوط، صلبة تمكث عبر
السنون، ولم أكن بالطبع كذلك.

تتميت أن أكون طبيباً ماعراً أعالج جميع المرضى،



إعداد الأستاذين / محمد جمعة - أحمد رضوان

أردوغان: الملص حرية شخصية وليعرف كل منكم مكانه

رد رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان بحدة على المدعين الجمهوريين ورؤساء المحاكم الذين أعلنوا
معارضتهم لما أعلنه حول ضرورة رفع حظر الحجاب قبل انتظار صدور الدستور الجديد، حتى لو كان ينظر إليه على
أنه رمز ديني. ووجه أردوغان - خلال لقاء مع عضوات حزب العدالة والتنمية الحاكم «فرع النساء» في إسطنبول -
رسالة تحذير شديدة اللهجة إلى رجال القضاء والمدعين الجمهوريين قائلًا: «يجب أن يعرف كل فرد في تركيا
مكانه ووضعه... أضاف أردوغان أنه ليس من حق أي أحد في تركيا أن يفرض على المواطنين ملصاً معيناً لأن هذه
حرية شخصية تخضع لاختيار كل إنسان. وأشار إلى أن هناك فصلاً بين السلطات في تركيا، وليس من حق
السلطة القضائية أن تتدخل في عمل السلطة التنفيذية أو التشريعية، والعكس، ولذلك فإن على كل واحد أن
يعرف مكانه ووضعه ويلزمه.

تقييد أسيرة فلسطينية أثناء ولادتها!

ارتكبت سلطات الاحتلال الإسرائيلي جريمة جديدة في مجال خرق حقوق الإنسان بقيامها بتقييد أسيرة
فلسطينية (٤٠ سنة) بالسلامل وسط حراسة مشددة أثناء ذهابها للمستشفى لوضع مولودها، في مستشفى
«منير كفار سابا» واستهجن الدكتور عاطف عدوان - وزير شؤون الأسرى المكلف في حكومة هنية المقالة - قرار
إدارة السجون الإسرائيلية بعودة الأسيرة ومولودها مباشرة إلى السجن، حيث إنها بحاجة إلى رعاية صحية

ومتابعة لعدة أيام داخل المستشفى وأوضح أن الأسيرة وضعت مولودها، وحيدة دون أن يكون بجوارها أحد من أقاربها أو حتى من المؤسسات الحقوقية حيث رفضت سلطات الاحتلال السماح لأقاربها من الدرجة الأولى وكذلك رفضت السماح لحامية مؤسسة مانديلا بحضور عملية الولادة.. وبين «عاطف عدوان» أن إدارة السجون لا تعامل الأسيرات معاملة خاصة في مثل هذه الحالات.. خاصة أن الطفل الرضيع بحاجة إلى ملابس وأغطية في هذا الجو شديد البرودة وفي ظل قلة الأغطية والملابس الموجودة لدى الأسيرات.

مفتي القدس يحذر من اقتحام المتطرفين اليهود ساحات المسجد الأقصى

حذر الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، سلطات الاحتلال الإسرائيلي من السماح للمتطرفين والمستوطنين اليهود بالصلاة في ساحات المسجد الأقصى المبارك. وأكد مفتي القدس في تصريح صحفي له -ردا على طلب تقدم به عضوان من الكنيست الإسرائيلي للسلطات الإسرائيلية بالسماح لهما بالصلاة في المسجد الأقصى، أن المسجد الأقصى - بجميع ساحاته ومرافقه هو مسجد لعبادة المسلمين وحدهم ولا يجوز لكائن من كان أن يغير هذا الوضع أو يتدخل في شئون المسجد.. وحمل سلطات الاحتلال النتائج الخطيرة للترتبة على مثل هذه الصلاة التي تأتي في سياق الاقتحامات المتكررة للمسجد..

قوات الاحتلال الغربية تستخدم الأطفال الأفغان في البحث عن الألغام

أعلنت وزارة الدفاع الألمانية عزمها إجراء تحقيق شامل بعد أن كشف ضابط ألماني سابق في قوات المساعدة الأمنية الدولية «إيساف» بأفغانستان عن قيام قوات حلف شمال الأطلسي -الناتو- باستغلال الأطفال الأفغان مرارا وتكرارا في البحث عن الألغام الأرضية المزروعة في الطرقات.

فقد كشف الضابط في كتابه الذي صدر بعنوان «محطة نهائية» أن الأطفال الأفغان يتم استغلالهم من قبل قوات المساعدة الأمنية الدولية لإيجاد الألغام الأرضية في منطقة كابول منذ عام ٢٠٠٢.

إسلام ٢ قساوسة و١٤٤ شخصا في إثيوبيا

أكد الشيخ صالح عبد الواحد المدير التنفيذي للهيئة العالمية للتعريف بالإسلام التابعة لرابطة العالم الإسلامي أن أول نتائج لهذه الهيئة هو المناظرة التي تمت في إثيوبيا لأحد الدعاة الذين يعملون تحت مظلة الهيئة، وهو الشيخ قمر حسين -الذي ألف كتابين عن الإسلام والإنجيل والتوراة- مع عشرين قسيسا وبعدما تم اللقاء طلبوا المناظرة على الملأ فحضر المناظرة حوالي عشرة آلاف ما بين مسلمين ونصارى، على أثر تلك المناظرة أسلم ١٤٤ رجلا وامرأة في وقت واحد ومن ضمنهم ثلاثة قساوسة.

٤٢ أجنبيا يعتنقون الإسلام باليمن

يبلغ إجمالي عدد الأجانب الذين أشهروا إسلامهم في اليمن مؤخرا ٤٢ شخصا بينهم عدد من النساء.. وقالت «لجنة التعريف بالإسلام اليمنية»: إن ٤٢ رجلا وامرأة من الجنسيات الأمريكية والهندية والفنلندية والإثيوبية والفرنسية والبريطانية والنمساوية أشهروا إسلامهم باليمن وذلك خلال العام الجاري.

المجلس الإسلامي بأفغانستان يحذر من تنامي بعثات التبشير

حذر المجلس الإسلامي بأفغانستان من ازدياد نشاط بعثات التبشير وتأثير ذلك على الاستقرار السياسي والاجتماعي في البلاد. وقال المجلس الذي يضم علماء دين من مختلف مناطق البلاد في بيان له: إن المجلس يشعر بالقلق بشأن أنشطة بعض المنظمات التبشيرية والإحادية وتعتبر هذه الأنشطة مخالفة للشريعة الإسلامية والدستور وتتعارض مع الاستقرار السياسي.. ومن ناحية أخرى، دعا مجلس العلماء إلى منع الخطات التلفزيونية المحلية من بث المسلسلات والأفلام الهندية التي تعرض مشاهد خارجة تهديد أخلاقيات المجتمع.

بوش يشارك في الذكرى الستين لتأسيس إسرائيل

ذكرت صحيفة هاآرتس الإسرائيلية أن الرئيس الأمريكي جورج بوش سيزور إسرائيل في مايو المقبل، للمشاركة في احتفالات الذكرى الستين لإعلانها كدولة، وأشارت الصحيفة إلى أن الرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز وجه الدعوة إلى بوش منذ شهر إلا أن البيت الأبيض لم يؤكد مشاركته إلا أخيرا.

ألف مسلم في الجيش النمساوي!

للمرة الأولى على الإطلاق قررت وزارة الدفاع النمساوية تعيين إمامين مسلمين للقيام بالإرشاد الديني في صفوف الجيش.. القرار الذي أعلنه وزير الدفاع -نوربرت- جاء تلبية للاحتياجات الروحية لأكثر من ألف مسلم يؤدون الخدمة العسكرية. جدير بالذكر أن الإسلام هو الديانة الثانية التي يدين بها عناصر الجيش الذي يضم الآلاف من المجندين من أصول تركية.

القدس فقدت أكثر من ١٠٠ ألف من سكانها

كشف معهد أبحاث إسرائيلي عن أن أكثر من ٢٧٢ ألف إسرائيلي أغلبيهم يهود، قد تركوا مدينة القدس في الفترة ما بين عامي ١٩٩٠ و ٢٠٠٦ بينما انتقل إليها ١٧٠ ألف إسرائيلي خلال نفس الفترة. أظهر التقرير السنوي الإحصائي لمدينة القدس لعام ٢٠٠٦ الذي نشره معهد القدس للدراسات الإسرائيلية أن ما يقدر بنحو ١٧ ألفا و ٣٠٠ يهودي تركوا القدس عام ٢٠٠٦ مقارنة بـ ١٠ آلاف و ٩٠٠ يهودي انتقلوا إليها. أشار التقرير الإحصائي أيضا إلى أن نحو نصف أولئك الذين غادروا القدس، وانتقلوا إلى ضواحيها بما في ذلك المستوطنات القائمة في الضفة الغربية!

مخاوف في هولندا من مشروع فيلم معاد للإسلام

أثار مشروع فيلم لنائب سياسي هولندي متطرف خوفا في هولندا من ردود أفعال عنيفة، ويتبنى المشروع النائب المتطرف جيرت فايلدرس الذي تعود على التصريحات المثيرة ضد الإسلام، ودعا مرارا في البرلمان إلى حظر القرآن مقارنا إياه بكتاب هتلر «كفاخي» كما دعا إلى وقف هجرة المسلمين وزعم أن القرآن الكريم يحرض الناس على ارتكاب أعمال مروعة.. وأعرب رجال أعمال هولنديون عن قلقهم وأقادت وسائل الإعلام بأن الحكومة أعدت خطة لإخلاء سفاراتها وإجلاء مواطنيها عن الشرق الأوسط، كما أعلن رئيس الوزراء الهولندي بأن الحكومة مستعدة للرد بسرعة كبيرة إذا تسبب ذلك في تجاوزات.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عبد النبي فراج
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس الاتحاد السويسري

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف صباح يوم الخميس الموافق ١٠ / ١ / ٢٠٠٨ السيد ياسكال كوشيان - رئيس الاتحاد الكونفدرالي السويسري يرافقه السيد شارلي ادوارد هيلد - سفير سويسرا بالقاهرة والسادة المستشارين لسيادته.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف والوفد المرافق لسيادته في مصر وزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقات الطيبة بين مصر وسويسرا وقدم فضيلة الإمام الأكبر شرحا مبسطا عن مراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة مؤكدا على أن الدراسة بالأزهر تتنازل بالوسطية والاعتدال مبينا أن الدين الإسلامي يتبذ العنف والتعصب والإرهاب بكل صورهم لأنه دين السلام والتسامح والغيرة والتعاون والتعارف، كما أن الإسلام يدعو إلى العدل والإنصاف وينبذ التعصب الأعمى والعنصرية البغيضة، والإسلام يؤكد على أن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون والتعارف والمودة، كما أشار فضيلته إلى أن الحضارات عند العقلاء لا تنصاد بل تتعاون لأنه لا توجد دولة في العالم تستطيع أن تعيش منعزلة عن العالم، فتبادل المنافع هو نوع من تعاون الحضارات وهذا ما يقره العقلاء.

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة شيخ الأزهر على حسن الاستقبال مؤكدا أن للأزهر سمعة كبيرة وطيبة في سويسرا، بل في العالم أجمع، وأن سويسرا تحترم الأزهر كمؤسسة دينية مفتوحة على العالم تحترم جميع المعتقدات، وأشاد سيادته بالدور الذي يلعبه الأزهر الشريف لحل المشاكل بين الحضارات وتهدة النفوس، كما أشاد سيادته بما قاله فضيلة الإمام الأكبر ووصفه بأنه في غاية الحكمة والعدل، وأنه يشارك فضيلته في جميع الآراء.

مستول أمريكي يطالب بإغلاق جواتانامو

أعرب رئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة الأدميرال مايك موليني عن رغبته في إغلاق معتقل جواتانامو نظرا لانعكاساته على صورة الولايات المتحدة.. أوضح موليني خلال أول زيارة له للمعتقل منذ توليه منصب رئاسة الأركان المشتركة أن التعقيدات القانونية العديدة تعيق إغلاق المعتقل.. كانت زيارة موليني قبل يومين من الذكرى السادسة لفتح المعتقل العسكري، حيث تحتفظ الإدارة الأمريكية بالملفات من المعتقلين المشتبهين بالإرهاب، ويواجه المعتقل انتقادات حادة بسبب الانتهاكات وسوء المعاملة التي يتعرض لها المعتقلون والتي تتنافى مع مبادئ اعتقالهم مع الدستور والقوانين السارية.

مستوطنون يهود يحرقون مسجدا أثريا ببیت لحم

أضرم مستوطنون يهود النار بالكامل في مسجد (الحميدية) في مدينة الخضر جنوب مدينة بيت لحم بالضفة الغربية وشرعوا بهدم سقف المسجد الذي يعتبر معلما أثريا قديما ومهما.. واستنكر رئيس وأعضاء بلدية الخضر وأهالي المدينة الاعتداء على المسجد وناشدوا المسئولين بالتدخل لحماية أماكن العبادة، ودعت البلدية ووزارات الأوقاف والسياحة والآثار للعمل على إعادة ترميم المسجد والحفاظة عليه من أجل تثبيت الموقع والحفاظة على الأراضي المحيطة به.

الكشف عن خندق إسرائيلي جديد قرب المسجد الأقصى

باشرت سلطة الآثار الإسرائيلية وجمعية استيطانية حفر خندق جديد قرب المسجد الأقصى بطول ١٥٠ مترا يمر بمحاذاة أسوار الحرم القدسي الشريف في بلدة القدس القديمة من تحت بيوت قديمة وتاريخية ونقلت شبكة «فلسطين اليوم» عن جمعية «غير عميم» (مدينة الشعوب) أنها حذرت -في رسالة وجهتها للمستشار القضائي للحكومة الإسرائيلية - من أن هذه الحفريات تجرى دون الحصول على موافقة أصحاب البيوت الفلسطينية التي ستتضرر من هذا النفق - حتى دون مخطط يضمن سلامة المنطقة.. وحاولت سلطة الآثار الإسرائيلية والجمعية الاستيطانية الالتفاف على الحقيقة. وزعمتا أنهما لم تابشرا الحفريات، بل ما يجري الآن هو «عملية فحص للربط بين كنيسين».

دفن المسلمين في ألمانيا بدون صندوق خشبي

قررت سلطات الألمانية المحلية تخفيف القيود المفروضة على طريقة دفن موتى المسلمين المقيمين في ألمانيا والسياح بدفن الجثث بدون صندوق خشبي، وهو ما كان يتعارض مع التقاليد الإسلامية وكذلك سرعة دفن التوفي في غضون ٢٤ ساعة عملاً بالتقاليد الإسلامية.. وقد أعرب بكير البوجا المتحدث باسم مجلس التنسيق للمسلمين عن ارتياحه لتخفيف السلطات الألمانية للإجراءات الخاصة بدفن موتى المسلمين، مشيرا إلى زيادة نسبة دفن الموتى المسلمين في ألمانيا، بعد أن كان ٩٠٪ من الموتى يوصون بدفنهم في أوطانهم.. وأشار التقرير إلى أن قواعد الدفن في ألمانيا كانت لا تتوافق مع عملية دفن التوفي المسلم.

الإمام الأكبر يستقبل نائب رئيس وزراء تايلاند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر بمكتبه يوم الأحد الموافق ١٧ / ١ / ٢٠٠٨ وفدا تايلانديا برئاسة الجنرال / سوتنى - نائب رئيس الوزراء التايلاندى للشئون الأمنية - يرافقه السيد / نوبادون تيبيناثك - سفير تايلاند بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد فى الأزهر الشريف موضحا لهم بأنه يوجد عدد كبير من طلبة تايلاند يدرسون بالأزهر وهم يمتازون بالسلوك الحميد وبالاجتهاد فى دروسهم وأن الأزهر يقدم لهم كل التيسيرات فى دراستهم، حيث إن الدراسة فى الأزهر تمتاز بالاعتدال والوسطية والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البلهاء كما أننا نعتبر أن الناس جميعا أخوة فى الإنسانية، وكل إنسان له عقيدته، والذي يحاسب على العقائد هو الله، كما أوضح فضيلة الإمام الأكبر للوفد أن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون وأن العدالة تقتضى أن يتعامل الجميع معاملة متساوية فنحن فى مصر مسلمين ومسيحيين متساوون فى الحقوق والواجبات وفى كل ما يتعلق بحقوق الإنسان، وهذه هى العدالة التى تقتضىها الأديان السماوية والعقول الإنسانية السليمة، وبالعقل نحمي الأمم وتقدم.

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على هذا الاستقبال الطيب موضحا بأن هذه الزيارة تأتى للاطمئنان على الطلبة التايلانديين الذين يدرسون فى الأزهر ويتمتعون برعاية الأزهر لهم.

الإمام الأكبر يستقبل سفير ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الإثنين الموافق ٢١ / ١ / ٢٠٠٨ السيد / داتوزين العابدين عبدالقادر - سفير دولة ماليزيا بالقاهرة والذي قدم دعوة لفضيلة الإمام الأكبر من رئيس وزراء ماليزيا لحضور المنتدى العالمى لخريجي الأزهر الشريف من دولة ماليزيا الذين أتموا دراستهم بالأزهر الشريف وجامعته وذلك فى الفترة من ١٥ إلى ١٨ فبراير ٢٠٠٨ وسوف يلقى فيه فضيلة الإمام الأكبر كلمة بهذه المناسبة ثم يتم تكريم فضيلته من جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا بمنحه الدكتوراة الفخرية.

كما يقام حفل كبير فى الاستاد الوطنى يحضره حوالى ٢٠٠٠٠ من مواطنى ماليزيا ومن جنوب تايلاند وسيتم فيه إلقاء كلمة من فضيلة الإمام الأكبر وكلمة من رئيس وزراء ماليزيا. ومن جانبه وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة الدعوة تمهيدا لتبليتها.

وسوف يحضر هذا المنتدى الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف، والأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر.

افتتاح أول موقع للمعاهد الالكترونية بالأزهر الشريف

لمسيرة التطور العلمى فى عالم الاتصالات والإنترنت ولمواصلة مسيرة التقدم والتحديث بالأزهر الشريف شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف وبحضور الأستاذ الدكتور / صفوت النحاس - رئيس الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة افتتاح أول موقع للمعاهد النموذجية الذكية الالكترونية بالأزهر الشريف يوم الخميس الموافق ١٧ / ١ / ٢٠٠٨ والذي يضم: أول أرشيف الكترونى لنتائج الشهادات الأزهرية منذ عام ٧١ للشهادة الثانوية ومنذ عام ٦٢ للشهادة الإعدادية وتنفيذ أول برنامج للكمبيوتر الخاص بتحفيظ القرآن الكريم من خلال الكمبيوتر وهذا البرنامج ناطق حتى يتيح للطلبة الحفظ الصحيح معتمدا على قراءات كبار المشايخ والقراء، ومن أهداف الموقع أيضا متابعة أولياء الأمور لأبنائهم الطلاب من خلال الموقع من حيث البرامج الأرشيفية لجميع الطلاب من البيئات والاختبارات الشهرية واختبارات النصف الأول والأخير من العام ويمكن لولى الأمر متابعة الطالب من خلال صفحة خاصة بكل طالب ولا يدخل عليها إلا ولى أمر الطالب من حيث الاسم والرقم السرى لكل طالب للاطمئنان على سلوكه فى الدراسة وانتظامه، وطرق الدراسة بالمدرسة وحضوره وانصرافه ودرجاته فى الاختبارات ولولى الأمر إبداء الملاحظات الخاصة بالطالب ومراسلة إدارة المعهد لإبداء الرأى، مما يزيد من تفعيل دور أولياء الأمور بالاشتراك نحو إبداء الرأى فى العملية التعليمية وسهولة متابعة أبنائهم بأيسر السبل من أى مكان فى العالم عن طريق شبكة الإنترنت.

وتجربى هذه التجربة على مجموعة من المعاهد الأزهرية العادية والنموذجية بمنطقة القاهرة والجيزة الأزهرية لحين تعميمها بإذن الله على جميع معاهد المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية.

الدورة التدريبية التاسعة والسبعون لوعاظ العالم الإسلامى

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذ / عبد الموجود أمين موسى

اجتماع مجلس مجمع البحوث الإسلامية

في جلسته المتعقدة في ٢٠٠٨/١/٣١ استعرض مجلس مجمع البحوث الإسلامية العديد من الموضوعات الهامة، حيث قرر المجلس ترشيح المستشار السيد علي بن السيد عبدالرحمن الهاشم مستشار رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة للشئون القضائية والدينية لعضوية مجمع البحوث الإسلامية.

كما تقدم فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ببحثين:

● الأول: بماذا يثبت هلال شهر رمضان.

● الثاني: بمناسبة احتفالية الأزهر الشريف بفضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق.

وقد أحيط المجلس علماً بالبحثين على أن يتقدم أعضاء المجلس الذين يريدون المشاركة في احتفالية الأزهر بفضيلة الشيخ محمود شلتوت بأبحاثهم. كما تقدم الأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندي عضو مجمع البحوث الإسلامية بأبحاث قرر مجلس المجمع إحالتها إلى لجنة البحوث الفقهية للنظر وإبداء الرأي والعرض على المجلس في جلسته القادمة.

الأزهر ينفي منع موفديه لإيطاليا من زيارة معبد يهودي

صرح فضيلة الشيخ علي عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأن ما ذكرته وكالات الأنباء الإيطالية منسوبا إلى الأزهر بمنع أحد أفراد بعثته الموفدة لدولة إيطاليا من زيارة أحد المعابد اليهودية بـروما، لا أساس له من الصحة. كما أوضح فضيلته أن الأزهر لم يكن على علم بالزيارة التي كان من المقرر أن يقوم بها المبعوث علاء الغباشي إمام المركز الثقافي الإسلامي بـروما إلى مقر المعبد اليهودي بالعاصمة الإيطالية «روما» مشيراً إلى أن هذه الزيارات تتم وفقاً لبرنامج التبادل الثقافي والتعاون الديني المدرج في جدول أعمال المركز الثقافي ولا يتم الرجوع فيها إلى الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتوزيع شهادات التخرج على الخريجين ومنح كل واعظ من واعظ الدورة مكتبة دينية تساعد على أداء مهامه بنجاح وتكوين مرجع له وقت الحاجة، كما وافق فضيلته على افتتاح أعمال الدورة التدريبية رقم ٧٩ للأئمة والواعظ من العالم الإسلامي اعتباراً من ٢٠٠٨/٢/١ ولمدة ثلاثة أشهر لعدد ٢٣ إماماً وواعظاً من دول (الجزائر - السودان - بنجلادش - ساحل العاج - غينيا كوناكري).

كردستان تطلب تدريس مناهج الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠٨/١/٢٢ الأستاذ / عثمان المفتي مستشار أول وزارة الأوقاف الكردستاني يرافق الأستاذ الدكتور / أحمد مصطفى - عميد كلية الشريعة - بجامعة صلاح الدين - بأربيل. وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد الكردستاني في الأزهر الشريف وشكر الضيوف فضيلة الإمام الأكبر على التنسيق مع جامعة الأزهر لإمكانية قبول ١٠ طلاب من طلبة كردستان المتميزين للدراسة في جامعة الأزهر وتيسير إجراءات قبولهم بالجامعة كما طلب الوفد من فضيلة الإمام الأكبر مساعدتهم للتمهيد لإنشاء معهد ابتدائي أزهرى بكردستان يقوم بتدريس مناهج الأزهر التي تمتاز بالوسطية والاعتدال، ورحب فضيلة الإمام بإمداد المعهد بالمنهج الأزهرى الذى يدرس فى المعاهد الأزهرية والكتب الدراسية وإرسال مدرسين من الأزهر.

اجتماع المجلس الأعلى للأزهر الشريف

وافق المجلس الأعلى للأزهر الشريف في جلسته رقم (١٦٥) برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر على وقف تنفيذ القرار الصادر بعدم قبول قيد الحاصلين على مؤهلات عليا من الجامعات المصرية انتساباً في بعض الكليات الشرعية لجامعة الأزهر على أن تقوم الجامعة بعقد امتحان في المواد الشرعية والعربية وحفظ القرآن الكريم المقرر على طلاب الشهادة الثانوية تحريراً وشفوياً وأن يكون القبول بالانتساب فقط.

عبد النبي فراج رئيسا لقطاع مكتب الإمام الأكبر

صدر قرار رئيس مجلس الوزراء بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف بتعيين السيد / عبد النبي محمد إبراهيم فراج رئيساً لقطاع مكتب شيخ الأزهر بالدرجة الممتازة حتى تاريخ بلوغه السن القانونية المقررة لإنهاء الخدمة.

ومحمد الحداد رئيساً للإدارة المركزية للعلاقات العامة

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف القرار رقم (٤٩) لسنة ٢٠٠٨ بتعيين فضيلة الشيخ / محمد كامل مصطفى أحمد الحداد - رئيساً للإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام حتى بلوغه السن القانونية المقررة لترك الخدمة وذلك اعتباراً من ٢٠٠٨/١/٢٢.

مأساة شعب فلسطين

وتعليقاً على الوضع المأساوي الذي يعيشه الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، أصدرت لجنة القدس والجهاد بمجمع البحوث الإسلامية بياناً، جاء فيه:

تشعر اللجنة بأسى وحزن على ما يجري على الساحة الفلسطينية من اعتداءات همجية شرسة على أرواح وممتلكات الفلسطينيين والحصار المطبق عليهم من جميع الجوانب مما يشكل محرقة جديدة لشعبنا المسلم.

وتناشد القادة العرب أن يبدلوا أقصى ما في وسعهم تلك الحصار وحماية الأرواح.

كما تناشد الأخوة الفلسطينيين بأن يتحدوا ضد هذا العدوان، وأن يحشوا فيما بينهم بالحوار الهادئ الحكيم كي يعود الصف الفلسطيني إلى مساره الصحيح نحو الهدف المنشود لتحرير الأرض والحفاظ على المقدسات حتى لا يستغل أعداؤها هذه القرقة في تنفيذ مخططاتهم المعلنه لهدم الأقصى وتهويد القدس الشريف مستغلين الخلاف القائم بين حكام غزة والضفة الغربية.

ترقيات علماء الوعظ

صرح فضيلة الشيخ عبد الحميد الأطرش الأمين العام المساعد للدعوة بأنه سيتم بمشيئة الله تعالى إجراء اختبار الترقيات الأدبية لعلماء الوعظ يوم الأحد الموافق ١٠ / ٢ / ٢٠٠٨م من: واعظ إلى واعظ أول. ومن واعظ أول إلى موجه، ومن موجه إلى موجه أول بشرط توافر المدة الكلية وهي كالآتي:

ثمان سنوات لو اعظ أول، ستة عشر عاماً لموجه، وعشرون عاماً لموجه أول، كمدة كلية لا بد من استكمالها تنفيذاً لقرار فضيلة الإمام الأكبر ومدة بينية ثمان سنوات من واعظ إلى واعظ أول، وست سنوات من واعظ أول إلى موجه وثلاث سنوات من موجه إلى موجه أول.

وسيجرى الاختبار بمقر الأمانة العامة بمجمع البحوث الإسلامية في القرآن الكريم والفقه الإسلامي والمعلومات العامة وذلك في تمام الثانية عشر ظهراً.

سلطنة عمان تطلب مبعوثين من الأزهر

طلب الجانب العماني في اجتماع لجنة التعاون المشترك بين الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بسلطنة عمان إيفاد ثلاثة أساتذة متخصصين في الخطابة من الأزهر الشريف إلى مركز السلطان قابوس للثقافة الإسلامية لمدة عام وكذلك إيفاد خمسة قراء معلمين من الأزهر الشريف لعقد دورة في حفظ القرآن الكريم وتجويده لمدة ستة أشهر وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على طلب الجانب العماني

تدعياً لأواصر الصداقة والتعاون العلمي بين البلدين الشقيقين في الشئون الإسلامية.

وقد عقدت لجنة المبعوثين والمتعاونين جلسة بمكتب فضيلة وكيل الأزهر لإجراء مقابلة مع المرشحين لعلوم القرآن الكريم لاختيار خمسة مدرسين للقراءات برئاسة فضيلة وكيل الأزهر الشيخ عبدالفتاح علام وفضيلة الشيخ علي عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد المعصراوي رئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف وفضيلة الشيخ حسن عبد النسي وكيل اللجنة.

طلاب نيجيريا بالأزهر الشريف

في الإحصاء السنوي للطلاب الوافدين بالازهر الشريف أكد فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين بمجمع البحوث الإسلامية أن عدد الطلاب الدارسين بالأزهر الشريف من دولة نيجيريا الشقيقة بلغ ٥٤٩ طالباً وطالبة في مختلف مراحل التعليم حيث تضم الدراسات الخاصة ٥٣ طالباً وست طالبات، والمرحلة الإعدادية ٣٢ طالباً وطالبتين، والمرحلة الثانوية ٣٣ طالباً و٤ طالبات، والمرحلة الجامعية ٣٩٥ طالباً، و١٢ طالبة، والدراسات العليا ١٢ طالباً.

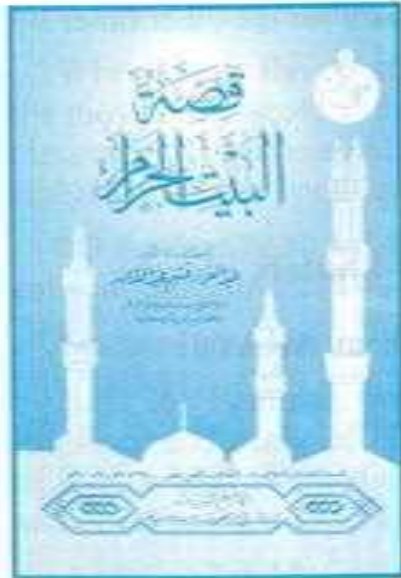
ويبلغ عدد الدارسين منهم على نفقة الأزهر ٣١٠ طالب وعلى نفقة جهات مختلفة ١٦ طالباً وطالبة، وعلى نفقتهم الخاصة ٢٢٣ طالب وطالبة.

قصة البيت الحرام

صدر عن إدارة المطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية إصدار جديد بعنوان «قصة البيت الحرام» للأستاذ الدكتور عبدالعزيز غنيم عبدالقادر أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الأزهر الشريف.

وقد تضمن الكتاب قصة البيت الحرام منذ أول يوم وحتى دولة بنى أمية وروى فيه المؤلف الأحداث التي وقعت فيه وفي الأماكن الدائرة حوله وكيف حفظ الله بيته من كيد أعدائه وبدد شمل من أراد به سوءاً.

وقد اشتمل الكتاب على خمسة فصول: «البيت الحرام قبل جرحهم وخزاعة- البيت الحرام في عهد قصي وأبنائه- مكة في عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم- البيت الحرام في عهد الخلفاء الراشدين- البيت الحرام في عهد بنى أمية» وقد صاغ المؤلف كتابه بأسلوب سهل سلس يفهمه العامة والخاصة.



As Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) was the most perfect example of the human being who has perfect attributes, comprehensive mediated actions and balanced justice, his perfect pattern of life was not lacking jokes and jests that eased the soul and revived the energy. Moreover, his cheerfulness helped overcome the obstacles of hard life along with commitment to right, truthfulness and justice. Certainly, this is the real mediation without exaggeration.

We know from the Prophetic life that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was joking with his male and female companions, but his saying was always right to the extent that his companions told him, "O Allah's Messenger, you are joking with us."

Ali Ibn Abi Taleb said in describing the attributes of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), "Allah's Messenger was cheerful, simple and flexible."

Abdullah Ibn Al-Harith said, "I have never seen a person more cheerful than the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)"

Narrated by At-Termezy and Imam Ahmad.

He was the most cheerful person who always smiled at his companions, the matter that stirred their amazement. He liked the entertainment. He gave way to Habashi group that was singing and dancing in Medina Mosque. He asked his wife, 'Aishah (may Allah be pleased with her) to watch them if she wished. Then, she stood behind him sticking her cheek to his cheek making a delicate scene till she was satisfied and left them.

When Umar Ibn Al-Khattab (may Allah be pleased with him) entered the mosque, he scolded the Habashi group. However, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) stopped him and encouraged the Habashi group to continue playing saying:

"O the family of Arfadah, I want to let the Jews know that our religion calls for cheerfulness and mercy."

Narrated by Muslim.

Jabir Ibn Samurah said about the companions of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), "They were poetizing in front of him as well as mentioning many pre-Islamic matters. He was laughing and never scolded them except in forbidden matters."

Abdullah Ibn Mas'ud said, "Perhaps he smiled till his teeth appear."

Ka'ab Ibn Malek said, "If he smiles, his face brightens as if it were a piece of the moon".

Narrated by Al-Bukhary and Muslim.

Anas Ibn Malek said, "The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was the most smiling person with his wives.

'Aishah (may Allah be pleased with her) said, "Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) and Sawdah Bint Zam'ah were visiting me, and I made a kind of food which I brought and asked Sawdah to eat.

She said: I do not like it.

I said: I swear by Allah you should eat or I will stain your face with it!

She said: I will not eat.

I took some of it and stained her face. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) lowered his knees to encourage Sawdah to stain my face. Then she did stain my face with some of it, the matter that made the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) laugh).

Narrated by Abu Ya'aly

'Aishah (may Allah be pleased with her) said, "I competed with the Prophet and I preceded him. When I held the meat, he competed with me and preceded me. Then, he said, 'this time is in return for the other time.'"

Narrated by Abu Dawod and Imam Ahmad.

Translated by: Eman Ali El-khateb.

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil

pattern linked the mediation between strong patience and reverence to Allah in prayers:

{And seek help in patience and prayer; and surely it indeed great except for the submissive.}

[Al-Baqarah (The Cow): 45]

Moreover, his good pattern united kindness to human beings, animals, plant and environment because they are all alive worshipping Allah in a way unknown to us and extreme anger for the sake of religion, forbidden matters and Allah's limits.

His good pattern joined the reluctance of the rich in life and love of beauty created by Allah. He called the people to select nice names and to enjoy the permitted fun. He asked Allah to forbid the ugly scene while traveling, and asked Allah in Al-Istisqa prayers, "O Allah! Please send in our land the best of earth."

His mediation joins preferring life with the miserable –not the luxurious kings- to kindness and delicateness. It was narrated about his attributes, "No hand was more delicate than his hand, no smell was better than his smell. His face was shining due to cheerfulness."

Narrated by Imam Ahmad .

His mediation joined active worshipping at the mosque and the good appearance during worshipping. He used to ask his wife 'Aishah to comb his hair.

Narrated by Imam Ahmad .

Thus, the good pattern of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) with this Islamic mediation embodied the perfect example of the human being who becomes perfect without exaggeration.

(3)

This illiterate prophet did his best to change the world in the regard of religion and worldly life affairs, exerted great effort to transfer the way of history and the concept of culture, civilization and humanity. He extremely suffered from the plots of the disbelievers during thirteen years in Mecca, He established the Islamic state, formulated the nation, and led more than sixty battles during the nine years of staying in Medina. He is the same person who joined hard work and suffering and easing the soul to

revivification the energy to be able to continue working and striving as well as enjoying the kinds of beauty created by Allah.

We have allocated for the artistic and beautiful attributes of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) studies that were published previously. In The following we will be concerning the Sunnah of the illiterate prophet in easing the soul by jokes and making fun.

As we mention these attributes of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), we should know the meaning of jokes and making fun in the expressions of the Arabic language and the Islamic culture. Jokes are said to ease the soul and to make fun, the information that is mentioned by Al-Zamakhshary (467-538 H / 1075-1144 A.D).

At-Termah (125 H / 743 A.D) was speaking to his wife Sulimah:

You do your best to be the most beautiful woman

I love you and your beauty.

In (The Arab's Tongue) by Ibn Manzhoor [630-711 H / 1233 – 1311 A.D]. It was narrated about Ibn Abbas, "The truthful person has three attributes: making fun, solemnity and love."

Fun is funny saying, action or movements that give the situation fun and excitement. It is an intention added to the necessary sayings and deeds, which should be mediated. It is like salt that is added to food, and should be neither scarce nor abundant.

Jest (Torfa) and the plural (Toraf) are the matters that are funny and enjoyable. It is the funny saying, movement or action that adds meaning that eases the souls of the listeners and viewers.

The lingual meaning of joke (Noktah) and the plural (Nokat) is the white point in darkness or the dark point in brightness. It has another meaning which is the accurate matter that resulted from deep thinking. Metaphorically, it is the unfamiliar meaning and funny sentence that ease the soul.

Kidding is the opposite meaning of seriousness. The people who are joking are those who are neither silly nor awful. Thus, kidding is a kind of coloring to the words and movements in a way that makes them interesting not tough. This is the definition of expressions.

Tales about the cheerfulness of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)

The expression "religion" is used by all of the nations and peoples, but its significance per the people of "positive religions" differs from its significance per the people of the Book. Its meaning and concept in the materialistic philosophies is the superstitious and legendary secretion of the human mind in the childhood phase. However, its heavenly meaning is the heavenly values descended by the honest revelation to the prophets and messengers for the sake of guiding the intellectual people in life.

Cultures, while it means in the western positive civilization the art of making best possible result out of the current situation for carrying out power regardless the values and morals. However, Islam links—in the philosophy of politics—the political approaches to values and morals. In this regard, politics means the approaches with which the people are close to righteousness and far from corruption.

There is great difference between this concept of politics and the western concept of Machiavelli (1469 – 1527 A.D. This was the well-known meaning of the politics philosophy in the western positive civilization, and is still well-known and ruling up to now.

The expression "feudalism" is mentioned by all of nations and peoples; while it means in the western civilization owning the land and the creatures living upon it. However, it means in Islam owning for the sake of benefiting, reviving and investing the wasteland according to procedures set by the Shari'a, as the Owner of all money and wealth is Allah, Glory be to Him.

This is the same case of the expression "mediation", which means in the folk thinking the lack of fixation and determination and the mediated situation lacks sense and taste. It means in the philosophy of Aristo (384-322 B.D) a virtue between two vices; it is the third situation or a static point between two poles. It differs from the two other poles.

In the Islamic concept, mediation is not as such; it is a third situation between the opposing poles without contradicting with them completely. It collects from both of them the elements of right and justice to form this new mediated situation. It signifies rejection for exaggeration that sides with one pole.

The mediation of Islam rejects the exaggerated materialism of Judaism and exaggerated spiritualism of Christianity. However, it is the mediation that gathers the elements of right and justice of materialism and

spiritualism. Thus, this Islamic mediation formulates the mediated human who prays at night and works at the day. It joins individualism and collectivism, life and afterlife, religion and worldly life, religion and politics, and self and the other, worshipping the Creator and enjoying life created by Allah.

(2)

As good pattern improves in the atmosphere of good bringing up and formulation for the human being, society, culture and civilization, Allah, Glory be to Him, willed that the perfect pattern for the Islamic mediated nation is the illiterate Prophet, whose life represented the most perfect pattern for the best Islamic mediation. Allah made him the perfect example for Islamic mediation, as he is a human being who passes through all life incidents. He is born, becomes ill, passes through pain, , eats, walks in the markets, does not have supernatural abilities except those that Allah granted him in some cases, and he at last dies.

At the same time, as he is received revelation from Allah, he represents the link and relation between heaven and earth. Imam Muhammad Abdu (1265-1323 H / 1849-1905 A.D) said that the Prophet's soul (may the blessings and peace of Allah be upon him) is provided by Allah. No one can dominate his soul, as he knows the unseen and the people's affairs by Allah's will. His rank is higher than the other people; in the worldly life as if he does not belong to it. Moreover, in the hereafter he is not like the other people. He receives Allah's revelation and orders informing them to the worshippers, and expressing the matters that the people's minds can bear and understand. However, he is a normal human being that is affected by the effects that afflict the other people.

He was brought up and educated by Allah in the best way. His life and policy linked the human efforts to revelation. He was the active worshipper who stood between the Hands of Allah till his feet swelled. He regarded strife for Allah's sake his own duty and that of his nation. The fighters used to hide behind the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) when the fighting increased and worsened. Then, no one but him became closer to Allah's enemies.

He was extremely shy making this attribute one of his branches of belief. He was the most courageous and kindest person in the whole world. His worshipping was like strife for the sake of Allah' satisfaction. His good

Thus, Israel fabricates reasons for disturbing the atmosphere after Annapolis conference, as it does not aim at peace. This point of view is advocated by the head of Hamas political office, Khaled mishaal in his talk to zviq kriegler, the representative of the US weekly Newsweek issued on December 24, 2007.

Kriegler asked Khaled mishaal, "What is your opinion about peace process in Annapolis conference? Khaled mishaal replied, "Annapolis conference was not a serious step from the US side, but a way of widening the conflict between Hamas and Fath, and a way of advocating the Israeli Prime Minister Ehud Olmert in confronting the internal problems. Also, Annapolis is one of the steps of the US way for attacking Iran. Thus, the USA resorted to the conference to gain the Arabs at its side. The USA is in need for revealing that it has a role in the Palestinian Israeli dispute. Thus Annapolis conference was not serious and does not aim at peace."

There were Abbas Olmert nine meetings between Abbas and Olmert before Annapolis conference which ended in failure. It was clear from the speech of President Bush in the conference that he does never intend practicing any pressure on Israel. If the US administration does not practice pressure on Israel, peace will not occur.

Us president George Bush wrapped up his visit to the Holy land on Friday, January 11-2008, concluding his first presidential mission to the occupied west Bank after his visit to Israel. Bush arrived in Kuwait, the first of five stops with Arab allies he hops will aid the fragile peace process and help contain Iran's growing regional clout. In travels over the next few days, Bush said he would urge Arab allies to begin, to reach out, to help the peace process. After Kuwait, Bush visited Bahrain, the united Arab Emirates, Saudi Arabia and Arab Republic of Egypt, Bush promised to return to the Arab Area once again and he intended to use the future visit to help the peace process move forward. He did not set a date for the trip. The key obstacle to a peace deal is a sense among many Arabs of US bias in favour of Israel. There are also doubts about Bush's newfound commitment to resolving the conflict. Bush also hopes to enlist Arab opposition to US force Iran. US warned Iran of "serious consequences if the Iranian vessels tried to parade its power once again".

***The smiling of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).**

He was joking and was always saying the truth....!

By: Dr. Muhammad Imarah

Islam is the religion of mediation; Allah, Glory be to Him, made it as such and did not make this attribute as a choice. Allah, Glory be to Him, said:

{And thus We have made you a middle nation to be witnesses over mankind, and (for) the Messenger to be a witness over you.}

[Al-Baqarah (The Cow): 143]

We note from this holy verse that Allah made this mediation as a reason for regarding the Islamic nation and the messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) as (witnesses) over the world including the nations, peoples, religions, messages, cultures and civilizations. This justification is strongly related to the meaning of "mediation" and "witnesses". Mediation, as Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) taught us, is justice. He said:

"Mediation is justice and Allah made us a mediated nation."

Narrated by Imam Ahmad.

Justice is the condition qualifying for witness over the world and the people. As the Islamic nation is the last nation believing in the other prophets, Messages and Heavenly Books, it is the only nation that is qualified for witnessing the people and the whole world including informing all of the Messages to the concerned people.

As the scientists unanimously said, "There is no contradiction in the words and expressions", the nonexistence of contradiction occurs only in the use of these words and expressions. However, contradiction occurs in the significances behind the use of these expressions, especially in case of its variety. Sometimes, the significances of the same expression contradict as for the variety of cultures, civilizations, philosophies and inheritance.

*An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

terrorism and provocation being committed either by the Palestinians or the Israelis.

For the sake of establishing Palestinian and Israeli states that live in peace and security with each other, the two parties agreed on starting bilateral negotiations to reach peace agreement that settles all of the pending issues with no exception. Furthermore, the issues should be settled as it was mentioned in the previous agreements before the end of 2008.

For this aim, the Palestinian President, Mahmoud Abbas and the Israeli Prime Minister, Ehud Olmert will meet every two weeks to follow up the negotiations. The two parties took upon themselves carrying out immediately their commitment regarding road map, which will lead to perpetual resolution for the Palestinian Israeli- dispute, being based on establishing two states. Furthermore, it is the map issued by the international tetramorous committee in April, 2003. The two parties should agree on forming American, Israeli and Palestinian mechanisms being led by the USA to follow up the performance of the road map.

Annapolis meeting was followed by another financial meeting held in Paris on December 17, 2007 regarding the international donors. The participants reached an agreement on allocating 7.4 billion dollars aiming at providing financial donations to establish a Palestinian state in the future. 3.8 billions Out of the above-mentioned sum should be paid to the Palestinian authority in the year 2008.

There was a kind of compromise between the Palestinians and the Israelis before Annapolis conference, as the Israelis should pave the way for the conference such as releasing 2000 detainees and withdrawing from the Palestinian territories that Israel reoccupied after the Uprising (Intifadah) on December 28, 2000. Furthermore, Israel declared that they will not make any other settlements as well as re-operating the Palestinian institutions in the western Jerusalem, removing the barriers, and lifting the siege.

However, Israel mentioned that they will carry out these demands on the condition that all of the military operations in Gaza as well as the West Bank should stop. In a reportage by Hany Badr Ad-Din, a journalist in the Arabic Ahram magazine, with Nabil Sha'ath, a member of the central committee of Fath movement, one of the eminent personalities of the Palestinian foreign politics and one of the eminent Palestinian negotiators, issued in the magazine on Saturday, December 16, 2007, the great

Palestinian politician emphasized, "Israel practiced serious pressure on the Palestinian delegation to be declared as a Jewish state. The Israeli delegation tried to reach his target by presenting many forms that lead at last to their target."

The Palestinian delegation resisted these attempts in spite of the clear US support to the Israeli efforts, as President Bush mentioned three times the Judaism of Israel in his speech in the conference. It is clear that Israel aims at hindering the efforts of repatriation of the Palestinian refugees in addition to getting rid of the Palestinians who did not leave the occupied territories since 1948.

It is clear from the Israeli actions, especially after their return from Annapolis conference that they accuse and fabricate crises with Egypt. This is clarified by Yediot Aharonot newspaper issued that ten families of the Israeli settlement, Sidrot, sued a case against Egypt asking for compensation reaching 300 million L.E for the casualties that occurred to them because the Palestinian Qassam fired rockets against them from Gaza Strip.

The lawsuit included – as the newspaper mentioned – the accusation of Egypt of smuggling explosives and weapons to Gaza Strip. The Israeli Foreign Minister, Tsippy Livny, accused Egypt with the same accusations causing the President Muhammad Hosny Mubarak to declare to the representative of Yediot Aharonot newspaper that the Israeli Foreign Minister exceeded the red lines in accusing Egypt of smuggling weapons to Gaza Strip throughout Sinai.

President Mubarak said in his talk to Yediot Aharonot newspaper, which is issued on December 28, 2007 that Livny should have contacted the Egyptian authorities or sent a delegation for negotiation instead of complaining to media and saying such accusations. The President continued his talk saying, "The relations with Israel are important and should not be spoilt by the actions taken by the foreign Israeli Minister.

Replying to the question about the passing of the Palestinian pilgrims to Rafah passage, the President Mubarak said, "Egypt is a Muslim country and can not prevent the pilgrims from performing hajj. Israel asked Egypt not to allow them to pass through Rafah passage claiming that they are going to camps for training not for hajj.

It is well known that Israel refused their return from Rafah passage claiming that they hold money from abroad.



﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Does Annapolis Conference aim at peace or is planned to be something else...?

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

On Wednesday 21st of November 2007, the Israeli Prime Minister Ehud Olmert attended at Sharm Al-Sheikh and met the Egyptian President, Muhammad Hosni Mubarak. President. Mubarak expresses his wish that the international conference, which will be held in Annapolis in the USA, would succeed in breaking the frozen state of the peace process concerning the Palestinian-Israeli attitude. He wishes that it may open the way for comprehensive and impartial peace in all respects.

Furthermore, President. Mubarak said, "We regard 'Annapolis' as a beginning of serious negotiations leading to real compromise." He stressed the necessity of establishing a Palestinian state that includes Gaza and the West Bank in addition to taking into consideration the Arab peace initiative as one of the targets of the conference.. President revealed that Egypt has opened the way for peace and has done her best to push the peace process throughout the last three decades.

Ehud Olmert thanked President Mubarak referring to his role in supporting and sustaining the peace efforts in the region. Olmert regarded that Annapolis meeting represents a serious beginning of peace negotiations with the Palestinians on the basis of establishing two states. He took upon himself not to neglect any of the issues concerning the Palestinians during the negotiation phases.

Before Annapolis conference Olmert told the US President whom he met in Washington, "This time is different, as we have many participants in the meeting which I hope that it could lead to serious negotiations between the Palestinians and us.

The conference was held on the agreed upon day, 27th of November 2007. A mutual statement was issued out of this conference revealing that the Palestinian and Israeli parties have reached after years of the freezing of peace process to mutual agreement on the beginning of a new period of peace being based on freedom, security, justice, dignity, respect, exchanged confession, spreading peace culture, discarding aggression, and resisting

الفهرس

- **الجريدة اليومية والفتايات الأدبية والدينية**
للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ————— ١٦٠
- **تفسير سورة آل عمران**
للفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ————— ١٦٨
- **السنة: كتمان الأسرار شيممة الأخيار**
للفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا القيومي ————— ١٧٤
- **من وحى الهجرة**
للفضيلة الشيخ/ عمر الديب ————— ١٨٠
- **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**
للدكتور/ حمدي فتوح والي ————— ١٨٣
- **اختلاف الصحابة بعد الرسول (ﷺ)**
للاستاذ الدكتور/ السيد أحمد قرج ————— ١٨٨
- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن والسنة (٢)**
للفضيلة الشيخ/ فوزي الزرقاف ————— ١٩٢
- **هذه عقيدتنا**
للفضيلة الشيخ/ علي عبد الباقي شحاتة ————— ١٩٨
- **كتاب الشهر: الله ليس كذلك**
عروض وتحليل/ د. إبراهيم عوضين ————— ٢٠٢
- **قصة العدد: عتاب**
للاستاذ الكبير/ محمد قدرى لطفي ————— ٢٠٩
- **الجنة الفرنسية وبلديات الأزواجية في نموذج التقدم**
للاستاذ الدكتور/ محمد عمارة ————— ٢١٢
- **حماية النصر وعودة القدس**
للفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة ————— ٢١٨
- **قصيدة العدد: الشهيد الجليل**
للشاعر الكبير/ فؤاد الخطيب ————— ٢٢٤
- **مؤتمر أنا يو ليس وتجليات عملية السلام**
بقلم/ صلاح عبد الرحيم محمد ————— ٢٢٨
- **خطبة الجمعة: الناس بين الدج والقدح**
للاستاذ الدكتور/ أحمد الشريف باصلي ————— ٢٣٦
- **موقف إسلامية: دور الشباب من القول إلى الفعل**
للاستاذ الدكتور/ محمود عمارة ————— ٢٤٠
- **دعوة الإسلام إلى التحلي عن الكبر والتعالي بالتواضع**
للاستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ————— ٢٤٦
- **المخطوطات العلمية الشارحة في التراث الإسلامي**
للاستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ————— ٢٥٢
- **استقصاءات القراء**
يجيب عنها ا.د/ علي جمعة ————— ٢٥٨
- **بين الصحف والجلات**
إعداد ا. محمد الفضي - ا. علا محمد عبد الرحمن ————— ٢٦١
- **دور الخطاب الإسلامي في صناعة مفاهيم الفضل والسلام (٢)**
رسالة مكة من: عاطف مصطفى ————— ٢٦٦
- **طرائف ومواقف**
للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ————— ٢٧٤
- **ذكريات إسلامية لتسمية المذكرة**
للاستاذ/ محمد مصطفى البسيوني ————— ٢٧٧
- **أحقاد يهودية قديمة متجددة**
للفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي ————— ٢٨٢
- **قراءة في كتاب اليهود واليهودية: التاريخ والعقيدة والأخلاق**
للاستاذ/ عادل رفاعي خفاجة ————— ٢٨٦
- **بين النجدة والقارى**
للاستاذ/ أحمد السيد تقي الدين ————— ٢٩١
- **أنباء العالم الإسلامي**
للاستاذين/ محمد جمعة - أحمد رضوان ————— ٢٩٥
- **أنباء مكتب الإمام الأكبر**
للاستاذ/ عبد النبي إبراهيم فراج ————— ٢٩٩
- **أنباء مجمع البحوث الإسلامية**
للاستاذ/ عبد الموجود أمين موسى ————— ٣٠٣
- **القسم الإنجليزي**
إعداد وإشراف ا.د/ إبراهيم الأصيل ————— ٣١٧



AL AZHAR

MAGAZINE

Safer, 1429 H. Feb. / Mar. 2008.
Vol. 81, Part II.



هدية العدد
الأسرار النبوية
في التفسير والحديث

الأهرام

مجلة إسلامية شهرية تصدرها جمعية علماء مصر الإسلامية
العدد الأول ١٤٢٦ هـ - مارس ٢٠٠٤ م - المجلد ١ - العدد ١

فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ
وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ

غزة

أمة تذبج

وشعب يباد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الأهرام

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

الاشتراك السنوي

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٣٦٢٨٥٩٩

ربيع الأول ١٤٢٩ هـ - مارس ٢٠٠٨ م - الجزء الثالث - السنة (٨١)



الافتتاحية

في ذكرى المولد النبوي

محمد ﷺ

في مرآة الكاتب الأمريكي «واشنطن إرفنج»

قرأت كتاباً تحت عنوان «قصص الحمراء» للكاتب الأمريكي «واشنطن إرفنج» فلمست فيه فوق براعة تصويره ودقة ملاحظاته إتصافاً لتاريخ العرب في الأندلس يخالف ما نعهده في كثير ممن يكتبون عن هذه الحقبة الماضية في تاريخ الإسلام، وحملت له تقديراً في نفسى لاسيما حين قرأت قوله عن المسلمين في الأندلس: «لقد أقاموا أركان سلطنتهم على مجموعة من القوانين الحكيمة العادلة، ودأبوا على تشجيع العلوم والفنون والنبوغ والنهوض بالزراعة وصروب الصناعة والتجارة، وعلى مر الأيام شادوا إمبراطورية لا تنافسها إمبراطورية أخرى مسيحية في رفاهيتها، وحرصوا على أن يجمعوا حولهم أسباب الشرف والتعظيم عن الإمبراطورية العربية في الشرق في أوج مدنيتهما ونشروا نور المعرفة الشرقية في ربوع الأقاليم العربية من أوروبا التي كانت في ظلمات الجهل».

إن ما كتبه المستشرق الأمريكي عن الأندلس قد قربه إلى نفسى ثم علمت أنه كتب مؤلفاً مجيداً عن رسول الله ﷺ سماه «حياة محمد» وقد ترجمه الأستاذ الدكتور علي حسن الخربوطلي إلى العربية فتشوقت إلى قراءته وتأكدت أن روح الإنصاف للرسول الكريم لا بد أن تتخلل ما كتبه من الأبواب والقصور ارتكاناً إلى ما قرأت من فضوله الأندلسية وقد تحقق ما أملت؛ لأن الكاتب الكبير كان موضوعياً لم يتحدر إلى سفاهات نعرفها في كثير ممن كتبوا عن رسول الله من رجال العرب، وبخاصة فيما قبل القرن التاسع عشر لأن هؤلاء في مجموعهم الأثم قد افتروا على الله كذباً حين أرضوا مجتمعهم التحيز إلى الباطل بأساطير كاذبة نسبوها

إلى النبي الكريم دون أدنى احترام لروح البحث العلمي النزيه ثم شاء الله أن تخفت روح العداء قليلاً فيما بدا يكتبه أبناء القرن التاسع عشر وما يليه، وأقول قليلاً لأن روح التحيز المعرض لا يمكن أن تغيب عن أناس لا يعتقدون في نبوة الرسول الكريم، والنصف منهم يحاول أن يصوره مصلاً ناجحاً لم تتصل أسبابه بالسماء؛ ولكن كتاب «حياة محمد» قد جاء بما يمكن أن ينتهي إليه كاتب منصف يحاول أن يكشف الحقيقة الخافية قدر ما يستطيع ولن نكلفه أكثر من هذا فكل إنسان يخضع لمؤثرات خاصة تظهر سماتها في اتجاهه مهما حاول التحرز وحسبه أن رسم صورة النبي الكريم رسماً يروق أبناء الأمة الإسلامية بإنصافه الحميد!

لقد عاش «واشنطن إرفنج» في الفترة ما بين (١٧٨٣-١٨٥٩)، إذ ولد في نيويورك وتنقل في العواصم الأوروبية وزار متاحفها وقرأ ما عثر عليه في مكاتبها وارتحل إلى أسبانيا فاطلع من آثار الحضارة العربية بما أوحى إليه التفكير الخايد لأبطال هذه الحضارة ودفعه ذلك إلى أن يقرأ تاريخ الإسلام قراءة منصفة، وأن يؤلف في هذا التاريخ، فتحدث عن رسول الله في كتاب مستقل وكتب عن الخلفاء الراشدين في حيدة وإنصاف وترك مترجم «حياة محمد» الأستاذ الجليل الدكتور علي حسن الخربوطلي ليقول عن الكتاب الذي بذل الجهد في ترجمته الأمانة: «تعتبر ترجمة الكتاب لحياة محمد من أوفى وأدق وأصدق التراجم التي كتبها مؤرخون مستشرقون ليسوا بالعرب ولا المسلمين فقد اهتم بجمع الحقائق التاريخية وعرضها عرضاً شاملاً في أسلوب جميل واضح، وابتعد عن القدح والتعريض والألفاظ النابية، والألفاظ النابية التي تجدها في مؤلفات بعض المستشرقين مثل ميور وسيرنجر ولا مانس وقيل وغيرهم».

ولم يبالغ الأستاذ الدكتور الخربوطلي فيما قال؛ فالكتاب بأيدينا قرأته أكثر من مرة وإذا كانت أحداثه مشتهرة لدى المسلمين إذ لم يأت بجديد فيما دونه عنها، فإن ما كتبه لى قومه يعتبر جديداً على أكثرهم وإن إنصافه للتكرار لرسول الله سمة خلقية تنبئ عن معدن كريم في خلاله النفسية الكريمة، وسأنتقل من كتابه ما يدل على ذلك مستعينا بالترجمة الأمانة التي كتبها الدكتور الخربوطلي إذ قدم لنا صورة جميلة أسعدت الأرواح المؤمنة عن يقين.

يقول الكاتب الكبير ص ٢٩٤: كانت جميع تصرفات الرسول تدل على رحمة عظيمة وكان سريع البديهة قوى الذاكرة واسع الأفق، عظيم الذكاء؛ ورغم قلة نصيبه من التعليم فقد نمي مداركه ومعلوماته بقوة ملاحظاته وما استفاده من معرفة وبخاصة في شئون العقيدة. كان حديثه رصيناً مؤثراً يليغاً له نفحات موسيقية هادئة، ثم يقول ص ٢٩٦: كان الرسول عادلاً؛ إذ يعامل الأصدقاء والغرباء والأغنياء والفقراء والأقوياء والضعفاء على قدم المساواة، وكان عامة الناس يحبون الرسول إذ كان يحسن استقبالهم ويستمع إلى شكواهم.

ثم قال المؤلف ص ٣٠٠: دخل على قصة حياة الرسول كثير من الأساطير مما يجعل من الصعب الحكم على شخصيته وهذا ما نخالف المؤلف فيه؛ ويمكننا أن نقسم حياته إلى فترتين أما الفترة الأولى فتبدأ منذ حدثته إلى رجولته ونساعل: هل كان ثرياً؟ لا بل كان فقيراً. إلا أنه تزوج خديجة فأصبح على جانب من الثراء وجاهد في سبيل تنمية ثروته، هل كان بارزاً؟ نعم قد كان له شأن في وطنه فقد كان رجلاً ذكياً وأميناً،

هل كان قوى النفوذ؟ نعم، فقد كانت أسرته تقوم بصدانة الكعبة وتنولى شئون مكة تلك المدينة المقدسة؛ ولذا كان مركزه وما اتصف به من أخلاق كريمة يؤهلانه ليكون موضع الثقة ولما بلغت النظر أنه قضى الفترة الأولى من حياته قبل نزول الوحي في عبادة روحية، في وحدة وصيام وصلابة وتعب وقد نزل عليه الوحي من السماء ليعلن أنه رسول الله فوق في حيرة شديدة، أحلما ما رآه أم رؤيا؟ وتصل شكوكه إلى زوجته المخلصة؛ فذهبت إلى ورقة وعادت تؤكد له حقيقة نبوته.

وفي الفترة الثانية من ٣٠٢ حينما وصل إلى المدينة لم يكن يفكر في القوة العظيمة التي كانت تنتظره كان تفكيره منصرفا إلى بناء مسجد يستطيع أن يصلي فيه وينشر دعوته ورغم انتصاراته العسكرية فإن هذه الانتصارات لم تثر كبريائه وغروره فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحته الشخصية، وهو في أوج مجده كان يحافظ على بساطته وتواضعه؛ كان يكره إذا دخل حجرة بها جماعة أن يقوموا له أو يبالغوا في الترحيب به، لقد كان في كل تصرفاته عادلا رحيمًا ناكرا لذاته بعيدا عن التفكير في الثراء أو المصالح المادية وكانت ثقته بربه هي التي تجعله يصمد أمام اغنى وأخطوب. إذ كان يتوجه بكل آماله إلى الله طالبا رحمته.

هذا كثير من قليل تذكره في مجال الإشادة بنبي الإسلام وهي إشادة صادقة أوحى بها نظر محايد لا يميل إلى الإطراء الكاذب بل يجعل الحقائق تنطق بوقائعها دون تلبس؛ على أنى أرى اختلاف النظر معه في بعض ما سجل من الآراء كأنه أمر طبيعي لا شذوذ فيه؛ فقد غلبت على المؤلف فكرة التأثر بتعاليم المسيحية لدى محمد ورددها في مواقف شتى مستدلا بما ذكره الرواة من أحاديث لا ترتقى إلى مرتبة اليقين ومن ذلك ما ذكره عن رحلتي رسول الله إلى الشام مع عمه أبي طالب، أحدهما في سن الثامنة والأخرى في سن الثانية عشرة فقد قال ص ٤٧: «استقبل الرهبان أبا طالب وابن أخيه حين بلغت القافلة بصرى وهي على حدود سوريا قرب الأردن استقبالا عظيما وأعجب به الراهب بحيرى أو سرجيوس وأثنى على رغبته في الاستزادة من العلم وبخاصة في المسائل الدينية وتبادل الراهب مع محمد الحديث في عدة مواضع ولا شك أن الراهب قد وضع همه في القضاء على تعاليم الكفر التي تلقنها الشاب وينسب الكثيرون معلومات محمد عن الدين المسيحي إلى محادثة مع ذلك الراهب، وقد لعبت هذه المعلومات دورا كبيرا في حياة محمد فيما بعد ويبدو أن ذلك الراهب الحريص على التبشير بدينه قد توسم الخبر في هذا الشاب الذكي «أى شاب يا هذا» ورأى أنه خير من يحمل بذور المسيحية إلى مكة ثم عاد محمد إلى مكة وقد تأثر خياله بالقصص والروايات التي سمعها في الصحراء وبأحاديث ذلك الراهب النسطوري».

وأقول: لم يخترع المؤلف هذا الحديث اختراعا، ولكنه وجد بذوره في بعض الروايات العربية التي قتلت بها كتب السيرة فظنها واقعا لا شك فيه مع أن أى عاقل ينكر بداهة أن يكون غلام في الثامنة أو في الثانية عشرة يجلس إلى راهب نصراني ساعة أو بعض ساعة فيفهم أسرار المسيحية ويتأثر بتعاليمها؛ وقد رحل مع عمه ليدرك مزايا الرحلات التجارية وليكون تاجرا رحالة فيما بعد وقد قال الأستاذ الكبير محمد كرد على في تفنيد هذه الروايات وهو ينقد ما كتبه الدكتور هيكل في كتابه «حياة محمد»:

وقد تابع هيكل بعض المؤرخين في دعوى أن الرسول اجتمع مع الراهب بحيرى في بصرى ثم اتصل في

رحلته الثانية ببعض نصارى الشام وتحدث إلى رهبانهم وسمع منهم وهذه الروايات في اجتماع الرسول بحيرى ونسطور لا تستند إلى أصل تاريخي صحيح؛ ولذلك أوردها ابن كثير في البداية والنهاية بصيغة الشك فقال: زعموا ولم يرد لحيرى ذكر في كتب السريان، وقد اختلف الناس فيه فمن قائل: إنه كان حبرا من يهود تيماء، ومن قائل: إنه كان من عبد القيس واسمه سرحيس وفي سيرة ابن هشام أنه كان إليه علم النصرانية.

ثم يقول الأستاذ محمد كرد على بعد أدلة منطقية مقنعة: إن تناقض الروايات في دين الراهب أكان يهوديا أم نصرانيا؟ وتناقض الروايات في محل الاجتماع هل كان في تيماء أو كان في بصرى، وتناقضهم في الرحلة الثانية واجتماع الرسول بنسطور مما يوقع الشك في أمرها، كما أنه من المتعذر أن يأخذ الرسول عن الرهبان وهو غابر سبيل في سن التاسعة أو الثانية عشرة شيئا من دينهم.

وأقول: إن الثابت عن يقين أن رسول الله لم يدع إلى الإسلام ولم يشر بشئ إلى الديانات السابقة بعد رجوعه من رحلتي الشام فكيف تثر فيه تعاليم المسيحية ثم يسكت سكوتا تاما على مدى ثلاثين عاما لا يشير بشئ إلى ما سمع من الراهب وما وعى عنه؟! وكيف يتصور الراهب أن طفلا في التاسعة يستطيع أن يقوم بالدعوة إلى المسيحية في مكة بعد رجوعه؟! والذين يقدون إلى بصرى من تجار العرب شبابا وشيوخا كثيرون وهم عقلاء مفكرون! أفلا يجد الراهب غير هذا الطفل الصغير ليلقنه تعاليم المسيحية في ساعة أو ساعتين ثم يكون لهذا الاجتماع في هذه السن الباكورة أثره الخطير!!

ونحن نوافق المؤلف على قوله: «إن محمدا لم يدع أنه جاء بعقيدة جديدة بل هو يردد ما جاء به القرآن من قوله - عز وجل -:

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ أَلَا مِنْ سَفِيَةٍ تَفْسِتُمْ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَكَانَ الصَّلَاحِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿

(البقرة: ١٣٠، ١٣١)

فهذا حق لا شك فيه نضيف إليه قول الله - عز وجل -:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

وَعِيسَى أَنَّ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾

(الشورى: ١٣)

ولكن دعوى الإفادة من بحيرى الراهب ليس لصحتها أدنى دليل.

- يتبع -

د. محمد رجب البيومي

نَفْسِيرُ سُورَةِ الْإِسْبْرَانِ

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ
يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ
نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ
اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَدَّ جَهَنَّمَ وَيُسْرِ الْمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرِهِمْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

(الآيات: ١٦١-١٦٤)

نهى - سبحانه - عن الغلول ونزه النبي
عن ذلك فقال - تعالى -:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ

يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

وقوله ﴿يَغُلَّ﴾ من الغلول وهو الأخذ

الخفية.

وأصله من الغلل وهو دخول الماء في
خلل الشجر خفية والغل: الحقد الكامن
في الصدر وسميت هذه الخيانة غلولا
لأنها تجري في المال على خفاء من وجه لا
يحل.

والمعنى: ما صح ولا استقام لنبي من
الأنبياء أن يخون في المغنم لأن الخيانة
تتناقض مع مقام النبوة الذي هو أشرف
المقامات

﴿وَمَنْ يَغُلَّ﴾ أي: ومن يرتكب شيئا
من ذلك

﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

أي يأتي بما غله يوم القيامة حاملا إياه
ليكون فضيحة له يوم الحشر ليؤخذ بهائم
غلوله وخيائته.

وقد روى المفسرون في سبب نزول هذه
الآية روايات منها ما أخرجه أبو داود
والترمذي عن ابن عباس قال: «نزلت هذه
الآية»

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾

في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال
بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها
وأكثرها في ذلك فأنزل الله الآية.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أيضا
أن المنافقين اتهموا رسول الله ﷺ بشيء -

فقد أنزل الله - تعالى -:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾

قال ابن كثير - بعد أن ساق هاتين
الروايتين - وهذا تنزيه له ﷺ من جميع
وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسمة
الغنيمة وغير ذلك (١).

وفي ورود هذه الآية الكريمة في سياق
الحديث عن غزوة أحد حكمة عظيمة
وتأديب من الله للمؤمنين وتحذير لهم من
الغلول ذلك أن الرماسة الذين تركوا
أماكنهم مخالفين أمر رسول الله ﷺ قد
دفعهم لذلك خشيتهم من أن يتفرد
المقاتلون بالغنائم ففعلوا ما فعلوا ولقد
روى أن الرسول ﷺ قال للرماسة: «أغنتكم
أنا نغل ولا نقسم لكم» (٢).

وقد نهى ﷺ في كثير من الأحاديث
عن الغلول ومن ذلك ما أخرجه الإمام
مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال:
«قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر
الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال لا
ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته
بغير له رغاء يقول يا رسول الله أغثنى
فأقول: لا أملك لك من الله شيئا قد
أبلغتكم، ولا ألفين أحدكم يجيء يوم
القيامة على رقبته فرس له حمحمة
فيقول: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا
أملك لك من الله شيئا قد أبلغتكم، ولا

(١) تفسير ابن كثير ص ٤٢١.

(٢) تفسير الأوسى ج ١ ص ١٠٩.

ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رفاع تخفق - أي ثياب - فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتكَ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت - أي ذهب وقضة - فيقول: يا رسول الله أغثنى فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتكَ».

هذا، وجمهور العلماء على أن الغال يأتي بما غله يوم القيامة بعينه على سبيل الحقيقة لأن ظواهر النصوص من الكتاب والسنة تؤيد ذلك ولأنه لا مرجح لصرف الألفاظ عن ظواهرها.

ومن العلماء من جعل الإتيان بالغلول يوم القيامة مجازاً عن الإتيان بإثمه تعبيراً بما غل عما لزمه من الإثم مجازاً.

قال الفخر الرازي: «واعلم أن هذا التأويل - المجازي - يحتمل، إلا أن الأصل المعتبر في علم القرآن أنه يجب إجراء اللفظ على الحقيقة إلا إذا قام دليل يمنع منه وهنا لا مانع من هذا الظاهر فوجب إثباته»^(٢).

ومن المفسرين الذين حملوا الإتيان على ظاهره الإمام القرطبي فقد قال عند تفسيره لقوله - تعالى -:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

أى: يأتي به حاملاً له على ظهره ورقبته معذباً بحمله وثقله ومرعوباً بصوته، وموثقاً بإظهار خيانتته على رؤوس الأشهاد.

وقال بعد إيراده للحديث السابق الذي رواه مسلم عن أبي هريرة: قيل الخبر محمول على شهرة الأمر أى يأتي يوم القيامة قد شهر الله أمره كما يشهر لو حمل بغيراً له رغاء أو فرساً له حمحة.

قلت: وهذا عدول عن الحقيقة إلى المجاز والتشبيه، وإذا دار الكلام بين الحقيقة والمجاز فالحقيقة الأصل - كما فى كتب الأصول - وقد أخبر النبى ﷺ بالحقيقة ولا عطر بعد عروس^(٣).

ثم نيه - سبحانه - على العقوبة التى ستحل بالخائن، بعد أن بين ما سيناله من فضيحة وخزى فقال:

﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

أى: ثم تعطى كل نفس يوم القيامة جزاء ما كسبت من خير أو شر وأقياً تاماً، وهم لا يظلمون شيئاً، لأن الحاكم بينهم

هو ربك الذى لا يظلم أحداً.

وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها

وقوله ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾ وجاء العطف

بشم المقيدة للتراخي، للإشعار بالتفاوت الشديد بين حمله ما غل وبين جزائه وسوء عاقبته يوم القيامة.

وقال - سبحانه -:

﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾

بصيغة العموم، ولم يقل ثم يوفى الغال - مثلاً - لأن من فوائد ذكر هذا الجزاء بصيغة العموم، الإعلام والإخبار للغال وغيره من جميع الكاسبين بأن كل إنسان سيجازى على عمله سواء أكان خيراً أو شراً فيندرج الغال تحت هذا العموم أيضاً فكانه قد ذكر مرتين.

وإلى هذا المعنى أشار صاحب الكشاف بقوله: فإن قلت: هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به؟ قلت: جىء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فانصل به من حيث المعنى، وهو أبلغ وأثبت، لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيراً أو شراً مجزى قموفى جزاءه، علم أنه غير مستخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب^(٤).

ثم أكد - سبحانه - نفى الظلم عن ذاته فقال:

﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾

بأن واطب على ما يرضيه، والتزم طاعته، وترك كل ما نهى عنه من غلول وغيره

﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾

أى كمن رجع بغضب عظيم عليه من الله بسبب غلوله وخيانتته وارتكابه لما نهى الله عنه من أقوال وأفعال؟

فالآية الكريمة تفرع على قوله - تعالى - قبل ذلك:

﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾

نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

وتأكيد لبيان أنه لا يستوى المحسن والمسيء والأمين والخائن.

والاستفهام إنكارى بمعنى النفى، أى لا يستوى من اتبع رضوان الله مع من باء بسخط منه.

وقد ساق - سبحانه - هذا الكلام الحكيم بصيغة الاستفهام الإنكارى، للتنبيه على أن عدم المساواة بين المحسن والمسيء أمر بدهى واضح لا تختلف فيه العقول والأفهام، وأن أى إنسان عاقل لو سئل عن ذلك لأجاب بأنه لا يستوى من اتبع رضوان الله مع من رجع بسخط عظيم

(٤) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٢٧

(٤) تفسير القرطبي ج ١ ص ٢٢٧

(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٩ ص ١٢٣

منه بسبب كفره أو فسقه وشبهه بهذه الآية قوله - تعالى - :

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوِينَ ﴾

(السجدة: ١٨)

وقوله :

﴿ أَوْ جَعَلْنَا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾

(ص: ٢٨)

والفاء في قوله ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ ﴾ للعطف

على محذوف والتقدير، أمن اتقى فأنبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله؟

ثم أعقب - سبحانه - ذكر سخطه بذكر عقوبته فقال :

﴿ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ ﴾

أى أن هذا الذى رجع بغضب عظيم عليه من الله - تعالى - بسبب كفره أو فسقه أو خيائته، سيكون مثواه ومصيره إلى النار وبشئ ذلك المصير الذى صار إليه وكان له مرجعا ونهاية.

ثم بين - سبحانه - النتيجة التى ترتبت على عدم تساوى المحسن والمسي فقال :

﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُ مَا يَعْمَلُونَ ﴾

(٦) مفردات القرآن للراغب الأصمهاى ص ١٦٧

والضمير ﴿ هُمْ ﴾ يعود على ﴿ من ﴾ فى قوله :

﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ ﴾

وقوله :

﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ ﴾

أى على الفريقين. وبعضهم جعل مرجعه إلى الفريق الأول فقط.

والدرجات: جمع درجة وهى الرتبة والمنزلة، ومنه الدرج بمعنى السلم لأنه يصعد عليه درجة بعد درجة.

وأكثر ما تستعمل الدرجة فى القرآن فى المنزلة الرفيعة، كما فى قوله - تعالى - :

﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾

(الزخرف: ٣٢)

بخلاف الدركة فإنها تستعمل فى عكس ذلك، كما فى قوله - تعالى - :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾

(النساء: ١٤٥)

ولذا قال الراغب: «الدرك كالدرج لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود، والدرك اعتباراً بالحدور، ولهذا قيل: درجات الجنة ودركات النار ولتنصير الحدور فى النار سميت هاوية» (٧).

على الفريقين أقرب إلى الحق، لأن تفاوت الدرجات موجود بين الأخيار كما أن تفاوت العقوبات موجود بين الأشرار، فالذين أدوا جميع ما كلفهم الله به من طاعات ليسوا كالذين اكتشفوا بأداء الفرائض، والذين انحدروا فى المعاصى إلى النهاية ليسوا كالذين وقعوا فى بعضها.

وقوله ﴿ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أى فى حكمه

وعلمه وهو تشريف لهم والظرف متعلق بدرجات على المعنى، أو متعلق بمحذوف وقع صفة لها، أى درجات كائنة عند الله.

وقوله :

﴿ وَاللَّهُ بِصِيرُ مَا يَعْمَلُونَ ﴾

أى مطلع على أعمال العباد صغيرها وكبيرها ظاهرها وخفيها، لا يغيب عنه شئ، وسيجازى كل إنسان بما يستحقه على حسب عمله، بمقتضى عمله الكامل، وعدله الذى لا ظلم معه.

وبعد أن نزه الله - تعالى - نبيه ﷺ عن الغلول وعن كل نقص، وبين أن الناس متفاوتون فى الثواب والعقاب على حسب أعمالهم..

بعد أن بين ذلك أتبعه ببيان فضله - سبحانه - على عباده فى أن بعث فيهم رسولا منهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور فقال - تعالى :

والمعنى: هم - أى الأخيار - الذين اتبعوا رضوان الله، والأشرار الذين رجعوا بسخط منه متفاوتون فى الثواب والعقاب على حسب أعمالهم كما تتفاوت الدرجات وإطلاق الدرجات على الفريقين من باب التغليب للأخيار على الأشرار والمراد: إن الذين اتبعوا رضوان الله يتفاوتون فى الثواب الذى يمنحهم الله إياه على حسب قوة إيمانهم، وحسن أعمالهم.

كما أن الذين باءوا بسخط منه يتفاوتون فى العقاب الذى ينزل بهم على حسب ما اقترفوه من شرور وآثام، فمن أوغل فى الشرور والآثام كان عقابه أشد من عقاب من لم يفعل فعلة وهكذا.

والذين قالوا إن الضمير «هم» يعود على الفريق الأول فقط احتجوا بأن التعبير بالدرجات يستعمل فى الغالب فى الثواب، وبأن الله قد أضاف هذه الدرجات لنفسه فدل ذلك على أن المقصود بقوله: هم الذين اتبعوا رضوان الله. وبأن هؤلاء الذين اتبعوا رضوان الله قد فضل الله بعضهم على بعض كما جاء فى بعض الآيات ومنها قوله :

﴿ أَطْرَقَتْ قُتَيْلَا ﴾

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا

(الإسراء: ٢١)

والذى نراه أن عودة الضمير «هم»

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾

قال الرازي: قال الواحدى: «للمن فى كلام العرب معان: أحدها: الذى يسقط من السماء، وهو قوله:

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالتَّلَوَّى﴾

«البقرة: ٥٧» وثانيها: أن تمن بما أعطيت كما فى قوله:

﴿لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾

«البقرة: ٢٦٤» وثالثها: القطع كما فى قوله:

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾

«القلم: ٣» ورابعها: الإنعام والإحسان إلى من لا تطلب الجزاء منه - وهو المراد هنا^(٧) والمعنى: لقد أنعم الله على المؤمنين، وأحسن إليهم

﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾

أى: بعث فيهم رسولاً عظيم القدر، هو من العرب أنفسهم، وهم يعرفون حسبه ونسبه وشرفه وأمانته ﷺ.

وعلى هذا المعنى يكون المراد بقوله:

﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أى من نفس العرب، ويكون المراد بالمؤمنين مؤمنى العرب، وقد بعث الله عربياً مثلهم، ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع بتوجيهاته.

ويصح أن يكون معنى قوله:

﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أنه بشر مثل سائر البشر إلا أن الله - تعالى - وهبه النبوة والرسالة، ليخرج الناس - العربى منهم وغير العربى - من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، وجعل رسالته عامة فقال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

«الأنبياء: ١٠٧» وخص الله - تعالى - منته وفضله بالمؤمنين، لأنهم هم الذين انتفعوا بنعمة الإسلام، الذى لن يقبل الله ديناً سواه والذى جاء به محمد - عليه الصلاة والسلام - والجملة الكريمة جواب قسم محذوف والتقدير: والله

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

ثم بين - سبحانه - مظاهر هذه المنة والفضل ببعثة الرسول ﷺ فقال:

﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسْمَةَ﴾

والتلوة: هى القراءة المتابعة المرتلة التى يكون بعضها تلو بعض. والزكية: هى التطهير والتنقية.

أى لقد أعطى الله - تعالى - المؤمنين من النعم ما أعطى، لأنه قد بعث فيهم رسولاً من جنسهم يقرأ عليهم آيات الله التى أنزلها لهدايتهم وسعادتهم، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أى: يطهرهم من الكفر والذنوب. أو يدعوهم إلى ما يكونون به زاكين طاهرين مما كانوا عليه من دنس الجاهلية، والاعتقادات الفاسدة.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾

بأن يبين لهم المقاصد التى من أجلها نزل القرآن الكريم، ويشرح لهم أحكامه، ويفسر لهم ما خفى عليهم من ألفاظه ومعانيه التى قد تخفى على مداركهم. فتعليم الكتاب غير تلاوته: لأن تلاوته: قراءته مرتلاً مفهوماً أما تعليمه فمعناه: بيان أحكامه وما اشتمل عليه من تشريعات وآداب.

ويعلمهم كذلك ﴿الْحِسْمَةَ﴾ أى: الفقه فى الدين ومعرفة أسرارته وحكمه ومقاصده التى يكمل بها العلم بالكتاب.

وهذه الآية الكريمة قد اشتملت على عدة صفات من الصفات الجليلة التى منحها الله - تعالى - لنبيه محمد ﷺ. ثم بين - سبحانه - حال الناس قبل بعثة الرسول ﷺ فقال:

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

أى: إن حال الناس وخصوصاً العرب أنهم كانوا قبل بعثة الرسول ﷺ إليهم فى ضلال بين واضح لا يخفى أمره على أحد من ذوى العقول السليمة والأذواق المستقيمة.

وحقاً لقد كان الناس قبل أن يزرغ نور الإسلام الذى جاء به ﷺ من عند ربه فى ضلال واضح، وظلام دامس، فيهم من ناحية العبادة كانوا يشركون مع الله آلهة أخرى، ومن ناحية الأخلاق تفشت فيهم الرذائل حتى صارت شيئاً مألوفاً، ومن ناحية المعاملات كانوا لا يلتزمون الحق والعدل فى كثير من شئونهم.

والخلاصة: أن الضلال والجهل وغير ذلك من الرذائل، كانت قد استشرت فى العالم بصورة لا تخفى على عاقل.

فكان من رحمة الله بالناس ومنته عليهم أن أرسل فيهم نبيه محمداً ﷺ لكى يخرجهم من ظلمات الكفر والفسوق والعصيان إلى نور الهداية والاستقامة والإيمان.

(٧) تفسير الفخر الرازى ج ٩ ص ٨٧

أنا دعوة أبي إبراهيم

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

عن عرياض بن سارية - رضى الله عنه - صاحب رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إني عبد الله، وخاتم النبيين، وأبى منجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي أمنة التي رأت) وكذلك أمهات النبيين يرين، وأن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نورا أضاعت له قصور الشام، ثم تلا:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝﴾

(الأحزاب: ٤٥، ٤٦)

رواه الحاكم في مستدركه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

التعريف بالراوي

هو عرياض بن سارية السلمي، يكنى أبا نجيح، روى عنه عبد الرحمن بن عمرو، وجبير بن نفيل، وخالد بن معدان، وسكن «رضي الله عنه» الشام، وكان من أهل الصفة، والصحابة الأجلاء، وهو أحد البكائيين، روى له أصحاب السنن: أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وتوفي - رضى الله عنه - سنة خمس وسبعين للهجرة، وقيل: توفي في فتنة ابن الزبير - رضى الله عنه -.

الفتاوى

عرياض: الغليظ الشديد من الإبل، ومن الناس. وخاتم النبيين: أى آخرهم، وقد تأتى بالفتح (خاتم) فيكون معناها: زينتهم... وأبى: المراد به آدم - عليه السلام - منجدل: ملقى على الأرض. أنا دعوة أبي إبراهيم: معناه أنه كان ثمرة لدعوة أبيه إبراهيم - عليه السلام - حين ذهب في زيارة

إلى بيت الحرام، وأهله، فدعاه ربه قتلاً:

﴿رَبَّنَا وَأَنْفَعْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو آيَاتِهِمْ بِإِذْنِكَ وَنَعْلَمُهَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَرَزَقْنَاهُمْ بِذَلِكَ أَنْتَ أَعْلَمُ بِالْعَلِيمِ ۝﴾

(البقرة: ١٢٩)

وبشارة عيسى: إشارة إلى قول عيسى - عليه السلام - كما حكى القرآن الكريم:

﴿وَمُبَشِّرَ رَسُولٍ يُأْتِي مِنْ بَعْدِي أَمْنًا ۝ أَخَذَ﴾

(الصف: ٦)

ورؤيا أمي أمنة: حيث رأت أمه نورا خرج منها أضاعت له قصور الشام.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾

(الأحزاب: ٤٥)

أى: على أنك بإبلاغك إياهم ما أرسلناك به من الرسالة.

﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أى: تبشرهم بالجنة إن صدقوك، وعملوا بما جنتهم به من عند ربك - عز وجل -

﴿وَنَذِيرًا﴾ أى: من السار أن يدخلوها، فيعذبوا بها إن هم كذبوك، وخالفوا ما جنتهم به من عند الله - عز وجل -.

الشرح والبيان

معلوم أن آدم - عليه السلام - هو أول الخلق وجوداً، فأوليته تعنى ابتداء الخلق، أما أولية محمد - ﷺ - فهي أولية رتبة تشريعية عامة، فهو - وإن كان آخر النبيين زماناً - أولهم رتبة ومقاماً، فقد ختم الله به النبيين، وأكمل به الرسالة، وأتم الدين، قال

تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

(المائدة: ٣)

وقال:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾

(الأحزاب: ٤٠)

وفي هذا يقول رسول الله - ﷺ -: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة - رضى الله عنه.

ثم راح رسول الله - ﷺ - يوضح لأصحابه ذلك، فقال: (أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي أمنة التي رأت) وأخذ راوى الحديث يسأل أن أمنة لم تكن بدعا من أمهات النبيين، فقد كن يرين، وأن أم رسول الله - ﷺ - رأت حين وضعته نورا خرج منها أضاعت له قصور الشام، وأكد ذلك بتلاوة مباركة من أى الذكر الحكيم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝﴾

(الأحزاب: ٤٥، ٤٦)

أى: داعياً إلى توحيد الله، وإفراد الألوهة له، وإخلاص الطاعة لوجهه دون كل من سواه من الآلهة

والأوثان.. وكان ذلك إيذاناً بمولده - ﷺ - الذي بهر الدنيا بسيرته، وملاً التاريخ بعظمته؛ فإنه في شهر ربيع الأول من عام الفيل فرحت الأرض وازينت السماء واستبشرت الكائنات بمولد خير البرية ورسول الرحمة الذي أقام موازين العدالة، ونصب مشاعل الهداية، ودعم أركان السلام في كل مكان، وأسس قواعد الحق ثابتة لا تميد ولا تهتز بعد أن قوض أركان الباطل، وهدم بنيانه وهزم أنصاره وأعوانه في وقت كانت حالة الناس فيه قد وصلت من الفساد إلى النهاية، وبلغت البشرية الدرك الأسفل من الانحطاط، وغشيت العالم كله ظلمات كثيفة من الكفر والجهل والفجور، وغير الناس وبدلوا في دين الله، وحرّفوا الكتب التي أنزلها الله على رسله، وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، وعبدوا من دون الله آلهة شتى.

وكان العرب إذ ذاك أسوأ الناس حالاً، وأشدهم إمعاناً في الجاهلية والضلالة فلقد أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وعبدوا العديد من الأصنام والأوثان التي لا تنفع ولا تضر ولا تغني عن نفسها شيئاً.

وفي وسط هذا الظلام الدامس، والجهل المطبق، والضلال البين الذي أعمى أبصارهم وبصائرهم، وأفقدتهم رشدهم، انتشرت بينهم العادات الفبيحة، والأخلاق الذميمة مثل شربهم الخمر، وإتيانهم الفاحشة، وأكلهم الربا، ووأدهم البنات، واستقسامهم بالأزلام، إلى جانب الطبقة المقتونة من سادة وعبيد، سادة يملكون كل شيء، وعبيد لا يملكون أي شيء، بل يسامون في الأسواق كما تسام الأنعام.

وظل الأمر على هذا، حتى شاء الله - عز وجل - لهذا الليل أن ينجلي، ولهذا الجهل أن يغيب من الوجود، ولهذا الضلال أن يتقشع، ولهذا الباطل أن يزهر، فبرز فجر عظيم، وأشرقت شمس يوم جديد:

يوم يتبّه على الزمان صباحه
ومساره بمحمد وخاء
ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وتناء
ولد محمد - ﷺ - فلم يكن ميلاده ميلاداً عادياً، لم يكن مجرد إنسان درج على هذه الأرض، كما يدرج آلاف الناس الذين تلدهم أمهاتهم في كل ساعة من ساعات اليوم، بل كان ميلاده نوراً للأحياء، وروحاً للحياة، قال تعالى:

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾

(البقرة: ١٥)
فالنور هو محمد، والكتاب هو القرآن الكريم، وقال تعالى:

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

(الأنفال: ٢٤)
أي: لما فيه حياتكم.

وفد على الإنسانية كما نقد العافية على غليل أضواء السقم، وأنهكتها العلة، وطرق بابها كما يطرق الغنى الكريم باب قوم عضهم الفقر وأذلهم الحرمان، وأطل على الدنيا كما يطل الفجر الصادق، ينشر الضياء على آفاقها فتتولى جحافل الظلام

مقبهورة مذعورة، وكيف لا؟ وهو رسول يهدي ويعلم، وإنسان يعز ويكرم، وأب يحنو ويرحم:

وإذا رحمت فانت أم لو أب
هذان في الدنيا هما الرحماء
وأخ يذل عن كرم أصل وسخاء نفس:
فإذا سخرت بلغت بالجود لدى
وفعلت ما لا تفعل الأنواء
ثم هو بعد هذا وذاك صديق ودود لكل الناس يغفو عن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، ويحلم عن جهل عليه:

وإذا عسفوت ففساداً ومقدراً
لا يستهين بعفوك الجاهلاء
وكيف لا يكون كذلك، وقد تولى الله - عز وجل - تربيته ورعايته بنفسه في أطوار حياته كلها، قبل مولده وبعده، وقبل بعثته وبعدها، فأما رعايته له قبل أن يولد؛ فهو اختياره له أكرم الآباء والأمهات، وفي ذلك يقول رسول الله - ﷺ -: (إن الله اصطفاني من بنى هاشم، واصطفاني بنى هاشم من قريش، واصطفاني قريشاً من بنى إسماعيل فأنا خيار من خيار)^(١).

وحسبنا أن أباه الأعلى هو أبو الأنبياء خليل الله إبراهيم - عليه السلام -، ورسول الله محمد - ﷺ - هو دعوة ذلك الجد الأعلى حين دعا الله - تبارك وتعالى - في إحدى زياراته للبيت الحرام وأهله قائلاً:

(١) السنن الكبرى للبيهقي ١٣٤/٧، صحيح مسلم، الفضائل ١٠، بتحوية.

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
فِيهِمْ بَيِّنَاتٌ مِنْكَ وَاعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَرَبِّهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

(البقرة: ١٢٩)
وأما رعايته له من مولده إلى البعثة، فهو إمداده له بأسباب العصمة مما يأتيه الأطفال في حديثهم، وما كان للشبان من ميل إلى اللهو والعبث، وما كان للجاهلية عامة من معتقدات وعادات وتقاليد، لا سيما الاستقسام بالأزلام، وشرب الخمر ولعب اليسر، هذا إلى جانب ما أمده الله به من أصول الخلق ومعالي الصفات، وهي الصفات التي أشارت إليها زوجته خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - حين رجع إليها ترجف بوافده من روعة الوحي، وهو يقول لها: لقد حققت على نفسي، فقالت: كلا. والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.. رواه البخاري ومسلم.

وتلك الكارم هي هي بعينها التي لفت إليه أنظار أهل مكة حتى اجتمعوا على تسميته بالصادق الأمين، فعندما أمره الله - تعالى - بالجهير بالدعوة، ونزل عليه قوله - تعالى -:

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

(الشعراء: ٢١٤)
صعد على الصفا، فقال: «يا معشر قريش» فقالت قريش: محمد على الصفا يهتف، فأقبلوا واجتمعوا فقالوا: مالك يا محمد؟ قال: (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً يسفح هذا الجبل أكنتم

تصدقوني؟ قالوا: نعم... أنت فينا غير منهم، وما جربنا عليك كذبا قط^(١).

وحين حرصت قريش على تجريحه، وقذفه بما ليس فيه، وصرف الناس عن دعوته، وقف أحد زعمائهم وهو النضر بن الحارث وقال: يا معشر قريش: إنه والله قد نزل بكم أمر، ما أنتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب قلتم ساحر؟ لا والله ما هو بساحر.

وهذه الكارم أيضاً هي التي لفتت إليه نظر خديجة فآثرتة وهو الفقير على كل من تقدم إليها من أهل الشرف والغنى والجاه والرياسة، إذ كان الخلق العظيم في فطرتها الصافية أرجح لديها من كل ما للناس من شارات الشرف والغنى والجاه.

وهكذا كان محمد - ﷺ - رغم نشأته في هذه البيئة القاسية ثمودجاً وحده فما شرب خمراً، وما أتى فاحشة، وما تعامل بربا، وما سجد لصنم قط؛ وإنما شغل نفسه بعظائم الأمور وجلالها، فعاش حياته كلها منزهاً عن النقائص، مبرئاً من العيوب، مثال الكمال والإجلال، مثار الإعجاب والتقدير، ولا عجب، فقد زكى الله لسانه فقال:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

(النجم: ٣)

وزكى بصره فقال:

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾

(النجم: ١٧)

وزكى فؤاده فقال:

﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾

(النجم: ١١)

وزكاه كله فقال:

﴿وَأَنَّكَ لَعَلَّ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾

(القلم: ٤)

هذا وقد شهد كثير من الذين لم يؤمنوا بنبوته.. بفضلته وصدقته وأمانته.

شهد الأنعام بفضلته حتى العدا

والفضل ما شهدت به الأعداء يقول الكاتب الكبير برناردشو: لو كان محمد بعث في هذا العصر الحديث لنجح نجاحاً تاماً في حل المشكلات العالمية وقاد العالم إلى السعادة والسلام وصدق رب العالمين إذ يقول لنبيه الكريم ورسوله العظيم:

﴿الْزُّبُرُ لَكَ سَدْرُكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزَدَكَ ۖ الْقُرْآنُ ۖ أَفْضَلَ ظَهْرِكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ﴾

(الشرح: ٤: ١)

فكان يخلو بنفسه في غار حراء منصرفاً بقلبه وقالبه عن باطل هذه الحياة ليفرغ بهما إلى مناجاة مولاه حتى كانت الليلة التي أكرمه الله فيها وشرفه بالاجتهاد للرسالة؛ وهو حري بها وأهل لها. فلقد كان - ﷺ - ربانياً في كل شيء: في أقواله وأفعاله، وحر كانه وسكناته، وعبادته ومعاملاته، وكان دائم المراقبة لربه كثير الذكوة له. كان نطقه ذكراً،

وقد ورد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: صحبت رسول الله - ﷺ - عشر سنين، وشممت العطر كله، فلم أشم لكهية أطيب من نكهته.

فلا عجب بعد هذا كله أن يأمرنا رب العالمين بأن نقتدى به في كل أحواله وسائر تصرفاته:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُتُوءٌ﴾

﴿حَسَنَةً لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)

وإن نطيعه في كل أمر ونهى صدر عنه:

﴿وَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ مِنْكُمْ أَنْ تَفْعَلُوا فَفَعَلُوا وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

(الحشر: ٧)

وقد روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: (كل أمسي يدخلون الجنة إلا من أبي. قالوا: ومن يابى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) فهنيئاً لكل من أطاعه واتبع هداه ووبى لكل من عصاه واتبع شيطانه وهواه؛ إذ لا يؤمن الإنسان منا إيماناً كاملاً إلا إذا ترك هوى نفسه واتبع هوى دينه وفي هذا يقول رسول الله - ﷺ -: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) رواه صاحب (الإبانة الكبرى) عن عبد الله بن عمرو.

وفقنا الله - عز وجل - جميعاً لإقامة شرعه، وإحياء سنته، والتخلق بأخلاقه، والسير على نهجه، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

وحسنه فكراً، وحديثه عبيراً، وكان من حبه لربه أن سخر جوارحه كلها لخدمة مولاه، فله ما يفعل والله ما يترك، ما أحب شيئاً ولا أهدأ إلا لأن الله يحبه، وما أبغض شيئاً ولا أهدأ إلا لبغض الله إياه، ومع ذلك كان دائماً يطلب إلى ربه أن يرزقه المزيد من هذا الحب فكان يقول: (اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك، واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد)^(٢).

ولئن كانت معرفته - ﷺ - الكاملة بالله وصفاته قد دفعته إلى هذا الحب العظيم، فإن هذه المعرفة الكاملة بعينها هي التي أورثته جلال الخوف والهيبة من الله - سبحانه - حتى في أكثر حالاته قرباً إلى الله - عز وجل.

فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: كنت نائمة إلى جنب النبي - ﷺ - ففقدته من الليل، فوقع يدي على قدميه وهو ساجد يقول: (أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، لا أحصى ثناء عليك، وبك منك أنت كما أتيت على نفسك) رواه الإمام مالك في الموطأ.

هذا وإذا كان الله - عز وجل - قد حسن خلق نبيه الكريم ورسوله العظيم فقد حسن خلقه وما أروع ما أنشده الصحابي الجليل حسان بن ثابت - رضي الله عنه - يمدح به النبي - ﷺ -:

وأحسن منك لم تر قط عيني

وأعظم منك لم تلد النساء

خلفت مبرراً من كل عيب

كانك قد خلقت كما نشاء

(٢) إتحاف السادة للفقهاء ج ٥، ص ٧٨، ميزان الاعتدال ٢٢٢٤.

(١) مجمع الزوائد للهيتمي ج ٩، ص ١٢٢.

الرسول الداعية ﷺ

لفضيلة الشيخ / عمر الديب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. اهتم الرسول - ﷺ - اهتماماً كبيراً بالدعوة إلى الإسلام وقد كان اهتمامه ذلك في مكة أولاً ولم تكن أرضاً خصبة للدعوة في أول الأمر ثم انتقلت الدعوة إلى المدينة المنورة حيث أثمرت الدعوة في تلك الديار وكانت الدعوة أوسع نطاقاً وأعظم جدوى وقد اهتم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بإنشاء المساجد بعد الهجرة وجعل من أغراضها أن تكون مراكزاً للدعوة الإسلامية وكثيراً ما كان يجلس فيها يستقبل الوافدين ليعرفهم بالإسلام أو يتوسط المسلمين ليزيدهم علماً ومعرفة بدينهم كما كان يجلس أحياناً في بيته أو في بيوت أصحابه ليعلم النساء أمور هذا الدين الذي جعلت تكاليفه على الرجال والنساء.

والحديث عن سيدنا محمد كداعية يساعد كثيراً وبخاصة في عصرنا الحاضر لنقتدى به ونسير على نهجه في هذا الطريق العظيم، وذلك لأن هذا الدين جعله الله تعالى ليكون ديناً عالمياً ومن هنا جاءت مقولة عالمية الإسلام إذ يقول الحق تبارك وتعالى في دستوره الخالد:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)
مفاد الآية أن رسالة سيدنا محمد كانت عامة لجميع المخلوقات والكائنات، فكان رحمة رحم الله بها العباد جميعاً فرحمته عمت الإنسان والحيوان والنبات والجماد فكل الكائنات مستهم رحمته تعالى ومع هذه الرحمة كانت دعوته ﷺ للناس جميعاً مبشراً لهم بالنعيم القيم في حالة إيمانهم وعبادتهم لربهم الخالق الباري المصور الذي له الأسماء الحسنى يقول تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

(سبا: ٢٨)

كما يقول تعالى:

﴿ تِلْكَ أَلْفُ مِائَةٍ نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ عَبْدِكَ لِيُذَكِّرَ بِهِ لِقَاءَ رَبِّكَ وَأَنَّكَ لَفِي عَذَابٍ أَتٍ ﴾

(الفرقان: ١٠)

فالآيات تبين أن هذه الدعوة كانت عالمية لكل البشر وكما جاء القرآن الكريم مبيناً لهذه العالمية بين لنا الحق تبارك وتعالى كيف تكون الدعوة؟ وبين لنا طريق الدعوة يقول تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

(النحل: ١٢٥)

ومن أجل ذلك كانت هذه الدعوة مؤثرة وكانت مباركة يلتف حولها من شرح الله صدره للإسلام وهذه إلى الطريق القويم والصراط المستقيم، ومن الطريق المستقيم جدالهم بالحسنى والحوار الذي يقوم على إظهار الحق ومعرفة اليقين ولذلك يقول تعالى:

﴿ وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

وكما يقول تعالى:

﴿ وَلَنَذَكِّرَنَّ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْقُرْآنِ وَيَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾

(آل عمران: ١٠٤)

ولذلك فكما كان الرسول ﷺ يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة كان أصحابه وأتباعه بل والأمة الإسلامية

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولذلك كان هؤلاء القوم هم المفلحون في الدنيا والآخرة، فلقد تحملوا عبء هذه الدعوة في الدنيا وكان لهم الفضل في نشرها وذبوعها في الآفاق وقد يكون من الحسن أن تبين كيف كان الرسول ﷺ يدعو إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة؟ وكيف كان نموذجاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ لقد كانت حياة النبي ﷺ وطريقته لنشر هذا الدين صورة رائعة للداعية، وإذا كانت حياة النبي - ﷺ - هي مقياس السلوك لعامة المسلمين فإنها بالنسبة للدعوة أكثر لزوماً وضرورة لمن يعملون في هذا المجال ومن الواضح أن الرسول ﷺ بدأ دعوته في مكة المكرمة ولاقي هناك عنثاً شديداً ولكنه صبر وصابر واتبع صلوات الله وسلامه عليه في عمله خطوات تعد نموذجاً لكل داعية، فقد دعا للدين سراً في بادئ الأمر ثم خطا خطوة إلى الأمام فدعا أهله وعشيرته ثم ارتقى إلى القمة عندما جهر بالدعوة إلى جميع الناس وكان القرآن هادياً في هذه الخطوات وهو بذلك درس لكل داعية ألا يندفع إلى خطوة قبل وقتها وأوانها المناسب بل يترقق الداعية بالناس ولا يتجاهل بعدهم في العقيدة عنه ويبحث عن الوسيلة للوصول إلى قلوبهم وقد تكون هذه الوسيلة بدعوة الأصفياء وتجنب القساة

أو بالاعتماد على صلوات القرابة فإذا وجدت الدعوة بعض الاستجابة عن هذين الطريقين راح يجهر بعد أن قوى جانبه ومن الشايت والواضح أن الرسول ﷺ ضحى من أجل الدعوة بما يملك من جهد ومال ولذلك سخر منهم عندما قالوا له: إن كنت تريد مالاً أعطيناك مالاً وإن كنت تريد الرياسة ملكناك علينا.. فما كان له في ذلك هدف وتأخذ من هذا الأسوة في عمل الدعوة حيث يتعين على الداعية أن يترفع عن متاع الدنيا حتى يكون عمله ودعوته أعمق تأثيراً وأكثر نجاحاً، ومع أن الدعوة لم تنجح في الانتشار بمكة وكانت المقاومة عنيدة ومستمرة، ولكنه الداعية العظيم - صلوات الله وسلامه عليه - لم يلبس ولم يضعف وراح يتلمس أمكنة أخرى يبذر فيها بذوره الطيبة، فلجأ إلى الطائف بيد أن رحلة الطائف على الرغم من وعورة الطريق وصعوبة الزاد لم تأت بباطل ولكن الداعية العظيم يتلمس مرة أخرى طريق النجاح فاتخذ من مواسم الحج فرصة لنشر الدين بين وفود القبائل التي كانت تصدف إلى مكة ولكن جسارة الشوك لاحظوه في تلك الخطوة وبخاصة عمه أبولهب الذي كان يتبعه ويصيح في القوم الذين يلقاها محمد قائلاً: إنه لصابي يريد أن تنسلخوا عن دين آبائكم إلى ما جاء به من بدعة وضلالة، وكان

جاء قريش ومطيرة أبي لهب تنال الغلبة في كثير من الأحوال فكانت جماعات الحجاج تقبل محمد: إن قومك وذوي قرابتك أعرف الناس بك ولو كنت على حق لا تبعوك وساعدوك ولكن ذلك لم يوهن عزيمته فاستمر في لقائه بجماعات الحجاج حتى صادف جماعة من يشرب قدامهم وتلطف إليهم وكان ذلك بدءاً لافتتاح الأبواب المغلقة والقلوب المقفلة وتمت الدعوة وانتشر بين أهل المدينة، وفي أحد اللقاءات جاءت الدعوة من مسلمي المدينة إلى محمد ليهاجر إليهم بعد انتشار دين الله فدخل كل بيت من بيوت المدينة تقريباً واستجاب لهم الرسول بعد ما أذن الله له بالهجرة وبدأت الدعوة إلى الإسلام بالمدينة تأخذ طابعاً جديداً، فقد بنيت مساجد أصبحت مراكز للدعوة وأصبح للدعوة جاه وحماة وأصبح المسلمون بعد هذا الجهد الجليل أقوى من أعدائهم في هذا المقر الجديد وقد اتخذت الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة شقين كبيرين الشق الأول: مع المسلمين لتعليمهم التزامات الدين الجديد وشرح التشريعات الجديدة التي بدأت أن تصدق في القرآن الكريم في هذا العصر والشق الثاني: المواجهة مع الكتل الكبرى بالمدينة التي كانت لم تدخل الإسلام بعد، ثم الاتجاه للدعوة للإسلام خارج

المدينة وفي الشق الأول اهتم الرسول ﷺ اهتماماً كبيراً ليثبت الدعوة في قلوبهم وليعلمهم ما جد من تشريعات فأطال جلساته بالمسجد والمسلمون يحيطون به يعلمهم ويرشدهم وهم يسألونه عما يشغلهم فيجيبهم ويهديهم، واهتم الرسول كذلك بالمرأة اهتماماً كبيراً ومن ذلك قوله ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»^(١) وكان فيما يرويه البخاري يصلي خلفه بعض النساء صلاة الفجر، وكان من حكمته عليه السلام أنه عقب السلام ونية الخروج من الصلاة كان يبقى في مكانه فترة لينصرف النساء في الصفوف الخلفية فإذا اطمان إلى انصرافهن قام وقام معه الرجال، وكان يخفف صلاته إذا سمع بكاء الطفل خلفه خشية أن تفتن به أمه فتصرف عن صلاتها، وأما الشق الثاني وهو دعوة غير المسلمين للإسلام كانت سياسة الرسول غاية في الروعة والذكاء وقد بدأ أولاً بالمدينة لتأمين المركز الإسلامي الجديد وكان في المدينة منافقون تظاهروا بالدخول في الإسلام وعرب تمسكوا بوثنيتهم وجماعات اليهود، فقيما يتعلق بالمنافقين أغضى الرسول الطرف عن نفاقهم وأظهر أنه لا يعرفه وأخذ

(١) الطبراني في الكبير ٢٤٠/١٠.

بلاطفهم ويتودد إليهم حتى أزال النفاق من قلوب الكثير منهم، أما العرب الوثنيون واليهود فقد عقد معهم معاهدة التعاون بين المسلمين وغير المسلمين وأمن المسلمون بذلك الحياة في المدينة المنورة وأصبحت الدعوة هي الشغل الشاغل للرسول بعد أن استقرت الأمور بالمركز الجديد وقد زاول الرسول دعوة عرب المدينة الذين كانوا لم يدخلوا الإسلام بعد، ويوماً بعد يوم استجاب هؤلاء لدعوته حتى شمل الإسلام عرب المدينة كلهم تقريباً واتجه الرسول إلى اليهود فظل يتخير أفضلهم ويدعوهم إلى الإسلام حتى دخل منهم جماعة مستجيبيين لهذه الدعوة ثم تطلع الرسول إلى خارج المدينة فانتشر الإسلام في قلب الجزيرة العربية عن طريق إرسال الرسائل والمبعوثين، فكان ذلك إيذاناً بالفتوح الإسلامية التي جاءت في العصور التي تلت عصر الرسول ﷺ وهكذا كان صلوات الله وسلامه عليه نموذجاً عظيماً لحمل الدعوة وشرحها وتقديمها للناس والدفاع عنها فما أحوج الدعاة في عصرنا هذا أن يتدارسوا طريقته للناسي بها.

في رحاب الكبري العظيم

حسبنا في الرد على المتطاولين على مقام خاتم المرسلين أن يعلموا لرسول الله ﷺ مكانته العالية التي أحله الله سبحانه وتعالى إياها، ومنزلته السامية التي بوأه الله تعالى فيها، حيث جعله خاتم الأنبياء والمرسلين ورحمة الله للعالمين.

وأتى عليه ربه في القرآن الكريم حيث قال:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

(القلم: ٤)

وجعل من أطاعه فقد أطاع الله:

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾

(النساء: ٨٠)

وجعل الذين يبايعونه إنما يبايعون ربهم سبحانه حيث قال سبحانه:

﴿إِنَّا الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾

(الفتح: ١٠)

قال أبو طالب المكي: «هذه الآية أبلغ فضيلة لرسول الله ﷺ لأنه تعالى جعله في اللفظ بدلاً عنه وفي الحكم مقامه ولم يدخل بينه وبينه كالف التشبيه ولا لام الملك، وليس هذا المقام من الربوبية خلق غير رسول الله ﷺ» هـ.

وأمر الله تعالى عباده أن يأخذوا ما أُنْهَاهُمْ بِهِ، وأن ينتهوا عما نهاهم عنه، فقال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا لَكُمْ لِرَسُولٍ قَدْ جَاءَكُمْ وَمَا

تَنْهَكُم عَنْهُ أَنْتَهُوا﴾

(الحشر: ٧)

وجعل الله تعالى الصلاة والسلام على رسوله طريقاً للقرب والوصول.

مكانة الرسول ﷺ وفضل الصلاة عليه

للأستاذ الدكتور:
أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

يكاف الخطاب إلا من يتأتى خطابه ويسمع الخطاب إذ لو لم يكن سامعاً للخطاب والسلام، ما شرع لنا في عبادة الصلاة أن نسلم عليه.

التشهد

وكما أمرنا في الصلاة أثناء التشهد أن نصلي على سيدنا محمد ﷺ فقد أمرنا أيضاً أن نصلي على آل بيت سيدنا محمد ﷺ، وأن نقول في تشهد «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد»، والذي لم يقل «وعلى آل سيدنا محمد» كان تشهده ناقصاً وبالتالي تكون صلاته ناقصة كما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

يا آل بيت رسول الله حيكمو

فرض من الله في القرآن أنزله يكفيكمو من عظيم الفخر أنكمو

من لم يصل عليكم لا صلاة له وما كان آل البيت لينالوا هذه المرتبة العالية والمنزلة السامية إلا لمكانتهم من رسول الله ﷺ.

وكما تجلت لنا منزلة الصلاة والسلام على رسول الله ببيان أن الله وملائكته يصلون عليه، وأن من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشراً، وأن الله تعالى شرعها في الصلاة إلى جانب هذا ظهرت ثمرات وآثار لفضل الصلاة على رسول الله ﷺ ومنها: تفريج الكرب، ومنها قضاء الخوائج.

وإن الصلاة على رسول الله ﷺ لها فضل عظيم وأجر كريم، وحسبنا فضلاً لها أن الله سبحانه وتعالى قبل أن يأمرنا بها بين لنا في القرآن الكريم أنه سبحانه وتعالى يصلي على حبيبه ومصطفاه بنفسه، وأن الملائكة المقربين يصلون أيضاً عليه، وبعد بيان صلاة الله وملائكته جاء الأمر الإلهي لنا بالصلاة والسلام على خير الأنام حيث قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

(الأحزاب: ٥٦)

الكرامة الكبرى

ووضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه الكرامة الكبرى التي يمنحها الله لمن يصلي على حبيبه ومصطفاه حيث إن الذي يصلي عليه مرة يصلي رب العزة سبحانه عليه بها عشر مرات، فقال رسول الله ﷺ: «من صلى على مرة، صلى الله عليه بها عشر» (١) أي أن من أراد أن يصلي الله عليه فليصل على رسول الله ﷺ.

وجاء التشريع الإسلامي بالصلاة على النبي، في أهم عبادة من العبادات وهي عبادة الصلاة حيث يتم ذلك في جلوس التشهد فنصلي على النبي عليه الصلاة والسلام وأيضاً نسلم عليه في التشهد قائلين: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وورد السلام بصيغة الخطاب ويكاف الخطاب «السلام عليك» ولا يخاطب

(١) سنن النسائي ج ٢ ص ٥٠.



عبدالحليم محمود

ذلك ويغفر الله له
الكرب ويحقق له ما
يرجوه من خير بفضل
الحب في الله وفي رسوله

وَأَهْمِيَةِ الصَّلَاةِ
وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم كان الذي لا يصلي عليه عند ذكره
بخيلاً وشقياً كما جاء في الحديث «عن جابر
رضي الله عنه قال: رقي النبي ﷺ المنبر فلما رقي
الدرجة الأولى قال: «آمين»، ثم رقي الثانية فقال
آمين، ثم رقي الثالثة فقال: آمين فقالوا: يا رسول
الله سمعناك تقول آمين ثلاث مرات قال: لما رقيت
الدرجة الأولى جاءني جبريل فقال: شقي عبد
أذكرك رمضان فاسلخ منه ولم يغفر له فقلت:
آمين، ثم قال: شقي عبد أذكرك والديه أو أحدهما
فلم يدخله الجنة فقلت: آمين، ثم قال: شقي عبد
ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت: آمين» رواه
البخاري في الأدب وابن حبان وابن خزيمة.

أفضل الأيام للصلاة على النبي

ومن أفضل الأيام والأوقات للصلاة عليه يوم
الجمعة لأفضل هذا اليوم ولأن الصلاة تعرض
عليه في هذا اليوم كما جاء في الحديث عن أوس
ابن أوس رضي الله عنه قال: «قال رسول الله
ﷺ: إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق
آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة،
فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم
معروضة علي قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض
صلاتنا عليك وقد أرمت أي بليت» فقال: «إن

مع الشيخ عبدالحليم محمود

ومن أجل ذلك كانت هناك صيغ من الصلوات
مأثورة لها آثارها وفوائدها ولها دلائل قبولها ومن
ذلك صيغة صلاة الفرج التي تحولت حروفها إلى
نور أمام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق
العارف بالله الإمام عبدالحليم محمود - رحمه
الله رحمة واسعة - وذلك عندما تعرض لشدة من
الشدائد وأعطاه أحد أحبائه الصالحين صيغة من
صيغ الصلاة على خاتم النبيين ﷺ وأشار عليه أن
يكثر من قراءتها في خلوة فلما أكثر من قراءتها
رأى حروفها التي كتبت بها من الخبر قد تحولت
إلى حروف من نور قال: فظننت أن في عيني تعبا
وأخذت أدلك عيني فوجدت الحروف تتلأل نورا
في العرق، فأيقن أن فرج الله قد جاء.

وهذه الصيغة هي: (اللهم صل صلاة جلال
وسلم سلام جمال على حضرة حبيبك سيدنا
محمد واغشه اللهم بنورك كما غشيت سحابة
التجليات فنظر إلى وجهك الكريم، وبحقيقة
الحقائق كلم مولاه العظيم الذي أعاده من كل
سوء اللهم فرج كربى كما وعدت:

﴿أَمِنْ حُجْبِ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَا، وَيَكْشِفُ الشَّوْءَ﴾

(النمل: ٦٢)

وعلى آله وصحبه آمين

وما لا شك فيه أن كل دعاء أو ذكر أو استغفار أو
صلاة على سيدنا محمد ﷺ أو نحو ذلك من أنواع
العبادات والطاعات لا بد معها من تقوى لمن يقولها
وحضور قلبه وإخلاصه ويقدر مرتبته من القرب من
الله يرى ثمرة ذلك، فالعارف بالله الإمام عبدالحليم
محمود رأى النور ولكن من الممكن لمن يكون دونه
في رتبة القرب ألا يرى النور إلا أنه تحصل له ثمرة

طريق للوصول إلى الله!!

والصلاة على النبي ﷺ طريق للوصول إلى
الله سبحانه وتعالى، قال الشيخ الصاوي رحمه
الله في حاشيته على تفسير الجلالين: اعلم
بالجملة أن الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم توصل إلى الله تعالى من غير شيخ لأن
الشيخ والسند فيها صاحبها لأنها تعرض عليه
ويصلي الله على المصلي بخلاف غيرها.

ويرد الرسول ﷺ على كل من سلم عليه،
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ
قال: «ما من مسلم يسلم على إلا رده الله إلى
روحي حتى أرى السلام عليه» رواه أحمد
وأبو داود والبيهقي.

من ثمرات الصلاة على النبي ﷺ

وهكذا نرى أن من ثمرات الصلاة والسلام
على رسول الله:

● أن الله سبحانه يصلي على من يصلي على
حبيبه ومصطفاه.

● أن الله تعالى يفرج بالصلاة على نبيه
الهموم والغموم ويقضى له حاجته.

● ومن ثمرات الصلاة على النبي ﷺ أن الله
تعالى يكفى المصلي على رسوله همه ويغفر له
ذنبه إلى غير ذلك من الثمرات والفوائد الدينية
والدنيوية والأخروية ولكن تحقيق هذه الفوائد
وتلك الثمرات لمن يؤدي الصلاة على الرسول
ﷺ وهو على حال من السلوك المستقيم والعمل
الصالح والقرب من الله تعالى وصفاء القلب
ونقاء السريرة فهذا هو الذي يستشعر تحقيق
الرجاء وقبول الصلاة والدعاء إنما يتقبل الله من
المتقين.

الله - عز وجل - حرم على الأرض أن تأكل
أجسام الأنبياء» رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

ومن المواطن المفضلة للصلاة على النبي ﷺ
بعد سماع الأذان وبعد أن يردد الإنسان الفاظ
الأذان خلف المؤذن ثم يصلي على الرسول ﷺ
ثم يسأل الله له الوسيلة، عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى
الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى على
صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي
الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من
عبد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي
الوسيلة حلت له الشفاعة» رواه أحمد ومسلم
وأبو داود والترمذي.

ولمقام الرسول ﷺ ومنزلته عند ربه سبحانه
وتعالى جعل لمن يلازم الصلاة والسلام عليه
سعادة في الدنيا والآخرة ففي الدنيا يفرج الله
كربه ويكفيه همه وفي الآخرة يغفر الله ذنبه.

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان
رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال:

«يا أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله،
جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه
جاء الموت بما فيه، قال أبي: فقلت: يا رسول الله
إنني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من
صلاتي؟ قال: ما شئت، قلت: الربع؟ قال: ما
شئت وإن زدت فهو خير لك، قال: فالنصف؟
قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك، قال:
فالثلثين؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك
قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذن تكفى
همك ويغفر لك ذنبك» رواه الترمذي والحاكم.

ربيع الشهور وعطر أيام العام - ميلاد المصطفى خير الأنام

أ.د. محمد فتحي فرج بيومي

كما يهل علينا فصل
الربيع بعسبق زهوره،
ونفحات عبيره، يحل
علينا أيضا ربيع الشهور
بذكرياته التي عطرت
أرجاء دنيا الإنسان،
وأنواره المتلألئة المشرقة،
التي بددت من هذه
الدنيا دياجير الظلام،
وذلك بميلاد خير
الأنام، محمد - عليه من
الله أفضل صلاة وأزكى
سلام - ويكفي هذا الشهر
من علو المنزلة ما رواه
أبو بكر بن أبي شيبة
بسند عن جابر وابن
عباس قالا: «ولد رسول
الله - ﷺ - عام الضيل
يوم الاثنين الثاني عشر
من ربيع الأول، وفيه
بعث، وفيه عرج به إلى
السماء، وفيه هاجر،
وفيه مات» (١).

وكل حدث من هذه الأحداث العظيمة يكفي وحده لكي
يتمتع شهر ربيع الأول بتلك المكانة المهمة، والمنزلة
الرفيعة، في ضمير كل مسلم ومسلمة، في مشارق الأرض
ومغاربها، فليس بكثير على الشهر الذي كان بشيرا بخير
البشر، من أن يحظى بهذا الشرف العظيم، الذي غير الدنيا
من حال سيئة إلى أحسن حال، ولا نملك إلا أن نردد مع
الإمام البوصيري قوله:

ليلة المولد الذي كــــان للدين
رور بيـــــومـــــه وازدهاء
وتوالت بشـــــرى الهـــــوائف أن قــــد
ولد المـــــصطفى وحق الهـــــناء
وقد نحا هذا المنحى، أمير الشعراء أحمد شوقي، في همزته
الشهيرة: التي جاء في بعضها:

ولد الهـــــدى قـــــالكائنات حـــــياء
وفم الزمـــــان تـــــبـــــم وتـــــناء
الروح والمــــلا المــــلائك حـــــولـــــه
للدين والدينـــــبـــــابـــــه بشـــــراء
والعـــــرش يزهو والحظـــــيرة تزدهى
والنتـــــهى والـــــدرة العـــــماء

والوحي يقطر سلسلا من سلسل
واللوح والقلم البـــــديع رواء
وليقارن من شاء، بين ما كانت عليه الدنيا قبل
مولده ﷺ وبعدها، سواء دنيا العرب أو دنيا الناس
عمامة، من عرب وعجم، يشقى أجناسهم،
وأنواعهم، وألوانهم ولغاتهم... بشر انسلكوا عن
عقيدتهم الصحيحة وانغمسوا في وثنية مقبحة،
وحياة تذنت فيها القيم، وتهرأت الأخلاق، وشذت
عن سواء الجادة السلوكيات، وانهارت المبادئ أو
كادت، نزعات عصبية جاهلية، ونزعات شيطانية
قبلية، امتشرت في ظلها الفوضى، وانتشرت
الخلافت والحروب بين الناس لأقل وأتفه الأسباب:
كرقعة من الكلا، أو بثر من الماء!

يقول أستاذنا العقاد - رحمه الله - في كتابه
«مطلع النور» حول المقدمات التي سبقت البعثة
المحمدية أنها: مقدمات ترتبط بما تلاها من الحوادث
ارتباط الأسباب بالسيئات ومقدمات لا ترتبط بما
تلاها هذا الارتباط، بل لعلها تناقضها وتؤدي إلى
خلافها، وإنما ترتبط بها ارتباط الداء بدوائه والعلّة
بما يزيلها فليست النتائج هنا وليدة المقدمات بل هي

العلاج الذي يزيلها، والآية الإلهية التي تحول
الأسباب الطبيعية إلى طريق الحكمة الأبدية، التي
تكشف أرائلها من خواتيمها، خلافا للعرف
الشائع من دلالة الأوائل على الخواتيم.

ويستطرد الأستاذ العقاد ليقول: ورائدنا في
متابعة هذه المقدمات بتوحيها، أن ننظر في
الآيات الكونية والمعاني التاريخية، لأنها ولاشك
عنوان إرادة الله المتصرف في الكون كله، ولأنها
- على هذا - مفتوحة الصفحات لكل ناظر
ومتأمل، يعمل بقريضة الإسلام الكبرى، وهي
التفكير في ملك الله، والنظر بالعقل في حقائق
السموات والأرضين (٢).

كانت بعثته ﷺ في وقتها المناسب تماما،
لتنظيم الدنيا على الموازين المعتدلة وتوجدد فيها
قيم الحق والخير والجمال، فتعود للحياة بهجتها
وتستعيد الإنسانية رسالتها القطرية التي خلقها
الله من أجلها، يقول الله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾
(البقرة: ١٤٣)

(١) مجمع الزوائد للهيتمي ج ١/ ١٦٦ بنحوه.

(٢) عباس محمود العقاد (١٩٦٧) مطلع النور أو طالع البعث المحمدية - سلسلة كتاب الهلال، دار الهلال بالقاهرة ص ١٠.

لقد كان مولده بحق وباختصار رحمة اكتنفت الكون كله بكل من فيه وما فيه ولا نجد خيرا مما خصه ربنا - جل وعلا - في قرآته الكريم، في آية واحدة من سورة الأنبياء:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

والى ذلك يشير أيضا أستاذنا العقاد في كتابه القيم: «عبقريه محمد»، حيث، يقول: «علامات الرسالة الصادقة هي عقيدة تحتاج إليها الأمة، وهي أسباب تمهيد لظهورها وهي رجل يضطلع بأمانتها في أوانها فإذا تجمعت هذه العلامات فماذا يلجئنا إلى علامة غيرها؟.. وإذا تعذر عليها أن تتجمع فأى علامة غيرها تنوب عنها أو تعوض ما نقص منها؟.. وقد خلق محمد بن عبدالله ليكون رسولا مبشرا بدين، وإلا فلائى شيء خلق؟.. ولأى عمل من أعمال ترشحه كل هاتيك المناقب والصفات؟.. فالذى أعده له زمانه، وأعدته له فطرته هو الرسالة العالمية دون سواها، وما من أحد قد أعد في هذه الدنيا لرسالة دينية إن لم يكن محمد قد أعد لها أكمل إعداد^(٣)».

الرسالة الإسلامية ونشأة العلوم الحديثة

كانت الرسالة المحمدية وكتابها الخالد القرآن الكريم أساسا متينا لنشأة العلوم المختلفة، حيث استلهم المسلمون جميع العلوم، التي

استحدثوها وبرعوا فيها بوحى من هذا الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإدى ذلك إلى نهضة شاملة، في جميع المجالات: الفقهية واللغوية والأدبية والعلمية، من قبض القرآن الكريم وخدمة الإسلام^(٤).

ولذلك سنطيل النظر في هذا المبحث القيم، لطرافته وأهميته القصوى، وليعلم المسلم كيف فتح القرآن عيون المسلمين على عوالم وعلوم لم يكن لهم بها عهد، إلا بعد أن وجههم القرآن إلى النظر فى الآفاق وفى أنفسهم، وبعد أن أمرهم بالقراءة فى أول ما نزل منه، فكانت القراءة فى كتاب الله المسطور (القرآن الكريم)، التى وجسدت بدورها إلى قراءة أخرى، فى كتاب الله المنظور، وهو الكون كله، فكان التقدم الهائل فى جميع المجالات.

ولنترك الراقعى نفسه، وبأسلوبه الجزل الخلاب، ليقص لنا القصة من بدايتها، حيث يقول: «ليس يرتاب عاقل - ممن يتدبرون تاريخ العلم الحديث، ويستقصون فى أسباب نشأته، ويتشبهون عند الخاطر من ذلك إذا أقدموا عليه، وعند الرأى إذا قطعوا به - أنه لو لم يكن القرآن الكريم لكان العالم اليوم غير ما هو عليه الآن فى كل ما يستطيل به، فى تقدمه وانبساط ظل العقل فيه وقيامه على أرجائه، وفى نموه واستبحار عمرانه فأما كان القرآن أصل النهضة الإسلامية وهذه كانت على التحقيق هي الوسيلة فى استيقاظ علوم الأولين وتهذيبها

(٣) عباس محمود العقاد (١٩٥٣) عبقريه محمد - سلسلة كتاب الهلال، الطبعة الثانية دار الهلال بالقاهرة ص ٢٥.

(٤) د. محمد فتحي فرج بيومي (٢٠٠٦) مع القرآن فى شهر رمضان - العدد رقم ١٢٥ من سلسلة دراسات إسلامية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ص ٩٥.

عليه علومهم وحضارتهم التى يتباهون بها علينا الآن!

نحن قوم أعزنا الله بالإسلام

وهذه كلمة حق، أجراها الله - تعالى - على لسان القاروق عسر من الخطاب - رضى الله عنه - الذى أدرك بفطرته النفسية، وعقله الراجح، هذه الحقيقة وخصها فى هذه المقولة، لكن ذلك لم يكن لولا جهاده وصبره ومثابرته **ﷺ** وإصراره نحو الضلالات وتغيير العادات، ونشر راية الإسلام، وإعلاء كلمة الله، وتغيير البيئة من بيئة جاهلية إلى بيئة إسلامية، تعلو كلمة الحق الذى يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويرفعهم من السحق إلى القمة، ويهديهم إلى سواء السبيل، ليصدق فيهم قول الله - تعالى -:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَذُوُورُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْلَىٰ الصَّالِحِينَ لَكُنْ أَهْلَ الصِّبْيَةِ لَكُنْ خَيْرَ أُمَّةٍ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

وإذا كنا فعلا نريد أن نستعيد سالف مجدنا، وأن تشرق - من جديد - شمس حضارتنا، ونقدم الأمم كما كنا، فلا علينا إلا أن ننزع بما تذرع به أوائلنا، فبهل نحن فاعلون؟

وتصفيتها، وإطلاق العقل فيما شاء أن يرتع منها، وأخذة على ذلك بالبحث والنظر والاستدلال والاستنباط، بما كان سببا فى طلب العلم للعمل، ومزاولة هذا لذاك، إلى صفات أخرى ليس هذا موضع بسطها، وهذا كله كان أساس التاريخ العلمى فى أوروبا فما من موضع فى هذا (الأساس) القائم إلا وأنت واجد من دونه قطعة من الآداب الإسلامية أو العقول الإسلامية، أو الحضارة الإسلامية، فالقرآن من هذا الوجه إنما هو الباب الذى خرج منه العقل الإنسانى المسترجل، بعد أن قطع الدهر فى طفولة وشباب^(٥).

ثم يقول الكاتب: «وأما أن القرآن معجزة التاريخ العربى خاصة وأصل النهضة الإسلامية، فذلك بين من كل وجوهه، غير أننا سنقول فى الجهة التى تنصل بنشأة العلوم، إذ هي سبيل ما نحن فيه من هذا الفصل، وقد أومأنا إلى بدء تاريخ التدوين العلمى وبعض أسبابه فى باب الرواية من الجزء الأول من تاريخ آداب العرب، فنقتصر هنا على موجز من أسباب النشأة العلمية^(٦)».

ثم كانت النهضة الشاملة، فى علوم الدين وعلوم الدنيا، وهى التى صنفها النشأت من مؤرخى العلم، شرقا وغربا، تحت ما عرف باسم الحضارة الإسلامية، التى دامت قرونا طويلة ونهل من معينها الثرى، بمختلف العلوم والصناعات والفنون، أمم الغرب وبنوا عليها حضارتهم فكانت الأساس الثمين، الذى قامت

(٥) مصطفى صادق الرافعى (١٩٩٧) إجماع القرآن والبلاغة النبوية - الطبعة الأولى - دار الشار بالقاهرة ونكتة فياض بالمنصورة، ص ٩.

(٦) المصدر السابق، الموضع نفسه.

نشأة الاختلاف وأدبه

الاختلاف الصحابي بعد الرسول ﷺ

للاستاذ الدكتور / السيد أحمد فرج
الأستاذ بجامعة المنصورة

٢

العلامة الدهلوي يبين موقف العلماء
من الاختلافات الفقهية

يقول الدهلوي في كتاب الانتصاف في بيان أسباب الاختلاف، مينا موقف العلماء من الاختلافات الفقهية:

«وقد كان في الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من يقرأ البسمة ومنهم من لا يقرأها، ومنهم من يجهر بها، ومنهم من لا يجهر بها، وكان منهم من يفت في الفجر، ومنهم من لا يفت في الفجر، ومنهم من يتوضأ من الحجامة والقيء والرعاف ومنهم من لا يتوضأ من ذلك.

ومع ذلك فكان بعضهم يصلي خلف بعض مثل ما كان أبو حنيفة أو أصحابه والشافعي أو أصحابه وغيرهم - رضي الله عنهم - يصلون

خلف أئمة المدينة من المالكية وإن كانوا لا يقرءون البسمة لا سرا ولا جهرا.

وصلى الرشيد إماما وقد احتجم فصلى الإمام أبو يوسف خلفه ولم يعد وكان أفتاه الإمام مالك بأنه لا وضوء عليه.

وكان الإمام أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الرعاف (نزيف الدم من الأنف) والحجامة فقليل له: فإن كان الإمام مالك قد خرج منه الدم ولم يتوضأ، هل تصلي خلفه؟

فقال: كيف لا أصلي خلف الإمام مالك، وسعيد بن المسيب. وروى أن أبا يوسف ومحمد كانا يكبران في العيدين تكبير ابن عباس، لأن هارون الرشيد كان يحب تكبير جده.

ولما حج المنصور قال لمالك: قد عزم أن

أمر بكتبتك هذه التي وضعتها فتسخ ثم أبعث في كل عصر من أمصار المسلمين منها نسخة وأمرهم بأن يعملوا بما فيها، ولا يتعدوه إلى غيره.

فقال: يا أمير المؤمنين: لا تفعل هذا، فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، ودانوا به من اختلاف الناس، فدع الناس وما اختار كل أهل بلد منهم لأنفسهم.

وحكى أن هارون الرشيد شاور مالك في أن يعلق الموطأ في الكعبة، ويحمل الناس على ما فيه فقال: لا تفعل فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان، وكل سنة مضت، فقال: وفقك الله يا أبا عبد الله.

وروى أن أبا يوسف - رحمه الله - صلى يوم الجمعة مغتسلا من الحمام وصلى بالناس، وتفرقوا، ثم أخبر بوجود قارة ميتة في بئر الحمام فقال: إذن نأخذ بقول إخواننا من أهل المدينة، إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا.

وختم الدهلوي الكلام بقول الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - ليسين أن الأخذ بأحد الأقوال التي اختلف فيها العلماء، لا بد أن يكون عالما بها، بحيث يعرف أقواها. فقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «لا ينبغي لأحد أن يعرف أقاويل العلماء في الفتاوى

الشرعية ويعرف مذهبهم، فإن سئل عن مسألة يعلم أن العلماء الذين يتخذ مذهبهم قد اتفقوا عليها، فلا بأس بأن يقول: هذا جائز، وهذا لا يجوز، ويكون قوله على سبيل الحكاية.

وإن كانت مسألة قد اختلفوا فيها، فلا بأس بأن يقول: هذا جائز في قول فلان، وفي قول فلان لا يجوز، وليس له أن يختار فيجيب بقول بعضهم ما لم يعرف حجته».

إن الاختلاف إذا تدافع، فهو خطأ وصواب، والواجب عند اختلاف العلماء طلب الدليل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس على الأصول منها وذلك لا بعدم، فإن استوت الأدلة، وجب الميل من الأشبه بما ذكرنا بالكتاب والسنة.

فإذا لم يبين ذلك وجب التوقف، ولم يجوز القطع إلا بيقين فإن اضطر أحد إلى استعمال شيء من ذلك في خاصة نفسه، جاز له ما يجوز للعامة من التقليد.

وهذا من رأى مالك والشافعي، والليث ابن سعد والأوزاعي وأبي ثور، وجماعة من أهل النظر.

وقد عرض ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله، مواقف السلف من الاختلافات الفقهية تحت باب (جامع بيان ما يلزم الناظر في اختلاف العلماء).

قال: حدثنا إسماعيل بن يحيى المزني قال: قال: الشافعي في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ: أصبر منها إلى ما وافق الكتاب والسنة أو الإجماع، أو كان أصح في القياس وقال في قول الواحد منهم: إذا لم يحفظ مخالفا منهم صرت إليه وأخذت به إن لم أجد كتابا ولا سنة، ولا إجماعا، ولا دليلا منها، هذا إذا وجدت معه القياس، قال: وفي ما يوجد ذلك، قال المزني: فقد بين أنه قبل قوله بحجة، ففي هذا مع اجتماعهم على أن العلماء في كل قرن ينكر بعضهم على بعض فيما اختلفوا فيه، على أن لا يقال إلا بحجة، وأن الحق في وجه واحد.

وقد ذكر الشافعي في كتاب أدب القضاء أن القاضي والمفتي لا يجوز له أن يقضي، ويفتي حتى يكون عالما بالكتاب وما قال أهل التأويل في تأويله، وعالما بالسنن والآثار، وعالما باختلاف العلماء حسن النظر، ورعا، مشاورا فيما اشبه عليه، وهذا كله مذهب مالك وماتر فقهاء المسلمين في كل مصر يشترطون أن القاضي والمفتي لا يجوز أن يكون إلا في هذه الصفات.

أما أبو حنيفة فقد قال: أما أصحاب رسول الله ﷺ فأخذ بقول من شئت منهم ولا أخرج عن قول جميعهم وإنما يلزمي النظر في أقاويل من بعدهم من التابعين، ومن دونهم.

وإلى نحو هذا ذهب أحمد بن حنبل. وعلى كل حال فقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ، فخطأ بعضهم بعضا، ونظر بعضهم في أقاويل بعض وتعقبها، ولو كان قولهم كله صوابا عندهم لما فعلوا ذلك. وقد جاء عن ابن مسعود - رضي الله عنه - في غير مسألة أنه قال: «أقول فيها برأبي فإن يك صوابا فمن الله وإن يك خطأ فمني وأستغفر الله».

الاختلافات الفقهية

ولهذا قال ابن عبد البر: وفي رجوع أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم على بعض، ورد بعضهم على بعض دليل واضح على أن اختلافهم عندهم خطأ وصواب.

وكان كل واحد منهم (رضي الله عنهم) يقول: جائر ما قلت أنت، وجائر ما قلت أنا. وما يذكره ابن عبد البر من اختلافات السلف الفقهية يلاحظ ما يلي:

١- إن الاختلاف لم يكن في طبيعة الفقه نفسه، ولا في الحكم عليه من حيث ذاته، وإنما هو اختلاف من حيث مواقف المختلفين منها. فما من عالم منهم إلا وقد اختلف مع غيره، ولم ينكر ذلك من نفسه، كما لم ينكره من غيره، يزيد ذلك ما ذكره ابن عبد البر وفي رجوع أصحاب رسول الله ﷺ

بعضهم إلى بعض، ورد بعضهم على بعض دليل واضح على أن اختلافهم عندهم خطأ وصواب ولذلك لأن يقول كل واحد منهم جائر ما قلت أنت، وجائر ما قلت أنا.. فلا علينا من اختلافنا، والصواب مما اختلف فيه وتدافع وجه واحد، ولو كان الصواب في وجهين متدافعين ما خطأ السلف بعضهم بعضا في اجتهادهم وقضائهم، وقضائهم، والنظر يابى أن يكون الشيء وضده صوابا كله.

ومن تدبر رجوع عمر إلى قول معاذ في المرأة الحامل، وقوله لولا معاذ هلك عمر، علم صحة ما قلنا.

وإنما رجوع عمر إلى قول معاذ فيها لما أرادوا رجمها حاملا، فقال معاذ: ليس لك على ما بطنها سبيل.

كذلك رجوع إلى قول علي في التي وضعت لستة أشهر، فقد هم عمر برجمها، فقال له علي: ليس ذلك لك. قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

(البقرة: ٢٣٣)

وقال:

﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾

(الأحقاف: ١٥)

فخلى عمر عنهما.

٢- إن محل الاختلاف، إنما هو في موقف العالم الناظر في الأدلة من هذه الاختلافات، وهو العالم المناهل للنظر والاجتهاد، لا العامي الذي لا يملك كيف ينظر إليها، وإنما جواز له التقليد.

٣- حمل قول من قال إن في اختلاف اجتهادين من الصحابة - والعلماء الفقهاء، ومن بعدهم توسعة ورحمة، على أن المراد بالتوسعة هنا، أنهم اجتهدوا في الأحكام الشرعية، فاختلوا فيها فكان اجتهادهم توسعة على من بعدهم من العلماء أن يعملوا عملهم، يجتهدوا ويختلفوا.

وهذا لا يتعارض مع حقيقة الاجتهاد، إذ على العالم أن يجتهد في بحث الأقوال المختلفة، وينتخب منها ما ظهر له أنه الحق والصواب سواء وافق قوله الصواب، أم اخطأ. وهذا ما يوافق ما ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم عن إسماعيل بن إسحاق عن أبي ثابت، قال: سمعت ابن القاسم يقول: سمعت مالك والليث ابن سعد يقولان في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ، وذلك أن أناسا يقولون فيه توسعة، فقالوا: ليس كذلك، وإنما هو خطأ وصواب.

قصيدة العدد

في ذكرى المولد النبوي

أبو الزهراء

للشاعر الكبير الأستاذ /
علي الجارم

أطلت علي مَحَبِّ الظَّلام ذُكَاءً
وَحُبِّيرَتِ الْأَوْثَانِ أَنْ زَمَانِهَا
فَمَا مَجَّدَتْ إِلَّا لَذَى الْعَرْشِ جِبْهَةً
تَبَسُّمُ ثَغْرِ الصُّبْحِ عَنْ مَوْلِدِ الْهُدَى
وَعَادَتْ بِهِ الصَّحْرَاءُ وَهِيَ جَدِيدَةٌ
وَنَافَسَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ بِكُوكِبِ
لَهُ الْحَقُّ وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ هَالَةٌ
نَالِقٌ فِي الدُّنْيَا يَزِيحُ ظِلَامُهَا
وَرَدَّ إِلَى الْعَرْبِ الْحَيَاةَ وَقَدْ مَضَى
حِجَابُ طَوَى الْأَحْدَاثِ وَالنَّاسِ دُونَهُمْ
وَفَجَّرَ مِنْ صَخْرِ التَّنَوُّفَةِ مَاءً^(١)
تَوَلَّى، وَرَاحَ الْجَهْلُ وَالْجَهْلُ هَلَاءً^(٢)
وَلَمْ يَرْتَقِعْ إِلَّا إِلَيْهِ دُعَاءً^(٣)
فَلِلْأَرْضِ إِشْرَاقٌ بِهِ وَزَهَاءً^(٤)
عَلَيْهَا مِنَ الدِّينِ الْجَدِيدِ رَوَاءً^(٥)
وَضَى الْمُحْيَا مَا حَوَتْهُ مَمَاءً^(٦)
وَفِي كُلِّ أَجْرَاءِ الْعُقُولِ فِضَاءً^(٧)
فَزَالَ عَمَى مِنْ حَوْلِهِ وَعَمَاءً^(٨)
عَلَيْهِمْ زَمَانٌ وَالْأَمَامُ وَرَاءً^(٩)
فَأَظْهَرَ مَا تَجَلَّى الْعُيُونُ خَفَاءً^(١٠)

١ (ذُكَا: الشمس، صخر التنوفة: الحجارة بالفازة، والمقصود صحراء الحجاز.
٢ (رَوَاءُ: حسنة الظهور.

بَنَتْ أُمُّ صَرْحِ الْحَضَارَةِ حَوْلَهُمْ
عُقُولٌ مِنَ الْأَحْجَارِ هَامَتْ بِمِثْلَيْهَا
فَكَمْ كَانَ لِلرُّومَانِ وَالْفَرَسِ مَوَلَّةً
عِزْرًا وَأَحْقَاقًا يَثْبُأُ أَوَارِهَا
عَجِبَتْ لِأَمْرِ الْقَوْمِ بِحُمُورٍ نَاقَةً
وَسَادَاتِهِمْ مِنْ أَجْلِهَا قَلَاءً^(١١)
وَأَقْنَعَتْهُمْ إِبِلٌ لَهُمْ وَحُدَاءً^(١٢)
وَكُلُّ بَكِيمٍ لِلْبَكِيمِ كِفَاءً^(١٣)
وَهُمْ فِي بَوَادِي أَرْضِهِمْ مَجْنَاءً^(١٤)
جَحِيمًا وَكَبِيرٌ أَجُوفٌ وَغَبَاءً^(١٥)
وَسَادَاتِهِمْ مِنْ أَجْلِهَا قَلَاءً^(١٦)

بَدَا فِي دُجَى الصَّحْرَاءِ نُورٌ مُحَمَّدٍ
تَبَسَّى بِهِ اِزْدَانَتْ أَبْطَاحُ مَكْنَةِ
يُنَادِي جَرَى الْأَصْفَرَيْنِ بِدَعْوَةٍ
دَعَاَهُمْ لِرَبِّ وَاحِدٍ جَلَّ شَأْنُهُ
دَعَاَهُمْ إِلَى دِينٍ مِنَ التُّورِ وَالْهُدَى
دَعَاَهُمْ إِلَى نَبِيٍّ الْفَخْخَارِ وَأَنْتَهُمْ
دَعَاَهُمْ إِلَى أَنْ يَنْهَضُوا بِعُقَابَتِهِمْ
دَعَاَهُمْ إِلَى أَنْ يَفْتَحُوا الْقَلْبَ كَيْ تَرَى
دَعَاَهُمْ إِلَى الْقُرْآنِ نُورًا وَحِكْمَةً
دَعَاَهُمْ إِلَى أَنْ يَهْزِمُوا الشُّرَكَ طَاغِيَا
دَعَاَهُمْ إِلَى أَنْ يَسْتَنْوُوا الْمَلِكَ رَابِخَا
دَعَاَهُمْ إِلَى أَنْ الْفَتَى صَنَعَ نَفْسَهُ
دَعَاَهُمْ إِلَى أَنْ يَمْلِكُوا الْأَرْضَ عُنُوةً
قَلْبَاءُ مِنْ عَلِيٍّ مَعْدٍ غَضَافِرٍ
وَجَلَّجَلٌ فِي الصَّحْرَاءِ مِنْهُ تَدَاءً^(١٧)
وَعَزَّزَ بِهِ نُورٌ وَقَاهُ جَرَاءً^(١٨)
أَكْبَأَ لَهَا الْأَصْنَامُ وَالزُّعْمَاءُ^(١٩)
لَهُ الْأَمْرُ يُؤَلَّى الْأَمْرَ كَيْفَ يَشَاءُ^(٢٠)
مَمَّاحٌ وَرَفَقٌ شَامِلٌ وَوَقَاءً^(٢١)
أَمَامَ إِلَهِ الْعَالَمِينَ مَوَاءً^(٢٢)
كَرَامًا، فَطَاحَ الْفَقْرُ وَالْفُقَرَاءُ^(٢٣)
بَصِيرَتُهُ مَا يَبْصُرُ الْبُصْرَاءُ^(٢٤)
وَقَبِيهٌ لِأَدْوَاءِ الصُّدُورِ شِفَاءً^(٢٥)
تَبِيلٌ نَفْسُوسٌ حَوْلَهُ وَدَمَاءُ^(٢٦)
لَهُ الْعَدْلُ أَسُّ وَالْطَّمُوحُ بِنَاءً^(٢٧)
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ قَوْمِهِ شَفَعَاءُ^(٢٨)
مَسَامِيحٌ، لَا كَبِيرٌ وَلَا خِيَلَاءُ^(٢٩)
كُمَاءٌ إِذَا اشْتَدَّ الْوَعْيُ شَهْدَاءُ^(٣٠)

(١١) جَدَاءُ: سوق الإبل والغناء: لها.

(١٨) الأصفرين: القلب واللسان. أكب: سقط.

(٢٩) معد: قبيلة معد وهي من أشرف العرب. فضائل: السود شجعان. كماء: رماة.

(١٧) أياطح: مسيل واسع فيه خصى. تاد: اقتال.

(٢٢) عقابهم: طلائع المعروف. طاح: ذهب.

أَشَدَّاءَ مَا بَاهَى الْجَسَادَ بِمِثْلِهِمْ
أَسَاءُوا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى تَحْطَمَتْ
وَقَدْ حَمَلُوا أَرْوَاحَهُمْ فِي أَكْفِهِمْ
إِذَا حَكَمُوا فِي أُمَّةٍ لِأَن حُكْمَهُمْ
قَبِيلُ تَعْلَمُ الصَّحَرَاءُ أَنَّ رَعَاءَهَا
وَأَنَّهُمْ إِنْ زَاوَلُوا الْحُكْمَ مَسَامَةً
لَقَدْ شَرِبُوا مِنْ مَنَهْلِ الدِّينِ نَعِيمَةً
وَقَدْ لَحِقُوا مِنْ نُورِ ظَنِّ شُعَاعَةٍ
نَبِيٍّ مِنَ الطُّهَرِ الْمَصْقَى بِجَارَةٍ
وَصَبَّرَ عَلَى اللَّأْوَاءِ مَا لَانَ عَوْدُهُ
وَزَهَّدَ لَهُ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُورَةٍ
تَرَاهُ لَدَى الْحَرَابِ نَسْكَاً وَخَشْيَةً
إِذَا صَالَ لَمْ يَشْرَكَ مَصَالاً لَصَائِلَ
كَلَامٍ مِنْ اللَّهِ الْمُهَيَّبِ مِنْ رُوحِهِ
كَلَامٍ أَرَادَتْهُ أَنْفَاوِيلُ فَاتَّصَرَّى
كَلَامٌ هُوَ السَّحَرُ الْمُبِينُ وَإِنْ يَكُنْ
عَجِيبٌ مِنَ الْأُمِّيِّ عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ
وَمَنْ يَصْطَلِفُ الرَّحْمَنُ قَالِ كَوْنٌ عَيْدُهُ

- [٣٢] شاء: الكثير من الغنى
[٣٣] لغة: جرة
[٣٤] اللأواء: الشدة
[٣٥] أرادت: القوتل: أرادت: محلك: كثر: عليها: صعب: عليها
[٣٦] دهم: الليالي: الليالي: حكمة: كسوة

- [٣٧] رعاها: ولاتها، والتقصود: رعاية الأتباع بها. رعا: عطاء، يرعون: الحقوق
[٣٨] تجار: أصلة
[٣٩] خلل القصص: أودية: القصص: والبلاغة

نَبِيٍّ الْهَيْدَى قَدْ حَرَّقَ الْأَنْفُسَ الصُّدَى
أَفْضَلَهَا عَلَيْنَا نَفْحَةً هَاشِمِيَّةً
فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا رَحْمَتُكَ وَسَبِيلَةٌ
حَنَّا إِلَى مَجْدِ الْعُرُوبَةِ مَامِقًا
زَمَانَ لِرَاءِ الْعُرُبِ يَزْهِي بِقُورِمِهِ
زَمَانَ لَنَا فَرَقَ الْمَمَالِكِ دَوْلَةً
فِيَارِبُ هَيْءَ لِلرَّشَادِ سَبِيلَنَا
وَنَصْرًا وَهَدًى إِنْ طَغَى النَّيْلُ جَارِفًا
نَاجِيكَ هَذِي رَايَةُ الْعُرُبِ فَاحْمِيهَا
رَمِينًا بِكَفِّ أَنْتَ سَدَدْتَ رَمِيَّهَا
أَعْبَرْنَا بِحَقِّ الْمِصْطَفَى مِنْكَ قُوَّةً
وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا دَرْعَ لَطْفِكَ إِنِّيهَا

إِلَيْكَ أَمَا الزُّهْرَاءُ سَارَتْ مَوَاكِبِي
وَأَنْتَ لِمَشْلَى أَنْ يَصْصُورَ لِحْجَةً
وَلَكِنَّهَا جُهْدُ الْمَحِبِّ قَبِيلُ لَهَا
وَلِي نَسَبٍ يَنْمِي لِبَيْتِكَ صَانِنِي
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا ذَرَّ شَارِقُ

- [٤٠] أعربت: معنا
[٤١] كيا: سقط
[٤٢] نسب: انتماء، وقراءة: يشير إلى نسب الشاعر إلى الرسول ﷺ
[٤٣] ذر: طار. شارق: ناحية للشرق

مواقف إسلامية

من فقه السنة

الطريق إلى العفو

للاستاذ الدكتور / محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

من حكمة الله - تعالى - ما طبع عليه النفوس من التألم بالاعتناء عليها .. وكان من رحمته - عز وجل - أن أعان المبتلى على تحمل هذا الألم .. حين أمره بالعفو : حبسا للنفس عن الغزاة على الأذى .. وذلك هو : جهاد النفس النزاعة إلى تصفية الحساب .. بالشار من ظلمها .. والصابر أعظم أجراً من اللينق : وإذا ضوعفت حسنات اللينق لتكون سبعمائة ضعف .. فإنه - سبحانه - تعالى - يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب .

ونقرأ في ذلك قوله - عز وجل - :

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(آل عمران / ١٣٤)

ولنا بين يدي هذه الآية الكريمة وقفات :

من هم الكاظمون ؟

الكاظم غيظه هو : الذي امتأ قلبه بالغيظ .. فلم ينفس عنه بفعل أو قول .. ولكنه رده إلى جوفه .. مع أنه متملى به : يغالبه حتى لا يرد على العدوان ، بل حتى يكتمه .. تماماً ، كما يمتلى السقاء بالماء وأنت تحاول أن تسد عليه .. أو كما يأخذ المعتدى بمجرى نفسه .. على ما في ذلك من مقاومة بالغة حد المشقة .. بمعنى أن من وقع عليه العدوان قادر على الانتقام استجابة لدمه الذى يغلى في عروقه . لكنه لا يمتضيه احتساباً ..

ومعنى ذلك أنه وبعد وقوع العدوان يكون هناك شد وجذب : لكن القوى يحسم هذا التردد بالصبر المنتهى به إلى العفو ..

العفو الذى يصير له ملكة راسخة .. لا يخص به المسلمين فقط وإنما التجاوز عن كل الناس .. يعينه على ذلك أنه بالعفو يظفر بحب الله - تعالى - للمحسنين الذين صار بالتسامح واحداً من هؤلاء

المحسنين الذين إذا أحبهم الله - تعالى - كان معهم الذى يسمعون به .. ويصرونهم الذى يبصرون به .. وأيديهم التى يبطشون بها .

عقبات الطريق

ولكن الطريق إلى العفو مخوف باغاطر .. فما هى .. وكيف نتجاوزها ؟

١ - الغضب : وهو سلاح يحاول به الشيطان التريث لحرارة العقل .. لأن العقل للإنسان خير معتصم فى موطن الزلل .. وإذا فقد ضل سبيله .. لأنه عندئذ بلا فائدة ويصير الأمر على ما قال : « خيصة » : كان الشيطان يقول : « كيف يغلبني ابن آدم ؟ » وإذا رضى : جئت حتى أكون فى قلبه .. وإذا غضب .. طرت حتى أكون فى رأسه .. وهكذا .

٢ - مخالطة الأشرار الذين يزينون للمظلوم رد العدوان بحجة أنه الأقوى .. أو الأغنى .. أو الأعلى .. ولأن الوصول إلى العفو هكذا صعب المرتقى .. فقد وجب تلافي أسباب الانتقام .. بما يلي :

أ - بالاحتفاظ بالشخصية ثابتة مهما تحركت الأرض من تحتها : فربما من غلبان الدم فى العروق .. وما يفرزه من دخان يعكر الجو .

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

(الشورى / ٤٣)

وذلك يحتاج إلى جهد أكبر فى مقاومة نزوع الانتقام الواردة من الداخل والخارج ، بدليل التعبير باللام فى ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ وفى ﴿لَمِنْ عَزْمِ﴾ .. وما يدل عليه من ضرورة الاصطبار فى مواجهة الأخطار ..

ب - بصحية الأخيار وتجنب مجالسة الأشرار ..

الذين يحاولون إشعال نار العداوة .. ولا يطيب لهم عيش إلا فى الجو المكفهر ..

وتلك هى وصاة حكماننا .. الذين قالوا :

« جالسوا أهل العلم والدين .. فإن لم تقدروا عليهم .. فجالسوا أهل المروءات من أهل الدنيا ؛ فإنهم لا يرفقون فى مجالسهم » .

فمجالسة أهل العلم .. تفتح ذكاء القلوب .. ومجالسة أهل الدين تجلو عن القلوب صدى الذنوب .. ومجالسة ذوى المروءة تدل على مكارم الأخلاق .

إن الله عبادة : أتعلم عليهم فعرّفوه .. وشرح لهم صدورهم .. فأطاعوه .. وتوكلوا عليه : فسلموا الأمر له .. فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين .. وبيوتاً للحكمة .. وتوايت للعظمة .. وخزائن للقدرة ..

فهم بين اخلاق مقبلون مدبرون .. وقلوبهم تجوب فى الملكوت .. وتلوذ بمحجوب الغيوب .. ثم ترجع ومعها من لطيف الفوائد ما لا يمكن لواصف أن يصفه ..

فهم فى باطن أمورهم كالديباج حسناً ..

وهم فى الظاهر مبدلون لمن أرادهم تواضعاً ..

ج - بتغيير وضع الغاضب .. لتغيير وجهته .. وإلا فلا يلوم إلا نفسه ..

ومن جهلت نفسه قلبه

رأى غيبره منه ما لا يرى !

وقد تتجاوز فى انتقامنا الخطوط الحمراء غافلين عن دروس الزمان :

فترب قوم حقرناهم : فلم نرهم

أهلاً خدمننا .. صاروا لنا رعوماً !

وللمرحوم الشيخ محمد الغزالي كلام نفيس تشبه هنا:
وقد رأينا الغضب يشتت بأصحابه إلى حد الجنون.. عندما تفتح عليهم نفوسهم، ويرون أنهم حُقروا وتحقروا لا يعالجه إلا سفك الدم.
أقلو كان الشخص يعيش وراء أسوار عالية من قضائله يحس بوخز الألم.. على هذا النحو الشديد؟

كلا!.. إن الإهانات تسقط على فاذقها قبل أن تصل إلى مرماها البعيد.
إذن: فنحن مطالبون بضبط النفس احتفاظاً بدمائنا التي تحف بالانفعال..

إن الشخص الغضوب كثيراً ما يذهب به غضبه مذاهب حمقاء:
فقد يسب الباب إذا استعصى عليه فتحة.. وقد يكسر آلة تضطرب في يده، وقد يلعن دابة جمحت به.

وقد حدث أن رجلاً سب الريح لما فازته رذاه.. فسمعه الرسول ﷺ فقال له:

«لا تلعنها.. فإنها مأمورة مسخرة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل.. رجعت اللعنة عليه» رواه الترمذي.

ولأن الإنسان بشر: محكوم بطبيعة البشر.. فقد كان من حكمة الله - تعالى - ومن رحمته أن يأمره بما يذهب بكل آثار العدوان.. يقول - عز وجل:

﴿لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَارٌ عَلَيْكُمْ لَكُمْ ذِكْرٌ﴾

(التغابن / ١٤)

فنحن مطالبون بالعفو.. نتجاوز عن الذنب..



محمد الغزالي

فلا ترد عليه بقول أو فعل.. وبالصفتح.. فلا عتاب ولا تنزيه.. بل هناك إقبال على العفو عنه.. ولا يكفي العفو بالمراسلة!! وإنما هو الإقبال على السيء بصفح الوجه.. إعلاناً عن نسيان ما مضى..

وذلك بعض ما يشير إليه قوله - عز وجل:

﴿فَصَفِّحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾

(الحجر / ٨٥)

تجاوز عن جنابات المؤمنين.. وليكن صدرك أوسع من الموقف كله.. ثم يجيء العفو - كما يفيد بناؤه الصرفي - يجيء شلاً لا ينظف المساحة كلها وكان شيئاً لم يكن!

ويتقى العفو سيد الموقف بما ضم عليه من معاني: (الفصل - والمعروف - والخيرية - والجود..):

وقبل ذلك لابد من الصبر تدريباً على مغالبة الأحداث.. وتجهيلاً لتمكن قيمة العفو..

ولعل «كظم الغيظ» هو الصبر.. ولك أن تتصور معاناة صاحب «القربة المملوءة ماء».. والتي يحاول صاحبها وبطها حتى لا يتفجر منها الماء.. تصور هذا، لتدرك على الفور حجم المعاناة التي يياشرها المظلوم بكظم النفس.. بالصبر.

الصبر الذي هو: حبس النفس: حبسها، بينما تريد هي الانطلاق..

حبس الجوارح حتى لا تنتقم.. وحبس اللسان..

فلا يشكو.. بمعنى: محاولة التصبر، تحملاً للمشقة.. وتجرع مرارة الصبر.. ومكابدة توازن الانتقام بما يدل عليه كل ذلك من جرأة ومنازعة.. وذلك مفهوم من قول العلماء في تعريف الصبر:

• إنه التباعد من المخالفات..

• والسكون عند البلاء..

• الهجوم على المكاره..

وهناك صبر أحمد من صبر: قال يحيى بن معاذ: صبر الخمين أشد من صبر الزهادين، والصبر بحمد في المواطن كلها إلا عليك.. فإنه مذموم.. وقد ترضى بهلاك نفسك في سبيل من تحبه:

سأصبر كي ترضى.. وأتلف حسرة

وحسبي أن ترضى ويقتلني صبري

وقيل:

تجرع الصبر، فإن قتلك.. قتلك شهيداً

وإن أحيالك.. أحيالك عزيزاً حميداً

ولكنه الصبر الجميل: الذي لا شكوى معه، كالصفح الجميل الذي لا عتاب معه، كالهجر الجميل الذي لا أذى معه.

من فقه السنة النبوية

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تعدن الصرعة فيكم؟» قالوا: الذي لا تصرعه الرجال.. قال: ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب» رواه مسلم.

ومن هؤلاء الذين ملكوا أنفسهم عند الغضب: رسول الله ﷺ: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن

أعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً فأعطاه، ثم سأله: أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا.. ولا أجملت!.. فلما غضب المسلمون أشار إليهم الرسول ﷺ أن كفوا.. ثم قام ودخل منزله، فأرسل إليه وزاده شيئاً.. ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال: نعم.. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً..

فقال له النبي ﷺ: إنك قلت ما قلت آنفاً.. وفي نفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي.. حتى يذهب ما في صدورهم عليك.. قال: نعم.. فلما كان الغد جاء.. فقال النبي ﷺ: إن هذا الأعرابي قال لي ما قال فزدناه.. فزعم أنه رضى.. أكذلك؟ قال: نعم.. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً^(١).

فهذا أعرابي جاهل بأداب السلوك.. فعامله الرسول بما عاد به إلى الحق.. وبه كفى الله المؤمنين قتله.. ورد الله - تعالى - بحلم الرسول ﷺ ما سوف يذيعه أعداء الإسلام من أن محمداً يقتل أصحابه.. وبقي الطريق مهوداً بين يدي كل راغب في الإسلام بلا خوف..

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجدة.. فلما قفل - رجع - رسول الله ﷺ قفل معه.. فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة شجر له شوك.. فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، وعلق بها سيفه.. ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا.. وإذا عنده أعرابي.. فقال: «إن هذا اختلط - سل - علي سيفي وأنا نائم.. فاستيقظت وهو في يده صلتاً - جرده من

١ - مجمع الزوائد ٩٠٠ الجزء التاسع، ص ١٥، يلفظ مختلف.

غمضه - فقال: مَنْ يمنعك مني؟ فقلت: الله (ثلاثاً) .. ولم يعاقبه وجلس متفق عليه .. وهكذا أيضاً تبدو قيمة العفو عن قاتلك .. فكيف بمن دونه؟! إنه الإسلام: دين السلام.

ومن فقه السنة

«ألا أتيتكم بشراركم؟ قالوا: بلى. إن شئت يا رسول الله.. قال: فإن شراركم الذي ينزل وحده، ومنع رفته، ويجلد عبده.. قال: أفلا أتيتكم بشر من ذلكم؟ قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله. قال: من يغيض الناس ويغضونه. قال: أو لا أتيتكم بشر من ذلكم. قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله. قال: الذين لا يقبلون عشرة، ولا يقبلون معذرة، ولا يغفرون ذنباً» (١).

وكنتم إذا صحبت رجلاً قوم صحبتهم وشيئتمى الوفاء فأحسن حين يحسن محسنوهم وأجتنب الإساءة إن أسيأوا أشاء سوى مثيبتهم فأتى مثيبتهم .. وأترك ما أشاء

التواصي بالعفو

إنك متى رأيت صاحبك قد غضب، وأخذ يتكلم بما لا يصلح .. فلا ينبغي أن تعقد على ما يقوله ختصراً .. ولا أن تأخذه به .. فإن حاله حال السكران، لا يدري ما يجري. بل اصبر لفورته، ولا تعول عليها: فإن الشيطان قد غلبه، والطبع قد هاج، والعقل قد استتر .. ومتى

أخذت في نفسك عليه، أو أجبتة بمقتضى فعله .. كنت كعاقل واجه مجنوناً، أو كمتيق عاتب مغمي عليه .. فالذنب لك .. بل انظر بعين الرحمة وتلمح تصريف القدر له، وتفرج في لعب الطبع به، واعلم أنه إذا انتبه ندع على ما جرى، وعرف لك فضل الصبر. وأقل الأقسام أن تسلمه فيما يفعل في غضبه .. إلى ما يستريح به.

إن الحاضرين ليسوا طرفاً في القضية .. ومن أجل ذلك كان عقلهم حاضراً، وعليهم أن يتصرفوا بحكمة يمتلكون زمامها .. بينما حرم منها المتخاصمون، ولقد كان سلفنا الصالح عند حسن الظن بهم .. يقفون إلى جانب المظلوم بالوصية .. حتى يتجاوزوا معه لحظة الخطر .. ثم لا يكون صدام ..

وقد يكون المظلوم صاحب سلطان أو مال .. ومن ثم يريد أن يرد الصاع صاعين .. ولكن كان هناك من ينصحه بالحكمة ..

دخل رجل على عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - فجعل يشكو إليه رجلاً ظلمه، ويقع فيه «يشتمه» .. فقال له عمر: «إنك أن تلقى الله ومظلمتك كما هي .. خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها» (الإحياء / ٣ / ١٨٣) .. وهذا هو الدرس الذي نتعلمه على يد الشافعي - رحمه الله - حيث يقول:

قالوا سكوت وقد خوصمت، قلت لهم:

إن الجواب لباب الشر مفتاح فالعفو عن جاهل أو أحمق أدب نعم. وفيه لصون العرض إصلاح

إن الأسود لشخصي وهي صامتة

والكلب: يحشى ويرمى وهو نباح وعلى هذا الأساس كانت وصاتهم: سمع «مسلم بن يسار» رجلاً يدعو على ظالمه فقال له: كل الظالم إلى ظلمه .. فإنه أسرع إليه من دعائك عليه .. إلا أن يتداركه بعمل .. وقمن ألا بفعل (الإحياء / ٣ / ١٩٤) ..

ولقد كانت لهم في هذا الباب حكم غالية ونصائح عالية: كتب رجل إلى صديقه يحرضه على العفو عن إخوانه: «فلان هارب من زلتة .. إلى عفوك: لاند منك .. بك .. واعلم: أنه لن يزداد الذنب عظماً .. إلا ازداد العفو فضلاً» (الإحياء / ٣ / ١٩٦) .. وعلى هذا الأساس كانت وصاة الآباء لأبنائهم .. سدا لذرائع الفتنة.

ومن ذلك: «لا أحد أجمع من السفيه للخلال المذمومة. وأبعد من الخصال المحموده، فإنه لا يستحي من الخال، ولا يرى العار في حال .. فاحذره جهداً، وباعده عمرك .. فإذا اضطرك الدهر إلى الجمع به .. فأعد له حلماً تدفع به شره .. وصبراً تقمع به ضره .. وكن معه .. كمن مر بروضه شوك يسعى في تخليص جسده عنها، ولم يسأل عما تعلق بشيابه منها.

«ولقد أثر أهل الفضل مجالسة الكتب، وجعلوها عوضاً عما فاتهم من مجالسة الأصحاب» فكان الانفراد أسكن للفزاد ..

لم يبق شيء من الدنيا تسريه

إلا الدفاتر: فيها الشعر والسر

مسات الذين لهم فسطل ومكرمة

وفي الدفاتر من إحسانهم أثر! أكثر من مخالطة أهل الأدب .. فإن صلاح الأخلاق وفسادها كثيراً ما يكون ذلك على قدر أخلاق الذين تطيل صحبتهم .. وكثيراً ما يفسد الطبع الحسن معاشره أهل الجهل والريب ..

مصادر القوة

إن العفو قوة .. يمتلك بها الإنسان زمام نفسه .. فإذا هو أقوى من الموقف كله، ومن معاني ذلك: أن قوة الإنسان مشتقة من المنظومة الأخلاقية .. التي هي ثمرة الإيمان، وفي طليعتها: سليقة العفو .. بمعنى أنها ليست منطلقة من قوته المادية فقط .. وإنما بالدرجة الأولى من ثروته الأخلاقية.

ونقرأ هنا قوله - عز وجل -:

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا أَمَانِينَ﴾

(الأنفال / ٦٥)

وقد رددت بهذه الآية الكريمة على من قال:

إن عظام بعض الرياضيين كالسلح! مع أن كل الفريق يأكل طعاماً واحداً! .. وقلت له: بل إن الرجل يغلب بما هو أعظم من عظامه!

فالعشرون في الآية الكريمة: أجسام قوية .. لكنها تملك ما هو أقوى، وهو الصبر .. الذي به تواجه قسوة الموقف .. ليكون لها الغلب في نهاية المطاف .. إن الحق - سبحانه وتعالى - يدل على عظمته بخلق هذا الإنسان .. وهذا الإنسان بخلقه يدل على أنه الأقوى حقاً.

«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (متفق عليه) ..

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم والسنة النبوية

لمفضيلة الشيخ / فوزي الزهراف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

٤

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مهام الرسل والأنبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وقد وصف الله - سبحانه - رسوله محمداً - ﷺ - بعدة صفات عظيمة الشأن، هي من خصائص مهمته في تبليغ الرسالة منها: أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقول الله - جل شأنه -:

﴿وَكُنتَ لِمَا فِي هَذِهِ أَعْتَدَ فِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابٌ أَجِيدٌ يَوْمَ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الزمن يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجذونه مكنوناً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾

(الأعراف: ١٥٦، ١٥٧)

فقد وصف الله - سبحانه وتعالى - رسوله محمداً - ﷺ - في الآية الكريمة بعدة أوصاف:

• **الوصف الأول:** أنه رسول الله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً.

• **الوصف الثاني:** أنه نبي أوحى الله إليه بشريعة عامة كاملة خالدة باقية إلى يوم الدين.

• **الوصف الثالث:** أنه أُمِّي، ما قرأ وما كتب ولا جلس إلى معلم، ولا أخذ علمه عن أحد، ولكن الله - عظمت قدرته - أوحى إليه بالقرآن الكريم عن طريق جبريل - عليه السلام - وأفاض الله عليه من لدنه علماً ومعرفة توضح ما أنزل الله عليه من القرآن الكريم، فأمّيته عليه الصلاة والسلام، مع هذه العلوم والمعرفة القيّضة التي تعلمناها ومازلنا نتعلمها من السنة النبوية، والتي بها صلاح أمر الدنيا والآخرة هي أصدق دليل على أن ما يقوله عليه الصلاة والسلام إنما هو بوحى من الله إليه.

• **الوصف الرابع:** أن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) يجدون اسمه ونعته مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ووجود اسمه ونعته في كتبهم، من أكبر الدواعي إلى الإيمان به وتصديقه واتباعه.. ولقد كان اليهود يبشرون ببعثة النبي محمد - ﷺ - قبل زمانه، ويقرءون في كتبهم ما يدل على ذلك.. فلما بعث الله - سبحانه - نبيه محمداً بالهدى ودين الحق آمن منهم الذين فتحوا قلوبهم للحق، وخافوا مقام ربهم ونهوا النفس عن الهوى، وأما الذين استكفروا واستكبروا وحسدوا محمداً - ﷺ - على ما أتاه الله من فضله، فقد أخذوا يحذقون من كتبهم ما جاء عن النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - فيها، أو ما يؤولونه تأويلاً قابلاً، أو يكتمونونه عن عامتهم وللعلماء والمفسرين كلام كثير وشرح طويل في هذا الموضوع.

• **الوصف الخامس:** أن هذا الرسول النبي الأمي الذي يجده أهل الكتاب مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل من صفاته: أنه يأمرهم بالمعروف الذي يتناول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما يتناول مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وغير ذلك من الأمور التي جاء بها الشرع الحنيف، وارتاحت لها العقول السليمة، والقلوب الطاهرة، وينهاهم عن المنكر الذي يتناول الكفر والفسوق والمعاصي ومساوئ الأخلاق.

• **الوصف السادس:** أن هذا الرسول يحل لأهل الكتاب ما سبق أن حرمه الله عليهم من الطيبات كالشحوم وغيرها بسبب ظلمهم وفسوقهم عقوبة لهم، ويجل لهم كذلك ما

كانوا قد حرموه هم على أنفسهم دون أن يأذن به الله كاللحم الإيل والبانها، ويحرم عليهم ما هو خبيث كالدم ولحم الميتة والخنزير في المأكولات، وكأخذ الربا وأكل أموال الناس بالباطل في المعاملات.. وفي ذلك سعادتهم وفلاحهم.

• **الوصف السابع:** أن هذا الرسول جاء ليرفع عن أهل الكتاب ما ثقل عليهم من تكاليف كلفهم الله بها بسبب ظلمهم، (الإصر: النفل الذي يحبس صاحبه عن الحركة لنقله، ويطلق على العهد، والغل: ما يوضع في العنق أو اليد من حديد)، فإن بني إسرائيل كان قد أخذ عليهم عهد أن يقوموا بأعمال ثقال: فإنهم كانوا إذا أصاب ثوب أحدهم بول قرضه، وإذا جمعوا الغنائم نزلت نار من السماء فأكلتها، وإذا حاضت المرأة لم يقربوها، وكاشتراط قتل النفس لصحة التوبة.. إلى غير ذلك من التكاليف الشاقة، فجاء النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - فيسر ووسّع على هذه الأمة أمورها وسهّلها لهم، فطهر الثوب الذي يصيبه البول بالغسل، وأحل الغنائم، وأباح مجالسة الحائض ومزاكلتها ومضاجعتها..

فرض كفاية

قال الإمام النووي - رحمه الله -: ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم الكل ممن تمكن منه بلا عذر أو خوف، ثم إنه - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - قد يتعين «يصير فرض عين على

الإنسان، كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، كمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف.

قال العلماء - رحمهم الله - : «لا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه الأمر والنهي لا القبول، وكما قال الله - عز وجل - :

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾

«المائدة: ٩٩»

قال العلماء - رحمهم الله - : «ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لأحد المسلمين. قال إمام الحرمين: والدليل عليه إجماع المسلمين، فإن غير الولاية في الصدر الأول، والعصر الذي يليه كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم، وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ولاية..»

ثم إنه إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة، والمحرمات المشهورة: كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحو ذلك، فكل المسلمين علماء بها.. وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، ومما يتعلق بالاجتهاد، لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء، ثم العلماء

ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه.

بطانة الحاكم!!

ومسئولية بطانة الحاكم كبيرة، وحسابها عسير أمام الله إذا لم يلتزموا بتنفيذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعليهم مسئولية توجيه الحاكم إلى المعروف وإرشاده إلى فعله إذا أهمله أو تركه، وتوجيهه إلى ترك المنكر ونهيه عنه إذا اقترفه وسلك طريقه.. فهم شركاء الحاكم في المسئولية والحساب، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى» (١).

وقد يظن بعض الناس أن مفهوم البطانة قاصر على بطانة الحاكم، أو المسئول في الجهاز الإداري للدولة فقط أيا كان موقعه، وهذا فهم ناقص وخاطيء لمعنى البطانة، فالبطانة في معناها العام تشمل كل من يحيط بالإنسان - أيا كان كبيراً أو صغيراً مسئولاً أو غير مسئول رجلاً أو امرأة - ويعينه ويساعده على اتخاذ قرار.. يؤكد هذا المعنى الحديث الشريف الذي يرويه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: خرج النبي ﷺ في ساعة لا يخرج فيها، ولا يلقيه فيها أحد، فأتاه أبو بكر - رضي الله عنه - فقال: «ما جاء بك يا أبا بكر؟ فقال: خرجت ألقى رسول الله ﷺ وأنظر في وجهه والتسليم

عليه، فلم يلبث أن جاء عمر - رضي الله عنه - فقال: «ما جاء بك يا عمر؟» قال: الجوع يا رسول الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «وأنا قد وجدت بعض ذلك»، فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم التيهان الأنصاري، وكان رجلاً كثيراً النخل والشاء، ولم يكن له خدم، فلم يجدوه، فقالوا لامراته: أين صاحبك؟ فقالت: انطلق يستعذب لنا الماء، ولم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة يزعمها «يحملها مملوءة فوضعها، ثم جاء يلتزم النبي ﷺ، ويقديه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديقته، فبسط لهم بساطاً، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقتن فوضعه، فقال النبي ﷺ: «أفلا تنقيت لنا من رطب؟» فقال: يا رسول الله إني أردت أن تختاروا، أو قال: تخيروا من رطبه ويسره، فأكلوا وشربوا من ذلك الماء، فقال رسول الله ﷺ: «هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة: ظل بارد، ورطب طيب، وماء بارد»، فانطلق أبو الهيثم ليصنع لها طعام، فقال النبي ﷺ: «لا تذهبن ذات ذر»، قال: فذبح لهن عناقاً أو جذياً، فأتاهن بها فأكلوا فقال النبي ﷺ: «هل لك خادم؟» قال: لا، قال: «فإذا أتانا سبي فأتنا» فأتى النبي صلى الله عليه وسلم برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم فقال النبي ﷺ: «اختر منهما» فقال: يا نبي الله اختر لي، فقال النبي ﷺ: «إن المستشار مؤتمن، خذ هذا فإنني رأيته يصلي واستوصى به معروفاً».

فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ: فقالت امرأته: ما أنت ببالح

ما قال فيه النبي ﷺ إلا أن نعتقه، قال: فهو عتيق، فقال النبي ﷺ: «إن الله لم يبعث نبياً ولا خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خيلاً، ومن يوق بطانة سوء فقد وقى» (٢).

صمام الأمن

وقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي دعا إليها الإسلام وعدّها من أهم ركائز بناء المجتمع الإسلامي السليم، واعتبرها صمام الأمن والأمان لحماية مبادئ وتعاليم الإسلام والدفاع عنه، والوسيلة الفعالة لنشر الفضائل والقضاء على الرذائل.. هذه الفضيلة المثلى قد تراخى المسلمون في أدائها!! قال أمر الأمة الإسلامية إلى ما وصلت إليه من تفشي الفساد وعموم البلاء، وضياع الحقوق وطغيان الأقوياء.

قال الإمام النووي - رحمه الله - : «اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان، إلا رسوم قليلة جداً، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكيه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أو شك أن يعصمهم الله - تعالى - بعقابه».

﴿ فَليَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

«البقرة: ٦٣»

(١) - البخاري - الفتح ١٢ (٧١٩٨).

(٢) - مسلم ٢٠٢٨، والترمذي ٢٢٢٩، واللفظ له.

الأجر على قدر النصب

فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله - عز وجل - أن يعتنى بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، لاسيما وقد ذهب معظمه. وعلى الأمر بالمعروف أن يخلص نيته ولا يهابن من يتكر عليه لارتفاع مرتبته، لأن الله - تعالى - قال:

﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَنِ ابْتَدَأَ﴾

الحج: ٤٠

وقال - سبحانه -:

﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

آل عمران: ١٠١

وقال - تعالى -:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

العنكبوت: ٦٩

وقال - تعالى -:

﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْكَا وَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾

العنكبوت: ٢٠، ٢١

واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتركه أيضا لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الرجاء عنده ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقا، ومن حقه أن ينصحه، ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبته هو من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدوا لنا بهذا، وكانت الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - جميعا أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها نال الله الكريم توفيقنا وتوفيق أحبائنا وسائر المسلمين لمرضاته.

وينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يرفق بمن يخاطبه وينصحه، ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، وتحقيق المصلحة وبلوغ الغاية.

قالت أم الدرداء: «من وعظ أخاه سرا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه». وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - «من وعظ أخاه سرا فقد تصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه».

من توجيهات النبي ﷺ

الدعوة بالقُدوة

للدكتور/ حمدي فتوح والي

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهأ لهم سادوا

تلك حقيقة إنسانية، وضرورة بشرية، ألقاها الله على لسان هذا الشاعر حكمة خالدة، تحمل في ثناياها قاعدة لا تصلح أمور الناس إلا بها، وهي أن كل أمة لا بد لها من قيادة، وكل قيادة لا بد لها من منهج حكيم، حتى لا تكون قيادة جاهلة، تسيرها الأهواء، وتميلها الشهوات، وتستبد بها حظوظ النفس فتضل ضلالا بعيدا.

تأملت هذه الحقيقة فتمثل لي نموذج الإنسان الكامل في قول ربي - سبحانه -

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

(الأحزاب: ٢١)

الكتاب والحكمة، ويكون القدوة في السلوك والعبادات والمعاملات والعادات. وقد مضت سنة الله أن يرسل لكل قوم رسولا بلسانهم ليبين لهم ما غمض عليهم، لكنه - سبحانه وتعالى - أرسل محمدا للعالمين كافة، بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، لأنه المثل الأعلى للإنسان الكامل، ولكل من أراد أن يعيش سعيدا في نفسه وفي أهله وفي دوائر حياته كلها.

ورأيت كيف خاطب الحق - سبحانه وتعالى - البشرية كلها بضمير الخطاب «لكم» وهو - سبحانه - يعلم تفاوت أقدار الناس، وتباين طباعهم واختلاف معاشيهم، وطرائق تفكيرهم، وبرغم هذا فقد دعاهم جميعا إلى أخذ القدوة من حبيبه ومصطفاه ﷺ.

ولقد أراد المولى - تبارك وتعالى - أن يكون النموذج بشرا من الناس يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ويعلمهم

القدوة وأثرها في التعليم

وقد اختار - صلوات الله وسلامه عليه - الأسلوب العملي في تعليم الأمة وإرشادها، ففي أمور العبادات لا يكتفى ببيان أهمية الصلاة وأنها ركن الإسلام الأعظم، وإنما يتقدم ليصلي بهم ويطلب منهم أن يتابعوه في صلاته قائلاً: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(١) وفي مجال العبادات العملية الأخرى كالحج وغيره يقول لهم: «خذوا عني مناسككم»^(٢).

وعندما دعا أصحابه إلى التحلل من إحرامهم في غمرة الحديبية، تردد المسلمون كثيراً وتناقلوا في تنفيذ أمره ﷺ حتى دخل مغضباً على «أم سلمة» - رضي الله عنها -، فأشارت عليه بأن يخرج عليهم فينحر بدنة، ويحلق أمامهم. ففعل رسول الله ﷺ كما أشارت، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً^(٣). وفي هذا الموقف بيان لأثر القدوة العملية، وعظمة سلطانها على النفوس.

وعن أثر القدوة العملية في نفوس المدعوين يقول صاحب الظلال - رحمه الله - عند حديثه عن موقف الرسول ﷺ في مواجهة المشركين يوم الخندق: «إن دراسة موقفه ﷺ في هذا الحدث الضخم

لما يرسم لقادة الأمم والجماعات طريقهم، وفيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، ويطلب القدوة الطيبة، ويذكر الله ولا ينساه. ثم يقدم - رحمه الله - مثيلاً عملياً مؤثراً يدل به على أثر مشاركة القائد لجنوده، والداعية لمدعويه فيقول: «خرج رسول الله ﷺ يعمل في الخندق مع المسلمين، يضرب بالفأس، ويجرف بالمسحاة، ويحمل التراب في المكنل، ويرفع صوته مع المرتجزين، وهم يرفعون أصواتهم بالرجز في أثناء العمل، فيشاركهم الترجيع! - وقد كانوا يتغنون بأغان ساذجة من وحي الحوادث اليومية: كان هناك رجل من المسلمين اسمه «جُعيل»، فكره رسول الله ﷺ اسمه، وسماه عمراً، فراح العاملون في الخندق يغنون بهذا الرجز الساذج:

سماه من بعد جُعيل عمراً
وكان للباس يوماً ظهراً
فإذا مروا في ترجيعهم بكلمة
«عمرو» قال رسول الله ﷺ «عمراً» وإذا مروا بكلمة «ظهر» قال ﷺ «ظهراً». ثم يعلق على هذا المشهد الجماعي الأليف بقوله:

«ولنا أن نتصور هذا الجو الذي يعمل فيه المسلمون والرسول ﷺ بينهم، يضرب بالفأس، ويجرف بالمسحاة،

ويحمل في المكنل، ويرجع معهم هذا الغناء. ولنا أن نتصور أية طاقة يطلقها هذا الجو في أرواحهم؛ وأي ينبوع يتفجر في كيانهم بالرضى والحماسة والثقة والاعتزاز»^(٤).

بهذا الحضور الروحي، وبهذا الائتلاف الإيماني، عايش رسول الله ﷺ أصحابه فأخذوا عنه مناسكهم وصلوا بصلاته وصاموا بصيامه، وعندما رأهم يتابعونه في أمره كله حتى فيما لا يطبقون من الأعمال؛ كان يلقتهم إلى اختصاصه بهذا الأمر دونهم، حتى لا يشق عليهم، فقد رأهم يتابعونه في مواصلة الصيام فنهاهم عن ذلك قائلاً: «أياكم مثلي إنني أبيت يطعمني ربي ويسقيني».

ولم يقف أمر القدوة العملية في حياة رسولنا الكريم ﷺ مع أصحابه على ما يختص بأمور العبادات؛ وإنما كان هذا شأنه في كل ما يصدر عنه من عمل، وكل ما يحتاج إليه الناس من أمور الحياة.

الأسوة الحسنة لكل داعية!!

وكان - صلوات الله وسلامه عليه - لا يأمرهم بأمر ولا يدعهم إلى شيء إلا كان أسبقهم إلى فعله، وأسرعهم تنفيذاً له. حتى في أدق المواطن - وأشدّها خطراً - وهذه شهادة فارس من أعظم فرسان

قريش وهو علي بن أبي طالب - الذي يضرب به المثل في الشجاعة وقوة البأس - يقول: «كنا إذا حمى القتال واشتد الوطيس، واحمرت الخدق نحتمى برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه».

وقد شارك أصحابه في حمل اللبن عند بناء المسجد أول قدومه إلى المدينة، وشاركهم في إعداد الطعام في أسفارهم وفي الغزوات، بل كان يختار من الأعمال أشقها؛ فقد اختار جمع الخطب.

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، فقد كانت حياته كلها نموذجاً عملياً لأمته، فهو الأسوة الحسنة لكل داعية ولكل داعية ولكل قائد ولكل أب ولكل أخ ولكل زوج ولكل صديق. وهو القدوة الكاملة لكل مرب وكل سياسي وكل رئيس دولة، وكل داعية إلى الإصلاح في الأرض.

ولقد أدرك أصحاب رسول الله ﷺ أثر القدوة في حياة الأمة وكانوا دائمي التذكير بها والإشادة بمن يقيمها في حياة المسلمين.

وتحدثنا كتب السيرة أن جنود المسلمين قد عادوا من بلاد فارس بعد أن فتحوها ومعهم القناطير المقتطرة من الذهب والفضة، والأموال التي لم يسمعوا بمثليها ووضعوها جميعاً بين يدي

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١، ص ٢٦٧، ٤٩٩.

(١) صحيح البخاري ١/١٦٢، ١١٧/٨.

(٣) انظر صحيح البخاري - كتاب الشروط ج ٣/ ٢٤٠ حديث رقم (٢٧٣٢).

(٤) في ظلال القرآن ج ٢ تفسير سورة الأحزاب.

أمير المؤمنين عمر: فلما نظر إلى الأموال وكثرتها ورأى هؤلاء الفقراء والعراة لم يظلموا منها مشقال ذرة قال عمر: «إن قوماً أدوا هذا لأمناء»، فقال له «علي» - رضى الله عنه -: «يا أمير المؤمنين عفتت فعفت وعينتك ولو رعت لرتعوا»^(٥). ولا يقف أمر العناية بالقدوة عند طبقة الحكام وكبار المسؤولين فحسب بل إن الإسلام يقيم نظامه كله على القدوة العملية، بدءاً من الخلية الأولى في البناء وهي الإنسان داخل الأسرة، فيخاطبه بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَعْلَمْ رَبُّكُمْ أَنَّكُمْ تَارِعُونَ فِي الْإِيمَانِ﴾

(التحريم: ٦)

الفطرة ودور الوالدين

ويجعل مسئولية التشكيل الأولى لكيان هذا الإنسان على عاتق الوالدين، ففي الحديث الصحيح: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»^(٦). فهو مهياً منذ اللحظة الأولى لميلاده لكي يتكون ضميره ويتشكل وجدانه وشعوره، من خلال وسائل المعرفة الأولى وهي: السمع والبصر والفؤاد، ولهذا يقول الخالق الحكيم - سبحانه -:

﴿وَأَنَّكَ

لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

(النحل: ٧٨)

وخطورة هذه المنافذ الثلاثة في كيان الإنسان شدد الحق - تبارك وتعالى - على الإنسان في استعمالها فقال:

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

(الإسراء: ٣٦)

وحتى لا تبقى قضية التربية مبهمة ومحيرة لمن لا يملك الخبرة والبصيرة، قدم الحق - تبارك وتعالى - أهم عنصر يصلح به الكيان الإنساني كله وهو الصلاة بقوله - سبحانه -:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ

وَأَسْطِرْ عَلَيْهَا لِقَاءَ رُؤُوفِكَ﴾

(طه: ١٣٢)

ويشدد المصطفى ﷺ على ضرورة تعويد الصغار على أداء الصلاة منذ بداية مرحلة التمييز ولا ينتظر به وقت البلوغ كما هو المعمود في جميع التكاليف الأخرى التي تشترط البلوغ مثل الصيام

(٥) البداية والنهاية ج ٤ ص ٧٥ - دار الفكر العربي

(٦) صحيح البخاري ج ٢ ص ١١٨، ج ٦ ص ١٤٣

تصحيح المفاهيم

إننا حين نعرض لدور القدوة العملية، لا نقصد من ذلك إثارة الإعجاب السالب، ولا التأمل التجريدي، ولا الاستمتاع بقصص الناجحين؛ وإنما نقصد إلى تصحيح المفاهيم، لدى من يظنون الدعوة إلى الله وبناء الأمم خطباً بليغة، وأوامر صارمة، وتقطيباً في الوجه، واتهاماً للنوايا، واستعلاء على الناس. فإذا طليت واحداً من هؤلاء عند مواطن التضحية، ومواقف البذل، وجدته يذوب كما يذوب الملح في الماء؛ لأنهم ألفوا الجانب الخجاني من الإسلام، الذي لا يمس جيوبهم ولا أبدانهم، ولا يحول بينهم وبين ما يشتهون.

إن الداعية الموفق الناجح، هو الذي يهتدي إلى الحق بعمله، وإن لم ينطق بكلمة؛ لأنه مثل حي متحرك للمبادئ التي يعتنقها. وقد شكا الناس في القديم والحديث من دعاة يحسنون القول ويسيشون الفعل!! والواقع أن شكوى الناس من هؤلاء يجب أن تسيقها شكوى الأديان منهم؛ لأن تناقض فعلهم وقولهم أخطر شغب يمس قضايا الإيمان ويصيبها في الضمير^(٧).

(٧) مع الله - الشيخ محمد الغزالي ص ٢٦٣

عادت الصحف الدائماركية مرة أخرى للرسم

عادت الصحف الدائماركية من جديد لممارسة استنزازها للإسلام وللمسلمين، ونشرت تلك الرسوم التي تسيء لنبيينا الكريم ﷺ ولم يعد لديها ما يوقفها عن العداء السافر للمسلمين..

وعصمونا قبان ظاهرة العداء للإسلام والخوف منه والحقد عليه انطلاقاً من مصالح خاصة، وخوفاً من سيادة قيمه العليا ومكارم الأخلاق، وما يدعو إليه من رحمة وعدل وحرية وإخاء.. هذه الظاهرة قديمة، فقد حدثت في عهد الرسول ﷺ.

وعلى الرغم من هذه الهجمة الشرسة في عهد الرسول الكريم ﷺ وحتى الآن على الإسلام، فقد أكد القرآن الكريم أن هذه الهجمة الحاقدة لم تتمكن من النيل من الإسلام، الذي وعد الله بحفظه وحفظ كتابه، واستمر وسوف يستمر إلى قيام الساعة، وازداد انتشاراً في كل أنحاء العالم، وأصبح المسلمون اليوم يمثلون ربع سكان العالم، منهم 40 مليون مسلم في أوروبا و 8 ملايين مسلم في الولايات المتحدة، والباقي موزعون على الدول الإسلامية وجميع أنحاء العالم.

وهناك كتاب كثيرون تناولوا نظرة الغرب للإسلام، وتلك النظرة الغربية للمسلمين ومن هؤلاء الدكتور نبيل السمالوطي أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر، وكذلك الكاتب المعروف قهني هويدي، فالجاليات الإسلامية في دول الغرب ينظر إليها على أنها خلايا إرهابية نائمة، ترصد حركاتها وأموالها وعلاقاتها، وتخضع للرقابة غير المبررة، وقد أقرز الغرب بعض المصطلحات للحرب ضد الإسلام مثل «الإسلاموفوبيا» و«الخطر الأخضر» و«نهاية التاريخ» و«صدام الحضارات» وأخيراً مصطلح «الحرب على الإرهاب»، وكلها مصطلحات تستهدف الحرب على الإسلام والمسلمين وعلى نبيهم الكريم..

ولا شك أن الهجوم على نبي الإسلام من حين إلى آخر، وخاصة في صحافة الغرب وأشهرها وآخرها صحافة الدائمارك، هو حلقة في حلقات هذه الحرب المستمرة، ومن المعروف أن مثل هذه الحملات من شأنها إجهاد أية محاولة حوار بين الإسلام والغرب.. وإذا حاولنا تفسير هذه العلاقة المتوترة بين الغرب والإسلام، فإننا نجد أن

الغرب يتحمل النصيب الأكبر منها.. لكن المسلمين أيضاً يتحملون نصيباً منها.

فمن المسلمين من يهاجم الحضارة الغربية، دون تمييز بين الجوانب المشرقة والجيدة في هذه الحضارة وبين الجوانب السيئة، ودون وعي بمعطيات التاريخ وأسرار الحضارة، والتفاعل بين الحضارات، فكل حضارة بوصفها إفرازاً بشرياً، يتفاعل فيه الإنسان مع بيئته، ومع ما يواجهه من تحديات، وبوصفها نتاجاً لتفاعل بين حضارات مختلفة، فلا بد أن يكون فيها سلبيات.. والحضارات لا تدان بسبب وجود سلبيات فيها، ولكن تدان بسبب رفضها واحتقارها، وتوظيفها ضد الآخر الحضاري أو ضد الشعوب الأخرى.

نحن والغرب

والسؤال: ما دورنا فيما يقع من أخطاء.. وما هو المشترك في تلك الأخطاء..؟

إن من أهم الأخطاء التي يقع فيها بعض المسلمين، الحكم على الغرب كله بالفساد الأخلاقي أو بالكفر أو بكراهية الإسلام

يوم التي تسيء لنبينا الكريم ﷺ

للأستاذ / عاطف مصطفى

والحقد عليه، كما أن البعض من المسلمين لا يميز بين اتجاهات السياسيين واتجاهات الشعوب.

ومن أخطاء المسلمين الخطيرة، عدم نجاحهم في توظيف الشرورات الفكرية والثقافية والدينية، أو توظيف إمكاناتهم المتنوعة وثرواتهم الطبيعية وعقولهم وعقرياتهم في التعامل العقلاني مع الغرب، فلقد أهمل المسلمون مقومات نجاح حضارتهم العملاقة التي أفادت العالم كله، بما فيه العالم الغربي، وأخرجته من الظلمات إلى النور.

أهملوا التفكير والعلم والتكنولوجيا وتنمية عمارة الأرض، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، واستسلموا للخوف والتبعية والهيمنة الغربية، ومحاولات التمزيق والتفريق، وبهذا لم يعد لديهم شيء يتحصنون به، إلا الماضي وأمجاد الآباء والأجداد، وتخلوا عن واقعهم وثرواتهم الطبيعية الهائلة ومقدراتهم لكي يتحكم فيها الغرب، الذي يتسم بالعنصرية والنزعة الاستعمارية الشديدة، وتلك

ضرورة مطالبة المنظمات الدولية باحترام الأديان ومحاسبة أولئك الذين يتشدقون بحرية التعبير!

الرأسمالية المتوحشة المسيطرة على مجتمعاته.

هذه السمات البغيضة لدى الغرب من استعلاء وعنصرية واستنزاف لشروات الآخرين، لم يستطع الغرب التخلص منها، حتى بعد أن رفع راية الحريات وحقوق الإنسان والديمقراطية.

ظاهرة ينبغى التصدى لها

لكن على الرغم من هذا التشخيص، فإن الغرب يجب ألا يؤخذ كوحدة، فهناك المنصفون للإسلام وللرسول ﷺ من أمثال «مايكل هارت» و«برنارد شو» و«جوته» و«سجريد هونكه» و«كارين أرمسترونغ» وغيرهم من كبار المفكرين الغربيين.

وهناك الشعوب التي يتشكل وجدانها من المناهج الدراسية وأجهزة الإعلام المغرضة ولا ذنب لها، وهناك المراكز الغربية للدراسات الإسلامية المخادة.

صحيح أن هناك نزعات تطرف في الغرب، مثل حركة اليمين المسيحي، أو حركة المسيحية المتصهينة في الغرب، وحركة «الميثودست»، وصحيح أنه توجد لدينا في الإسلام جماعات متطرفة متشددة باسم الإسلام، لكن المهم هنا الإشارة إلى أن

النظرف ظاهرة عالمية، يجب التصدى لها والحرب عليها، وهى ظاهرة فى كل المجتمعات وكل الأديان، ويجب ألا تتحمل الشعوب جريرة هذا التطرف، ويجب عدم تحميل المسلمين وحدهم جريرة هذا التطرف والإرهاب، الذى يتسبب فى كل الديانات والشعوب ولا وطن له ولا دين.

الإساءة للرسول ﷺ

ومفهوم خاطئ لحرية التعبير

يشير أحد كتابنا المعروفين وهو «فهمي هويدي» إلى أن المثير فى التطاول والبذاءات الغربية على الإسلام وكتابه ورسوله، ليس هو تطاول شخص أو جماعة متعصبة، أو حتى منير إعلامي معين على شخصية الرسول ﷺ، أو على مقدس من مقدسات الإسلام والمسلمين، ولكن ما يدهش أكثر هو تعامل الحكومات والصفوة المثقفة فى الغرب مع هذه الإساءات، فقد تبنت بعض الحكومات المسئولين فيها هذه الاتهامات والإساءات والبذاءات، وقد علا صوت الخافدين والمبغضين للإسلام على صوت المنصفين والعقلاء من مثقفي ومفكرى الغرب، وهناك رؤساء لبعض تلك الدول مثل «نيكسون» فى كتابه «اتهنز القرصة» يقول: «إننا لا نخشى

على المسلمين أن يتوحدوا وليعلم هذا الغرب المتعجرف أننا بحق خير أمة أخرجت للناس

والواقع أن فكرة الحرية المطلقة غير موجودة فى كل دول العالم إلا فى مجال حرية الاعتقاد والتفكير، وقوانين الحضارة وحقوق الإنسان، تؤكد ضرورة عدم الإساءة إلى أية مقدسات لأى دين سماوى أو وضعى، وقد كان القرآن الكريم واضحاً فى هذه النقطة عندما قال تعالى:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

(الأنعام: ١٠٨)

وهناك عوامل سياسية - بلا شك - تقف وراء هذه الهجمة الشرسة والحاكمة على الإسلام والمسلمين من بينها..

تلك الحساسية الشديدة - تاريخياً - إزاء المسلمين منذ الحروب الصليبية، وماتزال آثارها باقية فى العقل الغربى، وفى مناهج عندهم، فضلاً عن عمليات الإثارة والتحريض المستمرة ضد الإسلام، التى تمارسها الأوباق الإعلامية العملاقة، الموجهة من الحركة الصهيونية العالمية.

ونقول: إن خير أساليب الدفاع عن الإسلام وعن الرسول ﷺ والرموز الدينية، هو أن نحقق نحن فى ذاتنا نموذجاً جيداً مقتدياً بسنة الرسول الكريم ﷺ، فى كل مجالات

الضربة النووية، ولكن نخشى الإسلام والحرب العقائدية التى قد تقضى على الهوية الذاتية للغرب.

التحليل العلمى لهذه الهجمة الشرسة كما يشير إليها د. نبيل السمالوطى فى بحثه المستفيض بعنوان «نحو استراتيجية علمية منهجية لنصرة الرسول ﷺ»، يحتاج إلى الكشف عما وراءها واستخلاص العبر والدروس، حتى يتثنى للصفوة من مثقفي الإسلام الرد المنهجي والعلمى عليها، فلا شك أن تلك الهجمة ناجمة عن اعتبار المشروع الحضارى الذى يقدمه الإسلام خطراً على ممارساتهم للظلم الاجتماعى، وعدم العدالة فى التوزيع، والرأسمالية التى توحشت، وخطراً على محاولات الهيمنة والسيطرة على مقدرات العالم من الثروات، ومحاوله احتلال دول، وممارسة أبشع أنواع إبادة الجنس البشرى فى العراق وأفغانستان وفلسطين وغيرها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن هذه الإساءات التى تصدر تحت مظلة حرية التعبير، والواقع أن التعبير هو سلوك اجتماعى يجب حمايته مادام يخدم أية قضية اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية.. إلخ. لكن يجب ألا يجنح التطاول والعدوان على حريات الآخرين.

كيف يسبح الغرب بتوجيه هذه الإساءات المستمرة لربع سكان الكرة الأرضية

الحياة، فالمشكلة عندنا تتمثل في وجود نماذج سيئة لا تطبق الإسلام الصحيح، والمشكلة أننا نعاني - كشعوب مسلمة - من حالة الضعف وأنا لا نتابع ما يكتب عنا، ولا نرد عليه بشكل إعلامي ثقافي مكثف، يصل إلى رجل الشارع في الغرب.

وإذا كنا نطالب الجالية الإسلامية في الغرب أن تقدم للغرب وللمجتمعات التي يعيشون فيها نموذجاً جيداً للإسلام في حضه على قيم العدل والحق والتسامح والعلم، فإن المشكلة أن بعض المسلمين في الغرب يضطرون إلى التخلي عن قيمه الإسلامية، حتى يكون مقبولا مندمجا في مجتمعات الغرب، مثلما حدث في أزمة الحجاب في فرنسا وغيرها من دول أوروبا، وهذا يقتضي منا إعادة النظر في الثقافة والتعليم والإعلام، ومنظومة الفكر داخل الدول الإسلامية، وأساليب تعاملنا مع الآخر.

فهذه الإساءات الموجهة للرسول ﷺ توجه إلى ما يقرب من ربع سكان الكرة الأرضية، ولا ينبغي السكوت عليها، وما يحدث داخل هذا الغرب الذي يتشدد بحقوق الإنسان والحريات والعدالة والمساواة، ولا يطبق فكرة حرية التعبير في البذاءات والعدوان إلا على المسلمين، وهذا يقتضي منا تغييراً في سياساتنا الداخلية والخارجية وأن ننصر الرسول في إحياء سنته والالتزام بهديه.

وتحقيق التقدم الذي طالبنا به الإسلام بالاستحواد على كل مصادر القوة، حتى نكون بحق خير أمة أخرجت للناس، كما قال عنا ربنا - سبحانه وتعالى -

وهناك استراتيجية علمية يمكن أن تتبعها دفاعاً عن الإسلام ونبيه ﷺ، سوف نواصل تناولها إن شاء الله...

لكن نقول إن الدائمات وإعلامها المشبوه - في عصرنا - تمثل مسيلمة الكذاب وأهل البصامة، وكل المعاندين والحقادين على دعوة الحق والعدل... دعوة السلام واخية... دعوة الإسلام ودعوة كل الأنبياء والرسل من لدن آدم عليه السلام، وحتى محمد ﷺ.

وإذا كانت الدائمات والصحف الدائمات مصرية على عنادها وانحرافها في الهجوم على الدين الإسلامي، وعلى رسوله الكريم ﷺ فإن على المسلمين مجتمعين من المحيط الأطلسي شرقاً وحتى إندونيسيا غرباً واجياً يتمثل في الدعوة إلى احترام الأديان والمعتقدات، وعدم الاعتداء عليها في المواقف من خلال المنظمات الدولية،

وعلى المسلمين - كذلك - أن يحشوا في العقوبات التي يمكن فرضها على هؤلاء المصيرين على الإساءة للإسلام والمسلمين، دون وجه حق ودون أي سند قانوني أو ديني أو أخلاقي!

مكارم الأخلاق
نغاية الرسالة المحمدية

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

تصديقاً لقول رسول الله ﷺ: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»^(١).

وأعتقد أننا نحن المسلمين فطرنا كثيراً وتفاعسنا، حيث إننا وإن كنا في بعض الأحيان المتأخرة حصلنا بعض المعرفة إلا أننا نسينا كثيراً. وفطرنا كثيراً. وتكاسلنا وتفاعسنا خصوصاً في مجال التبليغ وتردينا إلى مرحلة التفريط. وعاد كل ذلك بالسلب على الإسلام نفسه فكل ما ابتلينا به من نقص المعرفة وانعدام أمانة الحفظ وعجز التبليغ عاد بالسلب على الإسلام نفسه حتى أصبح السؤال المنطقي الذي نعجز عن الجواب عنه لماذا أنتم يا خير أمة أخرجت للناس تتسولون الأمم؟!

يقول رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق»^(٢) لا أظن مسلماً لا يعرف هذا الحديث، لكن ما ثمرة المعرفة وما قيمتها إذا لم يصحبها عمل إيجابي لتشييد الأمة وتشبيد أركانها؟ إذ لا فائدة ترجى من مجرد الحفظ والترديد بل ربما كانت المعرفة - المجردة العاجزة - ذنباً سوف نسال عنه يوم القيامة!!

ذلك في ميزان الإسلام الذي يجعل المعرفة مسئولية والعلم أمانة تحب صيانتها ويلزم أداؤها كما يجب حفظها ورعايتها من التزييف والتحريف وأيضاً فإن العالم مطالب بجانب الأداء والتبليغ - أو قبله - بالعمل - فمن عمل بعلمه ورثه الله علماً لم يكن بعلمه. وذلك

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ١٠، ص ١٩٢، البداية والنهاية ج ٦، ص ٤١.

(٢) تحف المبدأ للثقلين ج ١، ص ٤٠٢، ج ٢، ص ٤٤٩.

قهرتني آية أفقت مضجعي يقول الله - سبحانه وتعالى - على لسان المؤمنين:

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآخِرَتَنَا
رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْقَرِيرُ الْعَزِيزُ﴾

(المتحنة: ٥)

ولقد فتشت فيما أتيج لي من كتب التفسير على أجد مخرجاً؟ وتحيرت زمناً. كيف نكون سبياً في فتنة الذين كفروا؟ أليسوا هم كافرين؟ وهل بعد الكفر ذنب؟ فأى فتنة يفتنونها نكون نحن سبياً فيها؟ قال صاحبى: لعلك هديت إلى صواب أو جواب تطمئن إليه، أخبرني به فإن كنت أنت تحيرت زمناً فإني متحير منذ سمعت الآية فما زالت الأسئلة تدور في رأسي حيرى لا تجد جواباً. قلت لصاحبى: بدا لي الآن ما قلناه سالفاً يتسق تماماً مع ما قاله المفسرون، فلقد قالوا: (يقولون - أى الكفار - لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا، أو يقول المؤمنون: لا نصرهم يارب علينا فيفتنوا بهذا حيث يعتقدون أنهم إنما ظهروا لحقهم عليه) اتساقاً مع هذا المعنى هل يمكننى أن أقول: (وقد كدنا نفتقد القدوة الصالحة اليوم أن بعض كبارنا اليوم أحسبهم يقولون أو ينبغي أن يقولوا وقد فقدنا القدوة من سلوكهم ربنا لا نجعلنا فتنة

قلت لصاحبى - وأنا أكظم غيظاً موجعاً ولما مقصداً - ألسنا بذلك ننقُر العالم من الإسلام؟ لأنه بلغة العصر نظام أنتج شعوباً متخلفة، وبناء عليه فهو نظام معيب؟ أرايت يا صاحبى أصبحنا نحن يتكاسلنا وتفاعسنا وضعفنا سبياً في التشكيك في الإسلام ثم قلت: هل تذكر - وأعتقد أنك تذكر - أن النبي ﷺ نهى أصحابه يوماً أن يسب الرجل أباه. فعجبوا وقالوا: كيف يا رسول الله يسب الرجل أباه؟ قال: يسب الرجل أباه فيسب الرجل أباه ويسب أمه^(٢)، وبهذا القياس الجلى الذى جعل تطاول الرجل على الآخرين يسب آبائهم فيسبون أباه فيكون في الواقع هو الذى سب أباه، واتساقاً مع هذا الإشراق النبوى الهادى ألسنا نحن الذين ازدرينا الإسلام وحقرناه؟

وأعتقد أن هذا التصرف سوف يجعل شعوباً كثيرة مسألة لم تشوئها مطامع السيطرة على ثروات المسلمين فتتزعزع بأسباب واهية للطعن في الإسلام، أعتقد أن شعوباً مثل هذه مهمشة ليست ضدنا ولا هي صديقة لأعدائنا، ألسنت ترى لو أنها أرادت أن تفكر في الدخول في دين الإسلام ألسنا بتخلفنا وضعفنا وهواننا نرد هؤلاء الناس عن الدخول في الدين!!!

وذاات يوم كنت أقرأ سورة المتحنة

(٢) البخارى ٣/٨، مسلم الإيمان ١٤٦.

يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين والمسلمين إلى أن يقول: وأنه من تبعنا من اليهود له المعروف والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم إلى أن يقول: وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين معهم وأن يهود بنى عوف ومواليهم وأنفسهم أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم وأن لليهود بنى التجار ما لليهود بنى عوف وكذلك يهود كل منهم وأن على اليهود نفقتهم وعلى المؤمنين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم وأنه لم يأتهم امرؤ بحديثه إلى آخر الصحيفة من أمان.

أرايت ما فيها من أمان وعهد ومواثيق وإقرار كل على دينه بلغت حد المساواة في النفقة في الحرب والأمان، في السلم والنصرة على كل ظالم جائر، أرايت بالله عليك هل يقارن هذا بما يفعله بالعراق وما يتربص به من ذوائر غدر للعرب والمسلمين في كل مكان.

هذه هي رسالة رسول الله ﷺ وصدق حيث قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، وهي أمانة في أيدينا سوف نوصلها للعالم كله - بإذن الله - حتى يعم الأمن والسلام كل العالم وهذا عهد وميثاق نقدمه لرسول الله في عزم وصدق يوم ذكرى مولده ﷺ ونعتقد أنه أفضل ما نقدمه في هذا اليوم الكريم الميمون المشرق. والله من وراء القصد.

خطبة الجمعة

كأن خلقه القرآن

الشيخ / محمد الغزالي

إعداد الشيخ / علي حامد عبدالرحيم

● والثالث: اليوم الحاضر وما فيه من تكاليف وما يقع على الناس من أعباء.

● والرابع: مشاهد القيامة وما إلى ذلك مما يتصل بالحساب من ثواب وعقاب.

معنى الثاني: الازدواج في الجمع بين أمرين فالقرآن الكريم في تربيته للنفوس وفي توجيهه للأمم يجمع بين مصلحتي الروح والجسد بين منطقي الفكر والعاطفة، بين مصلحتي المعاش والمعاد، بين الوعد والوعيد، بين الرغبة والرهبة.

إننا في هذا الشهر نتحدث في السيرة الشريفة في النبوة الخاتمة وصاحبها عليه الصلاة والسلام وقد بدأت بالحديث عن القرآن لأن نبينا ﷺ كان قرآنا حيا في مسلكه، في خلقه، في شمائله، في عبادته، في جهاده، في حربه، في سلمه، في سفره، في إقامته، في انتصاره، في انهزامه، في صحته، في مرضه، في خلوته، في شتونه كلها.

صح عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت:

للمسائل: أأست تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت:

قال ربنا تبارك اسمه وضفا للكتاب للعزير:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ إِذْ أَنْشَأَهُ مِنْ نَحْسِهِ النَّبِيَّ فَجَعَلَ مِنْهُ جُودًا لِلَّذِينَ يُحْسِنُونَ زِينَتَهُمْ ثُمَّ يُكَفِّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ قُلُوبُهُمْ﴾
إِنْ ذَكَرْتُمُ اللَّهَ جَدًّا هَدَى اللَّهُ يَدَيْكُمْ وَمِنْ بَيْنِكُمْ فَسُكُونٌ
﴿الزمر: ٢٢﴾

معنى أن القرآن متشابه في هذه الآية، أن معانيه متماثلة على كثرة السور وأن المحاور التي يدور عليها متقاربة وإن تعددت الآيات وطالت.

وليس معنى التشابه هنا ما يقابل المحكم في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ بَيِّنَاتٌ لِمَنْ حُكِمَ مِنْ أَمْرِ الْكِتَابِ وَأَمْرٌ مُتَشَبِهٌ﴾
﴿آل عمران: ٧﴾

المقصود بالتشابه في آية سورة الزمر: أن معاني القرآن الكريم على كثرتها تدور على مبادئ معروفة محدودة وأغراض معينة واضحة ولذلك فإن في الإمكان القول بأنها متشابهة، فالقرآن الكريم دارت آياته الكثيرة على أربعة معان:

● **المعنى الأول:** وصف القرآن الكريم للكون وحديثه عن المادة وآفاقها وقواها وأسرارها.

● **والثاني:** تاريخ الماضين وسرد قصصهم.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
﴿غافر: ٦٤﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْفُسَ لِيَتَرَكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا نَأْكُوتُ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُودْرِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُؤَادِ عَتَكُوتُ﴾
﴿غافر: ٧٩، ٨٠﴾

فهنا نجد أن الوصف لله سبحانه وتعالى هو بتوجيه الأنظار إلى أسمائه الحسنى وصفاته العليا في كتاب الكون المفتوح وفي هذا العالم الذي يسر لنا كل ما فيه وسخرت لنا سماواته وأرضه.

كان النبي ﷺ في هذا الجانب من القرآن شديد الحب بالوجود الإلهي ومعنى «خلق القرآن» في هذه الناحية: أنه ما ينظر إلى شيء إلا ويرى الوجود الأعلى مسيطرا عليه نافذا فيه، واضحا من خلاله يتضح هذا في ذكره لله واستشعاره مجده وتعمه ووجوده.

فالله جل شأنه في كل شيء زمانا ومكانا وقبل أن تشرح الزمان والمكان أجيء بآية من سورة الأنعام تقول:

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾
﴿الأنعام: ١٢﴾

فهذه الآية تتحدث عن المكان والآية التي بعدها تتحدث عن الزمان، قال تعالى:

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْآلِ وَالنَّهَارَ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
﴿الأنعام: ١٣﴾

فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن (١).

المعنى الذي شاع لهذا الحديث أنه ما من خير جاء في القرآن أو بر أو فضل أو محمدا إلا والنبي ﷺ قد تخلق بذلك، وظهر به واصطبغت نفسه بحقيقته وما من شر أو مردول من السلوك والعمل حذر القرآن منه ونهى عنه إلا ابتعد النبي عليه الصلاة والسلام عنه وكان أبعد ما يكون عن افتراقه أو القرب منه.

هذا هو المعنى الشائع للحديث كأن الحديث يجعل دائرة القرآن في شمائل النبي وسيرته لا تتعدى الأخلاق.

شدائد الحب بالوجود الإلهي

في تأمل السيرة وفي تأمل لآفاق النبوة وجدت أن الحديث يمكن أن يكون أوسع دائرة وأرحب آفاقا يمكن أن يكون المعنى المقصود أن النبي ﷺ كان قرآنا في حياته كلها.

إن القرآن الكريم - في العنصر الأول فيه - عرف رب العالمين عن طريق آثاره في الكون وإبداعه في الخلق فهو يعرف الله جل جلاله فيقول:

﴿أَفَلَا يَرَىٰ يَرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِسِحًا فَيَسْطُفُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُ السَّحَابَ قَدَرًا يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ إِذَا أَسَابَ بِهِ مِنْ شَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ﴾
﴿الروم: ٤٨﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَاتِ لِيَتَسَكَّنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾
﴿غافر: ٦١﴾

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين - باب جامع صلاة الليل ومن تأمل عنه ١٦٨، ١٦٩.

ملاحظة هذه اللعاني زمانا ومكانا كانت تظهر في حياته **نوعا** من التسبيح والتحميد والتمجيد والذكر والشكر لم يعرف مثله في حياة بشر آخر كان إذا أصبح قال: «أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا شريك له لا إله إلا هو وإليه الشورى»^(١).

وكان يحمد ربه قائلا:

«يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك»^(٢).

إلى آخر هذه التسيبحات والتحميدات التي لهج بها لسانه، وعمر بها جنانه، وتحركت بها عواطفه، وتركتها في تراثه نورا يقود الناس إلى ربهم ويربطهم به أوثق رباط.

كان في شعوره بهيمنة الله على الكون ينظر إلى القريب والبعيد فلا يرى إلا قدرة الله وجلاله، ينظر إلى الهلال وقد بدا فيقول: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله»^(٣). كان إذا نزل للمطر حسر^(٤) ثوبه حتى أصابه من المطر، فإذا سئل قال:

«لأنه حديث عهد بربه تعالى»^(٥).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت:

«كان النبي **ﷺ** إذا عصفت الرياح قال: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به، وإذا تخيلت السماء تغير لونه

وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سرى عنه فعرفت ذلك في وجهه قالت عائشة: فسألته، فقال: لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا»^(٦).

كان إذا رأى قرية يريد دخولها قال:

«اللهم رب السموات السبع وما أظلمن، ورب الأرضين السبع وما أظلمن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها»^(٧).

كان ارتباطه بالقرآن تطبيقا

هذا هو تجارب النبي مع ما في القرآن من وصف للكون.

النظر العادي يرى الشمس تطلع ويراه تغيب، يرى الريح تعصف ويراه ترفد فلا يهتز.

أما نبينا عليه الصلاة والسلام فقلبه مرتبط بمن سخر الشمس والقمر، ومن شق الأرض عن النبات، ومن أدار القمر هلالا ثم عاد كالعرجون القديم، إلى آخر ما في ذلك من مظاهر الكون.

كان ارتباطه بالقرآن تطبيقا، وهو يقرأ القرآن وشعوره وهو يقرأ أنه مع الكون، يعرف رب الكون من خلال

(١) رواه البزار والسناده جيد. كذا في مجمع الزوائد ١١٤/١٠.

(٢) رواه الترمذي في الدعوات. باب ما يقول عند رؤية الهلال.

(٣) رواه مسلم في صلاة الاستسقاء. باب الدعاء في الاستسقاء ٢٦/٣.

(٤) تخيلت السماء أي تخيفت وتهيب للمطر.

(٥) رواه البخاري في بدء الخلق.

(٦) رواه الترمذي في عمل اليوم والليلة ٣٦٨ وابن خزيمة وابن حبان (موارد الثماني ٢٣٧٧).

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدَهُمْ فَتَنُوكُمْ مِنَ الْأَطْلَاسِ﴾

(الأنعام: ٥٢)

هذا كلام يوجه به النبي **ﷺ** وهو يتعامل مع المشركين في مكة، لكن لا جديد تحت الشمس، وما يقع له في مكة وقع مثله لأول المرسلين نوح عليه السلام.

يعيش مع ماضي الإنسانية وحاضرها

القصة واحدة، والقضية واحدة، والتلاقي بين الموضوعين ظاهر، إلا أننا نجد القرآن الكريم وهو يذكر قصة نوح قبل الطوفان يتجاوز العصور الطويلة بعد الطوفان إلى عهد البعثة المحمدية، ثم في أثناء سرد قصة نوح نجي آية:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾

وهي كلام عن موقف المشركين في مكة مع النبي الخاتم **ﷺ** وهو يؤسس عقيدة التوحيد ويطارده خرافات الوثنية، تجيء هذه الآية أثناء الحديث عن نوح - فتسفل الماضي كله إلى حاضر الناس وتنقله إلى يومنا هذا، وهي تشير إلى أن الإنسان الكبير الذي كان خلقه القرآن كان فعلا يعيش مع ماضي الإنسانية ومع حاضرها، وأن موقفه من كذبوه وآفوه وترصوا به هو موقف الأنبياء من قبل، وأن النتيجة واحدة، ولذلك قال الله في آخر السورة:

﴿وَلَا تَقْصُ

عَلَيْكَ مِنَ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبَّأْتُ بِبُحْثَانِكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

صفحات هذا الكون الكبير. هذه ناحية، وهي معرفة الكون وأسراره وآثاره جل جلاله في ملكوته الضخم، وتجارب النبي **ﷺ** معه.

تاريخ الماضين وسرد قصصهم

تاريخ الحياة، تاريخ الناس منذ ظهوروا على ظهر هذا الكوكب وبدأ نشاطهم بملا الأرجاء، إن هذا التاريخ يصور مدنيات ظهرت وبادت، وقرى عمرت بالإيمان وبالفجور ثم حصدت وعادت إلى ربها ليسألها عما قدمت وأخرت، هذا التاريخ يحكيه القرآن الكريم ليعيش نبينا **ﷺ** وهو يتلاقى معه. في سورة الأنعام نقرأ قوله تعالى - وهو يصف عمل المرسلين بين الناس -.

﴿وَمَا

رَزَقْنَاهُ إِلَّا مَا نَشَاءُ وَمُسْتَدِيرِينَ قَمَرًا مَآءً وَأَصْحَابًا فَلَاحُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بَعَثْنَاهُمُ الْعَذَابَ بِمَا كَانُوا يُفْسِقُونَ

(الأنعام: ٤٨، ٤٩)

ثم يحري رب العالمين على لسان نبيه **ﷺ** هذا الكلام:

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ

عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا بِوَحْيٍ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنْ يُحْشَرُوا إِنَّ رَبَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ دُونِي وَلَا شَافِعٌ لَهُمْ يُفْسِقُونَ

(الأنعام: ٥٠، ٥١)

ثم يقول الله له بعد جدال مع المشركين:

أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢٠﴾ وَانظُرُوا إِلَيْنَا مُنْظِرُونَ ﴿١٢١﴾ وَرَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِي يُرْجِعُ الْأَمْمَارَ كُلَّهُمْ فَأَعْتَدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

(هود: ١٢٠-١٢٣)

كان خلقه القرآن، كان مع القرآن في سرده قصص الأولين، وفي عرضه لما أصاب أولئك الأولين من خير أو شر، من نصر أو هزيمة، من عقاب أو عفو، كان مع هذا التاريخ يعيش فيه وينقى معه.

اليوم الحاضر وما فيه من تكاليف

إن القرآن الكريم يأمر وينهى، يعلم ويربى، يعظ ويذكر، لتسير وفق مراد الله لنا، ووفق ما خط غيانا على ظهر الأرض، ورب العالمين لا يستفيد من طاعات الناس شيئا، ولا يضره من معاصي الناس شيئا، إنما يفعل ذلك لمصالح العباد أنفسهم:

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ فَقُولُوا خَيْرٌ لِّمَا كُنَّا خَافُونَ﴾

(التحل: ٣٠)

والواقع أن الناس - الآن وقبل الآن - قسمان: قسم: يريد أن يحيا وفق هواه، ما يتجه بتوجيه الله له، إنما يريد أن يتبع من رغبته ومن شهواته ومن أهوائه وآرائه لا ببسالى بشيء.

وقسم: يستمع إلى هدايات الله ويرى أن فيها مصلحته ورحمته، وأن من الحكمة أن يعيش

وفق الخط الذي أمره الله أن يستقيم عليه.

حاضر الناس أو ما هم عليه في معتقداتهم وفي أعمالهم وفي أحوالهم كلها كان نبينا عليه الصلاة والسلام صورة جيدة له، فهو فيما يصيبه من خير أو شر يرى أصابع القدر في كل شيء، هناك ناس - كما وصف الله -:

﴿فَإِنْ أَصَابَ خَيْرٌ أَطْمَأَنَّ بِعَمَلِ الصَّالَةِ فِتْنَةً أَتَقَلَّبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَيْرٌ لِّلْآخِرَةِ وَالَّذِينَ هُمْ أَخْسَرُ النَّاسِ﴾

(الحج: ١١)

رأينا نبينا عليه الصلاة والسلام في أشد الساعات تعباً له يستقيم لقدر الله، ويرجو من الله الرضا

في هزيمة «أحد» كان المصاب شديداً، وكان الجرح عميقاً، وكان الألم مستولياً على المؤمنين عما يغم، ومع ذلك فإن النبي ﷺ في أعقاب المعركة قال لأصحابه: «استروا حتى أتني على ربي»!! (١٠)

اليوم الآخر وما يتصل به

اليوم الآخر ذكر في القرآن وفي السنة كثيراً، والموت ذكر في القرآن وفي السنة كثيراً، الواقع أن السبب في كثرة كلام الله جل جلاله عن الدار الآخرة هو كسر غرور الناس بالدنيا، فإن انشغال الناس بحاضرهم واحتياهم في الآمهم وآمالهم الحاضرة يكاد يذهلهم ذهولا مطلقاً عن اليوم الذي ينتظرهم، فيريد الله أن يبين لأي إنسان

(١٠) رواد أحمد في السنة ٢٢٤/٣ والحاكم ٤٠٧/١، ٢٢٤/٣، ٢٢٤/٣.

- كان يتجاوب مع القرآن الكريم!!

إن هذا القرآن إذا تجاوب إنسان معه صاغه صياغة جديدة في أحواله كلها، ثم يمشي المؤمنون بعد ذلك على منهج نبينهم ﷺ وقد أجرى الله على لسانه:

﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَذَكَرْتُ وَنَفَيْتُ وَمَا قَرَّبْتُ رَبِّيَ الْعَلِيِّنَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبَدَّ لِي لَمَعَاتُ الشَّيْطَانِ﴾

(الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)

هذه هي النبوة الخاتمة، وتلك صلتها بالقرآن في معانيه التي تتشابه أو التي تزدوج.

هذا هو كتابنا الذي يجمع بين التربية والتعليم، بين الرغبة والرغبة، بين الوعد والوعيد، بين الخوف والرجاء، بين الدنيا والآخرة، بين الروح والجسد، بين العقل والعاطفة، هذا الكتاب الذي تشابهت معانيه وهو يصف ملكوت الله وحياة الأولين ومستقبل الآخرين.

هذا الكتاب كله تجسد سلوكاً وجهاداً، عبادة وقيادة، تشريعاً ومعاملة وسياسة في مسلك النبي الخاتم ﷺ فكان بهذا قدبرا على تغيير الدنيا إلى وضع آخر وإلى وجهة أخرى.

وجدير باتباعه إذا اعتنقوا القرآن وفهموه وتشققوا منه وعاشوا في وجوده أن يقوموا بتلك الرسالة وأن يؤدوا ما عليهم لله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

ليستطيع في لحظة أن ينتقل من صحراء الجزيرة إلى أنهار النعيم في لحظة شهادة!! لحظة وحيدة سريعة تنقله من دار ليس فيها إلا الشظف إلى دار أخرى فيها النعيم المقيم والرحيق المختوم!!

وكان نبينا عليه الصلاة والسلام إذا قرأ القرآن يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ بتعوذ (١١).

الروحانية الفؤارة

ورروا أنه كان في الصلاة يوماً فتأخر فسل بعد ذلك فقال: «لقد رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدته، حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني جعلت أتقدم، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضها حين رأيتموني تأخرت»!! (١٢)

هذا إحساس إنسان الروحانية الفؤارة تغلب على شخصيته أحياناً فتكاد تسلخه عن الإهاب الآدمي ليرى مالا يستطيع الآخرون أن يروه، وهو نبي ملهم وإنسان يحدث من السماء!!

هذا في نظري معنى «كان خلقه القرآن»، معنى كان خلقه القرآن: أنه - في حياته على ظهر الأرض وبين آفاقها وأرجائها وتحت السماء الرحبة، ومع تاريخ الحياة والأحياء على امتداده الطويل، وفي زحام الأحياء الذي يلهم بمشاعله ومتاعبه، وفي هذه النهايات التي تنتظرها حصداً لحياتنا على ظهر الأرض

(١١) جزء من حديث طويل رواه مسلم في صلاة المسافرين - باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ١٨٦/٢.

(١٢) رواد البخاري في كتاب العمل في الصلاة ٨٢/٢ ومسلم في صلاة الكسوف ٢٨/٣.

الهجرة النبوية

في منظور مصطفى صادق الرافعي

للاستاذ الدكتور / صابر عبد الدايم
عميد كلية اللغة العربية بالقازيق

إن الهجرة في تصور الرافعي، ليست تاريخاً يروى، ولا قصة تحكى، وإنما هي إرهاصات ناطقة، ومواقف سامقة، وكأنها للتاريخ قلب ينبض بالفرسية والآباء، وهي للإنسانية لسان ناطق بالصدق واليقين والفضاء.

وهو لم يحتشد لرصد هذا الحدث الكبير في عمل قصصى، أو عمل روائى، أو عمل فنى في صورة سيرة متكاملة لرسول الله ﷺ مثلما فعل العقاد حين أصدر «عبقريته محمد»، ود. هيكل حينما أصدر «حياة محمد»، وفي منزل الوحي، ولكن الرافعي اكتفى بضم «المقال» في كتاب «وحي القلم»، ليصور رؤيته وتصوره لحدث الهجرة الأعظم، وهو تصور أدبي فلسفى مكثف، نأى فيه الرافعي عن رصد الأحداث المباشرة، وتكرار المؤلف المعروف من مشاهد الهجرة، وكتب مقالته «وحي الهجرة»، وهي أولى مقالاته في مجلة الرسالة، وقد أنشأها للعدد السنوى الخاص بالهجرة، وهي تحمل كل خصائص وسمات أدب الرافعي، فهو ينشرد بملكة إبداعية ابتكارية في صياغة الأساليب، مع ارتباط شعورى صادق بكل مقومات التاريخ الإسلامى، وبالمصدرين الرئيسيين للدين الإسلامى وهما «القرآن الكريم»، و«السنة النبوية المشرفة»، وكتابه «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية»، يظل متارة مضيئة تموج أشعتها الهادية في كل زمان ومكان، تهدى العقول الحائرة، وتقوى العزائم الضائعة، وتدفع عن حياض الدين غزوات المعتدين، وشبهات الملحدين، ومؤامرات المنافقين، وهو لا يكتب رأياً إلا إذا امتحنه على آداب القرآن الكريم، وأصول الإسلام، فما وافقها فهو رأيه، وما خالفها فهو برئ منه،^(١)

(١) انظر: مجلة الأدب الإسلامى: عدد خاص عن «مصطفى صادق الرافعي» مقال بين الرافعي و«عصمت تحت راية القرآن» لكاتب الدراسة.



مصطفى صادق الرافعي

الهجرة» تشيبت لدعائم هذا الحدث، وتوطيد لنتائج، وتعصيد لصورة المستقبل الإسلامى فى دار الهجرة، كما تحقق، وكما نطقت بذلك الحوادث الجلييلة، والسير المباركة، والمقالات هي: «فلسفة قصة»، وفوق الآدمية، الإسراء والمعراج، الإنسانية العليا، ودرس من النبوة، وسمو الفقر فى المصلح الاجتماعى الأعظم.

والرافعي فى مقالته: «وحي الهجرة» و«فلسفة قصة» عنى برصد صورة «الرحلة المكية فى تاريخ الدعوة الإسلامية»، ولم يتكلم عن أحداث الهجرة، ولم يتعرض لآثارها المباشرة فى المجتمع الإسلامى حيث المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبداية تكوين الدولة الإسلامية، ولكنه فى غمرة تصويره الأدبى لهذه الرحلة المكية التى كانت تنمو فى بطن وثبات رأيناها يستطيع من الأحداث دروساً علمتها الهجرة للمسلمين، ولتأمل هذه المقارنة الأدبية البليغة العميقة بين واقع الهجرة وواقعها بعد الهجرة المباركة يقول الرافعي فى سياق تصويره لنشأة الإسلام ونموه البطئ فى مكة عبر ثلاث عشرة سنة: ثم كان

ومقالة «من وحي الهجرة» تأتى بعد مقالته فى كتاب «من وحي القلم» الجزء الثانى، وهما: «الإشراق الإلهى وفلسفة الإسلام»، و«حقيقة المسلم» وتأتى بعدها أربع مقالات تتصل بالفكرة الرئيسة التى يريد الرافعي ترسيخها فى ذهن المتلقى البصير الواعى، وفى وجدان وعقل كل مسلم وهي كما جاء فى مقدمة مقالة «وحي الهجرة» إن التاريخ ليتكلم بلغة أوسع من ألفاظه إذا قرأه من يقرؤه على أنه بعض نواميس الوجود، صورت فيها النفس الإنسانية كيف اعتورت أغراضها؟ وكيف مدت فى نسقها وتغلغل فى مسالكها؟ وما تأتى لها فجرت به مجراها؟ وما دفعها فأنحدرت منه إلى مقارها؟ فهو ليس بكلام تستقبله تقرأ فيه، ولكنه أحوال من الوجود تعترضها فتغير عليك حرك بالهامها وأحلامها، فالرافعي يرصد مظاهر الثبات والقوة والعظمة فى تاريخ الإسلام، ومظاهر التفرد والحكمة والقُدرة الحسنة فى تاريخ بنى الإسلام؛ فكل أوصافه كما يقول الرافعي: طابع إلهى على حياته الشريفة يشبت للدين بكل برهانات العلم والفلسفة أنه الإنسان الأفضل، وأنه الأقدر، وأنه الأقوى.

وكان المقالات التى تلت مقالة «وحي

أول النمو في الإسلام بحر وعبد : أما الحر فابوبكر، وأما العبد قبلال، ثم اتسق النمو قليلا قليلا ببطء الهموم في سيرها، وصير الحر في تجلده، وكان التاريخ واقف لا يتزحزح، ضيق لا يتسع، جامد لا ينمو، وكان النبي ﷺ أخو الشمس : يطلع كلاهما وحده كل يوم، حتى إذا كانت الهجرة من بعد فانتقل الرسول إلى المدينة، بدأت الدنيا تتقلقل، كأنما مر يقدمه على مركزها فحر كنها، وكانت خطواته في هجرته تخط في الأرض، ومعانيها تخط في التاريخ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة، ومعناها بين المشرق والمغرب.

وهذه الموازنة الدقيقة لحركة الدعوة بين المرحلة المكية والمرحلة المدنية صاغها الراقعي في أسلوب بياني مكثف، ولنتأمل إشارات وإيحاءاته بما لاقاه المسلمون في مكة من عذاب، واضطهاد، وما لاقاه الرسول ﷺ من إيذاء واتهامات وعناد، وهذه الإيحاءات يشع بها تصويره لنمو الإسلام بطيئاً وكأنه بطء الهموم في سيرها؟! وكلمة «الهموم» مشحونة بكل ما تتصوره النفس من عذابات وأهوال تحملها المسلمون في مكة قبل الهجرة، وهذه الصورة المتوالية التي تشخص واقع المسلمين قبل الهجرة وهم صامدون في

مكة يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، هذه الصور تشخص التاريخ المتمثل في سنوات البعثة قبل الهجرة «ثلاث عشرة سنة» وكان الزمن في هذه الحقبة «واقف لا يتزحزح، ضيق لا يتسع، جامد لا ينمو».

وهذه النزعة التصويرية نأت بالرافعي عن المبالغة والتوهيل في تجسيد الألم والمعاناة والقهر الذي أحاط بالمسلمين من كل جانب في مكة قبل الهجرة، حيث يقول : (وكان) ولم يجزم، ولم يقرر بأن هذا الواقع الجامد، والضيق، والذي لا يتحرك أصبح متحققاً يعز على التغيير.

والصورة الرائعة التي صور بها موقف رسول الله ﷺ - تؤكد قوة الإسلام، وتعلن عن البشارة بمستقبل هذا الدين، فالنبي ﷺ في غمرة عناد الكفر، وتكاثف ظلمات الشرك كأنه آخر الشمس : يطلع كلاهما وحده كل يوم.

ويستخلص الراقعي دروساً من واقع ثبات المسلمين، وثبات الرسول ﷺ أمام جيروت المشركين في مكة. وهذه الدروس يصوغها الراقعي صياغة أدبية راقية تحتاج إلى «كد الذهن وإعمال الخاطر» ويلجأ فيها إلى ما يسمى بالمقارقة، حيث يجمع بين الأضداد مستخلصاً المواقف

الإيجابية، والخصائص الإسلامية لهذه الأمة التي أرساها لها نبينا المهاجر، ورسولها الكريم محمد ﷺ.

وهذه الخصائص تعلم المسلمين كيف يجب أن ينشأ المسلم محاطاً بهذه القيم، ومحصناً بتلك المبادئ، غناه في قلبه، وقوته في إيمانه، وموضعه من الحياة موضع النافع قبل المنتفع، والمصلح قبل المقلد، وفي نفسه من قوة الحياة ما يموت به في هذه النفس أكثر ما في الأرض والناس من شهوات ومطامع.

ومن وحى الهجرة يرصد «الراقعي» أخص الخصائص الإسلامية لهذه الأمة، ويصفها بأنها عوامل أخلاقية ألقبت في متبع التاريخ الإسلامي، ليحب منها تياره، فتندفعه في مجراه بين الأمم، وهذه الخصائص يصوغها الراقعي في عبارات متماسكة، محكمة، آسرة، تتشابه أساليبها في صياغتها، وتنوع في إيحاءاتها ودلالاتها، وتتموج بكثير من الرؤى والمواقف، ويتوهم البعض أن فيها استطرادا وإطنابا، وأن فيها حشو وإسهابا، ولكن هذا الوهم ينشأ من السرعة في الحكم، وعدم التأمل الدقيق في آفاق المعاني، ودلالات الأساليب.

ولنتأمل هذه الخصائص في هذا النسق

الأسلوبى العجيب : وهي تسع خصائص : الثبات على الخطوة المتقدمة وإن لم تتقدم، وعلى الحق وإن لم يتحقق، والتبرؤ من الأثرة وإن شحت عليها النفس، واحتقار الضعف وإن حكم وتسلط، ومقاومة الباطل وإن ساد وغلب، وحمل الناس على محض الخير وإن ردوا بالشر، والعمل للعمل وإن لم يأت بشيء، والواجب للواجب وإن لم يكن فيه كبير فائدة، وبقاء الرجل رجلاً وإن حطمه كل ما حوله.

وهذا الإيقاع الأسلوبى الذي يتسم به النشر الفني عند الراقعي بأسر المتلقي، ويلقى بالقارئ في دهشة المفاجأة أمام هذا السبيل من توالد المعاني، وتوالد الأساليب، والحرص على استقصاء الفكرة، ولم شتاتها من جميع جوانبها وزواياها، وتكرار أسلوب الشرط هنا تسع مرات على نمط واحد مع توالد المعاني، وتنوعها، وحذف الجواب : لأن ما قبل الشرط يفسره ويضيئ معالده، إن هذا النمط الأسلوبى الذي يتكرر كثيراً في أساليب الراقعي لا يحدث رتابة، ولكنه يهز المتلقي، ويشحن فكره وحاسته، ويشري ذوقه : لأن المعنى لا يصل إلا بعد التأمل والتفكير والروية، وهذه الطريقة تقود الراقعي أحياناً إلى الوقوع في مزلق

التكلف حينما يسيطر عليه تهويل الأمر وتضخيمه والمبالغة في تصويره، ولكن ذلك لا يكون إلا قليلاً، ففي أدب الراقعي - كما يقول د. أحمد سام ماعى - لا نستطيع فصل عنصر الخيال عن عنصر اللغة، ومن قبله عنصر الفكر، فليست الأفكار وحدها تتوالد عنده؛ بل الصور كذلك أيضاً، وهي صور رائعة نادراً ما تحققها الإبداعات العربية قديماً أو حديثاً، إن توالد الصورة عند الراقعي بواكب توالد الفكرة ثم العبارة ليحقق هذا التواكب انسجاماً يديعاً بين المقومات الرئيسة الثلاثة لأى إبداع أدبي^(١).

وفي هذا المقال يقند «الراقعي» كل التهم التي لحقت برسول الله من المستشرقين المعادين للإسلام، ومن العلمانيين والدهريين والوجوديين وغيرهم من أصحاب الأفكار والفلسفات المادية، وهذا التقيد بصوغه في عبارات مصقولة، على النمط نفسه الذى صنّغ فيه خصائص الأمة الإسلامية التي قادها المهاجرون في سبيل الله والأنصار الذين آووا ونصروا، وهو يرى أن المرحلة المكية وهي «ثلاث عشرة سنة» هي في حقيقتها:

«زمن نبي لا زمن ملك أو سياسى أو زعيم، ويراهنا أنها تمثل ثلاثة عشر دليلاً تثبت صدق النبي في رسالته، وأورد «اثنى عشرة جملة» تبدأ بحرف النفى «ليس» أو «لا»، وبزيل كل جملة بما يؤكد نفى مضمونها، وعدم تحققه في الواقع: لأنها تهم باطلة، ودعاوى زائفة، والنمط الأسلوبى المتم بالإنقياع والنظام اللغوى الدقيق فى الصياغة والتراكيب هو نفسه الذى اتبعه فى رصده السابق خصائص الأمة الإسلامية؛ وكأن هذا النظام اللغوى، والتنسيق الأسلوبى هو صورة لنظام هذه الأمة ونسقتها وتآلفها الذى يجب أن يكون.

وهذه التهم التي نفاها الراقعي يسردها فى إشارات موجزة، ولا يفصل القول فيها، وقد ألمح إلى أنها بعدد السنوات التي قضها رسول الله فى مكة، وهذا التلميح لم يصرح به، ولكنه فى صدر هذه «الفقرة» قال: «ثلاث عشرة سنة، كانت ثلاثة عشر دليلاً...» ثم سرد ثلاث عشرة جملة تعد أدلة على نفى هذه التهم لأنها صيغت فى أسلوب «النفى»: مع إقامة

(١) انظر: الواقعية الإسلامية فى الأدب والفن د. أحمد سام ماعى.

الحجة على المدعين فى ختام كل جملة؛ حيث يقول: ثلاث عشرة سنة، كانت ثلاثة عشر دليلاً تثبت أن النبي ﷺ:

ليس رجل ملك، ولا سياسة، ولا زعامة: ولو كان واحداً من هؤلاء لأدرك فى قليل، وليس مبتدع شريعة من نفسه، وليس صاحب فكرة تعجل أماليب النفس فى انتشارها، وليس رجلاً متعلقاً بالمصادفات الاجتماعية، وليس مصلح عشيرة يهذب منها على قدر ما يقبل منه سياسة ومخادعة، ولا رجل وطنه تكون غايته أن يشمخ فى أرضه شموخ جبل فيها، ولا رجل حاضره: إذ كان واثقاً دائماً أن معه القدر وآتية، ولا رجل طبيعته البشرية يلتمس لها ما يلتمس الجائع لبطنه، ولا رجل شخصيته يستهوى بها ويسحر، ولا رجل يطشه يغلب به ويتسلط، ولا رجل الأرض فى الأرض.

وبعد هذا الاسترسال فى سرد هذه الشبه التي دحضها فى مقالته: نراه يصل إلى مرفأ فكرته، وإلى شاطئ موقفه بعد هذه المجالدة والمصارعة فى مواجهة خصوم النبي وأعداء الإسلام فيقول عن رسول الله بعد أن نفى عنه كل ما مضى: ولكنه رجل السماء فى الأرض.

وفى نهاية المقال: بعد هذا التحليل

المتع، والفكر المقنع، والأسلوب المنجح: يصل الراقعي إلى استخلاص العبرة، وهي أن إرهابات الهجرة ومقدماتها: هي سر قوة الإسلام، وعظمة المسلمين، وصمود محمد رسول الله والذين معه فى وجه الأعاصير، ودمدمات الرياح، يقول: هذه هي حكمة الله فى تديره لنبيه قبل الهجرة، قبض عنه أطراف الزمن، وحصره من ثلاث عشرة سنة فى مثله سنة واحدة، وكأنها كانت شمس اليوم الذى سينتصر فيه، قبل أن تشرق على الدنيا بثلاث عشرة سنة مشرقة فى قلبه.

وهذه الشمس الإيمانية التي أشرقت فى قلب رسول الله منذ نزول الوحي، وقبله بحفظ الله له ورعايته وإعداده لحمل الرسالة وتبليغ الأمانة، أشرقت على العالم كله بعد الهجرة، وبعد أن أذن الله للمسلمين فى القتال دفاعاً عن أنفسهم، وحماية لدينهم فى قوله:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾

(البقرة: ١٩٣)

يقول الراقعي: «قحل الفصل، وانطلقت الصاعقة، وكانت الهجرة، ثم يقول: تلك هي المقدمة الإلهية للتاريخ.

الصدقة في ميزان الإسلام

لفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي
الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية

لقد سطر التاريخ وقصة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - من مانعي الزكاة بسطور من نور، حيث كانت تلك الوقفة القوية هي التي أعادت الأمور إلى نصابها. وإذا كان بعض المؤمنين المتأولين قد اختلط عليهم الأمر، في قوله تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾

(التوبة: ١٠٢)

واعتبروا أن الأمر بالأخذ الوارد في الآية الكريمة يختص بالنبي ﷺ ولا يتعداه إلى غيره. فقد غاب عنهم المراد من قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٥﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾

(المعارج: ٢٤، ٢٥)

وغاب عنهم أيضا حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «بنى الإسلام على خمس - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت^(١)» فالزكاة ركن من أركان الإسلام قولاً صريحاً لا تأويل فيه بل هي الركن الاجتماعي الذي به يقوم الودام بين أفراد المجتمع وبه يندفع الحقد والحسد من النفوس وهو أهم وسائل التكافل بين الطبقات، وما تدهور حال المسلمين إلا بتهاونهم في تنفيذ هذه الشعيرة وتكاسلهم عن إقامة هذا الركن. والقول عن الزكاة وفرضيتها مما هو معلوم من الدين بالضرورة ولذلك سنلقى الضوء على الصدقات.

وقد شرع الله - تعالى - صدقة التطوع، وجعلها باباً عظيماً من أبواب رحمته الواسعة، وهي كثيرة ومتنوعة، لا يعلمها كثير من الناس، ويترتب على الجهل بها ضياع الكثير من الحسنات، وفوت العظيم من القربات، وإذا كان

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي في سننه ومنا أثباته من الترمذي ج ٥.

الغالب في الصدقات أن يكون مالا أو ما يقوم بهال، فإن منها مالا يتطلب إلا النية الصادقة الخالصة لله - تعالى - كي تسجل عند الله، بل إن منها مالا يتطلب المال أصلاً. كإمالة الأذى عن الطريق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحديث النبي ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة وبصرك للرجل الردي البصر لك صدقة وإماتتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة»^(٢)

ولما كان أثر الصدقات عظيماً عند الله في الدنيا والآخرة فقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحض على الصدقة نذكر منها قوله تعالى:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَلْبَنَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبِيلٍ وَأَنَّ حَبَّةَ وَاقَةٍ يُضَاعَفُ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ وَبِشَيْءٍ عَظِيمٍ ﴾

(البقرة: ٢٦١)

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَأَقْرَبُوا ﴾
﴿ اللَّهُ فَرَحًا حَسَنًا يَضَعُفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾
(الحديد: ١٨)

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ يَأْتِيهِمْ وَأَنْتُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
(البقرة: ٢٧٤)

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾
(التوبة: ١٠٣)

﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّوْبَةُ فَيَقُولَ رَبِّ لَا تُعْزِزْ إِلَّا أَهْلَ قَرْيَةٍ فَاصْدُقُوا أَهْلَ الْقَرْيَاتِ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾
(المنافقون: ١٠)

﴿ وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
(التغابن: ١٦)

من الآيات السابقة يخبرنا الله - تعالى - عن الشواب العظيم الذي أعده للمتصدقين على المحتاجين والمساكين ويعدهم بأن يضاعف لهم الشواب إلى عشرة أضعاف بل ويزيدهم إلى سبعمائة ضعف وأكثر ما داموا قد فعلوا هذا الخير ودفعوا صدقاتهم خالصة لا رياء فيها ابتغاء مرضاة الله لا ينتظرون جزاء ولا شكوراً من أحد، ولا يريدون بذلك سوى وجه الله الكريم من أجل ذلك نجد أن الله - سبحانه

(٢) سنن الترمذي ج ١.

وتعالى - يصف ما قدموا بأنه فرض له - سبحانه وتعالى - والله غنى عن العباد وعن العسالى، وليس من وراء ذلك إلا مصلحة العباد فقط ونظهيرهم من آفات النفس المهلكة والتي تعصف بهدوئهم وسكينتهم وأشد هذه الآفات الأثرة، وعلاجها الصدقة.

ويخبرنا الله - سبحانه وتعالى - أن لا نخشى الفقر أو نظن أن الصدقة تنقص المال.. لذلك يؤكد لعباده المؤمنين أن الرزق بيده سبحانه وتعالى يبسطه لمن يشاء من عباده، وأن ما ينقده العباد ابتغاء وجه الله فإن الله يخلقه.

﴿ قُلْ إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَشَاسِعٌ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. وَيَقْدِرُ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ خَبِيرٌ الرَّزَاقِينَ ﴾

(سبا/ ٣٩)

ثم يؤكد لهم أن هذه الحقيقة التي قد يكتنفها الشك عند بعض المؤمنين فتدعوهم إلى التسوية وإرجاء إخراج زكاة ماله، هذه الحقيقة ستبدو أمام ناظره - ساعة أن يأتيه الموت - واضحة وضوحاً لا يخالطه لبس مثل غيرها من الحقائق.. فعليه أن يقدم الخير قبل أن يقول:

﴿ رَبِّ لَوْلَا الْعَرْشُ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ
فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(النافقون/ ١٠)

هكذا يسير الأسلوب القرآني بين الترهيب والترغيب فالله - سبحانه - أعلم بحال خلقه، فيعلم أن منهم من يصلحه الترهيب ومنهم من يكفيه الترغيب، فالله - سبحانه وتعالى - يبسط الرزق ليكرم عباده، وقد يبسط لهم الرزق اختباراً، وكذلك قد يقبض الرزق ويضيقه على بعض عباده اختباراً - أيضاً - ليرى ويسمع تضرعهم فيثيبهم ويحاسب غيرهم على عدم صبرهم وشدة تضجرهم.

وفي الآيات تحذير للمؤمنين من انتهاء العمر قبل أن يكونوا في زمرة الصالحين.. فعليهم أن يحذروا عذاب الله ويتجنبوه باجتناب المعاصي والعمل بما يقربهم إلى الله - تعالى - ومنها الزكاة المفروضة والصدقات التي تقيهم شح أنفسهم.

وللمؤمنين في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ففي توجيهاته وأقواله خير زاد وأوضح سبيل وأضوأ منار للوصول إلى رضا الله تعالى: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟ قال: أن تصدق وأنت شحيح أو صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر، ولا تغفل حتى إذا كانت بالخلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا^(١٣).

وقد روى عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مثل الذي يعتق عند الموت مثل الذي يهدي إذا شيع»^(١٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان: فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً)^(١٥).

وفي الحديث تأكيد وتوضيح لما ورد في الآية الكريمة السابقة الذكر وفيهما ترغيب في الإنفاق في كافة وجوه البر، لأن الله تعالى يخلف على النفق في العاجل ويجزيه الثواب الجزيل في الآجل وكذلك نجد إشارة إلى التهديد للذين يبخلون ويمتنعون عن الإنفاق في وجوه الخير.

وقال ﷺ: (تصدقوا فيوشك الرجل يمشى بصدقة فيقول الذي أعطىها: لو جئنا بها بالأمر قبلنا)^(١٦).

وفي هذا الحديث حث على بذل المال قبل أن يخرج الرجل بركة ماله فلا يجد من يقبلها منه.

وحتى لا يستصغر المؤمن صدقته قال رسول الله ﷺ: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل)^(١٧).

وعدل التمرة أي: قيمتها.. فأى شيء أصغر من هذه الصدقة؟! ولكن لأن الله - سبحانه - تعالى - يعلم أنها من كسب حلال طيب فإنها يتميها ويزيد فيها حتى تكون عذبة مثل الجبل. ونستفيد من الحديث فائدتين عظيمتين:

● الأولى: ألا نستصغر الخير لأن القليل مع القليل كثير.

● والفائدة الثانية: أن الحلال الطيب لا يقاس عند الله بمقاييسنا وأنه - سبحانه - تعالى - لا ينظر إلى مقدار الصدقة وقيمتها وإنما ينظر إلى أصلها ومصدرها.

وما أقرب هذا المعنى من قول النبي ﷺ: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم^(١٨).

ولا يفوتنا أن نذكر شيئاً من أقوال السلف الصالح الذين تأسوا بسيدنا رسول الله ﷺ فنقول في عجالة:

يروى عن علي - رضي الله عنه - أنه قال لرجل من همدان: إن النعمة موصولة بالشكر والشكر متعلق بالمزيد وهما مقرونان في قرن ولن ينقطع المزيد من الله عز وجل - حتى ينقطع الشكر من العبد.

وعن عمر بن عبد العزيز قال: قيدوا نعم الله بالشكر لله - عز وجل - وشكر الله ترك المعصية.

وللحديث بقية بإذن الله تعالى

(١٥) صحيح البخاري ج ٢.

(١٦) صحيح البخاري ج ٢.

(١٣) سنن الترمذي ج ٤.

(١٤) مسند الإمام أحمد ج ٤.

(١٥) صحيح مسلم ج ٤.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾

التوكل على الله

ممارسة تربوية للإرادة

للاستاذ / محمد مصطفى البسيوني

الحديث هما: «التوكل» و«الإرادة»، وعلى نهج مشايخنا الذين علمونا «النطق» في شرح الشباب نحاول - قدر المستطاع - تبسيط وتوضيح معاني هاتين الكلمتين.

- أما التوكل فهو الأخذ بكافة الأسباب الممكنة التي تعين على ما يتصور من إنجاح العمل أو الفكرة دون إغفال ما صغر منها وما كبر.^{١٠}

- وأما الإرادة وهي من مشتقات «أراد يريد» فهي تعني القصد أو النية كما تعني الرغبة الملحة في الأداء وهي عند المفكرين المسلمين تعني: «النية» بينما يسميها فقهاء القانون الوضعي «سبق الإصرار».

نحن هنا أمام لفظين كثيرًا ما تلو كهما الأكسن بمناسبة وغير مناسبة وكثيرًا ما يتشدد بهما أصحاب التظاهر بالدقة والتباهي بالجدل وكثير ما هم في هذه الأيام التي يحلو فيها لكل «من هب ودب» أن يصلوا في غير مصال، ويجول في غير مجال.

ورحم الله شيخنا «السيد» حسن الفاياتي عندما وصف أحد هؤلاء قائلًا: «ظنه الناس على شيء فظن»^{١١}.

فماذا تراه كان قائلًا في معالجة هذا السياق لو أنه كان بين ظهرانينا اليوم؟

وهذان اللفظان اللذان قصدتهما في مطلع هذا

١٠- في ليزانه الصائير عام ١٩٠٨

١١- معجم اللغة

والمعنى العكسي للتوكل هو «التواكل» وهو قطعاً غير التوكل بل هو تشويه لعنائه، وهدم لبنائه.

والتوكل بهذا المعنى هو اتخاذ وكيل قادر ذي شأن على القيام بما لا يستطيعه الأصيل في أمر من الأمور، ومن هنا فقد درج الناس دائماً في مجال التناقض مثلاً على البحث عن الوكيل النابه الذي عرف بافتدائه الفذ في مجال المرافعة والدفاع.

ولما كانت حاجات المرء متشابكة ومنها ما يدركه وما لا يدركه، كما أن منها ما يقدر عليه، ومنها ما يعجز عنه، ومنها ما هو مائل للعيان ومنها ما يغيب في الزمان والمكان، بل إن منها ما يتعلق بالدنيا العاجلة ومنها ما يتعلق بالآخرة الآجلة.

لما كان ذلك كذلك فإن البحث عن وكيل يتولى عنا هذه الأمور هو أمر يتسم بالعجز والقصور بل هو العجز ذاته والقصور عينه، ومن هنا شاعت رحمة الحق سبحانه وحكمته أن يكفي خلقه مؤونة البحث عن هذا المستحيل فتكفل عز وجل بهذه الوكالة حتى يصرف عباده همهم إلى خلافة الأرض ويوجهوا اهتمامهم إلى استكناه الكون.

ولكن الإنسان الذي كان أكثر شيء جدلاً يصبر على أن يبحث بنفسه ولنفسه دائماً عن وكيل من البشر، ومع ذلك فإن رحمن الدنيا والآخرة الصبور جل وعلا لا يفتأ يذكر الناس بالقرآن نارة والتجربة العملية نارة أخرى بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه وأنه هو وحده الوكيل المطلق ليس للبشر فقط بل للعالمين جميعاً من إنس وجن وحيوان ونبات وغيرهم يدبر أمرهم وينظم شئونهم، ويصوب أخطأهم ويمحق أخطأهم ويقيبل عثراتهم ويغفر زلاتهم وينبه الإنسان الغافل «أو للتغافل» في بداهة واضحة وبساطة مساطعة أن إذا كنت مخلصاً في

البحث لك عن وكيل فكن كياساً فطناً

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾

«الفرقان: ٥٨»

وتأمل كلمة «الذي لا يموت» لترى فيها عجيبة إذا ماذا ينفعك إذا توكلت على حي لا يلبث أن يموت ولو بعد حين بعد أن تكون قد ارتبطت به برباط صورته لك وهمك أنه وثيق؟

ولله كم يصدق هذا على كثير من ما يحدث في الحياة اليومية، فصديقك الذي ارتضيته دون غيره موضع توكلك في الشدائد قد مات وبقيت الشدائد، ورئيسك في العمل الذي كرم تولفت إليه فنافقته وحرضته على زملائك أملاً في أن يقربك إليه ويرضى عنك إذا به يموت ويتركك نهياً لنهش زملائك في سيرتك بالسر والعلن واللمز والفتن، وهكذا من الأمثلة التي لا تعد ولا تحصى في العلاقات للعقدة بين الناس التي يصدق عليها قول العزيز الحكيم:

﴿ وَنَحْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ نَخْشَهُ ﴾

«الأحزاب: ٣٧»

أما الحي الذي لا يموت سبحانه فقد أعطاك كل شيء ولا ينتظر أي شيء إلا أن تكون عبداً شكوراً تؤمن عملياً بقوله تعالى:

﴿ كُلِّ حَزْرَةٍ إِيحْسَنِ إِلَّا الْإِيحْسَنُ ﴾

«الرحمن: ٦٠»

لا ينتظر منك مالا لأنه هو الغني المطلق بل هو مالك ما تملكه ولا يرجو منك نفاقاً لأنه هو الكمال المطلق بل إنه لا ينتظر منك الشكر على عطائه لك، ومع ذلك فأنت إذا شكرته سجل لك هذا في ميزان

حسنتك باعتبارها عرفانا بالجميل وهذا العرفان سمة من سمات الخلق الكريم الذي يريدك الحق عز وجل أن تكون متجلياً به.

خلافة الأرض تحتاج إلى جهد

وهكذا عندما يدعوك ربك سبحانه إلى أن تتوكل عليه وحده لأنه هو الحي الذي لا يموت فإنما يدعوك إلى عبادة سامية تنجيه إليها كافة العبادات إن لم تكن هي أم العبادات، فأنت عندما تنطق مخلصاً بالشهادتين، وعندما تصلي وتزكي، وتصوم رمضان وتحج البيت فإنما تنجيه إلى حي لا يموت ترجو رحمته وتخشى عذابه، فما أحق أن تتوكل على حي يموت، وأنت مثله في كل شيء كلاهما يجوع ويأكل ويعطش ويشرب وينام ويصحو ويمرض ويصح، ويجد ويلهو فكيف تلقى إليه زمامك؟! ^{٢٠}

وليس التوكل كلمات لسان، أو عبارات بيان، وإنما هو مزاج من الدعاء والتضرع والعبادة يتقرب بها العبد إلى ربه بعد أن يكون قد استنفد طاقته في الأخذ بالأسباب المؤدية إلى الهدف المنشود، والأمل للعقود، وعند حدود العبد القاصرة تندخل تجليات للعبود القادرة.

وتأمل لو أن العبد لم يذل جهداً ولم يأخذ

بالأسباب ثم تحققت أحلامه هينة لينة هل كان يصلح خلافة الأرض ومواجهة الحياة؟

إن من معالم أساليب التربية - ولله المثل الأعلى - أن يدرب الأستاذ تلميذه على أن يقوم بنفسه بحل المسألة، حتى إذا بذل كل ما يستطيع دون جدوى تدخل الأستاذ لتسهيل الطريق وإضائة المصباح وذلك بعد أن تتجلى جندية الطالب، ورغبته الأكيدة في التعلم.

وإن لنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، ففي «غزوة الخندق»^{٢١} ألم يكن ربك بقادر على أن ينصر صفيه الحبيب وجنوده دون أن تضيق صدورهم بعد أن رأوا حشود الأحزاب المشركة وقد جاءت بالمزيد من العدة والعدد والعتاد؟! ^{٢٢}

إن النصر الإلهي لم يتحقق إلا بعد أن حفر محمد ﷺ ومن حوله المسلمون الخندق شمالي المدينة استجابة لمشورة الجندي المؤمن الواعي المستير سلمان الفارسي رضي الله عنه وإلا بعد أن عقد المسلمون الاتفاقيات مع يهود المدينة وغير ذلك من الاحتياطات والأخذ بالأسباب.

ولكن ما كاد يهود بنى قريظة يخونون العهد وما كاد المشركون يقبلون محارلين حصار المسلمين حتى وقف محمد ﷺ رافعاً يديه الشريقتين نحو السماء، ورافعاً صوته المضارع بالابتهاال والدعاء

^{٢٠} تسمى أيضاً غزوة الأحزاب والأحزاب هم قريش وبنو مرة وبنو النضير وبنو سليم وبنو أسد وقد تكاثروا جميعاً بقيادة أبي سفيان ويتحرض من يهود بنى النضير بالمدينة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقى تراب الخندق بنفسه مقتلاً بشعر ابن ربيعة شهيد غزوة مؤتة.

اللهم لولا أنت ما اقتدينا ... وما تصدقنا وما صلينا

فأترن سكية علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

والشركون قد بقوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

من «توريقين» للشيخ محمد الحصري

مطمئناً إلى أن الله لن يخذله بعد أن أخذ بأسباب النصر، وقد كان.

وكان دعاء النبي ﷺ كما ورد في بعض كتب السيرة «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم»^(٤).

فاستجاب له ربه في اليوم الثالث من المعركة وبعث الله عليهم الملائكة فقطعت أطناب الفساطيط^{٢٣} وأطلقت النيران وجالت الخيل بعضه على بعض وأرسل الله عليهم الرعب وكثر تكبير الملائكة فولى الأحزاب هاربين بعد اثنين وعشرين يوماً من الحرب^{٢٤}.

مسيرة الكون بين العبد وربّه

وقد سجل القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودُهُ فَارْسَلْنَا عَلَىٰ رِجَالِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ فَكُنَا لَهُمْ دُونَهُمْ يَدَانِ فَهُمْ لَنَا مَخْلُوعُونَ وَلَهُمْ لَنَا مَا نَحْنُ بِمُتَصِلِينَ بِهِمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾

(الأحزاب: ٩)

وهكذا ندرك أن مسيرة الكون، وعمران الأرض هي أمر بين العبد وربّه فالعبد يعمل ويأخذ بالأسباب، ويتوكل مخلصاً على الخالق عز وجل، والخالق يتجلى بقبول هذا التوكل الخالص ويوفق العبد إلى إحسان العمل وتحقيق الغاية ولنا في فاتحة الكتاب أعظم المثل في هذا التصوير.

اتساق الهدف والوسيلة

أرأيت طالب علم هدفه النجاح في الامتحان يتوسل إلى ذلك بالسهر في دار السينما ليلة الامتحان؟ أو رأيت زارعاً يرجو تنمية محصوله فينام دون سقيا أرضه لأنه أمضى الليلة أمام التلفاز؟ أو رأيت تاجراً يهدف إلى كسب ثقة الناس ثم يقش سلعته أو يغالي في ثمنها؟ أو رأيت معلماً يتغيا قول شوقي «كاد المعلم أن يكون رسولاً» ثم تكون وسيلته إلى هذا الغاية أن يحيل رسالته المقدسة إلى تجارة توشك أن تبور إن لم تكن قد بارت فعلاً؟

ولئن قيل فيما مضى إن الجزء من جنس العمل فإننا نقول أن الوسيلة أيضاً ينبغي أن تكون من جنس الهدف والهدف الشريف ينبغي أن تكون الوسيلة إلى تحقيقه شريفة.

وهكذا نرى كثيراً من الناس يدعون التوكل على الله بينما الأسباب والوسائل التي ينتهجونها بعيدة كل البعد عن موضوع هذا التوكل وهنا لم يتوكلوا على الله «حق» توكله فأنى لهم أن يمددهم الله (بحق) مدده!!

إن هذا المصباح الذي يضيء الآن يستمد ضوءه من مولد عظيم فإذا أترت مفتاح هذا المصباح فلم يظهر الضوء فاعلم أن هناك خللاً ما بين المصباح ومصدر الضوء، وقد يكون الخلل في المصباح ذاته أو في أداة الوصل بينه وبين مصدره الذي يستمد منه الضوء.

والكون كله يستمد نوره من الله عز وجل - ولله المثل الأعلى - مصداقاً للحقيقة الربانية التي أكدها

٢١، أي حبال الخيام

٢٢، مسند أحمد ٤/٣٥٣، ٣٥٤، ٣٨٢

٢٣، تاريخ النبوة للنويرة د/محمد إلياس عبد العتي

الذكر الحكيم:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

«النور: ٣٥»

وهو نور يسمو على الكم والكيف ويعلو على كل ما يخطر على قلب البشر إذ يتعلق بمن:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

«الشورى: ١١»

سبحانه جل شأنه إنه هو نور الهداية، ونور العمل، ونور الحياة، ونور الحقيقة، إلى آخر ما نعي في هذا المجال على قدر علمنا القاصر، ووعينا المحدود.

وفي هذا السياق يجدر بنا أن نسوق من التربة مثلاً يتصور طالباً وافقاً مع أستاذه في مختبر للبحث عن بعض القوانين العلمية، فإن هناك وسيلتين أمام المعلم ليصل بتلميذه إلى هذا القانون: إما أن يقوم هو بنفسه بالتجربة كاملة أمام تلميذه أو يعطيه الفرصة ليدل الجهد وإعمال الفكر حتى إذا استفد التلميذ طاقته في ذلك تدخل المعلم لمواصلة التجربة إلى النهاية.

فأي الوسيلتين أفضل للطالب من حيث تحقيق إيجابيته، وصقل شخصيته وتدريبه على تحمل المسؤولية والمشاركة بفاعلية في مواجهة المشكلات والتصرف إزاءها بما يتفق معها دون تسم أو ضيق صدر.

وإن الباري - وله سبحانه للعل الأعلى على

الإطلاق - لا يرضى أن يسعى إليه عبده خالي الوقاض من العمل المثمر والجهد البناء في مواجهة الموقف يقول يارب يارب وهو يعلم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة^{٧٠}.

إن المولى جل وعلا قد خلق الإنسان للسمي الدعوى والبناء المثمر حتى يكون بحق خليفة له سبحانه في الأرض، يعي المعنى الحق للعبادة دون تحويلها إلى مجرد عادة كالدمى التي يحركها «الريموت».

ومن هنا كان «التوكل» على الله هو عمل «مريد» وليس عشوئياً أو عفويّاً فالمتوكل الحق يتمتع بإرادة واعية وقاعلة ويعرف تماماً أنه قد قام في مسيرته بما أمره الله به قدر طاقته ولا ينقصه إلا أن يتوجه إلى العناية الإلهية التي تتوج هذه المسيرة البشرية الإيجابية بتحقيق الغاية المرجوة:

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾

«النحل: ٩»

وإذا كان لا بد هنا من بيان مفهوم الإرادة كما عبر عنها المفكرون ولا سيما من أعلام المسلمين فإن الفارابي^{٨٠} مثلاً في كتابه «أهل المدينة الفاضلة» قد أوضح معناها بأنها «النزوع عن إحساس أو تخيل».

كما فسرها ابن رشد^{٩٠} كذلك بأنها «قوة فيها إمكان فعل أحد المتقابلين على السواء أي حرية الاختيار» وذلك في كتابه «تهافت التهافت» الذي رد فيه على كتاب «تهافت الفلاسفة» للإمام الغزالي.

وهكذا نرى أن الصلة واضحة تمام الوضوح بين التوكل الذي هو «الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس» وبين الإرادة التي ذكرنا بعض معانيها منذ قليل.

فعندما يتوكل العبد المؤمن على ربه بعد أن يستفد الأسباب فإنما يقوم بعمل إرادى مقصود لأنه يعلم علم اليقين إلى من يتوجه وعلى من يتوكل.

وهكذا نرى أن التوكل بهذا المعنى هو تدريب لإرادة العبد على جدية التوجه، واستقامة القصد والوعي تماماً بالاتساق بين الأسباب والمسببات، والاتساق بين العلل والمعلولات، ويكون بهذا قد وقف على عتبات السنن الكونية وهو ما نسميه في العصر الحديث بالنهج العلمي في التفكير.

رد مضخم للشيخ محمد عبده

ولعله من المناسب في هذا السياق أن نذكر موقف المفكر المعاصر الأستاذ الإمام محمد عبده^{١٠٠} عندما حاجه بعض دعاة الكسل والخمول، و«التواكل» حيث استخلص الإمام الفرق بين التوكل والتواكل من مسيرة حياته الشخصية العملية منذ نشأته الأولى شأنه في هذا شأن «علي مبارك» وفلسفته التربوية التي سجلها في «الاتحة رجب» والتي تعبر بحق عن أحداث طفولته وصباه ومسيرته الذاتية.

والتوكل عند محمد عبده ليس جبرية واستكانة وإنما هو ثقة بالله في السعي والعمل، وعندما حاجه

قومه حول قول النبي صلى الله عليه وسلم «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماساً جائعة وتروح بطناً»^{١١٠} مشبعة وادعى هؤلاء أن الحديث ليس

فيه دعوة للعمل والسعي إذ كيف يسعى الطير ويعمل؟ فرد عليهم الإمام رداً مقحماً فسألهم: هل قال النبي ﷺ «لرزقكم كما يرزق الطير تلبث في أعشاشها وتفتح أفواهها فيسقط فيها الغذاء» أم عبر عن حركة الطير فقال «تغدو وتروح» أي تبدل الجهد في الذهاب والإياب بحثاً عن الغذاء؟

رحم الله الأستاذ الإمام الذي قصد بالتوكل وعدم التواكل استنهاض همم المسلمين خوفاً من ركونهم إلى الخمول وترك العمل تحت ستار الدين فيلبسون الدين غير ثيابه ويظهرونه بغير إهابه^{١٢٠}.

ولكم نحتاج اليوم إلى تعميق هذه المعاني التربوية الإيجابية في أعماقنا وسلوكنا ولا سيما في ظل ظروف معاصرة اختلطت فيها الأمور، وتكثف فيها الضباب حتى كادت الهمم أن تغتر، مما أدى إلى انتشار ثقافة الميل إلى بطء السعي وتقايس الاجتهاد وسرعة الكسب بأية وسيلة ومن أي باب!!



الشيخ محمد عبده

في دعوة للعمل والسعي إذ كيف يسعى الطير ويعمل؟ فرد عليهم الإمام رداً مقحماً فسألهم: هل قال النبي ﷺ «لرزقكم كما يرزق الطير تلبث في أعشاشها وتفتح أفواهها فيسقط فيها الغذاء» أم عبر عن حركة الطير فقال «تغدو وتروح» أي تبدل الجهد في الذهاب والإياب بحثاً عن الغذاء؟

رحم الله الأستاذ الإمام الذي قصد بالتوكل وعدم التواكل استنهاض همم المسلمين خوفاً من ركونهم إلى الخمول وترك العمل تحت ستار الدين فيلبسون الدين غير ثيابه ويظهرونه بغير إهابه^{١٢٠}.

ولكم نحتاج اليوم إلى تعميق هذه المعاني التربوية الإيجابية في أعماقنا وسلوكنا ولا سيما في ظل ظروف معاصرة اختلطت فيها الأمور، وتكثف فيها الضباب حتى كادت الهمم أن تغتر، مما أدى إلى انتشار ثقافة الميل إلى بطء السعي وتقايس الاجتهاد وسرعة الكسب بأية وسيلة ومن أي باب!!

١٠٠- محمد عبده: ١٤٨٩-١٩٠٥ من دعاة الإصلاح المعاصرين مع جمال الدين الأفغاني حرر جريدة الوقائع المصرية، له «رسالة في التوحيد» وشرح كتاب «نهج البلاغة» الذي ينسب إلى الإمام علي رضي الله عنه.
١١٠- لأحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن عمر «الجامع الصغير للسيوطي».
١٢٠- محمد مصطفى السيوطي وآخرون من كتاب «الفلسفة ومشكلات الإنسان» يتصرف

٧٠- تنسب هذه العبارة للفاروق عمر رضي الله عنه.
٨٠- هو أبو النصر محمد الفارابي ٨٧٢-٩٥٠ فيلسوف مسلم أقام في بغداد - تبع في الرياضيات - شرح فلسفة أفلاطون وأرسطو.
٩٠- ابن رشد ١١٥٠-١٢٠٥ من قرطبة، اشتهر في شئون الفقه والفلسفة وحاول أن يوفق بين الفلسفة والدين.

وما هو متعارف عليه في علم اللغة؟ هذا ما سنطوف في رحابه - على قدر ما يحتاج لنا طبعاً - دون أن نسجل كل ما تحت أيدينا، ولكن سنختار منها ما يهم القارئ.

يرى الدكتور «محمد عبدالله دراز» عضو هيئة كبار العلماء سابقاً، أن الرجوع إلى المعاجم - وهو ما لا بد منه في مثل هذا البحث - لا يعطينا كل ما نطلبه في تحديد المراد من الكلمة، لأن مهمة المعاجم إنما هي ضبط الألفاظ، لا تحديد المعاني، وأن مهمتها هي تقويم اللسان، لا تشقيف الجنان، وبعد أن طوّف الشيخ حول ما يراد من كلمة «الدين» في استعمالات اللغة، استخلص النتيجة التالية، حيث قال: فكلمة «الدين» التي تستعمل في تاريخ الأديان لها معنيان لا غير: «(أحدهما) هذه الحالة النفسية التي نسميها «التدين» بمعنى الخضوع والطاعة والعبادة والورع، و(الآخر) تلك الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الجارية أو الآثار الخالدة، أو الروايات الماثورة، ومعناها جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقاداً أو عملاً، وهذا المعنى أكثر وأغلب»^(١).

وبما ورد في معنى كلمة «الدين» لغوياً ما ذكره الشيخ مصطفى عبدالرازق في كتابه

«الدين والوحى والإسلام» حسبما نص عليه الراغب الأصفيهاني في مفرداته، إذ يقول: «والدين يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشرعية، والدين



محمد عبدالله دراز

كاملة، لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد والشرعية» فللدين على رآيه معنيان لغويان أصليان، هما الطاعة، والجزاء، ومعنى الشريعة مستعار من المعنى الأول^(٢).

ويرى هربوت سينسر، وماكس مولر، أن الدين هو نوع من الإدراك لما يغفوت العلم، ويتقطع دونه العقل^(٣).

ويرى البعض أنه «ضبط الحياة الإنسانية عن طريق الشعور برابطة تصل بين الروح الإنساني وروح غيبى يعترف البشر بسلطانه على العالم كله مع شعورهم باتصالهم به»^(٤).

بقي أن نتعرف على دلالة هذه الكلمة في القرآن الكريم، لأنه المصدر الذي يعتمد عليه حينما تتشعب الآراء، وتتصادم، أو تختلف مجرد اختلاف وجهات النظر.. فلنذهب إلى كتاب الله العزيز، ونصفح آراء المفسرين.

(١) ارجع إلى كتاب «الدين» للدكتور محمد عبدالله دراز، وأقرأ من ص ٢٤ إلى ص ٢٩ وما أتيته خلاصة هذه الصفحات. والكتاب من منشورات «الأزهر الشريف» سلسلة البحوث الإسلامية.

(٢) «الدين والوحى والإسلام» مصطفى عبدالرازق ص ٢٤.

(٣) نفس المصدر ص ١٤.

(٤) نفس المصدر ص ٢٧.

«فلئن كان القرآن قد استعمل لفظ دين بهذا المعنى الشامل، كما يدل عليه تسمية نحل المشركين أدياناً في قوله:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

(الكافرون: ٦)

مجازاة لهم واختصاراً لطريق الجدل والمناقشة معهم، وهو ما أسماه البلاغيون «مشاكلة» فإن القرآن قرر في أمر الدين أصولاً جعلت للدين معنى شرعياً خاصاً. فالدين لا يكون إلا وحياً من الله إلى أنبيائه الذين يختارهم من بين عباده، ويرسلهم أمة يهدون بأمر الله كما يؤخذ من كثير من آيات الكتاب العزيز.

من المعروف سلفاً أن كلمة «الدين» وردت في كثير من المواطن في القرآن يصعب حصرها وهو ما يحول دون تتبعها كلها، ولذلك سنكتفى بالحديث عنها كما وردت في الآيات التالية:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾

(آل عمران ١٩)

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

(آل عمران ٨٥)

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾

(الشورى ١٣)

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

(الكافرون: ٦)

لنستخلص منها القول الفصل في المعنى الإسلامي لهذه الكلمة، وهو ما نقف من خلاله على المعنى الذي يراه الباحث جديراً بأن يكون صحيحاً معتمداً.. وسيكون تركيزنا على اثنين فقط من أهم كتب التفسير التي تحت أيدينا، حتى لا نطيل على القارئ، وهما «مفاتيح الغيب» للعلامة الفخر الرازي، وتفسير الإمام العلامة «القرطبي»:

«ففي الآية الأولى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾

يقول الفخر الرازي: «أصل الدين في اللغة الجزاء، ثم الطاعة، وهي تسمى ديناً لأنها سبب الجزاء» (مفاتيح الغيب ص ١٣٦ ج ٤ دار الفد العربي).

ويقول القرطبي: «الدين في هذه الآية، الطاعة والملة» (ص ١٢٨٥ ط كتاب الشعب).

«أما قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

فقد قال العلامة الفخر: «اعلم أنه تعالى لما قال في آخر الآية المتقدمة:

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

(آل عمران ٨٤)

أتبعه بأن الدين في هذه الآية هو الإسلام، وأن كل دين سوى الإسلام، فإنه غير مقبول عند الله، لأن القبول للعمل هو أن يرضى الله ذلك العمل؟ ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه ولذلك قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(المائدة: ٢٧)

أما الإمام القرطبي، فقد اكتفى بإعراب الكلمة، دون أن يضيف شيئاً من معناها اعتماداً على ما سبق أن ذكره في الآية السابقة:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

وَأما قوله تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

فقد قال فيه الإمام الفخر الرازي كلاماً كثيراً ثم خصه في قوله: «وبالجملة فالمقصود من الآية، أنه يقال شرع لكم من الدين ديناً تطابقت الأنبياء على صحته، ثم أضاف الإمام الفخر:

وأقول: يجب أن يكون المراد من هذا الدين شيئاً مغايراً للتكاليف والأحكام، وذلك لأنها مختلفة متفاوتة قال تعالى:

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

(المائدة: ٤٨)

فيجب أن يكون المراد منه الأمور التي لا

تختلف باختلاف الشرائع، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، (مفاتيح الغيب ج٤ ص ١٨).

أما الإمام القرطبي، فقد قال:

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾

أي الذي له مقاليد السموات والأرض، شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ثم بين ذلك بقوله:

﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾

وهو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه ويوم الجزاء، ويسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً. ولم يرد الشرائع إلى مصالح الأمم على حسب أحوالها، فإنها مختلفة متفاوتة، قال الله تعالى:

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

وفي قوله تعالى:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

فقد فسر الإمام فخر الدين الرازي «الدين» بالعادة، وقال: «لكم عاداتكم المأخوذة من أسلافكم ومن الشياطين، ولي عاداتي المأخوذة من الملائكة والوحي» (مفاتيح الغيب ج٦ ص ٧٢٢).

أما الإمام القرطبي فيقول: «ومعنى لكم دينكم، أي جزاء دينكم، ولي جزاء ديني وسمى دينهم ديناً لأنهم اعتقدوه وتولوه» (تفسير القرطبي ص ٧٣١٩ ط كتاب الشعب).

الدين مرادف الإسلام

ومن هنا نستنتج أن «الدين» في القرآن، وهو المتحدث باسم الإسلام، هو الطاعة والانقياد لأوامر الله - عز وجل - وهو مرادف للإسلام الذي هو طاعة وانقياد لله، وأنه ما تطابقت الأنبياء جميعها على صحته وضرورة اتباعه، وهو توحيد الله - عز وجل - وطاعته والإيمان برسله وكتبه ويوم الجزاء والحساب، ويجمع كل هذا ما جاء بصيغة القصر في قول الله تعالى: «إن الدين عند الله الإسلام»، حيث قصر معنى الدين الحق الجدير بهذا الاسم على الإسلام. وهو ما صرحت به الآية الكريمة «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين».

أما أن يطلق القرآن على ما ارتضاه المشركون لأنفسهم من الثبات على ما ورثوه عن أسلافهم وشياطينهم «ديناً» فهو من باب التجوز والمشاكلة، إثارة للمشاركة والمسالمة في الحوار، بعد أن تبين للرسول - ﷺ - شدة عنادهم وثباتهم على طريق الضلال.

ولذلك ترى أن الخضوع والاستسلام والانقياد لا يسمى «ديناً» على وجهه الصحيح إلا إذا كان قائماً على أساسين اثنين:

• **أحدهما:** في صفات الشيء الذي يقدره المتدين، ويخضع له.

• **والثاني:** في طبيعة هذا الخضوع.

أما من حيث تحديد صفات الشيء الذي يقدره المتدين ويخضع له فهي:

• أن يكون ذاتاً مستقلة قائمة بنفسها، وليست مجرد عرض من الأعراض، أو لقب من الألقاب.

• أن يكون غيبياً لا يدركه إلا بعقله ووجدانه، أي أنه وراء الطبيعة.

• أن يكون هذا الشيء ذا قوة فعالة مؤثرة، وأن يكون له أسلوبه الخاص في تصرفاته، هذا الأسلوب الذي يختلف عن الأسلوب الذي تؤثر به المادة فيما حولها.

• أن يكون لها اتصال معنوي بالناس، فهي ليست قوة منظوية على نفسها منعزلة عن العالم، بل تسمع لجواهرهم، وتصفى لشكواهم، وتعنى بآلامهم وآمالهم، وتستطيع إن شاءت أن تكشف عنهم ما يدعونها إليه.

خضوع شعوري اختياري!!

أما من حيث طبيعة هذا الخضوع، فإن التدين هنا لا يقف عند حد التقديس لمعنى الشرف والعرض والحرية والكرامة... وما إلى ذلك من المعاني النبيلة، وما نشعر به من الخضوع والطاعة القهرية لقوانين الكون ومنتهى الثابتة التي لا نستطيع أن ننقضها أو نبطلها، وإن كانت كل هذه المشاعر قاسماً مشتركاً بين الناس جميعاً، وإنما «التدين» خضوع فوق هذا كله، أو قل هو خضوع وراء ذلك كله: حيث يتوجه المرء إليه بالرغبة والرهبة والتقديس، والامتثال لأوامره ونواهيه هو وحده، ولا يشرك معه شيئاً سواه في ذلك.

إنه خضوع «شعوري اختياري» معاً، وهو حين

ما لم يقل عن طه حسين

بقلم الدكتور: أحمد على الجارم

أستاذ متفرغ بكلية الطب جامعة القاهرة
وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة



طه حسين

يرون الحياة إلا قراءة
وعلماء فهم لذلك
متصلون بعصرهم،
يقرعون فتضطربهم
القراءة إلى التفكير،
ويتعلمون فيضطربهم
العلم إلى البحث وتنشأ
لهم من هذا شخصية
قوية ملاكها العقل والخيال والابتكار معا.

وقد أشرت إلى أنه ما كتب هذا الكلام - غير
العلمي وغير الموضوعي - إلا تحت تأثير حالة نفسية
ضاغطة أساسها حقه على هؤلاء الشعراء الكبار لما
لشعرهم من شهرة وذيق وبقاء على الزمان خلاف
ما يكتبه هو من نشر لا يتعدى الصفحة التي كتب
فيها. ولقد حاول أن يكون شاعراً فلم يفلح (راجع
المقال) فاشتغل في حقه مما أفقده توازنه النفسي
فكتب ما كتب مثل هذا الكلام الهزيل.

وقد أرجعت في مقالتي السابق أحد أسباب غضبه

في مقال لي بعنوان «تعلمت من والدي»^(١)
أشرت إلى علاقة الدكتور طه حسين عميد الأدب
العربي كما يقولون بكيار شعراء عصره مثل شوقي
وحافظ إبراهيم وعلى الجارم مما كتبه في كتابه
«حافظ وشوقي»^(٢) عام ١٩٣٣ حيث قال في
ص ١٤٠: «شعراؤنا جامدون في شعرهم لأنهم
مرضى بشيء من الكسل العقلي بعيد الأثر في
حياتهم الأدبية: فهم يزدرون العلم والعلماء ولا
يكبرون إلا أنفسهم ولا يحفلون إلا بها وهم لذلك
أشد الناس انصرافاً عن القراءة والدرس والبحث
والفكر. وكيف يقرعون أو يبحثون أو يفكرون
وهم أصحاب خيال ومن شأن الخيال أن يصعد في
السماء بجناحيه في غير تفكير ولا بحث؟...
الفرق بين الشعراء والكتاب في هذا العصر: أن
الشعراء لا يقرعون ولا يتعلمون ولا يعنيه أن
يقرعوا أو يتعلموا فهم غير متصلين بعصورهم وهم
لذلك عاجزون عن التقدم أو التطور. أما الكتاب
فيقرعون ويتعلمون ويتزيدون من القراءة والعلم ولا

هيناً بالإرادة التي وضعت هذا النظام وحفظته،
لأن من استطاع أن يربط السلسلة، استطاع أن
يقصمها، من أدار الدولاب ذات اليمين قدر أن
يديره ذات الشمال، ومن صرف الأمور بمحض
اختياره على وجه كان في وسعه أن يحدث في
سيرها من العجائب والشواذ والمفاجآت ما
يخرق كل حساب، فيبريء المريض، الذي عجز
الطب عن علاجه، ويخلص الأسير الذي
أوصدت دونه الأبواب، وينزل الغيث في القيط،
وينصر الفتن القليلة على الفتن الكثيرة»^(٣).

من هنا، وانطلاقاً من هذه القاعدة، كان
التصديق بمعجزات الأنبياء، التي هي في
حقيقتها خرق لنواميس الكون ومنته التي
تكرر أمام نواظر الناس منذ ملايين السنين:
مثل قلب العصا حية تسعى، وانغلاق مياه
البحر لتصير كالطود العظيم... ومثل إبراء
الأكف والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله...
ومثل انشقاق القمر، ورد عين الرجل بعد أن
خرجت على خده لتصير أبرأ من السليمة،
وحين الجذع وأتبه شوقاً إلى رسول الله - ﷺ -
حتى يسمعه كل من في المسجد... وغير
ذلك. الكثير والكثير مما يؤمن به أصحاب
«الدين» الصحيح... وصدق أبو بكر - رضي
الله عنه - حين قال في قصة إسراء حبيبه -
ﷺ - ومراحه: «والله إنني لأصدق في خبر
السماء حين يأتي به الوحي في ساعة من ليل أو
نهار، أفلا أصدق في خبر انتقاله - ﷺ - من
المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى!!»

يخضع لعبوده ويسجد لعظمته بفعل ذلك عن
طواعية لا عن كراهية، لأنه يقوم في ذلك بحركة
نفسية من التمجيد والتقدیس، تأتي طبيعتها أن
تأخذ قهراً، وإنما تعطى وتمنع لم يستحقها متى
اقتنعت النفس بهذا الاستحقاق»^(٤).

ومن هنا يحق للمرء - أياً كان دينه شريطة
أن يكون سماوياً صحيحاً موحى به من عند
الله تبارك وتعالى إلى أحد أنبيائه - أن
يسأل: ما قيمة «الدين» في حياة الأمم
والشعوب؟ وما الفرق بينه وبين عبادة
الطبيعة التي يراها فريق «الطبيعيين» من
أمثال ماكس مولر (الألماني) أو جيفونس
(الإنجليزي)، في حالتها: الطبيعة الهائلة،
أو الشاذة الشائرة؟ والجواب على هذين
السؤالين سيكون واحداً لأن أحدهما متعلق
بسبب من الآخر. فنقول:

إذا كانت عبادة الطبيعة - كما يراها
الطبيعيون - تقوم على مزيج من الأمل...
والخوف، أمام دولاب الحوادث، التي لا تتوقف
بخيرها وشرها؟ ولذلك فهي تخضع لسياسة
الأمر الواقع بحلوله ومره... فإن عبادة المتدينين
تقوم على التقوى إلى بواطن الأمور وأعماقها
«فتقيس الوجود بمقاييس العقل، وترنه بموازين
الإمكان؟ وبذلك يتكشف لها الكون عن
حقيقته، فلا ترى في نظامه الواقعي ضرورة
ذاتية، ولا في تبدل هذا النظام استحالة ذاتية،
بل ترى فيه طابع الصنعة الموضوعة، وأثر
الترتيب المقصود، وترى أمر بقائه أو تطوره،

(٦) أرجع إلى كتاب «الدين» للدكتور محمد عبدالله دراز وقرأ الصفحات من ٣٦ - ٤٦.

(٧) انظر كتاب «الدين» للدكتور دراز ص ٤٤ - ٤٦.

١- صحيفة دار العلوم العدد ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٧.

٢- كتاب «حافظ وشوقي» مطبعة الاعتماد، مارس ١٩٣٣.

على «الجارم» بالذات هو اختيار الجارم عام ١٩٣٣ أحد خمسة عشر عضواً عند إنشاء مجمع اللغة العربية وعدم حصوله على العضوية آنذاك ولا بد أنه كان يرى نفسه أحق من الدكتور منصور فهمي الذي اختير ممثلاً لكلية الآداب لعضوية هذا المجمع فاشتط في غضبه وأرغل في تهجمه، ويذكر الأستاذ أنور الجندي نموذجاً لهذا التهجم في كتابه «طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام» (٣) ص ١٢١: «لم يقبل طه حسين بين أعضاء المجمع اللغوي فكانت حملته عليه عنيفة حيث كتب في ذلك الوقت يهاجمه أبشع هجوم ويحاور في أنه لا يصلح لشيء ولا حاجة إليه. فلما أصبح عضواً فيه ثم رئيساً له بعد وفاة لطفي السيد تغير ذلك كله إلى تقدير كامل لأعمال المجمع وأهميته. وفي ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ يقول: والمجمع اللغوي، وبإيؤس المجمع اللغوي، وبإيؤس الناس من المجمع اللغوي، وبإيؤس مصر من المجمع اللغوي. سل المستشرقين عن رأيهم فيه وعن احترامهم له وعن إيمانهم بنفعه فسمع منهم ما يسوء. (دائماً المستشرقين). ويهاجم المجمع في جريدة كوكب الشرق في ٣/٩/١٩٣٤: «لقد أراد حلمي عيسى باشا (وزير المعارف آنذاك) أن يتظاهر بالإجداء على النهضة الثقافية في البلاد فلم يكذب يجد في الصحافة الأصوات متادية بوجوب إنشاء مجمع لغوي حتى راح يستمع فيه إلى الحزبية السياسية فرشح لهذا المجمع عدداً كبيراً من المؤيدين للوزارة أو مديريها أو المشتغلين حتى كادت الفكرة تستحيل بذلك إلى شبه لجنة حكومية لم تنظر في تعيين أعضائها إلى سائر الاعتبارات الجوهرية من سعة الاطلاع وامتلاك

ناحية اللغة (يقصد نفسه بالطبع) واحتفال التاريخ العلمي للعضو فيه بالثأر والإحسان إلى النهضة الثقافية. وقد دارت مناقشات واسعة بينه وبين منصور فهمي عام ١٩٣٧ حول مهمة



على الجارم

المجمع اللغوي تجدها في كتابنا «المعارك الأدبية» في هذه السجلات يقول الدكتور طه حسين: «هون عليك أيها الصديق، فالأمر أيسر من هذا كله فقد عاشت مصر من غير المجمع اللغوي فلم تجذب أرضها الخصبة ولم تغش سماؤها الباسمة ولم يخل نيلها الجواد الكريم، وقد أنشئ المجمع اللغوي في مصر فلم تزد أرضها خصباً ولا سماؤها ابتساماً ولا نيلها كرمًا وجوداً. وقد عاشت اللغة قبل المجمع وعاشت مع المجمع ولو قد ذهب المجمع مع الريح لما تعرضت اللغة لخطر ولا أدر كيفها مكروه» (٤) هذا المجمع هو الذي يتهاكك عليه الدكتور طه في أيامه الأخيرة وهو مريض ليحمل إليه حتى تنشر الصحف صورته ويخطب في الأعضاء ويؤكد نفوذه ويسافر إلى أوروبا ستة شهور في العام ويقوم المجمع بأداء كل مطالب رئيسه الخجوب».

وقد تعلمنا من سبقونا أن الناقد الموضوعي عليه أن يتعرف جلياً على نفسية الكاتب وظروفه - حتى الصحية منها - وظروف مجتمعه قبل الحكم على ما يكتبه. وهنا يجب أن نتعرض للظروف القاسية التي تعرض لها كاتبنا الدكتور طه حسين في طفولته من يؤس وشقاء مما أدى إلى مرض عينيه ثم إلى فقد

بصره وهو في الرابعة من عمره. وهنا اشتجر طموحه الفطري وذكاءه المتقدم مع إمكاناته المحدودة العاجزة. ودعنا نتحرى الآن نتيجة هذه المقابلة القاسية حتى تصل إلى أغوار نفسيته ونفهم أجواء وطبيعة الحياة التي عاشها، المليئة بالسخط والقهر وبالخقد والرفض، والتي أدت إلى إصابته بعقد نفسية متعددة أوضحها عقدة «الاستعلاء» التي لازمته من طفولته إلى شيخوخته.

وقصة أخرى ذكرها الدكتور محمد الدسوقي (٥) في كتابه «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره» وكان يعمل لديه سكرتيراً خاصاً من عام ١٩٦٤ إلى ١٩٧٢ ويكتب ما يقوله طه حسين حرفياً، جاء في هذا الكتاب في ص ٣٥ قول الدكتور طه حسين: «لقد حضرت وأنا طالب في الأزهر مجلساً من مجالس لطفي السيد في الجريدة (وهي التي كان يرأس تحريرها لطفي السيد في ذلك الوقت)، وكان يتحدث عن نابليون وغمدياته وكيف أنه أخذ زوجة من زوجها قهراً وعنوة، ويقول الدكتور طه: وقلت للطفى لقد فعل محمد ذلك (يقصد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام) - أخذ زينب من زوجها زيد. ويحكي الدكتور طه أن الصمت ساد الجميع. وبعد أن انقضى المجلس دعاني لطفي وأمر في أذني: يا بني: لا تتحدث هكذا عن القرآن أمام الناس».

وقد انفعل الدكتور محمد الدسوقي وعلق في كتابه هذا في الهامش بما يأتي: «موضوع زواج الرسول - صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش في الواقع ليس كما أشار العميد، فالرسول

لم يأخذ زينب من زوجها. وملخص الموضوع أن الرسول تبنى زيدا، وكانت عادة العرب في الجاهلية تحريم زوجة المتبنى على من تبناه، فكان زواج الرسول من زينب إطلاً لتلك العادة فضلاً عن أن زينب كرهت زوجها ولم تطق العيش معه، وكان الرسول يتنهبها عن رغبتها في الطلاق من زيد، فزواج الرسول من زينب كان بأمر من الله. وحديث الله العظيم:

﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ

نِسَاءَ وَطَرَّانَ وَخَتَمَهَا إِلَيَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوَاجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُهُمْ مَقْضُوعًا

(الأحزاب: ٣٧)

وكان الدكتور الدسوقي كان أكثر موضوعية عندما شرح في هامش الكتاب قصة زواج زينب وزيد من لطفي السيد (أستاذ الجيل) الذي ما ساءه من الطالب طه حسين سوى أنه أبدى ملاحظته المنكرة هذه أمام المجمع الحاضر بجلسته في مجلة الجريدة بدلاً من أن يذكرها بطريقة أخرى.

وهكذا يستمر الحديث عن الدكتور طه حسين ويستمر الحرص على تفهم نفسيته ومشاعره الداخلية منذ طفولته إلى أن أصبح عميداً للأدب العربي والعوامل المؤثرة في كتابته وأدائه مثل ما حدث منه في كتابته كتاب «في الشعر الجاهلي» وإنكاره لما جاء في القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل.

وعندى الكثير ولكني أكتفي بما تقدم

٥- كتاب «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره» الدار العربية للكتاب (بيروت - تونس ١٩٧٨).

٣- كتاب «طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام» للأستاذ أنور الجندي. صادر من دار الانتماء ١٩٧٧.

٤- تذكرت هنا قول الشاعر: النار تاكل نفسها إن لم تجد ما تأكله. والنار التي أقتنعا الآن في نار الخقد والغيرة العبياء.

طرائف.. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

• وقال المهلب بن أبي صفرة لبيه: إياكم أن تجلسوا في الأسواق إلا عند زراد أو وراق.

الشجاعة في قول الحق

• روى طاووس أن الحجاج سمع رجلاً من اليمن رافعاً صوته بالنلبية في الحرم المكي، فطلبه، فلما مثل في حضرته قال له: أنت من اليمن؟

• فقال: نعم.

• فقال له الحجاج: كيف خلفت محمد بن يوسف؟ (يعني أخاه وكان عاملاً على اليمن).

• فقال: خلفته عظيمًا جسيماً خراجاً ولاجاً.

• قال: ليس عن هذا سألتك، كيف خلفت سيرته في الناس؟

• قال: خلفته ظلوماً غشوماً، غاصياً للخالف مطيعاً للمخلوق.

• فازور الحجاج من ذلك وقال: ما حملك

العناية بطلب العلم

• روى أن داود قال لابنه سليمان - عليهما السلام: لف العلم حول عنقك، واكتبه في ألواح قلبك.

• وروى أنه قال له أيضاً: اجعل العلم مالك والأدب حليتك.

• وقيل لأبي عمرو بن العلاء: هل يحسن بالشيوخ أن يتعلم؟ قال: إن كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم.

• وقال عمرو بن الزبير لبيه: يا بني اطلبوا العلم فإن تكونوا صفاراً لا يحتاج إليكم، فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم.

• وروى عن أحد ملوك الهند أنه قال لولده وكان له أربعون ولداً: يا بني أكثروا من النظر في الكتب وازدادوا في كل يوم حرفاً فإن ثلاثة لا يستوحشون في غربة: الفقيه العالم، والبطل الشجاع، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأي.

على هذا وأنت تعلم مكانته مني؟

• فقال له الأعرابي: أقترأه بمكانته منك أعز مني بمكانتي من الله تبارك وتعالى وأنا واقف بيه، وقاض دينه، ومصديق بيه (صلى الله عليه وسلم)؟

فوجم الحجاج ولم يحر جواباً حتى خرج الرجل بلا إذن.

قال طاووس: فتبعته حتى أتى فتعلق بأستار الكعبة فقال: بك أعوذ وإليك ألوذ، فاجعل لي في المهبط إلى جوارك والرضا بضممانك مندوحة عن منع الباخلين، وغنى غمما في أيدي المستأثرين. اللهم فرجك القريب، ومعرفك القديم، وعادتك الحسنة!

فضل الرجال بالأعمال

قال عبد الله بن المبارك: كل من ذكر لي عنه شيء وجدته دون ما ذكر عنه، إلا حيوة ابن شريح وأبا عون.

ومما أثار عن حيوة هذا وخلد في سجل مناقبه أنه قد يكون في الدرس فتأتي أمه فتقول له: قم يا حيوة ألق الشعر للدجاج فيقوم. وهذا أبلغ ما عرف من طاعة الأمهات.

تأثير الشعر في النفوس

كان بنو أنف الناقية يكرهون أن يدعوا بهذه النسبة حتى مدحهم الخطيئة بها، فانقلب كراحتهم لها إلى افتخار بها. أما قول الخطيئة فهو:

سيرى أمام قبان الأكثرين حصي

والأطيبين إذا ما ينسبون أبا

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم

شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم

ومن يسوى بأنف الناقية الدنيا

معاقل في الليل

وصف أحد الأدباء الليل فقال:

فيه نجم الأذهان، وتنقطع الأشغال، ويصح النظر، وتؤلف الحكمة، وتدر الخواطر ويتسع القلب. والليل أضواء في مذهب الفكر، وأخفى لعمل البر، وأعون على صدقة السر، وتلاوة الذكر. ومدير الأمور يختارون الليل على النهار فيما لم تصف فيه الأناة لرياضة التدبير، وسياسة التقدير، في دفع الملم، وإمضاء المهم، وإنشاء الكتب، وتصحيح المعاني، وتقويم المساني، وإظهار الحجج، وإيضاح المنهج، وإصابة نظم الكلام، وتقريبه من الأفهام.

حسن البديهة

دخل المأمون يوماً ديوان الإنشاء فلقى غلاماً صبيح الوجه مليح الطلعة قد وضع قلمه فوق أذنه فقال: من أنت؟ فقال: أنا الناشئ في دولتك، المتقلب في نعمتك، المؤمل في خدمتك: الحسن بن رجاء. فقال المأمون: بحسن البديهة تتفاضل العقول، ارفعوا هذا فوق مقامه.

الشامتون

إذا ما الدهر جر على أناس
كلاكله أناخ بأخـرينا
فقل للشامتين بنا أقيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

شأنه الجوع

● قيل لبعض الحكماء: أي وقت الطعام فيه أفضل؟ قال: أما لمن قدر فإذا جاع، وأما لمن لم يقدر فإذا وجد.

● وقال الشاعر:

وعادة الجوع فاعلم عظمة وغنى
وقد يزيدك جوراً عادة الشبع
وقال العتيبي: قلت لرجل من أهل البادية:
يا أخي إني لأعجب من أن فقهاءكم أطرف من
فقهاءنا، وعوامكم أطرف من عوامنا،
ومجانيبتكم أطرف من مجانيبتنا!
قال: وما تدري لم ذاك؟ قلت: لا، قال: من
الجوع، ألا ترى أن العود إنما صفا صوته خلو
جوفه؟

● وأحسن من ذلك كله قوله صلى الله عليه وسلم: «حسب الإنسان من الطعام لقيمات يقمن صلبه».

في وجوب التحفظ

قال بعض الحكماء: من عرض نفسه للتهيم
فلا يأمن من أساء الظن.
وقال الشاعر:

ومن دعا الناس إلى ذمه
ذمـوه بالحق وبالباطل
مقالة السوء إلى أهلها
أسرع من متحدر سائل



اللهم يا من ليس قبلك شيء، ويا من
ليس بعندك شيء، ويا من ليس فوقك
شيء، ويا من ليس دونك شيء يا حي يا
قيوم، افض عنا ديننا، وفرج كربنا،
ويسر أمرنا، ووسع رزقنا، وثق أعمالنا،
وصف قلوبنا، واشرح صدورنا. واختم
بالصالحات أعمالنا، وعلى الإيمان
الكامل توفنا، إنك على كل شيء قدير.

قصة العدد

موت أم

لأمير البيان العربي
الأستاذ / مصطفى صادق الرافعي

ما تُعطى من يد خالقها رحمة معروفة أو رحمة
مجهولة. هذه عندى تسمى امرأة، ومعناها العبد
القدس، وتكون الزوجة، ومعناها القوة
السعدة، وتصير الأم، ومعناها التكملة الإلهية
لصغارها وزوجها ونفسها.

ومهما تبلغ المرأة من العلم فالرجل أعظم منها
بأنه رجل، ولكن المرأة حق المرأة هي تلك التي
خلقت لتكون للرجل مادة الفضيلة والصبر
والإيمان، فتكون له حياً وإلهاماً وعزاً وقوة،
أي زيادة في سروره ونقصاً من آلامه.

ولن تكون المرأة في الحياة أعظم من الرجل إلا
بشيء واحد، هو صفاتها التي تجعل رجلها أعظم
منها.

ومشيت من البيت الذى ألبسته الميتة معنى
القبر، إلى القبر الذى ألبس الميتة معنى البيت.
وأنا منذ مشيت في جنازة أمي (رحمها الله) لا
أسير في هذه الطريق مع الأحياء، ولكن مع
الموتى، فأتبع من الميت صديقاً ليس رجلاً ولا

رجعت من الجنازة بعد أن غبرت قدمي ساعة
في الطريق التي ترابها تراب وأشعة، وكانت في
التعش لؤلؤة آدمية محطمة، هي زوجة صديق
طحطحتها الأمراض ففرقتها بين علل الموت،
وكان قلبها يحبها فأخذ يهلكها، حتى إذا دنا
أن يقضى عليها - رحمها الله - فقضى فيها
قضاء. ومن ذا الذى مات له مريض بالقلب ولم
يره من قلبه في علته كالعصفورة التي تهتك
تحت عيني ثعبان سلط عليها سموم عينيه!

كانت المسكينة في الخامسة والعشرين من
سنتها، أما قلبها ففي الثمانين أو فوق ذلك، هي
في سن الشباب وهو متهدم في سن الموت.

وكانت فاضلة نقية صالحة، لم تتعلم ولكن
علمها التقوى والفضيلة. وأكمل النساء عندى
ليست هي التي ملأت عينيهما من الكتب فهي
تنظر إلى الحياة نظرات تحل مشاكل وتخلق
مشاكل، ولكنها تلك التي تنظر إلى الدنيا بعين
متلألئة بتور الإيمان تفر في كل شيء معناه
السموى، فتؤمن بأحزانها وأفراحها معاً، وتأخذ

امرأة؛ لأنه من غير هذه الدنيا، وأمشي في ساعة ليست ستين دقيقة؛ لأنها خرجت من الزمن، ولا أرى الطريق من طرق الحياة؛ لأنني في صحبة ميت، وتصبح للأرض في رأيي جغرافية أخرى غمى الناس عنها لشدة وضوحها، كالألوهية خفيت من شدة ما ظهرت.

يقولون: إن ثلاثة أرباع الأرض يغمرها البحر. أما أنا فأرى في تلك الساعة أن ثلاثة أرباع الأرض لا يغمرها البحر الذي وصفوا، ولكن خضم آخر زخار متضرب، هو ذلك البحر الترابي العظيم المسمى «المقبرة».

يقولون: إن الحياة هي.... هي ماذا - ويحكم - أيها المعرورون، أفلا ترون هذه الصلة الدائمة بين بطن الأم وبطن الأرض؟

لعمري كيف تجعل هذه الحياة للناس قلوباً مع قلوبهم، فيحس المرء بقلب، ويعمل بقلب آخر؛ يعتقد ضرر الكذب ويكذب، ويعرف معرة الإثم ويأثم، ويوقن بعاقبة الخيانة ثم يخون، ويمضي في العمر منتهيّاً إلى ربه، ما في ذلك شك، ولكنه في الطريق لا يعمل إلا عمل من قد فرّ من ربه...؟

هبت الريح في السحبر على روضة غناء فطابت لها، فعمدت عقدها أن تتخذ لها بيتاً في ذلك المكان الطيب لتقيم فيه... يا لها حكمة من التدبير! تزعم الريح الإقامة على حين كل وجودها هو لحظة مرورها، وتعلم بالقرار في البيت وهي لا تملك بطبيعتها أن تقف.

يا لها حكمة سامية، لا يسكنها من المعنى إلا أسخف ما في الحمق!

همد الحى وانطفأت عيناه، ولكنه تحرك في

تاريخه مما ضيق على نفسه أو وسع، وأصبح ينظر بعين من عمله، إما مبصرة أو كالعمياء؛ فلو تكلم يصف الحياة الدنيا لقال: إن هذه النجوم على الأرض مصابيح مائم أقيم بليل وما أعجب أن يجلس أهل المائم في المائم ليضحكوا ويلعبوا!

ولو نطق الموتى لقالوا: أيها الأحياء، إن هذا الحاضر الذي يمر فيكون ماضيكم في الدنيا، هو بعينه الذي يكون مستقبلكم في الآخرة، لا تريدون فيه ولا تنقصون. وإن الدنيا تبدأ عندكم من الأعلى إلى الأدنى: من العظماء إلى الفقراء، ولكنها تنقلب في الآخرة فتبدأ من الفقراء إلى العظماء، وأنتم ترسمونها بخطوط المطامع والحظوظ، ويرسمها الله بخطوط الحرمان والجاهدة؛ إن التام على الأرض من تم بمناعها ولذاتها، ولكن التام في السماء من تم بنفسه وحدها.

يا أسفا! لن يقول الميت للحى شيئاً، ومن يدري؟ لعلنا ونحن نلجأ للموتى ونزّلهم في قبورهم، يرون بأرواحهم الخالدة أننا نحن موتاهم المساكين، وأنا مدفونون في القبر الذي يسمونه «الكرة الأرضية»! وهل الكرة الأرضية من اللانهاية إلا حفرة برجل غملة لتدفن فيها غملة..

الحياة... أتريد أن تعرفها على حقيقتها؟ هي البهيمات الكثيرة التي ليس لها في الآخر إلا تفسير واحد: حلال أو حرام.

ورجعنا مع الصديق إلى بيته، وله خمسة أطفال صغار لو أنهم هم الذين انتزعوا من أمهم لتترك كل واحد على قلبها مثل المكواة الخمد عليها في النار إلى أن تحمر؛ ولكن أمهم هي التي

نزعيت منهم، فكان بقاؤهم في الحياة تخفيفاً لسكرة الموت عليها. وغشيتها الغشية فماتت وهي تضحك؛ إذ تراهم نائمين تحت جناح الرحمة الإلهية الممدود، وقالت: إنها تسمع أحلامهم. وكانوا هم عقلها في ساعة الموت! تبارك الذي جعل في قلب الأم دنيا من خلفه هو، ودنيا من خلف أولادها!

تبارك الذي أناب الأم ثواب ما تعانى، فجعل فرحها صورة كبيرة من فرح صغارها! وجاء أكبر الأطفال الخمسة، وكأنه ثمانية أرتال من الحياة لا ثمانية أعوام من العمر، جاء إلينا كما يجيء الفزع لقلوب مطمئنة، إذ كان في عينيه الباكيتين معنى فقد الأم!

وطغت عليه الدموع فتناول منديلته ومسحها بيده الصغيرة، ولكن روحه اليتيمة تأبى إلا أن ترسم بهذه الدموع على وجهه معاني يتمها!

وظهر الانكسار في وجهه يعبرُ بلاغة أنه قد أحس حقيقة ضعفه وطفولته بإزاء المصيبة التي نزلت به، وجلس مستسلماً تترجم هيئته معاني هذه الكلمة: «رفقاً بى»!

ثم تطير من عينيه نظرات في الهواء، كأنها يحس أن أمه حوله في الجو ولكنه لا يراها!

ثم برّخي عينيه في إغماضة خفيفة، كأنها يرجو أن يرى أمه في طويته!

ولا يصدق أنها ماتت، فإن صوتها حى في أذنيه لا يزال يسمعه من أمس!

ثم يعود إلى وجهه الانكسار والاستسلام، ويتململ في مجلسه، فينطق جسمه كله بهذه

الكلمة: «يا أمى»!

أحس - ولا ريب - أنه قد ضاع في الوجود؛ لأن الوجود كان أمه.

ولس خشونة الدنيا منذ الساعة، بعد أن فقد الصدر الذى فيه وحده لين الحياة لأن فيه قلب أمه وروحها.

وشعر بالذل ينساب إلى قلبه الصغير؛ لأن تلك التي كان يملك فيها حق الرحمة قد أخذت منه وتركته بلا حق في أحد؛ وليس لأحد أمان!

وليسته المسكنة؛ لأن له شيئاً عزيزاً أصبح وراء الزمان قلن يصل إليه!

وليسته المسكنة؛ لأنه صار وحده في المكان كما هو وحده في الزمان!

وارتسم على وجهه التعجب. كأنه يسأل نفسه: «إذا لم تكن أمى هنا، فلماذا أنا هنا؟»!

ثم تغرّغرت عيناه فيخرج منديلته ويمسح دموعه بيده الصغيرة، ولكن روحه اليتيمة تأبى إلا أن ترسم بهذه الدموع على وجهه معاني يتمها! ونهض الصغير ولم ينطق بذات شفة، نهض يحمل رجولته التي بدأت منذ الساعة!

انتهت - أيها الطفل المسكين - أيامك من الأم؛ هذه الأيام السعيدة التي كنت تعرف الغد فيها قبل أن يأتى معرفتك أمس الذى مضى؛ إذ يأتى الغد ومعك أمك!

وبدأت - أيها الطفل المسكين - أيامك من الزمن، وسيأتى كل غد محجباً مرهوباً، إذ يأتى لك وحدك، ويأتى وأنت وحدك!

الأم...؟ يا إلهى، أى صغير على الأرض يجد كفايته من الروح إلا في الأم؟!

تيار المرجعية الإسلامية في نموذج التقدم

دكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الإسلامي في المعرفة، ذلك الذي يجمع ما بين «الوحي» ومعارفه وبين «الطبيعة» وعلومها.. فيقول: «إن تحسين النواميس الطبيعية لا يعتد به إلا إذا قرره الشارع.. والشريعة والسياسة مبنيتان على الحكمة المعقولة لنا أو التعبدية التي يعلم حكمتها المولى سبحانه، وليس لنا أن نعتمد على ما يحسنه العقل أو يقبحه إلا إذا ورد الشرع بتحسينه أو تقبيحه.. فكل رياضة لم تكن بسياسة الشرع لا تثمر العاقبة الحسنى. ولا عبرة بالنفوس القاصرة، الذين حكموا عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التي ركنوا إليها تحسينا وتقبيحا، وظنوا أنهم فازوا بالمقصود، بتعدى الحدود.. فينبغي تعليم النفوس السياسة بطرق الشرع، لا بطرق العقول المجردة»^(١)

التي استغنت «بالعقل» و«التجريب» عن «الدين.. والشرع»، والتي عزلت علمائيتها الدين عن الدولة واجتمعت ومساير شئون العمران.. فتحدث عن أن أكثر تلك البلاد - وإن برعوا في علوم «التمدن المدني».. التي يجب أن نتعلم عليها فيها - إلا أنهم «ليس لهم من دين النصرانية إلا الاسم فقط».. وهم من الفرق المحسنة والمقبحة بالعقل، أو فرقة من الإباحيين الذين يقولون: إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب.. ولذلك، فهم لا يصدقون بشيء مما في كتب أهل الكتاب، لخروجه عن الأمور الطبيعية».

وبعد نقده لهذه الفلسفة الوضعية، التي لا تعتد في العلم والمعرفة بغير «العقل المجرد» و«التجربة الحسية في المادة والأمور الطبيعية»، يبرز انحيازه إلى النموذج والخيار

على امتداد ديار الإسلام.. فهو البذرة الوحيدة التي يمكن أن تنبت في أرض الحياة الإسلامية.. وذلك فضلا عن أنه الطريق الذي أمر الله المسلمين بالتزام السير فيه!..

الطهطاوي ونقد الغرب

• قرفاعة رافع الطهطاوي (١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ - ١٨٠١ - ١٨٧٣ م) - ابن الأزهري الشريف - الذي كان أول عين للشرق على الغرب - لم يكتف فقط برفض الفلسفة الوضعية اللادينية الغربية، والدفاع عن الخيار الإسلامي والشريعة الإسلامية.. وإنما نفذت بصيرته - رغم تألق النموذج الغربي - إلى نظرات نقدية للطابع المادي واللا ديني والتوجه الوضعي لذلك النموذج، فأسس انحيازه للحل الإسلامي على موازنة موضوعية رجحت فيها لديه كثرة الخيار الحضاري الإسلامي، كسبيل للنهضة والتجديد.

لقد انتقد الطهطاوي «الوضعية الغربية»

إبان حقبة الاستعمار المباشر لوطن العروبة وعالم الإسلام، اجتمعت لتيار التبعية الفكرية و«الخيار الغربي» في نموذج التقدم وفي مرجعية النهضة.. اجتمعت له كل إمكانات هيمنة الحضارة الغربية..

إبان تألقها وازدهارها.. وسلطات الدعم الاستعماري للمؤسسات والتيارات التي دعت إليه.. فإن أصالة الهوية الإسلامية للأمة قد أفرزت - في مواجهة هذا التيار - تيار الإحياء والتجديد، الذي دعا إلى تجديد دنيا المسلمين، بتجديد فكرهم الديني.. وإلى اختيار الإسلام سبيلا للإصلاح الإسلامي في مختلف الميادين، وإلى استلهام الحلول الإسلامية علاجا مختلف المشكلات التي يعاني منها المسلمون.. لا تجرد التعصب للإسلام والاستمسك بحلوله التمييزية، وإنما - أيضا - لأن الخيار الإسلامي الحضاري، والسبيل الإسلامي في حل مشكلات التقدم والتجديد، هو الأصلح.. والأففع.. والمعقول.. والمقبول

(١) (الأصل الكاملة لرافعة الطهطاوي) ج ٢ ص ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢

من هنا - وعند الطهطاوي - بسنداً التأسيس لتيار التجديد والإحياء الإسلامي، الناقد للنموذج الحضاري الغربي - لعلمانيته ووضعيته وماديته - والداعي إلى إحياء واختيار النموذج الإسلامي، الجامع ما بين العقل والنقل والتجربة، والمؤسسة سياساته على العلوم والمعارف الشرعية، والجامع ما بين علوم الحكمة المعقولة لنا والأحكام التعبدية التي لا يعلم حكماتها إلا الله.

وهو خيار حضاري، قد تبلور - عند الطهطاوي - من خلال الدراسة المقارنة في النموذج الغربي وليس فقط بالميراث والتقليد...

وعندما يلمح الطهطاوي بواكير تسلي القوانين الوضعية الأوروبية إلى «الجالس التجارية المختلطة» في بعض المدن الإسلامية - بعد زيادة اغتالطات والمعاملات التجارية مع أوروبا - يدعو إلى تحكيم الشريعة الإسلامية والاحتكام إليها، ويطلب تقنين فقه معاملاتها ليفي بجميع احتياجات الحياة المعاصرة، فيقول: «إن المعاملات الفقهية لو انتظمت، وجرى عليها العمل، لما أخلت بالحقوق، بتوفيقها على الوقت والحالة... ومن أمعن النظر في كتب الفقه الإسلامية ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية... إن بحر

الشريعة الغراء، على تفرع مشاريعه، لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها بالسقي والري، ولم تخرج أحكام السياسة عن المذاهب الشرعية؛ لأنها أصل وجميع مذاهب السياسات عنها بمنزلة الفرع»^(٢)

وعندما نقارن موقف الطهطاوي هذا، الرافض للقانون الوضعي الأوروبي، والداعي إلى البديل والحل الإسلامي - الشريعة الإسلامية.. وفقه معاملاتها.. - عندما نقارنه بسعي رفقاء المعلم يعقوب حنا - ١٨٠١م - عام ولادة الطهطاوي - إلى إحلال النظم والشرائع الفرنسية في مصر - ندرك أننا أمام غمطين من المرجعيات والحلول.. النمط الغربي، ذو المرجعية الغربية، وحلوله الوضعية والعلمانية، الهادفة إلى عزل بلادنا عن هويتها الإسلامية، وعن محيطها الإسلامي.. والنمط الإسلامي، ذو المرجعية الشرعية، وحلوله النابعة من هويتنا الإسلامية والاجتهاد الإسلامي الذي يمتد بفقه المعاملات إلى حيث تستجيب أحكامه للمستجدات.

لقد مثل الطهطاوي - على درب مواجهة العقل المسلم لمشكلات التقدم والتغيير - لحظة النقد الواعي للحل الغربي، وبداية الاختيار الواعي للحل الإسلامي، الجامع - في مرجعيته - بين «الروحي» و«العقل» بين

«الشرع» و«النواميس الطبيعية»، والتميز لذلك، عن الحلول الغربية العلمانية، ذات المرجعية الوضعية والمادية..

الأفغاني وحركة الجامعة الإسلامية

• وعلى يد جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ - ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م) وحركة «الجامعة الإسلامية» التي قادها، تعمق فكر تيار الإحياء والتجديد والخيار الإسلامي للنهضة، وامتد إلى أنحاء كثيرة من عالم الإسلام.. فانتقد الأفغاني دعاة التحديث على النمط الغربي وقال: «إنه لا ملجئ للشرقي في بدايته أن يقف موقف الغربي في نهايته».. ورأى في استعارة الدولة العثمانية ومصر لحلول ونماذج التمدن الغربي في التحديث «تحديشا شكليا» و«تقليدا» لنموذج إن مثل تمدنا طبيعيا في أوروبا فإنه مقحم وغير طبيعي في عالم الإسلام.. وقال: «لقد شيد العثمانيون عددا من المدارس على النمط الجديد، وبعثوا بطوائف من شبانهم إلى البلاد الغربية ليحملوا إليهم ما يحتاجون من العلوم والمعارف والآداب، وكل ما يسمونه «تمدنا»، وهو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الإنساني.. فهل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من ذلك؟.. ربما وجد بينهم أفراد يتشدقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية



الأفغاني

وما شاكلها.. ومنهم آخرون قلبوا أوضاع المباني والمساكن وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفُرش والآنية وسائر الماعون، وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الأجنبية، وعدوها من مفاخرهم.. فنفوا، بذلك، ثروة بلادهم إلى غير بلادهم.. وأمانوا أرباب الصنائع من قومهم؟

ثم يقطع الأفغاني بأن هذا التحديث على النمط الغربي هو اختراق أجنبي للكيان الحضاري الإسلامي المتميز، يقوم فيه المقلدون بدور «الطايور الخامس».. فيقول: «لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة، المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها.. وطلّاع لجيوش المغالبيين وأرباب الغارات، يمهّدون لهم السبل، ويفتحون الأبواب، ثم يثبّتون أقدامهم»^(٣)!

ذلك أن للإسلام بديلا متميزا عن النموذج الغربي في التغيير والتجديد، مرجعيته - كما يقول الأفغاني - «الدين»، الذي هو السبب المفرد لسعادة الإنسان. فلو قام الدين على قواعد الأمر الإلهي الحق، ولم يخالطه شيء من أباطيل من

(٢) (الأعتال الكاملة لجمال الدين الأفغاني) ص ٢٢٢، ٢١٥ - ٢١٧. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

(٣) المصدر السابق، ج ١ ص ٤١٤، ٣٦٩، ٣٧٠.

يزعمونه ولا يعرفونه، فلا ريب أنه يكون سببا في السعادة التامة والنعيم الكامل، ويذهب بمعتقديه في جواد الكمال.. ويصعد بهم إلى ذروة الفضل.. ويرفع أعلام المدنية لطلابها.. فيظفروهم بسعادة الدارين.. إن العلاج الناجع لاحتطاط الأمة الإسلامية إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها، والأخذ بأحكامه على ما كان في بدايته.. فهي متناصلة في النفوس، والقلوب مطمئنة إليه، وفي زواياها نور خفي من محبته، فلا يحتاج القائم بإحياء الأمة إلا إلى نفخة واحدة يسرى نفسها في جميع الأرواح لأقرب وقت.. فإذا قاموا، وجعلوا أصول دينهم الحقنة نصب أعينهم، فلا يعجزهم أن يبلغوا في سيرهم منتهى الكمال الإنساني..

أما الذين يستبدلون المرجعية الغربية والتمدن الأوروبي بالنموذج الإسلامي والمرجعية الإسلامية للتغيير والتجديد، فعتهم وعن تحديثهم الغربي يقول الأفغانى: «وأما من طلب إصلاح الأمة بوسيلة سوى هذه، فقد ركب بها شططا، وجعل النهاية بداية، وانعكست التربية، وانعكس فيها نظام الوجود، فانعكس عليه القصد، فلا يزيد الأمة إلا تحسا، ولا يكسبها إلا تعسا»^(١٢)

محمد عبده ومدرسة المنار



وعلى هذا السدب -درب الإحياء والتجديد لدينا المسلمين بإسلامية مشروع النهضة والتغيير.. سار الإمام محمد عبده (١٢٦٥-١٣٢٣هـ)

١٣٢٣هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) ومدرسة (المنار) التي رعاها الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ - ١٨٦٥ - ١٩٣٥م).. فانتقد الشيخ محمد عبده النزعة المادية للنموذج الحضاري الغربي، عندما تحدث عن مدنيته فقال: «إنها مدنية الملك والسلطان، مدنية الذهب والفضة، مدنية الفخفخة والبهرج، مدنية الختل والتفان، وحاكمها الأعلى هو «الجنية» عند قوم، والليبرالية، عند قوم آخرين، ولا دخل للإنجيل في شيء من ذلك»^(١٣).. على حين تميز الإسلام، ومن ثم نموذج الحضاري، بالوسطية الجامعة بين الدين والدولة.. والروح والمادة.. والدنيا والآخرة.. فلقد «ظهر الإسلام، لا روحانيا مجردا، ولا جسديا جامدا، بل إنسانيا وسطا بين ذلك، آخذا من كل القبيلين بنصيب، فتوفر له

من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره؛ ولذلك سمي نفسه: دين الفطرة. وعرف له ذلك خصومه اليوم، وعدوه المدرسة الأولى التي يرقى فيها البرابرة على سلم المدنية.. إن الإسلام دين وشرع، فهو قد وضع حدودا، ورسم حقوقا.. ولا تكتمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود، وتنفيذ حكم القاضي بالحق، وضون نظام الجماعة. والإسلام لم يدع ما لقيصر لقيصر، بل كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله، ويأخذ على يده في عمله.. فكان الإسلام: كمالا للشخص، وألفة في البيت، ونظاما للملك، امتازت به الأمم التي دخلت فيه عن سواها ممن لم يدخل فيه»^(١٤).

وبعد هذا الحديث عن تميز الإسلام، ومن ثم نموذج الحضاري، عن النموذج الغربي في المرجعية والتحديث.. يدعو الشيخ محمد عبده تيار التقليد للغرب إلى الإقلاع عن محاولاتهم.. «قاليدرة» الغربية غير صالحة للإنبات في «التربة» الإسلامية.. والإسلام هو السبيل الوحيد للإصلاح في أمة الإسلام وواقع المسلمين؛ ذلك «أن أنفسهم قد أشرقت

الانقياد إلى الدين حتى صار طبعها فيها، فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد يذر بذرا غير صالح للتربة التي أودعه فيها، فلا ينبت، ويضيع نعيمه، ويخفق سعيه. وأكبر شاهد على ذلك ما شوهه من أثر التربية التي يسمونها أدبية، من عهد محمد علي إلى اليوم.. فإن المأخوذون بها لم يزدادوا إلا فسادا. وإن قيل إن لهم شيئا من المعلومات -فما لم تكن معارفهم وآدابهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها في نفوسهم.. إن سبيل الدين، لمريد الإصلاح في المسلمين، سبيل لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارضة عن صبغة الدين، يحوجه إلى إنشاء بناء جديد، ليس عنده من مواده شيء، ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحدا. وإذا كان الدين كافلا، بتهذيب الأخلاق، وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة فيه مالم يس لهم في غيره، وهو حاضر لديهم، والعناء في إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا إمام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟»^(١٥)

- يتبع -

(٦) المصدر السابق: ج ٢ ص ٢٠٧، ٢١٢.

(٧) المصدر السابق: ج ٢ ص ١١٣، ٢٤٨.

(١) المصدر السابق: ج ١ ص ١٧٣، ١٩٧ - ١٩٩.

(٢) محمد عبده (الأعمال الكاملة) ج ٢ ص ٢٢٣. دراسة وتحقيق: د. محمد عناية طبعه القاهرة سنة ١٩٩٢م.



أوهام الشرق الأوسط

تأليف
ناعوم تشومسكي
تعريب:
شيرين فهمي

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عزمي
الأستاذ بجامعة الأزهر

كما تتلون الحرباء فتخدع من يتعامل معها بالتخفى أو تجعل نفسها في هيئة مقبولة مرضى عنها شكلا وسلوكا... كذلك يتلون قادة الدول الغربية ليخدعوا الآخرين - خصوصا قادة الدول العربية والإسلامية - فيجعلون من أنفسهم رادة للديمقراطية، حماة لحقوق الإنسان، يسعون لمعاونة هؤلاء الآخرين، بينما هم يخفون تدابير استغلال هؤلاء الآخرين واستعمارهم من جديد.

ومن أبرز مظاهر هذا التلون الغربى الخداع فى زماننا هذا مشروع الشرق الأوسط الذى تولى الإعلان عنه والترويج له حديثا الرئيس الأمريكى جورج بوش والمتعلقون بأذياله من قادة أوروبا وما لابس هذا المشروع من دعوى محاربة الإرهاب التى جعلها ستارا يحارب من ورائه كل من ينهض لمقاومته من أحرار الأمة.

ولكن بصيصاً من نور الحقيقة انطلق من أقلام وألسنة طائفة من مفكرى الغرب الذين حركتهم نزعاتهم الإنسانية وتوجهاتهم الحياضية لكشف مثل هذا التلون الحربائى.

وعلى هذا الطريق الكاشف قدم ناعوم تشومسكى كتابه «أوهام الشرق الأوسط» الذى تقدمه فى سلسلة «كتاب الشهر» لقراء مجلة الأزهر الغراء.

وهذا الكتاب قامت بتعريبه شيرين فهمي لتنشره معربا دار الشروق الدولية بالقاهرة فى طبعته الثانية ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ويضم تقديمًا وخمسة فصول، تشغل تسعا ومائة صفحة من القطع المتوسط.



شاه إيران

بوش

إلى مد نموذج «مونرو» إلى مناطق الشرق الأوسط المنتجة للنفط حتى يكون لها الحق المطلق فى التصرف كما يحلو لها دون اكتراث يتدخل الأمم المتحدة أو محكمة العدل الدولية أو أى طرف آخر.

وقد تحقق مسعاها فى ظل إدارة كليتون حيث نجحت فى تطبيق نموذج «مونرو» فى الشرق الأوسط فرائنا (مادلين أولبرايت) عندما كانت سفيرة أمريكا فى الأمم المتحدة تقول أمام مجلس الأمن: «إننا نعتبر منطقة الشرق الأوسط ذات أهمية قصوى للمصالح الأمريكية القومية ولذلك لا نعتزق بأى حدود أو عراقيل أو حتى بقوانين دولية أو أمم متحدة».

وفى سبيلها إلى ذلك كان على الإدارة الأمريكية أن تحقق ثلاث مهام هى:

١- دفع الشعب الأمريكى إلى الإجماع على (أن الصناعة المتقدمة لا تتحقق إلا بالدعم الحكومى) حتى تتمكن بذلك من تعميم التكاليف وانخاطر على كل الشعب وتخصيص

أما المؤلف فهو الأستاذ ناعوم تشومسكى اليهودى الأمريكى أحد الناشطين السياسيين وأستاذ اللغويات فى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا منذ عام ١٩٥٥ وقد كتب وحاضر على نطاق واسع فى اللغويات والفلسفة والسياسة وقدم كثيرا من الكتب التى تدور فى هذا المحور حتى أصبحت حركات السلام والعدالة الاجتماعية فى كل أنحاء العالم تحتفى بجهوده من أجل المزيد من الديمقراطية.

السلام فى الرؤية الأمريكية

وقد بدأ تشومسكى يكشف ما تعنيه أمريكا بالسلام فى الفصل الأول «عملية السلام فى الاستراتيجية الأمريكية العالية» قدم من أقوال المسؤولين المدعومة بالأهداف الواقعية ما يعرف بالمقاصد الأمريكية من عملية السلام التى لا ينقطع عن التشديق بها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية عندما أصبحت الولايات المتحدة هى القوة المهيمنة على العالم.

وكان الحصول على «النقط» والهيمنة على متابعه فى مقدمة الدوافع الأمريكية فى قراراتهم وسياساتهم وقد بدا ذلك واضحا فى عدم اكتفائهم بالسيطرة المطلقة على نصف الكرة الغربى بواسطة وثيقة «مونرو» وسعيهم الحثيث للهيمنة الكاملة على الشرق بفرض وثيقة أخرى مثل وثيقة «مونرو» فقد سعت واشنطن

السلطة والربح ليسهل إخفاء الدعم أو قبوله تحت ستار الأمن القومي وبذلك ترفع قيمة الإنفاق الحربي على حساب خفض الدعم الاجتماعي.

٢- إعادة بناء اقتصاد الدول الصناعية وإعادة نظمها الاقتصادية لتتمكن من السيطرة على الطرق المؤدية إلى منافذ الشرق للوصول إلى آبار النفط السعودي فكان عليها:

• **أولاً:** أن لا تسمح بقوة كبرى أخرى تهيمن على إيطاليا ولذلك أصبحت إيطاليا هدفاً أساسياً للمخابرات الأمريكية المركزية التي عملت على تقويض الديمقراطية الإيطالية بما قدمته من تمويل للأحزاب السياسية كي تهيمن على مسار الانتخابات على الرغم من عدم مشروعية ذلك في الداخل الأمريكي.

• **ثانياً:** دعم اليونانيين في التخلص من الحكم الفاشي لتضمن السيطرة كذلك على النفط الشرق أوسطى فقد كانت أمريكا تراه مصدراً هائلاً للقوة الاستراتيجية.

• **ثالثاً:** إعادة المستعمرات السابقة إلى وظيفتها التقليدية المرتكزة على توفير السعادة والرفاهية للنظام الرأسمالي العالمي وهذا جعلها ترى أن خطراً كبيراً يكمن في الدعوة إلى الاقتصاد القوي لقيامه على مبدأ حصر الإفادة من تنمية مصادر الدولة في شعب تلك الدولة.

الغاية تبرر الوسيلة

ولكى يتحقق لأمریکا هذا المقصد تجاهلت كل ما يتعلق بحقوق الإنسان من شن الحروب على أي دولة تعوق مسيرتها الاستعمارية وسفك الدماء وفرض حكومات من رجال البتوك ورجال الأعمال وتجار اغتدرات لتضمن بتلك الحكومات تنفيذ إرادتها ولقد بدأت ذلك في بنما ثم التزمت به في الشرق الأوسط معتمدة على «القيتو» في إجهاض كل المحاولات التحريرية من العرب ومن الفلسطينيين على وجه الخصوص.

وقد استغل الرئيس جورج بوش مناسبة احتلال بنما ليعلن استمراره في مساعدة صديقه وحليفه صدام حسين حرصاً منه على ضمان السيطرة الأمريكية على أغنى مخزونات النفطية في العالم معتمداً على ذلك على إساند الإدارة المحلية إلى واجهة عربية منبثقة عن التوجهات الديكتاتورية التي تعد النموذج المفضل والمحب فعلى الرغم من سلوكياتها الوحشية وغير الآدمية تحظى مثل هذه الواجهات بالاحترام والحماية مادامت تخدم مصالح الولايات المتحدة في شتى المجالات.

فإذا قامت هذه الحكومات الديكتاتورية بمهمتها على أكمل وجه تلقت المكافأة الضخمة من قبل دافع الضرائب الأمريكي الذي لا يعرف شيئاً

عما تقدمه هذه الحكومات أو العائلات.

ولأن الواجهات العربية تتسم بالضعف والطاعة كانت معرضة للقلاقل الجماهيرية الداخلية الساعية إلى استفادتها من ثرواتها فأصبحت هذه الواجهات في حاجة إلى الحماية مما ألجأ أمريكا إلى فرض رجال شرطة محليين مستعدين لتنفيذ ما يطلب منهم كما وصفتهم إدارة نيكسون مثل إيران في ظل الشاه وتركيا وإسرائيل وباكستان.

ومن سائلهم: إسرائيل وعراق صدام

وذكر تشومسكي من بين الوسائل التي تبررها الغايات الأمريكية بقاء دولة إسرائيل كما يوضحه الجنرال (شلومو جازيت) الرئيس السابق للمخابرات العسكرية الإسرائيلية في قوله: «إن مهمة إسرائيل الأساسية لم تتغير على الإطلاق فهي باقية على أهميتها وضرورتها الحاسمة فموقعها في مركز الشرق الأوسط العربي المسلم يقدر لها أن تكون حارساً للاستقرار في جميع الدول المحيطة بها وذلك يتمثل في حماية الأنظمة القائمة من خلال منع أو وقف العمليات الراديكالية ومنع توسع أي حماس أصولي ديني».

وعلى هذا الطريق بدأ مع سبعينيات القرن العشرين التحالف بين إسرائيل وإيران الشاه حيث شاركوا السعودية في إحباط العناصر الراديكالية في دول عربية بعينها ولما سقط الشاه عام ١٩٧٩

تنامت أهمية دور إسرائيل كرجل شرطة في المنطقة.

ولذلك عملت أمريكا على حماية إسرائيل والوقوف مع أطماعها الاستيطانية ضاربة بالقرارات الدولية عرض الحائط عن طريق استخدام حق «الفييتو» كلما ظهر من مجلس الأمن أي اتجاه للوقوف في وجه إسرائيل غير آبهة بتعرضها هي وإسرائيل إلى عزلة دبلوماسية كاملة حتى أصبحت واشنطن في نهاية عام ١٩٨٨ موضع سخيرة العالم.

ومع ذلك كله رفضت الولايات المتحدة إعلان مؤتمر فيينا عن حقوق الإنسان في عام ١٩٩٣ الذي نص على أن أي احتلال خارجي يمثل انتهاكاً لحقوق الإنسان وقررت أن الإضرابات في الأراضي المحتلة تعد أعمالاً إرهابية ضد إسرائيل.

ولكى تمكن لإسرائيل في المنطقة أخذت في تحريك صدام حسين لغزو الكويت عن طريق وزارة الخارجية الأمريكية التي أوضحت لصدام أن واشنطن لن تمنع في تصحيحه للحدود المتنازع عليها مع الكويت وأرسلت إليه إدارة جورج بوش الأب المعونات للقيام بذلك الدور حتى لقد تخوفت إدارة بوش من انسحاب سريع من الكويت حذر منه كولن باول رئيس أركان الجيش حتى لا تفشل الخطة الأمريكية.

ومع ديكتاتورية صدام الباطشة فضلت

أمريكا أن تمكن لروحش بغداد ليحكم قبضته الحديدية على العراق رافضة التحدث مع العراقيين الديمقراطيين قائلة لصدام حسين: «الحال مستتب الآن يمكنك القيام بأى أعمال وحشية، مع دعمه من تركيا وإسرائيل».

ومن هنا صار الطريق مفتوحاً أمام الولايات المتحدة لتحقيق مبادئ أساسيين كانت تدعمهما في صمت هما:

- لا للمؤتمرات الدولية.
- لا لحق تقرير المصير للفلسطينيين.

وهكذا... يتضح من السياسة الأمريكية اعتمادها على مبدأ: «الفساد المتفشى في الدول العميلة لا يعد مشكلة كبيرة، كما هو الحال في الدولة الكبرى الممولة مادام الناس دور الأهمية يأخذون نصيبهم».

والهيمنة على الفلسطينيين بالأوهام

وكان من أبرز وسائلهم الوقحة إغراق الفلسطينيين في أوهام المؤتمرات من «مؤتمر أوصلو ١» و«أوصلو ٢» إلى مؤتمر «مدريد» حتى جعلوهم يوهمون أنفسهم ويوهمون غيرهم بأن إسرائيل قد ألزمت نفسها بالانسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس وفق قرار ٢٤٢ أو غيره من القرارات أو بأن الإسرائيليين وافقوا على منح الفلسطينيين السيادة على المياه والاتصالات والنقل أو بأن مبادرة «مدريد» قد تضمنت تطبيق قرارات الأمم المتحدة

على فلسطين وتنفيذها أو بأن «مصطلحات المرجع» لعملية السلام يتم تقديمها وعرضها عبر قرار مجلس الأمن ٢٤٢ واتفاقيات أوصلو ومؤتمر مدريد التي تحتفظ بمبدأ «الأرض مقابل السلام». فالأفعال والوثائق يؤكدان أن كل هذه المقولات ليس فيها شيء من الحقيقة كما يصرخ بذلك الواقع في داخل إسرائيل وفي الشتات الفلسطيني خصوصاً بعد رفض كلينتون قرار الأمم المتحدة ١٩٤ الذي تحدث عن المعنى الدقيق للمادة ١٣ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

سلام اليرابيع

وفي الفصل الثاني (إمكانات السلام في الشرق الأوسط) استعرض (تشومسكي) طائفة من التصريحات والأفعال الأمريكية التي تكشف مفهوم السلام عندهم والتي توضح أن السلام الأمريكي شعار يماثل نفق اليربوع أو الثعلب ذا الفتحتين اللتين تمكناهما من الفرار والروغان فإذا طلب من منفذ هرب من المنفذ الآخر.

والقادة الأمريكيون - بسلامهم هذا - ينطلقون على طريق يربهم الأشياء وفق مقاصدهم مع تحييبهم الوقوف أمام المرأة الصقلية التي تربهم حقيقة أنفسهم وما يباشرونه من جرائم استجابة لعقيدة تهيم عليهم وتقرر أنه لا بد من التركيز على جرائم الآخرين ونديها والنواج عليها مع تجاهل جرائمهم وإنكارها.

ولكى يحدثوا التأثير المقصود في

نفوس الآخرين لجأوا إلى تسليط الأضواء الإنسانية في شتى الأدبيات على جرائم الآخرين مع الإطلام التام على أعمالهم الوحشية المريعة.

وقدم تشومسكي ثلاثة مواطنين شرق أوسطية برز فيهما هذا النهج الأمريكي مزدوج المعايير هي العراق في علاقة صدام بالشعب وتركيا في موقفها من الأكراد وإسرائيل في تعاملها مع الفلسطينيين.

١- فسقى العراق... وضع النهج الأمريكي في عمليات الإبادة والتدمير للشعب العراقي بنحجة تمكين صدام من إحكام قبضته على الشعب العراقي وفق ما جاء في تصريحات (مادلين أولبرايت) فكان مصدر تهديد وقلق للدول المجاورة بما يرتكبه من أفظع الجرائم وأشرسها في ظل التأييد الأمريكي المطلق.

فعلى الرغم من التسليم بأن المعاناة العراقية ليست إلا نتيجة خطأ صدام الذي لا يرون فيه إلا وحشاً ظل صدام هذا صديقاً مفضلاً وشريكاً تجارياً وحليفاً للأمريكيين بغض النظر عن هذه الوحشية الشرسة الصارخة.

٢- وفي سبيل تخلص أمريكا من الأكراد الذين تلمس فيهم صلاية المقاومة أعانت حليفها الاستراتيجي تركيا لتقوم بذلك الدور وظلت تلك المعونات في التنامي حتى زادت عام ١٩٩٧ عن جميع ما قدمته أمريكا في المدة من ١٩٥٠ إلى ١٩٨٣.

وبهذه المعونات قتل من الأكراد عشرات الآلاف ودمر ثلاثة آلاف وخمسمائة قرية كردية وهرب نحو ثلاثة ملايين لاجئ تصنع أمريكا كل هذا تحت شعار «المبادئ والمثل والسعي للدفاع عن حقوق الإنسان».

٣- وبالنسبة للإسرائيليين فإن الأمر أكثر وضوحاً فلما ذهب شارون مع حوالي ألف جندي لافتحام المسجد الأقصى في ٢٩ من سبتمبر سنة ٢٠٠٠ لم يبد من الأمريكيين أى تعليق وحين هبت «انتفاضة الأقصى» بسبب ذلك الافتحام جاء رد الفعل الأمريكي سريعاً متمثلاً في مقولة السفير الأمريكي «مارتين إنديك»: «نحن لا نؤمن بمكافأة العنف» فقامت الطائرات الأمريكية بقودها الإسرائيليون بتصفيد العنف قتلاً وتدميراً طوال شهر أكتوبر ثم تحولت في شهر نوفمبر لاستهداف الرموز السياسية واغتيالها على الرغم من إصدار تقرير من منظمة العفو الدولية يلزم أمريكا بعدم إرسال طائرات عسكرية إلى إسرائيل تحت هذه الظروف ولكن وزارة الدفاع الأمريكية - في تحد لهذا التقرير أبرمت اتفاقية تقضي بصفقة قيمتها نصف بليون دولار لإرسال طائرات الأباتشي المهاجمة لإسرائيل.

وعلى الرغم من اطلاع المكاتب الإعلامية على هذا لم يرغب واحد أن يطلع قراءه على شيء من ذلك.

يـعـ

بيده

المصحف

9

المجلات

إعداد

محمود الفشنى

علاء عبد الرحمن

الشريعة وصلت بريطانيا!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ حازم عبد الرحمن فى جريدة الاهرام الصادرة فى ٢٠٠٨/٢/١٧ يقول:

أدلى أسقف كنيسة إنجلترا بتصريحات مهمة حول الشريعة الإسلامية، واقترح ضرورة النظر فى إمكان تطبيق جوانب منها على المسلمين المقيمين فى بريطانيا.. والمهم فى هذه التصريحات، ليس دلالتها المباشرة فقط، بل سعيها إلى هدم الصورة النمطية التى يجرى تكوينها فى بريطانيا عن الإسلام والمسلمين، وكيف أنها أثارت ردود فعل قوية وفورية من فئات مختلفة فى المجتمع البريطانى.

جاءت تصريحات روان ويليامز، أسقف كانتربرى، فالرجل يعلم جيداً أن كل ما يراه حوله، وأمامه سواء فى جانب المسلمين، أو فى جانب الغالبية العظمى من البريطانيين، هو سياسة، وتقاليد اجتماعية، وتراث، لا شأن للدين الإسلامى به، بل إنه يرى فى صميم وجدانه، أن هذه الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين هى صورة ظالمة، وخطيرة ويجب تغييرها.

وأهم ما يحتم هذا التغيير، هو أنه خلال السنوات الأخيرة، أخذت تزداد أعداد المسلمين، الذين يتخذون، ليس من بريطانيا وحدها، بل من كل دول أوروبا، وأمريكا الشمالية، مستقراً دائماً لهم لأسباب لا تحصى، وهو يدرك تماماً أن هذا التزايد السكانى يفيد المجتمعات الغربية بخيرات وكفاءات نادرة هى فى ميس الحاجة إليها.

والآن.. كيف يتم التعامل مع هؤلاء؟

الأسلوب التقليدى القائم على أساس التعامل باستعلاء، وحصر أو عزل الوافدين فى أحياء معينة، لن يكفى. ففى العمل، والمواصلات، والمطاعم، ودور السينما والمسارح والمتنزهات، وفى الانتخابات.. فى كل هذه المجالات يختلط

الجميع معاً. وليس من الطبيعى، ولا من المقبول، ولا من الإنسانية فى شيء، أن ينظر الجار إلى جاره على أنه أقل منه أو دونه، أو يزدريه ويحتقره. ففى مثل هذه الظروف ستكون فى وجدان هذا الجار نوازع العنف والنظر والفرقة فى القتل.

ولا يمكن تخيل أن هذه الأعداد ستوقف عن التزايد.. إذن فتأثير هؤلاء لا بد من الاعتراف به.. وأبسط أشكال هذا التأثير على الأقل، هو أن تبدأ دول غرب أوروبا، وأمريكا الشمالية، فى التعامل معهم، وفقاً لعقائدهم وأديانهم، وبذلك توفر لهم طريقة إضافية للاندماج فى المجتمع. فليس يكفى الاندماج عن طريق العمل، والنشاط اليومى والسياسى بل لابد من الانفتاح عليهم فى القضايا الوجدانية، قضايا القيم العميقة التى تؤثر فيهم، هذا هو جوهر محاولة أسقف كانتربرى، عندما قال، أو اقترح، أنه يعتقد أن تنظيم الزواج بين المسلمين فى بريطانيا مثلاً عن طريق الشريعة الإسلامية، هو أمر فى مصلحة المجتمع البريطانى كله.

وعلى الرغم من أن أغلب ردود الفعل كانت سلبية، إلا أننا علينا أن نميز بين موقفين، فى غاية الأهمية: الأول: موقف رئيس الوزراء جوردون براون، فقد قال المتحدث باسمه أنه يعترف بأن ما قاله الأسقف، يكشف عن شجاعة وبصيرة عميقة لدى روان ويليامز، ولكنه فى الوقت نفسه، لا يقبل بوجود قوانين موازية غير بريطانية تطبق على جزء من الناس

دون الآخرين، وبذلك يصبح فيها نظامان قانونيان.

أما الموقف، فهو موقف المجتمع المقدس للكنيسة الإنجيليكانية الذى أيد بالكامل موقف الأسقف، وامتدح شجاعته فى الجهر برأى صدم الكثيرين، ولكن من «سوى» أسقف إنجلترا يستطيع أن يجهر بما لا يستطيع أحد سواه أن يجهر به؟.

القضية شائكة، وشديدة التعقيد، ولكنها تكشف فى الجانب المهم منها، عن أن الهجرات الأجنبية إلى الدول الأوروبية، والأمريكية، ليست مجرد أعداد من الناس، ولكنها ستؤثر فى قوانين وثقافات هذه المجتمعات.

دعوة للعقل

كتب الأستاذ/ السيد عبدالرؤوف فى مقاله الأسبوعى بجريدة عقيدتى الصادرة فى ٢٠٠٨/٢/١٩ عن إعادة نشر الصحف الدانماركية للرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم ووصفها بأنها جريمة وتحدث عن تفاوت ردود أفعال الدول الإسلامية ومدى التعالى والصلف الذى قابل به رئيس الوزراء الدانماركى سفراء الدول الإسلامية عندما نشرت الرسوم لأول مرة، ثم تحدث الكاتب عما يجب فعله من وجهة نظره قائلاً:

إننا إذا افترضنا وجود مؤامرة ضد الإسلام والمسلمين - وهى موجودة بالفعل - فإن السؤال الذى يجب علينا أن نجيبه هو: وماذا

فعلنا لمواجهة هذه المؤامرة؟ إن المظاهرات التي يقوم بها الأتراك من المسلمين في مختلف أنحاء العالم لا تكفي للضغط على الحكومات ومؤسسات الرأي في البلاد الغربية ومواجهة اللوبيات الصهيونية فيها... ولكن هناك ميلاً كثيرة لعل أهمها من وجهة نظري:

● تكاتف جهود الحكومات والمنظمات الأهلية الإسلامية للضغط من أجل استصدار قرار دولي واضح وصريح يلزم بتجريم ازدراء الأديان والرموز الدينية.

● التعامل مع الدول بلغة المصالح هي لغة لا تعترف بالعواطف أو المشاعر والتجربة الدنماركية السابقة مجرد نموذج لما يمكن أن تحققه الضغوط الاقتصادية.

● قيام المؤسسات العلمية والثقافية والإعلامية بفتح القنوات وبناء جسور التواصل مع نظيراتها في البلاد الأوروبية لإدارة حوار ثقافي حضاري للوصول إلى اتفاق على مبدأ احترام ثقافة الآخر وحضارته والاعتراف بقيمة وأهمية التنوع في الارتقاء بحياة البشر.

ليس مطلوباً أن نهيج في كل مرة تحدث فيها إساءة أو إهانة للإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ثم سرعان ما نهذاً ويتحول غضبنا إلى زوبعة في فنجان ويعود أعداء الإسلام لممارسة جرائمهم ضده وضدنا ومطلوب أن تكون لدينا رؤية وخطة لتحسين واقع الدول الإسلامية فإنه لا يستقيم الظل والعود أعرج وعلينا أن يكون

لدينا رؤية وخطة للدفاع عن الإسلام وإخراجه من دائرة الاهتمام. وهذه مهمة مشتركة للحكومات ومنظمات المجتمع المدني والعلماء.

الجملة المسمومة.. والحرب على الإسلام

في جريدة الإيسبوع بعدها الصادر ٢٠٠٨/٢/١٦ قال الأستاذ/ مصطفى بكرى في الصفحة الأولى قائلاً:

أعادت الصحف الدنماركية (١٧ صحيفة) نشر الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، لتعيد بذلك السيناريو القبيح لهذه الرسوم التي سبق أن نشرتها صحيفة «بولاندس بوسطن» الدنماركية في سبتمبر ٢٠٠٥.

بومها تار العالم الإسلامي، وانطلقت المظاهرات وحملة المقاطعة والشجب والإدانان، غير أنه سرعان ما هدأت الأوضاع، وتوقفت المقاطعة، رغم أن حكومة الدنمارك لم تتدخل وتعاقب الرسام الدنماركي «فيستر جارد» الذي شارك في التناول على الإسلام ورسولنا الكريم.

كانت الحجة هذه المرة هي أن الشرطة الدنماركية اعتقلت مهاجرين تونسيين وآخر دنماركي من أصول مغربية اشتبهت في أنهم كانوا يخططون لقتل «مستر جارد» الذي هو واحد من ١٢ رساماً كاريكاتير شاركوا في الرسوم المسيئة لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم.

والحقيقة أن ما قامت به الصحف

الدنماركية من إعادة نشر هذه الصور المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم أمر لا يمكن فهمه وتبريره، إلا في إطار أنها حملة تستهدف الإسلام والمسلمين وتعرض على اختراق المحرمات وتعتمد الإساءة للرسول عليه الصلاة والسلام.

إن كافة الحجج التي تسوقها هذه الصحف لتبرير النشر هي حجج واهية، وأكاذيب من صناعة استخبارية، فالأمر مجرد شبهات، لا ترقى إلى الحقيقة حتى الآن، وحتى لو كانت هناك جريمة حقيقية، فلا يجب أن يعطى ذلك مبرراً لهذه الصحف لإعادة نشر هذه الرسوم المسيئة.

لقد تجاوزت هذه الصحف وغيرها من وسائل الإعلام وجهات حكومية وشعبية غربية عديدة كافة الحدود في تعاملها مع الإسلام والمسلمين، تطاولوا، وأحرقوا المساجد، واعتدوا على المقدسات، ومنعوا الحجاب وحرّموا النقاب، ومنعوا القرآن، وأنجوا الأفلام التي تسيء إليه.

لم يتركوا شيئاً في الدنمارك أو النرويج أو فرنسا أو هولندا، وحتى في النمسا أصدر المسؤولون في إحدى ولاياتها قراراً بحظر بناء المساجد في هذا الإقليم، وأعدوا لذلك قانوناً خاصاً حتى أن «هايدر» زعيم حزب التحالف من أجل مستقبل النمسا قال: «إننا يجب أن نعارض إقامة مساجد ومآذن كمراكز للإعلان عن قوة الإسلام».

وفي هولندا أنتج أحد النواب فيلماً يتعمد فيه الإساءة إلى القرآن وتزويقه

وإطلاق الادعاءات الكاذبة من حوله، وهدد بأنه سيعرض هذا الفيلم التسجيلي في كافة وسائل الإعلام، غير أن الحكومة الهولندية راحت تردد ذات الادعاءات حول الحرية وعدم قدرتها على التدخل ومنع الفيلم المهيّن. إذن هي حرب تشن على الإسلام، حرب تعتمد الإساءة وتطلق صيحات المكارثية الجديدة في مواجهة المسلمين، وهي حرب تشبث - بل تؤكد - أن الحديث عن الحرية وحقوق الإنسان مجرد أكاذيب ودعايات رخيصة.

إن الحرية التي يتباهى بها الغرب تعني حرية الاستعباد وإهدار آدمية الآخر، تعني الإساءة للأديان والمقدسات، وتخريم العبادة والشعائر الدينية بل والتدخل في شئون بلداننا العربية والإسلامية تارة تحت شعار بحث سبل مقاومة الإرهاب، وتارة تحت شعار تجديد الخطاب الديني وهلم جرا.

نعم الأمة مستهدفة، في عقيدتها، ورموزها، وتاريخها، وحضارتها، وأمنها، واستقرارها، وحدودها وشعوبها، غير أن الأمة غائبة عن الوعي، وإذا تحركت وانتفضت فهي انتفاضة مؤقتة سرعان ما تهدأ وتتوارى خجلاً، وكأن شيئاً لم يحدث.

الصور لثالث مرة!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ هشام عبدالرؤف في جريدة المساء الصادرة في ٢٠٠٨/٢/٢١ يقول:

أمر غريب حقاً أن يتعرض المسلمون لاتهامات بالتعصب لأنهم ثاروا على إقدام

صحيفة دافتركية على نشر صور تسمى إلى رسولهم الكريم.

الأمر في البداية يشير أكثر من تساؤل حول توقيت النشر.. فتنك المرة الثالثة التي تنشر فيها تلك الصور أو الرسومات.

فبعد نشرها لأول مرة وبعد أن هدأ الغضب الذي ثار في العالم الإسلامي أعادت الصحيفة نشرها للمرة الثانية وهو ما تكرر في المرة الثالثة بمعنى إذن واضح لا ليس فيه ولا جدال وهو أن السلبية والتجاهل إزاء هذه الإساءات يحلان المشكلة.. لأن الجهات التي وراءها سوف تنمادى وإذا كان أصحاب الصحيفة التي نشرت الرسوم المسيئة يحتجون بحرية الرأي وتساندهم حكومة الدائمك في ذلك فإننا نتحداهم أن ينشروا آراء تشكك في أكذوبة المحارق النازية التي فرضها اليهود على العالم.. ولا نقول تكذيبها.

وقتها سوف تغلق الصحيفة ويشرد محرروها ولن تقف بجوارهم حكومتهم التي تدافع عن حرية الرأي.

ولعلنا نذكر الحكم الذي أصدرته محكمة ألمانية منذ فترة على الخامية «أرنتس سوندل» بالسجن لمدة ثلاثة أعوام ونصف العام ومنعها من ممارسة الخامة خمس سنوات أخرى بسبب إنكار محارق النازية وجاء هذا الحكم بعد ٣ سنوات من إدانة مواطن ألماني آخر كانت الخامية تدافع عنه خلال محاكمته بتهمة إنكار المحارق وقد أدين المواطن وصدر عليه حكم بالسجن خمسة أعوام.

من هنا فإن غضب المسلمين له ما يبرره.. ومن غير المعقول أن يكون هذا الغضب من حق اليهود فقط أما التجاهل.. فلا يحل المشاكل على الإطلاق لأن هناك من يهتم بإشعال النار ليحقق أغراضه.

العداء للإسلام.. ليس طريق النجاح

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ/ عبد اللطيف فايد في جريدة الجمهورية الصادرة في ٢٠٠٨/٢/٢٣ يقول:

يظن الإعلام الدائمك أن يضر بالإسلام حينما يترك الهجوم عليه يستشري في بعض صحفه، وهو ظن خاطيء، وبصم المسؤولية الإعلامية هناك بعدم المعرفة للحقائق التاريخية في مسيرة الإسلام بالإضافة إلى الحقائق التي تحفل بها عقيدة الإسلام. فالهجوم الإعلامي الدائمك على الإسلام ليس الأول من نوعه قديما وحديثا، فمنذ بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالدين الخاتم وهو يتعرض للهجوم من هنا وهناك، ويتعرض رسوله لهذا الهجوم نفسه. إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم ما في صدور الذين يعادون رسالته ويطلب لهم الهداية والرشاد من ربه سبحانه، وحينما اشتد أذاهم له إلى الدرجة التي لا يطيقها بشر بعث الله إليه أمين الوحي جبريل - عليه السلام - يطلب رأيه في الانتقام منهم وإطياق جبال مكة عليهم حتى يهلكوا ويستريح من شرورهم فكان

موقفه إنسانيا إلى أبعد الحدود لأنه يدرك عدم معرفتهم بحقائق الإسلام الذي يدعوهم إليه، وقال قولته العظيمة في التسامح وطلب الهداية من الله لهم: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

والتاريخ يحفظ رسالة الإسلام بحفظ الله للقرآن والسنة. ففي شأن القرآن قال الله تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».

إن محاولات الإعلام الدائمك وسكوت سلطات بلاده عليها لن تضر بالإسلام، فقد مضى على نزوله أكثر من أربعة عشر قرنا وهو يزداد مع الزمان قوة ويكثر أتباعه، ويتضاعف الدارسون له أفرادا وجماعات، ولم تقلح محاولات المستشرقين في مختلف عهودهم في تشويه صورته النقية، بل إن منهم من أنصف الإسلام وأعتقه ودعا إلى اعتناقه، كذلك لم تقلح محاولات إكراه أهله على تركه بتطبيق المذاهب المادية على حياتهم، والدليل على ذلك أن الشيوعية حينما انكشف زيفها للعالم كله أعلنت شعوب المسلمين التي كانت خاضعة لها بقاء شخصيتها الإسلامية وحفظ الكثير من أفرادها للقرآن الكريم، وافتتحوا المدارس الإسلامية لأبنائهم، وأن جامعة «نور مبارك» شاهد صدق على تطوير التعليم العام للإسلام إلى التعليم العالي الذي يتجاوز التلقين إلى البحث العلمي طبقا لقواعده التي أفادت من المناهج العلمية لغير المسلمين.

إن الدائمك لن تفسد شيئا من هذا التشويه لحقائق الإسلام، فهي محاولة قديمة عاصرت هذا الدين منذ نزوله، وقد كتب الله عليها الفشل، وفشلها تمتد طالما كان لها من يساندها، ولذلك فإن من واجب المسلمين أن يطلبوا من إعلام الدائمك فتح باب للمناقشة العلمية حول هذا الاتجاه الذي يحاول السير فيه، والهيئات الإسلامية الممثلة للمسلمين جديرة بإظهار الحق الذي يحاول إعلام الدائمك تشويهه ليكسبوا هذا الإعلام إلى جانبهم، لأنه ليس من خلق الإسلام أن يعادى المنظمات التي تقف في معسكرات التشويه له، لأن من خلقه أن يهديها إلى الصواب حتى تعرف الطريق الصحيح.

لماذا يصرا الإعلام الدائمك على الإساءة للمسلمين؟

تحت هذا العنوان كتب محرر رأى الأهرام في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٠٠٨/٢/٢١ يقول:

من جديد تصدر وسائل الإعلام الدائمك على الإساءة لمشاعر ومقدسات ملايين المسلمين في جميع أنحاء العالم، في خطوة لا تبدو عليها ملامح التلقائية، أو ما يقال عن أنه حرية الفكر والتعبير، حتى يبدو للمرء أن ثمة خطة واضحة المعالم تم تديرها بكل دهاء وخبث لاستفزاز مشاعر المسلمين وإثارة غضبهم، وربما دفعهم أو دفع بعضهم لارتكاب حماقات تؤكد المقولات النمطية التي يرددونها القسوب دوما عن الإسلام والمسلمين منها مثلاً.. الإرهاب والعنف،

أمة القراء !

شعر/ السيد الصديق حافظ

من رأى القسيسة لم يشكر قديسات قوداع !
الشمعي التكبير والنهليل للأمر الطاع !
والشهادي فوق ثرى الشيشان يذرى الطراع !

قد بلونا غابر الأزمان والعهد العاصر !
وعلمنا أن حزب الكفر هم شر العاصر !
واليهود اليوم كالأمن وباء غير قاصر !
هم مع الأشرار حزب بينهم أقوى الأوصار !
ياجنود الله لا تفتنوا فوالله ناصر !
أنتم الأعداء لا تفتنوا إذ يغشى القصاصر !

هيج الأوغاد كسير البغي واعتادوا الكبار !
قبلوا حرية الأحرار واقبلوا الحسار !
نكسوا هام الروابي فسائرت هام الخطار !
نكسوا حيرات لها تيه الغاني والنار !
تغرف الأكساد من حيزد وتنشق المراتر !
إن يطل قيل الأسى فالفجر آت بالباشار !

لا تراعى أمة القسرة ! مبرأ ! لا تراعى !
رأى يتنشق مخرج باولاد الأفاعي !
لكنما التطبيع برهان على خبث الطاع !
إنما التطبيع تطويع لإذلال جماع !
ليس للمسولي وليا من غدا غلبه الشاع !
من تخلوا عن جهاد واستسلموا في نراع !

لا تراعى أمة القسرة ! مبرأ ! لا تراعى !
إن تعسر الله منك اليوم أدنى من ذراع !
أنت قسرة لا تحصى نورها كل البغاع !
إن نور الله لا يخفى ! ولن يتعساك ناع !
تحن بالله وحليما عن بفسين وأفجاع !
ورسول الله داع جاء بالأمر الطاع !

أمة القسرة ! جند الله ! يا خير البرية !
أمة الصديق ! والفاروق ! فخر العفوية !
أمة الفقهاء ! نصر الجيش معوان السوية !
هل لهم مثل بلال ! أو صليب ! أو أممية !
من كرمعي ! إنا نطلى على سمع قحبية !
من أعبر الله بالإسلام لم يرش الدنيبة !

هل لهم «حرون» يسمي داعيا في علم «مالك» !
في سوء الناس يغشى بين طلاب همالك !
وهو «حرون» الذي في رحله تطوى الممالك !
أم لهم مثل إمام الدار عمرا فوق ذلك !
أخرج الأملاك للعلم ولم يخرج لمالك !
ما قال العلم للسلطان جينا غير هالك !

لا يرعك اليوم أن الذئب في القطيعان داعي !
غاب عن تلك القوي الرعاء قدسي الشاع !
غيبوا وجه الجهاد الحق في زيف الخداع !

مجرد اجتهاد

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ
محمد الزرقاني في جريدة اللواء
الإسلامي الصادرة في ٢٠٠٨/٢/٢١
يقول فيه:

●● هل صحيح أن إعادة الصحف
الدائمية - وبعض الصحف الأخرى في
أوروبا - نشر الرسوم الكاريكاتورية «القدرة»
التي تسيء إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاءت بسبب ما يدعون أنه محاولة
لاغتتيال الرسام صاحب تلك الرسوم التي
نشرت لأول مرة منذ أكثر من عامين ؟
بالطبع لا، وإنما المؤكد أنه تم الادعاء بوجود
هذه المؤامرة المزعومة، حتى يتسنى لهم الرد
عليها بإعادة نشر تلك الرسوم .. وهو ما
يؤكد حقدهم وغلهم وغيظهم من الإسلام
الذي يعرفون قيمته وقدرته على الانتشار في
بلادهم، فهو الدين القيم، وهو الدين القائم
على الحرية وإعلاء قيمة الإنسان، ورفضه لما
يؤمنون به من فجور ومادية مقيتة، وليس
هناك - في رأيهم - ما هو أغلى من رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند المسلمين لكي
يسبوا إليه، معتقدين أنهم بذلك يسيئون
للإسلام ويحدون من قدرته على الانتشار
والانتصار، وهي القدرة التي يدركونها تماما،
بالرغم من أن الظواهر قد لا تدل على ذلك،
بسبب تدني أحوال المسلمين .. ولكنهم - في
العرب - يدركون أن هذا التدني هو أمر
مؤقت، وأن الإسلام - بإذن الله سبحانه
وتعالى - قادم لا محالة.

ورفض الآخر أو الحوار مع الآخر !

فبعد أن هدأت أزمة الرسوم المسيئة
للمرسول صلى الله عليه وسلم، وما
صاحبها من مظاهرات احتجاج واسعة في
أنحاء العالم، عادت وسائل الإعلام
الدائمية إلى تكرار الإساءة لمشاعر
ومقدسات المسلمين من خلال إعادة نشر
هذه الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول
الكريم، وهو ما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن
المسألة ليست عشوائية وربما لا علاقة لها
بحرية التعبير والرأي، وأن ثمة إصرارا من
البعض في الغرب على الإساءة لمشاعر
المسلمين وإثارة غضبهم بشكل يكاد يكون
مقصودا في حد ذاته !

وقد جاء رد فعل مصر قويا على تكرار
هذه المحاولات من جانب وسائل الإعلام
الدائمية، حيث استدعت وزارة
الخارجية المصرية سفير الدائم
بالقاهرة، وعبرت له عن رفض مصر
محاولات الإعلام الدائم تكرار
الإساءة لمشاعر ومقدسات المسلمين في
جميع أنحاء العالم، وقد كان المتحدث
باسم الخارجية صائبا تماما عندما قال : إنه
من المؤسف إصرار وسائل الإعلام في
الدائم على إعادة محاولة الإساءة إلى
الدين الإسلامي، وذلك بعد أن كانت أزمة
نشر هذه الرسوم الكاريكاتورية المسيئة
قد أكدت بما لا يدع مجالا للشك أن مثل
هذه الأفعال الشنيعة لا تؤدي إلا إلى المزيد
من التوتر والاحتقان.

الحصار الإسرائيلي ومش

شروع غزة الكبرى!!

للاستاذ صلاح عبد الرحيم محمد
باحث في الشؤون السياسية



أبو مازن

عملية السلام
مستحيلة.
وفي هذا الصدد قال
«ماتان فلنالي» نائب وزير
الدفاع الإسرائيلي «إن
على إسرائيل أن تستغل
الأوضاع الحالية في قطاع
غزة وتلحقه بمصر»

وهكذا يكشف نائب وزير الدفاع الإسرائيلي
بصراحة عن مخطط إسرائيل لإخفاق قطاع غزة
بمصر، بدأ بحصار شديد على القطاع، وفي الحقيقة
أن فصل قطاع غزة عن الضفة الغربية يمثل أحد
السيناريوهات التي وضعتها الدولة العبرية للتعامل
مع المشكلة الأمنية في القطاع الذي انسحبت منه
في سبتمبر ٢٠٠٥ من جانب واحد والمطالبة بعزله
خلف ستار حديدي وإجبار مصر من خلال أحكام
الحصار عليه على تزويده بحاجاته من الوقود والمواد
الغذائية والأدوية، وصولاً إلى مرحلة تضطر فيها
الدولة المصرية إلى ضمه في النهاية.

ويذهب البعض إلى أن حسلاً من هذا النوع
سيسهل على إسرائيل من طرح «الخيار الأردني» في

بتحريض إسرائيل لفتح معبر رفح أمام الموجات
البشرية الجائعة من جراء الحصار الصهيوني المميت،
ومن هنا اتخذت مصر «حزمة من الإجراءات»
شملت:

• **أولاً:** قبول فتح الحدود مؤقتاً بطريقة عفوية،
للسماح لمواطني غزة بالتزود بكل احتياجاتهم التي
حرهم منها الاحتلال الصهيوني.

• **وثانياً:** التوجه إلى تنظيم عملية العبور
الفلسطيني من وإلى الأراضي المصرية بالتنسيق مع
الأطراف المعنية على أساس مبدأ «حق الدولة في
حماية حدودها» مع الغير.

• **وثالثاً:** الدعوة إلى الحوار بين السلطة
الفلسطينية وحركة حماس، لتوحيد الصف
الفلسطيني.

واللافت أن الرئيس «محمود عباس» أغرب يوم
الخميس ٢٤ يناير ٢٠٠٨ عن قلقه من اقدام
إسرائيل على فصل قطاع غزة عن الأراضي
الفلسطينية في الضفة، مستغلة الأوضاع الحالية
التي توترت فيها الحدود بين مصر والقطاع فقال:
«إن هذا يصب في مصلحة إسرائيل في تقسيم
الوطن وشطره عن بعضه بعضاً من أجل أن تصبح

خلال قوات حرس الرئاسة كما كان جلياً أيضاً أن
استبدال حرس الرئاسة بقوات حماس، سيكون
ذريعة لإسرائيل لإغلاق هذه المعابر وهو ما حدث
بالفعل، فقد أعلنت الدولة العبرية إغلاقها، وإحكام
حصار خانق حول قطاع غزة أدى بدوره، إلى تدفق
آلاف الفلسطينيين من القطاع إلى الحدود المصرية
عبر معبر رفح الحدودي للحصول على احتياجاتهم
من الغذاء والدواء والوقود. وتقديراً للظروف
الصعبة التي يعيشها سكان غزة فتحت مصر
بوابات معبر رفح أمام الآلاف الزاحفة وتركبتهم
يعبرون منها هرباً من جحيم الحصار والتجويع. أو
كما يقول البعض قراراً من الخلاف الفلسطيني
الفلسطيني الذي مزق عرى الوحدة الوطنية
الفلسطينية وأساء إلى القضية الفلسطينية.

وفي هذا السياق يرى البعض أن إسرائيل هي
التي مهدت الأرض وفتحت كل المنافذ لتصدير أزمة
الحصار إلى الجانب المصري الذي تحمل بسبب ذلك
خطورتين:

• **الأولى:** ما يشكله هذا العبور المتفلس من
مناعب أمنية.

• **والثانية:** غضب أمريكي وأوروبي

من المعروف لكل متابع لتطورات القضية
الفلسطينية أن قطاع غزة تم إخلاؤه عسكرياً
واستيطانياً في سبتمبر ٢٠٠٥ من جانب واحد
تحت ذريعة عدم وجود شريك فلسطيني صالح
للتفاوض مع إسرائيل. وعلى الرغم من انسحاب
القوات الإسرائيلية من القطاع فقد ظلت تسيطر
عليه برياً وجوياً وبحرياً. والحقيقة أن الحصار
الإسرائيلي المحكم على قطاع غزة، لم يبدأ منذ
سقوط القطاع في أيدي حماس في الرابع عشر من
يونيو ٢٠٠٧ بل بدأ يوم أن نجحت حركة حماس
في الانتخابات التشريعية عام ٢٠٠٦ وصعودها إلى
سلطة الحكم وتشكيلها حكومة حماسية. من هنا
كان تعاون إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في
تنظيم حملة عالمية محاصرة حكومة حماس من أجل
«تجويع الشعب الفلسطيني» عقاباً له على اختيار
حماس للحكم. ومنذ اللحظة الأولى التي سيطرت
فيها حماس على قطاع غزة بما فيها المعابر في ١٤
يونيو ٢٠٠٧ كان من الواضح وقف العمل
به اتفاقيات المعابر التي عقدتها السلطة الفلسطينية
مع إسرائيل والخمسة الأوروبية، إذ تنقض هذه
الاتفاقية بتسلم الجانب الفلسطيني هذه المعابر من

الضفة الغربية وإحاطتها بالأردن بعد ضم جزء حيوي منها المستعمرات الكبرى، إلى الدولة الصهيونية، لتصبح الحدود الدائمة هي بينها وبين كل من مصر والأردن فقط بدلا من حدود الدولة الفلسطينية الموعودة، وبذلك تضع القضية الفلسطينية.

وهنا يتحدث موسى أبو مرزوق عضو المكتب السياسي في حماس فيقول: «إن إسرائيل باتت تتحدث عن فك الارتباط مع غزة أي عدم تزويدها بأي شيء من جانبها، وهنا يجب أن يكون ثمة حوار مع القاهرة لفتح المعبر بطريقة قانونية لأن البديل هو الجانب المصري» وحول فتح الحدود بين مصر وغزة واحتياز آلاف الفلسطينيين من أهالي غزة للحدود المصرية بصورة منفلة قال «صائب عريقات» رئيس دائرة شؤون المفاوضات في منظمة التحرير الفلسطينية «إن المسؤولية تقع على عاتق الاحتلال الإسرائيلي وما جرى كان المقصود منه إحراج مصر...» وأضاف «عريقات» أن إسرائيل تضغط باتجاه أن يبقى معبر رفح مغلقا، وتحاول أن تدفع نحو جعل قطاع غزة تحت مسؤولية مصرية كاملة وأن تفصل بين القطاع والضفة الغربية إلى الأبد وهذا هو أخطر ما يواجه القضية الوطنية الآن، وفي هذا المقام أعربت القيادة المصرية عن رفضها محاولة لزعج بمصر في الخلافات بين الفلسطينيين فقال الرئيس «حسنى مبارك» في كلمته يوم ٢٤ / ١ / ٢٠٠٨ خلال الاحتفال بعيد الشرطة:

«إن مصر تعي تماما اعتبارات أمنها القومي ولن تفرط فيها ولن تسمح لأحد أن يقترب منها أو يحاول اختراقها».

وأضاف الرئيس: «أن أحدا لا يملك المزايدة على مصر في دعمها لهذا الشعب الصامد وقضيته

العادلة. ونحن نبذل أقصى الجهد في تحرر كنا واتصالنا لإنهاء معاناته ورفع إجراء العقاب الجماعي الإسرائيلية وعودة إمدادات الوقود، والكهرباء، والمساعدات الإنسانية لقطاع غزة».

تصدير الأزمة إلى مصر

واللافت للنظر أن ثمة «إرتياحا إسرائيليا» بسبب تصدير أزمة قطاع غزة إلى مصر، وتحميلها للمسؤولية عن مكانه، وإغفاء إسرائيل منها، كما تنصوّر فقد صرح نائب وزير الدفاع الإسرائيلي «ماتان قلناتي» أن تحرر إسرائيل من المسؤولية عن سكان القطاع قد يكون أحد مزايا الأوضاع الأخيرة، وأضاف «نحن نتوقف عند المسؤولية عن القطاع ونحن نريد فك الارتباط عن القطاع، وهذا ما توصلنا من خلال رغبتنا بوقف إمداد القطاع بالكهرباء، ولتحصل عليها من مكان آخر».

وفي هذا الشأن قال نائب وزير الخارجية الإسرائيلي «مجلى وهبي» إن قرار الرئيس «مبارك» تمكين سكان القطاع من اجتياز الحدود باتجاه سيناء، قد يكون مقدمة للحل، أي لانضمام القطاع إلى مصر لتحمل المسؤولية».

لاشك أن تلك التصريحات الإسرائيلية تؤكد تنصل إسرائيل من مسؤوليتها عن الوفاء بواجباتها التي يقرضها عليها القانون الدولي تجاه قطاع غزة المحتل بوصفها دولة الاحتلال وتحاول دحرجة هذه المسؤولية إلى مصر، سعيا منها إلى إثارة الفلاقل في المنطقة وتعميق الانقسام الفلسطيني - الفلسطيني، والفلسطيني المصري، والفلسطيني العربي.

ومن ناحية أخرى يذكر أن مصادر أمنية إسرائيلية أشارت إلى أن «السلطات المصرية بقرارها



اصفر شهيدات الحصار والقصف الوحشي الإسرائيلي

في الماضي لدى مصر والأردن، بتقاسم المسؤولية عن القطاع والضفة، لكن البلدين العربيين رفضتا ذلك حتى جاءت حماس».

كما نقل المعلق العسكري الإسرائيلي في صحيفة «يديعوت أحرونوت» «إليكس فيشمان» عن أوساط أمنية إسرائيلية رضاها عما حدث في معبر رفح، وأن ثمة فرصة رائعة لدحرجة المسؤولية عن القطاع إلى أعتاب المصريين ليزودوا القطاع بالأغذية والوقود والكهرباء والماء. وما هو الحلم الإسرائيلي اللذيذ بالانفصال عن القطاع، يمكن أن يتحقق. ومن ٢٣ / ١ / ٢٠٠٨ بدأ فك الارتباط الحقيقي عن غزة، وأضاف «فيشمان» أن حماس تسببت في فصل تام ونهائي بين اقتصاد القطاع واقتصاد الضفة، لنشوء كيائين منفصلين.

تمكين الفلسطينيين من دخول سيناء، إنما دشتت فك الارتباط الإسرائيلي عن قطاع غزة، وأضافت هذه المصادر «أن بوسع المصريين الآن تحمل المسؤولية عن القطاع من ناحية المعونات الإنسانية، وأن حكومة حماس مستضطر إلى الاستعانة بالبنى التحتية المصرية، لتزود سكانها بالوقود والأغذية، وسائر الإمدادات، من دون الحاجة إلى الاعتماد على إسرائيل، أو الادعاء أن إسرائيل تفرض حصارا على السكان».

وتتوالى التصريحات الإسرائيلية التي تدعو إلى فصل غزة عن الضفة، وتحميل مصر المسؤولية عن قطاع غزة فتقول المعلقة الإسرائيلية في الشؤون العربية في صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية «سميدار بيرى»: «إن إسرائيل توصلت



القتلى والجرحى يسقطون بالعشرات يوميا.. والهدف تدمير القطاع أو الحاقه بمصر!!

وستضع الأردن أمام خيارين سبق رفضهما من جانب عمان وهما إما فتح الحدود أمام موجات النزوح على مثال ما حدث في غزة أو أن يتولى الأمن الأردني ضبط الأوضاع في الضفة الغربية.

أهمية الدور المصري

ومن جانب آخر يجمع المخللون أن ثمة استياء من جانب مصر بسبب اختراق الحدود المصرية من جانب حركة حماس، إذ ترى مصر في ذلك «خرقا» فاضحا لسيادتها لن تسمح به بعد ذلك ومحاولة لتصدير الخلافات الفلسطينية فهي «أى مصر» لم تستطع التعامل بحفاوة وقسوة مع أهالي غزة الذين اخترقوا الحدود إلى رفح والعريش والشيخ زويد، طلبا للغذاء والدواء والوقود والسبب هو التعاطف مع الفلسطينيين الذين أحكمت إسرائيل طوق

إسرائيل تسعى إلى تدمير القضية الفلسطينية

وفي هذا الإطار يذكر المراقبون أن مصر والأردن البلدين الوحيدين المرتبطين بمعاهدتي سلام مع إسرائيل، لن ينجرا إلى سيناريو للتقاسم الوظيفي مع جوارهما المحتل (غزة والضفة) خصوصا أن مصر والأردن لن تقبلا بأي حال من الأحوال إعادة الوضع على ما كان عليه قبل الاحتلال عام ١٩٦٧ حينما كانت غزة تحت الإدارة المصرية والضفة الغربية جزءا من الأردن واللافت أن إسرائيل تسعى إلى تحقيق هذا السيناريو لتدمير القضية الفلسطينية برمتها ويذهب البعض إلى أنه في حال حدوث هذا السيناريو الكارثي يضم غزة إلى مصر، كما تسعى إسرائيل فستجد تل أبيب الفرصة سانحة لإحياء خطة الانسحاب من المدن الفلسطينية في الضفة

وإسرائيل، فهل تعي دولة الاحتلال الصهيوني ذلك؟

وفي سياق عزل غزة عن الضفة وتكريس فصلها أشار كبير حاخامات إسرائيل إلى مخطط إسرائيلي يضم جزء من سيناء إلى غزة لتحقيق ما يسمى «مشروع غزة الكبرى» فقد ذكر هذا الحاخام أنه تداول الأمر مع الحاخامات، ووجدوا أن الحل هو اقتطاع جزء من أرض سيناء، وبناء مدينة عليها وضمها إلى غزة، وقد وصف كبير الحاخامات هذا المشروع بأنه «فكرة رائعة» من هنا ليس من قبيل المصادفة أن انعقد في مدينة «هرتزل» الإسرائيلية في السابع عشر من يناير ٢٠٠٨، مؤتمر شارك فيه عدد من الأكاديميين الإسرائيليين، ناقشوا فيه وثيقة تسمى «وثيقة تبادل الأراضي» بين إسرائيل وجاراتها من أجل استقرار السلام، وتتضمن هذه الوثيقة اقتطاع جزء من سيناء، وأجزاء من الأردن ولبنان وسوريا لتوطين الفلسطينيين فيها بدلا من إسرائيل التي ترفض حق عودة الفلسطينيين إلى ديارهم الأصلية عام ١٩٤٨، والهدف هنا في غاية الوضوح وهو أن تبقى إسرائيل دولة الشعب اليهودي فقط دون الفلسطينيين أصحابها الشرعيين، وكما ذكرنا من قبل، فإن تداعيات «حادثة أو أزمة غزة» تعنى في نظر كثير من المراقبين، عودة للحديث عن «الخيار الأردني» في الضفة، أي إحقاقه بالأردن، بعد ضم حوالي ٦٠٪ من أراضيها «أى الضفة» إلى الدولة العبرية، وهو ما يعنى القضاء على حلم الفلسطينيين بأن تكون لهم دولة مستقلة في الضفة والقطاع.

وهكذا يعترف الإسرائيليون بمسؤولية حماس عن الانقسام الذي حدث بين الفلسطينيين، ونشوء كيان برأسين، لكنني لا أعفى إسرائيل من مسؤولية هذا الانقسام، والسبب واضح للعيان، إذ إنها أحكمت حصارها الخانق على الفلسطينيين في الضفة والقطاع منذ تشكيل حماس منفردة للحكومة، وبعد تشكيل حكومة الوحدة الوطنية بعد اتفاق مكة واعتبار قطاع غزة «كيانا عدوانيا» وبالتالي تكريس هذا الانقسام.

مشروع غزة الكبرى

وفي إطار فك الارتباط الإسرائيلي عن غزة يتحدث «يوسى بيلين» زعيم حزب ميرتس اليساري فيقول: «لقد كان للانفصال (أى عن غزة) فائدتان:

الأولى: أننا أصبحنا نحكم عددا أقل من الفلسطينيين «يقصد سكان الضفة الغربية».

والثانية: أنه أوجد سابقة إخلاء المستوطنات على نطاق واسع جدا.

وبهذين المعنيين، حقق الانفصال نجاحا، لكن إذا كان هناك من اعتقد أنه سيؤدي إلى هدوء فالانفصال قد فشل، وإذا كان هناك من اعتقد أنه سيقربنا من العملية السياسية فهنا يكون الانفصال قد فشل أيضا.

وبهذا التصريح من جانب زعيم حزب ميرتس «يوسى بيلين» يتأكد أن نجاح الانفصال في نظره، يقتضى الانسحاب من الأراضي المحتلة في الضفة والقطاع، وإزالة جميع المستوطنات وإعادة الأرض المحتلة إلى أصحابها من عرب فلسطين، وبغير ذلك لن يتحقق السلام والهدوء بين العرب

التمسود

يفترض المعادون لليهود الذين يهاجمون أعضاء الجماعات اليهودية بسبب ما جاء في التلمسود، أن كل يهودى قد درس التلمسود بعناية فائقة، وأنه يخضع كل حركاته وسكناته لما ورد فيه من تعاليم سلبية. لكن هذا تصور ساذج وتبسيط آلى، فما يحدد سلوك فرد ما، يهودى أو غير يهودى، ليس كتبه الدينية ومثله العليا وحسب وإنما مركب هائل من الأسباب التاريخية (الاقتصادية والاجتماعية) التي تختلف باختلاف الزمان والمكان. ولا يمكن فهم سلوك العرب المحدثين فى ضوء ما جاء فى تراثهم الدينى، أو فى ضوء ميثاق جامعة الدول العربية، برغم أهمية كل ذلك فى تحديد هذا السلوك. والواقع أن دراسة التلمسود مسألة شاقة للغاية تتطلب معرفة بالقراءة والكتابة باللغتين العبرية والآرامية، وهما لغتان ساميتان يصعب على الإنسان غير المتخصص دراستهما فى الوقت الحاضر.^(١)

والأستاذ الدكتور السيد أحمد فرج مؤلف كتاب اليهود واليهودية يجيد عدة لغات ولعل هذا ما سهل عليه أمر الكتابة فى هذا الموضوع والتصدى للحديث عنه إذ يقول فى الفصل السادس من هذا الكتاب ص ١١٩ تحت عنوان التلمسود:

(١) عبدالرهاب المسيرى موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.

قراءة فى كتاب

اليهود واليهودية
التاريخ والعقيدة والأخلاق



الدكتور السيد أحمد فرج

للاستاذ / عادل خضاجة

٢

الثلاثة، فحماس تضمن إعادة فتح معبر رفح وهذا يخدم حكمها للقطاع والرئيس الفلسطينى عباس) يضمن عودته لإدارة جزء مهم من غزة ومصر ترتاح من القلق الذى يسببه الحصار والتجوبع فى غزة.

ويتحدث الكاتب البريطانى الشهير «باتريك سيل» حول السيطرة على معبر رفح والهزيمة النكراء التى نزلت بإسرائيل فيقول: «أنه يجب على مصر أن تفاوض بشأن السيطرة على معبر رفح مع حركة حماس» ويذهب «سيل» إلى القول: لقد تكبدت إسرائيل هزيمة سياسية واستراتيجية نكراء، ولارتد عليها العقاب الجماعى الذى أنزلته بشعب عربى بكامله، فلم يستسلم الفلسطينيون وهم مستمرون بالمقاومة، لقد تضررت صورة إسرائيل كثيرا واتهمت سياساتها بالوحشية واللاأخلاقية وبالانتهاك الصارخ للقانون الدولى».

مخطط صهيونى خبيث!!

وفى الختام يمكن القول أنه لابد من بناء جدار حديدى على الحدود قادر على الضغط والحماية ومنع التسلل إلا عبر المنافذ الشرعية، لأنه لا يمكن لمصر الواعية أن تسمح بأى حال من الأحوال بما قيل عن فصل غزة عن الضفة وإخافه بمصر وإقامة «الوطن البديل» الذى يستهدف سيناء كلها وليس جزءا منها، إذ تمثل سيناء فى الرؤية الإسرائيلية والأمريكية حلا للقضية الفلسطينية. لقد كان المخطط الإسرائيلى ولا يزال أن يكسر سكان غزة الحصار الخائق عليها والتزوح إلى سيناء المصرية لتكون وطنهم البديل، ولكن هيهات هيهات فإن مصر واعية ومستيقظة لكل هذه المخططات الصهيونية الخبيثة.

الحصار حول أعناقهم لإجبارهم على التزوح صوب سيناء. ولكن يبدو أن «حماس» قد أسهمت من حيث لا تدرى فى هذا الموضوع المتردى حيثما استولت على قطاع غزة بالقوة فى الرابع عشر من يونيو ٢٠٠٧ لذلك أصبحت حماس فى قبض الاتهام من جانب ثلاثة أطراف:

• **الأول:** السلطة الفلسطينية التى اتهمتها بالانقلاب على الشرعية وتكريس الانقسام بين الفلسطينيين وشق الصف الفلسطينى والإساءة إلى القضية الفلسطينية.

• **الثانى:** إسرائيل وأمريكا وأوروبا الذين اتهموها بالإرهاب منكروين على حماس حق مقاومة المحتل الغاصب.

• **الثالث:** من جانب عدد من الدول العربية الذين اتهموها بالخروج على الشرعية وإضعاف المفارض الفلسطينى.

وفى هذا السياق يتحدث الدكتور «جورج جقمان» أستاذ العلوم السياسية ومدير مؤسسة «مواطن» للأبحاث فى رام الله حول اختراق معبر رفح فيقول: «هذا يثبت مجددا مدى غياب السياسة الإسرائيلية، فالمعبر فتح، ولم يعد بإمكان أحد إغلاقه من جديد» ولقد بدأ بالفعل تعاون حماس مع مصر لغلقه من جديد، وهذا يجعل إسرائيل مضطرة للتعامل مع حقيقة أن حماس فى موقع قوة فى القطاع، وأضاف: «هنا تظهر أهمية الدور المصرى، فإسرائيل وأمريكا لن تقبل أى دور لـ حماس فى إدارة معبر رفح. ومصر هى الطرف الوحيد القادر على إقناع حماس بالموافقة على قيام حكومة «محمود عباس» بإدارة قطاع غزة» وأضاف أيضا «هذا هو الحل الوحيد الذى أراه ممكنا لأنه يخدم الأطراف

لفظ التلمود مشتق من لفظ عبري «LAMAD» ومعناها تعليم، وهو مجموعة من الروايات الشفوية التي كانت تنقل من جيل إلى جيل في شئون العقيدة والشرعية والتاريخ والسير على ألسنة أئمة اليهود وفقهاءهم شرحاً وتفسيراً للتوراة، ثم شروحاً وحواشي لهذه الشروح وهكذا.

وانتقلت هذه الشروح والتفسيرات على ألسنة اليهود من جيل إلى جيل، ثم وصلت كتبة الرعي اليهودي وعلمائهم، والأخبار والربانيين وذلك في حدود ٧٠ إلى ٢٢٠ ميلادية.

وكما أسلفنا فإن المؤلف يستشهد بأقوال الغربيين ما وسعه السبيل إلى ذلك فينقل ص ١٢٢ عن «ول ديورانت» أن التلمود ليس موسوعة في التاريخ والدين والشعائر والطب والأقاصيص الشعبية، فحسب، بل هو فوق هذا كله رسالة في الزراعة وفلاحة البساتين، والصناعة، والمهن، والتجارة، والسرقة، والمحاكمات القضائية والقوانين الجنائية.. وأول ما ذكره أن التلمود أولاً وقبل كل شيء قانون «أخلاقي يهودي».

ويكاد يتفق العلماء على صعوبة دراسة التلمود ويصل المؤلف إلى نفس الرأي حين يقول: ويعجز الباحث عن فهم التلمود كوحدة كلية ذات موضوعات أساسية تستحق البحث، لأنه يفاجأ بأنها مغلقة. ويسوق رأي الدكتور حسن طاطا الذي

يرى: أن الباحث إلى كتابة التلمود كان رغبة اليهود في عمل كتاب يظل مستغلقاً على غير اليهود. وخلافاً لذلك يقول الدكتور المسيري: «والواقع أن التلمود ليس من الكتب الباطنية أو تلك التي تحيط بها هالة من السرية والغرابة والاختفاء كما يتوهم البعض».

إلا أنه يوجد عداء واضح منذ عهد بعيد ضد التلمود للاعتقاد بأنه يحتوى على الغش والخداع.

وقد تنبه إلى ذلك عدد كبير من الرهبان المسيحيين الذين حضروا مجمع نيقية الأول عام ٣٢٥ ميلادية بدعوة من الامبراطور قسطنطين، فأشاروا إلى نشاط اليهود ومآلهم من حلفات تلمودية، فنادوا الامبراطور أن يأمر بوقفها.. فصدر مرسوم امبراطوري يلبي هذا الطلب، بحيث أن التلمود أورشليم توقف قبل أن يكتمل. (ص ١٢٢).

وبعدما يقرب من قرنين من الزمان من السكتة التي أصابت تلمود أورشليم اكتملت كل اجزاء التلمود البابلي، ويقع تلمود بابل في اثني عشر مجلداً ضخماً.

وما أن اكتمل التلمود كما أراده واضعوه حتى تعرض لعدد غير قليل من الأوامر بالإحراق، لما يحتويه من تحريض على الغش والخداع لغير اليهود.

ذكر منها الكاتب: اثنتا عشرة مرة في الفترة من ١٢٤٢ حتى ١٥٥٩ كان الإحراق سنة ١٢٤٢ بأمر الملك لويس

التاسع ثم الأمر البابوي عام ١٢٤٨ بمنع تلك التلمود في فرنسا.

ويعود المؤلف للاستشهاد بأقوال «ول ديورانت» في قصة الحضارة في قوله: «والله كما يصفه التلمود: إله متصف بصفات البشر فهو يحب ويبغض ويفض ويضحك، ويبكي ويحس بوخر الضمير، ويلبس التمام، ويجلس على عرش يحيط به طائفة من الملائكة المختلفي الدرجات يقومون على خدمته، ويدرس التوراة ثلاث مرات كل يوم».

ثم يذكر المؤلف من ص ١٢٨: ص ١٣٠ عدداً من الشنايع التي أوردها التلمود تقتصر هنا على واحدة إذ يقول:

«جاء في تلمود «كثوبوث Kethuboth» - الطبعة الثانية بلندن سنة ١٩٣٦ م - إذا أجرت امرأة بمالها بعد استئذان زوجها، شخصاً ليتصل بها اتصالاً جنسياً، فليس في عملها هذا ما يشبهها، وأما إن كان الشخص المأجور غير يهودي، فعملها مشين، لأن المستفيد في هذه الحالة غير يهودي».

عقيدة اليهود بين الوثنية والتوحيد

وينتقل المؤلف إلى الفصل السابع من هذا الكتاب فيستهله بقوله ص ١٣٣:

«يزعم اليهود - باطلاً - أنهم أول أمة عرفت ديانة التوحيد الذي أخذته عنها

الأمم الأخرى، وهذا زعم باطل، لأن الله - سبحانه وتعالى - ما خلق الخلق أول ما خلقهم إلا من أجل توحيد: توحيد ألوهية، وتوحيد ربوبية وتوحيد عبادة، قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

(الذاريات / ٥٦)

ثم يدل على عكس ادعائهم بأنهم كانوا من الأمم التي حادت عن التوحيد قبل موسى بل وأثناء دعوة موسى عليه السلام فقد انتهزوا فرصة ميقات موسى مع ربه جل شأنه وعبدوا عجلاً من ذهب صنعه السامري لهم.

وعن تحول اليهود عن التوحيد إلى الوثنية يقول الأستاذ المسيري «والعقيدة اليهودية، في إحدى طبقاتها، توحيدية تؤمن بالله واحد يتجاوز المادة، منزّه عن مخلوقاته يقف وراء الطبيعة والتاريخ يحركهما، ولا يرد إليهما. ولكن اليهودية مثل تركيب جيولوجي تراكمت داخله عدة طبقات متناقضة. وفي بعض هذه الطبقات، نجد أن اليهودية تأثرت بالتشكيل الحضاري السامي الوثني»^(١).

وقريباً من هذا يقول المؤلف تحت عنوان العقيدة في شريعة اليهود ص ١٣٥:

«كانت اليهودية أول الديانات الكبرى التي دعت إلى التوحيد وكانت دعوة

(١) المرجع السابق

موسى - عليه السلام - بأمر ربه - تعالى - التوحيد، ولكن اليهود كان لهم طبع يخالف الفطرة الإنسانية التي فطر الناس عليها، فكثرت فيهم الردة، وكثر بعث الأنبياء فيهم تبعاً لذلك.

ويختتم المؤلف هذا الفصل بالحديث عن اليهود وعبادة القمر ثم الكابالا أو السحر الأسود.

عقيدة اليهود في التوراة والقرآن

يسر من المؤلف في هذا الفصل على أن اليهودية الحق جاءت بالتوحيد وقدم بيانا وشرحا لقوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾

(المائدة: ٤٤)

ثم يورد صفات اليهود مؤيداً ذلك بما ورد في القرآن الكريم.

ثم يقبل المؤلف ص ١٥١: ومجال عقيدتهم ذلك العالم الأرضي، ولما كانت عقيدتهم نظاماً للسلوك يحتم اتباعه دنيوياً، كان الجزاء - باعتقادهم بحسب ذلك الاعتقاد، لا بحسب الإيمان بالله واليوم الآخر، لأن الإنسان باعتقادهم - لن يتعرض لليوم الآخر ولن يتنعم بالأعمال أو يعذب بها إلا في حياته الدنيا فقط. ومن ثم لم يرد في دينهم شيء عن الخلق الآخرين.

ويعود المؤلف إلى أقوال «ول ديورانت» الذي يؤكد أن اليهود ما فكروا في البعث طوال تاريخهم الطويل إلا بعد أن فقدوا

الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض، ولعلهم أخذوا هذا من الفرس أو من المصريين القدماء.

ويسوق المؤلف قولاً آخر لديورانت يؤكد هذا المعنى حيث يقول:

«إن اليهود قلما كانوا يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود وكان ثوابهم وعقابهم مقصوران على الحياة الدنيا».

موقف اليهود من الإسلام

وفي الفصل الأخير من الكتاب أفاض المؤلف في الجانب التاريخي فيقول ص ١٦٥:

«يتحدد موقف اليهود من الإسلام والمسلمين منذ زمن يسبق الإسلام بأمد طويل، يرجع إلى زمن ادعائهم بأن الذبيح هو اسحاق - عليه السلام - لا إسماعيل.

ثم يوضح أنهم بهذا التضليل أرادوا الوسيلة إلى تضليل آخر وهو أن الذبيح مفضل عند الله ومبارك ونسله مفضلون ومباركون كذلك، وموعودون من الرب بملك - يمتد من النيل إلى الفرات كما جاء في توراتهم.

أما النقطة الثانية فهي إنكاهم بشاره التوراة بمحمد ﷺ ويقدم نماذج من كتابات العلماء المسلمين مثل ابن القيم في كتابه «هداية الخيارى في أجوبة اليهود والنصارى» ليؤكد أن علماء اليهود كانوا يعرفون النبي محمد ﷺ كما يعرفون

أبنائهم.

ويختتم المؤلف هذا الفصل بحديث عن ما لاقاه اليهود منذ الأسر البابلي في عام (٥٩٧ ق.م) حتى قضى عليهم الرومان الذين دخلوا النصرانية وأنهم تفرقوا في البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وكما أنهم تعرضوا لعداء أباطرة الرومان وبطارقتهم ولم ينج من الاضطهاد سوى من اتجهوا جنوباً إلى جزيرة العرب، حيث عاشوا في سلام وحرية دينية مع العرب.

وأنهم كانوا يتفخرون على أهل يثرب من العرب الوثنيين ويعبرونهم بوثنيتهم وأنهم لا يرقون إلى اليهود (أهل الكتاب) ويؤكدون لهم: أنهم سيتبعون الرسول بمجرد أن يبعث، ولكنهم كانوا ألد أعداء محمد - ﷺ، فأتوا على التوراة التي بأيديهم وبدلوا ما كان بأيديهم من أخبار وحرفوها، وكتبوها على الناس، ليخفوا بشاره التوراة بنبوته ﷺ.

ويقول المؤلف في ص ١٧٣:

ولما هاجر الرسول - ﷺ - إلى يثرب وغير اسمها إلى المدينة ولم يشأ الله لرسوله أن يدخل في خصومة مع اليهود عقب دخوله المدينة، فكتب الصحيفة (صحيفة المدينة) وجعلها شرعاً ينظم حياة الجماعات التي بالمدينة من مسلمين ومشركين وأهل كتاب.

ويوضح المؤلف أن نصوص هذه الصحيفة توجب على اليهود أن يكونوا عوناً للمسلمين ضد أى عدوان خارجي،

مع كفالة الرسول - ﷺ - لكل الحريات الدينية والحقوق العامة والخاصة والتناصر فيما بينهم والتعاون على البر، وعلى الأخذ بيد المظلوم.

ولكن اليهود كذبوا ونقضوا العهد مع رسول الله - ﷺ

ويسرد المؤلف في الصفحات الأخيرة من هذا الفصل غدر اليهود وحسداهم على الرسالة ثم صوراً من الحرب النفسية التي مارسها اليهود ضد المسلمين وبخاصة في مسألة تحويل القبلة، وأنه لما فشلت الحرب النفسية تحولوا إلى التخطيط العسكري.

وبعد أن سرد المؤلف العديد من المواقف التي توضح نفاق اليهود ونقضهم العهد وأطماعهم في الماضي اختتم كتابه بشيء عن أطماعهم في العصر الحديث إذ يقول ص ١٨٥:

وفي العصر الحاضر لا يزالون يطمعون في المدينة المنورة التي لا تبعد عن ميناء إيلات على خليج العقبة بأكثر من ٤٥٠ ميلاً فقط.

وأطماع اليهود في شمال الحجاز معروفة، فهم يطالبون باسترداد مواقعهم القديمة التي أخرجهم الرسول - ﷺ - منها في قينقاع وقريظة والنضير وخيبر، وهي الأماكن التي كانت سماحة العرب قد وسعنتهم فيها، بعد فرارهم من الامبراطور الروماني «تيطس» سنة ٧٠ ميلادية. ولم ينس العرب بعد مساعي «روزفلت» لدى الملك عبدالعزيز آل سعود

- يرحمه الله - يوم عرض عليه مبلغ ٥ مليون جنيه مقابل السماح لليهود باستيطان هذه الأماكن حول المدينة المنورة مستغلاً حاجة المملكة الماسة إلى المال في ذلك الوقت، ولكن الملك عبد العزيز - يرحمه الله - رفض بإباء المسلم أن يبيع الأرض الطاهرة بالمال مع حاجته إليه.

وبعد:

فلقد كشف هذا الكتاب عن كثير من الصفات التي تخلق بها اليهود، واستقصى الكثير من مواقفهم من الأنبياء وأن خلقهم الجحود وازدراء كل ما عداهم من البشر وهو ما أوضحه المؤلف في تقديمه لقسم بابا مزييا بالتلمود الذي يقول:

«إن بني إسرائيل هم وحدهم بني آدم إن غير اليهودي لا يمكن أن يكون لنا أخا المال الذي يملكه غير اليهودي مثل أرض دون مالك، تسرون عليها، تصبح لمن يملكها أولاً، ومثلها مثل مال غير اليهودي لليهودي. إن الله لا يغفر قط لمن يعبد إلى غير اليهودي ماله إن الله لن يغفر لمن يرفع الضر عن غير اليهودي».

والكتاب بحق يعد إضافة حقيقية للمكتبة العربية ولا يقلل من أهميته أن نقول:

إن المؤلف أورد عبارة «تلمود

(٣) المرجع السابق



عبد الوهاب المسيري

أورشليم، في عدة مواضع وقد أثبت الدكتور المسيري خطأ هذه التسمية وأن الصواب هو التلمود الفلسطيني حيث إن القدس خلت من المدارس الدينية بعد هدم الهيكل الثاني، وانتقل الحاخامات إلى إنشاء مدارسهم في يافا، وصقورية وطبرية (٣).

ثم أما بعد:

فإنه لا بد أن أسجل أنني عشت عدداً من الساعات مع هذا الكتاب أشعر بالاختناق من كثرة ما عرض به من إفك وتزوير وتشنيع اليهود على الأنبياء والمرسلين الذين هم خير البشر أجمعين.

وهو ما يلقي الضوء على ما بذله الدكتور السيد أحمد فرج مؤلف هذا الكتاب من جهد في جمع مادة هذا الكتاب بصفة خاصة وتتبع آثار اليهود ورصد سلوكياتهم وقد مكنه من ذلك - كما أسلفنا - إجادته لعدة لغات.

والدكتور السيد أحمد فرج أستاذ متفرغ بكلية التربية بالمنصورة وقد أصدر كتاباً عن الروائي الكبير نجيب محفوظ من وجهة مخالفة للرأي العام فكان له صدى كبير.

يسر

و

القارئ

إعداد وتقديم

د. محمد السيد فقي الدين

ماذا نحن فاعلون؟

١١٦ شهيداً وثلاثمائة جريح وخطف ثمانين مواطناً فضلاً عن التدمير الشامل الذي لحق بالمدينة البائسة... تلك هي حصيلة الغزو البربري الإسرائيلي لقطاع غزة.. وكالعادة العالم كله يتفرج بقلوب ومشاعر فقدت الإحساس.. من بين القتلى أطفال رضع لم يسعفهم الوقت لاستنشاق الهواء بعد أن رفضت إسرائيل الاعتراف بحقهم في الحياة.

صور مأساوية امتلأت بها صفحات الإنترنت منها صورة للشقيقتين سماح عسليّة وسلوى عسليّة، حيث تحول نصفهما العلوي إلى قطع متفحمة أما بقية جسديهما فقد تحلل بفعل القذائف الحارقة!!..

بسام عبّيد كان يهيم بمغادرة منزله برفقة نجله محمود فسقطت عليهما قذيفة مدفعية، وعندما حاول الابن الثاني إنقاذهما أطاحت به هو الآخر رصاصات (دم دم) اغرمة دولياً.

جاكولين أبوشباك شاهدت شقيقها يسقط مصاباً بقذيفة مدفعية وعندما تقدمت لإسعافه عاجلها صهيوني برصاصات غادرة فسقطت بجوار شقيقها.

ومشهد لأطفال رضع يدمى القلوب البعض منهم بدى كدمي مفككة الأجزاء!!..

هذه المشاهد لم تكن الأولى... فقد سبقتها مشاهد أكثر مأساوية كما حدث في مدرسة بحر البقر الابتدائية المصرية التي قصفها الطيران الإسرائيلي عندما عجز عن مواجهة الرجال، فسقط أطفال المدرسة صرعى يتضرجون في دمائهم. ومذبحة كفر قاسم الفلسطينية التي اعتذر عنها منذ فترة «سيمون بيريز» والتي سقط فيها أبناء البلدة الآمنة قتلى عن بكرة أبيهم.

والمشهد القريب الذي مازالت صورته حاضرة، مشهد



«أنا باكره إسرائيل» مجرد التعبير عن الكراهية
أثار إسرائيل فماذا نفعل نحن وقد صارت
دماؤنا مستباحة؟!

وقام الإعلام الصهيوني كذلك بعمل قائمة
بأسماء «أعداء السامية» ويطالب بمحاكمتهم
وأصحاب هذه القائمة هم مجرد أصحاب
أقلام... ولكن المؤسسات الإسرائيلية تعمل
كل في تخصصه، الآلة العسكرية تبيد البشر،
والإعلامية تقطع الألسنة.

ونحن فقط نتفرج ونرقب ونستنكر وننتظر
العدل من قوم لن ينصفونا لأنهم جميعاً
يجلسون في خندق واحد في مواجهتنا،
جميعهم يشارك في قتلنا، جميعهم يسخر من
نبينا ﷺ، جميعهم يتمنى زوالنا.

فماذا نحن فاعلون بعد أن تداعت علينا
الأمم.

أحمد تقى الدين

الجنوب اللبناني الذي حوله الطيران
الإسرائيلي إلى واحدة من أكبر المقابر الجماعية
في التاريخ بعد أن عجز الصهاينة عن القتال
مثل الرجال.

كل هذا ارتكبه إسرائيل التي مازالت تبتر
العالم وتحصل على تعويضات طائلة جراء زعم
لم يشاهد أحد أثره إلا على شاشات السينما
التي تفتنت في إبراز اغتارق التي يزعمون أن
اليهود تعرضوا لها على يد النازي.

ورغم مشاهد القتل المروعة لم يخجل
الإعلام الإسرائيلي من مواصلة الهجوم على
«محمد أبو تريكة» اللاعب الخلق لا شيء إلا
لأنه تعاطف مع شعب غزة المقيوم مع أنه لم
يطالب بقتل اليهود مثلاً!!

وما زال إعلامها يندد بالمغنى الشعبى المصرى
«شعبان عبدالرحيم» صاحب الأغنية الشهيرة

نحن.. والإساءة للعجيب ﷺ

تحت هذا العنوان جاءت رسالة صديقنا الشيخ مصطفى الأزهرى - إمام
وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - قال:

- وهنا أقول ينبغي أن يكون هناك
مكاتب أو جهات رصد لهذه القضية في
هذه المرة وكيف تعاملت الأمة مع هذه
الهجمة المتكررة والتي قد تراها دوائر
غربية ذات تأثير فرصة لشغل الأمة
واستفزاز المسلمين ليسجروهم إلى أن
يتحول الجميع إلى فقاقيع هواء سرعان ما
تنفجر من الصراخ فلا تخيف أحداً ولا
يعمل لها أى حساب.. إننا - نحن
المسلمين - نعيش في حالة من
الاستضعاف العالمى، فنحن «مكرهين»
على مستويات عديدة، لذا فالواجب على
جهات التأثير فى المجتمعات المسلمة فى
مقدمتهم الدعاة العاملين الذين ينظرون
إلى أحوال الأمة عموماً ويقدمون «واجب
الوقت» على غيره فى طرحهم الدعوى..
أقول على الدعاة ألا يزيدوا الأمة قهراً
وجلداً وألا يحملوهم ما لا يطيقون، بل
عليهم أن ينتهجوا مع مثل هذه «الأزمة»
نهجاً تربوياً هادئاً وهيناً مجرداً من أى
توجهات، واضعين نصب أعينهم حالة
«الإكراه» التى أصابتنا جميعاً لنصل إلى
حالة «الاطمئنان الإيمانى» التى عبر عنها
كتاب الله العزيز بقول الله تعالى:

﴿إِلَّا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾

(النحل: ١٠٦)

لاتزال التدايعات وردود الأفعال لأمة
الإسلام تتوالى حرقاً وكمداً وحزناً
وانفعالاً، بسبب تهجم نفر من الغرب
على من لم تشرق شمس على مثله..
رسول الله محمد ﷺ - بابى هو وأمى -
وأخذ بعض المفكرين والدعاة والوعاظ
منحى مختلفاً فى التعامل مع حملة
الإساءة الجديدة (الرسوم الحبيثة)، إذ
رأينا نبرة أكثر هدوءاً وواقعية مع دموع
غزيرة تملأ القلوب وإن لم تظهر لمعتها
فى العيون.. كل هذا يدعوا - مع الأسى
المكثوم - إلى الاستبشار بأننا -
كمسلمين وبما أصبحنا غير منساقين
لعواطفنا فقط - وهى واجبة قطعاً - لنسى
هذه الأمة وقائدها ومصطفاه - صلوات
الله وسلامه عليه - لكن رأيت طرحاً آخر
فى الدعوة والموعظة يحث الأمة الباكية
المكلومة أن تتخذ من حرقها على نبيها
- ﷺ - سبيلاً، لتحمي همة الأمة، وتجديد
إيمانها، بل ولتفتح باباً آخر لتعريف
الناس عموماً والغرب خاصة بشخصية
الرسول - ﷺ - فنشطت أقلام واعدة
على مواقع عديدة على شبكة الإنترنت
تنبئ عن حضور لا ينكر لشباب الأمة
مذكراً بأعمال وبرامج ونصائح ووصايا
وأذكار وصلوات تصرة للعجيب المصطفى

الرحمة المهداة

ويعتبر المولد النبوي الشريف كانت تلك الكلمات التي وافانا بها الأستاذ / أحمد عبد المحسن على محمد - مدرسة الأورمان الثانوية للبنين - بالدقي - جيزة، قال:

بشر سيدنا عيسى ابن مريم - عليه السلام -
بمجيء سيد المرسلين والرحمة المهداة وذكره
باسمه وأكد القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۚ﴾

الصف / ٦

• وهذا الاسم الجليل «أحمد» هو علم للنبي
ﷺ، وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «إن
لى أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي
الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا الماحي الذي
يمحي الله به الكفر، وأنا العاقب والعاقب الذي
ليس بعده نبي» أخرجه أحمد.

• وهذه الآية الكريمة تبين أن سيدنا عيسى -
عليه السلام - قد بشر قومه ببعثة الرسول ﷺ.

• وجاء في التوراة صفات خاصة برسول الله
ﷺ، قال عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما -
قال: (قرأت في التوراة صفة النبي محمد ﷺ:
عبدى ورسولى، سميته الشوكلى، ليس بفظ ولا
غليظ، ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى
بالسيئة السيئة، بل يعفو ويصفح ويأمر الناس
باعتناق الفضائل، واجتناب الرذائل).

وإن الله سبحانه وتعالى أنزل عليه شريعة تحل
للناس الطيبات، وتحرم عليهم الخبائث، وجاء إلى
الناس بالشرعية السمحة التي تمتاز باليسر واللين
لا بالعسر والشدة.

• والكتب السماوية السابقة قد بشرت به
ووصفته بأكرم الصفات وأفضلها التي تدعو كل
إنسان عاقل إلى اتباعه والإيمان به.

• إن الدعوة التي كلف رسول الله ﷺ بها هي
دعوة الناس كافة إلى إخلاص العبادة لله وحده،
والتحلى بمكارم الأخلاق.

• وكل من يقرأ سيرة سيدنا محمد ﷺ يعرف
أنه لقب بالصادق الأمين، ويكفيه شهادة الله
تعالى له فى قوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۖ﴾

القلم / ٤

وكيف لا يكون كذلك وهو القائل: «إنما بعثت
لأتم مكارم الأخلاق...» وقال الله تعالى عنه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۖ﴾

الأنبياء / ١٠٧

فكانت فضيلة الرحمة ملازمة للرسول ﷺ
طوال حياته، وفي أخرج الأوقات والدليل على
ذلك عندما ذهب إلى «الطائف» واعتدى السفهاء
عليه، لم يدع عليهم بما يهلكهم، بل دعا لهم
بالهداية فقال: (اللهم اهد قومي فإنهم لا
يعلمون).

وقد أراد الله تعالى أن يمتن على العالم بمن
يصلح أخطاءه ويخفف أحزانه فأرسل نبي
الرحمة، والهادى البشير ﷺ.

من وحي الهجرة

تحت هذا العنوان جاءت قصيدة كتبها الأستاذ / سيد عبد الرحمن -
هرجيسيا - الصومال - تخيرنا منها هذه الأبيات:

يا مولد النور مَرَحَىٰ إِذْ تَوَافَيْنَا وَلَمَّا الْكَوْنُ إِيمَانًا وَتَبَيَّنَا
أَشْرَقَ بِخَيْرٍ عَلَى الدُّنْيَا لَتَذَرِكُنَا وَالسَّلَامِينَ جَمِيعًا ثُمَّ وَادَيْنَا
أَشْرَقَ فَدُنِّيَانَا دَوْمًا مَقْطَبَةً إِنْ أَضْحَكْتَ يَوْمًا دَهْرًا تُبْكِينَا
يَا أَيُّهَا الْعَبِيدُ قَدْ حَقَّقْنَا بِحَاضِرِنَا وَمِنَّا التَّزَوُّدُ مِنْ أَمْجَادِ مَا ضَيْنَا
آبَاؤُنَا سَبَرُوا أَغْوَارَ مَعْرِفَةٍ فِي كُلِّ أَلْوَانِهَا كَانُوا أَسَاطِينَا
يَا أَيُّهَا الْعَبِيدُ فَلْتَنَهِدْ لَنَا قَبَا مِنْ هَدَى أَحْمَدَ عَلَى الْهَدَى يُغْفِرُنَا
أَقْصَصْ عَلَيْنَا كَرِيمًا مِنْ مَنَاقِبِهِ وَاحْمِلْ إِلَيْنَا تَعَالِيمَ النَّبِيِّينَا
يَا أَيُّهَا الْعَبِيدُ حَدِّثْ عَنْ حَبَابَتِهِ حَوْلَ الْعَظِيمِ عِظَامُ صُنْعٍ دَاعِينَا
هَاتِ عَنِ الصَّدِيقِ، عَنْ عَثْمَانَ عَنْ عَمْرِو عَنْ فَارِسِ الْإِسْلَامِ عَنْ سَعْدِ يَرْوِينَا
هَاتِ عَنِ الْجَرَّاحِ، يُصَلِّي الرُّومُ يَقْهَرُهُمْ عَرَجَ عَلَى ابْنِ الْعَاصِ يَسْتَرْجِعُ فَلَسْطِينَا
لَوْ أَنَّ زَلْزَلَةً لِلْأَرْضِ قَدْ وَقَعَتْ تَنَوَّرَهَا فَارًا، أَوْ حِيلَتْ بِرَاكِيبِنَا
لَمَّا أَفَقْنَا، فَحَكَمَ اللَّهُ مُدْرِكُنَا لَا الْأَرْضُ تَأْسَى، وَلَا الْأَفْلاكُ تَبْكِينَا
الْعَبِيدُ يَا مُرْشِدِي عَهْدُ نَقْدَمُهُ نُظْهِرُ النَّفْسَ، لَا نَأْتِيكَ خَاطِبِينَا
هَيَّا بَنِي الْإِسْلَامِ فَلْيَبْعَثْ عَقِيدَتَنَا هَذَا النِّجَاءُ، فَدَعُوكُمْ مِنْ تَبَاكِيبِنَا
هَذَا السَّبِيلُ لِأَرْحَاءِ الرَّسُولِ إِذَا كُنَّا الْحِرَاصَ عَلَى الذِّكْرِى وَمُبْقِينَا



إعداد الأستاذين / محمد جمعة - أحمد رضوان

كبير أساقفة كاتدريري يدعو لتبني جوانب من الشريعة الإسلامية

تعرض «د. روان وليامز» كبير أساقفة كاتدريري لهجوم عنيف بسبب دعوته لتبني بعض جوانب الشريعة الإسلامية في الحياة والقوانين البريطانية.. وقال وزير الثقافة البريطاني: «من غير الممكن تطبيق نظامين قانونيين في آن واحد...» وقالت صحيفة «صن» البريطانية: من السهل عزل كبير أساقفة كاتدريري روان وليامز.. إنه في الحقيقة تهديد خطير لأمتنا.

وجاء في بيان عن وليامز: «إن اقتراحه لم يدع إلى اعتماد قوانين الشريعة لتكون منظومة قانونية موازية للقانون المدني».

وأوضح البيان أن الدكتور روان وليامز كان هدفه الرئيسي هو تبني بعض القضايا الكبرى بشأن حقوق المجموعات الدينية داخل دولة علمانية. وكان الدكتور روان وليامز قد أكد أهمية تبني جوانب معينة من الشريعة الإسلامية، قائلاً: إن تطبيق بعض جوانب الشريعة الإسلامية قد يساعد في الإبقاء على الاندماج الاجتماعي.

وتوه وليامز إلى أنه لا ينبغي أن يفرض على المسلمين «الخيار الصعب بين الولاء الثقافي والولاء السياسي».

وقد رفض رئيس الوزراء البريطاني جوردن براون دعوة الدكتور روان. فقد نقلت الإذاعة البريطانية «بي بي سي» عن الناطق باسم رئيس الوزراء البريطاني قوله: «إن جوردن براون يؤمن بضرورة الاعتماد

على ما أسماه بالقيم البريطانية».

كما أعربت الملكة إليزابيث الثانية ملكة بريطانيا عن قلقها بسبب تداعيات الجدل الدائر حول تصريحات أسقف كاتدريري.. وقالت الملكة: إنها تخشى أن هذا الأمر يهدد بتقويض سلطة الأسقف وإلحاق ضرر بكتيسة إنجلترا.

الرئيس الجديد لمجلس الأساقفة الألمان يؤكد حق المسلمين في بناء مساجد

أكد الرئيس الجديد لمؤتمر الأساقفة الألمان «روبرت تسوليتش» حق المسلمين الذين يعيشون في الغرب في بناء مساجد.

كما أكد «تسوليتش» على أهمية مد يد المساعدة للمسلمين الذين يعيشون في ألمانيا حتى يجدوا فيها وطناً لهم، وقال «تسوليتش»: للمسلمين الحق في بناء مساجد أينما يتواجدون. ولكنه أضاف أن مسألة مساحة المسجد يمكن أن تطرح للبحث.

كما أشار رجل الدين الكاثوليكي إلى أن مؤتمر الأساقفة كان يحبه دوماً فكرة تدريس مواد دينية إسلامية في المدارس إذا ما استدعت الضرورة ذلك، على أن تكون باللغة الألمانية وعلى يد معلمين تدربوا في ألمانيا.

مفكر ألماني يرفض ربط المشكلات الاجتماعية بالإسلام

أكد البروفيسور فيرنر شيف أور- أستاذ الأنثروبولوجيا الثقافية بجامعة فيادينا بمدينة فرانكفورت الألمانية- أن ربط المشكلات الاجتماعية التي يواجهها المجتمع الألماني بالدين الإسلامي يعد خطأ كبيراً يصل إلى درجة «الكارثة» وأردف أنه من الخطأ ربط المشكلات الاجتماعية لاسيما مشكلة ارتفاع الجريمة في المجتمع الألماني، بالدين الإسلامي مشيراً إلى أن معدل الجريمة في ألمانيا مرتفع بشكل ملحوظ بين المهاجرين من جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً ويوغوسلافيا.. وقال: «أعتقد أن المسألة تزداد تعقيداً عندما يكون الحديث عن الشباب المسلم، لأننا نضفي على المشكلة حينئذ الصيغة الإسلامية، فما كان في السابق يقترن بمشكلات الهجرة والمشكلات الاجتماعية، أصبح اليوم يقترن بالإسلام، وهو ما اعتبره «كارثة».

مركز الدراسات الإسلامية بلندن ينتهي من معجم ألفاظ القرآن الكريم

انتهى مركز الدراسات الإسلامية بجامعة لندن من مشروع معجم ألفاظ القرآن الكريم باللغتين العربية والإنجليزية الذي يعد أحد أهم المشاريع العلمية من نوعها على المستوى العالمي.

أوضح الدكتور محمد عبدالحليم- مدير المركز المصري الجنسية- أن المعجم استغرق عمله ما يزيد على خمس سنوات وتم إنجازها في ١٠٧٠ صفحة وفق أحدث القواعد العلمية المعروفة بعمل المعاجم. وأشار إلى أن المعجم تميز بجمع ألفاظ كلمات القرآن الكريم في أساسها باللغة العربية، ومعانيها وذلك في وقت نزول القرآن الكريم ثم حصر ورودها في كتاب الله- عز وجل- وجزئت إلى أقسام حسب المعاني النحوية ثم ذكر معانيها المعقودة في سياقاتها المختلفة التي وردت بالقرآن الكريم.

تناول المعجم شرح الحروف والأدوات وبيان معانيها في القرآن وأهميتها في ربط الجمل... وأن المعجم تميز بتحديثه لأماكن جميع الأسماء الجغرافية التي وردت في القرآن الكريم بالإضافة إلى أنه يقدم نبذة مختصرة عن الأسماء الشخصية أو الموصوفة التي ذكرها القرآن عن أشخاص معينين.

المجلس الشرعي الإسلامي في لبنان يحذر من الفتنة

أصدر المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى برئاسة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني بياناً حذر فيه من خطورة الوضع الراهن بالبلاد مطالباً قادة لبنان بحجب الفتنة.

وحذر المجلس الشرعي من الفتنة المذهبية والطائفية التي تطل برأسها من حين لآخر داعياً الجميع على وقف الشحن الطائفي، الذي لن يؤدي إلا إلى مزيد من التباعد بين أبناء الوطن الواحد، ودعا إلى تقديم وحدة البلاد على كل ما عداها من مصالح شخصية أو قنوية.

عدوان إسرائيلي جديد تهدم مسجد العمري التاريخي بالقدس

في خطوة جديدة لطمس المعالم الإسلامية بمدينة القدس اتخذت السلطات الإسرائيلية قراراً بهدم المسجد العمري التاريخي بمنطقة أم طوبا جنوب شرق القدس المحتلة، بحجة أن المسجد تم بناؤه بدون ترخيص.

من جانبه أدان الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية القرار، وقال في بيان له بهذا الصدد: إن سلطات الاحتلال تتلذذ بحجة بناء المسجد من غير ترخيص علماً أن المسجد شيد قبل ٧٠٠ عام وتم ترميمه آخر مرة عام ١٩٦٣م ويعد المسجد الوحيد في قرية أم طوبا.

وأضاف أن سلطات الاحتلال تمعن في المس بالمقدسات بهدف طمس المعالم الدينية والإسلامية في فلسطين.

وحذر سلطات الاحتلال من العواقب المترتبة على هذا القرار مطالباً اليونسكو وجميع المنظمات الدولية والعربية والإسلامية بالتدخل لوقفه.

وأدانت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» بشدة القرار الذي اتخذته سلطات الاحتلال الإسرائيلي بهدم المسجد العمري... ودعت -الإيسيسكو- المجتمع الدولي إلى التدخل للضغط على إسرائيل... باعتبار ذلك تجاوزاً على المقدسات الإسلامية وانتهاكاً صارخاً للقانون الدولي.

الأصوات اليهودية المستقلة في بريطانيا تدين حصار إسرائيل لغزة

أدانت جماعة كبيرة من الناشطين اليهود والأكاديميين البريطانيين الممارسات الإسرائيلية الأخيرة في قطاع غزة، داعية الدولة العبرية إلى رفع حصارها الاقتصادي عن القطاع ومتهمة إياها بخرق القانون الدولي.

وذكرت صحيفة «هاآرتس» الإسرائيلية - في موقعها على شبكة الإنترنت - أن الجماعة التي يطلق عليها اسم «الأصوات اليهودية المستقلة» قد شكلت قبل عام ومن بين الموقعين عليها

«هارولد بينتر» الفائز بجائزة نوبل للآداب.

وأضافت الصحيفة: أن البيان الذي يدين هذه الأعمال وقع عليه ٢٥٠ شخص من أعضاء الجماعة، ويحمل عنوان «أوقفوا الحصار على غزة» حيث أدان ما تقوم به إسرائيل من حصار على قطاع غزة باعتباره خرقاً للقانون الدولي، وداعياً في الوقت نفسه إلى وقف هجمات الصواريخ الفلسطينية.

منظمة المؤتمر الإسلامي تشيد بقرار - مبارك - فتح الحدود مع غزة

أشادت الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي بقرار الرئيس مبارك بالموافقة على فتح معبر رفح أمام أبناء قطاع غزة لشراء ما يلزمهم من سلع وخدمات من الجانب المصري. أعلن المشاركون في مؤتمر اتحاد مجالس الدول الأعضاء بالمنظمة والذي عقد بالقاهرة أن مبارك أعاد الانحام بين أبناء الشعب الفلسطيني بدعوته للحوار بين فتح وحماس وضرورة تحقيق الوحدة الوطنية بين الفصائل الفلسطينية... وانتقد أعضاء المؤتمر الحصار الإسرائيلي لغزة والاعتداءات الوحشية على الفلسطينيين والإجراءات القمعية في الأراضي المحتلة وإقامة الجواز بين المدن والقرى في الضفة الغربية وقطاع غزة لتجريد الشعب الفلسطيني وتفرغ غزة من سكانها... كما انتقد المؤتمر استمرار أعمال الحفر والهدم التي تقوم بها إسرائيل حول المسجد الأقصى وطالبت الوفود المشاركة بضرورة الفصل بين الإرهاب وحق الشعوب في المقاومة المشروعة والكفاح المسلح ضد المستعمر لتحرير وطنه واستعادة حقوقه.

البرلمان التركي يقرر رفع حظر الحجاب بالجامعات

أقر النواب البرلمان الأتراك بصفة نهائية تعديلاً دستورياً يتم بموجبه رفع الحظر عن ارتداء الحجاب في الجامعات التركية وفق ما أعلنه رئيس البرلمان التركي.

وجاء في التعديل الأساسي للمشروع أنه لا يمكن حرمان أحد من حقه في التعليم العالي... في إشارة إلى الطالبات المحجبات. ويعد إقرار البرلمان هذا التعديل سيحالي إلى رئيس الجمهورية عبد الله جول ليصادق عليه، ثم يدخل حيز التطبيق، إذا لم يعترض عليه العلمانيون أمام المحكمة الدستورية ويأتي هذا التعديل في ظل دعوة المعارضة العلمانية إلى الاحتجاج متهمه الحكومة بالسعي لتقييد أسس العلمانية في تركيا، فقد دعت أكثر من سبعين منظمة نسائية علمانية إلى تجمع احتجاجي أمام مبنى البرلمان بعد أن كان أكثر من ١٢٥ ألف متظاهر قد احتجوا على الموضوع نفسه، ونقول الحكومة إن مبادرتها لهذا التعديل تهدف إلى إشاعة المزيد من الديمقراطية والحرية في تركيا التي تسعى للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي. وقال أردوغان: إن هذا التعديل سينهي معاناة فتياتنا في الجامعات موضحاً أن الأمر يتعلق بالجامعات فقط ولا يمتد للمدارس العليا أو الدوائر العامة.

وقد منع ارتداء الحجاب في الجامعات بعد تولي الجيش السلطة عام ١٩٨٠ وحرم هذا القرار العديد من الطالبات من مواصلة تعليمهن في حين اضطرت أخريات إلى الاحتيال على قانون المنع.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للاستاذ / عبد الموجود أمين موسى

هل السخرية من رسول الله ﷺ حرية إبداع؟

والسخرية من ابن ملك أسبانيا إهانة؟

تناولت الصحف خبر تقديم السيد / مصطفى الجندي - عضو مجلس الشعب استجوابا للسيد الدكتور رئيس مجلس الوزراء عن انتشار العديد من الكتب التي تسيئ لشخص النبي صلى الله عليه وسلم في مصر بلد الأزهر الشريف وكيف تجرؤ بعض دور النشر على نشر مثل هذه الكتب دون رقابة من الأزهر الشريف ووزارة الثقافة.

ومجلة الأزهر إذ تشكر للسيد عضو مجلس الشعب غيرته المحمودة على دين الله عز وجل ورسوله الكريم... صلى الله عليه وسلم تود أن توضح الصورة أمام السادة القراء، حتى لا يتهم الأزهر بالتقصير في أداء رسالته التي حملها بكل أمانة وإخلاص عبر تاريخه الغيد.

لذا فقد توجهنا بالسؤال إلى السيد صاحب الفضيلة الشيخ علي عبد الباقي شحاته الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الذي تفضل بالإجابة التالية:

أولاً: الأزهر الشريف بمقتضى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م ولائحته التنفيذية الصادرة بقرار السيد رئيس الجمهورية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥م يختص بفحص المؤلفات والمصنفات الإسلامية وإبداء الرأي فيما يتعلق بنشرها أو تداولها أو عرضها وبناء على ما تقدم فإن حدود اختصاص الأزهر تقف عند إبداء الرأي فيما يعرض عليه من مؤلفات أو مصنفات تحتوي شأنا إسلاميا أو تتعرض للإسلام من حيث الموافقة على نشرها أو تداولها أو عرضها، سواء تقدم بها المؤلفون أنفسهم أو وردت إلى الأزهر عن طريق الجهات الرسمية المعنية، أو وردت بشكاوى من المواطنين الغيورين على دينهم.

وإذا رأى الأزهر الشريف في أى مؤلف أو مصنف ما يتعارض مع ثوابت الدين وأصول العقيدة، أو إساءة لرسول الله عليهم جميعا الصلاة والسلام أو صحابة رسول الله صلى الله

عليه وسلم أو السلف الصالح فإنه يقوم على الفور بإخطار الرقابة على المصنفات بوزارة الداخلية لإعمال شأنها نحو منع تداول هذه المؤلفات واتخاذ الإجراءات القانونية طبقا للمصالحات التي خولها لها القانون.

ثانياً: بالنسبة لكتاب «الحب والجنس» في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فقد ورد إلى مجمع البحوث الإسلامية بتاريخ ٢٩ / ١ / ٢٠٠٨م من أحد المواطنين مشفوعا بشكوى يتضرر فيها من محتويات الكتاب ويطلب من المجمع اتخاذ اللازم وعلى الفور تم فحص الكتاب وتبين أنه يحتوي على مخالفات دينية منها ما يلي:

١) عنوان الكتاب غير لائق، ولا يتفق مع الأدب الواجب مع النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزول بالاسم وصفة النبوة إلى مستوى العوام من الناس.

٢) الترويج لأفكار جماعة من الجماعات الضالة «جماعة القرآنيين» والطعن في السنة النبوية بصفة عامة، حيث إنها شنت هجوما صريحا على الإمام البخاري واتهمته بالوضع في الحديث وكذا بالشعوبية مع التشكيك في صحة ما أورده في صحيحه من أحاديث نبوية.

٣) الفصل الثالث عبارة عن عرض لحياة النبي صلى الله عليه وسلم الجنسية مع زوجاته من زاوية الطعن في شخصيته.

٤) الفصل الرابع احتوى على حديث مفصل عن كيفية اللقاء الجنسي في أسلوب

صريح مكشوف بعيد عن الحياء، وكذلك الأمر في الفصل الخامس احتوى على وصف تفصيلي لطرق الجماع بين الزوجين في أسلوب مكشوف دون حجل أو حياء.

٥) الفصل الثامن والثالث والرابع والخامس فصول فيها خروج كثير من الحياء وعون على الفحش، فضلا عما ذكر من طعن في شخصية الإمام البخاري.

وبعد اعتماد تقرير الفحص تم إخطار الجهات المعنية المختصة لاتخاذ اللازم بتاريخ ٢٩ / ٢ / ٢٠٠٨م.

● وسؤال فضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو غزالة مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية أجاب قائلا:

بالكتاب نقل بوافق ما جاء على لسان الذين يطعنون في السنة النبوية بصفة عامة والذين سموا أنفسهم «القرآنيين».

وبه أيضا بعض العبارات التي تشير إلى أن بالكتاب نكرة تبشيرية تدل على أن كاتبها مسيحي يدعو للتبشير وهي عبارة «هل أدعوك يا أخى المستمع الكريم لكى تقرأ عن شخصية السيد المسيح ومبادئه الفائقة، ونعمته الغنية التي يعطيها لنا بمجرد طلبها منه «هذه النعمة» أغنى أن نبحث عن خلاص نفوسنا قبل أن نقف أمام الله ولا تشفع أية حجة واهية، فيها نحن نسمع صوت الله المحب كرسالة لكل واحد منا، هل تستجيب؟ أصلى أن يعطيك الرب رحمة ونعمة أمين» ص ٦٣

من كل هذا وذلك ويطلب من الأزهر السماح بمباركة الكتاب والمواقفة على تداوله بين المسلمين تحت زعم حرية الفكر والتعبير وبهذه المناسبة أسواق هذا الخبر للمتباكين على حرية الرأي والفكر والمترمين تحت أقدام الغرب .

- في يوم ٢١ / ١١ / ٢٠٠٧ م في جريدة الجمهورية العدد ١٩٦٨٨ ص ١٠ نشر خبر نصه الآتي :

تفريم رسامي كاريكاتير

أهانا ابن ملك أسبانيا

باريس - وكالات : قضت محكمة جنح مدريد بغرامة ٦ آلاف يورو ضد اثنين من رسامي الكاريكاتير بصحيفة «الخوبيس» الأسبانية الإسبوعية الساخرة بتهمة الإساءة للأمير فيليب ابن ملك أسبانيا وزوجته الأميرة ليشيثيا بعد نشر رسم يظهرهما يمارسان الجنس معا في إشارة لقرار الحكومة بمنح مكافأة ٢٥٠٠ يورو لكل زوجين يتجبان طفلا بأسبانيا كإجراء وفائي لمنع الهجرة إليها .

المصدر:

أبعد هذا يمكن أن يقال : إن الغرب لا يستطيع أن يفرق بين حرية الرأي وبين الإساءة ؟ وهل الإساءة إلى ابن ملك أسبانيا أمر لا يغتفر والإساءة إلى رسول الله ﷺ أمر فيه نظر ؟

المسابقة العامة للبعوث

صرح فضيلة الشيخ فوزي زيدان - الأمين العام المساعد للبعوث الإسلامية : أنه تم الإعلان عن المسابقة العامة للبعوث الإسلامية (بعثات الأزهر) للابتعاث للخارج للعام الدراسي ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩ في الإيسوع الأول من شهر نوفمبر لفتح باب القبول للمتقدمين للمسابقة من السادة العاملين في مجال التدريس والوعظ بالأزهر الشريف وقد بلغ عدد المتقدمين للمسابقة ٤٦٠٠ متقدم وسوف يعقد الامتحان في القرآن الكريم ومادة التخصص بدءا من يوم الأحد الموافق ٢٠٠٨ / ٣ / ٢ وتنتهي في ٢٠٠٨ / ٤ / ١٤ بواقع ١٥ لجنة في اليوم وفي كل لجنة عشرة متحنيين فقط لضمان التقييم الأمثل والجيدة والنزاهة بين المتسابقين .

وسيمت إجراء امتحان للغات للمتقدمين للمسابقة العامة للمبعوثين إلى الدول الأوروبية وأمريكا في مادتي اللغة الإنجليزية والفرنسية وقد بلغ عدد المتقدمين للغة الإنجليزية ٧٦٠ والفرنسية ٤٠ للابتعاث إلى أوروبا وأمريكا والمراكز الإسلامية في مختلف دول العالم غير الناطقين بالعربية .

ترقيات علماء الوعظ

صرح فضيلة الشيخ / عبد الحميد الأطرش الأمين العام المساعد للدعوة والوعظ : أنه انتهت يوم الخميس الموافق ٢٠٠٨ / ٢ / ٢٨ امتحانات الترقيات لعلماء الوعظ على مستوى الجمهورية .

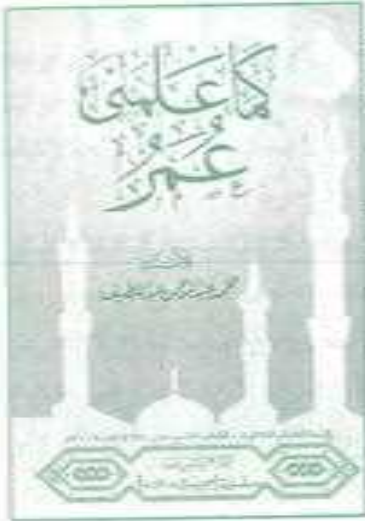
وقد سادت الامتحانات الشفافية المطلقة حيث عقدت اختبارات تحريرية في مادتي الفقه والقرآن الكريم وسوف تنتهي أعمال التصحيح وإعلان النتيجة في خلال الإيسوع الأول من شهر مارس وسوف يوزع الناجحون على المناطق جغرافيا حسب الحاجة ومن يمتنع أو يفضل البقاء في منطقته يعتبر تنازلا منه عن حقه في الترقية وقد قام باختيار المتحنيين نخبة من علماء الأزهر الشريف تنفيذًا لتعليمات السيد صاحب الفضيلة شيخ الأزهر وفضيلة الأمين العام أما بخصوص المدة البينية فلا استثناءات فيها إلا في الضرورة القصوى لحاجة المنطقة فقط .

الطلاب الوافدين

صرح فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين بمجمع البحوث الإسلامية بأن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف قد وافق على محضر لجنة شئون الطلاب الوافدين التاسع والخمسين بتاريخ ٢٠٠٨ / ٢ / ٢٤ على ترشيح عدد ٤٥٥ طالبا وطالبة للعام الدراسي ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ للمرحلة الجامعية والمعاهد الأزهرية .

كما صرح فضيلته بأن عدد الدارسين في الأزهر الشريف من دولة إنجلترا قد بلغ هذا العام ١٢٤ طالبا وطالبة في مختلف مراحل التعليم حيث تضم الدراسات الخاصة ٥ طلاب، والمرحلة الابتدائية ٤٦ طالبا و٤٣ طالبة، والإعدادي طالبين وطالبة واحدة، والثانوي ٩ طلاب، والجامعة ١٧ طالبا .

ثاني الخلفاء



صرح فضيلة الشيخ عبدالرحمن العسيلي مدير عام سلسلة البحوث الإسلامية بأنه صدر من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية

كتاب : «كما علمني عمر» للأستاذ : محمد عبدالرحمن عبداللطيف ، قدم فيه المؤلف جانباً من تاريخ ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب كمثل إسلامي فريد في الإسلام وفريد في التاريخ الإنساني كله واستطاع المؤلف أن يضع يد القارئ على التجارب العمرية في إقامة العدالة الاجتماعية التي تستوحى العدل في العطاء وتستلهم المساواة في الأخذ والحرص على الحرية الشخصية بميزان دقيق حازم يعلق به باب المقارنات الذاتية والتطلعات الطبقية ويتم ذلك بالقدوة وإعطاء المثل من صاحب الفكرة وواضع المنهج حتى يكون مثلاً وأسوة ينأى عن شبهة التناقض بين الفكرة والتطبيق ، فهو مثل نادر لا ترقى إليه التجارب الاجتماعية الحديثة مجتمعة .

والكتاب يعد دافعاً عن تجارب الفاروق عمر وتوضيحاً لمفاهيمه بأسلوب علمي راق وبألفاظ سهلة واضحة .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

فضيلة الشيخ / عبد النبي فراج

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

بيان من الأزهر الشريف

الأزهر الشريف وجميع المؤسسات الدينية تبصر - تستكر ما تقوم به بعض وسائل الإعلام الداعية، من سفاهات وإساءات إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإلى الإسلام والمسلمين، وتحذر هؤلاء الذين لا يعرفون معنى الشرف الإنساني من السير في هذا الطريق المشين الذي يزرع العداوات بين المسلمين وغيرهم، ولا يخدم بحال من الأحوال قضية السلام بين الأمم.

﴿ وَسِعِلُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلَبِينَ يَنْقَلِبُونَ ﴾

البيان الختامي للجنة المشتركة للحوار

عقد الاجتماع السنوي للجنة المشتركة للحوار بين اللجنة الدائمة للأزهر لحوار الأديان السماوية والمجلس البابوي للحوار بين الأديان بالفاتيكان وفي نهاية الاجتماع صدر البيان الختامي على النحو التالي:

إيماناً بدور الأديان التوحيدية في توفير أساس لقيم السلام والحق والعدل والسلوك الحسن والتعاون في سبيل تطوير العالم وحسن استخدام خيرات الأرض لصالح البشرية بأسرها، لتحقيق الأخوة والسلام والسعادة لكافة الشعوب. وتأكيداً على أهمية هذه المبادئ النبيلة والقيم المثلى في توجيه سلوك الإنسان، وبخاصة في زماننا الحاضر الذي ذابت فيه الحدود بين الدول وقلت فيه أوجه التميز بين الشعوب، والذي ازدادت فيه مظاهر العنف والتطرف والإرهاب، فضلاً عن تدني التمسك بأهداف الدين والقيم الدينية وبكل ما يعتبره الناس مقدساً.

أخذين بالاعتبار مكانة الأزهر الشريف وتاريخه ودوره المميز في العالم الإسلامي، وأخذين كذلك بالاعتبار المهمة الملقة على عاتق المجلس البابوي للحوار بين الأديان في الكنيسة الكاثوليكية. وإقراراً من الطرفين بأهمية المعرفة المتبادلة والبحث عن أرضية مشتركة بين الديانتين كأساس لتعاون أوسع وعلاقات أفضل.

عقدت اللجنة المشتركة اجتماعها السنوي في مقر مشيخة الأزهر يومي الإثنين ٢٥ شباط / فبراير والثلاثاء ٢٦ شباط / فبراير ٢٠٠٨ برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالفتاح علام، وكيل الأزهر ورئيس اللجنة الدائمة للأزهر لحوار الأديان السماوية، ونيافة الكاردينال جان - لوي توران، رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان.

ناقشت اللجنة موضوع «الإيمان بالله ومحبة القريب كأساس للحوار الإسلامي - المسيحي» مستعينة

بورقتين قدم إحداهما الأب رينيه - قسان دي جرانالونية، الدومينيكي، والأخرى قدمها الأستاذ الدكتور عبد الله مبروك النجار.

ركزت اللجنة خلال النقاش على المبادئ والقيم الأخلاقية والروحية المشتركة، إذ تساعد هذه على تربية الضمائر وإنارة العقول، مما يؤدي إلى هداية الفكر والسلوك، وبخاصة فيما يرتبط بالعلاقات مع الإخوة والأخوات من الدين الآخر، ناقشت اللجنة كذلك موضوع حرية التعبير، مشيرة إلى أنه لا يمكن اتخاذها ذريعة لإهانة مشاعر الناس فيما يختص بالأمور الدينية، مما يؤدي إلى توتر العلاقات وهدم أخوة الأخوة.

أدانت اللجنة بشدة إعادة نشر الرسوم المسيئة والهجوم على الإسلام وعلى نبيه الكريم، مستذكراً ما ورد في خطاب البابا بندكتوس السادس عشر، لدى تقديم سفير المغرب. لأوراق اعتماده لدى الكرسي الرسولي، أنه للحفاظ على السلام والتفاهم بين الشعوب والأفراد من الضروري أن تحترم أديانهم ورموزهم الدينية، وألا يتعرض المؤمنون للاستفزاز، مما يجرح مشاعرهم ويؤدي مسيرتهم الدينية (٢٠ شباط / فبراير ٢٠٠٦). وعبر أعضاء اللجنة عن رضاهم عن الاتفاق الذي تم التوصل إليه، مستشعرين في ذلك تشجيعاً على مواصلة الحوار. وفي نهاية الاجتماع اتفق المشاركون على التوصيات التالية:

• **أولاً:** التأكيد على أن كل الأديان تحترم كرامة الإنسان وعرضه، دون تمييز بين جنس أو لون أو دين أو معتقد، وأنها تدعو أي اعتداء على سلامة الشخص أو ماله أو عرضه.

• **ثانياً:** دعم الاحترام الحقيقي للأديان والمعتقدات والرموز الدينية والكتب المقدسة وكل ما يعتبره الناس مقدساً. ويجب على القادة الدينيين مسلمين ومسيحيين، كما على قادة الفكر والمربين بذل كل جهد ممكن لغرس تلك القيم من خلال عملهم في مختلف أماكن التعليم وعلى كافة مستويات المجتمع.

• **ثالثاً:** مناشدة المسؤولين عن وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية في كل الدول ألا تتحول حرية التعبير إلى ذريعة لإهانة الأديان والمعتقدات والرموز الدينية وكل ما يعتبره الناس مقدساً، بل عليهم أن يقاوموا التطرف وأن يشجعوا القبول المتبادل والمحبة واحترام الجميع بصرف النظر عن الدين.

• **رابعاً:** تشجيع تبادل وجهات النظر حول مسائل مستجدة وذات اهتمام مشترك.

• **خامساً:** التأكد من تطبيق هذه التوصيات خلال الاجتماعات القادمة للجنة.

واتفقت اللجنة على عقد اجتماعها القادم في روما يومي ٢٤ - ٢٥ شباط / فبراير ٢٠٠٩.

الإمام الأكبر يفتتح الموسم الثقافي لمدينة البعوث الإسلامية

أكد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر أن شريعة الإسلام أعطت للمرأة حقوقاً وواجبات وسأوت بينها وبين الرجل في التكليف الشرعية وفي وجوب التحلي بمكارم الأخلاق وقال خلال افتتاحه للموسم الثقافي لمدينة البعوث الإسلامية أن شريعة الإسلام أعطت الحق للمرأة في طلب العلم النافع الذي يتفق الأمة وكذلك الحق في العمل الشريف والكرامة الإنسانية. وأضاف أن شريعة الإسلام بينت لنا أن طلب العلم فريضة ولكن بشرط أن يكون هذا العلم من أجل الإصلاح والبناء لا الهدم والتخريب فاستعمال العلم في الدفاع عن الحق والوطن وحرية الإنسان وردع الظلم وتربية النشء تربية صالحة هو استعمال نافع للعلم أما استعماله في القتل والتخريب فهو خروج عن تعاليم الإسلام ومن يفعل ذلك فهو مجرم آثم قلبه.

وفي ختام المحاضرة طالب الإمام الأكبر الطالبات باحفاظة على كرامة الأمة وحرمتها وأمنها لأنها أمانة في أعناقهم.

However, the situation is difficult, the reckoning is heavy, the sins are weighty, and the crimes are serious. What will be their destiny?

{Upon that Day, (the ones) who have disbelieved and disobeyed the Messenger would fain if the earth were leveled with them; and they will not keep back from Allah any discourse.} [An-Nisa' (The Women): 42]

This verse descended immediately after the last verse the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) heard from Ibn Mas'ud making him weep as we mentioned before. The disbelievers will hope that the earth would split and swallow them or that they would be leveled with earth like dust. Also, they hope that they would not be resurrected not to face this terrible Day due to extreme shame, disgrace and torture.

{On the Day when a person will flee from his brother. And his mother, and his father. And his female companion, and his seeds. Upon that Day every (single) person of them shall have an affair that will avail him. (some) faces upon that Day shall shine. Laughing, (happy) at the glad tidings. And (some) faces upon that Day will be (covered) by resentment. Oppressed by gloom. Those are the ones who are the shameless, impious disbelievers.} [Abasa (He Frowned): 34-42]

Away with them and what a bad destiny!

The explainers said that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) wept, as he was strongly effected by the meanings of Qur'an, and the accurate description of the Day of Reckoning included in the holy verse. The prophets will be witnesses for their nations either believing or denying them, and the last Prophet will be a witness for all of them. What a glorious situation and an accurate feeling of the Prophet of this sublime duty. Said Ibn Al-Musayyeb (may Allah be pleased with him) said, "Every day the conditions of the nation are presented to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) who realizes their deeds and attributes. Thus, he witnesses them. Allah, Glory be to Him said:

{Upon that Day, (the ones) who have disbelieved and disobeyed the Messenger would fain if the earth were leveled with them; and they will not keep back from Allah any discourse.} [An-Nisa' (The Women): 42]

The saying of Ibn Al-Musayyeb shows us how the responsibilities of the Prophet increase, and he is the best one to carry this responsibilities.

Our Love for Allah's Messenger because he tolerated much suffering and troubles and erred much patience may Allah the most nigh forgive me and you as well.

Translated by: Eman Ali El-Khateb .

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil

ويستقبل سفير المملكة المتحدة

كما استقبل فضيلته صباح يوم الاثنين الموافق ٢٠٠٨/٢/١١ - السيد السفير / دؤميك سكوت - سفير المملكة المتحدة بالقاهرة، بمناسبة توليه العمل كسفير لبلاده في جمهورية مصر العربية متمنيا لسيادته إقامة طيبة في القاهرة والتوفيق عمله حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير في الأزهر الشريف، وقدم شرحاً موجزاً للتعليم الأزهرى الذى يمتاز بالوسطية والاعتدال وأن الناس جميعاً إخوة وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله . كما أننا فى الأزهر نقول بتعاون الحضارات ولا نقول بتصادم الحضارات وأن لكل بلد حضاراتها تستفيد من بعضها البعض وهذا هو الإخاء الإنسانى .

الإمام الأكبر يستقبل سفير تايلاند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف - بمكتبه يوم الخميس الموافق ٢٠٠٧/٢/١٥ السيد السفير / نوبادون تيبينثاك - سفير تايلاند بالقاهرة . بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير فى الأزهر الشريف ، مشيداً بعمق العلاقات والروابط الأخوية بين البلدين ، وأن الأزهر يستقبل أبناء تايلاند للدراسة به حيث إن عدد الدارسين يقارب ٢٥٨٠ طالباً وطالبة يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته العريقة ، كما أنه قد خصص هذا العام ٦٣ منحة جديدة لأبناء تايلاند وتوجد بعثة من علماء الأزهر بتايلاند يقومون بالشاركة فى تدريس العلوم العربية والشرعية ، كما أن الأزهر لا يدخر وسعاً فى مد أصول التعاون لأبناء تايلاند الشقيقة للدراسة بالأزهر الشريف .

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء معرباً عن سعادته بلقاء فضيلته وأنه حينما يواجه أى مشكلة يتوجه للأزهر لأخذ النصيحة والمشورة من فضيلة شيخ الأزهر ، مستطرداً فى حديثه بأنه يقوم حالياً بالترتيب والتنسيق لزيارة سمو الأميرة / مها تشاكري ولية العهد والنجدة الكبرى لجلالة ملك تايلاند - التى ترغب فى زيارة الأزهر الشريف فى منتصف مارس القادم ، وفى نهاية اللقاء قدم سعادته دعوة رسمية من رئيس وزراء تايلاند لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة تايلاند فى الوقت الذى يراه فضيلته مناسباً .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير على هذه الدعوة وأكد أنه سيقوم بتلبيتها فى الوقت المناسب .

اجتماع المجلس الأعلى للأبائ والعلمين

عقد يوم الأحد الموافق ٢٠٠٨/٢/٢٤ اجتماع المجلس الأعلى للأبائ والعلمين برئاسة فضيلة الشيخ / عبد الفتاح علام وكيل الأزهر . وقد ناقش المجلس عدداً من الموضوعات الخاصة بالعملية التعليمية بالأزهر واحتياجات المعاهد والطلاب حيث وافق المجلس على : رصد مبلغ ٩ ملايين جنيه لشراء أجهزة حاسب آلى وتزويد المعاهد الأزهرية بها طبقاً لكثافة طلاب كل معهد وسوف تعمم أجهزة الحاسب الآلى على كل المعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية فى نهاية هذا العام . و السماح للسادة أعضاء المجلس الأعلى للأبائ والعلمين بالمناطق الأزهرية بالاتصال بالسادة رجال الأعمال وبعض الشركات الكبرى للحصول على مزايا لطلاب المعاهد الأزهرية مثل رعاية النشاط الرياضى والكشفى من قبل هذه الشركات أسوة بالتربية والتعليم بعد موافقة السلطة المختصة . وإنشاء هيئة للأبنية التعليمية بالأزهر . ومناقشة اقتراح مادتين مع القرآن الكريم كمادة للرسوب .

Speech

The witnessed Messenger

By: The Honorable Shiekh Dr. Ahmad Al-Sharbasy

Prepared by: Sheikh Ali Hamed Abdul-Rahim

Praise be due to Allah, Glory be to Him, the Ever-Ruler Who controls, creates and selects everything according to His will. Praise be to Allah Who is the only God that accounts for all of our deeds whatever small it is. I witness that Mohammad is Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him, his family, ancestors, companions and followers), who witnessed at Allah's worshippers.

{Upon those are the prayers from their Lord, and mercy; and those are once (who) are the right-guided.} [Al-Baqarah (The Cow): 157]

Mohammad's followers:

There is a situation by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) at which the believer should meditate, consider and regard submissively feeling the great deeds of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). He endured much suffering and burdens that can not be tolerated by heroes.

This situation was between the great Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and Abdullah Ibn Mas'ud (may Allah be pleased with him). We will present here a glance about this great companion. He believed in Islam at its beginning, and he said, "I am the sixth Muslim on earth." He immigrated to Abyssinia and Medina, and witnessed with the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) Badr, Uduh, Al-Khandaq battles, Ar-Radwan treaty and many situations. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) promised him of paradise. He used to accompany the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) who mentioned him in many Hadiths. He was one of the eminent persons in Qur'an, doctrine, religious opinions and science. He was one of four companions from whom Qur'an can be taken. He said, "I swear by Allah, Who is the only God that I know the place at which every surah descended. Moreover, I know the occasion of the descending of every verse. If I know a person who memorizes Qur'an more than me, I will do my best to reach him wherever he is." He used to read Qur'an at night when all the people are asleep making an echo alike that of the bees till dawn.

Ibn Mas'ud was ill and was visited by Othman (may Allah be pleased with him) who asked him: "What are you complaining of?"

He said: My sins

Othman asked: What do you long for?

He said: Allah's mercy.

Othman said: May I order to bring anything for you?

He said: I do not need anything.

Othman said: I can ask to bring anything for your daughters.

He said: Do you fear poverty for my daughters? I ordered them to read the Event Surah (Surat Al-Waqi'ah) every night, as I heard the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) saying, "The one who reads the Event Surah is never afflicted by poverty."

The Prophet's weeping

It is a general view about Ibn Mas'ud, from which you realize that he frequently read Qur'an with his pleasant voice. He used to accompany the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), who loved him. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) liked to listen to Qur'an from persons other than him, as he frequently read Qur'an for the people and in the prayers. However, he liked to listen to Qur'an for other persons to realize the way that Qur'an flows from the hearts to the lips.

It was narrated that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) told Ibn Mas'ud, "Read Qur'an." Then Ibn Mas'ud said, "How can I read it while it descended upon you by the revelation? Ibn Mas'ud read "The Women Surah" till he recited more than forty verses and reached the following verse:

{How then will it be when We cause to come from every nation a witness and cause you to come as a witness against these?} [An-Nisa' (The Women): 41]

Then the Prophet said, "Stop now. Ibn Mas'ud raised his eyes and found the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) weeping till his cheeks became red. Then, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "O Allah, I witnessed the case of those with whom I live. What about those whom I do not see? It is narrated that he said, "I witness them as I live among them. When I die, You Observe them, as You are the Ever-Witness."

Allah Accounts, Observes and is the All-Powerful

The meaning of the holy verse in brief is what will be the case of the disbelievers and the whole nation in the Day of Judgment in front of Allah, Glory be to Him, when all of the nation is collected and every nation has its witnessing messenger and the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) witnesses all of them? What will be their destiny? Will they live in torture or in paradise? Will they win or lose? They will not escape from their deeds, as the accountancy is very accurate, and Allah accounts, observes and is the All-Powerful. Nothing will be lost or forgotten.

{And the Book shall be laid down. So you shall see the criminals (feeling) timorous about what is in it, and they say, "oh woe to us! How is it with this Book, that it leaves out (nothing), small or great, except that it has enumerated it? And they shall find whatever they did present, and your Lord does no justice to any one.}

[Al-Kahf (The Cave): 49]

The Muslim Makes Use of Time...!

By: Dr. Muhammad Rajab Al- Biomy

The worst attribute that harms the intelligence is the immorality and lack of firm will. The one who has these bad attributes can not earn the fruits of his sharp brain or exploit his sound thinking. If the intelligent person has good morals and firm will, he will leave in the field of serious work the fruits that make his nation happy, instead of losing his skill in vain. Thus, he will not earn personal or public benefits.

I say the field of serious work meaning the reasons of human happiness in all of the different branches of life. I know many people who are attributed with sharp intelligence and trained skills in a way that fills the soul of the jealous with sorrow, as they spend their time in stirring rancour and inheriting malice. If they write, they stir seditions and riots and search for the ways of dissension and plots.

They use their minds in disturbing the souls, losing the rights and maintaining injustice. It seems that their laziness and loss of time are better than filling their time with the reasons for unhappiness and misery.

We wished that the morals become sublime along with the progress of civilization and science, but it is – as one of the great thinkers said- a civilization without morals. Let's leave those spoiled people live in tyranny, and care about those who spend their spare time in making the best use of their time. If the intelligent person becomes lazy, surrenders to relaxation without reading, trading or manufacturing, his talent becomes useless. He becomes stripped of his talent in a way that assimilates him to the naïve, who are excused in their time. However, what is his excuse?

You may see amazing matters in this life; you may see a man of your acquaintances whose intelligence and skills are limited, but he sharpens his resolution and collects his power in continuous work. He does not take rest except for relaxing his mind, and then he becomes active for his work. While the time passes, his continuous production – in spite of his limited skills – promotes him. He becomes well known among his people and has better rank than who are more intelligent than him. The reason is exploiting the time in benefits and leaving laziness.

Life often does not give except the one who continues to work in spite of obstacles, being attributed with strong will and patience till he succeeds.

People say that time is like gold; a wise saying is a short sentence that lost its significance for most people. Now, it does not stir firm will because its widespread fame extinguished its effect in the souls. Its continuous repetition by the parents and literate people makes it useless. Probably it results in the spread of laziness in many communities that may become very useful if they become active leaving laziness and sluggishness.

If the lazy people are blamed for losing their time, the cultured people are blamed more for the same reason. If you blame the lazy worker, sluggish merchant or the inactive farmer at neglecting their work the cultured and enlighten person should be blamed more for losing his time in vain.

I know some of the university professors – without naming any of them – as the subject is not personal – who spent more than twenty years in teaching certain

subject to one class without amending the curriculum for many years. The professor spent twenty years teaching only one note, which is his whole writing in his life. It contains only the famous issues that can be written by any unspecialized person, certainly he loses his time and skills. I wonder how a cultured person at the level of professor could spend seventy years of his life without leaving a clear effect, as if he has lived seventy days not seventy years.

You may say that scientific writing is not everything in the scientist's life, as there are people who help in forming personalities not books such as Jamal Ad-Din Al-Afghany, Hassan Al-Banna, Abd El-Rahman Al- Kawakby and others. I do not contradict with you, but I emphasize that the one who is satisfied with writing only one note throughout his university life can not form an excellent student being attributed with strong will and aspiring ambition. This will be the case as the one can not give what he does not own.

I will discuss the opposite case of those who contradict completely with the other party. They understand that making use of time means writing much in every subject without considering specialization. They write in one year three or four books, which do not add any information. This result is expected as literal research and scientific writing are a kind of hard work that bears fruit only when the necessary normal time of planting the seed passes. If the normal period does not pass, there will never be a fruit.

I was discussing those who follow the same attitude and said that At-Tabary (may Allah forgive him) –narrated– that he told his friends, "Are you ready to write the world history?" They replied: How many pages will be written in this respect? He said that it is written in about thirty thousand pages. They said that they may die without finishing writing. He said, "we are created by Allah: there is no more firm will. Then he dictated them around three thousand paper.

When At-Tabary wanted to write the explanation of the meaning of Qur'an, he told them the same, rendering them think that it is beyond their capabilities. Then, he wrote the explanation of the meaning of

Qur'an in approximately the same number of pages written for history. If you count the days Ibn Jarir At-Tabary lived and divide them on the number of pages he wrote in various fields of science, it will be fourteen pages every day.

This was the case of At-Tabary in his time. Many people who collect data without renewal quote his case in writing many pages. Those who follow their pattern in spending their time in collecting and writing data, forget an important point that can not be neglected for my amazement. The concept of writing in their time is different from its counterpart nowadays. The encyclopedic author rendered to different narrations and contradicted sayings without selection in most cases.

There are many narrations that the mind rejects naturally without inspection. The method of writing does not deviate from the former lingual significance of writing, which is collection, following up and examination. You may read one incident in different narrations contradicting with each other. Thus, it presents the scientific subject to those who want to write now. It seems that scientific honesty of the antecedents stirred them to write all the narrations. They may state that what they write is corrupted, but this is not a common attribute of all of their writings.

This collective method served the historical heritage in presenting all of the narrations and sayings whether strong or weak.

He treated all the people equally without any discrimination between a Muslim and non-Muslim. He used to give every one his right regardless of his religion, as Allah ordered him in His Quran:

{And do not let antagonism of a people who barred you from Inviolable Mosque provoke you to transgress. And help one another to benignancy and piety, and do not help one another to vice and hostility, and be pious to Allah; surely Allah is strict in punishment.} [Al-Maidah (The Table); 2]

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was attributed with all of these good manners and others, which are neglected and denied by the ill-minded Danish caricaturists. They have degrading behavior, awful manners and mean souls. Their offending caricatures were published in the Danish (Ulands Boston Newspaper) in September, 2005.

Seventeen Danish newspapers republished these silly caricatures on Wednesday 13th of February, 2008 without considering their bad effect on the Islamic nation. Demonstrations came out in all of its parts, boycotting campaigns, protests and denial spread.

These seventeen newspapers exceeded the red lines and cultural borders; and the so-called freedom of expression, to which this misguided group resort does not justify their offensive action. These caricaturists offended the Islamic sacred symbols.

Some of the Egyptian journalists enquired, "Would those caricaturists and the responsible characters behind them accept the same action from the Egyptian, Arab and Islamic newspapers?" "Would they accept publishing the caricatures of their Queen and Prime Minister in offensive scenes resorting to the freedom of expression? I am sure that all of the Muslims do not accept this action as the Islamic manners refuse such actions.

An Egypt's foreign ministry spokesman said on Tuesday, February, 19, 2008: that the Danish ambassador was summoned and informed of the full Egyptian rejection of the reprint of the cartoons, lampooning the prophet Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him) in Danish newspapers. the reprint of the cartoons hurt the feeling of Muslims all over the word. It shows insistence on the abuse against the great prophet of Islam. this is fully rejected: the spokesman added. He cautioned that this abuse against Muslims would lead to nothing but more tension and hatred. Mean while, the Egyptian minister of information ustaz Anas Al-fiqi banned four foreign newspaper from the newsstand in Egypt for reprinting the offensive cartoons, two German newspaper "Die welt and Frankfurter Allgemeine zeitung along with the wall street journal and others were also banned".

While these events take place in Denmark, which is supposed to be a small neutral country and a peaceful one at the past, we find at the other side of Europe, specifically in Britain a different matter. Dr. Rowan Williams, the Archbishop of Canterbury in Britain, delivered a lecture, which had a broad echo and stirred conflicting comments. He said, "The British legislation should adopt some of the sides of the Islamic Shariah."

Thus, the reactions differ, as the Islamic Shari'ah council in Britain, which was formed twenty five years ago, welcomed the declarations of Dr. Williams. However, some of the Christian scholars called upon deposing Williams, while others accused him of lack of knowledge of the Bible.

Moreover, he should go back to Oxford University they demanded. Some of the British people supported Dr. Williams considering that he intended to present the issue for debate. They asked the common people to read his real declarations not as presented by press.

However, U.K Prime Ministry interfered and contacted Dr. Rowan Williams intensively to explain and clarify his declarations. The spokesman of U.K Prime Minister said, "U.K Prime Minister thinks highly of Rowan," But he added that the U.K law should depend on the British values".

The spokesman emphasized that there is a good relation between Brown and Williams, and that Williams has the right of expressing his point of view. The Conservatives refused the point of view of the Archbishop.

Baron Farsi, the Minister of social integration affairs, in the Shadow Government in the party said, "The significant principle is equity, which we should ensure for the people before the law whatever their origins and religions are." By virtue of the British law, two parties can resolve their conflicts in front of a third party as long as they agreed on this resolution.

Regarding defending his point of view, Dr. Rowan Williams said, "The Muslims should not be left in a situation in which they should choose between their loyalty to their present country or their private culture." He added that this matter depends on the necessity of understanding the Islamic Shari'ah entirely. Moreover, he said that there is a room for discussing the positive adaptation with the principles of the Islamic Shari'ah, as we do with the principles derived from other religions.

Then, Dr. Williams said that he felt that his declarations are excluded from the sound context and framework in which they were said. Williams tried to explain in his speech the declarations he announced previously. He gave hints that adopting some points of the Islamic Shari'ah is inescapable.



﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدانا اللَّهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

**At The Memory of the Birth of The Prophet (May the Blessings and Peace of Allah be Upon him),
a wafe of Delusion and madness Renders to Denmark,
While Good Winds Blow From Canterbury....!**

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Allah, Glory be to Him, revealed to His Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) the Noble Quran, including all of the sublime principles and honorable manners. It was the best Book being sent by Allah, Glory be to Him, to his Muslim worshipers, from which they derive the best patterns. Allah entrusted the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to explain, expose and apply it. Allah, Glory be to Him, said:

{And We have sent down to you the Remembrance that you may make evident to mankind what has been sent down (ever since) and that possibly they would meditate.} [An-Nahl (The Bees): 44]

It is impossible that Allah, Glory be to him, orders in the Noble Quran to follow certain manners, while the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) contradicts with them. However, he was the first one to apply them.

Thus, the mother of the believers, 'Aishah, the most truthful, the daughter of Abu Bakr As-Seddik and the wife of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) answered when she was asked about the manners of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), "He was mannered by Quran." Allah, Glory be to him, praised the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) in the Noble Quran by saying:

{And surely you are indeed of magnificent character.} [Al-Qalam (The Pen): 4]

Also, Allah, Glory be to him, attributed him with mercy and clemency. He said:

{Indeed there has already come to you a Messenger from (among) yourselves. Mighty to him is whatever distresses you. Most eager is he for your (welfare), to the believers (he is) constantly compassionate, constantly merciful.}

[At-Tawbah (The Repentance): 128]

Allah, Glory be to him, said:

{And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds,}

[Al-Anbiaa (The Prophets): 107]

الفهرس

● محمد ﷺ في مرة الكتاب الأمريكي، والشجرة، إبراهيم،

للاستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي ————— ٣٢٠

● تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ————— ٣٢٤

● السنة، أماد عود آين إبراهيم

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا القيومي ————— ٣٣٢

● الرسول الداعية ﷺ

لفضيلة الشيخ / عمر الديب ————— ٣٣٨

● مكانة الرسول ﷺ وفصل الصلاة عليه

للاستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ————— ٣٤٢

● ربيع الشهور وعشر أيام العام بملأه المصطفى خير الأنام

للاستاذ الدكتور / محمد فتحي قرج ————— ٣٤٦

● اختلاف الصحابة بعد الرسول ﷺ

للاستاذ الدكتور / السيد أحمد قرج ————— ٣٥٠

● قصيدة العبد، أبو الزهراء

للساعر الكبير الأستاذ / علي الجارم ————— ٣٥٤

● مواقف إسلامية، الطريق إلى العفو

للاستاذ الدكتور / محمود عمارة ————— ٣٥٨

● الأمر لله، واليه عن القرآن الكريم والسنة النبوية (١)

لفضيلة الشيخ / فوزي الزرقاف ————— ٣٦٤

● الدعوة بالقنوة

للدكتور / حمدي فتوح والي ————— ٣٦٩

● وعائد مصف الشاركة مرة أخرى للرسول صلى الله عليه وسلم

للاستاذ / عاطف مصطفى ————— ٣٧٤

● مكارم الأخلاق.. غاية الرسالة الجميلة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الجامدي ————— ٣٧٩

● خطبة الجمعة، كان خلقه القرآن

لفضيلة الشيخ / محمد الغزالي ————— ٣٨٢

● الهجرة النبوية من منظور مصطفى صادق الرافعي

للاستاذ الدكتور / صابر عبدالدايم ————— ٣٨٨

● الصلاة في ميزان الإسلام

سكنية، إله، محمد، النبي، علي عبدالباقي ————— ٣٩٤

● التوكل على الله ممارسة تربوية للإرادة

للاستاذ / محمد مصطفى البسيوني ————— ٣٩٨

● الدين في حياة البشرية

للشيخ / صديق بكر عيطة ————— ٤٠٤

● ما له يقل عن طه حسين

للاستاذ الدكتور / أحمد علي الجارم ————— ٤١١

● طرائف ومواقف

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ————— ٤١٤

● قصة العبد، موتام

لأبى البيان العربي الأستاذ / مصطفى صادق الرافعي ————— ٤١٧

● تيار المرجعية الإسلامية في نموذج النظم

للدكتور / محمد غفارة ————— ٤٢٠

● كتاب الشهر، أو هام الشرق الأوسط

عرض وتحليل د / إبراهيم عوضين ————— ٤٢٦

● بين الصحف والجلات

للاستاذ / محمود الفشي - علا عبدالرحمن ————— ٤٣٢

● أمة القرآن (قصيدة)

للساعر / السيد الصديق حافظ ————— ٤٣٩

● الحصار الإسرائيلي ومشروع غزة الكبرى

للاستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد ————— ٤٤٠

● قرآن في كتاب اليهود واليهودية، التاريخ، العقيدة والأخلاق (٢)

للاستاذ / عادل رفاعي خفاجة ————— ٤٤٧

● بين الجلة والقارىء

للاستاذ / أحمد السيد نقى الدين ————— ٤٥٣

● أنباء العالم الإسلامي

للاستاذ / محمد جمعة - أحمد رضوان ————— ٤٥٨

● أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للاستاذ / عبد الموجود أمين موسى ————— ٤٦٢

● أنباء مكتب الإمام الأكبر

لفضيلة الشيخ / عبد القوي فراج ————— ٤٦٦

● القسم الإنجليزى

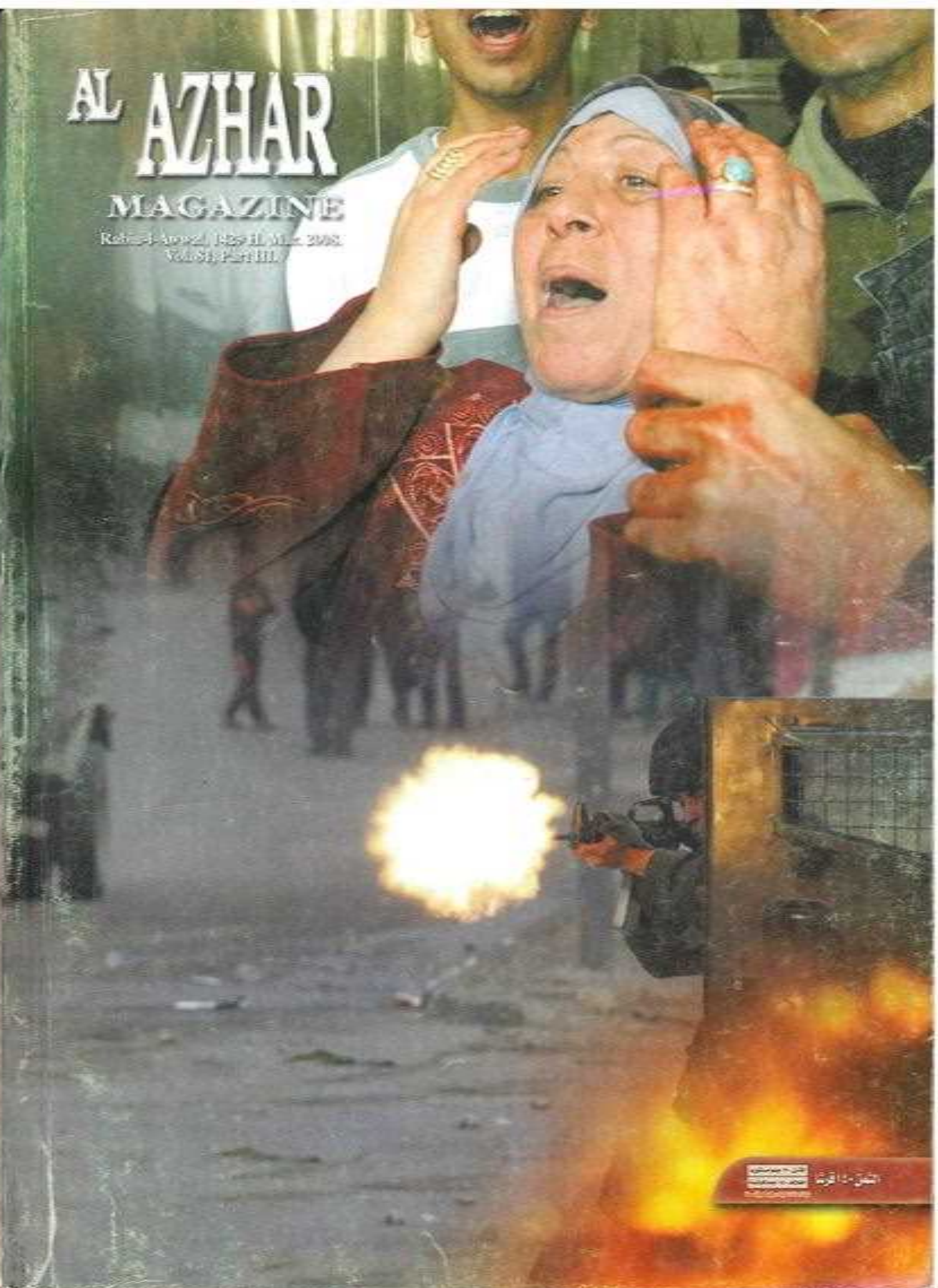
إعداد وإشراف د / إبراهيم الاصيل ————— ٤٧٧



AL AZHAR

MAGAZINE

Volume 4 Number 1 1429 H. May 2008
Vol. 4, No. 1, 1429 H.



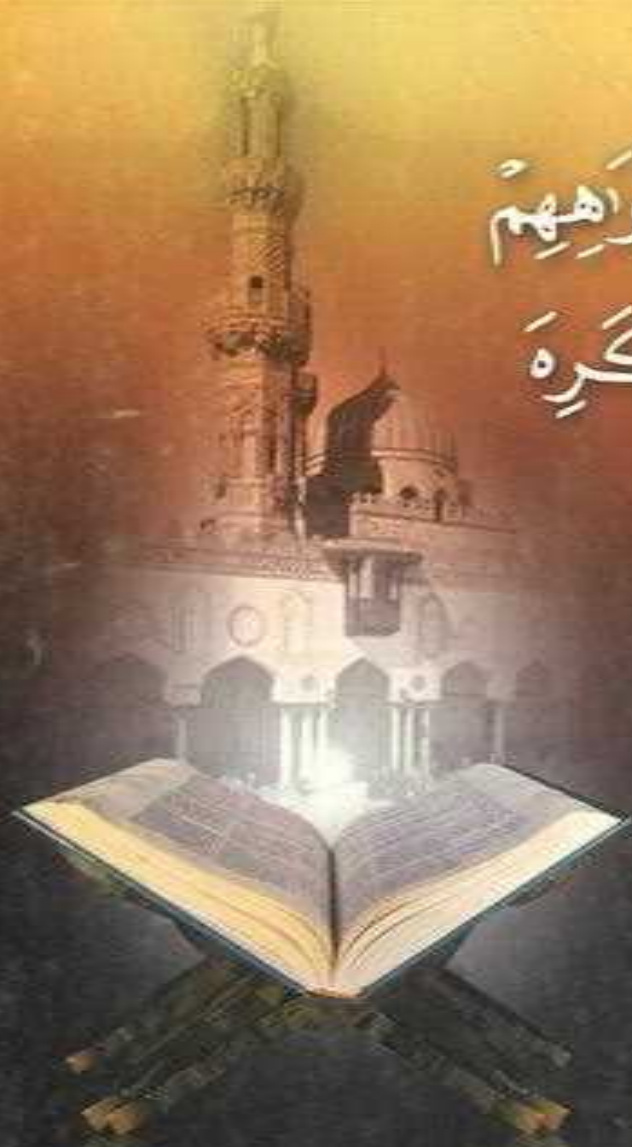
المجلد ٤ - العدد ١
الطبعة الأولى: مايو ٢٠٠٨
الطبعة الثانية: مايو ٢٠٠٨

هدية العدد
الأشهر السليمانيات
في التفسير والحديث

الأشهر

مجلة إسلامية شهرية تصدر في جميع المصاحف الإسلامية
ربيع الحرام 1439 هـ - تموز 2018 - العدد 200

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ
وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ



11
344445
دوريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

الاشتراك السنوي

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٣٦٣٨٥٩٩

ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ - إبريل ٢٠٠٨ م - الجزء الرابع

العدد (٨١)



ففى ذكرى المولد النبوى

محمد ﷺ

فى مرآة الكاتب الأمريكى «اشنجن ارفنج»

٢

إن القول بأن شرع الله واحد فى الأديان السماوية جميعها شئ، والقول بأن رهبان المسيحية قد تركوا أثراً ما فى اتجاه محمد الإسلام قول آخر، وقد قرأت كثيراً عما قيل فى دحض هذه الأسطورة المتمكنة لدى نفر من كتبوا سيرة رسول الله من رجال الغرب ولكنى لم أجد أسد منطقاً مما قاله الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى تنفيد هذه الأسطورة إذ قضى عليها قضاء مبرماً فى قوله متحدتاً عن حال المسيحية فى بلاد العرب قبل مبعث الرسول: «إن الخلافات بين الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية لم تدع وجهاً للاتفاق على طريق مسيحي متحد؛ فإذا كان رسول الله ﷺ قد تعلم من بحيرى أو نسطورى فماذا تعلم منهما؟ أتعلم مذهب من يقول بطبيعتين مختلفتين للإله؟ أم مذهب من يقول بطبيعة واحدة؟ ثم ما هذه المدة الزمنية التى تكفى للإمام بمذهب واحد فضلاً عن مذهبين وهل جاء القرآن بالتوحيد الخالص ليرد على هذين المذهبين أو ليؤيد أحدهما؟ وإذا جاء ليقرر أن المسيح عبد الله وكلمته ألقيها إلى مريم وروح منه فلا تقولوا بالهين أو ثلاثة؛ إنما هو إله واحد؛ فهل كان هذا الجسم البات مما يراه الرهبان أو مما يعارضونه كل المعارضة، فأين هو أثر الأجرار فى توجيه الرسول إلى دين النصرى أو إلى أى دين سواه!

إن الإخاح على فكرة التأثير المسيحى فى رسول الله لم يقتصر على بحيرى الراهب بل تعداه إلى ورقة بن نوفل حيث قال المؤلف ص ٥٦:

«أدى زواج محمد من خديجة إلى توثيق صلاته بأحد أقربائها الذى كان له أكبر الأثر فى حياة محمد الدينية ذلك هو ورقة بن نوفل ابن عم خديجة، وكان رجلاً ذا أفق واسع وإيمان صادق وكان فى الأصل يهودياً ثم اعتنق المسيحية، وكان يجيد أعمال التنجيم ويرجع له الفضل فى ترجمة بعض أجزاء الكتب السماوية إلى اللغة العربية، ولا شك أن محمداً قد اطلع عليها واستفاد مما جاء فيها».

وهذا قول بعيد عن الواقع فلم يعرف عن رسول الله أنه اتصل بورقة قبل نزول الوحي عليه فى غار حراء ولم يطرأ على باله أن يسأله عن حقيقة ما نزل به حين رجع حائراً إلى خديجة، ولكن خديجة من تلقاء تفكيرها رأت أن تذهب إليه وهى تعتقد فى بعده عن الأصنام فتخبره عن حال محمد بعد أن نزل عليه الوحي كما لم يقل أحد: إن ورقة قد ترجم بعض أجزاء الكتب السماوية إلى العربية. وهو قول لو تحقق لعرفه المكثرون وأشاروا إليه، ولكن أحداً منهم لم يقل ذلك إطلاقاً، ثم إن هذه الترجمة إلى العربية لو قرض وقوعها فرضاً، ما كان محمد أن يقرأها، وهو أمى لا يقرأ، ولا يكتب، ولكن المؤلف قد ذهب بخياله الواسع إلى أن رسول الله ﷺ قد اتصل بورقة، وقرأ ما كتب، كما ذهب بخياله الواسع إلى أن رسول الله ﷺ قد قرأ أسطراً مكتوبة بحروف من نور حين نزل عليه جبريل فى غار حراء لأول مرة، حيث قال المؤلف واصفاً هذا اللقاء الذائع ص ٦٠:

«قال جبريل محمد: اقرأ، فقال محمد: ما أقرأ؟ فقال الملك:

﴿ أقرأ باسم ربك الذى خلق ﴿١﴾ خلق الإنسان من علق ﴿٢﴾ اقرأ وربك الأكرم ﴿٣﴾ الذى علم بالقلم ﴿٤﴾ علم الإنسان ما لم يعلم ﴿٥﴾ ﴾

(العلق: ١-٥)

واستطاع محمد بواسطة الضوء المنتشر فى المكان أن يقرأ الكلمات المنقوشة على الثوب، وهى الآيات القرآنية السالفة الذكر حتى إذا انتهى من قراءتها سمع الملك يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل».

والذى ذكره المؤلف عن رسول الله ﷺ حين قال: إنه سأل جبريل ما أقرأ، يخالف الواقع لأن الرواية الصحيحة التى جاءت فى كتب السنة المطهرة تقول: ما أنا بقارىء! إذ أنه ﷺ أمى لا يقرأ، ولكن المؤلف ترك هذا النص الحاسم ليقول بعد ذلك، واستطاع محمد بواسطة الضوء المنتشر فى المكان أن يقرأ الكلمات المنقوشة على الثوب! وهو مما يذكرنا بقوله: إن رسول الله قد قرأ ترجمة الكتب السماوية التى نقلها ورقة بن نوفل إلى العربية وورقة لم يترجم كتاباً، ومحمد لم يجتمع به قبل مبعثه! ولكنه الخيال الروائى الذى يضيف إلى الواقع ما لم يكن؛ ليعبر عن فكرة خاصة بالمؤلف يريد أن يؤكدها فيما يقول، واخيال الروائى مستحسن فى القصص إذا جاء لتأكيد حقيقة مشتهرة عن بطل القصة؛ فوظيفة الخيال حينئذ تقرب الواقع إلى ذهن القارئ لا

الابتعاد عن الحق المشهود! ولا يجوز لمؤلف ما أن يسبح بخياله فيذكر ما لم يكن على أنه كان في سيرة نبي مرسل يتحدث عن وقائعه المشهورة ليكون كتابه مرجعاً لأبناء لغته، مرجعاً أميناً يتقيد بالواقع، ولا يجتج إلى الخيال!

ومناسبة الحديث عن خديجة -رضي الله عنها-، فإن المؤلف ذكر زواجهما الكريم برسول الله ﷺ بما هو مدون في كتب السيرة المطهرة، وقد أبدع فيما كتب إبداعاً جيداً، ولكن الخيال اشتط به حين قال ص ٥٣: «ولكن خديجة كانت على جانب كبير من الحكمة، فرأت أن تقدم قلبها على ثروتها؛ فأقامت حفلاً كبيراً دعت إليه أباهما وبعض أقاربها، وعمى محمد أبا طالب وحمزة، وبعض رجالات قريش، وكان أبوها خويلد يحب التبيذ فأقبل يعب منه حتى ثمل، وطلبت خديجة من أبيها، وهو واقع تحت تأثير الخمر أن يوافق على زواجهما من محمد فأبدى موافقته متناسياً فقر محمد وتبادل الفريقان الخطب فخطب أبو طالب وخطب ورقة أحد أقرباء خديجة وباركا الزواج وتم الاتفاق على المهر وسرعان ما تم الزواج».

هذا ما قاله المؤلف وأنا أعجب أكبر العجب من قوله: إن خديجة قدمت التبيذ لوالدها كي يسكر ويوافق على الزواج وهو ثمل لا يفيق! وقوله: إن ورقة قد خطب في هذا الحفل؛ لأن الحفل قد أقيم خاصاً بالزواج فكيف يحضر خويلد إليه وهو لا يعلم شيئاً عن هذا الاجتماع؟! ثم يسكر بالتبيذ ليوافق على إتمام الزواج! ألم يسأل ابنه حين رأى الجمع المشهود عن الداعي لإقامته؟! وكيف جاء بنو هاشم محتفلين مرحين فلاقوا أجمل مظاهر التكريم؟! وهل مثل أبي طالب في رياسته وجاهه بمكة يقبل أن يخدع والد خديجة عن محمد؟! إنه خطب في الحفل فقال: إن محمداً بن عبد الله ابن أخي لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه براً وفضلاً وكرماً وعقلاً ومجداً وتبلاً، وإن كان قليل المال فإن المال ظل زائل وعارية مستردة، وقد أنصت الجميع إلى قول أبي طالب وأثنوا عليه وباركوه وخرج أقارب خديجة كما خرج أقارب محمد مسرورين مغتبطين؛ أما حضور ورقة فلم يشر إليه أحد ممن كتبوا سيرة رسول الله! فيكون الخيال قد اشتط بالمؤلف حين ذكر سكر خويلد! وحين ذكر خطبة ورقة. وما كان له أن يشذ عن الواقع فيضائل من حقيقته بما سطر من أوهام.

هذا ما أذكره في نقد ما وقع فيه المؤلف من أخطاء لم يحاول أن يلتفت إلى ما تحويه من شطط جامح ولكن الكثرة الكاثرة من إصابته وتوفيقه تدفعنا إلى الإشادة بجهده وإنصافه ومن هذه الإصابات الرائعة قوله ص ١٣٨ عن حياة الرسول بالمدينة وسلوكه مع زوجاته:

لم تختلف حياة محمد العائلية عن حياة غيره من المسلمين وقد وصفت عائشة هذه الحياة بعد وفاة الرسول بعدة سنوات فقالت: إنه كان يمضي شهر دون أن يوقد ناراً، وكان طعامهما يتألف من البلح والماء ولم يكن أهل منزل الرسول يأكلون خبز القمح يومين متتاليين..

كان طعام محمد يتألف غالباً من البلح والخبز وأحياناً يأكل بعض اللبن والعسل، وكان يقوم

بكنس حجرته ويوقد النار، ويصلح ثيابه، ويخدم نفسه بنفسه، خصص محمد لكل من زوجاته مسكناً منفصلاً ملحقاً بالمسجد وكان يتردد عليهن بالتناوب؛ وإن ظلت عائشة زوجته المفضلة.

كما قال مؤلف الكتاب عن رسول الله يوم الفتح مما نعرفه جميعاً ص ٢٣١:

كان الرسول رحيماً عطوفاً، فقد قدم إليه زعماء قريش ينتظرون حكمه عليهم فقال لهم الرسول: يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم فقالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم فقال الرسول: فاذهبوا فأنتم الطلقاء.

تطلع بعض المسلمين إلى الأخذ بشار بعض قتلاهم ولم يروا ما أبداه الرسول من رحمة وتسامح، ولكن الرسول حرم القتال وسفك الدماء في مكة وكان قد اعتزم أن يعاقب من أتوا أعمالاً جساماً، ولكنه ما لبث أن عفا عن معظمهم. كان من بين الناس اللاتي تقدمن يسايعن الرسول هند زوجة أبي سفيان؛ تلك المرأة الشرسة التي رأيناها تلوك كبدة حمزة في معركة أحد انتقاماً لمقتل أبيها على يد حمزة وحينما رأت الرسول يوجه نظره نحوها ارتقت على قدمه وهي تقول: نعم إنني هند فاعف عني عفا الله عنك. فعفا عنها. وبعد حديث شائق عن عفو عن وحشي وهبار بن الأسود وعبد الله بن أبي سرح وعكرمة بن أبي جهل قال المؤلف في ص ٢٣٣:

كانت تصرفات الرسول في مكة تدل على أنه نبي مرسل؛ لا على أنه قائد مظفر فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه مع أنه أصبح في مركز القوة ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو.

وبعد..

فلم أقصد بتدوين هذا البحث أن أتابع المؤلف في صفحات كتابه كما ألقها وفق ترتيب زمني يعرض الأحداث منذ بدء الرسالة إلى ختام الدعوة بوفاة رسول الله؛ لأن السيرة في منهجها التاريخي معروفة متعائلة وليس المهيم لدى القارئ العربي أن يتابعها في كتاب غربي؛ لأنه يعرف المضمون التاريخي معرفة تفوق لدى الدراسين معرفة كل مؤلف غربي ولكنني أردت أن أبحث عن ناحيتين هامتين في هذا الكتاب النادر: الناحية الأولى: ما وفق فيه المؤلف من إبراز الحياة الظاهرة الشريفة لرسول الله وتمتعه بكريم الخصال وشريف الفضائل وتسجيل ذلك للقارئ العربي نافع مفيد. أما الناحية الثانية: فالإشارة إلى بعض ما وقع فيه المؤلف من أخطاء لم يدرك صحتها تمام الإدراك فجاءت تخالف الواقع وكل إنسان يخطئ ويصيب وأقول بعض ما وقع فيه؛ لأنني تجاوزت عن أخطاء يعرفها القارئ المسلم عن يقين، وقد يكون في بعضها ما تختلف فيه وجهة النظر دون أن يكون لها خطورة في سلامة البحث أو انحراف النهج. ولعلني بهذا البحث أدفع القارئ إلى تصفح هذا الكتاب فقد يجد فيه الكثير مما يشبع تهمه العلمي في التحصيل تارة وفي النقد تارة أخرى؛ وإذا تحقق ذلك فقد بلغت كل ما أريد.

د. محمد رجب البيومي

تفسير سورة العبران

لفضيلة الأيام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْعِ الْجَمْعَانِ فَيَا ذِي اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَّاكُمْ هُمُ لِلْكَفَرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِ هُمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الآيات: ١٦٥-١٦٨)

فقله تعالى:

﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾

كلام مستأنف مسوق لإبطال بعض ما نشأ من الظنون الفاسدة، إثر إبطال بعض آخر تقدم الحديث عنه

من فوائد غزوة أحد أنها كشفت عن قوى الإيمان من ضعفه، ميزت الخبيث من الطيب، وإذا كان انتصار المسلمين في بدر جعل كثيراً من المنافقين يدخلون في الإسلام طمعاً في الغنائم.. فإن عدم انتصارهم في أحد قد أظهر المنافقين على حقيقتهم،

ويسر للمؤمنين معرفتهم والحذر منهم.

والهمزة في قوله ﴿أَوَلَمَّْا﴾ للاستفهام الإنكارى التعجيبى. والواو للعطف على محذوف و﴿لَمَّْا﴾ ظرف بمعنى حين مضافة إلى ما بعدها مستعملة في الشرط. والمصيبة: أصلها في اللغة الرمية التي تصيب الهدف ولا تخطئه، ثم أطلقت على ما يصيب الإنسان في نفسه أو أهله أو ماله أو غير ذلك من مضار. وقوله ﴿مِثْلَهَا﴾ أى ضعفها، فإن مثل الشيء ما يساويه. ومثليه ضعفه.

والمعنى: أفعلتم ما فعلتم من أخطاء، وحين أصابكم من المشركين يوم أحد نصف ما أصابهم منكم قبل ذلك في بدر تعجبتم وقلمتم ﴿أَنَّى هَذَا﴾ أى من أين لنا هذا القتل والخذلان ونحن مسلمون نقاتل في سبيل الله، وفيما رسوله ﷺ وأعداؤنا الذين قتلوا منا من قتلوا مشركون يقاتلون في سبيل الطاغوت.

فالجملة الكريمة توبيخ لهم على ما قالوه، لأنه ما كان ينبغي أن يصدر عنهم. إذ هم قد قتلوا من المشركين في بدر سبعين من صناديدهم وأسروا منهم قريباً من هذا العدد وفي أحد كذلك كان لهم النصر في أول معركة على المشركين، وقتلوا منهم قريباً من عشرين إلا أنهم حين خالفوا وصية رسولهم ﷺ وتطلعوا إلى الغنائم منع الله عنهم نصره، فقتل المشركون منهم قريباً من سبعين.

وقوله: ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ في محل رفع صفة «المصيبة». وفائدة هذا القول التوبيخ على أن أمور الدنيا لا تبقى على حال واحدة، وإن من شأن الحرب أن تكون سجلاً، إلا أن العاقبة جعلها الله للمتقين.

وقوله: ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ هو موضع التوبيخ والتعجيب من شأنهم، لأن قولهم هذا يدل على أنهم لم يحسنوا وضع الأمور في نصابها حيث ظنوا أن النصر لابد أن يكون حليفهم حتى ولو خالفوا أمر قائدهم ورسولهم ﷺ ولذا فقد رد الله - تعالى - عليهم بما من شأنه أن يعيد إليهم صوابهم وبما يعرفهم السبب الحقيقي في هزيمتهم فقال:

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾

أى: قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا ما قالوا: إن ما أصابكم في أحد سببه أنتم لا غيركم.

فأنتم الذين أبيتم إلا الخروج من المدينة مع أن النبي ﷺ أشار عليكم بالبقاء فيها. وأنتم الذين خالفتم وصيته بترككم أماكنكم التي حددها لكم وأمركم بالشباب فيها. وأنتم الذين تطلعت أنفسكم إلى الغنائم فاشتغلتم بها وتركتم النصيحة، وأنتم الذين تفرقتم عن رسول الله ﷺ في ساعة الشدة والعسرة فلهذه المخالفات التي نبعت من أنفسكم أصابكم ما أصابكم فى أحد، وكان الأولى بكم أن تعرفوا ذلك وأن

تعتبروا وأن تقلعوا عن هذا القول الذي لا يليق بالعقلاء، إذ العاقل هو الذي يحاسب نفسه عندما يفاجئه الكروه ويعمل علي تدارك أخطائه ويقبل علي حياضه ومستقبله بثبات وصبر مستفيداً بماضيه ومتعظاً بما حدث له فيه.

وما أحوج الناس في كل زمان ومكان إلى الأخذ بهذا الدرس فإن كثيراً منهم يقصرون في حق الله وفي حق أنفسهم وفي حق غيرهم، ولا يباشرون الأسباب التي شرعها الله للوصول إلى النصر... بل يبنون حياتهم علي الغرور والإهمال، فإذا ما أصابتهم الهزيمة مسحوا عيوبهم في القضاء والقدر، أو في غيرهم من الناس، أو شدهوا لهول ما أصابهم - بسبب تقصيرهم - ثم قالوا: أتى هذا؟ وما دروا لجهلهم وغرورهم أن الله - تعالى - قد جعل لكل شيء سبباً. فمن باشر أسباب النجاح وحل إليها بإذن الله ومن أعرض عنها حرمة الله - تعالى - من عونه ورعايته.

ولقد أكد - سبحانه قدرته علي كل شيء فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

أي إن الله تعالى - قدرته فوق كل شيء فهو القدير علي نصركم وعلي أخذ لانكم وبما أنكم قد خالفتم نبيكم ﷺ فقد حرمكم الله نصره، وقرر لكم الخذلان، حتى تعتبروا ولا تعودوا إلى ما حدث من بعضكم في غزوة أحد، ولذكروا دائماً قوله - تعالى -:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾

[الشورى: ٣٠]

ثم أكد - سبحانه - عموم قدرته وإرادته فقال:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

أي: وما أصابكم - أيها المؤمنون - من قتل وجراح وآلام يوم التقى جمعكم وجمع أعدائكم في أحد، ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي بإرادته وعلمه، إذ ما من شيء يقع في هذا الكون إلا بتقدير الله وعلمه، فعليكم أن تستسلموا لإرادة الله، وأن تعودوا إلى أنفسكم فتهدبوها وتروضوها علي تقوى الله وطاعته، حتى تكونوا أهلاً لنصرته وعونه.

و(ما) موصولة بمعنى الذي في محل رفع بالابتداء، وجملة ﴿أَصَابَكُمْ﴾ صلة الموصول، وقوله ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ هو الخبر. ودخلت الفاء في الخبر لشبه المبتدأ بالشرط. وقوله:

﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بيان لبعض الحكم التي من أجلها حدث ما حدث في غزوة أحد.

والعلم هنا كناية عن الظهور والتقرير في الخارج لما قدره - سبحانه - في الأزل أي أراد الله أن يحدث ما حدث في غزوة أحد

ليظهر للناس ويميز لهم المؤمنين من غيرهم. وقوله:

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾

حكمة ثانية لما حدث في غزوة أحد. أي: حدث ما حدث في غزوة أحد ليعلم - سبحانه - المؤمنين من المنافقين علم عيان ورؤية وظهور يتميز معه عند الناس كل فريق عن الآخر تميزاً ظاهراً.

إذ أن نصر المسلمين في بدر فتح الطريق أمام المنافقين للنظاير باعتناق الإسلام. وعدم انتصارهم في أحد، كشف عن هؤلاء المنافقين وأظهرهم علي حقيقتهم، فإن من شأن الشدائد أنها تكشف عن معادن النفوس، وحنايا القلوب.

ثم بين - سبحانه - بعض النصائح التي قبلت لهؤلاء المنافقين حتي يقلعوا عن نفاقهم، وحكي ما رد به المنافقون علي الناصحين فقال:

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنِجِّبِ اللَّهَ أَوْ آذَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ﴾

أي فعل - سبحانه - ما فعل في أحد ليميز المؤمنين من المنافقين الذين قبل لهم من النبي ﷺ ومن بعض أصحابه: تعالوا معنا لنقاتلوا في سبيل الله، فإن لم تقاتلوا

فادفعوا أي فانتصموا إلى صفوف المقاتلين، فيكثر عددهم بكم فإن كثرة العدد تزيد من خوف الأعداء.

أو المعنى: تعالوا معنا لنقاتلوا من أجل إعلاء كلمة الله، فإن لم تفعلوا ذلك لضعف إيمانكم، واستيلاء الشهوات والأهواء علي نفوسكم، فلا أقل من أن تقاتلوا لتدفعوا عن أنفسكم وعن مدينتكم عار الهزيمة.

أي إن لم تقاتلوا طلباً لمرضاة الله، فقاتلوا دفاعاً عن أوطانكم وعزتكم.

قال الجمل: وهذه الجملة وهي قوله -

تعالى - ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ تحمل وجهين.

أحدهما: أن تكون مستأنفة، أخير الله أنهم مأمورون إما بالقتال وإما بالدفع أي تكثير سواد المسلمين - أي عددهم.

والثاني: أن تكون معطوفة علي ﴿نَافَقُوا﴾ فتكون داخلية في خبر

الموصول. أي وليعلم الذين حصل منهم النفاق والقول المذكور وإنما لم يأت بحرف العطف بين تعالوا وقاتلوا لأن المقصود أن تكون كل من الجملتين مقصودة بذاتها^(١).

وقوله:

﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ﴾

(١) جانية الجمل علي الجائين ج ١ ص ٢٢٤.

حكاية لردهم القبيح على من نصحهم بالبقاء مع المجاهدين.

أى قال المنافقون - وهم عبدالله بن أبى وأتباعه - لو تعلم أنكم تقتلون حقا لسرنا معكم، ولكن الذى نعلمه هو أنكم ستذهبون إلى أحد ثم تعودون بدون قتال لأى سبب من الأسباب.

أو المعنى - كما يقول الرمخشى -: «لو تعلم ما يصح أن يسمى قتالا ﴿لَاتَّبَعْتَكُمْ﴾» يعنون أن ما أنتم فيه خطأ رأيكم وزللکم عن الصواب ليس بشيء، ولا يقال لمثله قتال، إنما هو إلقاء بالنفس إلى التهلكة لأن رأى عبدالله بن أبى كان في الإقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج (١).

وقال ابن جرير: «خرج رسول الله ﷺ إلى أحد في ألف رجل من أصحابه وحتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة، اتخذل عنهم عبدالله بن أبى بن سلول بثلاث الناس وقال: أطاعهم، أى رسول الله ﷺ فخرج وعصاني. والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس؟ فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه أهل التناق والريب، فاتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام - آخر بنى سلمة - يقول لهم: يا قوم أذكركم الله أن اتخذلوا نبيكم وقومكم - وقتلوا في سبيل الله أو ادفعوا - فقالوا: لو تعلم أنكم تقتلون ما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أن يكون قتال.

فلما استعصوا عليه، وأبوا إلا الانصراف عن المؤمنين قال لهم: أبعدم الله يا أعداء الله فسيغنى الله رسوله عنكم، ثم مضى مع رسول الله ﷺ (٢).

هذا هو موقف المنافقين في غزوة أحد، وهو موقف يدل على فساد قلوبهم، وخبت نفوسهم، وجبنهم عن لقاء الأعداء.

ولقد كان المؤمنون الصادقون على نقض ذلك، فلقد خرجوا مع رسول الله ﷺ وثبتوا إلى جانبه فكانوا ممن قال الله فيهم:

﴿مِنَ الَّذِينَ رَجَعُوا صُدُوقَهُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِتْنَةٌ مِّنْ فَتْنِ نَّجِبَتِهِمْ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

«الأحزاب: ٢٣»

ولقد حكى لنا التاريخ أن بعض المؤمنين الذين كانت لهم أعداؤهم التي تسقط عنهم الخروج للجهاد، كانوا يخرجون مع المجاهدين لتكثير عددهم.

فعن أنس بن مالك قال: «رأيت يوم القادسية - عبدالله بن أم مكتوم - وكان رجلا أعمى - وعليه درع يجز أطرافها وبيده راية سوداء، فقبل له: أليس قد أنزل الله عذرك؟ فقال: بلى ولكنى أحب أن أكثر المسلمين بنفسى (٣).

هذا، وقد أصدر - سبحانه - حكمه العادل على أولئك المنافقين فقال:

﴿هُمُ الْكَافِرُونَ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾

أى هم يوم أن قالوا هذا القول الباطل قد بينوا حالهم، وهتكوا أستارهم وكشفوا عن نفاقهم لمن كان يظن أنهم مؤمنون، لأنهم قبل أن يقولوا:

﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾

كانوا يتظاهرون بالإيمان، وما ظهرت منهم أمانة تؤذن بكفرهم، فلما اتخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان الظنون بهم واقتربوا من الكفر.

أو المعنى: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان، لأن تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال فيه تقوية للمشركين.

قال الجمل: «وقوله: ﴿هُمُ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿أَقْرَبُ﴾ خبره، وقوله:

﴿لِلْكَافِرِ﴾ وقوله: ﴿لِلْإِيمَنِ﴾

متعلقان بأقرب، لأن أفعال التفضيل في قوة عاملين. فكأنه قيل: قربوا من الكفر وقربوا من الإيمان، وقربهم للكفر في هذا اليوم أشد لوجود العلامة وهي خذلانهم للمؤمنين (٤).

وقوله:

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾

جملة مستأنفة مبينة لحالهم مطلقا لا في ذلك اليوم فحسب.

أى أن هؤلاء القوم من صفاتهم الذميمة أنهم يقولون بالسنتهم قولا يخالف ما انطوت عليه قلوبهم من كفر، وما امتلأت به نفوسهم من بغضاء لكم - أيها المؤمنون.

قال صاحب الكشاف: وذكر الأقواء مع القلوب تصوير لنفاقهم، وأن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم، يخالف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم لأقواهم (٥).

وقوله:

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾

تذييل قصد به زجرهم وتوعدهم بسوء المصير بسبب نفاقهم وخداعهم.

أى والله - تعالى - أعلم منكم - أيها المؤمنون - بما يضمرة هؤلاء المنافقون من كفر ومن كراهية لدينكم، لأنه - سبحانه - يعلم ما ظهر وما خفي من أمورهم، وقد كشف الله لكم أحوالهم لكي تحذروهم، ويحاسبهم يوم القيامة على أعمالهم، وسينزل بهم ما يستحقونه من عذاب مهين.

ثم حكى - سبحانه - لونا آخر من أراجيفهم وأكاذيبهم التي قصدوا من

(٤) حاشية الجمل علي الجلالين ج ١ ص ٢٢٤ يتصرف يسير.

(٥) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٢٧.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٦٨.

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٢٧.

(٤) تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٦٦.

ورائها الإساءة إلى المؤمنين، والتشكيك في صدق تعاليم الإسلام فقال - تعالى -:

﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾

أى أن هؤلاء المنافقين لم يكتفوا بما ارتكبوه من جنایات قبیل غزوة أحد وخلالها، بل إنهم بعد انتهاء المعركة قالوا لإخوانهم الذين هم مثلهم في المشرب والاتجاه: قالوا لهم وقد قعدوا عن القتال: لو أن هؤلاء الذين استشهدوا في أحد أطاعونا وقعدوا معنا في المدينة لما أصابهم القتل، ولكنهم خالفونا فكان مصيرهم إلى القتل.

ويجوز أن تكون اللام في قوله: «إخوانهم» للتعليل فيكون المعنى: أنهم قالوا من أجل إخوانهم الذين استشهدوا في غزوة أحد، لو أن هؤلاء الذين قتلوا أطاعونا ولم يخرجوا لبقوا معنا علي قيد الحياة، كم هو حالنا الآن، ولكنهم لم يستمعوا إلي نصحتنا وخرجوا للقتال فقتلوا.

وعلى كلا التفسيرين فقولهم هذا يدل على خبث نفوسهم، وانطماس بصيرتهم وجهلهم بقدره الله ونفاذ إرادته، وشماتتهم فيما حل بالمسلمين من قتل وجراح يوم أحد.

ولذا فقد رد الله عليهم بما يخرس السنتهم، ويدحض قولهم، ويكشف عن

جهلهم وسوء تفكيرهم فقال - تعالى -:

﴿ قُلْ قَادِرَةٌ وَأَعَنَ أَنْفُسَكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

أى قل لهم يا محمد علي سبيل التوبيخ والتهكم بعقولهم الفارغة: إذا كنتم تظنون أنكم دفعتم عن أنفسكم الموت بقعودكم في بيوتكم، وامتناعكم عن الخروج للقتال، إذا كنتم تظنون ذلك ﴿ قَادِرَةٌ وَأَعَنَ ﴾ أى ادفعوا عن أنفسكم الموت المكتوب عليكم، والذي سيدرككم ولو كنتم في بروج مشيدة.

فالمقصود من هذه الجملة الكريمة الرد عليهم بما يبطل أقوالهم عن طريق الحس والمشاهدة، وذلك ببيان أن القعود عن الجهاد لا يطيل الحياة، كما أن الخروج إلي ساحات القتال لا ينقص شيئا من الآجال، فكم من مجاهد عاد من جهاده سالما، وكم من قاعد أناه الموت وهو في عقر داره.

فزعم هؤلاء المنافقين بأن أولئك الذين استشهدوا في أحد لو أطاعوهم ولم يخرجوا للقتال لما أصابهم القتل زعم باطل، وإلا فإن كانوا صادقين في هذا الزعم فليدفعوا عن أنفسهم الموت الذي سينزل بهم حتما في الوقت الذي يشاؤه الله، ولا شك أنهم لن يستطيعوا دفعه فثبت كذبهم واقتراؤهم.

وقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِ ﴾

في محل نصب بدل من قوله:

﴿ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾

أو في محل رفع بدل من الضمير في قوله: ﴿ يَكْتُمُونَ ﴾ فكانه قيل: والله أعلم بما يكتم هؤلاء الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا...

وقوله ﴿ وَقَعَدُوا ﴾ حال من الضمير في ﴿ قَالُوا ﴾ بتقدير حرف «قد» أى قالوا ما قالوا والحال أنهم قد قعدوا عن القتال.

وجواب الشرط في قوله:

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

محذوف لدلالة ما قبله عليه وهو قوله:

﴿ قَادِرَةٌ وَأَعَنَ أَنْفُسَكُمْ الْمَوْتَ ﴾

والتقدير: إن كنتم صادقين في زعمكم أن الذين قتلوا في أحد لو أطاعوكم وقعدوا كما قعدتم لما أصابهم القتل، إن كنتم صادقين في هذا الزعم فادعوا عن

أنفسكم الموت عند حلوله.

قال الألوسي: والمراد أن ما ادعيتموه سببا للنجاة ليس بمستقيم، ولو فرض استقامته فليس بمفيد، أما الأول: فلأن أسباب النجاة كثيرة. غايته أن القعود والنجاة جدا معا وهو لا يدل علي السببية.

وأما الثانى: فلأن المهروب عنه بالذات هو الموت الذى القتل أحد أسبابه فإن صح ما ذكرتم فادفعوا سائر أسبابه، فإن أسباب الموت في إمكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء، وأنفسكم أعز عليكم وأمرها أهم لديكم^(١).

وقال ابن القيم: وكان من الحكم التي اشتملت عليها غزوة أحد، أن تكلم المنافقون بما في نفوسهم، قسمة المؤمنين، وسمعوا رد الله عليهم، وجوابه لهم، وعرفوا مراد النفاق، وما يؤول إليه، كيف يحرم صاحبه سعادة الدنيا والآخرة.

قاله الله كم من حكمة في ضمن هذه القصة بالغة، ونعمة علي المؤمنين سابعة، وكم فيها من تحذير وتخويف وإرشاد وتنبيه، وتعريف بأسباب الخير والشر ومآلهما وعاقبتهما^(٢).

(١) تفسير الألوسي ج٢ ص ١٢٠.

(٢) زاد المعاد لابن القيم. نقلا عن تفسير القاسمي ص ١٠٢٢.

ظل المؤمن يوم القيامة حرقته

فضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

روى الإمام البخارى «رحمه الله» عن معاذ بن جبل «رضى الله عنه» قال: بعثنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله. وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم. وترد فى فقرائهم. فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بيننا وبينه حجاب».

الشرح والبيان

في هذا الحديث النبوي الشريف يطلب رسول الله - ﷺ - إلى عامة الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه « إذا أتى أهل الكتاب أن يدعواهم أول ما يدعواهم إلى التوحيد الذي هو أساس كل دين سماوي قال تعالى :

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ مَا تُلَوِّحُ بِالْكِتَابِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
الْأَعْيُنُ ۚ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الشَّعْيَيْنِ وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا

يَعَا أَرْبَابَ الْكَافِرِينَ دُونَ اللَّهِ إِنَّ تَوَلَّوْا فَعُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

وَأَنْ يَعْلَمَهُمْ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْقُرَشِيَّ الْهَاشِمِيَّ رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ تَطَقُّوا بِالشَّهَادَتَيْنِ فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ «عَزَّ وَجَلَّ» افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ آدَوْهَا فِي أَوْقَانِهَا، مَسْكُومَةَ الْأَرْكَانِ، مُسْتَوْفَاةً الشَّرَائِطِ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ «عَزَّ وَجَلَّ»

اقترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم ،
 فترد في فقرائهم . ولما كان رسول الله
 ﷺ هو القدوة الحسنة ، والأسوة الطيبة -
 كان أجود الناس ، وكان أجود ما خير من
 الريح المرسلة وكان يعطى عطاء من لا
 يخشى الفقر ولم يؤثر عنه أنه رد سائلا
 قط حتى أنشد مادحه :

مبا قال لا، إلا في تشبهه

لولا التشهد كانت لازمة نعم

مفهوم الصلوة

وستناول من هذا الحديث مفهوم
الصدقة في الإسلام، إذ الإسلام يقرر مبدأ
التعاون والتعاطف بين الناس، ويرسى
بناء المجتمع كله على ركائز من الخير،
ودعائم من الحب، لا غميد ولا تهتز ولكن
البشرية تضل طريقها حين تحيد عن
بعاليم هذا الدين، وتبحث عن الخير في
غيره. مع أن الإسلام لم يدع صغيرة ولا
كبيرة في كل شأن من شؤون الحياة إلا
سلط عليها أضواءه وشرع لها آدابه
بحيث تصبح الحياة جنة حافلة بالرفق
واللين، فهل يجعلها المسلمون كذلك
بحسن أعمالهم، وجميل سلوكهم؟

إن المؤمن العاقل يؤمن بأنه لا يعيش لنفسه، يجاهد في هواها، ويسعى وراء شهواتها، فما استحق أن يولد من عاش لنفسه، واليد الواحدة لا تصفق، ولكنه يعيش في بيئة يتعاون معها، ويعمل خيرها، ويجاهد في سبيل رفع شأنها، وإعزاز مكانتها، فمصادته مرتبطة

يسعادتها، وشقاؤه مبرهون بشقائها..
كما أنه يؤمن بأن عمله من أجل إسعادها
عمل عظيم يستحق عليه الأجر والثوبة،
فتعالوا بنا لنستمع إلى معلم الإنسانية،
رسول الله ﷺ وهو يوجه كل إنسان منا
إلى أن يقدم لأمته الخير الذي يستطيعه،
والجهد الذي يطيقه روى الشيخان من
حديث أبي هريرة «رضي الله عنه» قال:
قال رسول الله - ﷺ «كل سلامي من
الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه
الشمس يعدل بين الناس صدقة» وفي
رواية أخرى «كل سلامي عليه صدقة كل
يوم، يعين الرجل في دابته يحامله عليها
أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة
الطيبة، وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة
صدقة، ودل الطريق صدقة».. فما
الصدقة؟

الصدقة : هي الشكر الذي يؤديه الإنسان إلى ربه اعترافاً بما وهبه من نعم ، وأفاض عليه من أفضال ، ويكفي أن يلتفت المرء إلى أقرب شيء إليه ، ليعرف فضل ربه ، ويذكر نعم خالقه ، يكفي أن ينظر إلى جسمه ، فكل عظمة فيه تؤدي واجبها وتقوم بدورها في بناء جسمه ، ونظام حياته قال تعالى :

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

الذاريات / ٢١

وقد ذكر علماء الطب أن عظام البدن كثيرة متعددة، وكل قطعة فيها - مهما تناهت في الصغر، وإن غفل الغافلون عن

الصدقة في ميزان الإسلام

لمفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي
الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية

٢

.. استكمالاً لحديثنا عن الزكاة.. تعرض اليوم لأمر الصدقة التي تلاً لها وجه النبي محمد ﷺ. تلك الصدقة التي دعا لها النبي المصطفى حين رأى جماعة من مضر في ثياب رثة، فسأه حالهم، ودعا المسلمين إلى مساندتهم وحشهم على التعاطف معهم والتراحم فيما بينهم.

فعن أبي عمرو جرير بن عبد الله - رضى الله عنه - قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاء قوم عراة، مجتأى النمار أو العباء، متقلدى السيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى، ثم خطب فقال: (يا أيها الناس انقشوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) إلى آخر الآية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

(النساء ١)

والآية (١٨) في سورة الحشر:

قال أحد أهل الورع إذا وجدت من يأخذ منك الصدقة فأعطها له وقبل يده، فتعجب المخاطب وقال: كيف؟

فقال الورع: يا أخى لا تعجب، وانظر إلى عطاءك وعطائه، فإذا ما أعطيتك صدقة، فأما أن يأكلها - إن كانت طعاماً - أو يشتري بها حاجة من حاجاته، ويعدها صدقتك بالنسبة له تنتهى، أما هو فقد أعطاك ثواباً ادخر لك عند الله تلقاه عنده يوم الحساب، فعطاء من أبقى؟ عطاؤك أم عطائده؟

فقال المتصدق: بل عطائده أبقى لى.

فقال الورع: إذن فقبل يده.

«رضى الله عنه» أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس»، قيل: يا رسول الله، ومن أين لنا صدقة نتصدق بها؟ فقال: «إن أبواب الخير لكثيرة: التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبيط الأذى عن الطريق، وتسمع الأصم وتهدى الأعمى، وتدل المستدل على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك». وبهذا البيان الواضح الشامل يدعو الرسول الكريم ﷺ كل مسلم أن يقدم لأمنه الخير الذي يطيقه وتنفع له دائرة نفسه وعليه أن يسهم في بناء نهضتها ودعم كيانها بما يستطيع. وقد أوضح رسول الله ﷺ في أحاديثه الشريفة تنوع الصدقة فالعدل بين المتنازعين صدقة والإصلاح بين الخصاممين صدقة ومعاونة المحتاجين صدقة والكلمة الطيبة صدقة، وإمالة الأذى عن الطريق صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة طلباً للجماعة.. صدقة، فأبواب الخير كثيرة وأدناها أن يكف الإنسان شره عن الناس.

جعلنى الله وإياكم من الأسخياء الكرماء وعافانا أن نكون من الأشحاء البخلاء.

بهذا يحافظ على مشاعر الأغنياء، بحيث لا يخرج أحدهم شيئاً تتعلق به نفسه، وتتأثر لخروجه عن دائرة ممتلكاته. إن الصدقة - بهذه الصورة - تفجير لمنابع الخير في النفس البشرية حتى تنساب على طبيعتها، فتغمر كل واد، ويرتوى منها كل مكان وهذا من فضل الإسلام على الناس، فلو أنه حبس الصدقة في دائرة الأموال وجعل الخير مقصوراً على الجود المالى حرم كثيرون من أبناء البشرية من بلوغ هذه الغاية الشريفة، ولبقى كثير من الينابيع الجياشة حبيسة في بواطن النفوس لا تتحرك للخير ولا ينتفع بها أحد ولكن الإسلام عيّد طرقها ويسر أمرها حتى أصبحت في مقدور كل إنسان..

على كل مسلم صدقة!!

ومن هنا أطلق رسول الله ﷺ الصدقة في عموم وشمول - روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري «رضى الله عنه» عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة» فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: «يعمل بيده فينتفع نفسه ويتصدق» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «قليعه بالمعروف، وليمسك عن الشر فإنها له صدقة».. وروى ابن حبان «رحمه الله» في صحيحه عن أبي ذر

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرَ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ

تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع قمه حتى قال: (ولو يشق قمرة) فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة^(١) فقال رسول الله ﷺ: (من من في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن من في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)^(٢) رواه مسلم.

وتخبرنا القصة بعدة مشاهد، أولها: أن هؤلاء القوم جاءوا إلى الرسول في صورة حزينة، حفاة الأقدام، عراة الأجسام إلا من ثياب، أو عباءات من صوف ممزقة بالية مختلطة الألوان، جاءوا في صورة تنزل قلوب الرحماء، وتهتز لها أقفدة أهل الحلم؛ فرق لحالهم رقة شديدة، وأشفق عليهم شفقة رحيمة، فدخل بيته ليبحث عن شيء يسد به

حاجة أولئك البائسين المحرومين، لكنه لم يجد شيئاً في بيته يعطيه لهم، ولا عجب في ذلك.

فقد قالت عائشة رضي الله عنها:

«ما شيع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ»^(٣) - فأمر بلالاً ليؤذن في الناس ثم يدعوهم بالوقوف في جانب إخوانهم الفقراء، ويسدوا حاجتهم. ولنا في هذه القصة وقفة مع ما تلا ﷺ من آيات يرفق بها قلوب المسلمين فأما الأولى وهي آية أول النساء، فلأنها أبلغ في الحث على الصدقة لما فيها من تأكيد لحق الأخوة وأما آية الحشر ففيها وعظ وتذكير بالآخرة حيث يقول ابن عطية في تفسيره لهذه الآية:

«في هذه الآية وعظ وتذكير وتقرير للآخرة وتحذير مما لا تخفى عليه خافية، فأثار الرسول بذلك شعور صحابته الكرام، فما أن فرغوا من صلاتهم حتى راحوا يتسابقون في الخيرات ويتنافسون في الصدقات رغبة فيما عند الله، وليضربوا لنا المثل العظيم لقول رسول الله ﷺ:

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم

وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٤).

لقد سر رسول الله ﷺ سروراً عظيماً بمبادرة أصحابه إلى الامتثال لما أمرهم به ودعاهم إليه فهل نعمل مثل عمل الصحابة، ليسر بعملنا رسول الله ﷺ، ونرضى ربنا خاصة إذا علمنا أن الصدقة تقع في يد الرب قبل أن تقع في يد العبد؟

وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين، أي: الكاملين في الإيمان»، في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد فية حث على التراحم والملاطفة والتعاقد في كل الأمور التي فيها خير ويعد عن الإثم والمكروه.

ولابن أبي جمرة قول لطيف في معرض شرحه لهذا الحديث حيث يقول:

«الثلاثة خصال وإن تفاوت معناها بينها فرق لطيف فالمراد بالتراحم أن يرحم بعضهم بعضاً لحلاوة الإيمان لا لشيء آخر وبالتواد: التواصل الجالب للمحبة كالتهادى وبالتعاطف: إعانة بعضهم بعضاً (مثل الجسد الواحد)

بالنسبة لجميع أعضائه، ووجه الشبه فيه التوافق في التعب والراحة»^(٥).

... فكذا المؤمنون يجب أن يكونوا كنفس واحدة إذا أصاب أحدهم مصيبة يغتم جميعهم ويقصدوا إزالتها وفي هذا التشبيه تقريب للفهم وإظهار المعاني في الصور المرئية»^(٦).

ومن ألطف ما وجدت في شأن هذا الحديث أن الإمام الأعظم أبي حنيفة قد صنف هذا الحديث في مسنده تحت باب: «حديث الحب».

وإني من هذا المنطلق أجزم أن المجتمع الذي يتآزر بالصدقة والتهادى لإعانة بعضهم بعضاً إنما هو مجتمع متحاب.

ومن أجل ذلك كان تهلل وجه النبي نوراً وصفاء لما رأى دلالة الحب سائدة بين أصحابه، فصلاة الله عليك سيدي يا رسول الله، ورضوان الله على صحابتك الكرام وعلى تابعيهم الأخيار الذين علمونا أن عطاء المتصدق عليه أبقى من عطاء المتصدق.

ويعد... فهل لنا أن نقتفى أثر هؤلاء السلف الصالح حتى يرضى عنا الله ورسوله؟!



(٣) صحيح مسلم ج ٤

(٤) قبض القبر ج ٢ ص ١٤

(٥) الرجوع السابق

* المراد به الصفاء والاستقامة

(٦) صحيح مسلم

(٢) المرجع أخرجه مسلم ج ٤ والإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ١٩٨

طريق الدعوة

لفضيلة الشيخ / عمر الديب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله وعلى آله وصحبه ومن والاه...
وبعد.

فلقد دأب بعض المستشرقين والحاقدون من أعداء الدين أن يتقنوا على القرآن والإسلام أنه دخل قلوب الناس عن طريق القهر والخوف من السيف وحوالة ما تقولوا بهذه الأقاويل وغيرها إلا حقدًا وحسدًا من عند أنفسهم وإن كان الكثير منهم يعرف الحقيقة الناصعة ولكنهم يكابرون ويعاندون نتيجة ما تخفيه صدورهم من عداوة كامنة في قلوبهم لهذا الدين الذي يزداد انتشارًا ولا يكادون يواجهون أبواق الدعاية التي يملئون بها بتلك السموم التي افتراها هؤلاء وفي هذا نوضح الحقائق التي تم عن طريقها نشر هذا الدين فقد اتخذت دعوة الإسلام سبيلها إلى قلوب الناس بطريقتين لا ثالث لهما:

١ - إعجاز القرآن الكريم. ٢ - سمو المبادئ الإسلامية.

أثر القرآن الكريم في انتشار الإسلام

ولا بد لنا أن نتحدث عن الوحي وطرقه وعما يحتويه القرآن الكريم الذي يعد هو المصدر الرئيسي للتشريع الإسلامي. أما عن الوحي فذكر لنا ابن القيم أن له مراتب ثمانية نذكر منها ما يلي: المرتبة الأولى: إن جبريل كان ينزل على الرسول

ﷺ فيتصل به اتصالاً كاملاً حتى كأنهما شخص واحد ويلقى جبريل إلى الرسول ﷺ الآيات التي أمر بحملها وقد روى أن الرسول كان يتفحص عرقاً عندما كان جبريل يأتيه على هذه الحالة.

ومن المراتب أن جبريل عليه السلام كان يأتيه ﷺ على صورته الأصلية الملائكية

ويلقى للرسول ما يريد أن يلقيه.

ومنها أن جبريل كان يأتيه ويلقى ما جاء به في روح الرسول ﷺ دون أن يظهر ويدون أن يتصل بالرسول وقد روى أن الرسول ﷺ قال: إن روح القدس نفث في روعي... (*)

ومن المراتب التي ذكرها ابن القيم أن الله سبحانه وتعالى قد يكلم الرسول بلا واسطة ملك.

وأما عن محشويات القرآن الكريم فبجانب ما يحتويه من حكم ومواعظ وأخبار فهو أيضاً يحتوي على نظم الإسلام وقوانينه الخاصة بالدين والدنيا وقد جاء في القرآن قوله تعالى:

﴿ مَا تَرَىٰ طَائِفَتًا مِّنَ الْكُتُبِ مِّنْ شَيْءٍ وَفُتِّرَ لَهُمْ بِهِمْ يُخَوِّفُونَ ﴾

(الأنعام: ٣٨)

ومعنى ذلك أنه لا يوجد أمر ذو بال إلا وقد كشف القرآن عنه النقاب إجمالاً وتفصيلاً حسب أهميته وقد كان القرآن الكريم مصدر إعجاز وكان مصدر تشريع ومصدر أخلاق ومن المعلوم أن ثلثي القرآن نزل بمكة والثلث الباقي نزل بالمدينة وقد اتجه الجانب المكّي من القرآن إلى إبراز وحدانية الله وإقامة الدليل على ذلك:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾

(الأنبياء: ٢٢)

كما اهتم هذا الجانب بالدعوة إلى مكارم

الأخلاق وضرب الأمثال بالأمم الماضية وما حصل لها عندما كذبت الرسل، أما الجانب الآخر وهو المدني من القرآن فقد ظهر فيه التشريع الإسلامي بتفصيله وإحاطته مثل نظم الميراث ونظم الدين ونظم الزواج وأخرويات من النساء على الرجال ونظم الطلاق وغيرها من أحكام الأسرة.

والقرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ الأولى وهو معجزة خالدة تشهد على مر السنين وتعاقب الأجيال على صدق محمد ﷺ ورسالته وأكثر الذين يجيدون اللغة العربية يعترفون بدون تردد سواء دخلوا الإسلام أم لم يدخلوه أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من قول البشر لأنه أسمى بأفكاره وأسلوبه من كل ما استطاعه البلغاء وما توصل إليه الفصحاء أما الأقلية من العرب التي لم تعترف بإعجاز القرآن فقد كانت متأثرة بمؤثرات أخرى قوية حملتهم هذا الحمل الصعب الذي ظهر أحياناً في تحديدهم للقرآن ومحاولة الإتيان بمثله وقد سجل التاريخ الإسلامي روايات عديدة تثبت أن هذا القرآن معجز للبشر بل إنه معجز للإنس والجن وقد روى أن الشاعر لبّيد بن ربيعة أحد شعراء المعلقات أمسك عن قرض الشعر بعد أن دخل الإسلام ولم يرو عنه أنه قال شعراً في الأربعين سنة التي أمضاها في ظل الإسلام إلا قوله:

الحمد لله إذ لم يأتيني أجلى

(*) شرح السنة النبوية ١٤٩ ص ٢٠٤

﴿قُلْ لَيْسَ أَحْمَقُ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

(الإجراء: AA)

المبادئ الإسلامية وأثرها في نشر الدعوة

عرفنا أننا أن القرآن الكريم كان من أهم الأسباب التي دعت الكثيرين من العرب إلى الدخول في الإسلام ولكن كيف دخل الإسلام إلى قلوب هؤلاء الذين لا يعرفون اللغة العربية من غير العرب مثل المصريين والسوريين والفرس وغيرهم؟ فمن العلوم أن عمل الحكومة في الدولة المسلمة هو أن تعيش للمحكومين وأن تعمل على إسعادهم فالحكومة الإسلامية تتعب ليستريح المحكومون وتسهر ليناموا في هدوء وأمان ومثل هذا وأكثر كانت الحكومة الإسلامية على عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين لقد طلع الإسلام على الناس بمبادئ كانت أكثر مما يأملون وأبعد مما يتصورون وطبق الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون هذه المبادئ بل إنهم تحمسوا لها واختلطت بقلوبهم ووجدانهم ووجدوا فيها لذة ونعيمًا فساروا عليها وبالغوا في تطبيقها باسم هذه اللذة والنعيم فقد كانت تلك المبادئ تقوم على أسس ثلاثة هي: المساواة، العدالة، الحاكم الفقير. فلقد نادى الإسلام بالعدالة في زمن كانت العدالة فيه تعد ضعفًا وخزياً ونادى الإسلام بالمساواة في وقت كان النظام فيه يقوم على الطبقية والعنصرية في جميع مناحي الحياة وفي مختلف الأقطار بل والعالم كله.

حتى لبست من الإسلام سريالاً
وكان إذا سئل عن الشعر تلا سورة من
القرآن وقال:

أبدلني الله خيرا منه

الرجز التالي:

استغفر الله لذنبى كله

قَسَلَتْ اِنْسَانًا يَفْجُو حَلَه

مسئل غزال ناعم فی دله

وانتصف الليل ولم أصله

فقال لها الأعرابي: يا فتاة أرجوزتك
أبلغ ما سمعت من القول، قالت الفتاة وهل
ترك لنا القرآن بلاغة يا عمماه؟ لو قرأت
القرآن لوجدت أن أقرالنا هباء قال لها
الأعرابي: ماذا تقصدين؟ قالت الفتاة: هذه
يا عمماه آية من قصار الآيات بها أمران
ونهيان ووعدان مع جزالة وروعة أسلوب

﴿ وَأَنْصِبْ إِلَيْهِ أَلْسِنَآءَهُمْ ﴾
 أَنْ تُضْعِفَهُمْ وَأَنْ تَخَفِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافُ
 وَلَا تَحْزَنُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْكَرِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٤﴾

(القصص: ٧)

فأخذ الأعرابي يكرر الآية ويقول: نعم
هذا نوع آخر من القول وقد تحدى الله
سبحانه وتعالى كل البلغاء والفصحاء
فدعاهم إلى الإتيان بمثل هذا القرآن إن
استطاعوا وأكد لهم أنهم لن يستطيعوا ولو
تعاونوا بحماس أن يبلغوا هذه الغاية قال
تعالى:

رعاية النسم

الشيخ / أحمد الشرياصي

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، أراد لعباده الأظهر طريق الخير والبر، ومنهج العدل والفضل،

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾

(البقرة: ١٢٨)

أحمدده سبحانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، يعز الأتقياء الشرفاء، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى الطيبين من ذريته وآله، والطاهرين من صحابته ورجاله، والمهتدين بأعماله وأقواله:

﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾

(الحق ١٤)

یا اَتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ :

يا أتباع محمد ﷺ: أقيم الإسلام مجتمعه العاقل الفاضل على أركان ثابتة ودعائم راسخة، ومن أهم هذه الدعائم أن يتحقق بين أبناء المجتمع روح التضامن والتعاون، فيأخذ القوى بيد الضعيف، ويشد المقتدر عن أزر

وأنت تستطيع أن تحكم على المجتمع بالصلاح والخير، إذا رأيت اليتيم فيه معززا مكرما، لا يضيع وسط الرحام، ولا تسحقه الأقدام، ولا يضيع ماله نهبا مقسما بين الخونة اللثام من سفلة الناس وشياطين البشر.

وحسب رعاية اليتيم شرفا وتنويها بين الفضائل أن يحدثنا القرآن أجيد بأنها صفة من صفات النبي ﷺ يحدثنا بها رب الأرباب سبحانه وتعالى. أليس هو القائل لنبيه:

﴿الَّذِي يَحْكُمُكَ يُضِلُّكَ يَتِمَّا فَتَاوَى﴾

(الضحى: ٦)

وحسب اليتيم شرفا أن يخرج الله جل جلاله إلى مساحة الحياة خاتم أنبيائه وإمام رسله، يتيما بلا أب ولا أم، لقد مات أبوه وهو جنين في بطن أمه، وماتت أمه وهو صغير، وتولت عناية الله رعايته وصيانتة وتوجيهه، فماذا كان من شأن اليتيم محمد؟.. لقد شاءت إرادة الله أن يسمو ويعلو، حتى يبرز السابقين واللاحقين، وحتى يكون رسول الله إلى الناس أجمعين، ورحمة الله للعالمين.

والقرآن الكريم يقرع أسماعنا بقول خالقنا:

﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الَّتِي اتَّخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ حَزْرًا ۖ قُلْ إِصْلَاحُ لَكُمْ خَيْرٌ ۚ﴾

(البقرة: ٢٢٠)

وهذا رسول الله عليه الصلاة والسلام، يرفع من شأن كافل اليتيم وراعيه، الذي يحفظ له ماله ويطمئنه، ويشيد بمكانته السامية عند الله سبحانه

يوم القيامة، فيقول:

«أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة كهاتين وأشار بإصبعه السبابة والوسطى» (١)

مال اليتيم

ولعل أهم شيء يجب أن يرفع لليتيم ويصان، هو ماله الذي تركه له والده أو وصل إلى ملك اليتيم بأي طريقة من طرق التملك، فواجب ولي اليتيم، أو من يرعى شؤونه تطوعا أو تكليفا أن يصون كل كثير وقليل من مال اليتيم وأن يحافظ عليه، ويختار أحسن الوسائل لتنميته وتضميره، وأن يحرص عليه أكثر من حرصه على ماله ومال أولاده، وألا يمس به سوء، وألا يستبيع لنفسه بالاستيلاء على أي قدر منه دون حق، وإلا اكتسب حراما يؤدي به إلى الخراب في الدنيا والعذاب يوم القيامة، والرسول ﷺ يحذر وينذر، حين يقول: «كل لحم نيت من حرام فالتار أولى به» (٢) وما أسوأ عاقبة المال الخبيث، والله جل جلاله يقول:

﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا النَّارَ أَنفُسُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ لَآ تَنفَعُهُمْ فِي النَّارِ ۖ هَٰؤُلَاءِ هُمُ الْمُضِلُّونَ ۚ﴾

(النساء: ٢)

حربا كبيرا: أي إثما عظيما. وهذه الرعاية الدقيقة لمال اليتيم وشؤونه لا تتحقق على وجهها السليم بالقانون وحده، أو

رقابة الناس فقط. فكم من تشريعات وضعت للمحافظة على أموال اليتامى والقصر الضعفاء، ومع ذلك ظل السلب والنهب شائعا عند كثيرين من النصوص الذي يسطون على أموال اليتامى بلا حرج أو رعوى.

إنه لا يتفح هنا إلا التقوى والوازع الديني، والخوف من الله العلي الكبير المنتقم الجبار، العزيز القهار، الذي قد يمهل ولكنه لا يهمل، والذي يضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

(الزلزلة: ٧-٨)

ولذلك نجد القرآن هنا يغطي الإنسان درسا لا يحجده ولا ينساه، لأنه مأخوذ من صميم الحياة ومن لباب الواقع المتكرر المشاهد الذي لا يجحد ولا يكابر فيه أحد:

﴿وَالْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ ذُرُّوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةٌ ضِعَفًا ۚ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا آيَاتِنَا هُتُوًا ۚ وَأُولَٰئِكَ السَّيِّئُونَ ۚ﴾

(النساء: ٩-١٠)

إن القرآن هنا يمس شغاف القلوب، ويهز أوتارها هزا غنيقا بليغا، فهو يدفع الناس دفعا إلى تصور ذريتهم الضعيفة المكسورة الجناح، تهشهم أفاعي البشر، وتفثك بهم ذئاب الإنسانية، فقد

تدور عليهم الأيام، وتجعلهم الأقدار يتامى، لا حول لهم ولا قوة، يطمع فيهم الطامع، وما من نصير لهم أو مدافع، والأجزاء من جنس العمل.

فليتق الأباء ربهم، وليحذروا عتقائهم، وليكونوا حراسا على من يكفلونهم من اليتامى، يحفظون أموالهم، ويحسنون تربيتهم، ويتقنون إعدادهم للحياة، والله خير الشاكرين، يشكر معروفهم، ويقدر سابقتهم، ويهسي لأولادهم اليتامى من يحن عليهم، ويعاملهم بالبر كما كان أبوه يفعل مع يتامى الناس من قبل، وإلا فيا سوء المصير.

عزّة أمة ترعى اليتامى!!

ولقد قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» (٣) أي الأمور المهلكة لصاحبها في دينه ودنياه والتي تعرضه للمصير والعذاب الأليم، وذكر منها أكل مال اليتيم، كما جاء في حديث الإسراء قول النبي ﷺ: «رأيت قوما لهم مشافر كمشافر الإبل، وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم، فسقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما» (٤)

يا أتباع محمد ﷺ:

عزّت أمة ترعى اليتامى، وتحافظ عليهم وعلى أموالهم، حتى يخرج منهم من ينفع الوطن والناس، وذلت أمة يضيع بينها اليتيم، كأنه بين سباع أو ذئاب ومسخان من لو شاء لهدى الناس أجمعين.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

العدل

صمام الأمان في المجتمع

للمستشار حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

إذا كانت عظام الأمور والأشياء، تستمد عظمتها ممن تنسب إليه، فإن فضيلة العدل تأتي في ذروة سنام العظمة: لأن الله - تعالى - العظيم وصف ذاته بها، حتى صارت اسماً من أسمائه الحسنی، التي أمرنا أن ندعوه بها، امتثالاً لقوله - عز وجل -:

﴿ وَقَالُوا لَا تَمْلِكُنَا لِشَيْءٍ دَعْوَةُ يَهُودَ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي تَحْتِهَا سُبُحْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(الأعراف: ١٨٠)

فهو سبحانه الحكم العدل، وبهذه الصفة العظيمة، كان إيجاده تعالى لكل موجود، وخلقته لكل مخلوق، وبها تكون النهاية للجميع، عندما ينصب الله الميزان في يوم الحساب، ويكون الجزاء بناء على نتيجة ما خف من الوزن أو نقل.

وقد جاء في الأثر: بالعدل قامت السماوات والأرض، وكما وردت عبارة: العدل أساس الملك، في قول مأثور تواترت روايته عن أحد الحكماء، ثم تناقلها السنة العامة والخاصة، للتعبير عن ضرورة العدل، لقيام أي نوع من الملك، ولو كان بشرياً، بما يجعل فضيلة العدل إحدى سنن الله تعالى في الكون، التي يترتب على توافرها حفظ نظام هذا الكون واستقراره، وعلى تخلفها فساد وانتهياره، ومن هنا تظهر

أهمية العدل في تشييد صرح المجتمع ونهضته، وتحقيق الأمن والاستقرار فيه. والقيمة الحقيقية للعدل كأحدى السنن الإلهية في الكون، تظهر من خلال تطبيقه في واقع حياة الناس، وهذا يقتضي توافر ثلاثة عناصر رئيسة هي: الرعاية التي تحتاج لإقامة العدل بينها، سواء أكانت أفراداً أم جماعات، والحاكم المكلف بإقامة العدل، والأداة المستعملة في توصيل العدل لأصحابه، وهو النموذج الأمثل، الذي تشعر معه الرعاية بأنه يحقق لها العدل، وقد استقر نظام الدولة الحديث، على أنه هو القانون، وإذا ما كانت للقانون السيادة في المجتمع، شاعت فيه موجبات العدل، التي ينعم بها كل أفراد.

هذه الكلمات جزء من عبارة، قالها أحد الحكماء بتصيحها: لا ملك إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالمال، ولا مال إلا بالتعمير، ولا تعمير إلا بالعدل، فالعدل أساس الملك، وهذه العبارة تدل بوضوح على أهمية وخطر العدل في حياة الفرد والجماعة على السواء، إذ أن هناك علاقة وثيقة بين إقامة العدل بين الناس، وقيام الحضارات وانتهيارها.

والعدل الذي يبنى عليه الملك، لا يكون بمجرد وجهه الإيجابي، وهو إقامة

العدل، بل يكون أيضاً بوجهه السلبي، وهو عدم الظلم، وقد قيل: إن الله تعالى يقيم الدولة الكافرة مع العدل، ولا يقيم الدولة المسلمة مع الظلم، وقد قال الرسول ﷺ: «العدل حسن...»^(١) وفي تعليل ذلك قال العلماء: لأن العدل يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتنعم به الأرض، وتنمو به الأموال، ويكثر معه العمران، ويعم معه الأمان.

والعدل حلم يراود كل إنسان منذ بداية الخليقة، ويتطلع إلى تحقيقه في حياته، وفي حياة الآخرين، ولهذا فقد اجتهد الإنسان بقطرته، قبل نزول الرسائل السماوية، في البحث في فكرة العدل، مستعملاً منهج الفلسفة في الوقوف عليها، ولكن المفهوم الحقيقي للعدل لم يستقر، إلا بعد مجيء رسالات السماء لأهل الأرض.

وقد جاءت رسالة الإسلام الخاتمة، لتجعل العدل من بين أسماء الله الحسنى، التسعة والتسعين، التي إذا أحصاها المسلم، كانت طريقه إلى الجنة، كما أخبر الرسول ﷺ، ومن خلال منهج هذه الرسالة، الذي حملته النصوص المقدسة، في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يمكن الإشارة بإيجاز، إلى نظرة الإسلام عن فكرة العدل.

(١) كنز العمال: ١٢/١٢٣.

المفهوم العام لفكرة العدل

كلمة العدل جامعة، تدل على فضيلة تنوق النفس الإنسانية للتجلى بها، وهي من الاعتدال والاستقامة، وللتعبير عن هذه الفضيلة، تعددت في الأذهان مفاهيم العدل، ومما قيل في بيان هذه المفاهيم الآتي:-

أ- العدل هو: إعطاء المرء ما له، وأخذ ما عليه، فالعادل هو من أعطى كل إنسان حقه، دون محاباة أو ظلم.

ب- العدل هو: وضع الشيء في محله، اللائق به شرعاً وعرفاً، ومن ثم فهو يشمل كل فعل جميل، مادياً كان أو معنوياً

ج- العدل هو: أن يكون ذو الأمر والسلطان، مانعاً نفسه وكل فرد من رعيته، من الجور والاعتداء على غيره.

د- العدل هو: التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، ولذلك يقال عنه: الإنصاف، أي المنتصف بين الشئيين المتباعين، ومن ثم فهو واجب الرعاية في كل شيء.

هـ- العدل هو: إزالة الجور والظلم، ولذا يسمى القسط، من الفعل الرباعي أفسط «بهمزة الإزالة أو السلب»، من الفعل الثلاثي قسط، بمعنى جار وظلم، كما في قول الحق تعالى:

﴿وَأَنذَرْتُ السَّالِفِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ أَنَا الْمُتَّقُونَ﴾

(الحن: ١٤، ١٥)

القاسطون: أي الظالمون

الأمر بالعدل والنهي عن الظلم

إذا كان العدل هو أصل لجميع الأخلاق الحميدة، وكلها متفرعة عنه، فإن ما ورد في ذم الظلم، هو أيضاً مدح للعدل، أي أن العدل نال المدح بلسانين، لسان التنصيص على فضله، ولسان التنصيص على ذم ضده، وبياناً لقدر عظمة فضيلة العدل، في حياة الناس واجتمعات، كان بها الأمر القرآني الصريح، شاملاً للكافة، بصيغة الأمر العام في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

(النحل: ٩٠)

وفي قوله تعالى:

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾

(الأعراف: ٢٩)

والقسط هو أحد معاني العدل.

كما جاء هذا الأمر، موجهها بصفة خاصة للرسول ﷺ، بالتزام العدل، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَقُلْ إِنَّمَا أَدْعِي إِلَى الْقِسْطِ وَأَمْرٌ بِالْإِحْسَانِ﴾

(الشورى: ١٥)

وفي قوله تعالى:

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾

(المائدة: ٤٢)

ومن أوجه العظمة في هذا الأمر، أن الخطاب به يستفيد منه المسلم وغيره من عباد الله تعالى، أيًا كانت ديانتهم.

كما جاء الخطاب بالعدل موجهها للأفراد العاديين، الخاطبين بأحكام الشريعة الغراء، وذلك على لسان الرسول الكريم ﷺ، البالغ الرسالة عن الله تعالى، كما روى البخاري في الهبة، ومسلم في الفرائض، عن النعمان بن بشير، قال: أتى بي أبي إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني نحلتي ابني هذا غلاماً كان لي، فقال: أكل ولدك تحلته مثل هذا؟ قال: لا، قال: فارجعه، وفي رواية، فقال: أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا، قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم، قال النعمان: فرجع بي فرد تلك الصدقة، وفي رواية، قال رسول الله ﷺ: يا بشير: ألك ولد سوى هذا؟ قال: نعم، قال: أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا، قال: فلا تشهدني إذن، فإني لا أشهد على جور، وفي رواية قال: أشهد على هذا غيري، ثم قال: أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟ قال: نعم، قال: فلا إذن، وفي رواية أخرى: «إني عدل، لا أشهد إلا على عدل».

وفي المقابل جاء النهي القاطع عن الظلم؛ لأن الله تعالى حرم على نفسه الظلم، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئاً ذَرَّةً وَإِن تَكُ حَسَنَةً قَدْ عَمَلْتَهَا تَعْلَمُ بِهَا وَأَن تَكُن مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾

(النساء: ٤٠)

وفي الحديث القدسي، يقول الرسول ﷺ، رواية عن رب العزة: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا.....» (١)

نطاق العدل

وهذا النطاق من السعة، بما يجعل العدل يشمل كل أوجه نشاط وسلوك الإنسان في الحياة، سواء كان ذلك في القول بصفة عامة، كما أشار القرآن في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾

(الأنعام: ١٥٢)

أو القول المتعلق بالشهادة، كما في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُكُمْ عَلَىٰ قَوْلِكُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّكُمْ أَعْيُنُ النَّاسِ عَلَىٰ الْقِسْطِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

(المائدة: ٨)

أو كان في الفعل كما أشار الله تعالى، إلى أن يكون استعمال أداة الكيل الوزن بالعدل، في قوله تعالى:

(١) الترغيب والترهيب: ٢: ١٧٦.

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِذَا عَٰهَدْتُمْ ۚ وَزُكُّوا بِالْقِسْطِ إِنَّا مُسْتَقِيمُونَ ٥٠ ﴾
 ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥١ ﴾

«الإجراء: ٣٥»

أو كان في الكتابة، التي توثق
التصرفات، كما في قوله تعالى:

﴿ وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾

البقرة: ٢٨٢

حتى في مجال الصلح بين
المتخاصمين، يجب مراعاة العدل بينهم،
كما في قوله تعالى:

﴿وَلَا يَخَافُ الْعَذَابَ﴾

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَنُتْلُوهُ فَاصْلِحُوا أَيْنَمَا بُعِثَ إِحْدَهُمَا
عَلَى الْأُخْرَىٰ فَذَلِكُمُ الَّذِي يَنْفَعُ حَتَّىٰ يَمُوتَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَإِن فَاءَتْ
فَاصْلِحُوا أَيْنَمَا بِالْعَدْلِ وَأَقِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٦٧﴾

الحجرات : ٩

ولكن من أخطر مبادئ إقامة العدل،
تكون في الحكم بين الناس، كما في قوله
تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ

أَنْ تُوَدُّوا أَلَا مَنَسَتْ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ
الْأَنَاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٦﴾

والبناء : ٥٨

وعقب ذلك رتب الله تعالى على الحكم بالعدل، الاستجابة لأمره بطاعة ولي الأمر، كما في قوله تعالى:

➤ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلِئَلَّامُ

الْأَمْرَ بِكُتُوبٍ كُنَّا نَسْتَعْتِمُ فِي شَيْءٍ وَقَدْ دُفِنَ إِلَيْنَا وَاللَّهُ وَالرَّسُولُ يَنْتَظِمُ
تَوَكُّؤُنَا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١٠﴾

والتماء : ٥٩

فقد روى صاحب الفردوس عن علي
أمير المؤمنين كرم الله وجهه ، قال :
دخلت علي رسول الله ﷺ ، فقلت : يا
نبي الله ما علامة المؤمن ، قال : « ستة
أشياء حسن ، ولكن في ستة من الناس
أحسن » ، ثم قال : « العدل حسن ، ولكن في
الأمراء أحسن ، السخاء حسن ، ولكن في
الأغنياء أحسن ، الورع حسن ، ولكن في
العلماء أحسن ، الصبر حسن ، ولكن في
الفقراء أحسن ، التوبة حسن ، ولكن في
السيئات أحسن ، الحياء حسن ، ولكن في
النساء أحسن » . (٣)

وقد ذكر العلماء أن العدل في الأمراء
أحسن؛ لأن الأفراد إذا لم يعدل الواحد
منهم، فإن السلطان يتولى تقويمه، وأما
السلطان إذا لم يعدل فلا مقوم له، ولأن
العدل ميزان صلاح السلطان، ونجاحه
وفلاحه واستمرار دولته؛ إذ لا نظام لها إلا
به، وليس شيء أسرع في خراب الأرض،
ولا أفد لضمائر الخلق من الجور.

وقد قال الإمام الغزالي في الإحياء: إن الإمارة والخلافة من أفضل العبادات، إذا كانتا مع العدل والإخلاص، ولم يزل المتقون يحترزون منها، ويهربون من تقلدها، لما فيها من عظيم الخطر؛ إذ تتحرك به الصفات الباطنة، ويغلب على النفس حب الجاه والاستيلاء ونفاذ الأمر، وهو أعظم ملاذ الدنيا.

ومن أوجه العظمة في أمر الله تعالى بالعدل، أنه جاء ليُشمل الكافة - أيًا كانت عقيدتهم أو ديانتهم - ولو كانوا بلا عقيدة أو دين، وحتى ولو كانوا من الأعداء، الذين تبغضهم النفس، كما أوضح ذلك قول الحق تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ

شَهِدَ لَهُ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاكُمُ قُدُورُ عَلَى
الْأَعْدَاءِ لَوْ أَغْدَلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٤٠﴾

人 工 智 能

مَشَنان: أي بغض وكرهية

ثمرة التزام العدل والبعد عن الظلم

إن الإنسان دائماً يستشرف العدل في حياته، ويتمنى أن يتم التعامل معه بمقاييس العدل، ويتطلع إلى جنى ثمار إقامة العدل معه، وهي كثيرة متعددة، قد لا تقع تحت حصر، ولكن منها، بعد تضيء الظلم، ما

يحظى به القائمون بالعدل من الإحسان في الدنيا والآخرة فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، وهذا يتمثل في الثمار الآتية:

١ - في الحياة الدنيا :

في هذه الحياة ينعم الإنسان العادل بالأمن والاطمئنان والسكينة، كما كانت حياة الخليفة العادل سيدنا عمر - رضي الله عنه ، والتي وصفها الهرمزان رسول كسرى، حين رآه تائماً في ظل شجرة فقال: عدلت فأمنت فمنت، فضلاً عن ذلك فإن العدل فضيلة تجعل من يتصف بها مستجاب الدعاء، فقد روى الترمذي والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يقطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله تعالى فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي لأنصرنك، ولو بعد حين ١.

كما أن العدل يكون ميباً في التسامح مع صاحبه، إن وقع منه بعض الشطط في الحكم، وأجريت عليه زلة، كما روى الخطيب البغدادي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الرسول ﷺ، قال: «تجاوزوا عن ذنب السخي، وزلة العالم، وسطورة السلطان العادل، فإن الله تعالى أخذ بيدهم، كلما عثر عاثر منهم»^(٤).

(٥) كثرة العمال / ١٢٩٨٣، إتحاف المسألة المتفق / ١٧٤.

(2) كثرة العسل: 1744

عناية الإسلام بالأسرة

للأستاذ/ عادل خفاجة

إن رابطة الأسرة رابطة مقدسة، وكل محاولة للإخلال بها أو تقويضها فهي جريمة في نظر الإسلام ومن حاول إفساد زوجة على زوجها أو بذور بدور الجفاء والشقاق بينهما مجرم أثم وجريمته مزدوجة بل هي مجموعة من الجرائم، إذ يضاف إلى جريمة إفساد الزوجة جرائم تشريد الأطفال وإفساد المجتمع وإيقاد نار العداوة والبغضاء بين الأسر.^(١)

لقد اهتم الإسلام بالأسرة اهتماماً عظيماً ووضع لها نظاماً حكيماً يركز على دعائم وأسس قوية، ولم يترك الإسلام شأناً من شئونها إلا ودعمه بقسط كبير من الإرشادات والتوجيهات التي لو أخذت الأمة بها لسارت في طريقها راشدة كما كان يسير سلفها الصالح.

إن للإسلام هدايته في اختيار الزوج للزوجة وفي مراعاة الكفاءة بين الزوجين وفي نظام المهور وما يتعلق بالخطبة من شئون، واجراءات عقد الزواج وإشهاره، وحقوق كل من الرجل والمرأة، وحقوق الأولاد وما يتعلق بهم من حق البنوة - والرضاعة والحضانة والنفقة.. إلخ.

وحقوق أقارب هذين الزوجين وواجبات كل منهم تجاه الآخر ومدى مسئولية كل فرد في الأسرة وما يتمتع به من حقوق وما عليه من واجبات.. إلخ ثم أحكام الميراث، كل هذا في نظام محكم بديع لا يدل إلا على أن مبدعه إنما هو الإله الخالق الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا تغيب عنه أعمال العباد ولا أسبابها ولا نواياهم المكتونة في سرائرهم وضمائر نفوسهم فنجده توجيهه ﷺ في البداية لإنشاء الأسرة الصالحة فيقول ﷺ:

للكمالات الثلاث، الحكمة والشجاعة والعفة، التي هي أوساط القوى الثلاثة العقلية والغضبية والشهوية، وقدمه لعموم نفعه وتعديده إلى الغير.

عاقبة الظلم وعدم التزام العدل

يكفي لبيان هذه العاقبة، أن نورد ما رواه الطبراني والبخاري عن عوف بن مالك - رضي الله عنه -، قال: استعملني رسول الله ﷺ على عمل فلما رجعت قال: كيف وجدت الإمارة؟ قلت: ما ظننت إلا أن الناس كلهم خول، والله لا آلي على عمل أبداً، فقال الرسول ﷺ: «إن شئتم أتباتكم عن الإمارة وما هي؟، فتأديت بأعلى صوتي، وما هي يا رسول الله؟، قال: أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل».

وما رواه البيهقي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن الرسول ﷺ، قال: ما من أمير عشرة، إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولاً، حتى يفكه العدل، أو يوبقه «أى يهلكه» الجور».

والله تعالى ولي التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٢ - في الآخرة:

وهناك ما أحوج الإنسان إلى أن ينعم بموجبات العدل الإلهي، مضافاً إليها المنة والفضل من الحكم العدل تعالى، حتى يفوز بالقرب من الله المتعم، في ظل عرشه الكريم، فقد روى الترمذي والإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال: «إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة، وأدناهم منه مجلساً، إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله تعالى، وأبعدهم منه إمام جائر».

وكما روى مسلم والنسائي والإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -، أن الرسول ﷺ، قال: «إن المقسطين عند الله يوم القيامة، على منابر من نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

وكما روى مسلم أيضاً عن أبي هريرة وأبي سعيد - رضي الله عنهما -، أن الرسول ﷺ، قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم: إمام عادل.....»، أى يدخلهم في ظل رحمته، وإضافة الظل إليه تعالى، إضافة تشريف كناية عن رحمة الله، والسلطان العادل هو التابع لأوامر ربه، أو جامع

(١) أبو الوفاء المراكشي: العيث ببيان الأسرة جريمة عظمى، مجلة الأزهر - المجلد ٤٥ سنة ١٣٩٣ هـ ص ٢١٠.

يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج
ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له
وجاء. (١).

لا فرق بين ذكر أو أنثى فهم في ذلك سواء
في طلب رضوان الله لقوله تعالى:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَالتَّوَلَّيْتُمُ الْبُحْثَاءَ ۚ إِنَّمَا يَلْعَنُ عِنْدَكَ الْكَافِرُ بَرَّاجُهُمَا أَوْ يُلَاقُهُمَا فَلَا تَقُلْ لِمَا قَوْلَا لَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ

وَاتَّخِذُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، مَشِينًا وَأَقُولُ لِلَّذِينَ إِحْسَنًا ﴿١٠﴾

المراة من زوجها الفراق مقابل عوض تدفعه
له.

(3) صحيح البخاری ج 4

تساوت الرعوس وما تساوت النفوس!

للاستاذ الدكتور / محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

سكون النفس واستسلامها لما يوافق هواها
ويميل إليه الطبع صادرا في ذلك عن شبهة أو
مبالغة المنافقين من حوله ونذكر هنا قول
العاشق المستكين والذي كان باستكانته
واحدا من أسباب الغرور:

أعرك مني: أن حبيك قاتلي

وأنتك مهمما تأمرى القلب يفعل!!

إنه يقول مخبوبة:

إنه معترف بأنه سبب تكبرها عليه:

أولاً: لأنه بالغ في حبها كهذا القائل: إن
كلمة الحب لا تحمل كل مشاعره ومهمما
كانت طاقة الكلمات فحبه أكبر منها!

وثانياً: بهذا الحب استنوق الجمل فكان
رهن إشارتها إذا أمرته بشيء مهما كان ذلك

بعض الناس قد يعلو به منصبه في أجواز
الفضاء ولكنه يترك نفسه في الأرض تتمرغ في
ترابها!! وأظهر ما يكون ذلك: بين التلميذ
وأستاذه: التلميذ الذي ركب الكرسي الدوار
وصار يأمر وينهى.. مزوريا بشيخه الذي مازال
يمسك بالقلم والورقة معلماً!! وعندما يأتيه
لفت نظر إلى شؤم ما رأى تبجح وقال: تساوت
الرعوس!! يقول لها وما يدري أنه: ما تساوت
النفوس!! فما زال الأستاذ أستاذاً.. والتلميذ
تلميذاً!! مازال للأستاذ «مكانة» في النفوس..
وإن لم يكن له في المدرسة «مكان»!!

سبب الداء

والداء هنا هو الغرور: الذي يقصم
الظهور!! فما هو الغرور؟ الغرور هو:

الشيء! وبهذا الهوان اغتر الطرف الآخر
فوضعه الغرور في غير موضعه وبعض الناس
يضيفون من حساب كرامتهم إلى رؤسائهم
الذين يحسبون أنهم على شيء، فيتملكهم
الغرور الذي لا يقدر على فك رقابهم من
قبضته.

ومن أسباب الغرور: الجهل.. الجهل
الذي يعني اعتقاد الشيء على خلاف ما
هو عليه فيستصور الغرور أنه الأقوى
والأعلم والأكثر نفوذاً.. والشيطان يجري
في عروقه يزين له هذا الظلم والذي يكون
من مظاهره: أنه كلما زادت نعم الله -
تعالى - عليه كلما ثبت على معصيته!
والجاهلون:

﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكُونُوا
سَبِيلَ الْفِتْنِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾

(الأعراف: ١٤٦)

مغرور جاهل

ونذكر هنا كيف هاجم مغرور جاهل
رئيس دولة كبرى فقيرة بأنه كان «خياطاً»
ولم ينكر الزعيم ذلك ولكنه أضاف: نعم:
كنت خياطاً لكنني كنت أميناً وفيّاً
ويكفيني هذا وبهذه الأمانة وهذا الوفاء
نبأت هذا المنصب الخطير.

لقد كان ياقوت الحموي عبداً والعبودية
لم تمنعه من أن يكون عالماً نحرياً وكان والد
«المنبي» سقاء..

وتأمل كيف يتحول الغرور إلى حقد..
بعدما يتحول في كيان الإنسان إلى ثقة

بالنفس بالغلة حند التشجيع.. الأمر الذي
يفرض علينا الاعتزاز بما تملك من حرية حين
لم تستعبدنا المناصب وما نجر إليه من
معاذب!

بل إن المغرور قد يتحول إلى كذاب أشر
وذلك بما يذيعه من مفتريات عن خصومه
حتى يتفرد بكل المحاسن في الوقت الذي
يحاول فيه تجريدهم من خصائصهم وبهذا
البهتان يظل وحده في القمة!!

وأحياناً يدخل الغرور بصاحبه آفاق
الغدر.. وعندئذ تتعقد المشكلة وفي تاريخنا
شواهد منها:

أنه لما جعل «المنصور» العهد إلى موسى بن
عيسى ثم غدر به وقدم المهدى عليه قال
عيسى:

أبسى بنو العباس ذبي عنهمو

يسقى.. ونار الحرب زاد معيرها!!

فتحت لهم شرق البلاد وغربها

فذل معاديبها وعز نصيرها

أقطع أرحاماً على عزيزة

وأبدي مكيدات لها وأثيرها

فلما وضعت الأمر في مستقره

ولاحت له شمس تلالاً نورها

رُفعت عن الأمر الذي استحقه

واسق أوساقاً من الغدر غيرها

وعندئذ فواجبنا إزاء هذا الغدر أن نتعلم

التسامح عليه كهذا الرجل العاقل الذي

استبقى خادمه «الأحمق» ليتعلم عليه

«الحلم»!!

الخروج من شرنقة الغرور

ومن أجل الخروج من مأزق الغرور.. قيل أن يستحيل كبراً..

١- مراجعة الحساب.. وإعادة النظر فيما استجد من مظاهر الدنيا.. مستعينا بحكمة الحكماء الذين قالوا:

خل دنياك إنهمنا
يعقب الخير شرها
هي أم تعمق من
تلها: من يبرها
كل نفس.. فإنها
تتغنى ما يبرها
والنابا تتوقفها
والأماني تغبرها
فإذا استجلت الجنى
أعقب الخلو مبرها
يسوى في ضريحه
عبد أرض وحرها
قال ابن الجوزي: من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الخذر.

ومن أيقن الطريق.. تأهب للسفر:
ما أعجب أمرك يا من يوقن بأمر ثم ينساه، ويتحقق الضرر ثم يغشاه:
تغلبك نفسك على ما تظن..
ولا تغلبها على ما تستيقن
أعجب العجائب: سرورك بغيرورك!
وسهوك في لهوك عما قد خبي لك

تغتر بصحتك وتنسى دنو السقم
وتفرح بعافيتك غافلاً عن قرب الألم
لقد أراك مصرع غيرك مصرعك، وأبدي مضجع مواء مضجعك!
(صيد الخاطر).

٢- تدريب النفس على التواضع:
روى الطبراني: عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - أنه مر في السوق وعليه حزمة حطب فقيل له: ما يحملك على هذا؟! وقد أغناك الله عن هذا؟! قال: أردت أن أدفع الكبر في نفسي.

ولما بويع أبو بكر بالخلافة قالت جارية من الحى: الآن لا تحلب لنا منائح دارنا - وكان قبل الخلافة يحلب للناس أغنامهم - فلما سمعها الخليفة قال: لعمري لأحلبنها لكم وإنى لأرجو ألا يغيرنى ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه فكان يحلب لهم!!

ومن بعده رأينا الخلفاء رجالا لا تغيرهم المناصب:

مر غلام على حمار يعمر - رضي الله عنه - فقال: يا غلام احملنى معك.. فوثب الغلام عن الحمار وقال: اركب يا أمير المؤمنين: قال: لا اركب أنت وأركب أنا خلفك: تريد تحملى على المكان الوطىء وتركب أنت الموضع الخشن؟! فركب خلف الغلام فدخل المدينة هكذا.. والناس ينظرون.

وكان عثمان - رضي الله عنه - يلى

وضوء الليل بنفسه فقيل له: لو أمرت بعض الخدم فكفرك؟ قال: لا: إن الليل لهم يستريحون فيه.^(١)

وأخرج البخارى في الأدب: رأيت عليا - رضي الله عنه - اشترى تمرا يدرهم فحمله في ملحفته فقيل له: أنا أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال: أبو العيال أحق أن يحمل.

وهكذا كبار النفوس لا تغيرهم المناصب.. وهم أبدا لأنفسهم بالمرصاد، فكلما بدا المنصب مغرباً.. يذكروهم بالنعيم - سبحانه - ثم حاولوا تأديب النفس النزاعة إلى الأبهة بحملها على ما تكرهه وفي النهاية يسلس قيادها للحق. فلا يكون غرور أبداً.

ومنهم ذلك التلميذ الذى سأله يوماً: هل أنت أطول أم أستاذك! فقال: أنا أطول: ولكنى أقف على كتفيه!! وهكذا لا ينسى الجبل أنه كان فى الأصل «ربوة» وأنه فى البحر الواسع «قطرة».. إن النخلة الفرعاء لا تنسى فى بهرجة منصبتها لا تنسى أنها كانت النواة السحوق!

عمر بن الخطاب.. ودروس فى التواضع!

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له. حتى خرج حاجاً فخرجت معه.

فلما رجعت - وكنا ببعض الطريق - عدل إلى الأراك لحاجة له.

قال: فوقفت له حتى فرغ. ثم سرت معه فقلت له: يا أمير المؤمنين: من اللسان تظاهرتا على النبى ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة قال: فقلت: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فلم أستطع هيبة لك قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندى من علم فأسألتنى، فإن كان لى علم خبرتك به.

فانظر ماذا ترى؟
ترى العلاقة المتميزة بين الأستاذ وطالب العلم.

وطالب العلم هنا هو: ابن عباس صاحب اللسان السؤول والقلب العقول وابن عم رسول الله ﷺ، ويعنى ذلك أنه يملك مسوغات فهم الآية الكريمة مستقلاً، ولكنه يسأل ويسأل أهل الذكر ويسأل وهو لا يعلم طلباً لأن يعلم ولم يكن سؤاله تعنتاً.. ثم هو لا يجد فى نفسه شجاعة سؤال الفاروق: وظل يغالب حاجته إلى المعرفة وعلى مدى عام كامل لكن ذلك الزمن المتطاوّل لم يمت رغبته فى العلم بل ظلت حية تؤرقه حتى حانت فرصة الحج، فحج معه ثم لم يجرؤ على سؤاله فى الذهاب إلى أن كان الروح فتنحين الفرصة التى رأى فيها الأستاذ مهياً للحوار فسأله.. وهكذا كان احترام التلميذ لراحة أستاذه بل لمزاجه هذا المزاج الذى لا بد من اعتداله لينجىء الجواب معتدلاً، وقبل ذلك حتى لا يكلف أستاذه مشقة الجواب فى

(١) راجع الكنز ٤٨/٥، المنتخب ٤٧٧/٤

وقت لم يستعد له .. وهكذا وضع سلفنا الصالح أصول هذه التربية الإسلامية المثالية حتى سمعنا: أنه كان للمعلم احترامه من قبل تلميذه: إلى حد أن الأستاذ: إذا نتح أو سعل .. قام عنه التلميذ وكان لا يسأله وهو مشغول ولا يضيق عليه بالسؤال .. وينصرف عنه إذا بدا منه غضب أو قلق أو جوع أو عطش ..

وكان الحاكم أستاذا لنا فيه أسوة .. وهكذا كان عمر - رضي الله عنه: «خرج إلى الشام ومعه أبو عبيدة بن الجراح» فأتوا على مخاضة وعمر على ناقه له: فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين: أنت تفعل هذا؟! تخلع نعليك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟! ما يسرني أن أهل البلد استشفوك فقال عمر: أوه!! لو يقل ذلك غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد ﷺ: إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما طلبنا العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله، الحاكم في المستدرك ١/ ٦٢ وصححه الذهبي.

وهو درس في التواضع يكشف عما يجب أن يكون عليه المسلم: أن يضع نفسه عند من هو دونه في الدنيا ليعلمه أنه ليس له بدنياء فضل عليه وفي نفس الوقت: يترفع عما هو فوقه في الدنيا استهانة بهذه الدنيا وبه أيضا!!

وهكذا يظل الأستاذ بتواضعه عاليا عاليا .. ويبقى التلميذ تلميذا بين يديه مهما ارتقى في سلم المناصب، ولكن ذلك لا يمنع من اختلاف وجهة النظر والذي يشهد ببلوغ التلميذ من الرشد والمتنوع فقط هو: الغرور وكراهية المعلم. كان «أرسطو» يقول:

«أحب أفلاطون .. وأحب الحق ولكن حبى للحق أعظم»، ومن أجل ذلك كان منطقيا مع نفسه لما هاجم أستاذه «أفلاطون» وانتقد نظريته في الثلث .. وفي كل مناسبة .. ولكن لم يكن من حقه أن يكره أستاذه.

● أولا: تقديرا لجميله من حيث علمه
● وثانيا: لما كان يتمتع به من خلق عملي منصف:

ذات يوم دخل على أفلاطون رجل فوجده منحيا:

فلما سأله الضيف لماذا أنت منحني هكذا؟ قال: انحنيت لأضرب خادمي بالسوط .. فلما تأمل هيئته وهو منحني ظل عليها تأديبا لنفسه وهكذا: عرف أفلاطون كيف يقلم أظفار نفسه الأمانة بالسوء مؤكدا ما تعرفه نحن كمسلمين وهو: أن العبد يكون أقرب إلى غضب الله إذا غضب! وعليه أن يحمي نفسه بالألا يغضب! ولا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب!!

وهكذا الرجل العظيم: يعاقب قدرة ولكنه يعفو حلما. ويتواضع لتلميذه منطلقا من: الخضوع للحق والانقياد له بقبوله حتى من تلميذه بل من أجهل الناس: تواضعا لله - تعالى - يصير

المعلم به سالكا لواحد من «مصابيد الشرف» وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع. هذا الخلق الذي إذا فقدته المسلم فقد معه وجوده الأدبي كله مهما كان في أعلى المناصب.

عن عمرو بن شبة قال: كنت بمكة المكرمة - بين الصفا والمروة - فرأيت رجلا ركب بغلة وبين يديه غلمان يغتفون الناس. قال: ثم عدت بعد حين - فدخلت بغداد فكنت على الجسر - فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر. قال: فجعلت أنظر إليه وأتأمله، فقال لي: ما لك تنظر إلي؟! فقلت له: شبهتك برجل رأيته بمكة المكرمة ووصفت له الصفة فقال: أنا ذلك الرجل!! فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: إنني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يتسرفع الناس. «إحياء علوم الدين» ج ٣/ ٣٤٣

الكرم في التقوى.. والشرف في التواضع

وهكذا كل من ترفع على ولي نعمته .. (وصدق أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في قوله: وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين .. والشرف في التواضع).

ويا لقومي: تلك هي عظة الصديقين فما لهم عن التذكرة معرضين!!

أما بعد:

فقد قصد الصديق زيارة صديقه الذي لم يسمح له بلقائه مغترا بمنصبه فكتب إليه

يقول غاضبا:

نسى الطين ساعة أنه طين حقير
فصالح نسيها وعريد
وكسى الخنز جسمه قنباهي
وحوى المال كبسه قنمرد
يا أخى: لا تمل بوجهك عني
ما أنا فحمة، ولا أنت قرقد
قمم واحد يظل علينا
وعلى الكوخ والبناء الموطد
وهنا ندرك من حكمته ﷺ:

(قال المناصب العليا لا بد منها في كل مجتمع ولكن حب الرياسة داء عضال ومزلفة إلى الوضاعة في الدار الآخرة. ولقد تطلع إلى الإمارة بعض الصحابة الأخيار ولكن الرسول ﷺ حذرهم منها لأنهم لم يستكملوا أدواتها: جاء عن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله: ألا تستعملني! أي: تجعلني أميرا قال: فضررب بيده على منكبي ثم قال: يا أبا ذر: إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها) ثم يعلق الغزالي قائلا:

«إن الإنسان قد يكون عالما أو أدبيا أو باحثا أو مكتشفا ولكنه صفر من الناحية الإدارية فولايته على الناس لا تجديهم ولا تجديه وكثيرا ما تكون الرياسة إشباعا لنزعة الكبرياء أو التسلط على الآخرين أو اقتناص المال من وجوه مريية».

إبراهيم بن أدهم

تأملات في نعطه الحياتي والفكري

لأستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب
الأستاذ بجامعة الأزهر

إبراهيم بن أدهم، الصوفي الزاهد الجهير، واحد من أولئك العمالق الذين حركوا قضية البطولة في اتجاهها الصوابي، أعنى أنه لم يمارس تجربته الصوفية على مستوى الهجرة من عالم الفعل إلى عالم المقولات.. ولكنه - على النقيض - مارس تجربته الصوفية على مستوى الهجرة من عالم الحلم إلى عالم الفعل، منتضيا كل أسلحته ومقولاته ليجعل منها ركائز حركة، ومنطلقات إبداع!!

تذكر دائرة المعارف الإسلامية أنه: «إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر (أبو إسحاق) النخعي العجلي، زاهد مشهور من كورة بلخ يتحصر تاريخ وفاته طبقاً لوثائق مختلفة بين سنتي ١٦٠ - ١٦٦ هـ ٧٧٦ - ٧٨٣ م، وكانت وفاته على ما قيل أثناء اشتراكه في حملة بحرية ضد البيزنطيين «حلية الأولياء»، مخطوطاً باليد ج ١ ص ١٨٨».

في تاريخنا الإسلامي نماذج من بطولات قادرة بالفعل على العطاء الوهاب في كل اتجاه، وربما كان المستوى، الفاعل، في هذه البطولات هو ما يستقطب اهتمامات كل العصور بما هو المستوى الدافع لحركة التطور وإلى حركة التطور معاً، لأن ما سواه من مستويات البطولة وانماطها جميعاً يبقى في النهاية ظلاً إلى فعل قد يحرك طاقات الأغيار في اتجاهه، ولكنه يظل غير قادر هو على التحرك الذاتي في اتجاه الأغيار أو حتى في أي اتجاه!! ولأن الإسلام - في بدء اندلاعه الحركي - كان طاقة، فعل، ولم يكن مجرد، ظلاً، إلى الأفعال، فقد عبر تخوم المنطقة، وغير خريطة العالم، وأجهض حضارات مجوفة كانت تعربد على الأرض ليشيد على أنقاضها الرثة حضارة يحجم كل العصور.. فلما هدأت الموجة، وأعمدت السيوف، وطفت على السطح مقولات هاربة من قدر المواجهة على مستوى الفعل إلى قدر اللامواجهة على أي من المستويات، انحسر المد الإسلامي، وانكسرت الحركة على ذاتها ومقولاتها، وعلى إيقاع صمتها الفادح في عالم ضاح بملايين النداءات!!

وتستطرد دائرة المعارف الإسلامية قائلة: «وتؤكد كثير من الروايات الواردة في كتاب (حلية الأولياء) أنه هاجر إلى بلاد الشام بعد أن تصوف، وعاش هناك من عمل يده إلى وقت مماته، ويقال إنه أجاب عبد الله بن المبارك عندما سأل عن سبب تركه خراسان: «ما تهنت بالعيش إلا في بلاد الشام، أفر يدني من شائق إلى شائق، ومن جبل إلى جبل، فمن يراني يقول: هو موسوس، ومن يراني يقول: هو جمال».

وتستطرد دائرة المعارف الإسلامية قائلة: «وتدل القصص والأقوال التي ينسبها إليه أقدم كتاب سيرته على أنه كان زاهداً ينزع إلى الناحية العملية في تصوفه، وعبثاً نحاول أن نجد أي أثر في تصوفه للنزعة النظرية التي تمت في القرن التالي، وهو كغيره من الزهاد المتقدمين كان يحرص على أن يكون طعامه موافقاً لقواعد الدين، ولم يعتنق مذهب التوكل إلى حد احتقار كسب العيش بمجهوده الذاتي، بل كان على عكس ذلك يعيش من الزراعة والحصاد وطحن الغلال وما إلى ذلك».

هذا هو الواقع التاريخي للحياة المادية التي عاشها إبراهيم بن أدهم، وربما كانت الإيماضات الروحية التي تخللت هذه المسيرة الحياتية وخلال هذا الرصد التاريخي تعطي مؤشراً حقيقياً إلى المنحى الذي عاشه هذا الزاهد البطل، فإن يموت في جزيرة من جزائر البحر في بلاد الروم أثناء اشتراكه في حملة بحرية ضد البيزنطيين، فإن ذلك يعني على الفور أن

هذا الفارس الزاهد كان يعرف دائماً طريقه، وأن الزهادة في منطق لم تكن اعتصاماً بقمة جبل في انتظار الخلاص بالموت، وإنما كانت اعتصاماً بالسيف ثاراً لله في انتظار الخلاص بالفعل، وإن كان الفعل ورد الفعل على السواء في نهاية الأمر صائرين إلى ضرورة الموت.. إلا أن الموت هنا لا يعني قدوماً على عفن رايض على الأرض، ولكنه يعني لقاء متكافئ مع جدل ثوري رايض في كيان إنسان!!

وقد يتحيف الساذجون من مقولة احتواء إبراهيم بن أدهم لحركة «الفعل» في سيرته الحياتية والروحية حين يقفون أمام قوله: «ما تهنت بالعيش إلا في بلاد الشام، أفر يدني من شائق إلى شائق، ومن جبل إلى جبل، فمن يراني يقول: موسوس، ومن يراني يقول: هو جمال».. لأنهم سيفهمون كلماته هذه على أنها فرار من حركة المجتمع إلى سكونية الخلاء، ومن الحوار المادي مع مفردات الواقع اليومي إلى الحوار الميتافيزيقي مع الوجد الصوفي والاندھال عن وضعية إنسان هذه الأرض على هذه الأرض.. وأبداً لا يمكن أن يكون هذا هو المعنى الحقيقي لهذه الكلمات، فإن سلوك هذا الفارس البطل الحياتي من جهة، ومنحاه الفكري في كل ترائته من جهة ثانية لا يمكن أن يعطى هذه النتيجة، أو حتى يوحى بهذا الانطباع.. إن سلوكه الحياتي يؤكد أنه إنسان «الفعل» الحقيقي على هذه الأرض، إن هذه الفرضية لا تتواءم من حياته حتى وهو في قمة انفتاحه على البعد

المتأفزيقي في تجربته الروحية، إننا أمام قصة انقلابه من النمط الحياتي المعتاد إلى النمط الصوفي الزاهد التعبد لانققد أبدا إحساسنا بالتزامه الصميمي بوضعيته كإنسان فاعل على مستوى حقيقي، فقد روى أن إبراهيم كان أميراً من أمراء بلخ، خرج يوماً للقتل والصيد فأثار أرنبا برياً وهو في طلبه، فهتف به هاتف: يا إبراهيم.. ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت؟ ثم هتف به أيضاً من قريوس مرسجه: والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت، فنزل عن دابته وصادف راعياً لأبيه فأخذ منه جبهته وكانت من صوف خشن ولبسها وأعطاه فرسه وما معه ثم «رفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة».

هذه هي قصة الانقلاب الصميمي في مسيرة حياة إبراهيم بن أدهم، فإذا تجاوزنا - مضطرين - عن التشابه الذي يكاد يكون حرفياً بين هذه القصة وقصة انقلاب «بوذا» الروحي، ورحنا نتأمل أحجام ما فيها من «الفعل واللافعال» لبدنهنا على الفور أن الفعل فيها طوفان بكتسح ممالك اللافعال بلا حدود، إن الاستجابة البادئة للصوت الموقظ في أعماقه كل مناطق الإشعاع، توحى على الفور بأن هذا القارس العارف كان يعاني من مخاض فكري وروحي، وأن استجابته البادئة على هذا النحو تعني لحظة القمة الدرامية في مسيرة طولها بحجم عمره تماماً، إن الانعطاف من منحنى وجودي إلى منحنى وجودي آخر ليس هو يختاره التأفزيون، وإنما هو تحريك جذري

لمدركات إنسان في كون ومدركات كون في إنسان، وهذا وحده هو ما ينفي عن القضية كل تسطيح الإطلاقات.. أعني أن إبراهيم ابن أدهم لم يكن ليكون هكذا مستجيباً لصوت أو لصدى صوت قد يكون، فيخلع من ماضيه وحاضره، ويلقى بنفسه في تيار عالم مجهول بلا ضفاف، لو لم يكن أساساً قد عانى مراحل التأمل والبحث ومحاولة الاستكناه، ثم تفتح وعيه الكوني لهوائف التدلي أو هوائف الصعود، لقد يخيل إلى - من خلال تأمل ذاتي في إبراهيم بن أدهم - أن هذا الزاهد البطل كان مؤهلاً - في لحظات انقلابه - لتدمير ذاته وإعلانها معاً، وكان وعيه الكوني كما أسلفت مرهفاً إلى درجة التخاطب الفوقي، وكان تأسيساً على هذه الفرضية - مؤهلاً لحركة التدلي حتى قيعان التمزق، أو حركة الصعود إلى ذروة الانسجام، لقد كانت استجابته البادئة للصوت أو لصدى الصوت - لا بهم - انفراجاً حقيقياً لأزمة روحية طاحنة ما لبثت أن عانقت قرارها الإيجابي انبهاراً بالاختيار الأصوب، وانتحاء عن الجانب الأظلم الذي كان يمكن أن يكون!! هذا شيء..

والشيء الآخر أن امتداد هذه الرحلة المستحدثة والبكر في حياة إبراهيم بن أدهم يؤكد صوابية ما ذهبت إليه، وهو أن هذا الانقلاب الروحي لم يعطف به إلى المنحنى الصوفي الاعتزالي، أعني أنه لم يعطه قناعة اعتزال الكون المائج إلى كون السكون، فلقد بدأ إبراهيم بن أدهم

مسيرته المستحدثة بامتشاقه السيف، وانخراطه في كثرائب الزحف، حتى عانق قدره الأخير في غربة الجهاد.. يروون في هذا الصدد أنه:

«غزا في البحر مع أصحابه، فاختلف في الليلة التي مات فيها إلى الخلاء خمساً وعشرين مرة، كل مرة يجدد الوضوء، فلما أحس بالموت قال: أوتروا لي قوسي، وتوفي وهي في كفه، ودفن في جزيرة من جزائر البحر في بلاد الروم - فوات الوفيات -..» إن هذا القارس المقاتل لم يهجع على حرير العزلة البارد، وإنما قاتل.. وقاتل.. حتى آخر أرماقه، وحين أحس بتهاية الرحلة، لم يشأ أن يودع دنياه، ويده قابضة على غير سيفه البتار وقوسه المشرعة في اتجاه أعدائه، إن الرمز هنا يوشك أن يكون مقصوداً بلا حدود، أعني أن حركة إبراهيم ابن أدهم في اتجاه أن يسدل الستار عليه وهو قابض على قوسه متوجه إلى أعدائه، تعطى رمزاً بحجم أن نقاتل حتى الموت.. بحجم أن نقاتل إذا استطعنا رغم كل الموت.. بحجم أن نقاتل حتى نقهر الموت!! وتعطى أن هذا هو لونه الحقيقي، وهذا منحه!!

فإذا انتقلنا من التفرد في ملامح السلوك الحياتي لإبراهيم بن أدهم إلى التفرد في ملامح منحنى الفكرى توقفاً إلى محاولة المعرفة، راعنا هذا الإيقاع المتوافق بين السلوك والفكر، «قال إبراهيم بن أدهم لرجل في الطواف: اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات:

● الأولى: أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة.

● الثانية: أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل.

● الثالثة: أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد.

● والرابعة: أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر.

● والخامسة: أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر.

● والسادسة: أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت» - طبقات الصوفية -

.. إن هذا المنحنى الفكري الهادف إلى تأصيل حركة الفعل والجاهدة والتيقظ لهوائف الآن والمابعد، يؤكد صدق مقولة أن هذا المنصوف الرائع لم يكن منحنياً حركة العالم إلى سكونية الخلاء، ولكنه كان على النقيض من ذلك تماماً، خائضاً في تيار كونه، مستبصراً من خلال عراكه الوجودي مع الأشياء دبيب السر في الأشياء، منفتحاً دائماً على الجانب الصميمي.. إن وقوفنا أمام وصاياه السالفة يؤكد بالضرورة صوابية هذه المقولة، إن المقابلات الفاهمة بين النعمة والشدة، والعز والذل، والراحة والجهد، والنوم والسهر والغنى والفقر والأمل والموت.. ليست متطابقاً بلاغياً مجذب المضمون، وليست هي بالتأكيد اندفاعاً إلى جانب السلب في مواجهة الإيجاب، إن الدعوة إلى احتجاب الشدة، والذل، والجهد، والسهر، والفقر، والموت.. هي الدعوة

فاجر مريد

للدكتور/ أبي حسام

جنود الخلافة للمرة السابعة! وقتل من أبطال المسلمين ما يزيد على مائتي ألف شهيد، وصرع بين يديه أربعة من عظام القادة في الدولة! فكيف يقضى عشرين عاماً ممنوعاً في ملكه وجنوده. ولا تملك له دفعا، والدولة هي الدولة العباسية ذات الجند الحاشد، والقادة الأكفاء والسلاح الوفير!! عشرون عاماً يا أحمد يتسلط سفاح رهيب على خراسان وما حولها من البقاع، ولا يكتفى بأن يكون ملكاً، بل يدعى الله روح الله قد حلت به، وأن الكون طوع إرادته بصرفه كما يشاء، ونجى انتصاراته الساحقة برهانا واضحا يؤكد دعواه في نظر الأغراب من أتباعه الخدوعين! أجب يا أحمد كيف استطاع هذا المارق أن يسحر هؤلاء؟

● ابتسم أحمد متكلفاً الابتسام، ونظر في ود مخلص إلى المعتصم، ثم بدأ يقول:

الناس يا أمير المؤمنين عبيد الشهوات، إلا من عصم الله، وقد أباح هذا المارق لأتباعه شهوات الجنس، فلا عفة عن اغرام

كان المعتصم بالله الخليفة العباسي يجلس غاضبا، يعيس وجهه وتحمر عيناه، ولم يستطع أحد من حاشيته أن يدنو من مجلسه، فيسأله عما به من توتر متأزم، ولكن أحد العارفين بمكانة القاضي أحمد بن أبي دؤاد في نفس المعتصم أشار على بعض الخدم أن ينهض فيستدعي القاضي مجلس الخليفة، ويعلمه بما يعانيه من ضيق متأزم فقد استطاع ابن أبي دؤاد بلطف مدخله، وحسن تأنيه أن يروح عن المعتصم بعض الشيء، وله في هذا الخيال سوابق ذائعة، يعرفها من بالفصر من الندماء والمقربين. وسرعان ما مثل القاضي بين يدي المعتصم، وقال له في ابتسام هادئ:

● أقبلت يا مولاي دون استدعاء منك، فقد جذبتني قلبي أن أشرف بلقائك، وإنها لسعادة أكيدة أن تأذن لي بالجلوس.

●● ابتسم المعتصم وقال: لقد مررت بمقدمك يا أحمد وإني لفني ضيق كارب فما جاءني اليوم من أنباء (بابك) اللعين فقد دحر

أسفه، ومن أطلق أمه ساء عمله، ومن أطلق لسانه قتل نفسه، - طبقات الصوفية - إن تحديد الهدف، وانتضاء الجهد، ومجانبة الإطلاق على مستوييه: الفعلي والقولي، هي مضمون هذه الكلمات.. إن إحساسا هائلا بقيمة المنهج الحياتي من جهة، والمنهج الذاتي من جهة ثانية، والمنهج الحركي من جهة ثالثة، والمنهج الفكري من جهة أخيرة، هو ما يشكل مضمون وإطار هذه المقولة الرائعة التي أطلقها إبراهيم بن أدهم، هادفاً إلى تأصيل شيء ما، وليس اللعب بشيء ما على الإطلاق!!

عند هذه المرحلة من مسيرتنا مع إبراهيم ابن أدهم قد تلقى بكلمات الوداع، وقد تمضى إلى المابعد، ولكني أزعم أننا مع الفرضيتين قد قلنا كلمائنا فيه، إن هذا الصوفي الجاهد الرائع يشكل في حركة التصوف الإسلامي أو قل في حركة الزهد نموذج الزاهد البطل الذي كان يتحرك من خلال قضية «الفعل» وليس من خلال قضية «الانتحاء».. أن مسيرة حياته المادية تؤكد هذه المقولة.. إن امتدادات هذه المسيرة تؤكد على تأكيد هذه المقولة.. إن منحاه الفكري يشكل الشاطئ الآخر في حركة احتوائه الصميمي لهذه المقولة!!

فلنقل وداعاً إذن..
أو فلنواصل لهثنا على الطريق..
فلن نعبود بغير هذه الأبعاد!!!

الحقيقية إلى تدعيم بناء العنصر الإنساني، النموذج الذي لا يتحلل ذرات تحت لفتح تحربة ضاغطة، أو ينهزم قلولا أمام زحف معاناة على أي مستوى قد نجى.. وهي الدعوة الحقيقية إلى امتلاك الجانب الآخر بالفعل.. ثم تجاوزه.. أعني أن فهم السياق في قوله «أن تغلق باب.. وتفتح..» يوحى بالضرورة إلى حتمية امتلاكك لقدوتى الفتح والإغلاق، فإن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة معناه أنك قد احتويت بالفعل ممالك النعمة وتجاوزت مرحلة التناوب الكلي على وسائلها الوثيرة في محاولة للهجرة إلى عالم الشدة، لتذهب ملكات الفعل والإبداع فيك لحوض معارك الجدل الوجودي على كل مستوياته، بدءاً من الشعالي على حركة البشم، وانتهاء إلى معانقة المعنى في الشيء، واللامنتور في المنظور، وإمكانية الإمكان والمستحيل جميعاً بلا تجميد على جهة من الجبهات هكذا في همود!!

لا أريد أن يفهم أن نوعاً من الإطلاق في الحكم يؤطر هذه الكلمات، أن كل حروفها تعنى ما تقوله تماماً، إن هذا الرجل الرائع يحق واحد من الأنماط التي لم تغامر بالرقص على إيقاع الشعارات، لقد كان يعرف دائماً ما يريد، ويعرف طريقه القاصد إلى صوغ مفهومه عما يريد، ثم يتحرك إلى هذا الهدف المراد من خلال إمكانية محسوبة تكاد لا تزيد أو تنقص، وربما استطعنا أن نلمح كل هذه الخصائص الصميمية في كلماته: «من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره طال

والأجنيبيات، وشهوات المال فلا ملكية لأحد، ولكل من أتباعه له أن يشارك فيما تقع عليه عيناه، وشهوات المعصية فلا نار ولا حساب، لأنه الحاكم الذي يذل ويعز، ويتعم ويعذب، ورأى الناس أنفسهم كالسائمة من الحيوان، فاستراحوا للفجور، وأنسوا باللذة، وظفروا بالمال حيث وجدوه دون رقيب! وهكذا خرجوا عن ربة الإسلام!

● قال المعتصم: وكيف يفقد هؤلاء اغبولون عقولهم، فيتركون كتاب الله، ويستمعون إلى هذا الشيطان الرجيم؟! كيف يحدث عاقل نفسه بهذا الانحلال؟

● سكت أحمد قليلاً، ثم قال:

يا أمير المؤمنين، هذه الآفات ليست جديدة على القوم، فقد قام في فارس على عهد الملك قباد بن فيروز من يسمى مزدك ونادى بالشيوع في الأموال والنساء، وأباح كل محرم، فاستجاب له قباد، وانحدر الشعب في مهواة محبقة حتى مات قباد، وخلفه الملك العادل كسرى أنوشروان فأدرك الانحلال الجارف الذي هوت فيه البلاد، وبدأ فدعاً مزدك وطلب منه التوبة عن إثمه، فلم يستجب، فقتله شر قتلة، وعاد بالبلاد إلى ما كانت عليه من التصون والتماسك، ولكن دعوة مزدك قد لبثت تعاود بعض النفوس، حتى قام هذا اللعين بابك بتجديدها، فوجد من العصاة من استجاب، وطال عهده بالرئاسة، فتجمع حوله أرباب الناس، وسفلة القوم، ولم تستطع العقول الهادية أن تواجه التيار في طوفانه المكشع، إذ أعمل اللثيم السيف في رقاب المعترضين، حتى

خرست الأفواه، ونكست الرؤوس، ثم قام بين دعاة السوء من يجمعون له الأشياء من كل صقع فارسي، قرب أو بعد، واشتغلت الدولة هنا بحروب الروم، وبعض الخلافات الداخلية فأعطته الفرصة المواتية للفسوخ والاستعلاء.

● أطرق المعتصم مفكراً، وعلائم الضيق لم تفارق محياه! ثم سأل: وماذا يقول دعاة السوء هؤلاء، أيقولون إن الفسق والفجور والاعتغال والخديعة والكفر سبيل النجاة! وإذا قالوا ذلك: أفيكون جميع السامعين بلهاء؟

● فرد ابن أبي دؤاد يقول: جاءني من أقوال هؤلاء الدعاة ما أثار العجب والحفيظة في نفسي! فقد زعم هؤلاء أن بابك الجديد سيعيد مجد بابك القديم! وقد سمي باسمه ليرجع بتاريخ فارس كما كان.

● فتطلع الخليفة سائلاً: لم أعلم شيئاً عن بابك القديم، فما أنبأوه؟

● قال أحمد: هو أول ملوك الدولة الساسانية، وقد كانت فارس من قبله طوائف قدداً، فاستطاع أن يضم البلاد المنعزلة إلى إمارته بلداً بلداً، وقام بحروب تكللت بالنصر، فتم له توحيد الدولة الفارسية، وصار الملك الأوحى، بل تعدد أمراء المقاطعات، وصادف أن ازدهر الرخاء في عصره، فعظمت مكانة الدولة، وانتصرت على الروم في مواقع كثيرة، هذا ما كان من أمر بابك القديم وهذا اللعين يحدث نفسه أنه سيملك العالم، ويعد أتباعه بالسيطرة على آفاق الأرض، ويقول: ستكونون جميعاً أمراء! والعامة هم العامة، يندفعون دون تعقل، ويسرعون دون انتاد!

● قال المعتصم: وهل كان مؤسس الدولة الساسانية فاجراً عريبداً، كما ترى بابك اليوم؟

● فأجاب أحمد: لو كان كذلك ما تم له النصر، ولو عقل الرعايا الذين جمعهم بابك أحرمني لعلموا أن الفرق بعيد، بين عاهل مصلح، وشيطان مرید! على أن الأمر - يامولاي - في يدك، فأنت رجل حرب، وبطل معارك، ولك خبرة كافية برجالك الأبطال، فاختار من هؤلاء، من يقود الجيش الظافر، وأمدده بكل ما تستطيع أن تقدمه به الدولة من غنات وسلاح، وأمر جنده أن يكونوا طوع بنانه، كما تأمره أن يستشير ويراجع، وسيكسب النصر بعون الله، ورضا أمير المؤمنين؟

● قال المعتصم: ومن ترى يا أحمد أن يكون القائد المأمول؟

● فعجل أحمد يقول: أراه الإفشين، على بغضي إياه لعنجهيته وكبريائه، ولكنها الحرب، وهو بطلها المغوار، إذا شاء أمير المؤمنين!

● فتطلع المعتصم إلى جليسه وقال: لقد فكرت في الإفشين كثيراً، وما عدلت به سواه.

-٢-

أراد الإفشين أن يحارب بالعقل والحيلة قبل أن يلتحم بالسلاح والخبرة، وقد عرف أن بابك يتحصن بالجبال الوعرة ويختار من الدروب ما يعمر الالتحام به، لضيقه، وقد هدم كثيراً من القلاع التي أقامتها الدولة لحفظ المال والذخيرة والأنفس، فبدأ القائد بإصلاح

الحصون لتكون مراكز للتجمع، ثم أحضر من استأنهم من الناقمين على بابك ليعرف منهم وصف الدروب وأماكن الاختفاء في أغوار الجبال، وقد أمدتهم بالمال ليكونوا عيونهم، على ألا يظهرُوا لاتباع بابك أنهم على صلة بجيش الإفشين، وكانت هذه حيلة ماهرة أفادت الجيش العباسي بما وفر عليه كثيراً من الصعاب، وقد سهر الإفشين ذات ليلة مع جواسيسه من عارفي بابك، ليعلم منهم ما خفي من أمره، وكيف استطاع أن يجمع هذه الحشود التي تقتديه دون مبالاة! فعرف أن بابك كان راعياً للنوق في بعض الجبال، وكان ذا قوة واحتيال. وشاءت له الظروف أن يلتحق بخدمة (جاويدان) الحرمني كبير العصاة، وقد ملك البلاد، وأصبح نافذ الكلمة، مرهوب الجانب، ف أظهر من الشفاتي في خدمته، والإخلاص في تنفيذ مشيئته ما صادف ارتياح (جاويدان) فخلطه بنفسه، وأصبح موضع سره، ثم مات (جاويدان) فجأة، فقبل إن ذلك بتدبير زوجته التي أحبت (بابك) وتآمرت معه على اغتياله بالسّم، وقيل إن الموت كان فجائياً بتأثير الحمر إذ شرب كميات وفيرة لم يطق احتمال تأثيرها! ولعلّ مما يرجح الرأي الأول أن الزوجة قد أعلنت في الناس أن (جاويدان) قد أعلن أن روحه قد انتقلت إلى بابك، وأنه أصبح خليفته المطاع، وسيتم على يده اكتساح العالم، ونشر مبادئ الحرمية، فانصاع الناس لما لفقته الزوجة وسارعوا إلى مبايعته، ثم ما لبثت الزوجة أن اقتربت بابك، وقالت إنها تنفذ وصية جاويدان، وبدأ بابك عهده بالإغارة على القوافل وسفك الدماء، ونهب الأموال

لتكون شركة بين أتباعه، وسبى النساء ليصبحن نهباً مشاعاً لمن يريد!!

علم الإفشين ذلك كله، فأدرك أن الحرب ستكون طاحنة، لأن مثل هؤلاء الذين يعتصمون بالتلال الشاهقة ذات الدروب المتلوية لن يحسم أمرهم في معركة قريبة. إذ لا بد أن تحصل المعارك، ثم رأى أن يقيم الجند المسلمون على أفواه الدروب، ليأخذوا من يحاول التسلل، وكان ذلك أشق ما عاناه بابك، إذ ألف من قبل أن يفتحهم الدروب دون أن يجد من يصده، وأن يجد أتباعه من الغنائم ما يساق هيناً دون مشقة، ولكن الوضع قد تغير، فاحصون المهذمة أعيد بناؤها، والدروب المفتوحة للإغارة قد قامت عليها الكتائب، والأمداد الحربية والغذائية لا تنقطع من بغداد، لتشبع حاجة الجيش الراصد، على حين أخذت الأقوات تقل وتتفانى كما تتفانى الذخيرة والعناد عند بابك، وأعظم من ذلك كله أن كثيراً ممن كانوا لا يشكون لحظة في انتصار بابك قد أدهشهم أن يتباطأ عن القتال، وأن يفتي القوت هكذا دون أن يشبع الجند، وأن يروا القذائف تمتد إلى حصونهم دون أن تجد الردع التكافى! وكان في بابك غطرسة واستعلاء على من يبدو منه خلافاً له في الرأي، فهو يقتل دون تخرج، فإذا وجد الغضب من بعض ذوى قرياه، بشرهم بأن القتل قد انتقل إلى جنته في السماء، فهو هادئ قدير!

وكانت شهور الشتاء تتيح الهدنة للفريقين، حيث يغمر الثلج الدروب، وتشتد البرودة إلى حد يتجمد معه الماء، ويصبح الهواء شراوا يلفح الوجوه ويرعش الجسوم! فأخذ بابك

يفكر في أمره على تودة، ثم صمم أن يقود الجموع متى ارتفع الثلج، وأن يأخذ الجيش العباسي على غرة في ظلام الليل، وقد اعتاد النصر بهذه الهجمات المباغتة على مدى عشرين عاماً! فلعله يفوز.

وكان في بطانة بابك من يعرف كيدته، وينتوي له الشر، فأعلن للإفشين ما يعتزمه بابك، وسرعان ما أخذ الأهبة، وأعد المشاعل لتتبر الطريق حين يلتحم الجيشان في الظلام، ثم أوقف على أفواه الدروب من يحصدون كل من تحدته نفسه بالوثوب محارباً، أو بالفرار هارباً! وقد وقعت الواقعة وتقدم الإفشين لقيادة المعركة في بسالة عهدت عنه، وفرجىء بابك بأن عدوه قد أخذ أهيته التامة، فلم يعد للمفاجأة سحرها في حندس الظلام، وقدم القواد للهبب المعركة دون أن يكون في مقدمة الصفوف! ودُعر العدو حين رأى كرات القطن الملتهب، تقذف على أبعاد شتى لتسبب الخرائق، فأخذوا يلتمسون أفواه الدروب طلباً للنجاة، فتلقفتهم سيوف المترصدين، ووقعوا بين المطرقة والسندان، وأيقن بابك من الهزيمة فقر مستخفياً، وتبدد شمل أتباعه، ودوى النصر في كل مكان حتى جاء بغداد على جناح الطائر، فامتلات المساجد لصلاة الشكر، وأطلقت الأسارى من سجون بابك في أكثر من عشرين مدينة! وترى الإفشين فلم يسرع بالعودة، حذراً من أن يجمع بابك جيشاً آخر من أصقاع مجاورة، فيكون على أهبة الاستعداد لمنازلته، وقد استبعد قادة الجيش الإسلامي هذا الاحتمال، ولكن

الإفشين أصر على ألا يرجع سامراء حتى يحمل رأس بابك إلى أمير المؤمنين!

أين سار بابك؟ وإلى أي وجه ارتحل؟ لقد انطلقت الكتائب الطافرة تبحث عن الهارب في رؤوس الجبال، وفي مغارات الكهوف، وسبقت زوجته إلى الإفشين ليحملها على البوح بما تعلم من أمره، فأعولت وأعلنت أنها لم تره منذ عام، وتقدم بعض الموتورين من بابك يعلنون للإفشين أنها مصدر البلاء، وأنها التي سقت زوجها السم، ليخلو لها الجو مع بابك، وقد ادعت الوصية الكاذبة ليصبح بابك خليفة الزوج الراحل، ولو لم يكن ذلك كله ما كان لبابك أمر ولا نهى! قال الموتورون ذلك وأعادوه، ولكن الإفشين قال: لن أقتل امرأة عزلاء!

مرة ثانية: أين سار بابك، وإلى أي وجه ارتحل!

عن بابك أن جبال أرمينية حصينة، وأن طريق الإفشين إليها وعمر، لأن انتقال العدد الحربية في طرقها المتلوية قد يتأخر، وقد يسقط الثلج في موعده، فيتيح الفرصة كي يتجمع أنصاره حوله من جديد، وقد وهم أنه متى كون نفراً من تابعيه، وأرسلهم إلى مقر ملكه السابق فإن الجموع مستحشدة لمناصرتهم، وهكذا أسرف في الأمل الكاذب حين اتجه وحيداً إلى أرمينية، ولم يدرك أن الدنيا لمن غلب، فإن الذين سمعوا بهزيمته قد شمتوا فيه، وأخذوا يذيعون مثالبه التي كانوا يتحاشون الجهر بها خيفة من شره، لاسيما أن عيونه كانت تنقل إليه كل نبأ عن بادرة

عصيانا ليقابلها بالسحق القاهر! وما كاد يصل إلى الجبل حتى وجده قاعاً صافصفاً لا أحد به، فتنكر في ثياب نخفي شخصه، وجعل يسأل عن أنصار بابك في حذق ليجمع حوله منهم من يشد أزره. ولكن الجولة كانت خائبة، وقد تتبعه بعض من شك في أمره، حتى عرف مكانه في الكهف المستتر في أعماق الجبل، فأسرع إلى بطريق أرمينية «سهل بن سباط»، وأعلمه بمكمن هذا الفاجر، وكان البطريق شديد الغيظ لما يبلغه من قبائحه إذ أباح النساء ودعا إلى الفجور في الحرام دون وازع، كما أعلن انتقاص المسيحية والإسلام معاً، فأراد سهل بن سباط أن يشفي غلته بحيلة مأكرة تمنعه من الفرار، فتقدم إليه راكعاً، وأعلن أنه على مذهبه، وأن الكنيسة طوع أمره، وعليه أن يتبوأ مقعده بها آمناً غير خائف، فهو يعرف مريديه الكثيرين وسيجمعهم حوله في أقرب وقت يحتاج! وصدق الطاغية ما سمع، وهرع إلى الكنيسة، وقد عارده غروره فأنف أن يسير أحد إلى جواره، وحين جاء الطعام تقدم البطريق ليأكل معه، فنهزه، وقال له: أنت سوقة مهمل كبير مركز! وكانت رسل البطريق قد وصلت إلى الإفشين تعلنه بسقوط الفريسة فهرع إليه نفر من ذوى البأس ليضعوه في الأغلال، وحين تبين الأسير براعة الخديعة، صاح بالبطريق ستعلم من أنا يا وغدا! ولكنها صيحة قوبلت بالصفع واللكمات!

وسار بابك إلى سامراء ليلقى مصيره المحتوم في مشهد لم تعرف المدينة له من مثل..

المخطوطات العلمية الشـ

ارحة في التراث الإسلامي

لأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة سابقاً

٢

منهج وتطبيقه للحسن بن الهيثم

حتى علم الضوء كظاهرة طبيعية، باهتمام الفلاسفة والعلماء عبر كل العصور، وظهر علم المناظر (أو البصريات Optics) ليبنى بدراسة طبيعة الضوء وخصائصه وما يتصل بهما من ظواهر وتطبيقات، وتكمن أهمية هذا العلم في أن أى تقدم يحرزه المتخصصون فيه يتعكس مباشرة على مختلف فروع العلم ومجالات التقنية الأخرى.

وكان كتاب «المناظر» (أو بطقاً) لبطليموس (١٠٥ م) أول كتاب ترجم إلى العربية في هذا العلم، ثم ظهر اهتمام علماء الحضارة الإسلامية بدراسة الضوء وظواهره في بعض مؤلفاتهم ونذكر منهم: يعقوب بن إسحق الكندي (ت ٨٧٣ م)، وحنين بن إسحق (ت ٨٧٣ م)، وثابت بن قرة (ت ٩٠١ م)، وأبا بكر الرازي (ت ٩٢٣ م)، وابن سينا (ت ١٠٣٧ م)، وابن رشد (ت ١١٩٨ م)، ونصير الدين الطوسي (ت ١٢٧٤ م)، وابن النفيس القرشي المصري (ت ١٢٨٨ م) وغيرهم.

إلا أن الحسن بن الهيثم (٣٥٤-٤٣٠ هـ / ٩٦٥-١٠٣٩ م) كان له القدر المعلى في هذا الميدان فقد تعرض في كتابه «الشكوك على بطليموس» لشرح وتقيد كتاب «المناظر» لبطليموس وكان تصنيف المقالات في صيغة اعتراضات أو «شكوك» على المؤلفين السابقين تقليداً أدبياً ورثه العرب عن اليونان ومضوا فيه، وقبل ابن الهيثم وضع أبو بكر الرازي مثلاً في القرن التاسع الميلادى مقالته بعنوان «الشكوك على جالينوس» ينقد فيها بعض آراء «فاضل الأطباء» الذى عاش بعد بطليموس

بقليل ولكن الذى لا شك فيه أن ابن الهيثم لم يضطلع بكشابة شكوكه على بطليموس، باعتبارها مجرد تمرين أو قالب أدبى جرت العادة أن يصنف فيه المؤلف مقالة أو مقالتين، ولكنها تضمنت نقداً جاداً تادى إليه صاحبه بعد تفكير وجهد فقد شك في عدد المعانى التى يدركها البصر، وأوضح أنها اثنان وعشرون نوعاً وليست سبعة أنواع كما قال بطليموس، كذلك شك في أغلاط البصر، وفي خيالات المرايا، وفي خيالات الانعطاف^(١)، لكن ابن الهيثم فى شرحه ونقده لا يهدف إلى تقليل شأن بطليموس، فهو يعرف له مكانته ويقر بأنه وجد فى كتب هذا الرجل «المشهور بالفضيلة، المتقن فى المعانى الرياضية، المشار إليه فى العلوم

الحقيقة... علوماً كثيرة ومعانى غزيرة كثيرة الفوائد، عظيمة المنافع» لكن الحق، عند ابن الهيثم «مطلوب لذاته وكل مطلوب لذاته فليس يعنى طالبه غير وجوده ووجود الحق صعب، والطريق إليه وعمر، والحقائق منعقدة فى الشبهات وحسن الظن بالعلماء فى طباع جميع الناس، فالناظر فى كتب العلماء إذا استرسل مع طبعه، وجعل غرضه فهم ما ذكره وغاية ما أورده حصلت الحقائق عنده هى المعانى التى قصدوا لها، والغايات التى أشاروا إليها، وما عصم الله العلماء من الزلل ولا حمى علمهم من التقصير والخلل، ولو كان ذلك كذلك لما اختلف العلماء فى شىء من العلوم، ولا تفرقت آراؤهم فى شىء من حقائق الأمور

(١) انظر ذلك فى الشكوك على بطليموس للحسن بن الهيثم تحقيق الدكتور عبد الحميد حنيرة والدكتور نبيل الشهاينى تصدير الدكتور إبراهيم منكر، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٩٦.

والوجود بخلاف ذلك قطالب الحق ليس هو الناظر في كتب المتقدمين المسترسل مع طبعه في حسن الظن بهم بل طالب الحق هو المتهم لظنه فيهم، المتوقف فيما يفهمه عنهم، المتبع الحجة والبرهان، لا قول القائل الذي هو إنسان، المختص في جيلته بضروب الخلل والنقصان والواجب على الناظر في كتب العلوم، إذا كان غرضه معرفة الحقائق، أن يجعل نفسه خصما لكل ما ينظر فيه ويحيل فكره في مثله وفي جميع حواشيه ويخصمه من جميع جهاته وتواحيه ويتهم أيضا نفسه عند خصامه فلا يتحامل عليه ولا يتسمح فيه فإنه إذا سلك هذه الطريقة انكشفت له الحقائق وظهر ما عساه وقع في كلام من تقدمه من التقصير والشبه.. ولما نظرنا في كتب الرجل المشهور بالفضيلة.. وخصمناها وميزناها وتحرينا إنصافه وإنصاف الحق معه، وجدنا فيها مواضع مشبهة وألفاظا بشعة، ومعاني متناقضة إلا أنها يسيرة في جنب ما أصاب فيه من المعاني الصحيحة فرأينا أن في الإمساك عنها هضمًا للحق وتعديا عليه وظلما لمن ينظر بعدنا في كتبه في سترنا ذلك عنه..

(٢) للرجع السابق

(٣) كارل بوبر منطق الكشف العلمي، الترجمة العربية، دار المعرفة الجديدة الإسكندرية ١٩٨٨.

ووجدنا أولى الأمور ذكر هذه المواضع وإظهارها لمن يجتهد من بعد ذلك في سد خللها وتصحيح معانيها بكل وجه يمكن أن يؤدي إلى حقائقها^(٦).

وهكذا يعبر ابن الهيثم عن منهجه في الشرح والبحث والاستدراك على آراء غيره من السابقين عليه أو المعاصرين له ويفصح عن معنى «الشك العلمي» لدى الباحث في العلم بموضوعية و منهجية سواء قبل الشروع في إجراء الخطوات التنفيذية للبحث في ظاهرة ما، أو بعد الوصول إلى النتيجة النهائية بخصوص نفس الظاهرة وكأنه يعبر عن إحدى صور التداخل الذاتي في البحث الموضوعي بأفضل مما عبر عنه فيلسوف العلم المعاصر «كارل بوبر» في مبدأ التكذيب ومنطق الكشف العلمي^(٧)، وتظهر روعة المنهجية التي يقدمها ابن الهيثم في الشرح والبحث في أنه يعرض مبدأ الشك في منهج نقدي تجريبي إيماني قادر على بلوغ الحقيقة العلمية الجزئية بأكبر قدر ممكن من اليقين لكن كارل بوبر لا يرى في العلم إلا مجموعة من العبارات التي استقرار العمل والاعتراف بها، ولا يمكن

أن يدعى أنه قد توصل إلى الحقيقة أو حتى ما يشابهها كأن تكون احتمالا فنحن لا نعلم - على حد قوله - ولكننا نخمن فقط^(٨)، ويريد من أهمية مقالة الشكوك على بطليموس لابن الهيثم أنها أغنت عن الأصل العربي المفقود لناظر بطليموس كما أنها دلت على أن ذلك النص العربي كان مبدعاً للآخر، كما هو الحال في الترجمة اللاتينية.

كتاب المناظر لابن الهيثم

يعتبر «كتاب المناظر» الذي صنفه الحسن بن الهيثم في النصف الأول من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أول أساس علمي يعول عليه في دراسة نظرية الضوء وخصائصه وظواهره وتطبيقاته جاء بعد غفوة بلغت ألف عام تقريباً منذ كتاب «بطليموس» (١٠٥ م)، وبعده غفاً العالم مرة أخرى لمدة ستمائة سنة حتى جاء «جوهانس كبلر» سنة ١٦٠٤م فقدم كتاباً آخر في علم البصريات لكنه لم يرق إلى مستوى «المناظر» لابن الهيثم.

وأهم ما جاء به الحسن بن الهيثم في كتابه «المناظر» هو أنه استطاع أن يضع

حداً للخلافات القديمة التي لم تتوصل إلى اتفاق حول تفسير عملية الإبصار وحدوث الرؤية وإدراك الألوان، واتبع منهجاً استقرائياً دقيقاً لتحقيق نظريته الجديدة في الإبصار على أساس أن يكون الجسم المرئي مضيئاً بذاته أو بإشراق ضوء عليه، وأن يكون بين الجسم المرئي والعين بعد ما، وأن يكون الوسط الفاصل بينهما مشففاً، وأن تكون المرئيات ذات حجم وكثافة يسمحان للعين بإبصارها وأن تكون العين خالية من عيوب الإبصار، وتوصل إلى أن الإبصار لا يتم إلا بتأثير الضوء الوارد إلى العين من المرئيات وأكمل على ذلك شرحاً تفصيلياً لكيفية حدوث الإبصار بواسطة العين بعد أن وصف تركيبها من الناحية التشريحية، وبين وظيفة أعضائها وأفصح عن طرق إدراك العقل لها.

وفرق بين الإدراك بالمعرفة والإدراك بالقياس والتميز وقد بسط تفاصيل ذلك كله في المقالات الثلاث الأولى من كتابه ثم عرض في المقالتين الرابعة والخامسة لشرح عملية انعكاس الضوء عن الأجسام الصقيلة (أو المرايا) وكيفية إدراك البصر للمبصرات (المرئيات)

(٤) د. أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية في الفكر العلمي، دار الهداية القاهرة ١٩٩٧.

بالانعكاس. ويرى الدكتور عبد الحميد صبرة الذي قام بتحقيق المقالات الخمس الأولى من كتاب المناظر، أن المقالتين الرابعة والخامسة تحتويان على الجزء الأكبر من لب الكتاب الذي يمثل طابعه التجريبي والرياضي معاً، ففي هاتين المقالتين يميز ابن الهيثم بوضوح وترتيب منهجي بين ما تستند عليه قضايا الكتاب من التجارب والحجج التجريبية (وذلك في المقالة الرابعة) وبين ما يستند منها بعد ذلك على البراهين الهندسية وبخاصة ما يتعلق بتحديد مواضع الخيالات أو الصور المشاهدة في المرايا المختلفة الأشكال (وذلك في المقالة الخامسة)، ولعل أهم ما تضمنته هاتان المقالتان هو الحل غير المسبوق لمسألة نسبها الأوربيون للحسن، أو الهازن Alhazen problem (وعرفت باسم «مسألة الحسن» منذ القرن السابع عشر الميلادي وهي تنص على أنه «إذا فرضت نقطتان حيثما اتفق أمام سطح عاكس فكيف تعين على هذا السطح نقطة بحيث يكون الواصل منها إلى إحدى النقطتين المفروضتين بمثابة شعاع ساقط والواصل منها إلى الأخرى بمثابة شعاع منعكس».

وحلول هذه المسألة كثيرة ومتنوعة وهي تتراوح بين البسر والسهولة في

الأحوال العامة، وحيثما يكون السطح العاكس مستويا وبين الصعوبة والتعقيد إذا كان السطح العاكس كرويا أو أسطوانيا أو مخروطيا، محدبا أو مقعرا أو حيثما تعتبر حالات خاصة، أما المقالتان السادسة والسابعة من كتاب المناظر فموضوعهما في أغلاط البصر فيما يدركه بالانعكاس، وعللها وفي كيفية إدراك البصر بالانعطاف (الانكسار) من وراء الأجسام المشقة الخالفة الشفيف لشفيف الهواء ولجأ ابن الهيثم في شرحه لظواهر انتشار الضوء وانعكاسه وانعطافه إلى استخدام الخيال العلمي في المماثلة بين الظواهر المختلفة، وكان التمثيل الذي استخدمه هو النموذج الميكانيكي لحركة كرة صغيرة من الحديد أو الصلب تسقط على سطح مستو أملس فترتد عنه وهنا أدخل ابن الهيثم لأول مرة طريقة تحليل «المتجه» vector إلى قسطين (مركبتين) متعامدين وأفاد من رؤيته النقدية في استخدام المنهج الرياضي إلى جانب المنهج التجريبي الاستقرائي ولهذا فهو يعتبر بحق المؤسس الأول لعلم «البصريات الهندسية» Geometrical Optics.

ولم يقتصر عمل ابن الهيثم في «المناظر» على تصحيح تصورات القدماء واستحداث نظريات علمية جديدة هي

بمثابة ثورة علمية بمقاييس فيلسوف العلم المعاصر «توماس كون»^(٥)، بل هو أيضا يسجل في صدر الكتاب أصول المنهج الاستقرائي السليم في البحث العلمي قبل فرنسيس بيكون بعدة قرون فيقول «نبتدئ في البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال البصرات وتمييز خواص الجزئيات ونلتقط بالاستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدرج والترتيب مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط في النتائج ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفح استعمال العدل لا اتباع الهوى وتنحري في سائر ما تميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء فلعلنا ننتهي بهذا الطريق إلى الحق الذي به يطلع الصدر ونضل بالتدرج والتلطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف، ونحسم بها مواد الشبهات وما نحن من جميع ذلك برآء مما هو في طبيعة الإنسان من كدر البشرية ولكننا

نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الإنسانية ومن الله نستمد المعونة في جميع الأمور»^(٦).

من ناحية أخرى لمس ابن الهيثم جوانب معرفية أخرى في ثنايا كلامه في الإبصار، مثال ذلك ما يتعلق بعلم الجمال من عوامل تؤثر في إظهار الحسن وإدراكنا له وهو هنا قد تكلم بلسان العالم الفيزيائي الرياضي ومشاهداته لما يبصره لا بلسان الشاعر أو الفيلسوف الخيالي ويقول بكل إيجاز إنه تقطن إلى الأمور الجزئية التي تبرز الجمال في المراتب بانفرادها وباقتنائها: الضوء، اللون، البعد المناسب، الوضع، الشكل، والحجم المناسب، قائل الأقسام، وخصوصاً الائتلاف والتناسب في الأجزاء وإدراك الحسن عند عالنا أمر نفسي، لأن تلك الأمور تؤثر في النفس^(٧).

كذلك عرض ابن الهيثم في كتابه القيم للحديث عن ظواهر عدة مثل الهالة والتفازيح وامتزاج الألوان وتكون الظلال وغيرها.

- يتبع -

(٥) توماس كون، بنية الثورات العلمية، الترجمة العربية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

(٦) كتاب المناظر للحسن بن الهيثم تحقيق د. عبد الحميد صبرة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت جزآن ١٩٨٣ و ٢٠٠٢م.

(٧) مقالة عن ثمرة الحكمة للحسن بن الهيثم، تحقيق وتقديم د. محمد عبد الهادي أبو رينة القاهرة ١٩٩١.

حبیبنا المصطفی ﷺ

للاستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

رباه أدرك بنى الإسلام رباه
أدوا رسول الهدى واستمروا صلحا
عبثوا فسادا وزادوا فى تمردهم
لم يعرفوا قدر هاديتنا ومنقذنا
ما بالهم كبرروا الإيذاء ثانياً؟
أما دروا أن رب العرش يرعاه؟
وإن رموه بسوء فى الدنيا تاهوا؟
هل كان حقا له فن تبناه؟
وإنما هو شيطان تبذناه

يا أمة المصطفى توبوا لبارئكم
فلا ابتلاءات لم تنزل بآمتنا
قوموا اتقوا الله وادعوه فلا أمل

يا أمى وحدوا فى الحق صفكمو
حبیبنا المصطفى من ذا ينارعه
نحب أحمد أغلى من محبتنا
هو الحبيب المرجى يوم لا أحد
هو الحبيب المرجى يوم لا أحد
له الشفاعة دون الرسل قاطبة
يا أمى اتجهوا لله فى ثقة

إن التنازع للخير إن عقباه
حبیبنا المصطفى من ذا تحداه؟
لنفسنا يدمانا قد قد ينه
فى موقف الحشر يدري أين مشواه
يسطيع دفع عذاب قد تغشاه
فبالشفاعة رب العرش أرضاه
إن تنصروا ربكم ينصركم الله

من قبل مولده لاحت بشائره
وبشرت رسل المولى ببغته
وعااهدوا الله فى حب لنصرته
أتى عليه إله الخلق فى خلق
وأقسم الله فى القرآن فى وضح
أبعد هذا يروم الائتمون أذى
من ذا الذى جرأ المغرور فأنطلقت
أنتك نزع ععدوان بأنفسهم
ما احتز إسلامنا يوماً بخالقنا
ليست محبتنا قولاً تردده
هو الوحيد دعاه الله خالقه
فناز بالقرب فى المعراج مرتقباً

فى عالم الغيب قد سماه مولاه
كل تمنى على الرحمن يلقاه
عهداً أكيدا ورب العرش أمضاه
لا شيء فى الكون أمى من مجاباه
بعمره .. ليمين الله مغزاه
والله أكمل معناه ومبناه؟
بالزور والإفك والبهتان كفاه؟
أم ذاك حقد دفين فى حناياه؟
ولا بخير رسول قد أحبناه
بل حبه فى نياط القلب مأواه
فى يوم منراه كى يحظى بلقياه
يا سعد من حصه بالقرب مولاه

وما تخفى صدورهم أكبر

فهل يحتاج المؤمن الصادق بيانا أوفى من هذا البيان، حتى يحسن فهم ما يقع الآن من بداءات بعد أن ضاقت عن حملها صدورهم؟، وصدق الخالق الحكيم الذي أخبرنا بمشاعرهم تلك بقوله:

﴿ قَدَرْنَا الْقَصَّةَ مِنْ أَوَّلِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾

(آل عمران: ١١٨)

إن ما حدث في أوروبا من إساءات متعددة لمقام رسول الله ﷺ لم يفاجئنا. وسكوتهم عن ذلك ينبغى ألا يخذعنا، فهم يتعاملون مع الإسلام من منطلقات عقائدية وثوابت تاريخية. خلاصتها قوله تعالى:

﴿ لَا يَزِيدُ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا لَؤْلُؤًا وَلَلَّذِينَ كَفَرُوا فِيكَ لَمُمْتَحِنُونَ ﴾

(التوبة: ١٠)

الرد الأمثل!!

ويبقى على المسلمين أن يحسنوا تقدير الأمور، ووضعها في نصابها، وأن تعرف كيف نرد الصاع صاعين، وكيف نرد هجومهم بهجوم أعنف، وبقوة أشد، فهل ما رأيناه من انفعالات وجدانية، ومسيرات غاضبة، وهتافات نارية، هل هذا هو الرد الأمثل الذي يشقى ويغنى مع هؤلاء الخافدين؟

إن هذا الرد وإن كان غير عن غضبنا، وأشعرهم باستيائنا، فإنه يظل تقريرا وقتيا لشحنة الغضب، ما تلبث النفوس بعدها أن تهدأ، وما تلبث المشاعر أن تنطفيء والعقول أن تنسى. ثم تعود الحال إلى ما كانت عليه، من فتح أسواقنا لبضائعهم، وفتح عقولنا لأفكارهم ومبادئهم، ووسائل إعلامنا لمخوتهم ولهوسهم. وتهيئ شبابنا لتقليدهم والشعور بالفخر عند محاكاةهم. ومسارة نسائنا وبناتنا لتقليد نسائهم وبناتهن، وفتح جامعاتنا لمناهجهم، والثقة المطلقة في نظرياتهم وطرق تربيتهم، وتقدير رموزهم وأدبائهم وقاداتهم وعلمائهم ليحلوا في نفوس شبابنا محل علمائنا وأدبائنا، وقادتنا ورموزنا. ثم نطن بعد هذا كله أننا لم نسيء إلى رسولنا، ولم نطعن في ديننا؟! ولم نخالف قول ربنا عندما حذرنا بقوله:

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيظًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بِدِينِكُمْ كَافِرِينَ ﴾

(آل عمران: ١٠٠)

وأعلمنا سبحانه وتعالى أننا غير معذورين في هذه المسارة إليهم ومحاولة تقليدهم وطاعتهم لأن الله أعطانا عن باطلهم بشريعته، وعن أهوائهم بوحيه وحكمته، وعن ضلالهم بدينه وهدايته، ووصف من يسارعون فيهم بالضعف والجبن والنفاق، بقوله:

﴿ قَدَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾

(المائدة: ٥٢)

التعليم والاعلام.. وسيرة الرسول

إن الرد الحقيقي على سفاهات هؤلاء الغرمن هو أن نشعرهم بالندم على فعلهم هذا. وأعظم موقف يجعلهم يندمون ويحترقون هو أن يروا إقبال الأمة على دينها. واعتزازها بتبناها. وثقتها بمنهجها. وعودتها إلى كتابها. والتخلص من هذا الفصام الفاضح بين عقيدة الأمة وبين واقعها. وأن تتحول وسائل التعليم والإعلام إلى خادم حقيقي لعقيدة الأمة وقرائنها. وفي سيرة الرسول ﷺ زاد لمن أراد الانتصار له، ورد الإساءة والإهانة عنه.

يقول ابن إسحق: حدثني رجل من أسلم، كان واعية: «أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره، من العيب لدينه والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ. ومولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو ابن كعب في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم. فلم يلبس حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- أن أقبل متوشحا قومه واجعا من صيد له. وكان

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج١- دار القلم ص ٢١١-٢١٢

حمزة صاحب قنص، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أشب فتى في قريش وأشد شكيمة. فلما مر بالمولاة. وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمدا أنفا من أبي الحكم بن هشام: وجده ها هنا جالسا فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ. فاحتمل حمزة الغضب، لما أراد الله به من كرامته. فخرج يسعى ولم يقف على أحد. معدا لأبى جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكورة ثم قال: أنشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول، فرد ذلك على إن استطعت. فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني والله قد سببت ابن أخيه سيا قبيحا، وتم حمزة -رضي الله عنه- على إسلامه (١).

هكذا يكون الانتصار للمبادئ. فحمزة -رضي الله عنه- لم يقل لأبى جهل أنسبه وهو ابن أخي، وإنما قال: «أنسبه وأنا على دينه، أقول ما يقول». وهذا الانتصار الذي يريده رسول الله ﷺ. وهذا ما نريده من الأمة اليوم. أن تنتصر لرسول الله، لأنه

منبع الدين في الإنسان

بقلم: صديق بكر عيطة

ذكر الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «الله» عدة نظريات، مثل نظرية «الأساطير» التي جعلها البعض أصل الدين عند الهمج.

ونظرية «ضعف الإنسان» التي اعتبرها البعض دافعا يعللون به العقيدة الدينية في الإنسان.

ونظرية «الطواطم» التي يقرنون بينها وبين عقيدة الأديان حيث يعتبرونها طلائع لها.

وأخيراً نظرية «الحاسة الاجتماعية»، وقد نسب العقاد هذه النظرية إلى الفيلسوف الفرنسي «هنري برجسون» وقالوا عنها: إنها «حيلة نوعية» يلجأ إليها خيال النوع الإنساني لكبح الأثرة الفردية، وإقناع الإنسان بنسيان مصالحه في سبيل المصالح الكبرى، التي تتعلق بها حياة النوع في جميع الأجيال.

ولقد ناقش الأستاذ العقاد كل هذه الآراء والنظريات بما بين أوجه القصور فيها؛ إلى أن قال: «والى هنا نحسب أننا قد أخطأنا بأهم القروض التي خطرت على الأذهان في تعليل العقيدة الدينية، أو تعليل نشأتها الأولى.. وجملة ما يقال أننا لا نجد

في مقالنا السابق، كنا قد ذكرنا أن حاجة الناس إلى الدين «فطرية» واستندلنا على ذلك بإجماع الناس على الاحتياج إلى الدين، حتى في العصر الذي بلغت فيه النظريات الإلحادية أوج عظمتها، وهو القرن التاسع عشر. كما استندلنا أيضاً بالمكتشفات الأثرية، التي تدل على اعتقاد الإنسان في الحياة بعد الموت، وفي الجزاء والحساب في الدار الآخرة. واليوم نشبت أن الدين حقيقة أولية مركوزة في الإنسان، حتى قبل أن يوجد على سطح الأرض..!! وليس ذلك عجيباً، ولا ذهاباً مع الخيال الجامح، وإنما هو ثابت في نصوص واضحة لا تقبل الجدل أو المناقشة، وإن تنكب الناس طريق التعبير عنها.

فإذا كان جبار السماوات والأرض - سبحانه - قد تعهد بحمايته ورعايته، فمن يملك من أهل الأرض جميعاً أن ينال من قدر رسول الله وحبيه ﷺ؟ وإنني لعلني ثقة بأن الذهب الخالص لا تزيده النار إلا لمعاناً ورونقاً وجمالاً.

وصدق الشاعر الحكيم حيث يقول:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت

أتاح لها لسان حود

لولا اشتعال النار فيما جاورت

ما كان يعرف طيب عرف العود
لقد عودتنا التجارب والأحداث أن كل عدوان على حرمان الله ومقدساته لابد أن تثمر ثمرة مباركة طيبة تعد المسلمين وتغيظ الكافرين، فعندما دخل «شارون» إلى ساحة المسجد الأقصى ليدنسه، كان فعله هذا تفجييراً للانتفاضة المباركة.

واليوم يحاولون الإساءة لرسول الله ﷺ فاهتزت الأرض كلها في زلزال مخيف. أربع الكفر وأقزعه. ولقت أنظار أهل الأرض جميعاً إلى عظمة هذا الرسول الكريم. لكي تطمئن إلى قول ربنا سبحانه:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ آيَاتِنَا فَهُمْ مُنْمَرُونَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

(الصف: ٨)

صاحب الرسالة والمبلغ عن ربه والمبعوث رحمة للعالمين، وهو النجاة لأهل الأرض أجمعين. وهذا ما نفهمه من قول ربنا سبحانه:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(آل عمران: ٣١)

الله يعصمه!!

أما ما فعله هؤلاء الخافدون، وما لم يظهروه مما هو أشد من ذلك وأعظم، فإنني أريد أن أطمئن أمة الإسلام جميعاً بأن فعل هؤلاء السفهاء لا يمكن أن ينال من قدر رسول الله ﷺ شيئاً.. وكيف ينالون من رسول الله ﷺ والله سبحانه وتعالى قد تعهد بحفظه وعصمته في حياته بقوله سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْلُوا مَا بَلَغْتُمْ رِسَالَاتِ اللَّهِ يَعْبَثُ

مِنْ النَّاسِ﴾

(المائدة: ٦٧)

وتعهد برفع قدره، وخلود ذكره في حياته وبعد مماته بقوله سبحانه:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ مَدْرَكَهُ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَدْرَكَهُ ۝ أَلَمْ يَكُنْ

أَعْيُنُكَ حَتَّىٰ نُنْزِلَهُ ۝ أَلَمْ نَقُلْ لَكَ ذِكْرَهُ﴾

(الشرح: ٤: ١)

فرضاً منها يستوعب أسباب العقيدة كلها، ويعتينا عن التطلع إلى غيره... وجملة ما نفهمه من ذلك أن مسألة العقيدة أكبر من أن يحصرها تعليل واحد، وإنما قد تتسع لجميع تلك التعليلات معاً، ولا تزال مفتحة الأبواب لما يتجدد من البحوث والدراسات،^(١)

أما الأستاذ الدكتور «محمد عبدالله دراز» - عضو جماعة كبار العلماء - فقد ذكر في كتابه «الدين» أن بعض كتاب القرن الثامن عشر، الذين مهدوا للشوكة الفرنسية، ذهبوا إلى «أن الديانات والقوانين ما هي إلا منظمات مستحدثة، وأعراض طارئة على البشرية، حتى قال (فولتير): «إن الإنسانية لا بد أن تكون قد عاشت قروناً متطاولة في حياة مادية خالصة، قوامها الحرث، والنحت، والبناء، والحدادة، والنجارة... قبل أن تفكر في مسائل الدينيات و«الروحانيات» بل قال «أى فولتير»: إن فكرة التأليه إنما اخترعها دهاة ما كرون، من الكهنة والقساوسة، الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء.

ومن نسب إليهم مثل هذه النظريات «جان جاك روسو» الذي كان لا يرى في فكرة القانون إلا أنها وضعية تحكيمية. حيث فسّر ذلك بقوله: إن الأفراد الذين سبقوا إلى وضع أيديهم على بعض



محمد عبدالله دراز



العقاد

مساحات من الأرض، حذا بهم جشعهم، وحرصهم على المحافظة على ملكيتهم، إلى أن ياتمروا فيما بينهم على وضع تلك النظم والقوانين ليخدعوا بها الجمهور، ويضللوا الفقراء» وفي تعليقه على هذه النظريات يقول الشيخ «دراز»:

«على أنه لم ينقض القرن التاسع عشر نفسه حتى ظهر خطأ هذه المزاعم؛ حيث كشرت الرحلات إلى خسارج أوروبا، واكتشفت العوائد والعقائد والأساطير المختلفة، وتبين من مقارنتها أن فكرة التدين فكرة مشاعة لم تخل عنها أمة من الأمم في القديم والحديث، رغم تفاوتهم في مدارج الرقي ودركات الهمجية، وهكذا ظهر أنها أقدم في المجتمعات من كل حضارة مادية، وأنها لم تقم على خداع الرؤساء وتضليل الدهاة، ولم تركز على أسباب طارئة أو ظروف خاصة، بل كانت تعبر عن نزعة أصيلة مشتركة بين الناس».

ثم ذكر الشيخ ما جاء في معجم «الروس»

من «أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل أجناس البشرية، حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية... وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وما فوق الطبيعة، هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية، ويقول «المعجم أيضاً»: إن هذه الغريزة الدينية، لا تختفي، بل لا تضعف ولا تذبل، إلا في فترات الإصراف في الحضارة، وعند عدد قليل جداً من الأفراد»^(٢).

عقيدة الألوهية

إن عقيدة الألوهية في الإنسان، ترجع في جذورها البعيدة إلى ما قبل أن يخلق الإنسان نفسه، ويمشي على هذه الأرض، أعنى إلى ما كان عليه وهو - بعد - لا يزال في عالم الذر ونحن إذ نبادر بذكر هذه الحقيقة، لا ننحو باللائمة على أصحاب النظريات المخالفة من الغربيين غير المسلمين، فهم لم يقرءوا كتاب الله العليم الخبير، ولم يتدبروه... أو لعلهم قرءوه ولكنهم لم يصدقوه... وإنما ننحو باللائمة على المفكرين وأصحاب القلم من المسلمين، الذين يرددون مثل هذه الأقوال والنظريات الفلسفية ويناقشونها بما بين أوجه القصور فيها، ثم هم يقفون في منتصف الطريق، دون أن يدرسوا هذه القضية من وجهة النظر الإسلامية، التي جاء بها كتاب الله - عز وجل - في كثير من آياته البينات: فلقد ذكر الحق - تبارك وتعالى - في محكم التنزيل ما

يبين أن عقيدة الألوهية في الإنسان مركزية فيه حتى قبل أن يوجد على ظهر هذه الأرض، وهو - بعد - لا يزال في عالم الذر، وذلك حين قال:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٥٠﴾ أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَفْكَا نَا أَبَاوُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

(الأعراف: ١٧٢، ١٧٣) ويعلق «صاحب الظلال» على هذا المشهد الرائع، الذي لا نظير له قاللاً: إنها قضية الفطرة والعقيدة، يعرضها السياق القرآني في صورة مشهد - على طريقة القرآن الغالبة - وأنه لشهد فريد... مشهد الذرية المكنونة في عالم الغيب السحيق، المستكنة في ظهور بني آدم قبل أن تظهر إلى العالم المشهود.

«إنه مشهد كونى رائع باهر، لا تعرف اللغة له نظيراً في تصوراتها الماثورة! وأنه لمشهد عجيب فريد حين يتملاه خيال البشرى جهد طاقته! وحينما يتصور تلك الخلایا التي لا تحصى، وهي تجمع وتقبض، وهي تخاطب خطاب العقلاء - بما ركب فيها من الخصائص المستكنة التي أودعها إياها الخالق البدع - وهي تستجيب استجابة العقلاء، فتعترف وتقر وتشهد، ويؤخذ عليها الشياق في الأصلاب! (٣)»

(٢) «الدين» - دراز ج ٧٧ - ٧٩ مقتطفات

(٣) الظلال: ج ١٣٩٢ المجلد ٢ ط الشروق

(١) اقرأ في كتاب «الله، العقاد موضوع» أصل العقيدة»

والتي لأعجب، كيف يسمع المحللون وأصحاب الفكر المسلمون هذه الآيات، وهي تقرر هذه الحقيقة العقيدية الكبرى، ولا يلتفتون إليها، ولا يذيعونها باعتبارها حقيقة الحقائق لأنها صادرة من العليم القدير...!! ثم هم يذهبون ليضيعوا وقتهم وجهدهم وهم يحللون ويناقشون هذه النظريات الفلسفية الخرقاء: سواء أبطلوها.. أو صدقوها.. أو آمنوا بصدق بعضها دون البعض الآخر.. مرة أخرى، نؤكد على أننا لا نرفض مبدأ دراسة مثل هذه النظريات بما يبين وجه الصواب أو الخطأ فيها، وإنما الذي نؤكد على ضرورته، أن يثبت هؤلاء العلماء والدارسون المسلمون ما ورد في كتاب الله - عز وجل - بشأن هذه القضية.

قصة النبي آدم

ومما يحمل الدلالة القوية على أن عقيدة الألوهية صحبت الإنسانية، على أرض الواقع وفي العالم المشهود منذ باكورة وجوده، ما جاء في قصة النبي آدم التي ذكرت في سورة المائدة، حيث لم تكن عقيدة الألوهية غائبة عنهما، حينما كانت تدور أحداث هذه الواقعة، وإنما كان الله حاضراً أمام ناظريهما: حينما قدما لله قربانهما، اعتقاداً منهما بأن في ذلك مرضاته تعالى، وحينما أطاعه أحدهما وعصاه الآخر بعد أن سولت له نفسه ذلك. بل كانت قضية الحساب والعقاب والجنة والنار، حاضرة بكل تفاصيلها، ضاربة بجذورها البعيدة في أعماقها...!! قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِم نَارًا تَنَزَّلُ مَادًّا بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاطِلٍ فِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ أَنَّهُ وَبَّ الْعَلَمِينَ ﴿٣٦﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُنِيَ بِأَيِّئِي وَإِنَّكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٧﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٨﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُخَبِّرَهُ كَيْفَ يُؤْمَرُ سَوَاءٌ أَخِيهِ قَالَ يُؤْتَيْنِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرَى سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣٩﴾

(المائدة: ٢٧ - ٣٠)

ومن هنا، كانت تسمية من يجحد هذه الحقيقة على الجملة «وهي عقيدة الألوهية» كافرين، لأن الكفر في معناه اللغوي الأول، هو الستر والتغطية، ولما كثر استعماله بعد ظهور الإسلام في وصف من ينكرون الألوهية ويقولون:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حِكْمَةُ الْوَحْيِ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْكُرْسِيُّ يَحْمِلُونَهُ وَأَن تَكُونُوا إِلَّا رَجُلًا سَابِقَ الذِّكْرِ الَّذِي أَحْضَرَ لِقَاءَ رَبِّهِ فَإِنَّ أَغْوَابَهُ كَثِيرٌ مَّا أَفْتَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَإِنَّ هُدًى رَبِّهِ كَالْذِّكْرِ الْأَوَّلِ وَلَا تُلَاقِيهِ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَبِهِ يُقْضَى الَّذِي كَانُ يَعْلَمُ وَمَا يَشْعُرُونَ بِتَحَوُّلِهِ عِندَ رَبِّهِ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ لِشَيْءٍ حَافِظًا ﴿١٠٢﴾

(المؤمنون: ٣٧)

وأشبهاهم من الملحدين، غلب هذا الاستعمال حتى صار كأنه الأصل، وما عداه فرع عنه، إلا أنه - على كل حال - يدل على أن من ينكر «عقيدة الألوهية»، إنما يسر شيئاً له وجود في طبيعة الإنسان منذ الأزل.

وليست عقيدة الألوهية قاصرة على الإنسان وحده، وإنما هي إحدى عناصر التركيبة التي فطر الله عليها السموات والأرض.. فلقد لفت الله - عز وجل - نظر الإنسان وبكته بسبب كفره وجحوده، وهو يقارن بينه وبين السموات

والأرض في موقف كل من الطرفين إزاء الاعتراف بهذه الديتونة لله رب العالمين. قال تعالى:

﴿قُلْ أَنتُمْ لَنَا كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَتَعَلَّوْنَ لَهُ أَعْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠١﴾ وَخَلَقَ فِيهَا رَوْحًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكْنَا فِيهَا وَقَدَّرْنَا فِيهَا فُوقَهَا لِقَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ أَسْرَوْنَاهُ إِلَى النَّارِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضُ أَيْنَا طُوعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٠٣﴾

(فصلت: ٩: ١١)

بل إن الكون كله بجميع مفرداته، لتتجارب فيه أصداء هذه الألوهية الأزلية الأبدية، في مثل قول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ نَبِغُوتُ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ طُوعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿١٠٤﴾

(آل عمران: ٨٣)

وفي تعليقه على هذه الصورة الرائعة، التي جمعت الكون كله من أطرافه في وحدة واحدة، وتلاحم رائع في الاعتراف بالربوبية المطلقة لله رب العالمين، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وطبائعهم.. يقول صاحب الظلال: «إنها صورة شاملة وعميقة للإسلام والاستسلام صورة كونية تأخذ بالمشاعر، وترتجف لها الضمائر. صورة الناموس القاهر الحاكم، الذي يرذ الأشياء والأحياء إلى سنن واحد وشرعة واحدة، ومصير واحد «فلا مناص لهم في نهاية المطاف من الرجوع إلى الحاكم المسيطر المدبر الجليل...»

الرسالات السماوية

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن، إذا كان أمر الدين في نفوس البشر بهذه المثابة، وإذا كانت عقيدة التأليه طبيعة أصيلة في الإنسان إلى الحد الذي نؤكد أمامنا الآن، فما دور الرسالات السماوية؟ ولماذا المعاناة الشديدة التي عاينها الرسل على امتداد تاريخ الرسالات السماوية الطويلة، حتى وصل الأمر إلى قتل بعض هؤلاء الرسل على يد أعدائهم؟ إن عقيدة التأليه هذه، إنما هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهذه الفطرة بين حالتين: إما أن تظل على نقاتها وطهارتها، وشعورها الدائم بأن وراء هذا الكون قوة الخالق المدبر.. وإما أن تترين عليها توازع الشر، ونزعات الشهوات، وحب الرعامة والأثرة.. فإذا كانت من الأولى كانت في حاجة إلى مزيد من وضوح الرؤية العملية وسماع الحق الذي يتلاقى مع دخالها الصالحة، وإذا كانت من الثانية، قامت عليها الحجة، واستحقت العذاب الأليم قال تعالى:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٠٥﴾

(الأنعام: ١٥)

وعلى كلتا الحالتين فإن الرسالات، إنما تقوم بتوضيح العقيدة الإلهية وبيان ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الله تعالى ويجب له من الكمال المطلق.. ثم بيان أحكام الشريعة تفصيلاً وحسبما تطيقه كل أمة..

﴿لَنَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴿١٠٦﴾

(النساء: ١٦٥)

والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

تأملات فقهية في حديث نبوي

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

والحق أن الذي دفعني إلى هذا الحوار الفقهي والمفاهيمي - يعني التباحث ومحاولة الفهم - أسباب عدة:

• أولها: ضيق الصدر - غالباً - لدى كل المتباحثين والمتناقشين - حتى في طوابع الخبر وأزمة المرور - كل ضائق الصدر متبرم!!! الختنق بالأزمة والمسئول عن حلها، حتى وإن بدا أن المسئول ناعم الملمس لين الكلمات - لكنه في الواقع شديد المروعة ضيق الصدر، لا يرى لمناقشة ومحادثته حقاً في أن يشكو مما يعانيه، فضلاً عن أن يطلب حقاً مشروعاً له!!!!!!

• ثانيها: أن الذين يريدون أن يعبروا عن آرائهم، أو ما يعانونه، أو حتى الذين يبحثون في أمور لم تصل إلى حد الأزمة - وقد تكون في بلاد بعيدة عنهم - حتى هؤلاء تراهم يتصايحون، أو قل: إنهم يصرخون منفعلين متشنجين، وكأنهم تعاهدوا على الصباح وتواطئوا على الاختلاف وانفقوا على ألا يتفقوا!!!

الفقه هو الضم، ويقال: فقيهه يعني عالم، واختص في الاستعمال الشائع بعالم الشريعة. ويقال: تفقّه، يعني: تدارس الفقه والعلم وبذل الجهد في تحصيله، وكذلك فاقهه يعني: باحثه وتباحث معه في العلم^١.

بهذا المنطلق الرحب أحب أن تدارس حديثاً نبوياً شريفاً ورد في صحيح مسلم، عن السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت الكعبة، ولجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشاً حين بنت البيت استقصرت، ولجعلت لها خلفاً».

١٠ مختار الصحاح بتصريف.

• ثالثها: وهذا هو الأهم، أن الخلاف الفقهي تحكمه قواعد علمية واضحة ومحددة، ورغم هذا فإن أساليب وعادة التشنج تتحكم في كثير من النقاش بين الأطراف، ولا أقول التحاور بين العلماء، من أجل هذا وغيره أردت أن أدير حواراً فقهياً حول «حديث نبوي» أي محاولة لفهم علمي مجرد بعيد عن الأهواء والأغراض خال من الصياح والتشنج؛ كما أنه لا تشويه أفكار مسبقة - غالباً - ما تقف حاجزاً بين صاحب الهوى وما يراد فهمه واستيعابه؛ حيث إن أناساً من بني جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا دائماً ما يشيرون زوايع، ويصطنعون مشكلات نتيجة فهم قاصر وتعصب ممقوت، وقد ابتلينا في هذه الأيام بما يمكن أن نسميهم «الخوارج الجدد»، كأن كل همهم تفريق الأمة وتكفير الناس واتهامهم بالشرك مادام الناس لا يوافقون منهجهم في التفكير والتكفير!!!! فهم لا يحاولون أن يفهموا روح النص ولا يرغبون أن يعايشوا سعة الإسلام وعاليته وسمر أفقه، حتى ضيقوا أفق الدين السهل الغض اليسر وحضروه في شكل ضيق وقدموا الدين للناس على أنه رجم وحدود وتقطيع أباد فقط إنهم - فيما أعنقد - لم يحسنوا التمرکز كما ينبغي، ولذلك أتقدم لهم بكل التواضع والصدق طالباً ببيان العلة في قوله ﷺ فيما رواه مسلم عن السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «لولا حداثة قومك

بالكفر لنقضت الكعبة، ولجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشاً حين بنت البيت استقصرت، ولجعلت لها خلفاً». وأفهم من هذا أن رسول الله ﷺ رغب أن يصوب مبنى الكعبة المشرفة ويعيد بناءها على القواعد التي أقامها عليها سيدنا إبراهيم - علي نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - حيث إن الكعبة هُدمت قبل بعثته ﷺ وأعاد العرب بناءها - والقصة معروفة مشهورة في السيرة النبوية - لما اختلفت القبائل العربية فيمن يضع الحجر الأسود مكانه، وكاد القتال أن ينشب بينهم وهداهم الله - سبحانه وتعالى - وارتضوا أن يحكموا أول داخل عليهم؛ فكان أول داخل هو رسول الله ﷺ فاستبشروا بقدمه وصاحوا جميعاً قرحين: ها هو الصادق الأمين، وكانت حكمته التي أنقذت القبائل من القتال، فأشار برداء ووضع الحجر الأسود وسط الرداء وأخذ رئيس كل قبيلة بطرف الرداء حتى حازوا به مكانه وتناوله بيده الشريفة ووضعوه مكانه، ورضي الجميع بحكمه، وأنقذت حكمته القبائل من شر مستطير. وعلى أي حال فإن بناء الكعبة لم يتم على قواعد إبراهيم، وكان ﷺ يرغب في إقامتها على قواعد الأصلية، ونستخلص من هذا عدة أمور يراها الفقه الرشيد ولا يرفضها العقل السليم:

• **أولاً:** أن بناء الكعبة لم يكن على قواعد الأصلية.

• **ثانياً:** أن رسول الله ﷺ كان يعرف ذلك.

• **ثالثاً:** أنه كان يرغب في إعادة القواعد إلى وضعها الأصلي.

• **رابعاً:** أنه ﷺ لم يفعل ذلك.

• **خامساً:** أن بقاء القواعد بوضعها الحالي - على غير ما كانت عليه يوم أن بناها سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - لا يؤثر في العقيدة، كما أنه لا يفسد الصلاة، وقد قال الفقهاء: إن الواجب على من هو بعيد عن البيت الحرام التوجه إلى جهة الكعبة وليس عينها لما رواه الترمذي: «ما بين المشرق وقيلة».

وبناء على ما سبق، فعلى المصلي داخل المسجد الحرام التوجه إلى عين الكعبة، أما المصلي خارج المسجد فإنه يكفيه أن يتحرى جهة الكعبة فقط، وهذا هو الرأي الراجح، ولذلك قالوا: لو كان الفرض إصابة عين الكعبة لما صحت صلاة الصف الطويل المستقيم على خط مستو^{٢٠}، وذلك فقه جيد مؤسس على واقع مشاهد - في اعتقادي - ومن إقراره ﷺ.

• **سادساً:** أن الباعث الذي حمل على بقاء البناء كما هو وعدم الهدم والتغيير أو الإصلاح والتعديل، هو حداثة عهد المسلمين في ذلك الوقت بالجاهلية والشرك، بمعنى أن كل الصحابة كانوا

قريبى عهد بالكفر، ورغم أن أصحابه ﷺ لم يكونوا ليعترضوا على أمر رآه ﷺ، إلا أنه أثر بقاء الوضع على ما هو عليه - في رأبي - لسببين:

• **الأول:** أن الصلاة صحيحة دون شك.

• **الثاني:** أنه ﷺ لم يرغب أن يشير بليلة في جموع الصحابة - لا في جميعهم - خصوصاً وأن الأمر لا يترتب عليه فساد الصلاة، كما أن الوضع لا يخلو من متشككين مروجين متربصين مضللين.

• **سابعاً:** أن العلة في ترك الوضع على ما هو عليه هي حداثة العهد بالكفر وقربهم من الجاهلية، بمعنى أنه لو تقادم العهد على الكفر وعم الإسلام ورسخ الإيمان في قلوب الناس، لفعل الرسول ﷺ ما رآه وأعلمه الله به وحكاه لأمة المؤمنين.

• **ثامناً:** أنه عند رسوخ الإسلام في القلوب وتقادم العهد بالجاهلية والكفر ينتفي الخوف والانزعاج من الإشراك؛ حيث إن القلوب ملئت إيماناً ورسخت العقيدة، وثبتت الأفئدة باليقين، ولأمكن تعديل الوضع القائم، فالحكم يدور مع علته وجوداً وعدمه، فوجود الخوف يمنع التغيير، وبانتفائه يمكن أن يحدث التعديل، وبعبارة أخرى امتنع التعديل لوجود الخوف من الشرك وحداثة العهد بالكفر، وعند انتفاء الخوف من الشرك بتقادم العهد بالإسلام يمكن التعديل

والتغيير، والذي أريد توضيحه - ولعلني أكون قد بلغت ما أريد - أننا لسنا حديثي عهد بالجاهلية وكفر، ما دام الأمر كذلك - وهو كذلك بإذن الله - فلا معنى لرمي المسلمين بالشرك والكفر، تبعا لهوى وانسياقاً وراء غرض.

• **تاسعاً:** أن المراد بقوله ﷺ: «قومك» هم المسلمون، إذ لا يعقل أن يكون المقصود هم المشركون حديثو عهد بكفر - إذ هم منعشون فيه - فلولا قرب عهد المسلمين بالجاهلية وحداثة عهدهم بالإسلام، لولا ذلك لهدم ﷺ الكعبة وأقامها على قواعد سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام -، وكما يقول أهل اللغة: إن «لولا» حرف امتناع لوجود، فهي تدخل على جملتين، وتفيد امتناع الثانية لوجود الأولى، كقول سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما قضى قضاء وصويته له سيدنا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قال: لولا علي لهلك عمر، يعني لولا وجود علي لهلك عمر، بمعنى أنه امتنع هلاك عمر لوجود علي، فـ«لولا» حرف امتناع لوجود، والمعنى إذا: أنه لقرب عهد المسلمين بالجاهلية خوفاً عليهم امتنع هدم الكعبة، وكما يقول الأصوليون في مصطلحاتهم في فهم دلالة الألفاظ على معانيها مما ترغب وتحب توضيحه في مقالات لاحقة بإذن الله تعالى؛ حيث تنتزع

دلالة الألفاظ باعتبارات مختلفة؛ فهناك دلالة الفحوى، ودلالة الإشارة، ومفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة مما هو خاص بمجال علم أصول الفقه.

ولكل ما سبق وبناء عليه فلا هو مقبول ولا صحيح ولا مستساغ رمي المسلمين بالشرك والكفر الآن؛ حيث إن الإيمان والإسلام رسخ في قلوب الناس وقد تقادم العهد بالإسلام وسحقاً للحداثة^{٢١} ومن يريد أن يبعثها في بلاد المسلمين.

ويؤيد ما قلناه - أن العلة هي حداثة العهد بالجاهلية - أحاديث أخرى تذكر العلة، أي السبب في منع كثير من الأشياء أبيحت بعد رسوخ الدين وبعد الاطمئنان وتقادم العهد بالإسلام، فلا خوف من ردة أو شرك، من ذلك قوله ﷺ: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها؛ فإنها تذكركم بالآخرة»^{٢٢}، وأعتقد أن النهي عن زيارة القبور كان سببه وعلته قرب عهد الناس بالجاهلية والخوف عليهم مما صرح القرآن الكريم به في قوله - تعالى:

﴿الْهَيْكُمُ الْفَكَارُ﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ

(التكاثر: ١، ٢)

فلما زال الخوف أمر النبي ﷺ وحث المؤمنين على زيارة القبور لأنها تذكركم بالآخرة، والله - سبحانه وتعالى - أعلم.

٢٠. قصد بالحداثة هنا إلى جانب كلاتها عن منطوق الحديث ما يروى أن يروجه الغرب ويسميه الحداثة.

٢١. السنن الكبرى: ١٧/١، المشرك الحاكم: ٢٧٧/١.

٢٢. الفتن لابن قدامة: ج ١ ص ١٢ وما بعدها، بتصريف.

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
[آل عمران: ١٠٤]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم والسنة النبوية

فضيلة الشيخ / فوزي الزفراف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

٥

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا شاع وانتشر في المجتمع فإنه يهبط الجو العام الصالح، والمناخ الطيب الذي تنمو فيه الآداب والفضائل، وتترعرع فيه القيم السامية والشمائل الكريمة، وتختفي فيه المنكرات والردائل، ويتسربى في ظله الضمير العفيف والوجدان البقظ الذي يرقى بالأمة ويأخذ بيدها إلى النهضة والتقدم والرفعة والقوة، ويتحقق لها العدل والأمن والأمان.

أما إذا أهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشاع في المجتمع التغاضي عن المنكرات، بل واستحسن الموبقات،

وصار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثالا للسخرية والاستهزاء، فلا تنتظر إلا أن يجنى الناس ثمرة هذا الانحراف عن الخط السوي بالسقوط في مزالق الغي والبعي والمعاصي، والوقوع في فساد عام يكتسح تلك التجمعات في كل مكان، وينتشر بسببه الخراب والدمار في جميع الأنحاء والأرجاء، وتلك عدالة تشير إليها الآية الكريمة:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

(البروم: ٤١)

أي: ظهر الفساد في الأرض برها وبحرها، ومن مظاهر هذا الفساد: الشرك بالله، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، والقتل وسفك الدماء، وشيوع الأحقاد والأضغان والاعتداء على المال والأعراض، ونقص البركة في الزرع والثمار وإعراض الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجرأة على ارتكاب المعاصي والمنكرات، وقد قيل: «من عصي الله في الأرض فقد أفسد فيها، لأن صلاح الأرض والسماء يتم بالطاعة».

وعمر هذا الفساد بسبب اقتراف الناس لتلك المعاصي، وإعراضهم عن تنفيذ ما أمرهم به الله، وإتيانهم ما نهى عنه، كما قال - تعالى -:

﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مَّصِيكَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
وَتَعْتَوْنَ عَنْ كَيْبَرٍ﴾

(الشورى: ٣٠)

فظهر الفساد وانتشاره نتيجة لأعمال بعض العباد السيئة، كمن يرجعوا عن غيهم وفسقهم، ويعودوا إلى طاعة ربهم، وعقاب للناس على ما يرتكبون من معاصي لعلهم يرجعون عنها إلى الطاعة والعمل الصالح.

طوق نجاة الأمة!!

وفي كلمة الفساد في الآية الكريمة إشارة واضحة إلى انقلاب الأوضاع،

(١) مسلم

وتغيير المفاهيم في المجتمع الذي ينتشر فيه الفساد، فالمعروف يصير منكرا، والمنكر يصير معروفا، والردائل تصبح فضائل، والفضائل تسمى ردائل، وكل شيء يصير إلى غير محله، بسبب فساد العقول، وانحراف نظام التفكير، واختلال الأذواق والأحاسيس وانصراف الناس إلى عبادة البشر، وسجودهم للشجر والحجر، وخضوعهم لأنظمة حاكمة جائرة، جعلت من الذنب راعيا، ومن الخصم قاضيا، ومن المحرم سيدا، ومن اللص شريفا، ومن الصالح محروما شقيا!!!

فطوق نجاة الأمة، وإعلاء شأنها، واسترداد هيبتها مرتبط بتمسك أبنائها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل نشر هذه الفضيلة.

فعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»^(١).

وقال حذيفة بن اليمان - رضي الله

عنهم: الإسلام ثمانية أسهم: الصلاة، والزكاة سهم، والجهاد سهم، وصوم رمضان سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، والإسلام (النطق بالشهادة) سهم، وقد خاب من لا سهم له، والسهم الثامن هو حج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلاً.

عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ مِن صَلِّ إِذَا قُتِلْتُمْ﴾

(المائدة: ١٠٥)

وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا ظالماً فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب» (١).

وأعظم المجاهدين الذين نطقوا بكلمة الحق عند السلاطين والملوك والحكام والأمراء والولاة قنالوا شرف الجهاد الذي بشرهم به رسول الله ﷺ في حديثه الشريف: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (٢).

مواقف العظماء!!

لقد سجل التاريخ مواقف كثيرة لهؤلاء العظماء الذين لم ترهبهم سطوة الحكام، ولم تخفهم قوة الملوك والأمراء، فنطقوا بكل شمم وإباء كلمة الحق، رافضين الجور،

فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وبذلك استحقوا رضا الله ورسوله، وتقدير المسلمين واحترامهم، وتخليد ذكراهم على مر الأزمنة والعصور.

من هؤلاء العظماء الحسن البصري -رحمه الله- فقد عرف بأنه كان عالماً يقول الحق ولا يخش فيه لومة لائم، لا يجامل وزيراً، ولا يتافق أميراً، فكان قدوة حسنة، ومثالاً يحتذى لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

روى أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها فجعل يسألهم، وجعل يكلم عامر الشعبي، فجعل لا يسأله عن شيء إلا ووجد عنده منه علماً. ثم أقبل الحسن البصري فسأله، ثم قال: هما هذان: هذا رجل أهل الكوفة -يعني الشعبي- وهذا رجل أهل البصرة -يعني الحسن- فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن.

فأقبل على الشعبي فقال: يا أبا عمرو: إني أمين أمير المؤمنين على العراق، وعامله عليها، ورجل مأمور على الطاعة، ابتليت بالرعية ولزمتي حقهم، فأنا أحب حفظهم وأتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم، وقد يبلغني عن العصاة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه، فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه في بيت المال، ومن نيتي أن أردده عليهم،

فيلبغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحو، فيكتب إلي ألا ترده، فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه، وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة، فهل علي في هذا تبعة وفي أشباهه من الأمور والنية فيها علي ما ذكرت؟

قال الشعبي: فقلت: أصلح الله الأمير، إنما السلطان والد يخطيء ويصيب، قال: فسّر بقولي وأعجب به، ورأيت البشر في وجهه، وقال: فله الحمد، ثم أقبل على الحسن فقال: ما تقول يا أبا سعيد؟ قال: قد سمعت قول الأمير يقول: إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها، ورجل مأمور على الطاعة، ابتليت بالرعية ولزمتي حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم، وحق الرعية لازم لك، وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة، وإني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة» (٣)، ويقول: إني ربما قبضت من عطائهم إرادة إصلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلي ألا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع إنفاذ كتابه.

وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولا طاعة لخلق في معصية الخالق، فأعرض كتاب أمير المؤمنين على

كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقاً لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذه... يا ابن هبيرة اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرِكَ إلى ضيق قبرِكَ فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة: إن الله ليمنعك من يزيد ولا يمنعهك يزيد من الله وإن أمر الله فوق كل أمر، وإنه لا طاعة لخلق في معصية الله، وإني أحذرك بأسمه الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

فقال ابن هبيرة: أربع على ظلمك أيها الشيخ «أى: أرفق على نفسك فيما تحاول»، وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين، فإن أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل، وإنما ولاء الله -تعالى- ما ولاء من أمر هذه الأمة لعلمه به، وما يعلمه من فضله ونيته.

فقال الحسن: يا ابن هبيرة: الحساب من ورائك سوط بسوط، وغضب بغضب والله بالمرصاد، يا ابن هبيرة: إنك إن تلق من ينصح لك في دينك، ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلق رجلاً يغرك ويمنيك... فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه...

قال الشعبي: فقلت: يا أبا سعيد، أغضبت الأمير وأوغرت صدره، وحرمتنا معروفة وصلته، فقال الحسن: إليك عني يا عامر،

(٢) أبو داود والترمذي.

(٣) مسند أحمد ٢٧/٥.

وفود ٨٨ دولة تناقش مائة بحث تناول مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام

للاستاذ / عاطف مصطفى

الرئيس مبارك في كلمته: العالم الإسلامي بات في أشد الحاجة إلى الأمن المجتمعي لضمان سلامته واستقراره.

فضيلة الإمام الأكبر: القرآن الكريم يبين لنا أن نعمة الأمن على رأس النعم التي أعطاها الله للمؤمنين الصادقين

الدكتور محمود حمدي زقزوق: أمن المجتمع من أمن أفرادهِ وتحقيق الأمن المجتمعي على المستويين المادي والروحي هو الهدف الأسمى لتعاليم الإسلام

الاجتماعي والحقوق الاجتماعية ودور المؤسسات في تحقيق الأمن المجتمعي وذلك من خلال مائة بحث تدور حول قضية الأمن المجتمعي شارك في المؤتمر ٨٨ دولة ومنظمة و ٢٠٤ من الشخصيات الإسلامية والعالمية، فضلاً عن استضافة ١٢ سفيراً من الدول الغربية، بالإضافة إلى نخبة من مفكرى الغرب الذين شاركوا في الحلقات النقاشية

وسط حشد كبير من علماء المسلمين عقد المؤتمر العام العشرون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، في النصف الأول من شهر ربيع الماضي بعنوان «مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام» ونحت رعاية السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية.

استمر المؤتمر أربعة أيام تمت فيها مناقشة أربعة محاور، ترتبط بالمقوم الإيماني والعدل

بن عبد العزيز لعطاء: قتلت أمير المؤمنين، فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة، وقال له: يا عمر إن الأمر جد فجد... ثم قام عطاء وانصرف، فروى أن عمر بن العزيز -رحمه الله- أنه قال: مكثت سنة أجد ألم غمزة عطاء في ذراعي.

وكان ابن أبي شميعة يوصف بالعقل والأدب، فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: تكلم، قال: لم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله؟ فيكي عبد الملك ثم قال: يرحمك الله، لم يزل الناس يتسواعظون ويتواصون، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين: إن الناس في القيامة لا يتجون من غصص مراتها ومعينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه، فبكى عبد الملك ثم قال: لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت.

عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه، ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه» قال: وقال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لامرئٍ شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به، فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له»^(١).

قال: فخرجت إلى الحسن الشحف والطرف، وكانت له منزلة، واستخف بنا وجفينا، فكان أهلا لما أدى إليه، وكان أهلا أن يفعل ذلك بنا. فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا الفرس العربي بين المقارف، وما شهدنا مثله إلا برز علينا، وقال لله - عز وجل - وقلنا مقاربة لهم.. قال عامر الشعبي: وأنا أعاهد الله ألا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحايه.

وروى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما: قف على الباب، فإذا مر بك رجل فأدخله علي ليحدثني. فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح - وهو لا يعرفه - فقال له الحاجب: يا شيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك، فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز، فلما دنا عطاء من الوليد قال: السلام عليك يا وليد! فغضب الوليد على حاجبه وقال له: ويلك أمرتك أن تدخل إلى رجلا يحدثني ويسامرنى فأدخلت إلى رجلا لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي. فقال له حاجبه: ما مر بي أحد غيره، ثم قال لعطاء: اجلس، ثم أقبل عليه يحدثه، فكان فيهما حديثه به عطاء أن قال له: بلغنا أن في جهنم واديا يقال له هبيب، أعده الله لكل إمام جائر في حكمه، فصنع الوليد من قوله، وكان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوق عطاء فقاه إلى جوف المجلس معشبا عليه، فقال عمر

التي عقدت على هامش المؤتمر، وهي ثلاث:

● الأولى: بعنوان حوار الأديان، أدارها فضيلة الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية.

● الثانية: بعنوان كيفية بناء جسور الثقة، أدارها الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية.

● الثالثة: حول آليات التعاون بين الإسلام والغرب، أدارها فضيلة الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر. كما تم تكريم ثمانية من العلماء ومنحهم الرئيس حسني مبارك الأوسمة تقديراً لدورهم الكبير في العمل الإسلامي.

قضية تشغل العالم كله

ألقي الدكتور أحمد نظيف كلمة السيد الرئيس حسني مبارك نيابة عنه والتي قال فيها: ضيوف مصر الأعزاء... مرحبا بكم في مصر - بلد الأزهر الشريف - منارة العلوم والحضارة الإسلامية ومصدر إشعاعها على العالم أجمع.

كما دعا الرئيس مبارك - في كلمته - المولى عز وجل أن يحفظ الله أرض الكنانة وسائر بلاد العالم الإسلامي.

وقال: يسرني أن أرحب بكم ضيوفاً أعزاء على أرض مصر التي شرفها الله في القرآن الكريم، بأن جعلها بلداً آمناً، فقال في محكم كتابه:

﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾

(يوسف: ٩٩)



الرئيس مبارك

وقال الرئيس مبارك في كلمته: لقد كانت قضية الأمن ولا تزال، قضية تشغل العالم كله، وخاصة في عالمنا المعاصر، الذي تهدده المخاطر، وينتشر فيه الإرهاب في كل مكان.

ومن المعلوم أن مفهوم الأمن المجتمعي مفهوم متعدد الجوانب.

ولاشك في أن مجتمعاتنا الإسلامية التي تحاول اللحاق بركب العصر، وتطلع إلى مستقبل مشرق لشعوبها، تجد نفسها في أشد الحاجة إلى تحقيق برامج تنموية شاملة على جميع المستويات، تضمن لشعوب هذه الأمة التقدم والازدهار.

وتحقيق هذا الهدف يتوقف على شرط أساسي لا غنى عنه، وهذا الشرط يتحصر في توفير الضمانات الكافية التي تحقق الأمن للمجتمع، حتى تنهيا الفرصة للأفراد والجماعات، للانطلاق نحو مستقبل واعد، وتحقيق الآمال الكبار للأمة في كل مكان.

وإذا كانت التنمية الشاملة في المجتمع الإسلامي تنوقف على توفير الأمن بمفهومه الشامل لهذه المجتمعات، فإن سلامة العلاقات بين شعوب العالم الإسلامي، وبقية شعوب العالم ترتبط أيضاً ارتباطاً وثيقاً بتحقيق الأمن المجتمعي في عالمنا الإسلامي.

أخطر العقبات

وعن أخطر العقبات التي تواجه مجتمعاتنا الإسلامي أشار السيد الرئيس إلى أن هناك العديد من المعوقات الداخلية والخارجية، التي تقف عقبة في طريق الأمة الإسلامية، نحو تطوير مجتمعاتها، وتنمية شعوبها، وتصحيح علاقاتها بغيرها من الأمم. وأخطر العقبات الداخلية في عصرنا الحاضر تتمثل في الفهم الضيق، والتفسير الخاطئ لتعاليم الإسلام من جانب بعض التيارات المتطرفة، هذا الفهم الذي يحاول أن يشد عمالنا الإسلامي إلى الوراء، ولا يريد له أن يواكب العصر الذي نعيش فيه.

وقد كان لهذا الفهم الضيق والتفسير الخاطئ لتعاليم الإسلام وتداعياته داخليا وخارجيا، أثر سلبي، انعكس على صورة الإسلام في الخارج، فكان هذا الخلط الظالم في الإعلام الدولي بين تعاليم الإسلام، وبعض التصرفات الخسوية عليه، التي تصدر من قلة قليلة من المسلمين لا يمثلون مجتمعاتهم بأي حال من الأحوال.

التصدي لظاهرة التطرف

وفي كلمته قال الرئيس مبارك: إن العالم الإسلامي بات في أشد الحاجة إلى الأمن المجتمعي، لضمان سلامته واستقراره، حتى تكون لديه فرصة للتنمية الشاملة والمتكاملة، وحتى يمكن توفير الأمن للمجتمعات الإسلامية في عالمنا المعاصر، فإن علينا أن نتعاون من أجل تحقيق الأهداف التالية:

- التصدي لظاهرة التطرف والتعصب.
- العمل على نشر قيم التسامح والتراحم والتكافل في المجتمع، عن طريق التوعية الصحيحة، والفهم السليم لحقائق الإسلام.
- الارتقاء بالعلم والتعليم، واللحاق بركب العصر ومواكبة متغيراته المتسارعة وترسيخ القيم الدامغة إلى تقدم المجتمع.
- تمكين العقل من أداء دوره الفاعل في التغيير والتطوير للمجتمعات الإسلامية.

● كما طالب الرئيس حسني مبارك في كلمته المهمة في افتتاح المؤتمر بضرورة تعزيز العمل المشترك بين بلاد العالم الإسلامي وتحقيق التكامل، فالأمة الإسلامية لديها جميع المقومات التي تساعد على تحقيق هذه الأهداف، إذا أحسنت توظيفها، وقامت باستثمار كل إمكانياتها المادية والروحية.

... إن هذا المؤتمر فرصة مواتية لتبادل الأفكار، ومناقشة مختلف الرؤى، من أجل التوصل إلى رؤية قابلة للتطبيق، تحفظ هويتنا، وتساعد في توضيح معالم الطريق، نحو الحلول الملائمة لمشكلات مجتمعاتنا الإسلامية.

الأمن في القرآن

وجاءت كلمة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر مرحبا بوفود المؤتمر داعيا المولى الكريم أن يجعل جميع المناسبات خالصة لوجهه الكريم.

وقال فضيلة الإمام: إن ألفاظ اللغة لا

تكفى للتعبير عما يشعر به الإنسان عندما يجد نفسه واحداً من هذا المجلس الكريم، الذي لم نلتق فيه من أجل متعة فانية، ولا من أجل ثروة عابرة - التقينا فيه جميعاً على التضامن على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.. التقينا فيه لكي نحدد الأخوة، ولكي نكون جميعاً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، لا سيما في تلك الأزمنة التي عمت فيها الفتن.

وأصبح الخليم حيراناً بما يراه في العالم الآن من فتن كقطع الليل المظلم.. وفي الحقيقة هناك ألفاظ عندما يسمعها الإنسان، يحس بالراحة النفسية، ومن هذه الألفاظ، لفظ الأمن الذي تكرر في القرآن الكريم عشرات المرات.

الأمن والأمان والاطمئنان وما إلى ذلك من الألفاظ، التي تدل على الاطمئنان القلبي والاستقرار النفسي.

هذه الكلمات تكررت كثيراً في القرآن الكريم، ويكفيها شرفاً وفخراً أن أول بيت وضع للناس، جعل الله - عز وجل - من أوصافه أن من دخله كان آمناً.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ قَدْ مَكَتَ بُيُوتُكُمْ مَقَامًا يَازُيْدُ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾

(آل عمران: ٩٦، ٩٧)

نجد أن سيدنا إبراهيم عندما تضرع إلى الله سبحانه وتعالى - بالدعاء - اختار نعمة الأمن، ونص عليها القرآن:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِالْقَوَالِ الْآخِرَةِ﴾

(البقرة: ١٢٦)

إذا لماذا اختار سيدنا إبراهيم نعمة الأمن؟.. اختارها لأنها إذا ما ظلمت أمة من الأمم، يأتيها الخير، ويأتيها الرخاء، وتأتيها القوة.

ويقول الإمام الأكبر في كلمته وأذكر خلال قراءتي لتفسير الإمام الفخر الرازي عند تفسير قوله - عز وجل -:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾

(البقرة: ١٢٦)

قال رحمه الله: أستطيع أن أقول نعمة الأمن في الأمة وفي الفرد، أهم من نعمة الصحة، ثم ضرب مثلاً جميلاً.. إنك لو كانت عندك شاة وكانت مريضة، وربطتها إلى جانبك، وقدمت إليها الطعام مع مرضها، لأكلت منه على قدر حاجتها، ثم نامت في أمان واطمئنان، ولو جئت بشاة في غاية القوة والصحة، وإلى جوارها ربطت حيواناً مفترساً ما استطاعت أن تاكل، وإن أكلت مشاكل باضطراب وخوف وفزع.

وبعد أن يسوق هذا المثل يقول: فأنا أؤمن بأن نعمة الأمن بالنسبة للإنسان، أهم من نعمة الصحة، لأن الإنسان إذا كان آمناً على بدنه وعلى نفسه وعلى رزقه، استطاع أن ينتج، وأن يتحرك، وأن يعمل أما إذا كان

خائفاً، فإنه في هذه الحالة تضطرب حياته، ولا يستطيع أن يعمل أو ينتج، وإن أنتج شيئاً قليلاً، لأن الخسوف والاضطراب منعه أن يواصل العمل.

ونلمح ونقرأ من القرآن الكريم أن الله بين لنا أن نعمة الأمان على رأس النعم التي أنعم بها الله سبحانه على عباده.

وفي غزوة بدر يسوق لنا القرآن الكريم بشارات متعددة، هذه البشارات تدل على أن النصر في النهاية سيكون «للمؤمنين»، ومن بين هذه البشارات نعمة الأمان:

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَظْهَرُكُمْ بِهِ﴾

(الأنفال: ١١)

قبل أن تبدأ المعركة ساق الله النعاس للمؤمنين، لكي يرتاحوا، ولكي يكون أماناً لهم، والخائف لا ينام.

نعمة النعم.. وليدة العدل

لذلك جعل الله هذه النعمة من بين النعم التي أنعم الله بها على المؤمنين الصادقين:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

﴿أَقْرَبَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَسْخَرَنَّ لَهُمْ مِنْهُمْ قُرُونٌ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ وَنُفُوذُهُمْ لَبِيشٌ كَثِيرٌ﴾

(التور: ٥٥)

ونعمة الأمان هي نعمة النعم، ونعمة الأمان وليدة العدل، والأمة التي ينتشر فيها العدل وينتشر فيها الخير، ويكثر فيها عدد العقلاء الذين يصلحون ولا يفسدون الذين يعملون ولا يخربون، الذين يبنون ولا يهدمون، الذين يتعاونون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

هذه الأمة التي يكثر فيها عدد الذين يتمسكون بفضيلة العدل، لابد أن تنمو فيها نعمة الأمن والخير، لأن نعمة الأمن وليدة العدل.

عندما تنتشر في الأمة العدالة والأخوة الصادقة، ويكثر عدد العقلاء، الذين يحبون لغيرهم ما يحبون لأنفسهم، والذين يحرصون على سعادة أمتهم وعلى نشر كل ما هو خير فيها.. عندما يكثر هؤلاء يأتي الأمان، يسكن الاطمئنان، والله - عز وجل - بين لنا بأن له سنا كونية، لا تتغير، ولا تتبدل، من هذه السنن قوله عز وجل:

﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

﴿يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾

(الزلزلة: ٧، ٨)

الحقوق الأساسية للإنسان

وجاءت كلمة الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف، لتبرز أهمية هذا المؤتمر وخطاها التي ناقشها على مدار انعقاده لأربعة أيام، أدلى فيها العلماء بأرائهم من خلال المناقشات والمداخلات.

وقد بين الوزير مفهوم الأمن بقوله: مفهوم الأمن من المفاهيم المحورية في حياة الإنسان.. لقد كان ذلك هو الحال في الماضي، ولا يزال كذلك في الحاضر، وسيظل في المستقبل أيضا. فالأمن ركيزة أساسية لكل تحركات الإنسان في مختلف المجالات.

وبدون الأمن تختل الموازين، وتتضطرب حركة الحياة، وتنوقف عن الانطلاق نحو تحقيق الآمال للأفراد والجماعات، ومن هنا تركز الأمم في كل زمان ومكان على توفير الأمن لشعوبها، حتى تستطيع الانطلاق إلى آفاق التقدم والرفق.

وقال د. حمدي زقزوق.. وعندما نتحدث في هذا المؤتمر عن الأمن، فإننا نقصد الأمن بمفهومه الشامل لكل جوانب الحياة السياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية، وعلى مستوى الأفراد والجماعات.

ويرتبط مفهوم الأمن في الشريعة الإسلامية بالحقوق الأساسية للإنسان، والتي دون الحفاظ عليها لا يمكن الحديث عن الأمن في أي صورة من الصور، وتمثل هذه الحقوق الأساسية للإنسان في المقاصد الخمسة للشريعة الإسلامية، وعلى رأس هذه المقاصد، حماية حق كل فرد في المجتمع في الأمن على حياته، وحتى يستطيع أن يؤدي مسئولياته التي كلفه الله بها في هذه الحياة، لا بد أن يكون آمنا على حياته في المقام الأول، وآمنا على عدم المساس بها بأي شكل من الأشكال.

ويرتبط بضمان حق الحياة للإنسان مقاصد أخرى أساسية، تعد أيضا شروطا أساسية لا



د. محمد سيد طنطاوي د. حمود حمدي زقزوق

غنى عنها لتوفير الأمن للأفراد والجماعات، وتمثل هذه الشروط في الحفاظ على العقل وتمكينه من أداء دوره الفاعل في حياة الإنسان، وكذلك الحفاظ على عقيدة الفرد، وعدم المساس بها أو العدوان عليها، فهي من أخص خصوصياته التي من شأنها أن توفر له الأمن النفسي والاطمئنان الداخلي.

وأشار وزير الأوقاف إلى أن الإسلام يؤكد أيضا حماية الملكية الخاصة، للأفراد والجماعات، وحماية الأسرة التي تعد الخلية الأساسية لتكوين المجتمعات على نحو سليم، ومنذ ذلك يتضح أن الأمن يتسع مفهومه ليشمل الأمن النفسي والروحي، والذي يطلق عليه القرآن الكريم السكينة، بمعنى الاطمئنان النفسي الذي يقضى على كل شكل من أشكال القلق من النفوس، وذلك فضلا عن الأمن المادي أو الخارجي.

وقد أكد القرآن الكريم الأمن في هذين الجانبين في قوله تعالى متحدثا عن أهل مكة:

﴿لَقَدْ بَدَأْنَا زَكَّاءً هَذَا الْبَيْتَ ۖ الَّذِي أَلَمَّ بِهِ
مِنْ جُوعٍ وَأَمْتِهِمْ مِنْ خَوْفٍ ۖ﴾

(قريش: ٣، ٤)

ومقصد الإسلام من ذلك كله هو سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة على السواء، وإذا اطمأن الإنسان وزال عنه القلق، أصبح إنسانا سويًا، قادرا على الإسهام بشكل فاعل في توفير الأمن للمجتمع.

فأمن المجتمع من أمن أفراده، وتحقيق الأمن المجتمعي على المستويين المادي والروحي هو الهدف الأسمى لتعاليم الإسلام.

واختتم د. زقزوق كلمته بقوله: إن إلقاء نظرة على محاور المؤتمر وعناصر كل محور تبين شمولية العناصر للجوانب التي من شأنها توفير الأمن في المجتمع، واهتمام الإسلام بذلك، هو اهتمام في الوقت نفسه بأمن واستقرار هذا العالم الذي نعيش فيه، فالمجتمع الإسلامي إذا توافرت له كل أسباب الأمن، سيكون من غير شك سندا قويا أكيدا لأمن واستقرار هذا العالم.

فالأمن في المجتمع الإسلامي لا يمكن فصله عن الأمن في المجتمعات الأخرى فدوائر الأمن متداخلة وبخاصة في عصرنا الحاضر، عصر العولمة، فما يحدث اليوم في مكان ما من العالم، ينعكس أثره سلبا أو إيجابا، عاجلا أو آجلا في كل مكان في العالم.

ومن هنا لم يعد التفوق أو الانعزال عما يجري في عالمنا المعاصر، أمرا ممكنا، فكلنا في النهاية في زورق واحد، ومصيرنا جميعا مصير واحد مشترك، والأخطار التي تهدد عالمنا، تمس بشكل أو بآخر بقية أجزء العالم.

توصيات المؤتمر

هذا وقد أوصى المؤتمر العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والذي ناقش على مدى عشر جلسات موضوع الأمن المجتمعي ومقوماته في الإسلام وشهدتها وفود ٨٨ دولة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر والدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف، بتفعيل دور القسم المشتركة بين الرسائل السماوية وإشاعتها في الواقع العملي في المجتمعات الإسلامية.

وناشد المؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامي المشاركة بإنشاء قناة فضائية لشرح حقائق الإسلام، وتصحيح المفاهيم المغلوطة بحقه، والقضاء على البلبلة التي تثيرها فوضى الإفناء في الفضائيات.

وأدان المؤتمر وسائل الإعلام التي تسيء إلى رسول الإسلام، بدعوى حرية التعبير، وأيد جهود مصر والدول الإسلامية لاستصدار قرار من هيئة الأمم المتحدة، بضرورة احترام الأديان ومقدساتها، وتجريم الإساءة إليها.

وطالب المؤتمر بتفعيل كل صور التعاون وتبادل المصالح بين البشر بما يحقق الخير والنفع للجميع، وإلى إحياء الأنظمة التي وضعها الإسلام، لتحقيق العدالة بكافة صورها، وإشاعة ثقافة العمل بها بين الناس.

وناشد المسئولين في الشعوب الإسلامية بتفعيل الحقوق الاجتماعية الإسلامية التي وضعها الإسلام وتكفل له الأمن والاستقرار كما طالب المؤتمر بوضع سياسة إعلامية للتعريف بالإسلام ونشره وإظهار سماعته بلغات حية إلى كل دول العالم.

طرائف.. ومواقف

للمشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

فقرات بليغة لبعض الأكاير

- قال ابن عباس - رضى الله عنه: الرخصة من الله صدقة، فلا تردوا صدقته.
- وقال: لكل داخل هيبة، فابدءوا بالصحية، ولكل طاعم حشمة فابدءوا باليمين.
- وقال ابن مسعود: الدنيا كلها هموم، فما كان منها فى سرور فهو ربح.
- وقال عمرو بن العاص: من كثر إخوانه كثر غمماؤه.
- وقال: أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار والنار.
- نقول: لسنأ نرى هذا الرأى فسان السفهاء إذا أكرموا استهتروا فى غيهم. وأمعنوا فى غيهم. فما يكفوننا من العار والنار يكفيننا الله إياه بكمال الرجولة، وتام الفضيلة.
- وقال المغيرة بن شعبه: العيش فى لقاء الحشمة. وفى كل شى سرف إلا فى المعروف.

• وقال مصعب بن الزبير: التواضع من مصايد الشرف.

فضل الحنكة

- قيل لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه: إن فلانا لا يعرف الشر.
- قال: ذلك أحرى أن يقع فيه.
- وقال عمرو بن العاص: ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، إنما العاقل الذي يعرف خير الشرين.
- وفى مثل هذا قول الشاعر: رحيب بعض الذل خوف جميعه
- كذلك بعض الشر أهون من بعض
- وسئل المغيرة بن شعبه عن عمر بن الخطاب فقال: كان والله له فضل يمنعه من أن يخدع، وعقل يمنعه من أن يتخدع.
- وقال إياس: لست بخب وخب لا يخدعنى.
- وقال أبو أيوب: من أصحابى من أرغى

بركته ولا أقبل شهادته.

• ومن هذه قولهم: حلب فلان الدهر أشطره، وشرب أفاريقه إذا فهم خيره وشره، فإذا نزل به الفناء عرفه، وإذا نزل به البلاء لم ينكره.

وفى ذلك قول الشاعر:

ولست بمفراح إذا الدهر سرنى
ولا جواز من صرفه المتقلب
ولا أتنى الشر والشر تاركى
ولكن متى أحمل على الشر أركب

طالب الرزق بالسفر

روى أن عقبة بن ربيعة شاور أخاه شيبه فى النجعة فقال: إني قد أجديت، ومن أجذب أنتجع (أى قصد إلى موطن الحصب). أخذ هذا المعنى أبو تمام الطائي فقال:

أراد بأن يحوى الغنى وهو وادع
ولن يفرس الليث الطلا وهو رابض

• وقيل لأعشى بكر الشاعر: إلى كم هذه النجعة والاعتراب، أما ترضى بالخصص والدعة؟

فقال: لو دامت الشمس عليكم للتموها.

• أخذه أبو تمام فقال:

وطول مقام المرء فى الحى مخلق
لديباجتيه فاغترب تتجدد
فإنى رأيت الشمس زبدت محبة
إلى الناس إذ ليست عليهم بمرمد
وقال المأمون بن الرشيد: لا شىء ألد من

السفر فى كفاية، لأنك فى كل يوم نحل محلة لم تحلها، وتعاشر قوما لم تعاشرهم.

أخذ هذا المعنى شاعر فقال:

لا يمنعك خفض العيش فى دعة
من أن تبسـدل أوطاناً بأوطان
تلقى بكل بلاد إن حللت بها
أعلاً بأهل وإخواناً بإخوان

الحلم وما قيل فيه

الحلم ضبط النفس عند ثوران الغضب. وقد قالت الحكماء: ثلاثة لا يعرفون إلا فى ثلاثة مواطن: لا يعرف الجنود إلا فى العسرة، والشجاع إلا فى الحرب، والحليم إلا فى الغضب.

وقال الشاعر:

ليست الأحلام فى حال الرضا
إنما الأحلام فى حال الغضب
وقال آخر:

من يدعى الحلم أغضبته لتعرفه
لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب

طرفة أزهريه

رسب أحد الطلاب بكلية اللغة العربية فى اللغة العبرية. فواساه الأستاذ الكبير المرحوم الشيخ أحمد شفيح السيد بهذين البيتين:

الأزهريون الكرام...
وهم لربهم جنود
قد أوجوا حرب اليهود...
فأسقطوا لغة اليهود

مقدار المزاح

قال النبي صلى الله عليه وسلم: بعثت بالحنيفية السمحة. وقال: إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً.

وقد رويت عنه صلى الله عليه وسلم عبارات من المزاح تعتبر مثلاً علياً في هذا الباب.

وقال أبو الفتح البستي:

أفد طبعك المكدود بالهم راحة

يراح وعلمه بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيت المزح فليكن

بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

الأدب قرابة

قال شاعر حكيم:

ذو النود وذو القسوى بمنزلة

وإخوتي أسوة عندي وإخواني

عصابة جاورت آدابهم أدبي

فهم وإن فرقوا في الأرض حيراني

وقال آخر في هذا الباب:

إن تفرق نسباً يؤلف ميتنا

أدب أقمناه مقام الوالد

أو نختلف فالوصل منا مآزه

عذب تحدر من غمام واحد

ما قيل في الصديق

قال شاعر:

ليس الصديق الذي إن زل صاحبه

يوماً رأى الذنب منه غير مغفور

وإن أضاع له حقاً فعاتبه

فيه أنه يتزويق المعاذير

إن الصديق الذي تلقاه يعذرني

ما ليس صاحبه فيه بمعذور

وقال شاعر آخر:

كم من أخ لك لم يلده أبوكا

وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا

صاف الكرام إذا أرادت إخاءهم

واعلم بأن أخا الحفاظ أخوكا

والناس ما استغنيت كنت أخاهم

وإذا افتقرت إليهم رفضوكا

دعاء

اللهم اجعل منتهى مطالبنا وجهك

ورضاك، وأقصى مقاصدنا عفوكم يوم لقاءك،

وأذقنا لذة مناجاتك، فقد وقفنا على بابك؛

يا قريباً لمن سأل، يا مجيباً لمن دعا، يا

سميعاً لمن طلب، يا سريعاً لمن قصد.

أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً

والخقني بالصالحين.

أرجوزة العدد

خالد بن الوليد



أمير الشعراء
أحمد شوقي

هل يصنع الآيات إلا الله؟

ليس يصنع عن أو همد

وقيته القدر والقضاء

يسله بإذنه ويفهم

إلا الشريف العالي العيوقا

والهتدي بنوره في المظلمة

والضارب الباطل في المقاتل

بالحق بنيران الخليل الركننا

سيف الإله أسد الإسلام

ودخل الإسلام وابن العاص

صدر ندى، ولواء جيش

ما خلفها من عجب الأقدار

وشأن اليوم وذكر في غد

مُرَجَل المواهب السوابغ

لم يشتهر بصولة وقهر

من طبع السيف ومن جلاء؟

إنس الحديد، ينشر القدر

وكيف لا يصحبه المضاء

قلده من ربه محمداً

خلقت لأعظم السيف

المفتدي بحده من مظلمة

والناصر الحق على القبائل

والرافع الدولات ركننا

كأبن الوليد مؤئل الأعلام

طلق جاهلية المعاصي

كلا العظيم فتى قريش

تخير السمحة غير دار

من نعم تنري وعيش مرغد

سبحان ربى من شىء النوابع

هل خالد إلا فتى من قهر

منزلة في غائب عليّ
 وهو الصناديد بنى الجبال^(١)
 نفس غدتها الجاهلية الدماء
 ونهيبة كالجوهر الوقاد
 فكان من عناية السلام
 إذ كان في دولته مجال
 لا بد للعقل الكبير من وسط
 رب هيبات ذهبت هباء
 موقوف الآراء والرايات
 إذا غزا عن النبي أو مفر
 مناه سيف الله يوم مؤتة
 فما مضى في موطن أو هنا
 ليس كفا في الإمام الشدة
 وقاتل الكذاب^(٢) في المعارك
 أيامه مشهورة في فارس
 خاض بها الوقائع الكبارا
 واحتاجت الشام إلى همام
 يحميها على جموع الروم
 وهي تموج بجموع فيصرا
 قبائل فزادها موزع
 فلم تقع إلا عليه الخيبر
 فخف للغيثات في ليث
 خلى العراق وتولى الشام

(١) الجبال القتال.

(٢) مسلمة وكان داعي النبوة بعد موت رسول الله.

يقطع غفلا ويجوب بانرا
 فكان في السماوة^(٣) الرئبالا
 تخفق فوق رأسه العقاب^(٤)
 حتى حوى الجيش القرى فصارا
 أحراس تخم وحملة حدة
 مل تدميرا والقريتين وأرك
 وسل به غسان كيف صبحوا
 هبت على الشام قبولا وبده^(٥)
 أوفت على اليرموك تغطي من طرب
 أقبل سيف الله يزجي خيله
 وأمر الجيش عليهم خالدا
 فغلب على الخزيان للطام
 تراءيا على تفاروت الغلبة
 ونشبت جاثحة^(٦) الدهور
 فدهام الروم الرعييل المسلم
 واخترق الهيجاء فرسان المعجم
 أما الرجالي^(٧) فاحتصموا في الخندق
 يوم كبد في الفتنوح منزلة
 لما رأى سلطانه تداعى

إن المغرور من أناك طائرا
 لا تذكر الألب وأنيسالا
 في مهممة تنكره العقاب
 بين ديار العرب النصاري
 وحساسة الأطراف من تعدد
 هل ثبتوا خالدا في معترك
 بالخييل جاءت من بعيد تضح
 فاستروح الغوث أبو عبيدة
 يا ملأ الروم وباعرس العرب
 ويل هرقل منه ثم ويله
 وانتظروا اليوم العظيم الخالدا
 طام يعيب لنزال طام
 ذا مننا ألق وذا نصف المنة
 عذرة القاهر والمقهور
 إن العتيق^(٨) بالعتاق أعلم
 تحت مروج خيل أو فوق اللجم
 ليلا فمئوا باليلاء الخندق
 أمسى هرقل بعبد لا عز له
 صاح الوداع سوريا الوداعا



(٣) مفازة مشهورة بين العراق والشام اختارها خالد بن الوليد فكان عملا عظيما له شأن في تاريخ الحروب.

(٤) العقاب الأولى راية الرسول والثانية الطائر المعروف.

(٥) أي هبت الأعداء هبوب الريح التي فوجدها أبو عبيدة ربح الغوث والتجدة.

(٦) أي تائرة الدهور، وهي الحرب.

(٧) أي بكر، أي هو اعظم باختيار الخيل.

(٨) جمع راجل وهو في الحرب خلاف الفارس.

سبيل وحدة الأمة

بقلم الدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح

إذن التطلعات: أن يتحد أهل الإسلام على أصول الإسلام التي لا يكون المسلم مسلماً إلا بها وأن ينظر الجميع فيما وراء ذلك نظرة من لا يستغنى القلب. ولكن يستغنى الحق، والمعرفة الصحيحة... فنحن جميعاً نؤمن بالله رباً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالقُرآن كتاباً، وبالكعبة قبلةً وبيتاً محجوجاً، وبأن الإسلام مبني على الخمس المعروفة وبأنه ليس بعده دين، ولا بعد رسوله نبي ولا رسول... وبأن كل ما جاء به محمد ﷺ حق.

فالساعة حق، والبعث حق، والجزاء في الدار الآخرة حق، والجنة حق، والنار حق، وما اختلفنا فيه من شيء فحكمه إلى الله ورسوله. أي أننا متفقون على أسلوب الخلاف.

إذن الأمة الإسلامية وإن اختلفت فيها المدارس الفكرية - فملك أسساً مشتركة تستطيع بها أن تجمع شتاتها، وتوحد كلمتها... فهي أمة واحدة، ذات دين واحد، وكتاب واحد، ورسول واحد.

هذه هي الأصول الثابتة التي تشترك فيها الأمة... فإذا أدركتها جيداً والتزمت بمقتضياتها فإن ذلك يجعل منها أمة واحدة، تلتقي على:

بداية يحسن أن أشير: إلى أنه ليس من التطلعات المنظورة أن يفهم الناس من التطلعات المنظورة، التوفيق بين المذاهب، وليس من الكياسة كذلك أن يفهم من التطلعات المنظورة، أن يتحول المعتزلي إلى أشعري والإمامي إلى معتزلي، أو يتسنى شيعي أو يتشيع سني. كل ذلك ليس وارداً إنما المراد من التطلعات المنظورة، استثمار ما وصلت إليه المذاهب الإسلامية، للوصول إلى انطلاقية الفكر الإسلامي، وبيان أفضله، وقبلة هذا الفكر على التصدي والمواجهة، لكل التيارات المناوئة للإسلام.

وحدة الغاية، وحدة المنهج، وحدة القيادة، ووحدة العقيدة.

الاختلاف ضروري!!

والأمة الإسلامية في «عقلانياتها» التي انطلقت من دعوة القرآن، لم ترفض الوحي، ولم تنتكر للنص المأثور وأيضاً فهي لا تقف لتعبد بالنص المأثور دون وعي، وإنما وازنت بين العقل والنقل، ووفقت بين الحكمة والشرعة، وحكمت العقل. ولجأت إلى التأويل عندما لاح التعارض بين ظواهر النصوص وبين براهين العقل.

فليس من مصلحة المسلم ترك الضحالة، والرتابة، والآلية، تطمر أعماقه، وتاكل إرادته.

ومن سبل التطلعات المنظورة في توحيد صفوف الأمة أن ندرك أن الخلاف والاختلاف ضروري، لأن ورود التشابه في القرآن الكريم كما في قوله تعالى:

﴿هُوَ

الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَآيَاتٍ تَأْوِيلَةٍ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

(سورة آل عمران آية: ٧)

كان سبباً في اختلاف العلماء في مواضع التشابهات من القرآن الكريم.

وحاول كثيرون من ذوى الأفهام تأويله والوصول إلى إدراك حقيقة معناه. فاختلقوا في التأويل اختلافاً بيناً لأنهم لم يقنعوا بالإيمان بالمشابهات جملة من غير تفصيل، فجمعوا التي قد يظهر بينها خلاف وسلطوا عليها عقولهم، فأداهم النظر في كل مسألة إلى رأي.

التأويل

فإذا وصلوا إليه عمدوا إلى الآيات التي يظهر لهم أنها تخالف الأولى فأولوها، فكان التأويل طريقاً من طرق النظر العقلي وطبيعي أن هذا المنحى في التأويل وإعطاء العقل حريته في البحث والنظر يستلزم تعدد المذاهب.

والتأويل - كمنهج عقلي - يقصد منه إبعاد التصورات التي لا تليق بالالوهية وكوسيلة للتقريب، والتوفيق بين العقائد الدينية التي تشيبت بالوحي وبين مقتضيات العقل - ظاهرة دينية.

والتأويل كمنهج عقلي يرتبط تاريخياً بالمعتزلة الذين أيقنوا من أن أبعاد التصورات والصفات والأحوال التي لا تتفق وطبيعة الألوهية لا يكون إلا عن طريق تأويلها مجازياً.

وبعد ظهور الإمامين أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) وأبي منصور الماتريدي السمرقندي (ت ٣٣١ هـ) أخذ التكلمة من أشاعرة وماتريديه، بالتأويلات المجازية، متبعين في ذلك الأسلوب الذي بدأه المعتزلة من قبل.

لقد كان هناك المشبهة والمجسمة الذين يشبتون كل ما جاء في القرآن الكريم من فوقية وتحتية واستواء على العرش، ووجه، ويد، ومحية، ويغض، وما جاء في السنة من ذلك أيضا من غير تأويل وبالظاهر الحرفي، ممن تمسكوا بإثبات الظاهر فصاروا يتهمون من قبل الأشاعرة بالتشبيه والتجسيم.

ومن هؤلاء أبو الحسن الزاغوني، والقاضي محمد بن الحسين أبو يعلى، وأبو عامر القرشي. الذي اشتهر عنه وهو يفسر قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُورِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾

(سورة القلم آية: ٤٢)

أراد أن يدفع بحمية باللغة التفسير المجازي فضرب على ساقه وقال: ساق حقيقة شبيهة تماما بهذه وأشار إلى ساقه.

وإذا كان المعتزلة والأشاعرة والخطيب ابن الجوزي الحنبلي يؤولون فإن الشيعة الإمامية يفسرون الأسماء والصفات بالقرآن الكريم. يقول الشيخ المفيد في قوله تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾

(سورة طه آية: ٥)

وأما لفظة «استوى» وهي التي جعلت الآية من التشابهات عند القوم فمعناها: التمكن التام، والاستيلاء الكامل بدليل

ما يظهر من آية:

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَاحِ﴾

(سورة المؤمنون آية: ٢٨)

أى تمكنت. وآية:

﴿فَاسْتَقْلَقْ فَأَمْسَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾

(سورة الفتح آية: ٢٩)

أى تمكن واستقام. وآية:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ بَاءَ آيَتِهِ حُكْمًا﴾

(سورة يوسف آية: ٢٢)

فالاستواء فيهن بمعنى التمكن التام دون الجلوس كما زعمت المشبهة.

إن انطلاقة علماء المذاهب الإسلامية كانت من القرآن الكريم والقرآن كان رائدهم فيما ذهبوا وكما قال الأنباري: «إن القرآن يدل على الاختلاف. فالقول بالقدر صحيح وله أصل في الكتاب والقول بالإجبار صحيح وله أصل في الكتاب. فمن قال بهذا مصيب ومن قال بهذا مصيب».

وإذا كان الاختلاف يخترق جميع الأمم والملل المعروفة فإن للاختلاف الذي وقع (بين المذاهب الإسلامية) بنيته الأصلية المستمدة من خصوصية النص القرآني.

ونعني بالخصوصية هنا ما منح النص القرآني إعجازه، وما امتاز به على سائر النصوص، فاختطاب في القرآن كلام تنوع معانيه، وتعدد وجوه الدلالة فيه.

إنه كلام لا يمكن استقصاء معانيه أو حصر دلالاته. يقول الزركشي: «معاني القرآن لا تستقصى ولا نهاية لفهم كلام الله» ولا يمكن لأحد أن يقبض عليه أو يفوز بحقيقته. من هنا تباين التفسير والتأويلات واختلاف الطرق والمذاهب وتعدد الفرق والمفالات.

الاختلاف حق إنساني

إذن نحن إنما نحتاج أول ما نحتاج إلى الإعلان عن «حق الاختلاف الذي هو حق من حقوق الإنسان» إن لم يكن أبرزها حتى يكون اختلاف الآخر عن الأنا أمرا لا جدال فيه أى: حتى يتم قبول كل فريق بالفريق الآخر، وكما هو في معتقده ومذهبه.

وما دنا لم نصل إلى الوحدة بعدم اعترافنا بحق الغير فالأولى أن نعترف بذلك فإن وحدة تحاول أن تستتبع الآخر أو تلحقه، أو تقهره وتستبد به، لن تعمر طويلا إذ سرعان ما يتصدع البناء. كذلك فإن الخطاب الذي لا يزيد عن تكرار أجوف ليهوية فاقدة لمقوماتها لن يصنع وحدة قط.

هكذا ينبغي للجميع أن يكتبوا ببيان الاختلاف معترفين ببعضهم مقرين بأن الواحد هو شطر الآخر، وبأن العقائد والمذاهب هي وجوه لحقيقة واحدة والاعتراف بحق الغير وبأن له حقيقته

وقسطه من الوجود يتطلب ذهننا مفتوحا وعقلا نيرا.

ولا يخفى: أننا إذا تمحنا كمتعزلة وأشعرية، وإمامية، وحنابلة، في الإقرار بالاختلاف، وأنه ضرورة من ضرورات الحياة. استطعنا أن نبدأ في الطريق.

وحسب الأمة أن تستثمر اللقاء على أصول الإسلام التي لا يكون المسلم مسلما إلا بها ثم تعي بعد ذلك دور العقل الإسلامي وانطلاقاته.

وتدرك في وضوح: أن الخلاف والاختلاف ضرورة حياتية وحضارية.

والأمة الإسلامية كانت ومازالت تملك رصيда ضخما من الأصول والقواعد يمكن الأمة من تنمية فلسفتها الخاصة بها، والتي تجمع شملها وتوحد صفوفها وقد أتم الله على الأمة وحدة الأصل الإنساني ووحدة العقيدة، ووحدة الصدر، ووحدة الشعور، ووحدة الصف، ووحدة العبادات.

وتستطيع الأمة في ظل التطلعات المنظورة. أن تنطلق بالقيم إخلقية التي تصنع نسج الأمة وتجعلها متكاملة كما تستطيع أن تدعم العلاقات الراهنة إلى مستوى العلاقات بين أئمة المذاهب الإسلامية ولا شك أن ذلك يوسع نطاق التضامن الإسلامي ليصنع مجتمعا يراجه التحديات المناوئة.

﴿ فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْئَاتُ الْقُرَاءِ

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين»
اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ١٨١ لسنة ٢٠٠٨م المتضمن: أنه وردت أسئلة إلى الإدارة العامة للمجلة، للإجابة عنها في باب استفتاءات القراء.

عقود الإيجار القديمة

● السؤال الأول: ورد من السيد م. ع. أ. استمعت إلى أحد الشيوخ الأفاضل على إحدى القنوات القضائية يقول: إن الصلاة في الشقق ذات الإيجار القديم لا تصح على المذهب الحنبلي حيث إنها مغتصبة من أصحابها، وعقودها باطلة شرعاً، وحيث إنني حفيد لمستأجر ومقيم بشقة المرحوم جدي وهي إيجار قديم مع أنني أمتلك أكثر من مسكن، فهل ينطبق على قول الشيخ؟ وماذا على أن أفعل؟

● الجواب: عقد الإيجار في الشريعة الإسلامية يجب أن يكون مؤقفاً بمدة، ولا يجوز أن يكون على التأييد من غير أجل

محدد، فإذا نص في العقد أنه مؤبد بطل، وإذا نص فيه على مدة محددة يجب الالتزام بها. وإذا صدرت قوانين تمد أجله بشروط معينة، فإن لولي الأمر أن يقيد المباح، وتنزل حينئذ مدة العلاقة الإيجارية منزلة المدة الطويلة التي تمتد إلى خمسين سنة عند بعضهم، وإلى تسعين عند آخرين، والعلاقة بين المؤجر والمستأجر لازمة من طرف المؤجر، جائزة من طرف المستأجر، وعليه فإن للمستأجر أن يبيع باقى المدة التي بين بدء عقده وبين التسعين سنة المذكورة، لصاحب الملك أو للغير، بحسب الحال.

وهذا النظر يصحح عقود الإيجار المعمول

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتى جمهورية مصر العربية

بها الآن في عصرنا، ولا يبطل على الناس جل عقودهم من ناحية، ولا يعارض ما ارتآه ولي الأمر لتحصيل المصالح الاقتصادية والاجتماعية لاستقرار الأمن في البلاد من ناحية أخرى، والأخير غرض شريف مطلوب في الشريعة، ومرغوب إليه فيها.

وما يؤخذ اليوم مما يسمى «بالفروغ»، أو «خلو الرجل أو اليد»، لا مانع منه شرعاً، فللمالك المؤجر أن يأخذ من المستأجر مقدراً مقطوعاً من المال مقابل الخلو أو الفروغ. ويعد المأخوذ جزءاً معجلاً من الأجرة المشروطة في العقد.

وأما ما يدفع في المستقبل شهرياً أو سنوياً فهو بالإضافة إلى ما تم تعجيله يعد جزءاً آخر مكملًا من الأجرة مؤجل الوفاء.

وأما ما يأخذه المستأجر من الفروغ مقابل تنازله عن اختصاصه بمنفعة العقار المؤجر لشخص آخر يحل محله، فهو جائز أيضاً إذا كانت مدة الإجازة باقية، وإلا كان غصباً حراماً، فقد صرح الشافعية أثناء كلامهم عن

صيغة عقد البيع بما يقارب هذا المعنى فقالوا: لا يبعد اشتراط الصيغة في نقل اليد في الاختصاص - أى عند التنازل عن حيازة النجاسات لتسميد الأرض - كأن يقول: رفعت يدي عن هذا الاختصاص، ولا يبعد جواز أخذ العوض عن نقل اليد كما في النزول عن الوظائف، انظر مثلاً: حاشية العلامة الشرواني على تحفة المحتاج للإمام ابن حجر الهيتمي (٢١٧/٤).

ألا أن ذلك كله مقيد شرعاً ضمن مدة الإيجار المتفق عليها، وتنازل المستأجر لغيره بعوض بعد انتهاء المدة مرهون برضا المالك. وبالرغم من أن أصل المذهب الحنفي لا يجيز الاعتياض عن الحقوق المجردة كحق الشقعة، وكذا لا يجيز بيع الحق، فإن كثيراً من الحنفية أفتى بجواز النزول عن الوظائف بمال كالإمامة والخطابة والأذان ونحوها، وتستند هذه الفتوى إلى الضرورة وتعارف الناس، وبالقياض على ترك المرأة قسمها لصاحبها، لأن كلا منهما مجرد إسقاط للحق، وقياساً على أنه يجوز لتولي النظر على الأوقاف عزل

نفسه عند القاضي، ومن العزل: الفراغ لغيره عن وظيفة النظر أو غيره، وقد جرى العرف بالفراغ بعوض.

هذا وللمتأخرين من علماء المالكية رسالة بعنوان «جملة تقارير وفتاوى في الخلوات والإنزالات عند التونسيين» لمفتي المالكية إبراهيم الرياحي بتونس «المستوفى سنة ١٢٦٦هـ» والشيخ محمد بيرم الرابع التونسي، والشيخ الشاذلي بن صالح باس مفتي المالكية بتونس، والشيخ محمد «محمدي» تومي. قرروا فيها جواز المعاوضة عن الخلوات عملاً بالعرف والعادة، ولأن المستأجر يملك المنفعة، فله أن يتنازل عنها بعوض كالإجارة ويغير عوض كالإعارة، فقد نقل البناني عن البرزلي في النزول عن الوظيفة ما يقتضي جوازه، ونقل فتوى الفاسيين بجواز بيع الخلو. وقال الشيخ محمد بيرم: وما أشبه الخلو بالمعاقمة، غير أن الخلو لا تحصل به ملكية الرقبة لتعلقه بالمنفعة.

ويحسن هنا إيراد ما تضمنه قرار مجمع الفقه الإسلامي في جدة «رقم (٦) لعام ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨م:

أولاً: إذا اتفق المالك والمستأجر على أن يدفع المستأجر للمالك مبلغاً مقطوعاً زائداً عن الأجرة الدورية وهو ما يسمى في بعض البلاد خلواً، فلا مانع شرعاً من دفع هذا المبلغ المقطوع، على أن يعد جزءاً من أجرة المدة المتفق عليها، وفي حالة القسح تطبق على هذا المبلغ أحكام الأجرة.

ثانياً: إذا تم الاتفاق بين المالك وبين

المستأجر أثناء مدة الإجارة على أن يدفع المالك إلى المستأجر مبلغاً مقابل تخلية عن حقه الثابت بالعقد في ملك منفعة بقية المدة، فإن بدل خلو الرجل هذا جائز شرعاً، لأنه تعويض عن تنازل المستأجر برضاه عن حقه في المنفعة التي باعها للمالك.

أما إذا انقضت مدة الإجارة، ولم يتجدد العقد صراحة أو ضمناً عن طريق التجديد التلقائي حسب الصيغة المفيدة له، فلا يحل بدل الخلو، لأن المالك أحق بملكه بعد انقضاء حق المستأجر.

ثالثاً: إذا تم الاتفاق بين المستأجر الأول وبين المستأجر الجديد أثناء مدة الإجارة على التنازل عن بقية مدة العقد لقاء مبلغ زائد على الأجرة الدورية فإن بدل الخلو هذا جائز شرعاً، مع مراعاة مقتضى عقد الإيجار المبرم بين المالك والمستأجر الأول، ومراعاة ما تقضي به القوانين النافذة الموافقة للأحكام الشرعية. على أن في الإجازات الطويلة المدة - خلافاً لنص عقد الإجارة طبقاً لما تسوغه بعض القوانين - لا يجوز للمستأجر إيجار العين لمستأجر آخر، ولا أخذ بدل الخلو قبيلها إلا بموافقة المالك.

أما إذا تم الاتفاق بين المستأجر الأول وبين المستأجر الجديد بعد انقضاء المدة، فلا يحل بدل الخلو، لانقضاء حق المستأجر الأول في منفعة العين. انتهى ما تضمنه القرار.

وأخذ مقابل عن المدة المتبقية في العقد هو الأصل من فقه الشريعة، فهو مباح، ولا يحرم إلا إذا صدر من ولي الأمر ما يمنعه، فإن منعه لم

يجز الافتيات عليه في ذلك، ويكون حينئذ حراماً من جهة حرمة مخالفة ولي الأمر.

وفي واقعة السؤال: فإن القول بأن الصلاة في الشقق ذات الإيجار القديم لا تصح على المذهب الخنيلي حيث إنها مغتصبة من أصحابها، وعقودها باطلة شرعاً فيه خلل من عدة وجوه:

الأول: أن هذه الشقق ليست مغتصبة من أصحابها على التوجيه الشرعي السابق، بل هي مستأجرة بعقود صحيحة، والأصل تصحيح عقود الناس وحملها على السلامة ما أمكن ذلك.

الثاني: أنه يجوز للحاكم تقييد المباح بما لا يخالف الشرع الشريف، وله أن يتخير في الأمور الاجتهادية ما يراه محققاً للمصلحة، ويجب على من كان في سلطانه أن يتقيد بحكمه، حتى لو كان ذلك مخالفاً لرأيه أو مذهبه الذي يرجحه أو يقلده، ضبطاً للنظام العام وحفاظاً على حقوق الخلق، وإلا لسادت الفوضى وحضعت الحقوق بدعوى اختلاف المذاهب والترحيح بينها، ولذلك كان من المقرر في الفقه الإسلامي أن حكم الحاكم يرفع الخلاف.

الثالث: أن القول ببطلان الصلاة في المغصوب هو قول مخالف لقول الجمهور الذين يفرقون بين حرمة الغصب وصحة الصلاة التي تتوقف على الإتيان بها مستوفية الأركان والشروط.

قال الإمام القاضي أبو بكر الباقلاني: «لم يأمر أئمة السلف العصاة بإعادة الصلوات التي أقاموها في الأرض المغصوبة، اندفعاً عن البحر المحيط للإمام الزركشي (١/٢٦٤).

بل نقل الإجماع على ذلك، حتى قال حجة الإسلام الغزالي: «من خالف في صحة الصلاة مسبوق بإجماع الأمة على ترك تكليف الظلمة قضاء الصلوات مع كسرتهم... وإذا أنكر هذا فيلزمه ما هو أظهر منه وهو أن لا تخل امرأة لزوجها وفي ذمته دائق ظلم به ولا يصح بيعه ولا صلته ولا تصرفاته وأنه لا يحصل التحليل بوطء من هذه حاله، لأنه عصي بترك رد المظلمة ولم يتركها إلا بتزويجه وبيعه وصلاته وتصرفاته، فيؤدي إلى تحريم أكثر النساء وفوات أكثر الأملاك، وهو خرق للإجماع قطعاً، وذلك لا سبيل إليه، أهد من المستصفي (١/٧٩-٧٨).

وعليه فإن صلاتك في سكنك هذا صحيحة شرعاً ما دامت مستوفية لأركانها وشروطها الشرعية، وإذا كنت ممن تنطبق عليه شروط امتداد عقد الإيجار فإنه لا حرمة عليك أصلاً في الانتفاع به، ويجوز لك أخذ مقابل إذا تبقى من عقدك مدة، وهو مبلغ المثل لشقة شبيهة لها في منطقة السكن، ولو كان ذلك بقسوة القانون الذي أعطاك حق المكث الطويل، لأن القانون هنا يمكن توجيهه شرعاً، فينزل منزلة العرف، ومعلوم أن المعروف عرفاً كالشروط شرطاً.

أما إذا كنت ممن لا تنطبق عليهم شروط امتداد عقد الإيجار فلا يجوز لك شرعاً أن تنتفع بهذه الشقة إلا بإذن صاحبها، وليس لك أن تسألوه على مقابل لتركها إلا إن أعطاك هو طيبة بذلك نفسه.

والله سبحانه وتعالى أعلم

تيار المرجعية الإسلامية في نموذج التقدم

دكتور محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية



● تيار «التقليد»، الذى حافظ على التراث، لكن «التقليد» قد أعجزه عن إبداع البديل الحضارى القادر على منافسة النموذج الغربى- الذى كان فى قمة ازدهاره وعتقائه..

● وتيار «التغريب»، الذي رأى - وفق
عبارة الدكتور طه حسين (١٣٠٦ -
١٣٩٣هـ - ١٨٨٩ - ١٩٧٣م) - : أن
السبيل إلى النهضة «واحدة فذة ليس لها
تعدد، وهي: أن تسير سيرة الأوروبيين
وتسلك طريقهم في الحضارة، خيرها
وشرها، خلقها ومرها، وما يحب منها
وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب...
فإنذهب مذهبهم في الحكم، وتسير
سيرتهم في الإدارة، ونسلك طريقهم في
التشريع...» (١) !

● أما التيار الثالث، فهو تيار الإحياء.

من فؤاده يحب وطنه حبا صادقا، ويقديه بروحه وما تملك يده.. وإن في الإسلام كافة المواد الحيوية لأرقى مدنيتها يشتهبها بنو الإنسان، فهو الدين الذي يؤهل أهله وذويه إلى أسعد حالات الحياة وأتم نعيمها..

بل ويقطع مصطفى كامل بأن «من
المستحيل إحياء الأمة وإنهاضها بغير
الحقيقة الدينية».. ويسأل الذين ينكرون
ذلك: «لماذا يكون الإنجليزى وطنيا
وبروتستانتيًا فى آن واحد، ولا يكون
المصرى المسلم وطنيا ومسلما؟»^(١)

هكذا تبلورت، في الواقع الإسلامي -
إزاء تعدد المرجعيات في مشاريع النهضة
والتجديد والتحديث - تبلورت تيارات
وخيارات ثلاثة:

الزعيم مصطفى كامل

أجمعت مدرسة الإحياء والتجديد على نقد النموذج الغربي في التحديث.. وعلى رفضه كطريق للنهضة الإسلامية.. واختارت الإسلام طريقاً للإصلاح، والمرجعية الإسلامية منطلقاً لمشروع النهضة والتجديد لواقع أمة الإسلام..

● ولقد وجد هذا «الخيار الإسلامي» في الإصلاح والتجديد، مكانه في فكر أول حزب وطني تبلور في مصر أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فتزاملت في فكر الزعيم الوطني مصطفى كامل (١٢٩١-١٣٢٦هـ - ١٨٧٤م) «الوطنية» و«الإسلامية»، وكتب يقول: «إن الدين والوطنية توأمان متلازمان»، وإن الرجل الذي يتمكن الدين

(١) عبد الرحمن الوائلي (مصطفى كامل: باحث الحركة الوطنية) ص ١٤٨، ١٤٩، ١٨٣، ٢٠٩، ٢١٠. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢م.

وتيارها.. فلقد اتبع سياسة الوقية بين تيارى «التقليد» و«التجديد»، وذلك حتى يستنزف طاقات علمائهما وأعلامهما فى صراعات داخلية، فيظل الفراغ الفكرى قائما يعمل على ملئه تيار التغريب!..

فلما كانت الحرب الاستعمارية العالمية الأولى (١٣٣٢-١٣٣٦هـ - ١٩١٤م) والسنوات التى أعقبتها، توالى الأحداث والتطورات التى عمت بها بلوى الاحتلال والاحتراب الاستعماري لأغلب ديار الإسلام.. فوفق معاهدة «سيكس-بيكو» (١٣٣٤هـ - ١٩١٦م) ووعد بلفور (١٣٣٦هـ - ١٩١٧م) وزعت بقايا تركية الدولة العثمانية على القوى الاستعمارية الغربية.. وفى السنوات التى أعقبت الثورة البلشفية فى روسيا (١٣٣٥هـ - ١٩١٧م) ورث البلاشفة الروس الهيمنة على البلاد الإسلامية فى آسيا الوسطى وماوراء النهر، وصعدوا محتشها التى بدأها القياصرة الروس.. وقن النظام الغربى - الذى مثلته «عصبة الأمم» - هذا الاحتواء والاحتلال.. فلما جاء عام (١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م) نجح الغرب الاستعماري فى أن يفرض على «الكمايين» - فى تركيا - إلغاء الخلافة الإسلامية، فطويت صفحة رمز الوحدة الإسلامية لأول مرة فى تاريخ الإسلام.. وصاحب ذلك، على الجبهة الفكرية، صدور العديد من الكتب التى «تشرع

لإلغاء الخلافة، وتحاول «علمنة الإسلام»، بل وتشكك فى عقائد الدين والقرآن الكريم!.. وبعد أن كان «التغريب» فكر «نخبة»، أغلبها من أبناء الأقليات التى تربت فى مدارس التنصير، قامت فى الواقع الإسلامى تيارات وأحزاب «وطنية» و«قومية» توهمت أن تقليد الغرب هو السبيل إلى التحرر من احتلاله!.. ومع القانون الوضعى الأجنبى الذى عمم فى أغلب دوائر القضاء، قامت الجامعات الحديثة، ومؤسسات الفكر والثقافة والإعلام الجديدة التى تبنت مناهج الغرب ونظرياته فى العلوم الإنسانية والفلسفات والفنون والآداب..

حسن البناء والإخوان المسلمين

لقد اقتحم «التغريب» عقل «الأمة».. ولم يعد فكر «نخبة» لا يتعدى دوائر المثقفين المتغربين!.. وأمام تصاعد مخاطر هذه التحديات، التى نقلت المعركة إلى ميدان «الهوية الإسلامية»، للأمة كانت الاستجابة الإسلامية - من تيار الإحياء والتجديد - استجابة إيجابية.. فبعد فشل الجهود التى بذلت لإحياء الخلافة الإسلامية.. تداعت صفوة علماء الإسلام ومفكره فى (١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م) إلى المؤتمر الذى عقد فى القاهرة وأثمر قيام «جمعية الشبان المسلمين».. وفى العام التالى (١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م)

أسس حسن البنا (١٣٢٤-١٣٦٨هـ - ١٩٠٦-١٩٤٩م) - وهو الذى شارك فى المؤتمر التأسيسى للشبان المسلمين - أسس «جماعة الإخوان المسلمين» كأول تنظيم جماهيرى لتيار الإحياء والتجديد الإسلامى فى العصر الحديث.. فأمام تعاظم التحديات، واقتحام التغريب عقل الأمة، وتأسيس أحزاب «وطنية» و«قومية» تنبئ - بدرجات متفاوتة - المرجعية الغربية ونمذجتها فى التحديث، الأمر الذى نقل المخاطر إلى «الهوية الإسلامية للجماهير»، كان لابد من نقل حركة اليقظة الإسلامية وتيار الإحياء والتجديد من إطار الصفوة والنخبة والعلماء والمفكرين إلى إطار الأمة والجماهير.. فأمام «عموم البلوى» كان لابد من استدعاء «الأمة» إلى ميدان الدفاع عن الإسلام، والمرجعية الإسلامية لمشروع النهضة والتغيير!..

إن مدرسة مجلة (المنار) قد حملت إلى العالم الإسلامى، على امتداد نحو أربعين عاما، معالم المشروع الإسلامى للإحياء والتجديد.. وإذا كان الشيخ محمد رشيد رضا، عندما أراد تفسير القرآن الكريم، قد بدأ من حيث انتهى الإمام محمد عبده فى هذا التفسير.. فإن حسن البنا قد صنع ذات الشئ، فبدأ تفسيره للقرآن من حيث انتهى الشيخ رشيد رضا.. بل وواصل إصدار مجلة (المنار)، تأكيداً على استمرارية حلقات مدرسة وتيار الإحياء والتجديد..

لكن تأسيس جماعة الإخوان المسلمين، كان بمثابة المنعطف الجديد فى هذه المسيرة.. فأمام تصاعد التحديات، و«عموم البلوى» جاءت اللحظة التاريخية التى استدعت إشراك «الأمة».. وليس فقط «الصفوة» - فى هذا الصراع الحضارى، الذى أخذ يهدد «هوية الأمة» بالسخ والتسخ والتشويه!..

وعند هذه «اللحظة التاريخية»، التى أثمرت هذا «الطور الجديد» فى مسيرة القوى الداعية إلى حل مشكلات النهضة بالإسلام، تجاوزت الدعوة إطار «الصفوة».. والنخبة.. والعلماء.. والقادة إلى حيث استدعت الصفوة «الأمة» - من خلال التنظيمات الإسلامية الجماهيرية، لتبنى الدعوة إلى الإسلام متهاجا شاملا لكل مبادئ النهضة والتقدم والتجديد والتغيير.. إن فى نظام الحكم.. أو فى سبل التقدم.. أو فى الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى.. أو فى تحرير المرأة.. أو فى بناء الانتماء الإسلامى، الجامع مختلف درجات ودوائر الانتماء.. أو فى العلاقات الدولية.. أو فى علاج مشكلات وثغرات الأقليات - الدينية والقومية.. إلخ.. إلخ.. إلخ..

وأىضا، فى سبيل «الجهاد الإسلامى»، لوضع هذه الحلول الإسلامية فى الممارسة والتطبيق..

هكذا رأينا كيف أقامت الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لعالم الإسلام،

في قلب هذا العالم وفكر نخبة من أبنائه «خياراً للنهضة» و«مرجعية للتقدم» و«حلولاً للمشكلات»، لا تنطلق من المنطلقات الإسلامية، وإنما تتبنى الوضعية والمادية والعلمانية الغربية، التي عزلت الدين عن أن يضبط حركة العمران البشري، وحررت الدنيا من حاكمية الدين في الدولة والسياسة والاجتماع والاقتصاد.. وأحياناً في القيم والمثل والأخلاقيات..!

فدعت هذه النخبة إلى أن تستبدل النموذج الغربي في الإدارة والحكم والتشريع بالنموذج الإسلامي في هذه الميادين.. ورأينا كيف نهض تيار الإحياء والتجديد الإسلامي، مدافعاً عن المرجعية الإسلامية لمشروع النهضة، والحلول الإسلامية لمشكلات التقدم والتطور والتجديد.. فقال أعلامه:

● بلسان رفاعة رافع الطهطاوي: «إن بحر الشريعة الغراء لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها.. ولم تخرج أحكام السياسة عن المذاهب الشرعية.. فينبغي تعليم النفوس السياسة بطرق الشرع، لا بطرق العقول المجردة».

● ولسان الأفغاني: «إن العلاج الناجع لانحطاط الأمة الإسلامية إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها.. ومن طلب إصلاح الأمة بوسيلة أخرى فقد ركب بها شططا.. فينعكس عليه القصد، ولا يزيد

الأمة إلا تحساً، ولا يكسبها إلا تعساً».

● ولسان محمد عبده: «إن سبيل الدين لمريد الإصلاح في المسلمين، سبيل لا مندوحة عنها.. وإذا كان الدين كافلاً بتهديب الأخلاق وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة فيه مالم يس لهم في غيره، وهو حاضر لديهم، والعناء في إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا إمام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟!».

● ولسان مصطفى كامل: «إن في الإسلام كافة المواد الحيوية لأرقى مدنية يشتهبها بنو الإنسان، فهو الدين الذي يؤهل أهله وذويه إلى أسعد حالات الحياة وأتم نعيمها.. ومن المستحيل إحياء الأمة وإنهاضها بغير الحقيقة الدينية».

لكن.. من الحق -بل ومن الواجب- أن نقدم أبرز معالم هذا الخيار الإسلامي في النهضة.. إذ ما الذي يعنيه هذا «البديل الإسلامي»، المنطلق من «المرجعية الإسلامية»، من «حلول» تكون أبرز المعالم والسمات والقسمات للنظام الإسلامي، الذي ندعو إليه، بديلاً عن النظام الغربي، الذي يبشر به ويدعو إليه المتغربون العلمانيون؟؟

لتبيان ذلك... تأتي صفحات هذه الدراسة.. بعد هذا التمهيد الذي يلور «مشكلات النهضة».. والسيارات التي اختلفت حول هوية ومرجعية «الحلول» المرشحة لحل هذه «المشكلات».



أوهام الشرق الأوسط

تأليف

ناعوم تشومسكي

تعريب:

شيرين فهمي

٢

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض

الأستاذ بجامعة الأزهر

إذا كان السلام -بجذره اللغوي في الاستعمال العربي والإسلامي- يعني: العافية والبراءة من الأدواء، والخلوص من جميع الآفات، إلى غير ذلك، من كل ما يشيع الراحة، ويوفر الطمأنينة، ويحقق الأمن والاستقرار للإنسان أياً كان لونه أو جنسه أو دينه، أو مذهبه...

فإن السلام -بجذره اللغوي كذلك في استعمال اليرابيع والثعالب- لا يعني شيئاً من ذلك إلا لمن يريدون، وفي الوقت والمكان الذي يريدون.

فهم يفتحون -من هذا الجذر اللغوي نفسه- باباً آخر يتسع للدغ، والبطش، والقهر، إلى غير ذلك من كل ما يشيع الفزع، والرعب، والخوف، والقلق.

وبهذا يجعلون من الكلمة الواحدة نفقاً ذا فتحات -أو منافذ- مختلفة، يستطيعون عن طريقها الروغان والثقلب، ويتمكنون بها من ارتداء ثوب ذي وجهين، ينقض أحدهما الآخر، ويضعون على أعينهم منظارا ذا رؤيتين متقابلتين تمام التقابل والتضاد، فيرون به من يتعدى على السلام في أمريكا مثلاً إرهابياً يجب استئصاله؛ لأنه يعادي السلام، ويرون به ذاته من يتعدى على السلام في فلسطين، أو العراق مثلاً مكافحاً بطلاً يضحي من أجل توفير السلام.

على هذا الطريق -وبهذا الفهم- رأينا الولايات المتحدة بقيادة (ريجان)، و(بوش) تستصرخ عالم اليوم لينهض في ركابها مؤازراً من أجل هذا السلام؛ أيا كانت الوسائل التي

يحققون بها تلك الغاية، مستغلة ما لكلمة السلام من بريق أخاذ، يتوق الإنسان المطحون في شتى بقاع الأرض إليه.

ولليرابيع ذبول

ويذكر (ناعوم تشومسكي): أن إسرائيل استطاعت في سنة ١٩٦٧ أن تلبى استصراخ القادة الأمريكيين؛ فقدمت لأمريكا خدمة كبرى بقصصها ظهور الجيوش العربية.

ومن جهة أخرى لجأت أمريكا إلى صديقتها (صدام حسين) فدفعته إلى غزو إيران؛ لإبطال الخطر الداهم المتمثل في وجود دولة نفطية مستقلة.

ولم تجد أمريكا مانعا من التعاون مع إسرائيل والعراق - لتحقيق مقاصدها - على الرغم من سابقة الاعتداء الإسرائيلي على سفينة أمريكية سنة ١٩٦٧ م، وسابقة قتل العراق سبعة وثلاثين بحاراً أمريكياً كما لم تجد مانعاً أخلاقياً من قصف طائرة ركاب إيرانية مخلقة ٢٩٩ قتيلاً، وهي تحلق في الفضاء الإيراني.

وبعد استعراض مطول لمثل هذه السلوكيات الأمريكية قدمه (تشومسكي)، عناد ليقدم تساؤلاته الباحثة عن مدى الالتزام الأمريكي الأسطوري بحقوق الإنسان، وعن كيفية تحديد تلك الحقوق، ثم أجاب عن ذلك بقوله: «إن الحقوق تتحدد على أساس

الإسهامات في حفظ النظام؛ فالولايات المتحدة لديها حقوق لا جدال عليها، وأما بريطانيا فلها حقوق مادامت تلعب دور الكلب التابع الوفي.

أما الفلسطينيون... فلأنهم أناس ليس لديهم أي ثراء، ولا أي قوة، فليس لهم أي حقوق، بل لهم حقوق سلبية؛ لأن معاناتهم وتشريدتهم في مختلف البلاد يشير الاضطرابات والمعارضات في بقية أنحاء العالم.

ومن هذا المنطلق نرى (شلومو بن عامي) الذي كان رئيس المفاوضات في عهد (إيهود باراك) يصرح سنة ١٩٩٨ م بأن الهدف من مفاوضات (أوسلو) هو وضع الأراضي المحتلة تحت مظلة (الاعتماد الدائم للاستعمار الجديد)؛ لأن هذا يتفق مع مصالحهم، ومصالح رجال الأعمال الأمريكيين.

وأمريكا تعرض على تضخيم الاستيطان

وفي الفصل الثالث (انتفاضة الأقصى) استعرض (تشومسكي) طرفاً من المواقف والأحداث التي واكبت انتفاضة الأقصى، لاقتنا النظر إلى مزاوغات (باراك) التي تمثلت في حديثه عن تقديمه مخططاً تفصيلياً لتحقيق السلام، ولكنه لم يقدم هذا المخطط، واكتفى بتقديم الخطوط الأساسية التي تتوافق مع ما أسمته أمريكا (خريطة الوضع النهائي) وقدمته قاعدة لمفاوضات (كامب ديفيد) التي انتهت في يوليو سنة ٢٠٠٠ م.

وهذه الخريطة تدعو إلى تقسيم الأراضي التي احتلتها إسرائيل سنة ١٩٦٧ م ونحويلها إلى (كانتونات)، مع وضع آليات تضمن بقاء الأرض والثروات الصالحة للاستخدام في أيدي إسرائيل، بينما تقدم سلطة فلسطينية فاسدة وقمعية تقوم بإدارة شئون الفلسطينيين، مع الحرص على قطع الصلات بين الفلسطينيين والقدس، ومع انتشار أعداد ضخمة من وحدات الجيش الإسرائيلي.

وبناء على هذه المقترحات... سلكت إسرائيل نشاطها الاستيطاني المتضخم في ظل الإغراق الأمريكي، وفي ظل قدرة الولايات المتحدة على تطبيق نسخة جديدة من عملية السلام بعد حرب الخليج سنة ١٩٩١ م.

وقد انتهزت مفاوضات (كامب ديفيد) عندما وضح أن الهدف منها لا يتجاوز الحصول على التزام رسمي فلسطيني بمشروع (باراك).

وبعد انهيار تلك المفاوضات لجأ (باراك) إلى خطة أخرى تعتمد على العنف بدأها بتفويض (شارون) في زيارة إلى المسجد الأقصى في حماية ألف شرطى إسرائيلي في يوم الخميس ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٠ م.

وفي اليوم التالي وجه (باراك) حشداً عسكرياً مضافاً إلى الشرطة لمواجهة آلاف المصلين عند خروجهم من المسجد، أدى إلى مقتل ستة فلسطينيين، وجرح أكثر من مائتين.



باراك

شارون

وبذلك... نجح (باراك) في إشعال المنطقة بفظائع العنف التي وقعت بعد ذلك، ومع رغبته هو و (كلينتون) في إخفاء ما يفعله الإسرائيليون والأمريكيون في الأراضي المحتلة لفرض طليباتهم بالقوة المباشرة بدلاً من الدبلوماسية الملزمة. حيث تمكنت من الهيمنة على معظم أراضي الضفة الغربية، و ٢٠٪ من أراضي قطاع غزة؛ فضاعفت من أعداد المستوطنين، مع توسيع المستوطنات، والاستمرار في السياسة العنصرية بتخفيض حصص المياه، ومنع التنمية الفلسطينية، وحصر الشعب الفلسطيني في داخل مناطق شديدة الحدودية بدعم مطلق من الولايات المتحدة، أملاً في أن يستسلم الفلسطينيون أمام المطالب والمطامع الإسرائيلية.

ومفكرو الإسرائيليون يستشعرون الخوف

وفي الفصل الرابع (الولايات المتحدة - إسرائيل - فلسطين) أوضح (ناعوم تشومسكي) حقيقة الدور الأمريكي في عملية السلام؛ فاستعرض من المواقف والأحداث ما يؤكد أن استدعاء الولايات

المتحدة للتدخل في عملية السلام أمر عديم المعنى، بحيث تبدو التوقعات بشأن المستقبل في ظل هذا الاستدعاء كالحبة ياهنة.

يؤكد ذلك: ما لاحظته عالم الاجتماع بالجامعة العبرية (باروخ كيمبرلينج) في قوله سنة ٢٠٠١م: «ما كنا نخافه قد تحقق: اليهود والفلسطينيون واقعون الآن تحت حيلة من الارتداد إلى القبلية الخرافية... الحرب تبدو وكأنها مصير محتوم، تبدو وكأنها حرب شريرة استعمارية».

وفي قول (زائيف شيرن هيل) زميل (كيمبرلينج): «إنه في داخل إسرائيل المحتلة تبدو الحياة الإنسانية رخيصة، فالقيادة لم تعد تتحرج من التحدث عن الحرب، بينما هي في حقيقة الأمر متورطة في أعمال الشرطة الاحتلالية، مما يعيد إلى ذاكرتنا افتتاح حمام الشرطة البيضاء للمناطق السوداء الفقيرة في جنوب أفريقيا، في أثناء فترة التفرقة العنصرية».

أما المقيمون في تلك الأراضي فيهم يقفون وحدهم بدون سلاح؛ فالكثيرون منهم يعيشون بالكاد في مخيمات مزرية وبائسة، وهم يعانون حالياً أشد أنواع الإرهاب الدامي الشرس التي تحملها تلك الحروب الشريرة الاستعمارية؛ الأمر الذي يدفعهم الآن إلى القيام بعمليات وحشية في حق أنفسهم كنوع من الانتقام.

ويذكر (تشومسكي): أن عملية (أوسلو) السلمية لم تغير المفهوم الأساسي للاحتلال، وإن كانت قد غيرت من الشكل الخارجي له؛ فقبيل انتقال الحكومة إلى (إيهود باراك) كتب المؤرخ (شلومو بن عامي) قائلاً: «إن اتفاقيات (أوسلو) قد أسست على قناعة الاستعمار الجديد، حيث يصير طرف معتمداً على الطرف الآخر مدى الحياة». وبعد ذلك... صار (بن عامي) مهندساً للمقترحات الأمريكية الإسرائيلية في (كامب ديفيد) سنة ٢٠٠٠م، التي أكدت الالتزام بشرط اعتماد طرف على الآخر.

وقد تم الشاء على هذه المقترحات - وبشدة- فيما كتبه المعلقون الأمريكيون، مع إلقاء اللوم والتقريع على الفلسطينيين، وعلى قائدهم الشرير لكونهم أفسدوا اغداثات، مما أدى إلى العنف المتتالي.

ولكن (كيمبرلينج) علق على هذا بقوله: «إن هذا غش وتدليس» لينضم بصوته هذا إلى بقية المعلقين المحترمين الجادين؛ فقد لاحظ: أن مقترح (كلينتون- باراك) يقدم بعض الخطوات التي تسهم في تفعيل الاستيطان؛ حيث كان فلسطينيو الضفة الغربية محصورين- أو محبوسين- في أكثر من مائتي منطقة مبعثرة، فجاء هذا المقترح ليحقق -في الظاهر- تحولاً إيجابياً، تمثل في تعزيز ثلاثة كالتونات تحت الهيمنة الإسرائيلية، منفصلة

بعضها عن بعض، ومنفصلة عن المقاطعة الرابعة (شرق القدس) التي تعتبر مركزاً للحياة والاتصالات الفلسطينية في المنطقة. أما الكانتون الخامس (منطقة غزة) فقد ترك أمره بدون توضيح، اللهم إلا أن يبقى مكانه محصورين ومحبوسين، كما كانوا من قبل.

ومع هذا كله... لم يقدم أصحاب المقترح أي خرائط أو تفاصيل لما تقدموا به.

ثم يذكر (تشومسكي): أن الدور الأمريكي -الذي سيظل حاسماً وفاصلاً- وضع لما جاء في (النيويورك تايمز) الذي تمثل في الشاء على خطاب الرئيس، وثاقب رؤيته الجديدة التي تقوم على إنهاء الإرهاب الفلسطيني في أسرع وقت ممكن، كي يتشجع الإسرائيليون لأخذ العرض التاريخي الذي قدمته جامعة الدول العربية القائم على سلام واعتراف كاملين مقابل انسحاب إسرائيلي أكثر جدية.

فالتوجه الأمريكي الإسرائيلي استمر كما لنا في الاتجاه الرافض، حيث لم تخرج العروض عن المبدأ الأول والأخير للاحتلال الذي تمثل في الامتثال المتواصل، والاذراء بالكرامة الفلسطينية، إلى جانب عمليات التعذيب والإرهاب، وتدمير الممتلكات، والتشريد، والاقتلاع، ومواصلة الاستيطان، والامتناء على الثروات الأساسية.

ولكن (تشومسكي) يلاحظ: أن الولايات المتحدة تقوم حالياً بإجراء بعض التعديلات على سلوكها الرافض للحقوق الفلسطينية، وأن هذه التعديلات ليست إلا تعديلات تكتيكية وضعيفة جداً.

فلكي تتمكن من ضرب العراق... سمحت بصدور قرار من الأمم المتحدة يدعو إلى الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي التي احتلت حديثاً، كما سمحت بصدور قرار آخر ينادي بإيجاد رؤية لدولة فلسطينية.

ومن جهة أخرى... واصلت الولايات المتحدة تعزيزها للإرهاب الإسرائيلي؛ بإعلان التزامها بتسليم إسرائيل شحنة جديدة من أحدث طائرات (الهيليكوبتر)، وبرفضها قرار الأمم المتحدة الذي طالب بتنفيذ خطة (ميتشيل)، وإرسال مراقبين دوليين لمحاولة تخفيض العنف، ثم بمقاطعة مؤتمر دولي في جنيف، قضى بتطبيق (ميثاق جنيف الرابع) على الأراضي المحتلة؛ لعلمها أن كل ما تفعله هي وإسرائيل يعد نقضا صريحاً للميثاق، على الرغم من أن الولايات المتحدة لم تحجب رسمياً اعترافها بتلك المواقف.

ويخلص (تشومسكي) من هذا العرض إلى تقريره: إن استدعاء الولايات المتحدة للتدخل في عملية السلام أصبح عديم المعنى، وأن التوقعات بشأن المستقبل ستظل كالحبة وباهنة.

لبنان

بين الفراغ الرئاسي وتشكيل الحكومة الجديدة

للاستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

باحث في الشؤون السياسية

واللافت أن الفراغ الرئاسي في لبنان ليس هو الأول من نوعه في تاريخ الحياة السياسية اللبنانية بل يعتبر الفراغ الثالث منذ استقلال الدولة اللبنانية عام ١٩٤٣ فقد كان الفراغ الأول للرئاسة في الحادي والعشرين من سبتمبر ١٩٥٢ حينما قدم الرئيس اللبناني «بشارة الخوري» استقالته، أما الفراغ الرئاسي الثاني فحدث في عام ١٩٨٨ حين انتهت ولاية الرئيس «أمين الجميل» والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا السياق هو ما السبب في عدم إقدام الأكثرية في المجلس النيابي اللبناني على انتخاب الرئيس الجديد بنصاب «النصف + واحد» وفق ما قرره الدستور؟ على هذا السؤال يجيب ممثل الأكثرية وزعيم تيار «المستقبل» النائب «سعد الحريري» قائلاً: «لأن هناك توافقاً ونحن نريد أن يكون هناك إجماع حول هذا التوافق» ويرى البعض أن سبب تعطيل اختيار رئيس جديد للجمهورية في لبنان يعود إلى التناقض القائم بين الدستور وميثاق

صادر الرئيس اللبناني، إميل لحود، قصر بعبدا، تاركاً كرسي الرئاسة خالياً في الرابع والعشرين من نوفمبر ٢٠٠٢، بعد انتهاء ولايته الرئاسية في الثالث والعشرين من الشهر نفسه ولقد توافق الجميع معارضة وأكثرية على اختيار قائد الجيش اللبناني العماد ميشال سليمان، ليكون الرئيس الجديد الذي سيتم انتخابه في المجلس النيابي اللبناني ليجلس على كرسي الرئاسة الخالي. ومن المعلوم أن جلسة انتخابه تأجلت للمرة الخامسة عشرة إلى جلسة ١١ مارس ٢٠٠٨. ويات من الواضح أن مؤتمر القمة العربي في دمشق المقرر انعقاده في ٢٩ مارس ٢٠٠٨ في انتظار انتخاب الرئيس اللبناني الجديد حتى يمكن توجيه الدعوة إليه لحضور هذه القمة.

العيش المشترك إذ لوحظ أن كلا من الأكثرية والمعارضة قد توصلتا عشية موعد الاستحقاق الرئاسي إلى صيغة «لا غالب ولا مغلوب» وبالتالي انصرف كل منهما إلى عدم اتخاذ أي خطوات استباقية كان تلجأ الأكثرية «الموالة» إلى انتخاب الرئيس بنصاب «النصف + واحد» أو أن تبادر المعارضة «الأقلية» إلى تشكيل حكومة جديدة.

ويذهب بعض المحللين إلى أن سبب الأزمة الحالية في لبنان هو تمسك الأكثرية بالدستور لانتخاب رئيس جديد وتمسك الأقلية «المعارضة» بمبدأ «الديمقراطية التوافقية» القائم على أساس ميثاق العيش المشترك، لانتخاب الرئيس ومن هنا جعلت من تعطيل انعقاد المجلس النيابي «حقاً دستورياً» لها ويجمع الكثيرون على أن الدستور اللبناني يكاد يكون الوحيد في العالم الذي يشمل في الفقرة «د» من مقدمته أن «لا شرعية لأي سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك» كما جاء في المادة (٩٥/أ) منه أن «تمثل الطوائف بصورة عادلة في تشكيل الوزارة» لذلك أقدمت كل من المعارضة والأكثرية على استغلال هذا التناقض بين الدستور وميثاق العيش المشترك لتحقيق أهدافها السياسية.

إن فكرة التوافق بين المعارضة والأغلبية تفترض في الأساس الموافقة على طريقة «لا غالب ولا مغلوب» وأن سبب التعطيل لحصه العماد ميشال عون ممثل المعارضة في لقاء حاسم مع عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية حامل المبادرة العربية إلى أطراف الأزمة اللبنانية عندما قال له: «نحن نريد ١١ وزيراً

١٠ + ١» وتنوزع المقاعد الباقية «١٩» في الحكومة بين الأكثرية ورئيس الجمهورية المنتخب، واللافت أن المبادرة العربية التي تهدف إلى حل أزمة الفراغ الرئاسي وتشكيل حكومة وحدة وطنية تتضمن ثلاثة أمور هي انتخاب رئيس جديد للجمهورية في لبنان، وتشكيل حكومة جديدة ووضع قانون جديد للانتخاب. ومن اللافت أن سوريا كطرف إقليمي مؤثر في انتخاب الرئيس الجديد وفي تشكيل الحكومة الجديدة بحكم ارتباطها بالمعارضة اللبنانية «حزب الله» وحركة أمل والتيار الوطني الحر» ترى أن صيغة المثالية المطروحة (١٠ + ١٠ + ١٠) أي ١٠ وزراء للأكثرية و ١٠ وزراء للمعارضة و ١٠ وزراء لرئيس الجمهورية الجديد هي الصيغة المنطقية، إذ هي تحقق التوازن المطلوب بين الفرقاء اللبنانيين وتضمن تطبيق مبدأ «لا غالب ولا مغلوب» وفي هذا السياق نقل ممثلو المعارضة إلى «هشام يوسف» مدير مكتب الأمين العام للجامعة العربية أن تفسيرهم لما جاء في البند الثاني من المبادرة العربية «تشكيل حكومة وحدة وطنية» هو اعتماد صيغة «المثالثة» بين المعارضة والأكثرية والرئيس المنتخب وهي (١٠ + ١٠ + ١٠).

وإذا كان هذا الأمر متعذراً التوافق عليه فإن المعارضة تنصر على المطالبة بحصة الثلث الضامن أو ما يسمى بالثلث المعطل «١٠ + ١» كحد أدنى في أي تشكيلة حكومية كما أن مثلي الأكثرية عبروا عن استعدادهم للمسير في اقتراح الأمين العام «عمرو موسى» وهو صيغة ١٣ وزيراً للأكثرية و ١٠ وزراء للمعارضة و ٧

وزراء للرئيس الجديد.

والجدير بالذكر أنه في الاجتماع الرباعي الثاني في ١٩ / ١ / ٢٠٠٨ في لبنان - الذي ضم العماد «ميشيل عون» ممثل المعارضة والرئيس الأسبق «أمين الجميل» زعيم «حزب الكتائب» والنائب «سعد الحريري» زعيم تيار «المستقبل» وممثل الأكثرية ود. «عمرو موسى» الأمين العام للجامعة العربية - ذكر «جبران ياسيل» ممثل «ميشيل عون»: «أنه فيما يتعلق بتشكيل حكومة الوحدة الوطنية فإن تفسير المعارضة هو أن يكون التوزيع مثالاً (١٠ + ١٠) بين الأكثرية والمعارضة والرئيس الجديد باعتبار أن هذه الصيغة لا تعطي إمكانية الحصول على حق الإسقاط للمعارضة أو حق الإقرار للأكثرية وأن صيغة ١٣ للأكثرية و ١٠ للمعارضة و ٧ لرئيس الجمهورية التي اقترحها «عمرو موسى» بصفة شخصية تعطي للأكثرية حق الإسقاط أو التعطيل كما تعطى الترجيح (١٣ + ٧) في حال انضمام أصوات الوزراء الذين سيختارهم الرئيس المنتخب «وهم هنا ٧ وزراء» إلى أصوات الأكثرية «وهم هنا ١٣ وزراء».

والحقيقة أنه أمام احتدام الخلاف بين المعارضة والأكثرية حول تشكيل الحكومة الجديدة قدم «عمرو موسى» اقتراحاً للتفكير فيه يقوم على إعطاء الأكثرية ١٣ وزيراً، والمعارضة ١٠ وزراء، والرئيس الجديد المنتخب ٧ وزراء، مع دراسة إمكانية التوصل إلى تفاهم سياسي بين الطرفين يمنح المعارضة والأكثرية ضمانات وتنظيمات متبادلة.

وفي هذا الإطار عرض الأمين العام للجامعة العربية تفسير الجامعة للبند الثاني من المبادرة العربية المتعلقة بتشكيل الحكومة الجديدة على أساس أن القاعدة التي يبنى عليها هذا البند هي «أن أي صيغة لتشكيل الحكومة الجديدة يجب ألا تمنح «الثلث + واحد» (١٠ + ١) للمعارضة الذي يمنحها حق الإسقاط أو التعطيل، ولا «النصف + واحد» (١٥ + ١) للأكثرية الذي يمنحها حق إقرار أي قرارات تريدها، على أن يكون لرئيس الجمهورية حق الترجيح» واللافت للانتباه في هذا الصدد أن الحد الأقصى المطروح لهذا التفسير يمكن أن يكون ١٥ وزيراً للأكثرية و ١٠ وزراء للمعارضة و ٥ وزراء لرئيس الجمهورية، وأن الحد الأدنى كما تطرحه المعارضة هو صيغة الثالثة (١٠ + ١٠ + ١٠) وفي كل الأحوال فإن المعارضة وفق تفسير مبادرة الجامعة العربية لن يكون باستطاعتها الحصول على الثلث الضامن أو ما يسمى الثلث المعطل «المؤثر» وهو (١٠ + ١) كما أن الأكثرية لا يمكن أن تحصل على «النصف + واحد» أي (١٥ + ١) ومن المعلوم أن الأكثرية وافقت من حيث المبدأ على السير في اقتراح الأمين العام «عمرو موسى» وهو صيغة «١٣ + ١٠ + ٧» السابق الإشارة إليها وقد أكد العماد «ميشيل سليمان» الرئيس التوافقي والمزعم انتخابه رئيساً للجمهورية اللبنانية حرصه على لعب دور المحاييد بين الطرفين «المعارضة والأكثرية» وتعهده بأن يلجأ إلى التوفيق بينهما في القضايا الخلافية بحيث لا يكون الوزراء الذين سيختارهم مؤيداً لهذا الفريق أو ذاك، حفاظاً

على وحدة البلاد والوفاق الوطني بين مختلف الفرقاء اللبنانيين.

ويرى بعض المراقبين أن الزيارة غير المعلنة التي قام بها وزير الخارجية السعودي «سعود الفيصل» إلى دمشق التي تمثل عنصراً مؤثراً على المعارضة اللبنانية خصوصاً حزب الله وحركة أمل لم تحقق هذه الزيارة التقارب المنشود بين موقف الرياض - التي لا تزال تنصر على ضرورة تعاون دمشق لتنفيذ المبادرة العربية بما يتضمن انتخاب العماد «ميشيل سليمان» رئيساً للجمهورية اللبنانية وتشكيل حكومة وحدة وطنية تحفظ للأكثرية حقها في أن تكون أكثرية - وبين موقف دمشق - الذي ينتصر لقسمة مقاعد الحكومة الجديدة بين الأكثرية - والمعارضة والرئيس المنتخب بحيث يحصل كل منهم على ثلث المقاعد في هذه الحكومة أي (١٠ + ١٠ + ١٠) وهو الوضع الذي ترفضه الأكثرية - لأنه يعطل تسمية رئيس الحكومة ويعطل أيضاً تعيين كبار المسؤولين في الحكومة وفي القوات المسلحة الذين يدخل تعيينهم في اختصاص مجلس الوزراء الجديد.

ومن جهة أخرى جاء على لسان المتحدث باسم المعارضة العماد «ميشيل عون» أن المعارضة تريد تسمية رئيس الوزراء، ووزراء السيادة ابتداء من الداخلية إلى العدل والخارجية والمالية والدفاع كما تريد أيضاً قسمة مقاعد الحكومة الجديدة على أساس ١٤ وزيراً للأكثرية و ١١ وزيراً للمعارضة و ٥ وزراء لرئيس الجمهورية بما يعني بقاء الثلث الضامن في يد المعارضة بدلاً من اقتراحها السابق الذي

يقضي بالمثالثة المتساوية (١٠ + ١٠ + ١٠) بين الأكثرية والمعارضة والرئيس المنتخب أما بشأن موقف الأكثرية فقد أكدت مصادر لبنانية أن «نبية بري» رئيس المجلس النيابي أبدى مرونة في اجتماعه مع «عمرو موسى» لكنه بقي في السياق العام لموقف المعارضة خصوصاً أن موافقته على الصيغة التي اقترحتها الأمين العام للجامعة العربية وهي (١٣ + ١٠ + ٧) بين الأكثرية والمعارضة والرئيس المنتخب جاءت مشروطة بأن يكون للمعارضة رأي حاسم في تسمية وزير من الوزراء الخمسين على رئيس الجمهورية وهو ما يعني ربط تخليها عن صيغة المثالثة (١٠ + ١٠ + ١٠) بالحصول بطريقة غير مباشرة على الثلث المعطل المؤثر وهو (١٠ + ١) وهو ما تركز المعارضة عليه.

ويذكر المخللون أن المبادرة العربية ترفض صيغة المثالثة (١٠ + ١٠ + ١٠) لأنها تنطوي في جوهرها على سلب الأغلبية «الأكثرية» حقها في أن تكون أغلبية بالفعل ليجد الجميع - أكثرية ومعارضة - أنفسهم مرة أخرى أمام المربع رقم ١ ويتواصل وجود الفراغ الرئاسي انتظاراً لمجهول لا يعرف ما يحمله من أخطار على الداخل اللبناني.

وتسجل مصادر قريبة من فريق المعارضة عدداً من النقاط الجديدة بالذكر وهي:

• أولاً: على الرغم من الشروط الجديدة التي طرحها العماد «ميشيل عون» ممثل المعارضة في الاجتماع الرباعي وأزعجت «عمرو موسى» وفاجأت «نبية بري» رئيس المجلس النيابي والقاضية بالإصرار على الثلث المعطل أو المؤثر

(١٠ + ١) في تشكيل الحكومة الجديدة والاتفاق على مواصفات رئيس الحكومة وعلى تحديد الحقائق الوزارية السيادية بالإصرار على وزارتين سياديتين للمعارضة فقد أبلغ «نبية برى» عمرو موسى عدم أخذه بهذه الشروط وأكد له أنه مع خيار توزيع الحصص على أساس المثلثة أى ١٠ وزراء للأكثرية و ١٠ وزراء للمعارضة و ١٠ وزراء للرئيس الجديد.

• وثانياً: أن فكرة توزيع الحصص مثالته داخل الحكومة الجديدة وهى موضوع الخلاف الأساسى بقيت على طاولة المفاوضات وأن قادة الأكثرية لم يعلنوا موافقتهم عليها فى ظل رفض الرئيس الأسبق «أمين الجميل» والنائب «سعد الحريرى» للثالث المعطل (١٠ + ١) للمعارضة.

• وثالثاً: يعتبر «نبية برى» ورئيس المجلس النيابى أن خيار توزيع الحصص على أساس (١٠ + ١٠ + ١٠) يحظى بغطاء عربى لأنه سبق لسوريا أن وافقت عليه فى وقت لا يحظى الثالث المعطل بهذا الغطاء.

ولقد أسفرت زيارات موسى إلى لبنان عن ثلاثة مواقف فيما يخص الخلاف على نسب التمثيل فى تشكيل الحكومة الجديدة.

• الأول: مطالبة العماد ميشيل عون بالثالث المعطل وهو (١٠ + ١) للمعارضة إضافة إلى شرطى الاتفاق على اسم رئيس الحكومة الجديدة والحقائب الوزارية السيادية.

• والثانى: موقف الأكثرية المتمسك باقتراح «عمرو موسى» الشخصى باعتماد توزيع الحصص على أساس ١٣ وزيراً للأكثرية و ١٠ وزراء للمعارضة و ٧ وزراء للرئيس الجديد.

• والثالث: هو موقف «نبية برى» رئيس المجلس النيابى المرحب بفكرة المثلثة (١٠ + ١٠ + ١٠) لاعتقاده أنها تحظى بموافقة الجانب السورى.

أما مواقف القوى الإقليمية من انتخاب رئيس جمهورية جديد للبنان فقد أخذت مسارات مختلفة.

• فأولاً: تؤكد دمشق احترامها ما يتفق عليه الأطراف اللبنانية بشأن اختيارهم رئيسهم الجديد وأنها لا تنوى أن تتدخل فى الانتخابات الرئاسية اللبنانية وأشارت إلى مقترح «برى» رئيس المجلس النيابى الداعى إلى انتخاب رئيس للجمهورية بالتوافق مع ضرورة توفر نصاب ثلثى أعضاء مجلس النواب لانتخاب الرئيس الجديد.

• وثانياً: تصر الرياض على أن تكون انتخابات الرئاسة فى لبنان «بعيدة عن النفوذ السورى والإيرانى» ولا ينبغي أن تكون مسألة اختيار الرئيس الجديد «بازاراً سياسياً» كما لا ينبغي أن تسعى المعارضة لفرض مرشح للرئاسة تكون مهمته الأساسية «الفكاك والتخلص» من القرارات الدولية الشرعية.

• وثالثاً: تصرح إيران بأنها ترفض فكرة التدخل الدولى فى انتخابات الرئاسة اللبنانية وتعتبر أن أمن لبنان واستقراره واختيار رئيسه الجديد لا يستدعى حلاً من الخارج وتؤكد أن الرئيس القادم ينبغي أن يأتى بالتوافق بين الأطراف اللبنانية المعنية وأن طهران تساند مبادرة «نبية برى» حول الاستحقاق الرئاسى.

• ورابعاً: تصر واشنطن على إبعاد نفوذ طهران ودمشق من الاستحقاق الرئاسى وأعلنت

الولايات المتحدة بصراحة أن هدفها فى المرحلة الحالية هو استبعاد النفوذ الإيرانى والسورى من مجال اختيار الرئيس اللبنانى الجديد سواء أكان نفوذاً مباشراً أو غير مباشر من خلال حزب الله وفى هذا السياق رفض رئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة «مايكل مولين» الربط بين إرسال المدمرة «بو إس إس كول» قبالة السواحل اللبنانية والسورية وبين انتخاب رئيس للجمهورية اللبنانية الذى تأجل حتى ١١ مارس ٢٠٠٨ وأكد مصدر أمريكى مسئول لصحيفة الحياة «العدد بتاريخ ١ / ٣ / ٢٠٠٨» «أن سوريا هى الجهة المستهدفة من إرسال المدمرة كول وأن الأزمة الرئاسية اللبنانية واستياء واشتظن من الدور السورى مهذا لاتخاذ هذه الخطوة» متمنياً أن «تقنع الخطوة السورىين بتغيير تصرفهم حيال لبنان لأن ليس هناك أى دليل على أنهم يلعبون دوراً بناء اليوم لا فى دفع المبادرة العربية ولا فى لبنان عموماً» ووصفت سوريا هذه الخطوة الأمريكية بأنها «رهان فاشل» وأن القمة العربية ستعقد فى موعدها فى ٢٩ و ٣٠ مارس ٢٠٠٨ وعن الاتهامات الموجهة إلى دمشق بعرقله الحل فى لبنان قال وزير الخارجية السورى «وليد المعلم»: «إن من يعرقل الرئيس التوافقى فى لبنان معروف للجميع» فى إشارة إلى واشنطن وأضاف «المعلم» «إن وجود المدمرة كول» قبالة لبنان يؤكد أن واشنطن تقوم بتعطيل ما يطرح من حلول للأزمة اللبنانية».

ويمكن التأكيد فى ضوء ما سبق أن الإنجاز الكبير الذى حققه الأمين العام للجامعة العربية «عمرو موسى» فى جمع كل من الرئيس اللبنانى الأسبق «أمين الجميل» زعيم حزب الكتائب

والنائب «سعد الحريرى» زعيم كتلة «المستقبل» وممثل الأغلبية والعماد ميشال عون زعيم كتلة «الإصلاح والتغيير» وممثل المعارضة حول طاولة واحدة يظل غير مكتمل مالم يتوج بإجماع الأكثرية والمعارضة على تبني المبادرة العربية التى توصل إليها وزراء الخارجية العرب فى اجتماعهم فى القاهرة كإطار عام لحل الأزمة السياسية اللبنانية.

والحقيقة أن جوهر الخلاف الراهن بين الأكثرية والمعارضة أن الأخيرة لاتزال متمسكة بالثالث المعطل أو بالثالث الضامن وهو (١٠ + ١) أى أن يكون لها ١١ وزيراً فى الحكومة الجديدة التى تتألف من ثلاثين وزيراً وهو أمر ترفضه الأغلبية وفى الختام يمكن القول لصالح من يبقى لبنان الشقيق بلا رئيس؟ وهل من المعقول أن يظل كرسي الرئاسة شاغراً بلا رئيس؟ وماذا يريد الطرفان «الأكثرية والمعارضة» من أجل حل أزمة الفراغ الرئاسى وتشكيل حكومة الوحدة الوطنية؟ ولماذا لا يتفقان على إنقاذ لبنان من الوضع الخطير الذى يمكن الانزلاق إليه؟ وهل يريدون حقاً تدويل الأزمة السياسية اللبنانية؟ ولماذا هذا العناد الذى يهدد الوحدة الوطنية اللبنانية؟ يا سادة إن مصلحة لبنان يجب أن تنأى عن كل الخلافات الحزبية وكفى إهداراً للوقت فإن الخطر جسيم والوضع خطير والأعداء يتربصون بلبنان الدوائر.

ومع ذلك فالجميع متفائل والفرصة متاحة فى أن يتوجه نواب المعارضة ونواب الأغلبية إلى مجلس النواب اللبنانى ليقولوا: «نعم» للرئيس التوافقى «ميشال سليمان» ولا لزوم لتأجيل ذلك مرة أخرى.

جثة الديمقراطية

في الأهرام العربي في ٢٢/٣/٢٠٠٨ قال أحمد عبدالحكم في تقرير أعده عن الأوضاع المتردية والانتهاكات الأمريكية في العراق:

إلى الذين صدعوا رؤوسنا بالترويج للديمقراطية الأمريكية في المنطقة.. على أن يكون العراق هو مركز الثقل والإشعاع.. على هؤلاء أن يحتفلوا ويعلنوا نصرهم المبين فقد تحقق ما أرادوا وإليهم الدليل:

• يتراوح عدد المفقودين العراقيين خلال الحروب الأخيرة مليوناً و٣٧٥ ألف عراقي فيما اختفى عشرات الآلاف.. وقد تعذر إطلاقاً تحديد هوية الكثيرين ممن قتلوا في العنف الجاري لأن مصلحة الطب الشرعي لم تستلم سوى نسبة ضئيلة من الجثث.

• يقبع حالياً في السجون عشرات الآلاف من العراقيين.. جميعهم تقريباً من الرجال الذين يعيشون بعيداً عن ديارهم بعدما تركوا وراءهم أسراً تعيلها امرأة في معظم الحالات.

• معسكر بوكا الواقع في الجزء الجنوبي من البلاد بالقرب من البصرة والذي تقوده القوات الأمريكية أكبر مكان للاحتجاز في العراق إذ يأوي ٢٠ ألف سجين.. ولا يتمكن ذروهم من زيارتهم خصوصاً القادمين من محافظتي الأنبار وبغداد.. فهؤلاء قد يفقدون حياتهم في هذه الرحلة المخوفة بالخطاطر.

المصادر العراقية تغيد بأن أكثر من ٢٢٠٠ طبيب وممرض قتلوا كنما خطف ما يزيد على ٢٥٠ ومن الأطباء المسجلين عام ١٩٩٠ والبالغ عددهم ٣٤ ألف طبيب.. غادر البلاد منهم ما لا يقل عن ٢٠ ألفاً.. وبات واضحاً الآن أن نظام الرعاية الطبية في العراق هو الأسوأ من أي وقت مضى.. فقد أزهقت العديد من

الأرواح بسبب قلة الرعاية الطبية.

• لقد تفشى مرض الكوليرا العام الماضي حيث يضطر العديد من العراقيين إلى الاعتماد على مصادر مائية غير صحية.. ولم يعد بمقدور العديد منهم الحصول على الماء النقي.

• تدهورت الخدمات بشكل رهيب.. فالعراقيون يشتكون من الشكوى من الانقطاع المتواصل للكهرباء.. فقد تدهورت شبكة الإمداد بالكهرباء خلال العام الماضي.. درجات الحرارة تصل إلى ٥٠ درجة صيفاً ومع ذلك لا تتلقى كثير من المناطق الكهرباء سوى ساعة واحدة يومياً.

ومآسى أخرى يعاني منها الشعب العراقي المنكوب بجثة الديمقراطية المزعومة.

ليس هناك شعب يهودي،

بل فقط ديانة يهودية.

تحت هذا العنوان كتبت الأستاذة ليلى حافظ في جريدة الأهرام الصادرة في ٥/٣/٢٠٠٨

عندما قام المؤرخون الجدد في إسرائيل بفتح الملفات القديمة بعد مرور ٤٠ عاماً على قيام الدولة العبرية وكشفوا أول كذبة لفقها أعضاء المنظمات اليهودية العالمية لتبرير الاستيلاء على أرض فلسطين لإقامة دولتهم وهي أنها كانت أرض بلا شعب وكتب المؤرخون الجدد

أمثال توم سحيف وإيلان بابيه الكتب والدراسات التي تؤكد أن فلسطين كان يعيش فيها شعب هو الشعب الفلسطيني، وأن المستوطنين اليهود الأوائل ذبحوا من ذبحوا وطردوا من طردوا وهرب من هرب من العرب من هرب خوفاً من بطش المستوطنين اليهود.

فقد نشر شلومو زاند المؤرخ الإسرائيلي والأستاذ بجامعة تل أبيب كتاباً بالعبرية في إسرائيل بعنوان: «متى وكيف تم اختراع الشعب اليهودي» أكد فيه كذب المقولة أن هناك «شعباً يهودياً» وأنه هرب لاجئاً من بطش الرومان في عام ٧٠ ميلادياً وقال ليس هناك ولم يكن هناك أبداً شعب يهودي بل فقط ديانة يهودية.

يدحض الكتاب الجديد الذي أثار ردود فعل واسعة النطاق داخل إسرائيل الفكرة الأساسية التي قامت عليها الدولة الإسرائيلية والتي ينص عليها إعلان الاستقلال الإسرائيلي بقوله: «الشعب اليهودي نشأ في أرض إسرائيل وطرد من أرضه» ويتعلم كل تلميذ أن الشعب اليهودي طرد من أرضه في عصر الرومانيين في عام ٧٠ ميلادياً وأن الشعب ظل مخلصاً لأرضه التي عاد إليها بعد ألفي عام من المنفى ولكن المؤرخ الإسرائيلي زاند ينفي تلك المعلومات ويؤكد في كتابه الجديد أنه لم يكن هناك أبداً «شعب يهودي» ولكن فقط «ديانة يهودية» كما يؤكد الكتاب أن الرومان لم

ينفوا أبدا اليهود كما لم ينفوا شعوبا كاملة بل سمح الرومان لمعظم اليهود بالبقاء في البلاد ولم يزد عدد الذين نفوا إلى الخارج عن عشرات الآلاف وعندما دخل العرب البلاد اعتنق العديد من اليهود الإسلام وتم دمجهم في المجتمع العربي.

ويتصاعد تساؤل مهم وهو: إن كان عدد اليهود الذين خرجوا من أرض فلسطين في زمن الرومان لم يكن عاليا فكيف وصل عددهم إلى الملايين في جميع أنحاء العالم؟ ويجب زائد بقوله: «إن من هاجر من اليهود هاجر بمحض إرادته ومن نفى إلى بابل بقي فيها لأنه اختار ذلك». ويعكس ما هو سائد من أن اليهود لا يقبلون أن يعتنق غير اليهود ديانتهم فإن اليهود المهاجرين أجبروا غير اليهود إلى الدخول في ديانتهم وهو ما حدث خوفا منهم، وذلك يفسر وجود الملايين منهم في العالم ويفسر الكتاب الذي استند على العديد من الدراسات في إسرائيل نفسها ولكنها ظلت سرية حتى لا تشير بلبلة كيف أن يهود إسبانيا يشكلون مجموعة من العرب الذين اعتنقوا اليهودية ومن الأوروبيين الذين اعتنقوا اليهودية أما «الاشكينا» وهم اليهود الغربيون المقيمون في ألمانيا، يؤكد زائد أن هؤلاء لم يأتوا من أرض إسرائيل كما يقال ولم يتوجهوا إلى أوروبا الشرقية قادمين من ألمانيا ولكنهم تحولوا إلى الديانة اليهودية في مملكة

خازار في منطقة القوقاز. ويفسر زائد أن أصل الثقافة اليديشية فهي ليست ثقافة قادمة من ألمانيا ولكنها نتيجة التواصل بين أبناء الخازار الذين اعتنقوا اليهودية والألمان الذين توجهوا إلى الشرق للتجارة.

ويقول زائد في كتابه الذي علق عليه توم سجينف أحد المؤرخين الجدد الإسرائيليين: إن الصهيينة كانوا في حاجة لأن يخلقوا لأنفسهم عرقا مشتركا واستمرارية تاريخية وهو ما أسفر عن سلسلة من الأكاذيب والاختراعات بالإضافة إلى تأليف نظريات عرقية ودمجها في عقلية الحركة الصهيونية ونتيجة لذلك فإن زائد يخلص إلى رفض كل النصوص والقصص التوراتية التي تشير إلى الهوية القومية اليهودية بما في ذلك الهجرة من مصر، بالإضافة إلى رفض كل المآسي التي قيل: إنها جرت مع عزرو جوشوا، وقال إن كل تلك القصص ما هي إلا أساطير غير صحيحة تستخدم كمبرر لإقامة الدولة الإسرائيلية وكمبرر لدعوة كل يهود العالم إلى العودة إلى أرض إسرائيل تبنها ديفيد بن جوريون وأسحق بن زفي وآخرون قبل ثلاثين عاما من إعلان الاستقلال في عام ١٩٤٨.

ويرى زائد في كتابه أن الحل الوحيد الآن هو إقامة دولة لكل المواطنين: اليهود والعرب وليس دولة يهودية كما تريد السلطات الإسرائيلية.

مجرد اجتهاد

كتب الأستاذ محمد الزرقاني في مقاله الأسبوعي بجريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٢٧/٣/٢٠٠٨ عن تنصير المصري «مجدى علام» يقول:

●● لعل المهم في خبر اعتناق المصري «مجدى علام» للمسيحية الكاثوليكية ليس هو «تنصر» هذا «الزنديق».. وقيل أن أتحدث عن المهم فإن مجدى علام هذا لا صلة له بمصر ولا بالإسلام منذ سنوات طويلة وعلاقته بهما مقطوعة تماما، وهو يعمل في إحدى الصحف الإيطالية وهو كما وصفته «زنديق» ليس له صلة بالإسلام - إلا بالانتساب إليه - وهو شخص لا خلاق له يعيش حياته منفلتا ولذلك فكما كان يعيش وهو مسلم فسيظل يعيش وهو كاثوليكي وما إعلانه اعتناق الكاثوليكية إلا وسيلة للتقرب من سادته الذين باع لهم نفسه المريضة والذين اشتروه بثمن بخس لكي يكون وسيلة لضرب الإسلام والعروبة وهم في ذلك واهمون!

●● والمهم في هذا الخبر هو قيام بابا الفاتيكان «بندكت» بنفسه بتعميد هذا الشخص «الزنديق» وهو بذلك يوجه رسالة إلى العالم الإسلامي والمسلمين في العالم كله بأنه ماض في طريقه الذي أعلنه صراحة من قبل وهو أن تنصير المسلمين مسألة «حياة أو موت» بالنسبة

له وبالنسبة إلى الفاتيكان، وهو طريق مسدود بالنسبة له وأيضا بالنسبة إلى «الفاتيكان»، ولو عاد إلى الوراء مشات الستين، لأدرك كم الوهم الذي يعيش فيه هو ومن ساندته وراء أسوار هذا «الفاتيكان».. فبعد مئات السنين قُتل البعثات التبشيرية التي صاحبت القوات الأوروبية الاستعمارية في كل بلدان أفريقيا وآسيا في أن تجبر أبناء هذه البلدان المسلمين على ترك دينهم واعتناق المسيحية بالرغم مما قامت به هذه البعثات من ترغيب قليل بالمال والغذاء ومن ترهيب كثير ورهيب مستعينة في ذلك بقوات وأسلحة المستعمر.. تعرض المسلمون في هذه البلدان لعمليات قتل وتكيد وتعذيب على أوسع نطاق وحرقت ودمرت قراهم ومدنهم وحوصروا بالجوع والعطش لإجبارهم على التخلي عن دينهم إلا أن الإسلام بقي راسخا في نفوس هؤلاء الناس البسطاء الذين أسلم أجدادهم عن اقتناع، أسلموا بقلوبهم وعقولهم، أسلموا مختارين وغير مجبرين.

الإنسان عدو لما يجهله..

وحبيب لما يعلمه

كتب د. عبدالله النجار في عموده «قرآن وسنة» بجريدة الجمهورية الصادرة في ٥/٣/٢٠٠٨ عن فكرة الغرب عن الإسلام والمسلمين يقول فيه:

يبدو أن فكرة بعض إخواننا من غير المسلمين عن الإسلام ليست حسنة، فهم لا يتصورون الإسلام إلا مصدراً للإرهاب، وخطراً على أمن البشرية وحياتها، ولا يرون المسلمين إلا أنصاراً لتلك المبادئ التي أشاعها الإسلام فيهم والتي لا تخرج عن كره الآخرين ونيل المعيشة معهم، والاستهانة الكاملة بالنفس البشرية والعمل على منع حمايتها، وهذا كله لا أساس له من الصحة، ولا ظل له من الحقيقة، لأن الإسلام هو الدين الذي يظهر فيه - واضحاً جلياً - الحرص على حفظ النفس الإنسانية لجميع البشر، وأنه يحظر على كل إنسان أن يمس بتلك النفس البشرية على نحو يؤذيها أو يهلكها، أو يلحق تلفاً بها من أي نوع، بل إنه هو الدين الذي يعلن في وضوح وصراحة حمايته لكافة حقوق الإنسان، ومنها - بجانب حماية النفس البشرية - حقه في حماية شرفه واعتباره، وحرية الكاملة في ممارسة جميع مفردات حقوقه كإنسان وما يدل على أن تلك الفكرة قائمة في أذهانهم وأنها تحتاج إلى تصحيح، أنني لم أكد أنتهى من كلمتي التي ألقيتها في اللقاء السنوي للحوار بين الأديان بين الأزهر ووقد الفاتيكان، بعنوان: (الإيمان بالله وحب القريب)، والتي ورد فيها أن الإسلام يحمي الكيان آدمي لكل إنسان بصرف النظر عن دينه ومعتقداته أو جنسه أو لونه، لأنه - أي آدمي - بناء الرب ملعون من هدمه،

وذلك على نحو ما ورد في الأثر الدال على ذلك، أقول: لم أكد أنتهى من كلمتي حتى طلب الكاردينال جان لوى رئيس وفد الفاتيكان التعليق على ما قلته، وبعد أن أبدى إعجابه بما سمعه من تعاليم الإسلام في المحافظة على النفس البشرية قال ما نصه: «أن هذا كلام جميل وطيب وأحسن ما فيه أنه يقال هنا في الأزهر الشريف»، وقد فهمت من عبارته تلك أنه يسمع هذا الكلام لأول مرة، وأنه يناقض فكرة راسخة في نفسه تختلف عنه، وأن تركيزه على ذكر هذا الكلام في الأزهر الشريف يرمي إلى أن فكرته عن هذا المعهد العريق كانت مختلفة عنها قبل سماع هذا الكلام، وربما كان فكره متأثراً بتلك المقولات الكاذبة التي تصف الأزهر الشريف بأنه معهد لتخريج الإرهابيين والمتطرفين، فلما سمع ما قيل استغرب ما سمع وعلق عليه بما يشير إلى أن ذهنه كان مشغولاً بفكرة مختلفة عنه. وهذا يؤكد المقولة الشهيرة التي جاء فيها: أن الإنسان عدو لما يجهله وحبیب لما يعلمه.

هزيمة الغرب، التنوير،

تحت هذا العنوان جـاءت افتتاحية الأهرام العربى الصادرة فى ٢٠٠٨/٣/١ ورد فيها:

أعادت أوروبا القرن الحادى والعشرين إلى ظلام العصور الوسطى فمتد سنوات تشن حملة همجية ضد الإسلام والمسلمين

وصلت ذروتها فى نشر رسوم مسيئة للرسول - ﷺ - فى الصحف الدائمات كنية للمرة الثانية بعد أن كانت الصحف نفسها قاعدة الانطلاق منذ ما يقرب من عامين وبدلاً من الاعتذار لمليار و٢٠٠ مليون مسلم حول العالم تمادت فى التأكيد على موقفها بذريعة حرية التعبير وبذريعة التنوير الأوروبى وكلها ذرائع لا تنطلى على أى عقل غير ناضج.

فكيف يوافق الشعب الأوروبى بمختلف أجناسه وقومياته ولغاته على سب دين سماوى آخر فى وقت لا يستطيع أن يشكك مجرد التشكيك فى حادثة تاريخية هي المحرقة اليهودية التي يقال إنها وقعت فى ألمانيا النازية إبان حكم الزعيم النازى أدولف هتلر؟ إن فلاسفة ومؤرخين وكتاباً طالتهم المحاكمات بسبب التشكيك ليس فى وقوع المحرقة نفسها إنما فقط فى عدد القتلى.

وكيف لنا أن نصدق التنوير الأوروبى وحرية التعبير والتشدد بحقوق الإنسان فى وقت يتحول فيه قانون معادة السامية إلى سوط يطارد كل من يقترب بالسؤال عن مدى مصداقية المحرقة النازية أو الرؤية الصهيونية لتاريخ فلسطين العربية أو حتى سب السلوك اليهودى وليس الديانة اليهودية التوحيدية وكيف لأوروبا التي قبل إنها عانت من محاكم التفتيش وظلام القرون الوسطى أن تعمل

على إرجاع الزمن لإشعال حروب الكراهية قهيدا لحملة صليبية جديدة بذرائع دينية ساذجة؟

مجلس يستحق الرثاء..!!

تحت هذا العنوان كتب محرر «الجمهورية يقول» فى ٢٠٠٨/٣/٣ يقول:

يقف مجلس الأمن الدولى الخاضع للوصاية الأمريكية عاجزاً عن إدانة الجرائم التي يرتكبها مجرمو الحرب الإسرائيلية فى قطاع غزة من قتل للأطفال والنساء وقطع الطريق على سيارات الإسعاف وتدمير المساجد بالصواريخ، وتحول القطاع إلى محرقة وقودها من جثث المدنيين الأبرياء العزل من السلاح المحاصرين من كل جانب.

إن مجلس الأمن الذى نصبته الولايات المتحدة الأمريكية متصرفاً فى شئون الدول يستحق الشفقة بل الرثاء لعجزه الفاضح عن حماية الموائيق والمعاهدات الدولية التى قام على أساسها ومن أجلها وترك قوة عظمى غاشمة ودولة إجرامية تابعة لها تكتبان بدماء الأبرياء فى غزة شهادة رسوب المجتمع الدولى فى امتحان حقيقى للحفاظ على حقوق الإنسان بينما نراه يستأسد فى امتحانات أخرى مفتعلة وبحرك جيوش القتل والتدمير ضد الشعوب الراقضة لقوى الهيمنة والاستغلال.



سين المجلة و القارة

إعداد وتقديم
أحمد تقي الدين

وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

ولا تزال المعركة التي يشنها الصليبيون الجدد ضد الإسلام مستمرة فبعد تصريحات وتصرفات لا مسؤولة صدرت عن الرئيس الأمريكي جورج بوش ونظامه الحاكم في الولايات المتحدة.. وأخرى مشابهة لبابا الفاتيكان طلع علينا نائب في البرلمان الهولندي «فيندرز» بقيلم بهاجم الإسلام ويصف كتابنا المقدس «القرآن الكريم» بأنه كتاب قاسى، وبأن نبينا إرهابى!! ويبدو أن هؤلاء لم تأمرهم كتبهم -التي يؤمنون بها- بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله على نحو ما هو ثابت عندنا في قرآننا الكريم وفي سنة نبينا ﷺ، ومجتمعاتهم وبيئاتهم كذلك لم تطالبهم باحترام ديانات غيرهم، إلا أننا مع ذلك لن ننزل فيما انزلوا فيه وسنظل على إيماننا بما أنزل الله وبما أرسل من رسل وأنبياء!

ولكن كان غريباً على الأمة الإسلامية بما تملك من مقدرات اقتصادية هائلة أنها لم تفكر يوماً في تعريف هؤلاء بالإسلام.. لم يفكروا إلا بعد وقوع كارثة الإرهاب الذي ألصق بالإسلام زوراً وبهتاناً!!

لم نحاول نشر رسالة الإسلام في الأرض وتعريف شعوب العالم به على ما تملك من مقدرات إعلامية هائلة، إلا أننا انشغلنا بالاستثمارات المالية التي درت بالفعل أرباحاً طائلة أعادت علينا بالوبال، إذ جلّيت إلينا كل وسائل الرفاهية والترف بشكل جعلنا ننسى واجبنا تجاه ديننا وضرورة عرضه وتقديمه وإبلاغه للناس في مشارق الأرض ومغاربها ولو فعلنا لكننا بالفعل قمنا بأداء حق فريضة الجهاد الأكبر.

ولكننا تكاسلنا وتفاعسنا، بل وأعرضنا حتى عن تقديم الإسلام لأبنائنا وأهلينا وعشيرتنا فخرج من بين صفوفنا للأسف من أساء فهم الدين وحقيقة الجهاد فعاث في الأرض فساداً وأساء إلى الإسلام أبلغ إساءة!!

قدمنا بأيدينا إلى عدونا السلاح لكي يفتك بنا ويهزأ من ديننا ويسخر من نبينا!! كيف لا والعالم كله يكاد يجهل حقيقة الإسلام ورسالة نبينا محمد ﷺ.

ولكن رغم كل ذلك يزداد انتشار الإسلام في أوروبا وأمريكا بصورة مذهلة وصار الإسلام هو الديانة الثانية في أوروبا من حيث عدد السكان والديانة الأولى من حيث الإقبال على اعتناقه.. فالارتداد عن الديانة المسيحية واعتناق الإسلام في أوروبا والولايات المتحدة أصبح ظاهرة تقض مضاجع صنّاع القرار هناك.. والفيلم الذي أنتجه وروج له البرلمان الهولندي «فيندرز» بقصد الإساءة والتشويه أدى إلى ارتفاع معدلات بيع المصاحف الالكترونية في هولندا بوجه خاص وفي كل أنحاء أوروبا بوجه عام.. إذ أطلع الكثيرون على نسخة الفيلم التي يجري بثها على شبكة الانترنت، فانطلقوا يبحثون عن الحقيقة وصدق الله العظيم:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ الْفَتْحِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(الصف: ٨)

القارة الأوروبية شهدت حالة إقبال غير عادية للتعرف على الإسلام والمثبات يعتنقون الإسلام.. وهو الأمر الذي أثار غضب طغاة العصر، إذا انتهز بابا الفاتيكان فرصة اعتناق صحفي مصري مقيم في إيطاليا للمسيحية، فقام بنفسه باستقباله وتعميده والاحتفال به بشكل غير مسبوق ومحاولة الادعاء بأن هناك إنساناً خرج من الضلال إلى الهدى بالارتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية.. وهي أمور لا نقدم نحن عليها مع ما نملك من وسائل إعلامية متنوعة وكثيرة.. ولكن ثلاثة هولنديين فعلواها بكل جرأة وشجاعة.. إذ اعتنقوا الإسلام وأعلنوا عبر شبكات الانترنت اعتناقهم له بعد اطلاعهم على ترجمة كاملة للقرآن الكريم أوجدت لديهم يقيناً كاملاً بكذب كل ادعاءات الفيلم الهولندي المشبوه وصاحبه «فيندرز» الذي أصابه الدهول عندما أخبره أحد الصحفيين بأن فيلمه تسبب في زيادة مبيعات كتاب المسلمين «القرآن الكريم» وأن أنباء مؤكدة تقول بأن عدداً من الهولنديين اعتنقوا الإسلام!!

أحمد تقي الدين

صبر القلوب

تحت هذا العنوان جاءت رسالة صديقنا الشيخ مصطفى الأزهرى - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - قال:

تمر بنا نحن البشر في رحلة الحياة الدنيا محن وفتن وأزمات قد تعصف بالإنسان وتهدد كيانه وتنهار النفوس أمامها وهو المخلوق من ضعف وهلع كما وصفه اللطيف الخبير بقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾

وكما أخبر عنه الخالق العظيم سبحانه - بقوله :

﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾

ونحن نرى الناس أمام الأزمات أو الابتلاءات التي تقع بهم سواء الابتلاء بالنعم أو الابتلاء بالنقم والمصائب لا يخرجون عما وصف القرآن هذه الطبيعية السطحية التي تفرح بالنعمة والمسرّة وتنهار وتضجر عند نزول المحنة ووقوع البلاء . قال تعالى:

﴿ فَإِنَّمَا

الْإِنْسَانُ إِذًا مَّا بَلَغَ أَهْلَهُ فَكُفِّرْ وَنَقَمْ فَيَقُولُ رَبِّ أَكْرَمَ
﴿ وَإِنَّمَا إِذًا مَّا بَلَغَ أَهْلَهُ فَكُفِّرْ وَنَقَمْ فَيَقُولُ رَبِّ أَكْرَمَ ﴾

وتلك هي نظرة المرء التملل فاقده المعرفة بحكمة الخالق جل وعلا في تصريف الأمور ، ولو أيقن المرء أن ربه ما خلقه ليضره أو يهلكه أو ينشقم منه بلا سبب بل لما فيه خيره وصلاحه ، ولو رأى يعين قلبه ما وراء قول الخلق عز وجل:

﴿ وَنَسِيَ أَن تَكَوُّرًا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُجِئُوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ
وَأَن تَعْلَمُوا أَنَّ شَيْئًا لَّكُمْ لَآتٍ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴾

لاستراح قلبه واطمأنت نفسه ولرضي - حقاً - بما قسمه الله له وقدره عليه ، من هنا ولعلم الله تعالى بنا نحن البشر فقد أنزل إلينا أدوية قرآنية تجدد فينا الأمل وتفتح لنا آفاقاً جديدة للحياة والصبر على ما فيها من صعاب وما يعتري المرء من أزمات ، فجاءت بالدعوة إلى (الصبر) آيات تنرى ، ويدأت توجيهاً لها لسيّد الرسل ﷺ ، " اصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا " " قاصبر صبر جميل " " قاصبر وما صبرك إلا بالله " ، آيات عديدة تحصن الحبيب المصطفى ﷺ وتزيده بأساً وقوة في مواجهة عقبات الدعوة وتكاليف نقل البشر من الظلمات إلى النور ، كما أخذت آيات مثلها بأيدينا لتخطى أزمات الحياة واختباراتها من بداية الطريق قال الله لنا:

﴿ وَتَسْتَلُوكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴾
﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

فالصبر واجب والرضا مستحب ، وعلى صخرة الصبر يتكسر اليأس ويتهشم السخط ، واليقين على الأجر والثواب يمنح صاحب الأزمة طاقة ليس لها مثل ويكفيه لو فكر قول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

أجل .. بغير حساب .. ، كما أن الصبر

طاقة إيمانية وروحية هائلة ، وهو كذلك على مرارة مذاقه له في قلوب أهل اليقين حلوة ليس لها نظير ، والعجيب أن يعتبره الإسلام أوسع أصناف العطاء كما أخبرنا رسولنا العظيم بقوله (وما أعطي أحداً عطاء خيراً وأوسع من الصبر) .

عفو رسول الله

من الأستاذ أحمد عبد المحسن على محمد - مدرسة الأورمان الثانوية للبنين النموذجية بالدقي جيزة كانت هذه الرسالة:

تخرصت الألسنة ، وليس ذلك يجديد عليها ، فقد استباححت لنفسها أن تتناول على رسول الله ﷺ بالإساءة بالرسوم التي إن دلت إنما تدل على ذلك الحقد الدفين الذي ملأ تلك القلوب الغلف على الأمة الإسلامية وقذورتها الذي كان يقابل الإساءة بالعفو والصفح والغفران ويكفيه شرفاً قوله تعالى فيه:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

القلم: ٤

وقوله عن نفسه « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

• واللافت للنظر أن كل تلك الأباطيل نقال والبعض من المسلمين لا يحركون ساكناً وكان الدنيا أعمت أبصارهم وحجرت قلوبهم وأصبحوا آبوا للغرب يتشدقون بكلمات لا تسمن ولا تغني من جوع كقولهم « حرية الرأي » في الوقت

الذي إن حاول الفلستينيون أو غيرهم التعبير عن غضبتهم لبلاذهم وما يحدث بها من انتهاكات وتنكيل لهؤلاء العزل من أبنائهم عدواً ذلك إرهاباً .. حتى صدق فيهم قول الشاعر:

والغرب ييسم ضاحكاً في ثوبه ..
وعقوق أمتنا النورم يفوح .

• هذه النفوس المريضة تنتقل فيها الأباطيل التي لا أساس لها من الصحة من مكان إلى مكان على سبيل السخرية واللمز يحرقون الكلم عن مواضعه ويكتمون ما يعرفونه ويشيعون الأكاذيب حول من يقف أمام أهوائهم ومطامعهم .

• ومنذ بعثته ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهؤلاء حريصون على نشر الأكاذيب لإيذاء رسول الله ﷺ ، ولا شك أن الحقد والعناد والأطماع على رأس الأسباب التي تحمل أصحابها على نشر تلك الأكاذيب حول غيرهم .

● إن أكثر الناس تعرضاً للإهانات الباطلة هم الأنبياء الذين أرسلهم الله - سبحانه وتعالى - لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ولخضهم على التحلى بمكارم الأخلاق.

● وهذه الأكاذيب ليست بجديدة على هؤلاء فقد سجل القرآن الكريم ذلك حيث بين أن مشركي قريش قالوا في شأن

توعية المسلم.. خير من حوار الطرشان

ومن الأستاذ / إبراهيم مسلم إبراهيم النجار - مدير عام تنظيم وإدارة سابقاً -
القاهرة - كانت تلك الرسالة:

● إننا نؤمن بأن الكلمة الطيبة قد تكون ثمرة في التعايش مع الآخر..
فالتزمت ليس من الإسلام.. إلا أن الغرب لا يعترف بذلك.. بل يحاربنا بكل الوسائل.. ولا غرو فقد بدت اليفضاء من أفواههم برفض القاتنيكان الحوار معنا انطلاقاً من اعتقادهم الخاطي أن دعوتنا إلى الحوار إنما هي ضعف المستهان.. ويتناسون أن أساس دعوة الإسلام تقوم على مبدأ الحوار والمجادلة بالحسنى قال تعالى:

● إنهم يريدون محو هوية الشرق العربي والإسلامي ووحدة الروحية الأصيلة التي زرعتها الآباء والأجداد عبر آلاف السنين للقضاء على إسلامنا الحنيف ومبادئه التي تشر بإنشاء حضارة أخرى جديدة تحتاجها الإنسانية.. ولأن ذلك يقلقهم ويقض مضاجعهم.. فكل همهم تحويل العالم عن قيادة رسول البشرية

(التحليل: ١٢٥)

ومعلمها الأول محمد ﷺ إلى قياتهم
الشريرة.. ولكننا نقول لهم: «كفاكم
عيا ولها بمقدرات الشعوب، فلا يستوى
أصحاب النار وأصحاب الجنة!! أصحاب
الجنة هم الفائزون.. ومهما حاربونا في
ديننا وعقيدتنا وأساءوا بحقدهم وغلبهم
إلى رسولنا الكريم وقرآننا العظيم.. فلن
يجدى ذلك معنا.. ولن نتأثر بإباطيلهم
وإساءاتهم فقد حيانا الله برسوله ﷺ
الذي وصفه بقوله الكريم:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾

(التوبة: ١٢٨)

● إن مصالحهم ودعواتهم كلها تتكبد في الدعوة إلى تشويه صورة الحضارة الإسلامية . وبذلك فإن ضعفنا أعطاهم الفرصة في التجرؤ والتطاول علينا ومعهم اليمين المتطرف من كبار الكتاب في الداخل والخارج ليفتوا في عهد الأمة ويقطعوا أوصالهم لتكون لقمة سائغة لأطماعهم ومخططاتهم ، وأصبح محتماً علينا أن نستعيد ثقتنا في ماضينا وحاضرنا بإعادة بناء المجتمعات في بلادنا لنساير الأوضاع العالمية الحديثة .

● وحيث إنه لا غنى عن الدين في الرؤية المستقبلية خصوصاً وأتينا جعلنا الله أمة هادية وحملنا أمانة تبليغ رسالته

فيجب علينا جميعاً أن نعمل على
تصحيح المفاهيم المغلوطة التي يعوقون
بها مسيرتنا... وننصورها كما يلي:

١- وضع استراتيجيات للتكافل الثقافي والديني بالتعاون الإيجابي بينهما خدمة الدعوة الإسلامية على أن يكون إعلاماً قوياً ومتفتحاً يتمشى مع متطلبات العصر.. فقد أصبح الإعلام هو معيار وعي الأمة..

٢- تقديم صحافة جادة ومتطورة تقوم على التوعية الإسلامية بإفراح المجال للأكفاء من العلماء والمثقفين وأصحاب النقد الخلاق لتربي جيلاً مبدعاً.. بدلاً من هذه الأساليب التي تبكي على الماضي وتبهرز بالحاضر ولا تسمن ولا تغني من جوع، اللهم إلا بعض المبشرات هنا وهناك.

٣- إن الضعفاء لا يصنعون أمة ولا
يبتون تهمة وعلينا مواجهة التحديات
الداخلية والخارجية والعمل على تنمية
فعاليات تمسك الأمة بدينها بمعالجة
وسائل الإعلام الحالية التي هي أحد
أسباب تدهور لغتنا الجميلة وانحطاطها
لانشغال الناس عنها والانصراف عن
الدين فالسخرية من الفصحى في الأفلام
والمسلسلات كارثة خطيرة، لأن اللغة
العربية أكثر يسرا وسهولة وقدرة على
التعامل مع مستجدات العصر، لذلك
لابد من إعادة النظر في مناهج الإعلام
والارتباط بجذورنا لأنها هي الأصلح.

نصائح لمرئادى الإنترنت

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ / محمد عباس محمد عرابى، قال:

- شبكة الإنترنت شبكة دخلت معظم البيوت، وهى سلاح ذو حدين تشتمل على الخير فتكون نعمة، وعلى الشر فتكون نقمة، لذا يجب على مرئادى الإنترنت استماع هذه النصائح حتى تكون عليهم هذه الشبكة نعمة لا نقمة:
- ١- لا تجعل الإنترنت يشغلك ويضيع وقتك فيما لا نفع فيه، فتتجول بين المواقع والمنتديات الساعات الطوال هدرًا لساعات عمرك على حساب واجباتك، وحقوق الناس عليك من أهل، ووالدين، وأرحام، أو وظيفة تكسب منها قوتك وقوت من تعول.
- ٢- إياك ومواقع الحوادث التى تبدأ فيها بالتعارف، وتنتهى بالندم، وأحرص على ارتياد المواقع والمنتديات المفيدة التى تضيف إلى علمك علما نافعا، وتوسع مداركك وآفاق معارفك.
- ٣- ألا يخلو الإنسان بجهاز الكمبيوتر بحيث يجعله فى غرفة مغلقة فإن الشيطان يحضر حينئذ ويبدأ يمارس مهمته المعروفة لإغراء الإنسان بالولوج إلى بعض المواقع بحجة التعرف والاستطلاع بل يجب أن يكون الجهاز فى مكان عام فى المنزل، وليكن المكث معه فى الأوقات التى يكون أهل البيت متواجدين فيها، فإن ذلك أبعد عن الشر.
- ٤- بما أن أطفالنا أصبحوا يعرفون كيف يستخدمون الإنترنت.. فمن الواجب أن نضع شروطا لهذا الاستخدام:
- أ- لا تعط معلوماتك الشخصية مثل عنوان منزلك ورقم هاتفك لأى شخص على شبكة الإنترنت إذا ألح أحد فى هذا الطلب تجاهله تماما وقل: لا، مهما كانت الأسباب التى يعطيه.
- ب- لا تتجاذب مع من تحدته بأى ألفاظ بذيئة أو غير لائقة لأن ديننا يحض على مكارم الأخلاق.
- ج- أخبر والديك بأية معلومات غير ملائمة تجدها على الشاشة وتشعرك بعدم الارتياح.
- د- لا تقابل أى شخص تتعرف عليه فى شبكة الإنترنت خارج المنزل.
- هـ- ضع جدولا بمساعدة والديك للأوقات التى تجلس فيها على شبكة الإنترنت وعن طول المدة المسموح لك بها إلى جانب الإنترنت.

انتهبوا أيها السادة.. الخطر قادم!!

تحت هذا العنوان جاءت رسالة حملت توقيع، مصري وطنى مخلص، قال فيها:

ظاهرة خطيرة فرضت نفسها على الساحة فى الآونة الأخيرة، وهى إقبال عدد كبير من تجار مصر الخروسة على جلب كافة المنتجات الصينية دون تمييز بين ما هو موجود من صنع محلى وما هو غير ذلك، مما يعنى ضرب الصناعات الوطنية فى الصميم تحت شعار الربح الوفير والربح فى حد ذاته لا عيب فيه، ولكن هناك عدة عوامل أهمها السعر الزهيد، ولم ننظر بعين البصيرة إلى الأسباب التى أدت لذلك وهى: المغالاة فى أسعار الخامات المستخدمة محليا وارتفاع أجور العمال الذين يقومون على هذه الصناعات، وكذلك الضرائب المتعددة التى تفرض على الخامات سواء محلية أو جمارك إن كانت مستوردة من الخارج، كما لو كانت كل هذه العوامل تضافرت لتفرض لنا هذه المنظومة المتكاملة التى أدت إلى تقهقر الصناعات الوطنية أمام الغزو الخارجى للمنتج الخلى ولكن أخطر هذه الظواهر: ظاهرة استيراد اللوحات والمعلقات التى كتب عليها آيات من القرآن الكريم أو أسماء الله الحسنى، أو بعض الأدعية الدينية الجميلة، والتى كانت تصنع فى مصر بأيدي عمال مهرة فى خان الخليلي

والنحاسين، وكانت مصدر رزق لآلاف الأسر التى توارثت هذه الحرف الدقيقة على مر أجيال عديدة، وعاش عليها تجار كثيرون وكانت معلما من معالم السياحة فى مصر توارت هذه الحرف والصناعات وانزوت فى ركن سحيق من السوق المصرى وظهرت مكانتها المنتجات الصينية مما يعنى ضياع حرف عاشت عليها أجيال ثم صار أرباب تلك الحرف عالة على المجتمع لعدم قدرتهم على مجاراة السوق الصينى الذى تفتح له الأبواب على مصاريعها لتقهر صناعاتنا فى ركن مظلم من الشارع السياحى «خان الخليلي» وأهدرت الطاقات البشرية على ما تملك من مهارة فنية نادرة، وأضيف طابور آخر من العاطلين إلى طوابير أخرى سبقت.

وعلى المدى البعيد لن يكون صناع خان الخليلي وتجاره هم الذين يتجرعون كأس الضياع، بل سوف تلحق بهم سوق السياحة لأن السائح سوف يجد فى أماكن أخرى متغاه بعد التمتع بالناحية الأثرية سوف يجد متعة التسوق وبأسعار رخيصة ونكون بذلك أضفنا بأيدينا خسارة جديدة.. فليتنا ننتبه قبل قوات الآوان.



إعداد الأستاذين / محمد جمعة - أحمد رضوان

في بيانها الختامي .. في دكار:

القمة الإسلامية تنهم إسرائيل بارتكاب جرائم حرب

اتهمت القمة الإسلامية في ختام اجتماعاتها بالعاصمة السنغالية «دكار» إسرائيل بارتكاب جرائم حرب ضد المدنيين الفلسطينيين كما نددت القمة في بيانها الختامي بالحملة العسكرية الإسرائيلية المتصاعدة في غزة، ودعا البيان المجتمع الدولي إلى الضغط على سلطات الاحتلال الإسرائيلي لإنهاء حصارها وعقابها للشعب الفلسطيني في القطاع. وطالبت القمة اللجنة الرباعية الدولية بالتحرك الفوري لمعالجة الأزمة السياسية والإنسانية الحالية. وأعرب قادة الدول الإسلامية المجتمعين في العاصمة السنغالية دكار عن قلقهم لاستمرار الخلافات بين الفصائل الفلسطينية، وأكدوا ضرورة إجراء حوار وطني لتحقيق المصالحة بما يخدم القضية الفلسطينية.

كما أعربت القمة الإسلامية عن دعمها للمبادرة العربية لحل الأزمة اللبنانية، وطالبت بانتخاب رئيس جديد في الموعد المقرر.

ودعا المؤتمر جميع الدول الأعضاء إلى إعادة فتح سفارتها في العراق وإلى تحريك الإجراءات لفتح مكتب تنسيق للمنظمة الإسلامية في بغداد.

كما نددت القمة بالرسوم المسيئة ضد الرسول ﷺ.

مستشرق إيطالية:

إسرائيل سبب البلاء في المنطقة ولا بد من إزالتها حتى يعم الاستقرار

أكدت ريتادي ميللو المستشرقة الإيطالية - أستاذة التاريخ العربي بجامعة روما - أن إسرائيل سبب كل البلاء في المنطقة العربية ولا بد من إزالتها حتى يعم الاستقرار وقالت خلال مشاركتها في فعاليات مؤتمر مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام والذي نظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: إن إسرائيل كيان غريب زرعه الغرب في المنطقة، وهي التي تنسب في الصراعات والاقتتال وعدم الاستقرار، وعلى اليهود أن يرحلوا ويعيشوا في العالم كله وليس في فلسطين.

وحملت دي ميللو الغرب والولايات المتحدة الأمريكية مسؤولية دعم إسرائيل في ارتكابها للمجازر الوحشية ضد أبناء الشعب الفلسطيني.

كما نددت دي ميللو بالاحتلال الأمريكي الغربي للعراق وأفغانستان وقالت يجب أن تخرج الولايات المتحدة من العراق وعن أفغانستان وتترك هذه البلاد لأهلها حتى تتوقف حمامات الدم التي سببها احتلالها لهذه البلاد.

دليل الطالب الأمريكي للدفاع عن إسرائيل

أصدرت جمعية (اكتب من أجل إسرائيل)، دليلاً للطالب الأمريكي يمكنه من الرد على الاتهامات الموجهة لإسرائيل ودحض جميع الافتراءات التي يوجهها أعداء إسرائيل لها.

جمعية «اكتب من أجل إسرائيل» توجه نشاطها لطلاب المدارس العليا في الولايات المتحدة، وطلاب الجامعات بهدف حشد الدعم لإسرائيل، والكتاب مكون من ثمانية فصول ويحتوي ردوداً على الاتهامات الأكثر شيوعاً لإسرائيل مثل: «اليهود غير راغبين للمشاركة في فلسطين ورفضوا حل الدولتين، والاحتلال الإسرائيلي غير مبرر وإسرائيل لم تبذل جهوداً قوية نحو السلام وقتلت الفلسطينيين أكثر من الإسرائيليين، وإسرائيل دولة عنصرية ولماذا يجب الدفاع فهي الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط والشريك والصديق الأقرب والأكبر للولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب».

ضغوط يهودية على واشنطن لمقاطعة مؤتمر ضد العنصرية

تعرض الإدارة الأمريكية لضغوط كثيفة من بعض الأوساط اليهودية لمقاطعة مؤتمر عن العنصرية، وذلك بسبب مخاوف يهود أمريكيين من أن يتحول إلى حدث ينتقد إسرائيل وممارستها.

وطالب السناتور الأمريكي اليهودي نورمان كولمان وزيرة الخارجية كونداليزا رايس في جلسة استماع أخيرة في الكونغرس بمقاطعة المؤتمر التزمع عقده العام القادم .
كما طالبت - الكاتبة الإسرائيلية كلوديا راست - واشنطن أن تكون قدوة للدول الأوروبية وتقاطع المؤتمر .

إسرائيل تحتج على كوستاريكا للاعتراف بدولة فلسطين

قررت إسرائيل إرجاء اجتماع كان من المقرر أن يعقده دبلوماسي إسرائيلي مع رئيس كوستاريكا احتجاجاً على قرار بلاده الاعتراف بالدولة الفلسطينية .
ونقلت إذاعة «صوت إسرائيل» عن الناطق بلسان وزارة الخارجية الإسرائيلية - آريه ميكيل - قوله : «إن إسرائيل وجهت إلى كوستاريكا رسالة أعربت فيها عن خيبة أملها من القرار الذي اعتمدته بشأن إقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع الكيان الفلسطيني .
واعتبر الناطق أن هذه الخطوة تتنافى تماماً وعلاقات الصداقة التي تربط كوستاريكا بتل أبيب منذ تأسيس دولة إسرائيل .

جريدة أمريكية توزع مجاناً كتاباً يتناول على الرسول ﷺ

أعلنت جريدة أمريكية أنها ستوزع مجاناً لمشتريها الجدد كتاباً لمؤلف أمريكي متطرف يسىء للرسول ﷺ ويتهمه بدفع المسلمين إلى قتل اليهود وبخيانة صلح الحديبية وخلق اضطرابات في العالم .
قالت مجلة «هيو من إيفنتس» الأمريكية الأسبوعية المقربة من اليمين الأمريكي والمحافظين والحزب الجمهوري ، أنها ستوزع نسخاً مجانية من كتاب للكاتب الأمريكي روبرت سينسر اسمه : «الحقيقة حول محمد ، مؤسس أكثر ديانة غير متسامحة في العالم» .

ويأتى قرار الجريدة الأمريكية بتوزيع الكتاب مجاناً برغم عدم نجاح الكتاب عند طرحه أول مرة وإثارته موجات من الغضب بين مسلمي أمريكا ضد هذا الكتاب الذي كتب عدة كتب تنهم الإسلام بالإرهاب .

وجاء توزيع الكتاب على الرغم من تعرضه لانتقادات من أكاديميين وخبراء في الدراسات الإسلامية للكتاب ، حيث قالت المؤلفة البريطانية «كارن أرمسترونغ» صاحبة كتاب محمد ﷺ قالت : إن هذا الكتاب مخطوط بالكراهية .. وبه أخطاء كبيرة ونجاهل للأدلة .

زجاجات خمور في باحات المسجد الأقصى

عشر حراس المسجد الأقصى على زجاجات خمرة فارغة في إحدى ساحات الحرم القدسي من مخلفات جماعات يهودية متطرفة ، دأبت على الدخول إلى ساحة الحرم من باب المغاربة الواقع تحت سيطرة شرطة الاحتلال الإسرائيلية . وقال الشيخ عكرمة صبري رئيس الهيئة الإسلامية العليا : إن هذا الحادث يؤكد أن المسجد الأقصى في خطر شديد وأنه يتعرض لعمليات تدنيس وعدوان مستمر .. وطالب المسلمين من غرب ١٩٤٨ بتكثيف تواجدهم في ساحات المسجد وشد الرحال إليه على مدار الأيام للزود عن قدسية وحرمته ومكانة المسجد المبارك .

وزير الداخلية الألمانية يؤكد أن الإسلام جزء من بلاده

في محاولة لتهدئة الأوساط العربية والإسلامية في ألمانيا ، بعد تصريحاته المثيرة للجدل التي أيد فيها نشر رسوم الكاريكاتور المسيئة للرسول ﷺ في الصحف الأوروبية ، صرح وزير الداخلية الألمانية بأن الإسلام أصبح جزءاً لا يتجزأ من ألمانيا ، وحذر وسائل الإعلام الألمانية من إثارة مخاوف الألمان من الجاليات المسلمة ، وقال في تصريحات لصحيفة «فرانكفورتر الجملانية» إحدى الصحف الألمانية القليلة التي أعادت نشر الرسوم : أن الغالبية العظمى من المهاجرين المسلمين الذين يعيشون في ألمانيا مسلمون ، وأن قلة فقط هي التي تسبب مشكلات ولا تندمج في المجتمع الألماني .

كما اقترح وزير الداخلية الألماني تدريس الدين الإسلامي في المدارس الألمانية في مسعى لمنع المسلمين في ألمانيا الذين يتجاوز عددهم ثلاثة ملايين نسمة من الوقوع في فخ التطرف - بحسب تعبيره - وقال الوزير في مقابلة مع صحيفة «سويديو تشيه زيتونج» متلجاً إلى كل الوسائل لوضع حد لنشاط دعاة الكراهية ، عندما تقدم دروساً في الإسلام في المدارس إنما نقف بشكل أو بآخر بوجه هؤلاء الدعاة المتشددون وأكد أن هذه الدروس ستعطي بالألمانية .

المقاطعة الإسلامية تضرب صادرات الدنمارك

أعلنت شركة دانماركية لمنتجات الألبان تخفيض إنتاجها بعد أن أدى غضب الدول الإسلامية بسبب إعادة نشر الرسوم المسيئة للنبي الكريم محمد ﷺ ، إلى الإضرار الكبير بحجم الطلب .

وأوضحت الشركة الدانماركية أنها ستخفض إنتاجها بمقدار ١٥٠ طناً أسبوعياً في مصنع .. لمنتجات الألبان شمال الدنمارك .

وتوقعت مصادر اقتصادية في كوبنهاجن تعرض شركات كثيرة لأضرار هذه المقاطعة .

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للاستاذ / عبد الموجود أمين موسى

بيان من الأزهر الشريف

ووزارة الأوقاف ودار الإفتاء المصرية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

فإنه في ضوء ما ورد إلى الأزهر الشريف، بشأن اعتزام عضو البرلمان الهولندي جيرت ويلدرز - بالإعداد لإنتاج فيلم تليفزيوني تحت عنوان: «القرآن الفاشي» يتضمن تطاولاً صريحاً على المقدسات الإسلامية، وفي مقدمتها القرآن الكريم باعتباره يحض على الإرهاب والعنف.

عقد مجمع البحوث الإسلامية جلسته يوم الخميس ٢١ صفر ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٨ فبراير ٢٠٠٨ م.

وناقش في جلسته الحملات المتكررة للإساءة إلى الإسلام ونبه والتطاول على رموزه وذلك بإعادة نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة إلى الرسول - ﷺ - في الصحف الدانماركية وغيرها.

وبلغ هذا المخطط مداه بقيام أحد زعماء التيار المتطرف في المجلس النيابي الهولندي بالإعداد لفيلم تليفزيوني بعنوان «القرآن الفاشي» بما يكتمل به إحكام دائرة وصم الإسلام كدين يأمر بالإرهاب والعنف والعداء لقيم المدنية والحضارة.

وإذا يكشف هذا الاتجاه عن تشويه للإسلام فاق كل الحدود بغية استعداد الرأي العام العالمي ضده وتصويره على أنه دين يقوم بالتصفية الجسدية للمخالفين، ويرفض التعايش مع الآخر، ويحض أتباعه على الكراهية وتدمير غير المسلمين، فإن في استمرار هذا المسلسل الظالم من شأنه أن يوجب المشاعر ويغرس بذور الكراهية في النفوس ويزعزع السلام العالمي وهو ما لا يرضاه الإسلام.

ويأتي التطور الأخير المتمثل في هذا الفيلم الوثائقي بغرض تأصيل هذا الشعور وتكريس هذا الانطباع لدى المسلم، وإنسان المدنية المعاصرة.

الرسوم المسيئة للرسول الكريم في شوارع التشيك

غلقت لوحات إعلانية تحمل واحداً من الرسوم المسيئة للنبي الكريم ﷺ والتي نشرت في ٢٠٠٥ في الدانمارك في شوارع جمهورية التشيك، حملت مجموعة اللوحات التي تم تعليقها توقيع مجموعة تطلق على نفسها اسم أصدقاء حرية الكلمة وكتبت تحتها «الحرية ليست مجانية»، وتعليقاً على هذه اللوحات قال وزير الخارجية التشيكي كارل شفاترستبرغ إن هذا الأمر لا علاقة له بحرية التعبير لدينا الذين قاموا بتعليق اللوحات وعدوانيتهم.

رئيس وزراء هولندا يحذر منتج الفيلم المسيء للقرآن

حث رئيس الوزراء الهولندي يان بيتر السياسي اليميني خيبرت فيلدرز على التفكير في العواقب المحتملة للفيلم الذي يعتزم إنتاجه والذي ينتقد القرآن وبرغم قلق الحكومة الشديد إلا أن رئيس الوزراء قال إن القرار النهائي يقع على عاتق فيلدرز.

كما خرج نحو ٥ آلاف شخص في مظاهرة حاشدة للتنديد بمواقف النائب الهولندي صاحب الفيلم المسيء للإسلام والقرآن الكريم، وتركزت المظاهرة في ميدان امستردام الرئيسي حيث رفع المشاركون اللافتات المؤيدة للحوار بين الأديان ورفض الصدام بينها واستقرار المسلمين.

وقد دعا زعماء إسلاميين وعلماء دين الحكومة الهولندية إلى العمل على وقف عرض هذا الفيلم تأكيداً لمبدأ التعايش السلمي بين الأديان.

مبعوث بابا الفاتيكان في القاهرة

نرفض الإساءة للمسلمين تحت دعاوى حرية الرأي

أعلن الفاتيكان رفضه لأي نوع من الإساءة لنبي الإسلام محمد ﷺ تحت دعاوى حرية الرأي والتعبير بمنطق الصحف الدانماركية والهولندية التي نشرت رسوماً مسيئة للمسلمين.

جاء ذلك على لسان الكاردينال جان لوى كوران رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان ومبعوث البابا بندكت السادس عشر للحوار مع الأزهر في المركز الكاثوليكي بالقاهرة.

دعا الكاردينال المسلمين والمسيحيين إلى مقاومة التطرف والدفاع عن مقدساتهم.

وترفض المؤسسة الإسلامية تصاعد هذا الاتجاه المناقش لكل تعاليم الأديان، وعلى رأسها الدين الإسلامي بصفة خاصة لأنه في جوهره رسالة سلام من الله الذي من أسمائه الحسنى السلام، أكدها القرآن الكريم في غير موضع بالدعوة الصريحة والقاطعة بين بنى البشر عبر الزمان والمكان.

وإذا يتولى هذا الجرح والجرح من زعامات تضطلع بمسؤولية رسم السياسات وصنع القوانين والتشريعات؛ فإن الطامة الكبرى تبرز في ذلك الصمت المريب من المحافل الدولية والمواثيق العالمية تجاه هذا النمط الفج من الاقتراءات المتلاحقة ضد الإسلام، عبر موجات لانتليث أن تهدأ حتى تشتد مرة أخرى وكلها تدور حول القصد المصمم على النيل من الإسلام والرغبة الدفينة في الإساءة إليه، وهيهات أن يحققوا مأربهم الذي يطفح بالتعصب الصارخ والتطرف الشديد.

وإدراكا من المؤسسة الإسلامية، للآثار المدمرة لهذا الفيلم وما على شاكلته من أعمال عداوية، ضد الإسلام، ونشر ثقافة الكراهية والازدراء ضد الأديان، وخاصة الإسلام فإنها تؤكد بقوة إدانتها واستكارتها لهذا الاتجاه بحسبانته يتناقض مع صريح مبادئ الإسلام وتعاليم الأديان السماوية في دعوتها إلى التسامح ونبذ ثقافة الازدراء والتعصب.

ورغبة في تأكيد هذه الحقيقة فإن المؤسسة الإسلامية انطلاقا من مرجعيتها

الإسلامية تناشد الضمير الإنساني والرأي العام العالمي التصدي لهذا الاتجاه المعادي للإسلام، المزدري لقيم الأديان وحرصا على وأد الصراعات وإماتة النزاعات، وتجنباً لتكريس المواجهة بين أتباع الأديان، وتأجيج نغرات الهيمنة وفرض النموذج المخالف للإسلام وهي تداعيات سوف تجلب على البشرية أحزانا ومآسى يعجز عنها الوصف.

وإذا تؤكد المؤسسة الإسلامية إيمانها بحرية الكلمة، التي جسدها القرآن المفترى عليه، في تقرير حرية الاعتقاد وحق التعبير؛ فإنه ينبذ على حبط هذه الحرية وحمايتها من الشطط والانزلاق في مهاوى التدمير والانفلات، فالحرية المطلقة مفسدة مطلقة، ومن ثم فإن حرية التعبير ليست بمعزل عن هذا الضبط؛ فهي تغف أو تتوقف عند الأديان والمقدسات لا يجوز لها أن تتخطى تخومها أو تزدرى أصولها ومقاصدها أو تنتقص من حقوق أتباعها وتسفه من عقائدهم وهوياتهم؛ فإن هذا - فضلا عن مخالفته لصحيح الإسلام - يتناقض مع الحدود الدنيا من حقوق الإنسان التي قررها لكل إنسان وصارت من منجزات عصر التنظيم الدولي.

وعلى هدى هذا وترتسب عليه؛ فإنه المؤسسة الإسلامية تشدد على ضرورة الالتزام بالثوابت الإسلامية نحو الإنسانية قاطبة، ونشر ثقافة السلام والتسامح، وإشاعة قيم المحبة والتعاون على الخير وما فيه صالح البشرية، بما يتطلبه ذلك من تعميق التواصل بين الأمم والشعوب وما يقتضيه من

نبذ آفات الكراهية والتعصب والتمييز ضد الإسلام وتعاليم الأديان السماوية، وضرورة احترام الهوية والمقدسات.

وقصدا لبلوغ ذلك فإن المؤسسة الإسلامية تهيب برموز الأديان وصناع القرار في العالم كله، والضمير العالمي، أن يقوم كل بواجبه نحو تبصير حكومة هولندا، وكذا حكومة الدانمرك بخطورة الخلط بين حرية التعبير عن الرأي واللدن في الإساءة والتناول على الإسلام.

وأن يعمل على سرعة إصدار قرار جامع وقاطع في تجريم ازدراء الأديان أو الإساءة إليها وأن يؤكد على احترام كل دين سماوي ويعترف بالتعددية الثقافية للأمم والشعوب.

وقد أصبح القيام بهذا الواجب ضرورة حتمية لتلافى الآثار المدمرة التي تتمخض عنها تلك الدعوات الهدامة لحق الله الخالق سبحانه وتعالى وحق البشرية ولحق الشعوب وحرى بالعقلاء أن يستجيبوا لنداء هذا الواجب، ونحسب أن هذا سيكون صنيع الحكومة الهولندية والدانمركية وغيرها.

﴿وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ أَكْثَرُ الظَّالِمِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(يوسف: ٢١)

أسئلة من الاتحاد العربي لمنظمات المجتمع المدني

أرسل الاتحاد العربي لمنظمات المجتمع المدني بعدة أسئلة تجميع البحوث الإسلامية طالبا الإجابة عنها، وجاءت الأسئلة وإجاباتها على النحو التالي:

السؤال الأول: ما هو الرأي الشرعي في مقترح بمنع تعدد الزوجات وتجريم إقدام الرجل على الزواج بأكثر من زوجة وحيله إذا ارتكب هذا التصرف؟

الإجابة: إباحة التعدد بشروطه الشرعية حكم شرعي قطعي الثبوت والدلالة ولا محل للاجتهاد فيه.

السؤال الثاني: ما هو الرأي الشرعي بعدم تجريم وعدم تحريم الزنا إذا ما تم خارج بيت الزوجية بالنسبة للمرأة وقصر تحريك الدعوى الجنائية ضد المرأة على إثباتها هذا الفعل في فراش الزوجية فقط؟

الإجابة: الزنا محرم قطعاً بأدلة قطعية الثبوت قطعية الدلالة سواء كان هذا الزنا في فراش الزوجية أم في غيره وبالنسبة للرجل والمرأة على السواء.

السؤال الثالث: ما هو الرأي الشرعي في إباحة الإجهاض في حالات الحمل السفاح الناتج عن علاقة غير شرعية وإباحة إعادة العذرية الصناعية من خلال طبيب لأي فتاة فقدت عذريتها مع عدم سؤالها عن الظروف التي فقدت فيها هذه العذرية؟

الإجابة: لا يجوز الإجهاض في حالات الحمل السفاح الناتج عن علاقة غير شرعية، كما لا يجوز إعادة العذرية الصناعية بحال من الأحوال.

السؤال الرابع: ما هو الرأي الشرعي في وقف تعرض الأباء للأبناء بعد سن الـ ١٦، وخاصة البنات وعدم سؤالهن - مجرد السؤال - عن علاقاتهن وعدم عقابهن عن

التأخر أو حتى المبيت خارج منزل العائلة؟
الإجابة: عدم الموافقة شرعاً على عدم التعرض للفتنة الوارد في التساؤل عنه في البند رابعاً.

السؤال الخامس: ما هو الرأي الشرعي في قيام الزوجة بإقامة الدعوى الجنائية ضد زوجها وعقابه بالحبس في حالة قيامه بالعلاقة الجنسية الشرعية دون رغبتها بما يسمى باغتصاب الزوجة؟

الإجابة: لا يجوز للزوجة أن تقيم على زوجها دعوى جنائية بحجة أنه مارس معها العلاقة الزوجية الشرعية دون رغبتها ولا يعد ذلك اغتصاباً.

السؤال السادس: ما هو الرأي الشرعي في تعديلات مقترحة لتعديل قوانين الموارث بحيث يتساوى الرجل والمرأة في الموارث تحت شعار المساواة بين الرجل والمرأة؟

الإجابة: أحكام الموارث محكومة بنصوص قطعية الثبوت والدلالة فلا يجوز تعديلها أو الخروج عنها.

السؤال السابع: ما هو الرأي الشرعي في مقترح يقول بتقسيم ثروة الزوج والزوجة مناصفة بينهما في حالة الانفصال بالطلاق؟
الإجابة: ترى اللجنة عدم الموافقة على هذا الاقتراح؛ لأنه يصادم النصوص الشرعية.

السؤال الثامن: ما هو الرأي الشرعي في صلاحية محاكم الأسرة في قضايا «الخلع» في حالة وجود حكم جنائي بحبس الزوجة

وتغريمها لارتكابها جريمة تعدد أزواج وتزوير وزنا، وهل يجوز الخلع في هذه الحالة مع وجود هذا الحكم الجنائي؟
الإجابة: ترى اللجنة أن لا محل لخلع في مثل هذه الحالة.

السؤال التاسع: ما هو الرأي الشرعي تجاه ما يقال بضرورة إعطاء أجرة للزوجة مقابل عملها في بيت الزوجية وخدمة زوجها وأولادها؟

الإجابة: عمل المرأة في بيتها من قبيل حسن المعاشرة الزوجية وتبادل المنافع بين الزوج والزوجة وحينئذ ليس من حقها أن تطلب أجراً على هذا العمل.

السؤال العاشر: ما هو الرأي الشرعي تجاه ما يقال في بعض الهيئات عن ضرورة إلغاء المهر المقدم للعروس عند الزواج باعتبار أن هذا المهر يحول المرأة إلى سلعة؟

الإجابة: لا يجوز شرعاً إلغاء المهر في عقود الزواج الشرعية لثبوت ذلك للمرأة بنصوص قطعية الثبوت والدلالة.

والله الموفق للخير والهادي إليه

حملة جديدة ضد الإسلام في أمريكا اللاتينية
وردت بعض التقارير الصحفية إلى مجمع البحوث الإسلامية تفيد بأن بعض الأشخاص في كيتو عاصمة الإكوادور في منطقة أمريكا اللاتينية قاموا بتوزيع كتيبات معادية للإسلام في وسائل المواصلات العامة هناك.

وقد لوحظ أن الكتيب قد تم طبعه في الولايات المتحدة الأمريكية باللغة الأسبانية

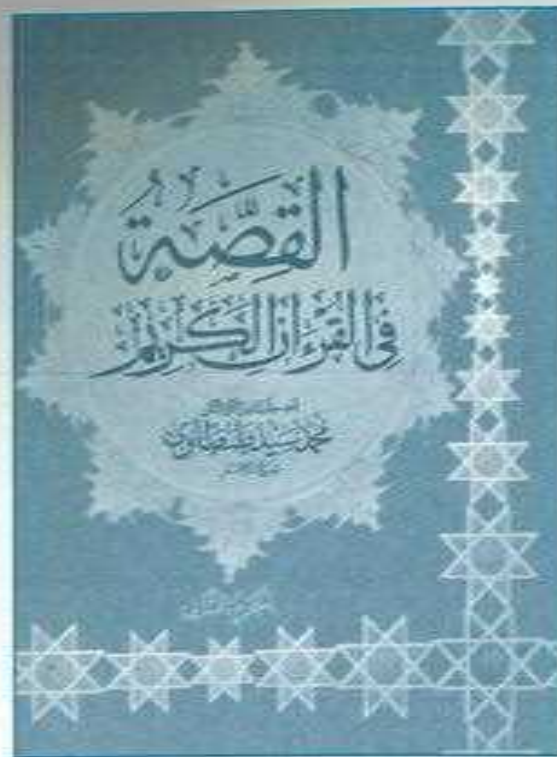
لتوزيعه في الإكوادور، وقد تكون هذه بداية حملة جديدة ضد الإسلام في منطقة أمريكا اللاتينية.

والجالية الإسلامية في كيتو تبحث الآن إعداد الرد المناسب على ما جاء بالكتيب من افتراءات على الإسلام والمسلمين.

القصة في القرآن الكريم

صدر عن مجمع البحوث الإسلامية كتاب: القصة في القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر، ويقع الكتاب في جزئين، وقد تناول فضيلته عدداً من قصص الأنبياء ساقها القرآن الكريم، وبعض القصص الأخرى لأقوام من المؤمنين وجاني آخر للمجاهدين الخاقدين، بدأها بأبي البشر وختمها بخاتم الأنبياء سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ بأسلوب سهل شيق، مظهرًا بلاغة القرآن الكريم، وما في القصة من الأثر العميق في النفس موضحاً عنصر التشويق وجانب الاعتاط والاعتبار.

ويظهر ذلك جلياً في الدروس المستفادة وما يؤخذ منها من عبر وعظات لكي تسلك الطريق القويم، ونسلم وجوهنا لله الواحد الذي أرسل رسله وأنبياءه برسالة واحدة وهي عبادته - جل شأنه - وبيان أن القرآن من عند الله - تعالى - وتسليية ومواساة لخاتم الأنبياء ﷺ.



والكتاب بعباراته وألفاظه السهلة الواضحة الجلية يدعو الآخرين إلى التفكير والعودة إلى دين الله الحنيف لما في القصص القرآني من شاهد ودليل على أنه من عند الله مصدقاً لرسالة نبيه الخاتم سيدنا محمد ﷺ.

مسابقة لجنة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

أعلن فضيلة الدكتور / طه مصطفى أبو كريشة مقرر لجنة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بمجمع البحوث الإسلامية أن موعد تلقي الأبحاث الخاصة بالمسابقة العالمية للإعجاز العلمي للقرآن الكريم والتي تنظمها لجنة وقف المستشار / محمد شوقي الفتجري بالاشتراك مع بنك فيصل الإسلامي المصري



تكريم فضيلة الإمام الأكبر

فلا يستطيع الإنسان أن يعيش بدون تغذية، ولا يستطيع كذلك أن يعيش آمناً إلا إذا كانت هذه التغذية صحية ومفيدة، لأن الغذاء غير الصحي، والإسراف يجعلان الإنسان فريسة لكثير من أمراض العصر.

وقد قامت كليتا طب الأزهر، وقلورنسا بتكريم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ما يقوم به من جهد في خدمة الإنسانية.

وقد اتسع المؤتمر لإحدى عشرة حلقة نقاشية شملت كل حلقة ما بين أربعة وخمسة أبحاث.

رأس المؤتمر كل من الأستاذ الدكتور إسماعيل شبايك عميد طب الأزهر، والأستاذ الدكتور جيوفاني أورلانديني عميد طب قلورنسا.

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر فعاليات المؤتمر الدولي الثامن عشر لطب الأزهر، والذي يعقد هذا العام بالتعاون مع كلية طب قلورنسا الإيطالية تحت عنوان:

(دور التغذية في الصحة والمرض)

وذلك بقاعة مؤتمرات الأزهر في الفترة من ٢٦-٢٧ من مارس ٢٠٠٨.

وقال فضيلة الإمام الأكبر في افتتاح المؤتمر: إن إيطاليا ذات حضارة عالية في العلوم الطبية وفن العمارة والبناء منذ قديم الزمان، وعلاقتها بمصر علاقة حميمة، وأشعر بالسعادة النفسية لاسيما أن موضوع المؤتمر من أكرم لوازم الحياة،

المرحلة الإعدادية: تلميذان.

المرحلة الثانوية: ٥ طلاب وطالبة.

والجامعة: ١١ طالباً و٣ طالبات.

وقى الدراسات العليا: ١٧٠ طالباً

إعلان نتيجة ترقيات الوعاظ

صرح فضيلة الشيخ / عبد الحميد الأطرش الأمين العام المساعد للدعوة بأنه تم إعلان نتيجة الترقيات.

فقد اجتاز الاختبار التحريري والشفهي من واعظ إلى واعظ أول عسدد اثنين وعشرين واعظاً وتم الإبقاء عليهم في محافظاتهم.

كما اجتاز أيضاً الاختبارات التي عقدت للترقيات من واعظ أول إلى موجه ستة وستين واعظاً وتم توزيعهم جغرافياً حسب المناطق التي بها عجز مع الإبقاء على الناجحين بأعلى الدرجات في محافظاتهم وتوزيع من عداهم.

كما اجتاز أيضاً في تلك الترقيات من موجه إلى موجه أول عدد عشرين موجهاً أولاً نظراً لحاجة المناطق التي يتواجدون بها فقد تم الإبقاء عليهم في مناطقهم.

على أن يباشر الناجحون عملهم الجديد من ١ / ٤ / ٢٠٠٨ ومن لم يباشر عمله خلال خمسة عشر يوماً يلغى قرار ترقيته ويصبح كأن لم يكن.

وقد عقد اجتماع لمديرى عموم مناطق الوعظ وحسبهم على المتابعة والاهتمام بعلماء الوعظ الجدد.

تحت عنوان «وجوه الإعجاز القرآنى فى اللغة أو الاقتصاد أو علوم الأحياء» قد تم تعديله من ٢٠٠٨/٣/٣١ إلى ٢٠٠٨/٦/٣٠.

وأن جوائزها ثمانى عشرة جائزة، وموزعة كالآتى:

- خمسة عشر ألف جنيه للفائز الأول.

- عشرة آلاف جنيه للفائز الثانى.

- خمسة آلاف جنيه للفائز الثالث.

كما تمنح جوائز أخرى تشجيعية بواقع ألفى جنيه بكل جائزة وعشرة آلاف جنيه جوائز أخرى بواقع ألف جنيه لكل فائز،

على أن تكون الأبحاث مكتوبة على الكمبيوتر بإحدى اللغات الثلاث (عربية - إنجليزية - فرنسية) وألا يقل البحث عن مائة صفحة ولا يتجاوز مائة وخمسين صفحة مصحوباً بملخص من عشرة إلى عشرين صفحة والسيرة الذاتية للباحث.

٢٢٤ طالب سعودي بالأزهر الشريف

فى الإحصاء السنوى للطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف أكد فضيلة الشيخ / رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين بجميع البحوث الإسلامية أن عدد الطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف من المملكة العربية السعودية الشقيقة بلغ هذا العام ٢٢٤ طالباً وطالبة فى مختلف مراحل التعليم وهى:

المرحلة الابتدائية: ٢٠ تلميذاً و١٢ تلميذة.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

فضيلة الشيخ / عبد النبي فراج

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يؤكد:

لا بد أن يعاقب من يسيء للرسول أو الكتب السماوية أو الخالق عز وجل

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر بمكتبه يوم الإثنين الموافق ٢٠٠٨/٣/٣ وقد من الأساقفة الأمريكان برئاسة السيدة / جانيت بن - وتأتي هذه الزيارة بناء على برنامج تبادل الآراء والأفكار وتوضيح شئون الديانات السماوية وقدسيتهما من قبل هيئة أمدست الأمريكية والتي تعمل بهدف دعم وتنمية التعاون بين الشعب الأمريكي وشعوب منطقة الشرق الأوسط من خلال التبادل الثقافي.

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد في الأزهر الشريف، ثم قدم لهم شرحاً موجزاً عن التعليم بالأزهر الشريف وجامعته العريقة التي تمتاز الدراسة فيه بالوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى، كما أوضح فضيلته للوفد بأننا في الأزهر نقول بتعاون الحضارات ولا نقول بتصادم الحضارات، وأن لكل بلد حضارتها وتستفيد من بعضها البعض وهذا هو الإخاء الإنساني، وأن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون وأن الذي يحاسب على العقائد هو الله.

وقد أبدى الوفد أسفه الشديد عما ينشر في بعض الصحف الأوروبية من إساءة للرسول ﷺ، وأنه يقدر مشاعر المسلمين ويتعلم من إيمان الآخرين لأنه إذا أساء أحد لمشاعر السيد المسيح - عليه السلام - فهم يشعرون لذلك حيث إن هناك سوء فهم كبير.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر للوفد أنه لا بد أن يكون هناك خطأ أحمر بالنسبة للأديان ولا يسمح لأحد بأن يتجاوزها وهناك شيء اسمه الكرامة الإنسانية، ونحن ضد هذه الإساءة وضد من يقوم بها سواء من الشرق أو الغرب. ولا بد أن يأتي اليوم الذي يعاقب فيه من يسيء للرسول أو الكتب السماوية أو الخالق عز وجل وما لا يحارب هؤلاء فهو مقصر، وعندما يسيء أحد إلى السيد المسيح عليه السلام فنحن كمسلمين أشد غضباً منكم لأننا نؤمن بأن سيدنا عيسى نبي ومحبتنا لسيدنا محمد ﷺ، كمحبتنا لعيسى عليه

السلام ونحن نؤمن بجميع الأنبياء والرسول وديننا يأمرنا بذلك.

وفي نهاية اللقاء أعرب الوفد عن شكره لما قدمه فضيلة الإمام الأكبر من شرح لهذه الأمور التي كانت مستغلة على الأفهام.

الإمام الأكبر يستقبل وفد مجلس اللوردات البريطاني

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر بمكتبه يوم السبت الموافق ٢٠٠٨/٣/٨ وقد من مجلس اللوردات وكبار رجال الأعمال وقيادات المؤسسات المالية والاستثمارية العالمية بالملكة المتحدة برئاسة اللورد براين جريفش - يرافقههم الدكتور منير حنا - مطران الكنيسة الأسقفية بمصر وشمال أفريقيا والقرن الأفريقي والمطران الرئيسي لإقليم القدس والشرق الأوسط.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد ومرافقيه في الأزهر الشريف، وقد أوضح فضيلته للوفد بأن الدراسة في الأزهر الشريف تقوم على السماحة والاعتدال، واعتبار أن الناس جميعاً أخوة في الإنسانية، وأن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون، لأن الناس منذ أن أوجدهم الله عز وجل من أب واحد وأم واحدة، وكل إنسان له فكره وعقيدته واتجاهه ورأيه، ونحن نقول بتعاون الحضارات ولا نقول بتصادم الحضارات، لأن تصادم الحضارات يؤدي إلى انتشار الكراهية والحقد بين الناس وهذا يمثل خسارة فادحة للعالم بأسره كما أن العقائد لا إكراه عليها وأن لكل إنسان عقيدته، والذي يحاسب على العقائد هو الله، وأن الأديان السماوية كلها تتفق على مكارم الأخلاق وأن الصدق فضيلة والكذب رذيلة، وأن العدل فضيلة والظلم رذيلة، وأن التعدى والعدوان على الغير رذيلة، وهذه حقائق اتفق عليها العقلاء سواء أكانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهود، أي أن هناك فضائل يجب أن نحترم وأن هناك رذائل يجب أن نتجنب، وعلينا جميعاً أن نحترم جميع الأنبياء والرسول وجميع الأديان السماوية، وأن أي إساءة إلى الأديان السماوية وإلى الرسل الكرام هي إساءة إلى الله عز وجل لأنه الله سبحانه وتعالى أرسل إلينا الرسل لهداية البشر، كما حث فضيلته الوفد أن يتضافروا مع المسلمين ويحاربوا كل من يسيء إلى الأنبياء وخاصة سيدنا محمد ﷺ، ولا تكون سلبين مع هؤلاء الذين يسيئون إلى الأديان السماوية والرسول الكرام لأن هذا فرض واجب علينا ومن لا يفعل ذلك يكون مقصراً في حق شرف الإنسانية، وفي هذه الحالة نكون قد وقفنا إلى جانب الحق وإلى جانب الفضائل لأننا كمسلمين نحترم سيدنا عيسى عليه السلام ولا نقبل إطلاقاً كمسلمين من يسيء إليه.

ومن جانبه شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر لحسن الاستقبال، مؤكداً كل ما قيل عن احترام الأديان السماوية والكتب المنزلة والرسول الكرام جميعاً، وأنه لا يوجد مسيحي مؤمن يقبل الإساءة إلى الرسل جميعاً، وطالب الوفد بأنه لا بد أن يكون هناك حوارات بين الشعوب وبين الشباب ولا بد من تفعيل التوازن بين مفهوم الحرية وبين حقائق الأديان.

وفي نهاية اللقاء أكد فضيلة الإمام الأكبر للوفد بأن الفضائل دائماً تنتصر ما دام الإنسان يدافع بقدر ما يستطيع عنها وعن الأديان وعن الرسل والكتب السماوية المنزلة.

الإمام الأكبر يستقبل سفير هولندا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الإثنين الموافق ٢٠٠٨/٣/٨ والسيد تشيرد دي زفان - سفير هولندا بالقاهرة.

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير في الأزهر الشريف وتأتي هذه الزيارة بشأن تقديم بيان من وزير الخارجية الهولندي لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يوضح فيه بأن الحكومة الهولندية تختلف بشكل جوهري في الرأي مع السيد ويلدرز - النائب بالبرلمان الهولندي حيث إن رأيه لا يمثل رأي الحكومة الهولندية في هذا الموضوع، وأن فهمه وإدراكه للإسلام لا يمثل منظور أو سياسة الحكومة الهولندية بأي شكل من الأشكال، وأن كافة الناس في هولندا لهم الحق في التعبير عن رأيهم بدون موافقة مسبقة من السلطات، وهذه هي أهم الحقوق التي يقدرها المجتمع الهولندي ولكن الشخص الذي يمارس هذه الحرية تقع عليه مسؤولية كيفية ممارستها كما تضمن البيان أن الإسلام يعد عنصرًا هامًا عندما يقوم الناس بالتعريف عن هويتهم وهوية الآخرين، وأن الاختلافات السياسية بدأت تظهر بازدياد على أنها تعبير عن الاختلافات الدينية مما أدى ببعض لأن يروا الإسلام على أنه تهديد وهذا خطأ بشكل واضح، ولا يجني أحد شيئًا من لوم الدين على العنف والطغيان، كما أوضح البيان بأن المسلمين يلعبون دورًا فعالًا في المجتمع والبرلمان الهولندي، والمجتمع الإسلامي في هولندا قد أثبت قدرته على الإدراك والوعي الخاص بمحتوى المناظرة التي تجري الآن في هولندا، وأن الحكومة الهولندية تحترم جميع الأديان بما فيها الإسلام، وسوف تستمر في محاربة الكراهية والتفرقة والتعصب والمتطرفين في كل النواحي، كما أكد فضيلة الإمام الأكبر للسفير الهولندي على خطورة عرض هذه الفيلم لأن هذا الأفلام التي فيها إساءة للإسلام وإلى الرسول ﷺ ليست صحيحة، وحث فضيلته السيد السفير بأن يبلغ الحكومة الهولندية بمداومة الضغط على النائب لمنع عرض هذا الفيلم لأن ضرره سيكون كبيرًا، ونحن نستنكر هذا الاعتداء على جميع الأنبياء بصفة عامة، ولا نسمح بأن يساء إلى سيدنا عيسى (عليه السلام) أو لغيره من الأنبياء.

اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف قرر المجلس الأعلى للأزهر أن يتم امتحان الطلبة الواقدين غير الناطقين باللغة العربية للتحققين بجامعة الأزهر في القرآن الكريم بواقع جزئين كل عام ليصبح عدد الأجزاء التي يتم الامتحان فيها للتقدم للدراسات العليا ٨ أجزاء، وأن يتم اختبار الطلاب الواقدين عند اجتيازهم امتحان الدراسات التمهيدية للماجستير في جزء عم للسنة الأولى وفي السنة الثانية في جزء تبارك وقبل مناقشة الماجستير أو الدكتوراه يتم امتحانهم في الجزئين معًا وتضم درجة الامتحان التحريري لدرجة الامتحان الشفوي كما تقرر الموافقة من حيث المبدأ على إنشاء معاهد متوسطة لتحفيظ القرآن الكريم.

الإمام الأكبر يستقبل وفداً عراقياً

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠٨/٣/٢٥ وفداً برلمانياً من عشائر السنة والشيعة العراقية مكون من الشيخ كاظم عبد الواحد - شيخ عموم قبيلة العيزان والشيخ صباح عرموش - شيخ عموم قبيلة بني مالك العربية والشيخ أحمد الغام - الرئيس العام لقبيلة آل غام والشيخ سيد هاشم رئيس عشائر السادة الاسماعيلية والشيخ كاظم عبود - رئيس عشيرة الكطارنة والشيخ خالد السعدون - شيخ عشائر السعدون وهم جميعاً من العشائر العربية النسب والانتساب وهي ممثلة بمحاذاة الحدود مع إيران وترفض الاحتلال بشكل كبير، ويعانون من مطرقة التهديد والاعتقال والتصفية وهم يعانون من نقص الغطاء الذي يوفر لهم أي حماية، وأن حمايتهم الوحيدة هي مبادئهم العربية والوطنية وأبناء عشائرتهم الملتزمين حولهم.

وقد أعرب الوفد عن أن مصر برئاسة السيد الرئيس محمد حسني مبارك ووزارة الخارجية المصرية لم تتوان عن توفير سبل التعاون، وهذا عهد مصر دائماً تجاه العراق بصفة خاصة، كما طالبوا بأن يمتد صوتهم لجميع الدول العربية والإسلامية من خلال لقاءاتهم بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذي له الكلمة المسموعة لدى عموم المسلمين للتكاتف معهم والوقوف إلى جانب الشعب العراقي مثل وقفة المسلمين الأوائل بالدعم الإعلامي والسياسي والمعنوي للتصدي لهذه الرياح العاتية.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر للوفد العراقي بأن العراق سنة وشيعة هم وحدة واحدة ولا يوجد بينهم فرق واحد فالكل يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والكل يصلي لله ويؤدي الزكاة ويحج البيت ويصوم رمضان والشيعة والسني يتصاهران من بعضهما البعض وأن وحدة العراق هي الطريق الوحيد الذي سيؤدي إلى نهضة العراق وعودته إلى سابق عهده متماسكا ومتربطاً، لأنهم من منيت واحد ويزرعون ويأكلون من أرض واحدة ويسبرون في قارب واحد.

كما أكد فضيلته بأنه دائماً يدعو إلى وحدة العراق لأنه مبدأ نعيش ونموت عليه، داعياً الله تعالى أن يكشف الغمة ويجنينا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

الإمام الأكبر يستقبل سفير تشاد

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف محمود آجي - سفير جمهورية تشاد في القاهرة - تأتي هذه الزيارة بمناسبة توليه العمل كسفير لبلادته في جمهورية مصر العربية - رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف متمنياً لسيادته إقامة طيبة في القاهرة والتوفيق في عمله.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر لهذا اللقاء وأنه يعتز بتواجده في الأزهر الشريف منارة العلم وبلقاء شيخ الأزهر، كما شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر والأزهر الشريف على عنايته بالطلبة التشاديين الدارسين بالأزهر والذي تمتاز الدراسة فيه بالوسطية والاعتدال.

{Or (even) did you reckon that you should enter the Garden, while as yet there had not come up to you the like of (the ones) who passed away even before you? Misery and tribulation touched them, and (they) were shaken until the Messenger and the ones who believed with him said, "When does victory from Allah (come)?" Verily, victory from Allah is surely near.}

[Al-Baqarah (The Cow): 214]

Allah recorded the event and conquest of Abrahah by the birds in Surat Al-Fil (The Elephant), as He says:

{Have you not seen how your Lord performed with the companions of the elephant? Did He not make their plotting go into great error? And He sent upon them baleful birds (in flocks). Throwing against them stones of baked clay; So he made them like green blades eaten (up).

[Al-Fil (The Elephant)]

Allah's saying came true, when He said,

{And in no way have We made the Wardens of the Fire except Angels, and in no way have We made their (right) number except as a temptation of the ones who have disbelieved, (and) that the ones to whom the Book has been brought may have certitude, and that the ones who have believed may increase in belief, and that the ones to whom the Book has been brought and the believers may not be suspicious, and that the ones in whose hearts there is sickness and the disbelievers may say, "What would Allah intend by this as a similitude?}

[Al-Muddaththir (Shrouded): 31]

The world, including the believers and disbelievers, recently is not watchful to the epidemics that spread and destroy the cattle and birds, leaving the human being powerless and frightened. I wish that the human being would resort to Allah to remove the calamity, which renders to the spoilage of the human being damaging the surrounding world. However, the human being is still lost in the darkness of misguidance. Allah, Glory be to Him, says:

{Corruption has appeared in the land and the sea for what mankind's hands have earned, that He may make them taste some (part) of that which they have done, that possibly they would return.}

[Al-Rum (The Romans): 41]

I told my companion, "Do the event of the Elephant and the response of Abd Al-Mottaleb to Abrahah suit sound thinking about the biography of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and Allah's method in the world and with His Prophets and Messengers? My companion said in persuasion and caution: Yes.

I was happy to hear my companion's answer and I said, "Can not we understand the event of sucking from Halima Al-Sadya in this kind and sublime respect? The, I said, "I hate to deal with it in this naïve and shallow way. I feel that we wrong our Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), and we do not reach the sound contemplation in the signs of the existence of Allah in this universe.

My companion said, "Shall we change history and its events and narrate the events incorrectly and falsely? I said immediately, "We shall not change history, as the Islamic history and the biography of the Prophet were narrated in faithfulness and honesty because they are the bases of religion. The life of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) is like a fresh and pure spring that does not include any turbidity or doubts. His biography perfumes history and his life is like a perfect pattern that we should follow to be guided.

My companion said, "What do you want then? What would you like to do with regard to history? I said, "I tell you and to the whole world that the Islamic history is completely pure and perfect. My companion said, "What do you want then?" I said in seriousness mixed with hope that my words become as lights that guide the generations and a pick that destroys the idols, "I hope that we understand history in faithfulness and present it in awareness.

He said, "How?" I said, "I feel disturbed to read the biography with unconsciousness. I refuse what is claimed about Halima Al-Sadya when she described the wet nurses who came to Mecca seeking infants and refuse to suckle Mohammad as he was an orphan till the end of the story. I really reject this foolish reason, but I do not deny the narration or the history.

However, I understood and realized the saying of the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) which is, "The precedent prophets and I resemble a house that is built by a man, but there is a missing adobe, which I represent."

The whole construction is completed by him; thus it is unreasonable that the one who completes the divine establishment and the last prophet to be presented to the wet nurses who refused him.

I believe that Allah, Glory be to him, kept Mohammad to Halima selecting her as she was poor. Her circumstances changed after she knew Mohammad in a way that is defined by the believers as, "When Allah wills something to occur to someone, He makes His preparations."

In the light of these bright words I understand this event, Halima described her circumstances when she reached Mecca saying, "I had an infant and a camel that did not give us a drop of milk, and we did not sleep the whole day due to the screaming of the infant. When I took this boy -The Prophet- my circumstances changed. Every time I tried to suckle him, my breast became full of milk. Then her son sucked and her husband used to find the camel full of milk.

Halima described that night as a blessed night, as they slept in a good status. Her husband said, "I swear that you took a blessed and kind breeze, do not you realize the welfare that occurred to us when we took him? She said, "I swear that I hope so."

I told my companion whom I found him full of awe for the facts I mentioned, "This is the most suitable saying to be attributed to the Prophet instead of saying that he is an orphan abandoned by the wet nurses, Isn't it?

Then, I added emphasizing that the Islamic history is pure and faithful. We should understand it with awareness and consciousness to repulse the ignorant people.

Translated by: Eman Ali El-Khateb .

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil

Out of the Inspiration of the Memorandum of the Birth of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)

By: The Honorable Sheikh. At-Taher Al-Hamedy

Theology scholars define a miracle as, "The extraordinary event that Allah, Glory be to him, reveals by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) certifying his "Da'wah." Also, they define the miracles that preceded Islam as uncommon events that Allah, Glory be to Him, reveals to His creatures to pave the way for Islam and the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

We can explain some historical events in the light of what is previously mentioned in a way that suits the above-mentioned definitions. Allah, Glory be to Him, sent the Messengers to the creatures, as He said:

{And for their disbelief and their speaking against Maryam a tremendous all-malicious (calumny).}

[An-Nisaa (The Women): 156]

We understand from the above-mentioned verse that Allah sent the Messengers as a mercy for the creatures. Also, He sent our Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) with miracles, and created some events to pave the way for the appearance of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

Thus, humanity welcomed greatly his birth, which is regarded as a mercy and guide for all of the creatures. The whole world expected that the Message of Mohammad will save humanity from the beastly decline in which humanity fell in. The Message of Mohammad was sent to save humanity. The coming poetic words express incredibly the state of the humanity welcoming the birth of our Prophet Mohammad:

When the world complained its suffering

To its creator

He saved it by sending Mohammad

With his religion to rescue it from danger

He came with light and Islam

To spread among the creatures as if it were rain

One of the historical events that took place to pave the way for the coming of Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) is the event of the elephant, which occurred on his birthday. This event was affirmed and evidenced in history, as Allah kept Abrahah and his troops from attacking the Ka'baa. I think that the significance of this event is that Allah, Glory be to Him, defended His Prophet and the inhabitants of Mecca as well as the Ka'baa from the outcomes of these events such as killing of fighters and capture of women and children.

If we think of the actions of the aggressor while Mohammad was just an embryo in the womb of Amina Bent Wahb, we can guess that she may fell, as many women, as a captive-Allah Forbids- in the hands of the aggressor. Thus, Allah protected her and the

Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) from this despicable situation. Also, Allah secured the Ka'baa and conquered Abrahah to be a model for every one who may learn the lesson.

We can understand in the light of this perfect Divine arrangement the conversation taking place between Abd Al-Mottaleb – The grandfather of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) – and Abrahah, the attacker and the aggressor. The following is a part of that conversation – as narrated in history – at the time when Abd Al-Mottaleb came to Abrahah who took his camels, and Abd Al-Mottaleb went to ask Abrahah to give them back to him:

Abrahah told Abd Al-Mottaleb in clear mockery and ridicule, "I thought highly of you when I saw you, but I disregarded you when you spoke." Abrahah said in arrogance, "How do you ask about your camels and disregard the Ka'baa, which I come undoubtedly to destroy?" Then, Abd Al-Mottaleb said in clear belief, as if he knows the divine secrets, "I own the camels, while the Ka'baa is owned by Allah who will protect it.

The saying of Abd Al-Mottaleb is extremely great, as he is the origin of the kind and honorable progeny. He had the prophecy light which descended from Adam till it reached him and Abdullah, his son. Then, a woman called Abdullah for the matter desired by any woman in an honorable man. She saw light glittering in his forehead, which is not seen by globalization callers in Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) being affected by the blind malicious globalization. Allah blinded their eyes as well as their hearts, and they will be destined to extreme torture.

Allah, Glory be to him, protected the Ka'baa by sending His soldiers in shape of weak creatures to awaken the heedless people who are lost in the misguidance of paganism. The believers and the followers of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) should defend their religion and their Prophet without fearing anyone. Also, they should not ask anyone for supporting them by money or any kind of sustenance. The power of tyranny will not succeed in changing Allah's Will.

{Surely the ones who have disbelieved expend their riches to bar from the way of Allah; so they will soon expend them; thereafter these will be (a cause) of regret for them; thereafter they will be overcome; and the ones who have disbelieved will be mustered to Hell.}

[Al-Anfal (The Spoils): 36]

The honorable Prophet informed us with this matter, and we are all witnesses. The mockery and ridicule that are practiced towards the greatest human being in the world is a kind of application for one of Allah's methods in his creation, which is a kind of test for the believers and the strivers for the sake of Allah and His Messenger,

{That Allah may discriminate the wicked from the good, and set up the wicked one upon another, (and) so accumulate them up altogether, and then set them up in Hell; those are they (who are) the losers.}

[Al-Anfal (The Spoils): 37]

Thus, it is a test for the strength of believers as they are right.

This, in brief, what was mentioned in the report. Moreover, Egyptian journals frequently described this as unprecedented right. Professors of law and society who were concerned of social reform matters wrote many articles about the subject since the establishment of ministry of social affairs in 1939. Many writer, however come to denounce the precedence of this rights They tried to prove that these rights have been crystal clear in Islam for more than fourteen centuries. Among those writes were the then famous Islamic scientists Muhammad Khalaf and Mohammadd Abou Zahra.

They really motivated many others to conduct a number of researches on the social insurance in islam .

Concerning social Insurance, those who are concerned called for the establishment of the institutes in the forties for "Social service" they declared that they follow Europe in this respect. It is true that this idea was brand new; however, the forms of this service were quite familiar in the bright Islam era for it established the cabinet of piety and chrity as represented in the activity carried out by the ministry of social Affairs. It also established the cabinet of a now represented in the ministry of Religious Endowments. It established a cabinet for collection obligatory donations and distributing them among the poor. It also established corner and small mosques to shield the disabled and the poor and to provide them with food, clothes and refuges.

In addition to this, it gave due care, to widows, divorced and single women and provide them wich special unions which were not familiar in western world then. It is clear, thus, these institutes were not enough. The unawareness of the Islamic civilization resulted in considering all that comes from the west as new. Forms of Islamic civilization should be mentioned to be ultimate human differences between the two trends.

The European Insurance law motives each individual to pay a small sum of money every month. The government then should save and invest it in great project. Both poor and rich should pay and benefit equally. And if someone needs to get more interests, he can double the amount of money paid to retain it when retired. Whereas for the Islamic Insurance according to the Islamic Insurance according to the Islamic countries, doesn't ask the poor or the disabled to pay a certain amount of money. It is, in fact, one of the countries duties to support the poor without anything in return. This shows That those who do not pay in the west are not offered any kind of help – the absence of the financial rights on becoming disabled losing a job, in contrast to what we can see in Islam. It is we who portion out between them their lively hood in the life of this world: and we raise some of them above others in ranks, so that some command work

from others. but the mercy of they lord is better than (wealth) which they amass) .(Al Zukhruf:32)

It is neither human nor just to deprive the poor and to ignore the disabled, robbing them out of their dignity. A nation resembles one body if there is a tired organ, the rest of the organs are tired as well. prophet Mohammed-peace be upon him – says: " you can be close me to thought helping the weak around you ". this hadith in fact, is very eloquent because it has many deep meanings it states the fact the satisfying the prophet will not be achieved only by mentioning his name repeat but by dedicating efforts for the poor. Those who only pray and fast with out giving any donations do not abide by Islam. It is worth mentioning that one of Abou Bakrs motivations for the break of Apostasy war was that people started to abstain from giving the obligatory donations.

Shawki described those who only pray and fast as follow:

Islam did not haphazardly impose social Insurance. it didn't enhance charity work to create a bunch of lazy people who just worship God in without doing anything and then got everything. Islam has established a set of rules, which solidify the whole nation as if a tree with fixed roots. The first rule prevents those who do not work – but can be able to do so – from being offered any kind of help. This is certainly fair enough because health is more powerful a grace than wealth. Health can bring wealth but this well never be reversed. God Almighty says: it is he who has made the earth Tractable for you , so walk traverse he through its tracts and enjoy of the substance which he furnishes : but into him is the Resurrection)

(Al mulk :15) .

Prophet Mohammed says: nothing is better than working for one self, Dawood, Gods prophet, used to work for himself.

Sometimes, however, the work performed is not equal to the revenues to be acquired. In this case, pioneers of the society should provide guidance for this whose jobs do not suit their physical and mental capacities. One can find a strong young man who keeps wandering a number of coffee shops, carrying cheap tools such as needles, pens and pins to earn few pennies which do not lift him up to the standard of a good way of living .

{And as the ones who have disbelieved were scheming to confine you, or kill you, or drive you out, and they were scheming, and Allah was scheming; and Allah is the Most Charitable of schemers.}

[Al-Anfal (The Spoils): 30]

From the English section Readers

comments "Opinions and Suggestions"

A comment from Mr. Badr Salamah, Al-Wadi Al-Gadid, Egypt reached the English section in Al-Azhar Magazine about the issue published in Al Moharram 1429. It was written by Prof. Ahmad Fuad pacha about the incident that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) asked Zaid Ibn Thabit to learn the Jewish language to translate the talks and speeches of the Jews. He learnt it fluently in forty five days, and in the narration of Abu-Dawood, fifteen days. Mr. Badr Salamah comments that we should take care of mentioning the talks dealing with the abnormal incidents; as learning a language is not that easy and takes a long time. For example, I graduated from faculty of art, English department, two years ago, and I work as an English teacher for more than a year. When I deal with a piece of translation, I still use the dictionary in addition to the simultaneous interpretation.

I do not deny the incident, but no doubt that the English section addresses the seculars readers who antagonize Islam. This is the way our Prophet dealt with his companions, as he selected the answers to their inquiries. One of them was attributed with fast anger and asked his advice, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) told him, "Do not be angry." We should learn from the Prophet in such things.

The English section thanks Mr. salamah for his comment and interest saying, "The Prophet informs the people about Allah, whatever the obstacles he suffered from the non-Muslims are." Allah said in the Noble Qur'an:

{O You Messenger, proclaim whatever has been sent down to you from your Lord; and in case you do not perform (that), then in no way have you proclaimed His Message; and Allah safeguards you from mankind. Surely Allah does not guide the disbelieving people.}

[Al-Ma'idah (The Table): 67]

Also, He says in the same Surah:

{The Messenger has only to proclaim the Message, Allah knows what you reveal and hide.}

[Al-Ma'idah (The Table): 90]

The Prophet told his companions "Inform the people about me with even a verse." The Prophet did not abide by the advice of Umm Hane', his aunt's daughter, who advised him not to inform his people about the Night Journey. Inspire of her faithfulness.

Social Insurance :

Precedence of the Islamic sharia to Impose it...!

By :Dr. Muhammad Rajab Al-Biomy

Many writers Worked on talking the subject of social insurance in Islam. They have mentioned the strict instructions stated by the true Islamic religion concerning the indispensability of the social insurance in Islam. Some of those writers quoted a number of holy passages which support this motto: where as, other preferred to follow western modeless in this field. They claimed that new social demands have resulted from the passage of time and hence, lights need to be shed on this issue. "social insurance", this expression did not spread among people until the break of the second world war.

"Insurance" did not have definite meaning, people always talking about mercy, cooperation, obligatory donations and compassion for the poor. then, the war negatively influenced the English society, increased poverty and left big numbers of handicaps and orphans there. So reformists, therefore, called for saving the souls of those victims." many "Beefrage" report appeared then to strike the whole world. Egypt was one of the countries which delegated some English researchers for adding a number of suggestions in this respect. Journalists and university professors believed that this report was one of

a kind. Editor in chief, professor Mohammad Abd Elwahed Khalf conducted an unequivocal research about the Economic suggestions mentioned in that report.

He stated the following : Undoubtedly, " Beefrage " project guarantees a new right for the individual. It supports a new social motto. Religion have always called for giving due attention for the poor, the weak and the disabled. Reformists asked for this as well, but it subject to the voluntary efforts carried out by individuals and groups moved by religion and merciful human emotions. However, these efforts had a limited influence.

with the development of societies and civilization, government through that aids should be provided for these groups to help them per form efficiently, yet, still this was not enough for solving the problem. "Beefrage" report, according to Khalaf, appeared to unite all these different plans and to clearly declare that each country has to protect its subjects against poverty from cradle to grave, and for better and worse. Good people are no longer behaving haphazardly. the whole subject runs according to the nations backing for the rights of the poor, a new right add to the French Revolution charter of human rights.

The disbelievers claimed that Mohammad learnt the Qur'an from a Christian man, implying that he was taught by a human being. Allah, Glory be to him, replied saying:

{And indeed We already know that they say, "Surely only a mortal is teaching him." The tongue of him about whom they blaspheme is foreign, and this is an evident Arabic tongue.}

[Al-Nahl (The Bee): 103]

They said that he is a poet or a priest. Thus, Allah, Glory be to him, said:

{Surely it is indeed the saying of an honorable Messenger. And in no way is it the saying of a poet-little do they believe-Nor the saying of a soothsayer-little are you mindful of! A successive sending down from the Lord of the worlds.}

[Al-Haqah (The inevitable Truth):40-43]

They said that he is a magician or a bewitched person.

{And the ones who have disbelieved have said, "Decidedly this is nothing except a falsehood he has fabricated, and other people have helped him to it." So they have already come with injustice and forgery. And they have said, "Myths of the earliest (people) that he has had written down so that they are dictated to him before sunrise and at nightfall." Say, "He has sent it down, (He) who knows the secret in heavens and the earth: surely He has been Ever-forgiving, Ever-Merciful." And they have said, "What is it with the Messenger that he eats food and walks in the markets? Had there not been an Angel sent down to him, so that he would be a warner with him! Or (had there been) a hoarding cast down to him, or (had) there been to him a garden to eat of?" And the unjust (people) have said, "Decidedly you are only closely following a man bewitched!" Look how they strike similitudes for you, so they have erred away, then they are unable to (find) a way! Supremely Blessed is He Who, in case He decides, will make for you a more charitable (thing) than that – gardens from beneath which rivers run, and He will make for you palaces.}

[Al-Furqan (The Criterion): 4-10]

The Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) was upset for their rejection, but Allah ordered him to get away from them and worship Him till a certain moment. The ways of hurting developed in away that they boycotted the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his companions belonging to Bani Hashim and bani Abd Al-Mottaleb. He was besieged and hurt while praying in front of the Ka'baa, as Uqbah Ibn Abi Mo'iat suffocated him by his clothes and spread awful things on his head.

In spite of all of this hurt, the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) was patient and not turning away from informing Allah's Message to the people to get them out of darkness to light. In Badr conquest, the disbelievers were killed and beaten by the minority of the weak Muslims.

{How often a little community has overcome a much (larger) community by the permission of Allah; and Allah is with patient.}

[Al-Baqarah (The Cow): 249]

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) ordered the Muslim to kill Abi Moaiat. The Muslims dug a hole to bury the murdered disbelievers, while the Prophet asked them, "Did the saying of Allah come true? I found that the saying of Allah came true." Abu Lahab died after Badr conquest disdained and discarded. Allah drove the disbelievers back from the Muslims who were disdained by the disbelievers. Allah, Glory be to him, said:

{Surely we suffice you against he mockers.}

[Al-Hijr (Thamud's Habitation): 95]

{O you Prophet, Allah is enough for you and (for) the ones of the believers who closely follow you.}

[Al-Anfal (The Spoils): 64]

The Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) and the believers did not fear anyone but Allah. The disbelievers tried to frighten the Muslims after Uhud conquest, but they said, "Allah will sustain us." Allah, Glory be to Him, punished those who hurt the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him).

Al-Bukhary narrated in his book, Al-Manaqib, a chapter dealing with the signs of prophecy about Anas (may Allah be pleased with him) who said, "Christian man became a Muslim after being Christian, and he read Al-Baqarah and Al-Imran. But, he became Christian once more. He used to say that Mohammad does not know except what I wrote. When he died, he was buried, but at the morning the earth ejected him. His people said that this is the act of Mohammad and his companions. They dug a deep hole, but the earth ejected him. They said it is the act of Mohammad and his companions who disintombed him when he fled from them. They dug a very deep hole, but the earth ejected him once more, then they knew that he does not belong to the people, the matter that let them throw him.

Thus, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) suffered from hurt and mockery at every age including his life and after his death. But Allah protected him and repulsed the mockers and cunning people. Allah, Glory be to him, said:

{Surely we suffice you against he mockers.}

[Al-Hijr (Thamud's Habitation): 95]

Also, Allah, Glory be to Him, said:



﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

At the Memorandum of the Prophet Mohammad
(may the blessings and peace of Allah be upon him).

If they knew his attributes and the reality of his Message,
they would not ever attack him, but they become sincere followers!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

My family and I were visiting London thirty years ago. We went shopping in one of the well-known shops, and my son, Mohammad, was preoccupied with watching the displayed items including the attractive moving games. Thus, he became far from us, and I had to call him to join us. One of the shop employees heard my call and said a sentence full of blame. "How do you call your son Mohammad?" I answered her saying, "What is the reason for blaming me?" She said that Mohammad was a highwayman that attacked the caravans killing the people and robbing their properties and money. He turned the people's life into hell. I asked her, "Are you educated?" She said, "Yes, I have a bachelor degree in business administration. I asked her, "How have you attained this information?" She said, "Since my childhood, I used to hear this information from our teachers and religious men. She added that this piece of information can not be doubted.

I asked her once again, "Did not they say that Mohammad is Allah's Messenger to guide the humanity?" Thus, how could he be ordered by Allah to guide the humanity while committing such acts? Your teachers and priests are not the first people to offend the Prophet Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him). When he announced his Divine "Da'wah" call, he asked the people to worship Allah only leaving the idols, avoiding burying the newborn girls in the sand. He asked the people to treat the weak, poor, widower, ill, young and needy kindly. Also, he asked the people to be kind to the neighbor bearing his harm, if he is evil, and not to hurt anyone by hitting, abusing, disdaining or insulting.

Although he called the people for sublime attributes – in the point of view of the reasonable- he was abused, disdained and accused of being a poet wandering at every place, a soothsayer claiming the knowledge of the unknown, a mad man saying nonsense. The serial of hurting and insulting started from the first moment of declaring the "Da'wah". When he called his people and family, his uncle, Abu Lahab said, "May evil befall you, are you collecting us for such a thing? Allah, Glory be to Him, said:

{Would the hands of Abu Lahab be cut up, and would he be cut up (too)! In no way did his wealth avail him, neither whatever he earned. He will roast at a flaming fire. And his wife, the constant bearer of firewood. Upon her (long) neck she will have a rope of palm-fibers.}

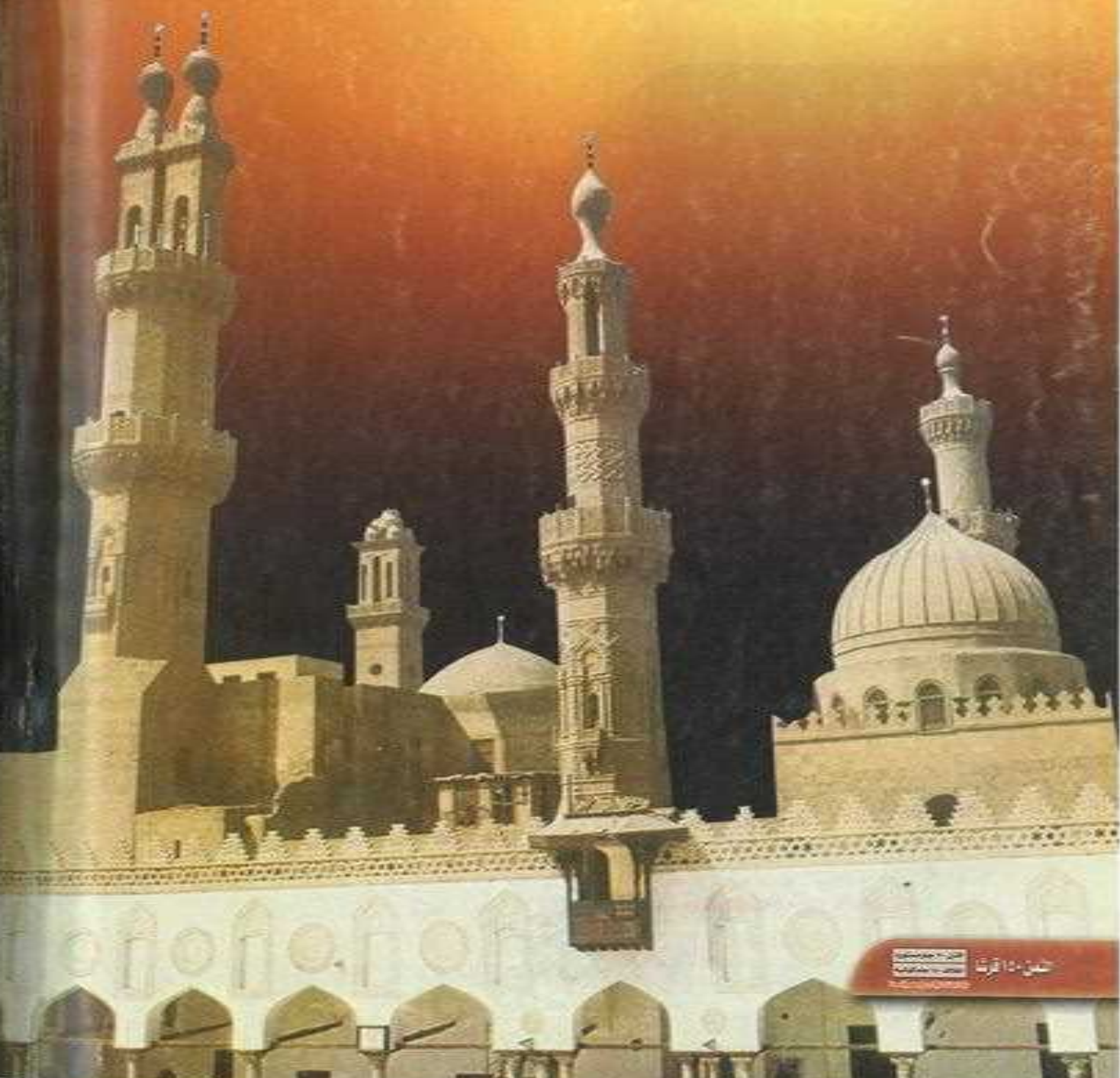
[Al-Masad (The Palm-Fibers)]

الفهرس

- محمد بن عبد الله في مرآة الكاتب الأمريكي واستجته البرقع
للاستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي ————— ٤٨٠
- تفسير سورة آل عمران
للفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ————— ٤٨٤
- السنة: قتل المؤمن يوم القيامة صدقته
للفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا القيومي ————— ٤٩٢
- الصلوة في ميزان الإسلام
للفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي ————— ٤٩٧
- طريق السعادة
للفضيلة الشيخ / عمر الديب ————— ٥٠٠
- خطبة الجمعة: رعاية اليتيم
للفضيلة الأستاذ / الدكتور أحمد الشرباصي ————— ٥٠٣
- العدل صدام الأمن في التجمع
للمستشار / حسن منصور ————— ٥٠٦
- غناية الإسلام بالأسرة
للاستاذ / عادل خفاجة ————— ٥١٣
- مواقف إسلامية: تساوت الرسوم وما تساوت النفوس
للاستاذ / الدكتور محمود عمارة ————— ٥١٦
- إبراهيم بن آدم
للاستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب ————— ٥٢٢
- قصة العبد: فاجر مرشد
للدكتور / أبي حسان ————— ٥٢٧
- المخطوطات العلمية المأرجحة في التراث الإسلامي
للاستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا ————— ٥٣٢
- حبيبنا المصطفى، قصيدة
للاستاذ الدكتور / محمد ————— ٥٣٨
- كيف تنصر فرعون؟
للكاتب / حمدي قاضي ————— ٥٤٠
- الدين في حياة الإنسانية
للاستاذ / صديق بكر عطية ————— ٥٤٥
- تأملات فقهية في حياة النبي
للفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي ————— ٥٥٠
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرن الكريم والسنة النبوية
للفضيلة الشيخ / فوزي الزقزاق ————— ٥٥٤
- المؤتمر العشرين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
للاستاذ / عاطف مصطفى ————— ٥٥٩
- مواقف مؤلف
للكاتب / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ————— ٥٦٦
- أرجوزة العبد: خالد بن الوليد
للكاتب / أحمد شوقي ————— ٥٦٩
- سبيل وحدة الأمة
للاستاذ الدكتور / أحمد عبد الرحيم السامح ————— ٥٧٢
- استفتاءات القراء
بجيب عن الأستاذ الدكتور / علي جمعة ————— ٥٧٦
- تيار المرجعية الإسلامية في نموذج التقدم
للكاتب / محمد عمارة ————— ٥٨٠
- كتاب الشهر: أوامد الشرق الأوسط
عرض وتحليل / إبراهيم عوضين ————— ٥٨٥
- لبنان بين الفراغ الرأسي وتشكيل الحكومة الجديدة
للاستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد ————— ٥٩٠
- بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذين: محمود القسبي - علا عبد الرحمن ————— ٥٩٦
- بين الرحلة والقارئ
للاستاذ / أحمد السيد تقي الدين ————— ٦٠٢
- أنباء العالم الإسلامي
للاستاذين: محمد جمعة - أحمد رضوان ————— ٦١٠
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية
للاستاذ / عبد الموجود أمين موسى ————— ٦١٥
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
للفضيلة الشيخ / عبد القوي قراج ————— ٦٢٢
- القسم الإنجليزي
إشراف وإعداد / أ. / إبراهيم الأصيل ————— ٦٣٧

AL AZHAR MAGAZINE

Rafiq-J-Akhar, 1429 H, Apr. 2008,
Vol. XI, Part IV.



هدية العدد
الأسرار النبوية
في التفسير والحديث
الجزء الأخير

الأبهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ - مايو ٢٠٠٨ - الجزء ٥، السنة ١٠، ١

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ فَذَلِكَ الَّذِي
يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ



بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

الاشتراك السنوي

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩

جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ - مايو ٢٠٠٨ م - الجزء الخامس - السنة (٨١)



مكتبة الأزهر الشريف

الرقم المكتبي
الرقم المجلدي
العدد
اسم المكتبة

مجاملة المراهقات بالمديح الكاذب

(مثال رائع للدكتور طه حسين في توجيهه النقدي)

حاولت أن أبرّد عواطفى حين مسكت القلم لأكتب هذا المقال، إن وهجا سخينا قد شبّ في عروقي حين سمعت أحد نقاد اليوم يتكلم في حماسة حارة عن قصة ساذجة لبعض المستذئبات ممن لا يحسن قواعد الإملاء والنطق المتواضع، فضلا عن تصوير الأحداث، واستشفاف الخوارج. وقد شاء حظ الكاتبة أن تقع قصتها في يدي من قبل، فأخذت أقرؤها لأتفقه وأستمع!! فجعلت أنفك وأسترجع..... ثم يجيء الناقد فيرتفع بالقصة وكأنها أثر خالد لبعض العبقريات! هنا شبّ الوهج في صدري، وأخذت أقلب كفا فوق كفا.

وقبل كل شيء أعلن أنني أقدر أدب المرأة الموهوبة، وأعرف من شاعرات الأمس واليوم من يقفن مع كثير من الرجال في مستوى رفيع! بل أعرف في شعر المرأة حنانا يفجر الماء من يابس الصخر، ولوعة مكظومة تزين لفائف القلوب، كما قرأت روائع القصص للمعاصرات من أمثال مي زيادة وسهير القلماوي ونبت الشاطيء وأمينة السعيد ولطيفة الزيات ووداد سكاكيني وأمينة الصاوي، إذن فلست خصيما لشعر المرأة وقصصها، ولكني مشغوف بروائعها، ولست وحدي في ذلك فإن توفيق الحكيم في صدر شبابه حين كان يتباهى بأنه عدو المرأة قد أنصف مقدرتها القصصية وقال فيما قال: (مجلة الثقافة



توفيق الحكيم

«إن الشعور والتحليل هما الدعامة التي شيدت عليها المرأة كل آثارها الخالدة، في تاريخ الأدب والفنون فمن شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام إلى سافو إلى مدام دستان وجورج ساند، وجورج إليوت، إلى كوليت وماري وكاترين وسجريد أندست وكلهن قد ارتفعن متألقات في سماء الفن، على أجنحة العاطفة الرقيقة، وكلهن قد أظهرن من البراعة في التحليل ما قصر عن إدراكه كثير من نوابغ أهل الفن من الرجال، والتحليل هو الملكة التي لا بد منها لكل كاتب يعالج الرواية الخالصة، فهذا النوع من الأدب إنما يقوم على النفوذ الرقيق إلى نفوس الناس، وضمائر الأشخاص.. وهنا استطاعت المرأة بالفعل أن تظهر من طول الباع، ومن قوة الجلد على تحليل التفاصيل ما أثبت لنقاد الأدب أن الرواية الخالصة نوع توشك أن ترفع فيه المرأة علم السيادة».

هذا بعض ما قاله توفيق الحكيم لا كله، وإذا كان ما قال شهادة رائعة للأدب القصصي الذي تبدعه المرأة فإنه من ناحية ثانية جعل هذا الإبداع قائما على النفوذ الرقيق إلى نفوس الناس، وضمائر الأشخاص. وعلى قوة الجلد في تحليل التفاصيل، والعناية الكبرى بذكر ما يخفى على العين العابرة، ولم يتحدث الحكيم عن جمال التعبير الأدبي لأنه أمر مفروغ منه بدءا. ولا بد لكل موهوب أن يمتلك ناصيته قبل أن يلج إلى تحليل المشاعر، وسرد التفاصيل، فإذا جئنا اليوم إلى هذا الطوفان المكتسح الذي يتدفق في السلاسل الأدبية الحكومية وغير السلاسل الأدبية الحكومية، فهل نجد لدى الفتيات في قصصهن الساذجة غير ما نجد في مذكرات التلميذات بالمدارس الثانوية! والهازلات منهن بنوع خاص، هؤلاء اللاتي يجعلن الحب المبذل كل شيء قيما يكتبن، إذ لم أعرف لدى هؤلاء من عاجلت غير مواقف الحب الشريف والداعر معا! ولكن أي معالجة؟ إنها الرصد لأحاسيس المراهقة في نشور أدبي، لا يعرف طلاقة التعبير بل لا يعرف القواعد الأصلية للإعراب! ثم يجيء ناقد في البرنامج الثاني، أو على صفحة جريدة يومية فيقرن الشابة المسكينة بالشهيرات من أدبيات الغرب، ويمزج الحديث بمختلط ركيك من المصطلحات التي لا يدرك من معناها الأصل شيئا. وهو في بعض أموره وأحواله دكتور ومدرس بالجامعة!

وقد قلت في مقال متواضع نشرته بجريدة صوت الأزهر، إن كثرة هذا النوع الجسدي

المقرّر لدى فتيات القصة يؤكد أن هناك مخططاً خافياً يهدف إلى تسطيح الفكر الأدبي، وبعده عن النظر في القضايا الاجتماعية والسياسية والإسلامية التي تصوّر هموم المجتمع الإسلامي والعربي معاً، مع تيسير الوسائل السريعة لنشر هذه المنحدرات الهابطة على نطاق واسع، وما تكاد قصة ركيكة من هذا الطراز ترى النور المطيع حتى تقام الندوات للإشادة بها في البرامج الأدبية بالإذاعة وفي الصالونات المظهرية التي تحاول استرجاع عهد الأنسة مَيّ دون كفاءة واعية، وفي أعمدة الجرائد والمجلات التي يحتلها أناس لا يقرءون غير العنوان، ثم يخوضون في تهويمات هي أشبه باللغو السقيم! ولو قرءوا ما وصلوا إلى شيء.

لقد ألزمت نفسي ألا أشير إلى أسماء الفتيات والناقدين، وهذا ما يجعل المقال موضوعياً في اتجاهه الهادف، ولكني لا أجد مفرّاً من أن أضحك القارئ بما سمعت في ندوة بالبرنامج الثاني تحدثت عن قصة تبجل «إيزيس» ذات الشخصية المصرية العريقة ولكنه تبجيل السذاجة الغافلة التي لا تستند إلى منطق، وقد قالت المؤلفة العظيمة -عند نفسها وعند الناقد والمذيع فحسب-! إنها اختارت «إيزيس» بدّل (ليلي) هذه الرمة المدفونة في صحراء العرب ولا يحسها أحد في مصر، وكنت أنتظر من الناقد أن يستنكر هذا اللغو العابت، ولكن القول السخيف مضى دون تعقيب!! إن اسم ليلي ياهذه يوجد في كل صف من صفوف مدارس البنات بحيث يشتمل الصف الواحد على عدة ليلات! وما وجدت إيزيس في كشف من كشوف الأسماء، فكيف تكون ليلي رمة مدفونة بصحراء العرب لا يحسها أحد في مصر! ولديك أسماء الفنانات وهن أقرب إلى التفرغ المبهر، فمن أسمائهن: ليلي مراد، وليلي فوزي، وليلي حمادة، وليلي طاهر، وليلي علوي وليلي جمال، وليلي نظمي ومن لا أعرف من حسان هذا الميدان! ولست أجد مقام إيزيس فأنا مصري عريق، ولكني استنكر هذه الطفولة العابثة التي تهتف بما لا تعرف! إن اسم ليلي في الأدب العربي كاسم جوليت في الأدب الإنجليزي واسم شرين في الأدب الفارسي، وقد جرى المثل العربي بقول القائل: (كل يغنى على ليله).

أتريد مثلاً آخر لتناق الناقد غير المستماع؟ لقد تعرّض أحدهم للحديث عن قصة مبتذلة لكاتبة واهنة، كتبت في مجموعتها قصة شغلت ثلاث صفحات من صفحات الكتاب، وقد جعلت النصف الأسفل من الصفحة أبيض فارغاً من أي حرف، وكنت أنتظر أن يسأل الناقد عن سبب هذا التجديد المبالغ. ولكنه تبرّع من عند نفسه بالإجابة عن السر الذي لا يعرفه أحد، أبدري القارئ ما قال هذا الناقد المتعمق؟ إنه قرّر أن القصاصة

المبتدعة أرادت أن يتخيل القارئ أشياء تلهيها القصة فتركت له مزيداً من الفراغ، ليأخذ القلم ويدون في السطور البيضاء ما أوحى إليه! ومعنى هذا أن فتحاً جديداً قد ظهر في عالم التأليف القصصي، إذ على الكاتب أو الكاتبة فيما بعد أن يترك نصف الصفحة بيضاء، ليسجل القارئ ما يتخيل! وياله من فتح!

أترك حديث الندوات النقدية إلى بعض ما ينشره النقاد في الصحف، إذ تجدد من الغرائب ما لا يصدق، فالناقد محترم من هؤلاء لا يجد ما يقوله بوضوح، فيلجأ إلى تهويمات غامضة تقرأ سطورها فتفهم الألفاظ منفردة، ولكن المراد من السياق لا يسفر عن وجهه أبداً، ثم ينتهي بعد هذا الضباب المتراكم إلى مثل ما قاله ناقد بجريدة الأهرام عن قصة هلامية لا تعطى شيئاً ما غير النور الضائق:

«إن أسلوب الكتابة ينهل من موهبة صاحبه في التأمل والملاحظة والتقاط الصورة من بين الآلاف المشوشة في الحياة اليومية، وهذه الموهبة تثرى الفن القصصي بنماذج حية إذ الشحنات الوجدانية مهما كان من قيمتها بالنسبة للأديب فإنه من المؤكد كما يقول (مالرو) إنه لن يكون في وسعنا أن نحدد نوع نشاطه الفني بالاختصار على وجدانه أو إلهامه أو خياله».

هذا ما ختم به الناقد تهويماته الغائمة! أما كيف جاءت الشحنات الوجدانية بأثرها الفعّال في التأمل والملاحظة والتقاط الصور فهو مالم يستطع الإفصاح عنه! ولا بد أن يذكر (مالرو) في مجال التهويم ليدلّ على ثقافة الناقد وأما صور العبث الجسدي البغيض في المجموعة فهو بعض هذه الشحنات.

أنا لا أمنع التشجيع، والأخذ بالأيدى الضعيفة لتقوى وتشتد، فهذا حق الناقد، ولكن أي ناقد؟ إنه الذي يزن العمل بميزان متزن لا تميل فيه كفة عن وضعها الصحيح، ولكن ماذا نقول في مجلس مدهنة كالحة يتشح ظاهرياً بعباءة النقد لينتهي إلى تنويع من تخطيء في الإملاء والقواعد، فنقول: أخوكي، أرجوكي مخاطبة زميلتها الأنثى، ونقول: تعرفني حبي لك، وتعلمي موقفك منك! ولا تكاد تنصب مفعولاً، وهو أول ما يعرفه تلميذ المدرسة الابتدائية! أترك هذا كله! ويترك معه تفاهة العرض، وسطحية الحوار، وانحدار الهدف، ثم يقنع الناقد في غفلة، -متكلماً أو كاتباً- بأنه أدنى دوره الصحيح! وتخرج الكاتبة وقد أصبحت من رائدات القصة الحديثة، ونقول في شموخ: لقد جاءني من سترجم قصصي! وقد وافقت! هكذا سمعت!

وحديث ترجمة القصص حديث لافت للنظر، فنحن نعلم أن المستشرقين في الزمن

الماضي كانوا يهتمون بكتب التراث ترجمة وتحقيقاً، ونبع منهم في هذا المجال من خدم اللغة والأدب صادقاً أو غير صادق وفيهم من اهتموا بالقصة الحديثة -على قلة وندرة- فترجموا بعض آثار توفيق الحكيم ومحمود تيمور، ولم يكن نجيب محفوظ قد نال الشهرة معهما، فترتبت به الزمن حتى طغر بالجائزة النوبلية فترجمت آثاره، وتناقلها القراء في مودة وتقدير! ثم ذهب أساتذة الاستشراق، وخلفهم من أضناء العمل فلم يجد حذوهم في شيء، ولكن فريقاً من السياح وأشباههم قد اتصلوا بفريق من كتبة اليوم، ومنهم من أخف في رجاء ترجمة بعض آثاره بأدلاً نفقات الطبع فاستجيب له، ومن هنا تداول هؤلاء الناشئة حديث الترجمة على أنه مجد أدبي مرموق، ولن تكون الترجمة ذات مجد إلا إذا سعى إليها المترجم عارفاً قدر من يترجم له. أما أن تترجم الدولة بعض الآثار استجابة لرغبة مؤلفيها فحسب، وأما أن يريق المؤلف وجهه طالباً ترجمة ما كتب، فكل ذلك لا يجد الصدى الأدبي المنشود، وأنا أعرف أن كاتبة قصة قد ترجمت لها قصتان، وانتشرت في نطاق فسيح، ولكن ذلك لم يرجع إلى جودة ما كتبت، بل إلى أنها رخت أهواء الأوربيين حين هاجمت الشريعة الإسلامية، ووصفت بنات جنسها في الشرق بالتأخر والجمود بغياً دون حق، فوجد القراء والناشرون هناك ضالتهن المنشودة في استماع الأراجيف، وإلا فلم لم تترجم آثار الملزمات من أمثال سهير القلماوي ولطيفة الزيات وأمينة السعيد وبنات الشاطيء ووداد السكاكيني وغيرهن ممن يمثلن الفن الصحيح في بقطة التزام؟!

ولي أن أنتقل إلى ما يسمى الآن «بالزمن الجميل» والقصد منه زمن الارتقاء السالف في دنيا الأدب والنقد والفكر والفن حين كان أقطاب هذه الفنون أساتذة حقاً، يمثلون السمع والبصر ويحتلون منازل الحب والتقدير، ولا ينكر أحد أن الأستاذ الدكتور طه حسين كان في طليعة هؤلاء! وكان في دروسه الجامعية كما كان في مقالاته النقدية يعطي النموذج الباهر للنقد المنصف، وللتقييم الصحيح، لقد تحدث عن مؤلفات الكثيرين من معاصريه حديث المعلم الموجه، وفيمن تحدث عنهم سيدات فضليات بعث إليهن بآثارهن فقرأها قراءة واعية ليضعها موضعها الصحيح دون تحيف أو مغالاة! وكتب عن كل أثر من آثارهن فصلاً نقدياً يجب أن يقرأه الآن أساتذتنا المتصدرون للنقد، ومن حظهم أن الرجل الكبير قد جمع أكثر مقالاته في أجزاء تعددت طبعاتها، واحتلت قلوب الناس قبل أن تحتل رفوف المكاتب، وسأكتفي بالإشارة هنا إلى نموذجين من كتاب واحد كي تسهل العودة إليه لمن يريد الاستقصاء، والكتاب هو «فصول في الأدب والنقد» وقد طبعته دار المعارف عدة طبعات، ثم انتقل إلى دور النشر اللبنانية فبلغ حظاً كبيراً من الاشتهار!



طه حسين

أما النموذج الأول فهو ما كتبه عن قصة «حريم» للسيدة قوت القلوب الدمرداشية، وهي كاتبة مصرية شئت أن تكتب مؤلفاتها باللغة الفرنسية. فقد أنصف المؤلفة حين ذكر أن كتابها أعطى أدق صورة وأصدقها لحياة كثير من الأسر المصرية في جدها وهزلها وفي العظم من أمرها واليسير، فالخطبة مصورة أصدق تصوير وأروع وحفلة الزواج مصورة أصدق تصوير وأروع، ويوم الزفاف، ومقدم المولود، وحفلة الأسبوع والحياة اليومية في أيام الأعياد، والخلاف الزوجي الذي ينتهي إلى الطلاق. وهذه اللوحة التي تصيب الأسر حين يختطف الموت من بينها زعيمها وحاميتها، وكل ذلك لا تنظر إليه الكاتبة من عل، وإنما تعيش بين الناس وتصور ما ترى وتحس، وبعد أن أفاض الناقد في تحليل الكتاب، وبسط ما تضمن من صور ومشاهد وأزمات، قال في عطف تتخلله الرقة الحانية، ولكنه لا يغفل واجب النصح الهادف، والتقييم السديد:

«وتسألني عن رأيي في الكتاب، أراض أنا، أم ضائق به؟ فأما من الناحية الفنية الخالصة، فأنا راض عن الكتاب مثن عليه، أسف لأنه لم يكتب باللغة العربية. حريص على أن يترجم إلى هذه اللغة، وأما من الناحية المصرية فقد أتخفظ على هذا الرضا بعض الشيء. لأن الأجانب يسجلون علينا ما سجلته، فلندع لهم ذلك. وفي حياة المصريين ما نستطيع أن نسجله للأجانب فنرضيهم ولا نضحكهم، ولست أرى بأساً بأن يكتب هذا الكتاب باللغة العربية لنظهر على نقائصنا فنصلحها، وعلى محاسننا فنزداد منها، ولست أرى بأساً بأن يترجم هذا الكتاب إلى لغة أجنبية، فيعرف الأجانب أننا لا نشفق من تسجيل عيوبنا. والجد في إصلاحها، فأما أن تصور هذه الخصائص مباشرة في لغة أجنبية. لا لنظهر نحن عليها، بل ليظهر عليها غيرنا، فهذا الذي أقف منه موقف التحفظ، ومن أحقق أنني لن أقدم عليه، وليقل الناس إنني ضعيف فإنني أؤثر هذا الضعف ثم قال الدكتور: وهل تأذن لي الكاتبة في أن ألاحظ في رفيق أن الذين يقرءون كتابها قد يخذعون عنها أحياناً، وقد يظنونها فرنسية لأنها تجهل عن المصريين ما لا ينبغي أن يجهل، فشيخ الإسلام مثلاً هو الرئيس الأعلى للمؤمنين، وهو عند المصريين شيخ الجامع الأزهر فقط! ومحمد وأحمد اسمان لاثنتين من أبناء النبي ﷺ، وهما عند المسلمين اسمان من أسماء النبي نفسه! وأنا شخصياً قد دهشت لما كتبت سيدة هي ابنة شيخ من كبار مشايخ الطرق الصوفية، وقد نشأت في جو الذكر والأدعية والأوراد والصلاة على رسول الله، ثم لا تعلم اسم نبيها الكريم! لقد اكتفى الدكتور بتسجيل هذا الخطأ،

ولكنى أرى أن الموقف كان يستدعى أكثر من التسجيل، لأن التى تجهل اسم نبيها العظيم تجهل من الإسلام كل شيء!

أما النموذج الثانى مما كتبه الدكتور، فهو ما كتبه عن قصة (سلمى وقريتها) التى ألفتها بالفرنسية الكاتبة «مدام أمى خير» وهى سيدة لبنانية عاشت فى المنصورة بأرض مصر، وثقفت الفرنسية، ولم تتحدث عن مصر بل تحدثت عن موطنها الأصلي فى إحدى قرى لبنان، وقد قال الدكتور أنه لا يخفى رضاه عن الكتاب، وإعجابه ببعض فصوله. ولكنه اعترف أن القصة التى تتضمن الأحداث ليست غريبة ولا طريفة، بل هى مألوفة نكاد نقرأها فى كل كتاب من كتب الأدب العربى يتحدث عن العشاق الذين يضنيهم الحب حتى يقضى إلى الموت! فالبطلة قد حيل بينها وبين حبسها لاعتراض أبيها وقد أرغم الوالد ابنته على الزواج بغيره، كما حدث لقيس بن ذريح تماما! ثم قال الدكتور:

«إن المؤلفة تبتئنا أن كتابها صورة فوتوغرافية لسلمى وقريتها، وقد يكون هذا حقا، وهو فى الوقت نفسه مصدر فضل الكتاب، وكم كنت أود لو أن هذا الكتاب لم يكن صورة فوتوغرافية بل كان صورة فحسب، صورة من عمل الإنسان، لا من عمل الآلة الفوتوغرافية، صورة تظهر فيها شخصية الكاتبة ظهورا واضحا نأبى إليه ونستعين به، على إساعة هذه الحقائق التى يشتمل عليها هذا الكتاب، ولكن القصة كانت كما أرادت مدام خير صورة فوتوغرافية قامت بالصدق والدقة، وفقدت شيئا كثيرا من الحياة والتأثير».

هذان نموذجان مما كتب الدكتور عن القصة النسوية، وفيها ما يقدم المثال المنشود لناقد اليوم، فقد وصف الدكتور محاسن القصتين وأشاد بهما إشادة المشجع العطوف، وهذا ما نحرص عليه دون أن نجد اعتراضا ما يتجه إليه، ولكنه مع العطف المشجع قد أبدى رأيه الناقد فيما وجده مستحقا للنقد الجاد. ولم يكن ناقدًا فحسب، بل كان أستاذًا موجهًا يهذى للتي هى أقوم! ولعل الكاتبتين قد أفادتنا من توجيهه، فعرفنا موضع الخطأ والصواب.

وهنا ألفت النظر إلى ناحية هى -على ضرورتها الملحة- ليست اليوم بذات شأن عند الكاتبات والناقد معا، فكلاهما يعد الخطأ النحوى أمرا شكليا لا صلة له بجودة الفن، بل ربما نظر باستخفاف إلى من يحتم التزام القواعد النحوية، ويعداه قاصرا عن استيعاب المنحى الفنى للقصة، وللدكتور طه حسين فى هذا المجال موقف حاسم، حكته

الآنسة سهير القلماوى فى مقال نشر بمجلة الرسالة الصادرة فى (١٦ / ٤ / ١٩٣٤) تحت عنوان (غلطة نحوية) وخلاصته -لأن المقال طويل نسبيا- أن الطالبة سهير، نشرت بمجلة الرسالة مقالا يتضمن غلطة يسيرة فى عودة الضمير لجمع المؤنث، ولم تدرك أن الدكتور طه قرأ المقال، ولكنها فوجئت به ينتشدها فى طلب رؤيتها، حتى حسبت أن الأمر جد خطير، وما حان موعد لقائه فى الغد، حتى نهضت إليه متوجسة، وقد ذهبت الظنون بها كل مذهب، تقول الآنسة سهير القلماوى متحدثة عن نفسها بضمير الغائبة:

«ودخلت حجرتي، فحيته وحياتها، وهى تحاول فى جهد أن تتبّع كلامه، وأن تخفى عجلتها واشتياقها لمعرفة ما جاء من أجله، وخفى قلبها، ولم تستطع حفظ مظهر الاتزان الذى تكلّفته... ثم صاح الدكتور: يا فريد، هات عدد الرسالة الماضى، إنها غلطة تكبرك بكثير، وقد كلمت الأستاذ الزيات بشأنها، إنها غلطة نحوية كبيرة، إما أن تُقلعى عنها، وإما تطلعى على الناس بمذهب جديد لا يقول فى الجمع بين المذكر والمؤنث، دونى فى مذكراتك أن أستاذك استدعاك من العباسية إلى عابدين، من أجل غلطة نحوية». فقالت: سادون!!

هذا الباب ما جاء فى المقال فماذا يرى الذين يستحسنون من القاصة الناشئة، أن تقول لصاحبها (أبو كى. أرجوكى - تعرفى معزنى عندك!) ثم لا تقيم مثنى أو جمع مذكر على وجهيهما وهى بذلك تطلع على الناس بمذهب جديد فى النحر، كما تهكم طه من قبل!

لقد كنت أحسب أن موجة التأليف النسائى للقصة المتهاففة ستجلى حين تعرف الناشئة وجه الصواب فتراجع إليه، ولكن (طبل) الناقد وهتافه المتواصل، مما جعل الموجة تمتد إلى أبعد الآماد، ومما جعلنى أقلل من طمعى فى العودة إلى الصواب، وهو طمع لا تقوم الدلائل على يسر تحقيقه، بل دونه أهوال وصعاب، كتلك التى عاناها الشاعر الصوفى حين قال:

ولى طمع فى قلب ظمياء عهده... بعيد، وكم خابت لدهبها المطامع

د. محمد رجب البيومى

تفسير سورة عمران

لفضيلة الأيام الأكبر شيخ الزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٥٦﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَهُمْ لَا يُحِزُّونَ بِالَّذِينَ قُتِلُوا لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٥٧﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ﴾

الآيات: ١٦٩-١٧٢

فقوله - تعالى -:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ﴾

يدفع القدر، لأن من قدر الله له القتل لا يمكنه الاحتراز عنه. ومن لم يقدر له ذلك لا خوف عليه منه.

فهذه الآيات الكريمة رد على شماتة المنافقين إثر الردود السابقة، وتحريض للمؤمنين على القتال، وتقرير حقيقة إسلامية ثابتة هي أن الاستشهاد في سبيل الله ليس

كلام مستأنف ساقه - تعالى - لبيان أن القتل في سبيل الله الذي يحذره المنافقون ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر، بل هو أجل المطالب وأسانها، إثر بيان أن الحذر لا

فناء بل هو بقاء والخطاب في قوله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ للنبي ﷺ أو لكل من يتأني له الخطاب.

والحسبان: لظن، والنهاي بلا هنا منصب على هذا الظن، أي أنها كم عن أن تظنوا أنهم أموات، ونون التوكيد في قوله:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ لتأكيد هذا النهي.

أي: لا تحسبن أيها الرسول الكريم، أو أيها المؤمن أن الذين قتلوا في سبيل الله، من أجل إعلان كلمته، لا تحسبتهم أمواتا لا يحسون شيئا ولا يلتذون ولا يتنعمون، بل هم أحياء عند ربهم، يرزقون رزق الأحياء، ويتنعمون بالوإن النعم التي أسعها الله عليهم، جزاء إخلاصهم وجهادهم وبذلهم أنفسهم في سبيل الله.

وقوله: ﴿الَّذِينَ﴾ مفعول أول لقوله: ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ وقوله: ﴿أَمْوَاتًا﴾ مفعوله الثاني وقوله: ﴿أَحْيَاءُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي بل هم أحياء.

وقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يصح أن يكون خبرا ثانيا للمبتدأ المقدر أو صفة لأحياء أو طرفا له لأن المعنى: يحيون عند ربهم.

والمراد بالعندية: هنا المجاز عن القرب والإكرام والتشريف، أي هم أحياء مقربون عنده، قد خصهم بالمنازل الرقيقة، والدرجات العالية، وليس المراد بها القرب المكاني لاستحالة ذلك في حق الله - تعالى -.

وقوله: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ صفة لقوله:

﴿أَحْيَاءُ﴾ وحال من الضمير فيه أي يحيون مرزوقين. هذا وقد وردت أحاديث متعددة تصرح بأن هذه الآيات الكريمة قد نزلت في شهداء أحد، ويدخل في حكمهم كل شهيد في سبيل الله، ومن هذه الأحاديث ما أخرجه أبو داود وغيره عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش. فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يتكلموا عند الحرب فقال الله - تعالى - «أنا أبلغهم عنكم». قال: فأنزل الله هذه الآيات:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ إلخ الآيات.

وأخرج الترمذي وابن ماجه عن جابر بن عبد الله قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال: «يا جابر مالي أراك منكسا مهتما؟» قلت يا رسول الله استشهد أبي - في أحد - وترك عيالا وعليه دين. فقال: ألا أشرك بما لقي الله - عز وجل - به أباك؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: إن الله أحيى أباك وكلمه كفاحا - أي مواجهة ليس بينهما حجاب - وما كلم أحدا قط إلا من وراء حجاب، فقال له يا عبدى تمن أعطك. قال: يا رب فردني إلى الدنيا فاقتل فيك ثانية. فقال الرب - تعالى - إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. قال: يا رب فأبلغ من ورأى فأنزل الله - تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾

قال القرطبي - بعد أن ساق هذين الحديثين وغيرهما - ما ملخصه: «فقد أخبر الله - تعالى - في هذه الآيات عن الشهداء أنهم أحياء في الجنة يرزقون. والذي عليه الكثيرون أن حياة الشهداء محققة. ثم منهم من يقول: ترد إليهم الأرواح في قبورهم فينعمون، كما يحيا الكفار في قبورهم فيعذبون. وصار قوم إلى أن هذا مجاز، والمعنى أنهم في حكم الله مستحقون للتنعم في الجنة. وقال آخرون أرواحهم في أجواف طير خضر وأنهم يرزقون في الجنة ويأكلون وينعمون وهذا هو الصحيح من الأقوال، لأن ما صح به النقل فهو الواقع. وحديث ابن عباس - الذي سقناه قبل قليل - نص يرفع الخلاف» (١).

والذي نطمئن إليه النفس: أن الآية الكريمة تنبه على أن للشهداء منزلة خاصة تجعلهم يفضلون الموتى المعروفين لدى الناس، وهي أنهم في حياة سارة، ونعيم لذيذ، ورزق حسن عند ربهم. وهذه الحياة الممتازة ترفعهم عن أن يقال فيهم كما يقال في غيرهم: أموات، وإن كان المعنى اللغوي للموت - بمعنى مفارقة الروح للجسد في ظاهر الأمر - حاصلا للشهداء كغيرهم من الموتى.

إلا أن هذه الحياة البرزخية التي أخبر الله

بها عن الشهداء تؤمن بها كما ذكرها الله - تعالى - ولا ندرك حقيقتها، إذ لا يمكن إدراكها إلا من طريق الوحي، فقد قال - تعالى - في آية أخرى:

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾

[البقرة: ١٥٤]

أي ولكن لا تحسون ولا تدركون حال هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله بمشاعركم وحواسكم، لأنها من شئون الغيب التي لا طريق للعلم بها إلا بالوحي.

ثم بين - سبحانه - ما هم فيه من مسرة وحبور فقال:

﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾

أي فرحين فرحا عظيما بعد انتقالهم من الدنيا، بما أعطاهم الله في حياتهم الجديدة من ضروب النعم المتعددة التي من بينها الثواب العظيم، والنعيم الدائم، والسعادة التي ليس بعدها سعادة.

وقوله ﴿ فَرِحِينَ ﴾ يصح أن يكون حالا من الضمير في ﴿ يَرْزُقُونَ ﴾ أو من الضمير في ﴿ أَحْيَاءَ ﴾ وقوله ﴿ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ متعلق بآتاهم.

و ﴿ مِنْ ﴾ يصح أن تكون للسببية أي الذي آتاهم متسبب عن فضله. أو لا ابتداء الغاية وقوله:

﴿ وَكَسَبَتْهُمْ أَلْحَافًا ﴾

معطوف على فرحين لتأويله بفرحون. أو هو حال من الضمير في ﴿ فَرِحِينَ ﴾ بتقدير وهم يستبشرون.

وأصل الاستبشار: طلب البشارة وهو الخير السار الذي تظهر آثاره على البشرة إلا أن المراد هنا السرور استعمالا للفظ في لازم معناه.

أي: أن هؤلاء الشهداء فرحين بما آتاهم الله من فضله من شرف الشهادة، ومن الفوز برضا الله، ويسرون بما تبين لهم من حسن مآل إخوانهم الذين تركوهم من خلقهم على قيد الحياة، لأن الأحياء عندما يموتون شهداء مثلهم سيخالون رضا الله وكرامته، وسيظفرون بتلك الحياة الأبدية الكريمة كما ظفروا هم بها. فالمراد بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم: رفقاءهم الذين كانوا يجاهدون معهم في الدنيا ولم يظفروا بالشهادة بعد، لأنهم مازالوا على قيد الحياة.

وفى هذا دلالة على أن أرواح هؤلاء الشهداء قد منحها الله - تعالى - من الكشف والصفاء ما جعلها تطلع على ما يسرها من أحوال الذين بهمهم شأنهم في الدنيا.

وقيل: إن معنى ﴿ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم.

وقوله ﴿ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿ يَلْحَقُوا ﴾ أي لم يلحقوهم متخلفين عنهم باقن بعد في الدنيا. أو متعلق بقوله ﴿ يَلْحَقُوا ﴾ ذاته على معنى أنهم قد بقوا بعدهم وهؤلاء الشهداء قد تقدموهم.

وقوله:

﴿ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

بدل اشتمال من قوله:

﴿ يَا الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾

مبين لكون استبشارهم بحال إخوانهم لا بذواتهم.

والمعنى: ويستبشرون بما تبين لهم من حال الذين تركوهم من خلفهم في الدنيا من رفقاتهم المجاهدين، وهو أنهم لا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على ما تركوه في الدنيا، بل هم سيكونون آمنين مطمئنين بعد فراقهم للدنيا وعندما يبعثون يوم القيامة.

ونفى عنهم الخوف والحزن، لأن الخوف يكون بسبب توقع المكروه النازل في المستقبل. والحزن يكون بسبب فوات المنافع التي كانت موجودة في الماضي. فبين - سبحانه - أنه لا خوف عليهم فيما سيأتيهم من أحوال القيامة، ولا حزن لهم فيما فاتهم من متاع الدنيا.

وقوله:

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لَكُلِّ نَفْسٍ لَّيْسَ بِهَا مُؤْمِنَةٌ ﴾

استئناف مبين لما هم عليه من سرور يتعلق بذواتهم. بعد أن بين - سبحانه - سرورهم بحال الذين لم يلحقوا بهم.

والمعنى أن هؤلاء الشهداء يستبشرون بحال إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم من خلقهم.

(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٢٨٨.

كما أنهم يستبشرون أيضا لأنفسهم بسبب ما أنعم الله به عليهم من نعم جزيلة وبسبب ما تفضل به عليهم من زيادة الكرامة، وسمو المنزلة.

وهذا يدل على أن هؤلاء الشهداء لا يهتمون بشأن أنفسهم فقط. وإنما يهتمون أيضا بأحوال إخوانهم الذين تركوهم في الدنيا، وفي ذلك ما فيه من صفاء نفوسهم، وطهارة قلوبهم، حيث أحبوا الخير لغيرهم كما أحبوهم لأنفسهم، بل أن تقديم استبشارهم بحال إخوانهم على استبشارهم بما يتعلق بأنفسهم ليظهر بأن اهتمامهم بحال إخوانهم أشد من اهتمامهم بحال أنفسهم.

ويرى بعضهم أن الضمير في قوله:

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾

يعود على الذين لم يلحقوا بهم فتكون جملة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ حال من الذين لم يلحقوا بهم. وعليه يكون المعنى أن هؤلاء الذين لم يلحقوا بهم لا خوف عليهم ولا حزن فهم مستبشرون بنعمة من الله وفضل... وقوله:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

معطوف على:

﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾

وهذا على قراءة الجمهور بفتح همزة أن على معنى وبأن.

والتقدير: يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبأن الله - تعالى - لا يضيع أجر

المؤمنين، وإنما سبغ عليهم النصر والعزة والكرامة جزاء جهادهم.

وقرأ الكسائي: «وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين»

بكسر همزة إن على الاستئناف والمقصود من الآية الكريمة بيان أن كل مؤمن يخاف مقام ربه وينهى نفسه عن الهوى، ويجاهد في سبيل إعلاء كلمة الله، فإن الله - تعالى - لا يضيع شيئا من أجره، بل يعطيه من الجزاء الحسن - يفضله وإحسانه - أكثر مما يستحق.

ثم مدح - سبحانه - المؤمنين الصادقين الذين لم تمنع جراحهم وآلامهم عن الاستجابة لأمر رسولهم ﷺ فقال - تعالى -:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا أَمْرَهُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ﴾

قال الفخر الرازي ما ملخصه: اعلم أن الله تعالى مدح المؤمنين على غزوتين تعرف إحداهما: بغزوة حمراء الأسد، والثانية: بغزوة بدر الصغرى. وكلتاها متصلة بغزوة أحد أما غزوة حمراء الأسد فهي المرادة من هذه الآية، فإن الأصح في سبب نزولها أن أبا سفيان وأصحابه بعد أن انصرفوا من أحد وبلغوا الروحاء، ندموا وقالوا: إن قتلنا أكثرهم ولم يسقى منهم إلا القليل فلم تركناهم؟ بل الواجب أن نرجع ونستأصلهم، فهمسوا بالرجوع.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهب الكفار ويريه من نفسه ومن أصحابه قوة

فندب أصحابه إلى الخروج في طلب أبي سفيان وقال: لا أريد أن يخرج الآن معي إلا من كان معي في القتال - في أحد -.

فخرج الرسول ﷺ مع قوم من أصحابه حتى بلغوا حمراء الأسد. وهي مكان على بعد ثمانية أميال من المدينة.

فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فانهزموا.

وروى أنه كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة، ثم كان الغمولى يحمل الحامل ساعة أخرى. وكان كل ذلك لإتقان الجراح فيهم، وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ساعة ويتوكأ عليه صاحبه ساعة.

وقوله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ بمعنى أجابوا. وقيل: استجابوا، أصلها طلبوا الإجابة لأن الأصل في الاستفعال طلب الفعل، والفرج: الجراح الشديدة.

والمعنى: أن الله - تعالى - لا يضيع أجر هؤلاء المؤمنين الصادقين، الذين أجابوا داعي الله وأطاعوا رسوله، بأن خرجوا للجهاد في سبيل عقيدتهم بدون وهن أو ضعف أو استكانة مع ما بهم من جراح شديدة، وآلام مبرحة.

ثم بين - سبحانه - جزاءهم فقال:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ عَظِيمٌ﴾

أي للذين أحسنوا منهم بأن أدوا جميع المأمورات، واتقوا الله في كل أحوالهم بأن صانوا أنفسهم عن جميع المنهيات، لهؤلاء أجر عظيم لا يعلم كنهه إلا الله - تعالى -.

وقوله:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾

في موضع رفع على الابتداء وخبره قوله:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾

ويجوز أن يكون في موضع جر على أنه صفة للمؤمنين في قوله:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قال صاحب الكشاف: «من» في قوله:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾

للتبيين مثلها في قوله - تعالى -:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[الفتح: ٢٩]

لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم (١).

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٩١.

القرآن الكريم رباط بين الأرض والسما

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

روى الإمام البخاري عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ على. قلت: يا رسول الله، اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾

النساء: ٤١

قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذهران.

الشرح والبيان

القرآن الكريم رباط بين الأرض والسما، وعهد بين الله وبين عباده، وحبه شرفاً وفضلاً أنه كلام الله (عز وجل)، وأنه أفضل الكلام، وأنه

(سبحانه) وصفه بصفاته العلية؛ فأسماء (العظيم) وهو العظيم:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾

الحجر: ٨٧

وأسماء (الحكيم) وهو الحكيم:

﴿يَسْ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾

يس: ١-٢

وعزیزاً وهو (العزیز)

﴿وَأَنَّهُ لَكَتَبٌ عَزِيزٌ﴾

فصلت: ٤١

وسماه المجید وهو (المجید):

﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾

ق: ١

وكريماً وهو الكريم:

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾

الواقعة: ٧٧

وماضنكم بكلام رب العالمين وقد امتن به على أمة أحب أحبابه، وأصفى أصفياه سيدنا محمد ﷺ؛ ليفتح به أعيننا عمياً، وقلوبنا غلفاً، وأذاننا صماً، ويضع به نظام الحياة للأحياء، ويدفع به الإنسانية إلى طريق التقدم والرقى والكمال؟ قال تعالى:

﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ نَبِيٌّ لَكُمْ كَثِيرٌ مِمَّا

كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْلَمُونَ أَشْيَاءَ

كَثِيرَةً قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ

مُبِينٌ ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ أَتَّبِعْ رِضْوَانَهُ﴾

مُسَبِّلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

المائدة: ١٥، ١٦

السعادة في القلاوة

فالقرآن الكريم دستور إلهي، وميثاق سماوي، وهو عهد الله وأمانه إلى العباد. من تمسك به هداً، وعصمه، وأرشده إلى الطريق القويم، والصراط المستقيم. قال تعالى:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ
وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

الأنعام: ١٥٥

وقال:

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ لِقَوْمٍ يُدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَالْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا لِّهَدِي بِهِ مَن شَاءَ مِن عِبَادِنَا
وَالَّذِي يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ
يَكُن فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا لِقَوْمٍ أَعْيَنُوا﴾

الشورى: ٥٢-٥٣

ومن ثم كان رسول الله ﷺ لا يجد سعادة نفسه، ولا نعيم قلبه، ولا حياة روحه إلا في حالة تلاوة هذا الكتاب، أو الاستماع إليه من غيره، ولذلك لما طلب إلى ابن مسعود (رضي الله عنه) أن يقرأه عليه تعجب ابن مسعود، وسأله: اقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال نعم؛ لأنه «صلوات الله وسلامه عليه» يحب أن يسمعه من غيره، ولذلك طلب الحق (سبحانه) من النبي الكريم والرسول العظيم ﷺ أن يقرأه على بعض أصحابه لينقلوه إلى غيرهم غصاً طرياً. روى البخاري (رحمه الله) عن

أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال النبي ﷺ: لأبي بن كعب (رضي الله عنه): إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن. قال أبي: آله سماني لك؟! قال: الله سماك لي، فجعل أبي يبكي. قال قتادة: فأنبت أنه قرأ عليه:

يارسول الله. قال: (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته).

المجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف السر، وقال: (ألا إن كلكم مناج ربه فلا يؤذِن بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة - أو قال في الصلاة).

لأنه غذاء الروح لأمتنا الإسلامية، وهذا يوضح الفرق الشاسع بين غذاء المسلمين وغذاء الأمم السابقة، فقد أنزل الله على نبي إسرائيل المن والسلوى - والمن سائل يشبه الغسل الأبيض، والسلوى طائر يشبه السمّان - قال تعالى:

إلى أن قال :

﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

المائدة : ١١٤

أما القرآن الكريم مآدبة الله - غداء الأرواح والنفوس لهذه الأمة : فإنه لا تبلى جدته ، ولا تزهده النفوس المؤمنة ، وهذا من فضل الله على هذه الأمة ، إذ جعل مآدبتهم لا تسامها النفوس ، ولكي تعشقها القلوب ، وتهواها الأرواح . هذا وقراءة القرآن الكريم من أحب الأعمال التي يقدمها المرء طاعة لربه (عز وجل) . روى البخاري (رحمه الله) عن عائشة (رضى الله عنها) قالت : قال رسول الله ﷺ : (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتنعم فيه ، وهو عليه شاق له أجران) .

ويأبشري كل من حفظ شيئاً من كتاب الله ، ووعاه ! روى أحمد والترمذي وقال : حديث حسن صحيح - عن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) عن النبي ﷺ قال : (يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها) ..

القرآن رحمة

وعلى أي حال فكل من اتصل بهذا الكتاب سينال من رحمة الله (عز وجل) في الدنيا والآخرة . قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿١﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

فاطر : ٢٩ - ٣٠

قال قتادة : هذه آية القراء ، وذلك لما أثبتته لهم من الأجر العظيم ، والثواب المضاعف ، فهم لا يتعمدون بالأجر وأقياً ، بل يزيدهم الله إكراماً وقضلاً ، لأنه غفور لذنوبهم ، شكور لقبيل من أعمالهم . ثم يقول سبحانه :

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقٌ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾

فاطر : ٣١

أي : والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدق لما بين يديه من الكتب السابقة ، (إنه بعباده خبير بصير) أي : خبير بمن يستحق الفضل على من سواه ، وأمة محمد ﷺ أفضل الأمم ، ولهذا وزئها الله (سبحانه) أفضل الكتب ، وهو القرآن الكريم . قال تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنزَلْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّلْغَنِيِّمْ وَمِنْهُمْ مَّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْ ذَكَرَهُمُ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣﴾

(فاطر : ٣٢ ، ٣٣)

فالضمير في يدخلونها (واو الجماعة) يعود على الظالم والمقتصد والسابق فكل يدخل الجنة بفضل الله ورحمته . روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي الدرداء (رضى الله عنه) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية .. ثم قال :

(فأما الذين سبقوا بالخيرات فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب . وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحاسبون في طول أغشعر ، ثم هم الذين تلقاهم الله برحمته)

أي : أدركهم بها - فهم الذين يقولون :

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْغُرْنَ ﴿١﴾ وَرَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا شُكْرًا ﴿٢﴾ الَّذِي لَمْ نَدَارِ الْمَقَامَ مِنْ قَبْلِهِ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْغُوبُ ﴾

فاطر : ٣٤ - ٣٥

الكتاب والسنة عز الأمة

فإذا أرادت الأمة أن تنهض من كبوتها ، وأن تفيق من غفوتها ، وأن يعود إليها مجدها ، وعزها ، وقوتها ، ومنعتها - فعليها أن تعود إلى كتاب ربها ، وسنة نبيا ﷺ ، إذ لارفعة لها إلا إذا اتخذت كتاب ربها منهجاً في حياتها . روى الإمام مسلم في صحيحه عن عامر بن واثة أن نافع بن عبد الحارث تلقى عمر بعصفان ،

وكان عمر يستعمل على مكة ، فقال : من استعملت على أهل الوادي ، فقال : ابن أبي . قال : ومن ابن أبي ؟ قال مولى من موالينا . قال : فاستخلفت عليهم مولى ؟ ! قال : إنه قارئ لكتاب الله (عز وجل) ، وإنه عالم بالفرائض . قال عمر : (أما إن نبيكم ﷺ) قد قال : (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ، ويضع به آخرين) . وقد روى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال : (يا أيها الناس ، إنى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، كتاب الله وسنة نبيه ﷺ) ..

ولما كان القرآن الكريم يزيل الغم ، ويجلب الفرح والسرور كان رسول الله ﷺ يدعو الناس أن يتوجهوا إلى الله بهذا الدعاء ، فعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : (من كثر همه قليل : اللهم إنى عبدك وابن عبدك ، وابن أمك ، وفى قبضتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، وجلاء همى وغمى ، ماقالها عبد قط إلا أذهب الله غمه ، وأبدله به فرحاً) .. والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

من مبادئ الدعوة

لفضيلة الشيخ / عمر الديب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

تناولنا في المقال السابق فلسفة الدعوة التي سببت تدفق الناس على الدين الجديد وكانت هذه المبادئ تعنى ثورة كبيرة قلبت الأوضاع وغيرت الاتجاهات وذكرنا أن هذه المبادئ والفلسفات تتمثل في :

١. المساواة. ٢. العدالة. ٣. الحاكم الفقير.

فقد نادى الإسلام بالمساواة في وقت كان النظام الطبقي هو السائد في كافة الاتجاهات والنواحي وهذا في جميع أنحاء العالم.

ونادى الإسلام بالعدالة أيضاً في الوقت الذي كانت العدالة تعتبر ضعفاً وخزياً وهذا شاعر عربي يعبر رجلاً بأنه من قبيلة ضعيفة لا تغدر بالعهد ولا تستطيع أن تظلم يقول في ذلك :

قبيلة لا يقدرون بدمية

ولا يظلمون الناس حبة خردل
الأوضاع مقلوبة مخالفة لكل القيم
والأحكام السماوية.

كما أهاب الإسلام بالحاكم أن يعمل للناس لا أن يعمل لنفسه فخلق بذلك حاكماً من نوع جديد حاكماً فقيراً يوجد بين رعاياه من يفوقه غنى ويملك أضعاف ما يملك ولقد حدث هذا في وقت كان الحاكم يعتبر نفسه مالكا للناس ولما يملكه الناس، كان سيداً يملك الأرض ورقيق الأرض كان يرتفع في الملاذ وكان الناس يعملون ليحققوا له دوام هذه المتع وتلك الملاذ.

العدالة

وعن المساواة والعدالة يذكر أنه قبل الإسلام كان بفارس ملوك يدعون أن دماء

إلهية في عروقهم وأنهم من طبيعة غير طبيعة البشر أسمى درجة وأعز شأنًا وجاء الإسلام فحقق المساواة بين محمد ﷺ أو الخليفة من بعده وبين كل أفراد الرعية فهذا زيد بن سعة اليهودي كان له دين على الرسول ﷺ وتأخر الرسول صلوات الله وسلامه عليه في أداء الدين لعسرة ألمت به فجاء زيد وأمسك بتلابيه وجذبه بقسوة وقال له : أما أن لك يا محمد أن تسدد ما عليك من دين ؟ وارتفع عمر لقسوة زيد فأخرج سيفه وهم بضربه فصاح به الرسول ﷺ ضع يا عمر سيفك في جرابه ! لقد كان خيراً لك أن تنصحتني بحسن الأداء وتنصحه بحسن الطلب وذهل اليهودي مما رآه من خلق رائع ومساواة تامة بالرغم من اختلاف المكانة والدين فما كان منه إلا أن أعلن إسلامه وتطق بالشهادتين قائلاً : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وهكذا نرى الإسلام ينتشر ويدخل الناس في دين الله أفواجا لما لمسوه من أخلاق جمّة ومبادئ سامية والأمثلة غير هذا كثيرة.

الفاروق عمر بن الخطاب

وهناك يهودي آخر له قصة مع الفاروق عمر بن الخطاب ذاته فقد روى أن سيف عمر فقد منه ثم رآه عمر مع يهودي فادعاه وادعى اليهودي أن السيف سيفه فقاضاه عمر إلى قاضيه فلما ذهبا إلى

القاضي جلس عمر واليهودي بين يدي القاضي ليحكم في هذا المتنازع عليه بينهما وسأل القاضي عمر فادعى السيف وسأل اليهودي فأنكر أن هذا السيف لعمر وطالب القاضي عمر بالينة فلم تكن له بينة فحكم بالسيف لليهودي وعجب اليهودي كيف يحقق الإسلام بين الخليفة عظيم الشأن وبين فرد عادي من أتباع ديانة أخرى وكيف يجلس معه عمر بين يدي القاضي ثم كيف يكون الحكم لصالح اليهودي ولا يقبل القاضي ادعاء عمر ولم يستطع اليهودي المقاومة فما كان منه إلا الاعتراف بأن السيف سيف عمر وأعلن إسلامه وتطق بالشهادتين.

وهناك قصص أخرى رواها كتاب السيرة وحوثها كتب السنة ومنها أيضاً قصة شهيرة بين عمر - رضي الله عنه - وبين جيلة بن الأبيهم آخر ملوك الغساسنة فقد دخل جيلة الإسلام وكان عمر يكرمه ويجله ولكن حدث ذات مرة أن وطئ أحد العامة ذيل إزار جيلة وجيلة يطوف بالبيت فاستدار جيلة وضرب الرجل بقسوة على أنفه فذهب الرجل وشكا إلى عمر فاستدعى عمر جيلة وأجلسه بجوار خصمه للقضاء بينهما فاعترف جيلة بأنه ضرب الرجل فحكم عمر بالقصاص قال جيلة : أنا ملك وهذا سوقة تجلسه بجوارى وتقتص له منى ؟ فاجابه عمر : لقد سوى الإسلام بينكما . ولم يستطع جيلة أن يفهم هذه الفلسفة

الجديدة التي جاء بها الإسلام فاستمهل عمر حتى يرضى خصمه ويطيب خاطره فناميله عمر فهرب جيلة وارتد عن الإسلام لقد خسر الإسلام جيلة ولكن كم من الناس دخلوا الإسلام على أثر هذه الحادثة؟ إنهم آلاف وآلاف دخلوا الإسلام حباً في هذه المساواة والتي لم يكن لهم عهد بها، بل يروى أن جيلة نفسه بعد أن أفاق من تسرعه وفكر في أمره، أسف لما حدث منه وتمنى لو بقي على الإسلام وتادب بأدابه ومما يروى عنه في ذلك قوله:

تنصرت الأشراف من عار لظمه وما كان فيها لو صبرت ضرر نكتفني منها لحاج وتخوة وبعث لها العين الصحيحة بالعمور فباليت أمتي لم تلدني وليتني رجعت إلى الأمر الذي لي قال عمر

الحاكم الفقير

أما عن المبدأ الثالث وهو الحاكم الفقير فقد دهش الناس عندما رأوا لأول مرة حكاماً يفقدون أموالهم وينزلون من صفوف الأغنياء إلى صفوف الفقراء، وكان العهد بالحكام أن يجمع الأموال ويزيد في ثروته، فقد كان محمد - وكان بعض العرب يسمونه ملك الملوك صلوات الله وسلامه عليه - يرقع ثوبه ويخصف نعله ويبيت على الطوى وكان له مال وغنى بعد أن تزوج خديجة.

﴿الَّذِينَ يَبِذَلُونَ مَالَهُمْ سِرًّا وَنَجْوًى لِيُؤْثِرُوا بِهِمْ﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾

[الضحى: ٦-٨]

ولكنه لم يصف شيئاً إلى هذا المال ولم يحتفظ به بل فقده فلما مات كان مديناً وكان أبو بكر غنياً قبل الإسلام ثم أنفق أكثر ماله في سبيل الله ولما ولي الخلافة حمل تجارتته على كتفه واتجه للسوق يريد أن يربح رزقه ورزق أولاده وكان عمر - تحت سلطانه أمر فارس والشام ومصر - يعيش في بيت صغير ويتم في المسجد ويرتدى لباس الفقراء.

وهذا عثمان بن عفان ذو النورين وثالث الخلفاء الراشدين مع أنه أغنى تجار العرب فقد فقد ماله كله في سبيل الله وكان على - كرم الله وجهه - يقدم ما عنده من الطعام للمحتاجين مع أنه في حاجة إلى ذلك الطعام حتى استحق أن ينزل فيه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

[الخشر: ٩]

وقد أدرك الفرس وأهل الشام ومصر هذه المبادئ السامية والأخلاق المثالية وقاموا بالموازنة بين هؤلاء الحكام وبين الحكام الذين عرفوهم من قبل هؤلاء الذين لم يكن لهم هم إلا جمع المال وحرمان الرعية منه.

ولم يكن الحاكم فقط هو الذي فطن وانتبه من غفلته وعرف ربه ولكن المحكوم أيضاً انتبه من غفوته وعرف حق ربه وكان من قبل يؤمن بأنه وما يملك ملك لكسرى أو قيصر، وانهيال الناس يدخلون في هذا الدين الذي حقق لهم ما هو أبعد مما كانوا يحلمون به.

حقده وجعل بالإسلام!!

وبالرغم من كل هذا نجد أن هذه الإساءات المتكررة للإسلام إنما تحدث من أناس يجهلون الإسلام ويحتقرون على المسلمين علواً واستكباراً وحقداً من عند أنفسهم ويظعنون في الإسلام بأنه دين انتشر بحد السيف وكذبوا لجهلهم وتناولهم على هذا الدين وحكمهم على أمر يجهلونه فما كان منهم ذلك لو أنهم فهموا ما جاء به الإسلام ذلك الدين الذي فيه صلاح أمر البشرية ولو أنهم قرءوا التاريخ جيداً وما كتبه أبناء جلدتهم من الكتاب المنصفين الذين جعل الله كلمة الحق على ألسنتهم وفي كتاباتهم لما وسعهم إلا أن آمنوا بالإسلام ورسول

الإسلام بل ويتخلون عن تلك المساوئ والبداءات التي يرمون بها رسول الإسلام الذي جعل الله رسالته خاتمة الرسالات وتبوته خاتمة النبوات وما ذلك إلا أن هذا القرآن دستور خالد يصلح به أمر الدنيا والآخرة وما ذلك إلا أن محمداً ﷺ أرسله الله رحمة للعالمين كافة للناس بشيراً ونذيراً والذين درسوا الإسلام وفقهوا مبادئه يتحولون من دعاة لكراهية الإسلام إلى دعاة إلى الحب وهذه إلى الطريق المستقيم وإلى الصراط القويم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وليحفظن الله كتابه كما وعد ووعد الحق.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنُحِيطُونَ﴾

[الحجر: ٩]

وليظهرن هذا الدين على الأديان كلها مصداقاً لقوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ

عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
[آل عمران: ١٠٤]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم والسنة النبوية

فضيلة الشيخ / فوزي الزرقاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

٦

”الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا صار صفة وخلقا للأمة يلتزم به الجميع، ويتواصون بأدائه وتنفيذه؛ فإنه يكون شباب الأمة الواعي اليقظ، الذي يتمسك بالحق ويدافع عنه، ويرفض الباطل ولا يهاب سطوته، ويكون الرأي العام المسلم الحر الذي يحرس آداب الأمة وفضائلها وأخلاقها وحقوقها، ويجعل لها شخصية وسلطانا هو أقوى من القوة، وأنفذ من القانون.“

ولذلك نجد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخذ منزلة كبرى ومكانة عظمى في أوامر وتوجيهات الدين الإسلامي، وذلك يرجع إلى أهميته في صلاح الأمة وبناء مستقبلها على دعائم قوية وأسس سليمة، كما جعل الدين الإسلامي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين الصادقين الذين إذا مكنهم الله في الأرض، ونصرهم على أعدائهم شكروا الله على نعمه وقضاه بالامتثال لأوامره ونواهيه. ومن هذه الصفات: أنهم يأمرُونَ بالمعروف وينهَوْنَ عن المنكر، يقول الله - تعالى -:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ أَنْتَهُمْ عَلَى أُولَئِكَ اللَّهُ عَلَى نَهْجِهِ قَدِيرٌ ٥ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ

صَوْمِعَ وَبِعَ وَصَلَوْتَ وَمَسَّ جَدِيدُ كَرُفِهَا اسْمُ اللَّهِ كَبِيرًا وَأَنْتُمْ تَرْكَبُوهُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ الْقَوِيُّ عَزِيزٌ ٦ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنْهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ أَلِيمٌ ٧﴾

(الحج: ٣٩-٤١)

أخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة مهاجرا قال أبو بكر -رضي الله عنه: أخرجوا تبسهم ليهلكن، نزلت هذه الآيات، وهذه أول آية نزلت في القتال.

وقد بين الله - سبحانه - في هذه الآية الكريمة بعض الأسباب التي من أجلها شرع الله الجهاد في سبيله، أي: أن الله عظمت قدرته لقدير على نصر المؤمنين الذين أخرجهم الكافرون من ديارهم بغير حق، وبغير أي سبب من الأسباب سوى أنهم كانوا يقولون: ربنا الله وحده ولن نعبد من دونه إلها آخر.

الجهاد

ثم حرض الله - سبحانه - وتعالى - المؤمنين على القتال في سبيله، بأن بين لهم أن هذا القتال يقتضيه نظام هذا العالم وصلاحه، أي: ولولا ما شرعه الله - تعالى - للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك على زمام أمور الأمة، وعطلوا وهدموا ما بناه أهل

الديانات من مواضع وأماكن العبادات، ولكن الله دفع تسلط هؤلاء بأن أوجب القتال لتعلو كلمة الله، وليتفرغ أهل الدين للعبادة.

فالجهد أمر متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع وعلا الحق وزهق الباطل، وسنة الله في خلقه التي لا تتخلف أبدا: أن الله ينصر من ينصر دينه؛ لأن الله هو القوى على كل فعل، القادر على كل شيء، العزيز الذي لا يقالبه ولا ينازعه منازع.

ثم وصف الله - سبحانه - وتعالى - هؤلاء المؤمنين الذين وعدهم الله بنصره بأكرم الصفات وأفضلها، وأن من صفاتهم إذا مكنهم الله في الأرض، ونصرهم الله على أعدائهم: شكروا الله على ما أكرمهم به من نعمه، فأقاموا الصلاة في مواقيتها بخشوع وخضوع وإخلاص، وقدموا زكاة أموالهم وأخرجوها في مصارفها التي حددها الله، عن طيب خاطر ونفس راضية، وأمروا غيرهم بالمعروف ونهوه عن المنكر... ولله وحده عاقبة الأمور ومردّها ومرجعها في الآخرة، فيجازي كل إنسان بما يستحقه من ثواب أو عقاب.

فالآية الكريمة تبين بوضوح أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام، وأنه من صفات المؤمنين الصادقين الشاكرين لنعم الله وفضله، المدافعين عن حرمانه.

الإمارة في الإسلام

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- : لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل، أريب العقد، لا يطلع منه على عورة، ولا يخاف منه على حرة، ولا تأخذه في الله لومة لائم. وقال -رضي الله عنه- : الأمراء أربعة : قاسمير قوى ظلف نفسه وعماله فذاك كالجاهد في سبيل الله يد الله بأسطة عليه بالرحمة، وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله، وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الخطمة الذي قال فيه رسول الله ﷺ : «شر الرعاة الخطمة فهو الهالك وحده»^(١)، وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا.

غير أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يستقيم أمره، ولا تثمر دعوته، ولا يجنى زرعه إلا إذا كان صادقا مع نفسه أولا فيما يأمر به وينهى عنه، فيكون مثالا لما يدعو إليه من معروف وينهى عن منكر، وتودجا مجسما متحركا لما يتفوه به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتتطابق أفعاله مع أقواله، ويكون قدوة حسنة لأفراد مجتمعه، ويشكل مركزا قويا للجذب والتأثير.

أما إذا كان الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر غير صادق مع نفسه، وغير ملتزم بما يقول، فيأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه فمن يستمع إليه؟ ومن يصدق؟ ومن يتأثر به؟ فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره؟ ومتى يستقيم الظل والعود أعوج؟

إن النفوس تنفر من يفعل ذلك، وتستنكر منه حاله؛ لأن من طبعها أن تنفر من الذي يشغل نفسه بالمهم ويتترك الأهم، مثلما تنفر من يتخرج عن تناول مفصوب وهو مواظب على أكل الربا، ومثلما تنفر من يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور؛ لأن الشهادة بالزور أفحش وأشد من الغيبة التي هي إخبار عن كائن يصدق فيه الخبر.

ونفسور الناس من يفعل ذلك واستنكارها هذا، ليس معناه أن ترك الغيبة ليس بواجب، أو أن أكل الطعام المفصوب ليس بحرام؟، وإنما مرجع النفور والاستنكار على من يفعل ذلك أنه انشغل بالمهم وترك الأهم، فصار مثل من سرق فرسه ولجام فرسه، فاشتغل بطلب اللجام وترك طلب الفرس!!

يأمرون بالبر وينسون أنفسهم

صحيح أن طلب الاثنين مطلوب ولكن طلب الفرس أهم.

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «مررت ليلة أسرى بي يقوم تفرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت من أنتم؟ فقالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه، وننهي عن الشر ونأتيه»^(٢) وروى أن الله -تعالى- أوحى إلى عيسى -عليه الصلاة والسلام- : «عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحي مني». ولقد أنكر الله - سبحانه وتعالى - حال من يأمر بما لا يفعل، في قوله -جل شأنه- :

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

(البقرة: ٤٤)

كان يهود المدينة يقول الرجل منهم لضهره، ولذي قرابته، ولمن بينه وبينه صلة من المسلمين: أثبت على الذي أنت عليه، وما يأمرك به هذا الرجل -يريدون محمدا ﷺ- فإن أمره حق، فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه، فأنكر الله عليهم ذلك، أي كيف يليق بكم يا معشر اليهود، وأنتم تأمرون الناس بأمهات الفضائل، وألوان الخيرات، أن تنسوا أنفسكم فلا تأمرون بما تأمرون به غيركم!!

وأنتم مع ذلك تنفرون توراتكم وتدركون أي عقوبة أليمة لن يأمر الناس

بالخير وينسى نفسه؛ أفلا عقل لكم يمنعكم عن هذا السفه الذي تردتم فيه، وحذرتكم من سوء عاقبته؟

والمراد بالنسيان في الآية الكريمة تركهم العمل بما يأمرون به غيرهم، لأن الإنسان حقيقة ليس مؤاخذا على ما نسيه، كما أن التوبيخ الموجه إليهم ليس إلى كونهم يأمرون الناس بالبر، فهذا فعل محمود، وإنما التوبيخ موجه إلى كونهم تركوا العمل بما يرشدون إليه سواهم، وأن قراءتهم لكتبهم أبطلت اعتذارهم بالجهل، وأنهم بفعلهم هذا يحكم عليهم بأنه لا عقل لهم.

عن أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أفتاب بطنه تخرج أمعاؤه، فيدور بها كما يدور الخمار في الرحا، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت أمر بالمعروف ولا آتية، وأنهى عن المنكر، وآتية»^(٣).

صفات المؤمنين

ولأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صلاح المجتمع، وإزالة عوامل الشر والفساد فيه، وفي استقرار أمن

(٢) تخريج أحاديث الإحياء.

(٣) متفق عليه من رياض الصالحين.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبُكُ أَنَا وَرُسُلِي ﴾

(المجادلة: ٢١)

رسوم ساخرة!! أم إسقاطات ساخرة!؟

للاستاذ / محمد مصطفى البسيوني

ولما كان الشر لا يولد إلا شراً فقد تكاثفت الخواطر الشيطانية حول ذكريات إبليس اللعين، ولا سيما عندما رد الأمر الإلهي الأعظم فلم يدعن، ولم يستجب بل أرغى وأزبد، وتوعد وهدد، واتجه تهديده ووعيده إلى هذا المخلوق الآدمي وذريته هانفاً - لعنة الله - هتاف الضعفاء الذين لا يملكون إلا الهتاف الأجوف وهو يفر من الساحة الظاهرة ساحة الملائكة الساجدين:

﴿ لَأَقْعُدَنَّكُمْ مِنْ ظِلِّكُمُ الْمُسْتَكِيمِ ﴾

(الأعراف: ١٦)

وقد كان... إذ كلما أرسل الحق رسولاً إلى قومه لبهدينهم إلى معالم الصراط المستقيم

منذ خمسة عشر قرناً من الزمان قضت المشيئة الإلهية بتتويج الرسالات السماوية بالبعثة المحمدية الخاتمة، وبإلحاح الحق إلى سيد الخلق ورسول الله إلى العالمين سيدنا محمد ﷺ ومنذ هذه الانطلاقة الكونية الكبرى أصابت إبليس، لوثة شيطانية شعواء أعادت إلى كيانه الشرير ذكرى خلق آدم - عليه السلام - وتكريمه الرباني الذي تمثل في أمر الخالق - سبحانه وتعالى - إلى ملائكته:

﴿ اسْجُدُوا لِلْآدَمِ ﴾ (البقرة: ٣٤)

الذي تتحرك بداخله النسخة الإلهية المقدسة التي تحمل أسرار حركة هذا الكائن البشري في تحمل أمانة الخلافة على هذه الأرض التي خلق من مائها وطينها.

أسرع العدو الشيطاني المريد وجنده من الكفرة الفجرة يشنون الوسوس الكافرة والخواطر النافرة مزينين للقوم الكفر والتفور، ويناصبون أنبياء الله ورسله وأقوامهم العدا والفتور فمنهم من يصمد، ومنهم من يقع حتى يأتي أمر الله... بهلاك جند الشيطان وأتباعه المارقين.

حدث هذا مع المسيرة الآدمية منذ آدم ونوح وصالح وهود - عليهم السلام - وغيرهم وغيرهم ممن تحدث القرآن الكريم عنهم:

﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾

(غافر: ٧٨)

حتى وقع الحدث الأكبر الذي زلزل عرش إبليس وأعوانه، وكانت الطامة الكبرى على رؤوسهم وذلك عندما تحققت نبوءة الكتب السماوية الصادقة ببزوغ النور الحمدي الذي يمزق الدياجير ويحق الأباطيل ويضع حداً حاسماً وصارماً لتلاعب مراهقي البشرية - عبر العصور - بجذبة المقدسات السماوية التي تضع الإنسان في مكانه الصحيح بين الكائنات سيداً فعلاً يحقق التوازن الكوني الذي أراده مبدع هذا الكون عندما أكد سبحانه في محكم بيانه:

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾

(الرحمن: ٧)

ولكن إبليس ومريديه من الجن والإنس يمتقون التوازن ويغضون الميزان، ويعملون على أن يسود الخلل في كل شيء في كيان الفرد لأن الخلل هو مبعث الزلل وأساس الخطأ والخلل، وغير ذلك من الظلمات التي يتكاثف بعضها فوق بعض والتي لا تروق الحياة للمفسدين والمبطلين إلا في أجوائها حيث ترفاح إليها أعينهم العشواء وأنفسهم الحمقاء وعقولهم البلهاء.

ولا شك في أن إبليس - لعنه الله - وأخزاه عندما عرف أن بشري محمد ﷺ تلوح في الآفاق صاح في قومه أن الأمر من حيث الكم كبير، ومن حيث الكيف جد خطير فرسالة محمد ﷺ تعم كافة الأرجاء والآفاق، وتكشف للعالمين بواطن الظواهر والأعماق.

مولد الهدى

ومن هنا، ومن أول يوم حمل فيه محمد ﷺ وقومه أعباء الرسالة المقدسة فحملوها انقسمت البشرية جميعاً - ونقول البشرية ونعني ما نقول - إلى صنفين: صنف تفكر بعقله، وتأمل بفطرته سواء السبيل فاهتدى، وصنف تعمد إلغاء عقله، وطمس فطرته فضل واغتدى؛ وذلك عناداً منه وكبراً، وحرصاً - كما يدعى - على المكانة والمكان، والجاه والسلطان، وكذلك زين له الشيطان.

ونظرة متأنية ومستفيضة عبر مشاهد التاريخ منذ ولد الهدى الحمدي الزاحف على يد المبعوث رحمة للعالمين - كل العالمين

— تدل المنصف الرشيد ذا الفكر السديد على مدى الغيظ والشنآن الذي قوبلت به الختيفية الغراء السمحاء على يد أعدائها ومعارضيهـا.

بل إننا لنذهب إلى أبعد من هذا منذ أذن المولى - عز وجل - بأن يشرق نور محمد في الوجود حيث تحرك الشيطان بشره وعناده وعدته وعصاده وأوعز إلى «أبرهة الأشرم» أخزاه الله بأن يجعل مولد محمد ﷺ مناسبة سوء - والعياذ بالله - تقترب بحدث أحقق مجنون هو محاولة هدم الكعبة المشرفة رمز الوحدة والتوحيد منذ أقام قواعدها أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام -؛ فكانت هذه المحاولة الحرقاء إيذاناً بالمعركة ومنذراً بالشر والشرور، وفي نفس الوقت مبشراً بالخير المبين والنصر المكين.

وربما كان الأمر يبدو منطقياً إذا اقتصر هذا العداء والكرهية على ذوى الأصنام، وعبدية الأوثان، وأهل الشرك والآثام، ولكن غير منطقي الذي لا يتفق وطباع الأشياء، ولا يتسق ومعقولات الأمور أن يشتعل هذا العداء، وتحتدم هذه الكراهية الشعواء في أنفس هؤلاء الذين أسماهم الإسلام في كتابه الأزلي الأبدى «بأهل الكتاب»، والذي شرع احترام ذواتهم، وحرمة أنفسهم وحماية معابدهم وصون حقوقهم، وحقق دمائهم، وحسن معاملتهم من منطلق «لهم ما لنا، وعليهم ما علينا»، ويكفيهم من الإسلام تكريماً أن نسيهم إلى ما أنزل سبحانه من الكتب السماوية

المقدسة.

وسماهم في بعض آيات القرآن الكريم بأهل الذكر فقال:

﴿ فَتَنَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل: ٤٣)

ولكن من أسف أن ينحرف بعض هؤلاء إلى تيار الكفر، وينجرفون عن طريق الحق، فصاروا ممن يصدق فيهم قول العليم الخبير سبحانه:

﴿ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوًى ﴾

(الجنانية: ٢٣)

ومن ثمة انضم القوم إلى حزب الشيطان فأشعلوا الفتنة نلوا الفتنة وأوقدوا نيران الحروب فكان الله - سبحانه وتعالى - رحمة منه بالعالمين يكبت هذه الفتنة، ويطفى نار هذه الحروب:

﴿ كَلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارَ الْحَرْبِ أَهْلَآهَا اللَّهُ ﴾

(المائدة: ٦٤)

أما المؤمنون فإنهم لم يقنطوا من روح الله إيماناً بقوله تعالى:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الروم: ٤٧)

وهكذا ظل «أبرهة» اللعين يتجدد في إهاب الأشرار حيناً، ويتجسد في ثوب الفجار حيناً آخر مستبدلاً بقبيله آليات الحروب التي ينجزها التوظيف الشيطاني للعلم.

ولكم تفتقت القرائح الشريرة عن أسلحة متجددة، ومتطورة تحابه الإسلام وتواجه المسلمين حتى لوح إبليس لأعدائه سلاح السخرية من الإسلام، والاستهزاء بنبي الإسلام - عليه الصلاة والسلام -، ولكن أتى لهم.

لقد كان سلاح الاستهزاء هذا سلاحاً قديماً ابتدعه الكفار في مطلع البعثة المحمدية الهادية حيث ظهر نفر من أشرارهم يستهزئون بالرسالة، ويسخرون من الرسول، ولكن الله سبحانه الحفيظ على دينه كان يطمئن «عبده» ﷺ وأصحابه المؤمنين المؤمنين بقوله عز وجل:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾

(الحجر: ٩٥)

من الذاكرة الإسلامية

ومن يتخذ الذاكرة الإسلامية يجدها زاخرة بمثل هذا الهراء الساخر والهزو الفاجر منذ بزوغ النور المحمدي على الكون من «غار حراء» بمكة المكرمة فقد رأى رسول الله ﷺ من المشركين كثير الأذى وعظيم الشدة، وكان من أعظمهم أذى لرسول الله جماعة سمووا لكثرة أذاهم «المستهزئين» وأولهم وأشدهم أبو جهل ومنهم كذلك أبو لهب بن عبد المطلب عم رسول الله، كما أن منهم عقبة بن أبي معيط الذي كان الجار الثاني لرسول الله، ومن هؤلاء المستهزئين العاص بن وائل السهمي القرشي، ومنهم الأسود بن عبد يغوث الزهري، وكذلك

الأسود بن عبد المطلب الأسدي، ومنهم أيضاً الوليد بن المغيرة، كما أن منهم كذلك النصر بن الحارث العبدي، وقد انتقل هذا السلاح الأحمق عبر الزمن من أسلوب إلى أسلوب أسوأ حتى تبناه ذوو المواهب الفنية المريضة الذين كان ينبغي عليهم أن يقدرُوا ما حباهم الوهاب من موهبة لكي يسخروها لترقية الوجدان، وكرامة الإنسان، ولكن وبالأأسف الأليم قد جرت على أقدامهم الضالة رسوم هزلية ساخرة قبيحة تنطق بالزور والبهتان، والإثم والعدوان، والجهل والتكران بما يرضى الشيطان، ويشوه دور الفنان، ورسالته في السمو بالإحساس بين الناس، وذلك بحجة ما يدعون من حرية التعبير، وبما أيتها الحرية المظلومة كم من الآثام ترتكب باسمك !!

ولكم كنا نود لو أن صناع هذه الأراجيف وناشريها قد حرصوا أولاً على التعرف على شخصية سيد الأولين والآخرين، وإمام النبیین والمرسلين ﷺ، والتحقق من تاريخه البناء وحجته الناصعة السمحاء، ولا سيما لو رجعوا إلى كثير من مؤلفات مواطنيهم وأهل مذاهبهم ومللهم من المتصققين الذين عرفوا للنبي ﷺ قدره ف سجلوا أفكارهم في موضوعية ونزاهة بلا غرض أو مرض في كتب وأسفار مازالت تشهد لهم باللسان العقيف والفكر النظيف والقلم الحصيف، ولعمرك ليس الإنصاف كالإسفاف.

أى محمد يقصدون؟

وهل تساءل هؤلاء الموتورون والمأجورون: أى محمد يقصدون؟ أهو محمد الذى أذعن لقول ربه عز وجل:

﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾

(ص: ٢٦)

ولم يخص المسلمين بل «الناس» فأخذ يحق اليهودى من المسلم؟ أم هو محمد الذى لم يحمل السيف إلا للدافعة الخيف؟ أم هو محمد الذى كان ينزع من قلوب الناس الفزع حين يقول لهم: «إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد فى مكة»^(١) أم هو محمد... أم هو محمد...؟؟

ولكنه «الإسقاط»^(٢) الذى يدفع بصاحبه إلى أن يخلع ما به من نقيصه وعيب على غيره ويسقط ما تعاني أعماقه من عقد على سواه، هكذا قال أهل علم النفس من بنى جلدة هؤلاء المرضى المعسوهين من أمثال اليهودى المتعصب «سيجيموند فرويد» مما دفع هؤلاء إلى أن يدفنوا عقدهم فى رسومهم، ويعبروا عن نقائصهم فى أعمالهم.

أما الإسلام فإن سلاحه دائماً فى مواجهة الموتورين عبر التاريخ من أمثال هؤلاء يتسق مع ما يتسم به من صبر إيجابى فعال فى

(١) سنن ابن ماجه.

(٢) الإسقاط هو فى التحليل النفسى أسلوب من أساليب الدفاع عن النفس وتبرير تصرفاتها فيبدل الشخص إلى أن يسبب خواطره ومواجسه المكبوتة إلى الآخرين تهريباً من الاعتراف بها.

مثل القول القرآنى الكريم:

﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾

(الزمل: ١٠)

ومن ثقة بالنفس فى مثل قوله تعالى:

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾

(الطور: ٤٨)

وغير ذلك من قيم الشجاعة النفسية والبطولة الروحية المستمدة من صدق الإيمان بالله عز وجل، وحسن التوكل عليه، وعمق التأكد من إنجازة وعده للمؤمنين بالنصر والقبلة ولو بعد حين لأن انتصار الحق هو سنة الخالق فى الخلق:

﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَتَةً ﴾

(الأحزاب: ٢٦)

إن دين الحق لا تهزه استشارات الصبية، ولا يحركه صفار الصغار، ولا إسقاطات الأنفس المريضة؛ ذلك أنه رسالة تقويمية كبرى، ومهمة تربوية عظيمة، مجال حركته هو الكون بأسره وآفاقه تسع الدنيا والآخرة جميعاً.

ولولا ثقة الإسلام بنفسه لحطم الصحابى الجليل عمرو بن العاص - رضى الله عنه - الثراث المجسم لفراغته مصر عندما فتحت مصر ذراعها وقلعها مرحبة بمبعوث الفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -

وكان يمكنه ذلك بحجة أن هذه (الأصنام) يخشى منها على الإسلام فى مصر، ذلك أن عمر بن الخطاب المشهور الإسلامى بالثقة بالنفس جعل المسلم العظيم عمرو بن العاص يستشعر ضالة خطر هذه التماثيل على الدعوة الإسلامية راسخة الأقدام، عالية القوام، ومن هنا لم تتعد هذه التماثيل دورها المعبر عن حضارة مضت، وثقافة خلت دون أن تفوح منها رائحة عقائدية، وإنما هى مما يصدق عليه قول الحق سبحانه فى آياته عن الحضارات الدارسة:

﴿ وَلِكُلِّ شِرْكٍ عَذَابٌ مُّصِيبٌ ﴾

(الصافات: ١٣٧، ١٣٨)

وهكذا يستمد الإسلام ثقته بنفسه ويعزو بها المؤمنين به عندما يتدبرون القرآن وهو يقول:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

(آل عمران: ١٩)

وعندما يقول:

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾

(آل عمران: ٨٥)

ذلكم دين الله الذى اصطفى محمداً ﷺ خياراً من خيار من خيار لتبليغه إلى العالمين كافة نوراً للأرواح، وطهراً للأنفس، وهداية للعقول، وتطبيقاً ميدانياً للقيم الإنسانية المثلى على الأرض، وليس مجرد «ميتافيزيقا» غامضة كالتى يقول عنها

«ارسططاليس» الإغريقى فى تقعر إنهما: «البحث فى الوجود بما هو موجود»!!!
إنه دين العاصة والخاصة وخاصة الخاصة، والصغير والكبير، والغنى والفقر يفهمه الجميع لأن الجميع مكلف بأوامره وتواهيده.

وإننا لا نجسد رداً على هؤلاء الموتورين المغرورين الكاذبين المكذبين أبلغ من أن يكون حبيبنا محمد ﷺ هو منطلق الاستتار، ومنطلق أفعالنا عملاً بقوله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ ﴾

﴿ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٢١)

وعندما تصدق إرادتنا فى التأسى بمحمد ﷺ فى مثل هذه الابتلاءات الإيمانية على أرض الواقع نكون قد برهنا أنصع برهان على أن الاصطبار القادر فى وجه الطغيان الغادر هو سلاح الراضين بربههم وبيدتهم، وأن الانفعال العابر والضجيج الفاتر هو عدة الأنفس الفالقة التى تستثار فتشور، ثم لا تليث أن تخور، ومن هنا وجه ربنا العزيز الحكيم رسوله ﷺ وأصحابه وأحبابه على مدى الأزمنة والدهور إلى الحكمة الأزلية الأبدية:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأعراف: ١٩٩)

نصرة رسول الله ﷺ

تبدأ بسلوكنا قبل مطالبه الآخر باحترامه ونصرته

للاستاذ / عاطف مصطفى

يدعوا إلى الرحمة لكل الناس، ويدعوا إلى حقوق الإنسان في كل مجالاتها، ويعلى من شأن المرأة، ويمنع كل أشكال الاعتداء والعنف والتطرف. هم لا يعرفون شيئاً عن هذه الحقائق والسبب في ذلك تقصير بعض مؤسساتنا الإسلامية في أداء دورها المطلوب منها تجاه ذلك.. وتقصير المسلمين المقيمين في الدول غير الإسلامية.

تقديم الدين في صورة الصحيحة

ومن هنا فإن الخطوة الأولى في مواجهة هذه الأزمة، لا تنطلق - كما أسلفنا - من عقد مؤتمرات داخل العالم الإسلامي، وإنما في تقديم الدين الإسلامي الصحيح - للغرب والشرق - في صورة مبسطة يتم فيها إبراز فلسفة الإسلام الاجتماعية في الرحمة والعدل والإخاء والمساواة بين كل الناس، مسلمين وغير مسلمين، طالما أنهم

الآخرين، وتؤمن بجميع الأنبياء وجميع الأديان.

ومواجهة هذه الحملات الشرسة للاعتداء على رسولنا عليه الصلاة والسلام، وعلى ديننا الإسلامي، سواء بالنشر في الصحف، أو بالدراما أو بالأفلام، تحت اسم حرية الفكر وحرية التعبير، لا يكون بمجرد عقد مؤتمرات داخل العالم الإسلامي، وإنما يتطلب بتعريف الآخر - غير المسلم في الغرب والشرق - بحقيقة الإسلام في وسطية وسماحته، وفي تقبله للحضارات الأخرى، وفي تقبله لكل ما يقيد الإنسان، مطلق الإنسان، مسلماً أم غير مسلم.

دين الرحمة والمساواة

فالبعض في الغرب، الذين يهاجمون محمداً ﷺ، لا يعرفون عنه شيئاً، ويجهلون تماماً حقائق الإسلام، بوصفه ديناً

احترام العقائد

إن الحرية في الإسلام تعني أن الإنسان حر فيما يتعلق بنفسه، بشرط ألا يعتدى على حرية الآخرين أو يؤذيهم، وتعني أيضاً حرية التعليم والاختيار والتملك، ولكن في حدود ما أباحه الإسلام وشرعه الله سبحانه وتعالى.

وحرية الفكر في أي دين وفي أي ميثاق، هي ألا تعتدى على حرية الآخرين، ولا تسخر من معتقداتهم، ولا تؤذيهم في مشاعرهم أو مالههم أو أعراضهم أو ممتلكاتهم، وكما تحترم حريات الآخرين، ينبغي عليهم أن يحترموا حرياتنا ومقدساتنا، وينبغي على مجلس الأمن والأمم المتحدة أن تسارع بإصدار قانون.. يجرم ويحرم الاعتداء على المقدسات أو العقائد، حتى لا تحدث فوضى في العالم. وديننا الحنيف أمرنا بأن نحترم عقائد

نصرة النبي ﷺ إزاء ما يتعرض له من حين لآخر أخذت قدراً كبيراً من اهتمام علماء المسلمين، وخاصة علماء الأزهر الشريف، والذين تصدوا لهذه الحملات بكلام هادئ مقنع وبلغ، هذا الرد يكون بالاعتداء بسيد الخلق قولا وعملا وسلوكا.. فهؤلاء المسيئون لا يعرفون ديناً ولا يؤمنون بنبي، ولا يدينون بكتاب، لأن أنبياء الله جميعاً أخذ الله عليهم ميثاقاً بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ، الذي جاء بدين الكمال والتسامح، وأوضح أن كل الرسالات تعانقت من أجل مكارم الأخلاق، وعدم الإساءة لأحد.. وأبلغ رد على هذه الإساءات وغيرها، هو إظهار حقيقة الإسلام وسماحته، وأن تقف الأمة الإسلامية كلها موقفاً واحداً، وأن نتحد وتستعيد مجدها العظيم.



تشارلز



عبدالحليم عويس

جوانب هذه الثقافة تفشل عمليات التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها في غرسها في النشء وهذا هو سبب الانحراف والتمزق والضياع والبعد عن الدين الصحيح، الذي يعد المدخل الصحيح لتحقيق النهضة، ومواجهة كل المشكلات التي يعاني منها مجتمعنا.

ثالثاً: كذلك هناك أهمية في مخاطبة الغرب والشرق - كل بلغته - ولا نطل نتحدث فيما بيننا فقط، ومن الضروري الوصول إلى كل مواطن في الغرب بوسائل متعددة، من خلال كتيبات مبسطة وصحيحة حول الإسلام في سماحته ويسره ووسطيته، ومن خلال قنوات فضائية موجهة إلى الغرب بلغاتهم، وحتى من خلال شراء ساعات تيث في القنوات الغربية، لعرض حقائق الإسلام وعن نبينا محمد ﷺ.

كذلك من الضروري استثمار آراء الغربيين المنصفين للإسلام وأصحاب الكتابات الموضوعية، لعرضها على مثقفي الغرب ومواطنيه، لكي يعرفوا كيف فهم

حسب نصوص الاتفاقية، فأبى كثير من المسلمين وذكر ذلك لأم سلمة، وقال لها إن المسلمين يعصون أمري، فأشارت إليه بحل عملي بسيط أنقذ الموقف، أن يحل إحرامه ويخرج إلى الناس، وبالفعل كان في هذا حلاً للموقف، وحل كل المسلمين معه إحرامهم.

استراتيجية للدفاع عن الإسلام ونبيه

وإذا كنا نتطلع إلى منع تلك الإساءات، وإبراز الصورة الصحيحة للإسلام، والتي غابت عن كثيرين في الغرب، فلا بد من وضع استراتيجية علمية للدفاع عن الإسلام ونبيه ﷺ وتبدأ بالحرص على إعادة ترتيب البيت الإسلامي من الداخل، وأن ننصر الإسلام ونبيه الكريم، في أنفسنا وفي مجتمعاتنا، وأن نتمسك بالشواهد الإسلامية، حتى تكون لدينا نماذج إسلامية مشرقة في مجالات البحث العلمي والتقدم الاقتصادي، وإتقان العمل والشورى وحقوق الإنسان والحرية، وهي من أهم مميزات الإسلام، وهذا يتيح لنا بناء القوة التي نحمل بها أنفسنا من جهة، ونحقق لنا التقدم الاقتصادي الذي يعطينا من التبعية، ويتيح لنا فرصة لتقديم نماذج إسلامية علمية في كل مجال، بدلاً من مجرد الحديث مع الغرب والعالم عن نظم واستراتيجية إسلامية نظرية لا تطبقها نحن المسلمين، ونعاني من التخلف والفقر.

ثانياً: ضرورة نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة داخل مجتمعاتنا، لأن الكثير من

يتخذ شيئاً من أشياء الدنيا في سبيل دعوته، فكان في مكة كما كان في المدينة، ومات على حصير، وكان عبقرياً يرضى كل الناس.

بينما تناول الفرنسي «مارسيل بوازار» الجوانب الإنسانية للرسول في حربه وسلمه ومعاهداته، وفي شعوره نحو العالم كله تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

الأنبياء: ١٠٧

واستشهد هذا المستشرق بموقف النبي عند دخوله مكة بعد فتحها وخطابه لأبناء قريش (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

كما بذلت المستشرقة الاسكتلندية «كارين أرمسترونج» جهوداً علمية متعمقة لتصحيح التاريخ، والكشف عن أخطاء شائعة حول الإسلام ونبيه محمد ﷺ، كما حاولت في دراسة قامت بها، تنقية الفكر الغربي من العديد من الأكاذيب حول سيرة الرسول ﷺ، وانصفت بما يفوق قدرة الكثير من علماء المسلمين.

وأوضحت موقع المرأة ومكانتها الرفيعة في الإسلام وكيف حرص الإسلام على إعلاء مكانتها وإعطائها الحرية، وقد أوردت موقف أم سلمة - رضي الله عنها - في واقعة صلح الحديبية، عندما منع الرسول ﷺ من دخول مكة وأداء العمرة بعد أن أحرموا وساقوا الهدى، وبعد إبرام صلح الحديبية طلب محمد ﷺ من أصحابه فك إحرامهم انتظاراً إلى العام القادم

غير معتدين، وكذلك إبراز فلسفة الإسلام في التنمية وعماراة الأرض.

ولو عرف الغرب هذه الحقائق، ما هاجموا الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وما هاجموا الإسلام الحنيف، وما كانت هذه الإساءات الناجمة عن الجهل بأساسيات هذا الدين الذي اعتنقه مليار وثلاثمائة مليون مسلم، يمثلون خمس تعداد العالم!

مثال من عندهم

والنبي ﷺ نصره الكثيرون من المستشرقين، فقد قال «توماس أرنولد» في كتابه الرائع الذي لم يسبقه إليه أحد من المسلمين أو غيرهم «الدعوة إلى الإسلام» والذي ترجمه الأستاذ الدكتور عبدالحليم عويس: إن من الخرافة وإلغاء العقل ألا نعتز بنبوة محمد، وإن من الخرافة أيضاً أن نقول إن هذا الدين انتشر بالسيف، مع أن الرسول ﷺ أرسل إلى الملوك والرؤساء في العالم بعد صلح الحديبية، وكان المسلمون - في قمة الضعف - بعد أن نجوا من غزوة الخندق.

وأما الأمريكي «مايكل هارت» فقد اختار من كل عظماء التاريخ وعباقرة مائة سماهم «أخالدون المائة» وجاء الرسول محمد ﷺ هو الأول وذكر هذا المستشرق الأسباب التي جعلت الرسول ﷺ يتفوق على كثير من الأنبياء بمقاييس العبقرية فقال: النبي محمد كان مثلاً أعلى لكل ما يدعوا إليه، عاش ككل الناس فقيراً لم



د. محمد سيد طنطاوى

مواجهة اللوبي الصهيونى الذى يؤدى دوراً خطيراً من خلال الضغوط والنقوذ القوى، الذى جعله يتدخل فى إنشاء أو إلغاء قرارات سياسية خطيرة، لذا فإن

الأقليات الإسلامية التى يصل عددها إلى عشرة أضعاف عدد اليهود، عليهم طرح هذه الفكرة على الحكومات العربية والإسلامية لتتبنى هذا الطرح، ودعمه سياسياً، وإزالة أية معوقات تعترض طريقه، خاصة أن المسلمين فى الغرب ينتمون إلى جنسيات متعددة، ويمتهنون أعمالاً بسيطة غير مؤثرة، وما يمكن أن يحيط هذا اللوبي باتهامات الإرهاب، وخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١.

لذلك فإن دعم واقتناع الدول والحكومات العربية والإسلامية ضرورى لإنجاح (اللوبي) الذى سيهم بشكل فعال وعملى فى مثل هذه الأزعة التى أصبحنا نواجهها فجأة وبدون أية مقدمات وبذريعة غريبة وغير مقنعة أو منطقية هى ما يسمونه بحرية التعبير! فنصرة رسول الله ﷺ لا بد أن تبدأ بسلوكنا والاقتداء به قبل مطالبة الآخر باحترامه ونصرتة..

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾

﴿ فَأَتَّبِعُونِى يُحِبَّبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

آل عمران: ٣١

التناول على الإسلام ومقام النبى ﷺ، فى وسائل الإعلام الغربية، واعتبرت تشويه صورة الإسلام فى الغرب، بالفيلم الهولندى جريمة اعتداء متعمد، تمس الدين الإسلامى، وتخريباً لمسيرة التعارف الحضارى بين الشعوب، ونوعاً من الحرية غير المسؤولة أو المضبوطة التى لا تقرها الأديان، ولا القوانين الدولية، وطالبت الحكومات الإسلامية وشعوبها بالمقاطعة الاقتصادية والتجارية، ضد الدول التى تسيء للإسلام والمسلمين، كحد أدنى للرد على هذه الإساءات.

لكن.. لابد من القول بأننا نتحمل جزءاً أكبر من المسؤولية عن الصورة السيئة للإسلام، وعن إساءة الغرب والشرق لنبى الإسلام ﷺ، فهم لا يعرفون الإسلام، ولا يعرفون النبى ﷺ إلا من خلال واقع المسلمين فى بلاد الإسلام، وواقع الجاليات الإسلامية فى دول الغرب.

والمسلمون يعانون - للأسف - من التخلف وإهمال مقومات النهضة من تعليم وعلم وتكنولوجيا وإنتاج وتقدم اقتصادى.

ونحن فى مجتمعاتنا الإسلامية - للأسف أيضاً - غالة على اجتماعات الغربية فى كل ما نستهلك أو أغلبه، وفى مقدمة ذلك الغذاء والدواء وكل مقومات التكنولوجيا الحديثة والسلاح!

والحل هو أن تبدأ نحن بحب الله والرسول حباً حقيقياً ونصرتة فى أنفسنا وقيمنا وسلوكنا.

ولا بد من تكوين لوبى إسلامى فى

عرض حقائق الإسلام

هناك الكثير من الأفكار التى تنسجم مع الاستراتيجية لنصرة رسول الله ﷺ وإعلاء الدين الإسلامى، من بينها دعوة كبار المشتغلين بالفكر الإسلامى من الغرب والشرق لإلقاء محاضرات فى دولنا العربية الإسلامية، ولإطلاق حالة حوار وتواصل معهم لإطلاعهم على الإسلام الصحيح، وفى رأينا أن مثل هذه الفكرة ليست غائبة عنا، ولكنها تحتاج دائماً إلى تطوير واهتمام أكثر، فضلاً عن ضرورة توظيف المواقع الإسلامية على الانترنت، لعرض حقائق الإسلام والرد على كل الافتراءات والأخطاء والأكاذيب التى تحاول تشويهه.

كما ينبغي أن تهتم القنوات الفضائية الإسلامية والتى يتكاثر عددها كل يوم بأن تبث إرسالها إلى جانب اللغة العربية بالعديد من اللغات الأجنبية كالفرنسية والانجليزية والألمانية، وتوجه على القمر الأوروبى، والأقمار التى تشاهدها أوروبا وأمريكا.

نقد ذاتى

لقد كثر الاستنكار من كل الهيئات الإسلامية، ربما كان آخره ما جاء فى الاجتماع الثالث والخمسين للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة، والذى عقد على مدار يومين فى الشهر الماضى، وترأسه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف ورئيس المجلس، حيث استكثرت هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى

هؤلاء الإسلام بشكل موضوعى وصحيح، وللوقوف أمام الحاقدين على الإسلام من المستشرقين والصهاينة، وأصحاب المصالح الخاصة والرأسمالية المتوحشة.

رابعاً: ولضرورة تفعيل هذه الاستراتيجية العلمية للدفاع عن الإسلام ونبيه الكريم ﷺ، فلا بد من التواصل والتعارف مع مراكز الدراسات الإسلامية فى الغرب، والتى تتسم بالجيدة والموضوعية والإنصاف للإسلام ونبى الإسلام ومن بين تلك المراكز، مركز الدراسات الإسلامية فى جامعة أكسفورد بالمجنترا بقيادة الأمير تشارلز، الذى يتحدث عن الإسلام أفضل بكثير مما يتكلم به بعض علماء المسلمين، ومثل مركز الدراسات الإسلامية فى جامعة جورج تاون.

بالإضافة إلى تأييد الجهود التى تبذلها هيئات دولية مثل اليونسكو والمعهد السويدى بالامكتندرية وجامعة الدول العربية، لتنقية المناهج الدراسية فى دول الغرب من الأخطاء الفادحة حول خصائص الإسلام ومبادئه وأهدافه وقيمه، وخصوصاً تنقية صورة الإسلام الخاطئة فى كتب التاريخ التى يدرسها الطلاب فى الغرب وأوروبا، وكذلك إصلاح صورة الغرب عند الطالب العربى، وذلك يحتاج بالطبع إلى نظرة موضوعية نقدية محايدة، وتعاوناً جاداً بين المسئولين التربويين لدى المسلمين ولدى الغرب.

الرد على الفيلسوف الهولندي المسيء للقرآن الكريم

للاستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب

قل للبلاغة أنصت لي يا بني
ما أفكر ما أفصحى وما أربابها؟
ما الخلق كل الخلق من إنس ومن
لن يستطيعوا أن يصوغوا كلهم

لا قول بعد بلاغة القرآن
غير الدقا وعلى مدى الأزمان
جن إذ اجتمعوا هنا في آن؟
أيما كآي الذكر والشيطان

لا سقر في طول الحياة وعرضها
إلا كتاب الله فهو مقدس...
من أنت يا من تزدرى دستورنا؟
من أنت يا من تزدرى قرآننا؟
قرآن ربى في القواد نصوته
نرعاه بين عسودنا وسطورنا
الملحد الأفكاذ إذ أزرى به

إلا ونال شدة يد العسودان
يحمي حماه خالق الأكوان
أعرفت معنى الوحى والإيمان؟
أعرفت معنى النور والعرفان؟
آياته تتسرى بكل جنان
وترد عنه هجمة الطغيان
أزرى بكل الرنل والأديان

أرأيت «هولنديهم» وحسب لاله
يرمى كتاب الله وهو منزلة
من قبل قال المشركون - سفاهة
هل في كتاب الله إلا حكممة
قد قبل عنه: إنه شعير فهل
وأنى الأليم يقول عنه إنه
بابش ما قال الأليم ترنحت
أينكون فاششيا وربى منزل
أينكون فاششيا وكل مطوره
إن الذى طمست بصيرة قلبه

يرمى بأفسات من الهنديان؟
عن ترهات الشر واليهنديان
وحسب لاله - سحر من الشيطان
وهداية جاءت من الرحمن؟
فى الذكر أبيات من الأوزان؟
قد جاء فاششيا على الإنسان
أفكاره فى الإثم والخسران
آياته بالعنف والإحسان
هى رحمة الإنسان والحيوان
لا يهتدى بهداية الفسقان

قد جاء بالقرآن من رب الورى
قد كان أميا وجاء بمعجز
عجز المعادى أن يجيء بمثله
هيهات يأتى الكافرون بمثله

خير اخلاقي من بنى عبدان
قد أعجز الدنيا بخير بيان
فمثاله ما كان فى الإمكان
لا يلتقى كفر مع الإيمان

نزل الكتاب على الحبيب المصطفى
ودعا إلى رب العباد بحكمة
قد جاء خير المرسلين بآيه
وأضاء بالشرحيد دنيا أشرق
إن قيل فتان يريد مثاله
فالن إن يسلك سبيل غواية

بهداية ومماحة وبيان
وبلاغة حملت أجل معاني
فأزاح ليل الظلم والأوثان
بالعلم والإيمان فى الأوطان
قلنا جهول مال للشيطان
كانت عواقبه على الفنان

صدقة أبقت مالا وأورثت رزقا ورزقانا

لفضيلة الشيخ / على عبد الباقي شحاتة
الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية

يقول:

إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرب وأعمى أراد الله أن يستليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص - على هيئته - فقال أي شيء أحب إليك؟ قال: لونٌ حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرتني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه قدره وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الإبل. فأعطى ناقه عشراء فقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن

ويذهب عني هذا الذي قذرتني الناس.. قال: فمسحه فذهب عنه، وأعطى شعرا حسنا.. ثم قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: البقر.. فأعطى بقرة عشراء فقال: بارك الله لك فيها.

قال: ثم أتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس. قال: فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطى شاة والدا، فأنتج هذان وولد هذا قال فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد

إن الصدقة التي نتحدث عنها اليوم، هي صدقة عجيبة لم يأخذها طاليها، وإنما ظلت في يد صاحبها المتصدق بها، مع قبولها عند الله بقبول حسن، أثمر رضا الله - تعالى - وفوز صاحبها بالجنة..

وقصة هذه الصدقة العجيبة وردت في حديث شريف، فقد حدثت فعلا في بني إسرائيل، وقد أعلم الله - تعالى - بها رسوله الخاتم ﷺ؛ ليخبر بها أمته المرحومة؛ ليكون لها منها العظة والعبرة، وليتعلموا منها درسا ربانيا عن حكيمته - تعالى - في خلقه وعطائه للطائعين.

فعن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ

”

أن يحصل الإنسان على الجزاء المكافئ لما قدم فهذا هو العدل، وأن يحصل الإنسان على عشر أمثال ما قدم من خير فذلك الفضل من الله - تعالى - وأن يضاعف الله الجزاء إلى سبع مائة ضعف أو يزيد ففي ذلك فليتنافس المتنافسون؛

﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

(البقرة: ٢٦١)

أما أن يحصل العبيد على ثواب أو جزاء عن صدقة لم تخرج من يده فذلك الشيء العجيب!!

“

من الغنم .

قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي السبل في سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيراً أتبلغ عليه في سفرى ، فقال : الحقوق كثيرة ، فقال له : كإني أعرفك ، ألم تكن أبرص يقدرك الناس فقيراً فأعطاك الله ؟ . فقال : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر ، فقال : إن كنت كاذباً صيرك الله إلى ما كنت .

قال : وأتى الأقرع في صورته وهيئته - السابقة - فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد على هذا فقال الملك : إن كنت كاذباً صيرك الله إلى ما كنت .

قال : ثم أتى الأعمى في صورته وهيئته السابقة فقال : رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي السبل في

سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفرى فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلى بصرى ، فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتكم فقد رضى الله عنك ومخط على صاحبك ^(١) .

إن هذه القصة الواعظة الهادفة ، والتي وردت في الحديث الشريف تمثل موقف الخلق من نعمة الخالق ، فمن الناس من يجارون إلى الله - تعالى - ويتضرعون إليه في كل وقت وحين ، ليرفع عنهم البلاء ، ويكشف عنهم السوء ، ويوسع عليهم من فضله ونعمته ، ويعاهدون الله الكريم إن أجاب دعاءهم وكشف كربهم ، ويسط لهم من رزقه ليكون من الشاكرين المحسنين ، ثم إذا أجاب الحق دعاءهم وكشف عنهم وبدلهم

من ضعف إلى قوة ومن قبح إلى حسن ومن ضيق إلى فرج ، إذا هم يجحدون النعمة وينشغلون بها عن المنعم ، ويتخذونها وسيلة لارتكاب ما حرم الله ويمنعونها خلق الله غير مباليين بأحوال المحرومين من خلق الله وما هم فيه من بؤس ، وعوز كانوا أنفسهم فيه من قبل ، ثم إذا ذكروا بما كانوا عليه من قبل لم يحمدوا الله ، بل يدعون أن هذا الغنى وهذه الصحة قد ورثوها عن أجدادهم !! وصدق الحق - تبارك وتعالى - إذ يقول :

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا إِلَىٰ غَيْرِهِ أَذًى وَمَا لَهُ بِهِ لَعْنَةٌ وَلَا يَسْمَعُ ۚ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الْفَقْرُ دَعَا إِلَىٰ غَيْرِهِ كَذِبَتِ ۖ أَعْيُنُهُمْ كَذِبَتْ ۚ إِنَّهُمْ عَلَىٰ غَيْرِهِ لَسَامِعُونَ ۚ ﴾

(يونس : ١٢)

فليستدبر كل منا هذه القصة النبوية الآن ، وما آل إليه مصير كل

من أصحابها الثلاثة ، ليعظم في نفسه قيمة الطاعة لله ، وما يؤول إليه مصير المطيع ، وأيضاً ما يؤول إليه مصير الجاحد لفضل الله - تعالى - ، وبخاصة ونحن في زمن أحوج ما نكون فيه إلى عطف الأغنياء على الفقراء ، وأن نتعاون على البر والتقوى لا على احتكار واستغلال حاجات الناس وآلامهم ، وليتذكر كل منا ماذا يأخذ معه من الدنيا ؟ ! إنه بحق يترك كل ما جمعه لغيره ثم يحاسب عليه ، وليستدبر حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه لأصحابه :

«أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟» قالوا : كلنا مالهنا أحب إلينا من مال وارثنا ، فقال ﷺ : فمالك ما أنفقت ومال وارثك ما أبقيت ^(٢) .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه البخاري .

أوله الألباب في القرآن الكريم

للشيخ محمد الغزالي

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

العقل أنفس مواهب الرحمن عند الإنسان به يقدر الإنسان أن يعرف النافع من الضار والحسن من القبيح والخطأ من الصواب والسفه من الرشيد.

وقد وردت في القرآن الكريم نحو ثلاثمائة آية تتحدث عن العقل ووظائفه وطرقه في الفهم والاستنتاج والحكم.

لكن إذا كان العقل مناط التكليف بالإيمان والإحسان والعدل والرحمة فإن هذا هو العقل الذي يمتاز به الإنسان على الحيوان وهو العقل الكلي الكامل.

هناك ما نسميه نقصا في العقل أو ما نسميه جنونا جزئيا وهو خلل في التفكير ينتشر بين كثير من خلق الله.

سر قوله تعالى:

﴿أَنَّا مُرُّونَ النَّاسَ بِالْبَيِّنِ
وَنَسُونَهُمْ أَنفُسَهُمْ وَأَنَّهُمْ نَسُوا الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾

(البقرة: ٤٤)

كان هذا التصرف جنونا جزئيا يقال

عندما أمر الناس بالتقوى وأنا فاجر أو
عندما أمر الناس بالرحمة وأنا قاس أو
عندما أمر الناس بالسماحة وأنا متعصب
فإن هذا شيء يدل على ضرب من الخبل
يجب أن يعالج بالتذكير والهداية وهذا

للإنسان معه: ألا تعقل؟ تأمر الناس بالبر
وأنت بعيد عنه شارد عن طريقه؟ ومن
عجائب لغتنا أنها سمت العقل بأسماء
عجيبة:

سمته «النهى»^(١) والنهى جمع نهية
كان وظيفة العقل أن ينهى الإنسان عن
الإسفاف.

وسمته «الحجر»^(٢) كان وظيفة العقل
أن يحجر على الإنسان إذا ضل وتصرف
تصرفا غائبا حتى يكف عن عبثه.

وسمته «العقل» لأنه يعقل صاحبه عن
التورط في المهالك لأن العقل هو الذي
يقيد الإبل والدواب حتى لا تشرد
وتنطلق على غير هدى فالعقل في ديننا
كما هو أصالة في فهم الحقائق فهما
سليما فهو كذلك أساس في زجر الإنسان
عن الاضطراب والفوضى إذا رغب في
الاضطراب والفوضى.

وقد رأيت وأنا أتلو القرآن الكريم أن
هناك كلمة تستوقف الأنظار وينبغي أن
نصير طويلا أمامها وهي كلمة «أولى
الألباب» ومعناها أصحاب العقول كأن
اللب هو العقل أو العقل هو اللب

(١) وفي التتيل العزيز: إن في تلك آيات لأولى النهى (طه: ١٢٨).

(٢) وفي التتيل العزيز: هل في ذلك قسم لأبي حجر (القدر: ٥).

وماعدها قشر يطير مع الريح لا وزن له.
تكررت كلمة «أولى الألباب» ست
عشرة مرة في القرآن الكريم نذكر منها
قوله تعالى:

﴿الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٍ فَمَنْ فُضِّ فِيهِمْ الْحَجُّ فَلَا رَفْثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَكَرَّ وَهَاقِبَاتِ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَالنَّقْوَى
بِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾

(البقرة: ١٩٧)

ومعنى الكلمة هنا أن في مناسك الحج
حكما يعرفها من يعرفها ويجهلها من
يجهلها وأن الذين تصورو أعمال الحج
مناسك غامضة بعيدة عن التصور العقلي
مخطئون.

وقوله تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾

(البقرة: ٢٦٩)

وعندى أن الحكمة في هذا الموضع
تعني النفقة الراشدة العاقلة التي تجعل
الإنسان يحسن توزيع ماله على مطالبه

الخاصة وعلي مطالب دينه وواجبات
مجتمعه بحيث يكون فيما يملك مدخر
للفقراء والمساكين ومجال للإنفاق في
سبيل الله.

والحكمة أوسع من هذا المعنى إذ أنها تعني أحيانا أن يكون التعليم مناسباً للطلاب فقد جاء «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبالغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»^(١٦)، «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله»^(١٧)

وقد تكون الحكمة في غير المال
ونفقته وفي غير العلم وعرضه قد تكون
في الدعوة كيف تعرض على الناس
وكيف يخاطب كل مجتمع بما يلائمه
ويناسب حاجته ويوائم مستواه العقلي
ولكنها على أية حال خبر كثير يعرف
قدره أولوا الألباب

ووردت كلمة «أولى الألياب» مرتين
في سورة آل عمران:

منها قوله تعالى:

33

الَّذِي أَرْسَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ
وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ التَّمْثِيلِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

(٣) رواه مسلم عند عبدالله بن مسعود في مقدمة صحيحه ٩/١.

(٤) رواه البخاري عن علي بن أبي طالب في كتاب العلم: باب من خص بالعلم فوما دون قوم كراهية أن لا يقهروا: ٤٤/١.

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٠٦﴾

(آل عمران: ۷)

وقد بينت للمسلمين أن المحكم من كتابهم هو الذي حوى أصول العقيدة والأخلاق والسلوك وأن التشابه لا معنى للخوض فيه لأنه فوق طاقة العقل أولاً وبعيد عن أن يصل الإنسان إلى حقيقته بأدواته الكلية ثانياً، ثم هو مشارف فرقة وخلاف ويتبقى أن يبقى المجتمع المؤمن موحداً الرأى مسدداً الهدف.

وَمِنْهَا مَا وَرَدَ فِي سُورَةِ يُوسُفَ
حَيْثُ قَالَ:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

(یوسف: ۱۱۱)

بين رب العالمين أن القصص الذي يسوقه في الرحي المبارك ليس روايات مؤلفة ولكنه أحداث تاريخ وقع ويعني ذلك أن المسلم قارئ القرآن ينبغي أن يدرس التاريخ لأنه لا جديد تحت الشمس

ممكن أن نقيس به الحاضر على الماضي،
ممكن أن نستنتج مما كان حقيقة ما
سيكون ولذلك أوتينا العقل لكي نعيش
ونوازن ونعتبر ونتدبر.

ومنهما ما ورد في سورة الرعد:

﴿ اَمْنَ يَعْلَمُ اَنَّمَا اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ اَعْمٰى
اِنَّمَا يَذْكُرُ اُولُو الْاَلْبَابِ ﴾

(الرعد: ١٩)

الناس كثيرون في هذه الدنيا لكن
بعض الناس في أبصارهم قصور فلا يرون
من بعيد أو في أبصارهم عمى فلا يرون
شيئا قط ، هذا الذي يكون من آفات في
العيون قد يكون آفات على البصائر التي
ينبغي أن تعرف الحق وأن تتبعه وأن تدرك
حسنه وأن تعرف الباطل وتشمئز منه
وتنفر من قبحه وقد بين القرآن الكريم
أن الإنسان تعرض عليه الآيات وينبغي أن
يستعمل عقله وأن ينتفع بأنفس ما وهب
الله له :

﴿فَدَجَّاهُمْ بِبَصَائِرِهِمْ رِيكَهُمْ فَمِنْ أَتَصَرُّوْنَ فَنُفِثَهُمْ ۖ وَمِنْ عَمِي
قَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْهِمْ بِحَفِيفٍ﴾

(الأنعام : ١٠٤)

ومن هنا ما ورد في سورة
إبراهيم:

﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا ﴾

يَوْمَ لِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُكَ وَجَدَ وَلِيدًا كَرِهُوا أَلَّا يَكُونَ لِلنَّبِيِّ

(إبراهيم: ٥٢)

إن هذا القرآن تلاه النبي ﷺ على
الناس ثم ذهب إلى الرفيق الأعلى وترك
الكتاب الخالد يتلى على الناس كي
يقطعهم عن الشهوات ويصدهم عن
الاهواء القبيحة كي يتذكر من له عقل أن
الله واحد وأن المرجع إليه وأن المهاد
الحسن ما نعه تحن لأنفسنا عنده،
فالذين يعملون الصالحات لأنفسهم
يمهدون والذين يعملون السيئات
لأنفسهم يمهدون ولكن شر مهاد.

ومنهما ما ورد في سورة ص:

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ
وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(ص: ٢٩)

هذا القرآن لا تقنى عجائبه وكلماته
وقفت أمام باب تفرع الباب لمعنى جديد
وجدت خزائن الرحمة فيه سيالة ومن
عيوب الذين ابتعدوا عن الرحمن أن حُجُبًا
صَدَّتْهم عن الكتاب فيهم ما يحسنون
السمع إذا تلى ولا القراءة إذا اطلعوا أما
عباد الرحمن فقد وصقهم الله بقوله :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَحْزَنُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾

(الفرقان: ٧٣)

الأصم: من استمع إلى الآيات فلم
ينتفع بها، ما انتفع بحاسة السمع.
الأعمى: من قرأ القرآن فلم يستفد
به، ما انتفع بحاسة البصر.

من عجائب التاريخ ومن غرائب العالم
أن الأخطاء الأجنبية عموماً تضيع القرآن
الكريم على الناس!! كأنها اطمأنت إلى
أن المسلمين لن يفهموا منه شيئاً إنما
يتتبعون النغم الخلو والصوت العذب
وانتهى الأمر!!

**أما سورة الزمر فقد تضمنت
ثلاثة مواضع:
الموضع الأول:**

﴿أَمَّنْ هُوَ قَتِيلٌ أَنْ يَأْتِيَ الْبِلَّيَّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ
الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

(الزمر: ٩)

الحديث بدأ بمقارنة بين ليل الرسول
وليل غيره، غيره نائم، جثة ملقاة
على الفراش كأنها دابة لحقها الإعياء
فهي تستريح، أما هذا النبي الكريم عليه

الصلاة والسلام فإن جسده ينام وقلبه
يقظان فإذا تحرك في فراشه تحرك بذكر
الله ثم على عجل ينهض لينتصب على
قدميه يقرأ الكتاب العزيز.

الموضع الثاني:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

(الزمر: ١٧، ١٨)

المؤمن ليس متعصبا لشيء سبق إلى
عقله إنه إنسان يحسن الموازنة والمقارنة
بين ما يعرض عليه من مبادئ وأفكار
ويختار ما يرى أن الشرع إليه أقرب وأن
العقل إليه أميل.

الموضع الثالث:

﴿أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبُوعٌ فِي الْأَرْضِ تُحْدِثُ
بِهِ ذُرَاهُ خُلُفًا أَلْوَنًا ثُمَّ يَهْبِجُ بِهِ قَرْنًا مَصْفًى رَأْسُهَا
يَجْعَلُهُ حُطَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

(الزمر: ٢١)

يذكر الله العباد بجلال قدره وعظمة
قدرته واقتنانه فيما أبدع من خلقه لأنه
أحسن كل شيء خلقه انظر كيف يتحول
الطين إلى ورود ورياحين! انظر كيف

يتحول القذى إلى سكر ونشا وحلو
وأشياء أخرى معجبة والوان أخرى تسمى
العيون!!

وفي سورة غافر:

﴿وَلَقَدْ كَلَّمْنَا مُوسَى
الْهَدْيَ وَأَوْثَقْنَاهُ بِشَرِّهِ الْكَتَبَ هُدًى
وَنُصْرًا لِلْأُولَى الْأَلْبَابِ﴾

(غافر: ٥٣، ٥٤)

يبدو من السياق أنه يتناول الأقدمين
من بنى إسرائيل ولا ريب أن أتباع موسى
الأوائل كانوا أولى بالحق والنصرة
والتكريم من فرعون وآله وجنده ومن
هنا أعطاهم الله الكثير.

وفي سورة الطلاق:

﴿وَكَيْفَ مِنْ قَرْيَةٍ
عَنَّتْ عَنْ آمُرِهَا وَرَسُولِهَا فَجَاءَهَا جُنُودٌ مُشْتَدِدُونَ
عَذَابًا لَكْرًا ﴿١﴾ فَذَاقَتْ وَتِلْكَ لَمْرَئِيهَا وَكَانَ عَذَابُهَا خَسِرًا ﴿٢﴾
أَعْلَانَهُ لَهُمْ عَذَابُهُمْ تَتَفَقَّهُوهُ وَأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ كَفَرُوا
قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْنَا ذِكْرًا﴾

(الطلاق: ٨-١٠)

هذه الآية تشير إلى سنة كونية وهي

أن الله لا يعاجل الناس بالعقوبة إذا
عاجلوه بالمعصية بل هو يتأنى بهم
ويعطيهم فرصة للمتاب فإذا أبوا إلا
الجحاح وإذا آثروا الضلال على الهدى
فإنه يضربهم الضربة التي تشيب لها
التواصي.

هذه بعض المواقع التي تكررت فيها
كلمة «أولى الأبواب» في كتاب الله عز
وجل لتبين أن القرآن الكريم يطلب من
المسلمين أن يكونوا أصحاب عقول
مستنيرة وأصحاب معرفة مستوعبة
وأصحاب علم واسع.

إن الأفق الضيق شر على صاحبه وشر
على المبدأ الذي يحمله وشر على العقيدة
التي ينقلها إلى الناس ونحن نريد أن
تكون على مستوى الدين.

لا أعرف كتاباً في الأولين والآخرين
أعلى قدر العقل وجعل أمته أمة الحضارة
العاقلة الواعية المتقدمة الهادية إلا هذا
القرآن الكريم! فاعرفوا قدر كتابكم
وأحسنوا اتباعه.

هداني الله وإياكم سبيل الرشاد.



دور الرسالات السماوية

للشيخ / صديق بكر عيطة

جاءت الرسالات السماوية لتكون المنهاج الواضح، والتطبيق العملي لما استقر في فطرة الإنسان، بعد أن أخذ الله عليه العهد الموثق، وهو - بعد - لا يزال في عالم الدر وتنظيم العلاقة عملياً بين العبد وخالقه: عقيدة وعبادة... ولإشاعة الاستقرار والحياة الآمنة بين الأفراد والجماعات وتحطيم ما قد يعترض مصلحة الفرد في مواجهة المجتمع أو المجتمع في مواجهة الفرد... وبذلك يستحق شرف الخلافة في الأرض:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَنَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

(البقرة: ٣٠)

جاءت الرسل، وبسد كل واحد منهم ما أوحاه الله إليه ما يؤكد على أن الخير الذي ينشده البشر إنما هو في اتباع هذا الرسول: عقيدة ومنهاجا وعملا:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾

(المائدة: ٤٤)

كنا قد تعرضنا في الجزء الأخير من مقالنا السابق، منبع الدين في الإنسان، للإجابة عن هذا السؤال المهم: ما دور الرسالات في حياة البشر؟ واقتضينا القول في هذه القضية نظراً لضيق المساحة الممنوحة لنا من جانب وحرصاً على وقت القاريء من جانب آخر واليوم نجيب على هذا السؤال بشيء من التفصيل المناسب نظراً لأهمية القضية ولضرورة أن يعطى كل نبي ورسول حقه من التوقير والاحترام.

﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ لَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾

(الإسراء: ٢)

كما أيد كل رسول بالمعجزات التي من شأنها أن تدعو إلى التصديق به وبأنه مبلغ عن الله - عز وجل -

لكن الناس في موقفهم مما جاءت به الرسل، لم يكونوا على سنن واحد، وهو موضع الابتلاء الحقيقي، والاختبار الذي يخرج منه البشر فريقين:

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ (الأعراف: ٣٠)

ولكى تتحقق العدالة المطلقة، وتكافأ الفرص بين البشر جميعاً في هذا الاختبار، جعل الله كل رسول ونبي من بني قومه وبلسانهم، لتكون الحجة أبلغ، ويكون شاهد صدق عليهم أمام الرب تبارك وتعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ أَكْثَرُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

(إبراهيم: ٤)

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾

(النساء: ٤١)

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾

(النحل: ٨٩)

التوحيد

ولقد كانت دعوات هؤلاء الرسل، تقوم على قاعدتين أساسيتين:

- أولهما: قاعدة التوحيد الخالص لله عز وجل.
- والثانية: الشريعة الواضحة بشقيها:
- الأول: ما يتعلق بكيفية العبادة التي تصل العبد بخالقه.

والثاني: ما يتعلق بتنظيم المعاملات بين الناس... أما ما يتعلق بالقاعدة الأولى، التي هي التوحيد الخالص للخالق المدبر، الذي بيده مقاليد السموات والأرض ومن فيهن، فإن جميع الرسل قد أعلنتها صريحة مدوية وهي الأساس الوحيد الذي تبنى عليه جميع شئون حياة الفرد والجماعة، حتى تتوحد وجهة الإنسانية، وتسير في طريق واحد لا عوج فيه، ولا ظلمة... فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه:

﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

(الأعراف: ٥٩)

وهذا هود عليه السلام يقول لقومه عاد:

﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾

(الأعراف: ٦٥)

وهذا صالح - عليه السلام - يقول لقومه ثمود:

﴿ يَنْقُورُ أَتَعْبُدُونَ اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ فَذُكِّرُوا تَعْلَمُونَ ﴾
رَبِّكُمْ ﴿

(الأعراف: ٧٣)

ويستمر جميع الرسل في أداء هذه الأمانة العظمى بكل دقة وإخلاص، سائرين في طريق التوحيد للخالق المدبر، على اختلاف أعصرهم، وأقوامهم، إلى أن جاء خاتمهم - عليه السلام - الذي جاء بالدين الأعظم الذي جمع تحت لوائه وسلطانه، كل ما سبق من الدعوات:

﴿ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ ﴾

(المائدة: ٤٨)

التوحيد جوهر دعوة موسى وعيسى

ولقد شاءت إرادة الله - عز وجل - أن يبقى في كتب اليهود والنصارى - بالرغم من حرصهم الشديد على التحريف والتبديل - جملة صالحة من الآيات، التي تدل على أن عقيدة التوحيد كانت جوهر الدعوة التي جاء بها الرسولان الكريمان: موسى وعيسى - عليهما السلام.

فلقد جاء في أسفار العهد القديم - التوراة التي أنزلت على موسى - في الوصايا العشر، ما يلي: الوصية الأولى:

(١) سفر الخروج: إصحاح ٣٤ فقرة ١٤

(٢) سفر الخروج: إصحاح ٢٠ فقرة ٣، ٤.

(٣) مرقس: إصحاح ١٢/٣٩.

«احفظ ما أنا موصيك اليوم... لا تسجد لإله آخر، لأن الرب اسمه غيور إله غيور هو...» (١).

وفي الإصحاح العشرين: «لا يكن لك إلهية أخرى أمامي، لا تضع لها تمثالا منحوتا ولا صورة مما في السماء من فوق، ومما في الأرض من تحت، ومما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدن» (٢).

وفي إنجيل مرقس أيضا: حينما تقدم أحد الكهنة إلى المسيح قائلا: أي وصية هي أول الكل؟ فأجاب يسوع أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الرب، إلهنا واحد، (٣).

وهكذا نرى أن عقيدة التوحيد، هي ديدن الرسل جميعا، من لدن آدم - عليه السلام - إلى محمد ﷺ مصداقا لقول الله - عز وجل - في كتابه العزيز:

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَاللَّيثِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهُنُوتَ وَمُوسَى
وَمُتَّيْنًا دَاوُدَ وَزَكَرِيَّا ﴾

(النساء: ١٦٣)

ومع هذه الوحدة التامة في القاعدة الأولى التي قامت عليها كل رسائل السماء، كان الاختلاف في القاعدة الثانية، التي هي الشرائع السماوية... قال تعالى:

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا ﴾

(المائدة: ٤٨)

ففي اختلاف الشرائع ما ييسر على الناس في كل أمة وفي كل جيل أمر العبادة، التي تجعل العبد في معية الله - عز وجل - كما ييسر لهم سبل المعاملات وتبادل المنافع، حتى يعيش الناس في أمن واستقرار... إلى أن بلغت الإنسانية رشدها، واستوت على سوقها، وتقاربت الأمم والشعوب، وأصبح من الميسور أن يجتمعوا على قانون سماوي واحد، فكانت شريعة الإسلام التي جاء بها خاتم المرسلين محمد ﷺ من عند الله - تبارك وتعالى -!!

قال الله - عز وجل - في محكم التنزيل مخاطبا نبيه ﷺ:

﴿ قُلْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي
لَمْ يَكُنْ لَكُمْ الْكِتَابُ وَالْأَنْبِيَاءُ ﴾

(الأعراف: ١٥٨)

عالمية الإسلام وخلوده

وهناك الكثير من الآيات الدالة على عالمية الإسلام وخلوده إلى يوم القيامة، يضيق المقام عن ذكرها، لكن، هناك في

طبيعة هذا الدين ما يؤكد على عالميته؟ إن الذي يتفحص طبيعة هذا الدين بعين باصرة، وبقلب واع لا يبقى إلا الحق، ليرى فيه الكثير من الأدلة القوية التي تكفل له البقاء، مثلما تكفل له الانتشار، لأنها تعد الركائز القوية، التي تقوم عليها حياة الإنسان وهو يؤدي دوره المنوط به... وتلك المقومات الأساسية الخالدة للإسلام هي - كما يقول الأستاذ محمد فريد وجدي - أنه دين القطرة، وأنه قائم على العقل والبرهان، وأن هناك أصولا أولية يتألف منها دستور علمي يوجه إلى بنابيع الحكمة، وهي تنحصر في هذه الكليات، التي أجمعت عليها فلسفات العالم، وهي دوام النظر والتفكير في الوجود إجمالا، وفي الكائنات التي فيه تفصيلا، ودرس أحوال الأمم، والاعتبار بها، وتصور نواميس الاجتماع من خلالها، والاستهداء بالأعلام الإلهية المنصوبة في الوجود لهداية السالكين للحقائق الخالصة من الشوائب، والتجرد من جميع الصيغ الوضعية ومن الهوى في الحكم على الأشياء، والاجتهاد في تحصيل العلم حيث كان، وعند أية أمة وجد، والأخذ بالأحسن من كل شيء، والعمل بمبدأ حرية البحث وعدم الاستخذاء للتقليد، وعدم الجمود على شيء، والجرى على سنة التجديد، استبقاءا للتناسب بين أهله وبين كل جديد، واعتبار الفضائل وسائل لبلوغ الكمال، الذي قدره الخالق للإنسان في هذا العالم، واعتبار وحدة الإنسانية، وأن الناس ما انقسموا إلى أمم



محمد فريد وجدي

كانت المحافظة عليه أصلاً من أصول الإسلام حيث إن مبادئه لم تتصادم مع فطرة ومن صور المحافظة عليه طهارته من الزنا الذي يؤدي إلى اختلاط الأنساب

كما فضل الإسلام الزواج من غير الأقارب حرصاً على سلامة بنيان النسل البشري.

● حفظ المال لأنه مع النسل يشكلان زينة الحياة الدنيا، ولذا فقد شرع الإسلام الجد في تحصيل كل منهما بل اعتبر ذلك عبادة يثاب المرء عليها: وجعل الدفاع عنه حتى الموت شهادة قال عليه السلام: «من قتل دون ماله فهو شهيد»^(٦) وحرص على أن يكون تحصيله من طريق حلال وأن يكون متصرفه أيضاً في حلال ولذا كان من أهم ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ماله: «من أين اكتسبه وفيم أنفق»؟ (سنن الترمذي) هذا هو دور الرسالات السماوية وتلك هي مهمة الرسل الكرام الذين اصطفاهم الله لهداية خلقه:

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

(النساء: ١٦٥)

ورثوه من أسلافهم وأمر باستعمال الخواص الأخرى التي تعد منافذ طبيعية له يطل منها على العالم من حوله ليؤدي دوره بجدارة وليؤدي إلى نتائج طيبة قال تعالى في محكم التنزيل:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ لَا يَصُدُّونَ بِهَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

(الأعراف: ١٧٩)

ويقول الرسول ﷺ: «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسناً وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»^(٧).

● حفظ الدين، فالنزعة الدينية أصل ثابت من أصول التركيبة البشرية. والدعوة إلى الدين تقوم على اختيار الكلمة الطيبة والأسلوب الحسن:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

(النحل: ١٢٥)

● حفظ النسل، وحب النسل فطري في الإنسان وغيره من الكائنات الحية ولذا

نظر الإسلام - منذ تكوينه في رحم أمه، ومن هنا كانت حرمة إسقاط الجنين خشية الفقر -

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ لَكُمْ رِزْقُهُمْ وَإِنَّا لَكَرِيمُونَ﴾

(الإسراء: ٣١)

وتستمر حرمة الاعتداء على النفس طيلة حياتها.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِلَهٌ حَرَّمَ ذَلِكَ وَإِلَّا بِالْحَقِّ﴾

(الإسراء: ٣٣)

وهو مظهر من مظاهر تكريمه عند الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْآلَةِ وَالْآخِرَةِ رِزْقًا لَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

(الإسراء: ٧٠)

وأعلن ذلك رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت العتيق مخاطباً هذا النبيان المقدس: «والذي نفس محمد بيده حرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك»^(٨).

● حفظ العقل الذي جعله الإسلام مناط التكليف وجعله مخاطب الأول في إقرار العقيدة والشرعية وأوجب استعماله في كل ما يعن للإنسان في حياته العامة والخاصة ونعى على من يهملونه اتكالا على ما

وشعوب وقبائل ليستخالفوا ويتناكروا، ولكن ليتعارفوا ويتحابوا، وأن باب الاجتهاد في الدين وفي الأحكام مفتوح إلى يوم القيامة ولا نختص به طائفة ولا تستأثر به أسرة.

هذه هي الأصول الأساسية في الإسلام، وكلها كما ترى أصول حاصلة على إجماع أهل العلم والفلسفة في العصر الحديث، وهي مع هذا أصول خالدة قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان، وفي كل أمة من أم الأرض كتب لها السمو وطول البقاء. فهل تعجب بعد هذا البيان من قولنا: إن تعاليم الإسلام خالدة خلود النواميس الطبيعية، وأنها تصلح لكل زمان ومكان،^(٩)

الإنسان في الإسلام

وانطلاقاً من جملة هذه المقومات الأساسية الخالدة للدين الإسلامي، تحدت مقاصد الشريعة الإسلامية وقد اتفق العلماء والمحللون على تسميتها الكليات الخمس، وهي على سبيل الإجمال على النحو التالي:

● حفظ النفس الإنسانية، بعدم الاعتداء عليها، حتى قبل:

«الإنسان بنيان الله ملعون من هدمه» ولم يقتصر الأمر على الإنسان الموجود بالفعل، فتحق الإنسان في الحياة يبدأ - في

(١) مجلة الأزهر: مجلد ٩ ص ١١٥ - ١١٨، ولقرا كتاب: «الدين العائلي ومنتج الدعوة إليه» للشيخ محمد صقر ص ٢٦، ٢٧.

(٢) ابن ماجه.

(٦) سنن الترمذي.

(٧) للمزيد أرجع إلى كتاب: «مقاصد الشريعة الإسلامية وضرورة التجديد» للدكتور محمود حمدي زقزوق.

الثقة القوية أولى خطوات النجاح

للدكتور/ حمدي فتوح والي

لقد بات من الواضح الصريح أن أمتنا الإسلامية- في مشروعاتها الحضارية المأمول- ليست بحاجة إلى منهج حكيم، أو تصور سليم، فذلك أمر كفيته بمنهج الله القويم، في كتابه الكريم.

﴿ وَإِنَّكُمْ لِكُنتُمْ عَرِيزًا ۖ لَا يَأْتِيهِ الْبَطُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَرْجُلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۖ ﴾

(فصلت: ٤١، ٤٢)

فهو المنهج الذي تنزهه عن النقص، وسلم من العيب، واستعلى على الأهواء، وتبرأ من العجز، واكتملت له جوانب الكمال والتمام، وهو المنهج الرياني الفريد على وجه الأرض اليوم، فلا دخل فيه لأهواء البشر.

وهو المنهج الواقعي، الذي سلم من التهويمات الخيالية، والنظريات المثالية- فهو يتعامل مع النفس الإنسانية من حيث هي: معترفًا بضعفها، مقراً بقصورها، ملبياً لحاجاتها كلها- روحية وعقلية وجسدية، دون تغليب شئ على شئ وهو إلى جانب ذلك كله يلتقي مع الفطرة السليمة النقية، لأنه منهج صدر عن الله، ليعالج فطرة هي من صنع الله: فلم يكن غريباً أن نرى هذا العناق الحميم بين المنهج الرياني والفطرة الريانية:

﴿ فَطَرْتُ أَنفُسَ الْبَشَرِ الْفَاسِقِينَ ۖ فَطَرْتُ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ۚ اللَّهُ ذَا الْكَرَمِ الْقَيُّمِ ۚ ﴾

(الروم: ٢٠)

وهذا الالتقاء الحميم بين الفطرة والمنهج هو ما يفسر لنا هذا الإقبال العظيم على اعتناق الإسلام عقيدة وشريعة، من كثير من أتباع الملل الأخرى، على اختلافها وتباينها، بالرغم من أن حال الإسلام بأهله اليوم لا يغرى أحداً بالإقبال عليه، أو الدخول فيه، نظراً لما يعاينه أهله من غياب الهوية وضعف السلطان.

وهذا الإقبال يفسر من جانب آخر سر الخوف الرعيب الذي يجتاح نفوس المعرضين الخائفين، من سدة الكفر وروس الضلال، عندما يرون الإسلام ينتشر في بلادهم، وبين ذريعتهم، وخاصة بين فئة المثقفين والمفكرين الذين تشرح صدورهم للحق فيدخلون في دين الله أفواجا.

فإذا أضيف إلى المنهج الإسلامي سمة أخرى، هو أنه منهج مجرب، تم تطبيقه والعمل به قروناً طويلة في حياة الناس، فثبت نجاحاً أذهل الدنيا، وأسعد العالمين، أدركنا أننا لسنا بحاجة إلى هذا اللهات الخنون وراء مناهج من عبدة الأهواء والشهوات، وسدة الإلحاد والفجور.

الثقة بالنفس

إن كل ما ينقص أمتنا اليوم- لكي تتقدم بالإنقاذ إلى أهل الأرض هو أن تثق بنفسها، وتستعلى بدينها وتستقيم على

منهج ربها، وسنة نبيها وأن تعلن في جسارة وقوة إنهاء حالة الفصام الفاضح بين عقيدتها التي تؤمن بها، وتعترف بالانتماء إليها وبين ممارسة تلك العقيدة في حياة الناس، سلوكاً وشريعة وأخلاقاً ونظام حياة.

إنني لا أدري، ولا أحد من جميع المخلصين في الأرض يدري، ما الذي يحول بيننا وبين الأخذ بمنهجنا، وهو أعظم منهج شهدته الأرض وأحكم شريعة عرفتها الحياة.

إنه لا يعرف تفسير واضح لذلك التخطيط الفاضح الذي تعيشه أمتنا اليوم إلا الفساد الذي أصاب العقيدة فأخمد جذوتها، وأطفأ شعلتها فتحوّلت إلى سطور في الأوراق، بعد أن كانت روحاً دافقة توجه السلوك وتحكم الأخلاق.

فالعقيدة الصالحة والأدب القوي، والعرف الصالح كقوة البارود في دفع القذيفة، تدفع الأمم بقدر ما في عقائدها من قوة واستقامة، وهذه القوة الدافعة تسوق الأمم إلى الأمام حتى إذا ما تبددت، بقيت الأمم حيث أوصلتها الدفعة الأولى، ثم هوت إلى الأرض كتلة لا تعي، وكأنما سلبت حياتها، والتاريخ يشهد على أن انحطاط كل قوم من الأقوام يبدأ حيث تبلغ السيطرة المادية حد التسلط على حياتها، وتسيرها وتحل محل السيطرة الروحية والمعنوية أو

بعبارة أخرى حين تغلب شهوات
الأبدان، شهوات الأرواح، تلك هي ساعة
الفصل بين التقدم والتأخر^(١).

حفظ الله الأمة

وإذا كانت أمتنا قد فقدت تلك القوة الروحية والمعنوية أو بعبارة أخرى غلبت شهوات الأبدان على شهوات الأرواح فوصلت إلى ما وصلت إليه الآن، فإن من رحمة الله بها وإحسانه إليها، أن حفظ لها منهجها الذي سعدت به ردحاً طويلاً من الزمن، حتى إذا تركته وأهمسته كلفها جزاء ذلك - سقوطاً لهيبتها، وانتقاصاً لسيادتها، وامتهاناً لكرامتها، وهواناً على الناس، فإذا أرادت العود بعد الجنوح الطويل، وجدت رحمة الله في انتظارها ومنهج الله بين أيديها، لتستأنف به نهضتها، وتعود من جديد لقيادة البشرية وهداية الناس.

إن الإسلام لا يستمد بقاءه من أحد
مهما كان شأنه، وإنما الناس جميعاً
يستمدون وجودهم وسعادتهم من
الإسلام.

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا بَنِي إِسْرَءِيلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(عبدالحمید: ۳۸)

إن الإسلام قائم بنا أو بغيرنا، أما نحن

فلا وجود لنا إلا بالإسلام وما أصدق قوله الخليفة الراشد عمر بن الخطاب: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله».

لقد رد الحق - سبحانه وتعالى - على أقوام سوء فهمهم، وفساد تصورهم عندما اتوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باعتناقهم الإسلام فقال سبحانه، مصححاً فهمهم، مقوماً تصورهم:

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلِيلًا لَمْ تُنَبِّهْهُمْ لَعَلَّ كُنْتُمْ إِسْرَافِينَ ﴿١٠٠﴾

(الحجرات: ١٧)

وها هي أمتنا مدعوة اليوم للعودة إلى كتاب ربها، وستة نبيها عودة نائب أثقله الذنب وآله الندم، وأحرقه لذع الضمير.

فقدان الثقة

وهي مطالبة في عودتها تلك أن
تسلح بثقتها في نفسها، وبقيتها في
ربها، يقول الأمير شكيب أرسلان:

«إن من أعظم أسباب انحطاط المسلمين في العصر الأخير فقدهم كل ثقة بأنفسهم، وهو من أشد الأمراض الاجتماعية وأخبت الآفات الروحية، لا



شكيب ارسلان

يتسلط هذا الداء على إنسان إلا أودى به، ولا على أمة إلا ماسقها إلى الفناء وكيف يرجو الشفاء عليل يعتقد - بحق أو بباطل - أن علته قاتلة؟ وقد أجمع الأطباء في الأمراض البدنية، أن القوة المعنوية هي أساس الأدوية، وأن من أعظم عوامل الشفاء إرادة الشفاء، فكيف يصلح اجتماع الإسلامى، ومعظم أهله يعتقدون أنهم لا يصلحون لشيء ولا يمكن أن ينصلح على أيديهم شيء وأنهم إن اجتهدوا أو قعدوا فهم لا يقدررون أن يضارعوا الأوروبيين في شيء (٢)

وهذا الشعور بالدونية الذي عاشته
أمتنا في العصر الأخير جدير وحده أن
يصيبها بالخور، وأن يسلمها إلى الدمار
اخفق والقضاء الرهيب.

ومما يروى من سيرة سيدنا على « كرم الله وجهه » أنه سمعت له في إحدى المعارك أربعمائة تكبيرة ، وكان من عادته أنه يكبر كلما صرع قرناً ، ف قيل له في ذلك فأجاب : كنت إذا حملت على الفارس ظننت أنني قاتله ، فكنت أنا ونفسي عليه . »

والتاريخ يسجل لسيف الدين قطز قاهر
الشتار، أن أول بشائر انتصاره على التتار
كانت في رده الحسام القاطع على غرور
هولاكو وتجبره، إذ قام بقتل رسله الأربعة

وعلق رءوسهم على
أبواب القاهرة ليعلم
أهل مصر الذين ملأهم
الرعب من أخبار التتار
أن التتار يقتلون،
وحتى يحرر الناس من
عقدة الانهزام
النفسي، والسقوط
المعنوي، الذي بلغ بهم
والهوان.

لقد اختصر هذا الموقف الرائع نصف طريق الانتصار وأشعر الأمة الثقة في نفسها والاطمئنان إلى قيادتها، فكأنها نشطت من قيد أو فكت من عقال، وانطلقت خلف قائدها تتحرق شوقاً إلى لقاء العدو، وتستعجل اللحظة التي تلقى فيها هذه الحشود الكافرة الفاجرة، لتروى من دمائها لهيب النار وشهوة الانتقام.

إن إحياء الأمة من موتها دور لا ينهض به إلا العلماء المخلصون والقادة المؤمنون، الذين يدققون في شرايين الأمة قسرة الإيمان، ويشعلون في كياناتها جذوة الجهاد، وروعة القرآن، ويدفعون بشباب الأمة إلى معالي الأمور ويحبسون إليهم الجنة، ولسان حالهم يقول:

تَهْنِئَةً عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَقُومُنَا

ومن يخطب الحسنة لم يغلها الهير

Figure 1

(١) الرسالة الخالدة- عبد الرحمن عزلم- دار الشروق سنة ١٩٧٩ ص- ٢٤

(٢) لئلا تأخر المسلمون ولئلا تقدم غيرهم - شككت أرسلان - دار البشر هي (١٤)

امتحان

للدكتورة سهير القلماوي

وكان الله يبعث يومضات أمل وسط هذا الليل من الشدائد وبواعث اليأس، فهذا قريب يعطف ويحتو، وذلك كبير شأن يسلم، هذا «حمزة» عم النبي يدخل الدين الجديد في فجاءة وقوة ملانمتين لعزته في قومه وقوة شكيمته.

هنالك يجتمع أكابر مكة كما اجتمعوا من قبل، وكما سيجمعون من بعد، يتداولون في حالهم إزاء هذه الأحوال الجديدة، وشبح زوال السلطان يسرع في عظامهم ويلهب أدمغتهم ويطلق السننهم، والعزة القرشية والإباء العربي يكسوان هذه الأفكار القاطنا خلاصة مثيرة، ويبدأ العقل يفكر في مسائل القلب، فينظم الفروض ويستوحىها، ويستكر الحلول ويكسوها خلاصة وإغراء، ويخرج آخر الأمر بخلاصة وافية يرضى عنها العقل كل الرضى، ويعرضها في إعجاب، بل في وثوق بالنجاح، هذا الرجل الذي يجاهر بدعوته الجديدة، إما أن يكون مريداً بها أمراً، وإما أن يكون مرغماً على الجهر بها، فإن كان الفرض الثاني فهو إذا

تزخر حياة الرسول ﷺ بالمواقف التي تفيض بجمال الإيمان وجلال الثبات على العقيدة، ولكن أزخر فترات حياته بتلك المواقف الفسرة التي قضاه في مكة منذ بدء الوحي إلى الهجرة، في هذه الفترة التي قضاه في مكة منذ بدء الوحي إلى الهجرة، في هذه الفترة كان الامتحان في ثبات العقيدة يتكرر صعباً عسيراً، وكان الإيذاء في سبيل الإيمان مرأً أليماً وحي ينزل متى أراد الله، لا متى تريد الظروف، ولا متى تدعو إليه الحاجات الإنسانية.

وقوم حوله يكذبون، هازئين خائفين من اشتداد الأمر واستفحالته، جزعين لمجرد خيال ينذر بزوال السلطان المادى عنهم، وهم بعد لهم عزتهم ونعرتهم وآلهتهم وأنسابهم ومقامهم الذي ورثوه مثقلاً بمهاية السنين، مدعماً بسلطان المال وبطش القوة، والأنصار قليلون مستضعفون مستقتلون في بسالة وإيمان، واستشهادهم يخدم الدعوة، ولكنه يؤلم القلب ويدمع العين.

قد نفذت إرادته تحت تأثير سلطة خارقة، تقذف به إلى هذا الشقاء الذي يلغاه، وتقوده إلى هذا الألم الذي يحوزة، وهي في حقيقة الأمر تؤذيهم هم أكثر مما تؤذيه، هذه القوة لا يمكن إلا أن تكون شيطانا، وعلاج الإنسان من سلطان الشيطان بواسطة الطب أمر ميسور متى توفر المال، وإما إذا كان الفرض الأول هو الأكثر احتمالاً، فهو يريد بدعوته شيئاً لا يخرج عن أمرين: إما المال وإما السلطان، وكلاهما في أيديهم يمكن أن ينزل عن جزء كبير مغر منيما حتى يؤمن هذا الشبح الرابض على قلوبهم بثقلها ألماً، والرجل آخر الأمر واحد منهم، من أوسطهم نسباً، وأعلامهم مقاماً، فليقروا على ما أراد، حتى تستمر تقاليد مكة على ما كانت عليه من قبل ميلاد محمد «ص» أزماناً طويلاً.

هكذا جلست الجماعة من سراة قريش في ناديبها، تفكر وتمعن في التفكير، يقلبون الأمر على ميزان العقل، يقدمها المقدمة، ويخلصون إلى النتيجة ويقررون ما يستقرون عليه من رأى وجلس بينهم عتبة بن ربيعة سيداً في قومه مهيباً وفوراً، قال: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه، ووافق المجلس على هذا الاقتراح، وذهب عتبة إلى محمد ﷺ، وفي الطريق تداعبه خيالات الانتصار، ألم يقلوا الأمر على كل وجه؟ ألم يكونوا أسخياء في عروضهم المعقولة كلها، وعرضوا عليه أن يختار منها ما يريد هو؟ ما من شك إذا أن الرجل سيكف عما يدعو إليه، وسيعود إلى قومه راضى النفس قد اطمأن إلى ما أراد أن تصل إليه آماله.. وسيتلاشى هذا الشبح الثقيل الذي ربض فوق

مكة، من خلاف أهلها وفوضى الأمر واضطراب الحال. كل شيء سيعود كما كان.

ويقتررب عتبة من رسول الله ﷺ، ويتبع في كلامه خطة تدرجية نفسية مؤثرة. فهو يبدأ الكلام بقوله: «يا ابن أخي»، ويبين له بعد ذلك مكانته العظيمة من قومه، ثم يتحدث إليه في رفق وبساطة، مصوراً له في أيسر لفظ خطر ما يدعو إليه: «لقد فرقت جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم، وكفرت من سلف من آبائهم» لقد بسط عتبة الحال، وجاء أوان الحلول، وهذه خلاصة ما قد وصلوا إليه، ففروض مختلفة لا يمكن أن يخرج الأمر عن أن يكون واحداً منها، ثم عرض سخى ثمناً لعلاج كل مرض. ويعيد عليه في حنان ورفق تلك القروض بادناً بصوته الرفيق الشفيق «يا ابن أخي»، ثم يفصل الحال في إيجاز: «إن كنت تريد بما عنيت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالا. وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك...» وكأنها أحس عتبة أن هذا القدر لا يكفى، فأردف: «وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا...» فهل بعد هذا كله من مزيد؟ لا حرب، ولا اضطهاد، ولا تعذيب. سلطان عريض، ومال وفير. أيمن أن تصل أطماع الرجل إلى أكثر من هذا العرض السخي؟ وفي صوت أكثر إشفاقاً، كأنه يخشى أن يחדش إحساسه، يعرض عليه قائلاً: «وإن كان هذا الذي يأتيك رتباً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا أموالنا حتى نبرئك منه...» وكأنها يعتذر إليه، «فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه».

قصيدة العدد

المتكبر الوضيع

الطيين

من إبداعات الشاعر المهجري
«إيليا أبي ماضي»

نسى الطين ساعة أنه طين حقيقير فصال تيهها وعيريد
وكنها الخبز جئمه فتياهي وحوى المال كيهه قئمرود
يا أخی لا تمل بوججهاك عني ما أنا فحمة ولا أنت فرققد
أنت لم تصنع الخربير المذى تلبس واللؤلؤ الذى تنقلد
أنت لا تأكل النضار إذا جععت ولا تشرب الجمال المنضد
أنت فى البردة الموشاة مثلى فى كسانى الرديم تشقى وتنعد
لك فى عالم النهار أماني ورؤى والظلام فوقك ممعد
ولقلبي كما لقلبك أحلا م حسان قياته غير جلمد

أأماني كلتها من تراب وأمانيك كلتها من عجمد
وأأماني كلتها للتلاشي وأمانيك للخلود المؤكد؟
لا . فهذى وتلك تانى وتمضى كذوبها . وأى شىء يؤبد؟

قوته من معين أصفى وأروع .

ويقول محمد ﷺ : «يا أبا الوليد أفرغت؟
قال عتبة : نعم .. قال : فاستمع منى . وشخذ
أبو الوليد عقله واستعد لمناقشة حادة يقرع فيها
الحجة بالحجة ، ويبطل الدليل بالدليل ولكن ما
هذا الذى يسمعه؟ كلام ولا شك ولكنه ليس
كلاما - إن الرسول ﷺ يقول :

﴿ حَدْ ١ تَرِيلَ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ ﴾ كَتَبْتُ فُصِّلَتْ
مَكْتُبُهُمْ فَأَعْرَبْنَا الْقَوْمَ يَعْلَمُونَ ٢ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَغَضِبَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٣

(فصلت : ١ : ٤)

وقال الوليد فى نفسه : حقا لماذا لا
يسمعون؟ وسمع وسمع . وإذا الرسول الكريم
يسجد فى بساطة الإسلام وجمال الإيمان
وجلال الصلاة . إن عتبة لا تتحرك عيناه . إن
فيضا من إحساس عجيب عتيف يعمر كيانه
فينسى السلطان والمال والرئى الذى يرى . إن
شيئا فى نفسه يتحول وإن شيئا جديدا ليخلق
خلقا .

لقد امتحن الرسول ﷺ فى ثباته وقوة
إيمانه ، بأن عرض عليه أسخى عطاء ليكف عن
رسالته . فإذا أردنا معرفة النتيجة فى هذا
الامتحان ، فهذه صورة عتبة وقد عاد إلى قومه
لا يقول شيئا وفى وجهه أحسن جواب .

إنهم لم يفهموا شيئا وفسروا الأمر بمنطق
الأرض والعقل فقالوا للصامت أمامهم : «لقد
سحرك يا أبا الوليد»

سمع الرسول ﷺ : « هذا الكلام فى
هدوء وصبر ، هذا شيخ ناصح طيب القلب
يريد به الخير ، ولكنه فى واد ، والرسول
الكريم فى واد آخر ، هؤلاء يزنون بموازين
الدنيا ، وهو قد وزن الدنيا بما فيها بميزان
الآخرة . عروض سخية تغرى أهل الأرض ،
تعرض على أهل السماء الذين جاءوا
الأرض فى سفرة قصيرة عارضة ، إنه أرسل
ليصنع دستورا لهذه السفرة القصيرة ،
أسامه لقاء فى الآخرة وحساب الجهاد فى
الدنيا واجب ، ولكن لا للملك ولا للمال
ولا للسلطان . الجهاد جهاد لله وفى سبيل
الله .

كان أحرى بهذا الكلام أن يشير
ويغضب . آمال وسلطان وطب وشياطين ،
وكل همه أن يعد نفسه للقاء الله ، حياة
كلها جهاد ليصل إلى أن يستطيع أن
يقول : «ألا قد بلغت؟ اللهم فاشهد ..»
أرثيا يراه ، وقد رأى جبريل عليه السلام ،
وحمل رسالة نادت بها الجبال الراسيات؟
ولكن الشيخ يتحدث فى رفق ، والدعوة
الإسلامية تأمر بالصبر ، وتوصى باللين فى
معاملة الناس ، والنفس الطيبة الوادعة
تحسن الظن ، وتقدر إشفاق الشفق بل
تشفق عليه بدورها لأنه لم يفهم بعد .

إن معجزة صغيرة كانت تسكت هؤلاء
القوم وتدعوهم فيؤمنون . إن مناقشة
هادئة قد تقنع هذا الشيخ فيكسبه إلى
صفه بالحجة والدليل ، ولكن الدين
الحنيف لا يعتمد على المعجزات ، ولا
يعتمد على المناقشة والحجج . إنه يستمد

أَيُّهَا الْمَرْدَمُ: إِذَا مَلَكَ الشَّقَاءُ أَلَا تَشْتَكِي؟ أَلَا تَتَنَهَّدُ؟
وَإِذَا رَأَيْتَ الْخَبِيرَ بِهَجْرٍ أَنْتَ مِثْلِي يَبِشُّ وَجْهَكَ لِلتَّعْمَى
أَدْمُوعِي خَلَّ وَدَمْعَكَ شَهْدُ؟
وَابْتِغَامِي السَّرَابَ لَا رَى فِيهِ؟
قَلْبُكَ وَاحِدٌ يُظِلُّ كَلِينَا
قَمَرٌ وَاحِدٌ يُظِلُّ عَلِينَا
إِنْ يَكُنْ مَشْرِقًا لِعَيْنَيْكَ إِنِّي
الْنَّجْمُ نَوْمُ النَّاسِ تَرَاهَا أَرَاهَا
لَسْتُ أَدْنَى عَلَى غِنَاكَ إِلَيْهَا

أَنْتَ مِثْلِي مِنَ الثَّرَى وَإِلَيْهِ
كُنْتُ طِفْلًا إِذْ كُنْتُ طِفْلًا وَتَغْدُو
لَسْتُ أَدْرِي مِنْ أَيْنَ جِئْتُ، وَلَا مَا
أَقْتَدِرِي؟ إِذَنْ فَخَبِّرْ وَإِلَا

أَلَيْكَ الْقَصْرُ دُونَهُ الْحَرَسُ الشَّا
فَامْنَعِ اللَّيْلَ أَنْ يَجِدَ رَوَاقِيَا
وَانْظُرِ الشُّورَ كَيْفَ يَدْخُلُ لَا يَطْلُبُ أَذْنَا، فَمَا لَهُ لَيْسَ يَطْرُدُ؟
مَرْقَدٌ وَاحِدٌ تَصِيبُكَ مِنْهُ
ذِدْتَنِي عَنْهُ، وَالْعَوَاصِفُ تَعْدُو
بَيْنَمَا الْكَلْبُ وَاجِدٌ فِيهِ مَاوِي
فَمِمَّ عَتِ الْحَيَاةُ تَضْحَكُ مِنِّي

أَلَيْكَ الرُّوحَةُ الْجَمِيلَةُ فِيهَا
فَارْجُرِ الرِّيحَ أَنْ تَهْزِرَ وَتَلْوِي

وَالْجَمُّ الْمَاءُ فِي الْغَيْدِيرِ وَمُزْرَةٌ لَا يَصْفُقُ إِلَّا وَأَنْتَ بِمَشْتَهَدٍ
إِنْ طَيَّرَ الْأَرَاكَ لَيْسَ يَبِيحَالِي أَنْتَ أَصْفَقَيْتَ أَمْ أَنَا إِنْ غَرَّدَ
وَالْأَزَاهِيرُ لَيْسَ تَخْشَرُ مِنْ قَفَرِي، وَلَا فَيْكَ لِلْغَنَى تَبُودُّ

أَلَيْكَ الشَّهْرُ؟ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّمِ الرُّطْبُ دَرْبٌ وَلِلْعَصَا فَيْرُ مَوْرَدٍ
وَهُوَ لِلشَّهْبِ تَنْتَحِجُ بِهَ فِي الصَّيْفِ لَيْلًا كَأَنَّهَُا تَنْبَرِدُ
تَدْعِيهِ قَهْلٌ بِأَمْرِكَ يَجْرِي فِي عُرُوقِ الْأَشْجَارِ أَوْ يَتَجَعَّدُ؟
كَانَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَجِيءَ، وَتَمْضِي وَهُوَ بَاقٍ فِي الْأَرْضِ لِلْجَزْرِ وَالْمَدِّ

أَلَيْكَ الْحَقْلُ؟ هَذِهِ النَّحْلُ تَجْنِي الشَّهْدَ مِنْ زَهْرِهِ وَلَا تَنْشَرِدُ
وَأَرَى لِلنَّمَلِ مُلْكًا كَبِيرًا قَدْ بَنَتْهُ بِالْكَدْحِ فِيهِ وَبِالْكَدِّ
أَنْتَ فِي شَرْعِهَا دَخِلَ عَلَى الْحَقْلِ وَلِصَّ جَنَى عَلَيْهَا قَافِلٌ
لَوْ مَلَكَتِ الْحَقْلُ قَوْلَ فِي الْأَرْضِ طَرًّا لَمْ تَكُنْ مِنْ قَرَاشَةِ الْحَقْلِ أَمْعَدُ
أَجْمِيلٌ؟ مَا أَنْتَ أَبْهَى مِنَ الْمَوْرَدَةِ ذَاتِ الشَّيْذَى وَلَا أَنْتَ أَجْوَدُ
أَمْ عَزِيزٌ؟ وَلِلْبَعُوضَةِ مِنْ خَدِيدِكَ قَسْوَتٌ، وَفِي يَدَيْكَ الْمَهْنَدُ
أَمْ غَنَى؟ هَبْهَا تَخْشَعُ لَوْلَا دَوْدَةُ الْقَرْبِ بِالْحَبَاءِ الْمُبْجَدُ

أَمْ قَوِي؟ إِذَنْ مَرِ النَّوْمَ إِذْ يَغْشَاكَ وَاللَّيْلَ عَنْ جَفَاؤِكَ يَرْتَدُّ
وَأَمْنَعِ الشَّيْبَ أَنْ يَلْمَ بِقُودِيدِكَ وَمَرِ تَلَبَّثَ التَّضَارَةَ فِي الْخَدِّ
أَعْلِيمٌ؟ قَمَا الْخَيَْالُ الَّذِي يَطْرُقُ لَيْلًا؟ فِي أَيِّ دُنْيَا يُوَلَّدُ؟
مَا الْخَيَاةُ الَّتِي تَبِينُ وَتَخْفَى؟ مَا الزَّمَانُ الَّذِي يُذَمُّ وَيُحْمَدُ؟
أَيُّهَا الطَّيْنُ لَسْتُ أَنْقَى وَأَسْمَى مِنْ تُرَابِ تَدْوَسُ أَوْ تَنْسُوْسُ
سَدَّتْ أَوْ لَمْ تَسُدْ فَمَا أَنْتَ إِلَّا حَيَوَانٌ مُسِيرٌ مُسْتَعْبَدُ
إِنْ قَصْرًا سَمَكْتُهُ سَوَفَ يَنْدُكُ، وَثَوْبًا حَبَكْتُهُ سَوَفَ يَنْقُصُ
لَا يَكُنْ لِلْخَصَمِ قَلْبُكَ مَاوِي إِنْ قَلْبِي لِلْحُبِّ أَصْبَحَ مَعْبِدُ
أَنَا أَوْلَى بِالْحُبِّ مِنْكَ وَأَحْسَرِي مِنْ كَسَاءِ يَبْلَى وَمَالٍ يَنْقُصُ

منهج الإسلام في مكافحة الغلاء

للمستشار / حسن حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

قد تهر على الأمم فترات من تقلب الأسعار في السوق التجاري، وخاصة في المراحل الانتقالية لأنظمة هذا السوق، ويكون المستهلك هو الأكثر تأثراً بهذا التقلب، وهنا يظهر المعدن الطيب للتجار، حتى لا تزداد الأعباء وطأة على كاهل المواطن العائل، ومن ذلك الواقع الذي نعيشه هذه الأيام، الذي يشير إلى قيام كثير من الصعوبات التي تكدر حياة أناس، أطلق عليهم وصف محدودى الدخل، ويأتى في مقدمة هذه الصعوبات، الزيادة المتلاحقة في أسعار العديد من السلع، وخاصة ما كان منها مرتبطاً بأساسيات الحياة، وربما كان السبب من وراء ذلك هو أن بعض التجار في السوق المصري، أساء استقلال التحولات الاقتصادية التي تمر بها البلاد، وانكب على احتكار بعض السلع المتصلة مباشرة بقوام حياة هذا القطاع من المواطنين، بغية تحقيق الربح السريع الأمر الذي يفرض علينا بذل الجهد في إلقاء الضوء على موقف الشريعة القراء، في مواجهة بعض السلبيات التي تقع من بعض التجار، في هذه الفترات الصعبة، وهو ما سنحاول بيانه.

الصدق في التجارة

والتاجر الصدوق، هو الذى اتخذ من الصدق شعاراً له، وطبقه قولاً وعملاً في تجارته، وقد امتدح الرسول الكريم ﷺ، هذا النوع من التجار، بقوله الذى رواه الحاكم في المستدرک: التاجر الأمين الصدوق المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة،

وفي رواية: في ظل عرش الله، وهو التاجر الذى جاء وصفه في قوله الرسول ﷺ الذى رواه البيهقي عن معاذ بن جبل رضى الله عنه: «أطيب الكسب، كسب التجار، الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا انتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلقوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يظروا، وإذا كان عليهم لم يمتطلوا، وإذا كان لهم لم

يعسروا»، وهى صفات يشترك فيها كل من تجمعهم هذه الصفة، التي تنتهى بهم إلى جنة الخلد، التي أعدها لهم في الآخرة..

ومن صدق التاجر أن يشهد بالحق على السلعة وصفاً وطمناً، وأن ينصح للمشتري إن كان بها عيب، وأن يمتثل أمر الله تعالى ورسوله ﷺ في البيع والشراء، مع عدم المغالاة في طلب الربح السريع، على حساب عباد الله المستهلكين، والرضا بما قسمه الله له من الرزق الحلال، فتدركه البركة في كل أمواله، بل ويأتى الرزق من الله تعالى، كما أخبر الصادق الأمين ﷺ بقوله: «التاجر الصدوق ينتظر الرزق، والمحتكر ينتظر اللعنة».

ومع هذا فهناك حديث نبوى شريف توقف أمامه كثيراً، وهو ما رواه الحاكم والإمام أحمد والبيهقي عن عبد الرحمن بن شبل والطبراني عن معاوية، أن رسول الله ﷺ قال: «إن التجار هم الفجار»، وتحيرت في أمر هذا الوصف، الذى جاء على لسان من لا ينطق عن الهوى، وهو ﷺ الفائل في حديث آخر: «تسعة أعشار الرزق في التجارة»، ولكن بمدارمة البحث في السنة النبوية المطهرة، تبين أن هناك أحاديث أخرى، أوضحت أن هذا الفجور ليس على إطلاقه، ولكنه مخصص بأمور معينة، قد يقع فيها بعض التجار، كالغش والتلاعب في الموازين وسوء الطلب والقضاء، وكثرة الخلف لترويج السلع وربما كان كاذباً، ومن هذه الأحاديث، ما رواه الحاكم والإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، أن

النبي ﷺ قال: «خير التجار من كان حسن القضاء، حسن الطلب، وسىء التجار من كان سىء القضاء، سىء الطلب»، وما رواه الطبراني عن واثة، أن الرسول ﷺ قال: «يا معشر التجار، إياكم والكذب»، ويقصد بذلك التاجر الذى يتفق السلعة باليمين الكاذب، أو الذى لا يتوقى الربا في تعامله.

التيسير في المعاملة

التيسير بصفة عامة من الخصائص المميزة لشريعة الإسلام، بل هو من قواعدها الكلية، التي تدور عليها الأحكام الشرعية، وأحوج ما يكون الناس للتيسير، في معاملتهم اليومية، ولا سيما في أوقات الأزمات التي تتعرض لها الأمة، ولذا فمن صفات التاجر الصدوق التحلى بالتيسر مع كل المتعاملين معه، ومن النماذج الطيبة لهذا التاجر، ما رواه الحاكم في المستدرک عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتى الله عز وجل بعبد من عباده أتاه مالا، فقال له: «ماذا عملت في الدنيا؟»، فقال: ما عملت من شيء يا رب إلا أنك أتيتني مالا، فكنت أبايع الناس، وكان من خلقي، أن أيسر على المومر وأنظر المعسر، قال الله تعالى: «أنا أحق بذلك، تجاوزوا عن عيدي»، حقاً، لقد صدق من قال: إن العبد لا يكون أكرم من سيده، فما بالناس إذا كان هذا السيد هو مالك الملك والملكوت، صاحب الخزائن التي لا تنفذ.

ولعظمة اليسر في الأمور كلها، فقد جعله الرسول الكريم إحدى الخصائص

المميزة لدين الإسلام، فقال ﷺ: «إن هذا الدين يسر، فأوغل فيه برفق، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»، وأمر بالأخذ به في كل الأحوال قائلاً: «يسروا ولا تعسروا»، وكان ﷺ إذا خير بين أمرين، اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً أو قطيعة رحم.

وأولى الناس بالتيسير هم من أصابهم أي نوع من العسر في هذه الحياة، وإذا كان الجزاء من جنس العمل، فإن من قدم اليسر لمن كان في حال العسر، فالله تعالى يبادل أيضاً اليسر في مواطن كثيرة، يكون فيها أشد حاجة إليه في الدنيا والآخرة، مصداقاً لقول الرحمة المهداة ﷺ الذي رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة...»، وقد ذكر العلماء أن من يسر الدنيا: توسيع الرزق والحفظ من الآفات والشدائد، والمعاونة على فعل الخيرات، ومن يسر الآخرة: تسهيل الحساب والعفو عن العقاب، ولما كان الإعسار أعظم كرب الدنيا، لم يقتصر جزاؤه على الآخرة وحدها، بل عظمه الله تعالى في الدنيا والآخرة.

وأفضل مواطن اليسر، إذا كان الإنسان يئن تحت وطأة الدين، لأن الدين كما أخبر رسولنا الكريم ﷺ هم بالليل ومذلة بالنهار، ولهذا أمر الله تعالى بالصبر على المعسر في قوله المحكم:

﴿وَأِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ لِيَكُنْ بِكُمْ مَسْرَفٌ وَآخِيسٌ﴾

(٢٨٠١ من البقرة)

وأخبر رسول الله ﷺ أن جزاء هذا الصنيع هو الأمن يوم الفزع الأكبر من عذاب الله عندما تدنو الشمس من الرؤوس، فقال فيما رواه مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه: «من نفس عن غريمه «مدينه»، أو محبا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة»، والتنفيذ يكون بعد أجل السداد أو تأخيرته، ولكن اغنو يكون بالإبراء من الدين، وعدم المطالبة به بالمرة... إن التيسير على المدين يفتح باب التوبة واسعاً أمام الدائن العاصي، فقد روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «من أنظر «أعطى مهلة» معسراً إلى ميسرته، أنظره الله بذنبه إلى توبته...».

المحتكر ملعون

وإذا كان الاحتكار كما عرفه العلماء هو: جمع السلع وإمساكها بعض الوقت، بقصد بيعها في وقت الحاجة بثمن أكبر من ثمنها الأصلي، وذلك إضراراً بالغير، فإن كثيراً من التجار قد يقع في الاحتكار دون أن يدري، وذلك عندما يظن أن الأساس في التجارة مجرد الربح، أي كان مصدره، ويغفل عن خطر الاحتكار على عقيدة الإنسان، فقد قال رسول الله ﷺ، فيما رواه الحاكم في المستدرک والإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من احتكر حكرة، يريد أن يغلي بها على المسلمين، فهو

خاطي»، وقد برئت منه ذمة الله ورسوله، وفي رواية: «فهو ملعون»، واحتكر استحق اللعنة، وهي الطرد من رحمة الله، لأنه حرم خلق الله من الانتفاع بالخيرات التي سخرها لهم، مع بذلهم الثمن المقرر لها...

وهذه اللعنة لا تقتصر على الموقف العظيم في الآخرة، بل تنال المحتكر وهو في حياته الدنيا، لأنه كما ضيق على الناس معاشهم، فلا يتنجو من هذا الضيق، ولكن بصورة أخرى، وهذا ما أخبر به الرسول الكريم ﷺ بقوله الذي رواه البيهقي والإمام أحمد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس»، وقال العلماء: إن السر في إصابة المحتكر بالجذام لأنه أردأ إصلاح نفسه بثمره هذا الاحتكار، وهذه أنانية عمياء، وأن السر في إلحاق الإفلاس به لأنه أراد تكثير أمواله، فالله يعامله بنقيض قصده...

ويلاحظ أن ألفاظ هذه الأحاديث وإن كانت خاصة، كالمسلمين والطعام، إلا أنها تفيد العموم من باب أولى، فمن يحتكر ليضر المسلمين، فيكون إضراره بغيرهم أشد، ومن احتكر الطعام، وهو من أكثر الأشياء طلباً، وأقلها في الاستغناء عنها، فيكون احتكاره لما دونه من الأشياء أشد، وفي كل الأحوال، فإن الاحتكار حرام شرعاً، لما فيه من الأضرار الجسيمة التي تلحق بالأفراد والمجتمع.

وإذا كان هذا هو حكم الشريعة الغراء في

الاحتكار، فإنه إعمالاً للسياسة الشرعية المقررة في هذه الشريعة، يجوز لولي الأمر أو من يندبه، أن يتدخل لمنع هذا الاحتكار، رفعا للظلم الواقع على الرعية، وذلك بمن التشريع الكفيل بالقضاء عليه.

جواز تسعير السلع والخدمات

فما يروى عن الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، أنه أرسل غلامه لشراء ذبابة من السوق، وعندما أحضرها، وجدها جرير تساوي ثمناً أكبر من الذي دفعه الغلام للبائع، فأرسل في طلبه، وعرض عليه شرائها بالثمن الذي رآه مناسباً لها، فوافق البائع وهو تسيطر عليه علامات الدهشة والتعجب من هذا الصنيع، لأن المشتري دائماً يلتزم تخفيض الثمن المبيع لا زيادته، ولكن هذه العلامات زالت عندما سمع سيدنا جرير يقول له: «يا هذا، لقد عاهدت رسول الله ﷺ، على النصح لكل مسلم، وهذه الذبابة تساوي الثمن الذي دفعته لك، وإلا كنت خائناً لهذا العهد».

على ضوء ذلك، يكون الفهم الصحيح لما رواه أبو داود والترمذي وابن حبان عن أنس ابن مالك رضي الله عنه، أنه قال: غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا: سعر لنا، فقال: «إن الله تعالى الخالق القابض الباسط الرازق المسعر، وإنني لأرجو أن ألقى الله، لا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه، في دم أو مال»، فإذا كان جمهور الفقهاء يرى حرمة التسعير، إلا أن من فقهاء الأمصار كربيعة وابن العربي المالكي أخذوا

بمذهب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، قالوا بجواز التسعير وحبطه بقانون، لأن به يحقق نظام الأسعار، وليس فيه مظلمة لأى من البائع والمشتري، ويقول ابن العربي: وما قاله رسول الله ﷺ حق، وما فعله هو حكم صحيح، ولكن كان مع قوم صحت نياتهم وسلمت ديانتهم «من أمثال سيدنا جرير»، أما قوم قصدوا أكل أموال الناس، والتضييق عليهم، فباب الله أوسع وحكمه أمضى..

وبلاحظ من هذا الحديث، أنه ذكر بعض صفات الله المتعلقة بالرزق، ومن بينها صفة التسعير، وإذا كان المؤمن مطالب بالتخلق بصفات الله التى تقبل ذلك، فيكون من مقتضى التخلق بهذه الصفة جواز التسعير، فضلاً عن هذا، فإن العلة من عدم استجابة الرسول ﷺ لطلب التسعير هى مخافة الوقوع فى الظلم، مع قوم يخشون الله ورسوله، فإذا كان هناك ظلم محقق وقع بالناس، من قوم لا ذمة لهم ولا عهد، فإن رفعه يكون واجباً، يقوم به ولى الأمر الأعظم، أو يندبه لذلك..

إن ما تعيشه البلاد فى هذه الأيام من موجة غلاء فى أثمان كثير من السلع، والاستغلال السيئ من بعض التجار لحرية السوق، ينبئ بوقوع ظلم ربما يكون قادحاً على السواد الغالب من المستهلكين، بما يستوجب التدخل الحاسم لرفع هذا الظلم عن هؤلاء المظلومين، ومن بين الوسائل الناجعة التى تساعد على ذلك، الأخذ بنظام التسعير، وخاصة بالنسبة لأثمان

السلع الأساسية، التى تقوم عليها حياة كافة أبناء المجتمع، ولا حرج على ولاة الأمر فى ذلك، تحقيقاً للصالح العام، وللنقضاء على الجشع والغلاء.

كيفية مواجهة الاحتكار الإجبارى

مع تقدم وسائل الحياة فى العصر الحديث، وظهور اختراعات التى لم تكن معروفة من قبل، فى شتى المجالات، ظهر نوع جديد من الاحتكار، يرد على الحق فى براءة هذه الاختراعات، وهو ما يمكن تسميته بالاحتكار المعنوى، لأن مجاله الفكر ونشاط العقل، وليس المادة أو السلعة، وهذا النوع من الاحتكار قاصر على الدول المتقدمة، صاحبة السبق فى الوصول إلى الكشف عما هو جديد من اختراعات، بما يمكن وصفه بالاحتكار الإجبارى، الذى يترتب عليه حرمان الدول الأخرى، غير اختراعه، من الاستفادة من ثمار أى نوع الاختراع، إلا بإذن خاص من الدولة صاحبة الحق فيه، وذلك على النحو الذى نظمته اتفاقية التجارة الدولية، المعروفة باسم «الجات».

ومواجهة هذا الاحتكار لا يكون إلا بالسلح بالعلم النافع الموصول إلى طريق الإبداع والاختراع، بحيث تقف الدول النامية على قدم المساواة مع الدول المتقدمة، وهذا الطريق ليس سهلاً ميسوراً، بل يحتاج إلى البذل والتضحية بكل ما تملكه تلك الدول فى سبيل كسر دائرة هذا الاحتكار البغيض.

إن الحياة لم تعد تسير كما كانت من قبل، بل طرأ عليها ما يزيد من مكدراتها، سواء أكان ذلك على الأفراد أو الجماعات أو حتى على الدول، وإذا كان الاحتكار واحداً منها، فالواجب على كل متضرر منه، أن يتخذ الوسيلة المناسبة التى تعينه على مواجهته، قبل قبوات الأوان، ويسأل الله العون على ذلك.

التكافل الاجتماعى

وهو قيام الأفراد بتقديم العون المادى أو المعنوى بعضهم لبعض، فى أى مكان أو زمان أو لأى سبب، ولا سيما فى أوقات الأزمات، والأساس فى ذلك قول الحق تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

«المائدة: ٢»

إن هذا التكافل الاجتماعى يعد مقياساً حقيقياً لمعرفة درجة نقاء معدن الإنسان، بل إن بذل المال لمن يستحقه هو من شعب الإيمان المتعددة، ومن تقاعس عن ذلك كان على شعبة من النفاق، بل هو يعد مكذباً برسالة الإسلام، لقول الحق تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِى يَدْعُ الْيَمِينُ ۖ وَلَا يَخْشَىٰ عَلَىٰ مَلْعِكَةِ الشَّكِينِ ۚ﴾

«سورة الماعون - ٣: ١»

وقد أشار الرسول الكريم ﷺ إلى إحدى الصور التى لا يكتمل فيها إيمان الإنسان، بقوله الشريف الذى رواه البيهقى والطبرانى: «ليس يؤمن من بات شعباناً، وجاره جائع على جنبه، وهو يعلم»، ومن رحمة الله ورسوله بنا أن جعل عدم اكتمال الإيمان فى هذه الحالة، مرتبطاً بعلم الجار بجوعة جاره، أو عدم علمه، وإلا كانت العاقبة سيئة على الجميع.

وهناك نموذج رائع لقوم تحققوا بالتكافل الاجتماعى فى أفضل صوره، فكانوا أهلاً للدرجات العليا من الإيمان، إنهم الأشعريين قبيلة الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، الذين قال فيهم أشرف المرسلين ﷺ، فيما رواه البيهقى عن أبى موسى: «إن الأشعريين إذا أرملوا «نفذ زادهم» فى الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جعلوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية، فهم منى وأنا منهم».

فهؤلاء القوم الكرام كانوا يتكافلون فى أوقات الحرب والسلم، وكان كل واحد منهم يفتقد أحوال غيره من بنى قومه، فإذا تبين أن هناك من هو فى حالة عوز مئادى، أخبر عنه الآخرين، فيقدم الجميع كل ما لديهم، ويتقاسمون به بالتساوى فيما بينهم، حتى لا يتميز أى واحد منهم على الآخر، وبذلك يتحقق لكل منهم الأمن الاجتماعى فى حياته...

والله تعالى ولى التوفيق...

الغناء والموسيقى حلال .. أم حرام؟؟

للدكتور / محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الغناء: كلام .. ولحن .. وأداء ..

ولقد دار الحديث عن هذا الغناء في الموروث الإسلامي -سنة شريفة.. وفقها.. وفكرًا تحت مصطلحات عدة، منها: مصطلح «اللهو»، ومصطلح «السماع»... وقد يتبادر إلى الذهن المعاصر أن استخدام مصطلح «اللهو» في وصف الغناء إنما يحمل معاني سلبية، تشي بالكراهة أو التحريم للغناء.. ولما كان هذا الذي يتبادر إلى الذهن المعاصر غير وارد ولا صحيح، كان علينا أن نبادر بضبط مضمون مصطلح «اللهو»، الذي صنفت تحته -في كتب السنة- الأحاديث التي وردت في موضوع الغناء.. والذي استخدم كذلك في القرآن الكريم.

هذا اللفظ غلب على ما يطرب النفس ويؤنسها ويروح عنها.. وكما جاء في (لسان العرب) -لا من منظور- «فاللهو: ما لهوت به ولعبت به وشغلك من هوى، وطرب ونحوهما.. ولهيت عن الشيء: إذا سلوت عنه وتركت ذكره، وإذا غفلت عنه. ولهيت المرأة إلى حديث المرأة تلهو لهوا: أتست به

فاللهو -في مصطلح العربية- ليس بالضرورة ما يلهي عن الطيبات والعبادات والخيرات.. وإنما هو كل ما يشتغل به الإنسان ويشتغل به فيلهيه ويتلهي به عن سواه.. فالاشتغال بالطيبات لهو عن الخبائث، والعكس صحيح.. واللهو: ما يأنس به الإنسان ويعجب به.. لكن استعمال

وأعجبها، واللهو: النكاح -أي الزواج- واللهو: المرأة والولد -أي زينة الحياة- وقد يكتفى باللهو عن الجماع.. والملاهي: هي آلات اللهو.. أي مطلق الوسائل التي تحدث الأتس واللذة للإنسان، فتشغله عند حدوثها عما سواها.

وكذلك الحال في القرآن الكريم، يرد الحديث عن اللهو في سياق المناشط الإنسانية المباحة، إذا هو لم يله الإنسان عن الفرائض والواجبات والضرورات.. فتحدث الآيات عن فرائض، وضرورات، ومباحات -عن صلاة الجمعة، والبيع، والانتشار في الأرض، والابتغاء من فضل الله، وذكر الله، والتجارة، واللهو- داعية المؤمنين إلى وضع كل منها في مقامها وتوقيتها.. وناعية عليهم الخلل الذي يضع الأمر في غير موضعه، أو يصرف عن الواجب إلى المباح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّعْتُمْ فَاصْلَوْا مِنَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرَ الْعَلَمِ تَقْلَحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا فَلْيَضْحَكُوا وَلَا يَمْسِكُوا وَلَا يَمَسْجِدَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَٰذَا حُدُودُ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَحْذَرُونَ ﴿١١﴾﴾

[الجمعة: ٩- ١١]

اللهو ليس محرماً لذاته

فالبيع ليس حراماً.. لكن الحرام أن يلهينا

ويشغلنا عن صلاة الجمعة.. والانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله من الضرورات.. لكن وقتها ومكانها ليس في وقت الصلاة.. والتجارة واللهو من المباحات.. بشرط ألا يشغلا الإنسان ويصرفاه عن صلاة الجمعة.. فاللهو -أي اللذة بالطرب- وضع هنا مع البيع والتجارة والانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله -أي من الضرورات والمباحات- وإذا كان اللهو هو مطلق ما يلهي ويشغل الإنسان عن أمر آخر، فإن الآيات لا تحرمه، لأنه ليس محرماً لذاته وعينه، وإنما لما فيه من الذهول عن الواجب -ولقد وضعت مع المباحات والضرورات والواجبات- وإنما هي تدعو إلى التوازن الجامع في حياة الإنسان، ليقوم بالواجبات، ويحقق الضرورات، ويحصل الحاجيات، ويجدد ويزين حياته بالتحسينات والكماليات واللذات من المباحات.

بل إن هذا الإنسان لو لهته وشغلته الصلاة -غير المفروضة- مثلاً كل الوقت عن الضرورات والمباحات لعد ذلك غلوا في الدين.. وكذلك الحال لو لهته الضرورات عن الفرائض، أو شغلته المباحات عن الواجبات والضرورات..

ولقد روى عن جابر أن رسول الله، ﷺ، قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة، إلا مريض أو مسافر أو امرأة أو صبي أو مملوك، فمن استغنى باللهو أو تجارة استغنى الله عنه، والله غني حميد»^(١).. فترك التجارة واللهو هنا مطلوب من وجبت عليه الجمعة، أما من لم تجب عليه الجمعة من

(١) أخرجه الدارقطني، انظر: القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج ٨، ص ١٠٢، طبعه دار الكتب المصرية، القاهرة.

النساء والمرضى والمسافرين والصبيان فلا عليهم أن يمارسوا المباحات^(٢).

وعن جابر بن عبد الله: «كانت الجوارى إذا تكحن يمررن بالمزامير والطبل، فانفضوا إليها، فنزلت» - آيات سورة الجمعة - «وقيل إن خروجهم لقدم دحية الكلبي بتجارته، ونظرهم إلى العير تمر^(٣)».

وفي سورة الأنعام:

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِيبٌ وَلَهُوَ لِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

(الأنعام: ٣٢)

وليس المراد بها ذم الحياة الدنيا، ولا ذم اللعب واللهو، وإنما المذموم هو قول الكفار:

﴿وَقَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِلَّا حَيَوةُ الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

ما جاء في سياق الآية وقالوا:

﴿إِنَّمَا هِيَ إِلَّا حَيَوةُ الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَقُولُ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا

بِالْحَقِّ قَالُوا عَلَى رَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ كَذِبُوا يَلْقَؤُهُ أَفَوْحًا إِذْ نَجَّاهُ ثُمَّ السَّاعَةُ

بَقِيَّةٌ قَالُوا أَلَيْسَ لَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ

عَلَى ظُهُورِهِمْ إِلَّا مَآئِمَةً مَا يَرَوْنَ ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا

لَبِيبٌ وَلَهُوَ لِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

(الأنعام: ٢٩ - ٣٢)

وفي النص على أن المذموم ليس الحياة الدنيا ولا اللعب واللهو، وإنما المذموم هو إنكار الكافرين للبعث. يقول القرطبي: فالمقصد بالآية تكذيب الكافرين في قولهم:

﴿إِنَّمَا هِيَ إِلَّا حَيَوةُ الدُّنْيَا﴾^(٤)

الغناء مباح لذاته

فالنظرة الإسلامية للهو - الغناء - تضعه في خانة المباحات، المباحات لذاتها، والتي تعرض لها - بسبب ما يلحق ويقتون بها وينتج عنها - الأحكام الشرعية التي تعرض للمباحات.. فقد يبقى الغناء على الإباحة - التي هي الأصل - وقد يعرض له ما يجعله واجبا، أو مندوبا، أو مكروها، أو حراما.. مثله في ذلك مثل سائر المباحات - ومنها الأكل والشرب - الأصل فيها الإباحة، وقد يعرض لها ما يجعلها واجبة، أو مندوبة، أو مكروهة، أو حراما.

غناء الطيور

وإذا كان الغناء، في جوهره: صوت جميل تصاحبه ألحان وأنغام مؤلفة تزيده جمالا، فلقد عرض الفكر الإسلامي لهذا الغناء باعتباره فطرة إنسانية تحاكي بها الصنعة الإنسانية، الخلقة الإلهية التي أبدعها الله وخلقها في الطيور والأشجار.. فالصوت الجميل الصادر من حنجرة الإنسان هو محاكاة للأصوات الجميلة الصادرة من حناجر الببل والعدليب والكروان.. ومعزوفات الأوتار التي تسمع الألحان المؤلفة

والجميلة هي محاكاة الصنعة الإنسانية لما تعزفه الأشجار والأغصان والأوراق في الحدايق الغناء عندما تهب عليها الرياح والنسمات.. وإذا كان غير وارد ولا جائز. ولا معقول تحريم الأصوات الجميلة إذا جاءت من حناجر الطيور، فلا منطق يحرمها إذا صدرت من حنجرة الإنسان، إذا لا فرق بين حنجرة وحنجرة.. وإذا كان غير وارد - ولم يحدث - أن حرم أحد الأصوات المنكرة، ولا الأنغام المتخالفة، فمن غير المنطقي ولا المعقول تحريم الأصوات لأنها جميلة غير منكورة، أو الأنغام لأنها مؤلفة غير متخالفة.

بهذه النظرية الفطرية نظر العقل المسلم - والإسلام دين الفطرة - إلى الغناء والألحان، وجاءت كلمات حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١٠١ م) معبرة عن هذا المنطق الفطري عندما قال:

«فالأصل في الأصوات حناجر الحيوانات، وإنما وضعت المزامير على أصوات الحناجر، وهو تشبيه للصنعة بالخلقة التي استأثر الله تعالى باختراعها، فمنه تعلم الصناعات، وبه قصدوا الاقتداء.. فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة موزونة، فلا ذهاب إلى تحريم صوت العدليب، وسائر الطيور، ولا فرق بين حنجرة وحنجرة، ولا بين جماد وحيوان، فينبغي أن يقاس على صوت العدليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام، باختصار آدمي، كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره»^(٥).

وإذا كان هذا هو منطق الفطرة وبرهان العقل، فإن برهان النص والنقل - في الإسلام - يدعم هذه الفطرة، التي جعلت الغناء من المباحات في ذاتها، والتي جعلت الأحكام الأخرى عارضة له وعليه بسبب ما يعرض له فيخرجه عن أصل الإباحة..

فالنموذج الإسلامي للحياة الإنسانية - والذي تناسى فيه برسول الله ﷺ هو النموذج المتكامل المتوازن، الذي يعمل لدنيائه كأنه يعيش أبدا، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا، والذي يقبل على الآخرة التي هي خير وأبقى، دون أن ينسى نصيبه من زينة الحياة الدنيا وطيباتها، والذي يتجنب غلوى الإفراط والتفريط في كل مناحي الحياة.

فالأسوة الحسنة ﷺ كان نبي الملحمة، وأيضا نبي المرحمة.. وكان يأنس إلى المساكين ويستطيب أحسن من العيش والفرش، وفي ذات الوقت يستعيذ بالله من الفقر والذين.. وكان يستشعر ويستلهم آيات ومظاهر ومصادر الجمال التي أودعها الله، سبحانه وتعالى، في الوجود.. فيستعيذ بالله - في دعاء السفر - من كآبة المنظر.. ويدعوه - في صلاة الاستسقاء - : «اللهم أنزل علينا في أرضنا زيتها».. ويطلب للمسلم - حتى في المجتمع الفقير - الزينة الجمال، في الاسم.. والثوب.. والطيب.. بل وحتى في النعال! - حتى ليحكى خادمه أنس بن مالك، رضي الله عنه، فيقول: «ما شمت عتبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله، ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا ألين مساً

(٢) المصدر السابق ج ١٨ ص ١١١.

(٣) المصدر السابق ج ١٨ ص ١٠٧.

(٤) (الجامع لأحكام القرآن) ج ٦ ص ٤١١.

(٥) (إحياء علوم الدين) ص ١١٣ طبعة دار الشعب القاهرة.

من كف رسول الله .. كان أزهر^(٦) اللون، كان عرقه اللؤلؤ^(٧) ..

النموذج الإسلامي

إنه كل ذلك .. الأسوة المتكاملة والجامعة والمتوازنة .. فالأقدام تتورم من الوقوف بين يدي الله، والاستشعار للجمال روح سارية في كل مناحي الحياة .. والزواج والنكاح تعانق الصدق والباشاشة الصادقة .. ذلك لأن عبادة الله هي الشكر له، سبحانه، على نعمه المبثورة في الحياة، ومنها نعمة الجمال، التي لن نستطيع تقدير عظمتها، وشكر الله عليها، إذا نحن أدركنا لها الظهور والعقول والقلوب، وأغلقتنا فنوات استشعارها في هذا الكون، الذي أبدعه الخالق الجميل، الذي يحب الجمال.

ولأن هذا هو النموذج الإسلامي في الحياة، والذي تناسى فيه برسول الله ﷺ كان للغناء مكانه في المجتمع النبوي، والسنة النبوية - بالقول والإقرار - يحثي أصبحت هذه السنة من «السنة العملية»، التي قامت وتجسدت في واقع خير القرون ..

ففي صحيح البخاري، تروى أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، فتقول: «دخل رسول الله ﷺ، وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعات^(٨)، فاضطجع على الفراش، وحول وجهه. فدخل أبو بكر، فانتهرني، وقال: مزمار الشيطان عند

رسول الله ﷺ؟! فأقبل عليه رسول الله فقال: «دعهما».

فنحن أمام سنة نبوية - عملية - أقر فيها رسول الله ﷺ، الغناء، في بيت النبوة، من فتاتين، ويسمعهما رجال، ويعتنيان بأشعار تتحدث عن ذكريات وقائع الحرب في التاريخ، بل والتاريخ الجاهلي - وعندما اعترض الصديق أبو بكر، رضي الله عنه، مجتهدا في المنع، اعترض الرسول ﷺ على هذا الاجتهاد، مؤكدا الإباحة ..

وتحويل الرسول وجهه عن الفتاتين المغنيتين هو غرض للبصر، وليس كفا للأذان عن السماع ..

ولم يطعن أحد من علماء الجرح والتعديل على أحد من رواة هذا الحديث، الذي رواه البخاري في الصحيح ..

وفي ذات الحديث تكملة تروى فيها السيدة عائشة أحداث واقعة ثانية لسنة عملية أخرى في هذا الموضوع .. تقول - رضي الله عنها - : «وكان يوم عيد، يلعب السودان - الحبشة - بالدرق^(٩) والحراب، في المسجد، فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال: «تشتين تنظيرين؟» فقلت: نعم، فأقامني وراءه، خذني على خده، يسترني بثوبه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون - أي يرقصون - فزجرهم عمر - رضي الله عنه - فقال النبي:

«أمتا بني أرفدة^(١٠) .. دوتكم بني أرفدة، حتى إذا قلت: قال: «حسبك؟» قلت: نعم. قال: «فادهي».

فيها، أيضا، سنة عملية أقرت اللعب - التمثيل والرقص - المصحوب بالغناء - فقي بعض الروايات أنهم كانوا يغنون شعرا يقول:

يا أيها الضيف المعرج طارقا ..
لولا مررت بآل عبد الدار
لولا مررت بهم تريد قراهم ..

منعوك من جهنم ومن إقتار
وفي بعض الروايات: «كانت الحبشة يرقصون» - (أي يرقصون) -، وفي بعضها: «يرقصون بين يدي رسول الله ﷺ ويقولون: محمد عبد صالح»^(١١).

وفي البخاري - أيضا - عن عائشة ما يشهد بأن هذا الغناء المباح قد يعرض له ما يجعله مطلوبيا ومنتويا - في الأعراس - والطالب له والحات عليه هو رسول الله ﷺ، فعن أم المؤمنين عائشة أنها رقت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، ما كان معكم ليهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو».

وفي رواية النسائي لذات الحديث، يقول الرسول: «يا عائشة، أهديتم الفتاة؟ ألا بعثتم معها من يقول: أتيناكم أتيناكم، فحببنا وحبباكم؟» ..

فيحث على الغناء، بل ويرشح الكلمات ..

ولهذا الحث على الغناء - في مناسباته - نظير في الحديث الذي خرجه الإمام أحمد - في مسنده - عن عبد الله بن عمير - أو عميرة - قال: «حدثني زوج ابنة أبي لهب، قال: دخل علينا رسول الله ﷺ حين تزوجت ابنة أبي لهب، فقال: «هل من ليهو؟»

وفي سنة أخرى، يروى النسائي - عن السائب بن يزيد - أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقال لعائشة: «يا عائشة، أتعرفين هذه؟» قلت: لا يا نبي الله، قال: «قينة^(١٢) بني فلان، تحبين تغنيك؟» فغنتها.

وإذا كانت القينة هي الجارية المغنية، فنحن أمام مغنية تحترف الغناء لبني فلان - أي للرجال والنساء - يعرض الرسول على عائشة أن تسمع غناءها، فتغني لها، في حضرة رسول الله ﷺ.

ولقد مضت هذه السنة - إباحة الغناء .. أو نديه - جارية مرعية في مجتمع الصدر الأول .. فيروى النسائي عن عامر بن سعد يقول: دخلت على قرظة بن كعب، وأبني مسعود الأنصاري، في عرس، وإذا جنوار يغني، فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ﷺ ومن أهل بدر، يفعل هذا عندكم؟! فقالا: اجلس إن شئت فاسمع معنا، وإن شئت اذهب «فقد رخص لنا في اللهو عند العرس» ..

فالبدريون من صحابة رسول الله ﷺ قد مضوا على سنة الاستماع والاستمتاع بلذة الطرب بالغناء الحلال المباح.

- يتبع -

(٦) الأزهر - وجمعه زهر - يضم الزاي ويسكن الهاء - البتير، الصائفي الثوب، والمشرق الوجه.

(٧) رواه مسلم والإمام أحمد.

(٨) بعات: حصن للأوس، دارت عنده وقعة من وقائع الجاهلية، انتصرت فيها الأوس على الخزرج.

(٩) الدرق: القوس من جلود، ليس فيه خشب ولا عظم.

(١٠) أمّا: أي لكم الأمان وفيه مناج وتثجيع على مواصلة اللعب. وأرفدة: أشهر أجداد الحبشة.

(١١) أخرج هذه الرواية الإمام أحمد عن أبي مالك، ورواه النسائي أيضا عن أبي هريرة - في باب اللهو بالحراب -

(١٢) القينة: معانها - عمة - المغنية - وتطلق على الآفة واللاشطة.

المخطوطات العلمية الش

أرحلة فى التراث الإسلامى

الأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة سابقاً

٣

كتب المصنف، الحسن بن على بن الحسن الفارسى، فى آخرها أنه فرغ من تسيدها فى شهر سنة ثمان وسبع مائة ويضيف السمنانى أن المصنف كانت وفاته فى ١٩ ذى القعدة سنة ٧١٨ هـ ليلية (١٢ يناير ١٣١٩م) ببلدة تبريز وكانت مدة عمره ٥٣ سنة، وعلى ذلك يكون ميلاده فى سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦-١٢٦٧م^(١).

أما كمال الدين الفارسى نفسه فلم يصلنا من أخباره غير القليل الذى أمكن استنباطه من مؤلفاته التى قدرها من جاء وابعده وذكرها فى مؤلفاتهم فقد كان من تلاميذ قطب الدين الشيرازى (ت ٧١٠ هـ / ١٣١١م) وشغف منذ شبابه بالعلوم العقلية وصرف همه إلى طلبها وترك فيها مؤلفات عديدة منها: أساس القواعد فى أصول الفوائد، تذكرة الأحباب فى بيان التحاب، رسالة فى الحساب، وعندما أعطاه القطب الشيرازى نسخة من كتاب المناظر، بخط ابن الهيثم، وطلب منه

تنقيح المناظر للفارسى - وعرف على التحقيق أن الأصل العربى للكتاب اللاتينى الذى ظل ينشر فى أوروبا حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادى هو كتاب المناظر لابن الهيثم وأن لفظ «الهازن» إنما هو تحريف «الحسن» لا «الحازن» أو «الحازنى» كما ظن أول الأمر.

كتاب تنقيح المناظر للفارسى

من ناحية أخرى فيما يتعلق بكتاب «التنقيح» ذاته وترجمة صاحبه، جاء فى نسخة غير كاملة مخطوط بعنوان «البصائر فى علم المناظر» أنه تلخيص لكتاب «التنقيح» أمه كمال الدين فى سنة ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨-١٣٠٩م ويذكر ناسخ المخطوط الحسين بن الحسن شهنشاه السمنانى الذى فرغ من تعليق المخطوط يوم الأحد ٢٧ من ذى القعدة لسنة إحدى وثلاثين وسبع مائة هجرية (١٣٣١م) إنه علقه من نسخة منقولة من «شريف خط المصنف»

الأعلام البارزين من أهل أوروبا.

وقد خال كثير من المؤرخين أن اسم «الهازن» الذى نسب إليه الكتاب العربى المذكور «ذخائر البصريات» إنما هو تحريف اسم «الحازن» أو «الحازنى» فقبل إن هذه الأسماء جميعها هى لمسمى واحد هو «أبو جعفر الحازن» مؤلف كتاب «زيج الصفائح» وكتاب «المسائل العددية»، وقد ساعد على هذا اللبس والعموض أن الأصل العربى للكتاب لم يك قد عشر عليه وبقي الأمر كذلك حتى عشر «فيدمان» سنة ١٨٧٦م على مخطوط عربى فى مكتبة «ليدن» لكتاب فى البصريات عنوانه: «تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر» مؤلفه «كمال الدين أبو الحسن الفارسى» وهو تنقيح كتاب المناظر لابن الهيثم وقابل «فيدمان» بين كتاب التنقيح وكتاب الذخائر اللاتينى للهازن فوجدتهما متشابهين متطابقين إلا فى مواضع علق فيها الفارسى من عنده على أقوال ابن الهيثم، وفى مواضع أوجز أو أجمل فيها أقوال ابن الهيثم، وفى أخرى ذكر فيها رأيه الخاص أو أضاف فيها نتيجة دراساته الخاصة ولم يجد «فيدمان» مجالاً للشكل بأن كتاب الذخائر اللاتينى إنما هو ترجمة كتاب المناظر لابن الهيثم.

على هذه الصفة انجلى العموض - بفضل كتاب

وكان من بين الذين عتوا بنقل العلم الإسلامى إلى اللاتينية عالم بولونى يدعى «فيتيلو» witello اشتهر بكتاب صنفه سنة ١٢٧٠م فى البصريات وذكر أنه وضعه على أساس ما جاء فى كتاب ليظليموس القلوذى وكتاب آخر لمؤلف عربى يدعى «الهازن» Alhazen وفى سنة ١٥٧٢م نشر «ريزنى» ترجمة لاتينية كاملة للكتاب العربى Risner بعنوان «ذخائر البصريات للهازن» - Alhazen Optice ثمين أن جل ما ورد فى كتاب Thesaurus cae فيتيلو قد نقل نقلاً أو بشئ من التصرف قليل أو كثير من الكتاب العربى المذكور، وقد أشار عالم الكيمياء الإنجليزى «بريستلى» pristley فى كتاب له عن تاريخ الكشوف المتعلقة بالضوء والألوان إلى ما ذكره «ديلا بورتا» Della Porta عن «فيتيلو» وأخطائه فى كل أقواله عن الهازن.

ولبت هذا الكتاب للنقول من العربية إلى اللاتينية مرجع أهل أوروبا فى علم الضوء خلال القرون الوسطى وإبان عصر النهضة، وكان له أثر عميق فى توجيه علم البصريات إلى الوجهة الصحيحة، خاصة بعد أن بين فيدمان فى رسالة عنوانها «بصريات» E. Wiedemann ابن الهيثم «Optik Zu Lbn Al Haithams» نشرها سنة ١٩١٠م، فضل هذا الكتاب على كثير من

(١) كمال الدين الفارسى: أساس القواعد فى أصول الفوائد، تحقيق د. مصطفى موالدى معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٤م.

اختصاره، استجاب الفارسي وقام بما ندب له على الوجه الأكمل وصنف كتاب «تنقيح المناظر للنوى الأيصار والبصائر»، ثم اختصره بعد ذلك في كتاب بعنوان «البصائر في علم المناظر»^(٢).

ولم يفت الفارسي -جرباً على النهج الأخلاقي لعلماء الحضارة الإسلامية أن يسجل جانباً من تاريخ اشتغاله بالعلم وصلته بعلماء عصره فيقول في مقدمة كتابه عن علاقته بقطب الدين الشيرازي: «ثم إنني كنت برهة من الزمان، مهتم النظر بتحقيق أمر المناظر، مشغولاً بتبيين كيفية إدراك البصر للصور، وخصوصاً بالانعطاف لما كنت أرى البصرات في الماء من وراء البلور على أشكال عجيبة يخالف مرآها بالاستقامة في الهواء... فراجعت الحضرة وحكيت النص... ففكر ساعة ثم تذكر أنه كان قد رأى في أوان صباه -على أنه في ذلك الزمان كان من أكابر أيامه شبيهة الأيام فضلاً فشاح في شبيبته لا شبيهة في لمامه- في بعض خزائن الكتب يقارن كتاباً منسوباً إلى ابن الهيثم في المناظر مجلدين كبيرين فقال: لعل طلبتك ثم وعلى تناوله ولو كان منوطاً بالشرا فلما شمر في طلبه عن ساق العزم: جزمته بنيل المراد أي جزمه والدهر يتشدني فيه:

نفس موفقة في كل ما شرعت

من أمرها فهي محمود مساعبها

محدث بصواب الرأي خساظره

خافي الأمور لديه مثل باديهيها

فبينما أتدد في الرجاء، إذ وافق التقدير فأصاب الرمي سهام عزائم السداد.

وحصل الكتاب (بخط ابن الهيثم) من أقصى البلاد ثم دعاني وناولني فوجدت برد اليقين مما فيه، مع ما لم أحصه من الفوائد، واللطائف والقرائن، مستندة إلى تجارب صحيحة واعتبارات محرورة بالآلات هندسية ورصدية وقياسات مؤلفة من مقدمات صادقة، وتحقق منه أن المقدمة في الانعطاف إنما هي نقل منهم قد اكتسى لباس الانحراف لأنهم لم يظفروا بالحق فيه ولم يعنوا بتحقيقها.

وقد أبقى الفارسي في «التنقيح» على نفس عناوين المقالات السبع والفصول التي جاءت في كتاب «المناظر» لابن الهيثم، ولكنه خالفه في أسلوب الإيراد وطريقة العرض ورأى أن يميز بين موضوعات كل فصل والمسائل الواردة فيه ويرتبها على النمط المعمود في كتب الهندسة مثلاً فسمها مقاصد ورقمها كل واحدة منها برقم يميزها، وأورد ما سوى ذلك بعناوين تناسبها، جاء بعضها بعنوان تمثيل (أي تجربة عملية) وبعضها بعنوان تنبيه وبعضها بعنوان حاصل، وبعضها بعنوان فائدة وما إلى ذلك وأورد أقوال ابن الهيثم مسبوقة بلفظ:

(٢) كمال الفارسي تنقيح المناظر للنوى الأيصار والبصائر تحقيق مصطفى حجازي، مراجعة د. محمود مختار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م.

(٣) مصطفى نقيف، الحسن بن الهيثم، بحوث وكشوفه البصرية، جزيان جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٤٢، ١٩٤٣م.

قال وأورد أقواله التي أصنافها من عنده شارحاً أو مقنناً أو معديلاً مسبوقة بلفظ: أقول وسلك هذا السبيل في جل مباحث الكتاب.

وجعل الفارسي لكتابه خاتمة وذيلاً ولواحق أما الخاتمة فقد أورد فيها مباحث له في الانعطاف إتماماً من عنده لما ورد في المقالة السابعة لابن الهيثم، وأما البذل فخصصه لموضوع قوس قزح والهالة، وأما اللواحق فهي ثلاث مقالات لابن الهيثم في: «الأظلال» و«صورة الكسوف» و«الصوء» أحققها الفارسي بذيل الكتاب إتماماً لمباحثه وقد استعان الفارسي بالرسوم والأشكال التوضيحية التي تعين على فهم ما يذكره من المسائل المختلفة وليس هناك من شك في أن الكثير من تعليقات الفارسي يعتبر إضافة واستكمالاً لكتاب المناظر، بعد فترة امتدت إلى نحو ثلاثمائة عام وهي فترة كافية لأن يتغير فيها الأسلوب والمضمون بما يتفق مع طبيعة التقدم العلمي. والحق أن كمال الدين الفارسي لا يصبره في شيء أنه لم يؤت سعة من الشهرة التي نالها ابن الهيثم، وحسبه أن يعرف بكتابه «تنقيح المناظر» الذي حفظ مقالات ابن الهيثم السبع في «المناظر» وزاد عليها ما زاد من اللواحق المفيدة، وكان له في أثناء ذلك آراء وأقوال تدل على تسابق في النظر يقضي الأنصاف بأن نقول كان الحق فيه في جانب الفارسي، لكن الحق أيضاً أن آراء كل من ابن الهيثم وكمال الدين الفارسي في مباحث عدة خاصة في الخيالات (الصور) التي ترى في المرايا الأسطوانية واخر وطية الخدبة والقعرة، لا تخلو من مأخذ، ولعل

أجدر ما في هذه البحوث بالتقدير ناحيتها الهندسية فهي تتضمن مسائل في الهندسة الفراغية ليس من السهل تصور أشكالها العامة، ولكنهما سلكا في الشرح طريقة ألانت صلابتها فاستطاعا تبسيطها ومعالجتها بأسلوب علمي جدير بالإعجاب والتقدير.

تحقيق كتاب تنقيح المناظر للفارسي

كان الجزء الأول من تحقيق كتاب تنقيح المناظر لكمال الفارسي قد صدر في طبعته الأولى عام (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م) عن الهيئة المصرية العامة للكتاب والجلس الأعلى للثقافة، بتحقيق مصطفى حجازي ومراجعة د. محمود مختار، متضمناً المقالات الأولى والثانية والثالثة من «المناظر» وصدر الجزء الثاني عام (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) عن دار الكتب والوثائق المصرية مع الطبعة الثانية للجزء الأول بعد ثلاثة وعشرين عاماً متضمناً تحقيق المقالات الرابعة والخامسة والسادسة وسوف يتلوه قريباً -إن شاء الله تعالى- إصدار الجزء الثالث والأخير مشتملاً على تحقيق المقالة السابقة وما تبقى من موسوعة التنقيح للأستاذ مصطفى حجازي والدكتور أحمد فؤاد باشا ولاشك أن توفير نص «التنقيح» كاملاً للباحثين من أهل الاختصاص سوف يتيح فرصة أكبر للمزيد من الدراسات المنهجية والمعرفية والتأصيلية العميقة التي تتناول مختلف جوانب التراث العلمي الإسلامي.

أخلاقيات العلم

تأليف
ديفيد رزنيك

عرض وتقديم الأستاذ الدكتور
محمد فتحي فرج

من الكتب الموضوعية القليلة، ذات الطابع العلمي الفلسفي، التي اطلعنا عليها مؤخراً، كتاب «أخلاقيات العلم: مدخل»^(١) (The Ethics of Science: An Introduction)، من تأليف ديفيد ب. رزنيك (David B. Resnik)، الذي يعمل أستاذاً للعلوم الإنسانية الطبية بكلية طب بروكس في جامعة إيست كارولينا (East Carolina)، كما يشغل منصباً إدارياً متصلاً بتخصصه الدقيق؛ حيث يعمل مديراً للبرامج الجديدة، في مركز أخلاقيات العلوم البيولوجية في جامعته، ويعالج هذا الكتاب جملة من الموضوعات، التي تتعلق بفلسفة العلم وأخلاقيات تطبيقاته، في شتى مجالات إنتاج العلم وتطبيقه، بدءاً باختبر، ومروراً بعملية النشر العلمي، إلى العملية النهائية التي تختص بتطبيقه.

وربما تتضاعف الآن أهمية هذا الكتاب، في بلادنا العربية، لما يدور حوله، أو يثيره من مسائل وقضايا، تتعلق بأخلاقيات البحث العلمي والأمانة العلمية، وما ينبغي أن يتصف به العلماء والباحثون، سواء في مجال العلوم البحتة أو العلوم الإنسانية، من صفات تقتدر إليها - مؤخراً - نفر من يحسبون على العلم، ملأت أخبارهم السيئة صفحات الحوادث، في الصحف السيارة، حتى إنهم يسيئون - بسلوكهم المشين، من سرقات علمية أو تلفيق للبحوث والنتائج، أو ادعاء ماليس لهم بحق، إلى غير ذلك من التصرفات المشينة - إلى العلم والعلماء؛ وقبل ذلك إلى أنفسهم، إن كانت نفوسهم لازالت تستشعر التمييز بين ما يزين وما يشين!

(١) ديفيد ب. رزنيك (٢٠٠٥)، أخلاقيات العلم: مدخل، ترجمة د. عبد النور عبد النعم، مراجعة د. مكي طريف الخولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، العدد رقم ٣١٦.

وقد ترجم هذا الكتاب الدكتور عبد النور عبد النعم وراجعته الدكتورة مكي طريف الخولي، أستاذة فلسفة العلوم ومناهج البحث بآداب القاهرة، وقد صدر هذا الكتاب عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، العدد رقم ٣١٦، عام ٢٠٠٥.

وعلى الرغم من أن الكتاب ليس جديداً في باب، إلا أنه يستمد أهميته بعد الثورة التي أحدثتها التطورات الهائلة، في مجال الهندسة الوراثية وبحوث الاستنساخ، والنتائج المذهلة للطاغم الوراثي للإنسان أو ما يسمى «بالجينوم»، لاسيما وأن بحوث المؤلف الحالية تتركز حول المسائل الأخلاقية، في التكنولوجيا الحيوية، والوراثة البشرية، إضافة إلى المسائل الفلسفية المتعلقة بمجالات العلم والتقنية والطب.

كلمة عامة عن الكتاب

الكتاب في مجمله - كما أوضحت د. مكي الخولي، في تصديرها للكتاب - «معالجة فلسفية متكاملة لأخلاقيات العلم والبحث العلمي، منهاجاً وتطبيقاً؛ حيث بلغت أصول الطرح الفلسفي مع هذا المؤلف نضجها التام، فهو يبدو في معظم الإشكاليات والمسائل والقضايا المثارة، عبر فصول الكتاب، بطرح الرأي والرأي الآخر، وحجج كل منهما

وحججيات، ثم لا يهتما ينتصر ولماذا، تاركاً للقارئ أن يتخذ الموقف الذي يتبني له، ويصدر الحكم الذي يراه ملائماً، فالكتاب يصرح في ثنايا الكتاب ليقول: بوصفي فيلسوفاً، أهتم أكثر بإثارة الأسئلة السديدة، وبفهم المسائل المهمة، أكثر من اهتمامي بوضع إجابات مطلقة». ومع هذا لا يخلو الكتاب من خطوط إرشادية واضحة، تضيء السبيل أمام اتخاذ القرار الخلقى السديد، في المواقف العلمية الحرجة والشائكة. والكتاب - كما يشير المؤلف - وكما يبدو من عنوانه، مدخل أو مقدمة عامة؛ لتوضيح المبادئ والمعايير والقضايا، التي تهتم بأخلاقيات العلم، مع إبراده نماذج لإشكاليات تختص بها، نشأت جميعها في السياق الغربي، بطبيعة الحال؛ الأمر الذي يجعل صاحبة التصدير تتمنى ظهور إصدار عربي أصيل، في أخلاقيات العلم، نابع من المعايير والقيم العربية وخصوصيات وحججيات الثقافة العربية، موائم لواقع العلم وقضايا البحث العلمي في البيئة العربية^(٢).

والواقع أن ما تتمناه مراجعة الكتاب وصاحبة تصديره، موجود بالفعل، إلا أن انشغالاتها وأسفارها الكثيرة، ربما تكون قد حالت دون اطلاعها عليها^(٣)!

(٢) د. مكي طريف الخولي، من تصديرها للكتاب السالف، المصدر رقم ١، ص ١٢.

(٣) يرجع القارئ - في ذلك - على سبيل المثال - إلى مؤلفات الدكتور أحمد قواد باشا، وكتاب الدكتورين إبراهيم بدران وعلي علي حبيش «نحو حضارة إسلامية أساسها العلم والإيمان»، وكتابات الدكتور أحمد شوقي، أستاذ علم الوراثة، وكتاب «الاستنساخ بين العلم والدين» للدكتور إبراهيم بدران ورئيس لجنة القيم الطبية والقرين: وهناك أيضاً كتاب «حقوق الحيوان وأخلاقيات الإنسان» للدكتور عبد الطيف موسى عثمان، وكتاب «العلم والدين» للدكتور محمد عبد العظيم سعود، وكتاب «الإسلام والعلم» للدكتور منصور محمد حسب النبي، إلى غير ذلك من مؤلفات وتصنيفات

بعض الأفكار المطروحة في الكتاب

لا يستطيع الكاتب، الذي يضطلع بعرض ونقد الكتب، أن يعرج على كل القضايا والمسائل التي يحتويها أي كتاب، مهما كان حجمه، أو موضوعه، وحسب الكاتب من ذلك أن يعرف بالقيمة العلمية للكتاب، ثم يركز على بعض من أهم أفكاره وقضاياها. والكتاب الذي بين أيدينا من الكتب الكبيرة نسبياً، فضلاً عن موضوعه الهام، بالنسبة لشريحة من الناس، يمثلون النخبة في أي مجتمع من المجتمعات؛ حيث يعملون في حقل العلم والبحث العلمي. هذا، إلى طبيعة الكتاب الفلسفية، التي تجنح إلى بعض العمق وشيء من الجفاف في آن واحد، إلا أن المؤلف يتدفق آرائه وموضوعيته وسلاسته، في عرض القضايا وتحليلها، وإبراده لنماذج وأمثلة كثيرة، كل ذلك قد أضفى على الكتاب مسحة من التشويق والعذوبة، قلما نجدها في هذه النوعية من الكتب.

ففي مستهل الفصل الأول، تحت عنوان: «العلم والأخلاقيات»، يلفت الكاتب انتباهنا إلى ضرورة التزام العلم، والبحث العلمي، بالمعايير الأخلاقية؛ ذلك أن الافتقار إلى الأخلاقيات، في العلم، دائماً ما يهدد سلامة واستقرار البحث ذاته؛ حيث تضمنت حالات الانحراف هذه، الادعاء بالانتحال والخداع، وانتهاكات القانون، وسوء إدارة التمويل، واستغلال المبرمجين، وانتهاكات في توليفات الشفرة الوراثية (الدنا DNA)، والتحايل والانتحياز، وصراع المصالح، ومشاكل

أخرى كثيرة، داخل المختبر الجنائي.

إلا أن الكاتب يعود ليستدرك أن الانحراف في العلم أقل من الانحراف في مهنة كثيرة، كالأعمال الحرة، والطب، والقانون، وغيرها (ص ١٤)، لاسيما أن العلماء والمستولين قد بحثوا، ووثقوا بعض حالات السلوك الأخلاقي السيئ، وأصدروا أحكاماً عليها وذلك في ميادين كثيرة من البحث العلمي. إضافة إلى ذلك فإن الجامعات والجمعيات العلمية ترعى ورش عمل، ومؤتمرات تعنى بالدراسات الأخلاقية في ميدان العلم، كما أن العلماء لا يذخرون وسعاً في دمج الأخلاقيات داخل مقررات تدريس العلوم، على مستوى الدراسات العليا أو دونها. هذا، فضلاً عن المؤلفات والمقالات، التي تتعلق بأخلاقيات البحث العلمي، والتي يكتبها العلماء والباحثون في الإنسانيات (ص ١٥). أما الدوريات الجديدة فتنتهج نهجاً حسناً في كونها تستهل دراساتها بعناوين تتعلق بالمسائل الأخلاقية في العلم.

النظرية الأخلاقية

يأتي الفصل الثاني بعنوان: «النظرية الأخلاقية والتطبيقات»، ويتعرض فيه المؤلف لمجموعة من الموضوعات الفرعية المتشابهة من مثل: الأخلاقيات والقانون والدين والسياسة، نظرية الخلق العام، الاختيارات الخلقية العامة، وأخيراً النسبية (Relativism)^(٤).

(٤) ولو ترجمنا المؤلف بـ النسبية، لكان ذلك أدق والمفضل، إلا أنه هنا نريد أن يميز بين هذه النسبية ونسبية (أخرى) Relativity، التي أطلقها أينشتاين على نظريته، بيد أنه لن يكون ثمة التباس، فهذا مجال وذاك مجال آخر.

هذا، ولا ينسى المؤلف أن يميز في مستهل هذا الفصل بين الأخلاقيات النظرية أو علم الأخلاق Ethics وبين الخلق العام Morality، وربما يقصد المترجم هنا المبادئ أو القواعد الأخلاقية العامة؛ إذ تتألف هذه من المعايير شديدة العمومية في مجتمع ما، لتطبق (ص ٣٢) - يقصد المترجم لتطبق - على الناس جميعاً داخل هذا المجتمع، بغض النظر عن دورهم في المؤسسات الاجتماعية أو عن مهنتهم. وفوق ذلك فالمعايير الأخلاقية العامة تميز بين الصحيح والخطأ، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والعدالة (العدل) والظلم، وقد تحمس كثير من الكتاب لهذه المبادئ الأخلاقية العامة، التي ينبغي أن تعلق على سواها؛ فإذا كان لدى واجب خلقى عام يحتم على ألا أكذب فإنه ينبغي على ألا أفعل ذلك، حتى إن حثمت على حيثيات الوظيفة أن أكذب.

من أهداف العلم

يميز الكاتب أهداف العلم إلى نوعين: أهداف معرفية وأخرى عملية، أما الأولى فتتضمن الأنشطة التي تتقدم في ضوئها المعارف البشرية، وتتضمن وصفاً دقيقاً للطبيعة، ونظريات وفروضاً تفسيرية متنامية، كما تمكن من تنبؤات موثوق بها، وحذف الخطأ والتحيز، وتعليم العلم للجيل القادم من العلماء، وتبليغ الناس بالأفكار والوقائع العلمية.

أما بالنسبة لأهداف العلم العلمية فتتضمن حل المشاكل في مجالات الحياة المختلفة

كالهندسة والطب والاقتصاد والزراعة، ومجالات أخرى للبحث التطبيقي، وهذا من شأنه تحسين الصحة العامة للبشر وزيادة القوة التكنولوجية والسيطرة بوجه عام على الطبيعة.

معايير السلوك الأخلاقي في العلم

تحت هذا العنوان يعدد المؤلف، في الفصل الرابع من الكتاب، زمرة من معايير السلوك الأخلاقي، التي ينبغي أن يتحلى بها ممتحنوا العلم، ومنها: **الأسانة**، التي تختلف عن الخطأ، والتي يعتبرها المؤلف أهم قاعدة في العلم؛ إذ ينبغي على العلماء ألا يختلقوا المعطيات أو النتائج، أو يكذبوها أو يحرفوها. عليهم أيضاً أن يكونوا موضوعيين، وغير منحازين وصادقين في سائر مناحي عملية البحث (ص ٨٦).

ومن هذه المعايير أيضاً: **الحذر واليقظة**؛ إذ يجب على العلماء أن يتجنبوا الأخطاء في البحث، خاصة في عرض النتائج، وأن يعملوا على تقليل الأخطاء البشرية والتجريبية والمنهجية إلى حدها الأدنى، ويتجنبوا خداع الذات والانتحياز، وصراع المصالح (ص ٩٠).

ومنها أيضاً: **الانفتاحية**؛ حيث ينبغي أن يتشارك العلماء في النتائج والمعطيات والمناهج والأفكار والتقنيات والأدوات. ويجب أيضاً أن يتيحوا لزملائهم آخرين مراجعة عملهم وأن يكونوا منفتحين للنقد والأفكار الجديدة (ص ٩٢).

ومنها أيضاً: **الحرية**، فينبغي أن يكون العلماء أحراراً في أن يقوموا بالبحث في أي

همس الأحبار في غزوة

شعر / السيد الصديق حافظ

حيال الشّر صاغتها أصابعه
والدس والرجس في الدنيا مضايده
وأد الشباب وتدمير القوى هدف
تسعى إليه بتدبير معاهده
إن اليهودي لا ينسى عداوته
حتى يغيبه في الرمث لاحده
ثارت «فلسطين» بالطاغوت! وأعجبا^(١)
بركان غضبتها قد ثار حامده
الأرض ترجفه هذى حجارته
في كف أبتائها شهب تطارده
يكاد كل جدار في أزقتها
يصيح هذا غدو الله جاحده
جسارة الأرض طجت من حقارته
لو لم تجد راجما قامت تجاهده
بنى فلسطين إن الله ناصركم
فالحق حققكم من ذا يغاثده
يمضي الشهيد إلى الجنات مفتحا
يرتاد أرجاءها والله رائده
والنفاق القندم يمضي في سلامه^(٢)
إلى الجحيم ويمضي من يساعده!

ما للصور إلى الأوكار قد ركت
فغيره البقي والناسبت أساوده^(٣)
وفي حمى المسجد الأقصى تحقق ما
قد كان في حلم صهيون يراوده
حالة لعظمتها الأرض قاطبة
قد باعها الزغد وعدا خاب وأعهده^(٤)
في كل قطر نزيق من قبل الجحيم
تاريخهم مظلم شاعت منفايده
المال سيدهم تغتو لعزته
جباهم وبها تقدي قوائده
كم أفسدوا بالرشا من قائد ثقة^(٥)
فكيف يدفع كيدا وهو كائده
مما خطبائهم عاروا لها خطبا
وماء «هتلر» أن كلبت مواقيده
يرى اليهودي أن الله فضله
على العباد وأن الكون حامده
حفدا على الناس يغلي من وضاعته
وينخدع النفس عن ذل يكابده
أين الشعاب من حوض الشر عنصرة
فكيف يأمن من كيد معاهده^(٦)

مشكلة أو فرض متبنيين للأفكار الجديدة (إن ثبتت صحتها)، منتقدين للأفكار القديمة (إذا لم تكن صحيحة)، فالصراعات التي خضها جاليليو وبرونو وفيزيوس وعلماء الوراثة السوفيت تشهد جميعها على أهمية الحرية في البحث العلمي (ص ٩٤).

ومن هذه المعايير أيضا: كلمة التقدير Acknowledgment، الذي يعتبر من الدوافع القوية لإجراء البحوث، ومن جانب آخر فإن التقدير يلعب دورا مهما في معاينة العلماء أو توجيه اللوم إليهم؛ فإذا افترضنا أن جزءا من بحث به خلل ما، هنا ينبغي أن نعرف من المسئول عن ذلك، بحيث يمكن تصحيح الأخطاء أو معاينة المتسببين (ص ٩٧)؛ إذ أن كل حق أمامه واجب، وهنا ينال الفرد التقدير على جزئية من جزئيات البحث، فقط إذا كان مسئولا عنها.

ومنها أيضا: **التعليم**، إذ يجب على العلماء أن يعلموا شباب العلماء، ويتأكدوا من أنهم تعلموا كيف يمارسون العلم الجيد. كما يجب عليهم أيضا أن يعلموا العامة ويلفهم بأمور العلم.

ومنها أيضا: **المسئولية الاجتماعية** (تجنب الإضرار بالمجتمع، والعمل على تحقيق منافع اجتماعية، وتحمل المسئولية عن نتائج الأبحاث، وإبلاغ الجمهور بالمشاكل) **والمشروعية** (طاعة القانون)، **وتكافؤ الفرص** (عدم إهدار الفرص في استخدام المصادر العلمية أو في التقدم في المسار المهني والعلمي)، **والاحترام المتبادل** (التعامل مع الزملاء باحترام)، **والفعالية** (استخدام الموارد الاقتصادية والتكنولوجية بفعالية)،

واحترام الذات (عدم انتهاك حقوق وكرامة الإنسان والحيوان عند إجراء التجارب) (ص ١٠٥).

أما الفصل الخاص «بالموضوعية في البحث»، فقد بسط المؤلف الكلام فيه حول بعض معايير السلوك والأخلاقيات العلمية، التي ذكرها في الفصل الذي سبقه. وحول «المسائل الأخلاقية في النشر العلمي»، ناقش فيه الكاتب بعض المسائل التي تتعلق بنشر البحوث العلمية كالموضوعية في النشر، وإجزاء «التقدير» فقط لمن يستحقه، والملكية الفكرية الخاصة بحياسة البحث وعلاقة العلم بوسائل الإعلام والجمهور، وذلك لأهمية التشقيف العلمي والتأكيد على مبدأ الانفتاحية في العلم (ص ١٧٨).

وينتهي المؤلف كتابه بتذييل وضعه تحت عنوان: «حالات للدراسة» تناول فيه الكاتب مناقشة خمسين مسألة، من المسائل التي تتعلق بأخلاقيات العلم والبحث العلمي، يضيئ المقام عن ذكرها، بله عرضها. والكتاب يعد معالجة فلسفية متكاملة لأخلاقيات العلم، من الناحية المنهجية والتطبيقية، صاغها المؤلف ونقلها المترجم بأسلوب سلس مشوق، دون إغراق في مشاهات فلسفية أو علمية، ترهق غير المتخصصين، وتحول دون مواصلة قراء الكتاب من مبتدئه حتى منتهاه، على الرغم من ترجمة المؤلف لبعض الألفاظ والمصطلحات العلمية، التي يفضل المتخصصون في العلم ترجمتها بالألفاظ ومصطلحات أدق منها وأقرب إلى المعنى المراد، ذكرنا القليل منها في ثنايا المقال، إلا أن المقام يضيئ عن ذكر المزيد.

(١) انسابت أساوده: الأساود العظيم من الحيات (٢) باعها وعدا: وعد بتفكير المشتوم (٣) الرشا: الرشاق، جمع رشوة (٤) ثارت بالطاغوت: ثار به مثل ما ثار عليه (٥) النفاق: التلويح للحيوان كالقوت للإنسان (٦) ثارت بالطاغوت: ثار به مثل ما ثار عليه



أوهام الشرق الأوسط

تأليف

ناعوم تشومسكي

تعريب:

شيرين فهمي



عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عروضة

الأستاذ بجامعة الأزهر

أعتقد أن رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ بمقولته: «الحياء من الإيمان» البخاري ومسلم» إنما قصد كل ما تعنيه تلك المقولة فالإيمان -ربما يشبعه في النفس من طمأنينة وأمن- يمتنع الإنسان المؤمن خلق الحياء الذي يلزمه في جميع أحواله فإذا نطق استحيا من أن يلبس نطقه الكذب، وإذا عمل استحيا أن يلبس عمله شيء من التقصير، وإذا اتضمن على شيء أو أمر استحيا من أن يخون من اتتمته، وإذا اشترى أو باع استحيا من أن يغش أو يطفف في الكيل أو الوزن وإذا ولي الحكم -أيا كان مستوى ما أئتم إليه- استحيا من أن يضل من احتكم إليه أو من ولاه أمره، بل إنه إذا خاصم استحيا من أن يفجر في خصومته.. إلى غير ذلك من مبادئ الحياة اللازمة للوجود الإنساني.. لا يختلف في ذلك إنسان عن إنسان ولا مجتمع عن مجتمع، ولا زمان عن زمان، ولا مكان عن مكان.

ولأهمية الأمن في الرؤية الإسلامية.. كان توفير الأمن من نعم الله تعالى التي لا تحصى، والتي لفت إليها قريشا ليخلصوا أنفسهم لعبادة ربهم فقال جل شأنه:

﴿لْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

«قريش: ٣-٤»

ولا ريب في أن مثل هذا الإنسان -بإيمانه ذاك- لن يضطره شيء -أي شيء- عن الخروج على مقتضيات الإيمان من قوة، وصراحة، ووضوح، وجراحة، وشفافية في تعاملاته، وفي علاقاته بنفسه وبالآخرين فلن يلجئه أمر -أو



مكثرت بما قد يجره على هذا المسلك من ويلات، ولا ملتفت إلى أنه يدفع بنفسه إلى الهلاك والدمار الذي توعد به -أمثال هذا- سيدنا محمد رسول الإسلام ﷺ. فليما رواه ابن ماجه: إن الله إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء.

عود إلى التخويف بالإرهاب

وعلى هذا الطريق الحرباني المضلل يرينا «تشومسكي» قادة الولايات المتحدة الأمريكية في سياستهم السالفة والحديثة التي تجردوا فيها من الحياء واستمروا فيها أسلوب التضليل والتزييف.

ففي الفصل الخامس «عالم متغير؟ إعادة التفكير في الإرهاب بعد ٩/١١» نيه «تشومسكي» إلى: أن الولايات المتحدة

شيء -إلى المراوغة الخفيفة، ولن يتوافق -بأي حال- مع نهج السرايع، ومراوغة الثعالب ولن يضطره شيء إلى أن يعطيك من طرف اللسان حلاوة وبروغ منك كما يبروغ الثعلب ولا أن يكون حرباء يغير لونه مع كل موقف ليخدع الآخرين، ولا أن يكون ذلك الوقح الذي لا يخجل من تضليل من يطمئن إليه، والذي لا يتردد لحظة في أن يسرق من اتتمته.. بل إنه -بوقاحتته الفاجرة- يعد الاطمئنان إلى الآخر حماقعة، ويرى في انتمان الآخر سذاجة، ولذلك.. فإنه لا يستحي من أن يكون مخادعا، ولا يخجل من أن يوصف بالتضليل، ولا يتردد لحظة في أن يتذرع -بكل وسيلة- ليقهر الآخر، أو ينال منه، أو يقتك به متى حانت له الفرصة، غير

بعد أن دفعت - بأطماعها - شعوب العالم إلى المقاومة... لجأت إلى أسلوبها المراءوغ، فوصفت المقاومة بوصمة الإرهاب ثم راحت تستصرخ حكومات العالم لمحاربة الإرهاب - دون موافقة على تحديد المقصود بالإرهاب فتحتا لباب المراءوغ على مصراعيه - مكررة بذلك ما صنعت في عهد «ريجان» الذي أعلن أن الحرب على الإرهاب ستصبح عمود السياسة الخارجية الأمريكية وأساسها.

وخص من ذلك الإرهاب الذي تقف وراءه الدول، حيث وصفه «ريجان» بأنه أشرس أنواع الإرهاب وعلى نهج «ريجان» في المراءوغ سار «جورج شولتز» وزير الخارجية الأمريكي، فجعل هذا الإرهاب مرضا استشري على يد أولئك اغرورمين المعارضين للحضارة نفسها، ليعودوا إلى حياة البربرية والهمجية في العصر الحديث فلم يكتف بجعل المقاومة إرهابا ولكنه جعل دافع المقاومة حرمانا من الحياة المترفة، وجعل معارضة الاستعمار معارضة للحضارة وعشقا للهمجية والبربرية كي يخدع شعبه وغيره من الشعوب الأوروبية.

وواصل «شولتز» خداعه للشعب الأمريكي ولشعوب العالم وحكامه فانطلق يخوف من هؤلاء المقاومين معلنا: أنهم يتهددون الحياة الأمريكية وحضارتها، مدعيا أنهم كالسرطان يجب مقاومته، دون أن نشغل أنفسنا بالضغوط والقيود الأخلاقية، أو نلزمها بشيء من

ذلك... على نحو ما كان «أدولف هتلر» يصيح به في الشعب الألماني.

على طريق تغيير الجدل الحربائي

ويقدم «تشومسكي» نخاذج للسلوك البرابيعي الحربائي من الحكام الأمريكيين فيذكر أن هؤلاء الحكام وذيولهم يحرمون - ابتداء - على التيهون من شأن أى قوة يمكن أن تعوق طغيانهم، أو تشوه صورته، على نحو ما أعلنه «شولتز» مدينا أولئك الذين يتقشرون وراء الوسائل الطوباوية والشرعية، مثلما تفعل هيئة الأمم المتحدة، والحقمة الدولية، وعلى نحو ما جاء في إجابة «ريجان»، و«شولتز» في أثناء إدانتهم للإرهاب، فقالا في تعريف الإرهاب: الإرهاب هو الاستخدام اغسوب للعنف، أو التهديد بالعنف للوصول إلى أهداف لها طبيعة سياسية دينية أو أيديولوجية... من خلال التهيب والإجبار وبث الخوف.

وهم في ذلك يغفلون أو يتغافلون - عن تلك الأمثلة الكثيرة من الإرهاب الأمريكي في شتى بلاد العالم؛ مثلما جاء في إعلان «أدميرال سير ميخائيل بويس» رئيس أركان الدفاع البريطاني، هذا الإعلان الذي أثير فيه الأفغانيين: أن الهجمات الأمريكية البريطانية سوف تستمر حتى يعترف أهل البلاد أنفسهم أن هذا الأمر سيبقى حتى يقوموا بتغيير قيادتهم.

ومثلما حدث في بيروت سنة ١٩٨٥م

من جرائم مروعة أمام مسجد، أسفرت عن مقتل ثمانين وجرح أكثر من مائتين وخمسين، معظمهم من البنات والنساء إلى غير ذلك من الأعمال الوحشية التي تم وصفها في الصحف الأمريكية بأنها مجرد حوادث عادية بينما قام بتدبيرها المخابرات المركزية الأمريكية وكان الهدف من ورائها قتل عالم دين مسلم استطاع أن يفلت من تدبيرهم في النهاية.

وكذلك كانت ثمرة الممارسة التي اتخذها «بويس» مع زملائه في واشنطن: وضع أعداد هائلة من المدنيين الأفغان تحت ضغوط ومخاطر حقيقية من الجوع والتشرد كما وضعت الملايين هناك تحت ظروف قهرية غير محتملة.

وهذا ما تصنعه إسرائيل

ويذكر «تشومسكي» من بين الأمثلة على سلوك التغيير الحربائي للألوان والعالم إمعانا في تضليل الشعوب والحكام فيقدم مثالا آخر لذلك يكشف عن أبعاد الوقاحة في الفتك بالآخرين.

فيذكر بما صنعت إسرائيل عندما قامت باحتلال لبنان تحت مظلة التأيد الأمريكي العسكري والدبلوماسي مما أدى إلى مقتل ثمانية عشر ألف نفس دون أى ميرر لفعل ذلك!

وقد حاولت أن تدفع اللبنانيين إلى فعل تبرريه عدوانها في ظل تأييد أمريكي صريح لكل ما تفعله ولما باءت محاولاتها بالفشل في ذلك الصدد ولم

تؤت استفزازاتها المتكررة أى ثمرة تستر وراءها وتبرر به الاحتلال حتى توقف التهديد بإنجاح أى تسوية دبلوماسية لا ترغب فيها الولايات المتحدة الأمريكية ورببتها إسرائيل على الرغم من الرغبة العالمية في تحقيقها.

عندما فشلت إسرائيل في استفزاز اللبنانيين... لم يكن أمامها إلا أن تسفر عن وجهها القبيح وتسقط تلك الأقنعة اليربوغية وتعتمد بكل ألوان الوقاحة ضاربة عرض الحائط بما أسفرت عنه حملتها البربرية من قتلى بلغ عددهم ثمانية عشر ألفا، سوى الجرحى والمشوهين.

ومع هذا كله... لم نجد من الخياء والخل ما يردعها عن مواصلة عدوانها الوحشي وظلت مصرة على احتلال معظم الأراضي اللبنانية طيلة عشرين عاما متتالية قرارات مجلس الأمن الدولي واستمرت في نشر الإرهاب في كل الأجزاء اللبنانية على وجه الخصوص حتى تطمئن على أن أحدا لن ينهض في وجه تلك الانتهاكات لمقاومتها فلما كانت سنة ١٩٨٥م ونهض بعض اللبنانيين لمقاومة هذا العدو الرابض على أرضهم شهدت لبنان أبشع عملية إرهابية وأقطع عملية وحشية طيلة عقد الاحتلال «شيمون بيريز» بقيادة ما أسماه «القبضة الحديدية» التي صبت اعتداءاتها على القرويين المقاومين للاحتلال باعتبارهم إرهابيين.

وتكرر إسرائيل جرائمها الإرهابية

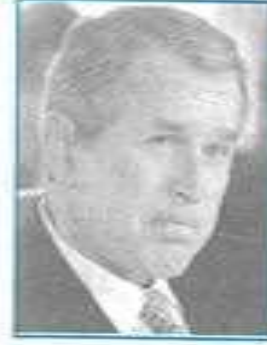
وفي سبيل «تشومسكي» لرصد الإرهاب الإسرائيلي الأمريكي بوقاحتته المقرزة.. يقدم حادثة التفجير الإسرائيلي في تونس سنة ١٩٨٥م التي أسفرت عن قتل خمسة وسبعين فلسطينيا وتونسيا بدون أى تبرير مقنع وكان ذلك بمساهمة واضحة من الولايات المتحدة الأمريكية حيث أخير «شولتز» إسرائيل بأن واشنطن لديها تعاطف حقيقى مع ما فعلته وفي الوقت نفسه أخفت الأمر عن تونس فلم تخبرها بقدوم الإسرائيليين الذين قاموا بالتفجير.

ولما صدر عن مجلس الأمن استنكار لتلك العملية التفجيرية وصفها فيه بأنها اعتداء مسلح مع رفض الولايات المتحدة التصويت.. عند ذلك اكتفت الولايات المتحدة بالتعاطف فى السر ولم تعلن عنه. ولكن «شيمون بيريز» قدم بعد تلك الحادثة بأيام إلى واشنطن ليشارك «ريجان» فى إعلانه الوقح عن استنكار الإرهاب الشرير الشرس وشجبه.

فكل هذه الممارسات الإسرائيلية الأمريكية لا تدخلها وقاحتهم فى نطاق الإرهاب الدولى بسبب جوهرى لا يستحق واحد منهم من التصريح به حيث يقررون - فى غير خجل - أن الإرهاب هو ما يوجه إليهم ويستهدفهم بغض النظر عما يفعلونه هم مع الآخرين.

الاحتكام إلى القانون

أو الشرعية ضعف



بوش

ولأن أمريكا تنطلق من قاعدة عالمية تقول: «إن الأقوياء لا ينتظرون أى سلطة ولا

يعودون إليها» لهذا رفضت انتظار موافقة مجلس الأمن على عملياتها الانتقامية فى أحداث الحادى عشر من سبتمبر ولا انتظار التعرف على مدبرى الأحداث ولكنها انطلقت بعملياتها الانتقامية من الشعب الأفغانى ودولة أفغانستان بكاملها.. كما إنها رفضت النظر فى تسليم المتهمين المشكوك فى علاقتهم بتلك الأحداث.

وبعد الحادى عشر من سبتمبر قامت جريدة «وول استريت جورنال» باستقصاء آراء رجال الأعمال والبنوك المسلمين ذوى العلاقات الوطيدة مع الولايات المتحدة حيث أعلنوا ضيقهم الشديد حيال التأييد الأمريكى لحكومات «الأنظمة الظالمة» كما أعلنوا تبرمهم من تأييد الإدارة الأمريكية للاحتلال الإسرائيلى للعاشم ومن تأييدها لفرض العقوبات على العراق التى أنت على الشعب العراقى قد مرته، بينما تركت الديكتاتور الدموى يزداد قوة وبطشا مؤيدا من أمريكا وبريطانيا

فى أشرس عملياته فى داخل العراق.

ومع هذا وذاك.. نجد الرئيس «جورج بوش الابن» فى غير حياء ولا خجل يطلق لسانه متسائلا: «لماذا يكرهوننا؟» فيذكرنا بما جاء على لسان «أيزنهاور» سنة ١٩٥٨م فى قوله: «إن مشكلتنا فى العالم العربى هى أننا نقف أمام حملة من الكره موجهة ضدنا - ليس من قبل الحكومات - ولكن من قبل الشعوب».

مما يؤكد أن افتقاد الحياء والخجل ليس منصورا على واحد من هؤلاء الحكام بشخصه وإنما هى سمة تعم جميع الحكام الأمريكيين وذبولهم وليس مقصورا على عهد بذاته فما نسمعه اليوم سمعناه منذ نصف قرن ويختم «تشومسكي» هذا الرصد بصيحة إنسانية مخلصه يقول فيها: إن الصدق يتركنا فى النهاية أمام معضلة حقيقية إما أن نهرب منها بالتفاهت التقليدى المعهود - كما يفسره الإنجيل - وهو الاختيار السهل، وإما أن نخار الطريق الصعب، ولكنه بالتأكيد الملزم لنا إذا أردنا تخريب العالم مزيدا من الكوارث الأسوأ.

ويعد

قال الكتاب - بما تضمنه - يعلن أن المؤلف حرص على أن يستقرى السلوك الأمريكى إزاء الأحداث الواقعية والأحداث الصادرة من القادة الأمريكيين والإسرائيليين والإنجليز ومواقفهم ذات المعايير المزدوجة التى تلبس ثوبا يخفى ما يضمرونه من حقن وشر أسود للإسلام والمسلمين متخفيا وراء ما أطلق عليه «الشرق الأوسط» لتروج لمشروع «الشرق الأوسط» تحقيقا للغاية المقصودة وهى القضاء على ما يسمى «الأمة العربية» أو «العالم العربى» ولأهمية هذا الموضوع وخطره حرص المؤلف على أن يدعم رؤيته بأكثر من موقف صريح وحدث صارخ ومقولة ثابتة حتى لا يتعلل واحد بعلة «المصادفة» غير المقصودة.

كما وضح توجه المؤلف ومصادفته من عباراته الكاشفة وجولاته بين أحداث التاريخ الصريحة. بيد أن الأستاذة شيرين فهمى وقفت عند حدود الترجمة الحرفية فأصاب فقرات الكتاب بالتفكك الذى يصيب القارئ بالإعياء إذا أراد أن يلم بمقاصد الكتاب ويربط ما قدمه المؤلف من أحداث. ولو أنها عايشت الكتاب بالفكر المرتب لقدمت الكتاب فى صورة أوضح.

والله من وراء القصد

السوق الخليجية المشتركة

بقلم: صلاح عبد الرحيم محمد
باحث في الشؤون السياسية

في ختام دورته الثامنة والعشرين، في الرابع من ديسمبر ٢٠٠٧ أصدر المجلس الأعلى لمجلس التعاون الخليجي، إعلان الدوحة، في شأن انطلاق تنفيذ السوق الخليجية المشتركة في الأول من يناير ٢٠٠٨. وتقوم هذه السوق على المبدأ الذي نصت عليه المادة الثالثة من الاتفاق الاقتصادي بين دول مجلس التعاون الخليجي الست، وهو أن يعامل مواطنو دول المجلس الطبيعيون والاعتباريون في أي دولة من الدول الأعضاء، السعودية - الإمارات - قطر - البحرين - الكويت - عمان، معاملة مواطنيها نفسها، من دون تمييز أو تمييز، بما في ذلك جميع الأنشطة الاقتصادية والاستثمارية والخدمات، وممارسة الحرف والمهن، وتداول وشراء الأسهم، وتأسيس الشركات، والعمل في القطاعات الحكومية والأهلية، والمساواة في التنقل والإقامة والعمل، والتأمين الاجتماعي والتقاعد، والمعاملة الضريبية، والاستفادة من الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية.

واللافت، كما جاء في إعلان الدوحة، أن السوق الخليجية المشتركة، تهدف في المقام الأول إلى إنشاء «سوق خليجية واحدة»، يتم من خلالها تمتع مواطني دول مجلس التعاون الخليجي بالفرص المتاحة في الاقتصاد الخليجي، وفتح مجالات أوسع للاستثمار البيني والأجنبي، وتعظيم القوائد الناجمة عن اقتصادات الحجم، ورفع الكفاءة في الإنتاج، وتحقيق الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، وتحسين الوضع التفاوضي لدول المجلس إزاء التكتلات الاقتصادية الدولية، وتعزيز مكانتها الفاعلة الاقتصادية والسياسية بين التجمعات الاقتصادية العالمية.

والجدير بالذكر أنه تم الاتفاق بين دول مجلس التعاون الخليجي الست، على جميع المتطلبات الرئيسية لقيام السوق الخليجية المشتركة من خلال الجهود التي بذلت في غضون الأعوام الخمسة الماضية، منذ إقرار برنامجها الزمني من جانب المجلس الأعلى لمجلس التعاون الخليجي، في دورته الثالثة والعشرين، في ديسمبر

٢٠٠٢ في شأن استكمال متطلبات هذه السوق الموحدة قبل نهاية عام ٢٠٠٧، بوضع القواعد التنفيذية اللازمة لتنفيذها.

مقومات النجاح

ومن ناحية أخرى جرى تقديم ملموس فيما يتعلق بخدمة قيام السوق الخليجية المشتركة، تجسد في البدء في تنفيذ «مشروع الربط الكهربائي»، ومشروع البطاقة الشخصية الخليجية، «البطاقة الذكية»، واستخدامها في تسهيل التنقل بين دول المجلس. وقد حث المجلس الأعلى لمجلس التعاون الخليجي، اللجان المعنية بالانتهاء من دراسة الجدوى الاقتصادية لـ «مشروع سكة حديد» لربط دول مجلس التعاون الخليجي الست، واستكمال بحث نتائج دراسة الجدوى لـ «مشروع الربط المائي».

ويرى كثير من الاقتصاديين أن مقومات نجاح إنشاء أية رابطة اقتصادية أو سوق مشتركة، تتجلى في أمرين رئيسيين، سياسي واقتصادي، فعلى سبيل المثال، فإن الاتحاد الأوروبي لم يتهيا له النجاح إلا بعد أن زال التوتر السياسي بين فرنسا وألمانيا، وما كان للاتحاد أن يبلغ ما بلغه لو لم يبدأ السوق الأوروبية المشتركة ووضع الأنظمة المتكاملة، ودراسة الاتفاقيات والقوانين المشتركة، واستمرار التعاون المستمر بين الأعضاء المؤسسين، والأعضاء المنتهين في مراحل

متتالية ليضم الاتحاد الأوروبي اليوم عددا من الدول المتباعدة في الاقتصاد والثقافة، واللغات، لكنها راغبة في الاتحاد والتكامل في إطار مصلحة مشتركة واحدة... وفي هذا السياق، فإن المجالات التي تشملها السوق الخليجية المشتركة عديدة وقد أشرنا إلى بعضها من قبل، منها حرية ممارسة الأنشطة الاقتصادية والاستثمارية والخدمية، وانتقال رؤوس الأموال، وتملك العقارات، وحرية تملك الأسهم وتداولها، وإقامة الشركات، وممارسة الحرف والمهن، وحرية الانتقال والإقامة والعمل بين دول مجلس التعاون الخليجي. ولا شك أن هذه السوق ستحقق المساواة في المعاملة الضريبية لمواطني دول المجلس، واحصول على الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية وفي التأمينات والتقاعد، على قدم المساواة... ومن المنتظر في المرحلة القادمة أن تتحول دول مجلس التعاون الخليجي بفضل إنشاء هذه السوق المشتركة الموحدة، إلى «قوة اقتصادية عملاقة» في مواجهة الاتحادات الإقليمية والدولية.

والحقيقة أن السوق الخليجية المشتركة، تشكل اليوم أكبر احتياطي للنقط والغاز الطبيعي، وأن ناتجها المحلي بلغ عام ٢٠٠٦ حوالي ٧١٥ مليار دولار حيث بلغ نصيب المواطن الخليجي من هذا الناتج حوالي ٢٠,٤ ألف دولار، كما يبلغ حجم تجارتها الخارجية أكثر من ٧٠٠ مليار دولار، منها ٢٢٠ مليار للواردات، و٤٧٠

مليار للصادرات، مع تحقيق فائض في الميزان التجاري، قيمته حوالي ٢٥٠ مليار دولار، وتنتج دول مجلس التعاون الخليجي الست ٢٢٠ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي، ونحو ٩٠٠ مليون طن نفط في العام، وتستحوذ على طاقة تكرير تبلغ حوالي مليونين و ٧٢٠ ألف برميل في اليوم. كما تتوفر لديها قدرة على استقبال نحو ١٥ مليون حاوية في السنة، وبلغ الاستثمار فيها نحو ١٣٠ مليار دولار في عامي ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦، نوازي نسبة ١٨,٢٪ من الناتج المحلي.

المواطنة الاقتصادية

وتشير بعض التقديرات إلى أن عوائدها النفطية بلغت ٥٢٠ مليار دولار عام ٢٠٠٧، وأن صافي أصولها الخارجية حوالي ١,٦ تريليون دولار، وتستثمر ٥٦ مليار دولار في مشاريع النفط والغاز. كما تشير هذه التقديرات إلى أن قطر وعمان والإمارات والكويت تستثمر أكثر من ٢١ مليار دولار في بناء مشاريع خاصة بالغاز الطبيعي، كما تحت الاستثمارات في صناعة البتروكيماويات بمعدل ٥٪ في الأعوام السبعة الماضية لتبلغ ٧٠ مليار دولار.

لقد اجتازت دول مجلس التعاون الخليجي، مرحلة تقارب تجاري واقتصادي بين ١٩٨٣ و ٢٠٠٢، غير أنها شهدت قرارات مهمة لتحقيق السوق الخليجية المشتركة تحت اسم «المواطنة الاقتصادية

الخليجية» وارتفع النمو في حجم التبادل البيئي أقل من ٦ مليارات دولار في عام ١٩٨٣، إلى نحو ٢٠ مليار دولار عام ٢٠٠٢، وتبين تقديرات بعض الاقتصاديين أنها تجاوزت ٣٠ مليار دولار عام ٢٠٠٧. وتهدف الخطوات المستقبلية للسوق الخليجية المشتركة إلى استكمال خطوات التقارب الاقتصادي عبر التنفيذ الكامل للاتحاد الجمركي، وتحقيق الاتحاد النقدي واعتماد العملة الخليجية المشتركة في عام ٢٠١٠، كل ذلك في إطار تحديث التشريعات وجعلها متشابهة.

وفي هذا الإطار ذكر «محمد خلفان بن خريباش» وزير الدولة لشئون المالية والصناعي الإماراتي «إن إعلان الدوحة في شأن قيام السوق الخليجية المشتركة يعد خطوة مهمة على طريق التكامل الخليجي» وحول المزايا التي يمكن أن يحققها السوق الموحدة الخليجية، أكد «ابن خريباش» «إن قيام السوق الخليجية المشتركة يؤدي إلى زيادة معدلات النمو الاقتصادي، وارتفاع مستوى التشغيل والإنتاج، وجذب الاستثمار، وتعزيز ازدهار الأوضاع الاقتصادية للدول الأعضاء، وأن هذه الخطوة ستتيح، وللمرة الأولى، إمكان تطبيق المفهوم الحقيقي لفكرة المواطنة الخليجية، في شكل عملي، إضافة إلى كونها تمثل بداية مرحلة جديدة لتفعيل التكامل الاقتصادي البيئي، على مرتكزات واقعية، تؤسس لإقامة «اقتصاد

خليجي قوي» وفاعل على المستويين الإقليمي والدولي، وفتح مجالات أوسع للاستثمار، وزيادة الإنتاجية، وتحقيق الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، وتعزيز الوضع التنافسي لدول مجلس التعاون الخليجي في تعاملها مع الدول والتكتلات الاقتصادية الدولية، وتنسيق السياسات الاقتصادية والمالية والمصرفية لدول المجلس وتوحيدها».

تحديات

ومع إطلاق تنفيذ «السوق الخليجية المشتركة» يأمل مواطنو دول مجلس التعاون الخليجي الست - الذي يربو عددهم على ٣٨ مليون نسمة - من العيش في أي مكان يختارونه ومزاولة أي نشاط اقتصادي داخل دول مجلس التعاون الخليجي وتتيح هذه الخطوة، كما سبق القول لمواطني الدول المذكورة على تملك العقارات والشركات والأسهم التجارية ومتابعة الدراسة في مدارس وجامعات دول المجلس الخليجي والاستفادة من الخدمات الصحية.

وثمة تحديات عدة تواجه قيام السوق الخليجية المشتركة ذكرها المحلل الاقتصادي «عبدالحق عبدالله» عندما قال «إن إطلاق السوق الخليجية المشتركة يحمل في طياته تحديات تشريعية وقنية» كثيرة أهمها تفكيك التشريعات وإعادة صوغها بما يتلاءم مع الواقع الجديد ويفترض أنه يزيل الحواجز كلياً للأفراد

والبضائع بهدف بلوغ «وحدة اقتصادية متكاملة» على مثال «الاتحاد الأوروبي» ويشير عبدالحق عبدالله إلى أنه ينتظر من المنطقة تعديل قوانينها المحلية حتى تتوفر فرصة لنجاح الوحدة على المدى الطويل.

ويرى هذا المحلل الاقتصادي «إن عدم التوصل إلى عملة خليجية واحدة يظل أحد عوائق استكمال متطلبات السوق لاسيما أن المسؤولين في المنطقة باتوا يتحدثون عن عدم إمكان إطلاقها في عام ٢٠١٠ بسبب اختلافات قنية بين دول المجلس».

ويخشى محللون اقتصاديون أن تواجه منطقة الخليج صعوبات أخرى في المدن التي تشهد طفرات اقتصادية كبيرة، وأن تؤدي الهجرة المتوقعة بين دول مجلس التعاون الخليجي إلى ضغوط إضافية على قطاع الإسكان والبنية التحتية والتعليم والخدمات الصحية في البلدان التي تنعم بمستويات معيشة مرتفعة مثل الإمارات وقطر.

ومن التحديات الأخرى التي أشار إليها هؤلاء المحللون الاقتصاديون والتي تجابه نجاح السوق الخليجية المشتركة، قيام دول خليجية بتوقيع اتفاقات اقتصادية منفردة مع دول غير خليجية، وهو ما يثير مخاوف حول مصير التعاون الاقتصادي المشترك وفوق ذلك احتمال فشل دول الخليج مجتمعة في إبرام اتفاقات للتجارة الحرة مع

كتل اقتصادية مثل الاتحاد الأوروبي.

ويذهب رجل الأعمال الإماراتي «سعيد العابدي» إلى «أن المشكلة التي تواجه دول الخليج هي تشابه اقتصادياتها المعتمدة على النفط والصناعات البترولية مما أدى إضافة إلى تشابه المشاريع».

لذلك يعتقد «العبادي» أن إطلاق السوق الموحدة يجب أن يتبعه خطوات أخرى أهمها التركيز على إنشاء صناعات مختلفة في المنطقة الخليجية، لتتمكن من بلوغ مرحلة التكامل التام مثل الاتحاد الأوروبي غير أن «العبادي» أشار إلى أن المنطقة الخليجية أصبحت الآن أكثر جذبا للاستثمارات الأجنبية للاستفادة من السوق الكبيرة التي تنسم باتساع نطاقها وهو ما يؤدي إلى زيادة حجم الإنتاج وانخفاض التكاليف والأسعار وإيجاد سوق كبيرة وقوية، تمكن الدول الأعضاء من الوقوف في وجه السلع والمنتجات الأجنبية، ويتوقع محللون اقتصاديون أن تؤدي هذه السوق الخليجية الموحدة إلى «توطين» مليارات الدولارات المهاجرة خارج المنطقة الخليجية وتوفير مزيد من فرص العمل لمواطني دول المجلس، وتوطين الوظائف لحل أزمة التركيبة السكانية في منطقة يزيد عدد الوافدين الأجانب إليها على عدد المواطنين. كما يرى هؤلاء الاقتصاديون أن من أهم المكاسب المتوقعة من السوق الخليجية المشتركة، انسياب السلع بين دول مجلس التعاون الخليجي بما يؤدي إلى زيادة التنافس بين المؤسسات

الخليجية لمصلحة المستهلك، خاصة أن السوق الخليجية تتصف بسهولة عالية وقدرة شرائية واستثمارية هائلة.

تقارب الأنظمة

وفي هذا الصدد أشار الأمين العام لاتحاد غرف دول مجلس التعاون الخليجي «عبدالرحيم تقي» إلى أن الأنظمة المعمول بها في دول الخليج متقاربة إلى حد كبير ما يسهل تطبيق السوق مقاربة بالأنظمة المعمول بها في الدول الأوروبية المختلفة إبان تطبيق السوق الأوروبية المشتركة.

واللافت للانتباه وجود «لجنة دائمة» شكلت لتابعة سير عمل السوق المشتركة ومدى تطبيقها وتقويم المرحلة الأولى والمراحل اللاحقة ورصد الصعوبات التي تواجهها والعمل على حلها، وهذه اللجنة الدائمة منبثقة من لجنة التعاون المالي والاقتصادي في أمانة دول المجلس، ومن المقرر أن تبدأ هذه اللجنة باكورة اجتماعاتها في أبريل ٢٠٠٨ على أن تتبعها اجتماعات دورية يضمها «جدول زمني» محدد لدراسة العقبات والمشكلات المحتملة في كل مرحلة من مراحل تطبيق السوق وإيجاد الحلول اللازمة لها.

ولقد طالب «عبدالرحيم تقي» الأمين العام لاتحاد غرف مجلس التعاون الخليجي بوضع برنامج زمني واضح لتطبيق «العملة الخليجية الموحدة» والوصول إلى التكامل الاقتصادي وإعادة النظر في ارتباط العملات الخليجية بالدولار وتوحيد

«تأثيرات الدخول السياحية» إذ أن الدول الخليجية في حاجة ماسة إليها ويذكر «عبدالرحمن بن علي الجريس» رئيس مجلس إدارة الغرف التجارية والصناعية في الرياض أن السوق الخليجية متمكن المواطن الخليجي من حرية ممارسة الأنشطة الاقتصادية والاستثمارية في أي مكان على امتداد دول مجلس التعاون الخليجي، كما أن تحقيق السوق الموحدة يعتبر الخطوة الأبرز والإنجاز الأهم في مسيرة العمل الاقتصادي المشترك لدول المجلس منذ انطلاقه.

أسواق العقارات

وثمة دور حيوي للسوق الخليجية المشتركة التي دخلت حيز التنفيذ مطلع عام ٢٠٠٨ في دعم نشاط السوق العقارية في دول الخليج خصوصا مع قرارات «لجنة التعاون المالي والاقتصادي» التي نصت في مايو ٢٠٠٧ في بندها العاشر على تمديد فترة إعفاء الأسمت وحديد التسليح والخصم المستورد من الخارج من التعريفات الجمركية إلى نهاية عام ٢٠٠٩، واستأنفت أسواق العقارات الخليجية خصوصا في الإمارات صعودها من جديد في ظل عوامل اقتصادية عدة أبرزها أزمة حادة في توافر مواد البناء دفعت «دبي» إلى إلغاء الضريبة الجمركية على الأسمت وحديد التسليح للتخفيف من حدة الأزمة لخدمة المواطن الخليجي.

ولقد بادرت سلطنة عمان مؤخرا بتعديل

قوانينها لتسمح للخليجيين بتملك العقارات إذ توافد إليها بسبب ذلك آلاف الخليجيين في عام ٢٠٠٧ من بينهم ٢٧١٣ مستثمر كويتي و١٥١٧ مستثمر إماراتي و٩٩٢ مستثمر بحريني و١٢٣ مستثمر قطري وهي خطوة إيجابية في الاتجاه الصحيح نحو إقامة سوق خليجية مشتركة، ينعم فيها جميع مواطني دول الخليج العربية بفرض متكافئة في كافة المجالات. وفي الختام يمكن القول أن الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي وغرفة تجارة وصناعة البحرين نظمت يوم ٢٤ مارس ٢٠٠٨ «منتدى» استضافته «المنامة» عاصمة البحرين ناقش آلية الحد من ظاهرة ارتفاع الأسعار في دول المجلس بعدما بلغت نسب التضخم في بعضها مستويات مرتفعة. كما ناقش المنتدى «دور السوق الخليجية المشتركة» في مواجهة ظاهرة ارتفاع الأسعار وما نفذته الأجهزة الرسمية والأهلية في الحد من هذه الظاهرة وتجارب بعض الهيئات والدول العربية والدولية في مكافحة التضخم، كما أن ثمة اتجاهات جديدة أمام السوق الخليجية المشتركة لتطبيق فكرة الشراء الجماعي للسلع الاستهلاكية، وتوحيد أسعارها بين دول مجلس التعاون الخليجي لصالح المستهلك الخليجي ويكفي ما ستؤدي إليه السوق الخليجية المشتركة من تكامل اقتصادي ومواطنة خليجية واحدة وعملة نقدية موحدة، وهي خطوة مهمة على طريق الوحدة الاقتصادية والسياسية لدول الخليج العربية.

مشكلات التعليم في أفريقيا - وواجب المسلمين

لأستاذ الدكتور / عبد الله نجيب محمد
معهد البحوث والدراسات الإفريقية
جامعة القاهرة

التعليم رغم أنه وسيلة لغايات كثيرة إلا أنه وقبل كل شيء غاية في حد ذاته، وما نبحثه هنا هو العملية التعليمية المنظمة التي بواسطتها يوفر مجتمع معين التعليم لأفراده، ولا نعنى في استخدامنا عبارة (نظام تعليمي) المراحل التعليمية وأنواع التعليم المدرسي والشكلي فحسب، وإنما نعنى أيضاً البرامج والعمليات التربوية والتعليمية المنظمة التي قد تقع خارج نطاق التربية المدرسية ومنها على سبيل المثال الأفلام والبرامج الإذاعية والتلفزيونية الهادفة.

وبداية لا بد أن نشير إلى أن (الأفريقية) رباط جغرافي سياسي ثقافي، وأن (العروبة) كذلك، ورغم التباين والاختلافات الثقافية بين الشعوب الأفريقية إلا أنها جميعاً ترتبط بأوثق الروابط بالثقافة العربية الإسلامية، حتى أولئك الذين لم يدخلوا في الإسلام قد تأثروا بهذه الثقافة بدرجات مختلفة؛ حيث تركت بصماتها في كل ركن من أركان القارة.

وثانياً: لا بد من الإشارة إلى أن التعليم في أفريقيا قد كان تقليدياً يعتمد على التراث الشفهي والنقل المباشر، وأفريقيا من بين القارات جميعاً لها تراث غني ومتنوع في هذا المجال، تمكنت به من الوصول إلى درجة عالية من التكافل والضبط الاجتماعي، فلما دخل

الإسلام إليها، انضم التراث الإسلامي إلى التراث الأفريقي ليشكل نسيجاً واحداً لثقافة أفريقية إسلامية انتشرت من القاهرة إلى الكيب ومن داكار إلى دار السلام.

وثالثاً: وفي ظل الاستعمار الأوروبي، حاول المبشرون القضاء على الثقافات الأفريقية، واستهدفت القيم التقليدية واللغات الوطنية لتحقيق أهداف غير دينية، وهو ما تنبه له كثير من مفكرى أفريقيا ومنظريها، وحاولوا بعد الاستقلال استعادة هويتهم الثقافية على أسس وطنية.

ورابعاً: وبعد الاستقلال، استمر الغرب في محاولاته لحق الثقافات الأفريقية وتحقيق ذات الأهداف التغريبية، وساعده ما كان قد اصطنعه من نخب حاكمة ومثقفة، تولت

الأمر واستحوذت على مراكز اتخاذ القرار ولذلك استمرت كثرة من المدارس الوطنية تسير على النمط الاستعماري القديم في نظمها ومناهجها ولم يتغير منها إلا النذر اليسير، هذا علاوة على استحداث ما يسمى مدارس اللغات مما خلق نوعاً من ازدواجية في التعليم، تعليم وطني تقوم به الدولة وتعليم تديره وتقوم عليه هيئات أجنبية، استمراراً في خلق نخب متغربة، وما زال هذا الوضع العام قائماً.

واقع النظم التعليمية في أفريقيا

بدأت النظم التعليمية في أوائل الستينيات من القرن الماضي عملية توسع هائلة لم يسبق لها مثيل في القارة، ففي كثير من الدول ازداد التلاميذ المقيدون بالمدارس في مختلف مراحل التعليم إلى أكثر من النصف.

ورغم هذا التوسع الهائل في التعليم فإن هناك نمواً متوازياً له في السكان، أدى إلى زيادة الأميين بنسبة بلغت أكثر من ٦٠٪ في

معظم الدول الأفريقية. ففي عام ١٩٨٠ كانت نسبة الأمية ٦٠,٣٪ من السكان الراشدين في أفريقيا، وكانت على سبيل المثال تزيد على ٤٠٪ في أوغندا وبنسوانا وتنزانيا. ومن ذلك يتبين أن النظم التعليمية في أفريقيا تواجه عدداً من المشكلات، التي تختلف حدتها وشكلها من دولة إلى أخرى تبعاً لاختلاف الظروف المحلية الخاصة بكل منها، غير أن اتجاهات القوى الداخلية المحركة لها تبدو متشابهة في جميع الدول الأفريقية، سواء أكانت هذه الدول قديمة في نشأتها أم حديثة، وسواء أنشأت لنفسها مؤسسات رسخت واستقرت أم أنها مازالت تناضل وتتحدى ما يوجد فيها من متناقضات، ويمكن حصر هذه المشكلات فيما يلي:

١- الفجوة الطلابة The Student Flood، وهو في مقدمة المشكلات التي تواجه دول القارة، حيث يزيد التطلع إلى التعليم

والإقبال عليه عاماً بعد آخر، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة الضغط الحالي على المدارس والمعاهد والجامعات القائمة، معدل النمو السكاني يفوق محاولات الدول، القيام بحل المشكلات أو إعادة التوازن إلى العملية التعليمية برمتها، ففي مالي على سبيل المثال كان ١٠٪ من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٦-١٤ سنة ٦٨.٠٠٠ يذهبون إلى المدارس في عام ١٩٦١ وفي سنة ١٩٦٤ ظلت نسبة الـ ١٠٪ رغم تضاعف عدد الأطفال تقريباً ليصل إلى ١١٣.٠٠٠.

وفي الجزائر بلغت الزيادة في عدد تلاميذ المرحلة الابتدائية أكثر من الثلثين، أما عدد تلاميذ المرحلة الثانوية فقد زاد عددهم ثلاثة أمثال، أما عدد طلاب التعليم العالي فزاد عددهم بنسبة تزيد على عشرة أمثال.

٢- النقص الحاد في الموارد المالية، وهو ما يؤدي إلى الحيلولة دون استجابة النظم التعليمية للإقبال على طلب التعليم على نحو مقبول، كما يحول دون تزويد المدارس بالوسائل والأدوات التعليمية المناسبة، علاوة على عدم القدرة على تزويدها بالعدد اللازم من المعلمين، والنقص في النوعية الملائمة ذات الكفاءة والجودة المناسبة، ففي كوت ديفوار (ساحل العاج) مثلاً ليس بين ٧٥٠٠ مدرس ابتدائي من يحمل دبلومات سوى ٦٠٠، وتبلغ حالياً نسبة غير المؤهلين في غير ساحل العاج من الدول الأفريقية المتكلمة بالفرنسية ما بين ٧٠، ٨٠٪ وترتفع في تشاد إلى ٩٠٪. ويؤدي النقص في الموارد المالية أيضاً إلى

نقص الأبنية المدرسية وإلى تكديس الفصول بأعداد تفوق قدرتها، مما يهدر وقت المتعلمين وجهدهم، ويقلل القدرة على الأداء المناسب والاستيعاب المناسب.

وتبين من الإحصائيات أن قدرة النظم التعليمية الفعلية على استيعاب التلاميذ حوالى ٥٠٪ في معظم الدول، وتزيد قليلاً في التعليم الثانوى والعالي.. مما يوجد فجوة كبيرة بين الطلب على التعليم وقدرة هذه النظم على استيعاب التلاميذ.

٣- الزيادة في التكلفة التعليمية مع تزايد النقص في الموارد المالية، تعاني النظم التعليمية كذلك من الاتجاه المتصاعد في التكلفة الحقيقية للتلميذ، لأن التعليم يتطلب باستمرار عمالة كثيفة، مع كل جهد يبذل لرفع نوعيته والعمل على تطويره.

٤- عدم ملاءمة المخرج التعليمي، في ظل هذه الظروف التي تواجهها النظم التعليمية، فإن ثمة ما يدل على أن ما تعلمه لتلاميذها، وما تخرجه من ناتجها البشري على اختلاف أنواعه غير ملائم لحاجات المجتمعات الأفريقية، وغير ملائم للوقت الحاضر والمطالب الحديثة.

الواضح أن عدم ملاءمة مخرجات هذه النظم التعليمية ترتبط بحاجات النمو القومي المتغيرة، وكذلك بالحاجات المتغيرة للأفراد ومن ناحية أخرى فإن الاتجاهات والتفضيلات المهنية وأنماط المكانة التي تسهم البيئة في تكوينها، تعوق الاستخدام السليم لنظام تعليمي عصري معين وتعمل في اتجاه مضاد

لإسراع عملية التنمية لإحداث تغييرات اجتماعية واقتصادية عصرية تؤدي إلى عجز اقتصاديات الدول النامية في استيعاب وتشغيل مخرجات نظمها التعليمية مما يؤدي إلى ظهور مشكلة بطالة المتعلمين.

٥- القصور الذاتي وعدم الكفاية: أما وقد وقعت النظم التعليمية تحت هذه الضغوط التي تشمل نظام الإدارة، والمقررات الدراسية وطرق التدريس والمناهج، وحجرة الدراسة المزودة بالأدوات اللازمة، ووسائل إعداد المعلم وغيرها من الأشياء التي ميزت العمليات التقليدية فإنها تعد الآن صالحة لمواجهة الموقف الجديد، ونستدل على ذلك من كثرة الشكاوى والاعتراضات التي ترد صداها حول تدهور نوعية التعليم والتي تمنعها من العمل على تكييف شئونها الداخلية بسرعة كافية.

٦- هناك نوع من الجمود ملازم لنظم التعليم في كل دول أفريقيا، لا يجعلها تستجيب بالسرعة لملاءمة مناهجها مع ظروف التغيرات والاحتياجات الجديدة في البيئة وعمليات التنمية، وبعض النظم تعطى للاتجاهات والعادات وأحياناً تصب عكس هذا الهدف، وتحاول إفراغ الناس من المضمون الثقافي النابع من تراثهم وتحقيق لأهدافهم والملائم للأوضاع والبيئة في مجتمعاتهم.

ويستغل الغرب هذا التناقض، والفشل في السيطرة على التعليم غير الشكلي في تسريب ثقافته ودعم قيمه التغريبية التي لا تحقق الأهداف الوطنية.

المشروع الأمريكي في التنميط الثقافي (أهدافه ووسائله في أفريقيا)

نحن نعتقد أن المشروع الأمريكي في التنميط الثقافي حلقة جديدة من حلقات السياسة التي اتبعتها الغرب فيما يسمى التغريب الثقافي، الذي بدأ بالاستشراق والمستشرقين، ومدارس الإرساليات التبشيرية في العهد الاستعماري، والتعليم المزدوج (مدارس اللغات) الذي هو مجرد تغيير للواجهة والملاح والتكثيف بعد الاستقلال، وكل ما في الأمر أن التعبير عن المشروع الأمريكي وأهدافه وغاياته يعد الحادى عشر من سبتمبر قد اتخذ شكلاً بالغ التحدى يصاحبه قدر كبير من الضغط العملي والتهويل الإعلامي، واستثمار ما يسمونه الإرهاب العالمى كذريعة للإسراع والاندفاع نحو تنفيذ ما كان سوف ينقد.

المشروع الأمريكى هو الحلقة الأخيرة، وهو امتداد لحلقات سابقة، هو حلقة النهاية كما أرادوا وخططوا في الماضي، فإذا كان العصر في رأى فلاسفتهم هو عصر الحقبة الأمريكية، وعصر العولمة بمعنى الهيمنة ونهاية التاريخ وصراع الحضارات، فقد أسفر المشروع الأمريكى عن وجهه واستبان ملامحه.

يستهدف المشروع ثقافات العالم أجمع، ويضع على رأسها الثقافة العربية الإسلامية التي رأى فلاسفتهم أنها الوحيدة القادرة على الصمود والتحدى.

ولما كانت الثقافة الإسلامية قد أصبحت

جزءاً من نسيج الثقافات الأفريقية، التي يدافع عنها القائلون عليها بكل إصرار وعناد فهي أيضاً من مستهدفات المشروع الأمريكي.

الغريب في الأمر أن يصل الأمر بالقائمين على المشروع إلى حد الإعلان عن رغبتهم السافرة في التدخل في صياغة محتوى المناهج التعليمية، خاصة التعليم الديني وهو المفهوم المركزي الذي تحته الغرب ومصدره إلى العالم الإسلامي كنواة لنظومة مفاهيمية مساندة ومساعدة، تستدعي كل مكونات الأجندة الغربية الرامية - من أمد طويل - إلى إزاحة مفهوم (الدين) بمنظوره الإسلامي كمنهج حياة شامل ينصف بالعمومية والإطلاق والشمول، وينظم حياة أتباعه في كل المجالات، وإحلال مفهوم (الدين) الذي تكرر في الغرب في عهد الدولة القومية كمعتقدات محصورة في مجال الحياة الخاصة ولا موضع لها في فضاء الحياة العامة.

يتزعم المشروع الأمريكي توجهاً بروجون له بكل الطرق يربط بين نوعية التعليم الإسلامي وظاهرة الإرهاب العالمي، بل ويربطون بين نوعية هذا التعليم وكل مظاهر الضعف بين معتنقي الإسلام في العالم، ويطرحون تصوراً لما يعتبرونه (إصلاحاً لذلك التعليم).

يرى المشروع الأمريكي أن خطورة التعليم الديني الإسلامي ترجع إلى طبيعته الإسلام ذاته في رأي البعض، وإلى ما يعتبرونه تفسيراً غير صحيح للإسلام في رأي البعض الآخر.

ويكاد الفريق الأول يقود العمل في

المشروع، ومن أهم معالم الصورة التي يقدمها هؤلاء أن الإسلام ذاته مناقض للديمقراطية الليبرالية، ولا أساس لإخراج أي نشاط إسلامي من مفهوم الأصولية الإسلامية المعادية للغرب بطبيعتها، والتي يتمثل هدفها الثابت في مناهضة الثقافة السياسية الديمقراطية بكل السبل، لانتفاء وجود أرضية مشتركة بينها وبين القيم الثقافية الغربية العلمانية شأنها شأن الحركات الفاشية والنازية، والمطلوب في رأي هؤلاء هو فرض الوصاية الأمريكية على العالم الإسلامي بالقوة، حيث يرى صمويل هنتجتون أن الصراع الراهن صراع بين الذهنية الإسلامية التوحيدية الأحادية المغلقة، والذهنية المتفتحة المؤسسية على التعددية العلمانية للغرب اليهودي «المسيحي» ويجب تكييف التعليم مع متطلبات الحداثة بمؤشراتها الأربعة:-

١- حقوق المرأة.

٢- التحول الديمقراطي.

٣- التسامح مع الوجود الأجنبي.

٤- الغناء الحظر على المشروبات الكحولية.

وبالطبع فإن هذه المؤشرات تجر وراءها تفكك الأسرة وتفكك المجتمعات، والتخلي عن المقاومة والدفاع عن النفس، والاندفاع نحو اللذة والمتعة وفي النهاية القضاء على الذاتية الوطنية والشخصية الدينية والثقافة القومية.

يرى المشروع الأمريكي أن التعليم (خاصة السعودي والمصري) يؤدي إلى

الانحراف والبطالة والتخلف والتوتر الاجتماعي، وبالتالي فإن مفهوم (الإصلاح) يصبح مرادفاً لتخريب الدين الإسلامي وتهميشه في العملية التعليمية، وأصبح من الثابت في المشروع الأمريكي ضرورة التخلي عن اعتبار الدين شأنًا داخلياً، ويجب إقامة تحالف دولي من أجل التعليم يتابع الخطط الذاتية التي تضعها كل دولة لتعميم التعليم فيها ويقدم الدعم لتطبيق مبدأ التعليم الأساسي للجميع، وضرورة نشر التعليم العلماني الحديث، والتحذير من استهداف الحداثة من أرضية إسلامية.

يسعى المشروع إلى تعديل نمط التعليم الشكلي (في المدارس والجامعات... الخ) والتعليم غير الشكلي المبني على المسجد على سبيل المثال.

ويرصد المشروع حالياً كل ما يصدر عن أجهزة الإعلام ومضمون مناهج التعليم في الدول الإسلامية، والأقليات الإسلامية المنتشرة في معظم دول العالم.

آليات المشروع الأمريكي

١- الترويج لفكرة احتضان الغرب للإسلام الليبرالي.

٢- توظيف الإعلام الغربي في إعادة تصدير هذا النوع من الإسلام إلى العالم الإسلامي وخاصة الأقليات الإسلامية في الدول الأفريقية.

٣- تهميش اقتصاديات الدول الإسلامية القادرة على التأثير.

٤- ربط التعليم الديني بالإرهاب.

٥- تشويه صورة الإسلام لدى الأمريكان والغرب.

٦- رفض تمكين أصحاب الاتجاه الإسلامي من اللعبة الديمقراطية.

٧- فرض ما يسمى ثقافة السلام.

ونحن نرى أن على المسلمين في جميع أنحاء الأرض أن يعلموا على الآتي:

١- ضرورة إنشاء هيئة عربية أفريقية لخلق تعاون مشترك وتلاحم وتواصل ثقافي بين المفكرين في العالم العربي والأفريقي وبين المسلمين في أمريكا والغرب.

٢- ضرورة أن تقوم الدول الإسلامية الغنية بإعادة النظر في استثماراتها في الغرب وتحويلها إلى أفريقيها والمنطقة العربية.

٣- ضرورة تبني مشروع عربي / أفريقي لإعادة ترجمة معاني القرآن الكريم، واستخراج ونشر الكتب القيمة التي كتبها أوروبيون منصفون.

٤- وفي النهاية نحن نرى أن على الجامعات في أفريقيا والعالم العربي دور بالغ الأهمية يتمثل في قيادة العملية التعليمية برمتها، وفي تحديد الأهداف والبرامج والمناهج وفي الرد المناسب على المشروع الأمريكي، والعمل على إجهاض أهدافه، والعمل في ذات الوقت على تحقيق الأهداف الوطنية والثقافية للمسلمين عرباً وأفارقة.

بيد

الصحف

9

المجلات

إعداد

محمود الفشني

علاء عبد الرحمن

الإساءة للإسلام عبر الـ (فيس بوك)

تحت عنوان: حتى لا تكون «فتنة» قاطعوا
اليوتيوب.. والفيس بوك/ كتب الأستاذ/ محمد علي
إبراهيم في جريدة الجمهورية الصادرة في ٢٠٠٨/٤/٢٠
مقالاً جاء فيه:

انتشرت في مصر ظاهرة «الفيس بوك» وقالت الصحف
الخاصة: إنها هي حزب المعارضة الجديد... ثم ذكر الكاتب أن هذه
المواقع ينظر إليها بعض الشباب على أنها «موضة» أو «تقليعة» ثم
أشار إلى أننا مطالبون بالمواجهة بعقل وحسم وطريقة عملية وليس
بخطب إنشائية ومقالات حماسية، ثم تحدث الكاتب عن كيفية
لجوء بعض الشباب المسلم من خلال «الفيس بوك» إلى أن يكون
لهم مواقف إيجابية إزاء قضايا رأوا أنها تمثل اعتداء على دينهم
وتشويههم كمسلمين في العالم كله، فقد سخروا «الفيس بوك»
لهدف أسمي وأبيل وهو التصدي للمواقع التي نشرت وروجت
لفيلم «فتنة» الهولندي الذي يمسنا في أعماق مشاعرنا وهو علاقتنا
بالرسول ﷺ، هؤلاء الشباب شاهدوا الفيلم على مواقع «فيس
بوك» عقب منع عرضه تجارياً في دول أوروبية كثيرة بعد ضغط
الدول الإسلامية غير أن أعداء الإسلام - وما أكثرهم - وجدوا في
مواقع مثل: «ليف لبيك» و«ارنوز شيقا» و«تروف» وموقع
«جيرت ويلدرز» وهي مواقع ينبغي ألا يتم الدخول عليها خصوصاً
الموقع الأخير وهو يحمل اسم مخرج الفيلم والذي يروج في العالم
تحت دعوى حرية الرأي والتعبير.

الهجمة على الإسلام قوية وقوتها في أنها تستخدم الموضة
الجديدة أو «الفيس بوك» لأنهم يعرفون أن الشباب يهوى الجديد
ولديهم فضول وحب استطلاع قد سوا الفيلم على المواقع التي
أشرت إلى البعض منها آنفاً.

لا ضير من مقاطعة الفيس بوك نهائياً الآن فقد انتشر أعداء
الإسلام على الـ «يوتيوب» و«الفيس بوك» يروجون لما يزعمون أنه
فواحش الإسلام ووحشية المسلمين ومجازرهم وأشياء من هذا
القبيل.

إذا كان ولا بد من الدخول على «الفيس بوك»
فادخلوا كما دخلت «أسماء حسين» التي أعطتهم
درساً في كيفية احترام الأديان السماوية، وأنا لن
تنزلق إلى الرد على مزاعم مخرجين معنويين
يسعون لتأليب العالم ضد المسلمين، لكننا في
الوقت ذاته نملك ما نستطيع أن نخرسهم به دون
التطرق إلى أديانهم وعباداتهم ليس لأننا نخاف
منهم، ولكن لأن من شروط الإسلام الإيمان بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من
رسله... تحولت أسماء على مواقع الفيس بوك التي
عرضت الفيلم المسيء ووضعت في كل منها
تعليقاً أو صوراً عن ممارسات إسرائيل في الأرض
المختلة وكيف يخاف الأوروبيون من نشرها حتى لا
يتهموا بمعاداة السامية، وعن شذوذ القساوسة في
أمريكا وعن... وعن... هناك مواقع فيس بوك
تدافع عن الدين الإسلامي لماذا لا تنضمون إليها إذا
كانت حجتكم قوية وتستطيعون دحضها... هناك
شباب اشتبكوا مع الذين سخروا من ديننا الحنيف
وقالوا لهم إذا كنتم تسخرون من الإسلام لأنه لا
يعترف بالجيرل فريند فهذا شأنكم، طالما أنكم
تشاهدون صوراً إباحية، لزوجاتكم وشقيقاتكم
على الفيس بوك وتقولون أنها حرية شخصية.

لست هنا في مجال الهجوم أو الدفاع عن
الفيس بوك واليوتيوب، ولكني أدعو الناس إلى
التبصر، فكل موقع «فيس بوك» على الشبكة
العنكبوتية أصبح معرضاً للاختراق من جانب
القراصنة... الموضة الآن نشر الفيلم المسيء
للمرسول ﷺ على كل مواقع المسلمين في
العالمين العربي والإسلامي بدعوى حرية الرأي
والتعبير... واعتقد أننا إذا كنا مطالبين بمتابعة
الموضة التكنولوجية، فعلى الأقل دعونا لا ننساق

وراء هجمة ضد الإسلام والدين والرسول مستغلة
شغفنا بالفيس بوك.

تجاهلهم

وكتبت الأستاذة الفت الخشاب في
جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في
٢٠٠٨/٤/١٠ عما يجب على المسلمين فعله
إزاء الإساءة للنبي ﷺ، ولدين الإسلام.

فقد بدأت مقالها بالإشارة إلى أن التجربة تؤكد
عبر سنوات التاريخ أن الحاقدين على الإسلام
والمسلمين لن يتوقفوا، إذا كانت ردود المسلمين
تنحصر في التشنج والعصبية والمظاهرات وحرق
الأعلام... إلخ... ثم أشارت إلى ما حدث عندما
أصدر «سلمان رشدي» كتابه «آيات شيطانية» فقد
ارتفع صوت هذا الدجال إلى عنان السماء وبيعت
طبعات متعددة من روايته الفاشلة وأصبح من أرباب
الملايين وكرمه وزراء و رؤساء الغرب، بل إن ملكة
بريطانيا منحته وساماً رفيعاً، وخصصت الملايين
لحراسته واعتبره الغرب ضحية الدفاع عن حرية
الرأي والإبداع ولو أهمل هذا الرجل لما حدث
ذلك، وهذا ما يحدث الآن وتكرر المأساة بالرسوم
المسيئة للنبي ﷺ وفيلم أنتجه برلمان هولندي
بعد أن وعى الدرس من سلمان رشدي، وأدرك أن
ردود أفعال المسلمين المتدفقة ستجعله يربح الملايين
ويشهر هذا الفيلم وهو بلا شك لا يستحق
المشاهدة أو حتى التعليق ثم أضافت:

ووصل الأمر إلى أن الجهات الرسمية في دول
الدانمارك وهولندا أدركت هذه اللعبة، فوجهوا لنا
نحن المسلمين النصيح بالآ نبالغ في ردود أفعالنا
حتى لا نغلي من قدر هؤلاء المتاجرين على حساب
الدين الإسلامي، فتلك البالغة تجعلهم يزدون،

وأن أفضل علاج لهم هو بتجاهلهم، وفي نفس الوقت إلقاء الضوء على ديننا الحنيف بالحوار الهادئ وباستخدام وسائل الإعلام والسينما وكل الوسائل الحديثة والممكنة ومنها الإنترنت.. وبذلك تقشّل حيل هؤلاء التاجرين، ولا يعود لوجودهم أي تأثير، فهل نعي الدرس ونستوعبه ونتحكم في ردود أفعالنا، فلا الدين الإسلامي سينقص بمحاولات هؤلاء ولا نبينا الكريم خير البرية وأشرف المرسلين سيأثر بما يفعله هؤلاء التاجرين.. إذا كنا حقاً نريد الدفاع عن الإسلام وعن النبي ﷺ، فعلينا أن نبدأ أولاً بانتهاج منهجه واتباع سنته، وليس في اللبس وإطلاق اللحي فقط وإنما في اغتير بالعمل وتحقيق الوفرة والقضاء على الفقر والامية وتحقيق التقدم، فهذه هي اللغة التي يفهمها ويحترمها الآخرون.. وبهذه اللغة يتحقق قوله تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

المؤامرة والمواجهة!

ولكن الأستاذ الدكتور محمد المسير كان له رأي آخر أورده أيضاً في جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٢٤/٤/٢٠٠٨ قال فيه:

إن الإساءات الدائمية والهجومات على المسلمين، ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، لأنها تنطلق في ظل مؤامرة تتواطأ عليها السلطة السياسية والدينية في أوروبا ولعلنا نذكر أن غزو العراق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية كان باسم الحملة الصليبية الجديدة، وأن وزير داخلية ألمانيا أمر جميع الصحف الألمانية بإعادة نشر

الرسوم المسيئة، وأن بابا الفاتيكان يجعل قضية تنصير المسلمين مسألة حياة أو موت بالنسبة له، وعندما يستقبل هذا المشول النصراني رجلاً عربياً يدعى علاماً - خرج من مصر وعاش في إيطاليا وتخلي عن دينه ويقوم بتعميده وكان هذا العلامة رئيس دولة إسلامية أو صاحب منصب ديني إسلامي كبير.. ألا يدل ذلك التمثيل الإعلامي على حق دفين وغل أسود وعداوة مستحكمة؟! إن بعض المرتعشين إسلامياً ينفون المؤامرة ويتهمون العلماء بأنهم يعيشون في وهم، وتلك خطيئة فكرية فما لم ندرك حجم المؤامرة التي تحاك ضدنا لن نحسن التعامل معها والمقاومة لها. إنني أتصور المواجهة مع هذه البذائات على مستويات ثلاثة.

● المستوى الأول: هو المقاطعة الاقتصادية الكاملة لهذه الدول وهذا واجب الحكومات ورجال الأعمال، ومن المعلوم أن أوروبا لا يمكن أن تتحمل هذه المقاطعة الاقتصادية لأنها لا تملك المواد الخام ولا تملك الأسواق التجارية لمصنوعاتها، وستضطر إلى إلقائها في البحر.

● المستوى الثاني: هو موقف منوط بمنظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية، وذلك بسحب السفراء من هذه الدول حتى تستشعر جريمة ما فعلت وبذاءة ما ارتكبت.

● المستوى الثالث: وهو واجب العلماء في الخروج من قفص الاتهام وموقف الدفاع إلى فضح هؤلاء في دينهم وأخلاقهم وسياساتهم وتاريخهم وعداوتهم للبشرية فمن كان بيته من الزجاج فلا يرمى غيره بالحجر.

فيجب على العلماء أن يصبروا على هؤلاء

المجرمين حجارة من مجبل تمزقهم إرباً وتكشف فضائهم... ولنتذكر قول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَتُكَ مِنْ دُونِكَ عَنْ يَمِينِكُمْ لِتَنْتَقِبُوا ﴾

البقرة: ٢١٧

بدء حملة مقاطعة البضائع الهولندية

في العالم الإسلامي

وترصد جريدة الأسبوع في عددها الصادر في ١٢/٤/٢٠٠٨ رد فعل العالم الإسلامي تجاه فيلم «الفتنة» المسمى للإسلام حيث كتبت جيهان حسين تقول:

بدأت حملة المقاطعة الشعبية للبضائع الهولندية رداً على قيام النائب الهولندي التطرف «جيرت فيلدرز» بنشر فيلم يسيء للمقرآن الكريم على شبكة الإنترنت بعنوان «الفتنة».

وكان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين قد دعا إلى مقاطعة البضائع الهولندية لتوجيه رسالة شديدة اللهجة للمجتمعات الغربية عموماً - وهولندا خصوصاً - بضرورة احترام المقدسات الإسلامية وعدم الإساءة للرسول الكريم ﷺ.

من جانبه دعا الدكتور محمد سليم العوا الأمين العام للاتحاد كافة مسلمي العالم إلى مقاطعة هذه البضائع بدءاً من ١٠ أبريل وحتى يوم ٢٥ من نفس الشهر لأن من حق المسلمين أن يعضوا بطريقة متحضرة عن طريق وضع لافتات على المحلات «لا يوجد لدينا بضائع هولندية»..

مؤكد أن الأرزاق بيد الله، وأن الدفاع عن القرآن والنبي الكريم يجلب الرزق أضعافاً مضاعفة.. مشيراً إلى أن ما يحدث من جانب هولندا أو بعض الدول الأوروبية ليس مجرد حوادث فردية بدليل أن التقرير الذي أعدته منظمة المؤتمر الإسلامي في قمة ذاكار الأخيرة والذي رصد حوادث الإساءة للإسلام خلال عام واحد، تضمن أكثر من ٨٤ صفحة.

وأشار العوا إلى أن المواطن الهولندي ليس هو المستهدف من المقاطعة ولكن الهدف هو توصيل رسالة للحكومة مفادها أن مصالح الدولة يمكن أن تتضرر مادام الإسلام لا يحترم في هذه الدولة. ومن المقرر أن تستمر حملة المقاطعة إذا تكررت هذه الإساءات للإسلام.

وأعرب العديد من المصريين عن مشاركتهم في دعم المبادرة لمقاطعة السلع الهولندية والدعوة لتفعيل المقاطعة عن طريق رسائل المحمول SMS والبريد الإلكتروني، ولم تقتصر دعوة المصريين على المسلمين فقط بل وأعرب العديد من المسيحيين عن دعمهم لهذه المقاطعة لأن الإساءة للإسلام هي إساءة لكل الأديان السماوية.

وجدير بالذكر أن وزير خارجية هولندا أعلن أن الفيلم الذي أنتجه نائب البرلمان لا يمثل سياسة الحكومة الهولندية وإن كانت بعض الشركات الهولندية قد هددت بملاحقة النائب فيلدرز إذا أدى فيلمه المعادي للإسلام إلى مقاطعة تجارية لمنتجات هذه الشركات، وقال رئيس المنظمة الهولندية لأرباب العمل «برنارد فينيستيس»: لا أعرف إذا كان فيلدرز غنياً أو يمتلك تأميناً جيداً لكن إذا تعرضنا لمقاطعة

فسوف ترى إذا كنا نستطيع تحميله ذلك لأن المقاطعة يمكن أن تضر بالصادرات الهولندية وشركات عالمية كبرى مثل «شل» و«فيلبس» إلى جانب الزهور الهولندية التي تمثل مصدرا هاما للاقتصاد الهولندي.

وعلى جانب آخر.. طالبت منظمة المستهلكين المسلمين في ماليزيا بإطلاق حملة لمقاطعة البضائع الهولندية وقال مسئول بالمنظمة: «إن هذه المقاطعة تأتي احتجاجا على فيلم «الفتنة» المسيء للإسلام».

المسلمون والمقدسات الإسلامية العدو الأول لإسرائيل
وتحت عنوان «إسرائيل.. ومحاولات تهويد الخليل، كتب عربي أصيل في جريدة المساء الصادرة في ٢٠٠٨/٤/٢١ م يقول:

يكشف التقرير الذي خرج من مدينة الخليل المحتلة بالضفة الغربية عن عمليات التهويد المستمرة لتلك المدينة، أنها تواجه مأساة لا تقل خطورة عما يواجه مدينة القدس المحتلة على أيدي قوات الاحتلال الاسرائيلي ومستوطنيها.. وهذه المعلومات ليست جديدة على الإطلاق. لكن يصبح من المناسب تكرارها للتأكيد على صمود الشعب الفلسطيني في دفاعه عن تلك المدينة المقدسة مهما لاقى من إرهاب.. فقد سعت قوات الاحتلال إلى إقامة حي يهودي فيها.. وفي سبيل تحقيق ذلك الهدف عملت على تفريغ الحي القديم بالمدينة من سكانه المسلمين حتى وصل عددهم حاليا إلى ٤٠٠ فقط بعد أن كان يتجاوز عشرة آلاف عند الاحتلال.

واتخذت عدداً من الاجراءات لتقسيم الحرم بين المسلمين واليهود. واستغلت مذبحه الحرم الابراهيمي عام ١٩٩٤ لتوسيع نسبة اليهود إلى أربعين في المائة. ولا يستطيع أى مسلم دخول الحرم إلا بعد المرور بعشرات الحواجز منها ٣ في المسجد نفسه. وفي أوقات صلاة الجمعة تعتمد سلطات الاحتلال الإتيان بفرقة موسيقية يهودية تعزف موسيقى صاخبة. وبات ٤٠٠ يهودي يسيطرون على الحي القديم في حراسة ثلاثة آلاف جندي يهودي، وهذا ليس سوى قدر يسير من جبال المعاناة التي يتحملها الفلسطينيون ولا بد من دعمهم.

فيتو أمريكا

وفي صندوق الدنيا بجريدة الاهرام بعددها الصادر في ٢٠٠٨/٤/٢٢ قال الأستاذ أحمد بهجت:

هذه حضارة رعاة البقر.. وهي حضارة تتلخص في أى الفريقيين أسرع في إخراج مسدسه.. كم من الأفلام شاهدنا حتى حفظنا من ببطين في إخراج مسدسه، ومن يسرع بإطلاقه.. الطلقة الأولى لك والثانية عليك.

منذ زمن دخلت إسرائيل لبنان وقال العالم نريد توقيع عقوبة عليها، وقالت أمريكا فيتو.. ما معنى فيتو؟.. معناه أنهم أسرع في إخراج المسدس وإطلاقه.. لا تقل ضعفا.. أبدا لا يضع إلا من يضع نفسه.. المسألة محسومة إذن ومحسوبة.. ولكنها ليست باعثة على اليأس.. نحن وأمريكا نتقاتل.. بيتنا مصالح.. نحن سوق لهم.. مشتررون كبار.. فلنجرّب أن نقاطع البضائع الأمريكية.. لا داعي لتدخل الحكومات

أو حتى معرفتها.. سيظل الأمر سرا بيننا. لتدخل البضائع الأمريكية، والسيارات الأمريكية، والثقافة الأمريكية، أهلا وسهلا.. نحن أمة كريمة وشعب مضياف.. سنفرج على صناعيتها ونبدى إعجابنا بها.. ولكننا لن نشترىها.. سنصرف كاليابانيين نعجب دون أن نشترى.. سنفرج ونقول: اللي ما يشترى يتفرج.. هل الفرجة ممنوعة؟!.

لو نجحنا في هذا الموقف لانحاشت الفيتو في زور أمريكا قبل أن تقول لها.

ولكننا للأسف همل.. كثرة كغناء السيل.. لم يتأخر الوقت.. نستطيع أن نبدأ من اليوم.. فلنقاطع السجائر الأمريكية، والسيارات الأمريكية، والشلاجات الأمريكية والثقافة الأمريكية، والفنون الأمريكية.. والليسان الأمريكي.

سنفرج.. ولكننا لن نشترى.. سنقول نحن فقراء.. ولكننا نستطيع أن نقول فيتو.

كشف المستور في أفغانستان!

وفي مجلة آخر ساعة بعددها الصادر في ٢٠٠٨/٤/١٦ كان هذا التقرير الذي جاء فيه:

في جولة للصحفية الأمريكية الشهيرة (اليزابيث روبين) والتي تعمل في مجلة «النيويورك تايمز» الأمريكية، إلى أفغانستان لقضاء عدة أشهر مع القوات الأمريكية وقفت مذهولة أمام المشاهد التي رصدها على أرض الواقع عن حال جيش قوات حلف شمال الاطلسي بعد سبع سنوات من حرب بلا نهاية

وعندما عادت اليزابيث تحدثت عن هزائم الجيش الأمريكي هزيمة تلو الأخرى وتعجبت في الوقت ذاته عن الروايات الكاذبة التي تصدر عن البيت الأبيض التي تتحدث عن النصر بينما الواقع على الأرض تؤكد أن الجنود يسبسون من نكية لعثرة ومن نكسة يعقبها انكسار ويقاثلون عدوا مجهولا.

اليزابيث أمضت أسابيع طويلة في إقليم «كونار» أكثر الأقاليم الأفغانية وعورة وخطورة جغرافيا وحربيا لتضاريسه بالغة القسوة والمعارك الشرسة الدائرة به منذ أكثر من عام نظراً لاعتقاد سائد بأن زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن مختبئ في مكان ما بالإقليم وهي تؤكد أن كل ما شاهدته وعاشته في أفغانستان يذكرها بكل ما قرأته وسمعت عن حرب فيتنام من حكايات اختلطت فيها الدم والدموع برائحة البارود، فالجنود الأمريكيون في حالة نفسية ولا أسوأ وذلك لعدة أسباب منها أن مقاتلي طالبان يتعمدون تبادل أحاديث بالإنجليزية من خلال أجهزة لاسلكي يسهل التقاط موجاتها وفي تلك الأحاديث يصفون الجنود الأمريكيين بـ «القسور» و«الزناة» و«الشواذ جنسياً»، كلمات نجحت بالفعل في تحطيم معنويات المارينز لأقصى درجة، الصحفية الأمريكية أشارت كذلك إلى أن الجنود لا يرون نهاية للنزق المظلم القابعين فيه منذ أن وطأت أقدامهم الأراضي الأفغانية لاسيما أن الإدارة الأمريكية تجبرهم بشكل أو بآخر على تمديد فترة خدمتهم المقررة في العقود التي وقعها هؤلاء الجنود الذين أصبحوا بالفعل على شفا حقرة من الجنون.

ظرائف.. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الشكر على المعروف

- قال رسول الله ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(١).
- وقال بعض الأدباء: «من لم يشكر لمنعمه، استحق قطع النعمة».
- وقال غيره: «من كفر نعمة المقيد، استوجب حرمان المزيد».
- وقال آخر: «من أنكر الضيعة، استوجب قبح القطيعة».
- وأنشد بعض الشعراء:
من جاوز النعمة بالشكر لم
يخش على النعمة منقلا لها
لو شكروا النعمية زادتهم
مقالة الله التي قالها
لئن شكرتم لأزيدنكم
لكنما كفرهم غاليا

(١) سنن أبي داود.

والكفر بالنعمة يدعوا إلى
زوالها والشكر يبقى لها

الثبات في حالتي الزمان

قال عبدالعزيز بن زرار الكلابي:
لقد عجبت منه الليالي لأنه
صبور على عضلاء تلك البلال
إذا نال لم يفرح وليس لنكبة
ألت به بالخاشع المتضائل
وكتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه علي بن
أبي طالب - عليه السلام - يسأله عن حاله:
فكتب إليه علي رضي الله عنه:
فإن تسألني كيف أنت فإني
جليد على عض الزمان صليب
عزيز على أن ترى بي كآبة
فيفرج واش أو يساء حبيب
● وقال حكيم: «من عز بإقبال الدهر ذل
بأدباره وقال غيره: «من أبطره الغنى أذله الفقر».

● وقال عارف بأسرار النفوس: «من ولي
ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها، ومن
ولي ولاية يرى ولايته أكبر من نفسه تغير لها».

● وقال يحيى بن حيان: الشريف إذا تقوى
تواضع، والوضيع إذا تقوى تكبر.

● وقال كسرى أنو شروان: احذروا أصول
الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع.

ما قيل في التعمير

دخل الشعبي على عبد الملك بن مروان
فوجدته مهتما فقال له: ما بال أمير المؤمنين؟
قال: ذكرت قول زهير:
كأنني وقد جاوزت سبعين حجة
خلعت بها عني عذار الحامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى
فكيف بمن يرمى وليس برامي
قال له الشعبي: ليس كذلك يا أمير
المؤمنين، ولكن كما قال لبيد بن ربيعة وقد بلغ
السبعين:
كأنني وقد جاوزت سبعين حجة
خلعت بها عن منكبي ردائيا
ولما بلغ سيعا وسبعين سنة قال:
بانت تشكى إلى النفس موهنة
وقد حملتك سيعا بعد سبعينا
فإن تزدى ثلاثا تبلغي أملا
وفي الثلاث وقاء للشماتينا
ولما بلغ تسعين سنة قال:
أليس ورائي إن تراخت مني
لزوم العصا تحني عليها الأضالع

أخبر أخبار القرون التي خلت
أنوء كأنني كلما قمت رافع
ولما بلغ ثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال:
تمنى ابتساي أن يعيش أبوهما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوما فقولوا بالذي تعلمانه
ولا تخمشا وجهها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا ضديقه
أضاع ولا خسان الخليل ولا غدير
إلى سنة ثم السلام عليكم
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

الأدب حلية العاقل

روى الأصمعي أن أعرابيا قال لأبنه: يا بني:
الأدب دعامة أيد الله بها الأبواب، وحلية زين
الله بها عواطل الأحساب.

وقال حكيم: «الأدب صورة العقل، فصور
عقلك كيف شئت».

وقال آخر: «العقل بلا أدب كالشجر العافر،
ومع الأدب كالشجر المثمر».

وقال غيره: «الفضل بالعقل والأدب، لا
بالأصل والحسب، لأن من ساء أدبه، ضاع
نسبه، ومن قل عقله، ضل أصله».

وقال بليغ: «الأدب يستر قبح النسب».

تقيل اليد وغيرها في الإسلام

روى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن
عبد الله بن عمر قال: كنا نقبل يد النبي
صلى الله عليه وسلم.

ومن حديث وكيع عن سفيان قال : قال : قيل
أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب .

ومن حديث الشعبي قال : لقي النبي ﷺ
جعفر بن أبي طالب فالتزمه وقبل ما بين عينيه .
وقال إياس بن دغفل : رأيت أبا نضرة يقبل خد
الحسين .

وروى الشيباني عن أبي الحسن عن مصعب
قال : رأيت رجلاً دخل على بن الحسين في
المسجد فقبل يده ووضعها على عينيه فلم ينهه .
وقال العنبي : دخل رجل على عبد الملك بن
مروان فقبل يده وقال : يدك يا أمير المؤمنين
أحق يد بالتقبيل لعلوها في المكارم وطهرها
من المآثم ، وإنك تقل التشريب ، وتصفح عن
الذنوب ، فمن أراد بك سوءاً جعله الله حصيد
سيفك ، وطريد خورقك .

ودخل جعفر بن يحيى في زى العامة وكتمان
النباهة على سليمان صاحب بيت الحكومة ومعه
ثمالة بن أشرس . فقال ثمالة : هذا أبو الفضل .
فنهض إليه سليمان فقبل يده ، وقال له : يا بني أنت
ما دعاك إلى أن تحمل عيذك هذه المنة التي لا أقوم
بشكرها ولا أقدر أن أكافئ عليها ؟

صفة من كملت مروءته

دخل عبد الملك بن مروان على معاوية وعنده
عمرو بن العاص ، فسلم ثم جلس ، فلم يلبث أن
قام . قال معاوية لعمرو : ما أكمل مروءة هذا
الفتى !

قال عمرو بن العاص : إنه أخذ بأخلاق أربعة ،
وترك أخلاقاً أربعة : أخذ بأحسن البشر إذا لقي ،
وبأحسن الحديث إذا حدث ، وبأحسن

الاستماع إذا حدث ، وبأيسر المؤنة إذا
حولف .

وترك مسزاج من لا يثق بعقله ، وترك
مجالسة من لا يرجع إلى دينه ، وترك مخالطة
لشام الناس ، وترك من الكلام كل ما يعتذر
منه .

وقال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان :
بم بلغ فيكم الأحنف بن قيس ما بلغ ؟
قال خالد : إن شئت يا أمير المؤمنين
أخبرتكم بخلة واحدة ، وإن شئت يخلتين ،
وإن شئت بثلاث .

قال الخليفة : فما الخلة ؟ قال خالد : كان
أقوى الناس على نفسه . قال هشام : وما
الخلتان ؟ قال خالد : كان موقى الشر ، ملقى
الخير . قال : فما الثلاث ؟ قال خالد : كان لا
يحسد ولا يبخل ولا يبغي .

أصبح التأليف قصصاً

قرأ الأستاذ الكبير الدكتور أحمد شفيق
السيد الأستاذ بكلية اللغة العربية رسالة دكتوراة
كى يناقشها فكتب فى الصفحة الأولى قائلاً :

أصبح التأليف قصصاً
والفكر ما للمراجع
فإذا رمت جديداً
تجدد الدار بلاقح

دعاء

اللهم اعصمنى من شر الفتن ، وعافنى من
جميع الخن ، وأصلح منى ما ظهر وما بطن .

دلالات الألفاظ

بين جلد الأصوليين وعيث الهازلين

لفضيلة الشيخ / الطاهري الحامدي

وتأسيساً على ما سبق نود أن تلج معاً
إلى رحاب الأصوليين لنقف على
مصطلحاتهم حتى نفهم منهم ، وحتى
تسبين وقع خطانا ونأمن من العثرات ، ولا
نخطئ خيط عشواء فى فهم النصوص فنضل
ونخزي .

وأكثر الضلال التعمدون والخطئون
يتكبدون مصطلحات القوم ، إما عن عمد
مقصود وخبت مدبر ، وإما عن غياب
المعرفة بالصواب ، وكلا الفريقين خطره
شديد - ليس على علم الأصول - ولكن على
مسيرة أمة ، وعيث بالشرعية والتشريع .

فكثيراً ما تسمع على لسان من يريدون
أن يعيشوا أو يخربوا عبارة تقول : « إن
عمر - هكذا - عطل حد السرقة ، فما الذى
تريدون تعطيله أنتم ؟ »

وسبب اهتمام علماء الأصول بالألفاظ
ودلالاتها ، أن أفكارهم طموحة جموحة
رحبة ، ولذلك كان لابد أن تنضبط الألفاظ ،
لأنه كما يقول العارفون : (كلما اتسعت

لا يختلف اثنان على أن الألفاظ وعاء
المعاني ، وأنها أداة لحمل المعنى الذى يريد
المتكلم أن يوصله إلى السامع ، فإذا انتخب
الوعاء تسربت المعانى منه ولم يعد للحوار
معنى ، وصعب على كل من المتحدث
والسامع الفهم أو التفاهم لأن الألفاظ
فقدت دلالتها .

كما أنه لا خلاف بين العلماء : حيث إن
لكل علم من العلوم مصطلحاته الخاصة
به ، فللنحويين اصطلاحات ، وللبلاغيين
اصطلاحات ، وللنحويين اصطلاحات ،
وكذلك للأصوليين اصطلاحات ، وكل أهل
علم مسلمون للآخرين باصطلاحاتهم
حتى وإن اختلفت عن اصطلاحاتهم ،
ولذلك استقرت بين جميع العلماء عبارة
جيدة حسنت عيبت العابثين وهزل
الهازلين ، وهى قولهم : (لا مشاحة فى
الاصطلاح) بمعنى أنه لا ينسقى ، أو لا
يجوز ، ولا يليق بأن يمارى العلماء
ويرفضوا مصطلحات غيرهم من العلماء .

الرؤيا ضاقت العبارة)، وحتى لا يضل عابث، أو يتجرأ مغامر، فلا داعي للبس خطير نتيجة لاختلاف المصطلحات أو المفردات ولذلك نرى الأصوليين قسموا الألفاظ باعتبار دلالاتها على معانيها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: باعتبار وضع الألفاظ لمعانيها.

يقول أبو حامد الغزالي (١) بعد أن انتهى من مقدمة كتابه: ولتشتغل بالمقاصد (٢) وهي كيفية اقتباس الأحكام من الصيغ والألفاظ المنطوق بها، وهي أربعة: الأول (المجمل والمبين) والقسم الثاني في (الظاهر والمؤول) ثم قال بعد أن تكلم في بيان المجمل والمبين: اعلم أنا بينا أن اللفظ الدال الذي ليس بمجمل إما أن يكون نصاً، وإما أن يكون ظاهراً، والنص هو الذي لا يحتمل التأويل، والظاهر هو الذي يحتمل التأويل، فهذا القدر عرفته على الجملة وبقي عليك الآن أن تعرف الخلاف في إطلاق لفظ النص، وأن تعرف حده وحد الظاهر وشرط التأويل المقبول، ثم استطرد في حوارات شيقة مبهدة عنيفة - وهي مع كل هذا متعة عقلية، بعيدة عن الاعتساف، والتزق، والهوى، والغرض - يستعرض فيها قول رسول الله ﷺ لغيلان

- رضي الله عنه - حين أسلم على عشر نسوة: «أمسك عليك أربعاً وفارق سائرهن» (٣) وقوله ﷺ لفيروز الديلمي حين أسلم على أختين: «أمسك إحداهن وفارق الأخرى» (٤) استعراض رفيع المستوى في اللفظ، والمعنى بين وجهتي نظر الإمامين أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما، وأرجو أن تسمح لي بأن تدلف سويًا أنت وأنا إلى ساحة الحوار العقلي السامح - بلا عراك أو شطط ولا لي للتصوص جرياً وراء مطمع دنيوى ردىء، اللهم إني أعوذ بك من الطمع في غير مطمع - ولنسأل أنفسنا: ما المقصود والمراد من قوله ﷺ: «أمسك أربعاً وفارق سائرهن»، وقوله: «أمسك إحداهن وفارق الأخرى»، هل يدل على دوام النكاح السابق؟ أم ابتداء نكاح جديد؟ وبمعنى آخر: هل يفهم من هذا القول إنشاء عقد جديد لأربع، ولو واحدة من الأختين؟ أم يفهم بقاء النكاح الأول؟ وما حجة كل قول؟ بالرأى الأول قال الإمام أبو حنيفة - رضي الله عنه - وبالرأى الثاني قال الإمام الشافعي - رضي الله عنه - وكل أقام حجته وبين دليله من وضع اللغة والفهم المستقيم لمعاني الكلمات ومدلول الألفاظ، وأبو حامد الغزالي يبحر بنا في

حوار دافئ جيد رصين بين حجة الإمام أبي حنيفة، وكلمة «أمسك» على رأيه يؤيدها (الاستصحاب) ويؤازرها (القياس)، ثم نهض إلى رأى الإمام الشافعي - شيخه وإمام مذهبه - وقال: إلا أن جملة من القرائن عضدت (الظاهر) - وهو رأى الإمام الشافعي - جعلته أقوى في النفس من التأويل، وانبرى فارساً درياً يصول ويسوق أدلة في نيل ورسوخ، لا أحب أن أثقلك بها، وكذلك ساق مسألة أخرى: في الواجب إخراجها من زكاة الغنم، وهل يجوز إخراج القيمة؟ أم أنه لابد من إخراج الزكاة من نفس المال الواجب فيه الزكاة؟ كل هذا والحوار يدور حول لفظ قوله ﷺ: «في كل أربعين شاة شاة» (٥) بمعنى أن الواجب على من ملك أربعين شاة أن يخرج شاة، فهل اللفظ يفيد أن الواجب لا يتم إلا بإخراج شاة واحدة من الشبابة أم أنه يتم ويسقط بإخراج قيمة الشاة؟ كل هذا الحوار في مدلول اللفظ، وكيف استخرج صاحب الرأى قوله؟ وما هو مستنده؟

وأحب أن أسوق لك مثلاً آخر أبغى أن استرسل معه في أدلته؛ لأنه إلى جانب أدلته الحوارية، فيه جانب وضئ تعبدى مشرق، حتى تعلم قيمة التراث الذي بين أيدينا؛ لأن قوماً من بنى جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا يريدون أن يهبلوا التراب على التراث.

يقول أبو حامد الغزالي (٦): قال قوم في قوله تعالى:

﴿فَإِطْعَامُ سِتِينَ مَسْكِينًا﴾

(المجادلة: ٤)

نص في وجوب رعاية العدد ومتع الصرف إلى مسكين واحد في ستين يوماً وقطعوا بطلان تأويله، وهو عندنا - يقصد الشافعية ومن قال برأيهم - من جنس ما تقدم، فإنه إن أبطل لقصور الاحتمال، وكون الآية نصاً بالوضع الثاني فهو غير مرضى، فإنه يجوز أن يكون ذكر المساكين لبيان مقدار الواجب، ومعناه: فإطعام طعام يكفي ستين مسكيناً، وليس هذا ممتنعاً في توسع لسان العرب، نعم دليله تجريد النظر إلى سد الخلة، يعني الميهم والمقصود ليس الرقم (٦٠)، وإنما المقصود: إطعام جوعان ستين مرة، أو إطعام ستين مسكيناً - كل واحد مرة واحدة - والشافعي يقول: لا يستبعد أن يقصد الشرع ذلك لإحياء ستين مهجة تبركاً بدعائهم، وتحصناً عن حلول العذاب بهم، ولا يخلو جمع من المسلمين عن ولي من الأولياء يغتتم دعاؤه، ولا دليل على بطلان هذا المقصود، فتصير الآية نصاً بالوضع الأول والثالث، يعني تكون الآية، على هذا دليلاً لا يحتمل التأويل على الوضع الأول والثالث لا بالوضع الثاني.

أحسست بضيق صاحبي وكان الملل بدأ يتسرب إليه من عدم التعرف على

(١) انظر المستصفى: لأبي حامد الغزالي ج ١ ص ٣٤٥ وما بعدها.

(٢) يعني: الغايات والأهداف من هذا الشرح والتوضيح.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج ٧، ص ١٨١، صحيح ابن حبان ج ١/١٨٢، رقم ٤١٤٥، ٤١٤٦.

(٤) يؤيده ما ورد بصحيح ابن حبان ج ١/١٨٧، رقم ٤١٤٢.

(٥) تصنف ابن أبي شيبة ج ٣/١٢١.

(٦) الصبر السابق.

مصطلحات القوم، ومن أسلوب أبي حامد وخصوصيته، فأردت أن أخفف عنه من وطأة الكلمات والمصطلحات، فقلت له: لا عليك - عافاك الله - فإنني كفيلاً أن أخفف من عنائك وأقدم لك الموضوع كله سهلاً ميسوراً محبباً فأقول: إن الأصوليين قسموا مصطلحاتهم اللغوية بثلاثة اعتبارات، ويمكنك أن تقول إنهم نظروا إلى الألفاظ من ثلاث زوايا، الزاوية الأولى: من جهة الوضع اللغوي لمعنى اللفظ ومدلوله، وتنقسم الألفاظ بهذا الاعتبار إلى ١ - خاص ٢ - عام ٣ - مشترك، والخاص هو: ما وضع لمعنى واحد محدد، سواء أكان شخصاً حقيقياً (مثل: محمد وعلي)، أو كان معنى من المعاني مثل علم ورأى، وسواء كانت الوحدة حقيقية كالأمثلة السابقة أم كانت اعتبارية كأن يكون اللفظ موضوعاً لخموص وكثرة محصورة مثل: (قوم ورهط)، واللفظ الخاص أنواع، إما مطلق وإما مقيد، والمطلق هو: ما دل على معناه ولم يقتصر بقيد يقلل أو يحدد من إطلاقه وشيوعه مثل (بقرة) في قوله تعالى لبني إسرائيل:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾

فلو أنهم استجابوا لأمر الله تعالى وذبحوا أى بقرة لأجزأتهم، لكن كما قال سيدنا عبد الله بن عباس - رضى الله عنه - شددوا فشدد الله عليهم؛ حيث قالوا: (ما

لونها) فشدد الله تعالى وذكر قيدا ووصفاً للبقرة، فقيدوها بلون معين، فلا بد من ذبح بقرة صفراء، فلما شددوا ثانية وقالوا (ماهى)، شدد الله عليهم ثانية بقيد آخر فقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْقَرْيَ مَسْلُومَةً لَا سِيَةَ فِيهَا ﴾

(البقرة: ٦٧ - ٧١)
فتعين بذلك بقرة محددة، ومثال اللفظ الخاص المطلق أيضاً أن تقول: (كتاب وطالب)، ثم تقيد (الكتاب) بأنه كتاب شريعة، وتقيد (الطالب) بأنه طالب طب أو طالب هندسة مثلاً، ومثال الخاص المقيد من كتاب الله تعالى قوله في دية القتل خطأ:

﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾

(النساء: ٩٢)
فلا يجوز تحرير رقبة كافرة، وعلى هذا فإن ورد اللفظ مطلقاً بدون قيد فيبقى على إطلاقه وإن ورد مقيداً يبقى بقيد الذي ورد به.

ولك أن تسأل: ما هو العمل إذا ورد اللفظ مرة مطلقاً، ونفس اللفظ ورد في نص آخر مقيداً؟

أقول: تلك حالة يلزم بيانها، لكن لها وقت آخر، واكتفى اليوم بأن أذكر لك

التقسيمين الآخرين للألفاظ إجمالاً، وأترك التفصيل إلى مقال آخر - إن شاء الله تعالى - فأقول: التقسيم الثاني للألفاظ باعتبار وضوح المعنى وخفائه؛ إذ أن ثمة ألفاظ واضحة الدلالة على معناها، وألفاظ أخرى غير واضحة الدلالة على معناها، بمعنى: أن صيغته لا تدل على معناه مجردة، بل تحتاج إلى أمر آخر يوضح المعنى، كما أن درجة الوضوح تختلف وتتفاوت، فبعض الألفاظ أوضح من بعض؛ لذلك قسم الأصوليون الألفاظ باعتبار درجة الوضوح إلى أربع مراتب (٨) الأولى شديدة الوضوح أطلقوا عليها اسم (الظاهر) والثانية أقل منها وضوحاً سموها (نصاً)، والثالثة أقل منها سموها (مفسراً) والرابعة أقلهن وسموها (محكماً)، وقد يتبادر إلى ذهنك سؤال ومفاده: كيف يكون محكماً مع أنه أقل درجات الوضوح؟ أقول لك: مهلاً وإياك والتسرع، لقد اتفقنا في أول الحديث على أن لكل علم مصطلحاته، وأنه تبعاً لذلك (لا مشاحة في الاصطلاح) بعد هذا يمكنني أن أقول لك: يبقى لنا أو معنا تقسيم ثالث - وهو لا يقل أهمية عن سابقه - وهو كيفية دلالة اللفظ على معناه المراد، قال صاحبى في عجلة تنم عن تبرم وحرج متسانلاً: ألم ننته من دلالة اللفظ على معناه واضحاً أم غير واضح، وقسمنا ذلك (ظاهراً، ونصاً، ومفسراً، ومحكماً)؟ قلت: بلى، قال مواصلاً استنكاره، إذا ما معنى هذا التقسيم الثالث وما جدواه؟ قلت: رعائك الله يا صاحبى،

التقسيم السابق باعتبار وضوح المعنى وخفائه، أما هذا التقسيم وهو كيفية دلالة على معناه، بمعنى: هل دلت عبارة النص على معناه؟ أم أن يؤخذ من إشارة النص؟ أم يؤخذ من فحوى اللفظ؟ أم يؤخذ من مقتضى اللفظ؟ (أى: لازم الكلام بمقتضى المعنى المأخوذ من اللفظ، مع أن الكلام لم يرد فيه المعنى الذى حكمنا به).

قال صاحبى وقد ازداد ضيقه وتبرمه: كيف ذلك؟ كيف نستخرج حكماً من نص لم يرد فيه هذا الحكم؟

قلت: سوف أسمح القراء عذراً أن أوضح لك ذلك بمثال، مع أتى وعدت القراء أن الموضوع كله سوف نحيله إلى مقالات لاحقة، لكن حتى ترضى يا صاحبى وتطمئن إلى أن المسألة ليست الغارزاً ولا أحاجى إنما هي علم معقول منقول، أعنى فهماً منقولاً من نصوص ثابتة، تأمل معي قول الله تعالى:

﴿ يَأْتِيهَا الْوُتُونُ، ثُمَّ إِذَا تُدِيبُنَّ فِي الْبُكْرِ مُكْسِرُ فَاسْتَبُوهَا ﴾

(البقرة: ٢٨٢)
هذا هو النص، واستخرج الفقهاء منه حكماً لم يرد في النص، إنما اقتضاه العمل بالنص، وهو أنهم أخذوا من هذا النص أن الكتابة دليل في إثبات الدين، مع أن هذا لم يرد في النص صراحة، وإلى لقاء قادم إن شاء الله تعالى.

(٧) أصول الفقه للشيخ محمد أبى النور زهير، عبد المجيد مطلوب، زكريا البرى.

(٨) راجع: محمد أبى النور زهير، زكريا البرى، عبد المجيد مطلوب.

الدعوة بين الدفاع.. والإنذاف

لأستاذ الدكتور / محمود عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

يقول الحق - سبحانه وتعالى -:

ودي: يقول - سبحانه -:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُرِّيٌّ عَظِيمٌ ﴿٣٧﴾

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ يَنْصَحُ النَّاسَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

[النساء: ١١٤]

تنفى الآية الكريمة أن يكون في أحاديث الناس من خير إلا أن يكون أمراً بصدقة.. تجدد مرافق الأمة، أو بمعروف.. تصلح به النفوس.. أو إصلاح.. يتوحد به الصف.

ويظل ذلك النشاط كله حبراً على ورق حتى يكون حسبة لله - تعالى -.. وعندئذ فجزاؤه أجر بلا حدود ويكفيه نفاسة أن شهد بعظمة العظيم - سبحانه وتعالى -

[فصلت: ٣٣ - ٣٥]

تهديد

على كثرة ما يتجاذب الناس من أطراف الأحاديث.. تظل كلمة الدعوة واسطة العقد وطرق النجاة.. ويظل صاحبها حادى الركب.. والرائد الذى لا يحسب أهله.. بما يقدم للناس من هدى.. وما يمنع عنهم من

وظيفة الداعية

ولا يستحق الداعية هذا الجزاء الأوفى من فراغ.. وإنما هي طبيعة وظيفته التى تفرض عليه أن يكون: صالحاً.. مصلحاً.. ويعنى صلاحه كما بينت الآية الكريمة الأولى:

(أ) أن يكون فى دعوته محكوماً بالهدف الأسمى: ﴿دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾.

(ب) وأن يكون عاملاً وفق الشريعة لا كما شاء له هواه: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾.

(ج) أن يكون انتسابه إلى قافلة الدعوة شرفاً يعتز به.. على ما يقول الألويسى:

﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

أى: تلفظ بذلك ابتهاجاً بأنه منهم.. وتفاخراً به مع قصد الثواب.. إذ هو لا ينافيه).

فإن كان على هذا المستوى - فهو قائد الركب.. بلا منازع.. ولا أحد أحسن منه.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾

من الصلاح إلى الإصلاح

فإذا خطا الداعية خطوته الثانية ليصلح ما أقسد الناس.. فقد وضع صلاحه موضع التنفيذ وليستعد لتحمل تبعات وظيفته:

إنه - منذ الخطوة الأولى يشير عليه أصحاب الهوى.. حين يسقه أحلامهم.. ويحقرون دنياهم التى بها يقتنون.. إنه صادق.. يكشف عن زيف الكاذبين.. أمين.. يتصدى للخائنين.. مصلح اجتماعى.. يقطع الطريق

على المفسدين.. يرى المجتمع كما يقول إقبال:

«الصفوف معوجة منشقة.. والقلوب خاوية حائرة.. والسجدة جامدة.. خامدة لا حرارة فيها ولا شوق؛ فقد انطفأت شعلة القلب وخمدت جمرة الفؤاد.. يسمع الخطب والمواعظ.. لكنهما - خواء النفس - لا تروى ركب الحياة الوسان السكران».

ومن ثم.. يخوض منذ اللحظة الأولى حرباً ساخنة.. وبين جنبيه قلب شاعر حساس من ذلك النوع الذى قال عنه العربى - وقد سئل: لم كانت المراثى أجمل أشعاركم؟ فقال: لأننا نقولها وقلوبنا تحترق.

الداعية فى موقف الدفاع

ومن أجل صعوبة المهمة هكذا.. كان الداعية مستهدفاً بالأذى والسخرية من قبل أصحاب الشهوات - فماذا يفعل؟ عليه أن يأخذ موقف الدفاع.. لا موقف الهجوم، إن الملاح لا يدرب فى الأمواج الهادئة.. وإنما وسط العواصف.. والأمواج المتلاطمة.. وعليه أن يتحمل مسئوليته بنجاح.

وقفه تأمل

فى سورة الحشر يقول - سبحانه وتعالى -:

﴿لَا تَسْتَوِ أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْقَائِمُونَ﴾

(الحشر: ٢٠)

فالآية تنفى استواء المؤمنين والكافرين..

فالمؤمنون وحدهم هم الفائزون.. ولقد جاءت الروا العاطفة وليس معها «لا»..
أما هنا في آية فصلت.. فقد قرنت الواو (بلا) هكذا:

﴿وَلَا تَسْأَلِ الْحَسَنَةَ وَلَا السَّيِّئَةَ﴾

وربما جاز لنا أن نقول:

إن تكرار اللام يشير إلى أنه بالإضافة إلى نفى استواء السيئة والحسنة إلا أن كلا منهما مستويان بعضها فوق بعض:
فالحسنة في ذاتها درجات..
والسيئة في ذاتها درجات..

وإذن فالداعية مأمور في مواجهة العنف من قبل المدعو: ألا يقف عند الوسيلة الحسنة: الأصغر والصغيرة.. أو الكبيرة.. وإنما عليه أن يكون على أعلى مستويات الحسن.. فيواجه المدعو بالأحسن.. بالأكبر دائماً..

وربما فرض عليه - مرحلياً - أن يتغاضى عن السيئة الأصغر - أو الصغيرة.. ثم يواجه الكبيرة.. والأكبر.. بما يليق به من كمال..

بالتى هي بالذات.. أحسن الوسائل أفليس وراءها في الحسن وراء

مسوغات الإحسان

- ١- من دواعي الدفاع بالتى هي أحسن ما يتعلق بطبيعة الوظيفة.
- ٢- وما يتعلق بالمدعو نفسه وما يحيط به من ظروف.
- ٣- أما بالنسبة للداعى.. فهو مرآة أخيه

المؤمن:

وماذا يعنى كونه «مرآة»؟

معناه:

(أ) أنك تعكس عيوب المدعو.. لتكشف أمام عينيه..

(ب) ثم إنك تكشفها في صدق.. وبلا تريد..

(ج) وفي صمت وبلا تحريج.

(د) تقول له بلسان الحال: هذه عيوبك أنت.. أنت الذى اجترحتها.. وأنت سيد مصيرك.

(هـ) ويرأها المدعو بعينه ماثلة بين يديه.. فيصبح لسان الحال أبلغ من لسان المقال.. فيستجيب..

ولو زایل الداعى مكانه منتقما.. فقد استوى الماء والخشب.. وصار الواعظ في حاجة إلى واعظ والطبيب في حاجة إلى طبيب، ونحول الأمر إلى معركة حامية تنتفخ فيها أوداجنا.. وتستدعى لها كل قوانا.. في معركة خاسرة..

وبرحم الله ابن عباس.. فقد قال له رجل: يلقاني الرجل الفاسق.. فيخاطبني بخير أقارده عليه؟

قال: لو خاطبني فرعون بخير لرددت عليه بما هو أحسن منه.

٢- أما فيما يتعلق بالمدعو:

فعلى الداعى ملاحظة أن المدعو لن يقبل على فكرته تلقائياً.. وإنما يستقبلها كما يقرر العلماء - مقارناً لها بمعتقداته، وعاداته

ومصالحه الخاصة.

وقد يقبل الفكرة بقلبه.. ويرفضها بعقله.. وقد يحدث العكس..

فلا بد إذن من حسن العرض.. وحسن الوسيلة للتوجيه.. وإنقاذ المدعو من لحظة التمزق حيال اختيارات جذابة.. لا يملك من فرط جاذبيتها أن يتخذ بشأنها القرار الحاسم.

فيذا تسلحنا بالطريقة المثلى عاد الرشيد المسلوب.. وظهر الجمال المحجوب..

فيذا أضفنا إلى ذلك أن المدعو قد يكون مجموعة من ذوى الجاه والسلطان ممن يقدررون على محاربتك في رزقك ووظيفتك.. تبين لنا كم تكون الحكمة أصلح الوسائل بإطلاق.

من صور الدفع بالتى هي أحسن

عندما شتم رجل أحد العارفين قال له المشتوم:

ان كنت صادقاً.. فغفر الله لى.

وإن كنت كاذباً.. فغفر الله لك.

ولقد هم أبو بكر - رضى الله عنه - أن يرد على رجل شتمه مرة.. ومرة.. وهم أن يأخذ موقف الهجوم فغضب عليه السلام وهم بالقيام من المجلس مسجلاً ما ينبغي أن يكون في مثل هذه الظروف.

فيما أن تقول خيراً فتغنم.. أو تصمت فتسلم.

وعلى الذين يغلبون الحنة أن يكونوا أهلاً لها - بالحلم والتسامح.. ولقد حققت الحنة بالكاره.. فليسع إليها الساعون كادحين.. فقد خلقوا في كبد.

أين المدفوع

ولا تذكر الآية الكريمة ﴿السَّيِّئَةُ﴾ وهى مفعول به قوله - تعالى - : ﴿ادْفَعْ﴾. لكنها فقط تذكر الوسيلة.. وهى العنصر الفعال:

﴿بِالتى هي أحسن﴾

وربما - والله تعالى أعلم بمراحده - كان ذلك إشارة إلى أن الداعية الكفاء.. القادر على تمثيل الحسن في مخاطبة الجاهلين.. لا يكاد يطل من عليائه حتى تذوب السيئة فلا يبقى لها أثر.. ولا سيما والدعوة هنا في بيئة مسلمة يراد لها أن تظل واضعة أقدامها على الصراط المستقيم، أما في البيئة الجاهلة فقد صرح الحق - تعالى -.. بالسيئة.. وذلك في سورة المؤمنون:

﴿ادْفَعْ بِالتى هي أحسن السَّيِّئَةِ حَتَّىٰ تُعْلِمَ بِمَا يُصِفُونَ﴾

[المؤمنون: ٩٦]

والفرق هائل بين أن تكون المواجهة مع مسلم عاص، ولكنه مقر بالوحدانية مثلك وبين كافر عتيد يغفر جبهته للضنم.

لا خصومة حقيقية بينك وبين الأول.. وإذن فلا سيئة.. وإنما حالة «خلل» تحتاج إلى ترتيب.. وغفلة تحتاج إلى تذكير.

ونذكر هنا بعض الكاتبين الذين يتعرضون لوقائع السيرة النبوية فينقلون المواقف من هناك.. ثم يسقطونها على واقعنا الراهن.. بلا تفريق.

لقد كان هناك أبو جهل.. وأبو لهب..

الإمام ابن دقيق العيد

للأستاذ / عادل خفاجة

تعددت مواقفه الباسلة، فراعته وأدهشت، وكان لها أثرها البارز في الإصلاح والتوجيه، لأن ابن دقيق العيد كان له من المهابة والجلال بحيث يستمع الملوك والأمراء إلى منطقته مكرهين أو طائعين، كما أن عزوفه عن المناصب المرموقة قد أضاف إلى عظيمته النفسية ومنزلته الاجتماعية ما أكمله وعظمه، فإن منصب قاضي القضاة مثلاً يعتبر أخطر المناصب الدينية في دولة تحكم بالكتاب والسنة، ومع تهافت الكثيرين على تبوئه المشرف، فقد اعتذر عنه الشيخ أبيه، ولكن الإلحاح المتزايد قد اضطره إلى القبول بعد أن اشترط على ذوى الأمر شروطاً تحفظ للقضاء كلمته النافذة وسطوته الغالبة دون تعويق^(١).

سمع الكثير ورحل في طلب الحديث وخرج وصنف فيه إسناداً ومتناً مصنفات عديدة مفيدة، وانتهت إليه رئاسة العلم في زمانه، وفاق أقرانه، ولى قضاء الديار المصرية في سنة خمس وتسعين وستمائة وكان قوياً قليل الكلام غزير العلوم في

إنه الإمام العالم العلامة الحافظ قاضي القضاة تقي الدين محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد القشيري المصري، ولد يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة خمسة وعشرين وستمائة بمساحل مدينة ينبع من أرض الحجاز،

١-١-٥: محمد رجب البيومي.. علماء في وجه الطغيان.. ابن دقيق العيد فقيه شجاع.

إنها عداوة مستوردة من جهة أجنبية... من عدوكما المشترك: الشيطان.

﴿وَمَا يَزْعُفَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾

[فصلت: ٣٦]

عزيمة الصبر

ولا يمكن أن يصل إلى هذه القمة إلا الذين

صبروا:

﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾

[فصلت: ٣٥]

كل صابر هو الذي يلقاها وكل من يلقاها فهو ذو حظ عظيم.

إذن: كل صابر ذو حظ عظيم أو هكذا يقول المنطق السليم.

الداعية ريان ماهر

فلنكن الحكمة مجدافه... ليستخرج من قاع المحيط للؤلؤ ومرجان... ثم ليصل بالدعوى إلى البر سالماً: يواجه الموقف التآزم بالحكمة الضابطة.

والكرامة التي لا تساور بالدنيا كلها على مشقال ذرة من إيمانه. جاعلاً من الصبر الجميل وقوده بحيث يرى دائماً: صلباً لا ينحني... عزيزاً لا يذل... وقوراً لا يهتز... ثابتاً لا يتغير.

ومهما ادعى المدعون واتهم المتهمون فإن أمره على ما يقول الشاعر:

وهبني قلت: هذا الصبح ليل

أيعمى العالمون عن الضياء

وكعب بن الأشرف... يقفون في تحالف باغ يحاول وأد الدعوة في مهدها... وإذن فمن الظلم أن أقول للشباب عاملوا الخطأين من المسلمين اليوم بما كان يليق بهؤلاء المارقين.

ثمرة الحكمة

ويخرج الداعية من المعركة التي أدارتها الحكمة... بصيد ثمين:

﴿فَإِذَا الَّذِي يَبْنِيكَ وَيَبْنِي عَدَاوَةً كَانَتْ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

الرجل يأخذ مكانه إلى جانبك داعياً إلى الله مثلك... وسيحفظ لك. لماذا...؟

لقد كان في إمكانك أن ترد على غشمه: بالصمت... إعراضاً عنه...

أو بالعين... تأديماً له... لكنك تجاوزت ذلك... وضاعفت الإحسان إليه... ولكن ولائك له لن يكون مائة في المائة... بل:

﴿كَانَتْ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

إنه يوشك أن يكون كذلك... وأمامك الفرصة أن تواصل الإحسان بكسبه... وإلى الأبد.

عداوة مستوردة

ولا تقول الآية الكريمة: «فإذا عدوك...» فليس هو عدواً لك في الواقع... وإنما صنعت الظروف بينك وبينه حاجزاً...

﴿يَبْنِيكَ وَيَبْنِي عَدَاوَةً﴾

ديانة وله شعر رائع.

برع في الفقه المالكي كما برع في الفقه الشافعي مما جعله بعيداً عن التعصب، كما أنه دخل ميدان الاجتهاد بدراسته للمذهبين^(١٦).

ألف الإمام ابن دقيق العيد الكثير من الكتب في أحاديث الأحكام منها:

- إحكام الأحكام: شرح فيه كتاب عمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي.

- الإمام بأحاديث الأحكام: جمع فيه ما يزيد عن ألف وأربعمائة حديث من أحاديث الأحكام.

- الاقتراح في بيان الاصطلاح.

- شرح الاقتراح.

وله مؤلفات عديدة في علوم أخرى، فيها هو قد أسهم في أكثر ضروب المعرفة تأليفاً وتدريساً، وقد فاق أكثر زملائه بأسلوبه الأدبي والاعتماد به بالروح البياني مع تعمقه الفقهى ورسوخه العلمى^(١٧).

ولابن دقيق العيد آراء تدل على سعة أفقه وسديد رأيه، حيث يقول: «متى دار الحكم بين كونه تعبداً أو معقول المعنى كان حمله على كونه معقول المعنى أولى، لندرة التعبد بالنسبة إلى الأحكام المعقولة المعنى» من أجل ذلك أخذت دار الإفتاء المصرية بهذا الرأي فقالت بعد أن قدمت رأيه المتقدم «إن تشريع زكاة الفطر وزكاة الأموال معقولة المعنى، ويجب عند الاشتباه النظر إلى ما هو أنفع للفقير أو أيسر على المكلف، ولا يقال إنه

مثل عدد ركعات الصلوات توفيق محضى ولا دخل للعقل فيه، بل الفارق بينه وبين عدد الركعات فارق عظيم»^(١٨).

أما عن تتبع هفوات الصحابة فيذهب الإمام ابن دقيق العيد إلى وجوب نشر محاسنهم ومناقبهم وصرف أمورهم إلى أجمل الوجوه، فيقول: وما نقل عنهم فيما شجر بينهم واختلفوا فيه، فمنه ما هو باطل كذب، فلا يلتفت إليه، وما كان صحيحاً أولناه تأويلاً حسناً، لأن الثناء عليهم من الله سابق وما ذكر من الكلام اللاحق محتمل التأويل، والمشكوك والموهوم لا يبطل المحقق العلوم،^(١٩).

وقوله الثناء عليهم من الله سابق إشارة إلى قول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾

(الحشر: ١٠)

وفي شرحه لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - حين هلع الناس لكسوف الشمس: «فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا» قال ابن دقيق العيد: «وفي الحديث دليل على استحباب الصدقة عند الخوف لاستدفاع البلاء المخدور»^(٢٠).

ثم هذا كتابه - وقد تبرأ منصب قاضي القضاة - إلى جميع قضاة الأقاليم، يدعو فيه الجميع إلى

التزام تصوص الشرع وعدم الالتفات إلى الوساطات والمحسوبيات، ومع أنه منشور قضائي أهم ما يتميز به سمو الهدف، فقد جاء قطعة فنية تجمع الصياغة المشرقة والاقتباس البارع وتشهد لقن صاحبها بالإبداع والتأثير، قال رحمه الله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا افْرَأْ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَتَصَوَّنُونَ مِنَ اللَّهِ مَا أَمَرَهُمْ وَيَتَّبِعُونَ مَا يُوْمَرُونَ﴾

(التحرير: ٦)

هذه المكاتبة أرسلها إلى كل من وفقه الله لقبول النصيحة، وآتاه لما يقربه قصداً صالحاً ودنياً صحيحة، أصدرنا إليه بعد حمد الله الذي يعلم خائنة الأعين، وما تخفى الصدور ويمهل حتى يلتمس الإمهال بالإهمال على المغرور، تذكراً بأمر ربك فإن يوماً عند ربك كآلف سنة مما تعدون، ويحذره صفقة من باع الآخرة بالدنيا فما أحد سواه بمغبون، عسى الله أن يرشده بهذا التذكير وينفعه، وتأخذ هذه النصائح بحجزة عن النار، فإنني أخاف أن يتردى فيها من ولاه والعباد بالله معه، والمقتضى لإرسالها ما لحناه من الغفلة المستحكمة على القلوب، ومن تقاعد الهمم على ما يجب للرب على المربوب، لاسيما القضاة الذين يحملون عبء الأمانة على كواهل ضعيفة، وظهروا بصور كبار وهي حقيقة، والله إن الأمر لعظيم، وإن الخطب لجسيم، ولا أرى مع ذلك أمناً ولا قراراً ولا راحة، فاتق الله الذي يراك حين تقوم، واقتصر أملك عليه فاعزروهم من أملة غير مرحوم،

وما أنا وأنتم أيها النفر إلا كنما قال حبيب العجمي وقد قال له قائل: ليستألم نخلق، فقال: «إذا وقعت فاحتالوا»^(٢١).

وبرغم إفتائه بضرورة التزام الإمام بتقصير الصلاة عندما يؤم المسلمين، نراه يحث الإمام بضرورة إطالة الصلاة عند صلاته منفرداً وهو ما يبدو واضحاً جلياً في إحدى وصاياه - رحمه الله - لأخ له في الله: أكد عليه برعاية أحوال قلبه ودله على ما يعينه، ويتفلسف الصياغة المشرقة والإبداع البارع يقول: «وهذه والله أحوال تنال بالخشوع والخشوع، وبأن نظاماً وتجموع، وتحمي عينيك الهجوع، ومما يعينك على هذا الأمر الذي قد دعوتك إليه، ويزودك في سفرك للعرض عليه، أن تجعل لك وقتاً تعمره بالذكر والتفكير، وأياماً يجعلها معدة لجلاء قلبك فإنه متى استحكمت صلاته... صعب تلافيه، وأعرض عنه من هو أعلم بما فيه، فاجعل همتك الاستعداد للمعاد، والتأهب لجواب الملك الجواد، فإنه يقول:

﴿قَوْلِكَ لَسْتَ لَهْمٌ أَحْمِيْنُ ۝ عَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(الحجر: ٩٢، ٩٣)

ومهما وجدت من نفسك قصوراً، واستشعرت من نفسك عما بدأ لها نفوراً، ما جار إليه وقف بيباه، فإنه لا يعرض عمن صدق ولا يعزب عنه خفاء الضمائر^(٢٢).

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

(الملك: ١٤)

١٦. بلخ الطيب.
١٧. إخراج زكاة الفطر مالاً: دار الإفتاء المصرية في ١٩/٩/٢٠٠٧ <http://www.dar-alfita.org>
١٨. محمد الوعيلى: الإنسان عدا شجر بين الصناديق: مجلة البيان العدد ٢٧ ص ٢٢.
١٩. فيصل بن علي البعداني: سنابل الخير: مجلة البيان العدد ١٢٦ ص ٨.

٢٠. محمد رجب البيومي: علماء في وجه الطغيان ص ١٧، ١٨.
٢١. سلمان بن عمر السليبي: حتى لا تصيح صلاة التراويح عادة: مجلة البيان العدد ١٦٩ ص ١٨.

سين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد تقي الدين

الأساء ما يحكمون

وتزداد الهجمة على الإسلام والمسلمين شراسة يوماً بعد يوم.. ولن يكون النائب الهولندي المتعصب «جيرد فيلدرز» آخر الطاعنين في الإسلام وفي سيرة نبي الإسلام ﷺ حقداً وحسداً.. فهناك الكثير والكثير من الهيئات التي تحظى بدعم ومباركة من مؤسسات تبشيرية وأجهزة مخابرات وحكومات أعلنت بدون مواربة حرباً صليبية شعواء ضد الإسلام والمسلمين.

﴿وَمَا تَقْصُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِآيَاتِهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

(البروج: ٨)

وسقط في هذه الحرب الوحشية مئات الألوف من القتلى المسلمين في بوروندي، وفي البوسنة، وفي الصومال، وفي السودان، وأخيراً في العراق وأفغانستان لا شيء إلا لأن سكان هذه البلاد النكوبة يدينون بالإسلام.

ألصقوا بالمسلمين تهمة الإرهاب ونشر الإسلام بالسيف والقوة والغلبة والقهر.. وغير ذلك من دعاوى لم يقيم عليها دليل مادي واحد ملموس.

اتهموا نبي الرحمة محمد ﷺ باتهامات وقحة مع أنه كان بالبشرية رؤوفاً رحيماً وكان تبيلاً مع أعدائه إلى مدى لم يعرف التاريخ مثله ولن يعرف.

منذ نحو ألف وأربعمائة عام فتح رسول الله ﷺ مكة وطهرها من الأصنام ومن كل مظاهر الشرك وأصبح بين عشية وضحاها السيد المطاع فيها.. ماذا حدث؟! هل انتقم ممن ناصبوه العداوة وآذوه واضطروه للهجرة من أحب البلاد إلى قلبه، هل انتقم ممن عذبوا أصحابه وقتلوه؟

وقف النبي الكريم وهو في موقف الانتصر وسأل أهل مكة: «ماذا تنظرون أني فاعل بكم؟» فأجابوا والذعر يملؤهم: آخ كريم وابن آخ كريم.

فأجابهم رسول الله ﷺ: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

هل يوجد في عصور ما يوصف اليوم بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان موقف إنساني أنبل من هذا؟!

عبر كل عصور التاريخ اعتاد المنتصر دائماً وأبداً أن ينصب الشائق ويريق الدماء انتقاماً وتشفياً من أعدائه فماذا يقول هؤلاء.. ماذا يعلقون على قوله ﷺ «اذهبوا فأنتم الطلقاء»؟!

ماذا يقولون في حق قوم آذوه أبشع الإيذاء وقتلوا ومثلوا بأحبائه وأقربائه؟!

ماذا يقولون في عقوقه ﷺ عن:

● عكرمة بن أبي جهل، وكان قد خرج إلى اليمن كارهاً لدولة الإسلام وخائفاً على نفسه، فاستأمنت له امرأته بعد أن فر، فأمنه النبي ﷺ وهو ابن أعدى عدو له في الدنيا. وثب إليه رسول الله ﷺ وما عليه رداء، فرحابه، وترحيباً، وأسلم عكرمة، فسر به رسول الله ﷺ سروراً عظيماً، وحسن إسلامه، وكان له مواقف عظيمة في حروب الردة وحروب الشام.

● وعفوه عن وحشي مولى جبير بن مطعم، وقاتل عم الرسول وأسد الله ورسوله حمزة بن عبدالمطلب. وكان رسول الله ﷺ - قد أهدر دمه - فأسلم، وقبل رسول الله ﷺ - إسلامه.

● وعفوه عن هبار بن الأسود، وكان قد عرض لزيتب بنت الرسول ﷺ - حين هاجرت، فتنحس بها حتى سقطت على صخرة، وأسقطت جنبتيها، ففر، ثم أسلم، وحسن إسلامه.

● واستؤمن لسارة وإحدى القينتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه، فأمنهما فأسلمتا.

● ولما اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ - على الإسلام، فجلس لهم، على الصفا وأخذ على الناس السمع والطاعة لله، ولرسوله، فيما استطاعوا.

ولما فرغ من بيعة الرجال، بايع النساء، وفيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان منتقبة متكررة لما كان من صنيعها بحمزة.

قال رسول الله ﷺ - لهن: يايعنني على ألا تشركن بالله شيئاً، فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذ من الرجال.

«ولا تسرقن»، فقالت: والله إنني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهبة بعد الهبة، وما كنت أدرى أكان ذلك حلالاً أم لا؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما تقول - أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل، فقال رسول الله ﷺ - «وانك ليهند بنت عتبة؟»، قالت نعم، فاعف عما سلف، عفا الله عنك.

ثم قال: «ولا تزني» فقالت: يا رسول الله! وهل تزني الحرة؟ ثم قال: «ولا تقتلن أولادكن»، قالت: وبينهم صغاراً، وقتلتهم كباراً، فأنت وهم أعلم.

فبالله عليكم هل يمكن أن يحدث حوار مثل هذا بين نبي الله محمد ﷺ وبين هند بنت عتبة وهي التي حرضت وحشي بن حرب على قتل أحب الناس إليه ألا وهو عمه حمزة بن عبدالمطلب الملقب بـ «أسد الله» وهل يمكن مقارنة هذا الخلم، وهذا العفو الذي بلغ مدى غير عادي.. هل يمكن مقارنة بما يرتكب الآن من مجازر دموية يروح ضحيتها مئات الألوف من البشر في العراق وأفغانستان، ومن قبل ذلك في البوسنة وبوروندي ضمن حرب إبادة عالمية تنزعها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها ضد الإسلام والمسلمين وبعد هذا كله يلصقون تهمة الإرهاب زوراً وبهتاناً بالإسلام والمسلمين!!

﴿الأساء ما يحكمون﴾

أحمد تقي الدين

أمنية

ومن الأستاذ / صالح البيطار - جريدة الجمهورية - كانت تلك الرسالة التي كتبها عن قسيس أمريكي اعتنق الإسلام في هذا الزمن.. زمن الحرب على الإسلام.



يوسف استس

بدأ جوزيف بالتعرف على جاره الجديد والتودد إليه وملاحظة سلوكياته.. وهنا كان التحول في حياة القسيس الأمريكي.

الرجل أعاد مسيرة التجار المسلمين الذين انتشر الإسلام بفضلهم في أرجاء القارة الإفريقية.

يوسف استس دهش من سلوكيات الرجل.. كانت فكرته مختلفة تماماً عن الإسلام.. كان يرى الإسلام ديناً يدعو إلى الهمجية، ويرى المسلمين حقة من الإرهابيين والقتلة.

وجد رجل الدين المسيحي سلوك صديقه المسلم مخالفاً تماماً لما رسخه الإعلام الغربي عامة والأمريكي خاصة من أن الإسلام دين يعتنقه حقة من القتل والإرهابيين.

الدكتور محمد عبدالرحمن أستاذ العلوم السياسية والمصري الجنسية دفع بسلوكياته التي كانت بعيدة كل البعد عن العنف والفحش، القسيس يوسف استس إلى تعميق حوار مع الدكتور محمد عبدالرحمن ولكن ليس بهدف تنصيره هذه المرة، ولكن بهدف معرفة هذا الدين الذي أوجد سلوكيات حميدة لم يكن يتصور أن يتمتع بها مسلم على الإطلاق.

الدكتور محمد عبدالرحمن كان صادقاً في كلامه وفي أفعاله لم يكذب، لم يعاقب الخمر، معرضاً عن مجالسة النساء إلا لضرورة تقتضيها الظروف، لا

جوزيف إدوارد استس مواطن أمريكي منتمى لأسرة بروتستانتية، حصل على ماجستير في القانون سنة ١٩٧٤ ثم درجة الدكتوراة في اللاهوت، وأصبح قسيساً.

الرجل أصبح فجأة حديث القضايا العالمية.. لماذا؟

الإجابة: لأن الرجل في زمن الحرب على الإسلام وهو من هو اعتنق الإسلام هو وزوجته ووالده ووالدته وقرر أن يعمل في مجال الدعوة للإسلام.

ولكن كيف حدث هذا؟؟

كانت البداية ساكن مغترب مصري الجنسية اتخذ له سكناً على مقربة من منزل عائلة «جوزيف إدوارد استس» رجل الدين المسيحي الأمريكي المهتم بتعميق الشعور الديني لدى المواطنين المحيطين به، وزيارتهم من آن لآخر ودعوة غير المسيحيين وتحديد المسلمين للدخول في الدين المسيحي حيث الحرية والمساواة، والبعد عن التعصب.. هكذا كان يعتقد.. وشايت إرادة الله أن يشغل مواطن مصري يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية للإقامة على مقربة منه.. وكان جوزيف استس حريصاً كل الحرص على التعرف على جيرانه المحيطين به والارتباط معهم بنوع من العلاقة يسمح له بتعميق شعورهم الديني إذا كانوا مسيحيين أو دعوتهم لإعتناق المسيحية البروتستانتية إن لم يكونوا كذلك.

الجار الجديد كان مصرياً كما قلت، واسمه الدكتور محمد عبدالرحمن ويعمل أستاذاً للعلوم السياسية في إحدى الجامعات الأمريكية.

والاجتماعي، والشرعية الإسلامية، والرجل يسمع ويقرأ في إعجاب وانبهار.

وكانت النهاية المحتومة عام ١٩٩١ عندما قرر الرجل إشهار إسلامه، وقام أسرته في هذا الشأن وأخذ يحدثهم عن الإسلام وعن صديقه وفي النهاية اعتنق الرجل الإسلام هو وزوجته ووالده ووالدته، وصار داعية يدعو إلى الإسلام!!

تري ماذا يمكن أن يحدث للعالم من حولنا لو صرنا مسلمين قولاً وفعلًا نفرض إسلامنا على العالم بسلوكنا للستند من تعاليم ديننا!! إنها أمنية.. فهل يمكن أن تتحقق.

أزمة الضمير ولحوم الحمير

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الدكتور / محمد أحمد إبراهيم حسن - مدير عام كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بالقاهرة:

للحوم العادية ذلك الطعم والمذاق، وعزاً الشخص ذلك إلى ارتفاع الجلو كوما في لحوم الحمير السكر!!، كما أكد أن نفعها في مادة الفورمالين يجعل طعمها أحلى من الأوز، وأضاف سيادته بأنه يسعى لمقابلة فضيلة المفتي لإقناعه بتحليلها.

أما وإننا مسلمون وشريعتنا الغراء من لدن حكيم عليم، وقد أوضحت لنا ما حرم علينا وما أحل لنا، والحديث صريح في تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية، وقد امتثل الصحابة - رضوان الله عليهم لأمر النبي ﷺ فأكفأوا القدور وهي تغلي بلحوم الحمر الأهلية حينما نادى المنادى بأن الرسول قد حرمها.

فما لنا نسعى إلى تحليل ما حرمه الله بدعوى رخص الشمن وحسن المذاق والتكيفة، فليس من الغريب أن يطالعنا آخرون في المستقبل بأن لحم

يلعب اليسر حريص على أداء عباداته في يسر ومكينة وهدوء كان وجهه يشع نوراً يجذب إليه النفوس، سلوكياته راقية بشكل يختلف تماماً عما يروج له الإعلام الأمريكي. أمضى جوزيف وقتاً طويلاً يلاحظ صديقه الدكتور محمد عبدالرحمن قبل أن يطلب منه صراحة أن يكلمه عن الإسلام ذلك الدين الذي أثار الذعر في العالم كله بسبب جماعات لم تعرف جوهره النقي، ويوما وراء يوم تتغير صورة الإسلام في نفس القسيس جوزيف استس، وبدأ الدكتور محمد عبدالرحمن يمد به بكتب أكاديمية متخصصة في تاريخ الإسلام السياسي والاقتصادي

تأ لا شك فيه أن انعدام الضمير وضعف الإيمان يجعلان المرء مطية لهواه تارة وللشيطان أخرى، فيصدر عنه أفعال تضره وتضر الآخرين ممن حوله، وقد صدق الشاعر إقبال في قوله:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان

ولا دنيا لمن لم يحيى ديناً فقد فجعتنا الصحف في الأيام السابقة بواقعة ذبح الحمير وبيعها لحالات إعداد الأطباق الشهية من الكفتة والكباب وتبين لنا من التحقيقات الصحفية اعترافات بعض الجزائريين بمحافظات مختلفة بقيامهم بذلك دون مواربة، وعللوا إقدامهم على هذا بأن أسعارها رخيصة بالمقارنة بأسعار اللحوم المتصاعدة والتي توهق (الضحايا) من ذوى الدخول المحدودة، كما أكد بعض الشخصيات على صفحات الجرائد بأن لحومها لها مذاق خاص حيث يكون طعمها (مسكراً) وليس

الكلاب أطعم من الضأن ولحم القروذ الذي في عمل النيفة وكياب الحلة وله مزايا صحية تعيد الشباب والحيوية وتقي من الأمراض العصرية، فيتكالب عليها ذوو المآرب الدنيوية طالبو المتع العصرية ويسدلون في ذلك المال الذي يذهب إلى حسابات أصحاب الضمائر الخربة الذين لا يراعون في مؤمن إلا ولا ذمة، فيروجون له الوهم في صورة الحيوية، والمرض في صورة الصحة، ومن زمن غير بعيد قد طرح عديمو الضمائر في السوق المصرية معليات من لحوم معدة خصيصا لإطعام الكلاب المدللة ولحوم للطيور الجارحة، لكنها كانت من نصيب البطون الخاوية التي أكلتها دون علم، وكم طرحت في أسواقنا مواد غذائية قاسدة أودت بحياة الكثيرين ومن نجى عاش مصابا بأمراض العصر.

وما زال مسلسل أزمة الضمير مستمرا، فهناك مجموعة من أصحاب الضمائر الضعيفة لا تألوا جهدا في التبرع السريع حتى لو كان على حساب صحة الإنسان، فبعض أصحاب مزارع التسمين يضيفون هرمونات النمو إلى علف الحيوانات والدواجن والأسماك، حيث تعمل تلك الهرمونات على التكوين السريع للعظام واكتناز اللحم وتخزين الماء في الحيوانات والدواجن والأسماك المعالجة بالهرمونات فيزيد وزنها، الأمر الذي يحقق لهم أرباحا طائلة، دون مراعاة لما تحدثه تلك الهرمونات للضحية وهو المستهلك.

وسواء كانت تلك الهرمونات طبيعية أو صناعية فإن لها أثارها الضارة على صحة الإنسان، إذ أثبتت بعض الدراسات أن تناول لحوم الحيوانات والدواجن والأسماك التي تتغذى على الهرمونات تؤدي إلى زيادة معدلات الإصابة بسرطان الثدي والرحم عند النساء، وسرطان البروستاتا عند الرجال، أما أثارها على

الأطفال فحدث ولا حرج ولعل إعلانات التليفزيون لحملات التبرع لمستشفى سرطان الأطفال أوضح دليل على ذلك، هذا وقد أثبتت بعض الدراسات أن تلك الهرمونات تؤدي إلى تأخر نمو الأعضاء التناسلية لدى الذكور من الأطفال الأمر الذي أدى إلى ارتفاع نسبة العقم عند شبابنا هذه الأيام.

وقد أوضحت بعض الدراسات أن التكاليف الاجتماعية لوقوع حالة وفاة لشخص واحد في مصر تقدر بحوالي ٧٠ ألف جنيه مصري.

كما بينت أن نفاد طن من الأغذية القاسدة أو الملوثة إلى السوق يعني احتمال تعرض ٥٠٠ فرد لخطر المرض أو الوفاة المبكرة.. وإذا كان ١٠٪ فقط منهم يحتتم وفاتهم، فإن التكلفة الاجتماعية تصبح ٧٠٠٠٠ جنيه ٥٠ × فرد = ٣,٥ مليون جنيه يوميا، أي حوالي ١٢٧٧,٥ مليون جنيه كتكاليف اجتماعية لحالات الوفاة المبكرة سنويا، وذلك بالإضافة إلى تكاليف علاج المصابين، وخسارة أيام انقطاعهم عن العمل، وكذلك الشعور العام بعدم الرضا، وأثره على الإنتاجية لباقي أفراد المجتمع والأثر غير المباشر على السياحة وثقة السوق العالمية وكفاءة نظم الرقابة المصرية.

ولكن هل هذه مشكلة الدولة؟ لا بل هي أزمة ضمير، فالحلول كثيرة، منها التنشئة الدينية التي تخلق إنسانا يقظ الضمير يخشى الله في كل أفعاله، والتنوعية البيئية للأفراد التي تجعلهم يحافظون على بيئتهم بما يعود عليهم وعلى الأجيال القادمة بالنفع العميم.

فالدولة تفعل ما بوسعها من خلال الأجهزة الرقابية المختلفة، وليس على الدولة أن تضع رقبا على كل ضمير خرب، فهل إلى صحوة الضمير من سبيل؟

إياك إياك من اللسان

تحت هذا العنوان جاءت رسالة القارئ/ محمد عباس محمد عرابي - قال:

٥ - احذر كل الحذر من السخرية بطريقة كلام الآخرين كمن يتلثم في كلامه أو عنده شيء من عيوب النطق قال تعالى:

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾

﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

ق/ ١٧، ١٨

وحتى نكون أخى فى مآمن من لسانك عليك بما يلى:-

١ - احذر الثثرة وكثرة الكلام، وليكن كلامك مختصرا واقيا بالغرض الذى من أجله تحدث:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

النساء ١١٤

٢ - لا تحدث بكل ما سمعت، فإن فى هذا مجالات للوقوع فى الكذب، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع» رواه مسلم.

٣ - إياك والتعاطف والتفخر فى الكلام فهى صفة بغیضة إلى رسول الله ﷺ، حيث يقول: «وإن من أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» رواه الترمذى.

٤ - إياك ومقاطعة الناس أحاديثهم أو ردها عليهم أو إظهار الاستخفاف بها.

ولكن حسن الاستماع أدبا لك والرد بالتى هى أحسن شعارا لشخصك.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾

الحجرات/ ١١

قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب أمرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» رواه مسلم

٦ - اجتهد على وزن الكلمة فى نفسك قبل أن يقدفها لسانك، واحرص أن تكون الكلمة صالحة طيبة فى سبيل الخير بعيدة عن الشر، وما يوصل إلى سخط الله فللكلمة مسئولية عظيمة فكم من كلمة أدخلت صاحبها الجنة، وكم من كلمة هوت بصاحبها فى قعر جهنم فعن أبى هريرة «رضى الله عنه» عن النبى ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوى فى جهنم» رواه البخارى.

وفى حديث معاذ «رضى الله عنه» عندما سأل النبى ﷺ: «وإننا لمؤاخذون بما نتكلم به؟» قال ﷺ: «نكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» رواه الترمذى



إعداد الأستاذين / محمد جمعة - أحمد رضوان

أمريكا تسحب فيلما يسيء للبابا

سحبت هيئة أنفاق واشنطن فيلما إعلانياً قصيراً يدعو لتخفيف حدة الازدحام المروري تظهر فيه دمية ترتدي زي البابا بنديكت السادس عشر بابا الفاتيكان تقوم بحركات اعتبرت بها الكنيسة أمراً مسيئاً لكونه شخصية مقدسة.

مشروع لدعم تعليم اللغة العربية في أسبانيا

عقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» ومؤسسة غرناطة للنشر والخدمات التربوية بالتنسيق مع المركز الثقافي الإسلامي في مدينة بلنسية الإسبانية دورة تدريبية لتحديث طرق تعليم العربية لأبناء المسلمين في الغرب لدعم مشروع تعليم اللغة العربية بأسبانيا.

واستهدفت الدورة تعزيز معارف المدرسين التخصصية اللغوية وتطوير مهاراتهم ذات الصلة بإعداد الدروس والمواد التعليمية.. واستثمار التدريبات والتمارين والتطبيقات المرسخة للمهارات اللسانية الأربع وهي: القراءة والكتابة والاستماع والحادثة، والتقريب بين الطرق والمنهجيات والأساليب المعتمدة في تدريس مواد اللغة العربية في مختلف المدارس العربية الإسلامية في أسبانيا.

تأسيس تجمع ضد (الإسلاموفوبيا) في أسبانيا

قامت مجموعة من أبناء الجاليات الإسلامية في منطقة «كاتالونيا» الإسبانية بتأسيس تجمع يهدف إلى مواجهة ظاهرة «الإسلاموفوبيا» والعنصرية وكراهية الأجانب.

يشمل التجمع اثنتا عشرة جمعية وأوضحت ملوى العزبي - منسقة التجمع - أن الظروف غير الإيجابية التي بدأت تعيشها فئة المهاجرين خاصة الفئة المسلمة هي التي كانت وراء تأسيس التجمع.. وقالت: «إن أوضاع الجالية المسلمة المهاجرة ازدادت تازماً بعد ارتفاع ممارسات العنصرية والكراهية ضد المسلمين من المهاجرين خاصة في كاتالونيا التي تقطنها نسبة كبيرة منهم».

ترحيب إسلامي بمقترح لتعديل قوانين الدفن بالعاصمة الألمانية.. وفق قواعد الشريعة

رحب المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا بإعلان الحكومة المحلية لولاية العاصمة برلين اعتزامها تعديل قانون الدفن ليسهل على الأقلية المسلمة إتمام إجراءات دفن موتاهم وفق قواعد الشريعة الإسلامية.

وذكرت وزارة الصحة وحماية البيئة في الحكومة المحلية أنها ستراجع قانون الدفن الصادر عام ٢٠٠٤ لتمكين مسلمي الولاية من دفن موتاهم في نفس يوم الوفاة بالكفن فقط ودون تابوت خشبي.. وقالت الوزارة إن التعديل استجابة لمناشدة أعضاء برلمان الولاية يجعل إجراءات الدفن أكثر مرونة لتلبية رغبة الأقلية المسلمة مساواة بالطوائف الدينية المختلفة والسماح لها بدفن موتاهم حسب التعاليم الإسلامية.

إسلام ٢ هولنديين.. ونفاذ المصاحف

شهدت المكتبات في أمستردام إقبالاً كبيراً من الهولنديين على شراء المصاحف الإلكترونية المترجمة.. الأمر الذي أدى إلى نفاذها من الأسواق.. كما أشهر ثلاثة هولنديين إسلامهم بعدما شاهدوا الفيلم.. فهذه ردود أفعال تختلف عما كان يتمناه منتج الفيلم.

استطلاع يؤكد دراية غالبية الهولنديين بأحكام الشريعة الإسلامية

أكد استطلاع هولندي أن أغلب الشعب الهولندي تعرف على الكثير في الوقت الحالي عن الإسلام مقارنة بالسنوات الماضية، فنسبة ٩٨٪ يعرفون الآن أن القرآن هو الكتاب المقدس للمسلمين، وأنه لا يمكن تغيير ما ورد فيه من آيات أو أحكام على مر العصور.. كما أوضح الاستطلاع أن ٧٧٪ من الهولنديين - المستطلعة آراؤهم - يعرفون من هو الرسول محمد ﷺ، كما أن ٥٠٪ يعرفون بعض أحكام الشريعة، مثل غطاء الرأس، وتحريم الشذوذ وغيرها من المحرمات في الدين الإسلامي.

وأكد الاستطلاع أن أكثر من نصف الهولنديين يرحبون بإجراء الحوار مع المسلمين والتعرف على ثقافتهم وأحكام الدين الإسلامي بصورة أكثر اقترباً وذلك من منطلق التعايش الاجتماعي السلمي في مجتمع متعدد الثقافات ورغبة في عدم المساس بالمقدسات الدينية.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للاستاذ / عبد الموجود أمين موسى

الإسلام يأمر أتباعه بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة

ورد إلى مجمع البحوث الإسلامية سؤال من مؤسسة التنمية والتعليم بتايلاند بشأن الاستفسار عن ضوابط قتل أتباع الديانات الأخرى، والخروج عن الدولة، وقتل رجال الشرطة والجيش، وموظفي الدولة، وحرق المدارس والمنشآت العامة، وفقه المطالبة بالحقوق، ومن له الحق في إعلان الجهاد.

وقد أجاب مجلس مجمع البحوث الإسلامية بما يلي:

• أولاً: يتميز الإسلام بأنه لا يكره أحداً على الدخول فيه، ويأمر أتباعه بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وهو يحترم التعامل بالحنى مع غير المسلمين، بل إنه يطلب من أتباعه البر بهم وإزالة الظلم عنهم ولو كان الظلم من مسلم، بشرط أن يكون غير المسلمين محافظين على هذا الاحترام المتبادل، لا يقاتلونهم في دينهم، ولا يخرجونهم من أرضهم، فذلك قوله تعالى:

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

(المتحة ٨)

فالمسلم لا يبدأ بالعدوان، ولكن عليه أن يرد ما يقع عليه من ظلم، بحيث إذا اندفع الظلم بالأسهل لا يلجأ إلى الأصعب، وقد عقد فقهاؤنا باباً لرد الصائل الذي يهجم على المسلم ليؤذيه أو يقتله، فبيتوا أن المشرع له أن يفعل ما يعيقه عن تنفيذ جريمته إما بنزع سلاحه، أو بضربه في أماكن غير قاتلة، فإن لم يندفع إلا بالقتل كان له حق الدفاع عن نفسه.

• ثانياً: قتل رجال الشرطة والجيش مجلبة لإثارة القلاقل والفوضى مما يؤدي إلى استفزاز السلطة - وهي الأقوى - فتتذرع بذلك للإبادة الجماعية للمسلمين، فيجب

جامعتان هولنديتان تخصصان مصلى للطلاب المسلمين

بادرت جامعتان بهولندا إلى تخصيص مصلين للطلبة المسلمين داخل حرميهما، في خطوة تؤكد فيها الأكاديميتان رفضهما الإساءة للإسلام وللديانات الأخرى، بعد أن قام مواطنهم النائب المتطرف جيرت فيلدرز بعرض فيلمه «فتنة» المسىء للإسلام على الإنترنت في ٢٧ من مارس الماضي.

وأعرب مسئولو جامعة «خرونجن» خلال لقائهم وفداً من وزارة التعليم العالي السعودي زار الجامعتين عن أسفهم لعرض «فتنة» وأكدوا أنهم خصصوا المصلى للتميز بخصوصية في الطابق الأعلى من مبنى الجامعة، وتم إسناد عمليات نظافته لعامل مسلم.

دعوى قضائية بالأردن للاحقة المؤسسات الدنماركية المسيئة للرسول

رفعت ٣٠ مؤسسة إعلامية أردنية دعوى قضائية للاحقة وسائل إعلامية دنماركية نشرت في منتصف فبراير الماضي رسوماً كاريكاتورية مسيئة للرسول.

وقال: زكريا الشيخ رئيس الحملة التي تجرى تحت شعار «رسول الله يوحنا» إن الدعوة القضائية تم رفعها في محكمة جنات عمان، وتم قبولها حسب القانون والدستور الأردني.

وأشار إلى أنه سيتم رفع دعوى أخرى للاحقة النائب الهولندي المتطرف «جيرت فيلدرز» الذي بث في مارس الماضي فيلم «الفتنة» المناهض للإسلام.

عمدة مسلم بلدينة إيطالية

تم انتخاب المسلم «ارثورو شيربولى» ٥٣ عاماً، عمدة لبلدية مونتى ارجنتريد... وقد حلف اليمين على القرآن.

تعرض مقابر المسلمين في فرنسا لانتهاكات عنصرية

تعرضت مقابر المسلمين في مقبرة «نوتردام دولوريت» العسكرية شمال فرنسا إلى عملية تدنيس بعد عام من تدنيس ٥٢ مقبرة في نفس الموقع بكتابة عبارات نازية عليها.

أكد المسئول عن المقبرة «دافيد باردو» أن ما يقرب من ١٠٠ من رجال الشرطة حضروا إلى المقبرة واصفاً ما حدث بأنه أمر غير مقبول وغير معقول.

واستكر الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي تدنيس ١٣٦ مدفاً في القسم المسلم في المقبرة واصفاً هذا العمل بأنه عنصري لا يمكن قبوله، وأعرب عن مساندته لكل الطائفة المسلمة في فرنسا.

وأشار قصر الإليزيه إلى أن ساركوزي يتطلع لمعرفة نتائج التحقيق القضائي في الواقعة من أجل معاقبة مرتكبي هذا العمل.

ضبط النفس ولو وقع ظلم من الدولة التي يمثلونها، والمؤمن كيس فطن، لا يلقى بنفسه ولا بإخوانه - وهم أقلية - في التهلكة.. وقد لقي النبي صلى الله عليه وسلم من العنت والاضطهاد في مكة ما يفوق تحمل البشر، ومع ذلك لم يمارس قتل أحد:

﴿وَالْعَقِيبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

الأعراف: ١٢٨ القصص: ٨٣

﴿إِنَّهُمْ مَن بَتَّ وَبَصُرَاتُكَ اللَّهُ لَا يَصِفُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

يوسف: ٩٠

● ثالثاً: حرق المدارس ومنتشآت الدولة ليس له مبرر، حيث إن فيه إفساداً في الأرض وتضييعاً للمال، وقد نهى الإسلام عن كل ذلك، وارتكاب مثل هذه الأعمال يسئ إلى سمعة المسلمين، ويؤكد لدى العامة ما يروج له الأعداء من أن المسلمين إرهابيون.

● رابعاً: فقه المطالبة بالحقوق من الدولة يتطلب فطنة وحكمة لطرق التفاهم واستخدام أساليب اللين والوعد بالهدوء والأمن والتعاون لمصلحة الوطن، والاتصال المباشر مع من بيده القرار، فقد يتدخل بين المسلمين والدولة من لا يحرص على الهدوء والاستقرار، ولتكن المطالبة بالحقوق المتاحة - ولو بالتدريج - مع المحافظة على الوفاء بما يتعهد به الجانب الإسلامي.

● خامساً: أما من له حق إعلان الجهاد فهم أولو الأمر من جمهور العلماء والأمراء والقادة في دول مسلمة مستقلة يقدرון الظروف والإمكانات، كما يدركون الدواعي الإسلامية لضرورة هذا الجهاد.

أما في دولة محتلة فإن الأمر يتوقف على الموازنة بين المصالح والمقاسد، ورأي جمهور علماء المسلمين في ذلك البلد. والله الموفق للخير والهادي إليه،،،

دورات تدريبية لعلماء الوعظ

صرح فضيلة الشيخ عبد الحميد الأطرش الأمين العام المساعد للدعوة والوعظ بأن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي قد استجاب لجميع مطالب علماء الوعظ بروح الأب الرحيم والقائد الحكيم كما وافق فضيلته على أن يباع كتاب التفسير، والفقه الميسر، لعلماء الوعظ بسعر التكلفة.

وقد كان الاجتماع مثمراً للغاية حيث فتح فضيلة الإمام قلبه لأبنائه علماء الوعظ، وعلماء الوعظ يتقدمون بخالص شكرهم وتقديرهم ودعائهم لهذا الأب الرحيم

والقائد الحكيم، سائلين المولى في علاه أن يطيل في عمره ويمن عليه بالصحة.

وأضاف فضيلة الأمين العام المساعد للدعوة والوعظ بأنه تم عقد دورات تدريبية تشييقية لقدامى علماء الوعظ بالإسكندرية في نزل الشباب بسموحة، ويحاضر في هذه الدورة نخبة من كبار أساتذة جامعة الأزهر في موضوعات الموارث والأحوال الشخصية والقضايا المعاصرة.. والتدريب على الأعمال الإدارية التي يحتاجها الراعظ، ومدة الدورة خمسة عشر يوماً على نفقة الأزهر.

كما يتم عقد دورة أخرى في مدينة البعوث الإسلامية على أعمال الفتوى نظرياً وعملياً.

تطوير مكتبة الأزهر

صرح فضيلة الشيخ / مهدي شلتوت رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر بأنه قد تم إنشاء قاعة حديثة مجهزة بأحدث المعدات السمعية الخاصة بالكفوفين وذلك لتسهيل اطلاع ذوي الاحتياجات الخاصة ومساعدتهم في الحصول على أفضل خدمات في مجال الاطلاع والبحث العلمي.

كما تم ضم قاعة جديدة للاطلاع للقاعة السابقة لتساعد الباحثين والمهتمين بالبحث العلمي لتكون القاعة إضافة جديدة حقيقية للمكتبة. وبذلك يكون للمكتبة قاعتان إحداهما خاصة للعلوم العربية كالتحقيق والصرف والبلاغة وغيرها من العلوم الشرعية والفقهية. والقاعة الأخرى مختصة بمختلف العلوم والفنون. كما تحتوي القاعتان على نفائس وأمهات الكتب.

كما يتم حالياً العمل على تجهيز قاعة ثالثة للبحث المنفرد وتحتوي على كباين خاصة لكل باحث تعزله عن الآخرين طوال فترة تواجده بالمكتبة، وسوف تحتوي كل واحدة منها على مكتب خاص وأرفف لحفظ الملفات والأغراض الخاصة بالباحث وجهاز كمبيوتر.

طلاب من كندا يدرسون بالأزهر الشريف

في الإحصاء السنوي للطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف، أكد فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين بجمع البحوث الإسلامية أن عدد الطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف بدولة كندا للعام الدراسي ٢٠٠٧/٢٠٠٨ وصل عددهم إلى ٢٠٤ طلاب وذلك على النحو التالي:

- في المرحلة الابتدائية ٩١ تلميذاً و ٨٥ تلميذة وفي الدراسات الخاصة تلميذة

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عبد النبي قراج

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

تهنئة

أرسل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي «شيخ الأزهر الشريف» برقية تهنئة للسيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية بمناسبة ذكرى عيد تحرير سيناء هذا نصها:

فخامة الرئيس /
محمد حسني مبارك
رئيس الجمهورية
حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

فبمناسبة ذكرى عيد تحرير سيناء يطيب لي أن أتقدم لفخامتكم باسم الأزهر الشريف علمائه وطلابه والعاملين فيه بخالص التهنئة القلبية بهذه المناسبة العظيمة، كما أدعو الله - سبحانه وتعالى - أن ينعم على مصرنا الحبيبة بمزيد من الانتصارات والأمن والأمان تحت ظل قيادتكم الحكيمة، وأن يمتعكم بالصحة والعافية إنه سميع مجيب.

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

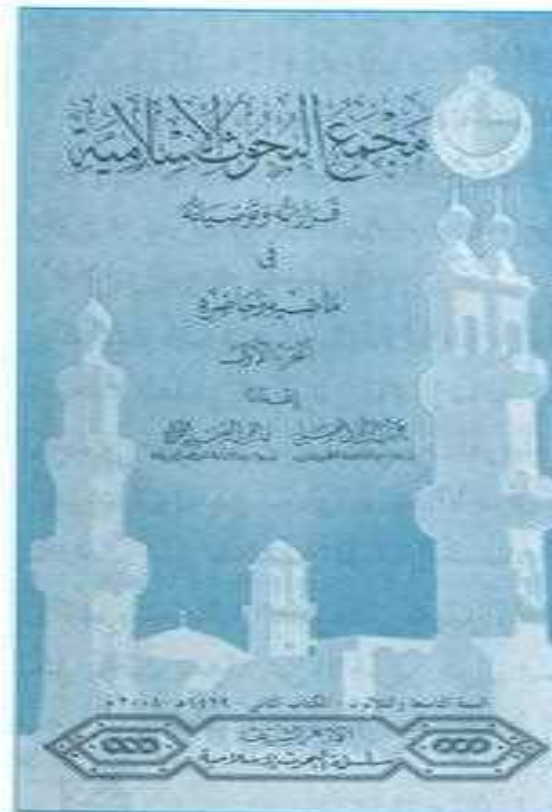
شيخ الأزهر الشريف
أ.د. / محمد سيد طنطاوي

واحدة، وفي المرحلة الإعدادية ١٥ تلميذاً وأربع تلميذات، وفي المرحلة الثانوية طالiban و طالبان، وفي الجامعة طالiban وطالبة، والدراسات العليا طالiban، وبذلك يصل عددهم الإجمالي إلى ٢٠٤ طلاب.

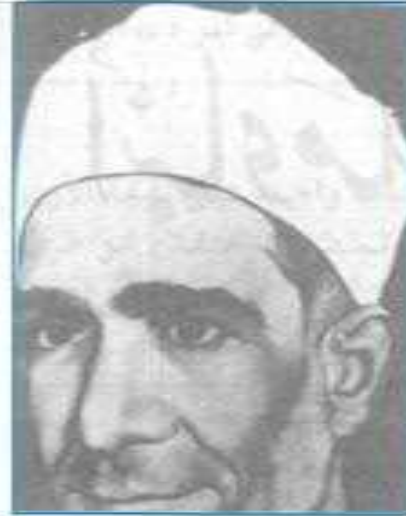
كما صرح فضيلته بأن الأزهر الشريف قد خصص منحة واحدة على نفقة الأزهر مازالت لم تشغل، ومازالت المدة المسموح بها حتى آخر أغسطس، والتقديم عن طريق السفارة المصرية بدولة كندا.

قرارات مجمع البحوث الإسلامية

صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب «مجمع البحوث الإسلامية قراراته وتوصياته في ماضيه وحاضره» وقد صرح فضيلة الشيخ عبدالرحمن العسيلي مدير عام إدارة المطبوعات بأن الكتاب يقع في جزئين، ويتضمن الجزء الأول منه نبذة مختصرة عن نشأة مجلس مجمع البحوث الإسلامية والإدارات التي يشملها الهيكل الإداري لمجمع البحوث الإسلامية، واختصاص كل إدارة، ثم قرارات وتوصيات مجمع البحوث الإسلامية منذ عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م وحتى نهاية شعبان ١٤١٩هـ / نوفمبر ١٩٩٨م، والجزء الثاني يتضمن القرارات والتوصيات التي أصدرها حتى نهاية دورة مجلس المجمع في جمادى الأولى ١٤٢٨هـ / يونيو ٢٠٠٧م، ومجمع البحوث الإسلامية بصدد إصدار كتاب يتضمن قرارات وتوصيات مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية التي عقدها في تلك الفترة خلال الشهر القادم بإذن الله تعالى.



الأزهر يحتفل بالشيخ محمود شلتوت



محمود شلتوت

وفاء وتكريما لعلماء الأزهر أقام الأزهر الشريف يوم الخميس الموافق ٢٤ / ٤ / ٢٠٠٨ م احتفالية كبرى بالإمام الأكبر الشيخ / محمود شلتوت - شيخ الأزهر الأسبق بقاعة الإمام محمد عبيد بجامعة الأزهر الشريف تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر حيث ألقى علماء الأزهر وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية كلمات تناولت الجوانب المختلفة في حياة الإمام محمود شلتوت، كما ألقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي كلمة تحدث فيها عن الإمام محمود شلتوت مفسرا للقرآن الكريم.

وألقى الدكتور / أحمد عمر هاشم - بحثا عن الإمام / محمود شلتوت وجهوده العلمية في التقريب بين المذاهب، كما قدم الأستاذ الدكتور / محمد عمارة بحثا حمل عنوان: «تجديد الدنيا بتجديد الدين»، وجاء بحث الأستاذ الدكتور أحمدى أبو النور - وزير الأوقاف الأسبق بعنوان: «محمود شلتوت ومكانته الفقهية» وتحدث الأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان عن الإمام / محمود شلتوت وقضية التجديد، وتحدث الأستاذ الدكتور عبد الله النجار عن الإمام محمود شلتوت ودوره في الفقه المقارن والتقريب بين المذاهب، وقدم الأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندى بحثا بعنوان الإمام / محمود شلتوت - مجتهد الفتوى، وأخيرا تناول الأستاذ الدكتور / مجاهد الجندى جهود الإمام / محمود شلتوت في تطوير الأزهر ومنهجه في الإصلاح والتجديد.

حضر الحفل فضيلة الأستاذ الدكتور / على جمعة - مفتى الجمهورية، وفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الطيب - رئيس جامعة الأزهر، وفضيلة الشيخ / على عبد الباقي - الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

الدورة التدريبية لأنمة ووعاظ العالم الإسلامي

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٨ بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر الشريف حفل تكريم أنمة ووعاظ العالم الإسلامي المشاركين في الدورة التدريبية العالمية لأنمة ووعاظ رقم ٧٩.

وضمنت ٢٣ إماما وواعظا من الجزائر - السودان - غينيا - كوناكري - بنجلاديش - بورما - ساحل العاج.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة أوضح فيها أن هذه اللقاءات والدورات ذات فائدة عظيمة تجمعنا على طاعة الله، تتدارس فيها العلم وتتناول ويستمع بعضها إلى بعض، تتناقش في أمور الدين والدنيا، وتتناول في العقائد والمعاملات، فرسالتنا كدعاة هي الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

وفي نهاية كلمته دعا فضيلة الإمام الأكبر للخريجين بدوام السداد والتوفيق في عملهم. ووزع على أعضاء الدورة المكتبة الإسلامية التي تحتوى على أمهات الكتب ووزع عليهم كذلك شهادات التقدير.

حضر الحفل فضيلة وكيل الأزهر وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ولغيبف من علماء الأزهر والسادة سفراء الدول المشاركون أبنائها في الدورة.

كما افتتح فضيلة الإمام الأكبر أعمال الدورة التدريبية رقم ٨٠، لأنمة ووعاظ الوافدين من العالم الإسلامي اعتباراً من ١ / ٥ / ٢٠٠٨ م لعدد ١٨١ إماما وواعظا من دول الجزائر - السودان - سيريلانكا - المالديف - بورما.

الإمام الأكبر يجتمع برؤساء ومديري المناطق الأزهرية

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر عقد يوم الثلاثاء الموافق ٢٩ / ٤ / ٢٠٠٨ اجتماعا موسعا بالسادة اصحاب الفضيلة رؤساء ومديري عموم المناطق الأزهرية لمناقشة الترتيبات المتعلقة بأعمال الامتحانات ووضع وتحديد مراكز توزيع الأسئلة والتصحيح ومقار اللجان ومسئولى المناطق للوفاء بمتطلبات تلك المراكز ومواجهة الأعباء المنوطة بها ووضع الضمانات التي تهيئ لأعمال الملاحظة والتصحيح والمراجعة ثوابتها الأساسية ومقوماتها اللازمة، ومناقشة الإجراءات التي يتم من خلالها تأمين مقار اللجان ومراكز توزيع الأسئلة ومراكز التصحيح على النحو الذى يحول دون العبث أو الإضرار بها، ومناقشة ما يجب على المناطق من الالتزام به حيال إتاحة الفرصة لدعم كثرولات النقل بعناصر بشرية جديدة تشارك في أعمالها وتكتسب خبرات ينتفع بها في المستقبل والتأكيد على عدم الاستعانة بالإداريين للعمل بمراكز توزيع أسئلة النقل والشهادات.

{There is no compulsion in religion; right-mindedness has already been evidently (distinct) from misguidance}

[Al-Baqarah (The Cow): 256]

Islam lets the freedom of Da'wah among the people on earth to reach them by the extreme goodness by which it came without limiting it to certain people.

Call to the Whole Humanity

Islam directs its Da'wah to the whole humanity disregarding any distinction on the basis of color, race, creed or language. Difference of language aims at recognition not denial. "Piety is the only distinction between Arab and non-Arab.

{ Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious, surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant }

[Al-Hojurat (The Apartments): 13]

Thus, I emphasize that Islam is not owned by the Arabs or Muslims only. However, it is Allah's call for the whole humanity

Say, "O you mankind, surely I am the Messenger of Allah to you altogether, to Whom belongs the Kingdom of heavens and the earth. There is no god except He. He gives life and causes to die. So believe in Allah and His Messenger, the Prophet the illiterate one who believes in Allah and His Speeches, and follow him closely that possibly you would be guided."

[Al-A'raf (The Battlements): 185]

As the call for Islam is a legitimate duty and a human necessity that is imposed on the reasonable people on earth, the Muslims are more appropriate for this duty because they tasted the sweetness of obedience to Allah and happiness of the wise divine rule. Islam caused a state of psychological balance and spiritual harmony that let Imam Ibn Tamimah say, "We are happy because of Islam, the happiness which, if known by the kings and their sons, will cause them to fight us by swords."

If the oppression found its defenders, Islam-which is the right religion- should be defended and advocated by the people till they die for its sake. When Allah finds the people strive in advocating Islam being full of belief and straightforwardness, He will make their enemies fear them. However, if they persist in walking in the same route, Allah's promise will come true.

{And in case you turn away, He will (readily) exchange you for another people, thereafter they will not be your likes.}

[Mohammad (Mohamad): 38]

قرار جمهوري بمد خدمة فضيلة الشيخ عبد الفتاح علام



عبد الفتاح علام

أصدر السيد رئيس الجمهورية القرار رقم « ١١٨ » لسنة ٢٠٠٨ بمد خدمة فضيلة الشيخ / عبد الفتاح على محمد علام - وكيلا للأزهر الشريف لمدة سنة اعتبارا من ٢٠٠٨/٥/١٧ وذلك بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر. وأسرة تحرير مجلة الأزهر تهنئ فضيلته وتتمنى له دوام التوفيق.

مسلمو نيجيريا يطلبون دعمهم بعلماء من الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ظهر يوم الإثنين الموافق ٢١ / ٤ / ٢٠٠٨ وفداً تعليمياً من دولة نيجيريا برئاسة الشيخ / يعقوب عباس نائب محافظ ولاية زيجاجاوا بنيجيريا.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد في الأزهر الشريف مؤكداً على عمق العلاقة بين الأزهر الشريف ونيجيريا، وأن الأزهر لا يدخر وسعاً في مساعدة أبناء المسلمين في شتى بقاع الأرض، وبين فضيلته بأن لنيجيريا عدداً كبيراً من الطلبة يدرسون بالأزهر الشريف بمراحل التعليم المختلفة، كما أن لدى الأزهر بعثة أزهريّة كبيرة بنيجيريا تقوم على نشر الثقافة الإسلامية والعلوم العربية والشرعية بين أبناء نيجيريا.

ومن جانبه أعرب رئيس الوفد عن سعادته البالغة للتشرف بمقابلة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وأنه جاء إلى الأزهر الشريف، هذا الصرح الشامخ بعلمه وعلمائه والذي يمتد نور علمه إلى شتى بقاع الأرض للاستعانة بعلماء الأزهر الشريف، كلما طلب المزيد من الدعم الفنى بالكتب والمدرسين لتوضيح صورة الإسلام السمحة.

هذا وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بدراسة ما طلبه السيد رئيس الوفد تمهيداً لتبليته، حضر اللقاء فضيلة الشيخ زكريا اسماعيل - رئيس قطاع المعاهد الأزهريّة.

Islam and the Future of Humanity

Br: Dr. Hamdi Fattouh Wali...!

No one can deny the suffering that the misery from which the whole humanity suffers along with the destruction and conflicts among its peoples. Unfortunately, the destruction does not only afflict the senior criminals, but it included the whole humanity keeping it is constant struggle and continuous misery. Allah is truthful in His saying:

{And protect yourselves against a temptation which will definitely not afflict in particular the ones who did injustice among you; and that Allah is strict in punishment.}

[Al-Anfal (The Spoils): 25]

Nowadays, as the humanity gets tired of the misery surrounding it, it has nothing to do except searching for a means of rescue. However, it seems that humanity will not gain this means soon because of its misfortune and the spoilage of its leaders, who insist on carrying it to bad destiny by getting far from Allah. It is a divine penalty for everyone who does not believe in the Day of Judgment, as Allah said:

{I will soon turn about from My signs (the ones) who wax proud in the earth untruthfully; and in case they see every sign, they do not believe in it; and in case they see the way of right-mindedness, they will not take it to themselves for a way, and in case they see the way of misguidance, they will take it to themselves for a way. That is for that they cried lies our signs and were heedless of them.

[Al-A'raf (The Battlements): 146]

As the earth is our ship, we should all cooperate to save it from the frivolous people who play with its future.

The Value of The Human Being

The whole creation-including animate and inanimate beings- is created by Allah. No one but Allah manages the whole world. The human being is an honored creature to whom everything is subjected. There is no materialistic value that surmounts the human being.

Thus, all the criminal excuses of the America and the west of Europe are meaningless. They attack the Muslims out of greediness because of the treasures contained in the Muslims' lands as well as their creed and values. Allah created the whole creatures to be introduced to each other not to struggle, calling them to an eternal divine call, which is to remember their sole origin from one father and one mother as well as their sole aim, which is to get introduced to each other and to render to only one standard that is piety.

{O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious, surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant}

[Al-Hojurat: (The Apartments): 13]

These are the main confirmed facts out of which the Muslim springs in the Islamic concept. Did America realize this divine fact to treat all of the peoples of the world being based on the above mentioned confirmed facts letting the earth live in happiness?

Piety and Good Work

All the people are derived from one origin, thus, they are equal and the only distinction among them is piety and good work not any other value such as money, lineage, level or race. Islam governed the earth by these sublime confirmed facts for many centuries presenting to the whole humanity the most luxurious civilizations and the best justice ever known.

Days went on and the world is governed by unbelieving people who do not depend on the divine solution for the problems of the earth. They solely render to the principle of pleasure, benefit, exploitation of power source such as energy and military equipment.

The Crime of the Global System

Islam should reveal itself against this abominable crime practiced by the new global system, as this system does not contain the least reasons for granting happiness to the humanity. This system does not feel any happiness after being dispatched from the Ever-Granting of happiness and blessings.

{And whoever veers away from My Remembrance, then surely he will have a cramped subsistence and We will muster him blind on the Day of the Resurrection. He will say, "Lord! Why have you mustered me blind, and I was already constantly beholding?"}

[Taha (Taha): 124-125]

Islam calls the whole humanity for goodness, blessing, guidance and mercy, without limiting these graces to a certain people in the way Judaism does. Allah's order is eternally repeated to order the responsible people by the same order directed to Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) saying:

{Say, "O population of the Book, come to a level word between us and you, that we worship none except Allah, and that we do not associate anything with Him, and that some of us do not take to themselves others as lords, apart from Allah." So, in case they turn away, then say, "Bear witness that we are Muslims."

[Al-Imran (The Household of Imran): 64]

Also, Allah does not force the people to be believe in Islam

Moreover, Islam imposed on every Muslim not to insult and other religion whether divine or not.

{And do not abuse the ones whom they invoke apart from Allah, (or) then they would abuse Allah aggressively without knowledge}

[Al-An'am (The Cattle): 108]

It becomes obvious that Islam is the religion of honor, abstinence and perfection at the time when the newspapers, news agencies and Satellite channels carry continuous provoking from the European countries against the Muslims including offending caricature as well as movies, plays, shows and websites that are specialized in attacking Islam, carrying doubts and distortion attempts concerning the Noble Qur'an and the Sunnah. Furthermore, they attacked the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) to provoke and prompt the Muslims to violent reactions accusing them afterwards of barbarity, terrorism and destruction.

It becomes obvious to the observers that the conflict taking place in Europe between the Muslims and the provoking racials turned to be a confrontation between the later and the wise governmental responsible people who have vivid conscience and civilized cultures as well as the international organizations and human rights groups. They become assured that the provoking incidents taking place in some of the European countries against the Muslims are not related in any way to the freedom of expression. However, they come out of envious degrading people who lack the requirements of the honorable human civilization.

The caricature that offends the honorable Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was republished in the Danish newspapers and seventeen European newspapers. The Danish royal library kept and authorized this offending caricature as it represents a part of the Danish history, advocating firmly the aims of the degrading owners of the offending caricature.

Recently, the provoking incidents follow each other such as playing a film offending Islam and the Noble Qur'an in the United States of America. Moreover, a German arts museum, specialized for abusing the critics of Zionism in Berlin, the capital of Germany, showed a

picture for the Kaaba, on which they wrote "a stupid stone" regarding it as a proof of extremism.

Matters worsened extremely towards much more provoking, as the Israeli Minister at the Vatican, Udid Ibn Hor, in his speech in the American University in Rome, on the last 20th March, 2008 said that the Muslim immigrants in Italy threaten peace and democracy in Europe. Moreover, he criticized the Italians due to their supposed leniency towards the Muslims. He added that the people here should create unbearable hell for the Muslims in Italy. This meaning is emphasized by a Danish rightist organization whose slogan is "Stopping islamisation of Europe", as it announced a competition of new caricature offending Islam and the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

The Danish Prime Minister, Andros Graros, said, "Our aim is to force the Muslims to leave Europe and to return to their countries." On Monday 31st 2008, "Dir Shbigel", the German magazine, published an essay linking between Islam and violence that stirred the Muslims' anger. The Minister of Information of Egypt, Mr. Anas Al-Fiqy, issued a ministerial resolution banning its circulation in Egypt.

The leader of the rightist liberty party of Netherlands that opposes Islam played a film called "The Sedition" which lasts for seventeen minutes including views offending Islam. It concludes with the message that is directed to the film viewers: the increase of the Islam in Europe, as it presented charts showing the increase of the number of Muslim in Europe especially in Netherlands. The Prime Minister of Netherlands, Ban Peter Bal, had a positive situation towards this offending film, which completely contradicts with the Danish Prime Minister, Andih Veg Rasmon, during the crisis of the Danish caricature.

Furthermore, he added that the reaction of the leader of rightist liberty party implies instigation to violence, racism and risk for the social integrity. The offending film is condemned worldly especially by the United Nation Secretary General, Ban Key Mon, who described it as offending Islam and instigates towards hostility and violence. He added that there is no room for freedom of expression in provoking the feeling of the Muslims.

you become Muslims, you will live in peace" and sometimes the content was, "Allah will double your reward. If you do not inform your people, you will endure your sin and your people's sin."

Allah says in this regard,

{And whoever inequitably seeks for himself as a religion other than Islam, then it will never be accepted from him, and in the Hereafter (he) will be among the losers}

[Al-Imran (The Household of Imran): 85]

Allah, Glorified be He, says in the same Surah,

Surely the religion in the Providence of Allah is Islam. And in no way did the ones to whom the Book was brought differ (among themselves) except even after the knowledge came to them, being inequitable among themselves. And whoever disbelieves in the signs of Allah, then surely Allah is swift at the reckoning.}

[Al-Imran (The Household of Imran): 19]

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) represented the previous Divine Messages as a beautiful house, which is well-constructed, till it became an architectural masterpiece that appeals to everyone. The viewer notices that there is a missing brick which is completed by Islam.

This means that the previous Divine religions were dedicated to specific people and were such phases paving the way for a final aim, which is setting up a religion that unites the whole humanity to live as a family under its banner. Thus, humanity backs to its very beginning, when there was no family but the Adam's family with Hawaa and the sons they begot.

Allah knows that the progressive technology and scientific improvement occurring in our age, the age of globalization and internet, will turn the whole world to a village. Thus, there should be only one religion instead of the various religions that cause dispersion, separation and lack of communication. Hence, Islam, that global religion, should unite the whole humanity, which is represented by the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) as a whole building missing one brick and is completed by Islam to reach perfection.

Islam imposed on the Muslims to believe in the unity of the religions so as that it became necessary that every Muslim should complete his creed by confessing Allah's other religions which were sent by His Messengers starting from Adam till Jesus Christ (may Allah's peace be upon them).

Allah says in the Noble Qur'an,

{And who believe in what has been sent down to you, and what has been sent down (even) before you, and they constantly have certitude in the Hereafter.}

[Al-Baqarah (The Cow): 4]

Also, Allah says

{Say (O Muslims), "We have believed in Allah, and whatever has been sent down to us, and whatever was sent down to Ibrahim, and Ismail, and Ishaq and Yuqub and the Grandsons, and whatever was brought down to Musa and Isa, and whatever was brought, and whatever was brought to the Prophets from their Lord. We make no distinction between any of them, and to Him we are Muslims.}

[Al-Baqarah (The Cow): 136]

Allah, Glorified be He, says,

{The Messenger has believed in what has been sent down to him from his Lord, and the believers (believe). Everyone (of them) has believed in Allah, and His Angels and His books and His Messengers. We make no distinction between any of His Messengers.}

[Al-Baqarah (The Cow): 285]

Allah says,

{Say, "We have believed in Allah, and in whatever has been sent down on us, and whatever was sent down on Ibrahim and Ismail and Ishaq and Yaqub, and the Grandsons, and whatever was brought down to Musa and Isa, and whatever was brought to the Prophets from their Lord. We make no distinction between any of them, and to Him we are Muslims.}

[Al-Imran (The Household of Imran): 84]



﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

They offend Islam, while Islam does not offend any one.....!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

No one can deny in this age that Islam is a Divine religion. Allah decided that it is the last Divine religion, which descended fourteen centuries ago. When Allah's Messenger died, no revelation descended to the earth, as Mohammad is the last Messenger. Allah says in the Noble Quran:

[In no way is Mohammad the father of any of your men, but (he is) the Messenger of Allah and the Seal of the Prophets]

[Al-Ahzab (The Allied Parties): 40]

No prophet appeared to refute this fact, although some people claimed falsely their prophecy such as Mosailamah, the liar, and his wife Sagah, Ahmad Al-Qadiany and others who became nameless.

The Noble Quran, which descended upon the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), revealed that Islam is not restricted to the Arabs only, and the Prophet is not confined to them exclusively. However, he is the Prophet of the whole earth with all of its sides (the east, the west, the north, and the south). Allah says addressing the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him):

[And in no way We sent you except as a constant bearer of good tidings and a constant warner to the whole of mankind]

[Saba (Sheba): 28]

Thus, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) managed to send messages by his companions to the kings and princes of all countries in his age calling them and their peoples to believe in Islam discarding their current beliefs. Also, they informed that if they did not notify their peoples, they will be sinful. The content of the message was, "If

الفهرس

● من سقنات النقد (الافتاحية)

- للاستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي ————— ٦٤٠
- تفسير سورة آل عمران
- لقضية الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطوي ————— ٦٤٨
- السنة: القرآن الكريم رابط بين الأرض والسماء
- لقضية الشيخ / إبراهيم عطا الغيومي ————— ٦٥٤
- من مبادئ الدعوة
- لقضية الشيخ / عمر الديب ————— ٦٦٠
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن والسنة (١)
- لقضية الشيخ / فوزي الزرقاف ————— ٦٦٤
- رسوم ساخرة!! أم إسقاطات ساخرة!!
- للاستاذ / محمد مصطفى البسوي ————— ٦٧٠
- نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
- للاستاذ / عاطف مصطفى ————— ٦٧٦
- الرد على الفيلم اليهودي للسيناء للقرآن الكريم
- للاستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ————— ٦٨٢
- الصلة في ميزان الإسلام (٢)
- لقضية الشيخ / على عبد الباقي شحاتة ————— ٦٨٤
- خطبة الجمعة: أولو الألباب في القرآن الكريم
- للشيخ / محمد الغزالي ————— ٦٨٨
- دور الرسالات السماوية
- للشيخ / صديق بكر عيطة ————— ٦٩٤
- الثقة القوية أولى خطوات النجاح
- للدكتور / حمدي قنوح والي ————— ٧٠٠
- قصة العبد: امتحان
- للدكتورة / سهير القلماوي ————— ٧٠٤
- قصيدة العبد: الطين
- للشاعر المهجري / إيليا أبي ماضي ————— ٧٠٧
- منهج الإسلام في مكافحة الغلاء
- للمستشار / حسن حسن منصور ————— ٧١٠
- الفناء والموسيقى: خلال أم حرام

● الخطوط العلمية الشارحة في التراث الإسلامي (٢)

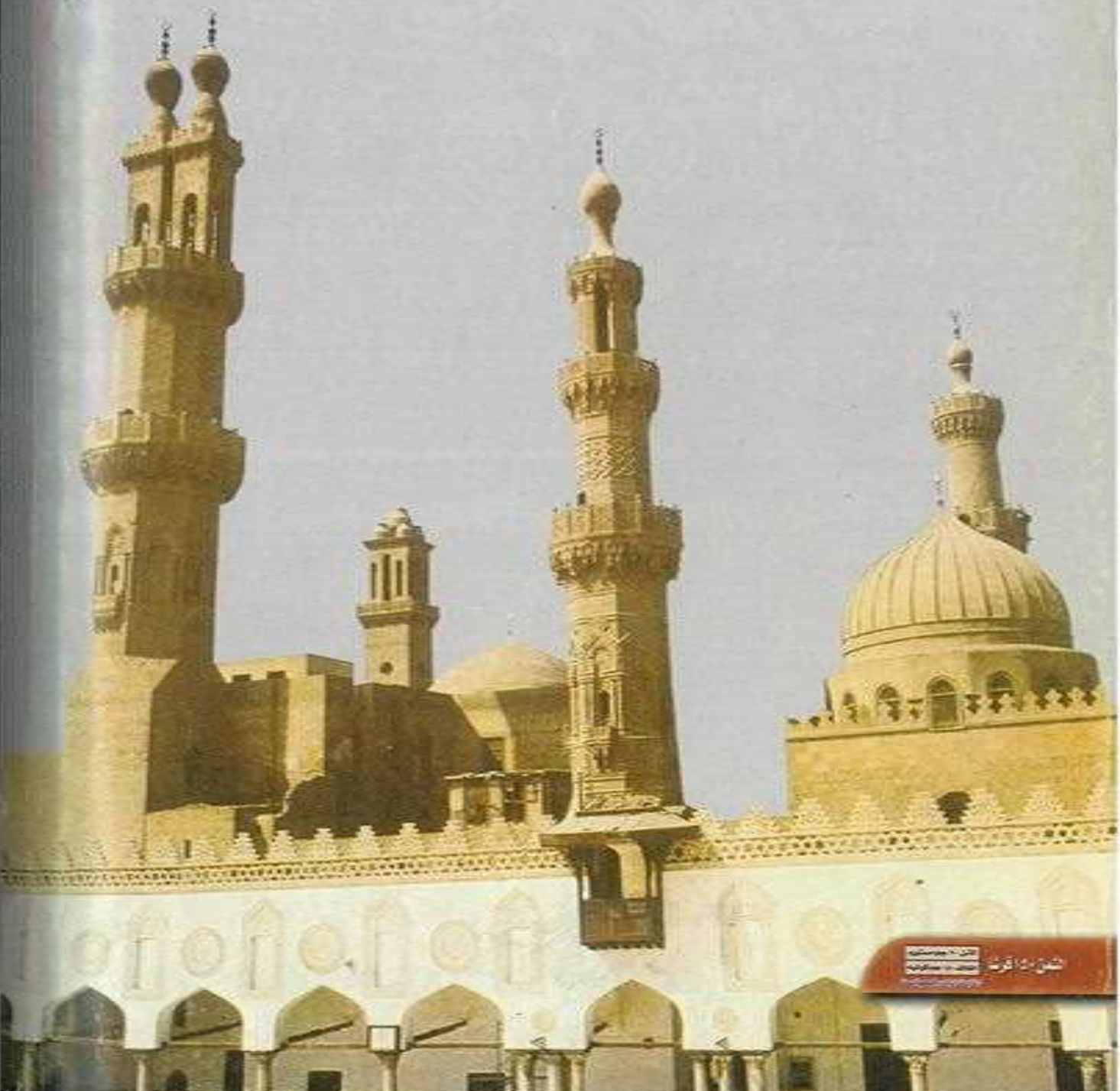
- للاستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا ————— ٧٢٢
- قراءة في كتاب: أخلاقيات العلم
- للاستاذ الدكتور / محمد فتحي قرع ————— ٧٢٦
- همس الأحجار في غرة (قصيدة)
- للشاعر / السيد الصديق حافظ ————— ٧٣١
- كتاب الشهر: أوهاش الشرق الأوسط
- عرض وتحليل: أ. / إبراهيم عوضين ————— ٧٣٢
- السوق الخليجية المشتركة
- للاستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد ————— ٧٣٨
- مشكلات التعليم في أفريقيا وواجب المسلمين
- للاستاذ الدكتور / عبدالله نجيب محمد ————— ٧٤٤
- بين الضعف والجلال
- إعداد: أحمد محمود الفلحي - أ. علاء عبد الرحمن ————— ٧٥٠
- طرائف ومواقف
- للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ————— ٧٥٦
- دلالات الأنطاكيين جد الأصوليين وعبث الهالكين
- للشيخ / الطاهر الحامدي ————— ٧٥٩
- الدعوة بين الدفاع والاندفاع
- للاستاذ الدكتور / محمود عمارة ————— ٧٦٤
- الموضوع
- للاستاذ / عادل رفاعي خخاجة ————— ٧٦٩
- بين الجلة والقارى
- للاستاذ / أحمد السيد تقي الدين ————— ٧٧٢
- أنباء العالم الإسلامي
- للاستاذين / محمد جمعة - أحمد رضوان ————— ٧٧٨
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية
- إعداد الأستاذ / عبد الموجود أمين موسى ————— ٧٨١
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
- لقضية الشيخ / عبد النبي قراج ————— ٧٨٥
- القسم الانجليزي
- إشراف وإعداد: أ. إبراهيم الأصيل ————— ٧٩٧

AL AZHAR

MAGAZINE

Jumadul-SULA, 1429 H. MAY, 2008.

Vol. 81, Part V.



الأزهر

مجلة إسلامية شهرية تصدر في جميع المراكز الإسلامية
بمصر القاهرة ١٩٩٩ هـ - يونيو ٢٠٠٠ م - الجزء ٢٠ - السنة ٨١

هدية العدد
الإمام الأكبر الشيخ
محمود شلتوت
تجديد الدنيا بالدين

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ
قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

احتفالية الأزهر الشريف



بالإمام الأكبر الشيخ

محمود شلتوت

١١
٢٤٤٤٥
٢٤٤٤٥

١١
٢٠٠٠
٢٠٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب النيوحي



مدير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

عادل رفاعى خفاجة

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٣٦٣٨٥٩٩

جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ - يونيو ٢٠٠٨ م - الجزء السادس - السنة (٨١)



الكتاب المدرسي عبء ثقيل

وهل يستحق الكتاب المدرسي الذي يقرؤه الطفل في المدرسة الابتدائية والتلميذ في المدرسة الإعدادية والمدرسة الثانوية أن يكون موضع نقد افتتاحية مجلة الأزهر؟

سيقول الذين يزاولون التأليف المدرسي إن التأليف في هذا المجال خطير إذ لابد فوق الإلمام بالمادة العلمية من مراعاة الناحية العقلية، والناحية النفسية، والمناخ الاجتماعي والوسط الروحي، وكل ذلك يتطلب من الجهد الدائب، والنظر المتواصل ما لا يتطلبه الكتاب العام الذي يكتب لغير التلاميذ!

وحق ما يقولون فما لنا أن نجادل فيه، ولكن الذي نسأل عنه ملحن، هل روعيت هذه النواحي العقلية والنفسية والجسمية عند التأليف، أو أن هذه مقررات تذكر سردا في مقدمات الكتب، ويتباهى بها من يسجلونها في اعتداد، ثم لا تجد التنفيذ؟

إن من المشاهد المؤلمة حقا أن تجد في الصباح مئات التلاميذ الصغار يحملون الحقائق فوق ظهورهم - وهذا ما لم نألفه من قبل - وقد كُتبت الكتب الدراسة حتى ضاق بها جهد التلميذ، فأخذ يروح إعياء، ومن الطريف الذي يذكر في هذا المجال على سبيل التندر أن شاشة التليفزيون في مفتتح الدراسة بالعام الماضي، أخذت تعرض حقائق المدرسة في إعلاناتها المتكررة، وتقول: إن بها مكانا لطعام الغذاء ومكانا مأمونا لزجاجة الماء، ليجد التلميذ غذاء الجسم والعقل معا! ثم تتم النادرة المضحكة حين يكون ثمن الحقيبة مائتي جنيه فقط! وكان مصاريف المدرسة وأجور الدروس الخصوصية ليست كافية لصراخ أولياء الأمور؛ فوجب أن تضاف إليها حقيبة الكتب الثمينة، والتلاميذ يقلد بعضهم بعضا، وكم

يتنفس الوالد المسكين حين يقول له ابنه الصغير: أريد حقيبة كبيرة ممتازة كحقيبة فلان؛ فيترحم الوالد على أيام تلمذته حين كانت الحقيبة بعشرة قروش، وبخمسة أيضا.

لقد حدثتني حفيدتي التلميذة بإحدى المدارس الإعدادية، أن أما مسكينة تجيء كل يوم مع ابنتها المريضة لتحمل عنها حقيبة الكتب؛ لأنها مريضة بالقلب، ولا تستطيع أن تصعد إلى الدور الثالث بما تحمل من أثقال، فتعين على الأم أن ترافقها، ثم عند الانتهاء بعد الظهر تنتظر التلميذة دقائق حتى تنهض والدتها إلى إغائها راجعة كما أتجدها ذاهبة؟ فتصعد السلم ثانية ولا أدري لماذا يفرض المدرسون على التلاميذ حمل جميع الكتب كل يوم! أما كان في تحديد الجدول المدرسي ما يخفف من أعباء هذا العبث! ولكنها فوضى اللامبالاة! لو كنت مكان مدير المدرسة، وشاهدت هذه الأم الحائرة لأمرت المدرسين بتحديد المادة كل يوم، وأخذت من يلزم التلميذ بإحضار جميع الكتب والكراسات! بل حتمت أن يكون فصلها في الدور الأول.

والذين يكررون في كل مناسبة أنهم يراعون أدق قواعد التربية في التأليف فيقدرون الطاقة الذهنية للتلميذ، يجابهون التلميذ والمدرسين بما يقع موقع الضد مما يقولون، ولعل اختيار جماعة من المؤلفين والمراجعين تبلغ الخمسة والستة والسبعة أحيانا ذو أثر في تضخيم الكتاب؛ لأن كل واحد سيكتب، ولابد أن تكون مساحة تأليفه لا تقل عن مساحة زميله، فيأتي التضخم المترهل من هذه الناحية! فأين أصول التأليف التربوي؟ وأين مراعاة الطاقات الذهنية والنفسية للطلاب؟ ولا أترك القول دون تمثيل، فقد وقع في يدي - عرضا - كتاب «الوطن العربي والعالم الخارجي» وكان مقررا على السنة الثانية الثانوية، فوجدته يشمل مائتين وأربعين وستين صفحة من القطع الكبير، وقد اشتمل على ثلاثة عشر فصلا في بابين؛ إذ يتحدث عن عرض للخريطة السياسية للوطن العربي، وملامح البيئة به، ونمو السكان، وتوزيعهم الجغرافي، وخصائص الزراعة في الوطن العربي والانتاج الزراعي والانتاج الحيواني والانتاج المعدني ومصادر الطاقة، وخصائص الصناعة في الوطن العربي، وهذا كله في الباب الأول، أما الباب الثاني فيتحدث عن الوطن العربي والعالم الخارجي فيفيض في منازل الدول ومراتبها، ويخص الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وغرب أوروبا، واليابان والبرازيل ونيجييريا وأستراليا والصين والهند بمعارف كثيرة، ويقع في مائة وسبع وخمسين من الصفحات المكتظة المحتشدة! وقد تقع التبعة فيما تقع على المنهج الدراسي الذي قام بوضعه أساتذة التربية والجغرافيا الأصلاء، وهو منهج لا يقوم باستيعابه طالب الدراسات العليا، بله طالب الكلية الجامعية، فكيف صَبَّ هذا العذاب صبا على طالب لديه أكثر من ثلاث عشرة مادة! ومن المضحك بعد هذا كله أنك تسأل هذا الطالب المجهود بعد نجاحه المتفوق في الثانوية وحصوله على أكثر من تسعين في المائة من الدرجات عن عاصمة محافظة من محافظات الجمهورية، فلا يجيب بغير الشاذ الأليم، فأين ذهبت

معارفه عن البرازيل ونيجيريا والصين واليابان؟ وكيف نجح بتفوق ونال أعلى الدرجات؟ أعرف أن لدينا ما يُعرف بالكتاب الخارجي في كل مادة دراسية، وأعرف أن المدرسين يشيرون في الدروس الخصوصية، وغير الخصوصية بالرجوع إليه وحده، وفيهم من يختصره إلى ورقات تُقدم للطلاب كي يحشو بها ذهنه، وتكون قنطرة الوصول، والسؤال الضروري تجاه هذا الموقف الغريب هو: لماذا لا توضع كتب الوزارة على نحو يقربها من الكتاب الخارجي؟ بل لماذا لا يُكتفى بالكتاب الخارجي إذا كان هو المقرر فعلاً؟ وكيف يتحمل الطالب ثمن كتابين في مادة واحدة، أحدهما لا يُقرأ أصلاً! (والمدرسة بمدرسيها وناظرها وموجهيها يعلمون ذلك عن يقين) والثاني هو المعتمد المرتكن إليه؟ ولعل المصروفات المدرسية في جميع مراحل التعليم تنخفض إلى النصف إذا واجهنا الحقائق ورحمنا المستضعفين.

على أنني أعرف أن المدارس جميعها ترسل في آخر العام تقارير عن المناهج والكتب، يضعها المدرس الأول مع زملائه ويرسلونها إلى المنطقة التعليمية، لتتولى بدورها إرسالها إلى مكاتب التوجيه بالوزارة في القاهرة. ولا شك أن في هذه التقارير ما يكشف عن عوار في المناهج والكتب معاً، وقد وكل إلى حين كنت مدرساً أول بدار العلميات في بعض السنوات كتابة مثل هذه التقارير؛ فكنت أكتبها بحيدة وإخلاص، وأنا أتساءل اليوم عن مصير هذه التقارير: أيقروها الأسانذة المسؤولون في الوزارة؟ أم أنها تتحول إلى عمل روتيني يرسل ليهمل، لقد كان المسؤولون من قبل أشد اهتماماً بهذه النقذات الصائبة؛ إذ يرسلون من الموجهين العاملين إلى المدارس من يتحدث عنها، ويناقش ما يراه جديراً بالمناقشة، ولم تعد اليوم نرى لها من صدى يدل على أدنى اهتمام! أخشى أن يكون الكبار في العُرفات العالية بالوزارة، قد أغفلوا هذه الناحية، مع ضرورة الاحتفال بها، وإلا فقيم الكتابة ومؤاخذة من لم يرسل إذا أهمل واستراح؟

لقد كان الاهتمام بمسائل التعليم من قبل واجباً أكيدا؛ إذ كان المسؤولون يبذلون الجهد الدائب في تتبع كل ما يرد إليهم من تقارير تجدد صداها البعيد فوراً دون إهمال، وقد رأينا من هؤلاء السابقين من يحضر إلى مكتبه مساء لينتهي ما بقي من عمل اليوم ولا يستطيع إرجاؤه إلى يوم آخر، دون أجر إضافي، وإذا كان القارئ في شك من ذلك فإنني أنقل إليه سطوراً كتبها الدكتور زكي مبارك في مقال نشره بمجلة الرسالة الصادرة بتاريخ ١٢ من ديسمبر سنة ١٩٣٨، تحت عنوان (رجال التعليم في وزارة المعارف) يقول فيه:

«في مقر وزارة المعارف ناس لا يتكلمون إلا قليلاً مثل حسن فايق، ومحمد حسين، وصادق جوهر، وأحمد عاصم والعجاني والمدرداش محمد، ولكن في هؤلاء الرجال الصامتين خصوصية عجيبة؛ فهم يعتقدون أن وزارة المعارف دارهم، ولا يخطر في بالهم أنهم



زكي مبارك

موظفون، وإنما يكافحون ويجاهدون وكأنهم يديرون ملكهم الخاص، وما وقع بصري على هؤلاء إلا أحسست الغيرة تلذع قلبي، فأنا أتمنى أن أملك بعض ما يملكون من قوة وإخلاص، ويؤذيني أن يكونوا أصدق مني في خدمة الواجب».

لقد قرر الدكتور أن الوظيفة لدى هؤلاء معناها التفاني في العمل دون إبطاء! وقد حسب أن المتجر الخاص أو المصنع الخاص له امتياز عند صاحبه فوق ما للوظيفة عند هؤلاء من تقدير، والحق أن الوظيفة في معناها العملي عمل خاص أتيط بموظف كفاء؛ فعليه أن يحرص

على أداء الواجب فيه كما يحرص التاجر على مكسبه من عمله دون أدنى قارق، فالتاجر يعمل جاهداً ليكسب، والموظف قد جاء كسبه من طريق الوظيفة، فلن يكون أقل اهتماماً من التاجر أو صاحب المصنع، أو زارع الأرض! وهذا الفهم الأصيل كان موجوداً تمام الوجود في الزمن الذي كتب فيه الدكتور مبارك مقاله! وقد ذكر أسماء فضلاء كرام في وزارة المعارف، ولو امتد ببصره إلى الوزارات الأخرى لرأى نظراء محتازين لهؤلاء الكرام! أما اليوم فالموظف كبير أو صغير - إلا من عصم الله - يعتقد أن الوظيفة سد لفرغ فقط. وأن العمل الحقيقي هو خارج الوظيفة تماماً، وانظر إلى تدهور الأحوال في شتى المصالح الحكومية تجد الدليل الخفيف!

لقد كتب الدكتور زكي مبارك مقاله هذا في سنة ١٩٣٨ م، ونسب هذا المدى بخمسة عشر عاماً، لنرى موقفاً جدياً من مواقف رجال التربية والتعليم خاصة بتأليف كتاب مدرسي للمطالعة الثانوية، فإن نظرة واحدة إلى ما صاحب ذلك من عمل متصل، واستفسار من المسؤولين، وتحديد لأجور المؤلفين، واختيار موضوعات الكتابة المناسبة للتلامذة، هذه النظرة ترينا كيف يكون العمل الجاد في بدئه بذرة ثم في انتباهه ثمرة مشتهية. لقد أحسن القائمون على شئون اللغة العربية بالوزارة سنة ١٩٢٣، أن المدارس الثانوية في حاجة إلى كتاب للمطالعة؛ إذ أن الطلاب ظلوا مدى طويلاً يدرسون كتابي أدب الدنيا والدين للماوردي وكليلة ودمنة لابن المقفع، وهما كتابان جليلا النفع بالنسبة للقارئ العام، ولكن طالب المدرسة الثانوية يحتاج في كتاب المطالعة إلى تنوع الموضوعات، وسهولة الأسلوب، والعيش في حاضره الراهن حين يقرأ عن أمور يشهدها بالعين ويلمسها باليد، لذلك قامت وزارة المعارف بعقد مسابقة لتأليف الكتاب المنشود، وجاءت الكتب على غير المستوى المتوقع، وهنا اجتمع القائمون على شئون الدراسة العربية بالوزارة، وقرروا كتابة خطاب رسمي إلى وزير المعارف يقترح الموافقة على أسماء ذات ميزة خاصة في الحقل العلمي، كي يقوموا بتأليف الكتاب. كما يقترح مكافأة لكل عضو، وتحديد موعد الانتهاء من التأليف وبدء الطبع، وبهمنّا أن نشير إلى فقرات مما جاء في كتاب المفتش الأول للغة

العربية الأستاذ محمد حسنين الغمراوي بك إلى معالي وزير المعارف يحيى باشا إبراهيم حيث قال فيما أوجزه بتصريف دقيق:

حضرة صاحب المعالي يحيى إبراهيم باشا وزير المعارف:

توجهت همة نقر من الأدباء إلى وضع كتب المطالعة الثانوية بيد أن فحصها قد أسفر عن أنها لا تسد النقص؛ لأن كتاب المطالعة الذي يلائم تدرج العقل، ويساق الحركة العلمية يشبه أن يكون دائرة معارف مختصرة، وعسير أن ينقرد واحد بوضعه على الوجه الأكمل فلا محيص من تكوين جماعة يناط بهم تأليف هذا الكتاب، تجتمع فيهم من الصفات



محمد حسنين الغمراوي

أن يكونوا ممن مارسوا تعليم اللغة العربية بالمدارس الثانوية زمنا طويلا، وأن يكونوا ممن عرفوا بسعة الاطلاع، وأن يكون بينهم بعض الذين سافروا إلى إنجلترا وقد عرفوا إبان تلمذتهم في دار العلوم بالتقدم على أقرانهم في اللغة العربية كما درسوا أصول التربية في إنجلترا؛ لذلك نعرض عليكم أسماء من نقترحهم للتأليف (ثم ذكر الرجل أسماء اثني عشر نابها من أساتذة مصر ووظائفهم الحالية) وترى اللجنة أن تمنح الوزارة كل عضو من هؤلاء أربعين جنيها عند إتمام الكتاب، على أن يلغى انتداب أي عضو في أثناء العمل إذا ظهر عدم اقتداره عليه.

وجاء رد معالي الوزير موافقا، ومؤيدا كل ما اقترح عليه، وقال: «إن المكافأة ستصرف على دفعتين بعد موافقة اللجنة المالية، وتصديق مجلس الوزراء! وفي يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٢٣ صدر قرار مجلس الوزراء بالموافقة وفقا للشروط المدونة بالخطاب!».

هذا مثل يبدى الاهتمام البالغ بتأليف الكتاب المدرسي، اهتماما يرعاه وزير المعارف، ويصدر قرار مجلس الوزراء بتنقيده، ثم تقوم اللجنة بالتأليف فيصدر الكتاب في جزئين تحول بعدهما إلى أربعة مرعاة لسنوات الدراسة، وتقرأ الموضوعات فتجد الكتاب مع سلاسة أسلوبه وسهولة تناوله دائرة معارف ميسرة للتلميذ، ولن أحاول أن أذكر عناوين الموضوعات إذ أنها تربو على الستين موزعة بين مسائل التاريخ والتربية والأدب والاجتماع والاقتصاد والأخلاق توزيعا يدفع كل قارئ - طالبا كان أو غير طالب - إلى استيعاب كل مقال دون سأم، وقد رجعت إلى الكتاب اليوم فرأيت فيه ما يفيدني، وأعدته مرجعا علميا! وأنا قارئ قديم!

أرأيت إذن كيف الاحتفال بتأليف كتاب مدرسي؟ وكيف احتشاد طائفة من النابهين لإبداءه؟ وكيف اهتمام الوزير ومجلس الوزراء بموضوعه؟! وقد ظل الكتاب مقررا خمسة عشر عاما حتى ظهرت كتب أخرى حاولت احتدائه فأصابت كثيرا كثيرا حينذاك، وقد ظهر الكتاب في عهد الملك فؤاد، فلم نجد به أثرا يشير إلى ذلك، أو موضوعا يخص ولي العهد الأمير فاروق، بل اتجه المؤلفون إلى العرض المقصود، واقرأ - إن شئت - على سبيل

المقارنة ما ظهر في الخمسينيات والستينيات من كتب المطالعة لتجدها قد تحولت إلى مظاهرات إعلامية، فمع كلمات للرئيس عبدالناصر، ولوزير التربية كمال حسين نجد المكرر من موضوعات مديرية التحرير، وحرب القناة، ومشروع الشجرة وعيد الجلاء!! موضوعات تكرر في السنوات المختلفة وكأن طالب الفرقة الرابعة لم يقرأ أمثالها في السنوات الأولى والثانية والثالثة! أما دائرة المعارف التي كانت وجهة السابقين من المؤلفين على نحو ما ذكرنا من قبل فقد أصبحت في ذمة التاريخ!

وأعود إلى الكتاب المدرسي فأذكر أنني قرأت في الصحف أن السيد وزير التربية والتعليم قد أمر بإعادة النظر في المناهج وضرورة التخلص من كثير مما بها من الحشو، ويتبع ذلك أن يحىء الكتاب المدرسي في العام القادم خالصا من أوراقه المتبعجة في أكثر صفحاته، وأن يكون التأليف مما يتناسب مع قدرة الطالب عملا فعليا، لا قولاً لفظياً؛ لأن بعض المتعصبين لتخصصاتهم يظنون امتلاء المنهج بشئ الموضوعات تركيزا لقيمة المادة بين المواد، وهو ظن خاطيء تماما، ومن وراء هذا الظن نجد الكتاب المقرر على الصف الثاني الثانوي في علم الاجتماع على سبيل المثال لا صلة له بالتأليف المدرسي على الإطلاق وقد خيل إلى حين تصفحته أنه رسالة جامعية، لا فصول مدرسية؛ إذ ضم سبعة أبواب كبار تتحدث عن موضوع علم الاجتماع ومجال دراسته وأهدافه، والمنهج العلمي في دراساته، والموضوعات الأساسية للعلم وهذا في ست وأربعين من الصفحات ذات القطع الكبير، ثم جاء الباب الثاني خاصا بمناهضة العملية الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية والتعاون والتكيف والمنافسة والصراع، وتلاه الباب الثالث ليتحدث عن نشأة الحياة الاجتماعية وتطورها وأشكالها من نحو الأسرة والعشيرة والقبيلة والقرية والمدينة والدولة والأمة والاتجاه نحو العالمية والباب الرابع يفصل الحديث عن الأسرة والنظام الاقتصادي والنظام السياسي، ولا أقيض في تعداد ما بالأبواب التالية وهي الخامس والسادس والسابع من فصول متداخلة في بعض عناصرها ليتم الكتاب في مائتين وسبع وعشرين من الصفحات الطوال، فليت شعري أهذا كتاب مدرسي أم كتاب جامعي؟ بل إن الكتاب الجامعي لا يؤلف على هذا النحو من التشتت والاستطراد! ونحن تعلم أن العام الدراسي لا يتجاوز ستة أشهر على الأكثر، فهل تكفل حصص المادة بتوضيح هذا الركام! وقس على كتاب الاجتماع كتباً شتى في الاقتصاد والمنطق وعلم النفس والتاريخ وما غاب عنى ذكره الآن.

وبعد... فإذا أردنا أن ينشأ التلميذ محباً للقراءة، مشغوقاً بالكتاب، فعلياً أن نجعل الكتاب المدرسي بعض الوسائل لهذا الحب؛ فيكون في المواد الإنسانية أشبه بقصة، وذلك ليس بالعسير.

د. محمد رجب البيومي

تفسير سورة العنكبوت

لفضيلة الأيام الأكبر شيخ الزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾
فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِفْئِهِمْ فَبِئْسَ لِلْخَافِئِينَ
أَلَمًا ۖ وَكَانَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا لِلَّهِ الشَّيْطَانُ
يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

الآيات: (١٧٣: ١٧٥)

قال الفخر الرازي ما ملخصه: نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى، وذلك أن أبا سفيان لما عزم على الإنصراف إلى مكة في أعقاب غزوة أحد نادى: يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى فتقتل بها إن شئت. فقال النبي ﷺ لعمر: قل له بيننا وبينك ذلك إن شاء الله.

فلما حضر الأجل خرج أبو سفيان مع قومه حتى نزل بمر الظهران، فالتقى الله

الرعب في قلبه، فبدأ له أن يرجع. فلقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال له: يا نعيم: إني وعدت محمدا أن نلتقى بموسم بدر. وإن هذا عام جذب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر، ونشرب فيه اللبن. وقد بدا لي أن أرجع. ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاد بذلك جراءة علينا، فاذهب إلى المدينة فشببهم ولك عندي عشرة من الإبل.

فخرج نعيم إلى المدينة فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم: ما هذا بالرائى. أتوكم في دياركم وقتلوا أكثركم فإن ذهبت إليهم لم يرجع منكم أحد.

فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم. فلمسا رأى النبي ﷺ ذلك قال: «والذي نفسي بيده لأخرجن إليهم ولو وحدي».

ثم خرج ﷺ في جمع من أصحابه، وذهبوا إلى أن وصلوا إلى بدر الصغرى - وهي ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام - ولم يلق رسول الله ﷺ وأصحابه أحدا من المشركين.

ووافقوا السوق وكانت معهم نفقات وتجارات فباعوا واشتروا أدما وزيبا، وربحوا وأصابوا بالدرهم درهمين، وانصرفوا إلى المدينة سالمين.

أما أبو سفيان ومن معه فقد عادوا إلى مكة بعد أن وصلوا إلى مر الظهران^(١).

وقيل إن الذين قابلهم أبو سفيان عند خروجه من مكة جماعة من بني عبد القيس، وقد قال لهم ما قاله لنعيم بن مسعود عندما أزمع العودة إلى مكة بعد أن قذف الله الرعب في قلبه من لقاء المسلمين.

وعلى أية حال ففي سبب نزول هذه الآية والتي قبلها أقوال أخرى للمفسرين اكتفينا بما ذكرناه خشية الإطالة..

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٩ ص ٩٩.

وقوله:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾

بدل من قوله:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾

[آل عمران: ١٧٢]

أو صفة له. أو في محل نصب على المدح أي أمدح الذين قال لهم الناس.. الخ.

والمراد في الموصول في الآيتين طائفة واحدة من المؤمنين وهم الذين لم تمنعهم الجراح عن الخروج للقتال، ولم يرهبهم قول من قال لهم بعد ذلك إن الناس قد جمعوا لكم.

والمراد من الناس الأول وهو قوله:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾

جماعة بن عبد القيس أو نعيم بن مسعود.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت كيف قيل «الناس» إن كان نعيم هو الشيطان وحده؟

قلت: قيل ذلك؛ لأنه من جنس الناس كما يقال: فلان يركب الخيل، ويلبس البرد وماله إلا فرس واحد ويرد فرد. أو لأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه، ويصلون جناح

كلامه، ويشبطون مثل تثبيطه^(٢).

والمراد من الناس الثاني وهو قوله:

﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾

أبو سفيان ومن معه، قال فيهما للعهد، والناس الثاني غير الأول.

وقوله - تعالى - حكاية عن هؤلاء الشبطين:

﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾

أي أن أعداءكم المشركين قد جمعوا لكم جموعاً كثيرة ليستأصلوكم، فاخشوهم ولا تخرجوا لقتالهم.

وحذف مفعول ﴿جَمَعُوا﴾ فلم يقل:

جمعوا جيشاً كبيراً أو جمعوا أنفسهم وعددهم وأحلافهم وذلك ليذهب الخيال كل مذهب في مقدار ما جمعوا من رجال وسلاح وأموال، ولكن هذا القول الذي صدر من هؤلاء الشبطين، لم يلتفت إليه المؤمنون الصادقون اخلصون في جهادهم وفي اعتمادهم على خالقهم، بل كانوا كما أخبر الله - تعالى - عنهم

﴿فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾

أي أن هذا القول الذي قاله الشبطين، زاد المؤمنين إيماناً على إيمانهم، وبقينا

على يقينهم، وثباتاً على ثباتهم، وجعلهم يقولون للمرجفين بثقة واطمئنان:

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ أي كافينا الله أمر

أعدائنا ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ أي نعم النصير خالقنا - عز وجل - فهو الموكل إليه أمرنا ومصيرنا.

وقولهم هذا يدل دلالة واضحة على قوة إيمانهم، وشدة ثقتهم في نصر الله - تعالى - لهم، مهما كثر عدد أعدائهم، ومهما تعددت مظاهر قوتهم.

قال صاحب الكشف: فإن قلت: كيف زادهم نعيم أو مقوله إيماناً؟ قلت: لما لم يسمعوا قوله وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد، وأظهروا حمية الإسلام، كان ذلك أثبت ليقينهم، وأقوى لاعتقادهم، كما يزداد الإيقان بتناصر الحجج. ولأن خروجهم على أثر تثبيطه إلى جهة العدو طاعة عظيمة، والطاعات من جملة الإيمان، لأن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل. وعن ابن عمر: قلنا يا رسول الله: إن الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «نعم. يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار». وعن عمر - رضي الله عنه - أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول: قم بنا نزداد إيماناً. وعنه: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به»^(٣).

وقال ابن كثير: روى البخاري عن ابن عباس: قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم - عليه السلام - حين ألقى به في النار. وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس: «إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم».

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: إذا وقعت في الأمر العظيم فقولوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل» [كنز العمال]^(٤).

ثم حكى - سبحانه - ما تم لهؤلاء المجاهدين الذين خرجوا للقاء أعدائهم من عاقبة حسنة وعود حميد فقال - تعالى -:

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ لِيُحْكِمُوا لِمَنِ كَانَتِ الدِّينَارُ وَالْأَنْفُسُ فَذَلِكَ جُؤْلُكُم مِّنْهُم بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾

فالفاء في قوله:

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ لِيُحْكِمُوا لِمَنِ كَانَتِ الدِّينَارُ وَالْأَنْفُسُ فَذَلِكَ جُؤْلُكُم مِّنْهُم بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾

للتعقيب، وهي معطوفة على مقدر دل عليه السياق.

ومعنى: «انقلبوا عادوا ورجعوا».

والنعمة: هي العطاء الذي ينفع صاحبه. والفضل: الزيادة في العطاء والنعمة.

والمعنى: أن هؤلاء المجاهدين الصادقين خرجوا للقاء أعدائهم بدون وهن أو ضعف

أو استكانة فلم يجدوهم، فرجعوا إلى ديارهم مصحوبين ﴿بِنِعْمَةٍ﴾ عظيمة ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ - تعالى -، إذ خذل أعداءهم، وسلمهم من شرورهم، ومصحوبين بفضل جليل منه - سبحانه - حيث أغدق عليهم ربحاً وفيراً في تجارتهم، وأجرأ جزيلاً بسبب قوة إيمانهم، وإخلاصهم في دينهم.

قال الألوسي: «روى البيهقي عن ابن عباس أن غيراً مرت في أيام الموسم - أي موسم بدر - فاشترها رسول الله ﷺ فربح مالاً فقسمه بين أصحابه فذلك الفضل».

وأخرج ابن جرير عن السدي قال: أعطى رسول الله ﷺ حين خرج في غزوة بدر الصغرى أصحابه دراهم ابتعوا بها في الموسم، فأصابوا تجارة - فربحوا فيها^(٥).

وقوله ﴿بِنِعْمَةٍ﴾ في موضع الحال من

الضمير في ﴿فَانْقَلَبُوا﴾ فتكون الباء للملازمة أو للمصاحبة فكانه قيل: فانقلبوا متلبسين بنعمة أو مصاحبين لها.

وقوله ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ متعلق بمحذوف صفة لنعمة، وهو مؤكد لفخامتها وأنها نعمة جزيلة لا يقدر قدرها.

وقوله: ﴿لَمْ يَسْتَسْخِمْ مِّنْهَا﴾ أي لم

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٢٠.

(٢) تفسير الكشف ج ١ ص ٤٤٢.

(٣) تفسير الألوسي ج ٤ ص ١٢٩.

(٤) تفسير الكشف ج ٤ ص ٤٤١.

بصحبهم أى أذى أو مكروه عند خروجهم وعودتهم.

والجملة فى موضع الحال من فاعل «انقلبوا» أى رجعوا منعمين مبرئين من سوء والأذى.
وقوله:

﴿وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾

معطوف على قوله ﴿فَانْقَلَبُوا﴾.

أى اتبعوا ما يرضى الله ويوصلهم إلى مثوبته ورحمته، باستجابتهم لرسولهم ﷺ وخروجهم للقاء أعدائهم بإيمان عميق، وعزم وثيق.

فأنت ترى أن الله - تعالى - قد أخبر عن هؤلاء المجاهدين المخلصين أنهم قد صحبتهم فى عودتهم أمور أربعة:

- أولها: النعمة العظيمة.
- وثانيها: الفضل الجزيل.
- وثالثها: السلامة من سوء.
- ورابعها: اتباع رضوان الله.

وهذا كله قد منحه الله لهم جزاء إخلاصهم وثباتهم على الحق الذى آمنوا به. ثم ختم سبحانه الآية الكريمة بقوله:

﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾

أى والله تعالى صاحب الفضل العظيم الذى لا يحده حصر، ولا يحصيه عد، هو الذى تفضل على هؤلاء المؤمنين الصادقين بما تفضل به من عطاء كريم، وثواب جزيل.

وفى هذا التذييل زيادة تبشير للمؤمنين برعاية الله لهم، وزيادة تحسير للمتخلفين عن الجهاد فى سبيله - عز وجل -، حيث حرموا أنفسهم مما فاز به المؤمنون الصادقون.

ثم أمر الله - تعالى - عباده المؤمنين أن يجعلوا خشيتهم وخوفهم منه وحده، فقال تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ

يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

فاخطاب فى الآية الكريمة للمؤمنين، والإشارة بذكرهم إلى الشيطان بالذات أو بالواسطة.

وقوله ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر، و﴿ذَلِكُمْ﴾

مبتدأ و﴿الشَّيْطَانُ﴾ خبره، وقوله:

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ جملة مستأنفة مبينة لشيطنته.

وقيل إن ﴿ذَلِكُمْ﴾ مبتدأ أول،

و﴿الشَّيْطَانُ﴾ مبتدأ ثان، وقوله

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ خبر للمبتدأ الثانى.

وهو وخبره خبر للمبتدأ الأول.

والمراد بالشيطان إبليس لأنه علم بالغلبة عليه ولأنه هو الذى يخوف بالوسوسة.

وقيل المراد به أتباعه الذين دسهم لكى يرهبوا المؤمنين من الكافرين وهم جماعة بنى عبد القيس أو نعيم بن مسعود الجاشعي.

إنما ذلكم الشيطان لكم عن لقاء أعدائكم هو الشيطان، الذى يوسوس فى قلوبكم بالشر بذاته، أو بواسطة أتباعه الضالين، ومن شأن المؤمنين الصادقين أنهم لا يتأثرون بهذه الوسوس الكاذبة، وإنما الذين يتأثرون بها هم ضعاف الإيمان.

وقوله ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أى يخوف أوليائه المنافقين وضعفاء الإيمان ليقعدوا عن مقاتلة المشركين. أما أنتم أيها المؤمنون الصادقون فإنكم لن يقعدكم تخوفه، لأن هذا التخويف لا أثر له فى قلب من آمن بالله حق الإيمان، واتقاه حق تقاته.

وقيل إن معنى ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ يخوفكم بأوليائه فحذف المفعول وحذف الجار. كما فى قوله:

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَالْقِيَّةُ فِي الْيَدِ﴾

[الفصح: ٧]

أى فإذا خفت عليه فرعون. فحذف المفعول. وكما فى قوله:

﴿لِيُنْذِرَكُمْ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾

[غافر: ١٥]

أى لينذركم يوم التلاقي. وقيل إن المعنى: يخوفكم أوليائه فحذف المفعول الأول كما تقول: أعطيت الأموال، أى أعطيت القوم الأموال. وقوله:

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

أى فلا تخافوا أوليائه الشيطان، بل

اجعلوا خوفكم منى وحدى، إن كنتم مؤمنين حقاً.

فالمقصود بهذه الجملة الكريمة تشجيعهم، وتقويتهم، وإلهاب شعورهم، إذ الإيمان الحق يستلزم اخوف من الله دون سواه.

والمراد بالنهاى عن الخوف وهو أمر نفسى: النهى عن أسبابه التى من أهمها حب الدنيا وكراهية الموت أى خذوا بأسباب القوة التى من أهمها التمسك بتقوى الله فإن ذلك يزيل الخوف من قلوبكم.

وفى المقابلة بين النهى عن الخوف من أولياء الشيطان، وبين الأمر بأن يكون خوفهم من الله وحده، فى هذه المقابلة إرشاد إلى العلاج الذى يزيل الخوف والفرع من نفوسهم، لأن الذى يجعل خشية وخوفه من الله وحده لن يستطيع الشيطان أو أوليائه أن يبعدوه عن الطريق القويم وصدق الله إذ يقول:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾

[الإسراء: ٦٥]

وبذلك ترى أن الآيات الكريمة قد رفعت منازل الشهداء إلى أعلى الدرجات، وصرحت بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون. كما أثنت ثناء مستطاباً على الذين لبوا دعوة رسولهم ﷺ حين دعاهم إلى الجهاد فى سبيل الله، ولم يمنعهم عن إجابة دعوته ما بهم من جراح، أو ما قاله لهم المرجفون من أقوال باطلة، فرضى الله عنهم وأرضاهم.

عُمْرُ الْإِنْسَانِ أَمَانَةٌ

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس (رضي الله عنها) قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

الشرح والبيان:

ينبغي أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، وأن نزن أعمالنا قبل أن توزن علينا، مادامنا نؤمن أن هناك موازين تنصب، ولا تنظم نفس شيئاً. قال تعالى:

﴿وَنُفِخُ الْقُفُوفَ﴾
تَلْفِطُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ

الأنبياء: ٤٧

موازين بالحق والعدل والقسطاس المستقيم. قال تعالى:

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ

المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣

موازين حساسة تزن بمثقال. قال تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

الزلزلة: ٧-٨

وما دما نؤمن أن هناك كتاباً ينشر، فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وصفحات من العد والإحصاء، لا يد أن تنجلي

علينا يوم الأشهداد:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ﴾
﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾

غافر: ٥٢

قال تعالى:

﴿وَرُفِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ فِي مَقَابِلِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا لَاحَظْنَا هَذَا الْكِتَابَ
لَا نَجِدُ فِيهِ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ لَحْظًا﴾

الكهف: ٤٩

فلولا محبة ربنا للغفران ما أمهل من يسارزه بالعصيان، ولولا عفوه وكرمه ما سكنت الجنان.

فهدف الإسلام واضح: تحقيق السعادة في الدنيا، والنعيم في الآخرة..... التزام المسلم بأخلاقه وآدابه، إذ لا يكفي مجرد الانتساب إليه:

يا مسلماً يدعى الإسلام مجاباً

هلاً أقمت على دعوائك برهاناً

إن الدنيا كسوق قام ثم انفض، ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، فمن واجب المسلم أن يحافظ على أوقاته، وألا يضيع دقيقة من عمره في غير علم نافع، أو عمل مفيد، أو عبادة مخلصة، أو قربة صادقة.. وهل الحياة إلا دقائق معدودة، وأنفاس محدودة، وخطوات محسوبة.

دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق وثوان

أمانة عظيمة

فعمرك -أيها الإنسان- على هذه الأرض أمانة عظيمة غالية، وهو رأس مالك في الدنيا والآخرة، وهو محدود معدود؛ لا يزيد لحظة ولا ينقص. قال تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾

النحل: ٦١

فمن ضيع لحظة من عمره، أو خسر حققة من قلبه -فقد نزل به غبن فاحش، لأنه مسئول أمام الله عن كل دقيقة مرت من حياته، وعن كل نفس حققت به رثاءه، وقد أنشد الشاعر:

إننا لنفرح بالأيام نقطعها

وكل يوم مضي نقص من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً

فإنما الربح والخسران في العمل

وقد قدر الإمام علي -رضي الله عنه- الدنيا بثلاثة أيام، يوم مضى قد عرفت ما فيه، ويوم أنت فيه فأنت فيه إن كنت من أهله، ويوم يأتيك فلا تدري أنت من أهله، أو أنت من الراحلين، فإلى متى تشغل بالدنيا، ونسى الآخرة، مع أن الدنيا فانية، والأخرى باقية..

إلى متى أنت باللذات مشغول

وأنت عن كل ما قدمت مشغول ؟؟
روى الترمذى - وقال : حديث حسن صحيح - عن أبي برزة فضلة بن عبيد الأسلمي - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفق، وعن جسمه فيم أبلاه ».

ومن ثم يتضح لنا أن عمر الإنسان هو رأس ماله . قال الشاعر :

إذا كان رأس المال عمرك فاحترس

عليه من الإنفاق في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك
يكر علينا جيشه بالعجائب

الصحة.. والفراغ

وقد جاء من جوامع كلمه - ﷺ - والتي نفعنا الإنسانية كلها دستوراً قوياً إذا التزم الإنسان به في حياته، وطبقه في سلوكه : سعد في دنياه، ونعم في أخراه - ما رواه البخارى - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - ﷺ - قال : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ ».

ففى هذا الحديث النبوى الشريف يشبه النبى - صلوات الله وسلامه عليه - المكلف العاقل بالناجر، والصحة والفراغ من العوائق برأس المال ؛ لأنهما من

أسباب الأرباح، ومقدمات نيل النجاح، فمن عامل الله بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، وابتدر الصحة والفراغ فإن ربحه محقق لا محالة، ومن أهمل وتكاسل أضاع رأس ماله، وندم حيث لا ينفع الندم، ولذلك لما قرأ الحسن البصرى - رحمه الله - قول الحق - جل شأنه :

﴿إِذْ نَفَخْنَا فِي السَّمَاءِ عَنَ الْيَمِينِ وَغَمَامًا مَّاءً فَجَاءَتْ سَكْرَاتُ الْمَوْتِ وَالْحُلُقُوتُ فَانفَلَتْ مِنَ الْغَمَامِ وَأَنزَلْنَا نَارًا وَتَجَلَّى لَكَ الْإِنشَادُ فِي السَّوَادِ وَتَوَلَّى وَجْهَكَ الْفُؤَادُ﴾
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُمْسِكَ الْيَوْمَ الْيَوْمَ﴾
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُمْسِكَ الْيَوْمَ الْيَوْمَ﴾
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُمْسِكَ الْيَوْمَ الْيَوْمَ﴾

ق: ١٦-٢٢
قال : يابن آدم، بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كسريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك - فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج بها يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ رَبِّكَ بِأَقْسَرِ الْأَعْيُنِ عَنَّا﴾
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ رَبِّكَ بِأَقْسَرِ الْأَعْيُنِ عِنَّا﴾
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ رَبِّكَ بِأَقْسَرِ الْأَعْيُنِ عِنَّا﴾

الإسراء: ١٢-١٤

ثم قال : عدل والله، من جعلك حسيب نفسك !

هذا ولقد نصح الحسن البصرى - رحمه الله - أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فقال : « إنما الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والموت متوسط، ونحن أضغاث أحلام، ومن حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجح، ومن أطاع هواه ضل ».

رضوان الله !!

وما يؤكد ذلك ما ورد عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يقول : « القبر صندوق العمل، وعند الموت يأتيك الخبير »، وقال : « الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا ».

وقد ورد فى كتاب (جمهرة خطب العرب) أن أول خطبة خطبها النبى - ﷺ - بمكة حين دعا قومه قال - بعد حمد الله والثناء عليه - : « إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذى لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبدأ، أو لنار أبدأ ».

وهذا صحيح، فقد يستغل الإنسان حياته فى طاعة الله - عز وجل - يقدم ما يستطيعه من البر والإحسان وصنوف القربات، وبذلك يحظى برضوان الله والجنة، وقد

يبدد الإنسان قوته، ويتلف صحته بالإسراف فى الشهوات، والعكوف على الأهواء واللذات، وإدمان السهر فى لغو القول، ولهو الحديث، وتعاطي المكيفات الضارة التى تهدم صحته، وتضعف جسده، وتحول بينه وبين العمل النافع، والعلم المفيد. ومن هنا ندرك واجب الإنسان فى الحفاظ على صحته، وسلامة جسده، حتى لا يعين فى ذلك، أو يلحقه الضرر، ودائماً أبداً المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

ومن هنا ندرك حكمة النهى عن الإسراف حتى فى الحلال الطيب، حفاظاً على الصحة العامة. قال تعالى :

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾

﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

الأعراف: ٣١
ويعجبني فى هذا المعنى ما أنشده الشاعر :

دع القزاد من الدنيا وزخرفها
قصفوها كدر والوصل هجران
وأوع سمعك أمثالاً أفصلها
كما يفصل ياقوت ومرجان
يا خادم الجسم، كما تسعى لخدمته

أنطلب الربح مما فيه خسران ؟؟
أقبل على النفس واستكمل فضائلها ..
فأنت - بالنفس، لا بالجسم - إنسان

الجسد.. والروح

فإذا كانت حاجة الجسد إلى الطعام والشراب والملبس والسكن والشهوة شديدة - فإن حاجة الروح إلى العلوم والمعارف، إلى الدين والفضائل - أشد، ولعل في هذه النصوص وأمثالها ما يرد الشباب من غوايتهم، وخاصة من هانت عليهم حياتهم، فكان فراغهم نهياً للشياطين الغي والسوء، وعناصر الضلال والفساد، وعصابات التمرد والتحلل، فإذا بالفراغ الذي كان يجب أن يستغل في طاعة الله - عز وجل - وبناء الحضارة والمجد للأمة، وتوفير السعادة والازدهار والرفق لها، يستغل في اقتراف الشهوات، وارتكاب المعاصي والمنكرات، ولذا نهى بالحوكمات، وبزعماء الإصلاح.. أن يعملوا جاهدين على أن يوقروا للشباب مطالب الجسد والروح معاً، ولن يتأتى ذلك إلا بتوفير فرص العمل لهم، ونشر الأندية الرياضية، والساحات الشعبية في كل المدن والأحياء والقرى والنجوع، ونشر المكتبات العامة في كل مكان، وإيقاظ الوعي الديني بكل السبل المتاحة، سواء عن طريق الأئمة والوعاظ، أم عن طريق وسائل الإعلام والتعليم المختلفة، حتى يسير شباب الإسلام على الطريق السوي، والمنهج الرشيد متمسكين بسلاح الإيمان والعلم، ليضمنوا بذلك عز الدنيا، وسعادة الآخرة.. فلا يهدرون الوقت، ولا

يقصرون في أداء الواجب، بل يسارعون إلى فعل الخيرات، ويتسابقون على ألوان البر، وصنوف القربات... فبالبت شعري! متى يدرك الناس أن الزمن الذي يمضي لا يعود؟! فعليهم أن يغتنموا فرصته، وأن يتزودوا منه بعمل صالح ينفعهم

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

(الشعراء: ٨٨، ٨٩)

وصدق الحسن البصري - رحمه الله - حين يقول: «ما من يوم ينشق فجره إلا نادي مناد من قبل الحق: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد فتزود مني بعمل صالح، فإنني لا أعود إلى يوم القيامة».

وقد روى البخاري - رحمه الله - عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - قال: أخذ رسول الله - ﷺ - بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك».

أجل الإنسان

وقد روى مسلم عن عبدالله بن الشخير - رضي الله عنه - أنه انتهى إلى النبي - ﷺ - وهو يقول:

﴿أَلْهَمَكُمُ التَّكَاثُرَ﴾

(التكاثر: ١)

قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت؟!». وروى البخاري عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «خط النبي - ﷺ - خطاً مرتباً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خطاً صغيراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: «هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط به -، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذا الخط الصغير الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا»، قال النبي - ﷺ - يمثل أمل ابن آدم وأجله وأعراض الدنيا التي لا تفارقه بالخطوط، فجعل أجله الخط المحيط، وجعل أمله وأعراضه خارجة من ذلك الخط، ولا يخفى على العقلاء أن الخط المحيط (وهو أجل الإنسان) أقرب إليه من الخطوط الخارجة منه، وكأنني برسول الله - ﷺ - ينبه أمته، ويحثها على تقصير الأمل، واستشعار الأجل، مخافة أن يأتيهم الموت بغتة، فمن غيب عنه أجله فهو حري يتوقعه وانتظاره خشية هجومه عليه في غرة وغفلة، ونعوذ بالله من ذلك.

ولذلك قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بتون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل».

وقد ورد عن عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - أنه قال في آخر خطبة خطبها: «أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولن تتركوا سدى، وإن لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله الواسعة، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض، واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف ربه، وباع قليلاً بكثير، وفانياً بباقي، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، ثم يرثها بعدكم الباقون، كذلك حتى يرد إلى خير الوارثين، وفي كل يوم تشيعون غادياً، ورائحاً قد قضى نحبه، فتودعونه وتدعونه في صدع من الأرض غير تمهد ولا مؤسد، قد فارق الأحباب، وخلع الأسباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، غنياً عما خلف، فقبراً إلى ما قدم».

فينبغي أن نترفع عن الدنيا وزينتها، والحياة وفنتها، وأن نقبل على الله - عز وجل - بالعبادات والطاعات وفعل الخيرات، وأن نذكر الموت في كل وقت، فالعاقل من حاسب نفسه قبل أن تحاسب، ووزن أعماله قبل أن توزن عليه، قبل أن ينتقل إلى الآخرة التي هي دار ثواب وعقاب. قال تعالى:

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا﴾

﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾

النجم: ٣١

وفقنا الله جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

عقيدة المسلم

لفضيلة الشيخ / عمر الديب

عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن العقيدة في الإسلام هي قضية اقتناع بعد البيان والإدراك وليست قضية إكراه وغضب وإجبار ولأن الدين الإسلامي يخاطب العقول بل يخاطب العقول المفكرة والبداية الناطقة ويخاطب الوجدان المنفعل كما يخاطب الضطرة المستكنة يخاطب الكيان البشري كله، والإدراك البشري بكل جوانبه، في غير قهر حتى بالخوارق والمعجزات المادية التي قد تجيء مشاهدها طريقاً إلى الإذعان..

وإذا كان هذا الدين لا يواجه الحس البشري بالمعجزات والخوارق المادية القاهرة، فهو من باب أولى لا يواجهه بالقوة والإكراه ليعتق هذا الدين تحت تأثير التهديد أو ممارسة الضغط القاهر أو مزاولة الإكراه بلا بيان أو إقناع، ولذلك عندما جاء الإسلام بعد عصور القهر والقمع التي مارسها الرومان تجاه أهل البلاد التي حكموها، لقد جاء الإسلام ليعلن المبدأ العظيم الكبير:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان واحترام آدميته وإرادته وفكره ومشاعره وترك أمره لنفسه فيما يخص الهدى والضلال في الاعتقاد وتحمله تبعه عمله وحساب نفسه وهذه هي أهم خصائص الحرية الإنسانية.. إن حرية الاعتقاد أول حقوق الإنسان الذي يصدق عليه وصف الإنسان، فالذي يسلب إنساناً من حرية الاعتقاد، إنما يسلبه صفة الإنسانية ابتداءً والإسلام هو أرقى تصور للوجود والحياة وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مرء هو الذي ينادى بأن لا

إكراه في الدين وهو الذي يبين لأتباعه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين ولهذا يقول الحق تبارك وتعالى في أعظم إعلان سماوي لحرية الاعتقاد:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْقِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

ونجد أن التعبير القرآني في هذه الآية الكريمة في صورة النفي المطلق لا إكراه في الدين، وهو نفى الجنس كما يقول النحاة أي نفى جنس الإكراه فهو منفي ابتداءً وحالاً ولهذا فهو يستبعده من عالم الوجود والوقوع وليس مجرد نهى عن مزاولته والنهي في صورة النفي والنفي للجنس أعمق إيقاعاً وأكد دلالة ونجد أن السياق هنا يريد أن يلمس الضمير البشري لمسة توقظه وتشوقه إلى الهدى وتهديه إلى الطريق وتبين حقيقة الإيمان التي أعلن أنها أصبحت واضحة وهو يقول:

﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

فالإيمان هو الرشد الذي ينبغي للإنسان أن يتوخاه ويحرص عليه والكفر هو الغي الذي ينبغي للإنسان أن يتفكر منه ويتقن أن يوحى به.

فإذا تدبر الإنسان نعمة الإيمان وما تمنحه للإنسان من تصور ناصع واضح وما تمنحه للقلب البشري من طمأنينة وسلام وما تشيره في النفس البشرية من اهتمامات رفيعة ومشاعر نظيفة وما تحفقه في المجتمع الإنساني من نظام سليم قويم دافع إلى تنمية الحياة وترقيتها فإذا تدبر الإنسان نعمة الإيمان على هذا النحو فإنه يجد فيها الرشد الذي لا يرفضه إلا سفيه يترك الرشد إلى الغي ويدع الهدى إلى الضلال ويؤثر التخطيط والقلق والهبوط والضآلة على الطمأنينة، والسلام والرفعة والاستعلاء، ولذلك نجد أن القرآن الكريم يزيد حقيقة الإيمان إيضاحاً وتحديداً وبياناً:

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْقِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

إن الكفر يجب أن يوجه إلى ما يستحق الكفر وهو الطاغوت وإن الإيمان يجب أن يتجه إلى ما يستحق ويجدر الإيمان به وهو الله تعالى والطاغوت إحدى صيغ الطغيان وتفيد معناها كل ما يظفي على الوعي ويجور على الحق ويتجاوز الحدود التي رسمها الله للعباد ولا يكون له ضابط من العقيدة في الله ومن الشريعة التي

بوجوبها الله ومنه كل منهج غير مستمد من الله وكل تصور أو وضع أو أدب أو تقليد لا يستمد من الله فمن يكفر بهذا كله في كل صورة من صورته ويؤمن بالله وحده ويستمد من الله وحده فقد نجح وتمثل نجاته في استمساكه بالعروة الوثقى، لا انفصام لها وهذه الصورة الحسية توصلنا إلى حقيقة شعورية ومعنوية إن الإيمان بالله عروة وثيقة لا تنقص أبداً، إنها متينة لا تنقطع ولا يضل المستمسك بها طريق النجاة، إنها موصلة بالله تعالى المالك للهلاك والنجاة والإيمان في حقيقته اهتداء إلى الحقيقة الأولى التي تقوم بها سائر الحقائق في هذا الوجود، حقيقة الله واهتداء إلى حقيقة الناموس التي منه الله لهذا الوجود وقام به هذا الوجود، والذي يمسك بعروته يهتدى إلى سبيل ربه فلا يعوقه عائق ولا يتخلف عن ركب المهتدين ولا تتفرق به السبل ولا يذهب به الغي والضلال.

إن بعض أعداء الدين يرمون الإسلام بما ليس فيه ولا تشمل مبادئه فيزعمون أن الإسلام انتشر بالسيف في الوقت الذي قرر فيه: أن لا إكراه في الدين، أما بعضهم الآخر فينتظاهر بأنه يدفع عن الإسلام هذه التهمة وهو يحاول في خبث أن يتال من هذا الدين ومن قيامه وانتشاره، ويوحى إلى المسلمين بطريقة ملتوية ناعمة ماكرة

وهؤلاء هم الذين يعملون في حرب الإسلام وتحريف مبادئه ومنهجه كي يأمّنوا اتبعات وانتشار هذا الدين بل وألقوا إلى خلد المسلمين أن ما بينهم وبين المسلمين ليس خلاف عقائد، إنما هي حرب أسواق وخامات ومراكز وقواعد، والجهاد الذي يخشاه أعداء الإسلام لم يفرض كي ينتشر بحد السيف كما يزعمون وإنما كان مفروضاً أول الأمر ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها، وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم وذلك حتى يدفع المسلمون عن أنفسهم الأذى في العقيدة ولأن الدفاع عن حياة المسلمين إذا كان ذلك من أولى الواجبات - عليهم - فإن أعظم منها أن يدافعوا عن عقيدتهم فإن العقيدة هي أعز ما يملكه المسلمون وهكذا نجد أن الإسلام لم يحمل السيف ليكرهه الناس على اعتناقه ولم ينتشر بالسيف على هذا المعنى، كما يريد الأعداء أن يتهموه وإنما كان الجهاد مشروعاً في الإسلام ليقيم نظاماً آمناً، في ظل أصحاب العقائد جميعاً ويعيشون، في إطاره خاضعين له وإن لم يعتنقوا عقيدته التي أعطتهم الحرية الكاملة في الاعتقاد:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

(الكهف: ٢٩)

وهكذا ينبغي أن يعرف المسلمون حقيقة دينهم وحقيقة تاريخهم، فلا يقفوا

بدينهم موقف المتهم الذي يحاول الدفاع إنما يقفون دائماً موقف المظلمين الوائقي المستعلى على نظم الأرض جميعاً وعلى مذاهب الأرض جميعاً ولا يتخذوا بمن يتظاهر بالدفاع عن دينهم من أعداء الإسلام الذين يستولون على ثروات المسلمين ويشاركون في تسديد السهام المسمومة إلى الإسلام بالإساءة إليه والتقليل من شأنه ويجب على المسلمين التصدي لمثل هذه البذاءات والرد على تلك الأباطيل وذلك بإحقاق الحق وإبطال الباطل والله سبحانه وتعالى هو القادر على حماية دينه وهو أيضاً القادر على أن يجعل هذا الدين هو الظاهر على كل المعتقدات الفاسدة ولأن الله سبحانه وتعالى جعل هذا الدين آخر الديانات السماوية كي يبقى لأن الحق تبارك وتعالى يقول:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

(التوبة: ٣٣)

لأن تلك العقيدة جاءت لكي تعترف بالديانات السماوية التي سبقتها

وتصحح مسارها من التحريف والتبديل، فلا يكون المسلم مؤمناً حقاً حتى يؤمن بجميع الأنبياء والرسل وجميع الأديان السماوية، وقد سجل الله ذلك في دستوره الخالق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه... في القرآن الكريم يقول تعالى:

﴿أَمَّا أَرْسُولُكُمْ فَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

وما ذلك إلا لأن الإسلام قرر أن دين الله واحد جاءت به الرسل جميعاً وتعاقبت عليه الرسل جميعاً وعهد الله واحد أخذه على كل رسول ومنهج الله هو الوفاء بالعهد تلك الصورة كاملة شاملة عميقة للعقيدة الإسلامية التي ارتضاها لكل البشر وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

(المائدة: ٣)

الشكر يديم النعم

لفضيلة الشيخ / على عبد الباقي شحاتة

الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية

الصدقة صورة من صور الشكر بل هي الشكر العملي للنعمة، وقد دل الله عباده على الشكر وكيفيته، بعد أن لفتهم الخيرة، فقد روى أن داود - عليه السلام - قال: يا رب كيف أشكرك والشكر نعمة منك؟ فقال الله تعالى: الآن شكرتني حين علمت أن النعم مني (١). وهذا موسى - عليه السلام - يقول: يوم الطور: يا رب إن أنا صليت فمن قبلك، وإن أنا تصدقت فمن قبلك، وإن أنا بلغت رسالاتك فمن قبلك، فكيف أشكرك؟ قال: يا موسى الآن شكرتني (٢).

ويقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

(الضحى: ١١)

«أى: اشر ما أنعم الله عليك، بالشكر، والثناء، والتحدث بنعم الله والاعتراف بها شكر»، وهذا هو الجانب القولي في الشكر أما الجانب العملي فنراه في الصدقة.

فالصدقة نوع من أنواع الشكر على نعم الله وهذا ملمح دقيق تنبيهه إذا تأملنا قول الحق - تبارك وتعالى:

﴿وَمَا تَوْأَلَتْكُمْ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾

(الأنعام: ١٤١)

حيث يظهر لنا ارتباط اخراج زكاة الزروع بتسلم النضج، ففي يوم الحصاد أتم الله نعمته على عبده، وهنا وجب على العبد أن يشكر الله بإخراج حق المسكين في ما أنعم الله عليه من خير. وهذا المعنى نراه في قول الحق تبارك وتعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَاقِي مَسْكِينِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدًا طَيِّبَةً وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾

(سبا: ١٥)

ولكنهم لم يشكروا فكان عقابهم عن إعراضهم عن الشكر بإزالة أسباب الخير، وقد حكى رب العزة ذلك في قوله تعالى:

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سِيلَ الْغَمِّ وَبَدَّلْنَاهُمْ حَبَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خَمْطٍ وَأَنَّا لَمَبْشُرُونَ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَاهْلُ بَحْرِي إِلَّا الْكَافِرُ﴾

(سبا: ١٦، ١٧)

ولقد دل الله عباده على كيفية استدامة النعم بأنها في إخراج الصدقات وهو ما نلمسه في قول الحق تبارك وتعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فَاتَّخَذُوا الْقُرَى حَقَّةً وَالْيَسِيرِينَ وَأَنَّ السَّبِيلَ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(الروم: ٣٧، ٣٨)

فكان الأمر بإيتاء الضعفاء والمساكين إرشاداً إلى وسائل شكر النعمة. نقول: ما أكثر نعم الله على عباده وما أقل الشاكرين لها، فنعمة الله - تعالى - تملأ الكون كله، وعباد الله قد سخر لهم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، وفتحت لهم أبواب الرزق من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وأتوا من خيرات البر والبحر طيباً حلالاً، وسيحان الله القائل:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ رِزْقَهُمْ مِنَّا فَطَبَّعْنَا عَلَيْهِمُ الْطَبْعَ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

(الإسراء: ٧٠)

وتبارك الله القائل:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَاحَ يَتَجَرَّى فِي الْبَعْرِ أَمْرُقَةٌ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ السَّحَابَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۖ وَمَا تَنَكَّمُونَ كَلِمَ مَاءٍ تَسْمُرُونَ وَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ أَكْثَرُ لَئِنْ لَمْ تُخَفِّصُوا مَا أَتَى الْإِنْسَانَ لِفُتُورٍ كَثِيرًا﴾

(إبراهيم: ٣٢ - ٣٤)

وجل النعم الكريم القائل:

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَى فِيهِ فُجَارٌ وَتَسْتَوِينَ فُضُلًا وَلَقَدْ كَرَّمْنَا قُرَيْشًا فَطَبَّعْنَا عَلَيْهِمُ الْطَبْعَ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

(الجمانية: ١٢، ١٣)

(٢) الدر المنثور ج ١ ص ٣٧٤

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٦٨٠

هذا وآيات الله الكثيرة في كتابه، وآيات الله العديدة في خلقه، وآيات الله الناطقة في الأنفس وفي الأفاق، تعلم وبكل يقين ووضوح أن الله الواحد العظيم القادر قد أسبغ على عباده نعمه ظاهره، وباطنه، نعماً لا تنقطع ولا تنفذ وتتوالى ولا تتوقف لحظة ولا أقل منها، ألا وإن المؤمنين الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان والإسلام وكفى بها نعمة ومن تحتها نعم الله الكثيرة التي لا تحيط بها سجلات ولا كتب، يشعرون بمنة الله الكبرى عليهم، فقد خلقهم القادر - تعالى - وأوجدهم من العدم، وأمدهم بالحياة وبشوائع الحياة، ووهبهم في أنفسهم وأهلهم وما يحيط بهم نعماً فوق الحصر والعد، لهذا فهم على يقين إيماني جازم بأن الله - تعالى - هو وحده المستحق للحمد والثناء بكل المحامد، ما يعلم منها وما لا يعلم، وهو وحده - تعالى - الواجب له الشكر في كل حال، فهو الرؤوف الرحيم الذي يتودد إليهم بنعمه، في كل طرفة عين، تشتاق قلوب المؤمنين إلى ذكر الله - تعالى - إقراراً بحمده واعترافاً بشكره ذكراً عملياً بالعطاء والإنفاق في سبيله، إضافة إلى الذكر القلبي واللساني، ومن المعلوم عند علماء الإسلام أن الذكر العملي أرفع أنواع الذكر المشروع، لأن ذكر الله لا بد أن يتحول إلى عمل إيجابي خلاق.

إنه لا يليق بالمؤمن العاقل أبداً أن يكون محطاً لاستقبال نعم الله - تعالى

- لحظة بلحظة ثم لا يقابلها بالشكر وأداء حق الله - تعالى - فيها، والحقيقة التي لا شك فيها أن النعمة إذا خلت من شكر المنعم - جل وعلا - فإنها لن تكون نعمة بحال، وإنما تكون نقمة، ويكون مآلها الهلاك والخسران.

وسبحان القائل:

﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يوم يحسب عليهم في نار جهنم فتكون بها أجابهم وجوزهم وظهورهم هذا ما كسبتهم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكذبون

النوبة: ٣٤، ٣٥

إن النعمة لا تكتمل ولا تطيب إلا إذا سارع المنعم عليه بشكر المنعم الكريم بكل أنواع الشكر قلباً ولساناً وعملاً.

إن أهل الإيمان الحق يتسابقون ليل نهار، ويتنافسون فيما بينهم ويسارعون في الخيرات ابتغاء مرضاة الله تعالى، لأنهم على ثقة ويقين جازم بأن شكر المنعم تعالى يكون بإيتاء حق النعمة، لا يمنح خيرها وأجرها فحسب ولكن يستتبع المزيد منها ممن لا تنقطع عطاياء ولا تنفذ خزائنه جل وعلا، وهو القائل:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾

إبراهيم ٧

وآجل النعم وأكرمها من الله - تعالى

- لعباده المحسنين نعمة الرضا والرضوان والحب والفقراء والأجر العظيم.

أهم شاكرة

ما من أمة أطاعت ربها شاكرة نعمة الله عليها إلا عاشت عيشة طيبة كريمة محفوظة من كل سوء يأتيها رزق الله - تعالى - رغداً من كل مكان.

فأمة النبي سليمان - عليه السلام - تلك التي أنعم الله على رسولها نعماً لم تكن فيما مضى لأحد قبله ولا بعده، إجابة لدعوة سليمان - عليه السلام - حين قال:

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُتَعَبَى لِأَعْيُنِنَا وَوَقِّاتْنَا مِنَ الْوَهَابِ﴾ فَخَرَّ الْمَلَأُ الرَّيْحَ تَجْرِي أَمْوَالُهُمْ حَيْثُ شَاءُوا وَالشَّيْلِينَ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاسِينَ وَأَخْرَجَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا فَانْتَبِذْ أَوَّامِينَكَ بِقَنَاطِلٍ وَأُولَاءَ أَعْيُنُهُ الرَّحْمَنُ وَحَسَنَ مَكْرٍ

ص: ٣٥ - ٤٠

ولقد آدام الله تعالى النعمة والمنة والفضل والخير على سيدنا سليمان وأمته، ذلك لأن النعمة كانت موصولة بالمنعم - جل وعلا - حمداً وذكرًا وشكرًا وعلمًا صالحًا، حيث استعمل سليمان نعمة ربه في هداية الناس وإخراجهم من الظلمسات إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، حتى أنه بلقيس ملكة سبأ من بلاد اليمن، ومعها خيرة قومها خاضعة مستسلمة وقالت:

﴿قَالَتْ رَبِّ انِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

النمل ٤٤

ومملكة سبأ ظلت حياتها طيبة راضية يعيش أهلها في نعيمها وجنتاتها وخيراتها المباركة طوال مدة شكرهم لربهم وطاعتهم له، وقال لهم ربهم وهم في حال الإيمان والشكر:

﴿كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبِّ غَفُورٌ﴾

سبأ ١٥

ولم يتغير حالهم إلا بالاعراض عن هدى ربهم جحودهم بالنعمة.

والقرية التي أخبر عنها القرآن الكريم في سورة النحل، أنعم الله على أهلها بالأمن والأمان وساق إليهم الرزق من كل مكان، وظل حالهم هكذا حال شكرهم لربهم واعترافهم بفضله العظيم ومنته الواسعة ولم يتغير حالهم إلا بكفرهم، والجنة في سورة القلم أدامها الله على الرجل الصالح والد أصحاب الجنة لأنه كان لله حامداً شاكراً لأنعمه متفقاً في سبيل الله، رحيماً بالفقراء والمساكين ولم يتغير حالهم إلا بمؤامرة أبنائه.

ومن هذا العرض نرى أن القرآن الكريم قد ربط بين نعم الله - تعالى - على عباده وبين طلب الشكر عليها، ومن هنا كان الغنى الشاكر خير من الفقير الصابر، والله تعالى أعلى وأعلم.

من آداب الإسلام

الشيخ / أحمد الشرياصي

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

لَكَ الْحَمْدُ يَا مَوْجِدَ الْكَمَالِ وَوَاهِبَ الْجَمَالِ، أَنْتَ الَّذِي تَقْسِمُ الْمَعَاشِشَ وَالْعَطَايَا بَيْنَ عِبَادِكَ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، وَفِيهِمْ قَرِيبٌ وَبَعِيدٌ، وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ. نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تَحْصِي الْقَلِيلَ وَالْكَثِيرَ، وَتَحَاسِبُ عَلَى الصُّبُلِ وَالْقَطْمِيرِ ﴿وَكُفِّنَا بِنَا حَسِينٍ﴾ ، الْأَنْبِيَاءُ: ٤٧.

ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبداً ورسولك، خير من تأدب وأدب وقوم وهذب، فصدق فيه قولك الكريم:

﴿وَأَنْتَ لَعَلَّ خُلُقِي عَظِيمٌ﴾ ، الْقَلَمُ: ٤.

فصلواتك اللهم وتحياتك ورحماتك وبركاتك عليه وعلى آله وصحبه، وجماعته وحزبه، أولئك الذين أشرقت أرواحهم بنور ربهم، فهدوا به هي أهلك الظلمات وأخرج الشبهات، يهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الأمثال للناس، والله بكل شيء عليم.

آفة، فيبدو في صورة المعترض على الله، المتغطرس المتكبر على من سواه، وذلك داء يصيب السائر فيجعل محطاً لنقمة العزيز الجبار. مستحقاً للعنة وسوء القرار، وخذوا لذلك مثلاً من بين منات الأمثال:

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام... سأحدث إليكم عن أمر تحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، ذلكم هو استخفاف الكثير منا بالكرامة الإنسانية والحرمة البشرية حين يسخر من صاحب العاهة أو يهزأ بمن نالته

سوء أدب مع الخالق!!

شاهدت رجلاً متعالياً على خلق الله يؤنب رجلاً مكفوف البصر على خطأ ارتكبه، فسمعتة يقول له قائلاً ساخراً: «لا لوم عليك فإنك أعمى»! وكأنما جمع الرجل في كلمة «أعمى» هذه كل صفات الإهانة والتحقير فنزلت على كاهل الرجل المكفوف صخرة حاطمة... وكثيراً ما نسمع من لا خلاق لهم من الأعمى يقولون لثل هذا المكفوف سائرين «حقيقة إن كل ذي عاهة جبار» إلى غير ذلك من عبارات السخرية والاحتقار.

إن هذا أولاً سوء أدب مع الخالق واخلق فلو أراد الله سبحانه لجعل السائر البصر مكان السخور منه الأعمى، فكان الواجب حينئذ علي المرء أن يتذكر نعمة الله عليه ومقدار عطائه له، وأن يأسى ويأسف لحرمان المحروم مما تمتع به هو، وأن يسأل له من فضل الله وعوضه ما يجزيه خير الجزاء عما أصيب به من نقص في جانب من جوانب خلقته، بدل أن يهذأ به ويسخر منه ويتندر عليه فيستوجب بذلك لنفسه المقت والغضب، ولذلك قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: إن البلاء موكل بالمنطق، ولو سخرت من كلب لخشيت أن أصير كلباً! وليس وراء هذا التحفظ والتحرز من عبدالله غاية لتباعد عن رذيلة الاستهزاء!

ولست أدري والله لماذا يسخر السائر مثلاً من الأعمى؟ لئن كان الأعمى قد ولد مكفوف البصر فذلك سابق القضاء وحكم القدر، والسخرية مما سبق في علم الله وجرى بحكمته وهذه محاربة له

وتطاول عليه، ومن يفعل ذلك فقد باء بسخط من الله وعذاب شديد، وإن كان المكفوف قد فقد بصره في حادث أو جهاد أو كسب رزق أو تحصيل علم فذلك شرف له، ومنزلة علياً تنتظره عند ربه، ليسعد يوم لقائه برؤية جلاله، والاقتباس من نوره الذي أشرقت له الظلمات وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة، وحتى لو فقد المكفوف بصره في معصية لكان مستحقاً للرحمة والثناء بدل التطاول والاستهزاء. فرب معصية أورت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورت عزاً واستكباراً، ورافقتك بالمقرط المكسور عون له على أن ينجر ويستقيم، وأما سخريتك منه فتحرّض له على العناد والإبعاد في مهاوى الفساد، لقد شرب رجل الخمر على عهد النبي ﷺ فضربوه حداً وتأدياً، فقال له بعض الصحابة: أخزأك الله!.. فغضب النبي من ذلك وهتف: لا تقولوا هذا، لا تعينوا الشيطان عليه! (١)

ابن أم مكتوم!!

قد يكون الرجل المكفوف البصر المزدرى في أعين الناس كريماً عند الله رفيع المكانة لديه قريب المنزلة إليه لتفتح قلبه وإن ذهب نور عينه:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

الحج: ٤٦.

فيها هو ذا الصحابي الجليل عبدالله بن أم مكتوم يقبل على الرسول وهو مشغول بتذكير الزعماء الصناديد من قريش وهدايتهم إلى الله حتى يتابعهم

سواهم، فلا يجد الرسول فرصة عاجلة لينفرد بها بهذا المكشوف الساعى، فينزل الله تعالى سورة يعاتب بها نبيه على إهمال ذلك الكفيف، فيقول عز من قائل معاتباً ومعرضاً ومورياً:

﴿جَسَدًا نُّؤْتِيهِ أَنْ جَسَدًا نَّأْتِيهِ ۖ وَمَلَدْرِكًا لَّعَلَّكَ تَمْنَنُ ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِكْرُ ۚ أَلَمْ نَكُنْ بِأَعْيُنِنَا ۖ فَتَنَصَّدِ ۚ وَنُفِيقُ ۚ أَلَمْ نَكُنْ بِأَعْيُنِنَا ۖ فَتَنَصَّدِ ۚ وَنُفِيقُ ۚ أَلَمْ نَكُنْ بِأَعْيُنِنَا ۖ فَتَنَصَّدِ ۚ وَنُفِيقُ ۚ﴾

«عيسى: ١١» ولا يصف القرآن الكريم ابن أم مكتوم هنا إلا بوصف «الأعمى» في صراحة وجهه، كأنه يريد أن يقول إن هذا الوصف الذى قول صاحب الإهمال أو الإهمال كان هو نفسه جديراً بأن يقابل بالرفقة والرحمة والاحتفال، وصلوات الله وسلامه على من أدبه ربه فأحسن تأديسه، وبعثه متممًا لمكارم الأخلاق، وجعله على خلق عظيم، ولذلك كان الرسول إذا رآه بعد ذلك اهتم به وقال له: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي^(١)، هل لك من حاجة؟ وجعله خليفة وراءه على المدينة عدة مرات مع أنه كفيف لأن العبرة بجمال النفوس وطهارة القلوب وسعة العقول، ولذلك لما كف بصر عبدالله بن عباس فكان يقول:

إن يأخذ الله من عيني نورهما فلقى لسانى وقلبي منهما نور قلبي ذكى وعقلي غيبر ذى دخل وفى فمى صارم كالسيف مشهور

منحة لا منحة!!

على أن ضياع البصر اليوم من الإنسان وبقائه فى الحياة بين هؤلاء الأحياء بدون عينيه يعتبر منحة لا منحة، إذ يستريح المرء بهذا من مطالعة كثير من اغزى ومشاهدة عديد من الناس، ويعف نفسه عن معاينة تلك المقامد المكشوفة، فقد أصبحنا فى زمن وبيل غليل تترامى صورته وحوادثه أقداء فى عيون الناظرين، ولقد كان الشاعر القديم يتطلع إلى دنياه فلا يرى فيها من أناسها من يستحق التأمل فيه أو الاعتماد عليه، ولذلك جعل يقول:

ما أكثر الناس، لا بل ما أقلهم
الله يعلم أنى لم أقل فتدا
إنى لأفتح عيني حين أفتحها
على كثير ولكن لا أرى أحداً
فكيف لو تأخر الزمن بهذا الشاعر حتى أدرك زماناً نعيش فيه بأبصارنا، ونحن نتمنى أن نفقدنا لتستريح من خزي ما نرى ونشاهد؟ ماذا كان يقول لو أدركنا زماناً كذا الزمان أهون ما يوصف به أهلوه قول القائل:
ذهب الرجال المقصدى بفعلهم
والشكرون لكل فـعل منكر
وبقيت فى خلف يزكى بعضهم
بعضاً ليدفع معور عن معور

عظماء وأبطال

وتاريخ المسلمين الطويل العريض يفيض بمفاخر العظماء الأبطال المكشوفين الذين لم تحل هذه العاهة

بينهم وبين أن يكونوا فى طليعة الأئمة من الفقهاء العلماء الأدباء الشعراء وها هو ذا شوقي يخاطب ملكاً مصرياً فى شأن من يضمهم الأزهر المعمور من مكشوفى الشيوخ والشباب فيقول له مشيداً بهم مفاخرأ يشأنهم:

نظراً وإحساناً إلى عـمـيـائـه
وكن للشيخ مدواً ومجبراً
والله ما تدرى لعل كـفـيـفـهم
يوماً يكون أبا العلاء البصرا
لو تشـنـريـه بنصف ملكك لم تحـد

غيباً وجل المشتري والمشتري
وحتى لو قصر الكفيف أو تقاصر عما يسبق إليه
غيره من أعمال ومهام، لما كان ذلك مجوزاً لنا أن نشط معه فى الحساب، أو نغلق له فى الخطاب، لأن الحق تبارك وتعالى قد جعل عاهته وما شابهها مسوغاً للمعذرة ومبياً لعدم الخرج حينما يجب أن لا يعتبر غيرهم من الناس فقال القرآن الكريم:

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾

«النور: ٦١»

المسلم النبيل!!

ومن هنا كان واجباً على ذى الخلق الشريف أن يحسن التصرف والخطاب مع ذى الكفيف، وأن يتجنب معه ما يشير فى نفسه ألم الحسرة على فقدان ما فقد من نعمة يتمتع بها سواه.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام....

سخرية القوى ينقص الضعيف ليست من شيم الرجل الأصيل، والتذكير بالعورات أو التندر بالعاهات ليس من طبع المسلم النبيل، والمرء يفقد إنسانيته أول ما يفقد حين يسمح لنفسه الأمانة بالسوء أن تستطيل بالاستهزاء أو الاستخفاف على رجل امتحنه الله وإبتلاه بحكمة يعلمها ولا نعلمها بعلة مزمنة أو عاهة دائمة، وما كانت مكانات الرجال لتقاس يوماً بالأجسام أو الأشكال، ولكنها تقاس بالأخلاق والأعمال، فطهروا ألسنتكم من خنا القول وفحش التعبير، وانطلقوا تحت لواء الله إلى دنيا عريضة من مكارم الطباع ومحاسن الشيم وقضائل الآداب:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾

«المائدة: ٨٨»

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

«النحل: ١٢٨»

قال عليه الصلاة والسلام: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه: «إذا أخذت كريمتى عبدي فى الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة»^(٣).

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم، سلوا ربكم التوفيق يستجب لكم،،،

صاحب البعثة الكبرى ﷺ

(إلى القطيع المشرود النائه، المتملن الوحشي، السايح في الدماء...)

للشاعر العراقي الأستاذ / محمد بهجة الأتري

خلت الدهور وأنت أنت الأوحــد
تتجأل العظماء عندك والكنى
كالطود تضرب في السماء شعافه
قدس النبوة من يطاول منمكة
هي مظهر الله جل جلاله
قد كنت صفوة خلقه فحباكها
وقف الفلاسفة الكبار تخشعا
راودوا الشبايع النى فجرتها
ما كل ماء كالفرات مذاقه
كم من زعامة بيد محضتها
يتنون مجدهم على قهر الورى
الفتح عندهم هوى وتعسف
أسراء أهواء النفوس فحمدهم
لم يظهروا إلا ليخفوا مثلما
وظهرت مثل الشمس إلا أنها

ذكرى مقدمة ومجد مرمدا
وتحط شاهقة وبصغر مؤددا
وعلى قواعده المنازل ترقدا
أو من يروم سماء أو يصعد
لم يعطها غار ولا منمردا
شرفا. فانت المطفى التفردا
من دون بابك ظامعين ليجتدوا
ماء وظلا باردا وانسجودوا
كلا، ولا كل المرامي يحمد
فانت عليها النقد لا تتجلد
والمجد يبرأ منهم والوداد
وممالك نهوى وأخرى تخمد
يوم، وأما ذمهم فمؤبد
تبدو فقاقيع السيول وتهمد
تخفى ونورك في الخليفة مرمدا

وبنت بالحق المبين فلا هوى
الفتح عندك شرعة وعقيدة
دشورك الفرقان: أما وعظه
عال على الأهواء لا منملق
كالسرحة الغيناء غصن منمر
نأسو جراح الخلق بالخلق الذى
ولك السماحة والسجاجة والندى
نسق من الخلق العظيم كئانه
تدعو إلى أذب الحياة وعلمها
تسع الأنام جميعهم لك ملة
أزليّة أبدية لا يبرها
يزكو عليها الروح فهو منزلة
الروحى أس بناتها العالى الذرا
والفتح والعمران من آرايها
دنيا أقيمت على العقيدة ركنها
هى هيكل قان، فإن حلت به
يتوغلها التوحيد: مشرع مائه
جم الأيادى فالأنام بخيره
ما الناس - لولا البقى - إلا أمة
ما أحسن التوحيد يجمع شملهم
بسناء أخرجت الشعوب من العمى
فاستخلصت فوضى وقامت دولة
ومنت على ببي الصعيد حضارة

بطفى عليك ولا منى تنصرمد
وأخوة وتراحم وتودد
فهدى، وأما حكمه فممد
أحدا ولا منصف بثمردا
وخميلة ندى وظل أبردا
تروى القلوب به وتشفى الأكبد
وهدى النبوة والفعال الأرشد
فلق الصباح وحسنه التوقد
وتبهر دونهما السبيل وترشد
غراء تهدى العالمين وتبعد
بخبر ولا إشعاعها يتربدا
عما يشين وجوهه يتوقد
والحق حائط ركنها والمحتد
والعدل والعيش الرخى الأرحد
ومن العقائد ما يشيد ويخلد
رقت بها الحوباء وهى تراد
للواردين، وتبعه لا يتفد
ويخصيه مشقليون وهم يد
والدين - لولا الجهل - إلا أوحدا
قيود وهو منظم وموحد
وهديتها للنهج وهو معبد
وخبث هياكل واستنار المسجد
باليمن تشرق والهناء ترغد

إِنَّ الْجَمَالَ خَفِيَّةٌ وَجَلِيَّةٌ

يُعَدُّ الْمُفْتُونِينَ لَمْ يَعْرِفْ لَهُمْ
نَفْسُوا الرِّسَالَةَ وَارْتَاوَاهَا دَعْوَةُ
خُصَّتْ بِجِبِلٍّ قَدْ مَضَى، وَبِحَقِيقَةِ
خَبَرُوا. فَمَا عَرَفَ الْحَقَائِقَ مَا جَنَّ
الْبَعْثَةِ الْكُبْرَى حَيَاةً لِلْمُزَى
عَمَّتْ وَلَكِنْ قَدْ خُصِّصَتْ بِفَضْلِهَا
إِنَّ الْأَلَى زَعْمُوكَ سَيِّدَ قَوْمِهِ
شَمْسٌ، وَهَلْ تَخْتَصُّ نَاحِيَةَ بِهَا
الْمُرْسَلُونَ، وَأَنْتَ دُرَّةٌ عَقْدُهُمْ
أَيَّدَتْ دَعْوَتَهُمْ وَصُنَّتْ جَلَالَهُمْ
يَا رَائِدَ الْإِسْلَامِ يَلْتَمِسُ الْهُدَى

وَمِنَ الْعَجَائِبِ مَعْتَرِ أَنْجِبَتَهُمْ
مِنْ بَعْدِ رَغَى الثَّأْرِ قَدْ رَعَوْا الْمَلَا
أُطْلِعَتْهُمْ غُرَرًا بِأَقْبَاقِ الْعَلَا
تَخَايَلُ الدُّنْيَا بِعِزَّةِ مُلْكِهِمْ
مِنْ مُعْجَزَاتِ الدِّينِ فِي أَخْلَاقِهِمْ
مِنْ كُلِّ وَضَاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ
جَمُّ الْجَلَالِ تَكَادَ تَنْخَدِرُ بِهِ
بِمَشَى بِهِمْ لِلْفَتْحِ يَخْدُو شَوْقُهُمْ
أَذْكَى عِزَائِمِهِمْ وَأَوْزَى زَنْدَهُمْ

إِكْبِيرَهَا وَشُعَاعُهَا الْمُتَجَدِّدُ

رَأَى يَجِلُّ وَلَا مَقَالٌ يَحْمَدُ
زَمَنِيَّةٌ أَقَلَّتْ وَلَيْسَ لَهَا غَدُ
طُوبَيْتٌ، وَأَمْرٌ رَثَّ لَا يَتَأَيَّدُ
خَلَعَ الْعِذَارَ، وَلَا غَيْبِي مَلْجَدُ
أَيَّدَ الزَّمَانَ وَنِعْمَةً تَتَجَدَّدُ
يَا آخِرًا هُوَ أَوَّلُ مُتَجَدِّدُ
كَذَبُوا. فَإِنَّكَ لِلْبَرِيَّةِ سَيِّدُ
وَشُعَاعُهَا فِي كُلِّ أَفْقٍ عَجْدُ؟
خَتَمُوا بِسِرِّكَ فِي الزَّمَانِ وَمَجْدُوا
فَارِيتُنَا كَيْفَ الْإِخَاءَ يُوطَّدُ
هَذِي مَنَابِعُهُ، وَهَذَا الْمُورَدُ

تَبَغُّوا بِدِينِكَ فِي الْعَلَا وَاسْتَمَجَدُوا
فَانْصَاعَ جَبَّارٍ، وَدَانَ مَسُودُ
بِمَشَى بِتُورِهِمُ الزَّمَانَ وَيَسْبُدُ
وَتَكَادَ مِنْ قَرَحٍ بِهِمْ تَنْمِيدُ
خَصُّوا بِصُنْعِ الْمُعْجَزَاتِ وَأَفْرَدُوا
يَنْشَقُّ فِي الظُّلُمَاءِ عَنْهُ الْفَرْقُ
شَمُّ الْجِبَالِ وَيَتَّقِيهِ الْمُرِيدُ
دِينٌ يَثُوبُ لِأَيِّهِ التَّشَدُّدُ
فَاسْتَفْتَحُوا سُرُرَ الْبِلَادِ وَأَبْعَدُوا

نَظَمُوا الْمَالِكَ بَيْنَ قُطْبَيْيْهَا، وَلَوْ
فِي حَقِيقَةِ قِصْرَتِ كَانَ زَمَانِهَا
حَسَلَتْ بِآيَاتِ الْجَلَالِ زَوَاهِرُ

تِلْكَ الْخَطْبَارَةُ لَا مَظَاهِرَ زُخْرَفِ
نَارٍ وَلَا نُورٍ، وَطُغْيَانٌ لَا

يَا رَبِّ! أَهْلُ الْغُرْبِ جُنْ جُنُونُهُمْ
الْأَرْضِ نَارٍ، وَالسَّمَاءُ جَهَنَّمُ
لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَمْ يُصَبَّ بِمَجَازِ
عِزِّ السَّلَامِ وَأَنْذَرَتْ غَارَاتُهُمْ
يَا رَبِّ! وَالْقَوْمُ الْهَدَاةُ تَعَسَّفُوا
هَجَرُوا سَبِيلَكَ ظَالِمِينَ نَفْسُهُمْ
سَلَبَ الطُّغْيَانِ دِيَارَهُمْ وَتَأَمَّنُوا
وَهُمْ شَنَاةٌ: دِينُهُمْ مُتَفَرَّقُ
شَبَّاعَ تَطَاعَنَ بَيْنَهُمَا وَمَذَاهِبُ
قَوْمٌ وَرَاءَ الْغُرْبِ فِي آتَامِهِ
وَمُصْرَعُونَ مِنَ الضَّلَالِ كَأَنَّمَا
هِيَ أَرْمَلَةٌ يَا رَبِّ لَطْفُكَ وَحُسْنُهُ
النُّورُ أَطْفَىءَ وَالزُّعَامَةُ أَخْفَقَتْ
يَا رَبِّ! فَلْيُطْلَعْ (كِتَابُكَ) بِالْهُدَى

وَجَدُوا وَرَاءَ الْبَحْرِ أَرْضًا أَوْرَدُوا
يَوْمَ الْوَصَالِ وَحُسْنُهُ التَّوَرَدُ
يَفْتَنُ فِيهَا النَّظِيرُ الْمُتَصَعَّدُ

تُغْرَى وَبَاطِنُهَا الْعَذَابُ الْأَسْوَدُ
زُجَرٌ، وَأَهْوَاءٌ وَلَا مُنْتَرَشِدُ

وَطَغَى الْقَوَى عَلَى الضَّعِيفِ يُعْرِيدُ
وَالْبَحْرِ بَرْكَانٍ يَثُورُ وَيَزِيدُ
أَوْ لَا يُرَاعُ بِمِثْلِهَا وَيَهْدُدُ
أَنَّ الْقِيَامَةَ حَانَ مِنْهَا مَوْعِدُ
سَلَّ الْعِمَامَةِ خَلْفَهُمْ وَتَوَرَّدُوا
فَتَفَكَّكَتْ أَوْصَالُهُمْ فَاسْتَعْبَدُوا
وَبَغَى اللَّتَامُ جَلَاءَهُمْ وَتَوَعَّدُوا
مُبْلَا وَدُنْيَاهُمْ شَقَاءُ أَتَكَدُ
شَنَى وَأَحْزَالُ تَقْصِيمٍ وَتَقْعِدُ
رَكَضُوا خَيُولَ الْمَوْبَقَاتِ وَأَطْرَدُوا
أَوْهَامُهُمْ سَمَّ يَدٍ وَمُزَقِّدُ
يُرْجَى لَهَا فَلَعَلَّ لَطْفُكَ يَنْجُدُ
وَالْبَغْيُ طَبَقَ وَالْقَطِيعُ مَشْرَدُ
يَا رَبِّ! وَلْيَقِمِ النَّبِيُّ (مُحَمَّدُ)

التعاون على البر والتقوى في القرآن الكريم والسنة النبوية

لفضيلة الشيخ / فوزي الزحراف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

لم يترك الإسلام فضيلة من الفضائل التي بها يرقى المجتمع وينهش، ويعيش أفرادها في أمن وأمان، وحب وصفاء، وسعادة وهناء إلا وأمر بها وحث على فعلها، ومدح من ينضدها، وذم من يتسركها.. لما لهذه الفضائل من آثار إيجابية يعود مردودها على صلاح المجتمع، واستقامة أمره، وسعادة أفراد.

وإذا فطرنا بفكر مستنير وعقل رشيد إلى رسالة الإسلام التي أشرق نورها على الإنسانية، وبذل رسولها محمد صلى الله عليه وسلم جهدا كبيرا في مد شعاعها المضيء على الكون كله، وجمع الناس حولها، ودعا الإنس والجن إلى اعتناقها والإيمان بها في حرية واختيار، نجد أنها لا تنشد ولا تبغى أكثر من تهذيب أخلاق الناس، وقد عيم فضائلهم، وإفارة آفاق الاستقامة والكمال أمام بصائرهم، وغرس قيم الإصلاح فيما بينهم، حتى يسعوا إليها على بصيرة، ويؤمنوا بها عن يقين..

والعبادات والمعاملات التي شرعها الإسلام، وبنى أركان الإسلام عليها يستطوعها طغوسا مبهمة، وطلاسم مغلقة تربط الإنسان بمغيبات مجهولة، وتكلفه بأداء أعمال غامضة، وتدعوه إلى الامتنال لفعل أوامر غير مفهوم القصد منها.. كلا إنها ليست كذلك، فالقرائض والأوامر والنواهي التي ألزم الإسلام بها كل منتسب إليه هي أمور واضحة المقاصد، مفهومة الغايات، محددة الأهداف، يجنى ثمرتها المسلم، ويعود فضلها وخيرها عليه وعلى مجتمعه، فتجعله يحيا حياة سعيدة بأخلاق حميدة، ويعيش بفضائل كريمة، فيظل محافظا على تلك الأخلاق والفضائل، متمسكا بها مهما تغيرت أمامه الظروف وتبدلت به الأحوال، لأنه يخشى مراقبا عليه هو أقرب إليه من حبل الوريد، عينه لا تغفل ولا تنام...

الصلاة

فالصلاة التي فرضها الله على المسلم، وأمره بإقامتها أبان القرآن الكريم، وكشفت السنة المطهرة الحكمة من إقامتها، يقول الله - تعالى -:

﴿ أَتْلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْفَعُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

فإن من شأن الصلاة التي يؤديها المسلم في أوقاتها بخشوع وخضوع وإخلاص واطمئنان، وبإتمام سننها وآدابها أن تنهى مؤديها عن ارتكاب الفواحش - وهي كل ما قبح قوله وفعله -، وعن إتيان المنكر - وهو كل ما تنكره الشرائع السماوية والعقول السليمة -، فالصلاة التي تؤدي مصحوبة بالخشوع والإخلاص والسكينة والوقار تبعث المسلم عن الرذائل، وتطهره من سوء القول وسوء الفعل، روى عن أنس - رضي الله عنه - أن فتى من الأنصار كان يصلي مع النبي ﷺ ثم يأتي الفواحش، فذكر للنبي ﷺ، فقال: «إن صلاته ستنهاه» (١) فلم يلبث أن تاب الفتى وحسن حاله.

وقد جاء في حديث يرويه الرسول ﷺ عن ربه: «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمته، ولم يستطع على خلقى، ولم

بيت مصرا على معصيتي، وقطع النهار في ذكرى، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب» (٢).

الزكاة

والزكاة المفروضة في مال المسلم ليست جباية فيها قهر على المسلم، وليست إناوة تغصب منه، وليست ضريبة تنتزع بالقوة من جيبه، وتؤخذ عنوة من زرعه، بل هي غرس لمشاعر الحنان والرفقة، وبناء مجتمع تسوده الألفة والحب، وإرساء لقواعد بناء مجتمع يقوم على التعاون والتكافل، وإطفاء لنار الأحقاد والضغائن، وتوطيد الإقامة علاقات بين أفراد المجتمع، قوامها التعارف والتعاون بين شتى طبقاته.

وقد نص القرآن الكريم في صراحة ووضوح على الغاية والحكمة من إخراج الزكاة، يقول الله - تعالى -:

﴿ حُذِرَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ ﴾

(التوبة: ١٠٣)

فالصدقة تطهر النفوس من رذائل الشح والبخل والطمع، وتزكي القلوب من الأخلاق الذميمة، وتنمي الأموال والحسنات، وتقضي على بذور حقد الفقراء.. وكراهيتهم وبغضهم للأغنياء، وتفتح أبواب المودة والحب بين الأغنياء والفقراء ومن أجل ذلك وسع النبي ﷺ في

(١) الكاف الشاف في تخرج الكشاف لابن حجر ص ١٢٨

(٢) البزار

دلالة كلمة الصدقة التي يتبغى أن يبذلها المسلم فقال - عليه الصلاة والسلام - : «تسبك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإمطنتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة» (٣).

الصوم

والصوم الذي فرضه الإسلام وجعله ركناً من أركانه، حدد القرآن الكريم الثمرة المرجوة من فرضه في قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة: آية ١٨٣)

فقد عللت خاتمة الآية الكريمة وبينت حكمة مشروعيه الصيام، وهي أنكم بأدائكم لهذه الفريضة، مستوفية لشروطها وآدابها، تنالون درجة التقوى والخشية من الله، وبذلك تكونون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه، فلم ينظر إذن إلى الصيام على أنه حرمان مؤقت في زمن معين من شهورات النفس، ومن تناول الطعام والشراب على وجه مخصوص، وماعدا هذه الأمور الحسية يفعل الصائم ما يشاء وما يريد : من الكذب

والغيبة والنميمة والنفاق والغش والخداع والاعتداء على حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل... إلخ الأعمال والأقوال التي تتنافى مع تحقيق التقوى والخشية من الله التي هي الهدف من فريضة الصيام.. كلا وكلا، فالهدف والغاية والعلة من الصيام - كما حددتها الآية الكريمة - هي تحقيق تقوى الله والخشية والخوف منه، وخضوع الصائم لمراقبة الله عليه في كل تصرفاته وأقواله وأفعاله، ويستلزم ذلك مجانبة الصائم لكل ما حرم الله ونهى عنه.

وتأكيداً وإقراراً لهذا المعنى يقول الرسول - عليه الصلاة والسلام - : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (٤) ويقول - عليه الصلاة والسلام - : «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل : إني صائم» (٥).

ومن تقوى الله التي يهدف الصوم إلى تحقيقها إحساس الصائم بألم الجوع والعطش والحرمان، فيدرك ما يعانيه الفقراء المحتاجون إلى الطعام والشراب، فيبادر الصائم القادر إلى مساعدتهم والعطف عليهم، فيتحقق بذلك التكافل الاجتماعي الذي هو سمة من سمات المجتمع الإسلامي.

(٤) البخاري.

(٥) ابن خزيمة.

الحج

والحج الذي فرضه الله وجعله ركناً من أركان الإسلام - لمن استطاع إليه سبيلاً - ليس عبارة عن مناسك تؤدي بكيفية معينة في أماكن محددة وفي أوقات معلومة، بحسب الحاج أنها تعبدات غيبية يؤدي شعائرها كما طلبها الإسلام وله أن يفعل - فيما عدا ذلك - ما يشاء وما يريد... كلا فقد حدد القرآن الكريم بيان ما يجب أن يتحلى به المسلم من فضائل عند أدائه لهذه الفريضة، يقول الله - تعالى - :

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَن تَفْعَلُوا مِن خَيْرٍ يَنصُرْنَا لَهُ وَتُكَرَّرُ دُونَ ذَلِكَ حَيْثُ الرَّادُّ الْقَوِيُّ وَتَقْوُونَ يَتَأَذَّنُ الرَّاسُ الْآتِي﴾

(البقرة: ١٩٧)

ومعنى ذلك : أن من نوى الحج وأوجبه على نفسه وأحرم به فعله أن يتجنب الجماع للنساء ودواعيه، وأن يشهد عن كل قول أو فعل يكون خارجاً عن آداب الإسلام وتعاليمه، أو يكون مؤدياً إلى التنازع بين الرفقاء والإخوان، فإن الجميع قد اجتمعوا على مائدة الرحمن، فعليهم أن يجتمعوا على طاعته، وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن يتزودوا - وهم يؤدون تلك الفريضة -

(٦) مسند الإمام أحمد ٢/٤١٠.

بالزاد المعنوي الذي يسعدهم في الدنيا والآخرة، ألا وهو تقوى الله وامتنال أوامره واجتناب نواهيه، والإكثار من العمل الصالح، كما عليهم - في الوقت نفسه - أن يتزودوا بالزاد المادي الحقيقي الذي يغنيهم عن سؤال الناس، ويصون لهم ماء وجوههم، وهنا تستبين الحكمة في قيد أداء هذه الفريضة بـ :

﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَى سَبِيلٍ﴾

(آل عمران: ٩٧)

كما أن حديث رسول الله ﷺ : «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه» (٦) يشير إلى ثمرة أداء هذه الفريضة إذا أدبت كما يتبغى بإخلاص وخشوع وخشية من الله، وكانت نفقتها من مال حلال طيب. والآية الكريمة في قول الله - تبارك وتعالى - :

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۚ لِّتَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾

(الحج: ٢٧، ٢٨)

أشارت أيضاً إلى منافع أداء هذه الفريضة التي يجنيها الحاج في دينهم وهي : غفران ربهم، واستجابة الله لدعائهم، ورضا الله عنهم... إضافة إلى المنافع الدنيوية التي يجنيها الحاج

قصة العدد

تَنَصَّرَتِ الْأَشْرَافُ مِنْ أَجْلِ لُطْمَةِ

للدكتور/ أبى حسام

الخالص، والجنود من حوله مدججون بالسلاح، وكلهم في انتظار إشارة من جبلة! لقد رأيت ذلك كله للمرة الأولى فكاد يغشى على، إذ لم أتصور أن هذا النعيم في الأرض، وأحسبه مدخرا في السماء! أين دمشق من المدينة يا قوم؟ لا أكاد أصدق! أيترك جبلة دمشق ويأتي إلى المدينة؟ أهذا معقول؟

قال الصديق الخزرجي: لأنك تسجن نفسك في فارغ، ولو شهدت موكب جبلة الذي بهرنا جميعاً، فلم يبق تاجر أو زارع أو عامل، أو فتاة في منزل، أو عجوز في خباء، إلا خرج، الجميع يتأملون المشهد المشير، كنت أنتظر - ولك صلتك الوثيقة بجبلة - أن تكون أول من يسعى للقائه، وربما سر بمقدمك وتذكر مدائحك التي جازاك عليها أحسن الجزاء فعذك من حاشيته ورجاله، وأضاف إليك الجديد من هداياه!

عُضَّ حسان على شفته، وقال: لا أبحث الآن عن هدايا جديدة، ولكنني أبحث كيف غفلت عن هذا الواجب الأكيد وكيف سكت

كان حسان بن ثابت يجلس في فارغ بالمدينة، يتشد الشعر، ويتذكر رحلاته في ربوع الشام والعراق، ومن لاقى من كبار الشعراء في الجاهلية والإسلام، فأناه خزرجي من بنى قرابته، يصيح به: أين أنت يا حسان، لقد قدم إلى المدينة صديقك القديم، جبلة بن الأيهم ملك غسان في وفد من حاشيته، عليه الساج المرصع بالؤلؤ والياقوت، وحلته الذهبية من فوقه ترذ خيوط الشمس منعكسة في أبهى ما رأت العيون، وحاشيته من الأمراء والوجهاء يتزيون بأجمل الثياب، وأعلى الأكسية، وجوههم مشرقة تطفح بالنور، وجلالهم يغشى النفوس، لأن أهل المدينة لم يروا مثل موكب جبلة من قبل!

دهش حسان.. وظن أنه في حلم - وصاح: من يصدق أن جبلة بن الأيهم، يترك دمشق بما بها من الحدايق الزاهرة، والمروج الخضراء ذات النخيل والشجر والتمر، والقصور العامرة بأبهى ما رأت العين من أثاث ورياش ومن وراء ذلك عرش الملك من الذهب

البر: معناه: التوسع في فعل الخير، وإسداء المعروف إلى الناس.

والتقوى: تصفية النفس وتطهيرها وإبعادها عن كل ما نهى الله عنه.

قال القرطبي: قال الماوردي: تدب الله - تعالى - إلى التعاون بالبر، وقرنه بالتقوى له، لأن في التقوى رضا الله، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته.

والإثم: اسم للأفعال الميطة عن الثواب، وجمعه آثام، والآثم: هو المتحمل للإثم، ثم أطلق على كل ذنب ومعصية. والعدوان: تجاوز الحدود التي أمر الشارع الناس بالوقوف عليها.

أى: وتعاونوا - أيها المؤمنون - على كل ما هو خير وبر وطاعة لله تعالى، ولا تتعاونوا على ارتكاب الآثام ولا على الاعتداء على حدوده، فإن التعاون على الطاعات والخيرات يؤدي إلى السعادة، أما التعاون على ما يغضب الله - تعالى - فيؤدي إلى الشقاء.. ثم أُنذر الله في نهاية الآية الذين يتعاونون على الإثم والعدوان بأن الله شديد العقاب لمن خالف أمره وانحرف عن الطريق القويم الذي أمر الله به.

باجتماعهم في هذا المكان الطاهر، وتعارفهم وتعاونهم على البر والتقوى، وتبادلهم المنافع فيما بينهم عن طريق البيع والشراء، وغير ذلك من أنواع المعاملات التي أحلها الله.. ولفظ «منافع» جاء بصيغة التنكير للتعميم والتعظيم والتكثير. أى: منافع عظيمة وشاملة لأموال الدين والدنيا غير محددة نوعاً وكماً لكثرتها..

الكمال المنشود

إن الغاية من العبادات التي فرضها الإسلام هي تحقيق الكمال المنشود وللمجتمع الإسلامي، فهي روافد الاستقامة والتطهر، وأسس النظام السليم الذي يضمن الحياة، ويعلى شأنها، ويحقق الغاية التي رسمها رسول الله ﷺ في قوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ومن مكارم الأخلاق التي بعث رسول الله ﷺ لتحقيقها: التعاون على البر والتقوى، وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - عباده بالتعاون على البر والتقوى في قوله - جل شأنه -:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

(المائدة: ٢)

(٧) كثر العمال رقم ٥٢١٧، البيهقي: ١٩٢/١٠.

القوم حولي، فلم يأت إلي من يخبرني بهذا الحدث الرائع! وقد اعتزلت الناس كما تعلم! قال الخزرجي -عجبا-: ولماذا اعتزلت الناس، وهم لم يعتزلوك!

فأطرق حسان ثم قال في أسف: كأنك لم تسمع بما كان بيني وبين أمير المؤمنين في مسجد رسول الله! لم أكن أتصور أن عمر بن الخطاب يستمعني أنشد الشعر بالحرم، فيقول لي: ليس هذا مكان الشعر، المسجد للصلاة! فاندفع هائجا في وجهه فاقول: يا عمر، لقد أنشدت الشعر في هذا المسجد وسمعه من هو أفضل منك، ورغب به، ولم يعترض كما اعترضت! فسكت أمير المؤمنين، ولم يقل شيئا، ولكنني عرفت الغضب في وجهه فاعتزلت!

قال الخزرجي: عمر صريح لا يسكت على باطل، ولو لم يقتنع بما قلت، لعارضك، ورد عليك، ثم ما ذنب الناس حتى تعتزلهم، وليس لهم معك في هذا شأن وإنما الأمر بينك وبين عمر.

قال حسان: لم ينطق منهم أحد. وكان المسجد غاصا مزدهما بهم، وكنت أنتظر أن يواجهوا ابن الخطاب بالاعتراض! أليس لي حق في أن أعتزل هؤلاء!

رد الخزرجي قائلا: أنت تكبر الأمر، لقد سمعوا ردك ورأوا اقتناع عمر، فماذا تنتظر منهم بعد ذلك. قم يا رجل، واذهب إلى لقاء جيلة فهو الآن في حضرة أمير المؤمنين، ولم يمنعك أحد من تحية الضيف الكبير.

-٢-

انجه حسان إلى حضرة أمير المؤمنين، فوجد جيلة قد انصرف مع حاشيته إلى خيامه المضروبة خارج المدينة بالعقيق، وغتته عين أمير المؤمنين، فصاح به: أقبل يا حسان!

فلم يجد الشاعر بدا من لقاء عمر الذي ابتدأه بقوله: لا تغضب يا حسان مما قلت لك من قبل، فقد رأيت المسجد عامرا مزدهما بالمصلين، وكلهم متيب إلى ربه، وأنت تنشد الشعر بصوت مرتفع فقلت ما قلت، ورددت علي فلم أنطق، ولكن قل لي: هل كنت تنشد رسول الله في وقت الصلاة؟ قال حسان: لا يا أمير المؤمنين. فقال عمر: قد اتفقنا إذن فلا تغضب.

ثم ابتسم الفاروق قائلا: أتيت لترى جيلة ابن الأيهم محمد وحك القسديم، وهذا واجب الضيف، فماذا أبطأ بك؟

قال حسان: وهل يعرف أمير المؤمنين مدائحي في ابن الأيهم؟

فسارع عمر يقول: أعرف بعض ما قلت، ولكنني لا أحفظ شيئا من المدائح، أنا أحفظ -حكم زهير بن أبي سلمى وأثره عليكم جميعا، لأنه لا يعاقل في كلامه، ولا يمدح أحدا بماليس فيه، وهو فوق النابعة والأعشى وامرئ القيس!

قال حسان: وفوقي في رأيك ورأي الناس، ولكنني كسبت الشرف الأكبر بمدح رسول الله وهجاء أعدائه وذلك شرف لم ينله سواي من هؤلاء! إلا ما كان من أمر الأعشى حين

مدح ثم أحجم.

تهض الفاروق، ففهم حسان أن وراءه ما يشغله، فاستأذن، وقد زال ما في نفسه، ثم توجه من فوره إلى العقيق ينتظر المشول أمام جيلة، في تطلع واشتياق.

كان حسان يسير إلى العقيق، وفي نفسه موازنة صامتة بين منزل جيلة في دمشق، ومنزله بالخيام في المدينة، فيرى أن البون شاسع بين المنزلين، ثم يقول في نفسه: إن الرجل ضيف عابر، ومسير حل إلى موضع العز في بلاده، وسيزيده الإسلام مجدا على مجده، حتى إذا انتهى إلى مجلس جيلة طلب الإذن، فدخل وحياء جيلة بأكثر مما كان ينتظر من البشاشة، وأدناه من مجلسه حتى كان في جواره، مع أنه في دمشق ينفرد بمجلس عال على كرسى من الذهب، يشرف فيه على الجميع.

ولحظ الحاضرون في جوار حسان أن الملك يريد الانفراد به، فتفرقوا مستأذنين، وتطلع الملك إلى الشاعر فقال له: ما وراءك يا حسان؟ فقال الشاعر: هنيئا لك أيها الملك بالإسلام، لقد زدت به عزاً فوق عز، ومتصبح دمشق عاصمة ثانية للمسلمين.

فحدق جيلة في وجه حسان كمن يتفرس ما يكن في نفسه من الخواطر، وقال: تقول إنني زدت بالإسلام عزاً فوق عز، فسارع حسان يؤكد ما قال، فقال جيلة: اصغ إلى يا حسان، إن ما قلته كان في ظني يوم اعتنقت الإسلام، ولكنني حين حضرت إلي المدينة وشاهدت مجلس أمير المؤمنين، عرفت أنني كنت واهما.

قال حسان: وكيف ذاك أيها الملك، قال:

يهز عمر ملك قيصر، ويمحق ملك كسرى، ثم يرتدى لباس السوق، ويمشي بين الناس كأحدهم، فلو رأيته في الطريق ما جال بذهني أنه أمير المؤمنين، لقد حضرت إلى المدينة في أبهى مظاهر الأبهة والجلال، معي حاشيتي ذات المشهد المؤثر، وورائي الخدم والعبيد، ومن خلفهم الجوارى والوصائف، وكنت أقول في نفسي لا بد أن يكون مجلس الفاروق أبهى منظراً من مجلسي، لأنه رجل العالم الآن، فحين قابلته بمدرعته الصوفية، ولباسه الخشن، ودرته الصغيرة أخذني الدهش، ثم جلست معه فوجدت المسلمين يدخلون بلا استئذان ويخرجون بلا استئذان، ويكلمونه كأحدهم، وأكثرهم يقول يا عمر، يا ابن الخطاب، فأين هي الإمارة الكبرى على المؤمنين، وأين هو العز المنتظر الذي أطمع أن يزيد على عزى بدمشق! إن بين عرب المدينة وعرب دمشق وعرب العراق فروقا كثيرة تبلغ حد التنافر والنضاد، وما أراني قابلاً أن أجلس مجلس السوق، وأن ألبس لباس السوق، فتضيع مكانتي بين الناس!

قال حسان: ولكن أمير المؤمنين لم يطلب منك أن تلبس ملابس السوق، وأن تترك حاشيتك الكبيرة، وأن تمتنع عن بابك الحجاب، فلماذا يجول بذهنك ما يجول؟! قال جيلة: الأمر أمر تقاليد وأعراف، إن المسلمين اليوم لا يريدون رئيساً في غير حالة عمر، وهم في أنفسهم ينتقدون مسلكتي، وقد يقد على بعضهم إلى دمشق، فيدخل دون استئذان، ولا يخاطبني بالإمارة، ثم لا أستطيع أن أفعل معه شيئا

ومن ورائه عمر بن الخطاب !

قال حسان مجاملاً : لقد زرت دمشق،
ووجدت الناس هناك يحيونك ويجلونك،
ويقعدونك بالأرواح ولكل بلد تقليده، فإذا
التزموا معك ما يلتزمون من قبل، فلا ضير.
سكت جبلة قليلاً، ثم قال : عرفت من
رجالي أن موسم الحج قريب، وأنتى سأضطر
إلى الذهاب إلى البيت الحرام، وكنت أشتاق
أن أراه فعلاً، لأنى أحفظ له حرمة وهيبة منذ
عرفت أن إبراهيم عليه السلام هو الذى رفع
قواعده، وأذن فى الناس بالحج لباتوه رجالا
وعلى كل ضامر، ولكن الذى أدهشنى أن
للحج ملايس خاصة يرتديها الجميع، لافرق
بين ملك وسوقه، فكيف يكون الأمر حينئذ ؟
وأنا لا أحب أن أتجرد عن مظهرى الملكى،
وبخاصة وأنا غريب بين غرباء !

انتظر حسان فلم يتكلم، فقال له جبلة :
مالك لا تقول ؟ أعرفت أنه لا عز فوق العز
القديم ؟ فقال حسان : لو تذكرت يا مولاي
أنك تقف بين يدى الله وحده، وأنت تدعوه،
وهو مجيب الدعاء، لعلمت أن الله الذى
خلق الناس مواسية فى الشكل والعقل - إلا
ما ندر - يريدهم مواسية فى مجال العبادة،
ولماذا الحج يا مولاي ؟ ! ونحن نصلى
جميعاً، وقد يكون أمير المؤمنين فى آخر
الصفوف، ولا ضير لأن الجميع بين يدى
الله، فكرر جيداً فى عظمة الله وحده
فسيهون عليك ما يتعاضدك الآن !

خاف جبلة أن يتمادى فى الحديث، فيبدو
منه ما يحرض على كتمانته، فشد على يد

حسان، وقال له : سافكر، وسيهدى الله إلى
الصواب !

- ٢ -

أرق جبلة طيلة ليله، ثم بدا له أن تنتهي
الرحلة إلى الحجاز دون شقاق، فتناسى ما يحلم
فيه من أهبة، وأخذت الأيام تمر به عجلاً حتى
جاء موسم الحج، فسار من المدينة إلى مكة مع
حاشيته وكلهم من ورائه يحوطونه ويحفظونه،
ولكن مشهد الطواف فى البيت قد أخل بالنظام
الذى رسمه مع حاشيته إذ تقاطرت الألوف من
كل فج عميق، وازدحم البيت بواقديه ازدحاماً
لم يعهده الملك من قبل، ودوى التكبير
والتهليل فى كل مكان، ونظر جبلة فرأى عمر
يطوف مع الطائفين، وكأنه أعرابى جاء من
بادية السماوة وصحراء نجد، فطال اندهاشه لما
يرى، وتقدم فى خطوه، ولكنه فوجئ بأعرابى
من فزارة يدوس على ثوبه، فلم يمهله إذ صفعه
بعنف على خده، وصاح الأعرابى : يا بن
الخطاب أين أنت ؟ يا بن الخطاب أين أنت ؟
ودوى النداء فى أذن عمر، فسارع إلى الأعرابى
يسأله عن هياجه، فأعلمه أن جبلة قد لطمه
على خده دون سبب، وفوجئ ملك غسان بمن
يستدعيه إلى لقاء عمر، ثم فوجئ ثانية حين
رأى الفزاري يجلس جوار أمير المؤمنين، ولم
يلبث أن استمع قول عمر :

لماذا لطمت وجه الأعرابى يا جبلة ؟ فنظر
الملك دهشاً وقال : داس مجترئاً على ثوبى، ولو
كان سيفى معى لأخذت الذى فيه عيناه !

قال عمر : لابد من القصاص يلطمك كما
لطمته !

فصاح جبلة : كيف هذا، أنا ملك وهو
سوقه ! فحدق عمر فى وجهه مستكراً، وقال
القصاص لا يعرف قرناً بين الملك والسوقه،
الملك خادم الرعية فى منطق الإسلام، فعجل
جبلة يقول : إذن أرجع عن الإسلام وأعود إلى
دمشق.

نظر عمر فى وجهه مستكراً، وصاح به،
كل مرتد حكمه القتل، فانظر ما ترى !

تراجع جبلة مأخوفاً، وقال فى استكانة :
دعنى أفكر قليلاً يا أمير المؤمنين ! فأرجاه عمر
إلى حين ...

خلا جبلة بحاشيته، وهو لا يطيق أن
يتكلم من الغيظ، وقد صمم على أمر عرفه
مخالطوه من عينه، ولم يفه بشيء، ورأى
الليل ركب جبلة يهوى فى جوف الظلام هارباً
من مكة، إلى حيث يستقر هرقل فى
القسطنطينية، فيكون بعيداً عن سطوة عمر
لدى هرقل، وهرقل يعرف جبلة إذ كان
مشمولاً بحمايته قبل الفتح الإسلامى فى ديار
الشام، ولعل فى بقائه لديه ما يشجع على
استعادة ملكه حين يجد الجدد، هكذا توهم
هرقل، فأقررد للزائر قصراً كقصر دمشق،
وأعد له من النفائس أثاثاً ورياشاً وحجراً
وأبهاء وتحفاً وثريات كما هو جدير بملك
صديق واستشعر جبلة الراحة عاماً فعامين،
ولكنه نظر فوجد نفسه ملكاً دون ملك،
وصاحب تاج بغير دولة، ثم إنه رهن إحسان
هرقل، فلو مات الإمبراطور وخلقه سواه، فقد
ينظر إليه غير نظرة سلفه، وقد تضيق به
الدولة لإشاعة يلفقها حسود، ليس الأمر إذن

ذا استقرار تؤمن معه العواقب، ثم قال فى
نفسه : ماذا لو وجدت سفيراً مخلصاً أبعث به
إلى أمير المؤمنين، ففقد يعفو، وقد يتنازل
الفزاري عن حقه، وإذا ذاك يصفو لى ملك
دمشق، ومهما كنت خاضعاً لسيطرة الإسلام
فهو أهون من البقاء فى معشر غرباء، إذ القوم
فى الشام عرب، وأنا من بيت ذى تاريخ،
فسلطانى موضع اتفاق ...

وعلم جبلة أن رسولا من المدينة قد جاء
برسالة إلى هرقل، وتوجس شراً، يخاف أن
تكون الرسالة بشأنه، وأن يهمل الإمبراطور
حق اللجوء إليه، فيفترط فى جواره، ولكنه
اطمأن حين وجد الأمر على غير ما توهم،
وطلب الرسول فلاقاه محتفلاً، ورجاه أن يسفر
بينه وبين الفاروق، فقد ينتهى الأمر إلى وفاق،
ثم تذكر جبلة حساناً - وهو يعلم مكانته فى
الإسلام ومنزلته من عمر، فأمر بإعداد هدية
فاخرة يحملها الرسول إلى الشاعر الصديق،
وأن يخبره أنه فى شوق إلى زيارة المدينة،
وسيعلم حسان ما وراء تلك الجملة من معان،
فقد يهب من فوره إلى لقاء عمر، ويستلين وده
ببعض ما يجيد من الأقوال، وعمر سيرحم
الملك النازح فى منغاه السحيق !

ظل جبلة ينتظر الرد على قلق، وقد جاش
بخاطره الشعر فقال معبراً عن ذات نفسه :

تنصرت الأشراف من أجل لطمه

وما كان لو أنى صبرت لها ضرر
وشاء الموت أن يأتى بحكمه الفاصل فأنقذ
ملك غسان من حياته قبل أن يعلم شيئاً عن رد
الفاروق.

﴿ فَتَشَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُوْنَ ﴾

اسْتِفْئَاتُ الْقُرَاءِ

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين»
اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ١٨١ لسنة ٢٠٠٨م المتضمن: أنه وردت أسئلة إلى الإدارة العامة للمجلة، للإجابة عنها في باب استفتاءات القراء.

الوصية

● ورد من السيد ع. أ. ع.
أنا شخص كفيف، أوصى لي والدي بجزء من أملاكه لم يزد عن الثلث، وبعد وفاته ورثت مع إختوتي الأشقاء وغير الأشقاء، فهل ما كتبه لي والدي حقي الشرعي، علما بأن ذلك تسبب في مشاكل مع إختوتي بعد وفاة أبي؟

● الجواب: تصح الوصية للوارث وغيره وتنفذ في حدود ثلث التركة بغير حاجة إلى إذن الورثة، ولا تنفذ في الزائد عن الثلث إلا بإذن الورثة كل في نصيبه إذا كانوا من أهل التبرع عالمين بما يجيزونه، وهذا ما عليه الفتوى والقضاء في الديار المصرية، اختياراً

«البقرة: ١٨٠»

محتجين بأن نسخ الوجوب لا يستلزم نسخ الجواز، وحملوا ما روى عن النبي

ﷺ من قوله: (لا وصية لوارث) على نفى الوجوب لا على نفى الجواز والصحة، وبهذا الرأي أخذ القانون المصري فأجاز في مادته ٣٧ بالقانون رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ الوصية للوارث فقال: «تصح الوصية بالثلث للوارث وغيره وتنفذ من غير إجازة الورثة، وتصح بما زاد على الثلث ولا تنفذ الزيادة إلا إذا أجازها الورثة بعد وفاة الموصي وكانوا من أهل التبرع عالمين بما يجيزونه». أهـ

ومن المعلوم أن حكم الحاكم يرفع الخلاف وأن لولي الأمر أن يتخير ما شاء من أقوال المجتهدين والعمل به واجب والخروج عنه حرام، لأنه من قبيل الافتيات على الإمام، فمن أوصى لوارث في الديار المصرية نفذت وصيته ووجب العمل بها لذلك.

وعليه وفي واقعة السؤال فوصية والدك لك صحيحة، وهي حق شرعي لك، ما دامت لا تزيد على ثلث تركته.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

صوت المرأة

● ورد من السيدة ف. م. ع.
ما حكم جهر النساء بقراءة القرآن الكريم في بعض الاحتفالات الدينية أو العائلية؟
● الجواب: دلت نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة على أن صوت المرأة ليس بعمرة، وأن المحرم إنما هو خضوعها بالقول، أي إلتئها للكلام بطريقة تطمع أصحاب القلوب المريضة:

فيحكي الله - تعالى - كلام سيدنا زكريا - عليه السلام - للصديقة العذراء مريم - رضى الله عنها - ويحكي ردها عليه في سياق تفضيلها وتكريمها من غير تكبر، فيقول سبحانه:

﴿ كَلَّمَادَخَلَ عَلَيْهَا

زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْزِيهِمُ أَنْ لَوْ هُنَا

قَالَتْ قَوْمٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ يَرْزُقُونَ مِنْ شَاءِ بَعْضِهِمْ حَسَابٍ

«آل عمران: ٣٧»

وكذلك كلام بنت الرجل الصالح لسيدنا موسى - عليه السلام - ومخاطبتها له مع حيائها:

﴿ فَأَتَتْهُمُ إِحْدَاهُمَا تَتَشَوَّى عَلَى أَسْتَحْبَاءٍ وَقَالَتْ إِنَّكَ لَأَيُّ يَدْعُوكَ لِتَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

«الفصل: ٢٥»

ويخاطب سبحانه نساء النبي ﷺ بقوله:

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾

«الأحزاب: ٣٢»

فهذا نهى عن الخضوع بالقول، وأمر بالقول المعروف، وذلك يدل على أن صورتها ليس بعورة، إذ لو كان عورة لكان مطلق القول منها منكراً، ولم يكن منها قول معروف، ولكان تخصيص النهي بالخضوع عديم الفائدة.

ومما يؤكد ذلك أن الرجل منهي أيضاً عن الخضوع في كلامه لغير امرأته، جاء في لسان العرب ٧٢ / ٨ «للعامة ابن منظور: وخضع الرجل وأخضع ألان كلمه للمرأة، وفي حديث عمر - رضي الله عنه - أن رجلاً في زمانه مر برجل وامرأة قد خضعا بينهما حديثاً فضربه حتى شجه، فرفع إلى عمر - رضي الله عنه - فأهدره - أي: لينا بينهما الحديث وتكلما بما يطعم كلا منهما في الآخر - ... وقال رؤية: من خالبات يختلبن الخضعا، قال ابن الأعرابي: الخضع اللواتي قد خضعن بالقول وملن، قال: والرجل يخاضع المرأة

وهي تخاضعه إذا خضع لها بكلامه وخضعت له ويطمع فيها، ومن هذا قوله:

﴿ وَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾

الخضوع: الانقياد والمطاعة.. وفي الحديث: أنه نهى أن يخضع الرجل لغير امرأته، أي يلين لها في القول بما يطعمها منه.

وأما السنة النبوية الشريفة: فالأدلة فيها على أن صوت المرأة ليس بعورة أكثر من أن تحصر، فقد كان النساء يأتين إلى النبي ﷺ يخاطبنه بحضور الرجال ولا ينهانه، ولا تصح دعوى الخصوصية هنا، لأنه ﷺ لم يكن يأمر من يسمعون غيره من الرجال بالقيام عن المجلس، ولو كان صوت المرأة عورة لكان سماعه منكراً، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

وجاء في السنة النبوية سماع النبي ﷺ لصوت الفتيات اللاتي كن يغنين في المناسبات المختلفة كذكريات أيام النصر وأفراح الأعراس، من غير إنكار عليهن إلا في الألفاظ المخالفة للشرع، بل إنما أنكر على من أنكر عليهن غناءهن:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي أبو بكر وعندي جاريستان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعث، فقال أبو بكر: أئتمز مور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ! - وذلك في يوم عيد - فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا» متفق عليه.

وعن الربيع بنت معوذ - رضي الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عندها غداة بنى عليها فجلس على فراشها وعندها جويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت جارية: «فينا نبي يعلم ما في غد، فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا هكذا، وقولي ما كنت تقولين» رواه البخاري وغيره.

وعن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: كان النساء إذا تزوجت المرأة أو الرجل خرج جوار من جوارى الأنصار يغنين ويلعنن، قالت: فمروا في مجلس فيه رسول الله ﷺ وهن يغنين ويقلن:

وأهدى لها أكبشاً

تجرح في المريد

وزوجك في المنيدي

ويعلم ما في غد
فقام إليهن النبي ﷺ فقال: «سبحان الله! لا يعلم ما في غد أحد إلا الله، لا تقولوا هكذا وقولوا: أتيناكم أتيناكم... فحيانا وحياكم» رواه البيهقي في السنن الكبرى وقال: هذا مرسل جيد.

بل إن النبي ﷺ نذب الناس بنفسه الشريفة إلى غناء النساء في الأفراح:

فلما أنكحت عائشة - رضي الله عنها - ذات قرابة لها من الأنصار جاء رسول الله ﷺ فقال: أهديتم الفتاة؟ (زفة العروس إلى زوجها) قالوا: نعم، قال: «أرسلتم معها من يغني؟» قالت: لا، فقال: «إن الأنصار قوم فيهم غزل فلو بعثتهم معها من يقول: أتيناك

أتيناكم... فحيانا وحياكم» رواه ابن ماجه وأحمد.

وفي رواية الطبراني في الأوسط: أن النبي ﷺ قال: «ما فعلت فلانة؟» فقلت: أهديتها إلى زوجها، قال: «فهل بعثتم معها بجارية تضرب بالدف وتغني؟» قالت: تقول ماذا؟ قال:

«تقول: أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم ولولا الحبة السمراء ما سمعت عذارىكم» وروى أبو الشيخ في كتاب النكاح من طريق يزيد بن حفصة عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ مر بجوار بناحية بني جذرة وهن يقلن: فحيونا تحييكم، فقال: «قلن: حيانا الله وحياكم»، ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٢٢٣ / ٩.

بل جاء في حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - عند الغاملي في أماليه أن النبي ﷺ أمر مغنية بالمدينة يقال لها «زينب» بالذهاب للغناء في زفة العروس، وقال لها: «أدركيها يا زينب» كما في «فتح الباري» ٢٢٦ / ٩.

ولم يقتصر إذن النبي ﷺ للمرأة بالغناء وسماعه لذلك على أفراح الزواج ومناسبات النصر، بل تعداه إلى غير ذلك من المناسبات التي يفرح بمثلها:

فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله، إني كنت نذرت إن ردك الله سالماً

أن أضرب بين يديك بالدفع وأتغنى، فقال لها رسول الله ﷺ: «إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا»، فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدف تحت إستها، ثم قعدت عليه، عليه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إنني كنت جالسا وهي تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف» رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

قال الحافظ العراقي في «طرح التثريب» (٥٧/٦): استدل به علي أن صوت المرأة ليس بعورة، إذ لو كان عورة ما سمعه النبي ﷺ وأقر أصحابه على سماعه، وهذا هو الأصح عند أصحابنا الشافعية لكن قالوا: يحرم الإصغاء إليه عند خوف الفتنة، ولا شك أن الفتنة في حقه - عليه الصلاة والسلام - مأمونة، ولو خشى أصحابه - رضى الله عنهم - فتنة ما سمعوا، هذا إن كان حصل منها صوت بدليل قوله في رواية الترمذي «وأتغنى» أه.

إلى آخر ما هنالك مما ورد في السنة المشرفة.

وإذا كان سماع صوت المرأة الذي لا خضوع فيه في القول جائزا في غناء الأفراح مع كونه أكثر مظنة للخضوع والتكسر فلأن يجوز سماع صوتها فيما تقل مظنة ذلك فيه

كالقرآن والأناشيد الدينية من باب أولى. وقد صرحنا نصوص فقهاء المذاهب الفقهية الأربعة في المعتمد عندهم بأن صوت المرأة ليس بعورة:

جاء في حاشية الشيخ العلامة ابن عابدين الحنفى رد اختار على الدر المختار (٤٠٥/١): قوله: «وصوتها» معطوف على المستثنى: يعني أنه ليس بعورة «حلبى».

قوله: «على الراجح» عبارة البهيم عن الحلبي أنه الأشبه، وفي النهر: وهو الذي ينبغي اعتماده أه.

وقال الشيخ العدوى المالكي في حاشيته على شرح الخرشي مختصر خليل (٢٣٧/١): «قوله: لأن صوتها عورة» ضعيف، والمعتمد أن صوتها ليس بعورة في المعاملات وغيرها ما لم يعرض موجب التحريم. شيخنا أه.

وقال في موضع آخر (٢٧٥/١): «لقوله: لأن صوتها عورة المعتمد كما أفاده الناصر اللقاني في فتاويه وشيخنا الصغير أنه ليس بعورة» أه.

وقال الشيخ الخطيب الشربيني الشافعي في «مغنى المحتاج» (٢١٠/٤) طبعة دار الكتب العلمية: «وصوت المرأة ليس بعورة، ويجوز الإصغاء إليه عند أمن الفتنة» أه.

وقال الشيخ علاء الدين المرداوى الحنبلى في الإنصاف (٥٨/٢٠) طبعة هجر: صوت الأجنبية ليس بعورة على الصحيح من المذهب. قال في القسوع: ليس بعورة على الأصح أه.

وقال الإمام ابن حزم في «المحلى» (٥٥/٣):

٥٦: «مسألة: والجهر والإسرار في قراءة التطوع ليلا ونهارا مباح للرجال والنساء، إذ لم يأت منع من شيء من ذلك، ولا إيجاب لشيء من ذلك في قرآن ولا سنة.

فإن قيل: تخفض النساء، قلنا: ولم ! ولم يختلف مسلمان في أن سماع الناس كلام نساء رسول الله ﷺ مباح للرجال، ولا جاء نص في كراهة ذلك من سائر النساء. وبالله تعالى التوفيق أه.

وصرح السادة الشافعية وغيرهم بأنه يجوز للمرأة أن تجهر بقراءة القرآن الكريم ولا يحرم عليها ذلك لا في الصلاة ولا خارجها، وفرقوا بين قراءتها للقرآن وأذانتها، حيث إن الأذان ليس من شأنها بخلاف القراءة.

قال الشيخ عميرة البرلسي في «حاشيته على شرح المنهاج»

(١٧٧/١): «فائدة» صوت المرأة ليس بعورة على الصحيح، فلا يحرم سماعه ولا تبطل الصلاة به لو جهرت أه.

وقال الشيخ الشمس الرملى في «نهاية المحتاج» (٤٠٧-٤٠٨) طبعة دار الفكر: «ولا يشكل حرمة أذانتها بجواز غنائها مع استماع الرجل له، لأن الغناء يكره للرجل استماعه وإن أمن الفتنة، والأذان يستحب له استماعه، فلو جوزناه للمرأة لأدى إلى أن يؤمر الرجل باستماع ما يخشى منه الفتنة، وهو ممتنع ولأن فيه تشبها بالرجال، بخلاف الغناء فإنه من شعار النساء، ولأن الغناء ليس بعبادة والأذان عبادة والمرأة ليست من أهلها فيحرم عليها تعاطي كما يحرم عليها عاطي العبادة الفاسدة

لأنه يستحب النظر إلى المؤذن حالة أذانه، فلو استحبه للنساء لأمر السامع بالنظر إليها، وهذا مخالف لمقصود الشارع، ولأن الغناء منها إنما يباح للأجانب الذين يؤمن اقتنائهم بصوتها، والأذان مشروع لغير معين فلا يحكم بالأمن من الاقتنائ، فمنعت منه، وفارق الرفع هنا الرفع بالتلبية بأن الإصغاء إليها غير مطلوب ويؤخذ مما تقدم في الفرق بين غنائها وأذانتها - من قولنا إن الأذان عبادة وليست من أهلها، ومن أن فيه تشبها بالرجال، ومن أنه يستحب النظر إلى المؤذن - عدم حرمة رفع صوتها بالقراءة في الصلاة وخارجها، وإن كان الإصغاء للقراءة مندوبا، وهو ظاهر، وأفتى به الوالد وهو العلامة الشهاب أحمد الرملى - رحمة الله تعالى - أه.

وعلى ذلك فإنه يجوز للمرأة أن تجهر بقراءة القرآن في الخاف والمنااسبات الدينية أو العائلية، ما دام ذلك بأداء صحيح ملتزم بأحكام التلاوة خال عن الخضوع والتكسر، وأما ما ورد عن بعض السابقين من العلماء بأن صوت المرأة عورة، أو أنها يحرم عليها رفع صوتها حتى لو لم يكن فيه خضوع وتكسر في القول، فهذا نوع من الفقه الذرائعى، وهو أمر أكثر ارتباطا بالزمان والمكان والأحوال والتقاليد والأعراف منه بالأدلة والنصوص، والمحققون من العلماء على أن الإيغال في القول بسد الذرائع غير مرضى، وأن ما يكون سدا للذريعة في زمان أو مكان أو حال أو شخص لا يلزم أن يكون كذلك في كل الأزمنة والأمكنة والأحوال والأشخاص، والمتعين في ذلك هو الرجوع إلى السنة النبوية المطهرة.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الأذان

بين قدسية النداء وإعجاز البناء

للاستاذ / محمد مصطفى البسيوني

ودعوة الأذان كما نرى هي دعوة للجميع فهي ليست موجهة إلى واحد دون غيره، وإنما هي موجهة إلى كافة نقول لهم.

﴿يَقُومَنَّ أَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾

(الأحقاف: ٣١)

هلمسوا إلى الملوكوت الحق الذي تظهر فيه الأبدان، وتنزكي فيه الأنفس، وتنعم فيه الأرواح.

إنها دعوة واحدة موحدة من رب واحد فمن شاء أن يحظى بنصيبه من هذه الدعوة القدسية فليسرعه مهرولاً ملبياً داعي الله.

والأذان في اللغة: مطلق الإعلان، وفي الشرع: الإعلام بوقت الصلاة بالفاظ معلومة مأثورة.

قد يتلقى المرء دعوة تكريم له على إبداع أنشأه أو إنجاز حققه، وقد يتلقى آخر دعوة مضادة تهديداً له بالمساءلة والتحقيق، لجرم جناد أو إثم آتاه.

وفي كلتا الحالتين هي دعوة، بشرية، إما بالثواب أو العقاب على المستوى العرفي بين الناس، أو الوضعي وفق القانون.

والناس مستغرقون بهمهم كله حول هذين النوعين من (الدعوات البشرية) يتوقون إليها إن كانت خيراً، ويتقونها إن كانت غير ذلك.

وكثيراً ما يغفل الناس أو يتغافلون عن نوع آخر من الدعوات تختلف الاختلاف كله عن هذين الضريبتين من دعوات البشر، تلك هي، الدعوة الإلهية، التي يوجهها البارئ الأعظم - عز وجل - إلى عباده في اليوم خمس مرات مع دورة الفلك طيلة الأربع والعشرين ساعة التي هي مسار الليل والنهار.

وهي دعوة الله إلى عباده المفلحين تحمّلها الملائكة عبر حناجر المؤذنين الذين يعلنون داعي الله إلى الصلاة، أو ذلكم هو، الأذان..

فلقد أوجب الله الصلاة على المسلمين ليكونوا دائماً متذكّرين عظمة الرب الأعلى فيجبون أوامره ويحسبون نواهيته، وعلى هذا يقوم عمران الكون وتحقق خلافة الإنسان في الأرض ومن هنا جاء في محكم الكتاب العظيم:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْتَهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

ولكى تتم نعمة الحق - سبحانه - في هذا المجال الحيوي الفعال جعل أفضل الصلاة ما كان جماعة ليذكر المسلمون بعضهم بعضاً حول شئونهم واحتياجاتهم فتقوى روابط الألفة والاتحاد بينهم، فالصلاة بهذا نظام سماوي حكيم لتنظيم أرضى سوى مستقيم.

ومتى حان وقت الصلاة كان لابد من «آلية» تنبه الغافل وتذكر الساهي حتى يكون الاجتماع عاماً، ومن هنا نشأت شرعية الأذان.

ولكن هذا لم يبدأ بالصورة التي نراها الآن، ولكن الأمر اتخذ مراحل عدة أظهرت كيف يتمتع المسلمون منذ صدر الإسلام بملكة النقد والتمييز بين السلب والإيجاب حتى يستقر الخلق على ما أراد الحق.

ذلكم هو الأذان الذي يدعونا بنفسه إلى تأمله وتدبره والتفكير فيه، بل وتذوق صيغته وتناسق بنائه، والعمل به بتوفيق من أعظم داع، وخير مجيب جل شأنه وعز سلطانه.

وأول ما يدعونا إليه التذوق المتأمل في صيغة الأذان أن نرى كيف أنه يبدأ بلفظ

الجلالة (الله) عندما يقول: - الله أكبر - كما أنه ينتهي كذلك بنفس اللفظ المقدس الذي لا نعرف له سمياً وذلك عندما يختم الأذان بعبارة الحق المطلق - لا إله إلا الله -، قاله سبحانه في الأذان هو الأول والآخر، وهكذا نتأمل لفظ الجلالة يحتضن نداء الحق كقوسين جليلين مقدسين لا نهائيين.

ثم ينتقل هذا النداء العلوي إلى شهادة الحق التي هي مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة وهي «أشهد أن لا إله إلا الله» وتأمل كيف تأتي هذه الشهادة بصيغة «المتكلم المفرد» وهي - أشهد - ولم تأت بصيغة «المتكلمين» - نشهد - وذلك إشارة إلى أن هذه الشهادة - شخصية - من منطلق:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

(الأنعام: ١٦٤)

يقر بها المؤمن ويسأل عنها وحده يوم القيامة إذا كان قد عمل بمعناها صدقاً لا رياء، وتعامل بفحواها حقاً لا مرأى أو ردها مجرد ترديد دون أن تغادر لسانه إلى قلبه ولبه وسلوكه الميداني في الحياة، إذ أنتى عندما أشهد - وحدي - بأنه لا إله إلا الله فمعنى هذا أنتى أقر (شخصياً) بأننى لا أعبد غيره سبحانه، ولا أوقر سواه - عز وجل - بهما كان هذا (الغير) بشراً أو حجراً أو معنى من المعاني، إذ يقول بعضهم في أوربا مثل الفيلسوف الفرنسي «ريجيس دوبريه» إنهم قد تخلوا عن فكرة - الله - منذ ما يسمونه بالنهضة الأوروبية واستبدلوا بها فكرة حقوق الإنسان.

ولا يستشعر لذة الإيمان بالوحدانية إلا صاحبها حين تشيع هذه اللذة في أعماقه فيمتلئ إحساساً بالسيادة والعزة مما يترجم هذا الإحساس إلى معرفة المؤمن قدر نفسه بين الناس، فيتواضع في غير ضعة، ويكبر ويعلو في غير استعلاء، ويشمخ في غير خيلاء موقناً ومعتزاً بأنه يعبد إلهاً واحداً لا شريك له وأن هذا الإله - سبحانه -

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

(الشورى: ١١)

انظر إلى مثل هذا المؤمن الحق عندما يؤذن المؤذن للصلاة فيهب لرب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة خاشعاً بين يدي إله عظيم يؤمن به ولا يتمثله، إن هذه وحدها دليل على أن هذا المؤمن إنسان عظيم له إله عظيم في إطار دين عظيم.

فالأذان يبدأ بالتكبير لله - سبحانه - تكبيراً مطلقاً، قاله أكبر ليس أكبر من كل كبير - كما يردد العامة - وإنما هو سبحانه أكبر على الإطلاق ليس على النسبية مع الغير، وحاشاء تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ثم إن هذا - الإله الأكبر - لا بد أن يكون - لا إله إلا هو - وهي صيغة تنفي أولاً كل ادعاءات الألوهية حتى تنظهر الساحة من أي بطلان، وحينئذ يأتي بعد هذا النفي إثبات الألوهية لله الواحد القهار التي هي ليست في حاجة إلى برهان لأنها فطرة تستقر في عمق الكيان البشري ولا ينكرها إلا الميطلون.

١٠. تفسير عبدالله بن أحمد النسفي.

ثم يذكر الأذان بعد ذلك الحبيب المبعوث برسالة الوحدانية ختاماً لكافة الرسائل وتوحيهاً لها، وهنا تتم كلمة الحق سبحانه في تكريم رسوله ﷺ عندما خاطبه جل وعلا بقوله:

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

(الشرح: ٤)

كما قال بعض المفسرين^(١): إن معنى هذه الآية هو أن قرن ذكر محمد ﷺ بذكر الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والخطب والتشهد. فتكون الصيغة القدسية في هذا المجال هي - أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

وارتباط شهادة أن محمداً رسول الله بشهادة أن لا إله إلا الله هو في بعض التأملات ارتباط الخسوس الميداني بالمعقول الروحاني الإيمانى فالاعتتراف بالله ربا يستتبع الاعتتراف بمحمد نبياً ورسولاً، فالإيمان الإسلامى عملة ليست ذات وجهين مختلفين كبقية العملات وإنما هو عملة يشف وجهها كل عن الآخر في تدعيم رصين واتساق متين.

حي على الصلاة

ثم ينتقل الإعلان المقدس بعد ذلك إلى أنه - حي على الصلاة - تذكيراً بهذه الفريضة العظيمة التي فرضها الحق سبحانه على نبيه مباشرة دون واسطة الروحى، وبالطريقة التي ليس لها (كيف) ولا يحيط بها إلا المولى عز وجل، وفي المكان الذى ليس له (أين) ولا يعلمه إلا علام الغيوب سبحانه، ألا تأملت في هذا قوله تعالى عند حفاوة الحق جل وعلا (بعبدك) المصطفى ﷺ:

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۖ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۚ ﴾

(النجم: ١٠، ١١)

والأ أنعمت بصبرتك في ذكر كلمة (عبدك) هنا في محفل المعراج كما ذكرت من قبل في رحلة الإسراء:

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۚ لَيْلًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ سَاجِدًا وَكَائِبًا ۚ لِيَأْخُذَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۚ يُغْشَىٰ بِكُمُومٍ ۚ فَتَنبَهِئُ عَنْ بَلَائٍ ۚ وَأَوْحَىٰ بِالْعَنَاءِ ۚ ﴾

(الإسراء: ١)

تأكيداً لسيادة النبي ﷺ على الخلق اتساقاً مع عبوديته لربه وحده عز وجل؛ كما يبين لنا التأمل في هذا المسار إلى كيف يسوق القرآن الكريم كلمة (ما) بمعنى (الذى) دون تحديد لنستشعر مدى خصوصية الأمر الذى أوحاه الحق عز وجل إلى رسوله ﷺ والذى رآه الفؤاد فما كذبه..... والله سبحانه وتعالى أعلم.

ارتباط الصلاة بالفلاح

وعندما تنتقل عبارات الأذان بعد ذكر الصلاة إلى (حي على الفلاح) نرى مدى ارتباط الصلاة بفلاح الإنسان في أولاه وآخره ويكفى أن تكون الصلاة هي عماد الدين لكي نفهم أنها أساس

٢٠. عن فرائد اللغة.

٢١. لأحمد بن مسنده والبخارى ومسلم عن أبي سعيد مبالجائع الصغير.

الفلاح والنجاح في كل ما يرتبط بالكيان الإيمانى الإنسانى كله فهناك الفلاح في التفكير، والفلاح في التعبير، والفلاح في المسعى، والفلاح في علاقة العبد بربه وعلاقته بكل ما يحيط به من كائنات بل وعلاقته بنفسه التى بين جنبه، ألم تقرأ في كتاب الحق عز وجل:

﴿ إِنِ الْمَسْكُوتُ تَنَهَّىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

وهكذا تحاول التعبير عن تذوقنا معاً للأذان، هذا البناء الشامخ إلى السماوات، وكأنه ينادى في ابتهاج، والراسخ في أعماق الأرضين وكأنه يبت أسرار الخصب والنماء بجذوره المتعانقة التي تنز في قوتها متانة جذور الجبال الراسيات.

ولم لا؟ أليس مؤلفاً من كلمات طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى ثمارها الإيمانى كل حين على مدى الليل والنهار بإذن ربها الكبير المتعال.

ومن جمال الاتساق في صيغة الأذان ما نقل عن «السيوطى» رحمه الله أن الأذان إعلام بورود الوقت، والإقامة للصلاة أمانة بقيام الصلاة، والأذان إعلام للغائبين فيكون ليكون أبلغ في إعلامهم بينما الإقامة إعلام للحاضرين فلا حاجة إلى تكرارها^(٢).

ويروى عن النبي ﷺ أنه أوصى بأن: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»^(٣).



الرافعي.. هذا العقل المسلم!!

لأستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب

حين ننسى تاريخنا الأدبي.. كله.. أو بعضه.. يصيبنا من هذا النسيان دوار يفيم الرؤية ويشوه من حقائق الأشياء ويعطى المحدثين من أدبائنا وشعرائنا على السواء انطباعاً عارماً يخيل إليهم أنهم فعلاً جيل بلا أساتذة.. أو حاضري بلا ماض على الإطلاق!!

وقد لا ننسى تاريخاً عمداً.. فالذين يحرقون إمكانية الخصب في تراب أرضهم صغار لا يستحقون حتى مجرد أن يكون لهم انتماء إلى تاريخ معين أو تراث حضاري بالذات.. ولكن النسيان قد يكون شيئاً من غباء التضيق لا من غباء الرفض ومادامت النتيجة في نهاية الشوط طرحاً لا جمعاً، فالذين يقضون في منحنى هذا المنطلق يحملون كل وزر القضية وقد يحملون بعد ذلك منطق التجريم!

حكم في غير صالح الجيل على أية حال، إن لم يكن بدينونة الرفض فبرعونة التضيق!

إن الرافعي، على مستوى فكري بحث، يجب أن يظل في منطقة الضوء؛ فالقضايا التي أثارها قلمه منذ عشرات

والمفكر العربي «مصطفى صادق الرافعي» واحد من أولئك الذين فرضوا أنفسهم على تاريخنا الفكري فأصبح بذلك جزءاً من هذا التاريخ، ونسبته هكذا مدخل إلى حكم قد يكون قاسياً على جيلنا بأكمله وقد لا يكون، ولكنه

﴿ تَقْصِرُ عَنْهُمْ
جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

(الزمر: ٢٣)

وذلك عندما يحين الموعد واللقاء مع الداعي الأعظم جل وعلا، ولا شك في أن هذه الشحنة الإيمانية (الوجدانية) الصادقة هي بمثابة الدافع المتدفق، والطاقة الهائلة المتولدة في الجوانح مما يقود المؤمن (المدرِك) للموقف، والعامر (بالوجدان) الإيماني إلى (نزوع) متلهف إلى لقاء الحق سبحانه فيسرع للحاق بالصفوف السبابة إلى الدعوة، وتلبية النداء.

فكم منا قد مر بهذه التجربة (الشعورية) حين يؤذن المؤذن للصلاة؟ أم أننا قد اكتشفنا بترديد فقرات الأذان تلقائياً، وربما لا نحس بما يرفع به المؤذن عقيرته، حتى إذا انتهى النداء ونحن لم نقشرب بعد من المسجد تباطؤاً لمسامرة صديق في الطريق حول مسألة دينوية طارئة أو مشكلة حياتية تافهة تخرضنا على التباطؤ مما يفوت علينا الركعة تلو الركعة.

أما الغافلون والمتعاقلون فإن الأذان لم يدخل لديهم في صميم الشعور ولكنه توقف عند (هامش الشعور)، ويخشى أن يحق عليهم قول الحق سبحانه في المنافقين:

﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى ﴾

(النساء: ١٤٢)

«يتبع»

وعندما يأمرنا النبي ﷺ بأمر ما فينبغي أن نتأمله ونشعر به بل ونعايشه أيضاً، قال النبي ﷺ في هذا السياق لا يريدنا قطعاً أن نردد الأذان مجرد ترديد باللسان ودون إعمال الفكر والجنان، إنما يريدنا أن نعي النداء وعياً كاملاً حتى تلمس معانيه شغاف قلوبنا فيسرى في الأعماق مسرى النور في الآفاق، وحتى لا يكون الكلام أمراً رتيباً لا معنى له ولا روح فيه.

ظلال الأذان في علم النفس

وقد اهتدى أصحاب علم النفس إلى مثل هذا الهدى النبوي الكريم عندما تحدثوا عن ظاهرة نفسية هي ظاهرة (الشعور) فقالوا إن شعور الفرد بالشئ له مظاهر ثلاثة هي: الإدراك، والوجدان والنزوع.

أما الإدراك فهو معرفة الشئ وتمييزه، وأما الوجدان فهو الأثر الداخلي الناشئ، عن هذا الإدراك، وأما النزوع فهو الاستجابة العملية لهذا الأثر الداخلي أو الوجدان، ومن هنا قيل: إن الشعور هو إحساس وتأثر الإنسان بما يحيط به من أشياء.

وإذا أردنا أن نطبق هذا على موضوع (الأذان) نرى أن إدراكنا له هو (معرفة) نداء المؤذن وتمييزه عن غيره من النداءات، وهذه المعرفة تقتضي أن (نتفهم) معاني ما يقوله المؤذن، وعندما يعمل هذا الإدراك عمله الإيماني في قلوبنا وأعماقنا تتم هنا عملية الوجدان حيث:

الستين ما تزال حبة جاثشة في معتركنا الأدبي حتى اليوم، وما تزال آراؤه فيها حية وقابلة للحياة، وقادرة إلى جوار ذلك على الفعل عبر أجيال وأجيال.

ولقد اخترت أن أتحدث عن الراقعي عن موقفه من قضية الشعر عاشقاً وناقداً فربما كان هذا الجانب هو أضواء الجوانب الفكرية جميعاً في شخصية هذا الرجل، وربما كان ذلك أدل على مزاجه الفني ومنطلقه في تناول الأشياء؛ فالراقعي شاعر قبل كل شيء، شاعر حتى وهو يكتب المقال والبحث والنظرية النقدية، حتى وهو يدير بيته وبين مقاتليه بالقلم الحوار.

أنا إذن في هذه السطور سأتناول موقف الراقعي من قضية الشعر وموقفه من قضية النقد، لنرى معاً إلى أي مدى كان تحليله الفكري حين يتحدث عن أخطر قضايا المعاصرة يفكر كاشف ووعى عميق.

قضية الشعر

ولنبداً بالتعرف على ملامح موقفه من قضية الشعر، وأرجو أن لا يلفتنا شيء عن حقيقة أنه كان شاعراً أولاً وإذا لم يكن الرجل شاعراً فماذا نسميه حين يقول بحساسية بالغة النفاذ والعمق: «الشاعر هو ذاك الذي يرى الطبيعة كلها بعينين لهما عشق خاص، وفيهما غزل على حدة؟»

أي أن الشاعر كما يرى الراقعي متفرد

بالبصر الشاقب في أسرار الكون وألفاف الطبيعة مدفوعاً إلى ذلك بنوعية خاصة مؤهلة بالعشق الكوني، والغزل الطبيعي لقشور الوجود ومضامينه على السواء؛ فإذا وفق الشاعر على نحو صوفي للترقي إلى هذا الأوج من العشق الثنائي للوجود قشرباً وجوهرياً فإنه أي الشاعر مطالب بعد - على مستوى شعري - بالغوص وراء الجوهرى والصميمي من الأشياء.

إن الراقعي ليلتقى مع أكثر النظريات النقدية حداثة ومعاصرة إذا ما تحدث عن الشعر، فإن ما يطلب الآن من الشاعر ليس هو التماس القشري مع سطوح الأشياء في مجال الكون، أو مجال النفس، بقدر ما هو معانقة ما وراء السطوح والأشكال وليس يطلب من الشاعر أن ينقل إلينا الطبيعة بقدر ما يطلب إليه أن ينقل إلينا إحساسه بالطبيعة، ولقد فطن الراقعي إلى هذه الحقيقة فقال في معرض حديثه عن فلسفة الشعر ونقده: «والشعر في أسرار الأشياء... لا في الأشياء نفسها».

إن الشعر كما يرى الراقعي استقطار لمعنى الحياة الخالد الأبدى وليس مجرد تداعيات هشة وساذجة، تخاطب على الأكثر في إنسانها المتلقى نوازع عرضية وقشرية ومجانية... وهو من هذا المنطلق يضع الشعر والدين.

يقول: «ولو سئلت أزمان الدنيا كيف فهم أهلها معاني الحياة السامية، وكيف

راوها في آثار الألوهية عليها؟ لقد تم كل جيل في الجواب على ذلك معاني الدين ومعاني الشعر».

وهكذا يعطى الراقعي إمكانية الكشف الملون بإمكانية الرحي، ويؤكد أن الشعر ليس ترفاً عائماً في حياة الناس بقدر ما هو معنى من معاني الحياة السامية التي نراها دائماً في آثار الألوهية عليها.

ويرى الراقعي أن الشاعر إذا كان مطالباً بتجلية غوامض الكون وتفسير قضايا الوجودية، فهو ليس مطالباً على الإطلاق بالبحث عن حقائق خالية من الجماليات، بقدر ما هو مطالب بالبحث عن جماليات لا تخلو من الحقائق، وفي هذا الصدد يقول الراقعي: «وليست الفكرة شعراً إذا جاءت كما هي في العلم والمعرفة فهي في ذلك علم وفلسفة وإنما الشعر في تصوير خصائص الجمال الكامنة في هذه الفكرة»!

وهنا نتذكر الضجة المثارة الآن حول قضية «الشعر والفكر» إيجاباً وسلباً ونذكر للراقعي تهديده إلى هذا المفهوم الحقيقي والمعاصر للشعر في كلماته الفاهمة «وإنما الشعر في تصوير خصائص الجمال في هذه الفكرة».

وليست الفكرة التي يتحدث عنها الراقعي من لون الأفكار العابرة في حياة الناس، وإنما هي الفكرية الشمولية الكونية التي تسيل على قلمه حين

يقول: «الشعر فكرة الوجود في الإنسان وفكرة الإنسان في الوجود»... ونحن نطلق مع الراقعي من حديثه عن الشعر كعاشق وفنان إلى حديثه عنه ناقداً ومفكراً تحببها في هذا الصدد حقائق كثيرة، في طليعتها أن الراقعي غيور على الشعر بقدر ما هو غيور على شيء مقدس.

فهو ساخر حتى الأغوار من أولئك النقاد الذين لا يزيدون في تقديمهم على أن يسبحوا معلقين على كلام الشاعر كأنهم شروح على منته الموجد ويسخر من أولئك الذين «يتناولون الشاعر باعتباره رجلاً له موضعه من الناس، ومنزله من الحياة ثم لا يعدو ذلك» ويرى أن الناقد الحقيقي: «يجب أن يجمع إلى الإحاطة بتاريخ الآداب وتقصى مواردها ذوقاً فنياً مهذباً مصقولاً ثم يجمع إلى هذين «أي الإحاطة والذوق» تلك الموهبة الغريبة التي تؤلف بين العلم والفكر واغيلة فتبديها من المؤرخ، الفيلسوف، الشاعر، العالم شخصاً من هؤلاء جميعاً هو الذي نسميه «الناقد الأدبي».

وأعتقد أن هذا المستوى الصوابي في ثقافة الناقد هو ما يحوز المرحلة التي نحيها أعماقاً وأبعاداً؛ فإن شلل الإبداع الفني الذي يوشك أن يكون سمة المرحلة ليس شيئاً منفصلاً تماماً عن شلل الفكر النقدي المعاصر، الذي يرجع بالدرجة الأولى إلى نضوب ثقافة الناقد أو ضمورها على أحسن الفروض! وإلى

تقحم النقاد ميادين لم تزهلهم ملكاتهم النقدية أساساً إلى تقحم مجاهلها الكثيفة، ولقد يعزز الراجعي رأيه في هذا الصدد حين يعاود الحديث عن هذه القضية مرة أخرى فيقول: لا ينبغي لنقد الشاعر والكلام عنه إلا شاعر كبير يكون ذا طبيعة في النقد أو كاتب عظيم يكون ذا طبيعة في الشعر، أي لابد من الأدب والشعر معاً لنقد الشعر وحده، فيأتي الكلام فيه من العلم والذوق والإحساس والإلهام جميعاً.

ولقد يتهم الراجعي بأنه كاتب «جمالي» يعني بالقضايا الكلية المجردة لأنه لا يستطيع أن ينزل إلى أرض التطبيق وربط الشعر بقضايا الإنسان ومعاناته الحياتية والراجعي لا يرفض هذا الاتهام ولا يريد - فيما نظن - لأحد أن يدفعه عنه ولكنه يأخذ هذا الاتهام من يديه جميعاً، ليضعه في موضعه الصحيح من قضية النقد وقضية الفن على السواء، إن دراسته للشاعر الكبير حافظ إبراهيم تبرز هذا الفهم إبرازاً لا يحتمل من أحد أن يزيد عليه بتأويل لأنه يضع الرؤية الشعرية ابتداءً في مفترق بين التعبير عن معاناة الشاعر الاجتماعية، وللتعبير عن خوالج عالم الإنسان، ثم يتحاز إلى التعبير الإنساني الشامل من أول الطريق، رافضاً أن يكون الشاعر عظيماً لأنه يعبر عن معاناة اجتماعية: «قال الشاعر الاجتماعي شاعر في حيز محدود من وجوه الشعر ومذاهبه، وإذا

كان الاجتماع كل شعره فلا يسمى شعره فناً إذ كان الفن إنسانياً، وكان شاملاً، عاماً».

وكذلك يستقيم الفهم السوي للراجعي في هذه القضية، قضية أن يكون الشعر بوقاً اجتماعياً أو لا يكون، فليس مجد الشاعر أن يتغنى بدخان المصنع، وفأس الخطاب وهزائم البسطاء بقدر ما هو استقطاب الإنسان الأعلى في كل متازع تفكيره الروحي والحياتي بما في ذلك معاناته الاجتماعية، «فالفلسفة الشعرية كلها أن يحل في الشاعر الملهم ذلك السر الجميل الجاذب والمنجذب معاً المستقر والتحول جميعاً، الباطن والظاهر في وقت، فيكثفه الشاعر ما لا يدركه غيره» كما يقول الراجعي.

وهنا لابد أن يرد تعريف الراجعي للخيال الشعري، كواحد من التعاريف التي تطلق الخيال في فضائه اللانهائي ولا تكبل أجنحته الطائرة في أفق واحد مكسور يقول الراجعي: «إن الخيال الشعري يزيج بالحقيقة في منطق الشاعر لا ليقلبها عن وضعها ويحيى بها ممسوخة مشوهة ولكن ليعتدل بها في أفهام الناس ويجعلها تامة في تأثيرها.. وتلك من معجزاته.. إذ كانت فيه قوة فوق القوة، عملها أن تزيد الموجود وجوداً بوضوحه مرة وبغموضه مرة أخرى».

وعلى غير موعد تفجؤنا كلمة

الراجعي: «وبغموضه مرة أخرى» إن ما يتصايح به النقاد من أن اكتشاف الغموض في الشعر الحديث كواحد من الشواهد المميزة إضافة لها قيمتها ولها خطرهما في آن، فقد فطن إليه الراجعي وهو ماضٍ في طريقه لا يتشدد بأنه قد صادف كشفاً أو قريباً من الكشف، حين أكد أن من معجزات الخيال تعميق وجود الموجود بالوضوح مرة وبالغموض مرة أخرى، صحيح أننا لا نتعامل اليوم مع القصيدة التي تبذل نفسها من أول لقاء وعند أول قراءة بقدر كافٍ من التقدير ولكننا نتعامل بأقدار من الإعزاز مع القصيدة الأخرى التي تخفي أكثر مما تبدى وتسر أكثر مما تعلن، أولاً: على أن يكون إسرارها وغموضها ليس حائطاً غير قابل للكسر وإلا لاستحالت القصيدة إلى نبع جاف وجامد تماماً، وثانياً: على أن يكون وراء هذا الغموض ثراء في الرؤية الشعرية، وزخم في الخيال الشعري، وغنى في الخلفية الفلسفية التي يصدر عنها الشاعر، وثالثاً: على أن يكون الغموض في القصيدة الشعرية غموضاً نابعاً من عفوية ذات ثراء خاص وليس نابعاً من عمدية فجأة، هادفة أساساً إلى الظهور بمظهر الشعراء الفلاسفة أو الفلاسفة الشعراء!

وغير خاف هنا أن الراجعي لم يتعرض لقضية الغموض.

على هذا النحو التفصيلي ولكن يكفيه فعلاً أن يكون قد اهتدى إلى أساس للقضية وجاوزها إلى ما يريد! هذه لحات خاطفة أو قل بعض انطباعات عن رؤية الراجعي مبدعاً وناقداً في مجال الحديث عن الشعر، وهي رؤية إن لم ترتفع إلى مستوى النظرية الأكاديمية المحددة الملامح والسمات فقد ترتفع إلى مستويات الفهم الأولى لعملية الإبداع والخلق في بكاره ميلادها الأول. وإذا كان للنظرية دورها الإيجابي في تعميق الدراسة الأكاديمية المتخصصة فإن كونها نظرية يضعها دائماً في مهاب التغيير كلما أتت لنظرية أخرى أن تدفع موجهها في عباب الخضم النقدي والفكري وفي الوقت الذي تظل فيه الرؤية من نوع ما كتب الراجعي، محتفظة ببقائها وشموليتها لأنها لم تقف عند رصد الظاهر الخس، وإنما تغلغل إلى مواطن التعرف على سمات الجمال والجلال في ملامح وجه العمل الفني.. وليست سمات الوجه الحقيقي مما يقبل التغيير.. والتجوير!

على أية حال:

أرجو أن تراجع - كجيل - موقفنا من قسمنا الفكرية.. حتى وإن تراجعت بيننا وبينهم آراء الخلافات.. فإن أختلف معك.. وأن تختلف معي.. شيء مغاير حتى الأعماق.. لا أن ألوث قلبي بكرهاتيك، وأن تلوث يديك بدماء تاريخي المذبح!

الإسلام والغرب

للدكتور/ حمدي فتوح والي

أقربهم مودة!!

لقد أحسست تجاه هذا الموقف بشعور غريب هو مزيج من السعادة والألم والإعجاب والأسف.

كانت سعادتي عظيمة لوجود هذا الصنف من علماء التصاري، بعد أن ظننت أن هذا النموذج الفريد لم يعد موجوداً. وأدركت المعنى الحقيقي لقول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ إِنَّكَ لَمَعَ بَيْنَهُمْ قَتِيلِينَ وَرَبُّكَ نَأْوَاهُمْ إِلَيْكَ فَانْصَبْ يَدَكَ فِي رِجْلِكَ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْلِقُ مَا يَشَاءُ وَمَا يُرِيدُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُنَاصِرُ﴾

(المائدة: ٨٢-٨٣)

لم أصدق عيني عندما قرأت شريط الأخبار في قناة الجزيرة، ورأيت دعوة كبير أساقفة «كانتيري»، أمام مجلس العموم البريطاني، إلى ضرورة الأخذ بقوانين الشريعة الإسلامية، وإدخالها في قوانين بريطانيا.

وانتظرت عودة الشريط مرة أخرى وأنا في شوق شديد لتأكد من قراءته، ولأقنع نفسي أنني لست وأهما، وقرأت الخبر مرات ومرات وقلت في نفسي ربما كان انفعالا وقتياً من رجل منصف في لحظة صدق مع الذات وسينتهي الخبر بمجرد إذاعته، لكن المفاجأة أن قناة الجزيرة أذاعت الخبر في اليوم التالي وقد أفردت له مساحة واسعة ونقلت معه مشاهد حية من قاعة مجلس العموم البريطاني، وصورة للأسقف وهو يدافع عن وجهة نظره مدعومة بمؤيديه من رجال الدين النصارى، ومرفوضة من معارضييه من الاتجاهات الأخرى ولم أصدق أنني أتابع هذه المشاهد من داخل البرلمان البريطاني الذي ينظر إليه على أنه حامي حمى النصرانية في العالم.

أحداً بالدخول في دينهم، وبرغم هذا نرى الإقبال المدهش على الإسلام، وتخرج الإحصائيات لتؤكد دخول الآلاف في الإسلام كل يوم لنزداد يقيناً بقول ربنا سبحانه:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

الصف: ٩

شعور وطني وليس ديني!!

وبرغم ما يقال من أن دوافع هذا الأسقف إلى الاعتراف بعظمة الشريعة الإسلامية وجدارتها بحل المشكلات المستعصية، راجع إلى شعور وطني لدى الرجل وليس إلى شعور ديني، أي أن الرجل أدرك أن مصلحة وطنه وتحقيق أمنه واستقراره لن يتأتى إلا بالأخذ بمبادئ الشريعة الإسلامية فاعترف بذلك. فإن هذا لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً، وهو أن الإسلام هو دين البشرية الخالد، وأنه دين المستقبل بلا نزاع أو جدال، وأنه وحده القادر على تحقيق سعادة الإنسان في دينه، ودينه بشهادة خصوم الإسلام.

ومليحة شهدت لها ضراتها

والفخر ما شهدت به الأعداء ولعل سائلاً يسأل: لماذا ذكرت هذا الموقف المعترف بعظمة الإسلام وضربت صفحاً عن حرب الإساءة إلى الإسلام

لقد قرأت هذه الآية من قبل مرات ومرات لكنني أشعر اليوم أنني أمام حالة من الإعجاز الإلهي للقرآن العظيم، عندما أرى أن أبطال هذا الموقف العظيم هم من رجال الدين النصارى أي أنهم هم القسيسون وأنهم لم يستكبروا عن الاعتراف بعظمة هذا الدين وأحقية بأن تطبق أحكامه في قوانينهم، ولم يجدوا في أنفسهم ما يمنعهم من الجهر بأحقية الشريعة الإسلامية بأن تدخل في قوانينهم، وأن تطبق في حياتهم، وقلت في نفسي: إن كان هذا هو موقف أعداء الإسلام وخصومه من قساوسة النصارى، اعتراف بالإسلام وإقرار بأحقية في أن يسود وأن يقود، ويقينهم بأن أعقد مشكلاتهم وأخطر معضلاتهم لن يحلها إلا مبادئ الشريعة الإسلامية. فكيف غاب عن أبناء الإسلام هذا الفهم؟ وكيف وصل بهم الحال أن ينتسبوا إلى الإسلام وهم يجهلون؟ وأن يطالب به الأعداء دستوراً ومنهجاً وهم يمنعون؟ وأن تطرح أحكام الإسلام تشريعاً وقانوناً في مجالس التشريع الأوروبي ومجالس المسلمين يعطلونه؟ وأن تقبل الدنيا كلها على الإسلام عقيدة وثقافة بينما كثير من أبناء المسلمين يهملونه؟

وما زادني إعجاباً بموقف هؤلاء الأساقفة وإعلان شهادتهم على أهل الأرض جميعاً، هو أن هذه الشهادة تأتي والمسلمون في أسوأ أحوالهم، جهلاً وتخلفاً وتبعية، أي أن أحوالهم لا تغري

ورسول الإسلام التي تتفجر من حين إلى حين؟ لماذا نسيت هذه وذكرت ذلك، وكلاهما يصدر من معين واحد؟

وأقول لك... إن هذه الحرب دليل آخر على عظمة الإسلام وقوته وشاهد صدق على خلود الإسلام وحيويته. فهؤلاء القوم لا يفرعون إلا من شيء ذي سلطان قاهر على نفوسهم، لا يملكون منه مهرباً ولا يجدون من ملاقاته مفراً، وكلما نهيات وسائل النشر، وتيسرت أسباب الاتصال، وسقطت الرقابة على الأفكار والعقول ولم يبق سلطان إلا للحقيقة المجردة، والدليل المقنع والبرهان الصادق، رأى أهل الغرب أن الإسلام وحده يملك كل هذه المقومات، فلا يملكون إزاء ذلك إلا إثارة الغبار، ولفت الأنظار، وشغل عوامهم وصبيانهم، وصرفهم عن تعمق الحقائق وسبر الأغوار. فلا يجدون إلا هذه الوسائل الرخيصة التي جربها من قبل أسلافهم من الكفار في قريش، عندما لم يجدوا لأنفسهم قدرة على مقاومة سلطان القرآن وإعجازه، فتواصوا بالشغب عليه وعدم تهيئة الفرصة للاستماع له:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَايَةِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ﴾

فصلت: ٢٦

ولقد رأينا كيف ذهب تدبيرهم الساذج أدراج الرياح. وكيف انساب هذا الدين في الأرض، حتى طوى بين جناحيه

أقوى دولتين في الأرض هما الفرس والروم في أقل من أربعين عاماً. وكيف استمتعت شعوب الدنيا بالفاتح العربي المسلم، الذي أعطى من نفسه لیسعدوا، وتعب لیستریحوا، وبذل من أجلهم لیربحوا. وإذا كنا قد أبرزنا صورة لواقع الغرب بشقيه النصف والمتحامل. وأدركنا أن كلا النموذجين دليل على عظمة الإسلام وحيويته وكماله، فإن الإنصاف يقتضينا أن نسأل - في دهشة - إذا كان الإسلام بهذا الاكتمال منهجاً، وبهذه الحيوية والدقة تشريعاً، وبهذا السمو والكمال أخلاقاً وسلوكاً فما الذي يحصل بينه وبين أن يسود في الأرض وأن يقود كما ساد وقاد أول مرة. والجواب هو أن الإسلام وجد من أهله يومها صدقاً في التلقى وعمقاً في الإيمان. وجدية في التطبيق، وعدلاً في التنفيذ، وإحساناً في العرض، ونضحية وبذلاً في السعي به بين الناس، فاستحقوا من الله النصر، وكانوا أهلاً للتمكين، وصدق فيهم قول خالقهم سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

العنكبوت: ٦٩

أركان الدعوة

وعندما توفرت للدعوة أركانها من منهج رباني حكيم وداعية مؤمن صادق

انفتحت القلوب لنور الله. فاكتملت ملامح الأمة الإسلامية، وقامت في الأرض خير أمة أخرجت للناس.

وإذا كان المنهج هو القرآن. وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. وإذا كان الإنسان هو الإنسان بما ضم من نفخة الروح الإلهية، وبما احتوى عليه من رصيد الفطرة الربانية:

﴿فَطَرَتُ أَهْلَ الْأَرْضِ النَّاسَ عَلَى مَا لَبِذِلَ يَخْلُقُ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

الروم: ٣٠

وإذا كان المنهج نزل من لدن صانع الفطرة وخالقها للمحافظة عليها ودلائلها على الله. وكلا المنهج والفطرة من مصدر واحد هو الله سبحانه، فلم يبق إلا عنصر واحد، هو الداعية الذي يحسن التقدم بالمنهج مخاطبة الفطرة. وهذا يتطلب من الداعية أن يفعل بالمنهج، فيجوبه في دمه، ويخلطه بلحمه وعظمه وعقله ووجدانه، ثم ينقله إلى من يدعو، حاملاً سخونة قلبه ودفء إحساسه، بادئاً بنفسه ثم بمن يعول، ثم بأهله وعشيرته الأقربين، ثم بمن يلقاهاهم على مسار يومه من رفقة المسجد. وجيران

النزل، وزملاء العمل، وصحبة الطريق. فإذا أضاف إلى ذلك ما وهبه الله من القدرة على الإبانة والإفصاح والتأثير بالكلمة مسموعة ومكتوبة فقد بلغ بذلك درجة المصلحين الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم:

﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾
﴿إِلَى الْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أجرَ الصَّالِحِينَ﴾

الأعراف: ١٧٠

إن الإسلام هو دين الله الذي أنزله إلى أهل الأرض أجمعين

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾

آل عمران: ١٩

وإن القرآن هو كلمة الله إلى البشرية كلها إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، وإن محمداً ﷺ هو رسول الله إلى الناس جميعاً، بتكليف من الخالق سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ﴾
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا يَشَاءُ يَفْعَلْ وَأَنبِئُوا أَنبَاءَهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي الْأَمْنِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

الأعراف: ١٥٨

مستقبل الوجود الأمريكي في العراق

للاستاذ صلاح عبد الرحيم محمد

باحث في الشؤون السياسية

الآن هو متى ستسحب القوات الأمريكية من العراق؟ الواقع أنه بدأ التساؤل حول إمكانية وموعد خروج القوات الأمريكية المحتلة من العراق يطرح نفسه على الساحة الإقليمية والدولية بصورة جديدة خاصة بعد مظاهر الاحتجاج الشعبية والإعلامية والسياسية وصدر تقرير «بيكر-هاملتون» الداعي لانسحاب القوات الأمريكية من العراق وفوز الديمقراطية بأكثرية في الكونجرس الأمريكي، تطالب هي أيضا بهذا الانسحاب وبصورة فورية حفاظا على سلامة الجندي الأمريكي وتوفيراً لنفقات هذه الحرب الخاسرة.

ومن هذا المنطلق يرى البعض أن شكل الانسحاب الأمريكي سيكون مرتبطاً إلى حد كبير بالأوضاع الأمنية في العراق خلال الفترة القادمة فإذا استقرت الأوضاع سياسياً وتكاملت مؤسسياً وجرى تحسين الخدمات العامة فإن الانسحاب سيكون منظماً وعبر اتفاقيات تضمن وجود عسكري محدود في قواعد منعزلة أما إذا استمرت المقاومة والاحتراب الطائفي ولم تتعاون دول الجوار العراقي في حل المأزق العراقي

السلطة العراقيون على ضرورة بقاء قوات الاحتلال حفاظاً على استقرار وأمن العراق إلى أن تكتمل قدراته الذاتية العراقية على إدارة أموره بنفسه، وفي هذا السياق يمكن القول أن الدعوة للانسحاب هو مصلحة أمريكية في المقام الأول بفعل الخسائر البشرية المتزايدة التي يتكبدها الجيش الأمريكي في العراق وهي ٤٥٥٠ قتيل أمريكي منذ الغزو الأمريكي للعراق في مارس ٢٠٠٣ وحتى ٢٥ إبريل ٢٠٠٨ بالإضافة إلى عشرات الآلاف من الجرحى ولاشك أنه لا توجد دوافع قوية لاستمرار بقاء القوات الأمريكية في العراق خصوصاً بعد إسقاط نظام صدام حسين وتغيير النظام السياسي العراقي وإعادة تركيب أركان الدولة من جديد ولم يبق -في نظر الإدارة الأمريكية- من الأهداف التي أعلنت عنها سوى زعمها ما تسميه «النموذج الديمقراطي العراقي» ولا يوجد دليل واضح على أنه هدف حقيقي تسعى الإدارة الأمريكية إلى تحقيقه على أرض الواقع بل نجدها على العكس من ذلك تحرص على البحث عن أفضل السبل للخروج من المأزق العراقي الذي صنته بيديها. والسؤال المطروح



بوش

المتحدة، لقد أشار الاقتصادي «جوزيف سيجلتز» إلى أن نفقات الحرب ضد النظام السياسي العراقي كلفت الخزينة الأمريكية في خمس سنوات ما يزيد على ٨٤٥ مليار دولار وأن النفقات النهائية يمكن أن تصل إلى ما لا يقل عن ثلاثة تريليونات في حرب خاسرة.

والكل يعلم أن إدارة جورج بوش غزت قواتها أرض الرافدين بذرائع زائفة من دون تفويض دولي، إلا أنها حصلت بعد ذلك على غطاء من مجلس الأمن الدولي غير أن انتداب الأمم المتحدة سينتهي في العراق بنهاية عام ٢٠٠٨.

واللافت أن المراقبين انقسموا فيما بينهم إلى «متفائلين» بمستقبل الوجود الأمريكي في العراق و«متشائمين» تجاه هذا الوجود و«محايدون» على غرار قاعدة «دعنا ننظر ونرى» ومنذ سقوط بغداد في أيدي القوات الأمريكية يصير رجال

إن ثمة حقيقتين لا يمكن لأي مراقب لتطورات الأحداث في العراق أن يتجاهلها، الأولى: أن الاحتلال الأمريكي لبلاد الرافدين هو سبب الفوضى والاقتتال الدائر، والحرب الطائفية التي تدور رحاها على الساحة العراقية والثانية: أن العراق كان قبل الغزو الأمريكي له في مارس ٢٠٠٣ آمناً ومستقراً ويعيش كل من السنة والشيعية والأكراد في إطار من المواطنة الواحدة والولاء للعراق الموحد الذي يربط الجميع برباط الوحدة الوطنية.

ومن المعلوم أن وجود ١٦٠ ألف جندي أمريكي في العراق بعد احتلال دام خمس سنوات فشلوا تماماً في إعادة الأمن والاستقرار لهذا البلد العريق، برغم ما تزعمه الإدارة الأمريكية بأن «المهمة أتمت» أي مهمة جاءت من أجلها هذه القوات؟ يبدو أن المهمة التي جاءت من أجلها هذه القوات هو نشر ما تسميه الإدارة الأمريكية، برئاسة جورج بوش «الفوضى الخلاقة» من أجل إخضاع دول المنطقة للهيمنة الأمريكية والهدف واضح تأمين الوجود الإسرائيلي قوياً وتأمين تدفق النفط إلى الولايات

الذي أوجده هذا الاحتلال فإن ذلك الانسحاب سيكون سريعا وغير منتظم وربما يؤدي إلى زيادة الأوضاع الأمنية المتردية تفاقمًا.

الانسحاب والخوف من الفوضى !!

ومن هنا يبدو أن الأمن والاستقرار في العراق باتا مطلبين أمريكيين وليس فقط عراقيين مع الفارق أن واشنطن تريد هدوءًا واستقرارًا يجهدان الظروف الملتهمة لسحب قواتها من العراق ويتخوف الكثيرون خصوصًا رجال السلطة العراقيون من مرحلة ما بعد الانسحاب حيث يتوقعون أن تتحول الفوضى السائدة الآن في ظل الاحتلال الأمريكي إلى فوضى عارمة ومفتوحة بعد الانسحاب.

ومن ناحية أخرى يخشى هؤلاء أيضا من أن هذا الانسحاب قد يشجع كل القوى السياسية والاجتماعية بمختلف توجهاتها على فرض سيطرتها وإدارتها ليس على الأخرى فحسب، لكن على العراق كله ويذهب البعض الآخر إلى أنه لو قررت القوات الأمريكية الانسحاب من العراق في الوقت الراهن دون ترتيب إقليمي - دولي فإنه من المرجح جدا أن تدب حالة الفوضى بين مختلف الطوائف السياسية واحتمالات تدخل كثير من الدول اغتاورة في الشأن العراقي لدعم هذا التيار أو ذاك، لكن على الرغم من ذلك لا يمكن لأحد أن يبرر استمرار الاحتلال الأمريكي للعراق بحجة عدم استقرار الوضع الأمني به ناسين أن هذا الاحتلال هو سبب كل الفوضى العارمة في العراق وجوهر التدهور الأمني والسياسي والطائفي هناك.

ولقد أوصى قائد القوات الأمريكية في

العراق «ديفيد بترابوس» بضرورة انسحاب القوات الإضافية في يوليو ٢٠٠٨ يليه فترة ٤٥ يوما يتم خلالها تجميد أي انسحاب للقوات الأمريكية حتى يمكن البدء في عملية تقوم لفحص الظروف على الأرض وتقرير ما إذا يمكن التوصية بمزيد من خفض لمستوى القوات وجاءت هذه التوصية خلال إلقاء «بترابوس» والسفير الأمريكي لدى بغداد «ريان كروكر» بشهادتهما أمام الكونجرس في شأن التطورات السياسية والأمنية في العراق، وهو ما يعني في نظر «بترابوس» مواصلة عملية خفض عدد القوات الإضافية التي أرسلت إلى العراق بحيث يمكن أخذ فترة ٤٥ يوما للمراجعة والتقديم بعد سحب آخر لواء قتالي من تلك القوات الإضافية في يوليو ٢٠٠٨ وأكد «بترابوس» أن المكاسب الأمنية التي تحققت في العراق «هشة» وقد تسمح بعودة الأمور لما كانت عليه. وأضاف أن الوضع في بعض المناطق مازال غير مرضي ومازالت هناك تحديات لا حصر لها.

انسحاب مستبعد !!

ويعتقد بعض الخبراء العسكريين أن توقع أي انسحاب بعد فترة التقويم أمر مستبعد وأن ترجمة التوصية هي إبقاء عدد ثابت من القوات حتى مغادرة بوش البيت الأبيض في ٢٠ يناير ٢٠٠٩ وتحصيل الرئيس المقبل لهذا الميراث الثقيل.

وبعد نقاش طويل في الكونجرس حول الوضع في العراق، ألقى الرئيس الأمريكي جورج بوش بيانًا في البيت الأبيض أيد فيه توصية قائد القوات الأمريكية في العراق الجنرال «ديفيد

بترابوس» باستكمال سحب عدد محدود للقوات الأمريكية الإضافية بحلول يوليو ٢٠٠٨ ثم فرض تجميد لحجم القوات مدته ٤٥ يوما لتقوم الموقف الأمني في العراق. وتأتي كلمة بوش بعد التقرير الذي قدمه بترابوس والسفير الأمريكي في بغداد «ريان كروكر» إلى الكونجرس حول الوضع العراقي. وفي هذا السياق قال زعيم الأغلبية الديمقراطية «هاري ريد» يوم ٩ إبريل ٢٠٠٨ حين يزداد العنف يقول الرئيس: أنه لا يمكننا إعادة الجنود إلى البلاد وحين يتراجع العنف يقول الرئيس أيضا إنه لا يمكن إعادتهم ويعكس هذا التصريح دهشة زعيم الأغلبية الديمقراطية في الكونجرس من موقف الرئيس الأمريكي بوش الغامض من سحب القوات الأمريكية من العراق، وهو ما يعني أنه لا يريد الانسحاب من العراق في الحقيقة.

وأضاف «هاري ريد» قوله: إن الرئيس «بوش» ليس لديه استراتيجية خروج إلا لرجل واحد «هو الرئيس بوش نفسه» وذلك في ٢٠ يناير ٢٠٠٩.

ومن جهة أخرى اتهم السيناتور الديمقراطي «ديك دورين» إدارة بوش بأن خطتها تقتصر على ترك المأزق العراقي، للرئيس المقبل.

وحذرت المرشحة للرئاسة الأمريكية «هيلاري كلينتون» من الاتفاق الاستراتيجي الذي يجري التفاوض بشأنه حاليا بين بغداد وواشنطن حول الوجود الأمريكي في العراق، وقالت: «يجب ألا يلتزم الرئيس المقبل باتفاق يمدد التزامنا في العراق إلى ما بعد ولايته» وفي هذا الشأن أكد

السفير الأمريكي في بغداد «ريان كروكر» أن إبرام أي اتفاق مع بغداد على الوجود الطويل الأمد للقوات الأمريكية لن ينص على إقامة «قواعد دائمة» في العراق، ولن يقيد أيدي الرئيس الأمريكي المقبل، وأضاف «كروكر»، أن الاتفاق لن يحدد عدد القوات، ولن يقيد أيدي الإدارة الأمريكية المقبلة.

وأكد «كروكر» أن هدفنا هو أن نضمن وصول الرئيس المقبل إلى السلطة، ولديه أسس مستقرة، يمكن أن يبنى عليها قراراته في شأن السياسة، وهذا ما سيحققه بالضبط ذلك الاتفاق.

الحكومة العراقية لا تملك

تفويضا شعبيا !!

ومن جانب آخر يرى كثير من المراقبين أن الحكومة العراقية لا تملك تفويضا شعبيا يسمح لها بعقد «اتفاق أمني عسكري» مع قوات الاحتلال الأمريكي، يعطي هذه القوات غطاء قانونيا لبقائها في العراق.

ويذهب هؤلاء المراقبون إلى أن الاتفاق الذي تسعى إليه إدارة بوش مع حكومة المالكي، لا ينص على وجود دائم للقوات، أو تحديد حجم هذه القوات، وهو ما يعني عدم النص على تاريخ معين لخروج قوات الاحتلال الأمريكية من العراق كما يعني أن هذه القوات قد تكون ١٦٠ ألف جندي أمريكي، كما هي الآن أو ما يزيد أو ينقص عن ذلك، ويسدو أن إدارة بوش تقاوم سحب القوات، وتريد اتفاقا يسهل بقاءها في العراق لذلك يتردد على مسامع المراقبين أن

الاتفاق ينص على أن القوات الأمريكية لن تستخدم الأراضي العراقية للهجوم على بلد آخر «ويقصد بالطبع إيران وسوريا» لإزالة القلق لدى حكومة نوري المالكي، ودول الخليج العربية التي تخشى المواجهة العسكرية الأمريكية - الإيرانية.

وفي هذا السياق قالت مرشحة الرئاسة الأمريكية السيناتور «هيلاري كلينتون» إن إدارة بوش تحاول تكبيل يدي أي رئيس قادم، بالزامه بحرب مستمرة، كما قال السيناتور: «إدوارد كيتندي»: إن ما يجري التفاوض عليه، ليس اتفاقاً وإنما «معاهدة عسكرية» وبالتالي يتعين عرضها على الكونجرس للتصويت عليها في حال الموافقة عليها.

اتفاق السابع من مارس

وكشف تقرير صحفي بريطاني في ٨ إبريل ٢٠٠٨ أن مسودة اتفاق بين الولايات المتحدة الأمريكية، والعراق، لاستبدال التفويض الممنوح من مجلس الأمن للقوات المتعددة الجنسية تنص على «التزام عسكري أمريكي غير محدود زمنياً في العراق» وأفادت صحيفة «ذي جارديان» البريطانية أن هذه المسودة السرية التي تحمل تاريخ السابع من مارس ٢٠٠٨، تسمح للولايات المتحدة الأمريكية «بشن عمليات عسكرية في العراق، وتوقيف أشخاص بضرورات أمنية، من دون تحديد سقف زمني لذلك»، كما أفادت الصحيفة البريطانية أيضاً أن مسودة الاتفاق بين واشنطن وبغداد الموقعة في ٧ مارس ٢٠٠٨ وقد أوضحت الصحيفة أن مشروع الاتفاق بين واشنطن وبغداد لا يحدد

حجم القوات الأمريكية في العراق، ولا الأسلحة التي يمكن استخدامها، ولا الوضع القانوني لهذه القوات، ولا السلطات التي تتمتع بها حيال المواطنين العراقيين، وتؤكد المسودة «أن المصلحة المتبادلة للولايات المتحدة والعراق تقضي بالحفاظ على سيادة العراق، ووحدة وسلامة أرضيه، واستقلاله السياسي، وردع التهديدات الخارجية التي تهدف به» وتشير مسودة الاتفاق إلى عدم رغبة واشنطن وإقامة «قواعد دائمة» أو وجود عسكري دائم في العراق. وتنص أيضاً على «أن الولايات المتحدة والعراق، اتفقا على التشاور الفوري في حالة تعرض وحدة وسلامة أراضي العراق، واستقلاله السياسي إلى تهديد» واللافت أن مثل هذا الاتفاق - في رأي البعض - يصحب تمريره في العراق والولايات المتحدة، خصوصاً في إطار المواجهات المستمرة بين القوات العراقية والأمريكية من جهة، ومليشيا «جيش المهدي» الموالي للزعيم الشيعي «مقتدى الصدر» من جهة ثانية، ووسط جملة انتخابات الرئاسة الأمريكية، إذ سيقع أن انتقدت مرشحة الرئاسة الأمريكية «هيلاري كلينتون» المحادثات بين بغداد وواشنطن لإبرام هذا الاتفاق بسبب إلزام الرئيس الأمريكي المقبل، سلفاً، بالحفاظ على أمن العراق، وهو يحول بالنسبة دون أية محاولة لسحب القوات الأمريكية من دول الرافدين.

الانسحاب كارثة.. والبقاء كارثة!!

وفي ضوء ذلك قالت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة «مادلين أولبرايت» في «مذكرة إلى الرئيس المنتخب»: علينا إيجاد أفضل طريقة للخروج. وإنني لست ممن قدموا الحجة لمصلحة

الانسحاب المبكر لكل القوات الأمريكية من العراق، واعتقد أن الرئيس بوش كان مصيباً عندما زعم أن الانسحاب المتهور يمكن أن يؤدي إلى «كارثة»، ومخطئاً في افتراض أن وجود قواتنا سيحول دون الكارثة. وهكذا فإن «مادلين أولبرايت» تعترف بأن الوجود العسكري الأمريكي في العراق لن يحول دون حدوث كارثة في العراق، وهي بذلك تحت الرئيس الأمريكي بوش على سرعة انسحاب القوات الأمريكية من العراق، وتتهمه بأنه «مخطيء» في الموافقة على بقاء قواته به بفعل الخسائر في صفوف هذه القوات.

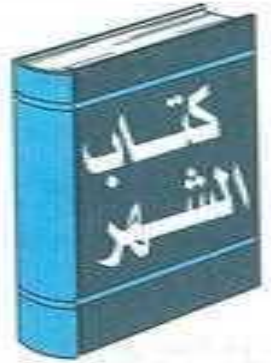
وفي مذكرتها إلى الرئيس المنتخب حملت «مادلين أولبرايت» الوجود الأمريكي مسئولية النتائج الوخيمة التي نزلت بالعراق ولا تزال حينما قالت بصراحة: لقد أدى العنف الطائفي إلى سقوط عدد هائل من المدنيين، وإلى واحدة من أكبر عمليات النزوح السكاني في تاريخ الشرق الأوسط الحديث، إذ هجر أكثر من مليوني عراقي منازلهم بحثاً عن أحياء أكثر أمناً، وفروا عبر الحدود إلى سوريا والأردن وإيران، ولا شك أن نزوح السكان يدفع إلى إطالة القتال، بدلا من تبريد النزاع أليس بعد ذلك من اعتراف صريح بسوء أحوال العراق المحتل؟

العراق.. ثلاثة أقاليم!!

وتكشف وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق «مادلين أولبرايت» هدف الوجود الأمريكي في العراق فتقول موجهة حديثها إلى الرئيس الأمريكي المنتخب الجديد «إن السبيل الوحيد للحفاظ على العراق هو السماح بانقسامه لا في

شكل رسمي أو كامل لإتاحة العيش للشبيعة في الجنوب، وللأكراد في الشمال وللسنة بين الشيعة والأكراد» وهكذا يتجسد هدف بقاء قوات الاحتلال في العراق بتنفيذ مخطط مرسوم لتقسيمه، إلى ثلاثة أقاليم للشيعة والأكراد والسنة لأن في تقسيم العراق، ضماناً لأمن الكيان الصهيوني ولندفق النفط إلى الولايات المتحدة بأقل الأسعار.

وهل يعقل أن يكون الحفاظ على العراق عبر تقسيمه إلى أقاليم طائفية كما تقول أولبرايت؟ وفي الختام يمكن القول بصراحة أن مستقبل الوجود العسكري الأمريكي في العراق، رهين بتحقيق كل هذه الأهداف، وفوق ذلك فإن المتابع للتطورات على الساحة الإقليمية، يعتقد أن احتمال نشوب حرب إقليمية تلوح نذورها في الأفق، وبالتالي فإن الوجود العسكري الأمريكي في العراق بوجه خاص، سيظل على حاله من التكريس والحشد حيث ثمة دلالات على احتمال حدوث ضربة عسكرية ضد إيران من جانب إدارة بوش، وإدارة أومبرت، لكبح جماح الجمهورية الإسلامية الإيرانية في حصولها على برنامج نووي سلمي، بينما إسرائيل الإبن المدلل لأمريكا يمتلك أكبر ترسانة نووية عسكرية في المنطقة، لذلك فإنه من المستبعد في المستقبل القريب أن تسحب الولايات المتحدة قواتها من العراق إلا إذا تخلت الإدارة الأمريكية عن طموحاتها الامبرطورية، ولكن الانسحاب الأمريكي، هو أمر حتمي، مهما طال الزمن أو قصر، لأن ذلك استحقاق تاريخي، كما يدل على ذلك تاريخ الأمم والشعوب.



الحضارة الإسلامية المسيحية ماذا حدث؟!

تأليف

ريتشارد دبليو. بوليت

ترجمة:

الدكتورة فاطمة نصر



عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض

الأستاذ بجامعة الأزهر

يَذَاهِبُ النَّاسُ إِذَا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْتُمْكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

[الحجرات: ١٣]

بهذا المنطق الواضح المحدد والحاسم - منذ أكثر من أربعة عشر قرناً - فصل البيان القرآني في أخطر قضايا البشرية؛ مقررًا: أن علاقة الإنسان بالإنسان الآخر قائمة على الأخوة المنبثقة من أصل واحد. ومؤكداً: أن ما قد ينشأ من افتراق، وتباين بين الإنسان وأخيه الإنسان.. إنما هو وسيلة للتعارف والتوافق الخلق للتعاون المشترك البناء مهما ترتب على الافتراق المكاني والزمني من اختلاف في اللون أو في الهيئة والشكل.

فليس بين الأخوين ما يميز أحدهما عن الآخر بسبب الجنس أو الأصل؛ فهما من أصل واحد، وليس بينهما تمايز بسبب اللون أو الهيئة.. إلى غير ذلك من عوارض البيئية، ولكن العمل هو الذي يمتاز به واحد عن الآخر.

وقد أوضح البيان القرآني هذا التقرير والتأكيد بالتنبيه إلى أن تعدد الرسالات والرسول لا يتعارض مع تلك الوحدة الأخوية؛ لأن مصدر كل تلك الرسالات، وباعث كل هؤلاء الرسل واحد، وهو الله الواحد الخالق، ولأن محتوى تلك الرسالات جميعها، ومقاصد هؤلاء المرسلين جميعهم واحد، وهو تبليان الحقيقة للإنسان على الأرض، والأخذ بيده إلى العمل الصالح.

فتوح عليه السلام جاء قومه بقوله:

يَقْوِمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ ﴿٥٩﴾

[الأعراف: ٥٩]

وهود عليه السلام كرر النداء نفسه، فقال لقومه:

يَقْوِمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ ﴿٦٥﴾

[الأعراف: ٦٥]

وتمود كذلك، قال:

يَقْوِمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ ﴿٧٣﴾

[الأعراف: ٧٣]

وشعيب أيضاً، قال:

يَقْوِمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ ﴿٨٥﴾

[الأعراف: ٨٥]

ولذلك.. سمي دين كل رسول باسم (الإسلام)؛ فوصى أبو الأنبياء وابنه يعقوب أبناءهما بأن يدينوا بالإسلام، وألا يموتوا إلا وهم مسلمون.

وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

وَأَن تَقُولُوا: مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ ﴿١٣٢﴾

[البقرة: ١٣٢]

ودعا إبراهيم أبناءه وذريته إلى الإيمان بالإسلام، وإعلان توحيدهم جميعاً وتدينهم، فقال:

قُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَآلِ يَسَافٍ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن دُونِهِمْ لَا نَعْتَرِكُمْ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

وَأَن تَقُولُوا: مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ ﴿١٣٦﴾

[البقرة: ١٣٦]

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة التي تؤكد إسلامية جميع المرسلين.

ولذلك.. عاش أهل الكتاب في ظل الدولة الإسلامية أحراراً آمنين، محترمين، مكرّمين، يتآزرون مع إخوانهم المسلمين لخدمة البشرية في شتى مجالات الحياة، دون تردد أو ترفع، حيث تلاقحت الأفكار وتنامت؛ فكانت تلك الحضارة الإسلامية بما يلاسيها من حضارات الأمم السابقة.

ولكن المسلمين في شتى بقاع العالم الحديث فوجئوا بتلك الأصوات الناشزة - خصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية - تتعالى بصرخات التحذير من المسلمين والإسلام، والتنبيه إلى أن الإسلام هو العدو الجديد للحضارة الغربية الحديثة بعد سقوط (الاتحاد السوفيتي) الذي كان يمثل العدو الأول لحضارات الغرب؛ متوهمين أن العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان لا بد أن تقوم على العداوة والنزاع؛ فإذا تخلصوا من عدو يحشوا عن آخر يعادونه ويصارعونهم؛ لإنطلاقهم في التفكير من حتمية صبح البشرية بصيغة واحدة في العادات والتقاليد والميول، دون اكتراث بدور البيئة في إحداث الاختلاف الفطري في مثل هذه الأمور.

ولم يكن العقلاء والمفكرون الموضوعيون ليشركوا هذه الصيحات المجنونة لتسورث العداوة بين الإسلام والمسلمين من جهة وبين الغربيين بحضارتهم الحديثة من جهة أخرى؛ فنهض كثير منهم في محاولة لإحقاق الحق، وتصحيح المسار.



هنتنجتون

يضاف إلى هذا وذاك.. ما أحدثه الوجود الإسلامي في أربعة عشر بلداً من بلاد أوروبا الثلاثين الحالية تحت مظلة الحكم الإسلامي لمدة قرن أو مائتين، من اعتبار الأوروبيين على مصاحب هذا من إفراز ثقافي إسلامي، وتولد حياة يومية آمنة وسالمة.

ولكن الخوف المرضي من المسلمين وكرهيتهم (الإسلاموفوبيا) يدفع إلى ذاكرة الغربيين ثلاثة أحداث بارزة، فيغفلون عن هذه العلاقات الطيبة الأصيلة، ويساعد على هذا تدابير من يعادون الإسلام والمسلمين، حيث يذكرون الغربيين بأن صلاح الدين استرد القدس من أيدي أسلافهم الصليبيين سنة ١١٧٨م، وأن العثمانيين استولوا على القسطنطينية البيزنطية سنة ١٤٥٣م، بل إن حصار العثمانيين لقيينا سنة ١٥١٩م كاد ينجح.

ومن هذا الإرث من الخوف المرضي من الإسلام والمسلمين تنطلق اليوم الأصوات والسلوكيات الغربية التي تخيف الأوروبيين من الإسلام والمسلمين؛ مستغلة كوارثة الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م لإغراق الغربيين في شعور الخوف المرضي من المسلمين وكرهيتهم (الإسلاموفوبيا) الذي يتجسد في شعارات مثل (صدام الحضارات)، دون التفات للحقيقة المغيبة.

أفرز اتفاقهما المسبق على أن الإسلام غير قابل للخلاص، مثلما قرره البروتستانت الأمريكيون ذات مرة في شأن المسيحيين الكاثوليك، واليهود، حيث رفضوا - بضراوة - تصور مستقبل أمريكي يتوافق فيه البروتستانت والكاثوليك، وحيث وضع البروتستانت قيوداً حادة على الخيارات السكنية، والتعليمية، والمهنية لليهود الأمريكيين.

ولكن التناغم الحضاري واقع

ومع هذا العرض يرى المؤلف: أن التأمل التاريخي يقرر: واقعية هذا المصطلح (الحضارة الإسلامية المسيحية).

فإذا كانت جذور الكتاب المقدس تبرز الاشتراك بين المسيحية واليهودية، وإذا كانت الاهتمامات الكهنوتية المتبادلة تؤكد هذا الاشتراك.. فإن روابط الكتاب المقدس والروابط العقائدية بين اليهودية والمسيحية ليست بأوثق من مثيلاتها بين اليهودية والإسلام، ولابن المسيحية والإسلام.

هذا.. إلى أن المؤرخ يدرك جيداً إسهام المفكرين المسلمين الضخم في المستودع الفلسفي، والفكر العلمي الذي نهل منه المسيحيون في العصور الوسطى المتأخرة، فقدموا الغرب الحديث.

كما أن الإتصال بين الإسلام والغرب لم يتوقف عبر التواصل التجاري مع المسلمين، وعبر افتتان الخيال الأوربي بقصص العرب والمغاربة.. رغم فترات الحروب المتلاحقة.

آراء تقرر حتمية تصادم الحضارة الإسلامية بالحضارة الغربية، وبين ما أطلقه (باسيل ماثيوس) سنة ١٩٢٦ في كتابه (الإسلام الشاب يشق طريقه. دراسة في صراع الحضارات) من مفاهيم خاطئة ومغلوبة عن الإسلام، تظهر الإسلام في هيئة منفرة مخيفة يقود معتنقيه - بعقيدته وعبادته - إلى الإغراق في الحروب، والإنعزال داخل نظام حديدي يجعل التوافق بين القرآن والعلم أمراً غير ممكن.

وبناء على هذه الأخطاء والمغالطات التبشيرية.. يوجب (ماثيوس)، و(هنتنجتون) على المسلمين أن يكونوا (ليبراليين) مثل الغربيين، وذلك بطرحهم جوهر الإسلام خلف ظهورهم، وتخلصهم من النظام الحديدي الذي أوجده محمد، وبذلك يستطيعون أن يوفرُوا لأنفسهم فرصة ليقبموا نظام حياة جديداً في أراضيهم، قريباً من مملكة الرب التي لا يعلو فيها صوت المؤذن على صفارة المصنع، ولا ترتفع فيها المئذنة على المدخنة.

فالمؤلف يرى: أن توافق (هنتنجتون) مع (ماثيوس) يوضح أن القلق الذي سيطر على مراقبين أمريكيين كثيرين للعالم الإسلامي ليس جديداً؛ فقد أضمر الميثرون البروتستانت احتقاراً للإسلام، لم يستطيعوا إخفاءه.

ويرى: أن توافقهما على هذا الموقف من الإسلام.. الذي قادهما إلى حتمية التصادم إنما نشأ من نزوعيهما البروتستانتية، الذي

وكان (ريتشارد ديليو - بوليت) واحداً من هؤلاء العقلاء الذين تعمقوا البحث وراء أصول الديانات السماوية الثلاثة (الإسلام - المسيحية - اليهودية) بحثاً عن جذور الالتقاء، ثم تصفحاً لما فرضه اختلاف البيئات، من فروق الخلاف، واستعراضاً لدور كل من تلك الديانات في الحضارة الإنسانية؛ للتعرف على مآثراً من اختلافات في الشكل الحضاري، فقدم هذا الباحث كتابه الذي تبدأ هذا الشهر بتقديمه (الحضارة الإسلامية المسيحية، ماذا حدث؟).

أما (ريتشارد ديليو - بوليت) فهو أستاذ التاريخ بجامعة (كولومبيا)، وكان مديراً لمعهد دراسات الشرق الأوسط، واهتم بالدراسات الإسلامية، فكان من مؤلفاته (الإسلام: نظرة من الأطراف).

وأما كتاب (الحضارة الإسلامية المسيحية. ماذا حدث؟) فيشغل - بطبعته العربية - سبعة وعشرين ومائتي صفحة من القطع المتوسط، ويضم أربعة فصول، وقد نهضت بترجمته الدكتورة فاطمة نصر، ليكون من بين إصدارات (سطور) في طبعته الأولى سنة ٢٠٠٥م.

عداء منشؤه الجهل والحقد

ففي الفصل الأول (نحو حضارة إسلامية مسيحية) يأخذنا المؤلف - في رحلة استقرائية عبر الزمان - لنرى من خلالها مدى التوافق بين ما أطلقه حديثاً (صامويل هنتنجتون) في مقاله (صدام الحضارات) من

ومن الخوف تتولد الشكوك

وانطلاقاً من التأثير بمثل هذا الشعار..
يثير بعض الغربيين تساؤلات تشكك في قدرة المسلمين على الارتقاء إلى مستوى الحضارة الغربية؛ وذلك بتساؤلهم الإنكارى عن قدرة الإسلام على الرقاء بالمعايير الغربية للمساواة بين النوعين. أو استعداده لذلك. وتساؤلهم - كذلك - عن استطاعة الإسلام إدراك الحقوق الإنسانية بأسلوب مماثل أسلوب الغربيين في ذلك؛ ومدركاتهم بما يصل به لاعتباره ديناً حضارياً. وتساؤلهم - أيضاً - عن الفهم الإسلامى للتسامح الدينى والعلمانية، بقتراب به من المثل الغربية بدرجة تكفى لتضمينه فى نادى الحضارة.

ويتنبه المؤلف إلى أن هذه التساؤلات لا معنى لها؛ لأنها تساؤلات غير جادة؛ فمثيروها يستخدمونها آليات خطابية، للبرهنة على إخفاق الإسلام على الرغم من إغفالهم إخفاق معظم المجتمعات الغربية فى تحقيق العيش وفقاً لهذه المعايير ذاتها، كما إن كثيراً من المنديتين الممارسين اليهود، والمسيحيين يعتنقون آراء غير (ليبرالية) بدءاً من فرض القسود على سلوك النساء وخياراتهن الحياتية، ومروراً بالدعوة إلى دعم الحكومات للمنظمات الدينية المتطرفة، ووصولاً إلى اعتناق الآمال فى قرب قيام حكم دينى يحقق قيام مملكة

الرب مع عودة المسيح، إلى غير ذلك من الأمور التى تحيد جوهرياً عن معايير المساواة والعلمانية التى يتشدد بها صليبيو (صدام الحضارات).

فممارسات بعض المجموعات المسيحية واليهودية، والعلمانيين الغربيين، ومبادئهم ومواقفهم تتوافق تماماً مع الممارسات غير المتسامحة من بعض المجموعات الإسلامية، غير إن هذه المجموعات المسيحية واليهودية والعلمانية قد اكتسبت أسماء معتمدة فى النادى الحضارى أسهمت فى إخفاء ممارساتها تلك، على الرغم من أنهما يفرضان أحكاماً على زى النساء، وحظراً على المشروبات الكحولية، ومطالبة بإقامة الضلوات فى المدارس الحكومية، وصبا للعتات على أتباع الديانات الأخرى.

حتمية ربط التاريخ الإسلامى بالتاريخ المسيحى

وينطلق المؤلف من اقتناعه بارتباط التاريخ الإسلامى بالتاريخ المسيحى، فبدكر: أن هناك قبضاً من الاعتراضات التساقفة على هذا القصور تولدت من مجموعة من العوائق تجذرت على مدى أربعة عشر قرناً من الخوف، والجدل العنيف، من أبرزها:

١- أن مجيء محمد بعد سبعمائة سنة من مقدم المسيح يحول دون الاقتناع بوجود علاقة بين الإسلام والمسيحية.

٢- تكرار هجوم المسلمين على العالم المسيحى، مظهرين عداً لا هوادة فيه ضد المسيحية، حتى أصبح المسيحيون لا يرون

فى الإسلام سوى عدو لهم، وقوة غريبة عنهم.

٣- أن القصص العديدة التى يشترك فيها القرآن مع الإنجيل، جاءت مشوهة فى صيغتها القرآنية، فمع اعتراف الإسلام بإبراهيم وموسى والمسيح كرسول، يقصر عن توكيد ألوهية المسيح..

٤- العائق الرابع: عدم اعتراف الإسلام بما يدينه اليهود والمسيحيون عقائدياً، وعدم تقبلهما، مما جعله لا يعترف بسمو اليهودية والمسيحية..

ويعلق المؤلف على هذه العوائق بقوله: إنها عوائق هشة، لاتصمد أمام التفحص والتأمل؛ لأنها منبثقة عن مخاوف وهمية، نشأت عن أخطاء فى الفهم والتصور.

فمع التأمل يتضح أن الفارق الزمنى بين الإسلام والمسيحية أقل بكثير من الفارق الزمنى بين اليهودية، والمسيحية ليس أقصر من الفارق الزمنى بين المسيحية والإسلام، كما إن الفارق الزمنى بين المسيحية الكاثوليكية والمسيحية البروتستانتية، ومع هذا لم يستطع أحد أن يقطع المسيحية عن اليهودية، ولا أن يقطع البروتستانتية عن الكاثوليكية؛ مما يعنى: أن الفارق الزمنى يجب أن لا يكون عاملاً حاسماً فى تأصيل كراهية المسيحيين للمسلمين، ولا كراهية المسلمين للمسيحيين، ولا أن يكون عاملاً حاسماً فى قطع العلاقة بين الإسلام والمسيحية.

وما حدث من حروب بين المسلمين

والمسيحيين حدث أعنف منها بين المسيحيين واليهود، حتى إن المسيحيين رفضوا الاعتراف برسولهم، ورفضوا التعاليم القانونية والأخلاقية التلمودية بسبب مقدم القانون الجديد فى شخص المسيح، وتبادل اليهود والمسيحيون الاحتقار والكراهية، بل وحدث أعنف منه بين البروتستانت والكاثوليك. ومع ذلك نجد التقارب بين حضارة اليهود والمسيحيين، وبين حضارة البروتستانت والكاثوليك أمراً مسلماً، بل إنه محصن ضد تلك الذكريات، بينما الأمر مع حضارة الإسلام على خلاف ذلك، حتى أصبح الغربيون اليوم يرفضون تضمين الإسلام فى ناديم الحضارى، لأنهم ورثة هذا البناء المسيحى القصرى المتعمد للتاريخ، بل إن العالم المسيحى الغربى ظل ينظر للإسلام بصفته (الآخر) الشرير، واستمر على اختراع الأسباب الداعية للتمسك بهذا التوجه شرسة وتضليلاً خصوصاً منذ حدث الحادى عشر من سبتمبر، حيث وجدنا كاهناً بروتستانياً يعلن أن محمداً كان عاشق أطفال شيطاني.. إلى غير ذلك من الهذيان المعادى للإسلام، ومن الافتراءات التى لا أساس لها، ولا يصح أن يرى فيها عاقل إلا أنها صادرة عن مرض الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) الذى توارثه الغربيون منذ الحرب الصليبية.

يتبع

ظرائف.. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد المحليم

بطل البرية كلها

قالوا: تحب العرب؟ قلت: أحبهم
يقضي الجوار بذاك والأرحام
فمحمد بطل البرية كلها
هو للأعارب - أجمعين - إمام
محبوب الخوري الشرعوني

حكم

• قال حكيم: إن نخوة الشرف تناسب بطر
الغنى، والصبر على عقوق الثروة أشد من
الصبر على ألم الحاجة، وذل الفقر يسعى على
عز الصبر، وجور الولاية مانع من عدل
الإنصاف إلا من كان بعيد الهمة.

• وقال بعض بني تميم: حضرت مجلس
الأحنف وعنده قوم مجتمعون في أمر لهم فحمد
الله وأثنى عليه ثم قال: إن الكرم مع الحرمان، ما
أقرب النعمة من أهل البغي! لا خير في لذة تعقب
ندما، لم يهلك من اقتصد، ولم يفتقر من زهد،
رب هزل قد عاد جدا، من أمن الزمان خائنه، ومن
تعظم عليه أهانه، يدعو المراح فإنه يورث الضغائن،

وخير القول ما صدقه الفعل، احتملوا لمن أدل
عليكم، وأقبلوا عن من اعتذر إليكم، أطع أخاك
وإن عصاك، وصله وإن جفاك، أنصف من نفسك
قبل أن ينصف منك، واعلم أن كفر النعم لوم،
وضحية الجاهل شوم، ومن الكرم الوفاء بالذم، ما
أقبح القطيعة بعد الصلة، والجفاء بعد اللطف،
والعداوة بعد الود، لا تكونن على الإساءة أقوى
منك على الإحسان، ولا إلى البخل أسرع منك إلى
البذل، واعلم أن لك من دنياك ما أصلحت في
مثواك، فأنفق في حق، ولا تكن خازنا لغيرك، وإذا
كان الغدر موجودا في الناس فالشفقة بكل أحد
عجز، اعرف الحق لمن عرفه لك، واعلم أن قطيعة
الجاهل تعدل صلة العاقل.

قال: فما سمعت كلاما أبلغ منه، فقممت
وقد حفظته.

النقائص

من أبلغ ضرور النقائص أن ترى وجه
دائنك.

• ولذلك قال المهلب بن أبي صفرة، وهو
من كبار قواد الدولة الأموية: يا بني إذا غدا

عليكم الرجل وراح مسلما، فكفى بذلك
نقاصيا.

• وقال الشاعر:

أروح يتسلمني عليك وأغتدى
وحبك بالتسلم مني نقاضيا
• وقال آخر:

كفك مخبرا وجهي بشاني
وحبك أن أراك وأن تراني
وما ظني بأن يعنيه أمري
ويعلم حاجتي ويرى مكاني

الكفاف

• قال علي بن أبي طالب أمير المؤمنين:
الرزق رزقان: فرزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن
لم تأته أنك.

• وجاء في كتاب الهند: لا ينبغي للملتمس
أن يلتمس من العيش إلا الكفاف الذي به يدفع
الحاجة عن نفسه، وما سوى ذلك إنما هو زيادة
في تعب وغمه.

• وقال حكيم: أقل الدنيا يكفى، وأكثرها
لا يكفى.

• وقال محمود الوراق:

يا غائب الفقير ألا تزدجر
عيب الغنى أكثر لو تعسبر
من شرف الفقير ومن فضله
على الغنى إن صح منك النظر
إنك تعصى كي تنال الغنى
وليس تعصى الله كي تفقر

خفى حنين

كان يزيد بن حاتم الأزدي والي مصر مدحه
ربيعة بن الرافي، واستيطا عطاءه فقال:
أراني ولا كفوران لله راجعا
بخفى حنين من نوال ابن حاتم
فبلغ قوله يزيد بن حاتم، فأمر بإحضاره إليه،
فلما دخل على الأمير سأله هل قال غير هذا
البيت؟ فأقسم له بأنه لم يزد عليه شيئا. فقال
له الأمير: لترجعن بخفى حنين ملثنا مالا،
وعمل بما وعد. فقال فيه ربيعة الرافي:
يكى أهل مصر بالدموع السواح
غداة غدا منها الأغر بن حاتم
ومنها:

وشتان ما بين اليزيديين في الندى
يزيد سليم والأغر بن حاتم
فهم الفتى الأزدي إنفاق ماله
وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التمنام أتى هجوته
ولكننى فضلت أهل المكارم

سحر البيان يقضى الحاجات

• قال العتبي: قدم عبدالله بن زرار الكلابي
على معاوية وهو أمير للمؤمنين فقال: إني لم
أزل أهر ذوات الرحال إليك، فلم أجد معولا
إلا عليك، امتطى الليل بعد النهار، وأسم
أجاهل بالآثار، يقودني إليك أمل، وتسوقني
بلوى، واجتهد يعذر، وإذا بلغتك فقطني أي
فحسبي.

فتاوى حنيفة



انتقل إلى رحمة الله - تعالى - الأستاذ
الخليل الدكتور عبدود شلبي وهو من
خير أبناء الأزهر الذين لهم جهاد مرموق
في الدعوة الإسلامية، وكان مبعوث الأزهر
إلى الهند فوثق صلته بكبار العلماء هناك
من أعضاء الندوة. ونال درجة الدكتوراه من
أرقى جامعة في الهند وعاد ب ذخيرة طيبة
عن البلد الإسلامي العريق فتحدث عن
مسلمى الهند والباكستان حديثاً شافياً
بدل على تعمق، ووقف بالمرصاد لكل من
يحاولون الانتقاص من أى بلد إسلامى، وله
فى ذلك مواقف مشهودة.

وقد تولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر فى
عهد صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الدكتور
عبدالحليم محمود.

ومن طرائفه التى تروى فى هذا المجال أن
فضيلة الإمام الأكبر أرسل له كلمة لتشر
فى الافتتاحية ولكن الدكتور عبدود
حال دون نشرها، وحين سأله الإمام
عبدالحليم محمود فى ذلك قال له: يامولانا
إن كلمتك يجب أن تكون أرقى كلمة فى
الجملة، ولكن لاحظت أن بعض المقالات
يفوقها، وهذا مالا أقيه. فقام الشيخ
عبدالحليم من مكانه وقبل رأس الأستاذ

عبدود وقال له: ستترك الله كما ستترك
تخلفى فى هذا المقال.

ونحن لا ندري أنعجب من غير الدكتور
عبدود، أم من تواضع الإمام الأكبر
وتقبله النقد بصدر رحب!؟

وللدكتور عبدود مؤلفات كثيرة،
نأمل أن تكون موضع دراسة لبعض الباحثين
تخليداً لذكوره رحمه الله رحمة واسعة
وأجزل له الثواب.

أسرة التحرير

فمن يسأل عن القصر
فمن يسأل عن القصر
فلا تصحب أخا سوء
وإياك وإياه
فكم من جاهل أرى
حكيماً حين أخاه
يقف المراءى بالسوء
إذا ما المراءى ما
وفى الناس من الناس
مقاييس وأشباه
وفى العجب غنى للعجب
أن تنطق أقصاه

الصليق الصديق

• قال على بن أبى طالب أمير المؤمنين: خير
إخوانك من واساك، وخير منه من كافاك.
• وكان أبوهريرة - رضى الله عنه - يقول:
اللهم إني أعوذ بك ممن لا يلتصق خالص مودتى
إلا بموافقة شهوتى، ومن ساعدنى على سرور
ساعتى، ولا يفكر فى حوادث غدى.

• وقال الشاعر:

وكل أخ عند الهوى ملاطف
ولكنما الإخوان عند الشدائد

دعاء

اللهم أدم بفضلك نعمتك علينا، والطف بنا
فيما قدرته علينا، وأعطنا من واسع رزقك الحلال
ما تصون به وجوهنا عن التعرض للذل السؤال،
أنت المعطى الوهاب الرزاق بغير حساب.

فقال له معاوية: احفظ عن راحلتك.

• ودخل كريب بن زفر بن الحرث على يزيد
بن المهلب فقال: أصلح الله الأمير! أنت أعظم
من أن يستعان بك ويستعان عليك، ولست
تفعل من الخير شيئاً إلا ويصغر عنك وأنت
أكبر منه، ولا العجب أن تفعل ولكن العجب
أن لا تفعل.

قال له يزيد بن المهلب: سل حاجتك.

قال كريب: حملت عن عشيرتى عشر
ديات.

قال يزيد: قد أمرت لك بها وشفعتها
بمثليها.

• وأتى رجل إلى حاتم الطائي فقال: إنها
وقعت بينى وبين قوم ديات فاحتملنها فى مالى
وأملى، فقدمت مالى وكنت أنت أملى، فإن
تحملها غنى قرب هم قد فرجته، وغم كفيته،
ودين قضيته. وإن حال دون ذلك حائل لم أدم
يومك، ولم أياك من غدك.
فحملها حاتم عنه.

أخو السوء

قال أيوب بن سليمان عن ابن القاسم قال:
بينما سليمان بن داود - عليهما السلام - تحمله
الريح إذ مر بنسر واقع على قصر، فقال له كم
لك منذ وقعت ههنا؟ قال سبعمائة سنة. قال
فمن بنى هذا القصر؟ قال النسر لا أدري هكذا
وجدته. ثم نظر سليمان فإذا فيه كتاب منقور
بآيات من الشعر وهى:

خرجنا من قرى اصطخر

إلى القصر فقلناه

مؤتمر دولي يناقش أزمة التنمية في العالم الإسلامي في مواجهة تحديات العولمة

للاستاذ / عاطف مصطفى

والفقر، ونرى كيف يمكن أن تتوافر الجهود على رفع هذه المعاناة التي نعيشها الآن أكثر في ظل العولمة.

إن ٨٠٪ من سكان العالم يعيشون على ٢٠٪ فقط من جملة موارده، بينما يعيش ٢٠٪ على ٨٠٪ من دخل العالم، وأصبحت الأغلبية تعاني بشدة من نقص الغذاء بشكل ازداد حدة في السنوات الأخيرة، كما تعاني من أمراض خطيرة ومنتشرة في بلادنا بشكل حاد، وإلى جانب ذلك هناك مأساة دموية في العالم الثالث، ومأساة زيادة الهيمنة والتسلط عليه. وإتهاك موارده الطبيعية التي ازدادت بشكل واضح لشراء موارده واستغلال ثرواته.

ومن هنا كان عقد هذا المؤتمر الدولي الذي يشارك فيه علماء مسلمون وخبراء في الاقتصاد الإسلامي بهدف تشخيص الداء ووصفه وصفا دقيقا، وأعنى به التخلف وأسبابه ومظاهره والآثار التي تنجم عنه.

والذي يناقش على مدار خمس حلقات وخمس جلسات كل الأبعاد المختلفة، ابتداء

الإسلامي مشكلات الفقر، وبالتالي تحيى هذه المؤتمرات في محاولة لإيجاد حلول لهذه المشكلات الحيوية والتي - بلا شك - تؤثر على جموع المسلمين الذين يعيشون في ٥٨ دولة إسلامية.

وقد أكد في كلمته في بداية المؤتمر على أهمية إنشاء مشروع للتنمية الاقتصادية في العالم الإسلامي، من أجل مواجهة تحديات العولمة، التي جعلت العالم كله قرية صغيرة، يرى ويسمع ما يدور في جميع الجوانب في وقت واحد.

وقال إن التنمية تعد من أهم المشكلات التي تواجه الأمة، والتنمية هي الكفاح ضد التخلف، والكفاح ضد التخلف يجب أن تتوافر عليه كل هيئات المجتمع الإسلامي في الوقت الحاضر على أساس أن هناك تخلفا، وهذا التخلف يعني التردى في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والبشرية بشكل عام. ولذلك فقد عقدنا هذا المؤتمر، والهدف الأساسي منه هو تشخيص المشكلة، مشكلة التخلف وأبعادها والتي ترتبط بالثالث التقليدي.. الجهل والمرض

في رحاب جامعة الأزهر وبالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية، ومركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، والبنك الإسلامي للتنمية عقد مؤتمر دولي - تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر - ورئيس شرف المؤتمر الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر - بعنوان التنمية المستدامة في العالم الإسلامي في مواجهة تحديات العولمة.

وقال الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية إن هذا المؤتمر مهم للغاية، ويجب في توقيت مهم، في وقت يعاني فيه العالم

• دول العالم الإسلامي مساحتها ٢٠٠ مليون كيلو متر مربع تعادل ٢٢,٥٪ من مساحة العالم يستغل منها للزراعة ١٤,٥٪ فقط

• نسبة الإنفاق على البحث العلمي في دولنا ٠,٢٪ والمتوسط على مستوى العالم يصل إلى ٢,١٨٪

• نسبة الأمية في العالم الإسلامي ٢٩٪ للذكور و٤٨٪ للإناث والإنفاق على التعليم ٣,٩٪ من الناتج المحلي.

• لدينا ١٦ دولة من ضمن ٥٨ دولة إسلامية مصنفة من ضمن الدول ذات التنمية البشرية المنخفضة

• العالم الإسلامي يملك إمكانيات كبيرة.. لكن الكثير منها غير مستغل ولا بد من:

- ١- تثبيت المفاهيم الإسلامية في التنمية.
- ٢- ضرورة استعادة الدور البارز للأمة الإسلامية من خلال إنشاء المشروعات المشتركة
- ٣- ضرورة تفعيل أنظمة الزكاة والوقف والبنوك الإسلامية

كما ذكرت - من تشخيص الداء، ودور الاقتصاد الإسلامي في التغلب على التخلف الذي يصيب المسلمين الآن، ودور العمل الإسلامي بشكل عام في مواجهة التخلف، فضلا عن عقد حلقة مهمة عن القيم الإسلامية ودورها في التغلب على التنمية.

وشدد الدكتور جعفر عبدالسلام على أن الشعوب الإسلامية تعتنق دينا حضاريا، يستطيع بلا شك أن يقدم حلولاً لكثير من مشكلاتنا، ومن هنا يأتي دور القيم الإسلامية الدافعة للتنمية، والتي لو اقتصر المؤتمر على مناقشتها وبين وسائل تفعيلها لكفاه.

وأول هذه القيم هي قيمة الاستخلاف، وهي قيمة يتميز بها الإسلام في تصويره لحقيقة الخلق، والهدف من وجودنا على الأرض. هذا الهدف هو رسالة خلق الله الإنسان من أجل تحقيقها يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

(البقرة ٣٠)

وكما يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ عَلَيْهَا﴾

(هود: ٦١)

فوظيفة الإنسان في الكون هو تعميره واستثمار طاقاته بما ينفع الناس.



جعفر عبدالسلام محمد عبدالحميد عمر

وخير شاهد على أهمية التنمية المستدامة، وعلى ضرورة أن يؤدي الإنسان وظيفته من المهد إلى اللحد، دون أن يوقفه عن ذلك شيء، حتى لو كان قيام الساعة نفسها.

قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل» (رواه أحمد في مسنده).

المعادلة الصعبة

وتحدث الدكتور محمد عبدالحميد عمر مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي حيث طرح المعادلة الصعبة التي لا يمكن فهمها إلا في ضوء التفقوت والتشرذم والتشتت الحادث في الأمة الإسلامية، حيث قال: لقد أثبت الواقع أن الدول والناس في سعيها لأخذ المزيد من أجل التنمية، استخدمت الموارد استخداما جائرا، أدى إلى تقليل فرصة الأجيال القادمة من الحصول على احتياجاتها، وهنا ظهر مفهوم التنمية المستدامة عام ١٩٨٧ الذي يتضمن الأبعاد الثلاثة للتنمية وهي:

التنمية الاقتصادية وتوزيع ثمارها بعدالة على الجميع والتنمية البشرية باحفاظة على كرامة الإنسان، والتنمية البيئية، وحق الأجيال القادمة في الموارد، وبالتالي تظهر أهمية موضوع المؤتمر في كون التنمية المستدامة هي السبيل لتحقيق الحياة الطبيعية للبشرية.

وقال د. محمد عبدالحميد عمر: أما أهمية نطاق المؤتمر وهو العالم الإسلامي، فيظهر من الاستعراض السريع للوضع الاقتصادي والإنساني فيه، حيث إنه يملك إمكانيات غير مستغلة، ومعدل الأداء الاقتصادي فيه ضعيف وغير كاف، مما ترتب عليه تدني أغلب دوله في التصنيف والترتيب العالمي بين الدول.

تدني نصيب العالم الإسلامي

في التكنولوجيا

فمن حيث الإمكانيات في العالم الإسلامي، توجد قوة بشرية كبيرة قوامها حوالي ١,٤ مليار نسمة، حسب تعداد عام ٢٠٠٦، يمثلون ٢١,٥٪ من سكان العالم البالغين ٦,٦ مليار نسمة، ويبلغ عدد القوة العاملة في العالم الإسلامي ٧١٢ مليون يعمل منها ٥١٥ مليون نسمة فقط، ونسبة البطالة حوالي ٢٧٪.

وعلى الوضع السياسي والجغرافي يبلغ عدد دول العالم الإسلامي ٥٨ دولة تنتشر في قارات العالم، منها: ٢٧ دولة في أفريقيا، ٢٧ دولة في آسيا، ودولتان في

أوروبا ودولتان في أمريكا الجنوبية.

وتشغل دول العالم الإسلامي مساحة ٣٠,٠ مليون كيلو متر مربع، تعادل ٢٢,٥٪ من مساحة العالم، يستغل منها في الزراعة ١٤,٥٪ فقط.

ويتميز العالم الإسلامي بغنى في بعض الموارد المعدنية مثل البترول الذي يملك منه ٣٥٪ والقصدير ٣٥٪ والفوسفات ٢٩٪ من مخزون العالم، هذا بجانب الطاقة التي يبلغ إنتاجه منها ٣٧,٥٪ من الإنتاج العالمي، يستخدم منها ١٠,٥٪ فقط.

أما من حيث البحوث والتطوير للحصول على التكنولوجيا التي أصبحت من أهم عوامل الإنتاج، فيظهر تدني نصيب العالم الإسلامي منها، إذ يبلغ متوسط نسبة الإنفاق على البحث العلمي ٠,٢٪ من الناتج المحلي، بينما متوسط هذه النسبة على مستوى العالم ٢,١٨٪ وهذا ما تؤكد عليه طلبات براءات الاختراع التي تبلغ في العالم الإسلامي ٣٥٥٠٠ براءة، تعادل ٨٪ فقط من البراءات في العالم.

وأشار د. محمد عبدالحميد عمر في كلمته - إلى الأداء الاقتصادي في العالم الإسلامي وما وصل إليه مينا أن:

• الناتج المحلي يبلغ إجماليه - بالأسعار الجارية عام ٢٠٠٦ - ٣٤٩٢ مليار دولار، تعادل نسبة ٦,٣٪ فقط من الإنتاج العالمي البالغ ٥٤٦٧٨ مليار دولار ويبلغ المتوسط لمعدل نمو الناتج سنويا ٥,٨٪.

• كما يبلغ متوسط نصيب الفرد من

هذا الناتج ٢٣٩٦ دولاراً في السنة، بينما نصيب الفرد على مستوى العالم ٧٢٨٧ دولاراً وعلى مستوى الدول المتقدمة ٣٩٨١٤ دولاراً.

• يتشكل هيكل الإنتاج في الدول الإسلامية كالآتي: ١٥٪ للزراعة، ٣٤٪ للصناعة، ٥١٪ للخدمات.

• تبلغ الصادرات من السلع التجارية ٩٥٢ مليار دولار تعادل ٩٪ من صادرات العالم البالغة ١٠٣٣٤ مليار دولار، وتبلغ الواردات من السلع ٨٣١ مليار دولار بنسبة ٧,٧٪ من واردات العالم البالغة ١٠٧١٨ مليار دولار.

• يتم استخدام الناتج بين الاستهلاك بنسبة ٨٥٪ والصادرات ٩٪ والتكوين الرأسمالي ٦٪ ويبلغ الادخار المحلي ١٠٪ من الناتج والاستثمار ٢١,٥٪ لتصبح الفجوة ١١,٥٪ كما يبلغ نصيب العالم الإسلامي من تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر في العالم ٤٦ مليار دولار.

تأخر الأداء الاقتصادي

في العالم الإسلامي

وفي إحصائية عن نتائج الأداء الاقتصادي في العالم الإسلامي يقول د. محمد عبدالحليم عمر، إنه يجيء متأخراً عن الكثير من دول العالم كما يتضح من هذه القراءة السريعة:

• تبلغ نسبة الفقر في العالم الإسلامي حوالي ٣٥٪ من السكان.

• يتم تصنيف دول العالم الإسلامي من حيث مستوى الدخل كالآتي:

- ٢٥ دولة ذات دخل منخفض بمعدل دخل سنوي للفرد يصل إلى ٧٧٥ دولاراً.

- ٢٠ دولة ذات دخل متوسط أعلى بمعدل دخل سنوي للفرد بين ٧٧٦ و٣٤٥٦ دولاراً.

- ٦ دول ذات دخل متوسط أعلى بمعدل دخل سنوي للفرد بين ٣٤٥٧ و١٠٧٢٥ دولاراً.

- ٦ دول ذات دخل مرتفع بمعدل دخل سنوي للفرد أكبر من ١٠٧٢٦ دولاراً.

• يتم تصنيف وترتيب دول العالم الإسلامي على مستوى التنمية البشرية كالآتي:

- ١٠ دول في مجموعة الدول ذات التنمية البشرية المرتفعة، وتقع بين المرتبة ٣٣ و٦٨ على مستوى دول العالم.

- ٣١ دولة في مجموعة الدول ذات التنمية البشرية المتوسطة وترتيب يقع بين ٧٤ و١٥٥ دولة.

- ١٦ دولة مصنفة ضمن الدول ذات التنمية البشرية المنخفضة وتحتل الترتيب الأخير في دول العالم البالغة في هذا التصنيف ١٧٧ دولة.

• تبلغ نسبة الأمية في العالم الإسلامي ٢٩٪ بالنسبة للذكور و٤٨٪ بالنسبة للإناث، وذلك ناتج عن انخفاض الإنفاق على التعليم الذي يبلغ ٣,٩٪ من الناتج المحلي.

البحث عن سبل لتحقيق

التنمية في دولنا الإسلامية

وهكذا يتضح أن العالم الإسلامي يملك إمكانيات كبيرة، ولكن الكثير منها غير مستغل، كما أن الأداء فيه، سواء على مستوى التنمية الاقتصادية أو البشرية متواضع، مما يلزم معه البحث عن السبل الكفيلة بتحقيق التنمية الفاعلة في دوله، والتي يجب أن تنطلق من القسيم والتوجيهات الإسلامية.

واستجابة لأمر الله تعالى، الذي أمر بإعمار الأرض، بمعنى تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة في قوله تعالى:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ عَلَيْهَا﴾

(هود: ٦١)

مشكلة نقص الغذاء

إن لدينا في العالم الإسلامي مشكلة تعاني منها أغلب الدول الإسلامية الآن، وهي مشكلة نقص الغذاء، مع أن الله - سبحانه وتعالى - وهب الأمة كل الخيرات كما جاء في كلمات الدكتور عمر، حيث حباها بالمواد الخام اللازمة لحركة الحياة اليومية (البتروول والطاقة) والتي أصبح العالم في أمس الحاجة إليها في جميع مجالات حياته، ونرى هذا الارتفاع الجتوني في أسعار البتروول عالمياً

كما منح الله دولنا الإسلامية الأرض الصالحة للزراعة والإنتاج الغذائي والذي لو استثمر جزء منها فقط على أساس علمي والسودان نموذجاً، لما وجدنا دولة إسلامية تعاني من نقص في الغذاء واستيراده من دول أوروبا وغيرها.

إن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى الوحدة والتكامل فيما بينها، والاستفادة المثلى للموارد والمواد الأولية التي أنعم الله بها عليها، واستخدامها الاستخدام الأمثل في التنمية، خاصة وأن العالم الذي نحيا فيه الآن، أصبح لا يعترف بالانعزاليين، ولا مكان فيه لدولة متغلقة على نفسها، والعولة قد فرضت نفسها على العالم.

ولا بد أن نتعلم من أوروبا ودولها والتي حققت وحدتها الاقتصادية على الرغم من الاختلافات الجوهريّة بين دولها في اللغات والثقافات والاتجاهات العقائدية.

ولذا على أمتنا الإسلامية بفضل عوامل كثيرة... لغوية وثقافية أن تتجه إلى هذه الوحدة التي تحقق لنا الاكتفاء الذاتي، ونواجه الفقر الذي يحيط بأمتنا من كل جانب، ونحقق انطلاقنا من جديد نحو أمة إسلامية قوية لها أهدافها المشتركة من أجل حياة كريمة للمسلمين بين شعوب الأرض.

تبني مبادئ الاقتصاد الإسلامي

من بين المشاركين في الجلسة الافتتاحية تحدث الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الأسبق، حيث بين أهمية العمل في الإسلام، وتوجيه ديننا الحنيف للعمل بكل

أنواعه سواء أكان عقليا أم يدويا، وأكد على ضرورة تبني مبادئ الاقتصاد الإسلامي وتطبيقه، للخروج من الأزمات التي سببتها التطبيقات الوضعية في مجال التنمية الاقتصادية.

كما أشار إلى ضرورة الاسترشاد بفلسفة الإسلام في المال والاقتصاد وفي العمل وفي الإنتاج وفي العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، حتى تخرج خبرة التنمية قوية مسلحة بالقيم والأخلاق الإسلامية، فضلا عن أهمية التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية، لتحقيق القوة والعزة والمنعة في مواجهة الاقتصاد العالمي القوي سواء في الغرب أو في الشرق، ومواجهة العولمة التي أصبحت واقعا لا يمكن أن نتجاهله.

خمس جلسات عقدها المشاركون في المؤتمر ومن بينهم الدكتور محمد بن علي العقلا مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والدكتور حسن عباس زكي المفكر الاقتصادي ووزير الاقتصاد المصري الأسبق، والدكتور محمد البشاري رئيس الفيدرالية الإسلامية بفرنسا والدكتور حاتم القرناوي عميد كلية الدراسات الإسلامية بقطر، والدكتور حسن محمد الرقاعي بجامعة الإمام الأوزاعي بليمان، والدكتور محمد سعدو الجرف أستاذ الاقتصاد الإسلامي بكلية الشريعة بجامعة أم القرى، والدكتور مصطفى إدون أستاذ الاقتصاد

بالجامعة الأندونيسية وغيرهم العشرات من الخبراء والأمناء في جامعات مصر المختلفة وفي مقدمتها جامعة الأزهر الشريف.



محمود عاشور

ناقشوا في الجلسة الأولى: تشخيص مشكلات تخلف اقتصاديات الأمة الإسلامية.

في الجلسة الثانية: ناقشوا متطلبات تحقيق التنمية في العالم الإسلامي.

كما تناولوا عددا من بحوث المؤتمر في جلستهم الثالثة بعنوان «الاقتصاد الإسلامي وتحقيق التنمية في العالم الإسلامي».

أما الجلسة الرابعة: في اليوم الثاني للمؤتمر فدارت حول موضوع مهم حرص عليه المؤتمر بالأساس وهو بعنوان «العولمة والتنمية في العالم الإسلامي» ورأس هذه الجلسة المستشار حسن الحفناوي المستشار القضائي لرئيس دولة الإمارات العربية وكان مقررا للجنة الدكتور محمد عبدالرحيم سلطان الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الإمارات العربية المتحدة والمتحدث الرئيسي كان الدكتور إسماعيل شلبي أستاذ الاقتصاد بكلية الحقوق جامعة الزقازيق. أما الجلسة

الخامسة والأخيرة: فكانت بعنوان «الجانب المؤسسي للتنمية المستدامة» ورأسها الدكتور محمد بن علي العقلا.

أما الحلقتان الدراستين فكانتا بعنوان «دور القيم الإسلامية في التنمية المستدامة» ورأسها الدكتور عبدالعزيز حجازي.

ورأس الجلسة الثانية الدكتور أحمد جويلى الأمين العام لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية.

وبعد مناقشات مستفيضة حول البحوث المقدمة، تناولت أبعاد ومتطلبات التنمية المطلوبة لمجتمعاتنا الإسلامية، وكيفية علاج السلبات، وعرض بعض التجارب النموية التي قام بها أفراد وجماعات في مجتمعاتنا مما يرشد إلى أهمية الدين والعقيدة في التنمية.. جاءت التوصيات والتي من أبرزها:

• دعوة الدول والمنظمات والشعوب الإسلامية إلى ضرورة الاهتمام بالتنمية البشرية، وذلك من خلال إدخال بعض التعديلات الأساسية في مناهج وبرامج التعليم، حتى تؤهل الأمة للتقدم والتنمية ومواكبة تحديات العصر.

• كما أوصى المؤتمر بضرورة التمسك بأصول العقيدة والسنة وأحكام الشريعة في حياة المسلمين.

• ودعا إلى ضرورة تشييت المفاهيم الإسلامية في التنمية، خاصة الإنتاج والعمل وعدم الانسياق وراء المشروعات

الغريبة الداعية لتنمية العالم الإسلامي. كما نبه المؤتمر إلى ضرورة استعادة الدور البارز للدول الإسلامية في التقدم الزراعي وإنتاج الغذاء من خلال إنشاء مشروعات مشتركة.

• ودعا المؤتمر الدول الإسلامية إلى بذل أقصى الجهد للتعاون في الإنتاج بكافة أنواعه، بإقامة التكتلات الإنتاجية والمنظمات الإقليمية لتنمية هذه الدول.

• زيادة التبادل التجاري وتفعيل التجارة البينية بين الدول الإسلامية.

• أيضا كان من بين أهم توصيات المؤتمر خطورة استمرار تخلف القدرة على إنتاج الغذاء في ظل الظروف الدولية السائدة.

وحرص المجتمعون على ضرورة التركيز على استثمارات تتصل بالطاقة المتجددة من الشمس والطاقة النووية كبديل للنفط.

أيضا التوصية بزيادة نسب الإنفاق على البحوث العلمية.

ودعا المؤتمر في توصياته أيضا إلى تفعيل دور المؤسسات والأنظمة الإسلامية الدافعة للاستثمار خاصة أنظمة الزكاة والوقف والبنوك الإسلامية.

وهي بحق توصيات مهمة.. ولكن نتساءل كيف يمكن أن يتحقق منها ما يخرج أمتنا الإسلامية من أزمتها ومشكلاتها الكثيرة والعديدة!!

الإسلام.. أكمل الرسالات وأبتم

لها أثرا في حياة البشر

للشيخ / صديق بكر على عيطة

التي استوعبت كل قضايا البشر الحالية والمستقبلية إلى أن تقوم الساعة «ولا يوجد في الأرض دين عام كامل صحيح ثابت إلا دين الإسلام.. فهو دين السلام والحق والعدل والمساواة، التي تعطي كل شعب وكل فرد حقه، فيه وحده يمكن البرء من الأدواء المالية والسياسية والحربية والاجتماعية كلها: فاليهودية دين مؤقت خاص غير عام، وانتهى زمانها، والمسيحية إصلاح روحي لليهودية ليس فيها تشريع ولا تصلح وصاياها الزهدية التواضعية لحضارة هذا العصر وإنما كانت موقونة لإصلاح غلو اليهود والروم في الطمع الدنيوي والشهوات.. والبرهمية والبوذية والمجوسية فيهن من وثنية وخصوصية وخرافات وعداوات وتفاوت طبقات.. كلها تدين الله، بجعل بعض من كرمهم من البشر أخساء بالفطرة كالحشرات، أو رجسا من عمل الشيطان، فلا يصلح شيء منها لتثقيفهم بالتوحيد والعرفان والإخاء الإنساني العام.. فإذا لا ملجأ ولا وزر ولا ملتحذ للبشر إلا دين الإسلام

السمائية، التي استوعبت كل ما من شأنه أن يصلح أمر الإنسان بعد أن استكمل رشده، وانطلق في طريق التقارب والتعارف، وتبين أمام ناظره طريق السعادة الأبدية، وطريق الشقاوة الأبدية.

فكل رسالات السماء جاءت وهي تحمل أمرين اثنين: الأول: توحيد الله - عز وجل - وتلك قضية ثابتة لم يختلف عليها اثنان من أنبياء الله ورسله على امتداد تاريخ الرسالات كله:

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَنْعُمُوا وَلِيُذَكِّرُوا ﴾

(الشورى: ١٣)

الأمر الثاني: الشرائع والقوانين السماوية، التي تتدرج بتدرج البشرية في طريق الكمال الإنساني قال تعالى:

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

(المائدة: ٤٨)

حتى جاءت رسالة الإسلام بخاتمة الشرائع

والذي لا شك فيه أن بين هاتين الحقيقتين من التلازم والمصاحبة ما يستوجب أن الإيمان بإحدهما لا يقع إلا مصداقا للإيمان بالأخرى. فرسالات السماء صادرة من قبل الله - عز وجل - عن طريق رجال معصومين، اختارهم لهداية الناس إلى الحق والخير: سواء فيما يتعلق بالعلاقة بين العبد وخالقه، وما يجب له سبحانه من التقديس والتوقير والإعظام، والتزام أوامره واجتناب نواهيه.. أو ما يتعلق بتنظيم العلاقة بين الأفراد والجماعات فهو بما بينه لهم عن طريق الرسل: سواء في كتبهم التي أنزلها عليهم، أو ما يوحيه إلى هؤلاء الرسل بطرق الوحي المختلفة.. الحكم العدل، الذي لا يحيل مع الهوى، ولا يتخذ من الناس وليا ولا نصيرا يضع القوانين من أجل مصلحتهم الذاتية صارفا النظر عن عداهم.. وتلك هي أساس الحياة الصالحة، التي ما إن تنحلى عنها البشرية في فترة من فترات التاريخ.. أو في أمة من الأمم إلا أصابها الوهن، وميتت بالفتن، وعصفت بها الكوارث، حتى تعود إلى رشدها، وتستمسك بهدي نبيها الذي جاء به من عند الرب - تبارك وتعالى - وإذا سلمنا بهذه الحقيقة - وهي لا تقبل الجدل - فإن من الواجب على البشرية أن تبحث عن الرسالة

في حياة البشرية حقيقتان ثابتتان، أولاهما: «أن مطلب الألوهية، مطلب توافرت عليه الفلسفات والنسبوات، وأن دلائله البرهانية ماثلة في الأنفس وفي الآفاق، وأن بواعثه النفسية مركوزة في العقول والوجدانات»^(١).

الحقيقة الثانية: أن الرسالات السماوية، هي طريق الصلاح الحقيقي في العاجلة والآجلة لأنها صادرة من عند الله - عز وجل - الذي لا يحساب.. والذي خلق فسوى.. والذي قدر فهدى.. وهو الذي يعلم ما ستكون فيه المصلحة في الدارين: الدار الدنيا، والدار الآخرة.

(١) د محمد عبدالله نزال في كتابه «الدين» ص ١٥٧ سلسلة البحوث الإسلامية التي يصدرها الأزهر الشريف.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ
أَلْفِ الْإِسْلَامِ وَمَا اخْتَلَفَ الدِّينَ أَوْثَرُ الْكِتَابِ إِلَّا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلْفُ بَيْتٍ يَتَنَبَّهُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ
أَلْفِ بَيْتٍ أَلْفَ سَرِيعٍ الْحِسَابِ﴾

(آل عمران: ١٩)

«فلئن اهتمت به أمة قوية منظمة لتصلحن به سائر الأمم ولتكونن لها السيادة العليا في جميع الأرض وليدخلن العالم الإنساني في طور جديد من الترقى والجمع بين منافع القوى المادية والمعارف الروحية وهي منتهى السعادة الإنسانية»^(٢).

لقد جاء الإسلام بمنهج فريد في طريقة التعامل مع النفس البشرية، إنه يعرف طريقه إليها منذ اللبنة الأولى، يعرف دروبها ومنحنياتها فيتلمس إليها بلطف ويعرف مداخلها ومخارجها فيسلك إليها علي استقامة ويعرف قواها ومقدراتها فلا يتجاوزها أبداً ويعرف حاجاتها وأشواقها فيلبسها تماماً ويعرف طاقاتها الأصلية البانية فيطلقها للعمل والبناء..

«وعلى كل رفعتته ونظافته وسموه وسموّه.. هو نظام «الإنسان» لهذا الإنسان الذي يعيش على سطح هذه الأرض، نظام يأخذ في اعتباره فطرة هذا الإنسان بكل مقوماتها وخصائص تكوينه وتركيبه بكل مقتضياتها.

«وحين تستقيم النفس مع فطرتها،

وحين تلبى حاجاتها وأشواقها، وحين تطلق طاقاتها للعمل والبناء، فإنها تجرى مع الحياة في يسر وطواعية، وتمضي مع خط الفطرة الصاعد إلى القمة السامقة، وهي تجد الأتس والاسترواح والطمأنينة والشفقة في خط سيرها الطويل»^(٣).

إن الدين الإسلامي، في طريقة التعرف على الله - عز وجل - هو الدين الذي جاء ليستوعب كل تعاليم الرسالات السابقة، ويضيف إليها.. كما أنه جاء ليحتوي كل ما أنتجته القرائح البشرية والفلسفات الإنسانية المجادة، التي تبحث عن فكرة الألوهية، فإن شئت التحقق من ذلك، فإليك نماذج قرآنية من تلك النماذج التي استوعبت النتاج البشري في طريقة البحث عن فكرة الألوهية، وما أضافته إليها، لتبين لك كيف طواها القرآن تحت جناحه، وقررها بطريقته الخاصة، التي تفتح الباب واسعا أمام العقل البشري، ليضعها في مكانها الصحيح:

«يرى فريق من الباحثين أن العامل الأول في إثارة فكرة الإلهية، كان هو النظر في مشاهد الطبيعة، ولاسيما الأفلاك والعناصر، سواء في حالتها الطبيعية الهادئة، أو في حالتها الشائرة المفرعة. وهذا الفريق يسمى فريق الكونيين أو الطبيعيين.

فإذا بالقرآن الكريم، قد سبقهم إلى ذلك

في مثل قوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۚ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِهْجٍ﴾

(ق: ٦، ٧)

وقوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ مَرَمًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَمْ لَا تَصِيرُونَ ۚ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

(الفصص: ٧١، ٧٣)

ويزيد القرآن في هذا الباب عنصراً جديداً، وهو عنصر الاختلاف بين التشابهات اختلافًا لم يتهيأ للعلم البشري معرفة أسبابه، ولا التحكم في عوامله، ولا التنبؤ به قبل ظهوره، لأنه لا يرتبط بأي نوع من أنواع الملاحظة، ولأنه لا يتبع حالة خاصة من أحوال البيئة الطبيعية أو نحوها، بل يجيء مع كل الحالات الممكنة لهذه البيئة، ومع ذلك كله تراه يسير في نظام غاية في الإحكام.

قال الله - عز وجل - في كتابه الكريم، الذي هو ملاك الإسلام كله: معتقداته.. وشرائعه.. وآدابه وأخلاقه وفضائله:

﴿وَقِيَ الْأَرْضَ

فَطَعَتْ مَجْجُورَاتٍ وَجَعَتْ مِنْ أَغْشَبِ وَرَزَعٍ وَتَحِيلِ صُنُونٍ وَتَبَرِ صُنُونٍ يُسْتَقْنِ بَعْلًا وَحِدْرٍ وَتَقْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾

(الرعد: ٤)

وقال عز من قائل:

﴿وَمِنْ مَائِنِهِ خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السَّيِّئَ وَالْوَنُكْرَانَ فِي ذَلِكَ لَا يَشْفَعُ الْعَالَمِينَ﴾

(الروم: ٢٢)

وقوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَعَرَبِيدٌ سُودٌ ۖ وَمِنْ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ إِنَّكَ أَتَى اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

(فاطر: ٢٧، ٢٨)

وهناك فريق من العلماء يرى أن الأصل في العقيدة الإلهية، كان عبادة الأرواح، والمقصود بالأرواح هنا هو مبدأ حياة التفكير والإرادة المنظمة والعاطفة والضمير.. وبالجملة، مبدأ الحياة العاقلة الرفيعة، ويسمى أصحاب هذا المذهب «بالروحانيين» أو «الحيويين».. وقد سبقهم القرآن الكريم إلى معالجة هذه القضية، معالجة رفيعة المستوى، متينة الأركان، تبث في القلوب والعقول مبدأ الإيمان بالله - عز وجل - وبوجوده - وبأنه الخالق المدير لكل شيء، وقد انطلق في معالجتها من عدة مبادئ.

(٢) الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه «الوحي المحمدي» ص ٢١ - طبعة الزهراء للإعلام العرس ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٣) سيد قطب في كتابه «هذا الدين» ص ٣٠، ٣١ ط دار الشروق

والنفسيون، والأخلاقيون، والاجتماعيون وغيرهم يرون - من حيث توجهاتهم الفكرية والثقافية - أن الإنسان وصل إلى العقيدة الإلهية بنفسه بمعنى أنه صعد إليها بنفسه، فإن هناك في المقابل من يرى أن الأديان لم يسر إليها الإنسان، وإنما هي سارت إليه، وأنه لم يصعد إليها بل نزلت عليه، وأن الناس لم يعرفوا ربهم بنور العقل، بل بنور الوحي، وهذا المذهب يطلق عليه المذهب التعليمي، أو مذهب الوحي.

وهذه النظرية - كما يقرر الدكتور محمد عبد الله دراز - التي أخذت بها أوروبا طوال القرون الوسطى، وأيدها بعض علماء التاريخ حتى في القرن التاسع عشر، لا تزال هي المذهب السائد عند كبار رجال الدين عندهم، كما أننا نجد في الكتب السماوية مصداق الجانب الإيجابي فيها.

هذا المذهب التعليمي، أو مذهب الوحي، نراه سارياً في القرآن كله، إلى جانب ما فيه من التوجيه المستمر إلى الاعتبار بتلك الآيات الواضحة، والدلائل اللاتحة في الأنفس والآفاق. فالقرآن يقرر أن الرحمة الإلهية لم تكتف بدلائل العقل، حتى أيدتها بشواهد النقل، وأنها قطعت حجة كل غافل، وكل متواكل،

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّامُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ﴾

(النساء: ١٦٥)

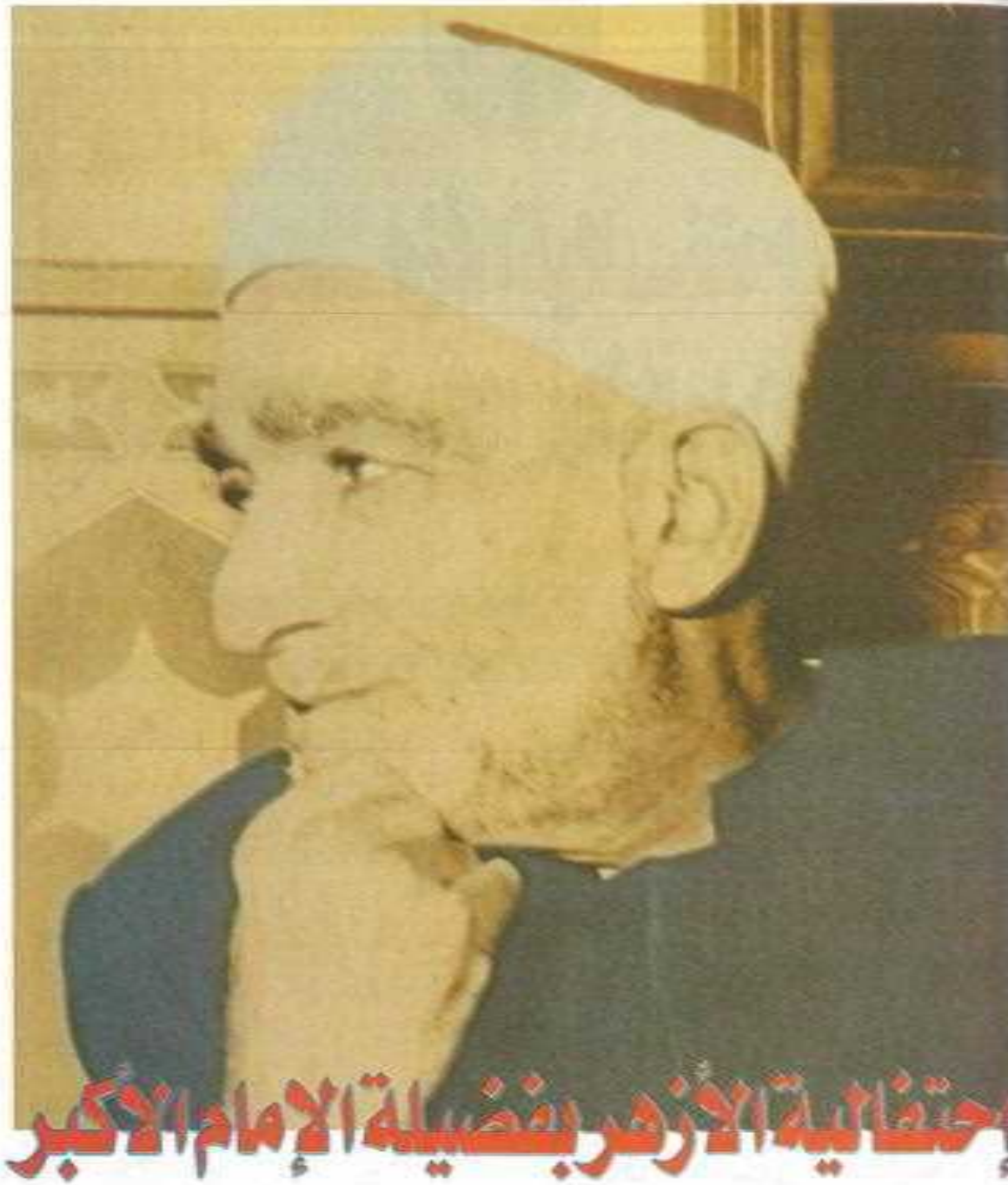
﴿أَنْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا غَيْبٌ لَنَقُولُوا إِنَّمَا أَتَاكَ مَا كُنَّا نَعْلَمُ قَدْ كُنَّا دُرِيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبِطُونَ﴾

(الأعراف: ١٧٢، ١٧٣)

وهكذا يلتقي في محيط القرآن ما رأيناه قد تشعب عند العلماء، من مسالك الاعتبار، ومذاهب البحث والنظر في هذه القضية الكبرى^(٥) مع ملاحظة أن هذا القرآن، قد سبق كل هؤلاء وأولئك بقرون طويلة، وقرر ما قرر في هذه القضية وغيرها من القضايا التي تناولها، ليربي في الإنسان ملكة البحث والدرس، حتى يصل البشر إلى الحقيقة الكبرى دون واسطة، سواء من وصل منهم إليها عن طريق النظر والفكر، ومن وصلت إليه عن طريق الوحي الإلهي.

إن رصيد البشرية الذي يطويه القرآن الكريم - وهو ملاك الإسلام كله - تحت جناحه، ليؤكد على أن هذا الدين، هو وحده القادر على إسعاد البشرية، وحل جميع مشكلاتها: سواء في العقيدة والشريعة، وفي المعاملات والأخلاق والآداب والفضائل، وهو وحده القادر على إعطاء البشرية النموذج الأمثل للحياة المستقرة الآمنة، سواء على مستوى الفرد أو مستوى الجماعة، أو مستوى الأمم.

(٥) من أراد المزيد في هذه القضية، قضية التقاء مسالك الفكر الإنساني في مجال «العقيدة الإلهية»، في آيات القرآن الكريم، فليرجع إلى كتاب «التين» للدكتور محمد عبد الله دراز، فصل «نشأة العقيدة الإلهية».



إحتفالية الأزهر بفضيحة الإمام الأكبر

الشيخ محمود شلتوت

رحمه الله



احتفالية الأزهر بفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

بقلم / مدير التحرير

حق للأزهر أن يباهى الدنيا بأبنائه
الذين جعلوا نبراسهم قول الحق تبارك
وتعالى:

﴿قُلْ لَا تَقْرَبِينَ كُنْزَ رَبٍّ فَكَبَّرْتُمْ عَلَيْهِمْ طَائِفَةٌ لَقَدْ تَقَفُّهُمْ فِي الْيَمِينِ
وَلِيُذْهِبُوا قَوْمَهُمْ إِنَّا نَآخِضُونَ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

التوبة / ١٢٢

فأسهروا ليلهم، وأعملوا فكرهم،
ليكشفوا للناس ما استغلق عليهم
وليجددوا لهم أمر دينهم بإقامة
الجسور بين الماضي والحاضر بفكر
صائب ثاقب، وليعلنوا للعالم بأسرها
أن الإسلام دين صالح لكل زمان ولكل
مكان.

وتستمر مسيرة التكريم،
ويستمر الأزهر يزهري بأبنائه
الناهيين الذين كرسوا حياتهم
لخدمة وطنهم، وأفنوا أعمارهم
لخدمة الإسلام، الذين نطقوا
بكلمة الحق دفاعاً عن المبادئ
والمثل، لتبقى كلمة الله هي العليا.
وحق للأزهر أن يفخر بأبناء له
نالوا أنواط الشجاعة والكرامة
والعزة، حين جهر كل منهم بالحق
في مواجهة سلطان يخشى بطشه
أو صاحب نفوذ حاد عن الصراط.

وأبناء الأزهر هؤلاء من
الكثرة يمكن فهم ليسوا في بلد
الأزهر فقط إنما انتشروا في
المعمورة كلها بحيث يخرج عن وسع
الأزهر أن يحتفى بهم جميعا ومن أجل
ذلك فإن الاحتفاء بأئمتهم احتفاء بهم
وتكريم شيوخهم تكريم لهم.

ولقد بدأت مسيرة الاحتفاء هذه
بالإمام محمد عبده رائد التجديد، تلاه
تكريم آخر للإمام المراغي واليوم
يواصل الأزهر مسيرته بتكريم الإمام
محمود شلتوت، ذلك الإمام الذي دعا
إلى التجديد الذي يجمع بين سلفية
العودة للمنابع والأصول الإسلامية
وبين الفهم العصري لتلك النصوص
فهذا الجمع في فكر الإمام شلتوت
ضرورة إسلامية تحملها الشريعة ذاتها
لكونها الشريعة العالمية.

وبين أيدينا حديث رسول الله ﷺ
يشهد بذلك إذ يقول: إن الله يبعث
لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من
يجدد لها أمر دينها. (١)

والشيخ شلتوت يعلم مدى احترام
الإسلام للعقل، ومن أجل ذلك تجده في
مقدمة كتابه: من توجيهات الإسلام
يقول في أول سطر منها: «فطر

الإنسان، منذ خلق وكون ومنح
العقل والادراك، على أن لهذا
الكون - الذي يقرب بصره في
ظاهرة، وفكره في باطنه ثم يترد إليه
بصره وهو حبير، وينكمش عقله
وهو كليل - ربا، خلقه
ونظمه.....» (٢).

وهذه السطور الناطقة باحترام
الشيخ الجليل للعقل واهتمامه به
تنطق أيضا بإيمان مطلق بأن العقل
ينكمش أمام قدرة الله، وكان الشيخ
يود أن يعلن للعالم أجمع أننا نؤمن
بالله إيمانا قاطعا لا يشوبه شك،
ونعمل عقولنا لنسير وفق ما أراد الله
لنا.

والشيخ شلتوت حصل على الكثير
من الأوسمة وكرم من العديد من
الدول فمنحته جامعة «ميدان»
باندونيسيا الدكتوراة الفخرية
وكذلك من أكاديمية شيلي ومن معهد
الدولة الإسلامي بجاكارتا كما منح
لقب الرئيس الفخري للجامعة
الإسلامية بالفلبين ومنح قلادة من
رئيس الكاميرون كما منح الاستاذية
الفخرية من حكومة الكاميرون لدوره
في خدمة الإسلام والمسلمين.

وهو أول من ألقى حديثا دينيا
في صبيحة افتتاح إذاعة
القاهرة.

وهو أول من حمل لقب الامام الاكبر.
وله العديد من المؤلفات منها: فقه
القرآن والسنة - مقارنة المذاهب - منهج
القرآن في بناء المجتمع - القرآن والقتال
- القرآن والمرأة - الإسلام عقيدة
وشريعة - من توجيهات الإسلام،
وترجمت له العديد من مؤلفاته إلى
الانجليزية والفرنسية والالمانية.

من أجل ذلك وغيره كثير كان
احتفال الأزهر بالشيخ شلتوت يوم
الخميس ١٨ من ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ
الموافق ٢٤ أبريل ٢٠٠٨ م، حيث

حظيت الاحتفالية بتقديم فضيلة
الشيخ على عبد الباقي شحاتة
الأمين العام لمجمع البحوث
الإسلامية الذي تكلم في إيجاز عن
الشيخ شلتوت المختفى به ثم افتتح
الاستاذ الدكتور أحمد المعصراوي الحفل
بقراءة مباركة من آي الذكر الحكيم تلا
ذلك كلمة أسرة المختفى به ألقاها
حفيده الأستاذ / مهدي شلتوت رئيس
الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر.

ثم جاءت كلمة جامعة الأزهر التي
ألقاها فضيلة الاستاذ الدكتور أحمد
الطيب رئيس الجامعة الذي أوضح أن
الشيخ شلتوت كان رجل المرحلة
الصعبة حيث كان الأزهر في مفترق



(١) رواه أبو داود ج ٢ ص ٥١٢

(٢) الإمام الأكبر محمود شلتوت من توجيهات الإسلام المقدمة لدار الشروق.



طريقين طريق الموت وطريق
البقاء.. ومن أجل ذلك كانت
صعوبة المرحلة فحين كانت جهود
الامامين محمد عبده والمراغى من أجل
الإصلاح كانت جهود الامام شلتوت
من أجل الوجود والبقاء.

ويشير الدكتور الطيب إلى أن الإمام
الشيخ شلتوت تقلد منصب شيخ
الأزهر في فترة كانت تحتاج مصر فيها
رياح عاتية نود اقتلاع الأزهر وسحب
البساط من تحت الأزهر والأزهريين
لتضعها تحت منابر تخاطب المسلمين
بدلاً عن الأزهر.

ثم ألقى الدكتور الطيب الضوء على
الملكة الفقهية التي كان يتمتع بها
الشيخ شلتوت - يرحمه الله - التي
جعلته يرفض الجمود المذهبي وحرصه
على هدم قاعدة وجوب التمسك
بأحد المذاهب الأربعة.

ثم بدأ في إلقاء الأبحاث، وكان
في مقدمة هذه الأبحاث بحث فضيلة
الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد
سيد طنطاوى ثم بحث الأستاذ
الدكتور أحمد عمر هاشم ثم بحث
الأستاذ الدكتور محمد عمارة ثم ألقى
فضيلة الدكتور الأحمدي أبو النور
بحثه وتلاه بحث الأستاذ الدكتور
رافقت عثمان فبحث الدكتور عبد الله



ويتناول البحث عدداً من
الفتاوى التي تصدى لها الإمام من
منطلق التجديد وحرص الإمام على
التنمية المالية والاقتصادية في حياة الفرد
والأمة.

• أما بحث فضيلة الدكتور
الأحمدي أبو النور فيكاد ينصب على
فتوى بعينها أجاب فيها فضيلة الشيخ
شلتوت عن موضوع الحرمان من
الميراث، فيوضح فضيلة الدكتور
الأحمدي من خلال هذه الفتوى ما تمتع
به الشيخ شلتوت من موسوعية
علمية: فأوضح كيف عالج القضية،
وكيف أجاب عن السؤال تحت عنوان
جرىء لم يسبق إليه.

• وتتوقف عند بحث الأستاذ
الدكتور محمد رافت عثمان
الذي تناول تاريخ الشيخ منذ
الميلاد وحتى توليه مشيخة الأزهر
وذكر شيئاً من مؤلفاته وألقى الضوء
على الشيخ شلتوت فقيهاً، ومجتهد
فتوى ومحاربه للخرافات والأوهام،
وشجاعته في إبداء الرأي، وعرض
لبعض أفكاره في التفسير، وأفكاره في
علم الكلام، وعنايته بالفقه المقارن،
والتقريب بين المذاهب.

ولنترك القارئ ليستمتع بالنص
الكامل للأبحاث في الصفحات
التالية.



كلمة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

في بداية الاحتفالية تحدث فضيلة الشيخ على عبد الباقي شحاتة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية قال:



الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على أشرف
خلق الله سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه الذين اتبعوا،
هدية وأحيوا سنته أولئك
حسب الله آل إن حسب الله
هم الغالبون.
أما بعد .

فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر ..
السادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
لقد سن فضيلة الإمام الأكبر الاستاذ الدكتور محمد سيد
طنطاوى شيخ الأزهر سنة حسنة ندعو الله أن يجعلها في
ميزان حسناته، إلا وهي الاحتفال بعلماء الأزهر ومشايخه
الذين تربوا بين جدرانها طالبين للعلم ومعلمين له، فكانوا
هداة مهديين، أناروا الطريق للآخرين بعلمهم واجتهادهم،
ولقد أقام الأزهر قبل اليوم احتفاليتين:
الأولى: للإمام محمد عبده

والثانية: للشيخ محمد مصطفى
المراغى.

واليوم نحتفي برجل أثرى المكتبة
الإسلامية بالعديد من المؤلفات التي تعددت
وتنوعت وكان من أهمها ما كتبه في
التفسير، فقد قدم تفسيراً للعشرة أجزاء
الأولى من القرآن الكريم. وله في الفقه: «فقه
القرآن والسنة» و«مقارنة المذاهب» بالإضافة
إلى العديد من المؤلفات الأخرى منها: «منهج
القرآن في بناء المجتمع»، و«القرآن والمرأة».

إننا نحتفي برائد من رواد النهضة
الإسلامية الذين خدموا الإسلام على مدى
خمسين عاما حمل فيها أمانة الدعوة إلى
الله بالحكمة والموعظة الحسنة وكان منهجه
العقلى يكشف بجلاء أن الإسلام دين يحترم

العقل.

اليوم نحتفل بشيخ الأزهر الأسبق
فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود
شلتوت - عليه رحمة الله.

السادة الحضور، اليوم نظهر بعض جوانب
الشخصية المحتفى بها ويعلمها وبجهودها
لنتعلم منها وتكون لنا الأسوة الحسنة،
فاختر لنفسك أخى الكريم أى الجوانب من
الشخصية يجب أن تكون، وأن الأفضل أن
تكون الجوانب كلها لا جانباً واحداً فقط،
بل أقول عليك أن تزيد جوانب أخرى إلى
الجوانب التى سيلقى عليها الضوء علماؤنا
الأجلاء.

أيها الأخوة مع كلمة الأسرة يلقيها
فضيلة الشيخ / مهدي شلتوت.



■ جانب من
الحضور
بضم كلا من
الاستاذين
رجب سليم
مدير عام
الطلاب
الواقدين
وغافل خفاجة
مدير عام
مجلة الأزهر
■



كلمة أسرة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

في بداية الاحتفالية تحدث فضيلة الأستاذ مهدي شلتوت رئيس الإدارة المركزية لكتبة الأزهر ملقياً كلمة أسرة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ أما بعد

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر العلماء الأجل الحضور الكرام

أحييكم بتحية الإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحييكم من رحاب الجامع الأزهر الشريف أعرق الجامعات الإسلامية وكعبة المؤسسات العلمية ورمز الوسطية والاعتدال وقلعة الحفاظ على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

السادة أصحاب الفضيلة السادة الحضور

منذ أكثر من ألف عام أقام الفاطميون الجامع الأزهر الشريف.

ومنذ نشأته توالى عليه رجال عظام يطلبون العلم في رحابه ويعلمونه للناس، ويساهمون في بناء وتطوير



هذا الصرح العظيم المبارك.

ويشاركون في صناعة مرجعية تبرز وسطية الدين الإسلامي الخفيف.

لنعم شمس علمهم أرجاء المعمورة ويسطع نور طلابهم في كافة بقاع الأرض، يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وفي القرون الأخيرة نبغ علماء أجلاء قادوا مسيرة التطوير والتنوير في مصر والعالم الإسلامي أمثال: الشيخ جمال الدين الأفغاني، الإمام محمد عبده، الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغي، الشيخ عبد المجيد سليم، وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود



شلتوت الذي من الله على فضيلته بدراسة العلوم الشرعية في الأزهر الشريف ثم عمل فيه أستاذاً ثم شيخاً له.

وقد أدى فضيلته واجبه بتفان وإخلاص... أسأل الله أن يجزيه عنا وعن تلاميذه خير الجزاء.

السادة أصحاب الفضيلة السادة الحضور

لست بصدد الحديث عن الراحل الكبير الختفي به، ولا عن إنتاجه الفكري والعلمي فأنتم أفضل من يتحدث عنه في هذه الأمور.

ولكن أحب أن أشير إلى أننا نحن أسرة فضيلته، قد رأينا في عيونا نحن أولاده وأحفاده نعم الأب ونعم الجد.

ومن دواعي سرورنا وفخرنا اليوم أن نراه في عيون نخبة من خيرة علماء الأمة الإسلامية في احتفالية كبيرة كهذه.

وإن دل هذا على شيء فإنا نبدل على أن الأزهر الشريف لم ولن ينسى رجاله وعلماءه على مر العصور. وخير دليل على ذلك أن فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر - قد من منة حسنة غير مسبوقه وهي:

أنه لا يمر عام إلا ويذكر فيه متأثر علماء الأزهر الشريف الأجلاء الذين ساهموا في تطويره وأثروا الفكر الإسلامي.

وهو في ذلك يضرب النثل للأجيال الجديدة في تدعيم خصال الإخلاص والوفاء.

والله أسأل أن يتمتع فضيلته بالصحة والعافية.

ويمتدنا بعلمه الغزير وبوفقه في أداء رسالته في خدمة الإسلام والمسلمين شيخاً للأزهر الشريف وإماماً للمسلمين.

السادة أصحاب الفضيلة السادة الحضور

نحن أسرة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت - يشرفنا ويسعدنا دائماً أن نقرأ ونسمع متأثر فضيلته وسيرته في مختلف المحافل المحلية والإقليمية والدولية. ولكم نسعد سعادة بالغة:

- عند إعادة أحاديثه عبر الأثير.

- أو عندما يقع اختيار أحد الباحثين على موضوع بحث يتعلق بدراسة فكر فضيلة الشيخ الراحل لنيل درجة علمية مرموقة كالمجستير أو الدكتوراه.

- أو عندما يذكر اسمه ابتداءً بمجرد أن يدور الحديث في فلك التقريب بين مختلف المذاهب.

- أو حينما نقرأ في الصحف والدوريات مقالات ودراسات تنحدر في فكر شيخنا الجليل.

كما يسعدنا كثيراً حينما يتصل بنا باحث مهتم بفكره وعلمه من مختلف دول العالم.

ولكن كانت السعادة الكبرى عندما علمت أسرة فضيلته بأن الأزهر الشريف متمثلاً في نخبة من خيرة علمائه في العصر الحالي ومجمع البحوث الإسلامية.. قد أعد رحلة في علم وفكر محمود شلتوت على متن سفينة أبحاث أزهرية يقودها فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف.

السادة أصحاب الفضيلة

السادة الحضور

نيابة عن أسرة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت - أتوجه بالشكر كل الشكر لأزهرنا الشريف ولحضراتكم ولجميع من شارك في ذكر أعمال الشيخ الراحل الجليل باحثاً أو دارساً أو ناشراً.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يتقنا يعلم شيخنا الأجلاء العظام جميعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأستاذ الإمام الشيخ محمود شلتوت إمامة في العلم وعبقورية في التجديد

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ
الدكتور أحمد الطيب - رئيس جامعة الأزهر.



محند عبيد قد ثبت له فضل الريادة والارتداد، وكان الأستاذ المراغي امتدادا للإمام وتحذيرا لإصلاحاته المتعددة، فإن الأستاذ الشيخ شلتوت كان رجل المرحلة الصعبة الخطرة، التي مر بها الأزهر في عهده، ووصل فيها إلى ما يشبه مفترق

ليس من شك في أن هذه الكلمة المحدودة - زمتا ومساحة - لا يمكن أن ترسم معالم شخصية كبرى في قامة الأستاذ الإمام الشيخ شلتوت، وأن قصارى ما نطمح إليه كلمة كهذه هو: العرفان بالجميل من جامعة الأزهر لإمام من أتمتها تفخر به، وتضعه في قائمة الشرف العليا، وثالث ثلاثة مع الأستاذ الإمام محمد عبيد والأستاذ الإمام المراغي، ورغم اختلاف الأزمان والحوادث والتقلبات السياسية والاجتماعية التي اختلفت على حيوات هؤلاء الأئمة الثلاثة، لا يعيبك أن تجد خيطا واحدا متصلا تشابهت عليه أقدار هؤلاء الشيوخ واجتهاداتهم، وتلاقحت من حوله رسالاتهم في تجديد الدين وتجديد الأزهر الشريف.. وإذا كان الأستاذ الإمام



طريقين: طريق الموت والهلاك، وطريق الحياة والبقاء والصمود.. بل إن دور الأستاذ الإمام محمود شلتوت ربما كان أكثر خطرا وأشد حرجا من دور الإمامين: محمد عبيد والمراغي، لأن هذين الإمامين كانا يبذلان الجهد والعرق والمشقة في رعاية الأزهر وإصلاحه، والأزهر ثابت قائم مستقر شامخ، يملأ السمع والبصر، وينفرد بالمرجعية محليا وإقليميا ودوليا.. بل كان الأزهر آنذاك الرافد العلمي الأساسي حتى للمؤسسات العلمية الأخرى في مصر.. وأسألوا دار العلوم من فكر في إنشائها، أليس هو الإمام محمد عبيد الأزهرى؟! وأسألوا مدرسة القضاء الشرعي من كان يرفدها ويمدها بالأساتذة وبالطلاب أليس هو الأزهر الشريف.. بل أسألوا الجامعة المصرية عن دور طه حسين ومصطفى عبدالرازق وعلى عبدالرازق وأمين الحوли وغيرهم من الأزهريين الذين نهضت على أكتافهم مسيرة العلم والتعليم في مصر، بل كان الأزهر نفسه مركز ثقل لا تخطئه العين في التقلبات السياسية والفكرية في عصر الإمامين: محمد عبيد والمراغي.. ولم تكن إصلاحات هذين الإمامين بالأمر الهين ولا اليسور في ذلكم الوقت، بل كانت كفاحا وجهادا شاقا ضد العقبات والصعوبات التي كانت تقف في وجه مسيرة الإصلاح.. إلا أن هذا الكفاح كان من أجل إصلاح مؤسسة لا من أجل بقاء مؤسسة، وفرق بين أن تكافح من أجل الإصلاح والتقويم، وبين أن تكافح من أجل الوجود والبقاء.. فالهدف

في الحالة الأولى ثابت وواضح، بينما هو في الحالة الثانية مشروح ومضطرب. وقد ترضى وأنت تكافح من أجل الوجود والبقاء بما تأباه وترفضه حين تكافح من أجل الإصلاح والتطور.. وإذا وضعنا في الحسبان أن فضيلة الإمام الشيخ شلتوت تقلد منصب شيخ الأزهر في ١٣ أكتوبر ١٩٥٨، وأن التوازنات السياسية والأيدولوجية التي أحاطت بمصر بعد ذلك مباشرة. شكلت رايحا عاتية كادت تقتلع الأزهر من الجذور وتلقي به في زاوية النسيان إلى الأبد، أدركنا كم كان دور هذا الشيخ، الذي جاءت به الأقدار لحماية الأزهر، بالغ الدقة والخطورة في آن واحد. والذي يتابع تاريخ الأزهر في عهد هذا الشيخ العظيم في بداية الستينيات، يدرك أن الشيخ كان يقاتل في أكثر من جبهة: جبهة الحفاظ على الأزهر وثقافته في وجه المد الشيوعي بكل مدارس وفلسفاته ونظرياته والتي أرادت أو أريد لها أن تنزل إلى الأرض وإلى الواقع لتمارس تطبيقاتها وتغييراتها للناس والمجتمع والتاريخ. وهي فلسفات كانت تعلن - في وضوح - عداها للدين باعتباره أفيون الشعوب. هذا فضلا عن المؤامرة التي أفرزها المد الشيوعي، وأثرت كثيرا في تحجيم رسالة الأزهر وقصرها على شئون العبادات فقط، أما الجوانب الاجتماعية فقد وكلت بها مؤسسات علمانية مؤقتة، ريثما يعود الناس على نمط الفصل بين الدين والدنيا وبين العبادة والحياة الاجتماعية.



الذي عمل فيه الأستاذ الإمام خانقا ومربكا.

ولد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت في ٢٣ من أبريل سنة ١٨٩٣ ببلدة منية بنى منصور - مركز إيتاى البارود، والتحق بمعهد الإسكندرية سنة ١٩٠٦ ثم نال شهادة العالمية النظامية عام ١٩١٨ وكان ترتيبه الأول على زملائه.. وقد عمل مدرسا بمعهد الإسكندرية ثم نقل بعد ذلك لفقهيته وعلمه الغزير - إلى التدريس في القسم العالي بالأزهر ثم مدرسا للفقہ الإسلامي بأقسام التخصص بالأزهر.. ثم فصل من الأزهر في ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٣١ بسبب آرائه الإصلاحية واشتغل بالخماسة إلى أن أعيد إلى الأزهر وعين وكيلا لكلية الشريعة.

وظل في منصبه إلى أن صدر القرار الجمهوري باختياره شيخا للأزهر في ١٣ من أكتوبر سنة ١٩٥٨. وكانت وفاة هذا الشيخ الخليل والإمام المجدد في ديسمبر من عام ١٩٦٣ في ليلة الإسراء والمعراج من عام ١٣٨٣هـ.

أيها السادة العلماء!

إن شخصية الشيخ شلتوت شخصية بالغة الخصوبة والثراء، وقد يصعب على باحث واحد ارتياد آفاق هذه الشخصية وتحليل أبعادها، فهو فقيه، وهو مصلح ومجدد، وهو إمام راسخ القدمين في المعقول

وجبهة ثانية كان على الشيخ شلتوت أن يجاهد فيها هي جبهة الاحتفاظ بالأزهر في وجه محاولات

ظنت أنها تستطيع أن تسحب البساط من تحت الأزهر والأزهريين لتضعها تحت منابر مستحدثة تخاطب المسلمين بحسبانها المتحدث الرسمي عن الإسلام بديلا عن الأزهر. وخيل للقائمين على أمر هذه المنابر أنهم قادرون على تحقيق هذه الأحلام الوردية، غير مدركين الفرق الهائل بين معهد علمي عريق يصنعه التاريخ على مدى أكثر من ألف عام، ومبان صنعتها الأموال على مدى عقود تعد على أصابع اليد الواحدة.

وثمة مؤامرة استعمارية من نوع آخر واجهها الشيخ، كانت تطمح إلى إبعاد الشعوب الآسيوية والأفريقية الإسلامية عن القدوم إلى القاهرة والاتصال بالأزهر والدراسة في أروقته وجامعته، وصرفهم إلى مراكز أخرى.. ثم مؤامرة ثالثة تبشيرية أرادت طرد الأزهر من القارة الأفريقية ليخلو لها الجو في احتضان هذه القارة الثرية وجرحها إلى مؤسسات دينية كبرى في الغرب. وكان الشيخ الإمام رحمه الله يعيش هذا الهم ليل نهار، وكان شعاره الذي يردده: «إن لم يكسب الأزهر أرضا جديدة في أفريقيا وآسيا فليحافظ على ما له في نفوس المسلمين هنا وهناك» وواضح من هذه العبارة التي تعكس من الأسى والشجى أضعاف ما تعكس من الأمل والرجاء كم كان الجو



والمنقول، وهو بصير بمشكلات الأمة والتحديات التي تواجهها، ثم هو يعيش عصره وقيمه على هدى من تراث شريعة الإسلام، يكافح الجمود كما يكافح الانقلاط، ويبراهما من أشد الأمراض والعلل التي تقتك بحيوية الإسلام وقدرته على مواكبة التطور وملاحقة التغير.

وقد مكنته ملكة الاجتهاد التي اكتسبها من مدرسة الإمام المراغي والإمام محمد عبده من الدقاع عن الإسلام في الداخل والخارج، وبخاصة في المؤتمرات الدولية الكبرى التي شارك فيها الإمام مثل مؤتمر لاهاي الذي عقد سنة ١٩٣٧ وكان موضوعه: «القانون المقارن»، وقدم فيه بحثا رائعا عن المسؤولية المدنية، والمسؤولية الجنائية، كشف عن نوع من المسؤوليات لا تعرفه القوانين الغربية، بينما هو مسطور بدقة وتفصيل في كتب

والمتأمل في اجتهادات الإمام لا يعيبه أن يكتشف قوة ملكته الفقهية والأصولية في مختلف المذاهب والمدارس، لا يتوقف عند المذاهب الأربعة المعروفة، بل يتخطاها إلى مذاهب أخرى كالإمامية والزيدية وغيرهما باحشا عن الحق، ومن منطلق الدليل الذي لا يرضى به بديلا، وقد رفض الشيخ شلتوت الجسمود المذهبي، وهدم قواعده وجوب التمسك بأحد المذاهب الأربعة في كلام طويل دقيق يضيق عنه هذا المقام، وقد طالعا الإمام بفتاواه المتجددة حول قضايا حية شغلت المجتمع آنذاك، ولاتزل تشغله حتى يومنا هذا، مثل تنظيم النسل الذي قال بجوازه للسيدات اللاتي يسرع إليهن الحمل،





ولذوى الأمراض الوراثية، بل ولمن تضعف قواهم عن مواجهة المسؤوليات.. ومثل موضوع ختان الإناث، الذي قال عنه: إن حكم الشرع فيه لا يخضع لنص منقول، وإنما يخضع في الذكر والأنثى لقاعدة شرعية عامة، هي أن إيلام الحى لا يجوز شرعا إلا لمصالح تعود عليه، وتربو على الألم الذى يلحقه، وقد انتهى إلى أن ختان الإناث ليس لدينا ما يدعو إليه وإلى تحمسه لا شرعا ولا خلقا ولا طبا.

وثمة أمران يتجلى فيهما اجتهاد الشيخ الإمام، وأرى فيهما نموذجا رائعا للتجديد الذى يكشف عن ثراء التراث وعقلانيته، كما يكشف عن عبقرية الشيخ فى فن توظيف التراث، عبر الاجتهاد، فى مواجهة المشكلات العصرية المتغيرة.

• الأمر الأول: هو طريق ثبوت العقيدة فى الإسلام، والذى انحاز فيه الإمام بقوة إلى أن الدليل العقلى الذى تسلمت مقدماته، وهو انتهى إلى الحس أو الضرورة هو الأصل الذى نبى عليه العقائد فى الإسلام، وأن الدليل النقلى الذى يفيد اليقين فى هذا المجال يشترط فيه أن يكون قطعى الورود قطعى الدلالة، بمعنى أن يكون نصا ثبت بالتواتر وأن يكون نصا محكما لا يقبل التأويل ولا يحتمله بحال.. وبنى على ذلك أن كل المسائل العلمية التى لم ترد بطريق قطعى، أو وردت عن طريق قطعى، ولكن

لاسيما احتمال فى الدلالة، فاختلقت فيها العلماء ليست من العقائد التى يكلفنا بها الدين والتى تعتبر حدا فاصلا بين الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون^(١).. وبهذا التاصيل الذى انتزعه الإمام الأكبر الشيخ شلتوت من التراث استطاع أن يضرب - فى مقتل - كل التيارات التى تخرص على التفرقة بين المسلمين، وتصنفهم إلى مسلمين وغير مسلمين، وليس فى أيديهم من دليل على شرعية هذه الفتنة إلا طائفة من أحاديث الآحاد، وهى بطبيعتها ليست قطعية الورود ولا قطعية الدلالة.

• الأمر الثانى: موقف الإسلام من غير المسلمين، ومتى يكون غير المسلم كافرا عند الله يستحق الخلود فى جهنم، وكثيرا ما كنت أفكر فى هذا الأمر حين كنت أنظر إلى جماهير الناس والطلاب فى جامعات الغرب وشوارع ومطاعم ومتاجرهم وكنت أسأل نفسى: كيف نحكم على هؤلاء الداهلين الغافلين بالكفر، وهم لا يعلمون شيئا عن الإسلام؟! وإذا علموا عنه شيئا فهو الصور السلبية الشائنة التى لا يعرفون غيرها؟! ثم إن حياتهم لا تترك لهم وقتا للتأمل والتفكير والبحث عن العقائد المنجية!! وقد شغلنى هذا التفكير كثيرا. إلى أن وجدت الإجابة فى كتاب: الإسلام: عقيدة وشرعية للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، وهو يتحدث عن «الحد الفاصل بين



الإسلام والكفر» وجدته يقول^(٢): «أما الحكم بكفر الشخص عند الله فهو يتوقف على أن يكون إنكاره لعقائد الإسلام أو لشيء منها بعد أن بلغته على وجهها الصحيح، واقتنع فيما بينه وبين نفسه، ولكنه أبى أن يعتنقها ويشهد بها عنادا، واستكبارا، أو طمعا فى مال زائف أو جاه زائف، أو خوفا من لوم فاسد ثم يقول فى عبارات تستحق أن تكتب بماء الذهب: «فإذا لم تبلغه تلك العقائد، أو بلغته بصورة منقرة، أو صورة صحيحة ولم يكن من أهل النظر، أو كان من أهل النظر ولكن لم يوفق إليها، وظل ينظر ويفكر طلبا للحق حتى أدركه الموت فى أثناء نظره فإنه لا يكون كافرا يستحق الخلود فى النار عند الله».. ثم يختم هذه النظرات الثاقبة بقوله:

«ومن هنا كانت الشعوب النائية التى لم تصل إليها عقيدة الإسلام، أو وصلت إليها بصورة سيئة منقرة، أو لم يفقهوا حجة - مع اجتهادهم فى بحثها - بمنجاة من العقاب الأخرى للكافرين. ولا يطلق عليهم اسم الكفر».

وأغلب الظن أن فضيلة الإمام الأكبر كان يستلهم بعبقريته الفذة روح التراث ومقاصده، فقد وجدنا بعض إشارات فى كتب الكلام والأصول مكنت الشيخ من بناء هذا الرأى. والذى يشهد للإسلام بالموضوعية والإنصاف لغير المسلمين..

ولعل هذا ما أشار إليه «الأمير» بقوله: «وإن شرع المكلف فيما كلف به من النظر فى معرفة الله تعالى، من غير تأخير، لكن اخترقته المنية قبل انقضاء الزمان الذى يتسع للنظر المؤدى إلى المعرفة فحكمه حكم من مات صبيا».

أيها السادة:

هذا مثال من عشرات الأمثلة على عبقرية الإمام محمود شلتوت واجتهاده وحجته فى المنقول والمعقول، والتى تحتاج إلى دراسات عديدة لتجليها، وبخاصة ما يزخر به كتابه الخالد: «الإسلام: عقيدة وشرعية» والذى طبع تسعا وعشرين مرة، وأتمنى لو أن هذا الكتاب أصبح مقروا إجباريا على كل طلاب جامعة الأزهر، كما أتمنى لو أنه يترجم إلى كل اللغات الحية التى تتحدثها شعوب العالم المعاصر.

وفى ختام كلمة الجامعة أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان بالجميل لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف - على لفتاته الكريمة وعلى هذا الوفاء الكبير لإخوانه من شيوخ الأزهر السابقين.. ونسأل الله تعالى أن يمتعه بطول البقاء ويمزج الصحة والعافية.. وشكرا للسادة القائمين على إعداد هذا المؤتمر.

وشكرا لحسن استماعكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) الإمام الأكبر الشيخ شلتوت: الإسلام عقيدة وشرعية ٦٥ الطبعة ٢٩، دار الشروق ٢٠٠٧م.

(٢) السابق ٢٧، يتصرف.



فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله - مفسراً

تحت هذا العنوان تحدثت فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر.



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه
(١) هناك علماء منحهم الله - عز وجل - الإيمان الصادق، والعلم النافع، والقلب السليم، والعقل المستبصر، والدفاع عن شريعة الإسلام بأسلوب حكيم، وبحجة تقع.

﴿ لَنْ كَانَ لَمْ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّعْيِ وَهُوَ سَهِيْدٌ ﴾

(ق: ٣٧)
وعلى رأس هؤلاء العلماء في العصر الحديث الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله وطيب ثراه -

فقد كان - رحمه الله - إلى جانب رسوخه في العلوم الشرعية واللغوية - حافظاً للقرآن الكريم، وفاقها للسنة النبوية المطهرة..

ومن مؤلفاته في تفسير القرآن الكريم كتابان لهما مكانتهما العالية في هذا العلم -

أحدهما بعنوان: «تفسير القرآن الكريم» وعدد صفحاته تقارب سبعمائة صحيفة وقد تم طبعه بمطابع دار القلم سنة ١٩٦٠م.

وقد ختمه بقوله: «وبعد: فنختم هذه الجولة في كتاب الله، بالدعاء الذي علمنا إياه رسول الله ﷺ «اللهم إني عبدك وابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في



حكمتك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني وذهاب همي وغمي، اللهم آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وهذا الكتاب النقيس تناول تفسير الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم

وثانيهما بعنوان: «من هدى القرآن الكريم» وعدد صفحاته ثلاثمائة وستون صحيفة وطبع بدار الكتاب العربي سنة ١٩٦٨م.

وفي هذا الكتاب تناول فضيلته تفسير خمس وعشرين سورة مجملة، ثم أتبعها بأكثر من ثلاثين موضوعاً، جعل عنوانها: «منهج القرآن في بناء المجتمع» تحدث فيها عن:

- مكانة العلم في نظر القرآن
- أساليب القرآن في الدعوة إلى الإنفاق
- القرآن وعلاقة الرجل بالمرأة..... إلخ

(٢) وفي هذا الكتاب الثاني وضع فضيلته الطريقة التي يرتاح إليها في تفسير القرآن فقال تحت عنوان «الطريقة المثلى في تفسير القرآن»:

لتفسير القرآن الكريم طريقتان: **إحدهما:** أن يسير المفسر بتفسيره مع

آيات الذكر الحكيم ومسوره على الترتيب القرآني المعروف، فيفسر المفردات، ويربط بين الآيات، ويبين المعاني التي تدل عليها.

وهذه هي الطريقة التي عهدها الناس منذ كان التفسير وكان المفسرون، ومن مظاهرها: اختلاف طرق التفسير باختلاف روح المفسرين.

فمن غلبت عليه روح العلوم البلاغية عني في تفسيره بإعرااب الكلمات وتصريفها....

ومن غلبت عليه الروح التاريخية، عني بالقصص والأخبار....

ومن غلبت عليه الروح الفلسفية، حجب إليه البحث في الكائنات..

ومن غلبت عليه روح الجدال الكلامي أو الفقهي، تأثر تفسيره بما غلب عليه..... وبهذه الأساليب المختلفة، المتأثرة بهذه الاتجاهات المتعددة، صعب على الناظر في هذه التفاسير، أن يجد هداية القرآن على الوجه الذي يطمئن إليه قلبه، ويشق له طريق الحياة، ويلهمه الرشد والهدى.

ولقد نجم عن هذه الطريقة، أن عدل ببعض الآيات عن معانيها وأغراضها التي سبقت لها، وكثيراً ما تفسر الآية على مقتضى القواعد الأصولية التي استخلصها أرباب المذاهب من الفروع الفقهية، واتخذوها أصولاً تحكموا إليها في فهم القرآن والسنة واستنباط الأحكام.

ولم يقف ذلك عند التشريع وآيات



الأحكام: بل تعدى إلى العقائد وآراء الفرق، فتراهم يقولون: هذه الآية لا تتفق ومذهب أهل السنة فهي منزولة بكذا وكذا.

كما يقولون هذه الآية وتلك الآيات لا تتفق ومشروعية القتال فهي منسوخة. وهكذا صار القرآن فرعاً بعد أن كان أصلاً، وتابعا بعد أن كان متبوعاً، وموزوناً بغيره بعد أن كان ميزاناً.....

وهذه النكسة التي أصيبت بها علاقة القرآن بالفقه والعقائد، كانت سبباً في حدوث فوضى فكرية فيما يتصل بالقرآن ومعاني القرآن.....

أما الطريقة الثانية فهي: أن يعمد المفسر أولاً إلى جمع الآيات التي وردت في موضوع واحد، ثم يضعها أمامه كمواد يحللها ويفقه معانيها، ويعرف النسبة بين بعضها وبعض، فيتجلى له الحكم، ويتبين المرمى الذي ترمى إليه الآيات الواردة في الموضوع، وبذلك يضع كل شيء موضعه، ولا يكره آية على معنى لا تريده، كما لا يغفل عن ميزة من مزايا الصوغ الإلهي الحكيم.

وهذه الطريقة في نظرنا هي الطريقة المثلى، وخصوصاً في التفسير الذي يراد إذاعته على الناس بقصد إرشادهم إلى ما تضمنه القرآن الكريم من أنواع الهداية، وإلى أن موضوعات القرآن ليست نظريات بحث، يشتغل بها الناس من غير أن يكون لها مثل واقعية، فيما يحدث للأفراد

والجماعات من أقضية، ويتصل بحياتهم من شئون.

وهذه الطريقة تمكن المفسر من علاج موضوعات علمية كثيرة، كل موضوع منها قائم بنفسه، ولا يختلط بغيره، فيعرف الناس موضوعات القرآن بعناوينها الواضحة، ويعرفون مقدار صلة القرآن بحياتهم الواقعية.

وهذه الطريقة التي رسمناها، تضع المفسر أمام الموضوع الذي يريد أن يعالجه وجهاً لوجه، وإن أقوم تفسير للقرآن: هو ما استقاه المفسر من القرآن نفسه.

(٣) والذي يقرأ ما كتبه فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله - في تفسير القرآن الكريم يراه قد سلك منهجاً حكيماً من أهم معالمه ما يأتي:

أولاً:

بيان المقاصد الإجمالية

للسورة التي يراد تفسيرها

فمثلاً عند تفسيره لسورة البقرة نراه يقول: « وسورة البقرة من أجمع سور القرآن، فقد احتوت على أصول العقيدة وعلى كثير من أدلة التوحيد، ثم وجهت عنايتها إلى أمرين اقتضت الإفاضة فيهما حالة المسلمين التي صاروا إليها بالهجرة من مكة إلى المدينة:

أحدهما: أن المسلمين تركزوا جماعة مستقلة لأول دخولهم المدينة، فبنى لهم



النبي ﷺ مسجده ليؤدى فيه مع المسلمين الصلوات المفروضة، وليكون بمثابة ندوة جامعة لهم، فيها يتعلمون وفيها يتشاورون، وفيها يتحاكمون، وأخى النبي ﷺ في الوقت نفسه بين المهاجرين والأنصار.....

ثانيهما: أنه قد صار لهم جوار في المدينة غير جوارهم في مكة، جاؤوا أهل الكتاب من اليهود، بعد جوارهم للمشركين في مكة.....

ويهذين الأمرين نجد السورة تهدف في جملتها إلى غرضين هما:

توجيه الدعوة: إلى بنى إسرائيل ومناقشتهم فيما كانوا يثيرون حول الرسالة احمديّة من تشكيك وشبه، وفي سبيل ذلك أخذت تذكرهم بنعم الله على أسلافهم، وبما انتاب هؤلاء الأسلاف حينما التوت عقولهم....

وأقرأ في ذلك من أواخر الربع الثاني، من قوله - تعالى -:

﴿يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِيْ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّيْ فَارِغٌ مِّنْكُمْ﴾

(البقرة: ٤٠)

إلى قوله تعالى:

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَا بِفِتْنَةٍ لَّكُمُ الْكِتَابِ لِيُشَاقَّ بِمِيزَانٍ﴾

(البقرة: ١٧٦)

وهذا هو الفرض الأول الذي استدعاه جوار المسلمين لأهل الكتاب.

أما الفرض الثاني: فهو

التشريع الذي اقتضاه تكون المسلمين جماعة متميزة عن غيرها في عبادتها ومعاملاتها وعاداتها.

وقد ذكرت سورة البقرة من ذلك القصاص، والصيام، والوصية، والاعتكاف، والأهله، وأكل أموال الناس بالباطل....

وذكرت الحج والعمرة، والخمر والميسر، والطلاق، والعدة، والرضاع، والإنفاق والإيمان، وطرق الاستيثاق في الديون.....

وبذلك يؤكد آخر سورة البقرة أولها، ويؤسس أولها لآخرها، وتصير السورة كتلة واحدة.....

ثم يكون الختام الأخير تعليم المؤمنين دعاء من شأنه أن يغرس في نفوسهم، سنة الله في التشريع لهم وبناء أحكامه على اليسر ورفع الحرج....

ومن شأنه - متى أخلصوا - أن يأخذ بأيديهم إلى حياة سعيدة سهلة ميسرة، ويسر لهم وسائل المغفرة والنصرة:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن قَسِينَا أَوْ أخطَاْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

(البقرة: ٢٨٦)

ثانياً

الترجيح بين الأقوال

وهذا الترجيح بين الأقوال التي قالها المفسرون نراه في كثير من الآيات التي قام بتفسيرها الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله وطيب ثراه.

فمثلاً عند تفسيره لقوله - تعالى -:

﴿وَاللَّحِصَّةُ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْقُصَّةُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَاهُمُ الْأَمْوَالَ﴾

(المائدة: ٥)

نراه يقول ما ملخصه:

أخذ الجمهور هذه الآية على عمومها، وأباحوا الزواج من أهل الكتاب.... وذهب جماعة من السلف إلى أن أهل الكتاب قد غيروا وبدلوا..... فهم بذلك والمشركون سواء في العقيدة، فيحرم الزواج بالكتابيات كما يحرم بالمشركات...

وتناولوا الآية بوجوه أقربها أنها رخصة في الوقت الذي نزلت فيه....

ثم يقول - رحمه الله: والذي نراه في المسألة أنه ليس في الآية ما يدل على أنه رخصة، ولا نعلم في الشريعة ما يدل على أنه رخصة.

والآية دلت على الإباحة المطلقة ولم تقيد بوقت خاص، ولا حالة خاصة، وعلى هذا يكون القول بحرمة الزواج من نسائهم وفقاً لحكم الآية أو نسخها لها، قول بغير دليل.

ثم يقول - رحمه الله -: نعم إن ما نراه اليوم في بعض المسلمين من رغبة الزوج بنساء الإفرنج لا لغاية سوى أنها إفرنجية.... ثم يضع بذلك نفسه وأولاده ومعيشتهم تحت تصرفها ورأيها..... فتذهب بأولاده كما تشاء إلى الكنيسة، وتسميهم بأسماء قومها كما تشاء... وغير ذلك مما لا يعرفه الإمام ولا يرضاه، ومما يعتبر الرضا به والسكوت عليه كفراً وخروجاً عن الملة والدين....

إن ما نراه من كل ذلك عكس للقضية، وقلب للحكمة التي أحل الله لأجلها الزواج من الكتابيات.. ثم يقول - رحمه الله: ألا وإن انحلال الكثرة الغالبة من يميلون إلى الزواج بالكتابيات، للمعاني التي أشرنا إليها، لما يوجب الوقوف أمام هذه الإباحة التي أصبحت حالتنا لا تتفق والغرض المقصود منها....

وهذا معنى تشهد به كليات الدين، وقواعده التي يتجلى بها شدة حرصه على حفظ شخصية الأمة الإسلامية، وعدم انحلالها وفتائها في غيرها....

ومثال آخر من ترجيح فضيلته - رحمه الله - للأقوال: نراه عند تفسير قوله - تعالى:

﴿وَسَيَسْأَلُ عَنِ الْأَعْرَافِ مَا لَا يَشْعُرُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَخْلُقُونَ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾

(الأعراف: ٤٦)



فإن هذا الكلام لا يصدر إلا من أرباب المعرفة الذين اطمأنوا إلى مكانتهم....

ولذلك أرجح أن رجال الأعراف، هم عدول الأمم، والشهداء على الناس، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام....

ثالثاً

ابتكار المعاني الدقيقة التي استقاها

من هدى القرآن الكريم

ومن أمثلة ذلك أنه - رحمه الله - عند تفسيره للآيات التي تبدأ بقوله - تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَرَبِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾

(الإسراء: ٣٣)

وبالآيات التي تبدأ بقوله - سبحانه:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ لَكُمْ لِكُلِّ نَفْسٍ بِمَا وَعَدْتُمْ وَإِذَا قُلْتُمْ قَوْلًا لَكُمْ أَوْ لَكُمْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَإِنْ عَفَا عَنْكُمْ فَعَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ لَتُنْفَخُنَّ مِنْكُمْ لَكُم بِمَنْ تَقُولُونَ﴾

(الأنعام: ١٥٢)

نراه يقول: «وكثيراً ما يتعلق النهي في القرآن بالقرابان من الشيء، وضابطه بالاستقراء: أن كل

يقول: وقد تكلم العلماء في هذا المقام كثيراً: تكلموا في الحجاب الذي بين الجنة والنار، وتكلموا في الأعراف ورجالها، وكان لهم آراء في ذلك آراء وصلت فيما كتب المفسرون إلى اثني عشر قولاً.

فمن قائل: إن الحجاب الذي بين الجنة والنار، أو بين أهليهما، هو السور المذكور في سورة الحديد:

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنِفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا نَفْسَكُمْ مِنْ قُرْبِكُمْ قِيلَ لَهُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ قُلُوبُكُمْ بِكُمْ يَوْمَ تَكُونُ الْقُلُوبُ نَافِثَاتٍ﴾

(الحديد: ١٣)

ومن قائل: إن رجاله هم: الملائكة، أو الأنبياء... أو أهل الفترة، أو الذين استوت حسناتهم مع سيئاتهم... إلى غير ذلك من الأقوال التي نراها في كتب التفسير.

ثم يقول: رحمه الله -: «الذي يجب أن نقف عند حدوده، أن هناك حجاً بين الجنة والنار، قد يكون مادياً، وقد يكون معنوياً، والله أعلم بحقيقته....

وليس أصحاب الأعراف ممن تساوت حسناتهم وسيئاتهم كما جاء في بعض الأقوال، لأن ما نسب إليهم من الأقوال لا يتفق مع انحطاط أقرالهم عن أهل الجنة...

انظر قولهم للمستكبرين:

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾

(الأعراف: ٤٨)

منهى عنه، وكان من شأنه أن تميل إليه النفوس، وتدفع إليه الأهواء، جاء النهي فيه عن القربان، ويكون القصد التحذير من أن يأخذ ذلك الميل في النفس مكانة تصل بها إلى اقتراف المحرم.....
ومن ذلك قوله - تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾

(الأنعام: ١٥١)

وقوله - سبحانه:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾

(الإسراء: ٣٢)

وقوله - عز وجل:

﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرَ نَجَسُهُنَّ﴾

(البقرة: ٢٢٢)

أما المحرمات التي لم يؤلف ميل النفوس إليها، ولا اقتضاء الشهوات لها، فإن الغالب فيها أن يتعلق النهي فيها بنفس الفعل لا بالقربان منه.....

ومن أمثلة ذلك قوله - عز وجل:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِئَةً أَلَّا يَرْزُقُوهُمْ وَإِنَّكُمْ لَبَالِغُونَ﴾

(الإسراء: ٣١)

وقوله - سبحانه:

﴿قُلْ مَا كُنَّا أَتَيْنَا بِكُمْ مَكْرَهُمُ عَلَيْكُمْ﴾

(الأنعام: ١٥١)

الْأَنْتَرِكُؤْلَهُ سَبِيحًا

فهذه المحرمات وإن كان الفعل المنهى عنه فيها أشد قبحا، وأعظم جرما عند الله، من أكل مال اليتيم، ومن فعل الفواحش، إلا أنها ليست ذات دوافع نفسية يميل إليها الإنسان بشهوته، وإنما هي في نظر العقل على المقابل من ذلك، يجد الإنسان في نفسه مرارة من ارتكابها، ولا يقدم عليها إلا وهو كاره لها، أو في حكم الكاره....

ومن هنا يظهر السر البلاغي الحكيم في مجيء النهي عن الشرك وأمثاله، متعلقا بنفس الفعل.... ومجيء النهي عن المال وعن الفواحش، متعلقا بالقربان منهما.....

وعلى أساس من هذه النظرة القطرية، أو التي تشبه أن تكون قطرية، نستطيع إدراك الحكمة في المغايرة بين أسلوبى النهي في الجانبين.....

رابعاً:

ميله إلى التقليل من القول بالنسخ

يدل على ذلك أنه - رحمه الله - عند تفسيره لقوله - تعالى -:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

(الأعراف: ١٩٩)

نراه يقول ما ملخصه: «وهذه الآية

ترسم للرسول ﷺ طريق معاملته للخلق على وجه يقبه شر الحرج والضيق الذي كان يتعرض له من جراء موقفهم منه ومن دعوته، وتأمره بهذا الدستور الخلقى العظيم.....

وهو توجيه وأمر إلى كل من خلفه في الدعوة إلى الله، تأمره باللين وترك الغلظة، وتأمره باللطف والرفق: خذ من الناس السهل اللين، ولا تكلفهم ما لا يطيقون، ولا تخرجهم بما به يضيقون.....

وترشده إلى الأمر بالعرف، بيانا لما تعارف عليه العقل والشرع، وتأمره بالإعراض عن الجاهلين فيما يبدر منهم

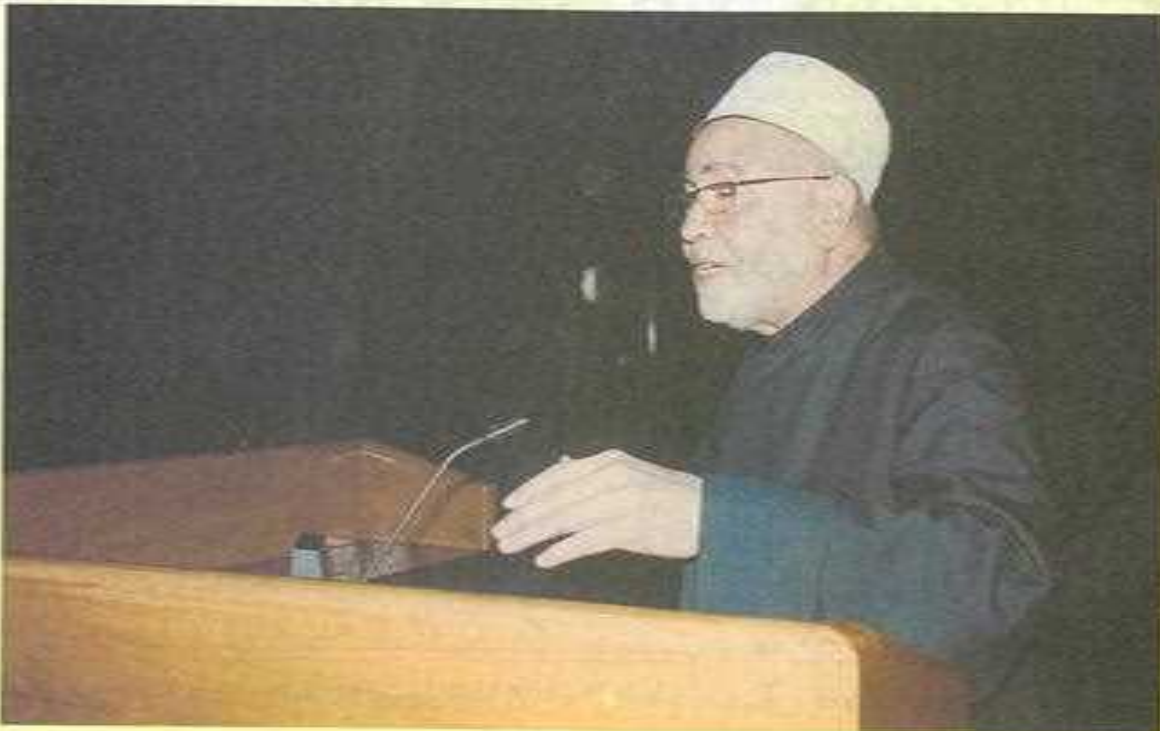
من أنواع السفاهة والإيذاء، وهذا هو شأن الربانيين:

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾

(الفرقان: ٧٢)

ثم قال فضيلته: وهذه الآية على قصرها تشتمل - كما قال العلماء - على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع أخيه الإنسان، وإنها سبيل لكل ما تطلبه الإنسانية الفاضلة لأبنائها الأبرار.

ولا يعرف معنى المبادئ الخلقية... من يرى أن هذه الآية ومثيلاتها مما نسخته آيات القتال...



خامسا:

دفعه للشبهات التي أثيرت حول مشروعية

القتال في الإسلام بأسلوب منطقي حكيم

تتبع فضيلته شبهات خصوم الإسلام الذين يزعمون أن الإسلام قد انتشر بالسيف، وكان مما قاله في الرد على هؤلاء الخصوم...

«إن حقيقة الإيمان ترجع دون منازعة أحد، إلى الإذعان القلبي، والاطمئنان إلى حقيقة من الحقائق بحيث لا يقترب منها شك، فإذا وجد هذا المعنى في القلب، وجد الإيمان وتحقق، وإذا لم يوجد لم يتحقق الإيمان.

ولا ريب أن الإكراه ليس له سلطان على القلوب، وإنما سلطانه على الجوارح والظواهر والأعمال...

وقضلا عن ذلك فإن القرآن قد صرح في آيات متعددة بأن الإكراه لا يكون في الدين، ومن هذه الآيات قوله - تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

ومنها قوله - سبحانه:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ الْمَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ

جَمِيعًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ

(يونس: ٩٩)

ثم يقول - رحمه الله -: بقي أن بعض الخصوم تمسك بقوله - تعالى -:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَرِ وَلَا يَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْتَدُوا أَنْ أَهْلَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

(التوبة: ١٢٣)

وزعموا أن الدين الإسلامي يأمر بقتال الكفار عامة، حصل اعتداء منهم أم لم يحصل حتى يؤمنوا ويدينوا بالإسلام.

وكما تمسكوا بظاهر هذه الآية، تمسكوا بحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»^(١) والواقع أن الآية ليست واردة في بيان سبب القتال، وإنما جاءت إرشادا لخطة حربية عملية يجب أن يتربسها المسلمون عند نشوب القتال المشروع، فهي ترشدنا إلى وجوب البدء عند تعدد الأعداء بقتال الأقرب فالأقرب، عملا على إخلاء الطريق من الأعداء المناوئين، وتسهيلا لسبل الانتصار، وهذا المبدأ الذي قرره القرآن من المبادئ التي تعمل بها الدول المتحاربة في العصر الحديث....

وأما كلمة «الناس» في الحديث الشريف، فالمراد بها هؤلاء المشركون أو الكفار الذين

أباحت شريعة الإسلام قتالهم.

وبذلك اتفقت الآيات بعضها مع بعض، واتفقت مع الحديث الشريف وسقط ذلك الزعم الباطل.

سادسا:

اهتمامه بتحديد المفاهيم وتحرير المعاني،

ووضع الكلمات في مواضعها الصحيحة

ومن الأدلة على ذلك أننا نراه عند تفسيره لكلمة في سبيل الله يقول: كلمة «في سبيل الله» وردت كثيرا في القرآن الكريم، وهي في الأصل بمعنى الطريق المعبود، وتستعمل في الخير، وتستعمل في الشر، ومنه: سبيل المجرمين.

وتضاف إلى الله وإلى المؤمنين، فيقال: سبيل الله، وسبيل المؤمنين، وهي حينئذ تلتقي بمعناها مع كلمة «الصراط المستقيم» وكلاهما بمعنى ما رسم الله - تعالى - لعباده من الإيمان بالحق والدعوة إليه، وعمل الخير والحث عليه.

فإعلاء كلمة الحق، ونشر دعوة الإسلام، من سبيل الله.

ودفع الأعداء إذا ما هددوا أمنا، أو أغاروا على حقوقنا.... من سبيل الله.

وإقامة العدل في الأحكام، ورد الأمانات إلى أهلها... من سبيل الله

والعمل على مصالح الأمة، بإنشاء دور العلم والمستشفيات، ودور الصناعة، التي تتوقف عليها حياة الأمة ورفيها، وتحقق

اكتفاءها بنفسها... من سبيل الله.

وحفظ أموال الأمة، وعدم التهاون فيها، وإنفاقها في كل ما يصلحها... من سبيل الله.

وعلى العموم، فسبيل الله عبارة عن تأييد الحق، وإحلال الخير والصلاح، محل الشر والفساد، ووضع العدل والرحمة، موضع الظلم والقسوة... من سبيل الله.

وكما حث القرآن الكريم على اتباع سبيل الله، وعلى الدعوة إليه، توعد بالعذاب الشديد من صد عنه فقال:

﴿قَدْ تَبَيَّنَ مَوْزِنٌ يَنْبَغُ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ

(الأعراف: ٤٤، ٤٥)

هذا ولا نعرف لكلمة «سبيل الله» في القرآن الكريم معنى غير البر العام، والخير الشامل... ومن الغريب أن أكثر الناس مع وضوح إرادة العموم فيها، حملوها على خصوص منطلق الحج، أو منطق الغزاة...

ولا نرى لهذا التخصيص من باعث سوى اعتبارات لا تنهض دليلا على التخصيص.

سابعًا:

تفصيله القول في تفسير الآيات التي

تحتاج في تفسيرها إلى هذا التفصيل

ومن الأدلة على ذلك أن فضيلته بعد أن فصل القول في مقاصد سورة

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، ١٧، صحيح مسلم، الإيمان، ٢٢.



«الأنعام» في أربعين صفحة قال:-
«وبعد... فهذه هي سورة الأنعام
في جملتها وفي أسلوبها، وفي
مقارنتها بسواها، وفيما امتازت عن
غيرها....»

فلنأخذ في تفسير ما أردنا تفسيره من آيات هذه السورة، وهي آيات الوصايا العشر، التي بها الربع الأخير منها، وهي قوله - تعالى -:

● 車輪

فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ بِمَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَأَنْتُمْ كَوَالِيهِ
شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنُوا لَا تَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تُولَدُكُمْ مِنْ
أَمْتٍ مِمَّنْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ الْوَحْيَ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَنْ يَبْطُلْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾
وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدُّهُ
وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ أَلْفَافٌ لَا كَيْفَ تَقْسِمُ إِلَّا
بِشَيْءٍ وَإِنْ أُنْقَضَ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي كُنْتُمْ تُرْغَبُونَ وَاصْبِرُوا
لِحُكْمِ رَبِّكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ كُلَّ شَيْءٍ
بِالنُّجُومِ إِنَّ أَنْفُسَكُمْ لَتَفْتَنُ كُلَّ شَيْءٍ وَإِنْ يَنْظُرِ إِلَيْكُمْ
فَتَفَرَّقْ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

(الأنعام: ١٥١-١٥٣)

ثم أخذ فضيلته بعد ذلك في تفسير هذه الآيات الثلاث في أكثر من خمسين صفحة، تحدث فيها عن هذه الوصايا



وبعد: فهذه هي الرعايا
العشر: تضع أساس العقيدة في
توحيد الله - عز وجل -

وتبنى الأسرة على أساس من الخلق
الفاضل بالإحسان إلى الوالدين ..

ونحفظ الاجتماع بحرمة الأنفس والأعراض والأموال والنظام العام.....
ثم تربط التقوى العامة المطلقة التي هي منبع كل خير، وسبيل كل فلاح، بالتزام صراط الله المستقيم.

فَاللّٰهُمَّ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ،
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ، غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ .

العشر ومكانتها في الإسلام، وعن
مجيئها بأسلوب السورة الثلقيني
«قل» كنتائج بعد المقدمات، وعن
هديها الجامع بأسلوب بارع، وعن أن
الشرف في الخطاب أولى في الموعظة،
وعن أن توجيه الدعوة باسم الربوبية من
بواعث قبولها.....

ثم أخذ فضيلته بعد ذلك في تفسير هذه الآيات تفسيراً مفصلاً جامعاً بين المعاني اللغوية والشرعية والبلاغية والاجتماعية والأصولية والتاريخية، بأسلوب منطقي حكيم، وبحجة دامغة، وبالفاظ مشرقة، وبراهين ساطعة تقنع كل ذي قلب سليم.

ثم يقول فضيلته في الوصية العاشرة: «أما الوصية العاشرة، فهي الوصية العامة التي تتناول جميع أحكام الله وشرعه، وقد أطلق الله فيها على دينه وشرعه: كلمة «الضوابط المستقيم» وقال:

وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ
الَّتِي تَفْرَقُ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٢٨﴾

(الأنعام: ١٥٣)

وشرع الله ودينه، وحدة قائمة في
الوجود، متميزة بذاتها وحكمها
وأسرارها..

ثم ختم فضيلته تفسير هذه الآية الكريمة بقوله:

وليد

فهذا جانب من المنهج الذى
 سلكه الإمام الأكبر الشيخ محمود
 شلتوت - رحمه الله وطيب ثراه - فى
 تفسيره للقرآن الكريم، وهو جانب واضح
 المعالم، مشرق البيان، يدل على أن كتابه
 كتبه بروح العالم المتمكن، اخلص فى
 دفاعه عن دينه، القسوى فى رده على
 شبهات الضالين، وعلى تأويل الجاهلين.

ندعو الله - تعالى - أن يجعل شيخنا
الجليل الإمام الأكبر الشيخ محمود
شلتوت، مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.



فضيلة الأمين
العام ينصت
بينما يلقي
فضيلة الإمام
الأكبر بحثه



مع الإمام محمود شلتوت في إحدى فتاواه

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ الدكتور محمد الأحمدى أبو النور عضو مجمع البحوث الإسلامية ووزير الأوقاف الأسبق.



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...
فمن حق شيوخ الأزهر علينا عبر الزمن أن نذكر بفضلهم، ونحدث عن عملهم، ونبين عن تميزهم وموسوعيتهم فيما حباهم الله به من أسلوب حكيم في الدعوة إلى الله، ونشر للإسلام، وعناية بالمسلمين، وسعى حثيث للتواصل الحضاري، والتبادل الثقافي، والتعاون العلمي بين الأزهر وبين جامعات العالم من جهة، وبين الأزهر وبين مسلمي العالم من جهة ثانية، وبين الأزهر وبين المؤسسات الدينية والخيرية في العالم من جهة ثالثة.

وإذا كنا الآن بين يدي علم من أعلام شيوخ الأزهر السابقين وهو الإمام محمود شلتوت

فعم نتحدث؟

هل نتحدث عن سمو أسلوبه الأدبي روعة وبلاغة؟

أم عن موسوعيته في الفقه والأصول والتفسير والحديث والدعوة والثقافة والحضارة الإسلامية والتاريخ وفقه اللغة والأخلاق والسياسة والاجتماع؟

أم عما حياه الله من تمييز في الصوت حيث



كان مستبياً لسامعيه كما كان مستبياً لقارئيه.

لقد كان شيخنا الجليل علماً من أعلام الاجتهاد بهذه الموسوعية، وبما آتاه الله من ورع الفقيه، وبصر العالم، وبصيرة الداعية، وشجاعة المؤمن، وبلاغة الحكيم، وبما حياه من تمكن في لغة الخطاب العلمي، واقتدار في مخاطبة القلب والعقل والعاطفة، وجرأة في تشديد الفكر على من يجترئ على الفتوى دون علم أو فقه أو ثقافة، مع النعي على من يتخذون بهم، أو يتأثرون بأباطيلهم.

لقد أرانا فضيلته كيف ينبغي أن يكون العالم والمفتي موسوعياً وذو خبرة وعلى بصيرة بما يعلمه أو يفتي فيه.

ومع الأعلام وشيخنا الجليل واحد منهم ونتاجه العلمي غزير وحفيل لا أستطيع له استيعاباً وحسبى أن أنتقى واحداً من كتبه: هو كتاب الفتاوى: «دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة».

بل موضوعاً من موضوعات هذا الكتاب. هو موضوع أو فتوى موضوع «الحرمان من الميراث» بما يتلاءم مع وقت الاحتفالية. فأين قطرة الماء من البحر الخيط؟

لقد كان شيخنا الجليل علماً فيما اشتهر به من التفسير والحديث والفقه والأصول والبلاغة والأدب والتاريخ والحضارة والاجتماع والأخلاق... إلخ.

أجل! بيد أنه كان كذلك علماً فيما لم يشتهر به، كان علماً في تخصص العقيدة والفلسفة:

كنت طالباً في الدراسات العليا بكلية أصول الدين شعبه العقيدة والفلسفة وكان على بعد النجاح في الامتحان التحريري أن أتسلم ورقة التعيين للامتحان الشفهي من مكتب وكيل الأزهر كان آنذاك الشيخ / محمد نور الحسن، على أن يكون الامتحان في مكتبه بعد أربعة أيام من تسلم التعيين.

كسنت اللجنة في هذا الوقت تتكون من أستاذين من كلية الطالب وأستاذ من كل كلية أخرى.

كانت اللجنة تتكون من أستاذين من كلية أصول الدين وأستاذ من كلية الشريعة وأستاذ من كلية اللغة العربية.

ورئيس اللجنة: وكيل الأزهر، وكان شيخ الأزهر آنشد (١٩٦٢م) هو صاحب الاحتفالية الإمام محمود شلتوت.

وفوجئت - بعد بدء الامتحان بفترة - بتشريف فضيلة الإمام للجنة وتوليته رئاستها وكان هذا هو التقليد إذا سمح الوقت لفضيلته.

وسلمته اللجنة الحماسية مقاليد الحوار والمناقشة، وأحاط علماً بالتعيين وشاركوا جميعاً في الحوار والمناقشة لكن القدح المعلي كان للشيخ الجليل الذي أمر بعد أن أخذ النقاش حدثه، واجتاز الاختبار شدته، أمر فضيلته بإحضار براد الشاي من الفيشاوى مع كئوس سبعة وتفضلوا فأعطوني واحداً منها وكان هذا يعني نجاحي في الامتحان الذي شرفني الله فيه بهذه اللجنة السداسية وبرئاسة



فضيلة الإمام الراحل الجليل الذي شرفني الله بموسوعيته في الدبلوم الأول للدراسات العليا في العقيدة والفلسفة كما شرف غيري بموسوعتين في الفقه والأصول.

وسرى جانباً من موسوعيته العلمية وخبرته الثقافية حين نرى:

كيف عالج القضية؟

وكيف أجاب عن السؤال؟

وكيف أضاف إلى الإجابة ما لا بد من إضافته؟

والله من وراء القصد.

فتوى الحرمان من الميراث

وكذا في فتاواه سيما في فتوى الحرمان من الميراث، نفذت بصبرته من خلال مطور المستفتي يستنطقها أن تصوره له كأنما يراه رأى العين، فيصير به يكتب - لا بالمداد العادي - وإنما بما استهل به فضيلته فتواه بقوله (١):

بدموع من الغيظ الشديد كتب يقول:

توفى والدي عني وعن أخ لي وأخوات، وفوجئت في اليوم التالي لوفاته بأنه كتب لأخي جميع ما يملك، بطريق البيع الصوري، وكان هذا قبل وفاته بأربع سنوات. ثم حدث فضيلته - بإجمال - عن أثر هذه المفاجأة، وكيف أنها كانت مأساة فادحة، عصفت برابطة الأخوة، وقصفت ما كان ينبغي أن يقوى ويتنامى بين أبناء الأسرة الواحدة، من صلة

راحمة، ورحمة واصله، وأن هذا قليل من كثير ممن يشكون من الشكوى من سوء سلوك الآباء الذين يخضعون في حرمان بنيتهم أو بناتهم من الميراث لروحة ميطرة، أو أبناء مكورة، وأنه كم من الجرائم التي ارتكبت كرد فعل لهذا السلوك الشائن الذي يتحرف به بعض الآباء عن مساوئ أبوتهم أي يظلم من حرموهم من أبنائهم وبناتهم لحساب بعض آخر، مع أن الكل يتساوون في الانتساب إلى هؤلاء الآباء، والذي ينحرفون به أيضاً عن تطبيق أحكام الله في تركائهم بعد أن فرضها عليهم، ووصاهم أشد النصيحة بها، وأعلمهم حكمة تشريعها وحذرهم من مغبة التغاضي عنها، والتعدي حدود الله فيها، والذي يهربون به من مسئولياتهم كآباء أي في الحفاظ على الروابط الأسرى، والقراءة الماسة.

ثم قال فضيلته:

وها أنا ذا أعرض آثار تلك الجريمة، وأبين حكم الله في الميراث وحكم رسوله في تفضيل بعض الأبناء على بعض، كيما يعرف الآباء مدى ما يترقبون في حق إيمانهم، وأسرهم ومجتمعهم، إذ أن بين الأسرة والمجتمع ترابطاً في القوة والضعف، وأن القرآن الكريم عني أيما عناية بالأسرة سواء من جهة حث الأبناء على البر بالآباء والإحسان إليهم، أو من جهة تربية الآباء للأبناء ووجوب العدل بينهم والعطف عليهم، وقد أكثر القرآن من وصية الفريقين أحدهما بالآخر.



توصية القرآن للآباء في الميراث

ولئن شاع أن القرآن الكريم كان أكثر عناية بحث الأبناء على بر الآباء - على أساس أن الأبناء قد تشغلهم دنياهم المنقبة عن حياة آبائهم المدبرة، لقد نبه فضيلته إلى أن القرآن كان حفيًا بتوصية كل من الآباء والأبناء بالآخر، لكن تجلت توصية القرآن للآباء في موضوع الميراث بقدر أكبر؛ لأنه الموضوع الذي تنبعث منه الشرور والمفاسد عند حيف الآباء أو أنانية الأبناء الأمر الذي تسرى بسوء التصرف فيه: روح العداء والكراهية في الأسرة ثم تنعكس سلباً على المجتمع.

ولهذا وذاك توحى فضيلته وعظ الآباء وتحذيرهم ونصحهم في هذا بأصدق الحديث فاستعرض آيات الميراث في سورة النساء مركزاً على ما يلي:

١- أن الميراث حق قدره الله في كتابه، وأكد على الالتزام به، إذ جعله فريضة محكمة لا يلحقها تغيير ولا تبدل أي حيث قال:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾

(النساء: ١١)

وحيث قال:

﴿فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾

(النساء: ١١)

وحيث قال:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾

(النساء: ١٣)

ثم تواعد من تعدها بقوله:

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ وَلَمْ يَجِدْ لَكُمْ كِتَابًا مِنْهُ فَالْحُكْمُ الَّذِي فِيهَا أَوْ لَكُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

(النساء: ١٤)

أي ولا تهديد ولا تعذيب ولا تخليد في النار إلا على كبيرة، سيما إذا كان صاحبها مستحلاً لها.

٢- أنه - سبحانه - استثار في المحافظة عليه، والالتزام بتنفيذه عاطفة الإيمان، وعاطفة الأبوة، أي حيث قال:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾

﴿فِي آوَالِدِكُمْ﴾ أي الذين لا تندرون أيهم أقرب إليكم نفعا من غيرهم، حالا أو مآلا أو حالا ومآلا معا، لأنه لا إحاطة لكم في علم ولاقدرة ولاحكمة، ولو وكل الأمر إليكم لما وضعتم الأمور في أحكم مواضعها، أي ولهذا عقب بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

(النساء: ١١)

٣- أنه - تعالى - جد ربنا - اختار لذلك مادة الوصية التي توحى بشدة الحرص من الموصي على صالح الموصى والموصى له، وحيث كان الأمر كذلك فما أوصى به سبحانه، وحدده لكل وارث يتحتم تنفيذه بالدقة والأمانة، ودون إهمال أو استهانة.

٤- أنه - سبحانه - ضمن آيات الميراث التحذير الشديد من مضارة الورثة بوصية أو دين، حيث أبان - عز شأنه - أن الميراث يكون

(١) من ٣٤١-٣٣٠ من كتابه (الفتاوى: دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة) ط دار الشروق، ط ٦.

﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ عَنِ مَوْتِهِ ﴾



«الآباء يسبقون الله بتوزيع التركة»

وهو عنوان مبتكر، يضيف إلى ماسبق عنصراً جديداً في جريرة من يشدع في توزيع التركة.

إن هؤلاء لم يكتفوا بتوزيع أموالهم قبل مماتهم بالقسطاس بين المستحقين، وإنما سبقوا آجالهم، وأعنفوا لهواهم.

ولهذا ركز فضيلته على مايلي:

١- استنكار أن يسبق الآباء ربهم قبل وفاتهم فيوزعوا التركة بما يزرع الكراهية والبغضاء، ويؤسس للحقد والعداء بين أبناء الأسرة الواحدة؛ حيث يحرمون المستحق، بإعطاء حقه لغير مستحق.

٢- استبشاع التحايل بالوصية الجائرة، أو بالبيع الصوري، أو بالإقرار الكاذب.

٣- بيان أن هؤلاء المجترئين يعكسون حكم الله، ويحرمون أنفسهم من آثار رحمته وحكمته، وإنهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون، ويخربون بيوتهم بأيديهم وهم يعمهون.

٤- النعي على من يشاؤون بالأباطيل والفتاوى المنحرفة من مثل:

(أ) الولد وما ملك لأبيه.

(ب) المالك حر فيما يملك.

(ج) الوارث لاحق له في التركة إلا بموت المورث.

٥- التعجب ممن يقول بهذا، ثم لا يقول إن الأب مسئول عن ماله أن ينفق منه فيما لاغنى له

(النساء: ١٢)

أى بشرط أن لا يقصد الميت من الوصية أو الدين الإضرار بأى من الورثة.

أشار فضيلته - بعد هذا وذاك - إلى ختام الآيات الكريمة بقوله تعالى:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ
يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾

(النساء: ١٣، ١٤)

وقسرها تفسيراً تحليلياً إجمالياً، ثم رنا ببصره وبصيرته فربط بين آيتي الميراث في أوائل السورة وبين آخر آية فيها، وهى التى تتحدث عن بقية أحكام الميراث، وأشار فضيلته إلى أن ختامها كان مشيراً إلى أنه - سبحانه - هو الذى تولى بنفسه توزيع التركات، وعين أنصبة المستحقين فيها حيث قال سبحانه:

﴿ يَتَى اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(النساء: ١٧٦)

أى حتى لا تضل نفس بعد هداها، ولا تنزل قدم بعد ثبوتها.

ولئن كان هذا أو ذاك تمهيداً أى تمهيداً لإعلام المستفتى حكم ما استفتى فيه، لقد طلع علينا فضيلته بالعنوان التالى:

عن الإنفاق المشروع فيه، وأنه مؤتمن على ما زاد عن حاجته أن يستثمره أو يؤديه كإمانة إلى بناته وبناته، وأن من واجبه أن يذر أولاده - جميعاً - أغنياء، وأن هذا خير من أن يذرهم أو يذر بعضهم أغنياء وبعضهم عالة فقراء يتكففون الناس.

٦- أنحى باللائمة على من يقول: إن الوارث لاحق له فى التركة إلا بموت المورث أى فى الوقت الذى لا مانع فيه عند هذا القائل أن يتحايل أو يتواطأ مع المورث أن يستأثر بالتركة قبل وفاته، كالمسئول عنه فى هذه الفتوى، أى كيف يقول هذا المتحايل على أكل حق إخوته بالباطل: إنه لاحق للوارث فى التركة إلا بموت المورث، ولا يقول: إنه لاحق للمورث أن يقسم أمواله قبل أن يموت سيما إذا قسط فى هذا التقسيم، أو أقر البعض بالمال على حساب البعض الآخر، وإذا فهمى - من الناحية الشكلية - كلمة حق يريد بها باطل.

فى ضوء هذه الفتوى من فضيلة الإمام نستطيع القول: إن من اختصه أبوه بماله دون إخوته أو وصى له بوصية تحجف بحق إخوته لا يحل له أن يأخذ من هذه الوصية أكثر من حقه الشرعى وعليه أن يعطى إخوته حقوقهم التى اغتالها أبوه لحساب أخيه، حيث كان مضاراً بها وكان فيها متجانفاً لإثم.

هذا إذا كان الأخ المتواطئ مع الأب يهمله أن يرفع عن أبيه وزره، قبل أن ينقض ظهره، وإذا كان يعنيه الآن أن يطهر ماله، مما سبق اغتiale، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب يوم لا تملك

نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله.

إن قضاء القاضى لا يحل حراماً، ولا يحرم حلالاً، كذلك ما قضى به هذا الأب من إشار بعض أبنائه بشروطه، كالإضرار بالوصية كذلك لا يحل حراماً، ولا يحرم حلالاً، وقد روى البخارى فى عدة مواضع من صحيحه سيما فى كتاب الحيل (٦٩٦٧) من حديث أم المؤمنين أم سلمة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ قال: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وأقضى له على نحو ما أسمع؛ فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذ، فإنما أقطع له قطعة من النار».

البديل

هذا ولم يشأ فضيلته أن يغلق باب الفضل على من يتوخى العدل، ولا أن يكتفى بشجب الشر دون أن يومض بالبديل من الخير، فيه إلى فضيلة الوصية بالتصدق بالثلث شريطة استهداف سد عوز المعوزين بها وأن لا يترتب على ذلك حرمان مستحق، أو الإضرار بوارث هو فى الحاجة أشد، واستدل بقوله ﷺ «إن الله تصدق عليكم بثلاث أموالكم عند وفاتكم؛ زيادة فى حسناتكم»^(٢).

الوصية الجائرة والبيع الصوري

ثم صرح فضيلته - بعد هذا وذاك - بحكم الوصية الجائرة، والبيع الصوري والهبة الاحتمالية لأجنبى غير محتاج وكيف أن ذلك تصرف سىء

(٢) حديث حسن للبيهقي، رواه ابن ماجه (٢٧٠٩) من حديث أبي هريرة، ورواه الطبراني من حديث معاذ وأبي الدرداء، وينظر رواء الطيال (١٦٤١) وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص: (ثلاث والثلاثون...) الحديث رواه البخارى (١٢٩٥) ومسلم (١٦٢٨).



محظور كالوصية لإحدى الزوجتين وبنيتها، وحرمان الأخرى وبنيتها، والوصية للزوج العقيم وحرمان العصبية وسائر الأقارب، وأن كل أولئك تصرف سيء محظور يتجاوز به المؤمن حدود ما أنزل الله على رسوله ويعرض به نفسه لمقت الله وعذابه، كما يعرض به أسرته للتحلل، ويقطع به ما أمر الله به أن يوصل، ويؤثر للحقد والعداء وسفك الدماء، ويوقظ شرعة الجاهلية الظالمة.

وهو يوميء - بهذا - إلى أن حرمان المرأة من الميراث، إيقاظ لشرعة الجاهلية في الرأد للمرأة بصورة معاصرة.

الشيء بالشيء يذكر

ولهذا - عقد فضيلته - بعد هذا - عنواناً لمواجعة ظاهرة تفضيل بعض الأبناء على بعض دون حرمان، فأبان أن هذا لا يقل أثره السيء أسرياً واجتماعياً عن الحرمان ذاته، واستشهد بما اشتهر في هذا من قضية بشير بن سعد حين وهب للنعمان ما لم يهب لكل ولد من بنيه، وكيف ذهب ليشهد النبي ﷺ فسأله: «أكل» ولدك أعطيته مثل هذا؟ فلما أجاب بالنفي أنكر عليه الرسول ﷺ تخصيصه النعمان بالعطية، ووسمها بالجور، وقال: ارجع فإنني لا أشهد على جور، ورجع بشير إلى أهله ورد تلك العطية، وتابع فضيلته القصة وذكر أن النبي ﷺ لم يكتف بهذا وذلك وإنما زاده: «اتقوا الله واعملوا بين أولادكم» (١) وأنه هن عاطفته: «إن لبنك عليك من الحق أن تعدل بينهم كما أن لك

(١) صحيح مسلم، كتاب الوصية، ج ٢، رقم ١٨٨.



أولادكم» ثم يقول فضيلته: وهن عاطفته: «إن لبنك عليك من الحق» الحديث، «أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟... إلخ».

وكان فضيلته يوميء إلى أن النبي ﷺ هنا زاد بشيراً وعياً وفقهاً وإدراكاً وأتاه فكرراً وفؤاداً ونفساً، حيث جمع له في قضية وجوب العدل بين الأبناء - جمع له بين خطاب القلب: في قوله ﷺ: «اتقوا الله واعملوا بين أولادكم».

وبين خطاب العاطفة: «إن لبنك عليك من الحق أن تعدل بينهم».

وبين خطاب العقل حين قال له: «أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟».

قال: أي بعد أن افتنع بهذا وذاك: نعم، وهنا وصل البيان النبوي الجامع والناجع إلى غايته، فقال ﷺ: فلا إذا، ورجع بشير في عطيته.

وكان فضيلة الإمام حين استفاض مع قضية الميراث والحرمان منه هذه الاستفاضة، وأتبعها ما يتصل بها من قضية بشير بن سعد ونص فيها على أن النبي ﷺ استفسره وشخص له مسلكه ثم زاده: «اتقوا الله... إلخ».

كأنما أراد فضيلته أن يقول: لست في ذلك بدعاً؟!

أوليس لي في رسول الله ﷺ أسوة حسنة؟!

تعدد روايات القضية وصحتها

ولم يك هذا هو كل ما كان في جعبة الشيخ عن الفتوى وما اتصل بها، وإنما طمان القاريء إلى ورودها في كتب السنة الصحيحة وتلقيها بالقبول وأن لها روايات عديدة تكفي إحداها في

بيان حرمتها وخطورتها وقد جمعها على اختلافها ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة وأكد وعظه الحريص على صالح الأسرة وصالح المجتمع.

الظالمون لأبنائهم ووجوب الحجر عليهم

لم يفت الشيخ الجليل في هذه القضية وقضايا كثيرة سواها: أن يقوم بواجب النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فأهاب بالمشرعين وأولى الأمر فيها أن يستوا من القوانين ما يحقق أهداف الشريعة من ترسيخ العدالة بين أفراد الأسرة، وأنه إذا كان من حكم الشرع والقانون: الحجر على سفيه يبدد ماله أو يضع شيئاً منه في غير موضعه والحجر على مدين محافظة على مال ذاته، فالحجر على الآباء الذين يزعمون أسرهم، أو يهددون كيان مجتمعهم سواء بالحرمان المطلق، أو بالتفضيل بينهم بغير سبب معقول أو مشروع ألزم وأشد وجوباً من الحجر على السفيه.

والأفأى طريق مشروع يلجأ إليه المظلوم لينتصف حقه؟

إن القانون في ضوء الشرع هو الوسيلة التي بها تتوثق عرى أخية بين أفراد الأسرة، وبه يستتب الأمن ويستقر النظام والعدل، وترتفع راية السلام في ربوع المجتمع.

رحم الله شيخنا الجليل وجزاه عن العلم والدين والأزهر ومصر والعالم الإسلامي خير جزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،



الإمام محمود شلتوت وقضية التجديد

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضو مجمع البحوث الإسلامية



الإمام الراحل محمود شلتوت هو تبت مدرسة التجديد والإصلاح التي استمدت فكرها الإصلاحي ورؤيتها الاجتهادية من صحيح تعاليم الإسلام، تلك التي كانت تتردد دوماً في جنبات الأزهر، في فكر أعلامه الكبار، استمداداً من روح ومقاصد الشرع الإسلامى للعالمين عبر الزمان والمكان، على امتداد القرون والأجيال، وعلى هدى تصوره القطعية في القرآن وصحيح السنة حمل لواءها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، تدبروا المعاني، وتبصروا الدلالات الكامنة في صميم الخطاب الإسلامى، وتأسوا بصاحب الرسالة محمد ﷺ، في قيادة الدنيا بالدين، وأن الإسلام قوة إصلاحية هائلة للنفس البشرية، وللمجتمع وللحياة في شتى مناحيها، وتنوع مجالاتها تنتشلها من وهدة

العمى والضلالة إلى آفاق الهداية والرشاد على طريق إعمار الكون، وتنظيم مسيرة الإنسان، وضبط حركته في الكون، وتحقيق صالحه في الدين والدنيا، في العاجل والآجل، وفي شئونه الخاصة والعامة في كل عصر ومكان.

لقد نشأت هذه المدرسة المجددة في قلب الأزهر هذا المعهد العلمى العريق، الحافظ



بتنبيه وإيقاظ النفوس، وتحرير الإنسان، والوطن، من ريقه الاحتلال الأجنبي، ومن سلطان الجمود والتقليد، واستعادة نهضة الوطن والأمة ارتكازاً على هدى الإسلام ورسالته الخالدة.

لقد كانت مدرسة الإصلاح في الأزهر الشريف - بتيارها التجديدي والاجتهادي - درة في جبين هذه المؤسسة العتيقة التي احتضنت فكر الإسلام بمنظومه العقيدة والتشريعية والأخلاقية والحضارية فأحييت دعوتها الإنسانية، وفقه التعددية الذي اتسعت رؤيته فشملت المذاهب الفقهية الثمانية: الحنفى، والمالكى، والشافعى، والحنبللى، والظاهرى، والزيدى، والإمامى، والإمامى، وانتصرت للرأى المستند إلى دليله السديد من القرآن والسنة واعتمدت على العقل، ولم تقم قطيعة مع العصر أو تخاصم التطور، بل كانت معنية بمستجداته، قائمة على شئونه، مستلهمة النص القرآنى:

﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾

(هود: ٨٨)

وقول الرسول ﷺ: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^(١)، وحسب شلتوت أن يكون من المنظرين لفكر هذه المدرسة.

جهود الإمام في مكافحة الجمود والتقليد

انطلق شلتوت في نظره للإسلام، وعرض مبادئه ومذهبه في الدين والحياة من حقيقة

والقائم على علوم الإسلام، ومن ثم تغلقت في أعماقه، وعاشت ازدهاره وانكساره، تلك المدرسة التي نهض بها أعلام مصلحون كانوا علامات مضيئة على طريق العمل الخالص والنافع، للدفاع عن الدين والنهوض بالوطن وتصحيح مسيرة الأمة، والمضى قدماً على طريق التجديد، بفهم صحيح الإسلام، وكانت لهم إسهامات على هذا الطريق وسط أمواج عاتية أحاطت بالإسلام والمسلمين والوطن، بسبب ظروف في الداخل ومن الخارج، فكان لابد من ذلك التيار الإصلاحي المناهض لصنع عقول وأقلام قصرت عن التيسر والتفقه السديد للخطاب الدينى، وحصرت نفسها في دائرة ضيقة تخندق فيها وجمدت عندها، إلى الحد الذى تصورت فيه أن هذا الجمود، وتلك الرؤية المتشددة هي من صحيح الإسلام، دون معاشة لأحوال الناس، واستشراف مستقبلهم وعلى غير دراية بما جد في هذه الحياة من وقائع وقضايا ونوازل وأحداث صيرت الناس والوطن نموذجاً آخر غير ذلك النموذج الذى نشأ وتربى في عصر الإسلام الذهبى.

في ظلال مدرسة التجديد

كان شلتوت من التلاميذ النابهين لهذه المدرسة، اقتفى أثر أساتذته المصلحين، أمثال رفاعة الطهطاوى، ومحمد عبده، ومصطفى المراغى، وعبد المجيد سليم، ومصطفى عبدالرازق الذين وعوا رسالة الإسلام، فقاموا



ناصعة هي أن الدين هو دين العقل والعلم واليقين والحجة، كونه يؤسس الإيمان عن بصر وبصيرة، وعن تفكير وبرهان، فهذا سبيل وطريق المسلم الحق:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى آفَاقٍ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِيَ سَبِيلُ الْقُرْآنِ إِنَّ الْقُرْآنَ أَكْبَرُ مِنْ دِينِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجَاسِ وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّمَا هُمْ فِي شُرَكَائِهِمْ إِلهٌ لَهُمْ يَدْعُونَ إِلَهاً يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ أَوَّلَ مَا خَلَقُوا هَؤُلَاءِ لَئِنْ دُعُوا إِلَهاً يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ يُرْسِلَ إِلَهُهُمْ فِي أُمَمٍ مِمَّنْ خَلَقَ فَهُمْ عَنْ آيَاتِهِ غَفَلُونَ ﴾

سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى آفَاقٍ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِيَ سَبِيلُ الْقُرْآنِ إِنَّ الْقُرْآنَ أَكْبَرُ مِنْ دِينِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجَاسِ وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّمَا هُمْ فِي شُرَكَائِهِمْ إِلهٌ لَهُمْ يَدْعُونَ إِلَهاً يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ أَوَّلَ مَا خَلَقُوا هَؤُلَاءِ لَئِنْ دُعُوا إِلَهاً يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ يُرْسِلَ إِلَهُهُمْ فِي أُمَمٍ مِمَّنْ خَلَقَ فَهُمْ عَنْ آيَاتِهِ غَفَلُونَ

(يوسف: ١٠٨)

لذلك كان منهج الشيخ وتقريراته في كل أحاديثه أو كتاباته أو بياناته أن الإسلام دين العلم يحارب الجهل، ويتأبى على الخرافة، وأنه حرب على الجمود والتقليد وهما هي عبارته الصريحة في نبذ الجمود بأبلغ تقرير يقول: «فالجمود جنائية على الفطرة البشرية، وسلب لمزية العقل التي امتاز بها الإنسان، وإهدار لحجة الله على عباده، وتمسك بما لا وزن له عند الله» (٢).

وإنما كان هذا الموقف الحاسم من الجمود بحسبانه يجرّد الإسلام من أخص خصائصه في عمومته للناس جميعاً، وقيادة مسيرة الحياة الإنسانية في كل عصر، وصلاحيته وقدرته على مواكبة مستجدات أحوالهم، ودعوته إلى التجديد والتفكير، وأن العقل المسلم مسوق بوازع من دينه، وبإعمال النظر والتدبر في نصوص الوحي والكون المتطور إلى بيان الحكم الشرعي في الحوادث والنوازل الطارئة. لذلك فإنه اشترط لارتداد طريق الاجتهاد

الإسلامي المعاصر تنقية الكتب الدينية من البدع والخرافات، كمستطلب للتجديد الديني، والبرهان الإيماني، تحقيقاً لقوله - تعالى -:

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۝﴾

(النساء: ٨٢-٨٣)

وينتطلب هذا الاتجاه التجديدي، طرح الانغلاق في الفكر، والجمود على النص، والانعقاد من التقليد، والتحرر من آفة التبعية التي تذهب قيمة العقل، وتلغى سلطان الحرية الحقة، في مواجهة السير في ركاب العادات الضالة والتقاليد المذمومة، والتوسط للاستعباد البشري، الذي جاء الإسلام بمحوه وإبطاله، فلا عبودية إلا لله خالق الإنسان والكون، الأمر الذي جعل التفكير والمقارعة بالحجة خاصة لأرباب العقول المسلمة:

﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَلْنَاهُ نَارَ الْفَارِغِ لَأُولَى الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ آيَاتِنَا وَقَعُودًا وَعَلَى جُؤُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝﴾

(آل عمران: ١٩٠-١٩١)



واستناداً لذلك ارتأى الإمام: «أن الجمود عند الموروث، والاكتفاء به مصادم لما تقتضي به طبيعة الكون وطبيعة كل حي من النمو والتوليد، فالتناسل الفكري كالتناسل النباتي والحيواني والإنساني كلاهما شأن لا بد منه في الحياة، ولو وقف التناسل الفكري لارتطم الإنسان في حياته بكثرة ما تلد الطبيعيات التي هو منها، وعندئذ يعجز عن تدبير الحياة النامية فيتحقق فشله في القيام بمهمة الخلافة الأرضية التي اختير لها ووكلت إليه منذ القدم» (٣).

إن اليقين الذي لا يتطرق إليه شائبة من الشك أو الظن الموهوم، أن الفرد المسلم والجماعة المسلمة، ودولة الإسلام إنما تحقق لها السبق على هدى من الإيمان الراسخ بالله وبمعتقدات الإسلام، على أساس تحرير الفؤاد والعقل من آفة الإمعية والتبعية بغير حجة أو برهان، لذلك كانت التربية الإيمانية، وغرس القدرة على التفكير والاستقلال حجر الزاوية في بناء الشخصية المسلمة، وهو ما تمثل في التوجيه النبوي بقول الرسول - صلوات الله عليه وسلامه: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءاتهم» (٤).

واستمرت المسيرة في عصور الازدهار إبان

الريادة الإسلامية، حتى أتى على المسلمين حين من الدهر، جمدوا فيه على الموروث دون استدعاء قريضة التجديد والاجتهاد حتى ران على العقل المسلم التخلف والانحطاط، وعطلوا ملكة التفكير والنظر والبرهان فعم الجهل وساد التخلف، فانتقلوا من موقع الريادة إلى موكب التقهقر والتراجع، وشاعت بينهم البدع والمفاهيم الخاطئة، وراخ لديهم الخلط بين الحق والباطل، والصحيح والزائف، والاستسلام لأفكار مغلوطة، قليت حياتهم، وجعلتهم عالية على غيرهم، وإعلان وعنواناً سلبياً وخاطناً عن حقائق الإسلام.

وبهذه المسالك المعوجة، ألقوا بظلال من الشك على حقيقة: «أن الإسلام دين العقل والعلم واليقين والبرهان، وغيبوا معلماً من معالم الإسلام في الاستدلال بالعقل على أساس من النص، وحسبنا أن رسول الله ﷺ لم يقدم حجة على رسالته إلا كان طريقها العقل والنظر والتفكير، ولم يشأ له ربه أن يحقق للقوام ما كانوا يطلبون من خوارق حسية تخضع لها أعناقهم» (٥) والتقليد مذموم في الإسلام، لما يتمخض عنه من تعطيل إدراك النواميس الإلهية والاستدلال على طلاقة القدرة الإلهية، وعظمة الصنعة الربانية للكون بآياته الباهرات في السماوات والأرضين، والشموس والأقمار، والنجوم،

٣- منهج القرآن في بناء المجتمع، ١٩٩٦، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص ٥٠.

٤- شرح السنة للبيهقي ٣٢/١٣.

٥- منهج القرآن في بناء المجتمع، ص ٤٧.

٢- من توجيهات الإسلام، ١٩٨٠، دار الشروق، ص ١٤٢.

والأودية، والجبال، والبحار، والأنهار،
وعوالم الحيوان والنبات والطيور،
وعبرها من المخلوقات التي أبدعها الله:

﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

(النمل: ٨٨)

وجعل لكل منها مهمة وحكمة قد نجعلها،
وأوجدنا بحساب دقيق، وتقدير معلوم:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

(القمر: ٤٩)

فهذا الإدراك لأسرار الخليفة، واكتشاف
قوانين الله في هذه المخلوقات، والتعرف
على بديع صنع الله، ودقة الخلق، لا يتأتى
بالتقليد، وأن يكون الإنسان أسير أفكار
بالية، واتباع أعشى للآخرين، ارتكاناً
وإعجاباً، أو تقديساً واحتراماً، فمثل هذا
المسلك يتنافى مع صحيح القرآن، وثوابت
السنة الشريفة، ويعد جنابة على العقل
البشري الذي جعله الله - تعالى - موضع
الخطاب الإسلامي، ومناط التكليف
الشرعي، وحض في غير موضع على
حتمية استخدامه واللجوء إليه، باعتباره
مزينة من مزايا الإنسان، فضله الله به على
الكائنات الأخرى، وفي التقليد امتحان
للعقل وتغيب له، والافتئات على قيمة
عليا وخاصة أساسية للمسلم، هي

التفكير امتدحها الله، وأشاد بها
بنصوص قطعية في ثبوتها وفي
دلائلها، ونعى على من عطلها أو لم
يأبه بها، وتقليب وجوه الرأي فيها،
بحسبانها ثمرة من ثمرات العقل
البشري، الذي أنعم الله بها على
الإنسان، ومظهر من مظاهر تكميله
واستخلاقه في الأرض.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة حمل شلتوت
على التقليد، واعتبره مناقضاً للإسلام، لا
يلتقى مع الدعوة والفكر الإسلامي، ولا يخدم
الدين في شيء، فضلاً عن اقتراح التقليد
بالبدع والخرافات، وتقديس آراء وأوهام بعيدة
عن جوهر الدين وغايته في الحياة، لذلك فإنه
يذهب إلى الدين لا سلطان لعرف أو تقليد
عليه، ويدلل على ذلك بأنه (١) كثيراً ما
تختلف التقاليد مع اتحاد الدين ووحدة
أحكامه، ودل ذلك على أن التقاليد شيء
والدين شيء آخر ولو وضع الدين موضع
التقاليد أو أطلقت على الدين لما كان الدين
ديناً، ذلك أن الدين وضع إلهي يبين حدود ما
يسير عليه الناس ويلتزمونه في عقائدهم
وعباداتهم، وما يحل لهم أن يفعلوه وما يحرم
عليهم أن يفعلوه، ولا سلطان عليه لعرف أو
توارث أو نقل، حتى لو اتخذت أحكام الدين
باعتبارها عرفاً أو توارثاً لما كانت ديناً، وإنما
تكون ديناً إذا أخذت مضافة إلى الله رب
العالمين.

الدين يقر الصالح من التقاليد.

ويحارب الفاسد منها

قال الدين في قوله - رحمه الله - هو الحاكم
على التقاليد، فما كان منها لا يخل بشيء من
أحكامه، ولا يتربط عليه ضرر بأباه الدين،
فإن الدين يقره ويسمح به، وما كان منها
يخل بشيء من أحكامه أو يستبجح ضرراً أو
فساداً بأباه الدين فإن الدين ينكره ويحاربه.
ويشدد الإمام على ضرورة تنقية تقاليدنا
بقوله: «وليس من شك في أن جماعتنا - وهي
إسلامية قبل كل شيء - نزعنا في كثير من
عصورها الماضية إلى كثير من التقاليد التي
أنشأها العرف، أو التي جرأها إليهم تقليد
الأمم المختلفة التي حكمتها واستغلت عقليتها
وحياتها».

وليس من شك في أن كثيراً من هذه
التقاليد لا يتفق وأحكام الإسلام، فتقاليد
الأفراح والمآتم والأعياد، وتقاليد طرق
التصوف وزبارة الأضرحة تقاليد ياباها الدين،
وقد امتدت التقاليد إلى دائرة العقيدة
والعبادة والحلال والحرام، وإذن فلا بد من
تشخيص هذه التقاليد والنظر فيها من جهة
موافقتها الدين أو مخالفتها، ومن جهة ما
تغرسه في الأمة من خير أو شر، ثم نعمل على
أخذ الأمة إلى السبيل الذي يحفظ لها
شخصيتها الإسلامية أولاً، والذي ينهض
بمستواها الاجتماعي نهوضاً يحفظ عليها

كيانها وأخلاقها، ويمهد لها سبيل
السير في الكمال.

ومؤدى ذلك أن طرح التقليد،
وتكوين الشخصية المسلمة المستوعبة لفكر
الإسلام، اخصنة بملكة التفكير، المتدبرة في
ملكوت الله - تعالى - والمقلبة وجهها شطر
السماء، بغية تأمل الصنعة الإلهية، والتفكير
في نعم الله وآلائه على الخلق جميعاً، يضحي
أمرأ واجباً في النظر الشرعي، ويصبح مسألة
متعينة لتربية أجيال من المتعلمين قادرة على
التفكير الاستقلالي، مؤهلة بملكة الاجتهاد
الإسلامي، اللازمة لاستنباط الأحكام،
العارفين لقوانين الحلال والحرام، الفاضلين
للنص والواقع، المحيطين بظروف العصر
وملايسات أحوال الناس، فهذه بعض
متطلبات الاجتهاد المسلم.

ويعضى الشيخ شلتوت في خطته بالدعوة
إلى ما دعا إليه الإسلام من النعي على التقليد
والمقلدين، وتأكيد ما دعا إليه الإسلام من عدم
احتكار أحد لحق فهم نصوص الشرع،
وتفسير مراد الله فيها من المسلمين - مهما
علاقته - خلاف رسول الله ﷺ ونلمح ذلك
في قوله (٢): «لا اختصاص لأحد بحق التفسير
والفهم»، ومن هنا يتضح أن الإسلام لا يخص
أحدًا بحق الاستثناء بتفسير النصوص، ولا
يحق إلزام الناس برأيه، بل يمنح هذا الحق لكل
مسلم جازئ لأهلية البحث، أما من ليست له
أهلية البحث، فإن واجبه أن يسأل أرباب



الأهلية عما يحتاج إليه، ولا يلزم باتباع شخص معين، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله، ولم يوجب الله ورسوله على أحد من الناس أن يدين بمذهب فقيه معين، فإيجابه تشريع شرع جديد، ولم يزل الناس - من الصدر الأول - يسألون من يرون من الباحثين المعروفين من غير تقييد برأى معين منهم.

وقد ثبت عن جميع المجتهدين التحذير من تقليدهم في اجتihadهم إلا بعد معرفة دليلهم، كما ثبت عنهم جميعاً: «إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط».

وهكذا تتبدى أهمية دعوة الإمام إلى التخلي عن التقليد، والحمل على المقلدين بسبب ما نال الأمة من مصائب وتكيات انتقصت من قوة هذا الدين وشوش على تعاليمه، وطمست بعض تعاليمه ومكنت العديد من البدع والخرافات أن تجد لها مناخاً مواتياً، وبيئة خصبة لشيوع أمور مخالفة للإسلام، تسيء إليه، بل وتعطي القرصنة لأعداء هذا الدين، والمتربصين به، والخاصين عليه أن يتعتوه بما هو منه براء، ولا يجدون غضاضة في ازدراء الإسلام وإهانة رموزه، والتشكيك في مقدساته.

والناظر لأحوال المجتمعات المسلمة، يهوله انتشار كثير من البدع والخرافات والعادات المضادة للدين، نذكر من بينها: الفوضى السائدة في نمط الحياة اليومية، في المجتمعات المسلمة، في الشارع وفي الطرقات العامة، خلافاً لما أمر به الإسلام من الانضباط والنظام

في كل شيء، لا فرق في ذلك بين صغيرها وكبيرها، ونموذج ذلك العبادات الإسلامية: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وفي معاملات المسلم مع المسلم، ومع غير المسلم التواكل في أداء الوظيفة العامة والعمل العام يتجلى في السلوكيات الخاطئة في الإهمال والتفاس عن الوفاء بمتطلباتها التي لا يرضى عنها الإسلام، لما للعمل العام والوظيفة العامة من قدسية وحرمة، مرده أنها من الحقوق العامة، أو - بالمصطلح الشرعي - من حقوق الله - تعالى -

إهمال النظافة كأساس من أسس مظهر المسلم في نفسه وفي ملبسه وفي ظهوره لأداء صلواته اليومية، وضرورة أن يمتد ذلك إلى الشوارع والحارات والأزقة والمنزل والخل والتجر... إلخ، وهو ما تفتقده حياة المسلم ومضيع في المجتمعات والبلدان الإسلامية.

هذا مجرد نموذج لما نحتشد به حياة المسلمين في العصر الحديث، مما يناقض أصول الإسلام ويتعارض مع أحكامه، والمشكل في الأمر أن هذه السلوكيات المنزوية للمسلمين، تحسب على الإسلام، هذا من ناحية وهو مكمّن الخطر، وغاية الظلم الذي يلحق بالإسلام، ثم إن الأبناء يشبون على تقليد الآباء في تلك العادات الذميمة مما يكرس لكونها عرفاً وتقليداً، ونمط حياة للمسلمين، بما يحفز الآخرين على وصم الإسلام بتلك النقائص، وأنها من الدين الإسلامي، مع الرفض الصريح والقاطع من جانب الإسلام لها.



إزاء ذلك، فمن الأهمية بمكان أن نواصل الدعوة التي نادى بها شيخنا في نبذ التقليد، والاتباع المذموم، وأن نحیی صحيح القرآن في دعوته إلى التخلص من البدع والخرافات والأوهام التي سيطرت على حياة المسلمين منذ أن نكسوا عن تعاليم الإسلام الغراء، ولعل أخطر ما في استمرار تلك الأوضاع المخالفة اعتقاد بعض المسلمين أنها من القضاء والقدر، الذي لا مناص منه، ولا قبل للمسلمين بدفعه، وهو زعم مرفوض كل الرفض في الشرع الإسلامي.

على طريق التجديد

انتصر الشيخ شلتوت لفكر التجديد الإسلامي، واشغل به وأشاعه بين تلامذته ومريديه، وكان إيمانه بالتجديد نابعا من دعوة الإسلام أتباعه إلى سلوك طريقه، وتكريس مذهب في العقائد والعبادات والمعاملات، وقد أرسى هذه الدعوة الرسول ﷺ «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»^(٨) فلا بد من قائم به، ممن تعمق فقه الدين، وتحلى بملكة العلم وفقه مراد النص، وحاز ذكاء العقل وتوقد الذهن، وخبر واقع الناس، وأدرك أحوالهم، وأحاط بمطالب الحياة، ومتطلبات العصر، وهو موجود - لا محالة - بعد كل مائة سنة، وقائم على هذا الأمر.

فإذا بلغ هذا المبلغ، فعليه أن يقف على

حقائق الدين، ويتحقق من وجودها في حياة الناس، ينظر اعتبار وتأمل، فإذا وجد انحرفاً عنها، وطمساً لمعالمها، وتغييباً لأحد مقومات الدين في العقيدة والشريعة والأخلاق والهوية، اعتصم بالتجديد وسلك طريقه، فإنه إحياء ما اندرس، ووصل ما انقطع، وبعث ما انطمس من حقائق الدين ومقاصده العامة، ومعنى هذا أن شيئا من المعالم الدينية الاعتقادية أو العبادية - قرصاً أو سنة - قد أهمل ونسى على مر الزمن، فيعمل المجدد على بعثه وإعادة العناية به، والتزامه بالصورة القديمة الأولى التي كان عليها^(٩).

مناحي التجديد

تعددت مناحي التجديد لدى الإمام، ولقد خاض غمار بحاره حتى في أصل الأصول في الإسلام، وهو العقيدة، وتعدّها إلى المعاملات، واقتصاد الأمة، وفي مسائل آخر ستورد طرفاً منها.

في مجال العقيدة:

وازن في طريق ثبوت العقيدة، وهي أساس الدين بين دليل النقل والعقل، وأثبت أن للدليل العقلي سلطاناً يرقى إلى الجزم واليقين، فإنه بالنظر والفكر يكون تحصيل الإيمان بالله، أما الدليل النقل، فإنه لا يبلغ إلى اليقين، ويقول في ذلك: «اتفق العلماء

٨- أبو داود ٤٢٩١.

٩- أمين الخولي، التجديد في الإسلام، ١٩٩٢، ص ٢٢.



على أن الدليل العقلي - الذي سلمت مقدماته، وانتهت في أحكامه إلى الحسن أو الضرورة - يفيد ذلك اليقين، ويحقق الإيمان المطلوب».

أما الأدلة النقلية، فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنها لا تفيد اليقين ولا تحصل الإيمان المطلوب ولا تثبت بها وحدها عقيدة، قالوا: «وذلك لأنها مجال واسع لاحتمالات كثيرة تحول دون هذا الإثبات» (١٠).

ومقاد هذا النظر الناقد أن تحصيل الإيمان بالعقل، أقوى ضماناً، وأكثر أماناً لغرس العقيدة في النفوس، وبلوغ درجة اليقين، وتربية الوازع الديني والضمير الإيماني لدى المسلم إذا قورن بالدليل الثقلي الذي لا يكفي وحده بتحصيل الإيمان الخالص، والانصياع الكامل لله رب العالمين، والاعتقاد في أصول الدين، وجوهر العقيدة، لذلك فعنده أن النظر العقلي واجب لتحصيل الإيمان، وعمدة في هذا الباب، منشؤه أن الإيمان هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل، ومن الواضح أن هذا الاعتقاد لا يحصله كل ما يسمى دليلاً، وإنما يحصله الدليل القطعي الذي لا تعتربه شبهة.

إن منهج الشيخ في اعتماد الدليل العقلي في مسائل العقيدة هو نظر حري بالحقاوة والتقدير خاصة في القضايا العقدية التي مصدرها الوحي والنص، ومعتمدها الاتباع والانقياد، عبودية لله، وإيماناً وتليماً

١٠- الإسلام عقيدة وشريعة، ١٩٩٧، دار الشروق، ص ٢٣

۱۱- الفتاویٰ - مرجع سابق، ص ۲۰۲



ومن هنا جاء القرآن الكريم بدم
التقليد، وجري الخلف وراء السلف
دون نظر واستدلال، وفي هذا يقول :

وَنَاقِلِهِمْ أَتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَالْوَيْلُ لِمَنِ تَسْبَحُ مَا أَفْنَيْنَا عَلَيْهِ
بِنَاءَهُ

(البقرة: ١٧٠)

﴿ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾

(الأنعام: ١٤٨)

ويقول:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي آلِهَةٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾

(الحجج: A)

لقد كان مقصد الإمام من تبني هذا الاتجاه، في مجال العقيدة، هو تثبيت العقيدة في نفس المسلم، وبناء شخصيته على هدى من الدين الصحيح، والإيمان الصادق الذي يتغلغل في أعماق القلوب، ويتخلل جنبات المسلم ويسرى في أوصاله، ويطبع جوهره فينأى به عن الشك والخيرة، ويجعله بمعزل عن الرياء والنفاق، وهي من الآفات المهلكة والأمراض الفتاكة التي تعصف بالعقيدة والإيمان، وتجعل المسلم حرباً على الإسلام وأهله، كما كان حال المنافقين في عصر صدر الإسلام، وابتلى به الإسلام والمسلمين.

من أجل ذلك، فإن انقياد المسلم للإسلام، على منه من التسليم الذي مناطه العقل أوقع وأقوى داعية على الالتزام والانصياع للإسلام، وهو أمضى في الذود عنه، والتضحية في سبيله وهو أقوى من حالة ما إذا كان الإيمان بالإسلام مستنده الدليل النقلي، واليقين النصي وأساس ذلك أن الله - تعالى - يريد من عبده المسلم أن يسلم وجهه لله طوعاً واختياراً، لا قهراً وإجباراً، وهو ما جعل الإسلام سباقاً إلى تقرير حرية العقيدة، وحق اختيار الدين بتصوص قاطعة لا يشوبها التباس، أو يحتملها التأويل.

في هذا المقام الذي قوره الشيخ بشأن اعتماد الدليل العقلي في الإيمان بالإسلام، يجدر الإشارة إلى أنه نهج منهج شيخه محمد عبده، في تحرير العقل واعتبار النظر العقلي أساس تحصيل الإيمان، مثل ما جاء في قوله (١٢): «جاء القرآن فنهج بالدين منهجاً لم يكن عليه ما سبقه في الكتب المقدسة، منهجاً يمكن لأهل الزمن الذي أنزل فيه ولمن يأتي بعدهم أن يقوموا عليه، فلم يقصر الاستدلال على نبوة النبي ﷺ بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقة، بل جعل الدليل في حال النبي مع نزول الكتاب عليه في شأن من البلاغة يعجز البلغاء عن محاكاته فيه ولو في مثل أقصر سورة منه، وقص علينا من صفات الله ما أذن الله لنا به أو ما أوجب علينا أن تعلم، لكن لم يطلب التسليم به مجرد أنه جاء بحكايته، ولكنه أقام الدعوى وبرهن، وحكى



مذاهب المخالفين وكر عليها بالحجة، وخاطب العقل واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الأحكام والإنقان على أنظار العقول وطالبها بالإمعان فيها، لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه، حتى إنه في سياق قصص أحوال السابقين كان يقرر أن للخلق سنة لا تتغير وقاعدة لا تبدل فقال:

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدَلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾

(الفتح: ٢٣)

وصرح:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

(الرعد: ١١)

﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾

(الروم: ٣٠)

واعترض بالدليل حتى في باب الأدب، فقال:

﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

(فصلت: ٣٤)

وتقرر بين المسلمين كفاية - إلا من لا ثقة بعقله ولا يدينه - أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل، كالعلم بوجود الله وبقدرته على إرسال الرسل، وعلمه بما

يوحى به إليهم وإرادته لاختصاصهم برسالته، وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة، وكالتصديق بالرسالة نفسها، كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشيء قد يعلو على الفهم، فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل.

وهكذا تعانق العقل مع النقل في فكر الشيخ، سيراً على منهج تلك المدرسة التي قادها محمد عبده، وأعطت للعقل سلطانه في نطاق العقيدة والشرع، وأقامت مصالحة بين العقل والنقل، وأزالت ما بينهما من خصومة موهومة، وذلك هو صحيح الإسلام الذي جاء به القرآن والسنة، وقرره أرباب النظر الصحيح من السلف والخلف على امتداد العصور، وحمل لواءه كبار علماء الأزهر، جيلاً بعد جيل.

إن مدافعة هذه المدرسة عن خطتها في تأسيس الاعتقاد على تأييد العقل وسلطان الفكر ومداومة التفكير في ملكوت الله، وأحكام صنعه، أصبحت في الوقت الراهن من قبيل الواجب، إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كبرهان دائم لترسيخ الإيمان، وجعل العقل هو المناط في فهم الشرع، وأن من القواعد الأصولية المقررة في الإسلام: «أن صحيح العقول لا يتنافى مع صريح المنقول» على هذا النحو، تعانق الإيمان الراسخ بالعقل الكامل وتحذرت العقيدة في نفس المسلم وتقررت كأصل من الأصول الإسلامية، وفطرة إلهية فطر الله الناس عليها، وهو ما جعل دين الإسلام، دين إنسانية بحق يتسق مع ما خصه الله من قوى فكرية وملكات عقلية، وهو أمر



باتت الحاجة إليه ملحة في إرساء دعائم الإيمان في عصر المادة الطاغية، وتفشى الاتحاد الهدام للسكينة والاطمئنان الحياتي، المؤولة لقوى الطبيعة العابد لضم المال والشهوة، فانطلق من ثم عصر المدنية الحديثة على طريق عزل وحصر الدين، والتشكيك في معتقداته وقيمه التي أقامت أمماً، وبنيت حضارات إنسانية، وتدفرت دعاة هذا العصر بالعلم والمعلوماتية، واتخذوا من العقل الجامع المتفلسف من عرى الدين سبيلاً ودليلاً على صحة مذهبهم، وتقدم مجتمعاتهم، وهو طريق ضياع الإنسان، والسير به نحو الهاوية، ولا عاصم له منه سوى الاعتقاد الراسخ المستند إلى العقل الراشد بالله رب العالمين، ونبوة محمد ﷺ وبالرسل الكرام عليهم السلام، وبالقرآن العظيم، وكتب الله المنزلة على الأنبياء والمرسلين، وهي خلاصة دعوة مدرسة التجديد في الأزهر الشريف، وشيوخه الأعلام من أمثال الشيخ شلتوت - عليه رحمة الله - ويتصل بهذا السياق تأصيله لمبدأ التعددية، وتعددية الفرق الإسلامية، والاختلاف بين السنة والشيعة، فقد تبنى الشيخ شلتوت فكر الاعتراف بالفرق الأخرى غير أهل السنة، وفتواه المعروفة بشأن جواز التعبد على المذهب الفقهي للشيعة الإمامية دليل على ذلك، إذ يقول (١٣):

«يتبغى للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة،

فما كان دين الله، وما كانت شريعته تابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله - تعالى - يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم، لا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات».

فصل في مجال المعاملات:

التجديد في منطقة المعاملات عند الإمام، أوسع أثراً، وأوفق مساراً، لذلك كان إسهامه فيها يبحث العقود المستجدة، والتعاملات الحديثة، خاصة في مجال البنوك والمؤسسات المالية والمصرفية، بسبب ما فرضته التطورات المعاصرة من قيام بيوت التمويل ومؤسسات الإقراض، ودورها الفاعل في الوفاء بحاجات الأفراد، وتنمية المجتمع.

أدرك الشيخ مغزى وقيمة التنمية المالية والاقتصادية في حياة الفرد والأمة، وأبعاد التحولات المؤسسية الجديدة، ونشوء أنماط غير تقليدية في التعامل المالي والمصرفي تتطلبها احتياجات الأفراد وتلزم لتقوية المركز المالي والاقتصادي للأمة، وإحداث التنمية فيها، ونعرض في هذا المجال لبعض النماذج هي:

أولاً: نموذج صندوق التوفير:

تصدى الإمام لمعاملة التوفير التي تبغى تنمية الفرد والمجتمع، بخلق عادة الادخار لدى فئات مجتمعية، كل بحسب دخله وإمكاناته المالية، وهو ما يحفز صغار المدخرين على تنمية هذه العادة لديهم، بما يمكن من استخدام هذه



المبالغ التي تنامي حصيلتها نتيجة مشاركة القاعدة العريضة في أوجه أنشطة اقتصادية واجتماعية تنموية يعم أثرها الفرد والأمة على سواء، ولم يشأ للإمام إلى الاقتصاص على رأيه في أرباح صندوق التوفير، إلى عند بيان الرأي في المسألة، وإنما عرض الرأي الآخر، وأقام الرأي المخالف على دليله وحجته، وهو ما جعل بيانه - للرأي القائل بحرمة هذه الأرباح - جلياً وقوياً على دليل الحرمة.

ونص عبارته في هذا الشأن^(١٤): رأى بعض علماء الحلال والحرام أن الربح الذي تدفعه مصلحة البريد لأصحاب الأموال المودعة في صندوق التوفير حرام، لأنه إما فائدة ربوية للمال المودع أو منفعة جرها قرض، وكلا الأمرين حرام في نظر الشريعة، وعلى هذا يجب رده ويحرم أخذه والانتفاع به.

رأينا أنه حلال:

والذي نراه - تطبيقاً للأحكام الشرعية والقواعد الفقهية السليمة - أنه حلال ولا حرمة فيه.

ذلك أن المال المودع لم يكن ديناً لصاحبه على صندوق التوفير، ولم يقترضه صندوق التوفير منه، وإنما تقدم به صاحبه إلى مصلحة البريد من تلقاء نفسه، طائعاً، مختاراً، ملتصقاً بقبول المصلحة إياه، وهو يعرف أن المصلحة تستغل الأموال المودعة لديها في مواد تجارية ويندر فيها - إن لم يعدم - الكساد أو الخسران.

(١٤) الفتاوى - مرجع سابق، ص ٢٥١، ٢٥٢.

وقد قصد بهذا الإيداع:

• أولاً: حفظ ماله من الضياع، وتعويده نفسه على التوفير والاقتصاد، وقصد.

• ثانياً: إمداد المصلحة زيادة رأس مالها، ليتسع نطاق معاملاتها، وتكثر أرباحها فينتفع العمال والوظفون، وتتفع الحكومة بفاضل الأرباح.

ولا شك أن هذين الأمرين - تعويده النفس على الاقتصاد، ومساعدة المصلحة الحكومية - غرضان شريفان كلاهما خير وبركة، ويستحق صاحبهما التشجيع، فإذا ما عينت المصلحة - لهذا التشجيع - قدراً من أرباحها منسوباً إلى المال المودع - أي نسبة تريد، وتقدمت به لصاحب المال، كانت - دون شك - معاملة ذات نفع تعاوني، يشمل خيرها صاحب المال والعمال والحكومة، وليس فيها - مع هذا النفع العام - أدنى شائبة لظلم أحد، أو استغلال حاجة أحد، ولا يتوقف حل هذه المعاملة على أن تندمج في نوع من أنواع الشركات التي عرفها الفقهاء وتحذروا عنها وعن أحكامها.

معاملة جديدة:

وفي الواقع أن هذه المعاملة - بكيفيةها وبظروفها كلها، وبضمان أرباحها - لم تكن معروفة لفقهاءنا الأولين وقت أن بحثوا الشركة ونوعوها واشترطوا فيها ما اشترطوا.

وليس من ريب في أن التقدم البشري أحدث في الاقتصاديات أنواعاً من العقود والاتفاقات المركزة



على أسس صحيحة لم تكن معروفة من قبل، وما دام الميزان الشرعي في حل التعامل وحرمة قائماً في كتاب الله:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾

(البقرة: ٢٢٠)

﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾

(البقرة: ٢٧٩)

فما علينا إلا أن نحكمه ونسير على مقتضاه ومن هنا يتبين أن الربح المذكور ليس فائدة لدين حتى يكون ربا، ولا منفعة جرها قرض حتى يكون حراماً على فرض صحة النهي عنه، وإنما هو كما قلنا تشجيع على التوفير والتعاون اللذين يستحيهما الشرع.

هذا النظر الناصع من الشيخ هو نظر الفقيه المدقق الذي يتعمق في فهم النصوص ومغزى ما ترمي إليه، وتخط التعامل السائد وقت نزولها، وتقرير الواقع الذي حدا إلى إيراد النصوص، وما يستغني الشارع من الحكم في نطاق النص، وتحديد العلة والحكمة المبني عليها النص، وتأسيس عليها الحكم، مع بيان التكيف السديد للمسألة المعروضة، والنفوذ إلى مضمون فقه النص الحاكم والواقع المتجدد وعدم التعميم في إصدار الأحكام، والجمود على رؤية أحادية، وإسباغ وصف التحريم على كل معاملة تتشابه في بعض جوانبها مع الواقعة التي جاء النص يحظرها، وإن كانت مغايرة في العديد من جوانبها بقصد الاحتياط في أمرها، والتشدد في فهمها حتى وإن صادرت ذلك واقعاً جديداً، ومصلحة معتبرة للفرد والجماعة، بل وللأمة على سواء.

ثانياً: نموذج إبرام الصفقات عن طريق السمسرة

انطلاقاً من بحث الجديدي في التعامل، وبيان حكم الشرع فيما يستجد من معاملات، تصدى الشيخ لمسألة السمسرة، وأزال عنها الفهم الخاطيء المتعلق بحكمها، إذ المعروف أن بذل الجهد وممارسة العمل البدني هو الذي ينتج أثراً ملموساً ووجوداً واقعياً يطلع عليه القائم به والمستفيد منه.

ولما كانت أعمال السمسرة ليست من قبيل ذلك العمل المادي المتمثل في أثر عيني يدركه المطلع عليه والمتابع له، بجانب أنها تلابسها تصرفات قد تنافي الشفافية أو عدم المشروعية، لكن في ذات الوقت تعمل على اكتشاف أفضل السبل للتقريب بين طرفي المعاملة، وتذليل العقبات التي تحول دون إبرام الصفقة، وتحقيق أيسر الشروط وأحسن الظروف لإتمام التعامل، وبلوغ المصلحة المرادة من التعاقد، وهي أمور تتعلق بطريقة إدارة العملية برمتها، وتحيط بها وتلاصق انعقاد الصفقة وتفسير الظروف والمناخ المناسب لإجرائها، وهي لا تتم في العادة في صور وأشكال مادية ولا تفسر ذلك الأثر العيني الملموس على أرض الواقع، فهي حيلة خيرات شخصية، وقدرات متراكمة لدى من يقوم بها، وملكات مكتسبة تتوفر للسمسار بما لا توجد في غيره تجعله أقدر على تحقيق أفضل الشروط، وأقوى الضمانات لصالح التعاقد الذي يعمل لحسابه، ابتغاء مصلحته، وسعياً للمنفعة المقصودة، وهي مسائل جوهرية، ومتطلبات ضرورية، يعمل على بلوغها كل متعاقد

ويتوسل بها إلى بلوغ أغراضه من
المعاملة.

هذا الدور المهم للسمسار باعتباره

الخبير الناصح للمتعاقد والمستشار المؤتمن له،
الضامن لسلامة العملية، والمحقق لمصلحة
الطرف الذي يمثل، يضحى لازماً لأطراف غير
متمرسين بأوضاع السوق وغير عارفين بأحوال
التعامل، ممن يفتقدون إلى الدراية بالممارسات
السوقية بكل ما تنطوي عليه من ألوان الغش
وصور الخداع والتدليس يعجز عن إدراكها
الشخص العادي، فيتورط في عقد صفقات
تكبده بالخسارة، فيكون السبيل المأمون لسلوك
إبرام العمليات السوقية لهذا المتعاقد، هو
الاستعانة بالسمسار لحماية حقوقه وتحقيق
مصلحته.

ومن أجل المحافظة على شتى حقوق الأطراف
المتعاملة، وضماناً لاستقرار الأسواق، والتعادل
في الصالح عند التعامل، وطلياً للمنافسة
العادلة، كان لابد من نظرة فاحصة لدور
السمسار، وإزالة اللبس والشكوك حول دوره
في الصفقة، وضبط التعامل وحماية الحقوق،
وتنشيط حركة الأسواق بإبرام الصفقات،
وتلاقي العرض بالطلب مما يجعل لعمله - ولو
كان غير مرئى - قيمة معتبرة، جذيرة
بالاعتراف له بحقه الناشئ عن هذا العمل،
وتلك الحرفية السوقية المزود بها والمكتسب لها
على مدار سنوات والخبرة المكتسبة من عقد
العمليات المدنية والتجارية، في ظل تلك
التطورات الكبيرة في الأسواق، أصبح وجود

السمسار ضرورياً للقيام بمراحل فنية
اقتضتها حركة أسواق المال التي تجاوزت
الصور البسيطة والتقليدية للمعاملات،

فاتبدعت ألواناً متعددة للحصول على السلع
والمال والخدمات، ولم تقتصر في تحقيق
الاحتياجات المتنامية للمتعاملين على الأسواق
المحلية، وإنما تعدت ذلك إلى الأسواق الإقليمية
والدولية، واستخدمت فيه الشاشات
الإلكترونية والوسائط التقنية، كما هو الحال
في معاملات البورصة، وهي أسواق مالية
تتطلب دراية وقدرة متخصصة لعقد الصفقات
عبر عمليات معقدة، لذلك اشترط فيها أن تتم
من خلال السماسرة أفراداً وشركات.

ووعياً بهذه الجوانب في العمليات السوقية،
تصدى الشيخ شلتون لبيان حكم السمسرة،
مبيناً ماهيتها بقوله (١٥): «السمسرة، كما
يعرفها الناس، هي التوسط بين البائع والمشتري
لتسهيل البيع، وهي شيء مقصود للناس في
حياتهم، وكثيراً ما يحتاجون إليه، فكم من
أناس لا يعرفون طرق المساومة في البيع
والشراء، ولا يعرفون طرق الوصول إلى شراء
أو بيع ما يريدون شراءه أو بيعه، وكم من أناس
لا تسمح مراكزهم بالنزول إلى الأسواق،
والاتصال بالبائعين والمشتريين، ولا يجدون من
يقوم لهم بالبيع والشراء حسيبة لوجه الله، ومن
هنا كانت السمسرة عملاً شرعياً نافعاً للبائع
والمشتري والسمسار، ويحتاج إليه ككل
عمل آخر يحتاج إليه الناس وينفعهم، وليس
فيه ما يوجب التحريم».

وينتقل الشيخ الجليل إلى تخريج
أعمال السمسرة، وتكييف عمل
السمسار، ورده إلى منظومة العقود

الشرعية، التي عرفها الفقهاء وبحوثها في
كتبهم، وعلى هدى ذلك يعتبر الإمام أن
السمسرة هي إجارة شرعية تخضع للاتفاق أو
العرف، وينبغي أن يتسم عمل السمسار
بالأمانة، حيث يقول: «غير أنه يجب على
السمسار - ليكون ما يأخذه حلالاً - الإخلاص
في التوسط، والبعد عن التغرير والتدريس مما
يحرم عليه كسبه وأجرته، وبذلك كان
الاستئجار عليها إجارة شرعية صحيحة، منفعة
معلومة وأجرة معلومة وعمل له قيمته بين الناس،
وطرق كسب لا شبهة فيه، فكيف تحرم ولا تحل؟
وعلى هذا فإن تعاقد إنسان مع آخر لبيع له أو
ليشتري، واتفقا على أجر معين أو لم يتفقا على
الأجر، ولكن كان يبلد التعامل قانون عام يحدد
أجرة السمسرة صح ولزم الأجر المتفق عليه أو
المقرر بحكم القانون، أما إذا أعان شخص شخصاً
على البيع أو الشراء دون تعاقد، ثم طلب منه
أجر، فإن المحكم في ذلك هو العرف».

فإن كان أهل السوق أو البلد - الذي يجري
فيه التعامل - يعملون بأجر لزم الأجر، وكما
يحكم العرف في أصل الأجرة يحكم في
قدرها، وإن كان العرف لا يجري في مثل هذه
المنفعة، وإنما يجري بالتبرع والتعاون فإنه لا
يجب فيه أجر.

ويقرر الإمام أصالة الفقه الإسلامي، ببيان أن
السمسار معروف في كتب الفقهاء بقوله: «هذا
وقد جاء ذكر السمسار بعنوانه المعروف به عند
الناس في كتب المالكية، ضمن الأمراء الذين لا

يضمنون ما تحت أيديهم بالتلف أو
الضياع دون تعد أو تقصير، قالوا: ولا
يضمن سمسار خير (أي ذو أمانة)،

وجاءت كلمة «سمسار» مع كلمة «سمسر»
في المعاجم اللغوية، وفي بعضها ما يدل على أن
هذه العملية كانت معروفة في عهد النبي ﷺ
بهذا العنوان نفسه «سمسرة وسماسرة».

ويعضى الشيخ في وضع ضوابط على
عمل السمسرة حتى يتجرد من أخطورات
التي قد تشوبه وتتضمنه، فينبه على أن
عمل السمسرة لا يجوز أن يكون استئجاراً
على الحرام، فيقول: «تقرر الشريعة حرمة
الاستئجار على كل ما يحرمه الإسلام
وتبيحه فيما يبيحه الإسلام، وكان فيه نفع
للناس مع تحديد المنفعة والأجر، فلا استئجار
على شراء الخمر أو حملها حرام،
والاستئجار على رعي الخنزير وشراؤه حرام،
والاستئجار على البغاء والرقص حرام،
والاستئجار على النياحة وضرب الدف مجرد
التلهي الذي يصد الناس عن العمل النافع
والواجبات الدينية حرام، فعلى المسلمين
التحرى في عقودهم ومعاملاتهم، حتى
يسلموا من غضب الله وسخطه، ولهم فيما
أباحه الله متسع عظيم».

وفق هذا الفهم يتناول الشيخ شلتون
الحقائق العقدية والاقتصادية والاجتماعية،
مبيناً حكمها عن طريق الاجتهاد الشرعي
الذي يتأسس على حقائق الإسلام ومصلحة
المسلمين في كل عصر، فحيثما تكون
المصلحة فثم شرع الله.

والحمد لله أولاً وآخراً



الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت مجتهد الفتوى

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ الدكتور محمد رافت عثمان عضو مجمع البحوث الإسلامية.



الإمام الأكبر الشيخ محمود محمد شلتوت - شيخ الجامع الأزهر - هو أحد أعلام علماء مصر والعالم العربي والإسلامي، بزغ نجمه ولمع بوصفه أحد علماء الشريعة الموثوق بعلمهم، فتوجهت إليه الأنظار عارفة بعلمه وفضله وإمامته واجتهاداته.

شغل نفسه بالعلم؛ فألف الكتب، وقام بتدريسه للطلاب المتحقيقين بالأزهر الشريف، ورأى أن تعريف الناس بأمور دينهم لا يقتصر على التلقى عنه في دروسه بين طلابه، فاتخذ الإذاعة والصحافة من منابر التي ينشر من خلالها العلم على الناس، يوضح لهم أحكام شريعة الإسلام، بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، والأسلوب السهل، ولم يكن علمه - وحده - هو مزيتة الشخصية بل كان لصوته الجمهوري رنة وسمعة خاصة يعرف بها، زادت قبولاً ومحبة عند الجماهير التي تسمع

أحاديثه الصباحية في الإذاعة المصرية.

مولده ونشأته العلمية

ولد - رحمه الله - في ٢٣ من شهر أبريل سنة ١٨٩٢م، وكان مولده بإحدى القرى التابعة لمحافظة البحيرة بمصر، هي قرية منية بني منصور - مركز إيتاي البارود.

ورغبة من أهله في أن يتلقى العلم في



الأزهر الشريف، كان لابد أن يهيا للالتحاق بالأزهر الشريف بحفظ القرآن الكريم كله، لا اشتراط الأزهر لقبول الطلاب في معاهده التابعة له أن يكونوا حافظين للكتاب الكريم؛ فانتظم عند شيخ يعلمه حفظ القرآن الكريم حتى أتم حفظ كتاب الله، ثم تقدم إلى معهد الإسكندرية الديني فقبل به سنة ١٩٠٦م.

واستمر في تلقي العلم عن أساتذته في الأزهر الشريف، حتى تخرج منه بحصوله على شهادة العالمية النظامية سنة ١٩١٨م متفوقاً؛ فقد كان أول الناجحين في هذه الشهادة.

قيامه بالتدريس

بعد أن تخرج الشيخ محمود شلتوت في الأزهر الشريف بحصوله على شهادة العالمية النظامية تم تعيينه مدرسا بالمعهد الذي التحق به في أول حياته الدراسية، وهو معهد الإسكندرية الديني، وكان ذلك في عام ١٩١٩م، وظل يقوم بالتدريس بهذا المعهد حتى سنة ١٩٢٧م؛ حيث نقل إلى القاهرة لشغل وظيفة مدرس في القسم العالي لمادتي: «الفقه» وأصول الفقه، قبل أن يمضي على تخرجه وقت طويل، وكان هذا دليلاً على فضله وعلمه؛ لأن القيام بتدريس مادتي: «الفقه» وأصول الفقه، كان لا يسند إلا للمشايع الذين بلغوا النهايات من أعمارهم الدراسية، فمع أن الشيخ محمود شلتوت كان في هذه الفترة الزمنية في من الشباب؛ إذ كانت سنه حينئذ في أوائل الثلاثينيات، فإنه

كان جديراً بالوظيفة التي أسندت إليه، فبهر - بعلمه الغزير، وفكره القوي - تلاميذه، وحببهم في العلم، ورغبهم في تحصيله.

مبادئه بإصلاح الأزهر

كان الشيخ محمود شلتوت أحد الأعلام في سلسلة الذين نادوا بإصلاح الأزهر، وتطوير نظامه، فمن المعلوم أن الأزهر الشريف ليس هو الهيكل المادي المكون من الأحجار والأخشاب وغيرها من مواد البناء الأخرى، وإنما هو العلم والثقافة والفكر، والتعرف على رياض الشريعة الغناء، في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، وأصول الفقه، والنحو، والصرف، والبلاغة، والأدب، والتاريخ، والمنطق، والفلسفة، وسائر ما يمتزج به هذا المعهد العريق من علوم وفنون وآداب.

وإذا كان الأزهر مشابة للناس في بيان الأحكام وتدريس العلوم المختلفة؛ فإنه بهذا الوصف يكون كائناً حياً قابلاً للنمو والتطور، والتغير، كما تتطور وتتغير سائر الأحياء؛ لأن طبائع الأشياء تقتضي التطور، وإذا لم يتطور الشيء بذاته احتاج إلى التطوير إلى الأفضل والأكمل، فمبدأ التغير قانون أزلي تخضع له الأشياء، فالصحارى تتطور، والمدن، والقرى، والنجوع، والإنسان ذاته له في حياته أطوار، ولا يوجد موجود لا يجوز عليه التغيير إلا الخالق الأعظم تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ولهذا المعنى وجدنا الأزهر الشريف تعثره



رياح التغيير والتطوير في أدائه لمهمته العلمية الكبيرة؛ فلم يكن في عهد الأزهر الأول توجد امتحانات للطلاب، بل كانت الإجازة العلمية يعطيها الشيخ لتلميذه للدلالة على أنه فهم نصاً معيناً، وتؤهله هذه الإجازة للقيام بالتدريس، وكان أول قانون نظم الدراسة في الأزهر هو القانون الذي أصدره الخديوي إسماعيل - حاكم مصر - سنة ١٢٨٨هـ الموافق لسنة ١٨٧٢ من التاريخ الميلادي، وآخر قانون ينظم الأزهر والهيئات التي يشملها هو القانون رقم ١٠٣ الصادر في سنة ١٩٦١م.

فصل الشيخ شلتوت من الأزهر

لنقادته بالإصلاح

كان الذين يتادون بالتغيير والتطوير للأزهر الشريف يلاقون في بعض الأحيان معارضة شديدة من بعض الشيوخ في الأزهر الذين يتخوفون من التغيير، ويحرصون على بقاء الموجود على حاله، وينتهي الأمر بحدوث التغيير والتطوير إلى الأفضل في أداء الأزهر الشريف لمهامه العلمية.

ومن نادوا بتطوير الأزهر الشيخ محمود شلتوت، ولكن آراءه الإصلاحية للأزهر لقيت معارضة شديدة من المشرفين على سياسة الأزهر، انتهت بصدر قرار يفصله من العمل بالأزهر في ١٧ من شهر سبتمبر ١٩٣١م هو وبعض من زملائه من شيوخ الأزهر، الذين يؤيدون فكرته الإصلاحية، وكان قرار فصله من الشيخ الظواهري - شيخ الأزهر - في هذا

الوقت.

ومع هذا ظل الشيخ يتابع نقده لسياسة الأزهر، واستمر يعمل على شيوخ أفكاره الإصلاحية، ينشرها في الصحف اليومية والمجلات، وعمل - في فترة فصله باغمامة - واشتغل بالبحوث العلمية، وفي سنة ١٩٣٥م أعيد للأزهر، وعين مفتشاً بالمعاهد الأزهرية، ثم وكيلاً لكلية الشريعة الإسلامية، ثم عضواً بالمجمع اللغوي.

الشيخ يمثل الأزهر في مؤتمر

لاهاي الدولي سنة ١٩٣٧م

في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٥٦هـ الموافق أغسطس سنة ١٩٣٧م انعقد بمدينة لاهاي - بهولندا - مؤتمر القانون المقارن في دورته الثانية، ووجهت الدعوة إلى الأزهر الشريف، ليختار من يمثله في هذا المؤتمر الدولي، فكان اختيار شيخ الأزهر - في هذا الوقت وهو الشيخ المراغي - لشيخين من خيرة علمائه، وهما:

١ - الشيخ محمود شلتوت.

٢ - الشيخ عبد الرحمن حسن عبد المنعم. وقدم الشيخ محمود شلتوت إلى المؤتمر بحثاً في بيان المسؤولية الجنائية، والمسؤولية المدنية في نظر الإسلام، وقدم الشيخ عبد الرحمن حسن عبد المنعم بحثاً في علاقة القانون الروماني بالشريعة الإسلامية، والرد على بعض المستشرقين في دعواهم أن الشريعة الإسلامية متأثرة بالقانون الروماني، وقد بذل وفد الأزهر الشريف الجهد العلمي،



الذي أدى إلى أن يقرر المؤتمر - بالإجماع - ما يلي:

أولاً: اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام والقانون المقارن.

ثانياً: اعتبار الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور.

ثالثاً: اعتبار الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها، ليست مأخوذة من غيرها.

رابعاً: تسجيل البحث الذي تقدم به الشيخ محمود شلتوت، وهو «بيان المسؤولية الجنائية والمسؤولية المدنية» في نظر الإسلام في سجل المؤتمر باللغة العربية، واعتباره بين المجموعة العلمية التي تدخر للرجوع إليها.

خامساً: استعمال اللغة العربية في المؤتمر، والتوصية بالاستمرار في ذلك في الدورات المقبلة^(١).

تدرج الشيخ شلتوت في الوظائف،

وعضويته في الهيئات العلمية

في سنة ١٩٤١م تم اختيار الشيخ محمود شلتوت عضواً بهيئة كبار العلماء - وهي التي تحول اسمها في القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م - إلى مجمع البحوث الإسلامية، ثم في سنة ١٩٤٦م اختير عضواً في المجمع اللغوي بالقاهرة، وفي سنة ١٩٥٠م عين

مراقباً عاماً للبحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر، ثم تولى وكالة الأزهر الشريف في سنة ١٩٥٧م، وفي ١٣ من شهر أكتوبر سنة ١٩٥٨م صدر القرار الجمهوري بتعيين الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر، وظل في هذا المنصب الجليل إلى أن توفاه الله - عز وجل - في ليلة الإسراء والمعراج من شهر رجب سنة ١٣٨٣هـ الموافق ١٣ من سبتمبر سنة ١٩٦٣م.

وبوفاته ختمت حياة حافلة لعالم من أكبر علماء الأزهر الشريف، ومن أعظمهم شهرة، ومن أكثرهم نشاطاً في الدعوة إلى الله، ونشر الثقافة الإسلامية، المبرأة من التعصب المفقوت، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه خير الجزاء على ما قدم لأمتة الإسلامية من العلم النافع.

مؤلفات الشيخ شلتوت

تنوعت نواحي التأليف عند عالمنا الكبير، وتعددت حتى بلغت ٢٦ مؤلفاً مطبوعاً، منها ما ألفه في علم التفسير، وله في ذلك عدة أجزاء في مجلد، لكنه لم يتم، وله بحث في حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدى، ورسالة في القرآن والمرأة، وبحث في القرآن والقتال، وبحث أخرى بعنوانين: هذا هو الإسلام، وعنصر

(١) تاريخ الفقه الإسلامي، بمراجعة وتصحيح وتهذيب الشيخ محمد علي السليبي ص ١٤١ مطبعة وادي اللوك بمصر. والمتقى في تاريخ التشريع الإسلامي للدكتور محمد اتين عبادة ص ١٧٦ مطبعة دار التأليف بمصر، والدخول للفقه الإسلامي للدكتور حسن علي الشاذلي ص ٣٤٨ دار الاتحاد العربي بمصر.



الخلود في الإسلام، والإسلام والتكافل الاجتماعي، وفقه السنة، وفصول شرعية اجتماعية، وله محاضرة في حكم الشريعة الإسلامية في تنظيم النسل، ورسالة في الدعوة المحمدية، وفقه القرآن والسنة الجزء الأول، وتوجيهات الإسلام، والإسلام والوجود الدولي، ومقارنة المذاهب في الفقه بالاشتراك مع الشيخ محمد علي السائس، وله كتاب الفتاوى، وكتاب الإسلام عقيدة وشرعية^(٢).

الشيخ شلتوت فقيها

على الرغم من أن الشيخ محمود شلتوت تعددت مواهبه العلمية في مجالات مختلفة؛ فقرأه مفسراً للقرآن الكريم، ومشتغلاً باللغة العربية حتى اختير عضواً في الجمع اللغوي بالقاهرة، ونراه - كذلك - ناشراً للثقافة الإسلامية عن طريق الصحف والإذاعة، وداعياً إلى الإصلاح، فإتينا - مع ذلك - نجد أنه غلبت عليه صفة الفقيه، ولعل ذلك يرجع إلى نشاطه العلمي الذي قام به بعدما نقل من معهد الإسكندرية الديني إلى القسم العالي بالقاهرة، وتمثل هذا النشاط العلمي في قيامه بالتدريس لمادتي: «الفقه والأصول»، وقيامه - أيضاً - بالتأليف في مجال المسائل الخلافية، ومقارنة المذاهب الفقهية الإسلامية، وتصديده للفتوى في المسائل التي ترد إليه من المستفتين، وهي - في كثير من نواحيها -

مسائل فقهية، في أبواب الطهارة، والعبادات، والمعاملات، وفقه الأسرة، وغير هذا من قضايا تحدث للناس في حياتهم اليومية الخاصة والعامة، وليست قضايا عقدية إلا في حالات قليلة بالنسبة إلى مسائل الفقه وقضاياها الكثيرة.

الشيخ محمود شلتوت مجتهد فتوى

تحتاج الأمة الإسلامية - في كل عصر - إلى من يبين للناس أحكام الدين في معاملاتهم وصلاتهم ببعض، وصلاتهم - جميعاً - بإخلاق - تبارك وتعالى - ومن المعلوم أن التصرفات تتجدد، والأحداث تختلف من عصر إلى عصر، ويحدث للناس واجتماعات قضايا مختلفة باختلاف البيئات والأعراف والثقافات؛ فكان من اللازم وجود مجتهدين في كل عصر ليساعدوا الناس على التعرف على أحكام دينهم، ولهذا وجدنا علماءنا القدامى يبينون أن الاجتهاد فرض في كل العصور، ويؤلف جلال الدين السيوطي كتاباً بعنوان: «الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض»، وكان الشيخ محمود شلتوت أحد العلماء الذين دخلوا من باب الاجتهاد، وثقف نفسه ثقافة علمية دينية، عالية المقدار، مما مكنه من أن يفتي الناس في أمور دينهم.

ولعلي - لا أكون مبالغاً - إذا قلت: إن



الشيخ محمود شلتوت وصل بعلمه وفكره إلى درجة علمية كبيرة تؤهله لأن يحوز مرتبة مجتهد الفتوى، واجتهاد الفتوى هو أحد أنواع الاجتهاد الثلاثة، فمن المعلوم أن الاجتهاد هو بذل الفقيه وسعه في استنباط الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية.

ومعنى بذل الوسع أن يحس الفقيه من نفسه العجز عن المزيد على ما بذله من جهد علمي في فهم ما تقيده الأدلة الشرعية^(٣). والتقليد بضاد الاجتهاد، وقد عرف العلماء التقليد بعبارات مختلفة، فهو عند البعض: قبول رأي الغير بلا دليل ولا حجة، وعرفه الجرجاني: بأنه عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً الحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل، وقال الجرجاني: إن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه.

ويرى بعض العلماء أن أخذ القول من الغير مع معرفة دليله يمكن أن يسمى تقييداً، ويكون هذا واسطة بين التقليد والاجتهاد، وعلل هذا الرأي بأنه لا ينطبق عليه تعريف الاجتهاد ولا تعريف التقليد^(٤).

والأنواع الثلاثة التي يتنوع إليها الاجتهاد هي:

النوع الأول: الاجتهاد المطلق، أي الاجتهاد المستقل، وهو أن تتوافر في الشخص القدرة

على استنباط الحكم في جميع أبواب الشرع بقواعده التي أصلها لمذهبه لا بقواعد غيره، بأن كان يستطيع أن يفتي في كل أبواب الفقه: من طهارة، وعبادات، ومعاملات، ومسائل الأسرة، والعقوبات: من قصاص، وحدود، وتعزيرات، وسائر أبواب الفقه، بالقواعد التي وضعها في استنباط الأحكام، والأمة الإسلامية ثرية بمن حازوا درجة الاجتهاد المطلق، ككثير من علماء الصحابة - رضي الله عنهم - وأئمة المذاهب الفقهية المشهورة.

النوع الثاني: اجتهاد المذاهب، وهو أن يكون له القدرة العلمية على معرفة الأحكام في الوقائع التي لم يرد فيها نص عن الإمام الذي يلتزم مذهبه، بطريقة التخريج على نصوص هذا الإمام، أو القواعد المنقولة عنه، فاجتهاده لا يخرج عن دائرة إيمان مذهبه، ومجتهد المذهب كابن القاسم، وابن وهب، وأشهب من علماء الفقه المالكي، والكمال بن الهمام في الفقه الحنفي، والغزالي والنووي في الفقه الشافعي.

النوع الثالث: اجتهاد الفتوى، وهو أن يكون له القدرة العلمية على ترجيح قول الإمام من أئمة الفقه الإسلامي على قول إمام آخر، أو قول عالم من العلماء على قول عالم آخر.

ومجتهد الفتوى ككبار المؤلفين من أهل

(٢) بعض هذه الكتب والبحوث نشرت إليها الموسوعة العربية الميسرة الجزء الثاني من ١٠٩ وضع لجنة برئاسة محمد شفيق غريال.

دار نهضة لبنان للطبع والنشر - بيروت ١٩٨١م.

(٣) حاشية الصاوي على الشرح الصغير لأحمد الترمذي ج ٤ ص ١٨٨، وأصول الفقه الإسلامي للأستاذ زكي الدين شعيبان ص ٤٢٢.

(٤) شرح كتاب النيل وشفا العليل، لمحمد بن يوسف الطيبي ج ١٧ ص ٤٧٤ - ٤٧٥.



المذاهب الفقهية الإسلامية^(٥).

والشيخ محمود شلتوت لم يكن له - فيما أعلم - قواعد وأصوله التي استقل بها عما أصله وقعده أئمة الفقه الإسلامي في استنباط الأحكام الفقهية؛ وإنما كان بسعة اطلاعه، وفكره المستنير، ينظر في المسألة ويطلع على آراء الفقهاء فيها، ثم يفتي بالرأى الذي يطمئن إليه، وقد يستعين في ذلك بقواعد وأصول غيره من العلماء أو بتعليقهم برأيهم، غير متعصب لمذهب معين أو لشخصية عالم بذاته، سواء أكان من أصحاب المذاهب الفقهية المشتهرة أم من غيرهم، وفيما أعلم لم يدع الشيخ محمود شلتوت أنه مجتهد اجتهداً مطلقاً، ولا أعلن أنه وجد في العصر الحديث الذي نعيش فيه، من بلغ هذه المرتبة العلمية العالية، وهي مرتبة الاجتهاد المطلق التي بلغها أئمة المذاهب الفقهية المشتهرون.

وأيضاً لم يكن الشيخ مجتهد مذهب، لأنه لم يحصر نفسه في بحثه عن الحكم في القضايا التي يتعرض لبيان الحكم الفقهي فيها في اتباع أصول إمام بعينه لا يتعدها - عند إبداء الرأي - كما هو الشأن في مجتهد المذهب، ولا ألزم نفسه بتخريج القضية الجديدة على قضية قديمة قال فيها إمام من أئمة الفقه يلتزم مذهبه برأى.

فالشيخ محمود شلتوت لم يكن - إذا - مجتهداً اجتهداً مطلقاً، ولا مجتهداً اجتهداً

مذهب، ولكنه وصل بعلمه إلى درجة مجتهد الفتوى.

بعض ملامح آرائه في الفقه الإسلامي

الشيخ شلتوت بثقافته الواسعة، واشتغاله بدراسة وتدريس الفقه الإسلامي وأصوله، وتوافر الأسس العلمية فيه التي تؤهل الشخص ليقوم بالتعرف على الأحكام الشرعية من مصادرها المعتبرة - كل ذلك - أهله ليكون صاحب فكر مستقل منطلق من قيد التبعية لمذهب معين، ونرى بعضاً من ملامح آرائه في الفقه الإسلامي فيما يلي:

أولاً: صداريته للخرافات والأوهام:

كان يحارب الخرافات والأوهام التي شاعت بين الناس، ويبدى رأيه فيها معتمداً على الأدلة الشرعية، حتى لو كان رأيه الذي يبدىه مخالفاً لما يقوله الفقهاء القدامى، ولهذا وجدناه - مثلاً - في مسألة زواج الإنسي بالجنية أو العكس، يلتزم العذر لبعض فقهاءنا القدامى في تصورهم وقوع مثل هذا، بناء على ما شاع بين عوام الناس من حدوث هذا الزواج الغريب، ويبين الشيخ أن الزواج بالجان وهم من الأوهام التي استقرت عند كثير من الناس، وأن بعض الفقهاء جاراهم وبيتوا حكم ذلك، جرياً على طريقته في اقتراض الحوادث.

قال الشيخ^(٦): «صدق كثير من الناس ما شاع من ذلك عن الجن - يقصد الزواج بالجن



ودخولهم في جسم الإنسان ونحو ذلك -^(٧)، وتناقلوا فيه الحكايات التي ربما رفعوها إلى السلف الصالح، واستمروا على ذلك، حتى جاراهم الفقهاء وفرضوا صحتهم، واتخذوا من هذا القرض مادة جعلوا منها حقلاً للتدريب على تطبيق كثير من الأحكام الشرعية عليهم، وكان منهم من تحدثوا عن صحة الزواج بهم، وعن وجوب الغسل على الإنسية إذا خالطها جن، وعن انعقاد الجماعة بهم في الصلاة، وعن مرورهم بين يدي المصلي، وعن روايتهم عن الإنس، ورواية الإنس عنهم، وعن حكم استنجاء الإنس بزادهم، وهو - العظم -، وعن حكم الأكل من ذبائحهم، إلى غير ذلك مما نراه منشوراً في كتب الفقه، أو نجده في كتب خاصة ذات عناوين خاصة بالجن».

ثم قال الشيخ: «وإنني أعتقد أن ذلك - من فقهاءنا - لم يكن إلا مجرد تمرين فقهي، جرياً على سنتهم في اقتراض الحالات والوقائع التي لا يرتقب وقوعها، أو التي لا يمكن أن تقع، وإذن ففروض الفقهاء - التي لم يقصدوا بها إلا مجرد التدريب الفقهي - لا تصلح أن تكون دليلاً، أو شبه دليل على الوقوع والتحقيق، فلنتركهم على سنتهم يفترضون ومردنا في ذلك إلى القرآن الكريم».

وبين الشيخ أن القرآن الكريم ينفي هذا، واستشهد بالآية الكريمة التي تبين امتنان الله علينا بأن خلق لنا من أنفسنا أزواجاً لتسكن إلينا، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

(الروم: ٢١)

ووضح أن الجن لا يعلمون الغيب ولا يقدرون على الإيذاء الاتصالي بالإنس أو التلبس، ثم قال: «ومع هذا كله قد تغلب الوهم على الناس، ودرج المشعوذون في كل العصور على التلبس، وعلى غرس هذه الأوهام في نفوس الناس، استغلوا بها ضعاف العقول والإيمان، ووضعوا في نفوسهم أن الجن ليس جسم الإنسان، وأن لهم قدرة على استخراجها، ومن ذلك كانت بدعة الزار، وكانت حفلاته الساحرة المزرية، ووضعوا في نفوسهم أن لهم القدرة على استخدام الجن، في الحب والبغض، والزواج والطلاق، وجلب الخير، ودفع الشر، وبذلك كانت «التحويطة، والمندل، وخاتم سليمان»، استخدموهم في إظهار الغيب، عن مسروق ضائع، أو مستقبل مخبوء، واستخدموهم في العلاج، واستغلوهم في كل شيء، وصارت لديهم مهنة منها يتعيشون، وللمال يجمعون، وبالعقول يعثون».

ثم يقول: «وقد ساعدتهم على ذلك طائفة من المتسممين بالعلم والدين، وأيدوهم بحكايات وقصص موضوعة أفسدوا بها حياة الناس، وصرفوهم عن السنن الطبيعية في

(٧) كان جواب الشيخ عن سؤال بهذا المعنى

(٥) رد المحتار على الدر المختار «حاشية ابن عابدين ج ٥ ص ٣٦٥».

(٦) الفتاوى للشيخ شلتوت ص ٢٥ دار الشروق بمصر.



العلم والعمل، وعن الخد النافع المفيد،
وجدير بالناس أن يشتغلوا بما يعينهم،
وبما ينفعهم في دينهم، ودنياهم، جدير
بهم أن لا يجعلوا لدجل المشعوذين سبيلاً
إلى قلوبهم، فليحاربوهم وليطاردوهم، حتى
يظهر المجتمع منهم، وليعرفوا ما أوجب الله
عليهم معرفته، مما يفتح لهم أبواب الخير
والسعادة.

ثانياً: لا يهاب الضير في إبداء الرأي:

كان الشيخ شلتوت شجاعاً في إبداء ما
يراه صواباً وإن خالف الكثيرين، وهذا هو
أحد أخلاق العلماء الملتزمين بأوامر الشرع
وأحكامه، ويظهر ذلك في رأيه الفقهي الذي
أبداه في حكم الأرباح التي تدفعها مصلحة
البريد لأصحاب الأموال المودعة في صندوق
التوفير.

فبين الشيخ محمود شلتوت أن بعض
علماء الحلال والحرام يرى أن الربح - الذي
تدفعه مصلحة البريد لأصحاب الأموال
المودعة في صندوق التوفير - حرام، لأنه إما
فائدة ربوية للمال المودع، أو منفعة جررها
قرض، وكلا الأمرين حرام في نظر الشريعة،
ولهذا يجب رده، ويحرم أخذه والانتفاع به.

يبين الشيخ شلتوت هذا الرأي ثم يقول:
«والذي نراه - تطبيقاً للأحكام الشرعية
والقواعد الفقهية السليمة - أنه حلال ولا
حرمة فيه».

وعلى هذا الرأي - وإن خالفه في
هذا كثيرون - بقوله: «ذلك أن المال
المودع لم يكن ديناً لصاحبه على
صندوق التوفير، ولم يقترضه صندوق
التوفير منه، وإنما تقدم به صاحبه إلى مصلحة
البريد من تلقاء نفسه طامعاً مختاراً، ملتصقاً
قبول المصلحة إياه، وهو يعرف أن المصلحة
تستغل الأموال المودعة لديها في مواد
تجارية^(٩)، ويندر فيها - إن لم يعدم - الكساد
أو الخسران».

«وقد قصد بهذا الإيداع أولاً: حفظ ماله
من الضياع، وتعويده نفسه على التوفير
والاقتصاد، وقصد ثانياً: إمداد المصلحة
بزيادة رأس مالها، ليتسع نطاق معاملاتها،
وتكثر أرباحها فينتفع العمال والموظفون،
وتنتفع الحكومة بفائض الأرباح».

«ولاشك أن هذين الأمرين: تعويد النفس
على الاقتصاد، ومساعدة المصلحة الحكومية
غرضان شريفتان، كلاهما خير ومبركة،
ويستحق صاحبهما التشجيع، فإذا ما عينت
المصلحة لهذا التشجيع قدراً من أرباحها
منسوبة إلى المال المودع - أي نسبة تريده -
وتقدمت إلى صاحب المال، كانت - دون شك
- معاملة ذات نفع تعاوُنِي عام، يشمل خيرها
صاحب المال، والمال، والحكومة، وليس فيها -
مع هذا النفع العام - أدنى شائبة لظلم أحد، أو
استغلال حاجة أحد، ولا يتوقف حل هذه
المعاملة على أن تندمج في نوع من أنواع



الشركات التي عرفها الفقهاء وتحدثوا
عنها وعن أحكامها».

ثم قال الشيخ: «ومن هنا يتبين أن
الربح المذكور ليس فائدة لدين حتى يكون
رباً، ولا منفعة جررها قرض حتى يكون حراماً
على النهي عنه^(١٠)، وإنما هو كما قلنا تشجيع
على التوفير والتعاون اللذين يستحبهما
الشرع^(١١)».

ثالثاً: إعمال فكره فيما يحل أحد المسكلات وفق قواعد الفقه الإسلامي:

ويظهر هذا في رأيه في تكديس لحوم
الذبائح بمعنى، فبين رأيه بقوله: «إن هذه
المشكلة ليست ناشئة عن أصل التشريع الذي
هو خير كله، وإنما نشأت عن عدم التنظيم،
وعدم الإلمام بأحكام الشرع، فإن الشرع لم
يطلب من كل حاج أن يذبح، فالذي نوى الحج
واستمر على إحرامه حتى أكمل حجه لا
يجب عليه ذبح، ولم يوجب أن يكون الذبح
- فيما طلب فيه الذبح - في خصوص منى ولا
مجزرتها، ولا في اليوم الأول من أيام النحر،
فأيام النحر كلها زمن للذبح، والحرم كله
مكان للذبح، والذبح لم يطلب عينا إلا في
حالات مخصوصة، وما عداها فالحاج مخير
بينه وبين غيره من صدقة أو صيام».

«قلو عرف الحاج أحكام الله على هذا

الوجه - فيما يختص بالذماء - فتصدق
من لم يطلب منه الذبح، وذبح من
طلب منه الذبح، وفرقوا الذبح على
الأماكن والأيام، ثم تخيروا الذبيحة من غير
العجاف والمرضى، وهيئوها بالسليخ والتقطيع
لما كان لهذه الشكوى موضع».

ثم قال الشيخ - في نهاية كلامه في هذه
المسألة -: «إنه على فرض تكديس اللحوم -
كما يقولون - يعد مراعاة الأحكام الشرعية
في زمان الذبح ومكانه، وطلبه وعدم طلبه،
يجب على المسلمين - وفيهم - والحمد لله
موسرون كثيرون - أن يعملوا على استخدام
إحدى الوسائل الحديثة، لحفظ هذه اللحوم
وادخارها طيبة، ثم توزيعها على الفقراء
والمحتاجين في جميع الأقطار الإسلامية إن
ضاق بها القطر الحجازي أو بيعها بأثمان
تصرف فيما ينفع الفقراء والمساكين، أو في
سبيل الله العامة^(١٢)».

رابعاً: عدم التعصب في إبداء الرأي لمذهب معين:

وهو منهج عند الشيخ يصرح به في كتابه
«الفتاوى» في كلمته التي قدم بها كتابه إلى
القراء، وفيها يقول: «وهذه مجموعة من
الفتاوى والأحكام أجبت بها على أسئلة
السائلين في موضوعات مختلفة بعضها
نشرتها الصحف والمجلات للقارئ، وبعضها
أذاعته الإذاعة على المستمعين، لم ألزم فيها

(٩) يشير الشيخ إلى أن حديث «مَنْ قَرَضَ جَرَّ نَفْعاً فِيهِ رِبَا» لم يسلّم به بعض العلماء، ووصفوه بالضعف.

(١٠) الفتاوى للشيخ محمود شلتوت ص ٣٤٩.

(١١) الفتاوى للشيخ شلتوت ص ١٧٢، ١٧٤ وقد أخذ الخيراً بهذا الرأي في التصرف في هذه اللحوم.

(٨) المخالفين لرأي الشيخ يتفنون أن مصلحة البريد تستثمر المال تجارياً.



مذهباً خاصاً، ولم أتقيد برأى فقيه معين إلا بالكتاب العزيز، والسنة الصحيحة، وقواعد الإسلام العامة الخالدة،^(١٢).

وهذا المنهج الذي بينه الشيخ شلتوت يظهر في أن ترجيحاته في القضايا التي أبدى الرأي فيها لم تكن محصورة في مذهب معين من المذاهب الفقهية، فنراه في مسألة مسح الرأس في الوضوء يرجح القول بأن المسح يجرى بأى جزء من الرأس قل أم كثر ما دام في دائرة ما يصدق عليه اسم المسح^(١٣)، وهذا الرأي - الذي رجحه الشيخ - وهو ما يراه الإمام الشافعى - رضى الله عنه -^(١٤)، وفي مسألة الدلك عند غسل أعضاء الوضوء يرجح رأى المالكية الذين يرون أنه من فسروا الوضوء^(١٥).

وفي مسألة عقد الزواج بعبارة النساء نجد الشيخ يرجح ما يراه الحنفية من صحة عقد الزواج بعبارة المرأة^(١٦).

وفي مسألة إفسار الزوجة بالنفقة ولم ترض الزوجة بالمقام معه من أجل ذلك، نجده يرجح ما يراه ابن القيم الجوزية - أحد كبار فقهاء الحنابلة المشتهرين -، وهو أنه إذا كانت قد تزوجته وهي عالة بإعساره، أو كان حال

الزوج موسراً ثم أعسر لا غلظك طلب الفرقة في الحالتين، أما إذا كان قد غرها - عند الزواج - بأنه موسر، ثم تبين لها إعساره فإنه يكون لها حق الفسخ^(١٧).

وهكذا نجده لا يتعصب لمذهب معين من المذاهب الفقهية، ووجدناه - كذلك - عند حكايته للآراء الفقهية يذكر آراء فقهاء المسلمين، سواء أكانوا من أهل السنة، أم من غيرهم من الفرق الإسلامية الأخرى، ففى مسألة الطلاق فى الحيض، أو فى طهر مسها فيه، يذكر رأى الشيعة الإمامية، والمعتزلة مع رأى غيرهم من فقهاء أهل السنة، فيبين أن الأئمة الأربعة المشتهرين وجمهور الفقهاء يرون وقوع الطلاق إذا حدث فى الحيض، أو فى طهر مسها فيه، وأن هناك رأياً آخر يقول بعدم وقوعه، وذكر أن من القائلين بهذا رأى: الباقر، والصادق - من أئمة الشيعة الإمامية -، وابن علية - من فقهاء فرقة المعتزلة^(١٨)، وكذلك عند ذكر آراء العلماء فى إيقاع الطلاق ثلاثاً بكلمة واحدة فى وقت واحد، يذكر أن من القائلين بأنه يقع طلاقاً واحدة رجعية فقهاء الشيعة الزيدية، وأن بعض الإمامية يرى أنه لا يقع به شيء^(١٩).

(١٢) الفتاوى للشيخ شلتوت ص ١٥.

(١٣) مقارنة المذاهب فى الفقه للشيخين محمود شلتوت ومحمد على السائس ص ١١ وسنعتبر الآراء فى هذا الكتاب متشوية إلى الشيخين، لأنه لم يبين فى الكتاب البحوث التى كتبها كل منهما مفصلاً.

(١٤) المجموع للنووى ج ١ ص ٤٢١.

(١٥) مقارنة المذاهب فى الفقه ص ١٩.

(١٦) مقارنة المذاهب فى الفقه ص ٩٠، ٩١.

(١٧) مقارنة المذاهب فى الفقه ص ٧٦.

(١٨) مقارنة المذاهب فى الفقه ص ٧٦.

(١٩) المصدر السابق ص ٧٦.



من أفكاره فى التفسير

أولاً: اهتم الشيخ شلتوت ببيان التحريف الذى يحدث من البعض فى فهم القرآن، فنراه يبين أن بعض الناظرين فى القرآن يروج لحصول التشاؤم، ويحرف معنى بعض الآيات القرآنية، ليدلل على ما يروج له.

يقول الشيخ: «وقد تعلق بعض الناظرين فى القرآن المروجين لسنة التشاؤم الفاسدة، بقوله تعالى فى وصف العذاب الذى نزل يقوم عاد:»

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾

(القمر: ١٩)

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَّحْسَبَاتٍ﴾

(فصلت: ١٦)

﴿وَمَا

عَادَةُ قَوْمِكَوَابَرِيحٍ مَّزْمَرَةٍ عَلَيْهِمْ﴾

﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَفَنِيَّةٍ أَيْامٍ مُّحْسَبَاتٍ﴾

وقالوا: إن القرآن يرشد بهذه الآيات إلى أن فى الأيام نحساً وسعوداً، وأيدوا بهذه الآيات ما نسبت روايته عن النبى ﷺ لابن عباس - رضى الله عنه -، وآخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر^(٢٠).

ثم قال الشيخ محمود شلتوت:

«وقد عرض الألوسى فى تفسيره للروايات التى اقتضت ترويجاً للتشاؤم بالأيام والتفاؤل بها، ويعجبنى قوله فى هذا المقام: ويكفى فى هذا الباب أن جادئة عاد استوعبت أيام الأسبوع كلها، فقد قال - سبحانه -:

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَفَنِيَّةٍ أَيْامٍ مُّحْسَبَاتٍ﴾

(الحاقة: ٧)

فإن كانت نحوسة الأيام لذلك فقل لى: أى يوم من الأسبوع خلا منها؟!

قال الشيخ: «والحق - كما قال - أن كل الأيام سواء ولا اختصاص ليوم بنحوسة ولا لآخر بسعد، وإنه ما من ساعة من الساعات إلا وهى سعد على شخص، ونحس على آخر، باعتبار ما يقع منها من الخير على هذا، ومن الشر على ذاك، فإن استنحس يوم من الأيام لوقوع حادث فيه فليستنحس كل يوم لما يقع فى الأيام كلها من أحداث، وما أولج الليل فى النهار، والنهار فى الليل إلا لإيلاد الحوادث، ولا تأثير لما يقع فيها من أحداث، ولا شأن للوقت أو المكان أو الأشياء فى نحوسة أو سعود.

«نعم لبعض الوقت شرف ترجع إليه فى نظر الشرع مضاعفة الجزاء لعامل الخير أو الشر، ولكن شرف الأوقات الذى يضاعف به جزاء العاملين شيء ونحوستها وسعودها باعتبار ذاتها وعلى وجه يعم الناس جميعاً، شيء آخر، لا يعرفه الإسلام، ولا يبيح لأحد

أن ينسب إليه (٢٦).

ثانياً: يرى أنه لا حرمة في البحث عن حقيقة الروح:

يبين الشيخ أن الروح لا تنزل حقيقتها من الأمور الغيبية التي لم يتوصل الإنسان إلى معرفتها، إلا أن هذا ليس مانعاً من البحث عن حقيقتها، فلم يقدّم دليل على تحريم البحث بشأنها، يقول الشيخ: «فلانزال حقيقتها من الغيب الذي لم يكشفه الله للإنسان، وهي في ذلك ككثير مما ينتفع به الإنسان بآثاره، دون أن يعرف كنهه، وباب البحث عن حقيقتها مفتوح لم يمنع منه نص ديني، ولا حجة للقائلين بحرمة البحث عنها في قوله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾

(الإسراء: ٨٥)

فقد رجح بعض العلماء أن المراد منها في الآية القرآن نفسه، وقد سماه الله روحاً في قوله:

﴿وَكَذَلِكَ أَوحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾

(الشورى: ٥٢)

وسابق الآية ولاحقها يرشد إلى صحة هذا الرأي.

وإذن فلا يتعين أن يكون المستول عنه هو روح الحياة، على أنه لو كان هو روح الحياة فليس في الآية أكثر من أنها من أمر الله، وهو

لا يمنع البحث عن حقيقتها (٢٢).

ثالثاً: يرى الشيخ أن معنى القدر الذي جاء في القرآن ليس معناه كما يفهم كثير من الناس:

فيبين الشيخ محمود شلتوت أن كثيراً من الناس يفهمون كلمة «القدر» التي وردت في القرآن الكريم على معنى أن الإنسان لا اختيار له في أفعاله، والصحيح غير ذلك، يقول الشيخ (٢٣): «القدر الذي جاء في القرآن الكريم مضافاً إلى الله مثل قوله:

﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

(القمر: ٤٩)

وقوله تعالى:

﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾

(الحجر: ٢١)

وقوله تعالى:

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾

(الأعلى: ٣)

وغير ذلك، يرجع معناه إلى أن الله خلق هذا الكون على سنن مضبوطة، ومقادير معينة، ولم يكن صادراً عن طريق الصدفة التي لا تعتمد على نواميس يجرى عليها، ويسير على مقتضاها، ويؤدي بها مهمته، ولا توجد في القرآن كلمة «قدر» بالمعنى الذي يفهمه كثير من الناس، والذي يرجع إلى أن

الإنسان مجبور في أفعاله بحيث يكون مقهوراً عليها.

والقدر بالنسبة للإنسان معناه أنه

خلقه بإرادة وحرية، واختيار فيما كلفه به من أعمال الخير، والبعد عن أعمال الشر، وكل نصوص القرآن تدل على ذلك دلالة واضحة، واختيار الإنسان أساساً لتكليفه ومحاسبته، ومحال أن يكون مجبوراً على فعله ثم يكلف ويشاب أو يعاقب على ما لا يستطيع صرف نفسه عنه وعلم الله بما سيكون من الإنسان باختياره وإرادته يحقق معنى الاختيار وينفي القهر والجبر، وصفة العلم صفة كشف وليست صفة تأثير.

رابعاً: يرى وجوب تنقية التفسير من الأسرائيليات:

يرى الشيخ وجوب أن ينقي تفسير القرآن من الأسرائيليات، وذكر مثالا للأسرائيليات

ما قيل عند تفسير قوله تبارك وتعالى:

﴿وَقُلِ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا آلَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَتَكْتُمُهُمْ﴾

(النمل: ٨٢)

وقال الشيخ:

«ومن أغرب ما قيل في حقيقتها: إنها إنسان وأنه على - رضي الله عنه - وقيل: إنها ولد ناقة صالح فر هارباً حينما عقر القوم أمه، وانفتحت له في طريقه صخرة فدخلها ثم انطبقت عليه، فهو في باطنها إلى أن يخرج قرب يوم القيامة، وقيل: إنها ذابة قديمة خلقت في عهد الأنبياء المتقدمين، وأن موسى سأل ربه أن يريه إياها، فأخرجها ثلاثة أيام ولياليها، تذهب في السماء لا يرى واحد من طرفيها، فرأى - عليه السلام - منظراً فظيماً، فقال: يا رب ردها، فردها، وقيل: إنها هي





النعيمان الذي كان في جوف الكعبة، واختطفه العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام فمنعهم، فألقته العقاب بالحجون، فالتقمت الأرض وهو في باطنها حتى يخرج يوم القيامة».

قال الشيخ: «وقد فات المفسرون أن يضعوا حدا لصور التفسير عن هذه الإسرائيليات التي أظلمت الجو على طلاب الهداية القرآنية وشغلته عن اللب والجوهر بما ألصقته بالقرآن وقصروا جهودهم على التبين فيما ألصق».

«وليس هذا خاصاً بالدابة، وإنما هو ربح السموم هبت على كتب التفسير من نواح كثيرة في كل أمر غيبى أخبر به القرآن، ولم يتصل به بيان قاطع عن الرسول ﷺ فقد قيل مثله في «أجوج وماجوج» وفي «الصور» وفي «اللوح المحفوظ» وفي غيرها».

وقد تتبع بعض المفسرين غرائب الأخبار التي ليس لها سند صحيح، وأغدقوا من شرها على الناس وعلى القرآن، وكان جديراً بهم أن يقيموا بينها وبين الناس سدا يقيهم البلبلة الفكرية فيما يتصل بالغيب الذي استأثر الله بعلمه، ولم ير فائدة لعباده في أن يطلعهم على شيء منه، وإذا كان للناس - بطبيعتهم - ولع بسماع الغرائب وقراءتها، فما أشير أثرها في إلهائهم عن التفكير النافع فيما تضمنه القرآن من آيات العقائد والأخلاق وصالح الأعمال».

«والذي أحب أن أقرره هنا - بهذه المناسبة - فيما أخبر الله به من شئون الغيب التي لم يتصل بها بيان قاطع عن الرسول من الدابة، والصور، ونحوهما، هو أننا نؤمن به على القدر الذي أخبر الله به دون صرف اللفظ عن معناه، ودون زيادة عما تضمنه الخبر الصادق، فنؤمن - مثلاً - بأنه سيكون في آخر الدنيا، صور يتفخ فيه، فتكون صعقة، ثم يتفخ فيه أخرى، فيكون البعث، أما الخوض في حقيقته، ومقداره، وكيفية التفخ فيه، أو حمله على أنه تمثيل لسرعة إفتاء العالم، وبعثه بسرعة النفخة المعروفة للناس، فإنه رجم بالغيب، ونقول على الله بغير حق» (٢٤).

خامساً: يرى أنه ليس في القرآن ما يقيد رفع عيسى بجسمه إلى السماء، بقول الشيخ (٢٥): «ليس في القرآن الكريم، ولا في السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء، وأنه حي إلى الآن فيها، وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض، وأن كل ما تفيد الآيات الواردة في هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه ورافعه إليه، وعاصمه من الذين كفروا، وأن هذا الوعد قد تحقّق فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه، ولكن وفاه الله أجله ورفعاه إليه».

ثم قال الشيخ: «إن من أنكر أن عيسى قد



رفع بجسمه إلى السماء، وأنه فيها حي إلى الآن، وأنه سينزل منها آخر الزمان، فإنه لا يكون - بذلك - منكراً لما ثبت بدليل قطعي، فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه، ولا ينبغي أن يحكم عليه بالردة، بل هو مسلم مؤمن، إذا مات فهو من المؤمنين، يصلى عليه، كما يصلى على المؤمنين، ويدفن في مقابر المؤمنين، ولا شبهة في إيمانه عند الله، والله بعباده خبير بصير».

الفتوى تشير ضجة على الشيخ

بعد أن نشرت هذه الفتوى من الشيخ محمود شلتوت في مجلة الرسالة، قامت ضجة من بعض العلماء برودهم على الشيخ في فتواه، ورد الشيخ عليهم وبين ضعف ما استندوا إليه، ووضح أن في كتب التراث رأيين في هذه القضية، مبيناً مصادره في هذه الكتب، كما ذكر ما يراه جماعة من علماء العصر الحديث لهم مكانة في العلم كبيرة، فذكر أن الشيخ محمد عبده قال - وهو بصدد تفسير آية آل عمران:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسِي ابْنِي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾

(آل عمران: ٥٥)

إن للعلماء هنا رأيين:

الرأي الأول: أنه رفع بجسمه حياً، وأنه

سينزل في آخر الزمان، فيحكم بين الناس بشريعتنا، ثم يتوفاه الله - تعالى - والرأي الثاني: أن الآية على ظاهرها، وأن التوفي على معناه الظاهر المتبادر منه، وهو الإمامة العادية، وأن الرفع يكون بعده، وهو رفع الروح».

ثم قال الشيخ شلتوت: ثم يذكر «يعنى الشيخ محمد عبده»: أن لأهل هذه الطريقة في أحاديث الرفع والنزول تخريجين: أحدهما أنها آحاد تتعلق بأمر اعتقادي، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي، وليس في الباب حديث متواتر، وثانيهما: تأويل النزول».

ثم ذكر ما يراه الشيخ محمد رشيد رضا، وهو قوله: «وجملة القول أنه ليس في القرآن نص صريح في أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حياة ذنبوية بحيث يحتاج - بحسب سنن الله تعالى - إلى غذاء... وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء، وإنما هي عقيدة أكثر النصارى، وقد حاولوا في كل زمان - منذ ظهور الإسلام - بشها في المسلمين، ثم تكلم الشيخ محمد رشيد رضا عن الأحاديث، وقال: «إن هذه المسألة من المسائل الخلافية، حتى بين المنقول رفع المسيح بروحه وجسده إلى السماء» (٢٦).

وبعد هذا ذكر الشيخ شلتوت ما أجاب به الشيخ المراغي - شيخ الأزهر الشريف - عن سؤال رفع إليه، وجاء في إجابته قوله: «ليس



في القرآن الكريم نص صريح قاطع على أن عيسى - عليه السلام - رفع بجسمه وروحه، وعلى أنه حي الآن بجسمه وروحه، وقول الله - سبحانه وتعالى -:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِصِرُ بِإِيَّامِي مَقْعَدُكَ وَارْفَعْكَ إِنَّكَ مُنْظَرٌ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَاقِلًا﴾

(آل عمران: ٥٥)

الظاهر منه أنه توفاه وأماته ثم رفعه، والظاهر من الرفع بعد الوفاة أنه رفع درجات عند الله، كما قال في إدريس - عليه السلام -:

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾

(مريم: ٥٧)

وهذا الظاهر ذهب إليه بعض علماء المسلمين، فهو عند هؤلاء توفاه الله وفاة عادية، ثم رفع درجاته عنده، فهو حي حياة روحية كحياة الشهداء، وحياة غيره من الأنبياء، لكن جمهور العلماء على أنه رفعه بجسمه وروحه فهو حي الآن بجسمه وروحه، وفسروا الآية بهذا بناء على أحاديث وردت كان لها عندهم المقام الذي يسوغ تفسير القرآن بها، ثم قال الشيخ المراغي: «ولكن هذه الأحاديث لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التي توجب على المسلم عقيدة، والعقيدة لا تحب إلا بنص من القرآن، أو

بحديث متواتر»، ثم قال: «وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى - عليه السلام - حي بجسمه وروحه، والذي يخالف في ذلك لا يعد كافراً في نظر الشريعة».

أفكاره في علم الكلام

أولاً: يرى - ككثير من العلماء - أن العقيدة لا تثبت إلا بالمتواتر:

بين الشيخ شلتوت في كتاباته^(٢٧): أن العلماء متفقون على أن الدليل العقلي الذي سلمت مقدماته، وانتهت في أحكامها إلى الخس أو الضرورة يفيد ذلك اليقين ويحقق الإيمان المطلوب.

وأما الأدلة النقلية فالكثيرون - من العلماء - يرون أنها لا تفيد اليقين، ولا تثبت بها وحدها عقيدة، والذين يرون أن الأدلة النقلية تفيد اليقين ويثبت بها العقيدة شرطوا أن يكون الدليل النقلى قطعياً في وروده قطعياً في دلالة، ويبدو من كلام الشيخ شلتوت - عند كلامه في هذه المسألة - أنه مع من يقول بأن طريق ثبوت العقيدة يمكن أن يكون بالدليل النقلى بشرط أن يكون قطعياً في ثبوته ودلالته، قال: «ومعنى كونه قطعياً في وروده ألا يكون هناك أي شبهة في ثبوته عن الرسول ﷺ، وذلك إنما يكون في المتواتر فقط، ومعنى كونه قطعياً في دلالة أن يكون نصاً محكماً في معناه،



وذلك إنما يكون فيما لا يحتمل التأويل، فإذا كان الدليل النقلى بهذه المثابة أقاد اليقين وصلاح لأن تثبت به العقيدة».

وبعد أن ذكر الشيخ شلتوت أمثلة فيما ورد في الكتاب الكريم من آيات تحدثت عن توحيد الله - عز وجل -، واليوم الآخر، والملائكة والنبين، قال: «هذا هو شأن العقائد وطرق إثباتها، ولا بد أن يعم العلم بها جميع الناس، ولا يختص بطائفة دون أخرى، ولأنها أساس الدين، وبها يكون المرء مؤمناً، فكيف يتصور في مؤمن أن يجهلها؟ ومن مقتضيات هذا العلم العام بها ألا يقع خلاف بين العلماء في ثبوتها أو نفيها^(٢٨)».

ثانياً: يوافق من يرون - من علماء الإسلام - أن الإنسان خلق غير مقهور:

يبين الشيخ شلتوت أن القضاء والقدر اللذين وردا في القرآن ذكرهما وجعلهما الناس مرتبطتين بفعل الإنسان ومسلكه في الحياة ليس إلا النظام العام الذي خلق الله عليه الكون، وربط فيه بين الأسباب والمسببات، والنتائج والمقدمات، سنة كونية دائمة لا تتخلف، وكان من بين تلك السنة أن خلق الإنسان حراً في فعله، مختاراً غير مقهور ولا مجبور، ويوضح الشيخ شلتوت أن الإسلام لا

يسمح أن يضل الإنسان، أو ينحرف عن أوامر الله في عقائده ودينه، ثم يعتذر بالقضاء والقدر، قال: «ولو صح ذلك لبطلت التكليف، وكان بعث الرسل، وإنزال الكتب، ودعوة الإنسان إلى دين الله، وما يجب، ووعد بالثواب لأهل الخير، وبالعقاب لأهل الشر - باطلاً وعبثاً - لا يتفق وحكمة الخالق الحكيم في تصرفه وتكليفه الرحيم بعباده^(٢٩)».

عناية الشيخ شلتوت

بالفقه المقارن والتقريب بين المذاهب

كان من الطبيعي لشخصية علمية كالشيخ شلتوت، الذي يلم بالآراء المتعددة في مجال الفقه الإسلامي، ويدرك الحجج والأدلة التي يستند إليها الفقهاء في القضايا المختلفة، أن يعنى بالفقه المقارن، ويوليه اهتمامه، خاصة وأنه يحتاج إلى الاطلاع على فقه المذاهب المختلفة عندما يتعرض للفتوى في مسألة من المسائل، ولهذا وجدناه يضع الفقه المقارن في دائرة اهتمامه، وتكون كتابته في كثير من القضايا متعوضة لبيان أكثر من رأي في القضية المعروضة ثم يبدى رأيه المعتمد على الأدلة، وقد أثمر اهتمامه بالفقه المقارن كتاباً اشترك فيه مع شيخ معاصر له هو الشيخ محمد علي

٢٨- الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص ٦٧، ٦٨.

٢٩- الإسلام عقيدة وشريعة ص ٦٤، ٦٥.

٢٧- الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص ٦٧.

السايس، وسميا هذا الكتاب باسم «مقارنة المذاهب في الفقه» بينا فيه فائدة المقارنة، والأسباب التي أدت إلى اختلاف أئمة الفقه الإسلامي، واشتمل على كثير من المسائل في الطهارة، والصلاة والزكاة، والزواج والطلاق، والنفقة، والقضاء والميراث.

وكان يقوم بتدريس هذا الكتاب لطلاب كلية الشريعة بجامعة الأزهر الشريف، مما كان له أثر في تعرف الطلاب على الآراء المتعددة في القضايا المختلفة، وترسيخ احترام الآراء المتعددة، وتهيئة الطلاب نفسيا لقبول حكم في مذهب فقهي آخر غير المذهب الذي ينتمي إليه هؤلاء الطلاب، ولا يخفى ما لهذا من أثر في تخفيف حدة التعصب لمذهب فقهي معين.

وكان لفتواه بجواز التعبد بأي مذهب فقهي إسلامي معتبر أساسها الذي تعتمد عليه، ذلك أن الفرق الإسلامية التي تؤمن بثواب الإسلام لا تختلف في آرائها إلا في المسائل الظنية، التي لا يقطع فيها برأى دون رأى آخر، وما عدا المسائل الفرعية الظنية لا يتصور ولا يقع فيها الاختلاف بين علماء سائر المذاهب الإسلامية المعتمدة.

وأصبح الاتجاه إلى ذكر آراء سائر الفرق والمذاهب الإسلامية منهجا يتبع في الكتابات الفقهية المقارنة، وتوجيهها يوجه إليه طلاب الدراسات العليا في كليات الشريعة بجامعة الأزهر الشريف. جزى الله شيخنا أحسن الجزاء على ما قدم من علم نافع، وجهود في خدمة شريعة الإسلام والمسلمين.



■ جانب من الحضور يتوسطهم صاحب الفضيلة الشيخ/ فوزي قاضل الزقزاق وكيل الأزهر الأسبق والشيخ/ عبد الحميد الأطرش الأمين المساعد للوعظ ■

بإذن

الصحف

9

المجلات

إعداد

محمود الفشنى

علاء عبد الرحمن

رحل الدكتور عبد الودود شلبى

فارس الدعوة الإسلامية النبيل

في جريدة عقيدتى الصابرة فى ٢٠٠٨/٥/٢٠ كتب الأستاذ بسيونى الحلوانى متحدثا عن فقيد الأزهر الدكتور عبد الودود شلبى قال:

افتقدنا عالما من علماء الأزهر المحترمين.. رجل رمز من رموز الكبرياء والشموخ الأزهرى الذين ملأوا الدنيا علما وسجلوا أروع مواقف المواجهة والتحدى فى وجه كل الذين حاولوا النيل من الأزهر واضعاف رسالته وتقويض مسيرته، وتشويه صورته.

رحل العالم الفذ الدكتور عبد الودود شلبى الأمين العام الأسبق للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر بعد أن ترك بصمات واضحة فى تاريخ الأزهر الحديث رغم أنه لم يتول المنصب القيادى الذى يستحقه والذي يمكنه من تنفيذ كل أفكاره ومشروعاته الإصلاحية التى كان يستهدف بها إعادة الأزهر إلى عصر الشيوخ والريادة والقيادة.

عندما تشرقت بالانتساب إلى جريدة الجمهورية فى أوائل ثمانينات القرن الماضى «أى منذ ما يقرب من ثلاثين عاما» طلب منى استاذى الشيخ عبد اللطيف فايد «متعه الله بالصحة وأطال لنا فى عمره» الاتصال بالدكتور شلبى لسؤاله فى موضوع لا أذكره الآن.

وبمجرد أن سمع الرجل سؤالى باذرتى قائلا «اسمع يا ابنى.. أنت لسه صغير وأنا خايف عليك.. اسأل حد غيرى علشان موضوعك ينشر وسلم لى على الشيخ عبد اللطيف.. وانتهت المكالمة دون أن يتحدث فى القضية التى سألته فيها.

عدت للشيخ عبد اللطيف ورويت له ما حدث فضحك وقال لى: «اتصل به مرة أخرى وقل له: لا تخف على أنا باشتغل فى جريدة الجمهورية، ففعلت وضحك الدكتور شلبى أيضا وأجابنى بشجاعته المعهودة ونشرت الجمهورية كلامه دون أن تحذف منه شيئا مع أن نشر كلام الرجل حرقيا فى ذلك الوقت كان يدخل ناشره السجن ولا يفصله من عمله فقط.

كان الدكتور عبد الودود شلبى عالما شجاعا يتنطق بكلمة الحق

في كل المواقف، ولذلك كان يخشاه كل المسؤولين في الأزهر.. كانت قيادات الأزهر في وقت توليه مسئولية اللجنة العليا للدعوة تخشى من مشاركته لهم في مناسبة ما أو حفل عام لأنه بشجاعته وجرأته كان يسبب لهم حرجا فهو يقول ما تعجز المستنهم عن النطق به.

لذلك كان مكتب الدكتور عبد الودود شلبي بمبنى الأزهر العتيق بالحسين ملتقى لعلماء الأزهر الشجعان الذين انشغلوا بهوم الأزهر، وكانوا دائما يتدارسون أحواله، ولا يملون من التصدي للكل القوى الداخلية والخارجية التي تستهدفه وكم استمعت في هذا المكتب إلى آراء جريئة من واقع الأزهر ومستقبله.

في آخر مؤلفات الدكتور شلبي التي صدرت منذ عشر سنوات تقريبا ومنها كتاب «الزحف إلى مكة، حذر الرجل من الدور الحقيير الذي تلعبه أمريكا والذي ستلعبه مستقبلا للإضرار بمصالح العام الإسلامي واستنزاف خبرات المسلمين وخراب وحدتهم وكان بعض الزملاء الصحفيين وبعض علماء الأزهر الذين قرأوا ما كتب الرجل يعتقدون انه يبالغ من تخويف المسلمين وتحذيرهم من هذه الدولة الشيطانية.. وممرت السنون وحدث كل ما توقعه الرجل بحسه الإسلامي الصادق، وتوقعاته المبينة على قراءات دقيقة، وتحليلات واستنتاجات موضوعية.

ما أحوج الأزهر الآن إلى قيادات وعلماء من نوعية الدكتور عبد الودود شلبي.. وما أحوج وسائل الاعلام الإسلامي إلى عالم صادق يقول كلمة الحق من أمثال هذا العالم الفذ.

رحم الله الدكتور عبد الودود شلبي وأسكنه فسيح جناته، وعوض الدعوة الإسلامية عنه خيرا.

الديمقراطية.. على الطريقة العراقية

في الجمهورية بتاريخ ٢٠٠٨/٥/٢٥ تقول في رأيها:

أبرمت حكومة العراق المنصفة بالديمقراطية - حسب المنطوق الأمريكي - اتفاقا استراتيجيا مع الولايات المتحدة الأمريكية يسمح لدولة الاحتلال بالاحتفاظ طيلة عشرة أعوام قادمة بالإشراف على وزارتي الدفاع والداخلية وكذلك على مؤسسة اخبارات العراقية، كما يسمح للقوات الأمريكية المحتلة بشن هجمات انطلاقا من الأراضي العراقية على أي بلد تنسبهم الإدارة الأمريكية بدعم مجموعات إرهابية.

تم الاتفاق بين دولة الاحتلال والحكومة الديمقراطية، دون أن يؤخذ رأي الشعب العراقي الخاضع للاستعباد والاستغلال والذي يتم مصادرة مستقبله لمدة عشرة أعوام غصيا وتحت تهديد قوات الاحتلال التي تمطر مدته بالقنابل وتلك البيوت بمن فيها من النساء والأطفال تحت شعار «الحرية للشعب العراقي»، بينما ترجمتها الحقيقية الموت والإذلال لكل من تنطلي عليه خديعة الدولة الأعظم في قهر الشعوب.

المقدسات الإسلامية والمسيحية سنوات

من الحصار والتدنيس

كتب إسحق فريد في جريدة الأسبوع بعدها الصابر في ٢٠٠٨/٥/١٧ قائلا:

في ظل غفلة عربية دامت لأكثر من ٦٠ عاما يبدو أن الكيان الصهيوني بات قاب قوسين أو أدنى من قطف ثمار مخطط تهويد المقدسات الإسلامية والمسيحية بالقدس بعد أن قطع فيه شوطا كبيرا حيث يجري الإعداد حاليا لأكبر مشروع لهذا

الغرض انتهت سلطات الاحتلال من وضع أدق تفاصيله وأطلقت بشأنه «الجبهة الإسلامية المسيحية للدفاع عن القدس والمقدسات» تحذيرات واستغاثات لم تلق اهتماما من الدول العربية بينما لا يزال دور الجامعة العربية ولجنة القدس التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي مقصورا على التنظير وإصدار البيانات والتوصيات دون توفير الحماية الحقيقية للمقدسات الدينية في فلسطين المحتلة التي تعرضت لانتهاكات واسعة على مدار ٦٠ عاما في ظل صمت وتخاذل دولي يصل إلى حد التواطؤ.

منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن لم يأل الاحتلال الإسرائيلي جهدا من أجل تزييف التاريخ ومحاولة تبديل الهوية الثقافية والحضارية والدينية لفلسطين المحتلة خاصة مدينة القدس ذات الطابع الديني المميز.

ورغم أن الأنظار تنجبه دائما نحو المسجد الأقصى باعتباره أكثر المقدسات الدينية تعرضا للانتهاكات في فلسطين المحتلة خلال العقود الستة الماضية إلا أن الرؤية الشاملة للممارسات الإسرائيلية تؤكد أنه لا تميز بين مقدسات إسلامية أو مسيحية فمخطط التهويد لا يقبل القسمة على اثنين بدليل الانتهاكات الصارخة التي شهدتها المقدسات المسيحية منذ أن تم الإعلان عن قيام دولة إسرائيل، عام ١٩٤٨.

هذا المشروع يستهدف رأس القدس وقلبها، ويسعى إلى تحويل الأقصى وكنيسة القيامة ومعالم القدس الدينية الأخرى إلى مكونات صغيرة في لوحة دينية مزيفة تغطي فيها الصورة اليهودية.

سلسلة اعتداءات طويلة تعرضت لها المقدسات الفلسطينية على أيدي المتطرفين اليهود وهناك أيضا حركة الاستيلاء على الأقصى التي تدعو علانية إلى هدمه وتهويد مدينة الخليل والاستيلاء على المسجد الإبراهيمي.

التشكيك في ثوابت الدين!

تحت هذا العنوان كتب الدكتور محمد داود في جريدة اللواء الإسلامي الصابرة في ٢٠٠٨/٥/١٥ يقول:

الإساءات المقصودة والمتكررة تركز على إثارة التشكيك في ثوابت الدين، بغرض هدم ودفع أساسه إلى الانهيار، فيشككون في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وفي عصمته وفي سنته، بل وفي القرآن الكريم وإذا سألنا أنفسنا: لماذا الهجوم على ثوابت الدين الإسلامي دون غيره من الأديان؟..

سنجد أن هناك دافعين للهجوم:

١- الدافع الأول نفسي لأن الإسلام في تشريعه وآدابه وأخلاقه، هو الدين الحق الذي لم يلحقه زيف ولا باطل، في مقابل الزيف والتحريف الذي لحق بالأديان الأخرى، وما عندهم من نقائص كتبوها بأيديهم في حق أنبيائهم، يخجل الإنسان العاقل السوي من سماعها وقراءتها: لذلك من يتلبس بهذه النقائص وتلك العيوب يحاول إسقاطها على من يمتلك المزايا، والمبرأ من هذه العيوب حتى يكونوا سواء!

٢- الدافع الثاني معرفي: حيث إن القرآن الكريم والإسلام هو المنتصر فكريا في ساحة الغرب، على الرغم من ضعف العرب والمسلمين وهزائمهم للتلاحقة، بالإضافة إلى أن القرآن الكريم يزداد تألقا وقوة كلما زاد الهجوم عليه، وكل الجولات التي تمت ضد القرآن والإسلام، كانت العاقبة فيها والنصر في نهايتها للقرآن، فلم تفلح أمريكا حين ألقت «الفرقان الحق» ليكون بديلا عن القرآن الكريم، ولم تفلح الإساءات للنبي صلى الله عليه وسلم حيث جاءت النتائج عكس ما أراد الأعداء، فقد ازداد المسلمون تمسكا بقرآنهم وحباً لنبيهم صلى الله عليه وسلم، وفي الغرب أثارت هذه

الحمولات انتباه الشعوب الغربية للتعرف على الإسلام ونبي الإسلام... ونحن لا ننزعج من هذه الإساءات لأن الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر سنة قائمة من سن الله في الكون.

ولكن الذي يزعجنا ألا ينصف المسلمون القرآن والسنة النبوية من أنفسهم، وألا يكونوا على مستوى عظمة الإسلام وعظمة القرآن وعظمة هذا النبي الكريم، فيجد الأعداء في سلوكنا المعوج وواقعنا المر دليلاً على تشكيكهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾
(الرعد / ١١)

إلا السودان!

تحت هذا العنوان وريت افتتاحية الأهرام العربي الصادرة في ٢٠٠٨/٥/١٧ جاء فيها:

باتت اللعبة الدولية في الشرق الأوسط أوسع من قدرة تلك المنطقة المنكوبة بالاحتلال والغزو، ففي أثناء معارك لبنان حركت القوى الدولية الأنظار إلى السودان وأوعزت إلى رجالها في حركة العدل والمساواة، لتجتاح العاصمة السودانية الخرطوم، وقد استطاعت قوات هذه الحركة الداعية إلى حل أزمة دارفور أن تصل إلى مدينة أم درمان وتصل إلى العاصمة وتوقع قتلى وجرحى بين العسكريين والمدنيين.

أما الأغرب فهو إعلان الحكومة السودانية عن نية حركة العدل والمساواة الاعتداء على الخرطوم، وفرضت الطوارئ قبل يومين من المعارك في أم درمان، ومع ذلك جرى ما جرى.

وهنا لابد أن تنبأ إلى الذهن عدة أسئلة: كيف حدث ما حدث؟ وأين قوات الجيش والشرطة؟ وأين أجهزة الأمن ونحن نعرف أن حكومة السودان يقف على رأسها جنرال عسكري هو عمر البشير؟!

بعض العارفين بالشأن السوداني يقولون: إن أخلايا النائمة كانت في انتظار الإشارة من القوى الدولية، خصوصاً أن زعيم حركة العدل والمساواة من قبيلة الزغاوة السودانية - التشادية التي ينتمي لها الرئيس التشادي إدريس ديبي، ونحن نعرف أن ديبي تم انقاده بعد معارك ضارية حول القصر الرئاسي في العاصمة التشادية نجامينا في شهر فبراير الماضي، وكان المنفذ فرنسا ومعها قوى عربية ترعّب في العودة إلى أفريقيا من بوابة مأساة دارفور. ولكن ما القاسم المشترك في أزمات السودان، ولبنان، وفلسطين، والعراق، وجنوب اليمن؟

لا تحتاج إجابة هذا السؤال إلى عناء كبير، فالفاعل معلوم وهو الولايات المتحدة وشركاؤها من الأحزاب والجماعات التي تتخذ من الدين ستاراً لتنفيذ أجندة كارثية لصالح أطماع الغرب والصهيانية التي تحتفل بمرور ٦٠ عاماً على نكبة فلسطين ١٩٤٨، ومن هنا يجب أن نصرخ في العالم العربي، وخصوصاً في مصر، إلا السودان.

ستون عاماً لا تكفي

في الذكرى الستين لاحتلال فلسطين كتب الأستاذ/ خالد محمود في جريدة الأسبوع الصادرة في ٢٠٠٨/٥/١٧ يقول:

عشية إعلان إسرائيل عام ١٩٤٨، سحب بن جوريون كرسياً وانفرد بعيداً عن الاحتفالات وحين سأله «يوري الخيري» عن حزنه غير المتوقع في ليلة يفترض أنها بهيجة له، قال بن جوريون عبارته الشهيرة «الآن فقط بدأت شلالات نهر الدماء في الشرق الأوسط».

تعود ظلال هذه العبارة تعيد نفسها وسط الاحتفالات الاسرائيلية بمرور ستين عاماً على الدولة اليهودية - والكلام للكاتب - وأسأل: هل حقاً هناك

ما يستحق كل هذه البهجة؟! هل حقاً وصل المشروع الصهيوني لير الأمان؟! وهل مرور ستين عاماً على ذلك الإطار الذي رتب يعني رسوخه؟

في الواقع وبأسط تفكير منطقي كل المؤشرات تشير إلى عكس ذلك، فالستون عاماً التي مضت، سقط فيها آلاف القتلى كاد بعضها يصبح حرباً عالمية علاوة على تخليق واقع اشتباك مسلح يومي تقريباً لم يتوقف لحظة من يوم إعلان الدولة اليهودية وحتى ساعة الاحتفال.

لم تغلح «إسرائيل» - والتعبير هنا لجمي كارتز - رغم غمليتها أحدث وتقوى الآليات العسكرية وترسانة نووية من طرف واحد في «حسم معركة واحدة أو قضية واحدة» في صراعها مع الفلسطينيين والعرب، وخلقت المعارك رغم انتصار «إسرائيل» في معظمها ملفات مفتوحة: حدود إسرائيل مثلاً ملف غزة، ملف الانسحاب من الأراضي العربية وهكذا.

ثم يختم الكاتب مقاله قائلاً: أخيراً... فرضية أن العالم العربي سيظل أسير التخلف احتمال وارد لسنين، لكنه ليس قدراً، ومجرد متابعة الأحوال وما يحدث يؤكد أن التاريخ كتاب مفتوح يتغير في ثانية بكلمة واحدة، فإن ستين عاماً بوتيرة التاريخ لا تساوي طرفة عين. وعليه متكشف «إسرائيل» يوماً أنها لم تفعل سوى أنها أضافت فصلاً دموياً جديداً لشعبها المنكوب.

التفاحة الفاسدة والذكرى الرابعة

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ محمد عيسى الشرباقوي في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٠٠٨/٥/٢٤ قال:

«لن أبالي بما مسرف تفعلونه به... نكلوا به تنكيلاً... فقط لا تقتلوه»... تلك كانت الوصية الدموية التي قالها ضابط أمريكي، وهو يسلم عراقياً لاجول له ولا قوة لحراس سجن «أبو غريب» وهي

واقعة تضمنتها كتاب جديد عن جرائم التعذيب الأمريكية التي صدمت الدنيا في مثل هذا الشهر «مايو» منذ أربع سنوات... وقد تفجرت شظايا الجريمة عندما بشت قناة تليفزيونية أمريكية ليلة ٢٨ أبريل ٢٠٠٤ م صوراً فاحشة ومثينة لتعذيب الجنود الأمريكيين للعراقيين... ولم تحض سوى أيام قلائل حتى فضح الأول من مايو ٢٠٠٤ إدعاءات الديمقراطية التي انتطى جورج بوش ضهوة جوادها... فقد نشرت صحيفة «نيو يوركر» تقريراً عن التحقيق الذي قام به الجنرال أنطونيو تاجويا في السجن سيئ السمعة... وأشار فيه إلى جانب من وقائع التعذيب للعراقيين. وهكذا تم ضبط حامى حمى الديمقراطية متلبساً بانتهاك جنوده لإنسانية العراقيين الذين زجت بهم قوات الاحتلال الأمريكي في سجن «أبو غريب» منذ أغسطس ٢٠٠٣، وكان عددهم قد بلغ وقت تفجر الفضيحة نحو ٦ آلاف معتقل.

ولم يكن في وسع إمبراطور روما الجديدة القابض على بتروول العراق أن يذكّر الجريمة... واكتفى بالقول: إن من قاموا بها مثل التفاحة الفاسدة في السلة الأمريكية العامرة بالتفاح الجيد. غير أن نفراً من المؤرخين وعلماء النفس الأمريكيين دحضوا نظرية التفاحة الفاسدة... وقالوا: إن من ارتكب هذه الجرائم هم نحن الأمريكيون... ففى ظل ظروف معينة يكون في مقصور كل فرد تقريباً أن يرتكب هذه الفظائع، على حد تعبير مجلة أمريكية شهيرة في مايو ٢٠٠٤.

واللافت للانتباه أنه في الذكرى السوداء الرابعة لفضيحة أمريكا لايزال سجن «أبو غريب» يسوح بأسرار جديدة مذهلة ومؤسفة، وليس أدل على ذلك من احتفاء مجلة بريطانية جادة ورصينة بكتاب جديد عن الفضيحة كتبه «فيليب جورفيتش» رئيس تحرير مجلة «باريس ريفيو» و«يرون موريس» وهو سينمائي شهير ويؤكد الكتاب أن الحقيقة تكمن في الصور.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للاستاذ / عبد الموجود أمين موسى

الخطبة الصيفية للوعظ

اجتمع فضيلة الشيخ عبد الحميد الأطرش الأمين العام المساعد للوعظ بمجمع البحوث الإسلامية يوم الإثنين ٢٦ / ٥ / ٢٠٠٨ بالسادة أصحاب الفضيلة مديري عموم مناطق الوعظ وذلك لمناقشة الخطبة الصيفية لأعمال الوعظ والتي تنفذ بالتعاون مع وزارة الأوقاف حيث يتم تشكيل لجان من علماء الأزهر والأوقاف للوعظ والإرشاد الديني بإحفاظات الساحلية للعمل بها خلال أشهر الصيف وفقاً لضوابط فنية محددة.

الأزهر صخرة راسخة

تناولت بعض الفضائيات هذه الأيام عرض كتاب: «بل حلمت بالنام» للكاتب «عبد الحميد الأزري»، ويحوى هذا الكتاب بعض الأفكار الغربية وإنكار لما شرعه الله وتكذيب صريح لما جاء في القرآن الكريم على لسان نبيه الكريم وقد اشتمل الكتاب على ضلالات كثيرة يضل بها المجتمع المسلم والإنسان السوي.

وتساءلت هذه الفضائيات عن دور الأزهر الشريف لمحاربة البدع والكفر الصريح الموجود في هذا الكتاب الأمر الذي دفعنا لأن نذكر هذه الفضائيات بأن الأزهر وعلماءه ليسوا منعزلين عن الحركة الفكرية والأدبية في مصر والدول العربية والعالم أجمع.

ونود أن نحيط علم الجميع بأن هذا الكتاب قد عرض على الأزهر من قبل في أغسطس عام ١٩٩٢م على مجموعة من العلماء الأجلاء وتم فحصه أكثر من مرة لتقييمه فوجدوا أن هذا الكتاب يشتمل على كثير من البدع والضلالات وإنكار لشرع الله وتكذيب لما جاء على لسان نبي الأمة الرسول الكريم، ولم يوافق الأزهر على تداوله في الأسواق، وتم عرضه مرة ثانية على الأزهر في ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٨ وتمسك الأزهر بقراره السابق وبعد قراءته وفحصه أوصى علماء مجمع البحوث الإسلامية للمرة الثانية بعدم تداوله وتأييد الرأي الأول في أغسطس عام ١٩٩٢م.

هذا للرد على من يسأل عن دور الأزهر وعلمائه فالأزهر صخرة راسخة على مر العصور تزود عن دين الله ضد من تسول له نفسه أن يشكك في تعاليم الإسلام الحنيف.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو غزالة مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتأليف.

الأجنة المخصبة

ورد إلى مجمع البحوث الإسلامية سؤال حول تجميد الأجنة المخصبة وإخضاعها للأبحاث الطبية المساعدة على اختيار نوع الجنين.

وقد رأى المجمع أن استخدام هذه الطريقة: لتحديد جنس الجنين لدواعي طبية مشروعة مثل منع الأمراض المستعصية التي تصاحب جنسا معينا من الأجنة سواء كان الجنين ذكراً أو أنثى - لا مانع منها شرعاً وذلك عقب المشاورة الواعية بموافقة الزوجين.

كما أن استخدام هذه الطريقة - لأسباب مشروعة لتعدد جنس الأبناء في الأسرة الواحدة أو منع ضرر على الزوجة من تكرار الحمل أو حماية الأسرة - يمكن اللجوء إليها بعد موافقة الزوجين بصورة وافية من خلال علماء الدين، وعلماء النفس والأجنة والتكاثر البشري، علماً بأن كل حالة لابد أن تعامل على حدة ولا تعمم لكل من يطلب هذه الطريقة، ولا يمكن استخدام هذه الطريقة - بأي حال من الأحوال - لتفضيل جنس على آخر، أو استخدامها في اختيار المولود الأول، أو قصرها على اختيار جنس واحد.

مع العلم بأنه لا يجوز اتباع هذه الطريقة على مستوى أى مجتمع من المجتمعات الإسلامية، ويجب مراعاة الضوابط الآتية:

- ١- أن تتم عملية التخصيب بين زوجين، وأن يتم استدخال الملقحة في المرأة أثناء قيام الزوجية بينها وبين صاحب الماء ولا يجوز ذلك بعد انفصال عرى الزوجية بوفاة أو طلاق أو غيرهما.
- ٢- أن تحفظ هذه اللقائح المخصبة بشكل آمن تماماً تحت رقابة مشددة بما يمنع ويحول دون اختلاطها عمداً أو سهواً بغيرها من اللقائح المخفوظة.
- ٣- ألا يتم وضع الملقحة في رحم أجنبية غير رحم صاحبة البيضة الملقحة لا تبرعاً ولا بمعاوضة.
- ٤- ألا يكون لعملية تجميد الأجنة آثار جانبية سلبية على الجنين نتيجة تأثير اللقائح بالعوامل المختلفة التي قد تتعرض لها في حال الحفظ كحدوث التشوهات الخلقية، أو التأخر العقلي أو غير ذلك.

والله الموفق للخير والهادي إليه

صرح بذلك فضيلة الشيخ ماهر الحداد المدير العام للإدارة العامة لشئون مجلس المجمع ولجانه

الإعلام الإسلامي

صرح فضيلة الشيخ عبد الرحمن العسيلي مدير عام إدارة إحياء التراث أنه صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب «الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المادي» للأستاذ الدكتور محمود محمد عمارة عضو مجمع البحوث الإسلامية.

الكتاب يقع في ٢٤٠ صفحة من الحجم المتوسط وفيه أكد المؤلف أن الإعلام المادي هو قرين السوء الذي يزين الباطل ويغري بالمزيد من الانحراف، قتلك هي خطته ومنهجه، وأما الإعلام الإسلامي فخطته منسجمة مع منهجه الراشد في أعداد الفرد الذي يخاف الآخرة ويرجو رحمة ربه، وقد فرق الكاتب بين الإعلام والاعلان فمن هدف الإعلام أن يقدم لك الحقائق فيعرضها ولا يرفضها

- تنمية ملكية النقد - تكوين الرأي العام البقظ، اما الاعلان فيفرض الفكرة - ويرفض ملكة النقد - ويعتمد على التمويه، الاصطناع، التشويش ونشر الشائعات.

ثم ختم المؤلف كتابه بالدروس المستفادة من الإعلام الإسلامي، وبين النظرية والتطبيق نظهر أهميته وأهدافه.

مع الطلاب الوافدين من الصومال

صرح فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام إدارة الطلاب الوافدين بمجمع البحوث الإسلامية أن عدد الطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف من أبناء دولة الصومال الشقيقة بلغ هذا العام ١١٠٥ طلاب وذلك على النحو التالي:

بالنسبة للدراسات الخاصة بلغ عدد البنين ٩٥، والبنات ٥٨. وفي المرحلة الابتدائية بلغ العدد بنين ١٣٩، وبنات ١٢٦. وفي المرحلة الإعدادية بلغ العدد بنين ١٧٦، بنات ٨٤. وفي المرحلة الثانوية بلغ العدد بنين ١٦، بنات ٤٣. وفي مرحلة الجامعة بلغ عدد الدارسين بنين ١٩٥، بنات ٧٨. وفي الدراسات العليا بلغ عدد الدارسين بنين ٥.

وبذلك تعتبر دولة الصومال من الدول ذات الكثافة العالية لطلابها الدارسين سواء على نفقة الأزهر أو على نفقة هيئات أخرى أو على نفقاتهم الخاصة.



ستون عاماً!!

ستون عاماً مضت على إعلان قيام دولة إسرائيل... ستون عاماً فقط أصبحت خلالها إسرائيل عملاقاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً!!

أجل ستون عاماً فقط كانت كافية لكي تصنع إسرائيل لنفسها مكانة هائلة في هذا الكون الذي نعيش فيه!! فماذا عنا نحن؟

الدول العربية والإسلامية قاطبة ذات ماضٍ حضارى تليد يفوق عمر دولة إسرائيل بآلاف السنين وهو أمر يعززه التاريخ بقوة.. في حين قامت إسرائيل على ماضٍ حضارى كاذب نجحت الدعاية الصهيونية بما امتلكت من مقومات سياسية واقتصادية في تحويله إلى ماضٍ حضارى حقيقى يدرس فى الكثير من الجامعات والمعاهد الدولية!!

ما الذى حدث؟

كيف صارت إسرائيل إلى ما صارت إليه؟!

وكيف صرنا إلى ما نحن عليه؟!

ما نحن عليه لا يحتاج إلى شرح أو توضيح أو تحليل؟!

جميع الدول العربية تقريباً فى حالة صراع سياسى مع بعضها البعض!!

لا توجد دولة عربية واحدة تمنى الخير لجارتها!!

ووصل الأمر إلى الذروة بقيام دولة عربية باجتياح دولة عربية جارة لها واحتلالها فى واحدة من أسوأ الجرائم التى عرفها التاريخ على الإطلاق.. بل إن هذا الحدث كان بمثابة محاولة اغتيال كل أمل فى إمكانية توحيد الأمة العربية!!

الدول الأوروبية تحولت إلى كيان موحد تقريباً، مع احتفاظ كل دولة بخصوصيتها.. كل دولة أوروبية لها رئيس، ولها حكومة، ولها علم، ولها تنظيماتها السياسية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، واللغوية.. وبالذات اللغوية، والثقافية، حيث تتعد اللغات والثقافات بين الإنجليزية، والفرنسية والألمانية، والإسبانية، والإيطالية.. وغيرها،

سين المجلة

و

القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد فقى الدين

من وصايا الرسول ﷺ في إعداد الدعاة

ومن الأستاذ أحمد عبد المحسن على محمد مدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بالدقي - جيزة كانت هذه الرسالة:

وأن يبشر بالخير ليكون الأمل في النجاة منهاجا له، ووسائله للوصول إلى الغاية سهلة يسيرة، وأن يهتم بمشكلات الناس والحياة وأن يحاول أن يعالجها بروح الإسلام فليس الإسلام عبادة فقط بل إنه يهتم بعلاقة الإنسان بربه كما يهتم بعلاقة الإنسان بالإنسان واجتماع. وإعداد هؤلاء الدعاة يجعلنا نحتاج إلى شباب يتسمون بمواهب عالية وإلى مناهج تنمي هذه المواهب وتسكب في هذه العقول صور الفضائل والفكر، ليحملوا المشعل، وليسروا بالهداية إلى كل مكان. أما الشباب ذوو المواهب فيجب البحث عنهم وتشجيعهم بكل الوسائل ليتجهوا هذا الاتجاه. ومن عجب أننا نلاحظ قوى هائلة تسحب عن الأصوات الجديدة للغناء أو التمثيل، ولا نجد من يبذل أى اهتمام أو أى جهد للبحث عن القدرات التي تحمل الهداية للبشرية. وأبرز ما يقوم به القادة الموهبون أن يربوا الصف الثاني الذي يأخذ عنهم ويحمل العبء معهم وذلك بالقيم التي يحرصون عليها والأهداف التي يسعون لتحقيقها. فكان للرسول ﷺ قدرة هائلة في اختيار الأشخاص الذين يحملون راية العلم بعده، ويتحملون مسؤولية توصيل المعارف إلى الناس.

إن نشاط الدعاة المسلمين الأول سواء الذين رباهم الرسول أو الذين جاءوا على شاكلتهم هو الذي دفع سواهم من أتباع الديانات الأخرى ليسيروا سيرتهم في الدعوة لأديانهم. وهذا النشاط الإسلامي دفع بعض الديانات التي تراجعت إلى إعداد دعاة ومبشرين، وبيتنا كان هؤلاء يتجهون هذا الاتجاه، كان الدعاة المسلمين يرجعون التفهيري فأصبح أكثر الدعاة المسلمين لا يتمتعون بالكفاءة والثابرة.. وهذا الوضع يصور كارثة كبرى. ولا شك أننا إذا ربينا الداعية المسلم على هذا النمط أملنا منه خيرا كثيرا للإسلام والمسلمين.

من وصايا الرسول ﷺ التي قدمها للدعاة الذين أرسلهم لحمل رسالة الإسلام إلى بقاع مختلفة لتعليم المسلمين وهذه الوصايا نماذج حية ينبغي أن تستفيد بها في حاضرنا ومستقبلنا. منها ما أوصى بها رسول الله ﷺ معاذ بن جبل: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإن جنتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن أطاعوك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا فأياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب». ذلك الطريق الذي ربي الرسول الدعاة عليه وبذلك يعطينا نموذجا ينبغي أن نفتدى به في عصرنا الحاضر والمستقبل. فداعية اليوم ينبغي أن يكون عالما بأحكام الفقه، وأن يحفظ القرآن الكريم ويحفظ معظم أحاديث الرسول التي ثبتت صحتها، وأن يكون واسع الاطلاع وخاصة في العلوم الإسلامية والإنسانية التي ترفع شأنه وتطلق لسانه، ويتحتم على داعية اليوم أن يكون عالما بعلوم عصره، وأن يكون ذا عقل راجح يعرف أحداث التاريخ بعمق، وأن يجيد لغة أوروبية عالمية حتى يستطيع أن يحدث المسلمين غير العرب وأن يجيد اللغة العربية وأن تكون عنده القدرة على الأداء بها ومعرفة أساليب البلاغة فيها، وبعيدا عن حدود الوظائف التي تسعى للمال وتعمل للاستفادة منه إذ يجب أن يتسم بخلق العطاء وليس معنى هذا أن يكون الداعية محروما، بل ينبغي عليه أن يسعى لطلب الرزق لينفق على نفسه وعلى من يعمل معه فالداعية قد يكون طبيبا، وقد يكون مدرسا وقد يكون مهندسا.. وهنا يشور لدى البعض تساؤل كيف يكون طبيبا ويكون داعية، أقول يكون داعية يسلكه مع الناس سلوكه المستمد من كتاب الله وسنة رسوله الكريم، وأن يكون حسن العشرة مع النفس، واسع القدرة على الحوار.

لأننا صرنا نحفظ القرآن والسنة عن ظهر قلب ولا نعمل بهما وهو أمر لا يخفى على أحد ولا يحتاج إلى شرح أو توضيح!!

ومع ذلك فالأمل لا يزال باقيا، ومبعث الأمل هو أننا نشأنا أم أيتنا ما يزال يجمع بيننا ذلك القاسم المشترك الأعظم.. إنه الإسلام.. إنه القرآن والسنة.. واللغة.. اللغة العربية.. لغة القرآن الكريم!!

فهل يأتي اليوم الذي نعود فيه إلى ذلك القاسم المشترك الأعظم لنحكمه في شتى أمورنا ومن خلاله يتحقق الحلم.. حلم الوحدة العربية!!؟

أحمد تقى الدين

مسجد الأمير حسنين الرملى

من الأستاذ فرج مجاهد عبد الوهاب - شربين دقهلية - كانت هذه الأسطر عن أحد مساجد القاهرة، قال:

عمود واحد يقوم عليه سقف خشبي ويحاط القبة يوجد محراب كبير مجدد ومنبر قديم بجواره مقصورة خشبية بها قبر محمد السطوحى خادم المسجد في عهد الشيخ الرملى.

في الجهة الغربية للمسجد توجد حجرة مربعة تقريبا بها محراب ومكان للصلاة إلى جانب ضريحى للشيخ شهاب الدين الرملى، وابنه محمد.

بقى أن نعرف أن الشيخ شهاب الدين الرملى ولد بمصر في عهد السلطان الملك الظاهر أبى سعيد، وقد عرف شهاب الدين باسم الرملى نسبة إلى قرية الرمال التابعة لمركز قويسنا بالمنوفية.

ورحل وهو فى السادسة عشرة من عمره إلى الحجاز فى عهد السلطان الأشراف قايتباى ضمن البعثة التى ذهبت إلى المدينة المنورة تنفيذاً لأمر السلطان لتجديد بناء المسجد النبوى الشريف.

والمفروض أنها أمور جوهرية جداً ولكنها لم تثل حائلا على الإطلاق دون إعلان قيام الاتحاد الأوروبى بعملته الموحدة «اليورو» وخطوط مواصلاته المنتظمة، التى تربط بين أقصى شرق أوروبا وبين أقصى غربها، وبين أقصى شمال أوروبا وأقصى جنوبها.

فى حين أننا نتميز «أى الدول العربية» بوحدة غير مسبوق لغويا، وثقافيا، ودينيا، ومثل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، الأمل المنشود فى قيام وحدة عربية حقيقية شاملة.. ولكن هيهات!!

أجل هيهات!!

يقع جامع الشيخ شهاب الدين الرملى الأنصارى المشهور بجامع الرملى بميدان باب الشعرية الذى كان يعرف قديماً باسم باب القنطرة، حيث كانت توجد قنطرة على الخليج النصارى وأمامها فى سور القاهرة الغربى فتح باب عرف باسم «باب القنطرة».. ويقول على مبارك عن مسجد الرملى:

هذا المسجد بميدان القنطرة بقى متخرباً لمدة وبداخله ضريح الشيخ الرملى وضريح ابنه، وسبب أن المعلم حسنين الرملى احتجاز ينتمى إليه ويدعى أنه جده قام بتجديده، فجده من ماله الخاص سنة ١٢٨٨ هـ وجدد الضريحين وقام بشعائره ورتب ميعاداً وجراية للفقراء كل يوم سبت ويعمل له مولد كل سنة.

يتكون المسجد من مساحة مربعة الشكل تقريبا إذ يبلغ طوله ١٢ متراً وعرضه ١١ متراً ويتوسطها

الشيخ شلتوت.. وحادث الهجرة النبوية!

ومن صديقنا الشيخ / مصطفى الأزهرى - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - كانت هذه الرسالة:

أصاب حادث الهجرة النبوية العظيمة ما أصاب كثيراً من الأحداث الكبيرة التي صنعت أمتنا وشكلت هويتها قدراً من التشويه، قل أو كثر، وللأسف على السنة عدد ليس قليل من الوعاظ والخطباء فضلاً عن الكتاب والباحثين، ومع ضعف وتراجع القدرة العلمية والنفسية في بلادنا عن التحري والبحث والتنقيب والتدقيق صارت الأحداث العظيمة تفسر تفسيراً قاصراً يتناول الخطباء ويسطره الكتاب فيصير مع الوقت ديناً وما هو بدين فقال المعاصرون الذين لا يتثبتون: (وإننا على آثارهم مقتدون) غير أن الله تبارك وتعالى قيض لهذه الأمة من أهل البصيرة والفكر الاستباقي ما ينافع عن الدين وينقي الفكرة الإسلامية مما شابها من قصور قد يضر مع الوقت أو يحجب الصحيح من الاجتهاد العلمي الرصين، ومن هؤلاء الذين أعدهم الله لذلك العلامة الكبير الشيخ محمود شلتوت - شيخ الأزهر الأسبق - برحمة الله، ننقل من أقواله هذه الفقرات لتجلى شيئاً قليلاً - يناسب تلك المساحة - من عقل الرجل وفكره المضئ المستنير دفاعاً عن هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

يرى الشيخ محمود شلتوت - شيخ الأزهر الأسبق - في دراسته: "الإسلام والوجود الدولي للمسلمين": "إن حادثة الهجرة، كانت نقطة تحول في تاريخ البناء الإسلامي، لتقوم فوق الأرض الجديدة - يشرب - دولة ذات منهج ونظام وهدف، والهجرة من الأحداث الفذة التي كانت تمهيداً

لثبيت البناء الإسلامي، وميلاد دولة داخل إطار من القوة، وبذلك أصبحت (الهجرة) من الأحداث الإسلامية الكبرى التي يجب أن تحمل العظمة في نفس كل مسلم.

ويضيف الشيخ: "وقد عني المؤرخون كثيراً - وهم يتكلمون على هذا الحدث - بذكر حوادث الإيذاء التي كانت تتصل بالرسول وأصحابه الذين لبوا دعوته، ومن هنا ألبس أرياب الهوى الخاص - وهم يكتبون سيرة (النبي العربي) - ثوب الفرار وعدم الصبر والاحتمال في القيام برسائله، ولم يتورعوا - إمعاناً فيما يشتهون - أن يلصقوا كلمة (النبي الفار) وقد ظنوا أن هذا الشوب الهلhel الذي خلعه على هذا الحادث العظيم، يستطيع أن يستر الحقيقة التي يحملها بين جنبه، والتي لم تلبث - بعد الوصول إلى المدينة، أن سطع نورها، وانتشر أريجها، وبدأت تزيل الغشاوة التي وضعها الجهل على العقل البشري حيناً من الدهر، والواقع أن هذه الهجرة (البدنية) لم تكن إلا أثر من آثار هجرة القلوب، عما كان عليه القوم من عقائد فاسدة، وشرائع باطلة، وعقائد وتقاليد، كان لها في هدم الإنسانية، ما ليس للمعاول القوية في تفويض البناء الشامخ العنيد".

وهكذا... يشعر القارئ لهذه الفقرات العابرة من كلمات الشيخ - رحمه الله - حدة لاذعة تدل على حرارة والتباع دعوي وفكري لديه، على ما أصاب بعض الدعاة والوعاظ من تفاسير قاصرة تدل أيضاً على عقول مقصرة في تحليل الحقائق العظيمة والمعاني الجليلة من الأحداث التي صنعت أمة الإسلام... برحم الله شيخنا الجليل..



إعداد الأستاذين / محمد جمعة - أحمد رضوان

رابطة عالمية لمناصرة الرسول ﷺ

تقرر إنشاء رابطة عالمية لمناصرة الرسول ﷺ برئاسة الدكتور أحمد عمر هاشم عضو مجمع البحوث الإسلامية ورئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب، لتعمل الرابطة داخل مصر وخارجها بالتنسيق مع وزارتي الأوقاف والتضامن الاجتماعي وجامعة الدول العربية. وسيكون للرابطة فروع باحافظات وخارج مصر بالدول العربية والأجنبية بالتنسيق مع المراكز الإسلامية، بهدف مواجهة أي تعد على الرسول ﷺ بأي نوع من أنواع الإساءة.

مشروع لتطوير تعليم اللغة العربية في النمسا

عقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» ومؤسسة غرناطة للنشر والخدمات التربوية، بالتنسيق مع الهيئة الدينية الإسلامية الرسمية في النمسا، دورة تدريبية في فيينا لتحديث طرق تعليم اللغة العربية لأبناء المسلمين في الغرب، تستضيفها الهيئة الدينية الإسلامية الرسمية في النمسا، وذلك في إطار سلسلة من الأنشطة التدريبية المشتركة بين المنظمات الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ومؤسسة غرناطة للنشر والخدمات التربوية، والهادفة إلى تعزيز الاهتمام بالأطر التربوية المتخصصة في مجال تعليم اللغة العربية لأبناء المسلمين في الغرب، حفاظاً على هويتهم الثقافية.

مجمع الخالدين يدعو إلى سياسة لغوية موحدة بالدول العربية

دعا علماء اللغة العربية - أعضاء مجمع الخالدين خلال المؤتمر المستوى للمجمع - إلى وضع سياسة لغوية موحدة بالدول العربية، للتخطيط لمستقبل اللغة العربية مع الاستفادة من تجارب دول العالم في ذلك وعلى رأسها فرنسا صاحبة أقدم تجربة في مجال وضع السياسة اللغوية.

ومن جانبه دعا د. عبدالعزيز التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم في محاضرته بالمؤتمر حول اللغة العربية وتحديات العولمة إلى تحويل اللغة العربية إلى لغة منتجة للعلم والمعرفة، حتى تتمكن من الحفاظ على لغتنا في مواجهة تحديات العولمة والأمركة.. مشيراً إلى أنه لا سبيل إلى تحقيق النهضة إلا بالإنتاج العلمي والمعرفي في شتى حقول المعرفة.

بابا الفاتيكان:

تنصير كل البشر حق ثابت للكنيسة الكاثوليكية وواجب إلزامي عليها

عاد بابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر للقول بأن تنصير كل البشر حق ثابت للكنيسة الكاثوليكية، بل وواجب إلزامي عليها.. وقال البابا خلال لقاء مع المجلس الأعلى للأعمال البابوية الرسولية بأن الطابع المركزي لرسالة الكنيسة الكاثوليكية يكمن في رسالة التبشير بالإنجيل. ونقل الموقع الإلكتروني لإذاعة الفاتيكان عن البابا قوله: «إن الدعوة إلى تلمذة كل الأمم متقولة عن يسوع في الإنجيل لا تزال تشكل مهمة إلزامية بالنسبة إلى كل الكنيسة وبالنسبة إلى كل مؤمن بالمسيح». وأضاف: «هذا التعهد الرسولي هو واجب وأيضاً حق ثابت وتعبير عن الحرية الدينية بأبعادها الأخلاقية والاجتماعية والسياسية» و«جدير بالذكر أن هذه ليست الأولى التي يدعو فيها بابا الفاتيكان صراحة إلى التنصير، فقد سبق ونشرت الفاتيكان وثيقة أطلق عليها «حق الكنيسة الكاثوليكية في نشر رسالتها التبشيرية، بين غير المسيحيين وأصحاب المذاهب المسيحية الأخرى».. ودعا لبذل الجهد في سبيلها حتى الموت. ورغم تصريحات بنديكتوس: إلا أن المراقبين للشأن المسيحي وللأنشطة التنصيرية يؤكدون أن الفاتيكان تعرض لإخفاقات كبيرة في مجال التنصير خاصة بين المسلمين على الرغم من مليارات الأموال التي خصصت لهذا الأمر.

٦٠ عاماً من النكبة المتواصلة

اكتملت في يوم ١٥ مايو ٢٠٠٨م ستون عاماً من النكبة.. نكبة عام ١٩٤٨ وهي النكبة التي مازالت متواصلة حتى الآن، فيها وعلى إثرها ضاعت فلسطين وقامت الدولة الصهيونية وسقط العرب في حبال الانقسام والضعف والافتتال!!

إسرائيل ذلك الكيان اللقيط تمكنت على مدى ستين عاماً بعد إنشائها من فرض نفسها في المجموعة الدولية، لتفرض واقعاً جديداً على المنطقة وعلى العالم، وهذا الواقع إلى جانب سيع

حروب لم تمنع إسرائيل من ترسيخ اقتصادها، وأن تصبح قوة تكنولوجية، وتمتلك جيشاً قوياً وبنى تحتية متطورة على أرض ليس فيها موارد طبيعية، وهذا الرهان لم يكن محسوماً مسبقاً في ١٤ مايو ١٩٤٨ حين أعلن قيام دولة إسرائيل وأنشئت إسرائيل آنذاك على أرض تركتها قوة الانتداب البريطانية وواجهت على الفور حربها الأولى مع الدول العربية، ومع هذا التطور برزت مأساة أخرى هي الترحيل القسري!

وارتكبت إسرائيل منذ العام ١٩٤٨ جرائم ومجازر لا تعد ولا تحصى.. فمن مجازرها في حيفا واللد وعسقلان إلى كفر قاسم ودير ياسين إلى إحراق المسجد الأقصى، إلى بحر البقر، إلى عبرا وشاتيلا، إلى قانا إلى مذبحة الحرم الإبراهيمي، إلى جنين وخان يونس، إلى التهجير والتخريب والتدمير للتراث الثقافي العربي والإسلامي، وإذا كانت إسرائيل وقعت اتفاقات سلام مع مصر (١٩٧٨) ومع الأردن (١٩٩٤)، فإنها لاتزال في حالة عداء مع فلسطين وسوريا ولبنان وكل دول المنطقة. فمتى يمكن أن تنتهي النكبة ونحتفل نحن بانتهائها ونحتفل إسرائيل بسقوطها؟

حدوث أول انهيار بساحة المسجد الأقصى بسبب الحفريات الإسرائيلية

دعا الملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين، المنبثق عن رابطة العالم الإسلامي المنظمات الدولية والدول ائحية للسلام، للقيام بعمل جاد لإيقاف أعمال الحفر التي تنفذها السلطات الإسرائيلية تحت المسجد الأقصى المبارك، مما يؤدي إلى حدوث انهيارات متتالية فيه، حيث حدث الانهيار الأول في ساحة المسجد، وأدى إلى إحداث حفرة واسعة نتيجة للحفريات التي أدت كذلك لحدوث صدوع وتشققات خطيرة في البيوت التي تقع قرب الجدار الغربي للمسجد، جاء ذلك في بيان عاجل أصدره الدكتور عبدالله بن عبدالحسن التركي، الأمين العام للملتقى العالمي.

سفيرة أمريكية تحمل بوش مسؤولية سوء العلاقة مع المسلمين

انتقدت سيلثيا سنايدر السفيرة الأمريكية السابقة في هولندا الرئيس الأمريكي جورج بوش لسوء تعامل إدارته مع المسلمين وثقافتهم، مما أدى إلى توتر العلاقة بين العالم الإسلامي والولايات المتحدة. وأوضحت أن الحرب الأمريكية أدت إلى تدمير التراث الثقافي للعراق وأفغانستان، ولذا بدأنا مشروعاً للحفاظ على الآثار الثقافية في العالم كله وتدريب الجنود الأمريكيين على كيفية التعامل معها. وفي نفس السياق أوضح استطلاع للرأي العام الإسلامي في الغرب، خاصة الولايات المتحدة أن سبب الانقسام بين المسلمين والولايات المتحدة، هو شعور المسلمين أن الإدارة الأمريكية لا تحترمهم كما ينبغي، بالإضافة إلى عدم وجود فهم متبادل بين الطرفين. ودعت السفيرة الأمريكية ومعهد جالوب بضرورة علاج مواطن القصور والمشكلات التي أدت إلى توتر العلاقة الإسلامية - الأمريكية، وأن يتم تقديم المزيد من الاحترام نحو المسلمين ودينهم، لأنهم أصحاب دين وحضارة.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

فضيلة الشيخ / عبد القبي فرج

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

نداء من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

مجمع البحوث بالأزهر الشريف - وقد آله ما يدور في لبنان من فتن ومشكلات ينادي أبناء دولة لبنان الشقيقة أن يستعدوا عن كل قول وفعل يؤدي إلى إشاعة القوضي والاضطراب، فإن ذلك سيؤدي إلى عواقب سيئة لاشك أن لبنان في غنى عنها. والمجمع يدعو أبناء لبنان جميعاً على اختلاف أديانهم وطوائفهم ومذاهبهم أن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان وأن يكون رادعهم في ذلك قوله تعالى:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

(آل عمران: ١٠٣)

﴿وَلَا تَنَزَعُوا فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَازِمُوا بَعْضُكُم بَعْضًا﴾

وقوله تعالى:

﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

(الأنفال: ٤٦)

وأن يعملوا على حل مشكلاتهم بالحلول الحكيم والقول الكريم والطيب والفعل الإيجابي الذي يعيد إلى لبنان أمنه ورواه واستقراره تسأل الله تعالى أن يجنب دولة لبنان وأهلها وشقيقتها والعالم أجمع الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه سبحانه على كل شيء قدير.

الأزهر على استعداد لقبول أهل السنة الإيرانيين

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف في لقائه يوم الأربعاء الموافق ٢٠٠٨/٥/١٤ بوقد إيران برئاسة مفتي خراسان لأهل السنة أنه لا فرق بين مسلم سني وآخر شيعي وأن تطبيق العدالة والمساواة بين أبناء الوطن الواحد طبقاً لأحكام الدستور الذي يحقق التعايش السلمي وقال خلال استقباله للشيخ إبراهيم فاضل الحسين مفتي أهل السنة بخراسان بإيران أن العقائد لا مصادرة عليها وأن الأزهر يقبل طلاباً من أكثر من ١٠٤ دول وأنه على استعداد تام لقبول طلاب أهل السنة الإيرانيين للدراسة بالأزهر في حالة إذا تطبقت عليهم شروط القبول بالأزهر كمعادلة شهاداتهم بالشهادة الأزهرية... من جانبه أكد الضيف أن أهل السنة بإيران يمثلون ثلث عدد السكان وهم يقدرون بحوالي ٢٠ مليون نسمة، وأنهم متساوون في الحقوق والواجبات مع إخوانهم الشيعة في إيران وأن الدستور الإيراني ينص على مبدأ المساواة وقال إنهم يشغلون الكثير من الوظائف القيادية ولديهم أكثر من ٢٠٠ نائباً بمجلس الشورى الإيراني ولديهم مدارسهم الخاصة، كما يوجد لديهم مساجد بأسماء الصحابة.

بروتوكول تعاون بين الأزهر الشريف والهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر عقد الأزهر الشريف والهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد برئاسة مجلس الوزراء مؤتمراً صحفياً بمشيخة الأزهر لتوقيع بروتوكول تعاون بين الطرفين للإعلان عن أولى المعاهد الأزهرية التي سوف تتقدم للحصول على الاعتماد من الهيئة والبالغ عددها ١٣ معهداً وذلك بحضور الأستاذ الدكتور / مجدى قاسم رئيس الهيئة القومية لضمان الجودة والاعتماد وبحضور لقيف من علماء الأزهر الشريف ونواب التعليم بهيئة ضمان جودة التعليم وتضمن البروتوكول التوقيع على بدء إجراءات عمل الدراسات والزيارات الاستطلاعية التي سوف تقوم بها الهيئة للمعاهد الأزهرية المتقدمة للاعتماد لاستيفاء معايير الجودة لتحديد مدى استعداد هذه المؤسسات للاعتماد على أن تتولى الهيئة تقديم كل الدعم والتسهيلات الفنية لمساعدة هذه المؤسسات للتأهل للاعتماد ومساعدتها على إعداد الدراسة والتقييم الذاتي لها والوصول إلى تطبيق المعايير الخاصة بضمان الجودة والاعتماد ويعتبر الأزهر الشريف أولى المؤسسات التي تقدمت للهيئة لاعتماد مؤسساتها التعليمية بناء على معايير الجودة التي أعدتها الهيئة القومية للاعتماد.

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية قبرص

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الأربعاء ٢٠٠٨/٥/٧ معالي وزير خارجية جمهورية قبرص السيد / ماركوس كيريانو والوفد المرافق لسيادته.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد الوزير والوفد المرافق لسيادته في مصر وأزهرها الشريف وقدم شرحاً موجزاً للمراحل التعليمية المختلفة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة التي تقوم الدراسة به على الساحة والاعتدال وعلى اعتبار أن الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة وأن العلاقات بين الناس يجب أن تقوم على التعاون وعلى تبادل النافع التي أحلها الله مبيناً أن الله نزل الأديان على بني البشر من أجل التعاون ونشر الخير ومساعدة المحتاجين والوقوف إلى جانب المظلوم حتى يأخذ حقه والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البلهاء.

ومن جانبه أعرب السيد الوزير عن شعوره بمزيد من الفخر لزيارته لمصر ولقائه بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لأن الأزهر هو منارة العلم في العالم، وأنه على علم بما يقوم به الأزهر من خلال قراءاته المتعددة عن الإسلام بأنه دين سماحة على امتداد التاريخ، كما أشار الضيف إلى أن قبرص ليس بها أي مشكلة دينية بين المسلمين والمسيحيين على الإطلاق فالكل يعيش جنباً إلى جنب. وقد وجه السيد الوزير الدعوة إلى فضيلة الإمام الأكبر لحضور مؤتمر السلام العالي الذي سيعقد في جمهورية قبرص في نوفمبر القادم بالاشتراك مع الكنيسة القبرصية وسوف تصل قريبا الدعوة من رئيس الأساقفة القبرصي.

الإمام الأكبر يستقبل الرئيس التنفيذي للمجلس الثقافي البريطاني

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ظهر يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠٨/٥/٢٧ السيد مارتين دافيدسون الرئيس التنفيذي للمجلس الثقافي البريطاني يرافقه المدير الاقليمي لمنطقة شمال افريقيا والشرق الأدنى ومدير المجلس الثقافي البريطاني بمصر وتأتي هذه الزيارة للتنسيق للعمل المشترك بين الأزهر وجامعته وبين المجلس الثقافي البريطاني من أجل تحقيق وتعميق أكثر للغة الإنجليزية والتي من خلال تعلمها يتم فهم الثقافات والحضارات لتفعيل أواصر التعاون، وأبدى رئيس الوفد رغبته في الاستعانة بالأزهر في تعليم اللغة العربية في مدارس إنجلترا.

ومن جانبه رحب فضيلة الإمام الأكبر بالتجربة موضحاً بأن طلاب وطالبات المعاهد الأزهرية يدرسون منهج اللغة الإنجليزية في مراحلها الثلاثة.

prohibited. There are also two periods of time when "Istikhara" prayer is discouraged: after Fajr prayer until it is time for non-essential prayer, and after Asr prayer.

The sunna for "Istikhara" prayer is two rakaa and the person presenting the prayer may add more if he likes, but he has to end the prayer every two rakaa's. It always has to follow two rakaa's.

Ibn Hagar – may Allah forgive him – used to prefer to pray the two rakaas using specific suras. He used to pray the first rakaa with Al-Fatiha then, from surat Al-Qassas:

"And your Lord creates whatever He decides and He chooses. In no way do they have the choice. All Extolment be to Allah, and Supremely exalted be He above whatever they associate. And your Lord knows whatever their heart conceals and whatever they make public. And He is Allah, there is no god except He. To him be praise at the first and at the Hereafter. And He has the judgment, and to Him you will be returned." (Al-Qassas: 68 – 70)
And then follow it with:

"Say "O you disbelievers, I do not worship what you worship, Nor are you worshipping what I worship, Nor am I worshipping what you have worshipped, Nor are you worshipping what I worship, To you is your religion, and to me is my religion" (Al-Kafirun (the disbelievers)

And in the second rakaa, he would read the Fatiha and then:

"And in no way should a male believer or a female believer, when Allah and His Messenger have decreed a Command, have the choice in their Command. Whoever disobeys Allah and His Messenger, then he has readily erred away into evident error." (Al-Ahzab: 36)

And then read surat Al-Ikhlās.

As for the prayer of "Istikhara", which was stated above, It may be said by the person after the two rakaa's or during them during prostration or saying "tashahud" since this is the place for asking during a prayer.

The issue about which the "Istikhara" prayer is being performed, should be an important matter. It is usually unclear and its consequences (good or bad) are unknown. In this case, there is a precaution that should be taken by the Muslim before performing the prayer for "Istikhara". Muslim Scholars say that the person asking for guidance will not have a true result from the "Istikhara" if he/she has already decided on it. It was mentioned in Fath Al-Bary – in explanation of Sahih Al-Bukhari – that Ibn Hagar said the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him) said: "If any of you is about to do something, then he should pray two rakaa's" referring to the first

impression of any matter "so that the blessings of the prayer will reveal what is good". "But if his mind is already made up and he has decided, then he advances to the problem in anticipation and fear that the prayer would prevent him from accomplishing what he already desires." The usual approach is not to go ahead with the matter before performing "Istikhara".

The matter itself should be mentioned in the prayer. Imam Al-Bukhari (may Allah be pleased with him) has mentioned a true saying of the Prophet based on narration by Gaber (may Allah be pleased with him). He said that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him) said: "If any of you is about to do something, then pray two rakaa's and say (after the prayer):

"Oh Allah, I ask your guidance with your knowledge, and I appeal to your power and ask you from your great bestowments, since You have the power and I don't, and you have the knowledge and I don't, and you know all the unknown. O Allah, If you know that this matter (and then he mentions the issue under consideration).....to the end of the Hadith.

It is then clear that the place where the issue should be mentioned is after he says: "O Allah, If you know that this matter....." For example, he could say: "O Allah if you know that my journey for this business is good for me....." or

"O Allah if you know that my marriage to is good for me"

The scholars have mentioned that if he does not mention the issue in this particular place in the prayer, then he can say it after finishing the prayer. In explaining the saying of the prophet "O Allah if you know that this matter.....", Gabr said: usually the Muslim should mention the issue aloud but he could also present it silently in his heart.

A Muslim cannot do "Istikhara" for something that must be done or that is imposed by Islam. Also, there is no "Istikhara" about something that is prohibited or discouraged by Islam.

What comes after "Istikhara"? Imam Al-Nawawi said "After "Istikhara" the person goes ahead and does what he feels good about. That means he should do what he feels is right and leave the rest to Allah to bless his decision and its outcome.

Translated by: Eman Ali El-khateb.

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil

As such, both the previous and the present Pope (Pope Benedict XVI) adopted the path of fierce animosity for Muslims. This was very clear in the recent media frenzy surrounding the insignificant renegade Magdi Allam, along with those he referred to as Muslim Terrorists to join Catholic Christianity.

The book states that conversion to Catholic Christianity must continue to rely on methods that appear to originate in the Muslim world and not been imposed upon it by outsiders. These methods simply appear to be natural results of intellectual and economic globalization. Actually, globalization represents an introduction to Christianity, since its main objective is to strip the Muslim of his basic Islamic beliefs and concepts, leaving him a prey to uncertainty and lack of acceptance of his present existence. This may lead to the humiliation of his personal pride and his faith, causing him to search for an alternative as the popes thinking.

Among the methods of conversion to Catholic Christianity, as mentioned by the book, are attempts at explaining Islamic principles made by people who are not qualified in any way to do that, and who bear no allegiance to Islam or its basic concepts.

Other methods of conversion to Christianity include, in some cases, International Conferences which offer solutions to world problems. These problems are made to appear as if they arise from Islam which is not the case. These topics include equality between men and women, anti-terrorism and female circumcision. It also includes promoting sympathy for AIDS sufferers and for homosexuals and making them appear as innocent victims who were only trying to exercise their right to freedom.

Another method of conversion that should be emphasized is the support of renegades from Islam and providing them with protection, in addition to putting pressure on governments and legal committees who attempt to impose any punishment on them. In contrast, anyone who attempts to enter Islam is met with strong pressure and disapproval. Also, any misguided groups who abandon Islam are encouraged. These include devil worshippers, Bahaaists, Quranists and Qadyans. They are widely supported and they are given a lot of media attention. Governments are even pressured into accepting them and identifying them as separate entities in their passports. Human Rights groups are also required to adopt their causes and support them.

At the same time, there is much effort to concentrate attention on the dangers of Muslims and their conservative beliefs. Muslims are hunted down and treated as criminals. These are all attempts at bad publicity for Islam as a religion to discourage any would-be followers. This also encourages followers of other religions to treat Muslims badly, as is now evident in the inhumane treatment of Muslims who have chosen to live in European or other foreign countries.

To Ask Allah for Guidance (Istikhara): A Heavenly Path to the Unknown, and Rays of Prophetic Illumination...!

By: Dr. Aly Al-Khatib

The guidance that is brought about by "Istikhara" brings an end to uncertainty and suspicion and leads to comfort, peace of mind and an acceptance of God's will. "Istikhara" is a method of putting our trust in God's will and judgement. The Prophet (may the peace and blessings of Allah be upon him) used to teach it to Muslims, and they used to memorize it as we memorize the surah of Al-Fatiha in the Quran.

Every Muslim undergoes "Istikhara" when he or she is faced with a problem or offer and they are not sure if it is better for them to do it or not. At that point, they should perform "Istikhara" since it results in heavenly guidance. If it is good for the Muslim, he is guided towards it, if not, he would tend to avoid it.

In order to perform the "Istikhara", the Muslim performs 'wudu' then he prays two 'rakaa' and after ending the prayer, he says the "Istikhara", while still facing the Qibla in the same state in which he ended the prayer. Imam Bukhari - may Allah be pleased with him - has narrated, based on a narration by Gaber ibn Abdullah (may Allah be pleased with him): "The Prophet (may the peace and blessings of Allah be upon him) used to teach us "Istikhara" in all things, just like a surah in the Quran: and he used to say: "If any one of you decides on an issue, then pray two rakaa (other than the essential prayers) then say:

"Oh Allah, I ask your guidance with your knowledge, and I

appeal to your power and ask you from your great bestowments, since You have the power and I don't, and you have the knowledge and I don't, and you know all the unknown. O Allah, If you know that this matter is good for my faith and my livelihood and my life hereafter (or say: in my present and future) then bestow it upon me and facilitate it for me, and bless me. If you know that this matter is bad for my faith and my livelihood and my life hereafter (or say: in my present and future) then keep it away from me and keep me away from it and bestow upon me all good wherever it is"

And said "then he mentions the problem".

The times when "Istikhara" prayer can be performed are during the day or the night except the three periods of time when prayer is prohibited. Since the "Istikhara" prayer is not an essential prayer, then it cannot be performed 15 minutes after sunrise, nor 15 minutes before sunset, nor a minute before Zuhr (noon) prayer. These are three periods when the non-essential prayers are



﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

An Invitation for Dialogue or a Plot for Conversion to catholic christianity...!

By Dr. Ibrahim Al-Assil

Dr. Zainab Abd-el-Aziz, Professor in University of Monoufia and former Head of Department of French civilization in the university, has translated a book by the former Pope of the Vatican John Paul II. This book and its main points were mentioned in an article by Professor Dr. Abdel Halim Owais, published by the Egyptian magazine Al-Tebian in its issue of Rabii Al-Aakhar 1429, April 2008.

In this book, Pope John Paul II announced that the main aim of the Vatican is to convert the world to Christianity. And, in his own words, its "Catholicity", converting everyone into a catholic Christian. Among the important points mentioned by the Pope is the importance of creating dialogues with Muslims, in particular, with the aim of Christianizing them. This is confirmed by the saying of Allah:

"And the Christians and the Jews will never acknowledge you until you follow their religion". (The Cow: 120)

The Pope says in his book: "The catholic church uses dialogue as a method to catholicize all people". The dialogue that is intended by the Vatican has been prepared in advance with specific goals. As a result, we heard - at that time - about invitations to international Muslim communities to induce them to get into a dialogue with the Vatican. This presumed dialogue was, at one time, referred to as dialogue between religions and, in others, as dialogue between civilizations. This latter name was strongly emphasized, at the time, to avoid what some people referred to as conflict between civilizations.

The dialogue that was called upon by the Vatican has clear goals for those who initiated it. These goals do not include, at all, the search for truth. If it were so, its results would, inevitably, have been in the interest of Islam, as expected by Muslims. In the very least, this dialogue would have revealed the common concepts between heavenly religions which would have resulted in a common understanding between all believers in God and forge an unified confrontation against atheism and immorality.

However, it is certain now that these were not the main objectives of the Vatican. Its only aim was to spread catholic Christianity and convert Muslims, more than anyone else, into Catholic Christians. This would then be followed by conversion of others such as cow-worshippers (Hindus, Nepalese), Buddhists and also Christians of other faiths particularly the orthodox Christian. They also wanted to prohibit any mention of Jews. The Pope did not dare to mention them in any way, as he anticipated in advance the strong reaction of the Jewish lobby and their fierce attack which includes the usual accusations of anti-Semitism.

الفهرس

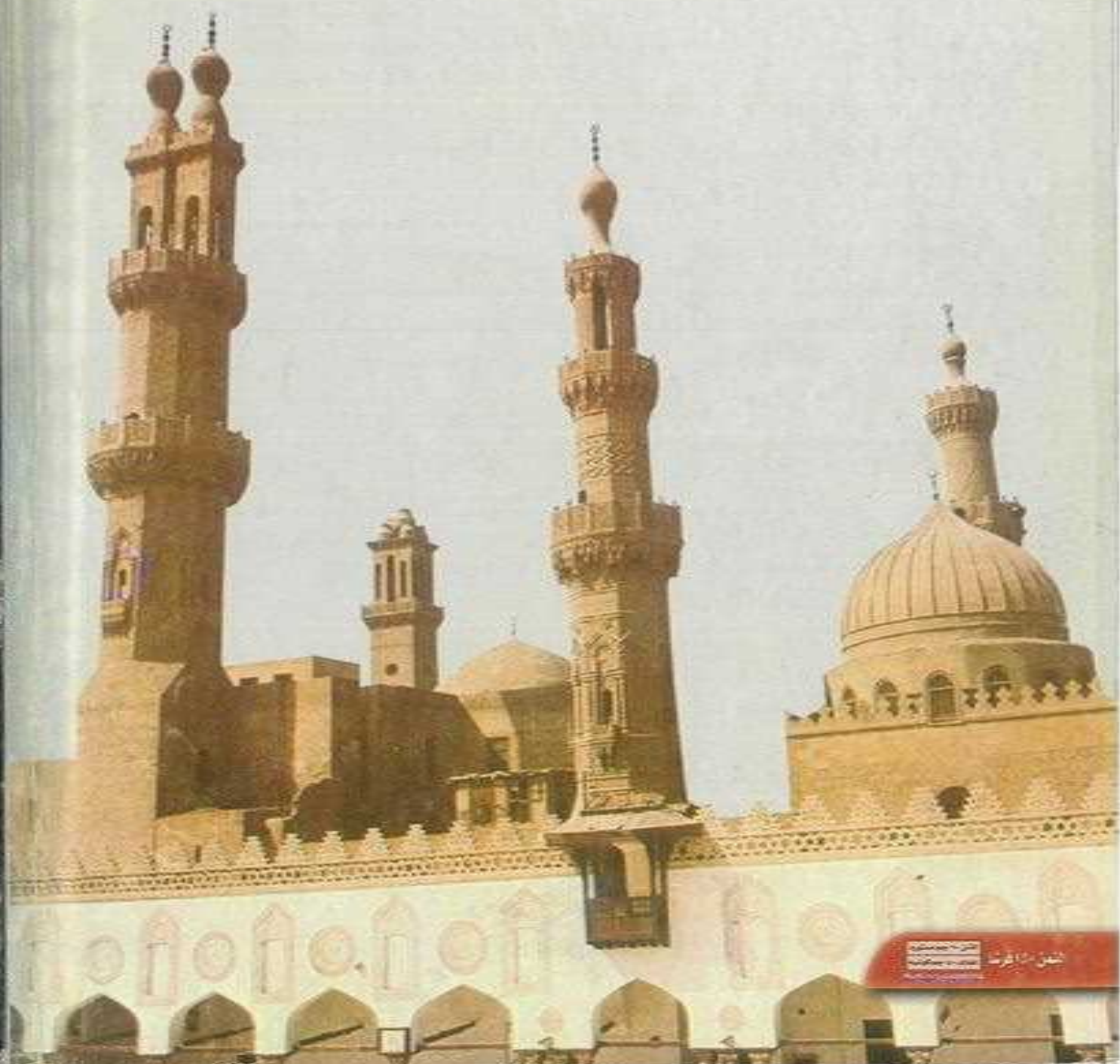
- ٨٧٩ ————— • الكتاب المدرسي عبء ثقيل (الافتتاحية)
- ٨٨٠ ————— • مؤتمرات دولية يناقش أهمية التسمية في العالم الإسلامي
- ٨٨٠ ————— • للإستاذ / عاطف مصطفى
- ٨٨٨ ————— • الإسلام أكمل الرسالات
- ٨٨٨ ————— • للشيخ / صديق بكر عينة
- ٨٩٧ ————— • اجتماعية الأزهر بتفضيلة الإمام الأكبر الشيخ / محمود شلتوت
- ٩٠٢ ————— • بقلم / مدير التحرير
- ٩٠٢ ————— • كلمة الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية
- ٩٠٢ ————— • كلمة أسرة الإمام الأكبر الشيخ / محمود شلتوت
- ٩٠٤ ————— • لتفضيلة الشيخ / مهدي شلتوت
- ٩٠٤ ————— • الأساتذة الإمام الشيخ / محمود شلتوت في العواصم في الجليل
- ٩٠٦ ————— • للإستاذ الدكتور / أحمد الطيب
- ٩٠٦ ————— • لتفضيلة الإمام الأكبر الشيخ / محمود شلتوت مفسراً
- ٩١٢ ————— • لتفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي
- ٩١٢ ————— • مع الإمام محمود شلتوت في إحدى لقاءاته
- ٩٢٤ ————— • للإستاذ الدكتور / محمد الأحمدى أبو النور
- ٩٢٤ ————— • الإمام محمود شلتوت وقضية التجديد
- ٩٣٢ ————— • للإستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندى
- ٩٣٢ ————— • الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت مجتهد الفتوى
- ٩٤٨ ————— • للإستاذ الدكتور / محمد رافت عثمان
- ٩٤٨ ————— • بين الصحف والجلدات
- ٩٦٧ ————— • إعداد: محمود الفشى . علا عبد الرحمن
- ٩٦٧ ————— • أبناء مجمع البحوث الإسلامية
- ٩٧٢ ————— • للإستاذ / عبد المجود أمين موسى
- ٩٧٢ ————— • بين المجلة والفرائ
- ٩٧٥ ————— • للإستاذ / أحمد السيد نقى الدين
- ٩٧٥ ————— • أبناء العالم الإسلامي
- ٩٧٩ ————— • للإستاذين / أحمد رضوان . محمد جمعة
- ٩٧٩ ————— • أبناء مكتب الإمام الأكبر
- ٩٨٢ ————— • لتفضيلة الشيخ / عبد الفتى قراج
- ٩٨٢ ————— • القسم الإنجليزي
- ٩٨٩ ————— • إعداد وإشراف أ. د. إبراهيم الأصيل
- ٨٠٠ ————— • للإستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى
- ٨٠٠ ————— • تفسير سورة آل عمران
- ٨٠٦ ————— • لتفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي
- ٨٠٦ ————— • السنة: عمر الإنسان أمارة
- ٨١٢ ————— • لتفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا القيومى
- ٨١٢ ————— • عقيدة السلم
- ٨١٨ ————— • لتفضيلة الشيخ / عمر الديب
- ٨١٨ ————— • الشكر لديم النعمة
- ٨٢٢ ————— • لتفضيلة الشيخ / على عبد الباقي شحاتة
- ٨٢٢ ————— • خطبة الجمعة: من آداب الإسلام
- ٨٢٦ ————— • لتفضيلة الشيخ / أحمد الشرباصى
- ٨٢٦ ————— • صاحب البعثة الكبرى (قصيدة)
- ٨٣٠ ————— • للشاعر العراقي الأستاذ / محمد بهجة الأثرى
- ٨٣٠ ————— • التعاون على البر والتقوى
- ٨٣٤ ————— • لتفضيلة الشيخ / فوزى الزغراف
- ٨٣٤ ————— • قصة العبد: تنصرت الأشراف من أجل لطفه
- ٨٣٤ ————— • للدكتور / أبى حسام
- ٨٣٤ ————— • استفتاءات الفتاوى
- ٨٤٤ ————— • يجب عنهم الأستاذ الدكتور / على جمعة
- ٨٤٤ ————— • الأذان بين قسدية الله وأعجاز البناء
- ٨٥٠ ————— • للإستاذ / محمد مصطفى النيسونى
- ٨٥٠ ————— • الرفاعى .. هذا الفصل السليم
- ٨٥٥ ————— • للإستاذ الدكتور / محمد أحمد العرب
- ٨٥٥ ————— • الإسلام والعرب
- ٨٦٠ ————— • للدكتور / حمدى فتوح والى
- ٨٦٠ ————— • مستقبل الوجود الأمريكى في العراق
- ٨٦٤ ————— • للإستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد
- ٨٦٤ ————— • كتاب الشهر: الحضارة الإسلامية المسيحية .. ما حدث؟
- ٨٧٠ ————— • عرض وتحليل ونقد أ. د. / إبراهيم عوضين
- ٨٧٠ ————— • طرائف .. ومواقف
- ٨٧٦ ————— • للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



AL AZHAR

MAGAZINE

JUMADAL-AKHERA, 1429 H. JUN. 2008
Vol. 81, Part VI.



الشيخ محمد صالح المنجد
www.alukah.net

هدية العدد
في ذكرى الـ ١٠٠ عام الإضراب
الشيخ محمود طنوت
رحمه الله

الإسلام

مجلة إسلامية شهرية تصدرها مجمع البحوث الإسلامية
رجب ١٤٢٩ هـ - يوليو ٢٠٠٨ م - الجزء (٧) السنة (٨١)

أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَرْعَظَةِ الْحَسَنَةِ



في المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار
خادم الحرمين الشريفين يؤكد

تعدل وتبهم وتعايش وحوار عائل

١١
٢٥٥٥
٤/٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيهقي

سكرتير التحرير

مدير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

عادل رفاعي خفاجة

الاشتراك السنوي

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩

رجب ١٤٢٩ هـ - يولييه ٢٠٠٨ م - الجزء السابع - السنة (٨١)



القرية المصرية في الجيل الماضي

حين أزور قريتي أجد كل شيء فيها تغير عما كنت أعهد، ولا أراني أحس براحة ما لهذا الانقلاب؛ فالنور والكهرباء والمنازل العصرية والمدارس المتنوعة، كل ذلك قد طرأ على القرية بعد رحيلي المتقطع، ولكن هل أدى إلى راحة نفسية وإلى إنتاج زراعي وإلى سلام هادئ بين القرويين كما كان الأمر قبل هذا التجديد؟ لقد كادت القرية تقترب من المدينة في مظاهر كثيرة ولكن؛ هل انتفعت القرية اجتماعيا بهذا الاقتراب؟ سئري!!

لست عالم اجتماع؛ فأحشر نفسي بين الفضلاء المتخصصين وفيهم من ينكر أن يتحدث غيرهم فيما يزاولون من بحوث؛ ولكنهم مع ذلك يطبعون استمارات الاستبيان، ولا أدري من أين جاءت هذه الكلمة القرية الصياغة!! يطبعون هذه الاستمارات ويوزعونها على العالم والجاهل ليحجب عما يريدون من الأسئلة فليعدوا مقالاتي إجابة منصلة على بعض هذه الاستمارات! وحينئذ لا ينكرون على مثلي أن يجيب بما يراه؛ فهو مشاهد لا باحث.

كان الطابع الديني هو السمة الأصلية لأهل القرية؛ فالدين هو المسيطر الأول على السلوك من تبع نوره سار في طريق مستقيم وأجمع الرأي العام على تقديره، ومن شذ عنه عد مجرما وتباعد عنه أقرباؤه كما يتباعد الصحيح عن الأجرب، ورجل الدين وإن كان متواضع المعرفة هو صاحب المشورة والرأي يختلف الناس ويتنازعون فلا يتحسم الخلاف إلا برأيه ويأتي موسم الانتخاب فيكون من هم المرشح أن يحظى برضاه فيزور

منزله أول ما يزور ويخف إلى المسجد عند الأذان ليصلي خلفه ثم ينتظر ختام الصلاة ليسرع إليه فيحتضنه! وإذا كان المصلون كثيرى العدد أطل مع الوقوف في هيبة! وفيهم من يقبل يده، كان هذا بالأمس؛ فإذا شك قارئ اليوم فيما أقول فليسمع هذه النادرة:

مدير الدقهلية

كان مدير الدقهلية «محافظ اليوم» صاحب الكلمة الأولى في إقليمه، وكان الناس لا يتحدثون عنه إلا بقولهم: «الباشا المدير» وفي أوائل الثلاثينيات كان المدير هو «محمد نيازي باشا» وفيه شموخ وتكبر؛ فتقدم إليه إنسان نظيف البزة حسن المظهر يرتدي حلة جميلة وطربوشا متسجما تقدم بشكوى في بعض الأمور فقابله عند رؤيته باحتفاء، وحين قرأ التوقيع «مدرس بمدرسة... الإلزامية» هاج هائجه وتملكه الغضب وصاح منفعلًا! مدرس إلزامي يظهر في هذه الأبهة! وراتبه ثلاثة جنيهات، ثم أصدر أمرا بأن يلبس جميع مدرسي المرحلة الأولى العمامة والكاكولة وأصر على معاقبة من لا يذعن؛ فالبدلة أرقى من مستواهم في رأيه! وقد ثارت الصحف - وكانت الوزارة وزارة إسماعيل صدقي - وكتب الدكتور طه حسين مقالا ناقدا، ولكن المدير أصر ورأى الرجوع مما يمس كرامته وأخذ يأمر المفتشين بالمؤاخذة الصارمة لمن لا يلبس العمامة!

وفي يوم ما عزم الباشا على زيارة إحدى قرى المديرية في وقت حدده باليوم والساعة والدقيقة وحن الموعد فخف العمدة وشيخ القرية وبعض الخفراء لاستقباله كانوا سبعة لا يزيدون ونزل المدير فرأى على البعد ازدحاما شديدا يموج به أهل القرية فظن القوم قد خرجوا لاستقباله ولكنهم تهيؤوه فلم يقربوا منه فقال المدير متسائلا: لماذا يتعد القوم ولا يقربون؟ وقال أحد أصحابه ممن قدموا معه: ولماذا لا يهتفون مرحبين! وهم يستقبلون الباشا!

فقال العمدة وكان مفطورا على الصدق: يا باشا أهل القرية يودعون فضيلة الواعظ حيث ألقى الدرس بالمسجد عقب صلاة الظهر واتجه إلى الطريق الزراعي مسافرا فخرجوا لرداعه هو صاحب العمامة البيضاء الذي يحتفون به! صاحب العمامة يا باشا!

قال رفيق الباشا في غضب: ولماذا لم يحضروا لاستقبال سعادة الباشا؟ فسكت العمدة ولم يجب؟ ولكن خفيرا لا يفهم أسلوب المجاملة قال في براءة: هم لا يعرفون الباشا ولكنهم يحبون أهل العلم وجميعهم يقبلون يد الشيخ!!

وهنا ركب المدير عربته غاضبا وسارع بالعودة!

رجع الياسا منهزما فقد ظن العمامة موضع الامتحان؛ فراها موضع التقدير! تقدير لم يتهيا له أن يناله.

منبعان مختلفان

إذا بحثنا عن التغير الطارىء إلى حد التناقض في سلوك القرويين بين عهد وعهد فإننا نجد برجع إلى اختلاف المنبع في العهدين المتعاقبين؛ ففي العهد الماضي كان المسجد هو المنبع الوحيد لما يشمل القرية من عادات وتقاليد وهو منبع عريق يضرب بجذوره إلى السنوات البعيدة فتوارث تقاليده الآباء عن الأجداد والأحفاد عن الآباء؛ فنشأت أجيال تؤمن بتعاليم المسجد وتعددها باب النجاة والأمل؛ ففي المسجد يقرأ القرآن ويشرح الحديث وتستمتع مجالس الوعظ فيكون من كل ذلك سنن متبع يرتفع إلى مصدره الأعلى في السماء فمن حاد عنه خالف الله ومن اهتدى به نعم براحة البال في الحياة وبجنة الخلد بعد الممات. أما في العهد الحاضر فالمنبع لكل جديد طارىء هو شاشة التليفزيون ومسللاتها على الخصوص، لقد أصبحت الشاشة مدرسة تلقى الدروس المتكررة لتتحرف بالتقاليد من وضع إلى وضع. كان المسجد يأمر بانسجام الأسرة وطاعة الوالدين فجاءت الشاشة لتسرى القروية الساذجة كيف ينشر الولد عن طاعة أبيه، وكيف تنهكم الفتاة بأمرها وتعددها ميراثا باندا يجب أن يزول، كان المسجد يدعو إلى القناعة والرضا باليسير ويأخذ في مواعظه يقول الله - عز وجل -

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ ﴾

(الإسراء: ٢٩)

فجاءت الشاشة لتعرض مبادئ الترف الصارخ في المأكول والمشروب وأثاث المنزل وإعلانات السفه والمجون، وتعد الكماليات ضروريات لا محيد عنها، كان المسجد يدعو إلى حفظ الوقت وتجنب السهر الطويل والبقطة عند صلاة الفجر لاستقبال اليوم في أنشط مظاهر القوة؛ فجاءت الشاشة لتجمع الساهرين والساهرات في الليل الأطول أمامها، وقد تبعد الشاشة ليأتي مكانها «الفيديو» وقد جاء به من اشتروه من بلاد البترول ليعرض ما نهى الله عنه من فنون الخلاعات، وليحدث مثلاً جديدة في العلاقات ويكشف عن أساليب طائشة في الإغراء والخداع! لقد تناقض المنبعان إلى حد التضارب! ولا من مغيث.

الأسرة الواحدة

يقال الآن: إن العالم كله قد أصبح قرية صغيرة، لأن وسائل الاتصال قد سهلت كل معرفة وقربت كل بعيد أفلا أقول الآن: إن القرية في عهدها الماضي كانت أسرة واحدة؛ لأن جميع أبنائها يشعرون برباط قوى متماسك يدفعهم إلى التآزر في الشدائد وإلى اعتبار التكافل الاجتماعي فرضاً محتوماً لا فكاً منه وإن جهلوا مسماه.

قد تدور الماشية في الساقية فتسقط في بئر، وهي عماد صاحبها في أرضه فإذا فقدتها فقد خسر مقومات كسبه الضروري؛ فما يرتفع الصراخ حتى ينهض القرويون من كل صوب ليعملوا على إنقاذ الهاوية المسكينة بما يعرفون من وسائل الإنقاذ؛ فإذا خرجت سليمة معافاة فقد تم المراد، وإذا خرجت جريحة تكاد تلفظ أنفاسها قام الجزار سريعاً بذبحها، وحضر من وجوه القرية من يقسم اللحم في لفائف خاصة، ويبعث في كل منزل بلقافة كبيرة ويقدر الثمن زائداً عن حده الطبيعي ليجمع من كل منزل ما يكفي لشراء بقرة مماثلة ويتم ذلك في العاجل السريع؛ فإذا تكاملت القيمة ذهب اثنان أو ثلاثة فاشترى البديل وأخذ المرزوء يحمد الله أن عوضه كل خير، يتم ذلك وكأنه شيء طبيعي لا بد أن يكون.

قد يشرع قروي في بناء منزل لحاجته الضرورية فيخف أبناء القرية لمعاونته؛ فإذا احتاج البناء إلى عشرة أيام وجد من العائلات من يقوم ذووها وفق اتفاق متبع بإطعام العمال لكل عائلة يوم يختص بذلك فلا يتحمل صاحب المنزل أعباء تضاف إلى ثمن الطوب والخشب ويكون التسابق في هذا المجال موضع اهتمام الجميع، وقد تجرى القرعة كيلاً يفوز رجل بالسبق وهذا ما شهدته عن عيان.

قد يشب حريق وليس في القرية شيء من أدوات الإطفاء فما يرتفع الصراخ حتى تنهض عشرات النساء بالصقائح ملتهبا من النهر على وجه سريع ويقف الرجال في مهب الحريق يوالون عملية الإطفاء وفيهم من يجازف فيسلق الجدران ليحاصر اللهب المشتعل وفيهم من يخوض النار ليرمي إلى الأرض بكتلة كبيرة مشتعلة من الحطب المتراكم فوق السطح، وتنتظر فتجد الشارع الذي يضم المنزل المصاب زاخراً بالناس صغاراً وكباراً لا يكاد يوجد به مكان خال حتى تنفجر الغمة ويخمد اللهب.

ويأتي رمضان، فلا نتحدث عن زينة المسجد وبهائه واحتفاله بالدرس بعد المغرب وبالتراويج بعد العشاء وخروج الناس عقب الإفطار بالمصاييح الزيتية قبل أن تعم الكهرباء مساهمة في تألق المسجد وبهائه لا نتحدث عن ذلك بل نتحدث عن الموائد التي توضع أمام المنازل قبل الغروب لتستقبل كل واحد وعن السهرات بعد العشاء.

الخافلة بمقرئتي الكتاب طيلة الليل حتى إذا قرب ميعاد السحور قدم الطعام لمن ينتظر من ذوى الحاجة وقد يحمل منه إلى أهله استجابة لرغبة صاحب المنزل دون أن يسأل، وهنا يكون رمضان كما سنه الله شهر البر والإحسان! لا شهر الفوازير والمسلسلات! والمرأة في القرية حياتها الواقعية تعصف بكل ما يقول المتحدثات في الصالونات عن سجن المرأة وعبوديتها إن المرأة الشابة زميلة زوجها المناضل في حقله، تخرج معه إلى عمله صباحاً فتشارك في نظافة الحقل وإطعام الماشية وتعود في الظهر لتعد الطعام، وتحمله إليه، والأم الكبيرة في المنزل تظل به، لا لتنام بل لتنظف الأثاث، وتطعم الدواجن وترعى الأطفال الصغار وتنهض الفتاة إلى أبيها في حقله القريب أو البعيد فتسير هادئة مطمئنة، لا يجروء أحد على أن يقرئها السلام! ولو شذ شاب فقاه بأدنى كلمة قامت القيامة وأصبح مضغة الأفواه، ولا أسترسل في بسط ذا المنحى إذ كفاني الشاعر الكبير الأستاذ أحمد محرم وصف الواقع الصريح حين تحدث عن ريفية هم أحد المتسرعين من الشباب بالنظر إليها فقط! فزلزلت الأرض زلزالها، قال أحمد محرم رحمه الله:

كم نظرة هوجاء من موسم
عصففت بأحلام هناك رجاح
دلف الشيوخ إلى الشيوخ حمية
وتدافعت أبطالهم بالراح
ها إن قومك كساد بهلك جمعهم
لولا الهبوادة من ذوى الإصلاح
ما أنت من بكر ولا من تغلب
لكنه الشرف المنيع السراح
يا مـوردا تشب النيسة دونه
ماذا صنعت بمهجة المتلاح؟
ما كان خطبك في ذوبك برائع
لو كنت ذات غلالة ووشاح!

الله الله:

والبيت الأخير جدير بالتأمل إذ يوازن بين فتاة الحضر وفتاة القرية موازنة ذات عبرة والتفات، وحقوق الجيران ولا أقول الجار - لأن أهل القرية يعتبرون أنفسهم جميعاً جيراناً متشاكين حقوق الجيران على أكملها؛ فالتزاور قائم لا ينقطع، والعون

في الشدة، والبهجة في الفرحة مما نراه مثلاً في المآتم والأفراح، ويتجلى هذا التزاور في المواسم العامة، وبخاصة في يومى العيد؛ فالشارع - كل شارع - يزدحم بالزائرين ما بين غاد ورائح، ومن ينتظر في الصباح لاستقبال الزائرين يخرج بعد العصر ليرد التحية بمنزلها، فلا ينقضى اليوم حتى تتصافح الأكف، وتتعارف الوجوه وقد يحدث من قبل ما يبعث على الخصام فيكون العيد موسماً للصفاء وميعاداً للمصالحة وتروى الأحاديث الخاصة بهذا المنحى فتتصافى القلوب، وتتعانق الصدور، وكم من قضايا رفعت إلى المحاكم وجاء موسم العيد فكان ياعشا على التراضى، واستراح المحامون والقضاة!

لقد أضيئت القرية بالكهرباء، وتعددت بها المدارس ووجد بها المجلس القروى ومراكز الشباب وجمعيات التعاون، ولكن هل عمت الطمأنينة كعهد ما من قبل، هل دام التكافل الاجتماعى كما ذكرنا بعض صورته، هل فتحت المنازل أبوابها للزائرين في المواسم؟ هل عاد رمضان مجالاً للبر والإحسان كما كان؟ إننى لأبحث عن ذلك كله فلا أجد فيشرب إلى ذهني قول أبى تمام:

إن المنازل ماوريتها وحشة

أخلت من الآرام كل كُناس

واقفنا الآن

أصبحت القرية تستورد من المدينة ما تريد من الخبز والبيض واللبن والدجاج والسمن! ما هذا؟ لقد كانت القرية مصدر هذا كله وكان ساكن المدينة يزور أقاربه وفي همه أن يعود مثقلاً بخيرات القرية كما كان ساكن المدينة ينتظر زيارة أقربائه بفارغ الصبر ليجد معهم ما يحملون من غرائر القمح والأرز وأقفاص الدجاج! حتى الحضر والريف أصبحت تأتي من المدينة إلى القرية؟ كيف حدث هذا؟

إن كثرة الاستهلاك مقارنة بضعف الإنتاج قد أدت إلى هذا العجز الأليم، وضعف الإنتاج نتيجة للتخلف الزراعى فقد وجدت الآلات الحديثة الخاصة بزراعة الأرض ولكن لم نعرف كيف نستخدمها على الوجه الصحيح! قامت الجمعيات الزراعية وينوك القرية والوحدة الصحية ولكنها تضم موظفين وليست مجال تنوير لإرشاد الفلاح كيف يستعمل أرضه على وجه يتيح كثافة المحصول؟! تخرجت أفواج من كليات الزراعة، ولم تجد عملاً، ونقر الكثيرون من البقاء في القرية ومن مكث فيها لعدم طاقته على الهروب أصبح عاطلاً لا يشارك في تنمية زراعية أو إنشاء مزرعة حيوانية فيفيد الناس بما حصل في كليته حين يجودونه قدوة ذات خبرة متميزة ولكنه ترفع عن

العمل في الحقل وعاش عائلة علي أخيه الكادح في حقله بالطريقة البدائية، وكانت الكارثة أن موظفي هذه الإدارات الجديدة في القرية قد أرهقوا الفلاح بما يخترعون من زيادات في الأسعار أو يختلقون من ضرائب وهمية يزعمون أن المسئولين قد فروضها وينظر الفلاح المسكين فيجد ما يأخذ لا يكفي حاصله بعد الكدح الطويل في الزرع والرى لسداد ما عليه من التزامات فيرى هذه المنشآت بابا من اللهب قد أرسل شواظه عليه فيجتنب أن يلزم به مهما أرهقه العوز وعرضه البأساء!

وقد هاجر إلى البلاد العربية قوم من هؤلاء المساكين وحين رجعوا بعد خمسة أعوام أو ما فوق لم يحملوا غير أدوات الترف، وأخذ الواحد منهم يقلد الآخر في شراء الفيديو والتليفزيون ويعد ذلك مصدر مباهاة! على حين يتلهف الجيران على مشاهدة ما يودون من مناظر الإغراء! وكثيرا ما ترى في الشارع الضيق جموعا تصارع على الأرض في غسق الليل أمام أحد الأجهزة البراقة ليقتضوا الوقت حتى مطلع الفجر أمام مغريات سخيفة فإذا طلع النهار لم يذهب الفلاح إلى أرضه بل ظل نائما هامدا لأنه قضى الليل في عبث لا يفيد! وأكد أنوارى من الحجل حين أذكر أن الفتاة الطاهرة بالأمس، قد وجدت في اجتماع الفيديو ما شجعها على الصداقات المريبة وقد تنقلب هذه الصداقة إلى شر مستطير إذ يكون الزوج غائبا لمدة سنوات في بلاد الهجرة والزوجة فارغة لا تجد غير مناظر الشهوات ورفقاء الآثام! أما المسجد - رحمة الله على المسجد - فلم يعد يؤمه غير الشيوخ ممن فرغت منهم الحياة، كما لم يعد خطيبه شيئا صار شايا تخرج منذ شهور أو بضعة أعوام لا يلبس العمامة إلا يوم الجمعة حين يؤدي الخطبة ويتركها بعد ذلك في حجرته بالمسجد وكأنه تخلص من عبء ثقيل! ماذا يستطيع مثل هذا الساذج أن يقول في خطبته حتى يجذب الناس؟ وإذا قال فمن الذي يستمع إليه بعد أن تسمم بالمغريات الهابطات!

نحن تعلم أن القرية قد نهضت في اليابان والهند والصين، وأصبحت مصدر تنمية وافية، وثروة جيدة ولكن دول العالم الثالث قد اعتمدت على القروض الاستهلاكية التي لا تفيد القرية في شيء. بل إن مانحي هذه القروض لا يجعلون النفع القروي من أدوات تنفيذها؛ لتظل القرية فقيرة محتاجة، وليظل الاعتماد على القروض تبارا لا ينقطع له مدد، وقد سمعنا عن الصناعات الصغيرة، وضرورة تشجيعها بالريف، وسمعنا عن القروض التي تبذل للشباب كي يلجوا باب الرزق عن هذه الصناعات! سمعنا ذلك، ونرجو أن يتحقق ما نرجو من الخير عن طريقه! ولكن الذي نرجوه ألا تكون الجمعيات الحكومية في القرى حلقة اتصال بين الآخذ والمأخوذ منه! فقد كفى ما علمناه من احتيال في القروض والسداد.

أذكر أن الشيخ محمد متولى الشعراوى - رحمه الله - قد تعرض في بعض أحاديثه لحفلات السهر الريفى أمام الفيديو والتليفزيون؛ فذكر ما جرته من الانحدار الخلفى والانهبسار الزراعى معا وتمنى غاضبا ألا تكون الكهرباء قد دخلت الريف على هذا الوجه المستقبح! وهنا ثار الثائرون في الصحف على هذا المتخلف الذى يحارب امتداد النور في أزقة القرى!! والرجل في ذلك مثله كمثله الأب الحزين الذى يرى ابنه قاشلا في مدرسته منحدرًا في سلوكة! فيقول في ساعة قهر: ليت الله يأخذه فاستريح! أفكان الأب يكره ولده؟ أفكان يتمنى له الموت! إن شجوته قد ارتفعت من هيجان مشاعره إلى لهأة لسانه، فأنطقته بما لا يريد..

وأخيرا ماذا نريد للقرية؟ وماذا نريد منها؟

نريد للقرية أن تأخذ من كل عهد أحسن ما فيه، فتأخذ من عهدها الأول تأسل الروح الدينى، وبعث التكافل الاجتماعى وإيقاظ مشاعر الأخوة الصادقة، وأن تأخذ من العهد الثانى توظيف الآلات الحديثة فى مسائل الزراعة والصناعة، والاستفادة من مرافق التوجيه الثقافى، وإصلاح الجمعيات الريفية حتى تؤدى الدور المنشود باختيار الأكفاء من العاملين ومحاسبة الرصوليين من المرتزقة ونشر الوعى الزراعى والصناعى بإنشاء المدارس الخاصة بهذين النوعين على نحو ريفى متواضع فقد تكفى خمس حجرات لإقامة مدرسة من هذا النوع تكون للصغير معهد تعليم وللكبير مصدر إشعاع هذا ما نريد لها أما ما نريد منها فأن تكون أكثر حيوية من المدينة نفسها! لأن سكان القرى أوفر عددا من سكان المدن كما ينطق بذلك آخر إحصاء! ونريد منها أن تحارب أدوات الترف البغيضة التى منحت الكسل وحرمت العمل، ونريد منها أن تجذب أبناءها الراحلين إلى المدينة بما يتهيأ لها من توفر وسائل الرزق، ورواج الصناعات الصغيرة وأن توجد بكل قرية مدرسة ريفية ترعى حاجات الريف، قبل أن تمهد للالتحاق بالمدارس الثانوية وإذا كان العامل الجاهل اليوم يكسب فى الأسبوع ما يكسبه الموظف الحكومى فى شهر فلماذا لا نتفقه فى مهده الأصيل!

د. محمد رجب البيومى

تفسير سورة العبران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنَبْضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنَبْضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨٠ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزِيدُوا دُورَ إِفْسَادِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٨١ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ إِنَّكُمْ تُوْمِنُونَ وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ

(الآيات: ١٧٩-١٨١)

الخطاب في قوله تعالى:

المنافقين، وفسق الفاسقين.

أى: لا يحزنك ولا يشرك في نفسك
الحشرات يا محمد، حال أولئك القوم
الذين

﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾
للنبي ﷺ والمقصود منه تليته
وإدخال الطمأنينة على قلبه، حتى لا يتأثر
بما يراه من كفر الكافرين، وثفاق

﴿يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾

أى يتوغلون فيه، ويتعجلون في إظهاره
وتأنيده والعمل به عند ستوح الفرص،
ويقعون فيه سريعاً دون تريث أو تدبر أو
تفكير والمقصود بالنهي عن الحزن: النهي
عن الاسترسال فيه وفي الأسباب التي
تؤدي إليه، كأن يظن ﷺ أن كثرة
الضالين ستؤدي إلى انتصارهم على
المؤمنين.

وقد أشار إلى ذلك صاحب الكشاف
فقال:

﴿يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾

يقعون فيه سريعاً، ويرغبون فيه أشد
رغبة. وهم الذين نافقوا من المتخلفين.
وقيل: هم قوم ارتدوا عن الإسلام.
فإن قلت: فما معنى قوله:

﴿وَلَا يَحْزَنُكَ﴾ ومن حق الرسول أن
يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد؟
قلت: معناه: لا يحزنوك لخوف أن يضروك
وبعينوا عليك^(١).

ولتضمن المسارعة معنى الوقوع تعدت
بحرف «في» دون حرف «إلى» الشائع
تعديتها بها كما في قوله - تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

[آل عمران: ١٣٣]

وقوله:

﴿إِنَّهُمْ لَنَبْضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾

تعليل للنهي عن أن يحزنه تسارعهم
في الكفر أى: لا يحزنك يا محمد حال
هؤلاء المارقين الذين يسارعون في الكفر
وينتقلون فيه من دركة إلى دركة أقبح من
سابقها، فإنهم مهما تمادوا في كفرهم
وضلالهم ومحاولتهم إضلال غيرهم،
فإنهم لن يضروا دين الله أو أوليائه بشيء
من الضرر حتى ولو كان ضرراً يسيراً.

ففى الكلام حذف مضاف والتقدير
إنهم لن يضروا أولياء الله شيئاً.

وفى هذا الحذف تشريف للمؤمنين
الصادقين، وإشعار بأن مضارتهم بمنزلة
مضارته - سبحانه - وفى الحديث
القدسي: «من عادى لى وليا فقد آذنته
بجرب»^(٢).

ولقد كان النبي ﷺ بمقتضى طبيعته
البشرية، وغيرته على دين الله - تعالى -
يحزن لإعراض المعرضين عن الحق الذى
جاء به، ولقد حكى القرآن ذلك فى كثير
من آياته، ومنه قوله - تعالى:

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

(فاطر: ٨)

وقوله - تعالى:

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٤٦.

(٢) سنن البيهقي ٣: ٣٤٦.

﴿ فَلَمَّا لَكَ يَنْجُ نَفْسَكَ ﴾

عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾

(الكهف: ٦)

فأراد - سبحانه - في هذه الآية الكريمة وأمثالها أن يزيل من نفس رسوله ﷺ هذا الحزن الذي نتج عن كفر الكافرين، وأن يطمئنه إلى أن العقوبة ستكون له ولأتباعه المؤمنين الصادقين.

وقوله:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ الْأَيُّحَ لَكُمْ حَقًّا فِي الْآخِرَةِ ﴾

استئناف لبيان جزائهم على كفرهم في الآخرة، بعد أن بين - سبحانه - عدم إضرارهم لأوليائه في الدنيا.

أى: لا ينبغي لك يا محمد أن تحزن لمسارة هؤلاء الضالين في الكفر، فإنهم لن يضروا أوليائي بشيء من الضرر، ولأن كفرهم ليس مراغمة لله حتى تحزن، وإنما هو بإرادته، لأنه أراد ألا يكون لهم حظ أو نصيب من الخير في الآخرة بسبب استحبابهم العمى على الهدى، ولهم مع هذا الحرمان من الخير في الآخرة ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ لا يعلم مقدار آلامه وشدته إلا الله تعالى.

قال صاحب الكشاف: «فإن قلت: هلا قيل: لا يجعل الله لهم حظاً في الآخرة، وأى فائدة في ذكر الإرادة؟ قلت: فائدته

الإشعار بأن الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصاً لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر، تنبيهاً على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه، حتى إن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم» (٣).

ثم أكد سبحانه هذا الحكم وقرره فقال:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنَ يَصْصُرُوا ﴾

اللَّهُ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

والاشتراء في الآية الكريمة بمعنى الاستبدال على سبيل الاستعارة التمثيلية فقد شبه - سبحانه - الكافر الذي يترك الحق الواضح الذي قامت الأدلة على صحته ويختار بدله الضلال الذي قامت الأدلة على بطلانه، بمن يكون في يده سلعة ثمينة جيدة فيتركها ويأخذ في مقابلها سلعة رديئة فاسدة.

والمعنى أن الذين استبدلوا الكفر بالإيمان، لن يضروا دين الله ولا رسوله ولا أوليائه بشيء من الضرر، وإنما يضرون بفعلهم هذا أنفسهم ضرراً بليغاً ولهم في الآخرة عذاب مؤلم شديد الإيلام، بسبب إشارهم الغنى على الرشد، والكفر على الإيمان، والشر على الخير.

ثم بين سبحانه أن ما يتمتع به الأشرار في الدنيا من متع إنما هو استدراج لهم، فقال تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ ﴾

وقوله ﴿ نُمَلِّئُهُمْ ﴾ من الإملاء وهو الإمهال والتخلية بين العامل والعمل ليلبغ مداه.

يقال: أملى فلان لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء.

ويطلق الإملاء على طول المدة ورغد العيش.

والمعنى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ ﴾

بتطويل أعمارهم، وبإعطائهم الكثير من وسائل العيش الرغيد هو، ﴿ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ ﴾ كلا. بل هو سبب للمزيد من عذابهم، لأننا

﴿ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ لِيُزِدُوا إِفْسَاقًا ﴾

بكثرة ارتكابهم للمعاصي ﴿ لَهُمْ ﴾ في الآخرة ﴿ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ أى عذاب يتألم بسببه الذل الذي ليس له بعده ذل والهوان الذي يتصاغر معه كل هوان.

وقوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ﴾ إلخ.. عطف على قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزَنَنَّ ﴾ ويكون للنهي عن الظن متجهاً للذين كفروا ليعلموا سوء عاقبتهم.

ويكون مقعولا يحسب قد سد مسددهما أن المصدرية وما بعدها وما فى قوله

﴿ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ ﴾ يجوز أن تكون مصدرية، وأن تكون موصولة حذف

عائدها. وقد كتبت متصلة بأن مع أن من حقها أن تكتب منفصلة عنها اتباعاً للمصحف الإمام أى لا يحسن الكافرون أن إملاءنا لهم أو أن الذى نملئهم من تأخير حياتهم وانتصارهم فى الحروب فى بعض الأحيان، هو خير لهم.

وقرأ حمزة «ولا تحسن الذين كفروا». فيكون الخطاب بالنهي متجهاً إلى النبى ﷺ ويكون المفعول الأول لحسب هو «الذين كفروا» وقوله:

﴿ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ ﴾

بدل من الذين كفروا ماذا مسد المفعول الثانى، أو يكون هو المفعول الثانى.

والمعنى: لا تحسن يا محمد ولا يحسن أحد من أمتك أن إملاءنا للذين كفروا هو خير لأنفسهم، بل هو شر لهم، لأننا ما أعطيناهم الكثير من وسائل العيش الرغيد إلا على سبيل الاستدراج، وسعاقبهم على ما ارتكبوه من آثام عقاباً عسيراً.

وقوله:

﴿ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ لِيُزِدُوا إِفْسَاقًا ﴾

استئناف واقع موقع التعليل للنهي عن حسان الإملاء خيراً للكافرين.

أى إنما نزيدهم من وسائل العيش الرغيد ليزدادوا آثاماً بكثرة ارتكابهم للمسيئات. فتكون نتيجة ذلك أن نزيدهم من العذاب المهين الذى لا يستطيعون

دفعه أو التهرب منه .

و ﴿ إِنَّمَا ﴾ في قوله ﴿ إِنَّمَا نَعْلَمُ لَهُم ﴾ أداة حصر مركبة من «إن» التي هي حرف توكيد ومن «ما» الزائدة الكافة .
واللام في قوله ﴿ لِيَزَادُوا إِثْمًا ﴾ هي التي تسمى بلام العاقبة كما في قوله تعالى :

﴿ فَالْفُتُوحُ أَلْفُ فُرُجَاتٍ لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ رَاحِشًا ﴾

(القصص: ٨)

أي : «إنما نعلم لهم فيزدادون إثما» فلما كان ازدياد الإثم ناشئا عن الإثملاء كان كالعلة له ، وكانت نتيجة هذا الإثملاء أن وقعوا في العذاب المهيّن .
وشبهه بهذه الآية قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ وَفَّاهُم مَّا أَوَّلَدُوا لَهُمْ إِنَّمَا يَرِيدهُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُم بِمَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾

(التوبة: ٨٥)

وقوله تعالى :

﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ هَٰذَا الْحَدِيثَ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَأَنْتَ لَمْ يَأْنِ لَكَ دِي مَبِينٌ ﴾

(الفلم: ٤٤ - ٤٥)

ثم بين - سبحانه - بعض الحكم التي اشتملت عليها غزوة أحد فقال - تعالى :

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا

أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾

وقوله ﴿ لِيَذَرَ ﴾ أي ليشرك . والمراد بالمؤمنين : المخلصون الذين صدقوا في إيمانهم والمراد بقوله :

﴿ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي اختلاط المؤمنين بالمنافقين واستواؤهم في إجراء الأحكام .
ومعنى يميز يفصل . وقرئ يميز أن يحدد ويبين .

والمراد بالخبِيث : المنافق ومن على شاكلته من ضعاف الإيمان .

والمراد بالطيب : الصادق في إيمانه .
والمعنى : ليس من شأن الله - تعالى - ولا من حكمته وسنته في خلقه أن يترككم أيها المؤمنون على ما أنتم عليه من الالتباس واختلاط المنافقين بكم ، بل الذي من شأنه وسنته أن يستليكم ويمتحنكم بالوان من المصائب والشدائد حتى يتمييز المؤمنون من المنافقين ، وينفصل الأخيار عن الأشرار .

قال ابن كثير : أي لا بد أن يعقد سببا من الخنة ، يظهر فيه وليه ويفضح به عدوه ، يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر ، يعنى بذلك يوم أحد الذي امتحن الله به المؤمنين فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله وهتك به ستار المنافقين ، فظهرت مخالفتهم ، ونكولهم عن الجهاد ، وخيانتهم لله ولرسوله . قال

مجاهد : ميز بينهم يوم أحد ، (١) .

وعبر - سبحانه - عن المؤمن بالطيب ، وعن المنافق بالخبِيث ، ليسجل على كل منهما ما يليق به من الأوصاف ، وللإشعار بعله الحكم .
وقوله :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ

عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ معطوف على قوله :

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ

والغيب : ضد المشاهد . وهو كل ما غاب عن الحواس ولا تمكن معرفته إلا عن طريق الوحي من الله تعالى على رسوله ﷺ .
واجتبي : من الاجتباء بمعنى الاختيار والاصطفاء .

أي : وما كان الله تعالى ليعطي أحدا منكم - معشر المؤمنين - علم الغيوب الذي به تعرفون المؤمن من المنافق ، إذ علم ذلك له وحده ، ولكنه - سبحانه - يصطفى من رسله من يريد اصطفاه فيطلعه على بعض الغيوب ، وذلك كما حدث لنبيكم ﷺ فقد أطلعه - سبحانه - على ما دبره له اليهود حين هموا باغتياله ، وأطلعه على حال تلك المرأة التي أرسلها حاطب بن أبي بلتعة برسالة إلى قريش لتخبرهم باستعداد الرسول ﷺ

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص ١٢٢ .

لحربهم . وأطلعه على بعض أحوال المنافقين .
قال تعالى :

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا

يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿٢٧﴾ (الجن: ٢٦ - ٢٧)

وفي قوله تعالى :

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ إيذان بأن الوقوف على أمثال تلك الأسرار الغيبية ، لا يتأتى إلا ممن رشحه الله - تعالى - لمنصب جليل ، تقاصرت عنه همم الأمم ، واصطفاه على الناس لإرشادهم .

ثم أمر الله تعالى عباده أن يشبثوا على الإيمان ، وبشرهم بالأجر العظيم إذ هم استمروا على ذلك فقال :

﴿ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

أي : إذا علمتم أيها المؤمنون أن الله لا يطلع على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يجب عليكم أن تؤمنوا بالله وبرسوله حق الإيمان ، وإن تؤمنوا بالله تعالى وبرسوله حق الإيمان ، وتتنقوا مخالفة في الأمر والنهي ، فلکم في مقابلة ذلك من الله تعالى مالا يقادر قدره من الثواب العظيم ، والأجر الجزيل .

فُضِّلَ العلم والعلماء

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

الشرح والبيان: في هذا الحديث الشريف يوجه النبي الكريم «صلوات الله وسلامه عليه» الناس جميعاً إلى ما فيه خيرهم ونفعهم وصلاحهم في معاشهم ومعادهم، في دنياهم وآخرتهم، فبين لهم أن عمل الإنسان ينقطع بموته؛ لأن الدنيا دار عمل وعطاء، أما الآخرة فدار ثواب وعقاب:

﴿يَجْزَى الَّذِينَ اسْتَوَامُوا عَمَلَهُمْ وَجَرَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾

(النجم: ٣١)

ولكن يستثنى رسول الله ﷺ من هذه القاعدة أموراً ثلاثة، لكون الميت كان سبياً فيها في أثناء حياته، فالصدقة الجارية هي الوقف الذي أوقفه في حياته، والولد الصالح من كسبه، والعلم الذي خلفه فأفاد به الناس.

ونتخير من هذه الثلاثة العلم النافع؛ لأن الإسلام دعا أول ما دعا إلى العلم، ويكفى شاهداً على ذلك أن أول آية من كتاب الله نزل بها الوحي على رسول الله ﷺ، فيها أمر بالقراءة، وتنويه بشأن العلم والتعليم قال تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

(العلق: ١-٥)

فبالعلم ميز الله أبانا آدم «عليه السلام» على الملائكة قال تعالى:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ حَادِقِينَ ۝ قَالُوا لَا نَعْلَمُ مَا أَنْبَأَكَ إِلَّا أَنْتَ ۝﴾

﴿شَكَكَكَ لَا يَعْلَمُ لَقَدْ آتَيْنَاكَ آتِ الْفَلِيمَ الْحَكِيمَ﴾

(البقرة: ٣١، ٣٢)

ومن ثم كان العلم من أجل النعم التي امتن الله بها على الإنسان قال تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

(الرحمن: ١-٤)

فالعلم هو الذي يرفع شأن الإنسان، ويعلى قدره، ومن ثم تشابهت الآيات القرآنية الكريمة تمدح أهل العلم. قال تعالى:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ۚ قَابِئًا بِأَلْسِنَتِهِ لَوْلَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(آل عمران: ١٨)

بدأ - سبحانه - بنفسه، وثنى بالملائكة، وذكر بعدهم أهل العلم، وبين فضلهم على غيرهم، فقال:

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

(الزمر: ٩)

وقال:

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

(المجادلة: ١١)

وفي هذا إشادة كبيرة بهم، روى البخاري عن عثمان بن عفان «رضي الله عنه» أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وروى ابن ماجه عن جابر بن عبد الله «رضي الله عنهما» قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله

علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع».

فالعلم النافع دليل الخيرية، وعلامة من علامات رضوان الله «عز وجل» على صاحبه، روى الشيخان «رحمهما الله» عن معاوية بن أبي سفيان «رضي الله عنهما» قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

ويؤكد ذلك ما رواه الترمذي عن أبي الدرداء «رضي الله عنه» قال: إنه قدم عليه رجل من المدينة - وهو بدمشق - فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا... قال: ما قدمت لتجارة؟ قال: لا... قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الخيستان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً... إنما ورثوا العلم، فمن أخذه به أخذ بحظ وافر».

وما ذلك إلا لأن العلماء سبب في هداية الأفراد والجماعات إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم، وقد روى الشيخان عن سهل بن سعد «رضي الله عنه» أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب «رضي الله عنه» يوم خيبر: «... فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم».

هذا ولم يقتصر الإسلام على الدعوة إلى طلب العلم، والحث عليه، والترغيب فيه، بل جعل

طلب العلم فريضة من فرأى نفسه، قال تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

(طه: ١١٤)

وروى ابن ماجه وغيره عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وكان المسجد علي عهد رسول الله ﷺ داراً للعبادة، ومجلساً للشورى، ومدرسة للثقافة والتعليم، وغرفة للعمليات الحربية.. ولم يكن عجياً - والحال هذا - أن يجعل رسول الله ﷺ، فداء الأسير الذي يعرف القراءة والكتابة - في غزوة بدر - وعجز أن يدفع الفدية للمادية - جعل فديته تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة.

وقد كان التطبيق العملي في صدر الإسلام يسير جنباً إلى جنب مع التعليم والتحقيق، بل كان الصحابة «رضوان الله عليهم» يتسابقون إلى العمل بآيات الله قبل أن يحفظوها، ومن هنا سيطرت المبادئ الإسلامية على المجتمع الإسلامي.

هذا ولا يخفى على أحد أن الإسلام بدأ بالدعوة إلى تعلم علوم الدين، والتزود بالخبرة في شئون الحياة كالحرب والسياسة، والاقتصاد والاجتماع، ثم امتدت عناية المسلمين إلى سائر العلوم المدنية، فكان عصر الترجمة، ثم كان عصر التأليف في كل علم وفن، وبالتالي أيقظ الإسلام العقول، وأخرجها من الظلمات إلى النور، وفتح لها أبواب التفكير، وشجعها على البحث والاختراع.

وبذلك كان العلم الإسلامي باعثاً من بواعث النهضة الغربية، وعاملاً مهماً من عوامل تطورها وتقدمها، ثم توقف المسلمون عند ذلك، بل

أهملوا ما توصلوا إليه، وتركوه لغيرهم، فنهضت أوروبا به، ومنيت الأمة الإسلامية بالتحلف، فهل آن الأوان أن تدرك الأمة الإسلامية أن عنايتها بتعليم أبنائها، وتنشيف شبابها له الأولوية والصدارة في قائمة المطالبات، قال ابن القيم «رحمه الله وطيب ثراه» في حديثه عن العلماء: «هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الخيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض من طاعة الآباء والأمهات ينص الكتاب:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾

(النساء: ٥٩)

هذا وقد قال ابن عباس «رضي الله عنهما» في تفسير هذه الآية الكريمة: «أولوا الأمر هم العلماء»، ولهذا أنشد الشاعر:

إن الأكابر يحكمون على النوري

وعلى الأكابر تحكم العلماء

وقد قال الزبير بن أبي بكر: كتب إلى أبي بالعراق: «عليك بالعلم، فإنك إن افتقرت كان لك مالاً، وإن استغنيت كان لك جمالاً»، وقد أنشد الشاعر:

ليس الجمال بأثواب تزينا

إن الجمال جمال العمل والأدب

وقد أنشد الآخر:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً

يغني مجوده عن النسب

إن الفسقى من يقول: هأنذا

ليس الفسقى من يقول: كيان أبي

وقال لقمان لابنه: «يا بني، جالس العلماء، وزاحمهم بركنيتك، فإن الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بماء السماء».

فالعلم إذا حياة ونجاة، والجهل موت وهلاك، قال أبو الدرداء «رضي الله عنه»: «كن عالماً، أو متعلماً أو مستمعاً، أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك»، قيل للحسن البصري «رحمه الله»: من الخامسة؟ قال: الميتدع.

فإذا كان للناس أن يفخروا فالعلم مجال الفخر.

لكن بعض الناس يرى مجالاً آخر للفخر، وهو المال، ويقولون: لا غنى لنا عن المال، كما أنه لا غنى لنا عن العلم، فبالعلم يكون التخطيط، وبالمال يكون التنفيذ، وقد أنشد بعضهم:

بالمعلم والمال يبني الناس ملكهم

لم يبن ملك على جهل وإفلال

ولهذا أقروا - وأنا مطمئن - أنه لا خير في دنيا لا دين فيها، كما أنه لا خير في مال لا علم فيه. روى الترمذي عن أبي كيشة الأنباري «رضي الله عنه» أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه.. قال: «ما نقص مال عيّد من صدقة، ولا ظلم عيّد بمظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر.. أو كلمة نحوها - وأحدثكم حديثاً فاحفظوه.. قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقه فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً

فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه يعمل فلان فهو بنيته فوزهما سواء».

فالل مال بدون علم يخرب ولا يعمر، يهدم ولا يبنى، يفسد ولا يصلح، وقد أنشد الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا

وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل! فهذا هو العلم، وذلك شأنه وأثره، فينبغي أن نجد في طلبه، لنستفيع به..

وقد روى البزار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر «رضي الله عنهما» قالاً: قال رسول الله ﷺ: «(يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)».

وعلى العالم أن يحترم من علمه، وأن يوقره، وأن يعلم الناس ما تعلمه، وأن يتواضع لمن تعلم منه أو علمه. قال عمر بن الخطاب «رضي الله عنه»: «تعلّموا العلم وعلموه الناس، وتعلّموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه، ولن علمتموه، ولا تكونوا جبارة العلماء، فلا يقوم جهلكم بعلمكم».

وقال مسروق «رحمه الله»: «بحسب الرجل من العلم أن يخشى الله عز وجل، وبحسب الرجل من الجهل أن يعجب بعلمه».

رزقنا الله (عز وجل) العلم والخشية، وجنينا الجهل والعجب.

مسرى النبي ﷺ

إن المسجد الأقصى المبارك كان مسرى النبي محمد ﷺ من أول مسجد وضع في الأرض «المسجد الحرام» إلى ثاني مسجد وضع فيها «المسجد الأقصى» فجمع فضل البيتين ورؤية القبليتين ولقد صلى النبي ﷺ بالأنبياء إماماً في ليلة الإسراء والمعراج، إقراراً لصبغته الإسلامية وإمامة أمة محمد على المسجد الأقصى فازداد بذلك مكانة وتشریفاً.

ولقد بشر النبي محمد ﷺ أمته بفتح المسجد الأقصى قبل أن يفتح فقد روى عوف بن مالك رضي الله عنه قال (أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك فقال: أعددت مأتماً بين يدي الساعة: ذكر منها - ثم فتح بيت المقدس^(١) ولقد أتني - صلوات الله وسلامه عليه - على المسجد الأقصى لفضله وعظيم شأنه وأخبر بتعلق قلوب المسلمين به لدرجة أن يتمنى المسلم أن يكون له موضع صغير يظل منه على المسجد الأقصى أو يراه منه ويكون ذلك أحب إليه من الدنيا وما فيها، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال «تذاكرنا عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل أمسجد رسول الله أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلي هو وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً أو قال: خير من الدنيا وما فيها»^(٢)

بيت المقدس أمانة في عنق المسلمين

ولقد تميزت القدس وبيت المقدس عن كل المدائن التي فتحتها المسلمون وكانت تسليمها للخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذي ركب من مدينة رسول الله ﷺ لتسلم أمانتها وليعقد بنفسه عهدها وأوقف أرضها المباركة لتكون أمانة في عنق الأمة إلى قيام الساعة فأين هي تلك الأمانة في هذه الساعة؟ إنها بين برأتين الخنثيين الغاصيين يصدون الناس عن المسجد الأقصى بل إنهم يقسمون ساحة الأقصى فيجعلون فيها جزءاً لليهود لإقامة صلواتهم فيه هذا، بجانب الاعتداءات المتكررة على حرمة المسجد ومحاولة إحراقه مرة إلى المحاولات الدائبة لحفر الأنفاق من تحته والحفريات التي تجرى من أجل البحث عن هبكل سليمان الذي يزعمون أن المسجد الأقصى قد أقيم فوقه وإتينا نهيب بالمنظمات العالمية ومنظمات حقوق الإنسان، أن تساعد المسلمين على استرداد بيت المقدس واسترداد حقهم الثابت تاريخياً في السيطرة على تلك البقعة المباركة قديماً وحديثاً فلقد دخل بيت المقدس من الصحابة - رضي الله عنهم - جمع كثير شذوا الرحال إليه وقصدوه بالسكن والعبادة والرعي والإرشاد، نذكر منهم أبو عبيدة بن الجراح وكان القائد العام لجيوش الفتح في الشام وبلال بن رباح الذي شهد فتح بيت المقدس مع عمر بن الخطاب ورفع الأذان

على المسجد الأقصى ومعاذ بن جبل وخالد بن الوليد وعبادة بن الصامت وهو أول من ولي قضاء فلسطين حيث سكن بيت المقدس ودفن هناك وتيمم من أوس الداري وعبد الله بن سلام وغيرهم من الصحابة الأخيار، وقد كان المسجد الأقصى دوماً محط أنظار المسلمين يحفظونه بعيونهم وأفئدتهم وكيف لا؟ وقد أخبر النبي ﷺ أنه ثاني مسجد وضع في الأرض وفيه مقام الطائفة المنصورة ومقر دار المؤمنين وفيه يتحصن المؤمنون من الدجال ولا يدخله وفيه ومن حوله ينطق الحجر والشجر وتقول «يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى تعال فافعله».

أرض المحشر

وقد أخبر - صلوات الله وسلامه عليه - أيضاً أن بيت المقدس هو الأرض التي يحشر فيها العباد وفيها يكون المنشر فعن ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ قالت «يا نبي الله ﷺ أفتنا في بيت المقدس؟ فقال أرض المحشر والمنشر»^(٣) فهل بعد كل هذا وغيره يأتي هؤلاء المستشرقون والكتاب اليهود ليزعموا أن بيت المقدس والمسجد الأقصى ليس مقدساً عند المسلمين وليس لهم أحقية فيه، لقد بذل أتباع رسول الله ﷺ أرواحهم لطرد الروم والصليبيين منه ودفعوا تسع حملات صليبية بقيادة نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين الأيوبي رحمهم الله وغيرهم كثير من الحكام المسلمين الذين قادوا المجاهدين المسلمين حتى تحقق على أيديهم تحرير بيت المقدس بعد

٩١ عاماً من اغتصابه وما حوله، فمكانة الأقصى والقدس في القلوب وهي من أرض المسلمين المباركة وهذا من عقيدتنا ولن ينجح الأعداء في انتزاع هذه أمانة من قلوبنا مهما أشاعوا من أكاذيب وسيسترد المسلمون هذه البقعة المباركة إلى حوزتهم وذلك تحقيقاً لوعده الله تعالى الذي لا يخلف وعده، وإن أرض فلسطين كلها سيأتي اليوم الذي يجعلها تحت حكم المسلمين وفي حوزتهم تعيش فيها جميع الأديان وجميع الطوائف تحت راية المسلمين وتحت أحكام القرآن التي ترعى الناس جميعاً وتدعو إلى الأخوة الإنسانية، والتي جعلت الناس جميعاً ينتمون إلى أب واحد وأم واحدة فقد نادى الناس جميعاً دون نظر إلى ديارهم أو أجناسهم يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخْلَقُكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَحَقَّ وَبَّهَا ذُرِّيَّتُكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَالْقُرْآنُ أَنَّهُ الَّذِي شَاءَ أَنْ يُبَدِّلَ مَا يَشَاءُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١)

بل إن القرآن دعا الناس جميعاً إلى التعاون فيما بينهم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان فقال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢)

وبمشيئة الله سوف يعود المسجد الأقصى والأرض المباركة إلى حوزة المسلمين لينعم جميع الناس بالأخوة والأخوة والسلام على أرض السلام.

(١) صحيح البخاري ج ٤ / ١٢٤.

(٢) المستدرک علی الصحيحین للحاکم ١٥٤/٤.

(٣) سنن ابن ماجه ١١٠٧، البداية والنهاية لابن كثير ٣٢/٥.

فلسطين.. الحجرة المختربة

لنضيلة الشيخ / محمد الغزالي

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد..

فحديثنا عن فلسطين والقدس، وهو حديث ذو شجون.. لأننا سنعود القهقري إلى تاريخ طويل مضى وغارت جذوره في الأرض.. لكن ما هناك يد من البحث في هذا التاريخ.. خصوصاً أن بنى إسرائيل جاءوا إلى الأرض المقدسة وهم يستصحبون ذكريات مضت، وينبشون التاريخ عن رفات توارى طويلاً في الترى.

وما هناك يد من أن نذكر هذا التاريخ.. لأننا نحن العرب كثيرو النسيان.. ويجب لكي نحسن العمل في حاضرتنا، ولكي نحسن العمل لمستقبلنا أن نعرف ماضيتنا جيداً وماضى الأمة العربية الفاعل في التاريخ جدير بالدراسة والاعتبار.. لأن هذه الأمة كشفت تجارب الماضى والحاضر.. على سواء.. على أنها ما تحيا إلا يدين.

جاءت النبوة الخاتمة لكي تجعل من العرب جنساً آخر، ومضى تاريخهم.. لكن قبل أن نتحدث عن تاريخ العرب بعد أن شرفهم الله بالإسلام نريد أن نتحدث عن تاريخ غيرهم.. عن تاريخ

﴿قَالُوا أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا فَمَا جَزَاءُنَا﴾

«الأعراف: ١٢٩»

نظر إليهم موسى - عليه السلام - نظرة ريبة وكأنه يقول لهم: ترى ماذا سيقع منكم يوم تنكسر عنكم القيود، ويوم تكونون حريتمكم؟

﴿عَنِّي رَبِّكُمْ﴾

أَنْ يَهْلِكَ عَذُوكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾

«الأعراف: ١٢٩»

حاول موسى بمنطق الإيمان أن يزحف بهم على فلسطين يوم كان العرب الجبابرة يسكنونها فغلبهم الجبن، وقالوا:

﴿لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾

«المائدة: ٢٢»

ولذلك قال موسى:

﴿قَالَ رَبِّ﴾

إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾

«المائدة: ٢٥، ٢٦»

تاهوا في سبعا أربعين عاماً حتى

هلكت الأجيال الجبابة الخوارة، ونبت جبل آخر قاده نبي الله «يوشع» ودخل فلسطين وقهر الجبابرة وأقاموا دولة لهم.. وما مضت إلا فترة محدودة حتى أخذت قشرة التدين تنقلص، وحتى أخذت الطبيعة الرديئة تبرز، وغرائز السوء تطفح، وإذا اليهود يفسدون في الأرض، ويسفكون الدم، ويملاون أقطار دولتهم مظالم.. فماذا يفعل الله بهم؟ سلط عليهم «بختنصر» فهزم دولتهم، وهدم هيكلهم، وساق عشرات الألوف من الشباب اليهودي أسرى أمامه إلى «بابل»، وفي السجن البابلي أذيقوا أشد العذاب.

ثم عفا الله عنهم، ويسر لهم حاكماً ردهم مرة أخرى.. فهل عادوا ليرعوا، ويعدلوا ويصلحوا؟ لا.. سرعان ما عادت إليهم طباعهم السوء.. فما هي إلا جولة وأخرى حتى انقض علىهم الرومان، وأمر القائد الروماني «تيتوس» بتدمير الهيكل، فدمر الهيكل مرة أخرى، وبدأ أن الشعب الإسرائيلي بعد عدة مئات من السنين لا يصلح للحكم، وأن أداة الحكم في يده تجعله مفتاح شر، وتجعل أصابعه الطائشة تطلق قذائف من الدمار والفساد على أهل الأرض فما ينجو أحد من بلائهم.. حاولوا قتل عيسى عليه السلام وفشلوا.. وحاولوا قتل محمد ﷺ وفشلوا.. وإن كانوا قد نجحوا في قتل أنبياء آخرين.

من العبرية إلى العربية

إلا أن الله عز وجل كان قد هيا للإنسانية مستقبلاً آخر، ونقلت قيادة الوحي من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل، ونقلت لغة الوحي من العبرية إلى العربية، ونقلت عاصمة الوحي من بيت المقدس إلى مكة والمدينة، وتولى تربية العالم جنس آخر رباهم محمد ﷺ تربية جديدة، وسكب النبي الخالد ﷺ من سموه، ومن سناء روحه، وارتقاء ضميره ورسوخ تقواه.. سكب في أولئك العرب ما حولهم خلقاً آخر فإذا هم يخرجون على الدنيا وكأنهم ملائكة!! تحول الجيرون الجاهلي إلى سناء واهتداء واقتداء في سبيل الله.. إن عمل النبي الخاتم ﷺ هو المعجزة التي لم يعرف العالم لها نظيراً من بدء الخلق إلى الآن!! كيف أمكن ترويض هذا الجنس وحشد قواه ليستحوّل إلى زلازل تدمر الإمبراطوريات التي شمتحت جدرانها على الطغيان قروناً ما استطاع أحد أن يهدمها حتى جاء المسلمون فغيروا الدنيا!! كانت هناك إرهابات روحية، أو بدايات معنوية في ليلة الإسراء والمعراج عندما انتقل النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى بيت المقدس في صلاة روحية بالنبيين الأسبقين، ثم تحقق المعنى الروحي فيما حدث بعد ذلك..

فإن بيت المقدس الذي دمره البابليون مرة، ثم أعيد بناؤه، ودمره الرومانيون مرة أخرى عاد إليه العرب في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

عمر بن الخطاب في بيت المقدس

وذهب عمر رضي الله تعالى عنه بالعرب، ونظر الناس فاستغربوا.. كان القائد المخلّى «أبو عبيدة بن الجراح» رضي الله تعالى عنه يرى أن يدخل عمر رضي الله تعالى عنه بيت المقدس في موكب الفاتحين، وفي أبهة المنتصرين.. وذلك أنه يرى أن أولئك بقايا الاستعمار الروماني، وأن المناظر الهائلة قد تركت في نفوسهم انطباعات معينة.. لكنه فوجيء بما أذهله.. فإن الخليفة الراشد عمر -رضي الله تعالى عنه- جاء على ناقته من المدينة، وأبى أن يكون في موكب.. ويحكى التاريخ^(١) أن بركة اعترضت ناقة عمر رضي الله تعالى عنه فنزل الخليفة، وحمل نعليه إلى عنقه، ومضى بناقته يخوضان البركة.. فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه: ما يسرني أن أهل المدينة يستشفونك على هذا النحو.. فقال له عمر: ويحك يا أبا عبيدة.. لو غيرك قالها جعلته نكالا لأمة محمد.. لقد كنا أذل الناس حتى أعزنا الله بالإسلام.. فمهما ابتغينا العزة في

غيره أذلنا الله!!

عمر لا يدخل بيت المقدس عارض أزياء.. عمر لا يدخل بيت المقدس في موكب فاتحين.

دخل عمر بيت المقدس تابعاً من أتباع محمد ﷺ.. دخل رجل دين وير وتقوى.. دخل متواضعاً لربه ليتسلم بيت المقدس.. ورأى الناس من الفراعنة الذي تسلم بيت المقدس.. رأوا منه العجب.. رأوا منه التسامح الديني..

فحينما قال له بطريرك بيت المقدس عندما أدركته الصلاة: «صل حيث أنت» قال: «لا.. لو صليت هنا لوثب المسلمون على المكان وقالوا: هنا صلى عمر وأخذوا الكنيسة منكم، وذهب فصلي بعيداً.. لو كان فاتحاً لمن يحتقرون وجهات النظر الأخرى، ويدمرون على غيرهم لصلى في المكان واغتصبه.. لكنه لم يفعل شيئاً من هذا.. والغريب أن أحس مشاعر الجحود تدارس الآن بين يهود العالم و صليبيه تريد اتهام المسلمين بالتعصب، وهم الذين علموا هؤلاء وأجدادهم ما هو التسامح.. ولو أراد المسلمون ألا يبقى غيرهم في الشرق الأوسط ما بقى أحد.. ولكنهم أبقوهم لله صدقة للإسلام.. لأن الإسلام لا يعرف الإكراه، ولا يعرف الغصب والجيوروت.. لم يحيى الخليفة ليملى شروطه بل جاء الخليفة ليتسلم العاصمة القديمة للوحي، وليجعلها من الناحية العملية حرماً ثالثاً

للحرمين الشريفين.. ومضى العرب في طريقهم يحملون أمانات الوحي، ويلقون رسالات الله.. ولكن سرعان ما تغير الحال.. دعنا من ميدان العلم.. فإن ميدان العلم بقى نظيفاً.. وجلس الإمام البخاري رحمه الله إلى جانب غيره من القرشيين يعلمهم.. وجلس الحسن البصري رحمه الله يعلمهم.. في ميدان العلم كانت تعاليم الإسلام سائدة.. أما في ميدان الحكم فإن تقاليد بعض الأسر العربية المدعية للنبل والرياسة وللجاه غلبت.. وغلبت معها طبائع جنس، وطبائع جاهلية قديمة.. فإذا العرب يتعبدون دينهم، وأبناءهم، وتاريخهم، ورسالتهم.. وإذا هم ينشغلون بالشهوات والملذات، والاختلاف على المناصب والرياسات، وكانت النتيجة أن هجم الصليبيون في مطلع القرن الخامس الهجري.. هجموا على بيت المقدس ودخلوه.. والذي ينبغي أن يعرف.. ولا أدري لماذا لا يدرس بإلحاح أن الصليبيين في أول حملاتهم على الإسلام ما كانوا أهلاً للانتصار، ولا كان الانتصار ميسراً لهم.. لقد أكلوا الجيف من الجوع، وأدركهم الإعياء وهم يلهثون بعد مراحل طويلة قطعوا فيها من «فيينا» و«برلين» إلى «القسطنطينية» إلى «الأناضول» إلى «الشام» إلى «بيت المقدس» قطعوا مراحل استهلكوا فيها.. لو أن أي جيش اشتبك معهم لهزمهم.. ولكن التاريخ قال: مكنت دمشق.. مكنت القاهرة..

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٦٠/٧ ط بيروت.

سكنت بغداد .. سكنت مكة .. سكنت المدينة .. سكت العرب وتركوا هؤلاء يتفردون ببیت المقدس ليدبحوا فيه سبعين ألف مسلم، وليؤسوا فيه إمارة لاتينية ظلت هذه الإمارة اللاتينية تسعين سنة يعين «باروناتها» من «باريس» ويبارك هذا التعيين «بابا الفاتيكان».

سر قوة العرب

ثم جاء رجل مسلم ليس بعربي وهو «صلاح الدين الأيوبي» وشعر بأسباب الهزيمة .. أي دارس للتاريخ العربي يعلم أن العرب ينتصرون حين يؤوبون إلى ربهم، ويثوبون إلى دينهم، ويتمسكون بشرائعهم، ويعتزون بنسبهم السماوي .. لا يحتاج الأمر إلى عبقريّة .. إن الحزام الذي يشد العرب بقوة ويمنع تفككهم هو الدين .. فإذا انقطع هذا الحزام تفرقت العصي ولم يبقى أحد إلى جانب أحد!! فبدأ صلاح الدين يعمل «لا جديد تحت الشمس» إذا كان الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله قد ألف كتابه «إحياء علوم الدين» كأن علوم الدين ماتت .. فإن صلاح الدين الأيوبي فعلاً بدأ بعملية إحياء عملية!! قال المؤرخون: جند العلماء لتدريس العقائد بين الجماهير، وجمع العوام على معاهد الأخلاق، ومكارم الشيم .. وهل تنتصر أمة دون عقيدة!! وهل يقوم مجتمع بدون أخلاق!! إن الرجل بدأ البناء من الداخل .. وفعلًا جمع الناس على

الإسلام، ثم خرج بهم ليتأوش عدوه .. وكانت مناوشة رهيبة .. إننا نقرأ في التاريخ أن بيت المقدس أعيد بسهولة أو أعيد في سطرين نقرأهما على عجل .. لكن الواقع أن المسلمين ضحوا كثيرًا، وأن القائد الإسلامي صلاح الدين كان على فرسه وهو يقود المسلمين .. لكن قلبه كان يدق خشوعًا لله عز وجل، واستمدادًا منه، وخوفًا من غضبه، ورجاء في عفوّه .. وكلما رأى الصليبيين يهجمون ويتقدمون وتنداح دوائر المسلمين أمامهم يصرخ «كذب الشيطان» ويعود المسلمون مرة أخرى إلى الهجوم .. فلما طويت أعلامهم وانكشفت خيمة ملكهم هوى صلاح الدين من على ظهر فرسه إلى الأرض ساجداً لله!! رجل ما كان مستكبرًا، ولا كذابًا ولا مدعيًا .. إنما كان كأنه وهو يقود المسلمين في القتال إمام في محرابه، تدمع عينه، وتخضع جوارحه، وينتظر من رب الأرض والسماء أن يعينه!! لذلك جاءت المعونة، وجاء النصر .. وعاد بيت المقدس إلى المسلمين.

الانقسام الإسلامي!!

لقد هجم الأوروبيون هجمتهم .. كيف هجموا؟ كيف تسللوا؟ يقول التاريخ: ما تسللوا إلا في الفراغات الموجودة بين الشعوب الإسلامية .. ظلم الترك العرب، وخان العرب الترك، وانقسمت الشعوب الإسلامية انقسامات

مرة .. في هذا الفراغ تسلل الإنجليز والفرنسيون، وعادوا مرة أخرى إلى بيت المقدس .. عادوا ليقول الجنرال الفرنسي «جيررو» وهو يقف إلى جوار قبر صلاح الدين: يا صلاح الدين .. هانحن قد عدنا!! ويقول الجنرال «النبسي»: الآن انتهت الحروب الصليبية!!

ما انتهت الحروب الصليبية .. وإنما هي الأيام مد وجزر .. عاد هؤلاء ليسلموا الأرض مرة أخرى إلى اليهود .. واليهود شعب ما كذبت السماء عندما وصفته الوصف الجدير به:

﴿قُلْ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِفُونَ بِأَلَا أَنْ مَنَّا

بِقُصُومِ الْوَيْلِ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَ أَتْقِيُونَ﴾

هَلْ أَتَيْنَاكُمْ بِشَيْءٍ مِّن دُونِ سُورَةِ عَنكَ الْفُتُوحِ

عَلَيْهِ وَجَعَلْ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْسَ هَلْ نَقُصُّ عَلَيْكَ شَيْئًا

مِّنْكَ مَا أَضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ

(المائدة: ٥٩ - ٦٠)

إن الغدر اليهودي طبيعة جنس، وخصائص دم، وميراث أجيال، وحقيقة لا يمكن إنكارها، ولا التفاضل عنها!! واليهود يعلمون من أنفسهم هذا.

ولست ألومهم .. لكنني ألوم الصف المختل .. ألوم العين النائمة وسط العيون

الخائنة .. ألوم العرب الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

متى يكون النصر!!

فالعرب بالطريقة التي يعيشون بها لا يستحقون نصراً .. لكي يستحق العرب النصر يجب أن يسألوا أنفسهم .. أو لكي يدخلوا بيت المقدس مرة أخرى يجب أن يسألوا أنفسهم: هل ستكون بأخلاق الجبابرة الذين سكنوا بيت المقدس قديماً فبعث الله إليهم «يوشع بن نون» فدمر عليهم، واستوقف الشمس فلم تغرب حتى ألحق بهم الهزيمة!! إذا كان العرب بأخلاق الجبابرة الأقدمين فليأخذوا مصير الجبابرة الأقدمين.

أظن العرب يدخلون بيت المقدس مرة أخرى يوم يدرسون أخلاق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، لم يكن الرجل كما قلنا عارض أزياء، ولم يكن داخلًا في موكب الخيلاء .. بل كان الرجل يخوض بناقته بركة، ويرى أن يعرض الإسلام مبادئ تواضع.

إن العرب لكي ينتصروا مرة أخرى ويعودوا إلى فلسطين يجب أن يعودوا بدينهم، وليعلم الجيل الحالي والجيل الذي يليه أن راية الإسلام وحدها هي التي تجمع الشمل.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

رحلة الإيمان وجوهر الأديان

للاستاذ الدكتور / محمد فتحى فرج

وكيل كلية العلوم جامعة المنوفية

من التنبؤات الجريئة التى تحققت للأستاذ العقاد اعتقاده بانتهاء الشيوعية، ذلك أنه لم يكن تنبؤاً عاطفياً فحسب، من مسلم يؤنسه الإيمان بالله كما يؤرقه الإنكار والتعطيل. وكان يعتقد أيضاً أنه كلما تقدم العلم خطوة تقدم الاعتقاد بالدين والغيبيات خطوات وخطوات، ومن ثم فقد كان متفاناً بأن العلم سيكون ولا شك فى خدمة الدين، فكان يضرب المثل بوجود الكائنات الدقيقة، التى تستعصى على الرؤية بالعين المجردة، قبل ابتكار المجاهر التى مكنتنا من رؤيتها وملاحظة سلوكها وأطوار نموها. وها نحن الآن فى عصر الطائرات التى تفوق سرعتها سرعة الصوت وتقطع المسافات الطويلة فى أزمان جد قصيرة، والصواريخ والأقمار الصناعية وسفن الفضاء، التى تستطيع أن تفلت من عقال الجاذبية الأرضية بسهولة، بل وتستطيع أن تمكث الشهور فى أجواز الفضاء أو فى نطاق بعض الكواكب لى تجمع العينات والصخور والمعلومات، عن هذا الكون الضسيح المترامى الأطراف. أقول: بتنا الآن نستوعب- بعقولنا- رحلة الإسراء وكذلك رحلة المعراج، ربما بدرجة أكبر من سلفنا، إذا كان المعول والمرجع هو العقل، صاحب تلك المنجزات فى عالم النقل والمواصلات، التى لم يكن يحلم بها أجدادنا الأقربين، منذ مدة لا تزيد على قرن أو قرنين من الزمان!

من دروس الإسراء والمعراج

هذا، ويستطيع دارس السيرة النبوية أن يستخلص دروساً مفيدة وعبراً عديدة، من رحلة الأمن والإيمان فى معية الرحمن، رحلة المؤازرة للنبي ﷺ والتسرية عنه، بعد طول المعاناة من صدور القبائل وإعراضهم عن الدخول فى الإسلام، وبعد حزنه لوفاة زوجته السيدة خديجة، التى آزرته ووقفت بجانبه بمالها ورأيها. كانت هذه الرحلة بمثابة ترويح للنبي ﷺ، ودعم روحياً ونفسياً له، وإشعاراً له بقربه من ربه جل وعلا، فكانت بذلك شحذاً لهممه، وزاداً يتزود به فى رحلة الدعوة إلى الله، تلك التى تحتاج إلى صبر ومثابرة ومجهود دائم متواصل. وهى أيضاً رحلة شد الأزر، والأمل فى الغد، والوعود بالنصر، ولذلك فليس من المستغرب أن نحى ذكراها، ونحتفى بها العام تلو العام.

وقد كشفت هذه المناسبة عن معادن الرجال، فأظهرت العناصر الإيمانية النفيسة، كما فضحت أيضاً العناصر النفاقية الخسيسة، وتحضرنى هنا مقولة الصديق التى تنبىء عن إيمان صادق عميق حينما قال- رداً على من أخبروه بشأن هذه الرحلة العجيبة فى رأيهم: (إن كان قد قال ذلك فقد صدق، فإننا نصدق فى أمر السماء، أفلا نصدق فى أمر كهذا؟)- وبذلك فقد كانت فرصة لتنقية صفوف المؤمنين الطاهرين، من أرجاس المشركين

والمناققين، حتى لا يشوب صفوفهم شائبة من وهن أو ضعف أو تخاذل، فأكسبهم ذلك حصانة ومناعة، فى مواجهة الأخطار المخدقة بهم، لاسيما وقد وقع حادث الإسراء قبل الهجرة بعام واحد، ونذكر هنا قول الله تعالى:

﴿مَّا أَتَيْنَا مِنْ نَبَأٍ لَّا هُوَ رِسَالَةٌ إِتَيْنَا الْيُسُوفَ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكَ بِرِجَالٍ يَخْلِفُ أُولَئِكَ فِي الدِّينِ فَكَانُوا يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكَ بِرِجَالٍ يَخْلِفُ أُولَئِكَ فِي الدِّينِ فَكَانُوا يَحْزَنُونَ﴾

(التوبة: ١٢٤-١٢٥)

جوهر الأديان واحد

وعلى كثرة الدروس التى يمكن استخلاصها من هذه الرحلة الميمونة المباركة، إلا أن ثمة درس قد يغفل البعض عن الإشارة إليه والتنويه به، وهو يعد فى رأينا المتواضع- لاسيما فى هذا العصر الذى يفترى فيه الغرب على الإسلام والمسلمين، ويصفهما ظلماً بما ليس فيهما- أقول: يعد هذا الدرس من أعظم الدروس المستخلصة من الإسراء والمعراج. فاجتماع الأنبياء على صعيد واحد، وصلاتهم خلف أول الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ دليل لا يحتاج إلى برهان على أن جوهر الأديان كلها واحد وهو الإسلام. فقد كانت هذه الرحلة لقاء ربانيا تلاقى فيه قيم إبراهيم وداود وسليمان وموسى وعيسى ومحمد- عليهم جميعاً الصلاة والسلام- وهنا

تذكر حديث النبي ﷺ : (مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فحسنه وجمله إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون، ويقولون: هلاً وضعت هذه اللبنة، فأنا تلك اللبنة، وأنا خاتم الأنبياء)^(١).

والإسلام، الذى يصنع الغربيون منه الآن عدواً يديلاً لعدوهم السابق (المعسكر الشرقى الشيوعى)، لا يكتمل إيمان متبعيه إلا بالإيمان بالرسالات التى سبقته، والرسال الذين أرسلوا بها، والكتب المنزلة عليهم، مصداقاً لما جاء فى كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) وليس بعد قول الله - تبارك وتعالى - قول، فهو سبحانه أصدق القائلين:

﴿ مَا مِنْ رَسُولٍ بِمَا أَنْزَلَ إِلَهُ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفْرِقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

(البقرة: ٢٨٥)
فجوهر الإيمان بالله تعالى، ورأسه وذروة شامه، وهو الاعتقاد بإله واحد هو الله تعالى، من لدن آدم - عليه السلام - حتى محمد ﷺ واحد لم

(١) صحيح البخارى

يتغير، على مدى هذه القرون الطويلة. أما ما كان يتغير ويتطور، على أساس تنماشى مع درجة الوعى والنضج البشرى، فليس سوى الشرائع لا العقائد، وقد بلغت هذه قممتها وتنام كمالها فى شريعة الإسلام، الذى جاء به محمد ﷺ، حين بلغ العقل البشرى ذروة رشد، وتنام نضجه، ولذلك كانت رسالة الإسلام الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ آخر الرسالات السماوية الموجهة إلى الناس أجمعين.

ولذلك كان من الطبيعى أن يُطلعنا (القرآن الكريم) أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء والرسال، بمن فيهم أصحاب الرسالات السماوية من أولى العزم من الرسل، ولذلك يقول ربنا جل وعلا بشأن سيدنا إبراهيم:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيقًا مُسْلِمًا ﴾
(آل عمران: ٦٧)
ويقول الله تعالى على لسان يوسف - عليه السلام -:

﴿ أَنْتَ وَلَوْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾
(يوسف: ١٠١)
ويقول الله تعالى حكاية عن إبراهيم

واسماعيل:

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً ﴾

(البقرة: من الآية ١٢٨)
وفى موضع آخر من سورة البقرة، يذكر الحق - تبارك وتعالى - إجابة أبناء يعقوب حينما سألهم عن عبادتهم حين شعر باقتراب رحيله:

﴿ قَالُوا تَبَّ إِنَّكَ وَآلُكَ بِإِزْمِيلَ وَاسْتَعْبَدُوا وَانْحَقُوا إِلَٰهًا وَحَدَّائِمُ لَمْ يُؤْمَرُوا ﴾
(البقرة: ١٣٣)

فتعريف الإسلام أو معناه الحقيقى، كما يفهم من المعنى اللغوى هو: إسلام الوجه لله، وتفويض الأمر إليه، ومن هنا فهو دين جميع العباد، من لدن آدم حتى الآن، وفى هذا يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾
(آل عمران: ١٩)
ولذلك فقد أوصى أنبياء الله تعالى أبناءهم باتباعه، حتى الموت على شريعته:

﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

(البقرة: ١٣٢)
وذلك لسبب بسيط جداً: هو أن فى

الإسلام، الذى جاء به الأنبياء جميعاً، وبعث به سيدنا محمد ﷺ فى تمام كماله وقمة جماله، رحمة للعالمين، كما وصف الله تعالى رسوله فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
(الأنبياء: ١٠٧)
وقد أرسله الله تعالى بالحق:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾
(البقرة: ١١٩)
ومن ثم فقد أرسله للناس، كل الناس، وشهد على ذلك:

﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِإِذْنِهِ شَهِيدًا ﴾
(النساء: ٧٩)
ثم أكد على ذلك فى موضع آخر من سورة سبا، فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾
(سبا: ٢٨)

وهناك الكثير والكثير من الدروس والعبر، التى يمكن للمسلم أن يستشفيها ويستخلصها من هذه المناسبة الطيبة المباركة، بركة المسجد الأقصى، الذى ندعوا الله - تبارك وتعالى - أن يفك أسر، ويحرره من يد شذاذ الآفاق، وأشر الخلق على الإطلاق، فيكفيه شرفاً أنه مسرى رسولنا الكريم، ومصلى أنبياء الله بإمامة سيد الخلق أجمعين، ولكن حسبنا ما ذكرناه، والله تعالى ولى التوفيق.

كطائفة تحكمها دولة وهذا يؤكد أن كل مرة من الإفساد لابد أن يسبقها علو وتمكين، وهؤلاء اليهود لم تقم لهم دولة في تاريخهم كله إلا مرتين اثنتين، المرة الأولى بعد خروجهم من التيه ودخولهم الأرض المقدسة وإقامة دولتهم الأولى على يد نبي الله داود ومن بعده نبي الله سليمان -عليهما السلام- بعد محاولات مستميتة قام بها أهل البلاد الأصليون وهم قبائل: الفلسطينيين واليوسيون وقبائل أخرى كنعانية في مواجهة «يوشع» غلام موسى عليه السلام، الذي قاد شعب إسرائيل بعد سنوات التيه التي قضوها في سيناء عقوبة لهم على جبنهم الفاضح في مواجهة أهل فلسطين، وفي أثناء تلك العقوبة مات هارون عليه السلام، وتبعه أخوه موسى بعد ثلاثة أعوام ولم يكتب لهما دخول فلسطين وأكمل المهمة بعدهما «يوشع بن نون» الذي تسميه التوراة «يشوع» وقد استطاع «يشوع» بمن معه من بني إسرائيل أن يوقع هزائمه ساحقة بقبائل الكنعانيين من الفلسطينيين واليوسيين والمؤابيين بسبب انقسام تلك القبائل على نفسها وبسبب استماتة بني إسرائيل في القتال واستخدامهم لأبشع الوسائل وأشرس الأساليب بصورة من الوحشية لم تعرف البشرية لها مثيلاً إلا فيما نراه اليوم من

أفعالهم في غزوهم الجديد لمدن فلسطين، أما كيف غزا اليهود فلسطين أول مرة فالتوراة تكفيها مژونة إلقاء الضوء على هذه القضية، قضية الشعب اليهودي الفريدة في التاريخ والتي لا مثيل لهماجيتها وشراستها وحقدتها إلا فيما يفعلونه في غزوهم الجديد لأرض فلسطين في المرة الثانية في رام الله وجنين والخليل ونابلس وطولكرم وبيت لحم وغزة وأريحا وغيرها من مدن الضفة وغزة... ومن قبلها مدائن حيفا وبيافا وعكا وصور ودير ياسين وكفر قاسم وغيرها من المدن التي شاهدت أبشع المجازر في التاريخ الحديث، وقبل أن أنقل وصف التوراة لعملية غزو مدن فلسطين قديماً، أنقل هذا النص التوراتي الذي يخاطب به الرب شعب إسرائيل، كما زعمت توراتهم التي ألفها كبار مجرميهم فيقول: «وحرموا - أي أهلكوا - كل من في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها، إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد أجعلوها في خزانة الرب»^(٣).

وقد جاءت عملية الغزو تطبيقاً عملياً لهذه الأوامر المقدسة في زعمهم، وإليك الصورة كما سجلتها التوراة: «وأخذ يشوع «مقيدة» في ذلك اليوم وضربها

بحد السيف وحرّم (أهلك) ملكها وكل نفس بها، لم يبق شاردًا، وفعل بملك «مقيدة» كما فعل بملك «أريحا» ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل إسرائيل معه إلى «لينة»، وحارب لينة فدفعها الرب هي أيضاً بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها، لم يبق شاردًا، وفعل بملكها كما فعل بملك «أريحا» ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لينة إلى «خيش» ونزل عليها وحاربها وضربها بحد السيف، وكل نفس بها حسب كل ما فعله بلينة، ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه إلى «عجلون» فنزلوا عليها وحاربوها وضربوها بحد السيف وحرّم كل نفس بها في ذلك اليوم حسب كل ما فعله بلخيش ثم صعدوا إلى حبرون «الخليل» وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها لم يبق شاردًا حسب كل ما فعله بعجلون فحرّمها وكل نفس بها وضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها لم يبق شاردًا بل قتل كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل فضربهم يشوع من قادش إلى غزة وجميع أرض جوش إلى جبعون»^(٤).

وقد حلل العلامة المؤرخ جوستاف لوبون العلل الكامنة وراء تلك الوحشية قائلاً:

«إن عدد بني إسرائيل واحتياجاتهم ويؤاسهم في مصر وحرمانهم الهائل في التيه مما جمع بينهم وأقنطهم فصاروا كقطيع من الذئاب الهزيلة التي دفعها الجوع إلى الاقتراب حتى من المدن»^(٥)، وبإمكانك أن تضع أسماء المدن الجديدة اليوم في الضفة وغزة مكان أسماء تلك المدن القديمة وتري هل تغير أسلوبهم، ولك أن تستبدل اسم شارون ورايين وبيريز وبيجين وغيرهم من قادة إسرائيل اليوم، بأسماء شاؤول ويشوع وغيرهم من قادة إسرائيل في المرة الأولى، ليستأكد لك بوضوح وجللاء أننا أمام عقيدة عميقة الجذور، بعيدة الغور، تحرك هؤلاء الوحوش وتدفعهم دفعاً ليشركوا بلادهم التي جاءوا منها، رغم ما بها من رغد في العيش وأمان واستقرار، ورغم ما يتمتعون به من مناصب عالية، ومكانة رفيعة، ليستجيبوا لنداء تلك العقيدة الدموية الكافرة.

وبهذا الأسلوب الدموي الوحشي استطاع اليهود أن يقيموا دولتهم الأولى بعد هذا الغزو الوحشي سنة ١٢٢٠ ق.م لكنهم «لم ينجحوا في طرد القبائل الوطنية، كما أنهم تركوا بعضها في أوطانها دون تخرش، ولذلك قامت فيها بعد ممالك المؤابيين والعونيين والأيدوميين، والتي كانت مستقلة بصفة عامة»^(٦).

(٣) سفر يشوع: الإصحاح السادس.

(٤) سفر يشوع: الإصحاح العاشر.

(٥) غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى - مطبعة الطلي، القاهرة سنة ١٩٧٠ ص ٢٥.

ولم يستطع العبريون إقامة دولتهم على أرض فلسطين إلا على يد الملكين الجليلين: داود وسليمان عليهما السلام، سنة ١٠١٦ ق. م، واستمرت هذه الدولة ثمانين عاماً فقط هي المدة التي حكم فيها داود وسليمان، وحيث إن فترة داود وسليمان هي الفترة التي يفتخر بها اليهود، ويدعمون بذكرها دعواهم بأنهم ملكوا كل الأرض «من نهر مصر إلى الفرات» فهي بحاجة إلى إلقاء بعض الضوء، ويكشفنا المؤرخ البريطاني «جفريز» مؤونة هذه المهمة فيقول: «لقد حكم داود نحو من أربعين عاماً من تاريخ سنة ١٠١٦ ق. م، وخلفه سليمان وحكم ما يماثل هذه المدة.

وبعد هذين انهار كل شيء.. ولا بد أنه اقتضى داود أن يصرف جزءاً لا بأس به من النصف الأول من فترة حكمه لكي يبلغ أوج سلطانه.. أما سليمان فقد أخذ يبيع قبل نهاية حكمه أجزاء من ممتلكاته أو يفقدها.. فدعنا نسقط عشر سنوات من هذه الفترة، وهذا هو أقل ما يمكن لنا أن نسقطه عقلاً من مجموع فترتي حكم سليمان وداود.. وعندئذ يتبقى سبعون عاماً.. ولم يحدث إلا في بحر هذه السبعين سنة أن سيطر العجاف على شيء يقرب من ثلثي البلاد» (٦).

ولم يكد سليمان يموت حتى انقسمت

دولته إلى جزئين، يهوداً في الجنوب، وإسرائيل في الشمال، وعقب انقسام مملكة سليمان، ظلت الدولتان تنحاضمان وتتنازعان في قتال دائم عنيف.. وبعد أن كثر فسادهم وعم شرهم، وتفاقم ضررهم وخطرهم حتى صاروا سبب إزعاج دائم لمن حولهم من الأمم، هجم الآشوريون الدمشقيون عليهم وحاصروا مملكة إسرائيل ثمانية عشر شهراً، حتى سقطت في أيديهم في بداية سنة ٧٢١ ق. م، فأصبحت إسرائيل منقرضة سياسياً.. وبعد تحطيم إسرائيل أرسل الآشوريون سكانهم إلى الشرق واستبدلوا بهم سكاناً جدداً، ومن ثم اختفى سكان مملكة إسرائيل من التاريخ، واندمجوا مع الشعوب المجاورة في مناطق النقي.

يقول غوستاف لوبون معللاً لأسباب إهلاك تلك الدولة: «كانت تلك الدولة مسرحاً لأفزع الفجائع، وما كان يقع فيها من اعتصاب ومذابح واستعانة بالأجنبي، كل ذلك أثار ازدياد الأمم المجاورة دوماً، فلم تنفك هذه الأمم تطالب بإبادة بؤرة القوضى والتمرد تلك» (٨).

وأما مملكة يهودا فقد دمرت تماماً على يد الملك البابلي «نبوخذ نصر» «يختنصر» وأخذ معه إلى بابل ملكها «يوافيم» وعشرة آلاف من أهم السكان، وكان منهم النبي

«حزقيال» وحطم القدس نهائياً سنة ٥٩٧ ق. م، ويسجل التلمود أن هذا التدمير لم يكن «إلا عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغها وفاقت حدود ما يطيقه الإله العظيم، وعندما رفضوا أن ينصتوا لكلمات وتحذيرات أرميا..»، ولقد وجه النبي أرميا كلامه إلى يختنصر قائلاً: «لا تظن أنك بقوتك وحدها استطعت أن تغلب على شعب الرب المختار، إنها ذنوبهم الفاجرة التي ساقتهم إلى هذا العذاب» (٩).

ولقد سجل القرآن عليهم بعض جرائمهم التي لو انفردت منها جريمة لكانت كافية لإبادة أمة كاملة، وهل هناك جريمة أعظم من الشرك بالله وعبادة العجل من دون الله، فبرغم وقوع المعجزات وتواتر الآيات، وظهور البيانات.. من فرق البحر، ومعجزة العصا، وتفجير الحجر اثنتا عشرة عينا، على عدد أسباطهم، ورفع الجبل فوقهم كأنه ظلة، وإحيائهم بعد موتهم، كل ذلك لم يلن قلوبهم، ويهز أقدارهم ليعلموا التوحيد الخالص لربهم، وإنما مالت قلوبهم إلى عبادة العجل:

﴿وَأَشْرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾

«البقرة: ٩٣»

لقد منحهم نعمة فجحدوها، وأخذ عليهم عهوده فغدروها، وأنزل عليهم كتبه فحرفوها وبدلوها، وأرسل إليهم رسله

فكذبوهم وقتلوهم؛ فاستحقوا غضب الجبار ولعنته، واستوجبوا عذابه ونقمته.. قال تعالى يعدد بعض جرائمهم:

﴿فَمَا تَقْضِيهِمْ لِيَسْتَفْتَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا وَكَيْدًا وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ لَّيْلَ طَعَّ اللَّهُ عَلَىٰ يَكْفُرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بَيْنَتُنَا عَظِيمًا﴾

«النساء: ١٥٥، ١٥٦»

ومصائب هؤلاء المجرمين في كتاب الله مشهورة معلومة، ولهذا فقد عاملهم الله بعدله فسلط عليهم من عباده قوماً أشراراً سفكوا دماءهم، وخربوا ديارهم، ونهبوا أموالهم، وسبوا نساءهم ورجالهم وذرياتهم.. وهم البابليون أتباع يختنصر ومن يومها لم تقم لهم قائمة.. ولم تجتمع لهم كلمة، ولم تعلن لهم دولة، إلى أن جاء هذا العصر قرأنا اجتماع كلمتهم وقيام دولتهم، وتداعبهم إلى الأرض المقدسة مرة أخرى وتهيئ الأسباب لهم باجتماعهم وتفرقنا وقوتهم وضعفنا.. فعلمت أننا أمام قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿تَوَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾

«الإسراء: ٦»

وظهر لي واضحاً جلياً أن الإفساد الأول قد وقع عندما قامت دولتهم الأولى وأن الإهلاك الأول قد حدث عندما أفسدوا في

(٦) غوستاف لوبون ص ٢٤.

(٧) ج. م. ن. فلسطين إليكم الحقيقة، ترجمة خليل الحاج، مراجعة د. محمد أنيس، دار الكتاب العربي، القاهرة سنة ١٩٧٦ ج ١ ص ٤٢.

(٨) غوستاف لوبون ص ٤٠.

(٩) أنظر: تاريخ فلسطين القديم، طهر الإسلام خان - دار التفات ص ٤٩.

الأرض وأن الله اختار عباده له من البابليين والآشوريين فكانوا عصا قدرته وأداة نقمته.

ثم شاء الله تعالى أن يتم وعده لكي يقع وعيده بإيقاع الإفساد الثاني أو المرة الآخرة كما وصفها القرآن الكريم فهيأ لهم أسباب التمكين ورد لهم الكرة على من حولهم وقد حدد الحق سبحانه وتعالى مظاهر القوة في تلك الكرة في عناصر ثلاثة: المال والبنين والسلاح.

﴿ تَرَدَّدْنَا لَكُمْ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾

(الإسراء: ٦)

ومن يتأمل الآية الكريمة يجد مصداق ذلك فيما جرت به الأقدار في عصرنا هذا فقد رد الله لليهود الكرة وسخر لهم من يمددهم بالمال فتدفقت الأموال عليهم من أبناء جلدتهم ومن أهل دينهم، بل إن الأموال لتصل إليهم من أيدي أعدائهم سواء علموا بذلك أم جهلوا أرادوا ذلك أم كرهوا عن طريق بيوت المال العالمية التي أحسن اليهود التسلل إليها والسيطرة عليها، ولو رأيت براعتهم في إدارة المال واستحداث الأنظمة الربوية حتى تحولت أموال العالم إلى جيوبهم لأدركت مصداق قوله تعالى:

﴿ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ ﴾

وإذا تأملت سيول المستوطنين اليهود

وهي تندفق إلى أرض فلسطين أفواجا وجماعات وغاليهم من الشباب الذين هم في سن العمل والإنتاج والكثرة الساحقة منهم من الرجال ذوى التخصصات الدقيقة والنادرة: كعلوم الذرة والفيزياء والرياضيات وغيرها أدركت مصداق إمدادهم بالبنين، أما تفوق اليهود العسكري وقدرتهم على صنع أعنف الأسلحة وأشدّها فتكا وترسانتها النووية التي تباهى بها العالم فهو أكبر دليل على تحقق قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾

والنفير كما نعلم هو آلة الحرب.

لكن الجديد الذي نلاحظه في قضية نهاية اليهود: هو أن يأتوا من أنحاء الأرض إلى فلسطين وأن يكون مجيئهم على صورة جماعات وأن يكون مجيئهم ذلك علامة على قرب نهايتهم وتحقيق وعيد الله فيهم وهو ما نجده واضحا في قوله تعالى:

﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرِ فَجَنَابِكُمْ لَنَلْبِقُنَّ ﴾

(الإسراء: ١٠٤)

في لسان العرب: جمع ملتف «مجتمع ملتف من كل مكان» ليكونوا هدفا للإهلاك والتدمير على يد عباد الله، يسلطون عليهم فيقهرونهم ويجبيهون وجوههم بالمساءة والذل ويدمرون ما يغلبون عليه من مال وديار

ويدخلون المسجد الأقصى ويحررونه مصداقا لقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَ ﴾

﴿ وَعْدُ الْآخِرِ لِسُكُونِ أَجْمَعِكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾

(الإسراء: ٧)

وهو ما نراه في أرض المعراج الطاهرة المباركة من ظهور فئة من المجاهدين الصادقين المخلصين باعوا أنفسهم لله واشتروا بها الجنة وأقبلوا على ربهم في عرس ملائكي طاهر، فأصابوا إسرائيل بالذعر وأوقعوا بقلوبهم الرعب وأظهر الله على أيديهم المعجزات وأظهر فيهم الكرامات ورأينا فيهم مصداق حديث رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيخسبى اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى: تعالى فاقتله إلا الفرقد فإنه من شجر اليهود» (١٠)

ولقد كنا نقرأ هذا الحديث ونعجب ونستبعد وقوع مثل تلك الكرامات في أيامنا هذه حتى طلعت علينا صحيفة «أفاق عربية» بما نصه حرقيا بتاريخ ٢٠٠٢/٥/٩ م من حديث للشيخ أحمد ياسين عبر الهاتف موجهها كلمته لمؤتمر نقابة الأطباء الرابع بمحافظة الغربية وسمعه مئات الحاضرين: «إن بشائر النصر قد رأيناها بأعيننا: حيث أن رجال المقاومة في «رام الله» ظلوا يطاردون أحد المستوطنين حتى اختفى عن أعينهم خلف الأشجار فأنطق الله الشجر - حدث والله - وقال لهؤلاء الأبطال: «هذا اليهودى ورائى» ويذهب الشباب إليه خلف الشجرة ويقتلونه...» ثم يختتم الشيخ كلامه قائلا: «إنه حديث رسول الله ﷺ» (١١).

ونحن نقول مع الشيخ «صدق يا سيدى يا رسول الله وإنا بك لمؤمنون وإنا بحديثك لمصدقون.. وإنا بزوال إسرائيل لوائقون».

(١٠) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨، الطبعة المصرية ومكتبتها ص ٤٤.

(١١) صحيفة «أفاق عربية» بتاريخ ٢٠٠٢/٥/٩ م.

جيش أسامة

للشاعر الأستاذ / أنور العطار

ضجُ مهده الصحراء بالتقريد
هو ذا في غيابة البعد خطُ
سأل ذوبُ النضار في مصحف الألف
نهـر من هداية يتلوى
ضم في شاطئيه حياية العُـر
والأمير الفتي يدرع البيـ
رفـرفت راية النبي عليه
من هو القائد الفتي وما ينـ
ولن هذه الزحـوف توالى
يقدم الفيلق الذي أفرع القفـ
تتمشي في سبله البيد نشوى
يا صحابي هذا (أسامة) يختا
رأس الأكرمين وهو ابن عشرين
وعليه جرأة الأسد الور
باله قاحماً تمتعه البطولا
والبطولات شعله الأمل السا

وسرى النور في رمال البيـ
يتجلى من مـرابها المعقود
ق فزان الدنيا بحلم وغـيد
في فضاء رحب المطاف مـديد
ب وبأس المـرمن الصـيد
مد بجيش من الكمـاة عـديد
ورعته بالنصر والتأييد
شد في قصده الطروح البـيد
كوقوفود تنهل تلو وقود
روى النـجود إثر النـجود
تملات برملها العـربيد
ل بـرد من الشـباب تضـيد
ن بعزم مـاض ورأى مـديد
د وتحديقه العقباب الصـيد
ت وألقت إليه بالافـيد
طع في ظلمة الليالي المـود

حدث النفس وهو يحلم جـدا
إيه يا نفس لا ترعك المنايا
اطلبي الطمح القصي مداه
واذكري نائماً (بمؤنة) باع النـ
وانهضني للجهاد في نصرة الحـ
ودعى اسم النبي تعـبق به الدنـ
وتلاقى الجمـعان فارتجت الأـ
هل رأيت الأتي يزيد جـيـا
وتعالت في القفر تكبيرة اللـ
ثبت المسلمون في لقـية الرو
وقرروهم بكل مـاض صدوق
لا يرى منهم ضـحى اليوم إلا
وأسود الصحراء قد غنموا النصـ
من يرد فرجة النعيم المرجى
الصحارى يا سحر هذى الصحارى
ثورة الشمس في خضم من النـ
الأواذي في حـماها تنزى
يا لها الله من جـحيم تلظى
هى لثلاثه اغـب أمـان
أى زهو تشـيره هذه البيـ
نهض الفجر في حماها بهـيا

ن بنصر داني القطوف عـيد
فـالمنايا أمنية الصـديد
ودعى الضعف للجـيان الرقود
فس زلـقى رب البرايا الحـيد
ق وبثى رسالة التـوحـيد
جـا وترتع في عالم من مـعـود
ض وغابت في العاصف المشـهود
شأ ويرمى الجلمود بالجلمـود
ه فدوى الوجود بالتحـمـيد
م وغاصوا في القسطل المزـود
كنصـاح يفرى الدجى بعمـود
آيس من نجـساته أو مـود
ر وفـازوا بالمأمل المنشـود
يصـدق الله في ظلال البنود
آية الله في كتـاب الوجود
ر سـحـيق نائى المرام عـيد
قـاذفات باللاهـب الموقـود
تخطف الروح من جنان الجليـد
وهى للغـاصبين نار الـوعـيد
مد بقلب بحـبها مـعـود
حافلا بالسنا النقى الفـريد

عانقتها الأضواء في هبة الصب
سكنت في فضائها العسجد الصر
أشرق اليمن من محاربيها الزهد
هاهنا يا صحابتي معبد الله
هاهنا مشرق النبوة، مهوى الد
هاهنا دارة الهناء واليسر
هاهنا البأس والجراءة والخز
هاهنا معقل الغطارقة الغد
هاهنا السيف صورة الأمل البك
وعلى البعد صورة تبهر العي
طوف الدين ساحبها ثم أسرى
أسمع الرمل يملأ الأرض تسبي
هددته قيثارة تنغني
جازه العرب في مواكب للنص
أذن الله للصحرى فمماجت
يا جنود الحق البين سلام
بكم عزت الخليفة في الكو
فتحووا الأرض فاستقادت لفتح
غيرهم يفتحون للذل والعما
ثم دال الزمان من ناسبه الغد
واستكانت إلى الكرى فعليها

ح فازرت بالذلوال المنضود
ف وحلت أقياءها بالعقود
ر ومحاربيها محط السجود
ه على غابر الزمان الأبيد
خير مجلى الحلم السنى السعيد
ر وما شئت من مخاء وجود
م ومستعصم القنخار الوطيد
ر ومستوطن العلاء التليد
ر وترنيمه الشجاع النجيد
ن جللا بسحرها المبرود
يغمر الكون بالضياء الجديد
حاً بشدو محبب مودود
يلحون قدسية التريد
ر تغادى على اللواء الخبيد
ساحباها بقاحمين أسود
أنتم للعلاء خير جنود
ن ونالت شأو المرام البعيد
ناصر كالسماء هاد رشيد
ر وهم للعلاء والتشييد
رفقرت سيوفهم في الغمود
صدأ الدهر من طويل الهيمود

المسؤولية

الاجتماعية

ضرورة

إنسانية

للمستشار/ حسن حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

المسؤولية الاجتماعية من الأهمية بمكان في حياة الناس، أياً كان وطنهم أو جنسهم أو دينهم أو انتماءهم المذهبي، تلك المسؤولية التي تتمثل في تحمل القادرين من أبناء المجتمع، لكثير من الأعباء المادية والمعنوية، التي تنوء القشاة الأخرى عن احتمالها، ولا سيما في أوقات الشدائد، التي تمر بها بعض المجتمعات، أياً كانت أنواع هذه الشدائد، والأساس في ذلك، هو ما يتميز به الإنسان من خاصية، يعبر عنها علماء الاجتماع بقولهم: إن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، أى أن الله خلقه ليعيش مع غيره في جماعة، وجعل تعالى النفس الواحدة من أفرادها، تعدل كل الأنفس البشرية، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ أَنْتُمْ مِنْ قَسَلٍ مُتَعَبِينَ أَوْفَاكُوا فِي الْأَرْضِ
فَكَأَنَّمَا قَتَلْتُمُ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

(المائدة: ٣٢)

ومن الكلمات التي تجسد هذه المسؤولية الاجتماعية، مجردة عن ثمة اعتبارات، غير تقديم يد العون للآخرين، ما جاء على لسان بيل جيتس، وهو من هو في عالم الحاسب الآلى، عندما زار مصر في السنوات الأخيرة، ولدى سؤاله عن ثروته، فقال: إن ثروتي بسبب المجتمع، وسوف تعود للمجتمع، من خلال تمويل مؤسسات بحث علمي طبي، لعلاج الأوبئة والأمراض المستعصية، وتمويل تطوير التعليم، ولا أعتقد أنني سوف أترك ورائي أموالاً لورثتي. وهي كلمات تحتاج لمزيد من نظرة التأمل، من أثرياء العالم، وخاصة من أغنياء المسلمين، بمراعاة الظروف القاسية، التي تكاد تعصف بالعديد من المجتمعات، التي ينتمون إليها.

وقد كان الإسلام سباقاً في تحديد عناصر مسئولية المسلم الاجتماعية في هذه الحياة، بما وضع له من منهج قويم ينظم حركته فيها، ومن أسس هذا المنهج أن يكون للفرد الدور الخلاق في المجتمع الذي يعيش فيه.

تحقيق النفع العام لكل الناس

من أوجه العظمة في دين الله الإسلام، أنه جاء بما يزرع النظرة الكريمة للمجتمع في النفوس، فالرسول العظيم ﷺ يقول فيما رواه الترمذي عن السيدة عائشة رضي الله عنها: «خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، ومن ضيق الأفق أن تقتصر النظرة إلى الأهل، على أصول الإنسان وفروعه وزوجه وحدهم، بل إن حقيقة الواقع تفرض، أن تمتد هذه النظرة لتشمل المجتمع كله، باعتبار أن الأسرة هي اللبنة الأولى فيه، وباجتماعها مع غيرها يقوم ببناء هذا المجتمع.

ويؤكد عمومية هذه النظرة، ما رواه القضاعي، في مسند الشهاب عن جابر رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «خير الناس، أنفعهم للناس»، أي كان دين أو ملة أو مذهب هؤلاء الناس، والمنافع أو مقدم النفع، لأنهم جميعاً عباد الله، وأحبهم إليه، أكثرهم نفعاً للناس بنعمة يسديها أو نقمة يزويها عنهم ديناً أو دنياً.

ومن مقتضى الخيرية للأهل، أي المجتمع ككل، أن صاحب الثروة لا يظن بها على أبناء مجتمعه، أي كان نوع هذه الثروة.

مادية أو معنوية - طالما في استعمالها ما يعود بالنفع على الجميع، فكما أن صاحب المال يتفقه لتيسير أمور الحياة المادية، فإن صاحب العلم، يبذل له ليطليه، بقصد الانتفاع به، فيما يصلح شأنه في الدين والدنيا.

إننا في أيامنا المعاصرة، في حاجة ماسة لتعميق النظرة الاجتماعية، التي تضمنتها كلمات أحد أغنياء العالم سالفة البيان، فقد ضاقت سبل العيش على كثير من عباد الله، لتغير الزمن والحوال، وأصبح من الواجب على الأغنياء تفعيل الوظيفة الاجتماعية للعمال، واستخدامه في الأغراض العامة التي تعود بالخير على أبناء المجتمع، وكنا نتمنى أن نسمع مثل هذه الكلمات من أثرياء العرب والمسلمين المعاصرين، الذين لا تخفى عليهم أحوال معيشة كثير من إخوانهم في الدين على أية بقعة من أرض الله، ومن فضل الله عليهم أن شريعة الإسلام السمحاء قد جاءت بالعديد من الوسائل التي تعين على تحقيق هذه الوظيفة، وعلى رأسها الزكاة بأنواعها وصدقة التطوع والكفارات والوصايا والأوقاف، وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران، ومساعدة الضعيف وإغاثة اللهفان، وغير ذلك من القربات والطاعات الدينية، وما على المسلم إلا أن يقبل على فعلها، وله الجزاء العاجل في الدنيا من الناس، والجزء الأوفى من الله تعالى في الآخرة.

الدور الإيجابي في المجتمع

قد يكون الرجل ممن يحافظ على الصلاة في جماعة، ويقرأ القرآن الكريم ولكن على أثر مشاجرة بين جيرانه، إذا طلب منه أهل الخير المشاركة في الصلح بين المتخاصمين، يرفض الحضور معهم، بحجة البعد عن المنازعات التي تقع بين الجيران، وهو يردد قول الحق تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَعْزِزُوا مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَى﴾

(المائدة: ١٠٥)

لقد ابتلى الإسلام في عصور الضعف باتباع أصابهم القصور في الفهم، وحسروا هذا الدين العظيم في ركعات، قد تؤدي في رتبة بلا روح، والحقيقة أنهم لو قرأوا كتاب ربهم، وسنة نبهم ﷺ بوعى، لتغيرت أحوالهم الراهنة إلى أحسن الأحوال، فقد روى أبو داود والترمذي بسندهما عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَعْزِزُوا مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَى﴾

فقال: بل اتصروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأى برأيه، فعليك بخافة نفسك، ودع عنك أمر العوام، وإن من ورائكم أيام لصبر، الصابر فيهن مثل قابض على الجمر، العامل فيهن

مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله، قالوا: «يا رسول الله آخر خمسين منهم؟» قال: لا، بل أجر خمسين منكم».

فالرسول الكريم ﷺ طلب من المؤمن أن يكون إيجابياً في مجتمعه، فهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويشارك الناس كل مظاهر حياتهم، ويجب عليه أن يظل كذلك مادام هناك من يستجيب له، وما يؤكد هذه الإيجابية أن الرسول ﷺ - قد أشار إلى مقام الصبر، الذي يتعين التحلي به عند مباشرة هذا الأمر، والصبر لا يكون في مواطن الاحتكاك بالآخرين، ومعايشة ظروفهم وأحوالهم، فضلاً عن الأجر العظيم الذي يقابل هذه الإيجابية والصبر عليها، ولا سيما إذا كنا نعلم قدر الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم.

وما أخبره عنه ﷺ من أمور توحى بأن من الخير للمؤمن أن يلتزم نفسه، فهذا من إعلانات النبوة، عما يحدث في آخر الزمان، من أشياء تقتضي ذلك، وهي لم تقع بعد بصورة ملموسة، ولكنها مجرد تأويلات تقوم في أذهان من تقصر همته عن التفاعل مع المجتمع الذي يعيشون فيه.

والفهم الصحيح لموجبات هذه الآية، يقتضي على السلبية والتواكل في حياة المسلم، ويجعله نافعاً لنفسه ومجتمعه، فيكون أداة بناء لا معول هدم، بما تتحقق معه خلافته لله تعالى في الأرض، التي من أجل عمارتها خلق، ولا يتسرك ذلك لمن يخالفونه في عقيدة التوحيد الخالص.

إقالة عثرات الكرام

بينما كان رسول الله - ﷺ - جالسا مع أصحابه رضوان الله عليهم، إذ دخل الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه، وكان سيدا في قومه، فجلس حيث انتهى به المجلس، امتثالا للهدى النبوى في هذا المقام، فما كان من الرسول الكريم ﷺ إلا أن قدم إليه الوسادة التي كان يجلس عليها، تكريما له، لمنزلته الرفيعة فهو كريم بين قومه.

والكريم في الناس، لا بد أن يعامل بينهم بما يحفظ له هذه المنزلة، حتى ولو وقعت منه بعض صفائر الأمور، فقد روى النسائي والامام أحمد عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - والمرزيان عن جعفر بن محمد، أن رسول الله ﷺ قال: «ادعوا وادفعوا» الحدود بالشبهات.

وأقبلوا «أى اتركوا» الكرام عثراتهم «أى ذللتهم»، إلا في حد من حدود الله تعالى». وفي رواية أخرى: «أقبلوا ذوى الهيئات (أهل المروءة والحاصل الحميدة) عثراتهم، إلا الحدود». وفي رواية ثالثة: «تجاوزوا لذوى المروءة عن عثراتهم، فوالذى نفسى بيده، إن أحدهم ليعثر، وإن يده لفى يد الله تعالى».

ولكن يشترط للتجاوز عن هذه العثرات، ألا تصل إلى درجة الجريمة المعاقب عليها بواحد من حدود الله، تلك الحدود التي لا تقبل فيها الشفاعة، وقد استنكرها الرسول ﷺ من حبه أسامة بن زيد رضى الله عنهما، عندما ألح عليه القوم في الشفاعة لديه ﷺ.

في المرأة المخزومية التي سرقت، فقال له: «أتشفع في حد من حدود الله، يا أسامة؟!»، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطع محمد يدها، وقد قال العلماء: هذه العثرات هي الصفائر التي لا يجوز لولى الأمر التعزير عليها إذا رفعت إليه، ولكن يندب لمن جاءه نادم أقر بموجب حد أن يأمره بستر نفسه ويشير إليه بالكتم كما أمر المصطفى ﷺ ماعزا والغامدية، وكما لم يستفصل من قال: أصبت حدا فأقمه على، ويشترط أيضا أن يكون الشخص المتجاوز عن عثرته، من غير من عرف بالأذى والعناد بين العباد، فلا يقال له عثار، أى كثير العثرات.

وهذا الوضع معروف في القانون الوضعي، بنظام وقف تنفيذ العقوبة، فقد أعطت المادة ٥٥ من قانون العقوبات المصرى للقاضى سلطة تقديرية، فى أن يشمل حكمه الصادر بالحبس فى بعض الجرائم البسيطة، التى لا تزيد المدة المحكوم بها على سنة واحدة، بإيقاف تنفيذ هذه العقوبة، لمدة قد تصل إلى ثلاث سنوات، ولو كان هذا الإيقاف، شاملا لكافة الآثار الجنائية، إذا رأى القاضى من أخلاق الجانى وظروف الواقعة، أنه لن يعود إلى ارتكابها مرة أخرى، وهذا من باب إقالة عثرته التى وقعت منه، رغم هذه الظروف.

أداء حق المجتمع سبب لقبول الدعاء

من الملاحظ فى أيامنا المعاصرة، كثرة من يتوجهون إلى الله تعالى بالدعاء، وخاصة فى المناسبات الدينية المختلفة، ومع ذلك

فالأحوال التى تدعو الله أن يغيرها إلى الأحسن كما هى، بل قد تنغير إلى العكس، وباستقراء آيات الذكر الحكيم، عثرت على ما يزيل الخيرة الناجمة عن هذا الأمر، وهى فى قوله الحق تعالى:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا

وُخْفَةً إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُتَعَدِّينَ﴾ وَلَا تَقْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ

أَقْرَبَ مِن مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٥﴾

(الأعراف: ٥٥، ٥٦)

فقد طلب رب العزة تعالى من عباده أن يتوجهوا إليه بالدعاء، وهم على حالتى: التضرع والحقية، وأيضا وهم فى حالتى: الخوف والطمع، وهذه الأحوال خاصة ومتصلة بشخص الداعى ذاته، وقد يقصر الدعاء على نفسه، فلا يستفيد منه الغير، ولكن العظيم الذى يشير إليه القول المحكم هو أن الله تعالى، اشترط لقبول هذا الدعاء، أن تتحقق مصلحة لغير الداعى، وهى المحافظة على صلاح الأرض، كما أوجدها الله تعالى نافعة لجميع المخلوقات:

﴿وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا

وَمَقْهَرٌ أَخْلَافَةٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، يقتضى القول: بأن من عمد إلى إفساد ما هو صالح فى الأرض، سواء كان صالحا بطبيعة خلق الله له، أو كان صالحا بتدخل يد الإنسان فيه، ثم توجه بالدعاء إلى الله، ومنه الصلاة

التي هى عماد الدين، فلا ينتظر له قبولا، مهما كانت حاله، من التضرع أو الخفية، ومن الخوف أو الطمع، لأنه تعالى كما أخبر فى كتابه الكريم:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

(المائدة: ٢٧)

والإفساد فى الأرض متعدد الصور والأشكال، بما لا يمكن حصره فى أحدها، فهو كما يكون فى أعلى شعب الإيمان، وذلك بالشرك بالخالق تعالى، يكون فى أدناها بعدم إمطة الأذى عن الطريق، ومن عجائب هذا الزمان: أن تجد الرجل يؤدى العبادات المطلوبة منه، ويترك بيته وما يجاوره غير نظيف، والرسول الكريم ﷺ يقول فيما يرويه الترمذى بسنده عن سعد: «إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، فنظفوا أفئدتكم، ولا تشبهوا باليهود»، فلو صدق إيمان هذا الرجل، لما ترك بيته على هذه الحال، التى تعد إحدى صور الإفساد فى الأرض، التى تمنع من قبول الدعاء.

وليس الدعاء وحده هو الذى لا يقبله الله من المفسد فى الأرض، بل يمتد عدم القبول إلى سائر العبادات، لأنه إذا كان الدعاء وهو كما أخبر المعصوم ﷺ مخ العبادة لا يقبل من هذا المفسد، فلا يتصور أن يقبل منه ما دون ذلك من سائر الطاعات.

والله تعالى ولى التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،.

إيمان قلب

للاستاذ كامل محمود حبيب

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ قَوْمٍ مِنْهُمْ إِذْ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ يَهْمُوهَا فِي غَيْرِهَا وَقَدْ أَلْهَى اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَقَدْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّحْظَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الْفِتْنَةِ لَأَنْصُرُوا قُلُوبَهُمْ وَأَنْتَ لَا تَمْلِكُ مِنْ أَقْوَامٍ لَا يَتُوبُونَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَافِلُونَ الرَّجِيمُ

«التوبة: ١١٧-١١٨»

اندفع الجيش اللجب يوفض إلى غايته - إلى بلاد الروم - يطوى فجاج البداء في صبر، ويفتحم فيافي الصحراء في جلد، يقذ السير لا يهاب الموت ولا يخشى الردى ومن أمامه: الشقة بعبيدة، والمسلك وعمر، والعدو ذو قوة وذو عدد ومن بين يديه: القيظ تنوقد سمائمه فتدمغ الجلد، والسواقي تهب عاصفة فتسفع الوجه وتقذى العين، والضيق يطحن الصبر ويعبث بالقوة ومن خلفه،

في المدينة ظلال وارفة يهفو إليها القلب وتصبو إليها النفس.. ثم طال بالناس السفر وامتد الطريق، فاجتمعت عليهم فنون ثلاثة من العسرة: عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء، فاشتدت بالمسلمين الحال وغشيتهم الحنة: فكان النفر يأخذون التمرة الواحدة يلوكلها الواحد منهم حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه ليشرب عليها جرعة من ماء حتى تأتى على آخرهم فلا يبقى على التمرة إلا النواة، وكان القيظ اللافح يصيبهم فيحسون لذع الحرة في حلوقهم فيخيل إليهم أن الرقاب توشك أن تنقطع من شدة العطش، فلا يجد الواحد منهم مفزعا إلا أن ينحر بعيره فيعصر قرته فيشربه ويجعل ما بقى على كبده ولكن الإيمان كان يفعم القلوب فيدفعها إلى ميدان الجهاد في حماسة لا تعرف الخور، وفي جرأة لا ينسرب إليها الضعف، وفي بسالة لا تؤمن بالتردد. واندفع الجيش

يوفض إلى غايته.

وانطوت الأيام والجيش في سبيله، بجالد الشدة بالإيمان، ويصارع الغير بالعقيدة، ويكافح الخطب بالصبر وهو لا يحس أن أناسا بهم صعر إلى الثمار والظلال قد أبطأت بهم النية عن الجيش فتخلفوا عن الجهاد في غير شك ولا ارتياب، وهم نقر صدق لا يتهمون في إسلامهم ولا يغمزون في إيمانهم.. نقر صدق من بينهم كعب بن مالك بن أبي كعب أخو بني سلمة، وهو فتى أيد جلد، فارغ القوام وثيق الأركان، تتألق على جبينه سمات القوة والفتوة، ويتوثب من إهابة النشاط والشباب، لم يقعد به عن الجهاد نفاق ولا صرفته شهوة الدعة، ولكنه رأى أصحاب النبي ﷺ يتهاون للغزو فطفق بغدو لكى يتجهز معهم فيرجع - آخر النهار - ولم يقض شيئا، وإنه على ذلك لقادر ولم يزل يتمادى به الأمل حتى شمر الناس بالجد.

وأفاق كعب من غفوة الأمل فإذا الناس قد أسرعوا وتفرط الغزو، وهو في مكانه لم يقدر له أن بهم فيرنحل فيدرك الركب لشدة ما أحزنه أن يضرب في أرجاء المدينة فلا يرى له أسوة إلا رجلا مغموصا عليه في النفاق، مطعوننا عليه في الدين، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء!

وعاش الرجل زمانا غريبا في داره يضل في غاشية من خواطره السود ويضطرب في لجة من الندم، لا يجد

الراحة ولا الأمان ولا يلمس الهدوء ولا الاستقرار وهو يعجب - أشد العجب - كيف وسوس له الشيطان فتسردى في هاوية مالها من قرار وإنه لذو قوة وإيمان لا تعوزه الراحة ولا يغتفر إلى الزاد وإنه لمن أصحاب بيعة العقبة الكبرى سبق إلى الإسلام عن عقيدة ثابتة وجاهد الكفار عن إيمان عميق؟!

وتناهى إلى الرجل خبر عودة النبي ﷺ قافلا من غزوة تبوك فتعاورته الأوهام وساورته الهموم واغتممر في لجة من الخيرة والارتباك وخشى الرجل أن يلقي النبي ﷺ، وقد جللته الزلة ودنسته الخطيئة وأشفق على نفسه أن يبدو أمام المسلمين وهو يتعثر في ذنبه فيعجزه أن يلمس العذر أو أن يجيد الدفاع فحضره بشه وطفق يقلب الرأي يريد أن يزور كلاما يجد فيه الخلاص أو ينمق حديثا يدرأ به غضب الرسول ﷺ غير أنه أيقن - بعد لاي - إنه لن ينجو إلا بحديث فيه الصدق والإخلاص والصراحة جميعا.

وصبح رسول الله ﷺ قادما فأسرع إليه المتخلفون يعتذرون بالكذب ويحلفون بالباطل وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم النبي ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله.

وأقبل كعب بن مالك فلم فتبسم النبي ﷺ تبسم الغضب ثم قال «تعال» فجاء الرجل يمشى على مهل والحياء

يوشك أن يعثر نفسه والخلجل يكاد يبدد
فؤاده.. جاء يمشى حتى جلس بين يديه
فقال له «ما خلفك؟ ألم تكن قد اعتعت
ظهرك؟» فقال كعب «يا رسول الله إني
والله لو جلست عند غيرك من أهل
الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه
بعذر ولقد أعطيت جدلاً ولكني والله
لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث
كذب ترضى به عني ليرشكن الله أن
يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق
تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبي الله
والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط
أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك».

قال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد
صدق، فقم حتى يقضي الله فيك» ورأى
رجال من بني سلمة ما كان فشاروا
واتبعوا الرجل يؤنبونه علي ما كان منه
وحاولوا أن يرغموه علي أن يرجع إلى
النبي ﷺ فبعتذر إليه بما اعتذر به إليه
المتخلفون غير أن إيمان الرجل دفعه عن
أن يتسردى في الهاوية مرة أخرى
فمضى..

ونهى النبي ﷺ عن كلام كعب بن
مالك.. وعن كلام رجلين آخرين لقيا مثل
ما لقي كعب، هما: مرارة بن ربيعة
وهلال بن أمية.. فخاصم الناس الرجل
وتغيبوا له فأحس كأن في نظراتهم
سهاماً من المقت والكراهية تتناوشه
كلما مر بهم وكان الأرض وقد تنكرت
حين عافه الأهل واجتنبه الرفيق فما هي
بالأرض التي عرق وكان كعب شاباً قتيلاً

فما قعد ولا استكان فراح يشهد الصلاة
في مكابرة ويطوف بالأسواق في إصرار
ولكن واحداً من المسلمين لم يكلمه ثم
يأتي مجلس رسول الله ﷺ فيسلم عليه
وهو في مجلسه بعد الصلاة فما يظفر
منه برد السلام.

وطالت عليه جفوة المسلمين فأحس
مس الضيق في قلبه فانطلق إلى دار أبي
قتادة وهو ابن عمه وأحب الناس إليه
فتسور عليه جداره وسلم عليه فما رد
السلام فقال له يا أبا قتادة أنشدك بالله
هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت
فعاد فناشده فسكت فعاد فناشده فقال
له: «الله ورسوله أعلم!» ففاضت عينا
الرجل وتولى يضرب في الأرض وقد
أمضه الحزن وأرهقه الأسى يتخبط في
ظلمات من الضيق والألم فما راعه إلا
تبطن من الشام يدفع إليه كتاباً في سرقة
من حرير من ملك غسان يقول فيه: «أما
بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك
ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة
فأخق بنا نواسك» لقد قرأ كعب كتاب
الملك فما وسوست له نفسه بريئة ولا
اختلج قلبه بشك ولا خطفه بريق الأمل
ولا سيطرت عليه روعة السلطان هذا
القلب أقعمه الإيمان أخق فسمما بالرجل
علي النوازع الأرضية وغممرته العقيدة
الصادقة فسخر من بهرج الحياة وزيف
الدنيا وأشرق فيه نور السماء فترفع علي
رب الساج والصولجان لقد كان الرجل
سماوياً يعيش بين دقات النور الإلهي

يتعم بأفراح الجنة وهي تتألق في قلبه
ويسعد باللذة الروحانية وهي تتدفق بين
جوانحه فأعرض عن حديث الملك
الغساني لأنه حديث أَرْضِي قِية التراب
والطين معاً.

يا للقلب الكبير! لقد تساقطت
كلمات الكتاب علي قلب الرجل شواظاً
من نار فيه المهانة والاحتقار وفيه الرزء
والبلاء، لأن رجلاً طوعت له نفسه أن
يغمز إيمان كعب بن مالك وأن يعيب
بعقيدته.. وأحس كعب في كلمات الملك
الغساني معاني السخرية الجامحة
والامتهان المرير فنشر الكتاب أمامه مرة
أخرى قيدت له كلماته تتلوى كأنها
حيات توشك أن تنفث فيه سمومها
فتعصف به فأصابه الذعر والفرع،
فانطلق إلى التنور يسجره بالصحيفة
خشية أن يصيبه الأذى، ثم هام علي وجهه
أياماً يرسل الدمع في حسرة ولوعة لا
ترقاً عبرته ولا تحف.

ومضى أربعون يوماً منذ أن جلس
كعب أمام النبي ﷺ يحدثه حديث
الصدق والإخلاص والصراحة، ثم أرسل
النبي ﷺ رسولاً خزيمة بن ثابت إلى
الرجل يأمره بأن يعتزل امرأته فما تلبث
ولا تعوق ولا جادل.

ولكنه أحس العنت والبلاء، هذه ولا
ريب قاصمة الظهر، إن الرسول ﷺ لا
يأمر الرجل بأن يعتزل زوجته إلا أن
يكون كافراً وهي مسلمة، وشمل الرجل

حزن عميق حين رأى النبي ﷺ يوشك
أن ينزع عنه حلة الإيمان ليجلله العار
والضعة، فاستسلم إلى البكاء عسى أن
يكفر عن ذنبه أو ينفس عن أشجانه.

وقسا الرجل علي نفسه مرة أخرى
فابتنى خيمة علي ظهر جبل سلع يخلو
فيها إلى نفسه وإلى همومه، ويقضي
هناك عمره يستغى التوبة بما قرط منه،
وقد ضاقت عليه نفسه وضائق عليه
الأرض بما رحبت وظن أن لا ملجأ من الله
إلا إليه.

وصلى كعب صلاة الفجر صباح
خمسین ليلة في خيمته التي ابنتى فما
فرغ من الصلاة حتى سمع صوت صارخ
أرقى علي سلع ينادى بأعلى صوته
يا كعب بن مالك: أبشر فخر الرجل
ساجداً حين تبين له أن قد جاء فرج من
الله.. خر ساجداً والعيبرات تنزاحم في
محجريه فرحاً وسروراً وجاء البشير
فكساه كعب ثوبيه ببشارته، وهو إذ ذاك
لا يملك غيرهما، ثم استعار ثوبين
لبسهما، وانطلق ينأى رسول الله
ﷺ، فتلقياه الناس فوجاً بعد فوج
يهنئونه بالتوبة حتى دخل المسجد فسلم
علي رسول الله ﷺ فرد عليه السلام
وهو يبرق وجهه من السرور ويقول:
«أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك
أمك» فخر الرجل ساجداً شكراً لله،
والعيبرات تنزاحم في محجريه فرحاً
وسروراً.

قيمة الوفاء

للاستاذ الدكتور / محمود عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

تعنى مادة الوفاء: الكمال والتمام.. ومنه قوله - عز وجل -:

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُلْتُمْ ﴾

(الإسراء / ٣٥)

والوفى هو: الذى يعطى الحق، ويأخذ الحق. ومع الكمال والتمام يدخل فيه: الصبر: قال الجاحظ: «الوفاء هو: الصبر على ما يبذلّه الإنسان من نفسه، ويرهنه به لسانه. والخروج مما يضمنه بمقتضى العهد الذى قطعه على نفسه وإن كان مجحفاً به..»

من آثار الوفاء

الإنسان مدنى بطبعه.. ومن ثم فتعاونه مع الآخرين جزء من حياته.. ولتظل حياته هذه باقية لأبد من الوفاء وما يثمره من ثقة متبادلة تصون المجتمع

من الانهيار..

ولأنه كذلك مكلف: فقد قلّ فى الناس الأوفياء.. وذلك قوله - عز وجل -:

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾

(الأعراف / ١٠٢)

ومن أجل ذلك كان تشديد القرآن الكريم على الوفاء بالعهود ملحوظاً: يقول عز وجل:

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَثْوًى لَكُمْ وَآتُوا بِالْحَقِّ وَإِذَا كُنْتُمْ لِلْعَهْدِ حُرّاً فَآتُوا بِهِ وَمَنْ كَفَرَ بِالْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ مَا جَعَلَهُ يَمِيناً سَوْفَ يَحْمِلُ كَيْدَهُ بِمَا خَفَا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ عَذَابَهُ عَظِيماً ﴾

(الإسراء / ٣٤-٣٥)

جزاء الوفاء

الوفى: من يحبه الله - عز وجل -:

﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

(آل عمران / ٧٦)

بقدر ما ينال الحائن جزاءه على خيانه وتفريطه فى جنب الوفاء:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ عَهْدَهُمْ أَنْ يَمُوتُوا كَيْدًا وَأُولَئِكَ لَا يَخْلُقُ اللَّهُ فِيمَنْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ عَذَابَهُ عَظِيماً ﴾

(آل عمران / ٧٧)

وتأمل كيف كان الوفى محبوباً من قبل الله - سبحانه وتعالى - ومن أحبه الله - تعالى - كان سمعه الذى يسمع به.. وبصره الذى يبصر به.. ويده التى يبطش بها.. فى الوقت الذى يخسر فيه الحائن دنياه وآخرته، ثم هو ساقط من

(١) فتح البارى، ج ٢١٩/٨، تفسير القرطبي، ٩٨/٨.

عين الله - تعالى - كم مهمل، حطب للنار..

العهود.. والعقود

ولكن ما هو الفرق بين العهود.. والعقود؟

إن العقد هو: العهد المؤكد.. وهو يعنى: الجمع بين أمرين على نحو يتعذر معه فصلهما.

والأصل هنا هو موقفه من المشركين وقت إعلان البراءة منهم.. فقد قال: «من كان له عهد مع الرسول.. فهو إلى مدته»^(١)

وذلك قوله - عز وجل -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾

(المائدة / ١)

بالعهود التى بينهم وبين الله - عز وجل - وهى: ما كلفهم - تعالى - به..

ثم بالعهود التى بينهم وبين الناس.. وفى إطار تأكيد الوفاء بالعهد.. يتفر - سبحانه - من الخيانة بعد تأكيد العهد: وذلك قوله - تعالى -:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَعَتْ عُزْلُهُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَيَذَرُوهَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل / ٩٢)

وفي سلسلة من التحريض على الوفاء روى عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «اضمنوا لى سناً من أنفسكم أضمن لكم الجنة:

اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم» (١).

وهكذا كان الوفاء بالعهد سبيلاً إلى جنات عدن.. والوفاء بالدين بخاصة.

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين.. فيسأل: هل ترك لدينه فضلاً؟ فإن حدث أنه ترك لدينه وفاء.. صلى.. وإلا.. قال للمسلمين صلوا على صاحبكم» (البخارى: الفتح: ٢٢٩٨).

الوفاء.. فى مجال التطبيق

لم يكن «الوفاء» فى يوم من الأيام مجرد دعوى ينطق بها اللسان.. فإنه إذا كانت ثماره كثيرة وخطيرة.. فلا بد أن يكون عملاً تراه العيون.. وهو الأمر الذى أكدته آباؤنا الصالحون.. الذين بلغ إيمانهم بالوفاء حداً فرض عليهم أن يضعوا له مقاييس هى كالاختبارات التى يعرف بها الإنسان، إذا كان وفياً.. أم كان دعياً!

ومن أجل ذلك قالوا: «إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده.. فانظر

إلى: حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وكثرة مكانه على ما مضى من زمانه» (المستطرف / ٢٩١).

من دروس الوفاء

كان الفتى ملء سمع القرية وبصرها، بهاء ومضاء.. كان تلك الجنة التى وصفها الله - تعالى -:

﴿مِنْ تَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ﴾

(البقرة / ٢٦٦)

ومن أجل ذلك تهافت على اعتباره عشاق الدنيا.. لكن الله - تعالى - أراد أن تفوز به واحدة من «ذوات الدين».

وفجأة... تغير كل شيء:

﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾

(البقرة / ٢٦٦)

أصابه المرض.. وقهره الفقر.. وفرضت عليه المعركة.. بل فرضته على زوجته التى علمت أنها لنظل «صالحة» لابد لها من تجاوز هذا الامتحان العسير بتجاع..

وهذا هو الذى حدث:

فصلاح الإنسان لا وزن له ما دامت الحياة رخاء والريح سجيلاً (٢) وإنما كما

يمتحن الملاح فى المحيط الهادر - يتحقق هذا الصلاح بعد هبوب الإعصار.. إنه إذا كانت همومك كبيرة.. فأعد لها همة أكبر:

وهذا هو الذى حدث بالفعل.. حين صمدت مع زوجها.. وفى خندق واحد.. أمام هجمة الأعاصير.. فكانت له سلوى وكانت له عزاء..

وفجأة.. طلبت الطلاق!!

وتذكرت قوله - عز وجل -:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾

(النساء / ٣٥)

ذلك بأنه فى العلاقة الزوجية أسرار لا يدركها إلا الأقولون..

وربما لو انطلق أشباع الزوج وأشباع الزوجة.. لاختلط الحابل بالنابل ولم ندرك ما وراء هذا التغير من أسرار.. قد نجعل من الطلاق أمراً مقروضاً.. وتأكد لدى ما أومن به من ضرورة التراجع من قبل مجلس المصلح أمام إصرار أحد الطرفين «فلعل له عذراً وأنت تلومه».

وليس من حق مصلح أن يشقصى الحقائق.. التى يحتفظ بها كل طرف لنفسه.. مدركاً أن الاحتفاظ بها لون من الوفاء لشريك الحياة.

ورجعت إلى تاريخنا استغفريه.. فطالعنى ذلك الموقف:

عن «محمد بن معين الغفارى» قال: (٤) أنت امرأة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقالت:

يا أمير المؤمنين: إن زوجى يصوم النهار، ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة الله.. فقال لها:

نعم الزوج زوجك!

فجعلت تكرر عليه القول، وهو يقرر عليها الجواب.. فقال له «كعب الأمدى»: يا أمير المؤمنين: هذه المرأة تشكو زوجها فى ميعادته إياها عن فراشه!! فقال له عمر:

كما فهمت كلامها.. فاقض بينهما.. فقال كعب:

على بزوجها، فأتى به فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك. فقال: أفى طعام أو شراب؟ قال: لا.. فقالت المرأة:

يا أيها القاضى الحكيم أرشده

ألهى خليلي عن فراشى مسجده زهده فى مضجعى تعبئده

نهاره وليله ما يرقده ولست فى أمر النساء أحمده!

فقال زوجها:

زهدت فى فراشها وفى الخجل

إنى امرؤ أذهلتى ما نزل

(٢) رواه أحمد، ٣٣٢/٥.

(٣) المسحج: الهواء العليل بين الحر والبرد.

(٤) التكميل: ١٧٤ لابن الجوزى.

فى سورة النمل وفى السبع الطول
وفى كتاب الله تخويف جليل
فقال «كعب»:

إن لها حقاً عليك يا رجل
تصيبها فى أربع لمن عقل
فأعطها ذاك .. ودع عنك العلل (العلل)
ثم قال كعب: إن الله - عز وجل - قد
أحل لك مثني وثلاث ورباع:

فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن
ربك، ولها يوم وليلة.
فقال عمر لكعب:

والله ما أدري من أى أمريك أعجب؟
أمن فهمك أمرها، أم من حكمك
بينهما؟! .. اذهب فقد وليتك قضاء
البصرة ..
والموقف حافل بالدروس المفيدة ..
ومنها:

١- تخيلت نفسى هناك فماذا تقول
«الجماهير»؟

إنهم يعلنون عدم رضاهم عن تصرف
زوجة تشكو زوجها العابد الزاهد
للحاكم .. وهو «عمر» بالذات؟! .. ولكن
الأمر مضموم على سر خطير لا يدركه إلا
المجربون على ما قيل:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده
ولا الصباية .. إلا من يعانىها!
٢- مجلس الخليفة عامر
بالناصر حين .. اغلصين .. وليس

بالمناققين المتزلفين .. وهى القيمة التى
تحدثت إلى حفيده «عمر بن عبد العزيز»
- رضى الله عنه - حين عين - فور تسلمه
زعامة الخلافة - من يدله على أى تجاوز يقع
فيه! ..

وتحمل هؤلاء اغلصون مع رأس الدولة
هموم الأمة .. ولم يتركوه يصارع الموج
وحده ..

٣- لم تحيى الزوجة شاكية ولا
باكية .. ولكن كان همها الأكبر أن تلقن
الرجال درساً فى الحياة .. قد يغفلون
عنه .. وتأمل من أدبها لما قالت:

(وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل
بطاعة الله)

تماماً كهذه المرأة التى جاءت رسول الله
ﷺ تشكو أباهما الذى زوجها ممن لا
تريده: فقد أمضت قرار أبيها .. لكنها
فقط تريد إعلام الأمة بحقيها ومن على
شاكرتها:

وقد كان شيخنا المرحوم «محمد
الغزالي» يقول:

إن أفضل نداء: يا عباد الله .. فهو
أكمل من: يا أيها المواطنين، ذلك بأن
نسب السماء أبقي من نسب الأرض ..

وكذلك هنا: فقد تجاهلت الزوجة
مشاعرها .. لأن زوجها راعع ساجد لله -
تعالى -

وأذكر هنا ذلك الزوج الذى كان يعود
من عمله كل يوم ليجد امرأته
تصلى!! .. فأنكر عليها أن يتحول

البيت إلى «مسجد»!! .. ولم تكن
بالرجل كراهة للمسجد ولا للساجدين ..
وإنما هو حقه .. بعدما يكون قد رأى فى
الشارع العام من مشاهد تشير غضب
الخليع! ..

٤- كان سيدنا عمر - رضى الله عنه -
على غاية ما يكون الذكاء .. ولكنه فى
ناحية الأسرة لم يكن مجرباً .. فاحترم
التخصص لما أحال «القوس» إلى «باريها»
وهو: كعب - رضى الله عنه - ولم يقدح
ذلك فى خلافته .. لأن هموم الإدارة لم
تترك له بقية لمثل هذه المشكلات التى
يتصدى لها أهلها.

٥- كان من فقه المرأة أن تحتفظ بسرها
مع زوجها .. مهما كان الثمن غالياً ..
إن سرك فى دمك .. فإن أفشيت ..
نزف من عروقك إلى عروق الآخرين ..
وإذا كان الإنسان يحمى ما فى يده من
هجمة اللصوص .. فأحرى به أن يحمى
أسراره .. لماذا؟ ..

أ- لأن من يفشى سره .. يتحكم فيه
غيره.

ب- وأيضاً .. من يفشى سره .. يكثر

أعداؤه.

يقول البقاعى هنا:

إن أمر ما بين الزوجين مؤخر حكمه
إلى لقاء الله - عز وجل - حفيظة على ما
بين الزوجين، ليبقى سرّاً لا يظهر أمره
إلا الله - تعالى - .. وهو:

(إبقاء للمروءة فى ألا يحتكم
الزوجان عند حاكم فى الدنيا، وأن
يرجع كل واحد منهما إلى تقوى الله
وعلمه بلقاء الله).

وقد أحسنت هذه الزوجة صنعا عندما
ابتلعت آلامها .. ولم تشك إلى واحد من
الصائدين فى الماء العكر .. ولكنها
انجسبت إلى الفساروق - رضى الله عنه -
ومثله من يحفظ السر ويحكم بالعدل ..
لا بل يختار من يحكم بالعدل .. وهو
«كعب» - رضى الله عنه - والذى أصدر
أمره ليكون محافظاً للبصرة .. خصوصية
فيه .. وليست حاجة من حاجات
الدنيا .. وكان اختياره دليل إخلاصه وآية
حبه للعدل والعادلين فى شخص واحد
من رجاله الذين كانت كفاءتهم فى الأداء
«مقتضياً» ولم تكن «مانعاً» ..

ظرائف.. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وقال آخر:

ومن يستدع ماله من سوس نفسه
يدعه وبغايه على النفس خيمها

الرضا عن النفس

قال بعض الحكماء: من رضى عن نفسه، أسخط عليه الناس.

وقد بين الشاعر ابن كشاجم، سبب هذا الإسقاط فقال:

لم أرض عن نفسي مخافة سخطها
ورضى الفتى عن نفسه إغضبها
ولو أننى عنها رضيت لقصرت
عما تزيد بمثله آدابها
وتبينت آثار ذاك فأكثرت

عذلى عليه فطال فيه عتابها

من كلام ابن عباس رضى الله عنهما

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما:-
كتب إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:-

مضار التكلف

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول:

﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾

(ص: ٨٩)

وقال حكيم: من تطيع بغير طبعه، نزعته العادة حتى ترده إلى طبعه، كما أن الماء إذا أسخنه وتركته عاد إلى طبعه من البرودة، والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لا تنمر إلا مرة.

وقال غيره: ليس الفقه بالتفقه، ولا الفصاحة بالتفصيح، لأنه لا يزيد متزيد في كلامه، إلا تنقص يجده في نفسه.

وقال حفص بن النعمان: المرء يضع نفسه، فمتى ما تبلى ينزع إلى العرق (أى متى ما تختبره يستحل إلى أصله)

وقال العرجي:

يا أيها المتحلى غير ميمته

ومن شمائله التبديل والملق

ارجع إلى خلقك المعروف ديدنه

إن التخلق يأتى دونه الخلق

أما بعد.. فإن المرء يسره إثراك ما لم يكن ليفوته، ويسوءه فوت ما لم يكن ليذكره، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فات منها، وما نلت من أمر دينك فلا تكن به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً، وليكن همك ما بعد الموت.

الاستدلال بالضمير

كتب حكيم إلى حكيم: إذا أردت معرفة ما لك عندي، فضع يدك على صدرك فكما تجدني كذلك أجلك.

وقال غيره: إياكم ومن تبغضه قلوبكم؛ فإن القلوب تجازى القلوب.

وقال ذو الإصبع:

لا أسأل الناس عما فى ضمائرهم

ما فى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

وقال محمود الوراق:

لا تسألن المرء عما عنده

واسئل ما فى قلبه من قلبك

نقول: هذا قد يصح إذا كان القلب سليماً من همزات الشياطين، صافياً نقياً تنطبع فيه الأمور للنعوية كما تنطبع الصور فى المرآة. وأين مثل هذه القلوب إلا للأنبياء والصديقين والحكماء؟ أما العامة ومن فى حكمهم فقلوبهم معشاة بالأهواء، صدئة بالظنون والأوهام؛ فلا يجوز أن يوثق بما تصوره لأصحابها، ومن يفعل ضلته ولا كرامة.

حكمة بالغة

عرضنا أنفسنا عزت علينا
عليكم فاستبد بها الهوان

ولو أنا منعناها لعزت
ولكن كل معروض مهان

الأخ الحق

من كلام المثقب العبدى:

فإيا أن تكون أخى بحق

فأعرف منك غشى من سمىنى

والأفطر حتى، واتخذنى

عدواً أتقيك وتتقبنى

فإنى لو تعاندىنى شمالى

عنادك فاصلت بها يمينى!

أمثال سائرة

لابن عبدربه مؤلف: العقد الفريد، شعر جيد منه
ما جعل فى كل بيت منه مثلاً أو مثليين مثل قوله:

قالوا شبايك قد ولى فقلت لهم

هل من جنديد على كسر الجديدين

صل من هويت وإن أبدى معاتبه

فأطيب العيش وصل بين الفين

فأقطع حبائل خل لا تلاحمه

فرما ضاقت الدنيا بالثنين

فكرت فيك أبحرأت أم قمر

فقد تحير فكري بين هذين

إن قلت بحراً وجدت البحر منحراً

وبحر جودك تمتد العبابين

أو قلت بلداً رأيت البدر متقصا

فقلت شأن ما بين البزديين

نفقة هي خير وصدقة

لفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي شحاتة

الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية

هذه الصدقة نوع من أنواع الصدقات التي لا تكلف المسلم شيئاً، إنها طعام المؤمن وشرابه، وكسوته وسائر متطلبات أمور حياته المعيشية له ولزوجته وأولاده ومن تلزمه نفقتهم، فهل يصدق أحد أن ما سبق من إنفاق يمكن أن يكتب للمسلم صدقات طيبات مقبولات عند الله تعالى؟! نعم.. إن المؤمن يصدق ذلك ويعلمه فالله الرحمن الرحيم قد فتح للمسلم أبواباً للخير لا تعد ولا تحصى.

من ذلك أن جعل الله إنفاق الزوج على زوجته وعياله ومن تلزمه نفقتهم صدقة عظيمة مقبولة، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ «دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقية، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك» (١)

وروى مسلم، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة.

وصايا حربية

قال أبو بكر خالد بن الوليد حين أرسله في حرب الردة: «اعلم أن عليك عيونا من الله تراك وترعاك؛ فإذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك الحياة، ولا تغفل الشهداء؛ لأن دم الشهيد يكون له نوراً يوم القيامة».

وأوصى هارون الرشيد أحد قواده فقال: «أنت تاجر الله في عباده؛ فكن كالضارب الذكي إن وجد ربها أتجر، وإلا احتفظ برأس المال ولا تطلب الغنيمة قبل أن تتأكد من السلامة وكن أحرص من عبوك، فإنه يحتال عليك كما تحتال أنت».

من يعتمد في المشورة

قال حكيم: لا تدخل في مشورتك بخيلاً في عطاء فيقصرك، ولا جباناً في حرب فيخوفك، ولا حريصاً في بلل فيصدك؛ فإن البخل والجبن والحرص طيبة واحدة يجمعها سوء الظن بالله.

وروي أن زياداً - وكان من كبار الولاة في القرن الإسلامي الأول - استشار رجلاً في أمر، وكان متحفظاً فامتنع من إبداء رأيه قائلاً له: حق المستشار أن يكون ذا عقل وافر، واختيار متظاهر، ولا أرائي كذلك.

وقال حكيم: لا تشاور الجائع حتى يشبع، ولا العطشان حتى يروى، ولا الأسير حتى يطلق، ولا المقل حتى يجد، ولا الراغب حتى ينجح.

وقال شاعر:

خصائص من تشاوره ثلاث

فخذ منها جميعها بالوثيقة

وداد خالص ووفور عقل

ومعرفة بحالك في الحقيق

فمن حصلت له هذي العناني

فتابع رأيه والنزم طريقه

وقال شاعر غيره:

وإذا الأمور عليك يوماً أنشكت

فاعمد لرأي أخ تصيح مرشد

واحفظ نصيحة من بدا لك وده

وبرأي أهل الخير جهدك فاهتد

وقال آخر:

فما كل ذي ود بموليك نصحه

ولا كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعا عند واحد

فحق له من طاعة بنصيب

السيادة

نظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال: إني أظن أن هذا الغلام سيسود قومه؛ فسمعت أمه هند فقالت: ثكلته إذا لم يسد غير قومه.

ودخل ضمرة بن أبي ضمرة على النعمان بن النضر وكانت به دعامة شديدة، فالتفت النعمان إلى أصحابه وقال: تسمع بالمعدي خير من أن تراه.

فقال ضمرة: أيها الملك إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإن قال قال ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان. قال النعمان: صدقت، وبحق سودك قومك.

الدعاء

(اللهم إنا دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا، إنك لا تخلف الميعاد، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين).

«أفضل دينار ينفقه الرجل، دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله» (١).

ويقول رسول الله ﷺ:

«إذا كان أحدكم فقيراً قليلاً بنفقه، فإن كان فيها فضل فعلى عياله، فإن كان فيها فضل فعلى ذي قرابته، أو قال: «على ذي رحمه، فإن كان فضل فيها هنا وها هنا» (٢).
«إذا كان أحدكم فقيراً، أي: لا مال له ولا كسب يقع موقعاً من كفايته «فليبدأ بنفسه» أي يقدمها بالإتفاق عليها لما أتاه الله «فإن كان فضل يسكون الضاد، أي: شيء زائد بأن فضل يعد كفايته زيادة «فعلى عياله» أي الذين يعولهم وتلزمه نفقتهم «فإن كان فضل فعلى ذي قرابته» من أصوله وفروعهم وذو رحمه يقدم الأقرب فالأقرب، والأحوج فالأحوج «فإن كان فضل فيها هنا وها هنا» كناية عن الإتفاق في وجوه الخير للمعبر عنه في رواية أخرى باليمين والشمال» (٣).

الأفضل في الصدقة تنويعها

قال الإمام النووي: «إن الابتداء في النفقة على هذا الترتيب وأن الحقوق إذا تزاوجت قدم الأكيد فالأكيد، وأن الأفضل في صدقة

التطوع في تنويعها في جهات البر».
وقال أيضاً:

مقصود الباب الحث على النفقة على العيال وبيان عظم الثواب فيه، لأن منهم من تجب نفقته بالقرابة، ومنهم من تكون مندوبة وتكون صدقة وصلة ومنهم من تكون واجبة بملك التكاح أو ملك اليمين، وهذا كله فاضل محتوث عليه، وهو أفضل من صدقة التطوع، ولهذا قال ﷺ في رواية ابن أبي شيبه: «أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك» مع أنه ذكر قبله النفقة في سبيل الله وفي العتق والصدقة ورجح النفقة على العيال على هذا كله لما ذكرناه وزاده تأكيداً بما رواه أبو داود في سننه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت» (٤).

وعن المقدم بن معدي كرب قال:

قال رسول الله ﷺ: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة» (٥).

ثواب النفقة الواجبة

وهذا يعني بكل وضوح أن الله - تعالى - يثيب المؤمن عن النفقة الواجبة عليه لنفسه وزوجه وأولاده وخادمه كشواب الصدقة بل

أعظم، كما ثبت في الأحاديث السابقة.

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تصدقوا» قال رجل: عندي دينار. قال: «تصدق به على نفسك» قال: عندي دينار آخر. قال: «تصدق به على زوجك» قال: عندي دينار آخر. قال: «تصدق به على ولدك» قال: عندي دينار آخر. قال: «تصدق به على خادمك» قال: عندي دينار آخر. قال: «أنت أبصر به» (٦) يعني أنت أدري بذوي قرباك.

والسؤال المهم الذي تطرحه هنا هو: هل كل مسلم يتفق على نفسه وأولاده وخادمه يكون له - في نفقته تلك - ثواب الصدقة؟ أم أن لذلك شروطاً؟! والإجابة عن ذلك أن ليس لكل مسلم ذلك، بل يشترط في نفقته لتكون صدقة مقبولة أن ينوي بها التقرب إلى الله - تعالى - وهذا القيد جاء صريحاً في الحديث.

إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة (٧).

ففي هذا الحديث الشريف بيان واضح على أن المراد بالنفقة التي تكون صدقة

للمسلم هي التي ينفقها على أهله وهو يحتسبها، أي: يريد بها وجه الله تعالى، بمعنى أن يتذكر أنه يجب عليه الإتفاق على زوجه وأطفاله وخادمه وغيرهم ممن تجب عليه نفقتهم.

الصدقة.. بين اليقين والفضلة

وما تقدم: فلا يدخل في الصدقة ما أنفقته المسلم على نفسه أو عياله وهو ذاهل أو غائب عن احتسابها، والتقرب بها إلى الله - تعالى - طاعة وامتنالاً لأمره، وما يوضح ذلك ما رواه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك».
وعسيرة في في امرأتك أي في فم امرأتك أي تشاب على ما تنفقه على زوجتك من طعام وغيره.

وعلى هذا فالفرق عظيم بين من يتفق على أهله وفي يقينه الله الحميد الغني وبين من يتفق على أهله وهو غافل عن ربه لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».

(٧) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي.

(٨) رواه البخاري ومسلم.

(٢) سنن أبي داود.

(٥) سنن أبي داود.

(٦) رواه مسلم عن ثوبان.

(٤) مصنف عبد الرزاق.

(٦) سنن الإمام أحمد بن حنبل.

الكبرى، وتنتشر هذا الدين شرقاً وغرباً، وتحقق من المعجزات ما عجزت عن بعضها كل دعوات الإصلاح السابقة واللاحقة في زمن قياسي...!!

«ففى عشر سنين، تم توحيد الأمة العربية، التى كانت أعرق أم الأرض فى الشقاق والتفرق والعداء، وإنما كان ذلك بتأثير كتاب الله وتأييده - عز وجل - لرسوله

﴿هُوَ الَّذِي بَدَأَكُمْ فَعَالَكُمْ وَأَبَاكُمْ وَأُمَّكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ الْكُتُبَ وَالْأَقْلَامَ وَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا يَدُ الْوَحْدَانِ لَكُنْتُمْ أَفْكَارًا﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]

وبما أعده الله تعالى له من إتمام مكارم الأخلاق، وما وفقه وأرشدته إليه من حسن السياسة المبينة فى قوله تعالى:

﴿فَمَا رَحْمَتِي أَكْبَرُ لَهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

وذلك أن العرب كانت أعصى خلق الله على الخضوع والطاعة والانقياد،

لعراقتهم فى الحرية، وشدة بأسهم، وعدم ابتلائهم بالملوك المستبدين القاهرين، والرؤساء الروحانيين المسيطرين، الذين يذللون الأمم ويخضعون لها لكل ذى سلطان قوى،^(١)

لقد كان نجاح محمد ﷺ فى نشر دعوته فى هذه المدة الوجيزة، التى لم تتجاوز العقدين من الزمان إلا يسيراً، حتى اقتحم على الفرس وعلى الروم أعنى حصونهما، بما أرسل إليهما وإلى باقى ملوك وحكام الأمم المحيطة بالجزيرة العربية برسالته الخالدة:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

[آل عمران: ٦٤]

«فإن توليتم فعليكم إثم الجحوس...»
«فإن توليتم فعليكم إثم الأريسين...»
لقد كان نجاح محمد ﷺ وأصحابه من بعده فى نشر هذا الدين فى هذه المدة القليلة، معجزة فى ذاته، ما كان هذا النجاح إلا بفضل ما أنزل الله - عز وجل - على قلبه الظاهر من آيات هذا الكتاب الخالد، ولم يكن محمد ﷺ من أمر إلا أنه

(١) الشيخ محمد رشيد رضا «الوحى الحمدى» ص ٢٢٦.

بلغه إلى الناس كما جاءه من عند ربه، بواسطة أمين الوحى جبريل - عليه السلام - وكما استقر فى نفسه الظاهرة.

قلو أن هؤلاء الطاعنين على الإسلام، وقفوا أنفسهم وأبحاثهم على البحث الجاد فى حقيقة الإسلام، وفى تكوين شخصية رسوله ﷺ وكيف أعده الله - عز وجل - لتحمل هذه الرسالة - وهذا شيء ممكن فى ظل تقدمهم الكبير فى العلوم التحليلية النفسية والاجتماعية من جانب، وتوفير المعلومات الدقيقة حول شخصية هذا النبى الكريم من جانب آخر - لو أن هؤلاء الطاعنين على الإسلام، وقفوا أنفسهم فى صدق وأمانة على هذه الدراسة، وكيف اختار الله من بين العرب هذه الثلة من الرجال العظماء الذين حملوا راية هذا الدين من بعده - عليه السلام - ولو أنهم درسوا كتاب الله - تبارك وتعالى - دراسة مستفيضة يبعثون من ورائها الوصول إلى الحقيقة الخالصة، مجردة من كل حكم مسبق، لما كانت هذه الأحكام التى يصدرونها ضد هذا الدين.

«إن سوء فهم الإسلام فى الغرب بصفة عامة يرجع أساساً إلى تشويه متعمد للإسلام منذ قرون طويلة، فالحملات



الضارية ضد الإسلام اليوم، ليست وليدة ظروف جديدة طارئة، وإنما هى نتيجة ترسبات قديمة ترسخت فى العقلية الغربية منذ الحروب الصليبية، بل حتى قبل الحروب الصليبية، حينما فتح المسلمون الأندلس، وحينما فتح العثمانيون فيما بعد القسطنطينية وحاصروا العاصمة النمساوية فيينا.

«وقد شهدت العصور الوسطى فى أوروبا الكثير من الاضطرابات ضد الإسلام والمسلمين وراح اللاهوتيون النصرانيون فى ذلك الوقت المكر ينشرون الاضطرابات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه ﷺ»^(٢).

إن عظمة الإسلام ونبيه الكريم ﷺ ليسا فى حاجة - من أجل الاعتراف بهما والدعوة إليهما - إلا إلى فكر مستقل، وعقل لا تعلوه غشاوة التعصب، وقلب لا يرين عليه صدأ الأحكام البالية، وأذن تحسن الاستماع إلى كلمة الحق، ولكن صدق الحق فيما قال:

﴿وَلَوْ عِلمَ أَهْلُ الْغَيْبِ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾

(الأنفال: ٢٣)

(٢) «الإسلام والغرب» - محمود حمدي زقزوق - ص ١١٩.

تأملات أصولية حول دلالات الألفاظ

٢

لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدي

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾

(البقرة: ٢٨٢)

جلس إلى صاحبي وهو يردد هذه الآية الكريمة في صوت متهدج متأنيا متأملا أمرها ونهيها وشرطها كأنه يستدرجني للحديث أو يستحثني للحوار ثم قال: أعجبني قولك في اللقاء السابق: إننا استنبطنا من الآية حكما لم يرد صراحة في النص فذلك إعمال جيد، وفهم مستقيم. قلت على الضرورة صوباً: ليس هذا قولي إنما هو قول علماء الأصول فهم الذين روينا عنهم أن الآية بمنطوقها تضمنت لازماً لها لم يرد صراحة في النص لأن قوله تعالى: (فاكتبوه) أمر وعليه فمن كان له دين ثابت بالكتابة فالورقة المحررة المكتوب فيها الدين دليل في الإثبات فلست في حاجة مع وجود الورقة المكتوبة إلى شهادة شهود أو إقامة أدلة أخرى.

قال صاحبي مبتهجا مسرورا: ما أجل علم أصول الفقه وأعظم رجاله ثم أردف قائلا: وأنا أرى أنك حفي به كأنما تعشقه فأراك تتحين أي فرصة للحديث عنه وإبراد مسأله وموضوعاته وقد سمعت منك ذات يوم عبارة تردها في شغف نقول فيها: (ليس الفقيه من يقول هذا حلال وهذا حرام إنما الفقيه من

يعطي الرخصة عن ثقة ومن يستخرج الحل من أدلة الحرمة) ثم قال ملاطفاً: أرجو أن توضح لي معناها على أن أشاركك غبطتك وشغفك!!!

قلت مجيباً صاحبي في ود صادق: حتى يتضح المعنى لابد من التمثيل

فبالمثال يتضح المقال:

وقبلاً أرجو أن تحدد الفرق بين الفقيه وبين من يحفظ حكم بعض المسائل ولكنه لا يستطيع أن يقول رأياً فيما يعرض له وإن كنا نحمد له أمانة النقل وجودة الحفظ إلا أنه ليس الفقيه الذي تريده أو نقصده، إنما الفقيه الحق العارف بعلم الأحكام وتأسيس المسائل وتأسيسها على الأدلة فهذا عنده علم بالأصول وقواعد تخريج الأحكام على المسائل الفرعية واثق من أدلته يعرف ما يقول ويفهم كيف كان الحكم ولم كان هذا ولم يكن ذلك؟ فإذا أفتى في مسألة أو أجاز رخصة فذلك عن ثقة بالأدلة وفرق بين هذا الفقيه العالم بالأدلة والقواعد الذي يقول عن علم ويصدر عن قناعة بقواعده، فرق بين هذا وبين مغرور مخدوع أو حافظ مردد يقول عن ادعاء أو يصدر عن جهل ويفتري لطلب الدنيا وإرضاء لهوى متبع أو مناصب زائلة ومسكين معجب بمدح الناس لأنه صادف حكماً أعجب الناس. ثم قلت لصاحبي: أرى أنه حان وقت المثال لتوضيح ما نحن بصده- وهو كيف تستخرج الحل من أدلة الحرمة؟ ثم قلت لو أن وباء حدث في بلد ما- عفانا الله وإياك- وبذلت جهوداً خاصة الوباء ثم صدر بيان بتحديد الأماكن الموبوءة وتحريم القرب منها والدخول إليها ألا ترى أننا نأخذ من هذا الحظر وتحديد الأماكن الموبوءة إباحة الأماكن الأخرى. وكذلك الأحكام الفقهية وكذلك فهم الفقيه

العالم الذي يعمل في ضوء قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

(الحج: ٧٨)

أعتقد أن هذا مثال جيد (لاستخراج الحل من أدلة الحرمة) في مثالنا لا يوجد دليل ولا نص على إباحة أماكن بعينها في هذا البلد المصاب لكن الفقيه العالم البصير استخرج بفهمه وبصيرته دليل الإباحة من صميم أدلة المنع! قال صاحبي- وعينه تبرقان بومضة ذكاء وقاد: نعم، لقد وضح الأمر واستبان لي أن فقهاءنا يتزعون عن فقه مستقيم وعلم مؤسس على قواعد راسخة ثم قال- وكأنه يريد أن يصاول أحداً بترائه وتالد عزه: هل من دليل آخر على ما قلت يطبق هذه القاعدة؟ قلت مرحباً لك ما قلت أمثلة وليس مثال قال: لا يكفيني مثال واحد ودليل واحد فيه استخراج الحل من أدلة الحرمة قلت: لا، سوف أتى لك بمثالين الأول قوله ﷺ: (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه)^١ فهذا دليل على تحريم بكاء أهل الميت عليه وأنه يعذب ببكائهم عليه.

نعم، قال الفقهاء: إن هذا مقيد بما إذا أوصى هو بأن يكوا عليه ليس ذلك الذي يعينني الآن لكن الذي يعينني وشاهدي فيما نحن بصده أن عمل أهل الميت السيئ وهو البكاء عليه يصل وزره إلى الميت ويعذب عليه مع أنه لم يعمل هو أليس كذلك بموجب النص؟

قلت: نأخذ من هذا حكمين الأول تصوير لفهم خاطيء درجنا عليه زمنا ونمسك أو قل: تعنت في قسره وقصره وحصره أناس لأغراض في نفوسهم أو لتسرع أو عدم وعي بالألفاظ والنصوص، وضيق أفق جروا عليه وتصورا أن الفقه هو كم معلومات محفوظة يرددونها وكفى بذلك علما. أقول: نحن لا ننكر أن المعلومات والنصوص شيء مهم وضروري لكن يبقى بعد ذلك وقوفه ما يتفاوت فيه الناس هو مقابلة النصوص وإعمال المتعدي منها والقاصر في حدوده لا يتجاوزها إلى غيره في ضوء يسر الشريعة وقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

(الحج: ٧٨)

وقوله ﷺ: (يسروا ولا تعسروا)^٢. حيث إن كثيرين فهموا قوله ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)^٣ فهموا الحديث بل قل: حجروا وضيقوا الفهم حتى جعلوه لا يصل إلى الميت ثواب أي عمل بعد موته إلا هذه الثلاث: مع أن نص الحديث لا يؤيد هذا، ولا يشير إليه وإذا فهمنا الحديث فهما مستقيماً دون أفكار ملثوية مسيئة أو جمود متعنت.

نقول: إن الحديث يرشد إلى أن عمل الإنسان ينتهي بموته فما عاد يعمل لأن الدنيا

دار عمل لا جزاء والآخرة دار جزاء لا عمل فلا يمكن للإنسان أن يعمل بعد موته فقد انقطع عمله وتوقف رصيده من الحسنات فلا زيادة فيه عن طريقه هو فلا يملك أن يعمل ولا يستطيع فعله أن يبادر بالعمل في دنياه حال حياته والحديث استثنى هذه الثلاث في رأينا لسببين: السبب الأول ليحث الإنسان على أن يعمل خيراً ويزيد في حسناته في حال دنياه. السبب الثاني: أنه يدفع الإنسان لهذه الأعمال الثلاثة فيترك بعده من ماله صدقة جارية تنفع المسلمين بعده وتزيد في حسناته، كما أنه حث للعلماء أن ينشروا العلم في حياتهم فنشر العلم وتعليمه للناس له فضل كبير وثواب عظيم فالعالم الذي يعلم الناس أمور دينهم أو دنياهم له ثواب من عمل بعمله دون أن ينقص من أجر العالم شيء، أعتقد أن هذا الفهم الرحب المستنير هو ما يرمى إليه الحديث وإذا أضفنا إلى هذا الولد الصالح الذي يدعو له وإذا علم الإنسان أن حسن تربيته لولده وأسس التربية كما أنها تكون بالكلمات فإن من أنفعها قدوة صالحة فإن رآه ولداً باراً بأبيه تدعو له وتترحم عليه وتنشر علمه فعل مثلك عندما تلقى الله؛ فالحديث حث على هذه الثلاثة فهو دفع لعمل الخير بالصدقة الجارية وحث على بذل العلم وتدوينه وتعليمه للناس ولم تكن مأساتنا في الثلاث ابن سعد هينة ولا خافية ولا منكورة فالعالم الجليل الذي قيل: إنه كان أفقه من

مالك إلا أن تلاميذه أضاعوا فقهه لأنهم لم يعلموه للناس ولم يدونوه كما فعل تلاميذ الإمام مالك وأبي حنيفة والشافعي - رضي الله عنهم وعن تلاميذهم - وهذا هو منهج الإسلام في العلم وبذله للناس وهذا المنهج الإسلامي العظيم دعا إليه وتميز به.

الحكمة الثانية أو السبب الثاني الذي يمكن أن نستخلصه من الحديث في ضوء الفهم الواعي الشامل للرسالة الخمدية نقول في ضوء هذه العبارة - ونحن نستخرج الحل من أدلة الحرمة - ما دام العمل السيئ من الغير وهو بكاء أهله عليه يصل - جزاؤه إلى الميت - وهو من غير الأعمال الثلاثة التي أسلفنا الكلام عنها وبيننا سبب وصول ثوابها للميت بعد موته:

إن المقصود في الحديث هو حث الإنسان ودفعه لإتيانها وعملها والحرص عليها قبل موته وما دام الأمر كذلك فلماذا تمنع ثواب عمل صالح ونرفض أن يصل ثوابه إلى الميت وخصوصاً أننا نعتقد أن العمل الصالح تصاحبه نية من الفاعل بأن يهب ثوابه للميت أما العمل السيئ - بكاء أهل الميت - فلم يشترط الحديث معه نية وفي ضوء هذه المعطيات والمسلمات لا نستطيع أن نقول أو نمنع - إن كان بيدنا المنع أو كنا نقدر عليه - وصول ثواب الأعمال الصالحة لكن بزوال الإشكال - ويتعبير أكثر دقة وصراحة ووضوح لا إشكال فكل المعطيات والمسلمات

توصلنا إلى معنى واضح مستقيم وهو أنه ما دام وزر الأعمال السيئة يصل للميت بعد موته - مع أنه لم تصاحبه نية - فمن باب أولى بل من أوسع الأبواب وهو باب رحمة الله التي وسعت كل شيء وفي ضوء النصوص الواضحة والفهم المستقيم لها نقول: إن ثواب الأعمال الصالحة يصل إلى الميت خصوصاً وأنه تصاحبه نية هبة ثواب أعمال الناس إلى موتاهم. قال صاحب: أبين الدليل الآخر على أن الفقيه الحق هو الذي يستخرج الحل من أدلة الحرمة؟

قلت: أرجو أن تتأمل في أناة وروية قول رسول الله ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبضه بموت العلماء فإذا لم يبق من عالم اتخذ الناس رؤساء جهال فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا...) الحديث^٤.

ثم قلت: أسمح لي أن أعود إلى منظور الحديث ومحل الشاهد الذي يعيننا هو قول النبي ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العباد ولكن يقبضه بموت العباد) ثم قلت: لصاحبي في نبذة جد واهتمام ألا تفهم وتستشف من كلمات الرسول ﷺ المباركة حرزاً للعلماء يأمنون به على ما في صدورهم من علم فلا يخافون محوه في ليل أو نهار بين عشية أو ضحاها أليس في هذا أمان؟!

٢- صحيح البخاري: ٢٧/١.

٣- صحيح الترمذي: ١٢٧٦، اتحاف السادة المتقين: ١/ ١١٤.

٤- صحيح البخاري: ٢٦/١، صحيح مسلم: كتاب العلم، مسند أحمد: ٢/ ١٦٢، ١٩٠.



الحضارة الإسلامية المسيحية ماذا حدث؟

تأليف

ريتشارد دبليو. بوليت

ترجمة:

الدكتورة فاطمة نصر

٢

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عريض
الأستاذ بجامعة الأزهر

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «مثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون: لولا موضع اللبنة. قال رسول الله ﷺ: فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء» (صحيح البخاري، وصحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله).

فجاءت تلك المقالة منه ﷺ تبلياً كاشفاً لما جاء به القرآن الكريم، ونبراساً موضحاً بضئ المسلمين طريقهم في مسيرتهم الخيرية داخل الإطار الإسلامي، فلم يجد واحد من المسلمين فيمن يخالفه الرؤية أو الفكر أو المعتقد عدواً يستحق المناجزة أو المصارعة... بل وجد فيهم الإخوة الذين تستوجب أخوتهم المعاملة الطيبة، والتعاون في الخير، والانتفاع بأمور الحياة السوية، محافظين - بذلك - على وحدة الكيان البشري الذي جاءت به الديانات السماوية في تتابعها لتحافظ عليها، فلا إكراه في الدين، ولا بغضاء بسبب الاختلاف، ولا ضيق بممارسة تصدر من مخالف:

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ

أما ما شب من حروب فكانت رداً لعدوان، أو دفعاً لتجاوز طائش، أو وقوفاً في وجه طغيان جامع.

ولذلك أصبح كل فرد مسلم - بأخلاقه الإسلامية، وسلوكه المتوازن - داعية إلى الإسلام وإن لم يباشر الدعوة الصريحة إلى الإسلام، فأقبل الناس على الإسلام في مشرق الأرض ومغربها، إذ وجدوا فيه ما يليق الفطرة ويتسق معها.

فكان من أبرز ثمار هذا التواصل... تلاقح الخبرات والقدرات، أو بالمنطق القرآني كان ذلك التعارف المرجو من وراء تعدد الشعوب وتباينها..

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا

(الحجرات: ١٣)

وكان هذا المسلك الإسلامي أحد أسرار الاختلاف بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان الأخرى على الرغم من وحدة أصول جميع الأديان التي يقيم المؤلف «ريتشارد دبليو. بوليت» دراسته عليها.

المسيحية والإسلام على طريق التوأمة

فالمؤلف باستعراضه عوامل حتمية التقارب بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية - يؤكد أن ما بين الحضارتين أشمل وأعمق من أن يكون تقارباً قحسب؛ فما بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية من تناغم وتوافق يقرر أنهما توأم برجعان إلى أصل واحد.

وفي جولة تاريخية مركزة... يطلعنا المؤلف على نشأة هذا التناغم، وطرقا من مظاهره وأطواره.

فإذا كان المسلمون قد واجهوا تحدياً في السيطرة على سكان ذوى توجه ثقافي إغريقي روماني، وتحدياً في تضمين هؤلاء السكان داخل الشريحة العليا الاجتماعية... فإن المسيحيين الأوائل قد سبقوا مواجهتهم بهذه التحديات نفسها.

هذا إلى أن استباق المسيحية للإسلام

بسيعة قرون قد أسهم في تراكم فكر ديني، وتجربة مؤسساتية أصبحت متاحة للمسلمين بواسطة رعاياهم المسيحيين أو من اعتنق الإسلام منهم، حتى لقد كان هذا الإسهام أكثر من الإسهام في اعتناق جماهير كبيرة للمسيحية، حيث كان معظم سكان أوروبا الغربية مازالوا يقدمون آلهة متعددة، ويتبعون ممارسات وثنية في السر إن لم يكن في العلن، بينما كان الوثنيون نادري الوجود نسبياً في الأراضي الإسلامية؛ ولذلك... كان على المسيحيين اللاتين في غرب أوروبا - من أجل كسب غير المسيحيين - أن يستوعبوا كثيراً من الممارسات الوثنية، مثل شجرة الكريسماس، وتبني بعض الآلهة كقديسين مسيحيين، بينما كان معظم غير المسيحيين الذين أصبحوا تحت سلطة الخلافة الإسلامية ذوى توجهات توحيدية بالفعل.

أياً ما كانت الملابسات... فقد بدأت الديانتان التاليتان لليهودية مسيرتهما في وقت واحد تقريبا، وأخذنا - عن طريق التحول العقائدي - في إقامة مجتمعات إقليمية نظمت نفسها.

أما المسلمون فقد توفرت لهم فرصة التنامي بدخولهم في مناطق كان فيها الكثيرون يعرفون هذا الإرث جيداً. هذا إلى أنهم أفادوا من ترجمة النصوص الإغريقية إلى السريانية شديدة القرب من العربية، بينما لم يقد العالم المسيحي اللاتيني من الإرث الإغريقي؛ لانحسار اللغة الإغريقية مع اضمحلال الإمبراطورية الرومانية.

جمع صلة المسلمين والمسيحيين بالإغريق... انتقل الإرث الإغريقي بدرجة كبيرة إلى المجتمع الإسلامي البازغ عن طريق الترجمة المباشرة عن الإغريقية أو عن السيريانية أو الفارسية المستمدة من الإغريقية.

القيادات الدينية المسيحية والمسلمة

ويلاحظ المؤلف: أن القيادات، الدينية المسيحية والمسلمة في القرنين السابع والثامن الميلاديين كانت تدور في فلك المسئولين الذين يعينهم خلفاء المسلمون أو الذين يعينهم البابوات والجماع الكنسية للمسيحيين.

ويلاحظ: أن هذه القيادات من المتخصصين في الدين قد أثرت بقوة - سواء كانوا تماثلين أو مختلفين - في مسارات التطور الاجتماعي والسياسي اللاحقة في مناطقهم.

وقد ظهر التماثل بينهما في اللغة؛ حيث اعتمد المسيحيون على اللاتينية في أوروبا، واعتمد المسلمون على العربية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، حيث تيسر لكليهما التحرك بسهولة نسبية من منطقة لأخرى.

وظهر الاختلاف جذرياً في نهج العلماء المسلمين والرهبان المسيحيين:

فبينما حصر الرهبان أنفسهم في أديرة مقامة في مواقع غير حضرية، إضافة إلى ما فرضه عليهم نظام الرهبنة من الانكماش

وعدم التنامي، فلم يتمكنوا من تأسيس ذريات دينية وراثية.

كان علماء المسلمين ينطلقون من مكان لمكان؛ سعياً لتحقيق أهدافهم، مثل جمع الأحاديث النبوية. هذا إلى أنهم كانوا يمارسون حياتهم الطبيعية بالتزاوج، والإنجاب، وإنشاء الأسر التي أخذت تلعب دوراً مهماً في الحياة الحضرية الاقتصادية والسياسية.

هذا إلى أن مدرسي الأديرة احتفظوا بالنزول اليسير من مهام التعليم أثناء القرون التالية، فلم يكن لهم أثر واضح خارج مجموعاتهم المغلقة...

بينما أضاف فتح العرب لسوريا ومصر إلى الخلافة الإسلامية أراضٍ ثرية نجحت نسبياً من الاضمحلال الأوروبي الذي أصاب القراءة والكتابة والتعليم؛ فتوفر للتعليم المدرسي وكتابة الكتب فرصة الانطلاق بخطوات أسرع في المجتمع الإسلامي النامي منه في العالم اللاتيني.

كما أن رفض الإسلام للبنية الدينية الهرمية أتاح لعدد من العلماء أن يعملوا في المساجد بانطلاق، دون تقوقع داخل هرمية ذات مركزية كتلك التي فرضت على النشاط العلمي المسيحي بسبب نمو المسيحية داخل نطاق البنية الإمبراطورية الرومانية الكهنوتية.

وبالتخلص الإسلامي من الهرمية الدينية حدث الانتشار الواسع للعلماء الذي رافق التنامي المتصاعد للجماعة الإسلامية في

القرن التاسع خارج سلطة حكومة الخلافة؛ فتجح العلماء المسلمون في إخفاء التفاصيل على الشريعة وتفسيرها، بحيث أصبحت الشريعة منهجية بشكل متزايد في تنويعات عدة.

في المقابل... فإن إحكام قبضة السلطة القضائية على الكهنة والرهبان، وإحكامها على الممتلكات المكرسة لأنشطتهم، كل هذا قد أسهم في زيادة التوتر بين الحكام ومسؤولي الكنيسة، خصوصاً في ظل البابا القوي (جريجوري) السابع ١٠٧٣ / ١٠٨٥ م، حيث تعارضت لائحة قوانين الكنيسة الكاثوليكية مباشرة مع مزاعم الملاك القانونية؛ فلم تستطع الكنيسة الكاثوليكية أن تنجح في حماية دور رجالها، كما نجح العلماء المسلمون في حماية دورهم في تفسير الشريعة، وذلك بإصرارهم على خضوع الحاكم النظري لأحكام الله، بينما تصادم البابوات مع الحكام المسيحيين الأقوياء تصادماً انتهى بإجبارهم على الخضوع للقانون الملكي.

وكان ما سموه الحروب الصليبية

ويرصد المؤلف (ريتشارد ديليو - بوليت) موقف المسيحيين من المد الإسلامي، فينبذ كره: أن المسيحيين - في النظر إلى الإسلام - سلكوا طريقين متباينين تماماً:

أما اللاتينيون فقد شغلوا بالداخل، فلم يعرفوا عن الإسلام إلا القليل، بينما عرف الأرثوذكس عنه الكثير؛ فأصابهم الانزعاج

من المد الإسلامي وتقلص عدد المصلين المسيحيين، وتزايد اعتناق الإسلام، حتى اضطر البابوات اللاتينيون إلى الضغط على الأباطرة البيزنطيين ليحققوا رغبتهم في شن حملات عسكرية ضد الحكم الإسلامي في الأراضي المقدسة، فكانت تلك الحملات التي وسموها بالصليبية، والتي تواصلت من سنة ١٠٩٥ إلى سنة ١٢٥٠ م بمعاونة بيزنطة.

ومع تراوح تلك الحملات بين الهزيمة والانتصار... نشأ عنها اتصالات مباشرة وغير مباشرة بين المسيحيين والمسلمين؛ ففي حين هيمنت المعارك والتحالفات على كل الروايات التاريخية، والقصاص غير الرسمية المروية حول تلك الحروب... نشأت نشاطات في أيام السلم كان لها دور فعال في تشكيل الاتصالات الثقافية التي حدثت في هذه المرحلة.

وقد وضحت هذه النشاطات في اغتنام الباحثين فرصة السلم في إسبانيا لترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية، وحملها معهم إلى فرنسا وإيطاليا.

نعم.. السلام أقوى

وفي صقلية - حين استظلت بالإسلام - أصبحت المخطوطات العربية والإغريقية متاحة للترجمة.

هذا... إلى ما أتيج من معايشة التجار الإيطاليين، والنبلاء الأوروبيين للمجتمع الإسلامي أثناء إقامتهم الممتدة بينهم؛ فتيسر لهم حمل عادات المسلمين

وأفكارهم وكثير من سلوكياتهم اليومية إلى بلادهم، مما أحدث تغييراً واضحاً في شتى مجالات الحياة الأوروبية - خصوصاً في مناطق الجنوب الأوروبي - من فلسفة ولاهوت، ورياضيات، وكيمياء، وطب، وموسيقى، وصناعة، إلى غير ذلك.

وقد وضع التأثير الأوروبي بالإسلام في ظهور الجامعات الأوروبية أواخر القرن الثاني عشر بأسلوب شديد التماثل مع تطور المدارس الإسلامية، فنقلت موضوع التعليم الديني من الأديرة إلى المدينة، ولكن أساتذة المدارس الإسلامية ظلوا مجرد علماء دين أسعدهم الحظ بالحصول على منصب دائم براتب من الأوقاف. أما الأساتذة في الجامعات الأوروبية فكانوا رهباناً من الإخوة «الدومينيكية» و«الفرانسيكية»، أعضاء في نوع من التنظيمات الدينية التي ظهرت لأول مرة في القرن الثالث عشر؛ فكان ذلك دلالة على حاجة - بدأت تستشعر من جانب عامة الناس - إلى إرضاء احتياجاتهم الدينية.

من ثمار التوجه الديني

ويلتفت المؤلف إلى ما أثمره وحدة مصدر الإسلام والمسيحية من وحدة التوجه الإسلامي والمسيحي للتدين الذي دفع بعض المسلمين والمسيحيين إلى المبالغة في التدين والروحانيات... ليخلص من هذا إلى دور أولى الأمور في إحداث تباین بين التوجهين، تمثل في دور المؤسسة الدينية

المسيحية القاهر، ودور المؤسسة الدينية الإسلامية المتسامح.

فاستعرض - بشيء من التفصيل - أثر هذا التوجه في البيثنيين الإسلاميين والمسيحية بقوله: وكان للتوجه الديني أثره الفعال بين المسيحيين الذي وضع في الحياة الجماعية «الكوميونالية»، وفي الحركات الوعظية الشعبية، حيث تجمعت النساء اللاتي رغبن في حياة ورعة، والقيام بأعمال خيرية، دون التحول للرهبنة.

كما وضع هذا التوجه بين المسلمين في التجسد الصوفي الذي ارتكز - في البداية - على الانسحاب من الشئون الدنيوية، ثم إلى أن تأكد عدم تعارض التصوف مع حياة العمل الدنيوية اليومية؛ فتشكلت العشرات من أخويات الطرق، حتى اجتذب بعضها الطبقات العليا من المجتمع.

باركت الكنيسة هذا النشاط في بادئ الأمر، ثم عادت سنة ١٣١٠م فحظرت هذا النشاط، وفرضت على من يريد ذلك أن يخضع لسلطة الكنيسة الصارمة، وتوعدت الخارجين على ذلك بأقصى العقوبات، فتم حرق (مارجوريت بوريورت) على الخازوق بتهمة الهرطقة، حيث قام بتأليف كتاب عن الباطنية بالفرنسية القديمة، وفي سنة ١٣١٧م حظر مجلس «فيسينا» الرباطات الدينية «البجينز»، ونص على أن من يردن من النساء عيش الورع أن يخضعن لسلطة الكنيسة الصارمة.

وقد سبق هذا قيام الحركة التي بدأها

«بيتر والدو دالة» في مدينة «ليون» فتبرع بممتلكاته سنة ١١٧٦م وقاد مجموعة من الرجال كرسوا حياة من الفقر المقدس، وتعريف الناس بالعقيدة بلغاتهم المحلية، وبارك البابا أسلوب حياتهم، ولكنه حذرهم من ممارسة الوعظ، ولما تجاهلوا هذا الإنذار حرق منهم أكثر من ثمانين على الخازوق سنة ١٢١١م في «ستراسبورج» ومن بقي منهم كان نواة «بروتستانت» القرن السادس عشر.

وفي إنجلترا قاد (جون ويكليف) مدرس اللاهوت والفلسفة بأكسفورد حركة مماثلة «حركة كهنة فقراء»، ولما نهض القس (جون هاس) في بوهيميا بترجمة كتابات «ويكليف» إلى التشيكية اضطر إلى اشتباكه في حرب مع حكام «بوهيميا» الكاثوليك، فكانت نهايته الحرق سنة ١٤١٥م قبل قرن من بدء حركة (مارتن لوتر) الإصلاحية سنة ١٥١٧م.

وفي العالم الإسلامي ظهرت توجهات مماثلة، مرت بأطوار انتهت إلى توافق تعبير «الصوفية» مع الشخصيات الروحانية الروحية، حتى غدا الوجد والسعي الباطني هو السمة المميزة للمراتب العليا، حيث برهنت الطرق الصوفية على عدم التعارض مع حياة العمل الدنيوية اليومية، فأصبح التصوف يمثل دمج الورع الديني مع تناول أخلاقي متعقل للحياة اليومية، وبذلك أتاحت شكلاً بديلاً يتمثل في خبرة إسلامية اجتماعية دينية، تلعب فيها الباطنية دوراً أقل من التكريس الجماعي

لقواعد سلوك أخلاقية، تباركها شخصية ذات قدسية.

وقد أسفرت استجابة المسيحيين للاحتياجات الروحانية الجديدة عن تحطم وحدة المسيحيين في أجيال من الحروب مفرطة الضراوة بين البروتستانت والكاثوليك، نشأت عن التنافس بين القانون الكنسي والقانون الملكي؛ فأصبح تبني قضية الكاثوليكية أو البروتستانتية جزءاً لا يتجزأ عن السلطة الملكية، وهاجم الوعاظ والكتاب الدينيون من الجانبين أعداءهم، ودعوا المؤمنين لقتلهم، وبعد أن أكلت تلك الحمى بعضها تنامي الاعتقاد أنه لا يجوز وضع سلطة الدولة في خدمة التسامح الديني.

أما بين المسلمين فلم يحدث الفصل بين المؤسسة الدينية والدولة، حيث لم يتجه الحكام لاضطهاد الشخصيات الصوفية أو اتهامهم بالهرطقة، بل اتجهوا لأن يكونوا رعاة لهم؛ فقد تناغمت صلاة الجماعة بالمسجد، والإجراءات في المحاكم الشرعية، وطقوس العبادات الصوفية معاً بسهولة، في حياة معظم المسلمين، وفي نظرتهم إلى العالم.

في حين تراجع القساوسة الكهنوتية للكنيسة الكاثوليكية في مواجهة القوانين والأوامر القضائية الملكية، ولم يأت البروتستانت بفلسفة قانونية شاملة خاصة بهم.

- يتبع -

الحجاب في الجامعات التركيبية بين الحظر.. والحرية

بقلم: صلاح عبد الرحيم محمد



أردوغان

الأوروبية فيقول: «إن ارتداء الحجاب في دول مختلفة، مسموح به، ولا توجد أي مشكلة، في حين أنه في بلدي، حيث ٩٩٪ من الشعب التركي، مسلمون، نشهد هذه المشكلات

للأسف.. لكننا سنحلم هذه المشكلة من داخل الدستور، بدون توتير الأجواء، وبالتوافق مع الأحزاب في البرلمان».

ومن جهة أخرى تتعسف بعض الأوساط العلمانية في تركيا ضد الطالبات المحجبات بسبب «أن قانون القيافة الذي وضع عام ١٩٢٦ في فترة حكم «مصطفى كمال أتاتورك»، مؤسس تركيا الحديثة، يفرض ارتداء الملابس الغربية على المرأة والرجل على السواء بحجة التوافق مع متطلبات الحياة العصرية الغربية، وهو ما جعله أحد أهم المؤشرات على مظهر ربي الطالبة التركية»، كما أن «قانون ارتداء القبعة» يفرض على المرأة العاملة بدواين الحكومة والمدرسة والجامعة ارتداء التنورة «الجيب» الطويلة والبلوزة أو الجاكيت أو الثاير، كما فرض هذا القانون أيضاً إلغاء الطربوش

وصوله للسلطة في نوفمبر ٢٠٠٢ كان قد وعد الجماهير التركية، خاصة المرأة، بأن وجوده في الحكم يعني وضع حل نهائي لقضية المرأة المحجبة، الممنوعة من الدراسة والعمل، فقال «رجب طيب أردوغان»، في ١٣ مارس ٢٠٠٤ في مؤتمر شعبي بمدينة «ملاطيا» إن مشكلة الحجاب ليست مشكلة حزب العدالة والتنمية وحده، وإنما مشكلة تركيا.. بينما قال «عبد الله جول» وزير الخارجية السابق، ورئيس الجمهورية الحالي، عند رفض إدارة الجامعة قيد زوجته المحجبة «إن هذا مخالف لحقوق الإنسان والديمقراطية، وأن من حق المحجبة أن تتلقى التعليم وأن تعمل».. ويذهب «أردوغان» رئيس الوزراء التركي إلى أن مجرد إعطاء الفتيات اللاتي يرتدين «غطاء الرأس» الحق في التعليم الجامعي، وعدم منعهن من هذا الحق الدستوري، هو في الأساس أمر سياسي يتعلق بالحريات العامة، بدليل أن الحمار سيظل ممنوعاً على طالبات الجامعة، وأيضاً لن يستفيد النساء في الدواوين الحكومية من التعديلات الجديدة، وكذلك الفتيات في المدارس.

ويستند «رجب طيب أردوغان» رئيس الوزراء التركي في دعواه لرفع حظر الحجاب في الجامعات التركية إلى حرية الحجاب في الجامعات

ولقد ناقش البرلمان التركي مسودة التعديلات المطلوبة، وصدق عليها بجلسته الثانية والأخيرة في التاسع من فبراير ٢٠٠٨، وأحالها إلى رئيس الجمهورية للاعتماد.. وفي هذا السياق يقول رئيس الوزراء التركي «أردوغان»: «إن الهدف من رفع الحظر عن ارتداء الحجاب في الجامعات، هو فقط إنهاء الظلم الواقع على بعض الطالبات»، ويذكر أن كل ما قدمه حزب العدالة والتنمية الحاكم من اقتراح بتعديل المادتين العاشرة والثانية والأربعين من الدستور، هدفه رفع الحظر عن الحجاب لمن تريده، وليس فرضه على من يرفضه وفي نطاق الجامعات فقط، باعتبار أن مشكلة الحجاب كحرية شخصية في اللباس، تعد «حقاً غلانياً» وأن حرمان المرأة منه، إنما يتجاوز التقاليد التاريخية الأصلية للعلمانية إلى نوع من «الأصولية العلمانية» المشددة.. ويرى حزب العدالة والتنمية، ومؤيدو التعديلات الدستورية، أن الحجاب من شئون الحريات الفردية، وهي مسائل تدخل في نطاق حقوق الإنسان. ومن هنا فالحجاب هو حق طبيعي وقانوني لكل مواطنة تركية. واللافت أن حزب العدالة والتنمية الحاكم في برنامج الانتخابي أكد اختيار الدين من أهم المؤسسات الإنسانية، والعلمانية مطلباً رئيسياً للديمقراطية.

والجدير بالذكر أن حزب العدالة والتنمية منذ

بعد مناقشات مستفيضة ومطولة حول ضرورة رفع حظر ارتداء الحجاب في الجامعات التركية، قرر كل من حزب العدالة والتنمية «الحاكم»، برئاسة رئيس الوزراء «رجب طيب أردوغان»، وحزب الحركة القومية «اليميني» برئاسة «دولت باهشلي» بالتعاون مع حزب المجتمع الديمقراطي «الكردي»، تقديم اقتراح بتعديل دستوري إلى البرلمان لكل من المادتين العاشرة والثانية والأربعين من الدستور التركي، إلى جانب تعديل المادة ١٧ من قانون مجلس التعليم العالي بهدف رفع الحظر المفروض على ارتداء الحجاب في الجامعات.



عبدالله جول

أن استخدام بعض الملابس في نطاق الحريات، سيؤدي إلى فصل بين الطلاب، ويجعل من المؤسسات التعليمية، ساحة نشاطات تتعارض مع النظام العلماني الأتاتوركى وحظر البيان من أن الأحزاب السياسية لا يمكنها أن تسعى خلف تغيير الطابع العلماني للشعب التركي.

- صدور بيان من مجلس الدولة يحظر من الاتجاه إلى رفع الحظر عن الحجاب في الجامعات فيقول هذا البيان «إن إقرار مسألة رفع حظر الحجاب، لن تقتصر على المؤسسات التعليمية فقط، لكنها ستمتد إلى المؤسسات الأخرى في الدولة، وهو أمر يدعو للقلق، لأنه سيفرض على مشاكل عديدة تهدد السلام الاجتماعي في البلاد.

- صدور بيان من أعلى محكمة إدارية يحظر من أن الخطط الداعية إلى رفع حظر ارتداء الحجاب في الجامعات، تشكل خطراً على ما أسمته «السلم الاجتماعي» وذكر هذا البيان «أن أحكام القضاء السابقة أوضحت بجلالة أن المبادرات الدينية لا تدخل في نطاق الحريات والديمقراطية لأنها تنص بمبادئ العلمانية».

ومن المعروف لكل من يعنيه الشأن التركي أن حزب العدالة والتنمية «الحاكم» يسعى في الأساس، إلى الحد من التطرف العلماني للدولة التركية في خصوصيتها للدين واستبدالها بعلمانية معتدلة متصالحة مع الدين، وليس متوافقة له،

الفقرة السابعة الجديدة من المادة ٤٢ «أحقية أي مواطن أو مواطنة تركية في الدراسة الجامعية حتى ولو كانت محجبة» والمقصود هنا بالحجاب غطاء الرأس وليس الخممار أو البرقع ومن الملاحظ أن التعديلات الجديدة جرت حول مبدأ المساواة في الحق في التعليم وليس الحجاب ذاته. أي تمحورت التعديلات الجديدة حول حقوق الإنسان التركي، وأن الحجاب لمن يريده، وليس فرضاً على أحد ومن ثم يمكن القول أن العلمانية الأتاتورية تركت تركيزاً على ركيزة مقادها «أن الحجاب يمثل تهديداً للعلمانية التركية ومبادئ أتاتورك» كما تخشى هذه العلمانية المفرطة في الشطط أن رفع حظر ارتداء الحجاب، يمكن أن يجعل من تركيا «دولة دينية» وهي تخوفات ليست في محلها وكيف يمكن أن يكون غطاء الرأس تهديداً للمبادئ العلمانية؟

وفي هذا الصدد يؤكد «عبدالله جول» تأييده لرفع الحظر عن الحجاب في الجامعات التركية بقوله: «إن الجامعات يجب ألا تصبح أماكن للجدل السياسي وأن المعتقدات يجب أن تمارس بحرية في الجامعات» ويذكر أن ثمة جهوداً كبيرة بذلت ولا تزال لإلغاء مشروع التعديل الدستوري الخاص برفع حظر ارتداء الحجاب في الجامعات، يمكن رصد أهمها فيما يلي:

- صدور تصريح من رئيس الأركان التركي «إشاريبولك أنيط» يعارض فيه أي قرار أو قانون يقضي بتخفيف الحظر المفروض على ارتداء الحجاب في الجامعات.

- صدور بيان من جانب المدعي العام الجمهوري «عبد الرحمن بالشاتكايا» حذر فيه من

لتعديلات المادتين ١٠ و ٤٢ لرفع حظر ارتداء الحجاب في التعليم العالي وكذلك تعديل المادة ١٧ من قانون مجلس التعليم العالي، ليصبح الطريق مقترحاً أمام الطالبات المحجبات لدخول من تشاء منهن إلى الجامعات التركية.

وتجدر الإشارة إلى أن الفقرة الرابعة من المادة العاشرة - قبل التعديل كانت تنص على «أن تلتزم جميع المؤسسات الحكومية، وجهات الإدارة العامة بمبدأ المساواة بين المواطنين في كل المعاملات» التي تقوم بها، أما بعد تعديلها فأصبحت تنص على أن تلتزم جميع المؤسسات الحكومية وجهات الإدارة العامة بمبدأ المساواة بين المواطنين في كل المعاملات والخدمات التي تقوم بها ومن هنا فإن التعديل في الفقرة الرابعة من المادة العاشرة يتمثل في إضافة كلمة «الخدمات» فقط إلى هذه الفقرة الرابعة من المادة العاشرة حتى يمكن أن يتضمن «مبدأ المساواة» خدمة التعليم باعتبارها حقاً أساسياً من حقوق الإنسان ومما يجدر ذكره أن الفقرة الأولى من المادة الثانية والأربعين، قبل تعديلها، كانت تنص على أنه لا يحرم أحد من حق التعليم والتعلم كما نصت أيضاً الفقرة الثانية من هذه المادة ٤٢ «على «أن حق التعليم ينظمه القانون» وقد أصبحت الفقرة الأولى من المادة ٤٢ بعد تعديلها تنص على أنه «لا يحرم أحد من حق التعليم إلا بنص صريح في القانون» وبالتالي لا يجوز لأي جهة من الجهات المسئولة أن تقول النص على حسب هواها حيث أن النص صريح لا يقبل التأويل، كما أضيفت فقرة سابعة للمادة ٤٢ تنص على أنه «لا يمنع أي مواطن مهما كانت الأسباب من حق التعليم وبين القانون حدود التمتع بهذا الحق وهكذا أكدت

والطائفية بالنسبة للمواطن التركي، وهو نفس القانون الذي استند إليه «مجلس الأمن القومي» في تركيا لإسقاط العضوية البرلمانية عن النائبة المحجبة «مروة قارقجي» عام ١٩٩٩، ومنعها من دخول البرلمان - في ظل حكومة «بولنت أجاويد» - لأن هذا القانون يمنع المحجبات من دخول القاعة العامة للبرلمان، كما أسقطت جنسيتها التركية. لا شك أن هذا المقال يكشف عن علمانية تركيا شديدة التطرف، تعادى كل مظاهر التدين لشعب أغليته مسلمة... ومن ثم فقد أكد رئيس الوزراء التركي «أردوغان»، «أن الحجاب لا يعد زمراً سياسياً، بل يتبع، أساساً، من الحرية الشخصية وحرية الاعتقاد، وبالتالي لا يحق لأحد أن يحظر ارتدائه»، هذا وقد أخذ على عاتقه مسئولية حل هذه المشكلة... كما أكد «عبدالله جول» رئيس الجمهورية التركية أنه «مع العلمانية المتصالحة مع الدين، والمدافعة عن الحريات».

واللافت للنظر كما يقول «دولت باهشلي» زعيم حزب الحركة القومية المؤيد لرفع حظر الحجاب في الجامعات ومؤسسات الدولة «إن الآراء المخالفة لذلك، إنما تستند في معارضتها على قرار سابق أصدرته المحكمة الدستورية عام ١٩٨٩». يؤكد على اعتبار الحجاب رمزاً للإسلام السياسي لا يمكن القبول به في الجامعات أو المدارس أو الدوائر الحكومية.

ولقد قرر قادة حزب العدالة والتنمية «أن معركة الحجاب، لن تكون من أجل الإسلام السياسي، إنما من أجل الحريات الشخصية، وأن النظام العلماني سيبقى هو المرجع للجميع» كل ذلك تظمينا للعلمانيين من جنرالات الجيش، والقضاة، ورؤساء الجامعات التركية المعارضين

خاصة أن ثلثي نساء تركيا يرتدين غطاء الرأس التقليدي، وهذا معناه أن مئات الآلاف منهن كن يحرم من مواصلة الدراسة الجامعية.

أما فيما يتعلق بالمادة ١٧ من قانون مجلس التعليم العالي فاتفق كل من حزب العدالة والتنمية الحاكم وحزب الحركة القومية «اليميني» على إجراء التعديل ليكون بالصيغة التالية: لا يمكن حرمان أي طالبة جامعية من حق التعليم في الجامعات بسبب ارتدائها الحجاب، ولا يمكن تفسير هذا الحق بأي شكل من الأشكال.

ولقد قبل هذا التعديل بهجوم شرس من جانب القوى العلمانية فيقول «دينزبايكال» زعيم حزب الشعب الجمهوري «اليساري العلماني» أن التعديلات تشكل مساساً واضحاً بمبادئ الجمهورية العلمانية ومبادئ أتاتورك.

وحذر «فانح حلمي أوجلو» رئيس جامعة «إيتونو» من أن هذه التعديلات الدستورية الجديدة من شأنها إثارة الفوضى في الجامعات، فقال: «ما يحدث في تركيا هو تغيير للنظام يجب التصدي له بالوسائل الديمقراطية، مندداً بالتخلي عن مبدأ الفصل بين الدين والدولة» ويرى «أوجلو» أنه «بعد السماح بالحجاب في الجامعات، فإنه لن يلبث أن يمتد إلى الوظيفة العامة ليتحول إلى مصدر ضغط ديني واجتماعي على النساء غير المحجبات.

واللافت في هذا الصدد أن الدستور التركي، منذ عهد مصطفى كامل أتاتورك، مؤسس الدولة التركية الحديثة، إلى اليوم، لم يرد فيه نص يمنع الحجاب صراحة، وإنما أولت العلمانية التركية

المنظرة تأويلاً جعلها مصادمة لكل مظاهر التدين.

وفي هذا السياق يقول الدكتور «أوردال أركوبوت» رئيس جامعة الشرق الأوسط التقنية في تركيا، وهو من المناهضين لارتداء الحجاب في الجامعات «إن هذه التعديلات الدستورية تعد بمثابة فرض العقائد الدينية على الدستور».

وقد هدد نواب حزب الشعب الجمهوري المعارض باللجوء إلى المحكمة الدستورية لإلغاء هذه التعديلات، ووصف البروفيسور «مصطفى أكايدين» رئيس جامعة البحر المتوسط في مدينة «أنطاليا» كل المحاولات الحالية للحكومة لرفع حظر ارتداء الحجاب في الجامعات بـ «فترة انقلاب في التاريخ التركي وأكبر هجوم منذ العاشر من نوفمبر ١٩٣٨ أي منذ وفاة أتاتورك». وأضاف «أكايدين»: «أن رفع الحظر عن الحجاب في الجامعات التركية سيؤدي في النهاية إلى نسف الأسس العلمانية للجمهورية، وتحويل تركيا إلى دولة الشريعة».

والحقيقة أن القوى العلمانية المعارضة للحجاب في الجامعات التركية قامت برفع دعوى إلى المحكمة الدستورية لإلغاء هذه التعديلات، وقد بدأت المحكمة الدستورية في مطالعة التقرير التمهيدى الذى قدمه مقرر المحكمة «عثمان جان» إليها، واعتبر فيه أن المحكمة الدستورية لا تملك صلاحية إلغاء التعديل، وأن البرلمان هو المرجع الوحيد للتشريع وتعديل الدستور، كما أشار التقرير ضمناً، إلى أن السماح بالحجاب في الجامعات لا يهدد العلمانية في تركيا، واعتبرت أوساط سياسية

وإعلامية تركية هذا التقرير التمهيدى من جانب مقرر المحكمة «ضربة قوية» لمحاولة حظر نشاط حزب العدالة والتنمية الحاكم، ذلك أن المدعى العام بنى دعوى الحظر، أساساً على إقرار الحكومة عودة الحجاب إلى الجامعات، وهو في نظره أكبر دليل على ممارسات الحزب «المعادية للنظام العلماني» وتبقى الكلمة الأخيرة للمحكمة الدستورية التي قد تعيد الموضوع إلى نقطة الصفر في حالة قولها: «إن التعديل مخالف للدستور الذى يقول إن تركيا «دولة علمانية» وعلى الرغم من أن المحكمة الدستورية تنظر في قضيتي الحجاب وحظر نشاط الحزب الحاكم، كلاً على حدة، فإن القضيتين مرتبطتان، لأن نتيجة قضية الحجاب من شأنها أن تقوى حجج المطالبة بحظر نشاط الحزب الحاكم أو تنسفها، والحقيقة أن قضية المحكمة الدستورية غير ملزمين بالتقرير التمهيدى الذى قدمه مقرر المحكمة «عثمان جان»، وفي إمكانهم الحكم بعكس ما توصل إليه، وعموماً فإن رئيس المحكمة الدستورية في تركيا «هاشم كالتش» أعلن يوم الجمعة ٢٣ مايو ٢٠٠٨ أن المحكمة ستأخذ الشهر المقبل قرارها بخصوص تعديل دستوري يجيز ارتداء الحجاب في الجامعات التركية. ونقلت أوساط إعلامية عن «كالتش» قوله للصحفيين «ستدرس هذه القضية في الأسبوع الأول من يونيو ٢٠٠٨».

وفي الختام يمكن القول إن الكلمة الأخيرة كانت لممثلي الشعب التركي إذا وافق على هذه التعديلات ٤١١ عضواً من أصل ٥٥٠ عضواً هم أعضاء البرلمان، وعارضها فقط ١٠٣ أعضاء، أغلبهم من حزب الشعب الجمهوري

«الأتاتوركى» اليسارى المعارض. ومن جهة أخرى أن الحكومة التركية عقب موافقة الأغلبية البرلمانية على هذه التعديلات برفع حظر ارتداء الحجاب في الجامعات التركية، لم تمنع الآلاف من المتظاهرين المعارضين لحرية الحجاب من الخروج في شوارع معظم المدن التركية وهم رافعون «صور مصطفى كمال أتاتورك» مؤسس العلمانية في تركيا، وملوحون بلافتات تندد بهذه التعديلات الدستورية، ولافتات أخرى تحمل شعارات تؤكد على علمانية الدولة التركية. ويكفى ما جاء على لسان «رجب طيب أردوغان» زعيم حزب العدالة والتنمية الحاكم، ذى النشأة الإسلامية المعتدلة، ورئيس الوزراء التركي قوله «إن هذه التعديلات الدستورية جاءت انتصاراً للديمقراطية، والعدالة في تركيا» مؤكداً في الوقت ذاته أن العلمانية لديه ولدى حزب العدالة والتنمية الحاكم، يجب أن تحترم القيم والمبادئ التى يعيش عليها الشعب التركي، وأن توفر له أجواء الحرية. ولا تزال مشكلة الحجاب في الجامعات التركية تمثل حاجساً للعلمانيين، ومفجراً للأزمة الراهنة بين حزب العدالة الحاكم وبين النخبة الأتاتورية العلمانية التى تزعم أن رفع حظر ارتداء الحجاب في الجامعات يعادى المبادئ العلمانية، وهى بالطبع حجة واهية خاصة أن ٩٩٪ من الشعب التركي، مسلمون، وتتردى غالبية نسائه غطاء الرأس التقليدى. فلماذا هذا العناد من جانب النخبة العلمانية خصوصاً أن حرية الحجاب حق طبيعى من حقوق الإنسان فى أكثر الدول علمانية لأنه، فى الحقيقة، لا يتصادم مع المبادئ العلمانية؟

الفناء والموسيقى في مذهب الفقه الإسلامي

دكتور محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

بتعميم التحريم للفناء، يجعل الفناء من المباحات.. ولا يحرمه إلا إذا جعله البعض - من الصوفية - عبادة من العبادات.. لأن العبادات توقفية، تؤخذ من الشارع، ولا تجوز فيها البدع والإبداعات والإضافات.. يقول ابن تيمية في هذه القضية، مميزاً بين ثلاثة أنواع من السماع:

١- «السماع الذي ينتفع به في الدين» - أي تزيين القرآن بالصوت الحسن - وهو الخاص بالمتقربين إلى الله بالقرآن الكريم، على النحو الذي كان يفعله رسول الله ﷺ وصحابته ومن اقتدى بهم من التابعين وتابعي التابعين.

٢- السماع المباح، الذي رخص فيه رسول الله ﷺ، للأمة، رفعا للخرج من حياتها، فلقطد رخص النبي في أنواع من اللهو في العرس ونحوه، كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح، رفعا للخرج.. ومن هذا الباب -باب الرخصة في اللهو-

لأن عطلة يوم تبعث النشاط في سائر الأيام، والمواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات، ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات، ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات، فالعطلة معونة على العمل، واللهو معين على الجد، ولا يصبر على الجد الخس والحق المر إلا نفوس الأنبياء، عليهم السلام. فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والملال، فينبغي أن يكون مباحا، ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه، كما لا يستكثر من الدواء.

فالسماع من جملة المباحات، من حيث إنه سماع صوت طيب موزون مفهوم، وإنما تحريمه لعارض خارج على حقيقة ذاته.. ومن لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره، فهو فاسد المزاج، ليس له علاج.. (٣)

• أما شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ ١٢٦٣-١٣٢٨م) -وهو من كبار فلاسفة ومجددي ومجتهدى فقهاء السلفية- فإنه على عكس ما يحسب الذين يشغبون

والفناء المذموم بالاتفاق. فأما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح، كالعرس والعيد، وعند التنشيط على الأعمال الشاقة.. وأما طيل الحرب فلا جرح فيه، لأنه يقيم (١) النفوس، ويرهب العدو.. والدف مباح.. وقيل إن الطبل في النكاح كالدف، وكذلك الآلات المشهورة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن فيه رقت (٢).

فالفناء بالكلام الحسن والدف والطبل والآلات التي تحدث الأنغام، بالمقادير المتوازنة، حلال ومباح، في الأفراح، ولتنشيط ملكات وطاقت الإنسان على الأعمال..

• ومن كبار فلاسفة الإسلام، وعلماء الأصول وفقهاء الشافعية، نختار سطوراً مما كتبه حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ ١٠٥٨-١١١١م) في هذا الموضوع -ولقد عقد للسماع باباً في كتابه النفيس (إحياء علوم الدين) -انتهى فيه إلى أن «اللهو مروح للقلب، ومخفف عنه أعباء الفكر، والقلوب إذا أكرهت عسيت، وترويحها إعانة لها على الجد، فالواظب على التفقه، مثلاً، ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة،

في مذهب الفقه الإسلامي موقف واضح وصريح من قضية الموسيقى والفناء.. فهما من المباح الحلال إذا حققا المقاصد المباحة والحلال.. وهما -ككل المباحات- تعرض لهما أحكام: الوجوب.. أو الندب.. أو الكراهة -أو الحرمة، إذا تغيرت المقاصد المستغاة من ورائهما.. فليس هناك حل بإطلاق، ولا تحريم بإطلاق.

• فالحسن البصري (٢١-١١٠هـ ٦٤٢-٧٢٨م) -على ما يذكر القرطبي (٦٧١هـ ١٢٧٢م) -بخصوص اللهو المنهى عنه في الآية الكريمة

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾

(لقمان: ٦) بأنه «هو الكفر والشرك» -وليس الفناء.. • أما القرطبي -وهو من أكابر المفسرين والفقهاء في مذهب الإمام مالك- فإنه يرى اللهو المحرم خاصاً بالفناء الذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والجنون، الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن، فهذا النوع إذا كان في شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمر والآخرات، لا يختلف في تحريمه، لأنه اللهو

(١) لقيام -فناء- بمعنى الإثارة والتشجيع.. ومصطلح القيام بمعنى -حسب ما يعنى- إثارة والتشجيع.

(٢) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج ١٤ ص ٥٢-٥٤ -والزبد: القش.

(٣) (إحياء علوم الدين) ص ١١٢٤-١١٢٧، ١١٥٢، ١١٥٣. طبعة دار الشعب بالقاهرة.

حديث عائشة، رضى الله عنها، لما دخل عليها أبوها، رضى الله عنه، فى أيام العيد، وعندها جاريتان من الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعث، فقال أبو بكر، رضى الله عنه:

«أبجزار الشيطان فى بيت رسول الله، ﷺ» ١٩

فقال، ﷺ: «دعهما، يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا أهل الإسلام».

٣- أما ذلك النوع الثالث من السماع، وهو «السماع- العبادة- المبتدعة» فإن ابن تيمية يقطع بتحريمه، كما قطع القرآن بتحريم نظيره الجاهلى- المكاء والتصدية- اللذين جعلهما المشركون فى الجاهلية عبادة يتقربون بها إلى الأصنام..

فالتحريم هنا لأنهم قد جعلوه- كما يقول ابن تيمية- «قربةً ودينا.. وشرعوا ما لم يشرع النبي، ﷺ»، وليس المقصود منهم بهذا السماع مجرد رفع الحرج، بل مقصودهم بذلك أن يتخذ طريقا إلى الله يجتمع عليه أهل الديانات لصالح القلوب.. فتستنزله به الرحمة، وتستجلب به النعمة.. حتى يقول بعضهم: إنه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه، حتى يجعلونه قوتا للقلوب، وغذاء للأرواح، وحاديا للنفس يحدوهم إلى السبر إلى الله، ويحثهما على الإقبال عليه، ولهذا يوجد من

اعتاده واغتنى به لا يحن إلى القرآن ولا يفرح به، ولا يجد فى سماع القرآن كما يجد فى سماع الأبيات، بل إذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية، وآسن لاغية، وإذا سمعوا سماع المكاء والتصدية خشعت الأصوات وسكنت الحركات، وأصغت القلوب، وتعاطت المشروب» (١).

فهذا السماع المحرم، وهو محرم لذاته، وإنما لما عرض له من جعله عبادة وشعيرة دينية.. أما إذا كان غناء ولهوا للذة النفس ورفع الحرج عنها والتجديد للمكات الإنسان والترويح عن قواه وطاقاته، فهو من المباحات.. ويعبارة ابن تيمية: «إن السماع الذى يفعل كما تفعل سائر الأفعال التى تلتذ بها النفوس، وإن كان فيها نوع من اللهو واللعب، كسماع الأعراس وغيرها، مما يفعله الناس لقصد اللذة واللهو، لا لقصد العبادة والتقرب إلى الله هو من المباحات».

ولقد ضرب ابن تيمية مثلا ليزيد إيضاح علة التحريم لسماع الصوفية الذى جعلوه عبادة يتقربون بها إلى الله، فقال: لو أن رجلا يعدو بين جبلين، على سبيل التريض أو اللعب، لما كان فى ذلك بأسا.. أما إذا جعل ذلك عبادة- كحال شعيرة السعى بين جبلى الصفا والمروة- كان ذلك حراما.. فالحرمة عرضت للعدو والسعى، لا لذات العدو والسعى، وإنما بسبب جعلها من شعائر الدين (٢) ..

(١) (مجموع فتاوى ابن تيمية) ج ١١ ص ٥٤٧-٥٤٨، ٥٦٢، ٥٦٥-٥٦٨ طبعة الملكة العربية السعودية.

(٢) المصدر السابق، ج ١١ ص ٢٢٠-٢٢٢.

● أما النموذج الأخير-والذى اخترناه من فتاوى الأحناف- فهى فتوى معاصرة، للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت (١٣١٠-١٣٨٣هـ ١٨٩٣-١٩٦٣م) شيخ الجامع الأزهر، وعضو هيئة كبار العلماء، ورئيس مجمع البحوث الإسلامية، وأبرز فقهاء عصره.. وهى الفتوى التى نورد نصها كاملا، لنختتم بها نماذج فتاوى المذاهب الفقهية الإسلامية الكبرى..

الشرعية تنظم الفريضة

(الفناء والموسيقى)

جاءتنى رسالة من شاب يقول فيها: إنه يهوى الموسيقى منذ نعومة أظفاره، وأنه يدرسها ويجهده فى تعلمها، وقد فاجأه أحد أصدقائه بأنها حرام، لأنها لهو يصرف عن الصلاة وعبادة الله، وكل لهو حرام، فقال لصديقه: إنى أصلى الصلوات الخمس فى أوقاتها وأعبد الله تماما، وأذهب إلى النادى فى أوقات الفراغ لأسرى عن نفسى عناء العمل نهاراً والمذاكرة ليلا، فلم يقتنع صاحبه بذلك، وأصر على أن الموسيقى حرام، وأخيراً اتجهنا إلى التحكيم، وبعث إلى الشاب هذه الرسالة ملتمساً بيان الحكم الشرعى فى الموضوع.

حيرة بين المحللين والمحررين

أرجو أن يجد إخواننا المسلمون فى هذه الفتوى ما ينفعهم فى معرفة حكم الله، بالنسبة لكثير من الأشياء التى

يجرى على بعض الألسنة أن حكمها الشرعى هو التحريم، ويجرى على البعض الآخر أن حكمها هو الحل، وبذلك وقع الناس فى حيرة نفسية وارتباك دينى، ولم يجدوا ما يرجع لهم أحد الجانبين، وظلوا فى تردد بين الحل والحرمة، وفيه من البلبلة ما لا يتفق بشأن المؤمنين.

ومن أمثلة ذلك هذه الرسالة التى جاءتنى فى شأن «تعلم الموسيقى وسماعها»، فهى كما سمعتم تصور بين رأيين مختلفين فى حكم الموسيقى؛ يستند أحدهما إلى كلمات تقرأ فى بعض الكتب الشرعية، أو تسمع من بعض الناس الذين يلبسون ثوب الورع على غير الوجه الذى يليق عليه، وينبع الرأى الآخر من العاطفة الإنسانية المحكومة بالعقل الدينى السليم: يرى الأول-بالكلمات التى قرأها، أو التى سمعها- أن تعلم الموسيقى وسماعها حرام. ويرى الثانى-بعاطفته الإنسانية البريئة- أن تعلمها وسماعها حلال لا حرمة فيها.

فطرة الإنسان تميل إلى المستلذات

والأصل الذى أرجو أن يتنبه الناس إليه فى هذا الشأن وأمثاله، مما يختلفون فى حله وحرمة، هو أن الله خلق الإنسان بغريزته يميل بها إلى المستلذات والطيبات التى يجد لها أثراً طيباً فى نفسه، به يهدأ، وبه يرتاح، وبه ينشط، وبه تكن جوارحه، فتراه ينشرح

صدره بالمناظر الجميلة، كالحضرة المسقة والماء الصافي الذي تلعب أمواجه، والوجه الحسن الذي تنبسط أساريره. ينشرح صدره بالروائح الزكية التي تحدث خفة في الجسم والروح، وينشرح صدره بلمس النعومة التي لا خشونة فيها، وينشرح صدره بلذة المعرفة في الكشف عن مجهول مخبوء، وتراه يعد هذا مطبوعاً على غريزة الحب لشتهايات الحياة وزينتها من النساء والبتين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيال المسومة والأنعام والحرث.

الشرائع لا تقضى على الفرائض لتنظيمها

ولعل قيام الإنسان بمهمته في هذه الحياة ما كانت لتتم على الوجه الذي لأجله خلقه الله إلا إذا كان ذا عاطفة غريزية، توجهه نحو المشتهايات، وتلك المنع التي خلقها الله معه في الحياة، فيأخذ منها القدر الذي يحتاجه ويتقعه.

ومن هنا قضت الحكمة الإلهية أن يخلق الإنسان بتلك العاطفة، وصار من غير المعقول أن يطلب الله منه -بعد أن خلقه هذا الخلق، وأودع فيه حكمته السامية هذه العاطفة- نزعها أو إمانتها أو مكافحتها في أصلها. وبذلك لا يمكن أن يكون من أهداف الشرائع السماوية -في أي مرحلة من مراحل الإنسانية- طلب القضاء على هذه الغريزة الطبيعية التي لا بد منها في هذه الحياة.

نعم، للشرائع السماوية بإزاء هذه العاطفة مطلب آخر، يتلخص في كبح الجسم، ومعناه: مكافحة الغريزة عن الحد الذي ينسى

به الإنسان واجباته، أو يفسد عليه أخلاقه، أو يحول بينه وبين أعمال هي له في الحياة ألزم، وعليه أوجب.

الوسط أصل عظيم في الإسلام

ذلك هو موقف الشرائع السماوية من الغريزة، وهو موقف الاعتدال والقصد، لا موقف الإفراط، ولا موقف التفريط، هو موقف التنظيم، لا موقف الإماتة والانتزاع، هذا أصل يجب أن يفهم، ويجب أن توزن به أهداف الشريعة السماوية، وقد أشار إليه القرآن في كثير من الجزئيات

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾

(الإسراء: ٢٩)

﴿يَبْنَىٰ نَادِمٌ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾

(الأعراف: ٣١)

﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبَدِّلْ قَدِيمًا بَدِيلًا ۚ﴾

(لقمان: ١٩)

وإذن، فالشريعة توجه الإنسان في مقتضيات الغريزة إلى الحد الوسط، فهي لم تنزل لانتزاع غريزة حب المال، إنما نزلت بتعديلها على الوجه الذي لا جشع فيه ولا إسراف، وهي لم تنزل لانتزاع الغريزة في حب المناظر الطبيعية، ولا المسموعات

المستلذة، وإنما نزلت بتهدئتها وتعديلها على ما لا ضرر فيه ولا شر. وهي لم تنزل لانتزاع غريزة الحزن، وإنما نزلت بتعديلها على الوجه الذي لا هلع فيه ولا جزع. وهكذا وقفت الشريعة السماوية بالنسبة لسائر الغرائز.

وقد كلف الله العقل -الذي هو حجته على عباده- بتنظيمها على الوجه الذي جاء به شرعه ودينه، فإذا مال الإنسان إلى سماع الصوت الحسن، أو النغم المستلذ من حيوان أو إنسان، أو آلة كيفما كانت، أو مال إلى تعلم شيء من ذلك، فقد أدى للعاطفة حقها، وإذا ما وقف بها مع هذا عند الحد الذي لا يصرفه عن الواجبات الدينية، أو الأخلاق الكريمة، أو المكانة التي تستحق ومركزه، كان بذلك منظماً لغريزته، سائراً بها في الطريق السوي، وكان مرضياً عند الله وعند الناس.

بهذا البيان يتضح أن موقف الشاب في تعلم الموسيقى -مع حرصه الشديد على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها وعلى أعماله المكلف بها- موقف -كما قلنا- نابع من الغريزة التي حكمها العقل بشرع الله وحكمه، فنزلت على إرادته، وهذا هو أسمى ما تطلبه الشرائع السماوية من الناس في هذه الحياة.

رأي الفقهاء في السماع

ولقد كنت أرى أن هذا القدر كاف في معرفة حكم الشرع في الموسيقى، وفي سائر ما يحجب الإنسان ويهوى بمقتضى غريزته، لولا أن كثيراً من الناس لا يكتفون، بل ربما

لا يؤمنون بهذا النوع من التوجيه في معرفة الحلال والحرام، وإنما يقتنعهم عرض ما قيل في الكتب وأثر عن الفقهاء. وإذا كان ولا بد فليعلموا أن الفقهاء اتفقوا على إباحة السماع في إثارة الشوق إلى الحج، وفي تحريض الغزاة على القتال. وفي مناسبات السرور المألوفة كالعيد، والعرس، وقدم الغائب وما إليها، ورأيانهم فيما وراء ذلك على رأيين: يقرر أحدهما الحرمة، ويستند إلى أحاديث وآثار، ويقرر الآخر الحل، ويستند كذلك إلى أحاديث وآثار، وكان من قول القائلين بالحل: «إنه ليس في كتاب الله، ولا سنة رسوله، ولا في معقولهما من القياس والاستدلال، ما يقتضي تحريم مجرد سماع الأصوات الطيبة الموزونة مع آلة من الآلات»، وقد تعقبوا جميع أدلة القائلين بالحرمة وقالوا: إنه لم يصح منها شيء.

رأي الشيخ النابلسي

وقد قرأت في هذا الموضوع لأحد فقهاء القرن الحادي عشر المعروفين بالورع والتقوى رسالة هي «إيضاح الدلالات في سماع الآلات»، للشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي، قرر فيها أن الأحاديث التي استدلت بها القائلون بالتحريم -على فرض صحتها- مقيدة بذكر الملهي، وبذكر الخمر والقينات، والفسوق والفجور، ولا يكاد حديث يخلو من ذلك. وعليه كان الحكم عنده في سماع الأصوات والآلات المطربة أنه إذا اقترن بشيء من محرمات، أو اتخذ وسيلة للمحرمات، أو أوقع في

نشأة العلم الإسلامي ومناهجه

بقلم: د. أحمد فؤاد باشا



أولاً: بدايات الترجمة والتصنيف والشروح

بالخصوصيات والتمايز من جهة أخرى؛ ذلك أن الترجمة تمثل إحدى صور هذا التفاعل المتبادل بين الحضارات الذي يعنى من ناحية - أن الثقافة الإنسانية ذات موارد متعددة بين شرقية وغربية يغذى بعضها بعضاً دون أن تقام بينها حواجز منيعة تعوق الاتصال والتبادل كما يعنى من ناحية أخرى أن تحتفظ كل ثقافة بخصوصياتها المميزة وأن تبقى كل حضارة على طابعها ومقوماتها التي تنفرد بها^(١). وكان طبيعياً إذن أن تبدأ الحركة العلمية في العصر الإسلامي بنقل معارف السابقين: حيث تعرف المسلمون على علوم كثير من الشعوب من غير ملتهم؛ فيوم أن استقر العرب في فارس وسور، استرعت أنظارهم حركات علمية في حيران والإسكندرية^(٢)، والأموي (٨٥٠) بالكعبة

أقبل المسلمون على تحصيل العلم النافع بدافع من تعاليم دينهم الحنيف، ولم يدخروا وسعاً في الانفتاح على ثقافات الأمم والحضارات الأخرى التي شملها الإسلام والتفاعل معها والإفادة من علومها وفنونها ومناهجها؛ فالحكمة في عرف الإسلام ضالة المؤمن عليه أن يلتقطها أو يقتنصها أنى وجدها، وفي ظل هذا البدا الإسلامى لم يجد المسلمون حرجاً في الاستعانة بعلماء وفلاسفة ومثقفين مسيحيين وصابئة ومجوس في ترجمة ونقل علوم الأمم الأخرى إلى اللغة العربية. وهنا نجد أن المسلمين قد فطنوا إلى أهمية الترجمة ليس فقط باعتبارها مطلباً إسلامياً من ضروريات التحصيل للعرفى ولكن أيضاً من حيث هي أساس منهجى لقيام أية نهضة حضارية فليس من حسن التدبير أن توجد معرفة في مكان ما ولا يجد الناس في تحصيلها والاستفادة منها.

وكانت الحضارة الإسلامية - بإقبالها على الترجمة - سبباً في تحقيق المعادلة التاريخية - التحكم العلاقة السوية بين الثقافات العالمية على أساس التفاعل المتبادل من -

وهكذا يجب أن يعلم الناس حكم الله في مثل هذه الشئون. ونرجو بعد ذلك ألا نسمع القول يلقي جزافاً في التحليل والتحريم، فإن تحريم ما لم يحرمه الله أو تحليل ما حرمه الله كلاهما افتراء وقول على الله بغير علم:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْآثِمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُرْسَلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَلَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

ذلك هو حكم الغناء - أو اللهو .. أو السماع - والذي هو: كلمات وألحان وأداء .. حسنة حسن وقبيحة قبيح .. جرت السنة بإباحته منذ أن غنت الجوارى وسمع الرجال في بيت النبوة، وفي بيوت الصحابة .. وحتى فتوى الشيخ شلتوت، في عصرنا الراهن. عرضنا لحكمه الشرعى في هذه الصفحات .. كما عرضنا للأسباب التي أثارت لفظ التحريم له بتعميم وإطلاق، سواء منها تلك المأثورات المعلولة منذاً ومتنا، أو تلك الآفة التي خلطت بين ما يعرض للغناء من أمور تخرجه عن الحل والإباحة وبين أصل الإباحة له، فاتخذتها - بهذا الخلط - سبيلاً لتحريمه بتعميم وإطلاق^(٢) .. والله، سبحانه وتعالى، أعلم.

اغرمات كان حراماً، وأنه إذا سلم من كل ذلك كان مباحاً في حضوره وسماعه وتعلمه. وقد نقل عن النبي ﷺ، ثم عن كثير من الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء أنهم كانوا يسمعون ويحضرون مجالس السماع البريئة من المجون واغرم. وذهب إلى مثل هذا كثير من الفقهاء، وهو يوافق تماماً في المغزى والنشيجة الأصل الذى قررناه في موقف الشريعة بالنسبة للفرائز الطبيعية.

ولع الشيخ العطار بالسماع

وكان الشيخ حسن العطار - شيخ الجامع الأزهر في القرن الثالث عشر الهجرى - ذا ولع شديد بالسماع وعلى معرفة تامة بأصوله، ومن كلماته في بعض مؤلفاته: «من لم يتأثر برقيق الأشعار، تنلى بلسان الأوتار، على شطوط الأنهار، في ظلال الأشجار، فذلك جلف الطبع حمار».

الأصل في السماع الحل، والحكمة عارضة

وإذن فسماع الآلات، ذات النغمات أو الأصوات الجميلة، لا يمكن أن يحرم باعتبارها صوت آلة، أو صوت إنسان، أو صوت حيوان، وإنما يحرم إذا استعين به على محرم، أو اتخذ وسيلة إلى محرم، أو ألهى عن واجب.

(١) الأعراف - ٢٢. انظر (الفتاوى) للشيخ محمود شلتوت - ج ١ - ٤٠٩ - ٤١٤ طبعة دار الشروق. القاهرة سنة ١٩٨٠م.

(٢) انظر تفصيل موقف الإسلام من الفنون الجميلة - غناء، وموسيقى، ورسماً ونحتاً وتصويراً - في كتابنا (الإسلام والفنون الجميلة) طبعة دار الشروق. القاهرة سنة ١٩٩١م.

(١) د. أحمد فؤاد باشا، في

د. ٢٠٠٤م، مكتبة الأسرة ٢٠٠٦م.

يلقب «حكيم آل مسروان» ويقال أيضاً: إن ماسرجويه - وهو طبيب يهودي الدين سرياني اللغة بصري الدار - نقل للخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز «ت ١٠١ هـ / ٧١٧ م» كتاباً «مجموعاً» في الطب^(١).

أما أول نقل في الدولة العباسية فقد قام به عبدالله بن المقفع «ت ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م»، حيث نقل عدداً من كتب السلوك إلى اللغة العربية ووضع كتاب كليله ودعته بالاستناد إلى قصص فارسية وهندية، وأصبح النقل في رعاية الدولة منذ أيام أبي جعفر المنصور «ت ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م»؛ وعلى ذلك سار هارون الرشيد الذي أنشأ «دار الحكمة» لتكون أول مؤسسة علمية تعنى بترجمة أمهات الكتب اليونانية والفارسية إلى العربية، كما أنشأ المأمون «بيت الحكمة» الذي كان بمثابة حجر الزاوية لمدرسة بغداد التي ظل تأثيرها فعالاً حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي ثم اتسعت حركة الترجمة والتعريب عن اللغات اليونانية والسريانية والقبطية والهندية والفارسية وغيرها، ومن أشهر بالترجمة آل ماسرجويه وكانوا يهوداً، وآل بختيشوع وآل حنين بن إسحق وكانوا نصارى، وآل ثابت بن قرة وكانوا صابئة. ومن أهم الكتب القديمة التي ترجمت إلى اللغة العربية وأثرت تأثيراً كبيراً في علماء الحضارة الإسلامية كتاب «السند هند» للفلكي الهندي «ابراهيم جويتا» وكتاب «المسطى» لبطليموس وكتاب «أصول الهندسة» لأوقليدس، بالإضافة إلى بعض الكتب لجالينوس

وأبقراط في الطب والتشريح وبعض المخطوطات لأرسطو وأفلاطون في الفلسفة وعلوم ما وراء الطبيعة «الميتافيزيقا»... وكانت عملية الترجمة تعتمد في أمانتها ودقتها على تمكن المترجمين من اللغة العربية وإتقانهم للغات الأخرى التي ينقلون منها ويعتبر حنين بن إسحق «ت ٢٦٠ هـ - ١٨٧٣ م» من أقدم المترجمين وأشهرهم وأقدمهم؛ فقد تلقى شيئا من الطب على يوحنا بن ماسويه «ت ٢٤٣ هـ»، ثم تابع درس الطب في بلاد الروم، زار بعدئذ الإسكندرية وفارس ودرس فيهما شيئا من الفلسفة والطب، ثم عاد إلى البصرة وتبحر في درس اللغة العربية. وكان منهجه في الترجمة يعتمد على تحصيل معنى الجملة في ذهن المترجم، ثم التعبير عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها في المعنى، سواء استوت الجملتان في عدد الكلمات أم اختلفتا^(٢).

وكان علماء الحضارة الإسلامية يقومون بدراسة الكتب المترجمة دراسة نقدية فاحصة، ويستوعبون كل ما فيها، قبل أن يسدوا في تنقيحها وترتيب علومها وشرحها والتعليق عليها. وهنا يأتي دور العمل التصنيفي لتمثيل بعد الترجمة - البنية الثانية في بناء نظرية العلم الإسلامية التي بموجبها مارس العلماء والفلاسفة المسلمون البحث العلمي أو إنتاج المعرفة العلمية، آخذين بعين الاعتبار واقع العلم المتطور والتفسير دائماً^(٣). وظهرت مختلف تصنيفات العلوم لعلماء المسلمين بداية من جابر بن حيان والكندي والفارابي وانتهاء بابن خلدون

وطاش زادة، لتعكس ممارستهم المبكرة للتفكير العلمي في شموليته بحثاً عن حدود العلوم المختلفة وعلاقتها ببعضها البعض وتعبيراً عن الاتجاهات الجديدة التي تسلكها هذا العلم في واقع متغير ومتجدد، يأخذ بطرف من اليونان ومن مدرسة الإسكندرية، ومن الهند والفرس بطرف آخر، ليصهر كل ذلك في حركة علمية جديدة يطلبها الواقع الإسلامي ويفرضها؛ ولهذا سرعان ما انتقلت الحركة العلمية من طور الترجمة واستيعاب العلوم القديمة إلى مرحلة الابتكار الأصيل وإنتاج معارف جديدة عن طريق البحث وفق منهج علمي سليم يؤدي إلى الأحكام الصائبة والنتائج الواثقة.

وإذا كانت أدبيات الفهرسة وتصنيف العلوم في التراث الإسلامي كثيرة ومتعددة المشارب، منها من دمج علوم الشرع وعلوم العقائد في نسق واحد مثل الفارابي وابن سينا ومن فقه مثل الخوارزمي الكاتب وابن خلدون تشترك في تقديم حلول لا يستمولوجية واحدة في نظرية العلم المتطور المتسارع بصورة مستمرة المؤلفة والمترجمة بتطور العلوم الخدمية العلمي معتمداً بدرجة كبيرة على الفهرسة والتصنيف في كل موضوع من ناحية أخرى تأتي الملخصات التراث الإسلامي لتشكّل إلى والتصنيف - لبنة ثالثة في أول الإسلام، فقد جاءت له

تستهدف تعميق العلم وتفريعه وتطويره وتعليقه وتحليل أصوله، أو لغاية تعليمية تستهدف تبسيطه وتسهيله وشرح غامضه، أو لنقده وتفنيد الآراء الواردة فيه، وهذا ما يشرى الشرح ويجعله أحياناً ذا أهمية لا تقل بمكان عن العمل الأصلي أو المترجم، وربما يفوقه شهرة وأهمية واهتماماً، وأحياناً يكون للشرح شرح أو شروح نتيجة لشو إلى الأفكار ونحوها وتكاثرها وهناك أيضاً مختصرات الشروح وشروح المختصرات وتقاس أهمية العمل الشارح بما يكشف من تطور معرفي ومنهجي كما تحدد بدايات العلم الإسلامي من هذه الشروح والملخصات وتقاس بمدى استقلال الشرح في بنيته عن بنية النص الأصلي. ومن أمثلة الشروح التي حققت هذه الغايات وحظيت بعدد بشروح عديدة على فترات متقاربة أو متباعدة نذكر على سبيل المثال شروح كتاب «المخطى» في الفلك لبطليموس الذي ترجم من اليونانية إلى العربية أربع مرات خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين «الثامن والناسع الميلادي» وشروح كتاب «الأصول» في الهندسة لأوقليدس^(٤) كذلك ظهرت كتب «الشكوك» التي تتضمن نقداً جاداً لمعارف السابقين وتستدرك عليهم ومن أمثلتها مقالة وضعها أبو بكر الرازي في القرن الثالث الهجري «الناسع الميلادي» بعنوان: «الشكوك على جالينوس» ومقالة «الشكوك على بطليموس» للحسن بن الهيثم «ت ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م»^(٥).

تبع

(١) دراسة تاريخية ومقارنة دار الشعب القاهرة ١٩٨٧ م.

(٢) التراث الإسلامي، مجلة الأزهر، عدد صفر ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

(٣) تحقيق د. عبد الحميد صبرة ود. نبيل الشهابي، تصدير: د. إبراهيم منكور، دار

(٤) د. حسين محمد سليمان، الت

(٥) د. أحمد فوزي باشا، المخطو

(٦) راجع: الحسن بن الهيثم

الكتب المصرية، القاهرة

(١) د. عمر قريش، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م.

(٢) د. عمر قريش، المرجع السابق.

(٣) أصبح البحث في تصنيف العلوم أحد الجوانب الهامة في نظرية العلم العامة. ومن خلاله يمكن رصد اتجاهات العلوم وما يواجهها من صراعات خفية وظاهرة وما تسمح به هذه الاتجاهات من إمكانيات تطوير وما تلقى عنده متحمسة وعاجزة عن الانطلاق إلى آفاق أرحب.

خادم الحرمين الشريفين في افتتاح المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار:



نحن صوت عدل وقيم وتعد

رسالة مكة يكتبها: عاطف مصطفى

الموافق ٤ - ٦ يونيو ٢٠٠٨ جاءت فعاليات هذا المؤتمر الهام والتي تمثلت في محاور أربعة هي:

المحور الأول: التأسيس الإسلامي للحوار

- الحوار في القرآن والسنة... المفهوم والأهداف

- الحوار في القرآن والسنة... الأسس والمنطلقات

- تجارب من الحوار الحضاري وضوابطه

المحور الثاني: منهج الحوار وضوابطه:

- آداب الحوار وضوابطه

- إشكاليات الحوار ومحظوراته

- آليات الحوار

المحور الثالث: مع من نتحاور؟

- التنسيق بين المؤسسات الإسلامية المعنية

إلى جوار بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وفي رحاب قصر الصفا الذي يطل على الكعبة المشرفة، وبمشاركة من ٥٠٠ شخصية إسلامية، عقد المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود حيث شارك العلماء والمفكرون ورؤساء المنظمات والمراكز الإسلامية والباحثون والإعلاميون من مختلف الدول الإسلامية، وبلاد الأقليات المسلمة، ممن لهم باع طويل وخبرة في مجال التأسيس للحوار، ولهم إسهامات في مجال الحوار مع الآخر، بحيث يكونوا ومن خلال مؤتمر مكة العالمي بمحاورة الأربعة، متركز الإنطلاقة القوية لما يتطلع إليه المسلمون معه هذا الحوار.

ففي الفترة من ٣٠ / ٥ إلى ٢ / ٦ / ١٤٢٩ هـ بالحوار

فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي:

الحوار متى كان قائماً على الطيب من القول وعلى النيات الحسنة وعلى المقاصد الشريفة كانت نتائجه كريمة وكان خير وسيلة للوصول إلى الحقيقة

مفتي عام المملكة:

من أهم أهداف الحوار أن نزيل كل الشبه التي ألصقت بالإسلام واتهم بها والإسلام منها براء.

د. أكبر هاشمي رفسنجاني:

إذا أردنا الحوار مع أتباع الأديان الأخرى فعلياً أن نبدأ الحوار فيما بيننا ونوحد رؤانا ولنعبّر عن الرؤية الإسلامية في حوارنا مع الآخر



- الحوار مع إتباع الفلاسفات والأديان
الوضعية

- مستقبل الحوار في ظل الإساءات المتكررة
إلى الإسلام

واخيراً المحور الرابع بعنوان مجالات
الحوار.. وتناول: صراع الحضارات والسلام
العالمي - مخاطر البيئة - الأسرة والأخلاق في
المشترك الإنساني

ومؤتمر الحوار الذي جاء بدعوى كريمة
من خادم الحرمين الشريفين يأتي دعماً
لميثاق الأمم المتحدة والمنظمات الدولية لحقوق
الإنسان التي نصت على تشجيع الحوار
والفهم والتعاون بين الأديان والثقافات من
أجل السلام ومنع حالات التعصب والتمييز
والتحريض على كراهية أفراد أي من
الطوائف وأتباع الديانات والمعتقدات.

ففي الكلمة الصافية التي ألقاها خادم
الحرمين الشريفين بالقاعة الكبرى بقصر
الصفاء إيدانا بانطلاق أعمال المؤتمر الإسلامي
العالمي للحوار بعد تلاوة آيات من القرآن
الكريم.

قال: بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله
والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أيها الأخوة علماء الإسلام ومفكروه..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من
مهبط الرحي أرض الرسالة، أرحب بكم،
أكرم ترحيب سائلاً المولى عز وجل أن يمدنا
بعزم لا يلين وقوة لا وهن معها، وأن يجعلنا
من قال عنهم:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلَّى خَيْرٌ﴾

(فصلت: ٣٤)

وقال خادم الحرمين: انكم تجتمعون اليوم
لتقولوا للعالم من حولنا وباعتزاز أكرمنا الله به
إننا صوت عدل وقيم إنسانية أخلاقية وإننا
صوت تعايش وحوار عاقل وعادل وصوت
حكمة وموعظة وجدال بالتي هي أحسن تلبية
لقوله تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

(النحل: ١٢٥)

وإن شاء الله لفاعلون.

وأضاف الملك عبدالله: ما أعظم قدر هذه
الأمّة وما أصعب تحدياتها في زمن تداعى
الأعداء من أهل الغلو والتطرف من أبنائها
وغيرهم على عدل منهجها، تداعوا بعدوانية
سافرة استهدفت سماحة الإسلام وعدل
وغاياته.

ولهذا جاءت دعوة أخيك لمواجهة تحديات
الانغلاق والجهل وضيق الأفق ليستوعب العالم
مفاهيم وآفاق رسالة الإسلام الخيرة دون عداوة
واستعلاء:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَحَمَلْنَاكُمْ
شُعْرًا وَحَامِلًا يَعْرِفُوا أَنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَقْوَاهُ تَتَذَكَّرُونَ﴾

(الحجرات: ١٣)



وأكد خادم الحرمين الشريفين في كلمة أمام
علماء المسلمين في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر
الحوار قائلاً: ولهذا سيبقى الإسلام منيعاً بالله-
جل جلاله- ثم بوعى علمائه ومفكره وأبنائه،
فعظمة الإسلام أسست لمفاهيم الحوار وحددت
معالم الطريق له، يتجلى ذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

وقلوبنا- بحمد الله- مليئة بالإيمان
والتسامح والمحبة التي أمرنا بها الخالق- جل
جلاله-.

وأضاف: نعم أيها الأخوة الكرام سيكون
الطريق للأحرار من خلال القيم المشتركة التي
دعت إليها الرسالات الإلهية والتي أنزلت من
الرب عز وجل وتعالى لما فيه خير الإنسان

والحفاظ على كرامته وتعزيز قيم الأخلاق
والتعاملات التي تستقيم والخداع، تلك القيم
التي تنبذ الخيانة، وتنفر من الجريمة، وتحارب
الإرهاب، وتحسّن الكذب، وتؤسس لمكارم
الأخلاق، والصدق، والأمانة، والعدل، وتعزز
مفاهيم وقيم الأسرة وتماسكها وأخلاقياتها
التي جاز عليها هذا العصر وتفككت روابطها
وابتعد الإنسان فيه عن ربه وتعاليم دينه.

واختتم كلمته بقوله: من حوار بيت الله
الحرام بدأنا ومنه- بإذن الله- سننطلق في
حوارنا مع الآخر بثقة نستمدّها من إيماننا بالله
ثم نعلم نأخذه من سماحة ديننا وسنجدال
بالتى هي أحسن فما اتفقنا عليه أنزلناه مكانه
الكريم في نفوسنا وما اختلفنا حوله تحيله إلى
قوله سبحانه وتعالى:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

الكافرون: ٦

الحوار من ضروريات الحياة

ثم ألقى سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ كلمة أكد فيها على أن الحوار بين البشر من ضروريات الحياة وهو وسيلة للتعارف والتعايش وتبادل المصالح بين الأمة وأن الخلاف بين الناس أمر موجود في طبائعهم وأخلاقهم فهم متفاوتون في ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم وعقولهم وأن اختلاف الناس في آرائهم ومعتقداتهم سنة كونية وقضيتهم أقرها القرآن وبين أن الله بعث محمد ﷺ برسالة لجميع الخلق وختم به الرسالات: عقيدته وشريعته الدعوة إلى إخلاص الدين لله، وتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وهي عقيدة جميع المرسلين قبلهم.

وأوضح أن أهمية الحوار في الإسلام تنبع من خلال تقييم الإسلام لهذا الحوار ودعوته إليه للتفويض بالشعوب والأمم ولا سيما في الدعوة إلى الله.

وأضاف مفتي المملكة قائلًا: أمة الإسلام نحن في قرن قوى فيه الاتصال مما أدى إلى ضرورة التحوار والتواصل بين البشر فهو الأصل للتلاقي فيجب على عالمنا الإسلامي أن يستقبله بحزم وأن يتعامل معه بإيجابيات واستغلال في الدعوة إلى الإسلام وتبيين فضائله والسعي فيما ينقذ العالم من الانهيار والفساد والانحراف والتفكك الأسرى وغيره من جرائم العصر.

وأكد سماحته أن من أهم أهداف الحوار أن تزيل كل الشبه التي ألصقت بالإسلام وأتهم بها والإسلام منها براء.. فقد قالوا عن الإسلام إنه دين إرهاب وقالوا عنه إنه دين عنف ويتنهدك حقوق الإنسان كل ذلك من المغالطات.. فالإسلام دين الرحمة واللين والتسامح وحب الخير واحترام الحقوق للصغير والكبير والفقير والغني واحترام حقوق الإنسان بل احترام حق الحيوان وجاء بما يحمي البيئة ويؤمن مصالح الناس في حاضرتهم ومستقبلهم.

إن كثيراً من الإعلام الجائر ضد الناس عن الإسلام وخرج لهم بصورة مشوهة فمن هنا صار الحوار فرصة لنشر مبادئ الإسلام الكريمة.

مسيرة إسلامية مجددة

وبعد ذلك ألقى رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام «رئيس مجلس الخبراء في الجمهورية الإسلامية الإيرانية» الدكتور أكبر هاشمي رفسنجاني كلمة أعرب فيها عن شكره لإقامة هذا المؤتمر الذي يحمل الكثير من المفاهيم للأمة الإسلامية وذلك في مهبط الرحي.

وقال إن النقطة الثبيرة التي تبادرت إلى ذهني هي أننا على بعد أمتار من جبل الصفا حيث المكان الذي قام فيه الرسول ﷺ بعد تكليفه بالرسالة بإعلان دعوته.

وأضاف: إن إخواننا في المملكة العربية السعودية ويجوار بيت الله الحرام، وعلى بعد أمتار من جبل الصفا أطلقوا نداء جديداً لعالمنا



الأخرى فعلينا أن نبدأ الحوار فيما بيننا وأن نحدد مسيرة إسلامية محددة تتفق عليها ونتفاهم حولها ونسير في هذا الطريق بتوحيد رؤانا ولنعبر عن الرؤية الإسلامية في حوارنا مع الآخرين.

القرآن زاخراً بلوان متعددة من الحوارات

وعقب ذلك ألقى كلمة الوفد وقد ألقاها نيابة عنهم فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر رفع فيها باسمه ونيابة عن العلماء المشاركين في المؤتمر خالص الشكر والتقدير لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود واعي المؤتمر سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن يديم عليه الصحة والسداد في القول والعمل.

وقال فضيلة الإمام الأكبر إن هذا المؤتمر

حيث يقدمون رسالة عظيمة لجميع أبناء البشر في العالم وإنني لأرجو أن نستطيع أن نوصل نداءنا من جوار بيت الله الحرام ومهبط الرحي، الرسالة التي جاء بها القرآن الكريم إلى جميع أنحاء العالم.

وتوه رفسنجاني بما ورد من النقاط الجيدة في كلمة خادم الحرمين الشريفين وسماحة مفتي عام المملكة كما طرحت بعض المحاور لإبراز الهدف من إقامة هذا المؤتمر حتى يمكن أن تكون رسالة مؤثرة في عالمنا المعاصر.

وأوضح أن هذا المؤتمر الإسلامي العالمي يمكن أن يكون تمهيداً ومقدمة للحوار بين أتباع الأديان وبين المدارس الرائج بين البشرية.

قائلًا: إننا إذا أردنا الحوار مع أتباع الأديان

كذلك هناك ألوان من المحاورات التي دارت بين الأشرار فيما بينهم:

﴿قَالَ لَدْخُلُوا فِي أَسْرَةٍ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فَإِنَّ رُكْبَانًا خَلَّتْ أُنْفُؤُا أَخْبَاهَا حَرْجًا إِنْ أَنَا رُكْبَانًا فِيهَا جِيئًا قَالَتْ أَخْرَجْتُمْ لَوْلَاهُمْ مَنَاقِبُهُمْ أَصْلَوْا فَتَنَاهُمْ عَذَابًا صَعْبًا مِنَ النَّارِ﴾

(الأعراف: ٣٨)

قال:

﴿وَقَالَتْ لَوْلَاهُمْ لَأَخْرَجْتُهُمْ مَنَاقِبًا لَكُمُ عَلَيْهِمْ قَضِيلٌ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾

(الأعراف: ٣٩)

هذا حوار حول اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب وحساب:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفَقْنَا أَوْ نَالِ السَّعْيُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾

(الإسراء: ٤٩)

ويرد القرآن الكريم عليهم:

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حِيدًا أَوْ مَخْلُوقًا بَدِيعَةً بَرِّفٍ مُدَوِّرَةً فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُمِيدُ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْذِرُ إِلَيْكُمْ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾

(الإسراء: ٥٠، ٥١)

هذه ألوان من المحاورات أيضاً حول القرآن الكريم:

﴿وَإِذَا نُنشِئُ عَلَيْهِمُ مَكَانًا تَابِتًا قَالُوا لَيْسَ لَنَا بِرَبِّهِمْ لِقَاءٌ نَأْتِي بِشَرِّهِمْ وَلَا يَشْفَعُ لَهُمْ هَذَا أَوْ يَدُلُّهُ﴾

(يونس: ١٥)

يأتى الجواب:

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُنشِئُ لَهُمْ مَقْلَبًا نَفْسِي إِنَّ اللَّهَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ﴾

(يونس: ١٥)

كما ساق لنا القرآن الكريم ألواناً من المحاورات مع الملائكة ومع الرسل الكرام... مع المشركين... مع المنافقين... مع أهل الكتاب. بل ساق القرآن الكريم حواراً أيضاً لسور شتى حتى مع إبليس اللعين:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ خَلْقِكَ مِنْ نَارٍ وَتُفَعِّلُونِي مِنْ نَارٍ﴾

(الأعراف: ١١، ١٢)

٧ مرات تكرر في هذه الآيات لفظ قال ونجد مادة الحوار المأخوذة من مادة القول... نجد هذه المادة مادة: القول، قال، وقالوا، ويقولون، وقيل... نجد أن لفظ قالوا تكرر في القرآن الكريم أكثر من ٥٠٠ مرة ولفظ قال أكثر من ثلاثمائة مرة ولفظ قل تكرر أيضاً أكثر من ثلاثمائة مرة.

إذا فالقرآن الكريم ساق ألواناً ونماذج متعددة من الحوارات التي فيها ما فيها من الهدايات.

فرصة تاريخية لعلماء المسلمين

واختتم معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله عبدالحسن التركي الجلسة الافتتاحية بقصر الصفا بكلمة مهمة حول مؤتمر الحوار قائلًا: إنها لفرصة تاريخية نادرة يجتمع فيها علماء المسلمين وقادة الرأي قبيهم من مختلف أنحاء العالم، بجوار الكعبة المشرفة أقدس بقعة في المعمورة وتحت رعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين.

فلقد أدرك- حفظه الله- ما تعيشه البشرية اليوم من أزمات وما يكتنف الأسرة من تفكك وفوضى وما يعيشه البشر من بعد عن هدى خالقهم وأهمية الحوار والتفاهم والتعاون فيما يجتمع عليه أتباع الرسالات الإلهية والحضارات والثقافات من قيم ومبادئ.



أخلاقية مما يخفف من الصراع العالمي ويعيد للأسرة مكانتها الاجتماعية ويعمق قيم العدل والتسامح والوسطية في حياة الناس.

وأضاف الدكتور التركي: واليوم- وتحت رعايته الكريمة- يعقد هذا المؤتمر الإسلامي العالمي لندارس حوار المسلمين مع غيرهم ومن أجل الاتفاق على رؤية شرعية.

إن الإسلام رسالة موجهة للناس كافة اشتملت على أرقى ما عرفه العقل البشري من القيم والمبادئ المثلى المهيأة لعمارة الأرض بمجتمع إنساني مترائم.

وشدد على أنه حيثما تستنير أمة الإسلام بقيم الإسلام وأحكامه تنفتح بثقافتها على الغير وتملك القدرة على الحوار مع أتباع الرسالات الإلهية ومنتحلي الملل والفلسفات المغتبرة وأن الحوار وسيلة تستمد مشروعيتها وأهميتها من مشروعية ما تهدف إليه من خير وصلاح.

وهو منهج قرآني أصيل وممارسة نبوية.. وثقافة راسخة في ذاكرة الأمة اصطبغت بها العلاقة بين المسلمين وغيرهم منذ فجر الإسلام وعبر تاريخه الحضاري الطويل وتراثه المتجدد انطلاقاً من سماحة الإسلام وجوهر الشريعة الإسلامية، التي يستمد منها المسلمون نهجهم.

وبين الدكتور عبد الله التركي في كلمته الضافية أمام وفود المؤتمر: أن من وسائل الدفاع عن الإسلام في هذا العصر وإبراز قيمه وحضارته في خضم التداخل الثقافي وتقديم تقنية المعلومات أن يمد المسلمون جسور الحوار مع غيرهم لاسيما وأن عالمية الرسالة الخاتمة

ومستولية التعريف بها تقتضي التعرف على الآخرين واستكشاف ما لديهم من ثقافات ومفاهيم فالانغلاق مناف لسن الاجتماع البشري والحوار من أهم الوسائل في التفاعل مع الوجود كله ضمن سنن التنوع والتدافع لتحقيق التوازن الكوني.

وأضاف يقول: إن قدراً وافراً من المشكلات التي ترهق المجتمع البشري تعد من المشترك الإنساني الذي يتيح مجالاً للمسلمين للتعريف برصيدهم الثقافي في النظم والتشريعات والإسهام بهذا الرصيد في توجيه الفكر الإنساني من خلال الأطر المفتوحة للتداول بين مختلف الرؤى الحضارية في القضايا الإنسانية كما يتيح لهم فرصاً للتعرف على القيادات المؤثرة في الحياة المعاصرة والتي تبدي استعدادها للتعاون مع المسلمين.

وليس ذلك مدرجة للتنازل عن شيء من حقائق الدين الثابتة في العقيدة أو الشريعة أو تعريضها للنقد والمراجعة فإن شعار السلم إذا تعامل مع غيره قوله الله تعالى:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

(الكافرون: ٦)

وقف مراجعة

وأكد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي علي أنه إذا كان الحوار بين المسلمين وغيرهم أمراً تقتضيه خصيصة الانفتاح التي تتسم بها خاتمة الرسالات الإلهية وضرورة التعامل الإيجابي مع متغيرات العلاقات الحضارية بما يحمي الهوية الإسلامية من الذوبان في أتون

العولمة الكاسحة فإن من الأهمية بمكان أن يقف المعنيون بالحوار وقضايا وقفة مراجعة لرصد التجارب الماضية ينطلقون منها إلى وضع خطة جديدة في المستقبل تتحدد فيها أهداف الحوار وضوابطه ووسائل تنفيذه فيما يعزز الإيمان بالله والإحسان إلى خلقه وتنمية فضائل الاخلاق التي تقوى نواذع الخير وتكبح بواعث الشر وتؤدي إلى تبادل المصالح بين البشر.

وهذا أهم ما استهدفه هذا المؤتمر استجابة لتطلعات المهتمين بقضايا الحوار بين أتباع الرسالات والحضارات وإسهاماً في التخفيف من عوائق الحوار ومشكلاته وتأكيداً على أهمية التجرد للحق والإنصاف مع النفس.

رسالة سامية ومهمة جليلة

وأوضح د. عبد الله التركي في ختام كلمته قائلاً: إن السعادة لتغمر الأمة المسلمة إذا يعقد هذا المؤتمر في مكة المكرمة زادها الله تشريعاً.. بمكانتها السامية في نفوس المسلمين وتحت الرعاية المباشرة من خادم الحرمين الشريفين بما له من حضور واهتمام في العالم كله وما للعلماء والمفكرين المسلمين من مكانة متميزة لديه، ففي مختلف المناسبات يشيد بهم ويوجه بالتعاون معهم.

إن هذا المؤتمر رسالة سامية ومهمة جليلة ونقطة نوعية تعلق عليه الأمة آمالاً عريضة في تحقيق مشاريع عمل تستثمر في مسيرة الحواره وتوظف للخير وتفع المسلمين والإنسانية جمع من خلال عمل مؤسسي طموح، يعزز الحوار ويجلي آفاقه مع المسلمين ومع غيرهم.

التأصيل الإسلامي للحوار

وبعد ذلك عقد المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار جلسة عمله الأولى في المساء وتولى رئاستها معالي رئيس مجلس الشورى السعودي الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد. وخصصت لمناقشة محور الأول للمؤتمر «التأصيل الإسلامي للحوار» حيث تحدث في الجلسة المدير التنفيذي للملتقى العالمي للعلماء والفكرين المسلمين الدكتور سعد بن علي الشهراني عن الحوار في القرآن والسنة / الأسس والمنطلقات، وأكد فيها أن الحوار المسلم لا ينطلق في حواراته من فراغ، بل له أهداف سامية معلومة، إذ أن أهداف الحوار هي ثمرته وغايته المطلوبة، ويتحدد هذه الأهداف تنضج موضوعاته وأساليبه. وتحدث الدكتور أسعد السحمراني عن «تجارب من الحوار الحضاري عبر التاريخ مشيراً إلى أنه حدثت فقرات سريعة في عالم الاتصال، بفعل التقدم التقني، وذلك فرض قدراً من الافتتاح والتواصل بين الأمم واجتمعات، لم تعهده البشرية من قبل.

وعقد المؤتمر جلسته الثانية برئاسة رئيس البرلمان في أندونيسيا الدكتور نور محمد هدايت وحيد.

وخصصت هذه الجلسة لمناقشة موضوع محددات الحوار ومصطلحات الشرعية، حيث تحدث فيها كل من الأمين العام للمركز العالمي للوسطية في الكويت الدكتور عصام أحمد البشير والشرف العام على مؤسسة الإسلامية اليوم الدكتور سليمان بن فهد العودة.

واصل المؤتمر جلساته، وناقش الكثير من البحوث المهمة التي أعدت لهذا المؤتمر، وتلا ذلك توصيات سوف نتناولها في مقال قادم إن شاء الله تعالى.

مستقبل الحوار في ظل الإساءات المتكررة إلى الإسلام

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

الجيل الحالي - مآسى الحرب العالمية الثانية، وما خلفته من دمار شامل في دول الغرب - التي بدأت منه - وفي دول الشرق التي لم تكن طرفا فيها ...

وتعيش جميعا ما يحدث - حاليا - في بعض دول العالم - من قتال وصراعات واعتداءات ظالمة صارخة من بعض الدول القوية التي تستغل تفوقها العسكري والاقتصادي في الاعتداء على الدول الضعيفة، وقرض هيمنتها عليها لاستغلال ثرواتها، وبسط نفوذها على المناطق المحيطة بها ... وهو ما نشاهده في فلسطين وأفغانستان والعراق والشيخان ... الخ لذلك اتجهت شعوب العالم في النصف الثاني من القرن العشرين إلى منهج الحوار، واتخاذ أسلوبي لعلاج المشاكل التي تنشأ بين الدول، ومنهجها للتعامل فيما بينها لحل القضايا والخلافات، والوصول إلى نتائج سليمة

لقد ستمت شعوب العالم الحروب، وأيقنت عن فئاعة أن الحروب لن تحل المشاكل التي تقع في المجتمع الإنساني، وأن القتال لن ينهي الخلافات التي تنشأ بين الدول ... بل على العكس، وجدت الشعوب أن القتال والحروب تزيدها تعقيدا، وتولد الكراهية والبغضاء بين الشعوب المتحاربة، وأنها تدفع الشعوب المهزومة المهشورة التي غلبت على أمرها، تدفعها دفعا إلى أن تتولد لديها غريزة الانتقام، وإلى أن تتبنى خطة الانتقام والأخذ بالشار من الدول المنتصرة عليها ...

وهكذا تعيش شعوب العالم في مآسى القتال والحروب التي تجلب الخراب والدمار، وتترك وراءها ملايين القتلى من العسكريين والأطفال والنساء والشيوخ من المدنيين، إضافة إلى الملايين من مشوهي الحرب من الجانبين ... ولقد عاش كبار السن في دول العالم - من

بتوجيهات من خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود وبرعايته، أقامت رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار في الفترة من ٢٠ من جمادى الأولى إلى ٢ من جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ التي توافقها الفترة من ٤ إلى ٦ يولية ٢٠٠٨ م.. وقد وجهت الدعوة إلى حوالي سبعمائة من كبار العلماء في العالم الإسلامي للمشاركة في المؤتمر.

وافتح خادم الحرمين الشريفين المؤتمر بكلمة أوضح فيها أن الإسلام هو صوت العدل والقيم الإنسانية والتعايش السلمي بين أبناء البشر جميعا، وأن الأمة الإسلامية تواجه تحديات من الداخل والخارج في زمن تداعى فيه أهل القلوب والتطرف من أبنائها ومن غيرهم على عدل منتهجها بعدوانية سافرة، وأنه يجب على المسلمين جميعا أن يتحدوا ويتعاونوا لمواجهة هذه التحديات، وأن الإسلام دعا إلى الحوار وأعطاه أهمية خاصة، كما أن الرسائل السماوية دعت جميعها إلى خير الإنسان والحفاظ على كرامته، وإلى تعزيز قيم الأخلاق وقيم الأسرة، وأن المسلمين ينطلقون إلى الحوار مع الآخر بثقة تستمدّها من إيماننا بالله، ثم بعلم نأخذه من سماحة ديننا ..

كما ألقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر كلمة شكر إنابة عن الوفود المشاركة في المؤتمر، أعرب فيها عن تقديره لرعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز لهذا المؤتمر، وأكد فضيلته على أن الحوار سنة من سنن الله في خلقه، وأن الذي يتدبر القرآن الكريم يراه زائرا بأشكال متعددة من الحوارات.

وقد أقيمت في المؤتمر على مدى ثلاثة أيام أربعة عشر بحثا في أربعة مجاور هي: التاصيل الإسلامي للحوار، ومنهج الحوار وضوابطه، ومع من نتحاور؟ ومجالات الحوار، بخلاف عشرات الأبحاث التي قدمت إلى المؤتمر ولم يتسع وقت المؤتمر إلى إلقائها.

وقد طلب منى معالي الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي - قبل عقد المؤتمر - إعداد بحث في المحور الثالث - مع من نتحاور؟ بعنوان: «مستقبل الحوار في ظل الإساءة المتكررة إلى الإسلام، أعدده بتوفيق من الله تعالى، وتم إقائه في الجلسة الرابعة للمؤتمر يوم الخميس ١٤٢٩/٦/١ هـ الموافق ٢٠٠٨/٦/٥ ضمن الأبحاث التي أقيمت.



تكررت في القرآن الكريم أكثر من ألف
وسبعمائة مرة (١) ...
فمثلاً لفظ "قال" قد تكرّر في القرآن الكريم
أكثر من خمسمائة مرة، ومن ذلك قوله-
تعالى:-

وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا
(الأحزاب: ٧٠)

وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
(العنكبوت: ٤٦)

إلخ الآيات القرآنية التي وردت في القرآن
الكريم تؤكد على ذلك ..

نقرأ القرآن الكريم فنجد: أن مادة
"القول" وما اشتق منها: كقال، ويقول،
وقل، وقالوا، ويقولون، وقولوا... إلخ،
هذه المادة التي تدل على: التحوار
والمناقشة والجدال والمعارضة والمراجعة بين
الناس فيما يتعلق بأمور حياتهم، قد

(البقرة: ٢٥٨)

١- "لجمع المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" الأستاذ محمد غزاد عبدالباقى

المسلمين فيما بينهم؟ وهل الإسلام يقر الحوار
ويدعو إليه أم يرفضه ولا يوافق عليه؟

نقرر ونؤكد على أن: الحوار هو لغة الإسلام،
وقد قضى الله- سبحانه- أن تكون علاقته-
جل شأنه- بمخلوقاتة قائمة على أساس الحوار
الإقناعي وليس على أساس القهر والإكراه، وأن
القرآن الكريم- وهو دستور المسلمين، ومصدر
عقيدتهم وشريعتهم- قد وجهنا إلى أن الحوار
هو الأسلوب الذي يجب على المسلمين اتباعه
عند بحث القضايا والمشكلات، وعند مناقشة
حل الخلافات التي تنشأ بين المسلمين وغيرهم،
أو بين المسلمين بعضهم مع بعض ...

وأن الحوار هو اللغة التي استعملها الله- جل
شأنه- مع مخلوقاتة ليرشدنا إلى استعمال
الحوار في جميع مجالات حياتنا، من أجل
الوصول إلى الحق عن اقتناع عقلي، وارتياح
نفسى، واطمئنان وجداني ... كي يعيش
المجتمع الإنساني في إخاء وتواصل، وأمن
وأمان، وحب وسلام ...

وقد أراد- سبحانه- أن يعلمنا عملياً- ومن
خلال القدوة- أن النهج السليم في تأسيس
وإدارة العلاقات بين البشر، أن يكون قائماً على
أساس مبدأ الحوار وحسن استخدامه مع الناس
كافة: أفراداً كانوا أو جماعات، أو شعوباً
وحضارات، مسلمين وغير مسلمين:

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾

(البقرة: ٨٣)

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيًّا ﴾

(طه: ٤٤)

ترضى الأطراف المتصارعة...، وعلا صوت
المنادين بالحوار في دول العالم، وأعلنوا أنه لا
بديل عن الحوار في حل المشكلات الخفية أو
الإقليمية أو الدولية... وشكلت له مؤسسات
ولجان شملت جميع مجالات الحياة: دينية،
وثقافية، وحضارية، واقتصادية، واجتماعية،
وسياسية... إلخ، منها مؤسسات ولجان الحوار
الدينى، وحوار الحضارات ...

وتحققت نتائجها الدولية في بعض المجالات،
وكان أبرزها تحقيق الوحدة الأوروبية!! فمن كان
يفكر أو حتى يظن أثناء الحرب العالمية الثانية،
أو بعد انتهائها في عام ١٩٤٥م إلى أن الدول
المتحاربة مثل: ألمانيا وفرنسا وإيطاليا
وإنجلترا... إلخ ستندمج- مستقبلاً- في وحدة
أوروبية تجمعها لتتعاون فيما بينها اقتصادياً
وسياسياً وعسكرياً...!!، بل وتنحلي كل
دولة من دول الوحدة عن عملتها النقدية- التي
هى جزء من تاريخها وتراثها- وتتعاين بعملة
مالية نقدية جديدة موحدة فيما بينها "اليورو"،
ويدخل المارك الألماني والفرنك الفرنسى
والليرة الإيطالية... إلخ فى ذمة التاريخ!!

إن أى شخص لو كان قد قال هذا فى ذلك
الوقت لانتهم بالخيال والجنون ...

ولكن قد تم ذلك وتحقق عن طريق الحوار ...

موقف الإسلام من الحوار

قبل أن نتحدث عن أهمية الحوار الدينى
والحضارى ومدى الحاجة إليه، أو عن عدم
أهميته وعدم الحاجة إليه... يتطلب الأمر أولاً
أن نبين موقف الإسلام من الحوار بصفة عامة:
سواء أكان بين المسلمين وغير المسلمين، أو بين

ولفظ "قالوا" قد تكرر في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، ومن ذلك قوله- سبحانه:-

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَلَقْتَ هَذِهِ قَالُوا أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٥﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوُ هِيَ أَثَرُ الشَّرِّ ﴿٥٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبَهُ عَلَيْهَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْذُونَ ﴿٥٨﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْقَرْيَ تَسْلَمُ لَا شِبَهَ فِيهَا قَالُوا أَلَن نَجْزِيكَ بِالْحَقِّ قَدْ جَعَلَهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾

(البقرة: ٦٧-٧١)

ولفظ "يقول" قد تكرر في القرآن ثمان وستين مرة، ومن ذلك قوله- تعالى:-

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْتَبْتُمْ قَالُوا لَا بَأْسَ بِنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَتُ الْقُلُوبَ ﴾

(المائدة: ١٠٩)

ولفظ "قل" تكرر في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، ومن ذلك قوله- سبحانه:-

﴿ قُلْ أَنتُمْ شَاهِدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّ اللَّهَ يَبْشِرُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَسُولُهُ الْفَرِيقُ الْبَاقِي لَا يُؤْمِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ يُلَاحِظْ أَيْدِيَكُمْ لَقَدْ تَشْهَدُونَ أَنْتَ مَعَ اللَّهِ مَا إِلَهٌ آخَرُ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرٌّ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴾

(الأنعام آية: ١٩)

ولفظ "يقولون" قد تكرر في القرآن الكريم أكثر من تسعين مرة، ومن ذلك قوله- جل شأنه:-

﴿ سَيَقُولُونَ قُلْنَاهُ رَأَيْبُهُمْ كَذِبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةَ سَاعِدَاتِهِمْ كَذِبُهُمْ رَمَاهُ بِالْقَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَثَايِهِمْ كَذِبُهُمْ قَدْ زَيَّيْنَاكُمْ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرًّا ظَهَرُوا وَلَا تَنْصَبْ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾

(الكهف آية: ٢٢)

وأسلوب الحوار والجدال وعرض الآراء والمناقشة في القرآن الكريم يتسم باتساع دائرته، وتعدد قضاياها، وشموله لما لا يحصى من الموضوعات.

فهناك محاورات بين الخالق- عظم قدرته- وبين مخلوقاته من الرسل الكرام، ومن الملائكة المقربين، بل ومن الشيطان الرجيم.

وهناك حوار بين الرسل وأقوامهم، أو بين الأخيار والأشرار، أو بين الأخيار فيما بينهم، أو بين الأشرار فيما بينهم.

وهناك حوار مع أهل الكتاب، أو مع المنافقين، أو مع المقلدين لسابقيهم في الباطل والضلال، أو مع السائلين للرسول- عليه الصلاة والسلام-.

وهناك حوار يدور حول إثبات وجود الله- جل شأنه- ووحديته، وحول الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب جزاء، وثواب وعقاب، وهناك حوار حول القرآن الكريم وإعجازه... إلخ ما ورد في القرآن الكريم من حوارات في موضوعات كثيرة...

فهذه الآيات الكثيرة التي تكررت في القرآن الكريم، وردت فيها مادة "القول" وما اشتق منها، والتي تكررت أكثر من ألف وسبعمائة مرة- كما أشرنا سابقا- إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الحوار هو لغة الإسلام، وأنه اللغة التي ارتضاها الخالق- جل شأنه- لعباده للمناقشة والجدال والتفاهم في حل مشاكلهم وقضاء مصالحهم...

البابا بندكت السادس عشر والحوار

من المسلم أنه حدث فتور في الحوار الإسلامي المسيحي الكاثوليكي منذ أن تولى البابا بندكت السادس عشر بابوية الفاتيكان، أو بتعبير أكثر صراحة ووضوحا حدثت انتكاسة للحوار الإسلامي المسيحي الكاثوليكي منذ توليه.

وتعود أسباب ذلك إلى الآتي:

(أ)- سبق أن شكل المجمع الفاتيكاني الثاني- في الستينيات- نقطة تحول في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، حيث دعا الكاثوليك لتغيير موقفهم إزاء مؤمني الديانات الأخرى، وأنشئت بعد ذلك بقليل مؤسسات حوار

جديدة في الفاتيكان، وفي المقر الرئيسي لمجلس الكنائس العالمي، وأسست في بلدان عدة هيئات مشابهة ومعاهد للتعليم والبحوث.

ثم جرت- بعد ذلك- عشرات اللقاءات بين الجامعيين ورجال الدين والسياسيين فسبروا غور مجالات عدة، وتدارس البعض منهم النواحي العقيدية والصوفية للمسيحية والإسلام، فيما عالج آخرون المسائل الاجتماعية والثقافية...

ومع مرور الزمن تزايد عدد المتحاربين في ضروب الحوار تلك، فيتواجد الآن مسيحيون من كافة المذاهب، ومسلمون من جميع الأمم والأنظمة في صفوف المشتركين والمنظمين لأحداث حوارية من أنواع متعددة.

وقد اتبعت بصورة منظمة لقاءات معينة بين الجانبين: جماعة من اغاضرين بأعداد متساوية تقدم بالتناوب وجهات النظر المسيحية والإسلامية في موضوعات محددة، أمام حضور موسع، ويصدر عقب كل لقاء- في معظم الأحيان- إعلان مشترك يوصي بالتفاهم والمزيد من تبادل الآراء، والعمل المشترك لمواجهة عدم المساواة بين البشر، واندلاع الحروب، وتفشي المظالم... إلخ (٢).

(ب)- كان البابا بندكت السادس عشر- قبل أن يتولى بابوية الفاتيكان- يمثل القوى المحافظة في الفاتيكان- الكنيسة والدولة- منذ أن شغل موقع رئيس لجنة العقيدة في المؤسسة الكنسية الفاتيكانيّة.

٢- من بحث بعنوان: تقييم الحوار المسيحي الإسلامي في الآونة الأخيرة للاب الدكتور جان ماري غوبيل- لقاء في ندوة الحوار التي عقدت في طرابلس- ليبيا- في الفترة من ١٦-١٨ مارس ٢٠٠٢م.

وقد لعب الكاردينال "راتزينجر" وهذا هو اسمه قبل أن يتولى بابا الفاتيكان ويسمى نفسه البابا بندكت السادس عشر، لعب دورا بارزا في التصدي لكل محاولات الخروج على المقررات الفاتيكانية التي كانت مقررة سابقا قبل المقررات الجديدة التي أقرها انجمن الفاتيكاني الثاني، ومثالها الأشهر التصدي للاهوت التحرير ومدارسه وحركاته في أمريكا اللاتينية، وآسيا وأفريقيا، واعتبارها حركات اجتماعية ذات طابع يساري نشأت تحت وطأة انتشار الأفكار والأيدلوجيات الماركسية والاشتراكية أثناء بابوية البابا الراحل يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان.

(ج) - أتباع البابا بندكت السادس عشر في سياسته منهجا مضادا لمنهج سياسة الانفتاح على أصحاب الديانات الأخرى، بما فيها الإسلام والبوذية وغيرها، الذي كان بابا الفاتيكان الراحل يوحنا بولس الثاني قد اتخذه منهجا لسياسته في الانفتاح على أصحاب الديانات الأخرى تمشيا مع مقررات انجمن الفاتيكاني الثاني (٣).

ولعل تهميشه لدور "انجس البابوي للحوار بين الأديان" - بعد توليه البابوية -، ونقل رئيسه الأسقف / فيتنزجيرالد وتعنيته سفيرا للفاتيكان في القاهرة يؤيد ذلك.

(د) - اتجاه التأويلات الدينية للبابا بندكت السادس عشر صوب المحافظة حينا، والتشدد حينا آخر، ويلاحظ أنه يحاول أن يصنع

ضوابط وحدودا على النظام العقائدي واللاهوتي الكاثوليكي، لإعادة تحديد إيمان الكتلة الكاثوليكية عبر ضبط حدودها الإيمانية وتعاليمها، إزاء زحف البروتستانتية والأرثوذكسية، وتجاه تمدد البوذية، وتجاه الانتشار السريع للإسلام.

(هـ) - القلق الذي يعانيه البابا بندكت السادس عشر من:

١- بروز توترات تعود إلى نقص في عدد الملتزمين بالكاثوليكية في أمريكا الشمالية لأسباب عديدة لعل أهمها: بعض قضايا التحرش الجنسي بالأطفال من قبل بعض القساوسة الكاثوليك، وتواطؤ بعض كبار الأساقفة معهم، ووصول التعويضات عن هذه الأفعال المشينة إلى ملياري دولار، ويذهب البعض إلى أنها ثلاثة مليارات.

٢- عودة بعض مواطني الاتحاد السوفيتي السابق الملحدين إلى دائرة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية.

٣- ظاهرة انتشار العلمانية، وعدم الاهتمام بالدين في دول أوروبا.

وقد انعكس ذلك في محاولته نشر المذهب الكاثوليكي في مناطق أخرى من العالم.

(و) - آثار البابا بندكت السادس عشر أزمت عديدة مع الإسلام منذ توليه، أشهرها محاضراته زائفة الفصيح السلي حول الإسلام والمسيحية والعقل، التي ألقاها في إحدى الجامعات الألمانية... والمحاضرة في مجموعها

٢- وألقى الأمانة على ذلك زيارته لمشيخة الأزهر الشريف في فبراير عام ٢٠٠٠م أثناء زيارته لمصر، وتبادل الكلمات الطيبة بينه وبين فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وزارته لمراسلة كاترين في سينا، وزارته لبعض الدول الإسلامية والعربية.



وقد توجه القيصصر مباشرة، وبطريقة فظة إلى مناقشة الفارسي بالسؤال عن العلاقة بين الدين والعنف فقال له: أرني ما هو الجديد الذي جاء به محمد؟ فن تجد سوى كل ما هو سيئ، وغير إنساني، وذلك مثل نشر الاعتقاد الذي كان يعلمه خصمه باستخدام السيف!!

وللأسف فقد وقع البابا في خطأ ما كان ينبغي أن يقع فيه، إذ ذكر هذا الكلام السيئ عن الإسلام نقلا عن غيره، ثم لم يعلق ولم يعقب عليه، كما لم يذكر رد المثقف الفارسي على القيصصر البيزنطي، فكانه راض عن هذا الكلام (٤).

عرض ديني فلسفي عن الذات الإلهية من وجهة نظر المسيحية، وعن التيارات المسيحية في القرون الوسطى... غير أن البابا في أوائل محاضراته - وبعد أن ذكر جانباً من ذكرياته الخاصة مع هذه الجامعة - قال:

(كل هذا حضرني وأنا أقرأ مؤخرًا كتابا للبروفسور تيودور خوزي الذي أخرج فيه جزءاً من نقاش دار بين القيصصر البيزنطي - مانويل الثاني - وبين أحد المثقفين الفرس. وكان هذا النقاش في شتاء عام ١٣٩١م، ودار هذا الحوار حول الإسلام والمسيحية وحقيقة كليهما)...

٤- اشترت إلى هذا الموضوع بشي من التفصيل في البحث الذي قدمته في مؤتمر مكة المكرمة السابع الذي قامت رابطة العالم الإسلامي في ١٤٢٧/١٢/٧هـ تحت شعار: "نصرة نبي الأمة ﷺ". وعنوان البحث: "موقف مؤسسات الحوار الحضاري ومسؤوليتها".

﴿ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين»
اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ١٨١ لسنة ٢٠٠٨م المتضمن: أنه وردت أسئلة إلى الإدارة العامة للمجلة، للإجابة عنها في باب استفتاءات القراء.

الزواج والطلاق والميراث

● السؤال الأول: لقد تزوجت وأحبست بالراحة والتوفيق في زواجي، ولكن والدي لم يكن راضياً عن هذا الزواج، وبعد دخولي بزواجي طلب والدي مني بإلحاح أن أطلق زوجتي، وإلا لن يكون راضياً عني وسيحرمني من الميراث، فماذا أفعل؟

●● الجواب: الذرية من آثار ارتباط الرجل بالمرأة، وهو الزواج، وكذلك الذرية سبب لوجود علاقة جديدة هي الأبوة والأمومة، وقد لا يتصور إنسان أنه قد يتعارض أمر الزواج واستمرار الحياة الزوجية وما فيها من خير للبشرية، مع أمر حقوق الوالدين وطاعتهم.

ولكن الواقع شهد من عصر النبوة الأول أنه حدث تعارض بين حقوق الوالدين، وبين استمرار

الحياة الزوجية، عندما أمر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنه عبد الله أن يطلق امرأته التي يحبها، منذ هذا الحين، وفقهاء الشريعة يتناولون الموضوع بالعرض والتحليل، لنعلم ما الذي يجب على المسلم فعله في مثل هذه الأمور؟ وما هو حد البر، وما هو حد العقوق إذا تعلق بإنهاء الحياة الزوجية؟

فتراهم مصرحين بعدم الطاعة إلا أن يكون الأب الأمر من الصالحين والأتقياء، بغير التعرض لمسألة هل يستحب أم لا؟ فلقد ذكر ابن تيمية في «الفتاوى الكبرى» (٤٩٠/٥) أن «كلام أحمد في وجوب طلاق الزوجة بأمر الأب مقيد بصلاح الأب».

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

عيسى جهمسة

مفتي جمهورية مصر العربية

كلامه.

ثم قال بعد ذلك: «فصل: لا تجب طاعة الوالدين بطلاق امرأته، فإن أمره أبوه بطلاق امرأته لم يجب، ذكره أكثر الأصحاب».

وأيضاً ذهب العلامة المحقق الحنبلي البهوتي إلى أنه لا يجب على الابن أن يطيع الوالدين في طلاق زوجته، فقد قال في «دقائق أولى النهي» في كتاب الطلاق (٧٤/٣) ما نصه: «(ولا يجب) على ابن (طاعة أبويه) ولو كانا (عدلين في طلاق) زوجته، لأنه ليس من البر (أو) أي: ولا يجب على ولد طاعة أبويه في (منع من تزويج) نصاً لما سبق».

وإلى هذا أيضاً ذهب السفاريني في «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب»، حيث قال (٣٨٣/١): «(و) كأمرهما له (بتطليق زوجات) له أو بيع أمة له (برأى) أي اعتقاد (مجرد) عن مستند شرعي. قال في القاموس: الرأي: الاعتقاد، جمعه آراء. قال في الآداب الكبرى: فإن أمره أبوه بطلاق امرأته لم يجب. ذكره أكثر الأصحاب. وسأل رجل الإمام رضي الله عنه، فقال: إن أبي يأمرني أن أطلق امرأتي، قال لا تطلقها. قال: اليس

أما ابن تيمية فقد حرم على الابن طاعة أمه في طلاق زوجته، خاصة إن كان له منها أبناء، حيث سئل ابن تيمية في رجل متزوج وله أولاد، ووالدته تكره الزوجة وتشير عليه بطلاقها هل يجوز له طلاقها؟ الجواب: «لا يحل له أن يطلقها لقول أمه، بل عليه أن يسر أمه وليس تطليق امرأته من برها، والله أعلم». أهد مجموع الفتاوى (٥٧٣/٣).

كما ذهب ابن مفلح في «الفروع» (٣٦٣/٥) إلى أنه لا تجب طاعة أبويه في الطلاق، فقال ما نصه: «فإن أمرته أمه فنصه (يعني الإمام أحمد) لا يعجبني طلاقه، ومنعه شيخنا منه، ونص في بيع السرية: إن خفت على نفسك فليس لها ذلك. وكذا نص فيما إذا منعه من التزويج».

وقال في «الآداب الشرعية» (٥٠٢/١) - ٥٠٣) أيضاً: «قال الشيخ تقي الدين رحمه الله: إنه ليس لأحد الأبوين أن يلزم الولد بنكاح من لا يريد، وأنه إذا امتنع لا يكون عاقباً، وإذا لم يكن لأحد أن يلزمه يأكل ما ينقر منه مع قدرته على أكل ما تشتهي نفسه، كان النكاح كذلك وأولى، فإن أكل المكروه مرارة ساعة، وعشرة المكروه من الزوجين على طول تؤذي صاحبه ولا يمكنه فراقه. انتهى

عمر أمر ابنه عبد الله أن يطلق امرأته؟ قال: حتى يكون أبوك مثل عمر رضي الله عنه.

من العرض السابق يتبين لنا أنه لا يجب على الابن طاعة والده في أمره بطلاق زوجته، وأن عدم طاعة الوالد في هذا ليست من قبيل العقوق. والله سبحانه وتعالى أعلم

الراهنات

● السؤال الثاني: هل الراهنات على مباريات كرة القدم حلال أم حرام؟ ولو تحول لفظ الراهنات إلى التوقعات هل يكون حلالاً أم حراماً؟ وما الحكم إذا كانت هذه التوقعات مبنية على اليحوت المتأنية واجتهودات الواقية والدراسات المستفيضة؟

● الجواب: يجب أن نفرق هنا ما بين صورتين مختلفتين:

١- الصورة المتفق على تحريمها بين أهل العلم، وهي الراهننة والمقامرة المتنوعة، بأن يتراهن شخصان مثلاً على شيء يمكن حصوله كما يمكن عدم حصوله، فيقول أحدهما للآخر إن حصل كذا فلك على كذا، وإن لم يحصل فلي عليك كذا وهذا هو المسمى في اللغة «بالمخاطرة» أو «الخطر».

٢- الصورة المجازة، وهي المسابقات الهادفة المباحة شرعاً والتي تكون المجازة فيها من أموال المنظمين لها أو من أي جهة مستقلة تقدمها للفائزين، ولا يجوز أن يكون مال المجازة من جميع المتسابقين باتفاق الفقهاء، بأن يدفع كل منهم القليل ويحصل على الكثير الذي يشمل ما قام بدفعه هو وما دفعه غيره من المتسابقين: لأن ذلك قمار محرم شرعاً، باستثناء ما إذا كانت هناك رسوم اشترك لتغطية نفقات تنظيم هذه المسابقة من

مصاريف إدارية وأجور خبراء التقييم لأعمال المتسابقين وغير ذلك دون أن يكون لذلك دخل في جميع جوائز الفائزين.

وهذا الفرق الواضح بين الصورتين هو الميزان الذي يتميز به القمار المحرم من المسابقات المشروعة، وليست العبرة بتغيير الأسماء، لأن الأحكام تناط بالسميات لا بالأسماء، وقد يشبه في إلحاق بعض الحالات بأى من الصورتين، فيحكم لها يحكم أقربهما شبهاً منها.

فإذا كانت جوائز هذه المسابقات ومنحها تقدم على الدراسات المستفيضة واجتهودات الواقية والبحوث المتأنية بحيث تكون هذه الجوائز مقابلة للجهد المبذول من المشترك في هذه الدراسات والبحوث بعد تقييمها لا على صحة التنبؤات أو خطئها، فإنها تكون جائزة شرعاً.

أما إذا كانت الجوائز تعطى على أساس صدق التنبؤات وخطئها - كما هو حاصل في كثير من الأحيان - فهو قمار محرم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

خطأ الخطيب

● السؤال الثالث: هل يجوز رد الخطيب على المنبر إذا أخطأ في الآيات القرآنية وما إلى ذلك؟

● الجواب: الإنصات للخطيب ممن حضر الجمعة مأموره شرعاً، لقول النبي ﷺ: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والإمام يخطب فقد لغوت» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الولي أبو زرعة العراقي في «طرح الشريب» (٣/ ١٩٣ - ١٩٤): «استدل به على وجوب

الإنصات للخطبة وتحريم الكلام فيها، إذ لم تغتفر هذه الكلمة مع خفتها وكونها أمراً بمعروف محتاج إليه في تلك الحالة، فما عداها أولى بالمنع، وهذا أحد قولي الشافعي، نص عليه في القديم والإملاء، وبه قال مالك وأبو حنيفة، وهو المشهور من مذهب أحمد... (والقول الثاني) للشافعي أن الإنصات سنة والكلام ليس بحرام، وهو نصه في الجديد، وهو رواية عن أحمد حكاه ابن قدامة.

وقال الشيخ النفراوي المالكي في «الفواكه الدواني» (١/ ٢٦٣): «ووجه الدلالة منه: أنه سمي الأمر بالمعروف فيه لغواً، واللغو: الكلام الذي لا خير فيه، وما نفى عنه الخير على سبيل الاستغراق نصاً أو ظهراً يقبح التكلم به بل يحرم في هذا المقام».

ولما كانت الجمعة بدلاً عن الظهر وكانت ركعتين فإن خطبتها قائمة مقام الركعتين، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما رواه ابن أبي شبة (٢/ ٣٦) وعبد الرزاق (٣/ ٢٣٧) في مصنفيهما، ولذلك فقد ذهب السادة الحنفية إلى أن كل ما حرم في الصلاة حرم في الخطبة: من أكل وشرب وكلام، ولو تسبيحاً أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر، لأنها منزلة منزلة ركعتي الظهر، وذلك من وقت خروج الخطيب من خلوته وحتى انتهائه من خطبته، وأنه لا يعترض عليه حتى حصل منه لغو بذكر الظلمة، قال الإمام الحصكفي في «الدر المختار» (١): «وكل ما حرم في الصلاة حرم فيها» أي في الخطبة... خلاصة وغيرها: فيحرم أكل وشرب وكلام ولو تسبيحاً، أو رد سلام أو أمر بمعروف؛ بل يجب عليه أن يستمع ويسكت (بلا فرق بين قريب وبعيد) في الأصح. محيط... ولا يرد تحذير من خيف هلاكه؛ لأنه يجب لحق آدمي

وهو محتاج إليه، والإنصات لحق الله تعالى ومبناه على المسامحة.

قال العلامة ابن عابدين في حاشيته «رد المختار» (١/ ٨٥٨): «قوله: (من خيف هلاكه... قلت: وهذا حيث تعين الكلام؛ إذ لو أمكن بغمز أو لكز لم يجز الكلام... تأمل».

وقال الإمام الكمال بن الهمام في «فتح القدير» (٢/ ٦٨): «يحرم في الخطبة الكلام وإن كان أمراً بمعروف أو تسبيحاً، والأكل والشرب والكتابة، ويكره تسميت العاطس ورد السلام».

وقال العلامة الطحطاوي في «حاشيته على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح» (٢٨٢): «وفي الخلاصة: كل ما حرم في الصلاة حرم حال الخطبة ولو أمراً بمعروف، وفي السيد: استماع الخطبة أولها إلى آخرها واجب وإن كان فيها ذكر الولاية، وهو الأصح... نهر».

والقول بوجوب الإنصات للخطيب حتى لو لغا مروي عن جماعة من السلف أيضاً؛ فروى ابن أبي شبة في «المصنف» (٢/ ٣٢ - ٣٣) عن إبراهيم النخعي أنه قيل له: إن الكتب تجيء من قبل قتيبة فيها الباطل والكذب، فأكلم صاحبي أو أنصت؟ قال: لا، بل أنصت، يعني في الجمعة، وعن الحسن البصري أنه كان يكره الكلام والصحف تقرأ، قال الولي العراقي في «طرح الشريب» (٣/ ١٩٣): «فطرد النخعي والحسن منع الكلام في الخطبة وسد الباب في ذلك».

كما أنه مروي أيضاً عن الإمام مالك، قال ابن بطال في «شرح البخاري»: «وروى ابن وهب وابن قانع وعلي بن زياد عن مالك: أن الإمام إذا لغا وشتم الناس فعلى الناس الإنصات».

وإنما ذهب هؤلاء الأئمة إلى ذلك حفاظاً على قدسية شعائر صلاة الجمعة، وسداً لباب التشويش والمرج واللغو الذي يمكن حدوثه من جراء الرد على الخطيب، وحفظاً لهيبة العلماء في نفوس الناس.

ومع قول الشافعية بأن الإنصات سنة وليس واجباً في المعتمد عندهم إلا أنهم نصوا مع المالكية أن الإمام والخطيب لا يفتح عليه إلا استفتح «أي طلب الفتح»، وأنه لا يلقن ما دام متردداً حتى يقف طلباً للفتح، حتى لو خرج من سورة إلى سورة، ما دام لم يخلط آية رحمة بآية عذاب أو بغير تغييراً يقتضي كفراً:

قال الإمام الباجي المالكي في «المنتقى شرح الموطأ» (١/ ١٥٢): (مسألة): «والفتح على الإمام إنما يكون إذا أُرِجَ عليه، وإذا غير قراءته:

فأما من الإرتاج عليه: فهو إذا وقف ينتظر التلقين... رواه ابن حبيب عن مالك.

وأما إذا غير القراءة: فلا يفتح إذا خرج من سورة إلى سورة أو من آية إلى أخرى ما لم يخلط آية رحمة بآية عذاب أو بغير تغييراً يقتضي كفراً؛ فإنه ينيه على الصواب».

وقال الإمام النووي الشافعي في «المجموع شرح المهيذب» (٤/ ٤٠١-٤٠٢): «(الرابعة عشرة): قال الشافعي في المختصر: وإذا حصر الإمام لقن، قال الشيخ أبو حامد والأصحاب: ونص في مواضع آخر أنه لا يلقن... قال القاضي أبو الطيب: قال أصحابنا: ليست على قولين، بل على حالين، فقول له «يلقنه» أراد إذا استطعمه التلقين بحيث سكت ولم ينطق بشيء، وقوله «لا يلقنه» أراد ما دام يردد الكلام ويرجو أن يفتتح

عليه؛ فيترك حتى يفتتح عليه، فإن لم يفتتح لقن، واتفق الأصحاب على أن مراد الشافعي هذا التفصيل وأنها ليست على قولين».

وهذا المعنى رواه ابن أبي شيبه في «المصنف» (١/ ٥٢١) عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: «إذا استطعمك الإمام فأطعمه».

ونص الشافعية على أنه: إن علم من حال الخطيب أنه يدهش من الرد عليه، فإنه يترك ولا يرد عليه: قال الإمام الزركشي في «المشور في القواعد» (١/ ٤٠١-٤٠٢):

«تلقين الإمام يشرع في موضعين:

(أحدهما) القراءة في الصلاة إذا أُرِجَ عليه، ولا يلقن ما دام يتردد بل حتى يقف، قاله التولي.

(الثاني) في الخطبة إذا حضر، ولا يلقن حتى يسكت، قاله الدرامي في الاستذكار. قال: ويرد عليه ما يعلم أنه ليس يفتح له، وقال الشاشي في المعتمد فإن أُرِجَ عليه لقن في الخطبة نص عليه وقال في موضع آخر: لا يلقن، والمسألة على اختلاف حالين؛ فحيث قال «يلقن» إذا وقف بحيث لا يمكنه أن يفتح عليه، وحيث قال «لا يلقن» إذا كان تردد ليفتح عليه، قال في الاستقصاء: إن علم من حاله أنه إن فتح عليه انطلق فتح عليه، وإن علم أنه يدهش تركه على حاله».

وقال الشهاب الرملي في حاشيته على «أسنى المطالب» (١/ ٢٥٨):

«(قرع) وإذا أُرِجَ في الخطبة لا يلقن ما دام يردد، فإذا سكت يلقن».

وهذا كله لما لمقام الخطابة وارتقاء المنابر من الهيبة في مواجهة الناس والخوف من الزلل

وحساسية النفس البشرية من النصيح على الملأ، حتى قيل لعبد الملك بن مروان: عجل عليك الشيب؟ فقال: شيبني ارتقاء المنابر وثوق اللحن، وقال أيضاً: وكيف لا يعجل علي وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين! قال الجاحظ: يعني خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الأمور... العقد الفريد لابن عبدبره (٢/ ٣٠٨)، والبيان والتبيين للجاحظ (١/ ٨٥)، وتاريخ دمشق للإمام الحافظ أبي القاسم بن عساكر (٣٧/ ١٣٨-١٣٩).

وروى عن الإمام الشافعي أنه قال:

نعمدني بنصحك في انفرادي

وجنيتي النصيحة في الجماعه

فإن النصح بين الناس نوع

من التوبيخ لا أرضى استماعه

وإن خالفتني وعصيت قولي

فلا تجزع إذا لم تُعْطَ طاعه

ولهيبة الخطبة وجلالها وشدة موقفها على الخطيب نص الجنبلة على أنه يجوز لمن لا يحسن الخطبة أن يقرأها من صحيفة، قال ابن مفلح في «الفرع» (٢/ ١١٧): «ومن لا يحسن الخطبة قراءتها من صحيفة، ذكره أبو المعالي وابن عقيل، قال: كالقراءة في الصلاة لمن لا يحسن القراءة في المصحف، كذا قال، وسبق أن المذهب لا بأس بالقراءة في المصحف، قال جماعة: كالقراءة من الحفظ، فيتوجه هنا مثله؛ لأن الخطبة شرط كالقراءة، وذكر ابن عسديس عن جماعة منهم: عثمان، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبد الملك ابن مروان، ومعن بن زائدة، وخالد القسري،

أنهم خطبوا فأرج عليهم، وعن بعضهم قال: هيبة الزلل تورث حصراً، وهيبة العافية تورث جناً... وخطب عبد الله بن عامر في يوم أضحى فأرج عليه، فقال: لا أجمع عليكم لؤماً وعياً، من أخذ شاة من السوق فهي له وثمنها على، وأرج على معن بن زائدة فقال وحسب برجله المنبر: فتى حروب لا فتى منابر».

فإذا كان في الرد على الخطيب مصلحة تصحيح خطأ وقع فيه فإنه قد يستتبع مفسدة تلججها واضطرابه وتشتت أفكاره بسبب الرد عليه، وقد تزداد حساسية الموقف إلى أن يفهم الخطيب الأمر على غير وجهه فتأخذه العزة بالإثم، فيضطرب الناس بين الراد والمردود عليه كما هو مشاهد في بعض الأحيان، ومن المقرر شرعاً أن درء الفساد مقدم على جلب المصالح، هذا مع أن في الإمكان الجمع بين جلب المصلحة ودفع الفساد بإتمام استماع الخطبة ثم تنبيه الخطيب بعد الصلاة على الخطأ في أدب وهدوء تابعين من إرادة الخير وصدق النصيحة والإخلاص في القصد.

وبناء على ذلك فليس لمستمع خطبة الجمعة أن يعجل على الخطيب بالرد أو الفتح عليه، إلا إذا طلب الفتح بلسان حاله أو مقالته، أو وصل خطؤه إلى نحو خلط آية رحمة بآية عذاب أو إدخال أهل الجنة النار وأهل النار الجنة بشرط أن يعلم من حال الخطيب أنه لا يتأثر ولا يتلجلج بالرد عليه، فإن جهل ذلك أو علم خلافه فعلى المستمع السكوت مع الالتزام بتنبيه الخطيب إلى ذلك بعد الصلاة حتى ينيه الحاضرين.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الأذان

بين قدسية النداء وإعجاز البناء

٢

للاستاذ / محمد مصطفى البسيوني

إذا كان الواجب على كل مسلم يعنى بأمر دينه أن يلم ببعض ما يحيط بهذا النداء المقدس الذي يدعو الكيان المسلم إلى التاهب للقائه الله، والمشاركة إليه، فقد ذكر أن المسلمين فيما مضى كانوا يجتمعون للصلاة لتحسين مواقيتها من غير دعوة أو أذان، وقال ابن المنذر: إن النبي ﷺ كان يصلي بغير أذان حين فرضت الصلاة بمكة المكرمة إلى أن هاجر إلى المدينة، وقد جاء أنه لما أراد الله عز وجل أن يعلم رسوله الأذان عرج به إلى انتهى إلى الحجاب الذي يلي عرش الرحمن حيث خرج ملك فقال: الله أكبر الله أكبر - فقيل من وراء الحجاب: صدق عبيدي أنا أكبر أنا أكبر - ثم قال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله، فقيل من وراء الحجاب: صدق عبيدي لا إله إلا أنا - فقال الملك: أشهد أن محمداً رسول الله - فقيل من وراء الحجاب: صدق عبيدي أنا أرسلت محمداً - فقال الملك: حي على الصلاة، حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله - فأخذ الملك يد محمد ﷺ فقدمه يوم أهل السموات (١).

أما على الأرض فقد وقع التشاور بين المسلمين في موضوع الأذان وذلك عندما ائتمر ﷺ هو وأصحابه: كيف يجمع الناس للصلاة، فاقترح عليه ﷺ أن انصب راية عند حلول موعد الصلاة حتى إذا رآها الناس أعلم بعضهم بعضاً، فلم يعجبه - عليه الصلاة والسلام - ذلك ولا سيما أنها لا تفيد النائم ولا الغافل، فذكر له - بوق يهود - فكرهه ﷺ، ثم ذكر له ناقوس النصارى فقال هو من أمر النصارى، فاقترح البعض أن توقد نار لذلك، فقال ﷺ - ذلك للمجوس -

وهذا حق، فإن الدين الذي استهل

١- السيرة الحلبية لعلي بن بريهان الدين الحلبي

لقائه بالبشر في - حراء - بالأمر الإلهي: ﴿اقْرَأْ﴾ (العلق: ١)

والذي أقسم قرآنه بالقلم والكتاب، والذي قال منزله سبحانه عن ذاته المقدسة:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

(الشورى: ١١)

دين هذا شأنه لا يعنيه أن تدعو إليه أنفاس مبسوطة في - بوق - ولا يكفيه أن تعلن عن طقوسه دقائق - جرس - أصم، بل لا يليق به أن تكون - النار - هي وسيلة الإعلام به لأن من بديهياته مقت وجعلها مثوى للمكذبين.

كما أن هذه كلها آليات حسية لا تنبه في الإنسان - إن نهت - إلا أذنيه وعينه بينما ترى - الأذان - يتغلغل في الشعور الإنساني إدراكاً ووجداناً ونزوعاً، ويعمره إيماناً بالحق وامتنالاً لعبادته وخضوعاً لمشيئته جل وعلا.

وقد قيل في حديث الشيخين عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة» ففعلوا ذلك، وكان المنادي هو بلال - رضي الله عنه - وكان اللفظ الذي يتنادى به بلال في أول الأمر «الصلاة جامعة».

وقد ظل الأمر كذلك حتى رأى «عبدالله بن زيد» (٢) رضي الله عنه «الأذان» في منامه إذ روى عنه - إنني بين نائم ويقظان طاف بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده فقلت له: يا عبد الله أتبيع الناقوس؟

قال: وما تصنع به؟ فقلت ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك؟ فقلت: بلى، قال فأنا أحدثك بخير لك من ذلك - ثم قال: كلمات الأذان - ثم أضاف الرجل في حالة إقامة الصلاة - قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة - قال عبد الله - فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت فقال رسول الله ﷺ: - «إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به فإنه أندى صوتاً منك» (٣).

ولقد جاءت كلمة النبي ﷺ بأنها - رؤيا حق - اتساقاً مع ما رآه ﷺ وسمعه من الملك في السماء في رحلة المعراج كما سبق ذكره في السطور السابقة مما أدى إلى اعتماده ﷺ رؤيا عبد الله بن زيد وأمره له أن يلقي ما رآه على بلال، وكذلك أمره لبلال أن يؤذن به.

وكان النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى كان ينتظر أن يوحى بهذا الأذان إلى بعض الصالحين من أصحابه.

ولقد بدأت مشروعية الأذان - في هذا السياق - في أذان الصبح، حيث سمعه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو في بيته فخرج عجلًا يجر رداءه، قائلاً للنبي ﷺ: «والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه» فقال رسول الله عليه وسلم: (فله

٢- هو عبدالله بن زيد بن عدي بن ثعلبة بن الحرث بن الخزرج الأنصاري

٣- عن السيرة الحلبية وسيرة ابن هشام - وكلمة «أندى» أي أرقع وأعطى أو أحسن وأعذب أو أبعد - وأندى أطول.

(٤) وقال - عليه الصلاة والسلام -
لعمر: «قد سبقك بذلك الروح» .
وليس شك في أن الأمر لم يكن مصادفة أن يرى الأذان رجل من الأنصار هو عبد الله بن زيد ورجل من المهاجرين هو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، والمهاجرون والأنصار منذ صدر الإسلام هم عمدة الدعوة الحنيفية السمحاء.

ملاحم مضيئة

ولعل المتأمل في هذه المسيرة تضيء أمامه بعض الملاحم مثل:

● كان يمكن أن يدعو النبي ﷺ إلى الأذان الذي سمعه في السماء ولكن الله عز وجل أراد أن من يبدأ بذلك هم من الصحابة الذين سيجري الأذان على حناجرهم وحناجر ذرياتهم فيما بعد تأكيداً لمشاركة المؤمنين في تبنى هذه الدعوة المقدسة إلى الصلاة جيلاً بعد جيل، والله سبحانه أعلم.

● اشتراك - عمر رضي الله عنه من المهاجرين وعبد الله بن زيد - رضي الله عنه - من الأنصار في رؤيا واحدة فيه دعم رباني للدور الريادي الذي يقوم به الفريقان في دعوة الناس إلى الصلاة التي هي عماد الدين.

● ما رآه النبي ﷺ بشأن الأذان في رحلة المعراج ثم ما رآه عمر بن الخطاب وعبد الله ابن زيد - رضي الله عنهما - بعد ذلك يدل على أن ما قد رآه النبي ﷺ في السماء لا بد أن

يكون سنة في الأرض، ومن ثمة فإنه ينبغي علينا أن نتعمق دراسة رحلتى الإسراء والمعراج بتفكير وتدبر ليس على أنهما مجرد حادثتين يتيجان الفرصة لهواة الجدل وأصحاب اللجاج في خطين متوازيين لا يلتقيان مهما امتدا وليس كحكايتين ترويان كلمتا حان موسمه، ولكن على أنهما تشيران إلى إرادة ربانية عملية وتربوية للمسلمين تستمد قدسيتهما من إعجاز هاتين الرحلتين وتشير إلى ضرورة التأسى بما فيهما من مشاهد تتضمن التكالييف الإلهية للمسلمين من الأوامر الجامعة والنواهي المانعة، وحسبنا في هذا السياق أن نتأمل كلمة النبي ﷺ لعبد الله بن زيد رضي الله عنه عندما قص عليه رؤياه: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله».

● كما نلاحظ كيف جعل الإسلام - أرقاء - الجاهلية الذين هداهم الحق إليه في صدارة السادة - الداعين إلى ندائه المقدس لحشد المؤمنين إلى لقائه في الصلاة، وفي مقدمة هؤلاء سيدنا بلال رضي الله عنه، وذلك رمز إسلامي جهير لبذ العنصرية، والدفاع عن المساواة أمام الحق سبحانه وتعالى.

وهكذا صار بلال يؤذن بما أمره به النبي ﷺ للصلوات الخمس، كما أنه كان ينادي في الناس بغير الصلوات الخمس لأي أمر يتطلب حضور الناس كالكسوف والخسوف والاستسقاء بقوله - الصلاة جامعة - ثم زاد - رضي الله عنه - في أذان الصبح بعد -

الحيعلات (٥) - قوله - الصلاة خير من النوم - مرتين - ولقد قيل في ذلك: إن بلالا كان يدعو النبي ﷺ للصلاة فقبل له: إنه - عليه الصلاة والسلام - نائم، فإذا بالمؤذن المؤمن الذي يستشعر في أعماقه المشاركة الجادة في حمل رسالة الحق إلى الخلق يصرخ بأعلى صوته منادياً - الصلاة خير من النوم - مرتين فلما صافح هذا القول الأسماع النبوية الطاهرة أقر النبي ﷺ بلالاً على ذلك فصار ذكر هذه العبارة - البلالية - الصادقة في أذان الصبح سنة شريفة مقررة.

رواد الأذان

ولا شك في أن رواد الأذان في الإسلام هم مؤذنو النبي ﷺ الذين كانوا - رضي الله عنهم - أربعة منهم اثنان بالمدينة المنورة هما بلال بن رباح أول من أذن للنبي ﷺ وابن أم مكتوم القرشي العامري (٦) وبقية سعد القرط مولى عمار بن ياسر، وبمكة المكرمة أبو محذورة وهو أوس بن مغيرة الجمحي، وكان أبو محذورة يرجع الأذان ويثنى الإقامة، بينما كان بلال لا يرجع، ويفرد الإقامة، وقد أخذ الشافعي - رضي الله عنه - وأهل مكة بأذان أبي محذورة، وإقامة بلال بينما أخذ الشافعي رضي الله عنه وأهل مكة بأذان أبي محذورة، وإقامة بلال بينما أخذ أبو حنيفة رضي الله عنه وأهل العراق بأذان بلال وإقامة أبي

محذورة، كما أخذ الإمام أحمد - رحمه الله - وأهل الحديث وأهل المدينة بأذان بلال وإقامته، في الوقت الذي خالف فيه الإمام مالك - رحمه الله - في الموضوعين إعادة التكبير وتثنية لفظ الإقامة فهو لا يكررها.

من آداب الأذان

ولما كانت كلمات الأذان ذكراً لذا يُسن للسامع أن يقولها بعد المؤذن، أما كلمة - الحيعة - فهي دعاء إلى الصلاة، فمن للسامع أن يستعين على هذه الدعوة بكلمة الإعانة وهي «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، ولقد جاء في الخبر أن من قال بعد الفراغ من الأذان رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً غفر له ذنبه.

وفي هذا السياق شرع الرسول ﷺ لأمتة خمسة أمور عند الأذان ويعدده:

● الأول: أن يقول السامع كما يقول المؤذن إلا في لفظ حي على الصلاة حي على الفلاح فإنه صح عنه ﷺ إبداهما بلا حول ولا قوة إلا بالله، ولم يجيء عنه - عليه السلام - الجمع بين حي على الصلاة وحي على الفلاح، ومن هديه ﷺ أنه صح عنه إبداهما بالخوقلة (٧)، وهذا مقتضى الحكمة المطابقة لحال المؤذن والسامع، فإن كلمات الأذان ذكر

(٥) الحيعلات هي «حي على الصلاة» و«حي على الفلاح».

(٦) ابن أم مكتوم الأصم الذي نزلت فيه سورة «عيس» يسديه أهل المدينة «عبد الله» ويسديه أهل العراق «عمرو» - أما تسميته فهو ابن قيس بن زائدة بن الأصم - وأمه أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله بن عتبة بن جابر بن عبد الله بن عبد مناف بن قصي القرشي.

(٧) أي لا حول ولا قوة إلا بالله.

(٨) زاد ابن هشام كلمة «على ذلك» وفي رواية «فله الحمد لذلك أثبت».

ولهذا من السامع أن يقولها، أما كلمة - الجعلة - فهي دعاء للسامع إلى الصلاة فسن له أن يستعين على هذه الدعوة بكلمة الإعانة وهي «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

● والثاني أن يقول السامع بعد الفراغ من الأذان: «رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً» وقد أخبر أن من قال ذلك غفر له من ذنبه.

● والثالث: أن يصلي السامع على النبي ﷺ بعد فراغه من إجابة المؤذن.

● وأما الرابع: فهو أن يقول السامع بعد صلاته على النبي ﷺ: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً» بدون ألف ولام.

● والأمر الخامس أن يدعو السامع لنفسه بعد ذلك، ويسأل الله من فضله، فإنه يستجاب له.

وقد روى عن أم سلمة رضي الله عنها: «علمتني رسول الله ﷺ أن أقول عند أذان المغرب: «اللهم إن هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك فاغفر لي»^(٨)

كما ذكر أن النبي ﷺ كان إذا سمع الأذان قال: «اللهم رب هذه الدعوة التامة المستجابة والمستجاب لها دعوة الحق وكلمة التقوى توفني عليها وأحييني عليها واجعلني من صالح أهلها عملاً يوم القيامة»^(٩).

كما ذكر عنه ﷺ أنه كان يقول عند كلمة

لإقامة: «أقامها الله وأدامها»، وعنه في السنن أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، قالوا فما نقول يا رسول الله قال: «سلوا الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة».

حتى الديكة مسخرة للأذان

يقول الله عز وجل في محكم التنزيل:

﴿وَلَا تَنْفَقُهُمْ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا تَنْفَقُهُمْ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا تَنْفَقُهُمْ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا تَنْفَقُهُمْ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

(الإسراء: ٤٤)

ويقول سبحانه:

﴿الْمَرْسَرَانِ اللَّهُ يَسْخِرُ لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ﴾

(النور: ٤١)

ويهدينا التأمل الإيمان في هذه الآيات الكريمة إلى صورة من صور تسخير الكائنات وهي الأذان الذي ترفعه الديكة حول مواقيت الصلاة، ولا سيما عندما يلفتنا الهدى الحمدي إلى ذلك فقد روى الشيخ محب الدين الطبري، أن النبي ﷺ كان له ديك أبيض، وكان الصحابة رضي الله عنهم يسافرون بالديكة لتعرفهم أوقات الصلوات، كما روى الثعلبي أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة أصوات يحبهم الله تعالى: صوت الديك وصوت قارئ القرآن، وصوت المستغفرين بالأسحار»، وروى الإمام

أحمد وأبو داود وابن ماجه عن زيد بن خالد الجهني رضي الله تعالى عنه «بإسناد جيد» أن النبي ﷺ قال: لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة^(١٠). ومن هنا كان من كنية الديك «أبو نيهان، وأبو يقظان».

وإن تسخير الديك للقيام بهذه المهمة ليدل على أن فكرة الأذان التي أهدى إليها المسلمون السابقون هي أمر فطري يتفق مع فطرة الإسلام المستمدة من فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولكن كان لابد في بداية الأمر أن تدور المناقشات حول الإعلان عن الصلاة وتطرح الآراء وتتعدد المقترحات حتى تكون النتيجة وهي الاتفاق على الأذان نابعة من استئجاز البشر الذين يقومون هم بتطبيقها وتنفيذها عن اقتناع وتسليم إلى أن تقوم الساعة، وكذلك يعين الله سبحانه عباده إلى اصطناع عقولهم وقلوبهم في بحث المسائل، ودراسة الأمور ليهتدوا إلى ما يشاء الله:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

(الإنسان: ٣٠)

وأعظم ما في الديك من العجائب أنه يعرف الأوقات الليلية فيسقط أصواته عليها تقسيماً لا يكاد يغادر منه شيئاً سواء طال أم قصر، كما أنه يوالي صياحه قبل الفجر وبعده، فسيحان من هذه لذلك مما جعل بعض السابقين يفتنون بجواز اعتماد الديك الجرب في أوقات الصلاة.

من كرامات الأذان

وللأذان كراماته الفضلى التي زخر بها التراث الإسلامي العريق، والتي لم يزل يذكرها الذاكرون الذين يقدرون الأذان حق قدره باعتباره النداء الجهوري الذي يدعو إلى الركن الركين من أركان الإسلام وهو - الصلاة - وحسبنا في هذا المجال أن نتأمل كلمة النبي ﷺ إلى بلال رضي الله عنه «أرحنا بها يا بلال»^(١١) أي أذن يا بلال حتى تدخل في الصلاة فتستشق عبير الرضا الإلهي، وننتسم عطر اللقاء المقدس كما يروي ابن خزيمة في صحيحه أن الرسول ﷺ أصبح يوماً فدعا بلالاً فقال: «يا بلال بم سبقتني إلى الجنة، إنني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي؟»

فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، ولا إصابني حدث قط إلا توضأت عنده، فقال رسول الله ﷺ «لهذا».

وقد روى عن مصعب بن الزبير قال: «سمع عامر بن عبد الله بن الزبير المؤذن، وهو يجود بنفسه» أي عامر فقال: خذوا بيدي، فقبل: إنك عليل، قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده فدخل مع الإمام في المغرب، فركع ركعة ثم مات^(١٢).

وبعد، فيا ليتنا بعد هذه التأملات الإيمانية حول الأذان أن يراجع كل منا نفسه متسائلاً: هل سمعت الأذان؟

١٠- حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميري «دار الفكر بيروت».

١١- رواه الإمام أحمد في مسنده بلفظ «يا بلال الرضا بالصلاة» - تفسير ابن كثير.

١٢- سنن أعلام النبلاء.

٨- رواه الترمذي.

٩- ذكره الحاكم في المستدرک من حديث أبي أمامة، وذكره البيهقي من حديث ابن عمر موقوفاً عليه.

خطأ الدعوة البابوية لضم جميع البشر

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ عبد اللطيف فايد في جريدة «الجمهورية» الصادرة في ٢٩/٥/٢٠٠٨ مقالاً تحدث فيه عن:

الخطاب الذي ألقاه البابا بنديكت السادس عشر بابا الفاتيكان أمام المجلس الأعلى للأعمال البابوية الذي قال فيه إن من حق الكنيسة الكاثوليكية وواجبها السعي لضم جميع البشر إلى المسيحية، وأن التبشير بالمسيحية لا يزال يشكل المهمة الرئيسية للكنيسة زاعماً أن هذا من تعاليم السيد المسيح، ثم يعلق الكاتب على كلام البابا قائلاً: إن هذا يدل على أن قراءة بابا الفاتيكان للأديان وتاريخها يحتاج إلى دقة وثبت كما يحتاج إلى فهم لطبيعة التدين عند البشر، وإذا كان هذا البابا يتحدث عن المسيحية التي يؤمن بها عقيدة ومذهباً، فإنه قد أغفل ما عداها من المذاهب فضلاً عما عداها من الأديان، ولقد كانت هناك جهود لبعض القيادات الدينية بين النصارى لتوحيد مذاهبهم، ولكن هذه الجهود لم تجد القبول عند بعض هذه القيادات ومن هنا لم يكتب لها النجاح.

ثم يبين الكاتب كيفية الإيمان بعقيدة ما وبخاصة إذا كانت عقيدة دينية، فتاريخ الأديان يؤكد أن الدين اللاحق ينسخ الدين السابق وهذا يتمشى مع حاجة البشر في حركة تطوره حتى يأتي الدين الكامل الذي ينظم حياة الناس ولا يترك منها جانباً إلا ويعطيه ما يستحقه من الاهتمام والتوجيه ولا يمكن أن يترك الله - سبحانه وتعالى - البشر إلى أديان أنزلها متتابعة ليكتمل بها نظام حياة الناس ثم يتركها ليختاروا ما يشاءون منها ديناً لهم وإنما شاء الله أن تتوالى الأديان الكبرى إيماناً بالله الواحد الأحد وبملائكته وكتبه ورسوله، ودعا الناس إلى الإيمان بها جميعاً وبالرسل

الذين أنزلهم بها، وهذا يؤكد معنى وحدانية الله تعالى وهيمته الكاملة على خلقه، وعلى الدنيا التي جعلها في خدمتهم، حيث خلق فيها جميع أسباب الحياة وجعل عقل الإنسان هو الفيصل في حركته يعد أن بين له طريق الخير وطريق الشر ثم هو يلزمهم بطاعته طبقاً لما أنزله على رسوله، وهذه الطاعة فيها الفلاح وفيها النجاح في تعمير الأرض وسعادة الإنسان.

من هنا فإن ما قاله البابا في اجتماع المجلس الأعلى للأعمال البابوية يسير مع تاريخ الأديان مسيرة ناقصة حيث يسقط منها الفترة الإسلامية التي بدأت تالية لنزول المسيح - عليه السلام - وإبلاغه الناس ما كلفه الله إبلاغه إليهم وجاء الإسلام خاتماً لرسالات السماء إلى الأرض وهذه حقيقة لا ينكرها إلا ناقص الثقافة أو ناقص الاستيعاب لرسالة السماء إلى الأرض والكتب السماوية التي نزلت بذلك تؤكد هذه الحقيقة وهي ثابتة بالقرآن الكريم وهو الكتاب الوحيد الباقي كما أنزله الله، بينما لعبت أيدي البشر من الأحبار والرهبان بالكتب السابقة وغيرت فيها وبدلت، فالكتاب منها في الغرب يختلف عن أخيه في الشرق ولذلك تعددت الكنائس طبقاً لتعدد هذه الكتب.

والسعي لضم جميع البشر إلى المسيحية الذي يريده بابا الفاتيكان يلغى تطور رسالة السماء بالبشر على الأرض

والتي بدأت باليهودية وجاءت بعدها النصرانية وختمها الله بالإسلام، ثم أية نصرانية يريد بابا الفاتيكان لضم جميع البشر إليها والنصرانية تختلف في ناحية من الأرض عنها في ناحية أخرى؟ وهذا الخلاف يأتي في أصل العقيدة ويأتي فروغها ومقارنة ذلك بالإسلام تأتي لصالح الإسلام، الذي لم يتحدث عنه بابا الفاتيكان لضم جميع البشر، فبينما الإسلام يعترف بالأديان والرسول السابقين عليه نرى البابا لا يعترف بالإسلام وهو في هذا منطقي مع موقفه من الأديان، لأنه إذا اعترف بالإسلام كان اعترافه هذا لاغياً لموقفه الديني وإلا قال بتعدد الآلهة التي أنزلت الأديان وهذا لا يقول به أحد حتى بابا الفاتيكان نفسه، ثم يختم الكاتب مقاله قائلاً:

وما أظن أن بابا الفاتيكان بما قال إلا قد وضع نفسه في حرج بالغ، لأن هذا النص القرآني الثابت جاء سابقاً لما قال وجاء من عند الله وليس من مقولات بشر تجوز عليه الحياة والموت فيختفى بالموت عما يقول ولا يضمن أن يأتي بعده من يصدق كلامه، لأن البشرية فيمن يتولون منصب البابوية حاكمة، والبشر يصيبون ويخطئون والله - سبحانه - وحده هو الحق الذي يخضع له جميع خلقه وليس من الحكمة أن يثبت الإنسان على خطأ اقترفه في القول أو الفعل، بل إن من الصواب أن يعود الإنسان إلى الحق الذي لم يحسن الطريق إليه.

قسيمة المانية تدعو إلى احترام

الحجاب والمرأة المسلمة

كتبت أسماء زغلول حول هذا العنوان في عدد اللواء الإسلامي الصادر في ٢٠٠٨/٥/١٥ قائلة:

الدكتورة «بيناته شريتر» قسيمة بروتستانية ألمانية وهي إحدى المنصفات للإسلام والمسلمين في العرب في خضم طابور لا أول له ولا آخر من الكارهين والحاقدين والمبغضين للإسلام، صدر لها كتاب بعنوان «الحجاب والصليب» نساء مسلمات من النماذج الرائعة المدافعة عن حقوق المسلمين في المجتمعات الغربية وخاصة حق المرأة في ارتداء الحجاب دون ممارسة أية ضغوط عليها وتدافع «شريتر» عن المسلمين في هذا الكتاب دفاعاً مستميتاً ينم عن صدقها ونزاهتها وقبل هذا وذاك محبتها للإسلام والمسلمين لدرجة أنه بعد قراءة أمها للكتاب سألتها عما إذا كانت قد اعتنقت الإسلام أم أنها في الطريق إلى ذلك فردت «شريتر» بأنها مسيحية وستبقى كذلك لكنها ترى المسيحية بصورة تختلف عن الكثيرين.

تساءل «شريتر» في مقدمة كتابها عما جرى للكنائس التي أصبحت تزخر بالأحكام المسبقة ضد الإسلام والمسلمين وتعيد إلى أذهان القارئ على الكنائس أن مهمتهم الأصلية هي الالتزام بالسلام والعمل على نشر السلام بين الناس من

مختلف الأديان وتتهم الكنائس بأنها تنسجها نحو الانعزال عن الآخر ووضع العوائق أمام التواصل معه وتطالب الكنيسة بالدعوة إلى التعقل وعدم تعميم الأحكام حينما يتعرض الإسلام والمسلمين للإساءة وأن تعمل على الحفاظ على كرامة الإنسان أي إنسان بغض النظر عن الدين الذي يؤمن به وتحذر عن عواقب القطيعة بين الجانبين المسلم والمسيحي ومن الاكتفاء بالحديث عن الآخر بدلاً من الحديث معه والتعرف عليه وتقول «شريتر»: إن الفتيات المسلمات لا يرتدين الحجاب كرمز للإسلام السياسي بل هو كفاح من أجل الحصول على الاعتراف بهن وبأحقيتهن في ممارسة حريتهن الدينية واتباع نموذج حياة يختلف عن حياة المجتمع الذي يدين بعقيدة مخالفة لهن ولا تستبعد «شريتر» أن تكون الضغوط التي يمارسها المجتمع الألماني على المرأة المسلمة هي الدافع لها للكشف عن هويتها وهو الأمر الذي لا تشجع عليه النساء التقدميات والمدافعات عن حقوق المرأة اللاتي ترفضن أن ينال أحد من حريتهن في اتخاذ القرار الشخصي بارتداء الحجاب من عدم ارتدائه وتستنكر «شريتر» بشدة هذا النوع المزعوم من تحرير المرأة على يد حقنة من النساء اللاتي يرفضن حق المسلمات في الاختلاف عنهن وهو المبدأ الذي تدعو إليه حركات تحرير المرأة أم أنه إذا تعلق الأمر بالحجاب فإنه من حق هذه الحقنة أن يفرضن تصوراتهن عن هذا التحرر ولا

يقبلن بأن تقول المرأة المسلمة بأن حريتها في اختيارها لارتداء حجابها وتتوصل إلى أن ذلك خير دليل على الاضطراب الذي يسود المجتمع الألماني في تعامله مع الدين والذي بلغ حد اعتبار أن يمارس شعائر دينه إنسان شاذ وغريب بل ومصدر تهديد وغير عقلاني وغير مستنير والأكثر من ذلك أننا نجدها تنقل للقارئ الألماني ماورد في القرآن والسنة للتدليل على وجوب ارتداء الحجاب وتبدي «شريتر» دهشتها بل واستياءها من قيام غير المسلمين في نقاشاتهم مع المسلمين بالقول بأن الحجاب لم يرد ذكره في القرآن.

وتساءل عن أعطى غير المسلمين الحق في شرح الإسلام للمسلمين؟؟

وكيف سيرد المسيحيون إذا جاءهم مسلم يشرح لهم أحكام دينهم؟

وتقترح «شريتر» أن يترك غير المسلمين للمسلمات الخجيات الفرصة للتعبير عن أنفسهن بالطريقة التي يخترنها وأن يستمع الآخرون لرأيها في تبرير ارتدائها للحجاب. وتنبيه إلى أن عودة الحجاب من جديد للانتشار في جميع أرجاء العالم الإسلامي خاصة بين جيل الشابات المسلمات لا يعتبر عودة إلى الماضي بقدر ما هو اعتزاز بالهوية وتأكيد على رفض الذوبان في غمط الحياة المعاصرة وكذلك إلى معنى المسلمات النابعات للأقليات المسلمة في الغرب إلى التأكيد على هذه الهوية.

مجرمو الحرب.. خارج السودان

تحت هذا العنوان في جريدة الجمهورية بعددها الصادر في ٢٠٠٨/٦/١٨ قال المحرر:

حركات الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوروبية الخليفة مجلس الأمن الدولي لفتح ملف ما يسمى بالحقمة الجنائية الدولية المكلفة بمحاكمة من نسبت إليهم من المسؤولين السودانيين ارتكاب جرائم حرب في إقليم دارفور السوداني وذلك ضمن المخطط الغربي الذي يستهدف تمزيق السودان إلى إقاليم متضادة على أسس عرقية وعنصرية مما يسهل عملية استغلال ثرواته ومقدراته لصالح القوى الاحتكارية الكبرى.

في هذا الإطار يمكن تفسير استهداف المسؤولين السودانيين واثامهم بارتكاب جرائم حرب في الوقت الذي يشهد العالم مجرمي الحرب الحقيقيين وهم يرتكبون جرائمهم سواء في فلسطين أو العراق أو أفغانستان دون أن يتحرك مجلس الأمن أو محكمته الجنائية الدولية غاكتهم ومعاقبتهم على جرائم تسجلها مختلف وسائل الإعلام بالصوت والصورة ضد مواطنين أبرياء دمرت قوات الولايات المتحدة الأمريكية وجليفاتها الأوروبية وتابعاتها من الدول الأخرى دولهم وسفكت دماء مئات الألوف منهم وسلبتهم حرياتهم واستقلالهم واستغلت ثرواتهم تحت شعار الديمقراطية والحرية وباسم المجتمع الدولي الغائب؟

قراءة في كتاب

حقوق المرأة

في التشريع الإسلامي وفي الممارسات النسوية

تأليف
أحمد خضاجة
د. الأستاذة

للاستاذ / عادل خضاجة

١

لا يتكره فضل الإسلام على النساء إلا
عدوا أو جاحداً. فالإسلام كفل للمرأة
حقوقها كاملة غير منقوصة. ولكن من لا
يعرف شيئاً عن حقوق المرأة في الإسلام
يظن أن المرأة مهضومة الحق باسم
الشرع.. وهذا خطأ فادح يروج له
الجاهلون بالإسلام والحاقدون عليه.
من أجل ذلك كان هذا الكتاب الذي أراد
به مؤلفه أن يجلو الحقيقة لكل من ينشد
الحق.

هذا الكتاب يضم مجموعة من المحاضرات في الدين
والقضايا المعاصرة ويقع في قسمين، يتناول القسم الأول
منهما الحركات النسوية منذ الحضارة البابلية والسمورية
والفرعونية والرومانية ثم الأوروبية في العصر الحديث
منذ الثورتين الفرنسية والأمريكية حتى الآن.

أما القسم الثاني فقد تناول حقوق المرأة في التشريع
الإسلامي، وقد بين المؤلف فيه بالدليل أن الإسلام منح
المرأة المسلمة كل حقوقها منذ العهد المدني للرسالة
الإسلامية، فجعلها مساوية للرجل في أهلية التكليف
الشرعي والمدني.

تقع الدراسة في ثلاثمائة وثلاث صفحات من مقاس
٢٣ × ١٧ سم وقد صدر في طبعته الأولى عام ٢٠٠٨
عن دار الأصدقاء للطباعة.

أما المؤلف فهو الأستاذ الدكتور السيد أحمد فرج
الأستاذ المتفرغ بكلية التربية بالمصورة، صاحب كتاب:
اليهود واليهودية الذي تم عرضه بمجلة الأزهر في عددي
صفر وربيع الأول من هذا العام.

ولقد أحسن المؤلف حين ذهب بدراسته متعمقاً في

الزمن البعيد حيث أشار إلى أهمية الأنثى في حضارة
سومر قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة.

وذكر شيئاً عن أهمية المرأة في الحضارة
الفرعونية فيقول في الفصل الأول ص ٢٤:

وفي الحضارة الفرعونية مع أن الحكم كان
للرجال باستثناء (حتشبسوت) فقد ظل مركز
المرأة راقياً لدرجة أنهشت المؤرخين القدماء من
اليونان والرومان.

يقول (ديودورس) الصقلي: «إن طاعة الزوج
لزوجته في وادي النيل كانت من الشروط التي
تنص عليها عقود الزواج».

ويضرب المؤلف العديد من الأمثلة الدالة على
احترام المجتمع للمرأة ونظرة إيجابية تقدير
ومساواة مع الرجل في الحقوق والواجبات فتجده
يقول:

«وكانت رابطة الأسرة أهم روابط الاجتماع
وقتشد، وسات المرأة الرجل في كل الأمور وكانت
تشارك زوجها وكل أفراد الأسرة أعمالهم، وكانت
تعامل بكل احترام، سواء كانت المرأة أميرة من
الأسرة الملكية، أو امرأة فقيرة من بنات الشعب،
وتدل الآثار الحجرية التي تركها الفراعنة على احترام
المجتمع المصري القديم للمرأة. فقد نقش على هذه
الآثار ما يدل على علاقات الحب والمودة والجمالة
للنساء».

كما يتناول المؤلف في هذا الفصل بعض
الكتابات المعاصرة التي يجتري أصحابها إلى المجتمع
الأمومي. وأنه قد تصفح هذه النزعة مع نزعة
التحصيل حول الأنثى.

ويعرض المؤلف لفكرة «فوكوياما» الذي يعزو
وجود العنف إلى وجود الرجال في الحكم ويلخص

المؤلف فكرة «فوكوياما» على النحو التالي:
أولاً: يعرض أفكار الآخرين حول التربية الحالية،
تبين أن النظم التربوية والتنشيطية الحالية حتمت
وجود فروق خطيرة بين مجتمعات الذكور،
ومجتمعات الإناث، ليس في مجتمع البشر وحده،
ولكنها ظاهرة موجودة لدى كل أنواع الثدييات.

ثانياً: أن الذكورة مبعث العنف، وأن الرجل
(الذكر) يجعله ذكوريته ميالاً للعنف، وما دام الرجل
سيستمر يحكم فسيظل العنف قاسماً مشتركاً
أعظم بكل المجتمعات البشرية، ولن يقضى عليه إلا
بأن تحكم النساء العالم.

وفي الفصل الثاني «حركة حقوق المرأة» يشير
المؤلف إلى أن بداية حركة المطالبة بحقوق المرأة
بدأت مع بداية القرن التاسع عشر بعد أن رفعت
الثورة الفرنسية شعار المساواة.

ثم ينتقل إلى الحركة النسوية في العالم العربي
فيتناولها من خلال الصالونات النسائية بدءاً من
صالون الأميرة نازلي فاضل حيث كان صالونها يؤمه
نخبة من المثقفين المصريين أمثال: الشيخ محمد
عبد وقاسم أمين ومصطفى فهمي (رئيس الوزراء)
وسعد زغلول الذي كان وزيراً للمعارف.

ثم صالون حرم حسين باشا رشدي ثم صالون
مي زيادة.

يقول المؤلف ص ٥٣:

«خرجت حركة تحرير المرأة من هذه الصالونات،
واعترفت بها الحكومة وعضدها الكتاب
والفكرون».

وصدر كتاب قاسم أمين الأول (تحرير المرأة)
بمباركة من الشيخ محمد عبده الذي استرشد قاسم
أمين بمقالاته حول المرأة في جريدة الوقائع المصرية -



محمد عبيد

اقتصدته من حقوق، وبذلك أعاد لها حريتها وكرامتها وحقوقها الطبيعية، ووضعها الإيجاسي من خلال مشروع وضعي يستند إلى قيم الفلسفة الوضعية، ويتعد عن الولوج في الأصول الفقهية.

كما تناول المؤلف في هذا الفصل جهود الشاعرة عائشة التيمورية، و«ملك حفتي ناصف» و«نبيلة هاشم» و«زينب فواز» و«نبوية موسى».

ثم يعرج على موقف الإخوان المسلمين من الحركة النسائية، فيقول ص ٦٣ :

«إن جماعة الإخوان المسلمين هم أول من أسس الخطاب النسوي الحركي في المذهب السني لاقتناعهم وموزة بحتمية التجديد» فمنذ أن أسس الشيخ حسن البنا جماعة الإخوان سنة ١٩٢٨ كانت قضية المرأة قد شغلت كل التيارات الفكرية في العالم العربي ومركزه مصر - وكان الشيخ حسن البنا ذكيا، وكان ذكاءه يرقى إلى قدر فاعلية واقع الحراك الاجتماعي فلم يعاد المرأة، بل لم يمانع من انخراطها في الحركة الاجتماعية والثقافية بضوابط شرعية. كذلك كان الشيخ حسن البنا متأثرا بخطبة الشيخ محمد رشيد رضا حيال إشراك المرأة في الحراك الاجتماعي والذي عبر عنه ذلك الأخير في مقالات نشرها تباعا في أعداد متفرقة من مجلة المنار ثم جمعها في كتاب مستقل بعنوان (نداء إلى الجنس اللطيف) في بداية الثلاثينيات. ودعا فيه إلى اتخاذ موقف معتدل إزاء المرأة لا يحرمها من حقوقها التي منحها الشريعة الإسلامية إياها».

ومباركة سعد زغلول وأحمد لطفى السيد، وكانا رجلى دولة. ويستبين من هذا أن حركة تحرير المرأة منذ بدايتها اعتضدت بفكر ديني من (الشيخ محمد عبيد) وتعضيد حكومي رسمي من سعد زغلول وأحمد لطفى السيد.

وكانت في البداية هادئة تعبر عن رؤية بدت إسلامية تعرف الناس بأن الإسلام عني بالمرأة، وحمى حقوقها، بما لم تسبق إليه شريعة أخرى أو أية حضارة إنسانية. ثم يرصد المؤلف خروج قاسم أمين عن الصراط فيقول ما يغضب المرأة المسلمة ذاتها في ص ٢٠٩ من كتابه «المرأة الجديدة» ويعبر المؤلف عن هذا الغلو فيقول :

ومع أن الدارسين اعتبروا قاسم أمين هاديا، النبرة في كتاب (تحرير المرأة) يحوم حول النصوص الإسلامية التي استرشد بها من شيخه محمد عبيد يمتص رحيقها لتعضيد موقفه في المطالبة بتحسين أوضاع المرأة وتبيل حقوقها الشرعية - كما زعم - كان في كتاب (المرأة الجديدة) يسلط حمم غلوه في عبارات لا تقرها المرأة ذاتها فيرفض بزعمه : «حق ملكية الرجال للنساء» ويرى ترك حرية النساء لهن ولو أدى ذلك إلى «إلغاء نظام الزواج حتى تصبح العلاقات بين الرجل والمرأة حرة لا تخضع لنظام ولا يحدها قانون».

لم يلاحظ قاسم أمين الفروق بين واقع المرأة الفرنسية وبين واقع المرأة المصرية وخطورة أن تكون المرأة المسلمة كالمرأة الفرنسية في كل شيء، مما دعا مؤلف الكتاب إلى القول : «ولعل جرأة قاسم أمين في معالجته قضية المرأة على هذا النحو جعلت الناس يختلفون في الحكم عليه، فبينما عده خصومه مفسدا... عده أنصار التحرر أنه منح المرأة ما كانت



قاسم أمين

تناول شبكات العمل النسوية متعددة القومية مثل :

● شبكة بدائل التنمية للمرأة في عصر جديد، وفرع هذه الشبكة في منطقة الكاريبي وأمريكا اللاتينية وجنوب آسيا.

● شبكة المرأة في التنمية لأوروبا ومركزها «بروكسل».

● شبكة المرأة المسلمة ومركزها «مونيليه» بفرنسا، ولها فروع ناشطة في لاهورباكستان.

● جمعية نساء البحر الأبيض المتوسط ومركزها «قبرص ومالطة».

وينبه المؤلف في هذا الفصل إلى موطن الداء فليست المسألة مسألة «رجل وامرأة» أو «ذكر وأنثى» بل سببها الأساسي انعدام العدل الاجتماعي والسياسي إذ يقول ص ٨٨ :

وغاب عن هؤلاء الذين دأبوا على عقد المؤتمرات النسائية المتماثلة أن المأساة التي وضعت المرأة في هذا الموقع المتدني هي نفسها مأساة الرجل، ذلك لأن الأوضاع التمييزية التي انتهت إليها كل من الرجل والمرأة في العالم العربي سببها عدم العدل السياسي والاجتماعي الذي يحاصر الشعوب العربية، فكان سبب انعدامه وقوع الشعوب برجالها ونسائها في ذلك هو حقيقة من التخلف الثقافي والتعليمي والسياسي والاجتماعي - بل أقصد فيما أقصد التنمية البشرية للرجال وللنساء جميعا.

يتبع

أما الفصل الثالث : الحركة النسائية منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين

فيعد دراسة تاريخية للحركة النسائية منذ ثورة يوليو والتحول من الملكية إلى الجمهورية، ومسارة الحكومة إلى توجيه المرأة توجيهها اشتراكيا.

فكانت المطالبة بحق المشاركة السياسية حيث دخلت امرأتان مجلس الأمة لأول مرة هما : راوية عطية من الجيزة وأمنية شكرى من الإسكندرية، ثم تعيين الدكتور حكمة أبو زيد وزيرة للشئون الاجتماعية.

ويستمر المؤلف في سرده التاريخي لنشاطات الحركة النسائية، فيرصد طورا غريبا في هذه النشاطات حيث كانت المطالبة بالقضاء على النظام الاجتماعي الأبوي، فيقول ص ٧٣ : «وكان من بين هذه النشاطات ما يمكن أن يضع حركة المرأة في طور غريب بالمطالبة بالقضاء على النظام الاجتماعي الأبوي الذي يسيطر فيه الرجل على العائلة، فأخذوا يطالبون بالقضاء على سلطة الرجل الذكورية في أي شكل كان «زوجا أو أبا أو أخا أو رئيسا» على المرأة، لأن النظام الأبوي / الذكوري يزعم هؤلاء - يعطل تحرير المرأة».

واقترح هؤلاء - من أجل القضاء على هذه السيطرة، وجوب السيطرة على النظام كله المتمثل في سيطرة الأب، وسيطرة النظام الطبقي الرأسمالي، واقترحوا أيضا من أجل القضاء على المجتمع التسلطي إعادة النظر في أهم قضايا سلطة الرجل على المرأة أي سلطة الذكر في أي شكل من الأشكال على الأنثى هكذا كانت مزاعمهم.

أما الفصل الرابع والأخير من القسم الأول والذي كتبه المؤلف تحت عنوان : الحركة النسائية والعولمة والعمل النسوي متعدد القوميات : فقد

ليس المجلة و القارة

إعداد وتقديم
د. محمد السيد فقي الدين

ليس منا من غشنا

يقول المولى فى كتابه الكريم:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ
مَبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾

(المطففين: ١-٦)

والتهديد الإلهى هنا ليس موجهاً فقط للتجار الذين
يغشون فى الكيل والميزان.. بل هو موجه لكل من
ارتكب جريمة الغش.. تلك الجريمة القذرة التى باتت
تضرب المجتمع كله فى مجالات عديدة.. آخرها- وليته
يكون آخرها- جريمة بيع أسئلة الامتحانات.. وهى
جريمة لا تضرب فرداً بعينه، بل هى جريمة تضرب
استقرار المجتمع كله.. وتقضى على مستقبله..

لماذا؟

لأن من جرب النجاح يوماً واحداً بدون مجهود
سيواصل مسيرته فى الحصول على النجاح المزعوم عبر
الغش وسيحصل على أعلى الدرجات وسيواصل مسيرته
ليتبوأ أعلى المناصب لتكون النتيجة جاهل أو حفنة من
الجهلاء يتقدمون الصفوف ليقودوا المجتمع إلى السقوط
فى هاوية الجهل والتخلف.. أما من اجتهد وثابر وحصل

على ما يستحق من نجاح فلن يجد له مكاناً
أبداً فى الصفوف الأولى لأن هناك من تفوق
عليه ولكن بالغش والتدليس.

والغريب أن أحد المتورطين فى جريمة
شراء الامتحانات لأبنائهم دافع عن نفسه
بمنتهى التسجج قائلاً: فعلت ما يفعله أى
أب يحب أبناءه!!

عن أى حب يتحدث.. ألا يدرك هذا
التسجج أنه بفعلته هذه يسرق لابنه أو
لابنته مكاناً فى الجامعة كان غيره أو غيرها
أكثر استحقاقاً له.

ألا يدرك أنه بفعلته تلك يكرس الحرام
فى نسله الى يوم الدين!! أجل.. إلى يوم
الدين، لأن ابنه أو ابنته أو حتى أبناءه
جميعاً لن يفكروا بعد ذلك فى بذل أى
جهد للحصول على ما يشتهون، ففى
الجامعة لن يبذلوا الجهد فى المذاكرة مادام
الأب يضمن لهم التفوق بأمواله.. ولن
يفكروا فى العمل بشرف بعد التخرج من
الجامعة.. لأنهم تربوا على الغش وعلى
سرقة حقوق غيرهم.. وعلى هذا سيربون
أبناءهم.. وسيتربى أحفادهم.. لأنهم

سينبتون جميعاً من مال حرام اكتسبه
آباؤهم بشهادات علمية لا يستحقونها!!
وهم بالنسبة لسيروثون عن آباءهم هذا
المال الحرام يأكلون منه ويطمعون
أبناءهم!!

ترى هل يرتجى الخير من مثل هؤلاء
مجتمعاتهم.. وما هو المتصور من هؤلاء عند
اعتلائهم المناصب الواحد تلو الآخر!!؟
ومنهم من سيكون المدرس والأستاذ
الجامعى! فما هى القسيم أو المثل التى
سيربون عليها أبناءنا!!؟

وكيف سيخرج من بين هؤلاء الأدعياء
الصحفى والإذاعى والطبيب والصيدلى!!؟
هل سيرتجى منهم خير؟ أم سيقودون
الأمة الى هاوية الجهل والفقر والتخلف!!؟
كارثة وأى كارثة.. لماذا لأننا فى هذه
الحالة نكون قد خسرنا الدنيا لأن الغش لا
يمكن أبداً أن يصنع مستقبلاً مشرقاً..
وخسرنا الدين لأننا جعلنا الدنيا غاية همنا
ونسينا قول نبينا الكريم:
«ليس منا من غشنا» أخرجه أحمد.

أحمد تقى الدين

المطففون الجدد!

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الشيخ مصطفى الأزهرى - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - قال:

وبقدر ما يرى المرء من مقاسد تعج بها الأرض ومهلكات تتراعى بها الأنبياء في المشارق والمغارب كنا نرى أن الأمل مازال في عروق بلادنا المسلمة سارياً إذ هي النبوطة بالحفاظ على القيم التي بثها الدين الخفيف في مجالات الحياة كلها وأعظم هذه القيم ، القسط في الميزان والذي يبدأ من ميزان البيع والشراء إلى وزن الحياة كلها بميزان الإسلام الذي حين انضبطت به حياة المسلمين في أزمنة خاليات رأينا الحضارة الإسلامية في أبهى صورها وتحقق فيها أيامها المراد الإلهي والمعنى الحضاري لقوله تعالى عن الهدى الذي يتمثل في الدين الحق:

﴿ قَدْ لَدَّكَ هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى ﴾

(البقرة: ١٢٠)

إن مظاهر (التطفيف) في حياة المسلمين تجاوزت ميزان البيع والشراء - للأسف - لتتعدى إلى مجالات أخرى ومعاملات عديدة ففي الكلمة التي هي أمانة ترى التطفيف واللحن بالقول وشهادة الزور والغيبة والنميمة .. وفي تربية الأبناء ترى الميل في العطاء والهبة والتوريث الخاطيء في حياة الوالدين .. وفي الخصومات ترى التطفيف في أخذ حق الخصم من خصمه بصرف النظر عن صاحب الحق الأصلي .. وفي العمل قد نرى التطفيف في تقريب النماين وظلم المخلصين .. وفي الأسواق نرى التطفيف في

في حياتنا الدنيا مظاهر كثيرة وسلوكيات عديدة تشير إلى تراجع ملحوظ لقيم العدل والقسط وانجراف سريع نحو الظلم وأكل حقوق الناس بالباطل وتحريف منطق الحق والعدل في كل شئون الحياة والذي على أساسه - أي العدل - قامت السموات والأرض - قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾

(الرحمن: ٧)

ولأن مالك الملك سبحانه وتعالى وضع لنا نوااميس الوجود وبين وأرشد وأصلح وحذرننا من تغيير النظام الرباني في قيم الخير والتي بتغييرها تفسد الحياة فقال عز وجل:

﴿ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾

(الأعراف: ٥٦)

ثم أرادنا أن نتعلق به تعالى لانضباط سلوكنا فقال في نفس السياق:

﴿ وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾

(الأعراف: ٥٦)

وذكر سبحانه أن هذا الانضباط يقرب الرحمة ويدخل أصحابه في رحاب المحسنين فقال جل وعلا:

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(الأعراف: ٥٦)

صوره العديدة من الغش والاحتيال والخلف على السلعة كذباً لتباع والبيع على البيع، إلخ والنتيجة - إخواني القراء الكرام - مذاقات من الولايات التي تستجرعها بلاد وشعوب المسلمين كل يوم ومع تقدم الحياة بشكل هائل في التقنيات زاد الأغنياء غنى وتعالى في ذات الوقت موجات الجوع العالمي -

وما جرأنا إلى ذلك إلا جريمة (التطفيف) التي يرتكبها في كل يوم (المطففون الجدد) ، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا لُقْمًا فَاسْتَوْفَوْهُنَّ ﴾
﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾
﴿ أَلَا يَبْصُرُونَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾
﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾
﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(المطففين: ١: ٦)

المرأة الطائفة لزوجها

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ: علي محمددين - سما لوط - قال:

أصحابه فقالت: «يا رسول الله إني وافدة النساء إليك، إن الله بعثك بالحق للرجال والنساء فأمننا بك واتبعناك وأنا - معشر النساء - محصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم، وأنتم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعبادة المرضى، وشهادة الجنائز، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى، وأن الرجل إذا خرج حاجاً أو مريباً أو معتمراً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم، أقما نشارككم في هذا الخير والأجر يا رسول الله؟»
فالتفت ﷺ بوجهه الكريم إلى أصحابه ثم قال: هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من هذه عن أمر دينها.. فقالوا: يا رسول الله ما ظننا امرأة تهتدي إلى مثل هذا.. فالتفت إليها رسول الله ﷺ ثم قال: انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن طاعة الزوج - اعترافاً بحقه - يعدل ذلك وقليل منكن من يفعله.. (أخرجه البزار والطبراني).

إن المرأة التي أطاعت ربها فيما فرض عليها من أوامر، وفيما نهاها عنه من معاص فيهي حتماً ستطيع زوجها.. لذا يجب على المرأة المسلمة أن تطيع زوجها سرا وعلاية حتى تكون قد قامت بما يقتضيه عهد الزواج، لأن الطاعة مجلبة للهناء والرضاء، ومخالفة الزوج تولد الشحنة والبغضاء وتوجب النفور وتفسد عواطف الإخاء وتزور القسوة في القلوب.

أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فسألتها: «أذا كنت زوج أنت؟» قالت: نعم. قال: «فأين أنت منه؟» قالت: ما ألو إلا ما عجزت عنه.. قال: فكيف أنت له؟ فبأنه جنتك ونارك» (رواه أحمد والنسائي) .. وقال ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» (رواه ابن حبان).

وروى أن أسماء بنت يزيد الأنصارية - رضى الله عنهما - أتت إلى النبي ﷺ وهو بين

الصدق في الإسلام

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الدكتور محمد محمود العطار - كثر الشيخ قال:
قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

(التوبة: ١١٩)

الصدق معناه أن تقول الحق وألا تغير في حقيقة ما سمعته أو رأيته.

وقد كان سيدنا محمد ﷺ سليم الفطرة، صافي النفس، واشتهر بين الناس بالصدق والأمانة حتى لقب قبل البعثة بالصادق الأمين.

وقد وصفه الله - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم بقوله:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

(القلم: ٤)

وقد امتدح الله سيدنا إسماعيل - عليه السلام - لأنه كان صادقاً قال تعالى:

﴿وَأَذْكُرِي الْكِتَابَ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾

(مریم: ٥٤)

إن الصدق يؤدي إلى عمل الخير وعمل الخير يؤدي إلى الجنة والكذب يؤدي إلى الوقوع في الخطأ وارتكاب الذنوب والمعاصي وكل ذلك يؤدي إلى النار، قال

رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» (رواه البخاري ومسلم).

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش البذيء» (رواه أحمد).

والصدق يكون في الحديث والوعد والمعاملات، قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان، ويكون في الشهادة قال ﷺ لأصحابه: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً...؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الشرك بالله وعقوق الوالدين». وجلس وكان متكئاً فقال: «ألا وقول الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليسه سكت» (رواه البخاري).

إن الواجب علينا معشر الآباء والمربين أن نعمل على غرس قيمة الصدق في أبنائنا وننعمهم في الأقوال والأفعال وذلك من أجل صلاح المجتمع والسير على الطريق المستقيم بعيداً عن طريق الانحراف.

من مساجد الإسلام - مسجد الأمير خاير بك

ويواصل صديقنا الأديب الأستاذ فرج مجاهد عبدالوهاب - شربين - دقهلية حديثه عن مساجد مصر ويحدثنا هذا الشهر عن مسجد الأمير خاير بك، يقول:

يقع مسجد الأمير خاير بك الذي أقيم سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م بشوارع باب العثمانية بعد انهيار الدولة المملوكية. يتكون المنظر الخارجي للمسجد من قبة جميلة محلى سطحها بزخارف نباتية والمنارة التي فقدت قممتها في وقت غير معروف والمدخل المعقود الذي تغطيه طاقية مقرنصة الأركان ثم السبيل الواقع في الطرف الشمالي من الواجهة وكلها تكون مجموعة متناسقة امتازت بعدم بنائها على خط واحد مما زاد في جمال تكوينها، ويؤدي المدخل إلى درجات معقودة على اليسار للداخل إليها ومنها باب يؤدي إلى ممر يتوصل منه إلى ممر به مبان ومقابر مبشرة وتطل عليه الواجهة الخلفية للمسجد وإلى يسار الممر باب السبيل وعلى يمينه باب يؤدي إلى المسجد يوصل إليه بعض درجات.

تخطيط المسجد عبارة عن حيز مربع أمام المخراب على جانبيه إيوانين يفصلهما عنه عقدان وبنتهاية الإيوان القبلي بابان الأول يؤدي إلى القبلة والثاني يؤدي إلى الغرفة الواقعة أسفل المنارة يسترعى النظر في هذا المسجد طريقة تسقيفه فهو مغطى بقبوات من الحجر ولكي يجمع المهندس الذي وضع تصميم المسجد والقبلة بين ضرورة مراعاة اتجاه القبلة وبين اتباع خط تنظيم الطريق أدخل المسافة الناتجة من انحراف الواجهة في سمك حائطها وأنشأ بها صففاً عقدها بقبوات حجرية وشغل الصفة المقابلة للمخراب بأن وضع بها دكة المبلغ وفي القبلة اثنتي بالشبابيك لتكون عمودية على كل حوائط المربع من الداخل ووجهاته وتفنن في تغطيتها بقبوات حجرية دقيقة الصنع.

نعذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذاراً للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعاً بمشيئة الله تعالى.



إعداد الأستاذين / محمد جمعة - أحمد رضوان

رئيس وزراء ماليزيا يدعو المسلمين للاستفادة من التاريخ

دعا عبدالله بدوي رئيس الوزراء الماليزي العالم الإسلامي للاستفادة من أخطاء التاريخ ودراساتها للاستفادة منها.. مشيراً إلى أن الأخطاء التي ارتكبتها المسلمون على مدى التاريخ ينبغي أن تكون مفهومة حتى لا تتكرر الأخطاء ذاتها. وقال بدوي في كلمة ألقاها أمام جلسة انعقدت في متحف القنون الإسلامية الماليزي في كوالالمبور: على الرغم من أن الحكام المسلمين يواصلون التأكيد على ضرورة الإلمام بالأخطاء حتى تكون دروساً وعبراً حتى لا تتكرر إلا أن المسلمين لم يدركوا أخطائهم ومن المؤسف أننا لا نزل نجد أنفسنا غارقين في القوضى والجهل.. وأضاف: وهذا الأمر لم يفت أوانه بعد نحن واثقون بأن الإسلام ديننا الحنيف يوقر لنا توجيهات وإرشادات.. وقال: لا بد أن يكون المسلمون يقظين للدفاع عن هذا الدين الحق ويجب أن تبقى مقعمين بالنشاط ومن أجل أن نظل كذلك فلا بد من تركيز الاهتمام على التربية والتعليم والإفستكون جهودنا في تعزيز الرأسمال البشري وتنميته مجرد شعار فقط.

سياح أوروبا.. يعتنقون الإسلام

شهدت مدينة أنطاليا السياحية التركية اعتناق ٨٧ سائحاً أجنبياً الإسلام مؤخراً.. وقال مفتي مدينة أنطاليا أن من بين السياح ٤٢ ألمانيا و ١١ سويسرا و ٩ من أوكرانيا مشيراً إلى أن ٨٥٪ منهم من خريجي الجامعات.. وأعلن مفتي المدينة عن زيادة النشاطات الدعوية بإرسال الدعاة إلى المدن السياحية للدعوة إلى الدين الإسلامي.

تدريس الشريعة الإسلامية في المدارس العربية بسويسرا

اختتمت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» ورشة عمل تربوية للموجهين في مجال تحديث طرق تدريس التربية الإسلامية في مدينة جنيف بسويسرا وشارك في هذه الورشة خمسون من العاملين في مجال تدريس التربية الإسلامية من مختلف مناطق سويسرا وتهدف الورشة إلى تحديث طرائق تدريس التربية الإسلامية وتأهيل المعلمين في مجال التربية الإسلامية وإكسابهم الخبرات والمهارات الضرورية المتطورة في المجال التربوي وتوعية المشاركين بدور الثقافة الإسلامية في تربية أبناء المسلمين وتنمية الوعي بأهمية توظيف تكنولوجيا الإعلاميات في تدريس التربية الإسلامية والوقوف على المعوقات التي تحول دون تطوير تدريس التربية الإسلامية بما يواكب العصر ووفق خصوصيات الثقافة الإسلامية.

أوغلو: الإسلام ليس عنصراً عربياً أو مؤقثاً في أوروبا

دعا أكمل الدين إحسان أوغلو أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي إلى عدم اعتبار مسلمي أوروبا وثقافتهم عنصراً غريباً ومؤقثاً في السياق الأوروبي مطالباً بالتعامل مع الإسلام على أنه أحد مكونات الهوية الأوروبية.

وأشاد أوغلو في محاضرة ألقاها بمركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية في المملكة المتحدة ونشر مقر منظمة المؤتمر نصها إلى أن العناصر المسلمة نجحت في تقلد أرفع المناصب في أوروبا مشدداً على أهمية المشاركة السياسية للجانليات المسلمة هناك من أجل دعم فرص الحوار الحضاري على مختلف المستويات وفي مقدمته حوار الأديان.

القضاء السويسري يدين التمييز ضد الحجاب

أكدت المحكمة الاتحادية السويسرية أن رفض منح الجنسية للمرأة المسلمة بسبب ارتدائها الحجاب «إنما هو شكل من أشكال التمييز» وقضت المحكمة بتقضي قراراتين اتخذتهما مقاطعة أركوف في قضيان برفض منح الجنسية لامرأة تركية تبلغ من العمر ٤٠ عاماً.

وكانت هيئة في برلمان المقاطعة قد رفضت بأغلبية ١٩ صوتاً ضد ١٥ منح الجنسية لتلك المرأة التي تعيش في سويسرا منذ كان عمرها ١٣ عاماً، بسبب ارتدائها الحجاب، بدعوى أن الحجاب يمثل خضوع المرأة للرجل وهذا يتعارض مع الدستور.. وردت المحكمة الاتحادية بأن ارتداء المرأة المسلمة للحجاب لا يمثل خضوعاً، بل هو التزام منها بالدين الإسلامي، وهذا لا يتعارض مع الدستور الذي كفل حرية الإيمان والمعتقد.

السياسة الطريق الوحيد ليؤثر المسلمون في المجتمع ويحصلوا على حقوقهم

اعتبر السيناتور الأمريكي كيث إيلسون النائب الديمقراطي المسلم في الكونغرس، أن المشاركة السياسية الفاعلة وتشكيل لوبي «جماعة ضغط» هو طريق مسلمي الولايات المتحدة نحو التقدم وتحسين أوضاعهم من خلال التأثير في المجتمع. جاء ذلك خلال حوار عبر شبكة «الفيديو كونغرس» عقد بمقر السفارة الأمريكية بالقاهرة مع عدد من الإعلاميين ودار في معظمه حول أوضاع الأقلية المسلمة، التي يتراوح عددها ما بين ٦ و٧ ملايين مسلم يمثلون ٣٪ من إجمالي السكان في أمريكا، الذي تجاوز ٣٠٠ مليون نسمة وأعرب إيلسون عن إيمانه بأنه «يجب على مسلمي أمريكا أن يتجهوا إلى العمل السياسي، ليكون لهم كيان وصوت مسموع».

ورأى إيلسون - وهو عضو في حزب العمال والفلاحين الديمقراطي - أن مسلمي أمريكا بوضعهم الحالي غير قادرين على تشكيل لوبي يمكنه إجبار الآخرين على الانتصاف لمطالبهم المشروعة وأرجع ذلك إلى عدم وجود قيادة وتنظيم يوحد جهود الأقلية المسلمة. وأضاف: «هناك إساءات ترتكب بحق المسلمين، فواجهات المساجد الزجاجية يتم كسرها، لكنها تعتبر انتهاكات عارضة وطارئة... كما أعرب إيلسون عن معادته بظهور منظمات إسلامية غير حكومية جديدة كل يوم، منها من يخصص خدماته للنساء فقط... من خلال هذا الأمر يمكن أن يتوابع المسلمون داخل الولايات المتحدة».

عرقلة بناء المساجد في موسكو

ذكرت وكالة الأنباء الروسية «نوفوستي» أن علماء دين مسلمين أبلغوا رئيس بلدية موسكو بأن مسئولين في أجهزة الإدارة المحلية يعرقلون أو يمنعون «تشيد مساجد جديدة للمسلمين». وتوجد أربعة مساجد في ضواحي موسكو وقد وعد نائب رئيس البلدية ألكسي بانتيلييف بأن السلطات المحلية ستأخذ في الاعتبار مصالح المسلمين ونشير الوكالة وفقا لمعلوماتها في مجلس الفتن في روسيا إلى أن السلطات المحلية في ١٣ مدينة من المدن القريبة من العاصمة الروسية موسكو لا تستجيب لمطالب المسلمين ويعتقد إمام موسكو أرملان صديريف أن المساجد المطلوب تشيدها في المنطقة ستساهم في مكافحة ظاهرة التطرف.

أسقف بريطاني: الإسلام يتقدم للفرغ الأخلاقي في بريطانيا

حذر أسقف مقاطعة روشستر البريطانية مما وصفه بتراجع تأثير المسيحية أمام تقدم الإسلام ليملا الفراغ الأخلاقي الذي بدأ في بريطانيا منذ عصور.

ويأتي تحذير الأسقف البريطاني بعد أيام قليلة من انتقادات لاذعة وجهها لكنيسة إنجلترا التي اتهمها بأنها لم تزود واجبه في تحويل كافة أتباع الديانات الأخرى وبشكل خاص المسلمون في بريطانيا إلى المسيحية الإنجيلية وهو ما يهدد بضياع الهوية البريطانية على حد تعبيره.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

الأستاذ/ عبد الموجود أمين موسى

قرارات مجمع البحوث الإسلامية

في جلسته المنعقدة في ٢٦ / ٦ / ٢٠٠٨ قرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية:

أولاً: الموافقة على مذكرة لجنة البحوث والسنة والسيرة بشأن طبع كتب الرد على الشبهات والافتراءات على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي:

• تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة.

• اختلاف علوم الدين للإمام الشافعي.

• منهج الدفاع عن الحديث النبوي للدكتور أحمد عمر هاشم.

• السيرة النبوية للدكتور محمد أبو شامة.

وذلك للطبع على نفقة الأزهر.

ثانياً: الموافقة على عقد مؤتمر للمجمع تحت عنوان: «نهضة الأمة.. الإمكانات والتحديات» في النصف الثاني من شعبان سنة ١٤٣٠ هـ.

ثالثاً: تم ترشيح أربعة أعضاء جدد للمجلس هم:

• فضيلة الشيخ محمد رشيد قبانى مفتى لبنان.

• فضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى رئيس الاتحاد العالمى لهيئة العلماء المسلمين.

• فضيلة الشيخ حمود الهتار مفتى جمهورية اليمن.

• الدكتور محمد أحمد صالح أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود.

صرح بذلك فضيلة الشيخ ماهر الحداد المدير العام للإدارة العامة لشئون مجلس المجمع ولجانه.



يوسف القرضاوى



محمد رشيد قبانى



حمود الهتار

مسابقة لاختيار أعضاء جلد بلجنة مراجعة المصحف الشريف

صرح فضيلة الشيخ علي عبد الباقي شحاتة الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية بأن فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر قد وافق على إجراء مسابقة لاختيار بعض الأعضاء الجدد للجنة مراجعة المصحف، على ألا يقل سن المتقدم عن ٣٥ عاما، ولا يزيد على ٥٥ عاما، وأن يكون حاصلًا على شهادة تخصص القراءات على الأقل، ويفضل الحصول على شهادة أعلى وأن يكون مبصرا (دراسة وحقيقة) وكذا خريج اللغة العربية شريطة أن يكون حافظا للقرآن الكريم كاملا، وقارنا للقراءات السبع على الأقل، ودارسا لعلوم الرسم والضبط والقواعد.



على عبد الباقي

فضيلة الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية يستقبل وفدا ماليزيا

استقبل فضيلة الشيخ علي عبد الباقي شحاتة الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية وفد دار الإفتاء وقسم الدراسات والبحوث بولاية نجراني مميلان بماليزيا يوم ١٩ / ٦ / ٢٠٠٨. حيث يقوم الوفد بدارسة بحث نحو تقوية وتطوير دار الإفتاء والهيئات والمؤسسات التابعة لها لمواجهة تحديات الألفية الثالثة. ضم الوفد عددا من أعضاء مجلس الفتوى بدار إفتاء ولاية نجراني مميلان وهم: السيد / حاج زمانى بن إبراهيم، والسيد حاج شهداء بن محمد، والسيد / حاج خير جوهري بن عباس، والسيد حاج شافعى بن محمد.

الطلاب الوافدين

تم فتح باب التقدم للراغبين في الالتحاق بالدراسة بالأزهر الشريف من جميع دول العالم وقد بدأ فتح مكتب التنسيق لقبول الطلاب الوافدين اعتبارا من ١ / ٦ / ٢٠٠٨ وينتهي آخر شهر يوليو ٢٠٠٨. وبالنسبة للأسر الأجنبية المسلمة الموجودة داخل جمهورية مصر العربية فيمكنهم بحكم عملهم التقدم إلى التنسيق في الصفوف التمهيديّة KG1 - KG2 - الصف الأول الابتدائي، أما التلاميذ دون الأعمار المتقدمة فسوف يخضعون لاختبارات لتحديد المستوى الذي يلحقون به في شهر أكتوبر من كل عام.

صرح بذلك فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين.

البعثات الأزهرية

تلقت الإدارة العامة للبعثات الإسلامية طلبات الراغبين للابتعاث في شهر رمضان المبارك ١٤٢٩ هـ حيث تقدم ٢٥٣ مرشحا فضلا عن ١٩٧ مرشحا لرياسة البعثات وتم عقد امتحان لهم جميعا في الفترة

من ٥ / ٤ وحتى ٥ / ٦ / ٢٠٠٨. صرح بذلك فضيلة الشيخ فوزي زيدان الأمين المساعد للبحوث الإسلامية، الذي أضاف بأنه سيتم قريبا إعلان النتيجة.

معاملات البنوك وأحكامها الشرعية

صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب (معاملات البنوك وأحكامها الشرعية) لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ويتضمن سبعة مباحث:

البحث الأول: أوضح المؤلف فيه خصائص الشريعة الإسلامية، ورعايتها لمصالح الناس، ومصادرها، وقيامها على السحاحة والعدل.

وفي البحث الثاني: بين حاجة الناس إلى المعاملات وأسسها في الإسلام المبينة على السحاحة والتراضي والإيجاب والقبول عن طريق البيع والشراء، الإجارة والرهن... المراجعة إلخ. وآداب المعاملات في الإسلام ومنها التيسير عن المعسر، وتحريم الحلال.

وفي البحث الثالث: تحدث عن الربا ومنهجه شريعة الإسلام في تحريمه مبينا التماذج للربا المحرم شرعا..

وفي البحث الرابع: بين معنى القسروض والديون وحديث القرآن عنهما وكيف تدفع الديون، ثم معنى الودائع والاستثمار.

وفي البحث الخامس والسادس: تحدث عن البنوك، ونشأتها، وتطور وظيفتها.. وأعمالها وأنواع الاستثمار وتحديد الربح مقدما ثم الأمثلة والتطبيقات.

وفي البحث السابع: بين بالأدلة الحكم

الشرعي للتعامل في شهادات الاستثمار - البنوك العقارية - سندات التنمية الدولية - أدون الخزنة - صناديق التوفير.

والكتاب في مجمله يقيد القارئ بأن يضع أمامه مبدعا هاما من مبادئ فقه المعاملات المستحدثة ويبين أن الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبدالرحمن العسيلي المدير العام للإدارة العامة لإحياء التراث.



أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عبد النبي فراج

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

إعلان نتيجة الابتدائية الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف - بمكتبه بمشيخة الأزهر صباح الأحد الموافق ٨ / ٦ / ٢٠٠٨ نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الابتدائية الأزهرية للعام الدراسي ١٤٢٨ / ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ م على مستوى الجمهورية بنوعيتها «مبصر - كفيف» وكانت النسبة المئوية للنجاح ٦٦,٧٣٪، وكان إجمالي المتقدمين ١٥٥٠٥٤ طالباً وطالبة، نجح منهم ١٠٢٤٠٧ ومن لهم حق دخول الدور الثاني ٥٢٦٤٦ طالباً وطالبة.

والعشرة الأوائل من البصرين على مستوى الجمهورية هم: هاجر محمد أحمد محمد - الجيزة - الأول - أمال محمود محمد حسن - الشرقية - الأول م. أحمد مصباح ميسر عبداللہ - الغربية - الثالث - فرح محمود خميس سلطان - شمال سيناء - الرابع - فاطمة الزهراء دسوقي محمد - النوفية - الرابع م. هاجر محمد أحمد طه - السويس - الرابع م. إسراء عرابي معوض عرابي - النوفية - السابع - فاطمة ميروك محمد الحيشي - النوفية - السابع م. أحمد شعبان الشحات الشعراوي - القليوبية - التاسع - ناهد جلال حسن عبدالعبود - القليوبية - التاسع م. ترقانا عطوة عبدالرحمن عطوة - شمال سيناء - التاسع - آية جميل هبة - النوفية - التاسع م.

وأوائل المكفوفين على مستوى الجمهورية هم: عبدالرحمن مدحت سيد أحمد - الشرقية - الأول - محمد السيد أحمد أحمد - شمال سيناء - الثاني - عاصم أحمد الخضر عبدالحميد - الدقهلية - الثاني م. عمر خالد محمد مصطفى بدر - الدقهلية - الرابع - نهال نشأت السيد علي - الدقهلية - الخامس - صالح فوزي صلاح محمد - الجيزة - السادس - سميرة عبدالعليم أبو العباس أحمد - أسوان - السابع - ياسر عبدالحكيم حسن مصطفى - الدقهلية - السابع م. حسام هشام عبدالعظيم عبدالنصير - الجيزة - التاسع - خالد عماد حسن عبدالنواب - الدقهلية - العاشر.

شهد اعتماد النتيجة فضيلة الشيخ عبدالفتاح علام - وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ زكريا إسماعيل - رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، وفضيلة الشيخ عبدالنواب قطب - رئيس الإدارة المركزية للتعليم الابتدائي بقطاع المعاهد، ووكلاء القطاع وفضيلة الشيخ محمد جميل - رئيس كتشورل الشهادة الابتدائية الأزهرية، والسادة أصحاب الفضيلة القائمين على أعمال الكنترول - وسيتم إعلان النتيجة على موقع قطاع المعاهد الأزهرية على شبكة الإنترنت.

معهد أزهرى فى أربيل

وقع الأزهر بروتوكول تعاون لإنشاء معهد أزهرى فى أربيل بالعراق ويكون مقره مركز محافظة أربيل وثابعاً لقطاع المعاهد الأزهرية وتتولى إدارته والإشراف والإنفاق عليه وزارة الأوقاف والشئون الدينية فى إقليم كردستان بالعراق، تكون الدراسة به ٦ سنوات بمرحلتين وتطبق بالمعهد المناهج الدراسية للمواد الشرعية واللغوية المعتمدة فى المعاهد الأزهرية التى تقوم بتوفير الكتب الدراسية والمناهج المعتمدة للعلوم الشرعية واللغة العربية من قبل مشيخة الأزهر، وأن يستعان بثلاثة من الكوادر المتخصصة من علماء الأزهر فى المواد الشرعية. وتأتى هذه الخطوة من منطلق توثيق العلاقات التعليمية للدراسات الإسلامية بين مشيخة الأزهر والمؤسسات التعليمية فى إقليم كردستان - العراق وامتداداً للأواصر العلمية العريقة بين الطرفين ولمكانة الأزهر الرفيعة المشهود لها فى العالم الإسلامى ولما يمثل الأزهر من رصانة ووسطية فى المناهج الدراسية. وقد قام بالتوقيع على بروتوكول التعاون من جانب الأزهر فضيلة الشيخ عبدالفتاح علام - وكيل الأزهر الشريف، وبالتوقيع من جانب وفد العراق السيد رئيس الوفد عثمان وشاد محمد المفتى - المستشار الأول فى وزارة الأوقاف والشئون الدينية لإقليم كردستان العراقى «ممثل الوزارة».

النشاط الصيفى لطلاب مدن البعوث

وافق فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر، على ما عرضه مستشار شيخ الأزهر لمدن البعوث الإسلامية لإقامة النشاط الصيفى لطلاب مدن البعوث فى الفترة من ١ / ٦ / ٢٠٠٨ وحتى ٣٠ / ٨ / ٢٠٠٨ م بهدف شغل أوقات فراغ الطلاب طبقاً لميولهم الرياضية والثقافية والأعمال اليدوية وتنمية اللياقة البدنية للطلاب وزيادة الترابط والألفة بين طلاب مدينة البعوث بجنسياتهم المختلفة، كذا تنمية مهارات الطلاب من خلال الصناعات الصغيرة والجولة ويشمل النشاط تحسين الخطوط العربية والاهتمام بحفظ القرآن الكريم وتحويده، كما يهتم مركز اللغات والترجمة بالمدينة برفع مستوى اللغة الأجنبية للطلاب، كذا رفع مستوى الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية والعكس الذى من خلاله يسهل تبادل الثقافات بين الطلاب. كما وافق فضيلة الإمام الأكبر على إقامة اللقاء الثقافى الخامس عشر للطالبات المقام بمدينة بورسعيد والإسماعيلية فى الفترة من ١ / ٧ / ٢٠٠٨ وحتى ٢٤ / ٧ / ٢٠٠٨ على ٤ أفواج يبدأ الأول منها الثلاثاء الموافق ١ / ٧ / ٢٠٠٨ وحتى ٦ / ٧ / ٢٠٠٨ بمدينة بورسعيد والثانى من الاثنين ٧ / ٧ / ٢٠٠٨ حتى ١٢ / ٨ / ٢٠٠٨ بمدينة الإسماعيلية والثالث من الأحد ١٣ / ٧ / ٢٠٠٨ حتى ١٨ / ٧ / ٢٠٠٨ بمدينة الإسماعيلية والرابع من السبت ١٩ / ٧ / ٢٠٠٨ حتى الخميس ٢٤ / ٧ / ٢٠٠٨ بمدينة بورسعيد. ويقام اللقاء الثقافى بأصحاب الفضيلة علماء الأزهر بفرع مدينة البعوث الإسلامية بالإسكندرية فى الفترة من ٦ / ٧ / ٢٠٠٨ حتى ١٦ / ٨ / ٢٠٠٨.

هارون صلاح رئيساً للتفتيش المالى الإدارى

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر، قراراً بالإسناد للسيد الأستاذ هارون صلاح على محمد مدير عام التفتيش الإدارى للقيام بأعمال رئيس الإدارة المركزية للتفتيش المالى والإدارى.

The Night Journey is a measurement of belief

By: Ustaz A'adel Khfaja

The speech about the Night Journey is regarded as a speech about belief and believers. We see that when Abu Bakr (may Allah be pleased with him) knew about the denial of the Prophet's tale about the Night Journey, he said, "If he said that it happened, then he is truthful".

The right believer does not need signs to believe any speech told by the Prophet, the truthful and the honest person. However, as for those who denied the event, the Prophet put his hand on the head of some of them, the matter that caused them to be amazed at his speech. It is really a measurement of belief and believers since the dissidence of the inspiration till the Day of Judgment.

Speech about the Night Journey has many branches and includes many advices. There was a saying that the Night Journey happened at one night by the soul and body of the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him). Some people said that one of them occurred while the Prophet was awakening and the other happened while the Prophet was asleep.

The first event is the journey that took place on earth from Mecca to Jerusalem, which Allah mentioned in the following verse:

{All Exaltment be (to Him), who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further Mosque, around which we have blessed, that we might show him (some) of Our signs. Surely He, Ever He, is The Ever, Hearing, The Ever-Beholding.}

[Al-Isra'a (The Night Journey): 1]

Abu Saïd said about the second event, "When I finished the incidents of Jerusalem, I saw something never seen except by the dead, and my companion accompanied me till I reached a certain door called Bab Al-Hafazhah."¹

Allah says in the Noble Quran:

{And (by) the Star when it tumbles down. In no way has your companion erred, and in no way is he misguided. And in no way does he pronounce (any word) out of prejudice. Decidedly it is nothing except a revelation revealed. One of valiant powers has taught him. Owner of resolute splendor, so he leveled himself. (When) he was on the most exalted horizon. Thereafter he (came) within reach, then hung suspended. So he was at two bows (distance) or (even) closer (still). Then He revealed to His bondman what He revealed. In no way did the heart-sight lie (about) what it saw. Will you then wrangle with him about what he sees? And indeed he did already see him (during) another descent. At the Lote-Tree of the Utmost Boundary. At it is the Garden of the Abode. As that which envelops did envelop the Lote-Tree. In no way did (his) beholding swerve, and in no way was it inordinate. Indeed he has already seen of the signs of his Lord, the greatest.}

[An-Najm (The Star): 1/18]

Al-Buraq

Abdullah Ibn Mas'ud narrated, "Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) came by Al-Buraq, the animal that used to carry the prophets and it puts hoofs at the end of the distance it can see."²

This animal is faster than any transport means in the modern time, as it puts its hoofs at the end of the distance it can see. We may ask ourselves, "Where is end of the distance it can see?" How many steps does Al-Buraq take per hour? The multiply of these two factors can reveal Al-Buraq speed. These are unseen matters, and we give these examples to realize the whole matter.

If we know about a jet aircraft owned by the US space agency set a new record in flying speed, when it approached voice speed, the Engineer. Randy Forland said that the jet aircraft recoded 9.6 times the voice speed during flying. Then, the aircraft approached flying in 11000km/hour (voice speed is 1225 km/hour). We say that the aircraft is made by the human being, then the creation of Allah is unparalleled.

The Advice

The one who contemplates in the saying of Ibn MA'ud knows that traveling by this animal was not restricted to Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him), but other prophets traveled by this animal. This can be indicated from his saying, "The animal tied the ring that it used to tie around the Prophets."³ These words reveal that the other prophets were using this animal by Allah's order.

There is a question: why did the disbelievers deny the earth journey although it happened to other preceding prophets? We quote Allah's verse:

{We already know that surely it indeed grieves you (the things) they say. Yet surely they do not cry lies to you, but the unjust (people) repudiate the signs of Allah.}

[Al-An'am (The Cattle): 33]

All the prophets met and Allah's Messenger was their imam in the prayer. This means that they were collected in one prayer. We can not ask about the way it was performed, but we should pay attention to its goal, which is that all the prophets came with different messages, but there is one principle in all of them. All of them call for believing that Allah is the only god.

Muhammad said, "All the prophets are brothers; although they were sent to different nations, they have one religion."⁴

Allah says:

{And in no way did We sent (any) Messenger even before you except that We revealed to him, (saying), "There is no god Except I: so worship Me."}

[Al-Anbiaa (The Prophets): 25]

This is what we derive from the prayer of Allah's Messenger by the prophets.

² The Prophet's biography by Ibn Hisham part 2/248

³ The chapters in the Prophet's biography page 1 page 281

⁴ Musnad Al-Imam Ahmad Ibn Hanbal page 2

¹ The explanation of At-Tabary: part 8/12, see Musnad Al-Harith Zawa'ed Al-Haithamy part 1/170 in other words

Scenes from the Night Journey...!
By: The honorable Sheikh. 'Umar Ad-Deib
The Former Al-Azhar Deputy

&
Member of the Islamic Research Academy

{All Extolment be (to Him), who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further Mosque, around which we have blessed, that we might show him (some) of Our signs. Surely He, Ever He, is The Ever, Hearing, The Ever-Beholding.} (Al-israa(The night Journey):1]

Allah, Glory be to Him, sent Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him) to the people with a message to complete the previous Heavenly messages, and to be the last suitable message for every time and place. It includes what reforms humanity, and achieves safety and peace to mankind.

He made Mohammad the last Prophet to be entitled to this honorable mission to inform the people with this message saying:

{Say, "o you mankind, surely I am the Messenger of Allah to you altogether}

[Al-A'raf (The Battlements): 158]

Allah, Glory be to Him, supported him with many material and spiritual miracles and signs. The miracle of Night Journey is one of the eternal material miracles to witness the truthfulness of the message, and to announce to the humanity that Muhammad is Allah's Messenger, and that his religion is true.

If we look at the miracle of the Night Journey, we will find in it many scenes, some of which are:

- Time scene
- Place scene
- Belief scene
- Spring of da'wah scene
- Honor scene
- Time scene:

The time in which this miracle occurred is called grief year, as the prophet (peace be upon him) lost his wife Khadija, the mother of believers (may Allah be pleased with her) as well as his uncle Abu Taleb, who was strong support in his life. When his uncle died, Quraysh harmed him. The prophet (peace be upon him) said, "Quraysh has never harmed me except after the death of Abu Taleb"

Also, his wife Khadija, who believed and compensated him by her own self and money, died. The one who supported him and his da'wah died with her sympathy, compensation and support. She supported him in the hardest times, as she used to help him in transmitting his da'wa along with sympathizing with him. Quraysh exploited this opportunity and increased its harm and tyranny against the Prophet (peace be upon him) and the Muslims.

Place scene:

When the harm of the disbelievers to the Prophet (peace be upon him) increased, he moved to Al Taif to ask for help. However, the circumstances were not better than

those in Mecca. He found enmity in Al Taif such as what he found before the Night Journey. The Prophet (peace be upon him) said that the worst day which he passed through was the day of his return from Thaif, when some foolish men and boys threw stones over the Prophet (peace be upon him) till his honorable legs bled.

Belief Scene:

When the Prophet (peace be upon him) was harmed extremely in his return from Thaif, he resorted to the shadow of a tree in a hot day and restored the history of his Da'wa. Then, he resorted to Allah and prayed the following supplication:

"O Allah to You alone, I make complaint of my helplessness, the paucity of my resources and my insignificance before mankind. You are the most Merciful of the mercifuls. You are the Lord of the helpless and the weak. O Lord of mine! Into those hands would you abandon me: Into hands of an unsympathetic distant relative who would sullenly from at me, or to the enemy who has been giving control over my affairs?

But If your wrath does not fall one me, there is nothing for me to worry about. I seek protection in the light of your countenance, which illuminates the heavens and dispels darkness, and which controls all affairs in this world as well as in the Hereafter. May it never be that I should incur Your wrath, or that you should be wrathful at me. And there is no power nor resource, but yours alone."

Allah responded to the Prophet (peace be upon him) after this supplication causing the Prophet to move from hard times and difficulties to good omens.

Spring of D'awa Scene

One of the good omens that took place and gave promise of the spring of da'wah to spread in earth is the miracle of the Night Journey. It caused feeling of easiness to the Prophet (peace be upon him) as well as compensation for his feeling and achievement of his hope. It seems that Allah, Glory be to him, wanted to tell his Prophet (peace be upon him) that if your people tighten the land in front of you, we open to you all of the paths of heaven and earth in the night and ascension journey.

Da'wah did not relapse after the night journey, on the contrary, it confronted conquest after another by meeting the Arab tribes in pilgrimage season. Also, it paved the way for the great immigration in the meeting between the Prophet (peace be upon him) and the Prophets' advocates (Al-Ansar) in two frequented years. Then, the honorable prophetic immigration occurred, as it divided the history of the Islamic Da'wah into two big divisions, the first of which represents plowing and cultivating, and the second represents harvest. It is the law of Allah in his creation

{Then, you will never find any exchange of the enactment of Allah, and you will never find any transference to the enactment of Allah}

[Fatir (The Originator): 43]

{and it is truly (binding) on Us to (give) victory to the believers}

[Ar-Rom (The Romans): 47]

Honor Scene:

The Prophet's journey to Jerusalem was an indication of the beginning of a new phase of Da'wah, as the Prophet (peace be upon him) was set forth to night journey from the Inviolable Mosque to the Further Mosque. His prayer with the Prophets was the best prayer, and homage for him to declare the spread of Islam in this pure place.

their homes and the abolishment of their civilization. They are being referred to as uncivilized, terrorists and savages.

All this is backed by the western power claims that it protects freedom and democracy. Actually, it has protected the oppressor and crushed the oppressed, it has encouraged other countries to kill innocent Muslims using false accusations causing Muslims to be killed day and night by the hundreds. In addition, thousands have been made homeless due to destruction of their homes and are forced to move aimlessly from country to country without shelter.

The American President gave a speech in the Israeli Knesset on Thursday 15th May, 2008. In this speech he announced that Israel is the most democratic country in the world and that its people have suffered a lot for the sake of peace, forgetting that there is a nation whose land has been occupied and its people made destitute.

The American President forgot that the European countries are the main reason for the sufferings and torture of the Jews. He forgot that Arabs and Muslims, including Palestinians, were the ones who were merciful to the Jews, who then occupied their land and made them homeless in order to turn their land and the land of their forefathers into a Jewish state. Palestinians were killed and their homes destroyed. They suffered at the hands of the Jews all forms of torture, imprisonment and deprivation. As such, The American President is ignoring the facts and overlooking all the basics, reconstructing the facts in a way that has no relation at all to the truth.

It is not clear what kind of democracy it was that he attributed to Israel. It is a democracy of killing, blood, death, destruction and mass punishment. It involves depriving human beings of their most basic human rights. It is a democracy with fangs that attack infants and young children; a democracy with walls barriers and blockades.

Our Palestinian brothers and sisters are dying of hunger or in prison camps. They are deprived of fuel and electricity, so life support systems for patients in hospitals cannot function. Water treatment centers and sewage systems are no longer effective, turning the lives of Palestinians into a living hell.

What sacrifices did Israel make in Palestine for the sake of peace? A few years ago, the Arabs tried to forget all Israel's crimes and proposed a peace treaty that causes them to acknowledge the presence of Israel on their land and readily offered to have full relations with Israel. All they asked from Israel was to return the occupied land and give the Palestinians the land that was surrounded by the boundaries of 1967 to make a nation for themselves. How did Israel respond? They avoided peace and continued to kill and destroy in the West Bank and Gaza strip. They prevented the owners of the land, who are now destitute all over the world, from returning to it. They set up new settlements to bring in new Jews from all over the world. They desecrated Holy places. They ignored International resolutions and refused to abide by them or be governed by them.

After all that, does Israel deserve to be regarded as a democratic country and to be protected by the United States? The American Presidents speech in the Knesset certainly shows that he could never be a mediator or even an advocate for the peace process. He praised one side only and was totally biased to it.

The American President had waged a war on Iraq claiming that it had weapons of mass destruction. This claim has proved to be false. Instead of admitting that he was

wrong, and collecting his troops and returning home, he has continued to fight this innocent nation for five years, destroying everything in it. He has even destroyed the monuments and relics of the great civilization of this country that had existed for over two thousand years in history. This war has become a sign of shame and disgrace to all Mankind, not just the United States.

The angry reaction of Arabs to this war reflects the lack of trust in The American Presidents policies. All through his eight years in office, he did not give any sign of respect for the feelings of Muslims. His speech in the Knesset and Sharm El-Shiekh was a shock, not only to Muslims, but also to every human being concerned with justice and freedom in the world.

His speech in the Knesset was insulting and annoying, and was a clear indication of his total disregard for the plight of the Palestinians and their lawful rights. It also emphasized his complete and limitless support for expansion and total domination by Israelis. He supports claiming false rights to wage wars, just as he did in Iraq, with the excuse that it prevents possible dangers. This is totally against international law that forbids the use of force - according to the United Nations resolutions - except in the case of self-defense against an invasion or attack that has actually happened; not from a danger that may or may not occur. Bush's speech in the Knesset was certainly an encouragement and support for Israel's constant attack on the Palestinians, allowing it to carry out more unlawful acts and blockades. It actually abolished all rights for Palestinians: political, legal and even human rights.

This creates a real feeling, in every Arab and Muslim, that there is no hope of expecting the United States to play an honest role as mediator in the present time. It also raises serious doubts about the possibility of the formation of a Palestinian state by the end of the year, as announced by officials of the American President administration from time to time.

The American Presidents speech about democracy in the meeting in Davos in Sharm El-Shiekh was unconvincing. He mentioned that the two wars in Afghanistan and Iraq indicate that, when given a choice, people choose democracy over any other choice. It sounded as if what Bush did was to carry out a national referendum for both nations and that they chose his form of democracy. He ignored the fact that he waged a heartless, unmerciful war on each nation, destroying everything without any regard for weak children, women, elders and sick people.

As The American President was talking about these two unfortunate countries, he was insinuating that Iraq has now become a heaven for Iraqis to prosper in and that Afghanistan has now become a land of peace and stability. What The American President failed to mention was that, after five years of invasion by United States troops, the result of the democratic process in Iraq is the death of a million Iraqi martyr and two million and a half becoming destitute and homeless. In addition, prisons are now full of innocent men and women. As for the terrible treatment in the Iraqi prisons, it has been widely publicized and shocked even the American people themselves.

In Afghanistan, the process of democracy, that was set down by The American President since the invasion by his troops in 2001, speaks for itself. News of the daily killings and destruction are heard and broadcast at all times.



﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

ON THE OCCASION OF ISRA'A AND MI'ARAJ: THE AGONY OF THE EARTH FROM THE INJUSTICE HAS REACHED ITS MAXIMUM...!

By Dr. IBRAHIM AL-ASSIL

These days, the Islamic world is celebrating the memory of a unique and remarkable event in History that happened About fifteen centuries ago. It is an event that reveals the ability of the Creator and emphasizes the value of Mankind. The relationship between Earth and Heaven was assured and the extent of the wide sovereignty of Allah was illustrated. This event was the Isra'a (night travel) that Allah used to start one of the Suras of the Holy Quran by saying:

"Glorified be He Who took his servant on a night journey from the Holy Mosque to the Aqsaa Mosque that We blessed all around it. To show Him our miracles; He is the All-Hearing and All-seeing"

(The Night Journey: 1)

What is really inspiring is that this Holy Honorable event happened to the Most Honorable Prophet and leader of Messengers, after a series of problems and hardships. It was in that year that his wife Khadija and his uncle Abu Taleb died, a year that was rightly named 'the year of sorrow'. In that year, also, the disbelievers and pagan tyrants had done their utmost to harm and hurt the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). This forced him to leave Mecca and go to Al-Ta'ef in search of people who are less heartless and more understanding and reasonable. However, he was faced with more cunningness and more terrible behavior. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) returned, deeply wounded, with so much pain and sorrow that only Allah knows about. He kept repeating from his heart – as mentioned by Bukhari – these words:

"O Allah! To You alone I make complaint of my helplessness, the paucity of my resources and my insignificance before mankind. You are the most Merciful of mercifuls. You are the Lord of the helpless and the weak. O Lord of mine! Into whose hands would you abandon me: into the hands of an unsympathetic distant relative who would sullenly frown at me, or to the enemy who has been given control over my affairs? But if your wrath does not fall on me, there is nothing for me to worry about."

"I seek protection in the light of Your countenance which illuminates the heavens and dispels darkness, and which controls all affairs in this world as well as in the Hereafter. May it never be that I should incur Your wrath, or that You should be wrathful to me. And there is no power nor resource but Yours alone."

From among all these hardships that burdened the merciful and peaceful Prophet, the hands of Allah spread to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to save him and elevate him, and to show him the entire sovereignty of the Heavens and the Earth to illustrate the great miracles of Allah.

The occasion of this heavenly miracle arrives this year at a time when Muslims have been targeted everywhere with conspiracies, plots and various instruments of death and destruction. They are suffering from imprisonment and incarceration, destruction of

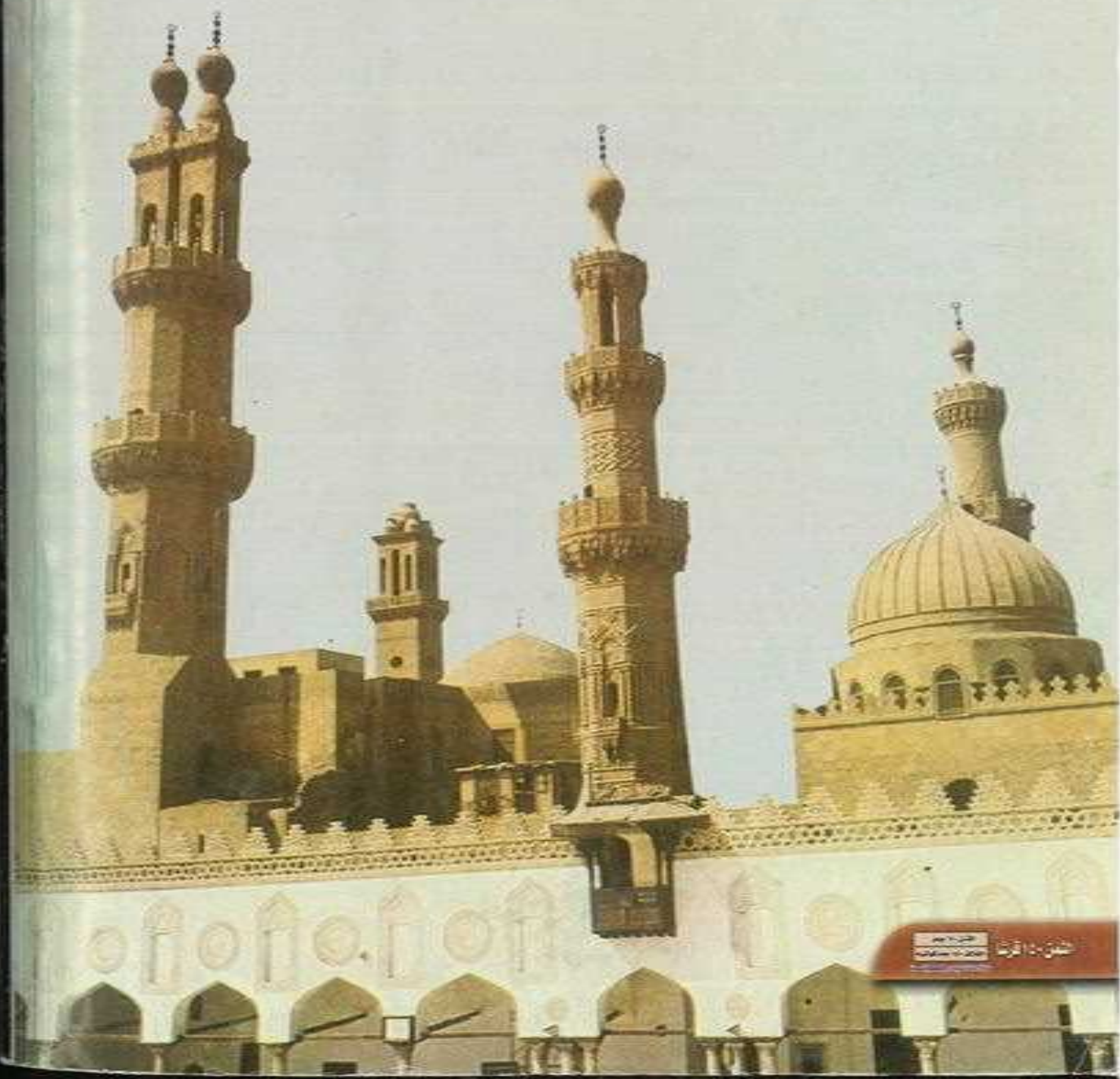
الفهرس

- القرية المصرية في الجيل الماضي
للاستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي ————— ٩٩٢
- تفسير سورة آل عمران
للقضية الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ————— ١٠٠٠
- السنة: فضل العلم والعلماء
للقضية الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي ————— ١٠٠٦
- القدس وديعة رسولنا - ﷺ - عتلتنا
للقضية الشيخ / عمر الدبيب ————— ١٠١٠
- خطبة الجمعة: فلسطين.. المردة للفتنة
للقضية الشيخ / محمد الغزالي ————— ١٠١٤
- رحلة الإيمان وجوهر الأديان
للاستاذ الدكتور / محمد فتحي فرج ————— ١٠٢٠
- نهاية إسرائيل محتومة
للدكتور / حمدي فتوح والي ————— ١٠٢٤
- جيش أسامة
للشاعر الأستاذ / أنور العطار ————— ١٠٣٢
- السنوية الاجتماعية ضرورة إنسانية
للمستشار / حسن حسن منصور ————— ١٠٣٥
- قصة العدد: إيمان قلب
للاستاذ / كامل محمود حبيب ————— ١٠٤٠
- مواقف إسلامية قيمة للوفاء
للاستاذ الدكتور / مصطفى عمار ————— ١٠٤٤
- طرائف ومواقف
للشيخ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ————— ١٠٥٠
- نفقة من خير وصافة
للقضية الشيخ / علي عبد الباقي شحاتة ————— ١٠٥٣
- حقيقة الحق والحق
للقضية الشيخ / صديق بكر عبيدة ————— ١٠٥٦
- تأملات أصولية حول دلالات الألفاظ
للقضية الشيخ / الطاهر الحامدي ————— ١٠٦٢
- كتاب الشهر: الحضارة الإسلامية المسيحية.. مآل حديث
عرض وتحليل أ.د / إبراهيم عوضين ————— ١٠٦٦
- الحجاب في الجامعات التركية بين الحظر والحرية
للاستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد ————— ١٠٧٢
- الفناء والموت في مذهب الفقه الإسلامي
للدكتور / محمد عمارة ————— ١٠٧٨
- نشأة العلم الإسلامي ومناهجه
للاستاذ الدكتور / أحمد قزاد باشا ————— ١٠٨٥
- المؤتمر الإسلامي العالي للحوار
رسالة مكة يكتبها / عاطف مصطفى ————— ١٠٨٨
- مستقبل الحوار في ظل الإساءات المتكررة إلى الإسلام
للقضية الشيخ / فوزي الزكراف ————— ١١٠٠
- استقنات القراء
يجيب عنها أ.د / علي جمعة ————— ١١٠٨
- الأذان بين فلسفة الفناء واعجاز البناء
للاستاذ / محمد مصطفى البسيوني ————— ١١١٤
- بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذين: محمود فاضل - علا عبد الرحمن ————— ١١٢٠
- قراءة في كتاب: حقوق المرأة في التشريع الإسلامي
عرض وتقديم / الأستاذ عادل خفاجة ————— ١١٢٤
- بين المجلة والقارئ
للاستاذ / أحمد السيد نقي الدين ————— ١١٢٨
- أنباء العالم الإسلامي
للاستاذين: محمد جمعة - أحمد رضوان ————— ١١٣٤
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية
للاستاذ / عبد الموجود أمين موسى ————— ١١٣٧
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
للقضية الشيخ / عبد النبي فراج ————— ١١٤٠
- القسم الإنجليزي
إعداد وإشراف أ.د / إبراهيم الأصيل ————— ١١٤٩

AL AZHAR

MAGAZINE

Rajab . 1429 A H. July 2008.
Vol. 81, Part VII .



العدد ٨١ - الجزء السابع
الطبعة: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

هدية العدد
الفارق
عمد بن الخطاب

الأخبار

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
بمصر - أغسطس ٢٠٠٨ - الجزء ١٠ - العدد ١٠

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ
مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا



١١
٣٤٤٤٤٤
٢٧٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

الاشتراك السنوي

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. انصر

ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩

شعبان ١٤٢٩ هـ - أغسطس ٢٠٠٨ م - الجزء الثامن - المجلد ٢٢

الأزهر

الصحافة بين نشر الرذائل، وكتمان الفضائل

توَّجع الشاعر القديم منذ أربعة عشر قرناً حين قال عن أصحابه:

إذا رأوا سبة طاروا بها فرحاً .. عني وما علموا من صالح دفنوا

ويظهر أن المسألة غريزية تلازم البشرية منذ حظيت بالوجود إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين، فنحن الآن نشهد من تطبيقاتها العملية ما يجعلها حقيقة لا شك فيها، ولعلماء النفس، أن يختلفوا لها من التبريرات ما لا يعجزهم في شيء، أما نحن فنستنطق الواقع الملموس - حين نكون في مجلس من المجالس كبر أصحابه أم صغروا ثم يأتي حديث مكرمة من المكارم لإنسان فاضل، فيمر الحديث عابراً لا تعقيب عليه، بل ترى في بعض الوجوه ما يدل على التبرم القابض، وكأن هذا التبرم المنقبض يستشعر أن مدح غيره هو في ذاته انتقاص له، إذ لم يأت بما أوتي هذا الكريم من فضل - أما إذا ذكرت هنة من الهنات نلصق بمن نعرف أو بمن نجعل، فالأسماع متيقظة، والأفواه منطلقة والتعقيبات لا تقف عند حد، ثم ينتقل الأمر إلى مجالس شتى حتى يصبح وكأنه حدث الأحداث! أليس شاعرنا القديم قد عبر عن واقعنا أصدق تعبير!

وننتقل إلى صحافتنا الذائعة. فنجد الأمر لا يختلف لديها عن وضعه في المجالس العامة. «فقد يقوم محسن كريم بمأثرة نبيلة تدل على عراقة ونبل ودين، فلا نجد خبراً عنها، بل من المؤسف حقاً، أن نجد الخبر قد امتد إلى من ليس يستحق الإشادة، وإذا أردت الدليل على ذلك، فلتقرأ ما تكتبه الصحف عن افتتاح مسجد أو مدرسة أو معهد ديني أو مستشفى تبرع بنفقاتها كلها أرضاً وبناءً وصيداً موقوفاً للعمال إنسان ميسور فاضل فإنك تجد في حفلة الافتتاح صورة الوزير والمحافظ، وأعيان البلدة من نواب ورؤساء إدارات، وتجد الوصف المسهب لهؤلاء، ثم تجد في سطر واحد يكاد يتوارى عن استحياء (وقد

تبرع بالمركز الحاج فلان) أما من الحاج فلان؟ وماذا أنفق؟ وكيف جاهد وكابد حتى استوى الصرح على سوقه؟ فهذا ما لا تجد له أثراً، بل ربما انطلقت الألسنة الحاقدة لتفتري الكذب على الشرفاء، فتتهم الحسن الجواد بأنه تاجر في مخزومات، وأراد أن يستغفر عن ذنبه! هذا ما سمعته بأذني وهو كذب صريح يدل على خساسة نفس قد انحدرت إلى مستنقع من العنق الربوي!

أضرب مثلاً آخر!! كلنا نقرأ صفحات المآثم التي لا تنقطع مزودة بالصور وأسماء الشهود، وتعليقات الفهماء من الخللين. حتى ليأخذ الحدث المنكر صفحة تامة بأكملها، ثم يعاد النشر إذا جد جديد من العثور على شاهد، أو وجود وثيقة دالة! ولكن مأثرة رائعة لطالبيين نبيلين في مدرسة تجارية عثروا على مائة وخمسين ألف دولار فتقدموا بها إلى السفارة اليابانية عن طريق ناظر المدرسة الذي وجد المال في يده عن طريق التلميذين الواعدين، ووجد في الأوراق اسم السائحة المسكينة وموطنها فاتصل بسفارة بلدها، لتحضر كي تسلم ما يخصها، وكانت في حالة من الانهيار التام. فلما جاءها البشير جرى الدم في الجسم الهامد، وهرعت إلى المدرسة لتقدم للتلميذين ما تعرف عليه من المكافأة المالية، فرفض كل الرفض! رفضاً خمسة عشر ألف دولار عن طواعية لأنهما قاما بواجب الإنسانية التي لا يحتاج القيام به إلى مكافأة! وحين علم السيد الوزير كرم التلميذين، وأثنى على أخلاق مصر التي تجلت في سلوكيهما! وكل ذلك جاء في عدة سطور نشرتها الصحف! أفما كان الأجدر أن تنشر في كل الصحف دون استثناء صفحة كاملة تشيد ببطاهرة هذين الناشئين الكريمين، كما ينتقل الخبر إلى منزلي الطالبين، ويأخذ حديثاً وصورة للوالدين والأسرة تشجيعاً لهذا العمل البرور! إن الصحف تنتقل يوم ظهور نتيجة الثانوية إلى منازل الأوائل وتظهر صور الأب والأم والإخوة مع الطالب الفائز! وهذا محمود في ذاته! ولكن النجاح الخلفي الرائع أهم وأثر من النجاح العلمي الذي أخذ بالدروس والتلقين الأصم دون جدارة ملموسة! ودع الصحافة واسأل كيف مضت في صمتها الإذاعة مرثية ومسموعة! أليس عقد ندوة مع أساتذة الفاضل لشكرهم هذين الطالبين أولى من حديث تافه عن ممثل ناشيء، أو ما يشبه دعاية رخيصة يقوم بها مذيع ليسأل ممثلة لم تعرف بعد، ماذا تأكل ومن أين تشتري الملابس؟ وقد نشرت جريدة الوفد انتقاداً مرّاً للمذيع تسأل ممثلة ناشئة عن صحة كليها، وأين يعالج!!

لقد ذكرني ما كتبه عن إهمال الحديث عن الكرماء من رجال الخير بقصة كتبها الروائي الروسي الأشهر (أنطون تشيكوف) يقول فيها على لسان البطل وهو مهندس مكافح مغمور: (إنني أنشأت قنطرة عظيمة في بلدة كذا. وأقيم افتتاح كبير لها في حفل مشهود، وألقيت الخطب والمقالات، وجعلت أنتظر أن يذكر أحد اسمي، وأتخيل الأبصار متطلعة نحوي، ولكن لم أر شيئاً مما توهمت! ثم شوهدت حركة غير عادية في الجمهور تبعها كثير من الهرج والمرج، وماج المكان واضطرب، فقلت في نفسي: ربما تبه القوم إلي، وهموا بالاحتفال بي ولكني علمت أن ممثلة جميلة محدودة الطاقة تتبعها حاشية من أسرى الغرام قد شرفت الحفل، فجذبت الأنظار، وانتهى الحفل وخرجت جميع الصحف تتحدث عن المهرجان وحضور صاحب الفخامة محافظ المدينة، وتشريف الممثلة الطائفة الصيت في حلة أرجوانية لفتت الأنظار مع صور للمحافظ والأعيان والممثلة! دون ذكر ما لمن أنشأ القنطرة!!)

أليس ما ذكره أنطون تشيكوف شبيها بما يحدث الآن !

لقد كان القدماء من المفكرين أبعد نظرا، وأنقى فطرة، حين خصوا قصص الفضائل بكتب مستقلة لتكون موضع الاحتذاء الخلقى، لأن كتب الأخلاق النظرية ذات تأثير محدود؛ إذ لا يتعدى نفعها إلى العامة من القراء. أما كتب القصص الخلقية فذات رواج نافع بين العامة والخاصة، وأمامنا كتب (المكافأة وحسن العقبى) و(المستجدات من فعلات الأجواد) و(الفرج بعد الشدة) و(الحاسن والأضداد) هذه المؤلفات يطالعها الناشئ وغير الناشئ، فتعطيه من الدروس الواقعية ما يرتفع بمستواه إلى ما نرجو من السلوك الحميد، وكم كان جميلا من وزارة التربية والتعليم لو أنها صوّرت الطالبين الأمينين عبدالرحمن فوزي، وجوزيف رشدي اللذين أشرت إلى صنيعهما الحميد من قبل في جلسة مع السيد وزير التربية والتعليم، ثم أرسلت نسخا من هذه الصور إلى المدارس المصرية لتعلق في صحف الحائط بالمدرسة، فيقرأ كل تلميذ ما صنع زميله النبيل، ويلبس من اهتمام الوزارة بإذاعة حديثهما الكريم ما يجعله مشربا إلى مثل هذا الصنيع، وبذلك تعطى الدرس العملي الناجع للناشئة المسكينة التي لا تسمع ولا ترى إلا فجائع السرقة وشنائع الاغتصاب، وأهوال الجرائم في الأسرة الواحدة التي يكون أبطالها الابن والزوج والأخ والأم والأب ! وهي فظائع لا تكاد تصدق لولا أنها واقع ملموس !

وهنا أطوى الحديث العاطر عن نشر الفضائل إلى حديث آسن عن نشر الرذائل، ولست في حاجة إلى أن أبرز بشاعة هذا الشر المستطير بعد أن اتسع الخرق على الرافع فيما اقترفته جريدة النبا، وكم تحدثت عن هذا الانحدار في مقالات سابقة، فلم أجد غير الاستعلاء من قوم يلوكون الكذب حين يقولون: نحن ننشر الحقائق ولا نخترعها جاهلين قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ

يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفِتْنَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

(النور: ١٩)

ومعروفٌ بدهشة أن من الحقائق ما لا يذاع، ومن ينكر ذلك لا يجيز لأحد أن يتحدث عن بيته بما لا يليق، ولكنه يرتكب الموبق وراء ابتزاز مالي هو والسحت الحرام سواء بسواء، وقد كانت الصحافة في النصف الأول من القرن الماضي أشرف أنماها، وأبل غرضا مما اتحدت إليه في أخريات القرن الماضي، وأضرب المثل لذلك بما تحدث به الأستاذ محمود الشرقاوي في مجلة الرسالة يوم رحيل الأستاذ عبدالقادر حمزة صاحب جريدة البلاغ؛ حيث تورط محرر شاب بصفحة السينما والمسرح في الجريدة فأشار إلى مثله ناشئة بما قد يفهم منه بعض الانتقاص عند من يدقق؛ لأن المسألة لم تخرج عن التلميح إلى الصريح، وقرأ الأستاذ عبدالقادر حمزة، ما كتبه محرر الناشئ، فغضب غضبا ارتجت له جوارب الدار، وأمر بفصل محرر دون إهمال، ونشفع المشفقون بأن العبارة موهمة فقط وليست صريحة، فأصر على الفصل، وقال الأستاذ: إن البلاغ تصدر لتعطي دروسا في الأخلاق لا لتكون مجالا للشائيات !

هكذا كان صاحب جريدة البلاغ، وكذلك كان محمد توفيق دياب في الجهاد، وأمين الراقعي في الأخبار، ومحمد فريد وجدي في الدستور، ومحمد حسين هيكل في السياسة فخلف من بعدهم خلف لا يكتفون بذكر الشائع بل يضيقون إليها بهتاناً عظيماً لتقع أسوأ الواقع من النفوس ! وقد يكون لدينا اليوم من رؤساء التحرير من يحتذى حدو ذوى الفضل، ولكن الكارثة كانت طامة حين أخذت صفحات الجرائد في الجرائد اليومية تتسابق في نشر الفضائح، وكأنها مجال للتبريز.

يقول الإمام محمد أبو زهرة في مقال عن هذه الانحدارات: إن الفاحشة المعلنة تتضمن ثلاث فواحش مزدوجة فاحشة الارتكاب، وفاحشة الإعلان، وفاحشة إيذاء الأقربين، وقد صدق الأستاذ في تحديد هذه الفواحش، أما فاحشة الارتكاب فمجال المزاخنة عليها هو القضاء؛ إذ لا يمكن أن يفر المجرم بجريمته دون عقاب، وهذا بديهي لا يختلف فيه اثنان، وأما فاحشة الإعلان فأهون ما يقال عنها: إنها مثل يارز لفقد الحياء من المجتمع بآثره؛ لأن المجتمع الذي ينم ويصبح على أنباء الجرائم المنكرة، تهون لديه فداحة الجريمة، ويعتبرها شيئا طبيعيا لا شذوذ فيه، وتزيد الكارثة حين تنسب جرائم الرشوة والنهب والسرقة إلى الكبار من علية القوم وهذا هو المشاهد الملموس غيانا دون التباس، وقد ضاعت قيمة الرأي العام في مصر للأسف، وأقولها صريحا دون حجمة، إذ نرى المرتشي والسارق والناهب من الكبار يقع في العار الشنيع، ثم يقابل من العامة والخاصة بالتبجيل والاحترام، فلو كان لدينا رأى عام سديد، لقبول هؤلاء الناهبون المرتشون بالازدراء، فلا يجدون الاحترام والتبجيل حيث يذهبون، ولكن المجرم من هؤلاء يظل في الحس أياما، ثم يخرج فيقابل بالإجلال وكأنه كان بريئا مظلوما !! إن ضياع الرأي العام في مصر هو أكبر مشجع على النهب الغاصب، والرشوة المنكرة، بل هو الذي جعل الجريمة تسمى بغير اسمها فهي أحيانا «من السلبات»؛ هذه السلبية التي تذكر في مجال التبرير وضعا للفظ في غير موضعه ! لأن الموقف السلبي هو الذي لا يتيح شيئا ! أما إذا اقترف المجرم ما يدعو إلى الردع الصادع فكيف يأتي بالسلبات ؟ ! على أن الذين يزرعون هذه المعاني الخادعة في النفوس يعلمون حقيقة ما يافكون، ولكنهم يحاولون أن يضلوا الرأي العام، وقد نجحوا في المحاولة، فأصبح الرأي العام عندنا باطل الأباطيل ورمادا تذروه الرياح !

وأما الفاحشة الثالثة وهي فاحشة إيذاء الأقربين فأنكى وأفجع وأوجع، إذ قد يكون الإنسان آمنا في سره ممتعا بالسمعة الطيبة بين زملائه، سعيدا بانتسابه إلى أسرة شريفة طيبة، ثم تخرج الجريدة اليومية بفضيحة لأبيه أو أخيه أو عمه. وقد تكون فضيحة واهية الأساس، لفقها ملفق، وصدقها موقر، فكشبت عنها العناوين الخادعة، وجرت تحتها الأنهار الكاذبة، ثم ازدانت بالصور المريبة والقضية لم تعرض على القضاء بعد، ولم يقل فيها العدل كلمته التي تحقق الحق وتبطل الباطل ! ماذا يصنع هذا الإنسان المسكين في مجتمعه، وقد أخذه الرعد من كل مكان ؟ وجاء الشامتون في صور التسائلين، وفي عيونهم ما ينم على التشفى؛ لأن تربيتنا المعاصرة ليست لها صلة ما يتعاليم الإسلام، فهي لا تدفع السيئة بالحسنة، ولا تمهد السبيل للعذر إن لاحت وجوهه، ولا تسمع اللغو فتعرض عنه مارة به مرور الكرام، هذه التربية الوصلية ساعدت على خلق العداوات، وانتهزت أدنى فرصة للتشفى

والمكيدة، مرة ثانية ماذا يصنع هذا الإنسان المسكين في بلاء صَبَّ عليه صبا دون أن تقتصر فدهاء؟!

أذكر في مجال الاستشهاد حادثة رأيته رأي العين، فلم يحدثني بها أحد، وكان خطرهما أكبر من أن يوصف، فقد شاءت ظروف القاهرة أن ينتحر موظف كبير، لأمر يخصه. ونشرت الجريدة اليومية حالات الانتحار، واسم المنتحر وكيفية الانتحار، وفوجيء الأهل من أولاد مسئولين، وأصهار ذوي مكانة بالحادث، وامتلاء السرايا بالمعزين، ولكن العزاء تحول بلسان الحال إلى اتهام، فكل معز يسأل عن سبب الانتحار، ويقول دون مجاملة لم تركم هذا اليأس؟ وآخر يظهر الشماعة المقنعة في أسئلة تخرج أهل البيت، حتى وجدوا أنفسهم وكأنهم قتلة سفاحون! وإذا كان هؤلاء المتطفلون قد تجاوزوا الحد في أسئلتهم المنكرة، وتطلعهم الماكرو: فإن الجريدة التي نشرت الخبر لم تراعى مصلحة ما في نشره، فليس المنتحر محتلسا، وليس مجرما يطالب بحق، حتى تعين الجريدة القضاء على إيضاح التهمة، ولكنه رجل محترم شغل وظيفة كبيرة في الدولة، إذ كان وكيل وزارة... ولم يأت في حياته بما يريبه ثم حلت عليه اللعنة في ساعة ضعف فقد فيها زمام نفسه فأساء إلى ذاته ولم تتعد الإساءة ذوي قرباه الذين أحسوا بتعاطفهم معه، أقلم يكن الأولي أن تستر الاسم، وألا تضاعف مأساة الأقرباء ويكفى أن الصاعقة قد نزلت على رؤوسهم حين فوجئوا بما لا يتوقعون! أين المشاركة الوجدانية التي تبعث على التراحم؟ وأين المسئولية التي توجب على الصحيفة أن تكون ربة حنان ومواساة؟!

وناحية أخرى هي الإسهاب في وصف الجريمة، وكأن الخرز يكتب حلقات سينمائية ذات فصول، هذا الإسهاب مما يتسابق فيه المخبرون إلى روايات قد تكون من نسج الخيال، وليست مما حصل فعلا؛ لأن مراسل الجريدة يسأل من حوله من الناس، ويكتب الإجابة وكأنها حق لا مرية فيه، وقد يكون المسئول لا يدري شيئا وإنما سمع التفصيل عن شاهد رأى الصغير فجعله كبيرا، وسمح له خياله أن يشتط، هذا الإسهاب المنكر في تفصيل جزئيات الجريمة، يفتح باب الشر أمام القارئ المشتهي للإجرام، فيكون بمثابة أستاذ يلقي الدرس في تخطيط المأثم، واقتراف الشرور، وليس الأمر موقوفا على الصحافة وحدها، بل تعداها إلى مسلسلات الإذاعة، وقد نشر الأستاذ الإمام محمد أبو زهرة بمجلة لواء الإسلام الصادرة في شوال سنة ١٣٧٤هـ، خلاصة مقال لفاضل فاضل نشره بالأهرام قال فيه: «بصفتي عضوا بغرفة الاتهام التي نظرت قضية (..... فلان) الذي قتل زوجته. لاحظت من مطالعة أوراق الدعوى أن المتهم قام بارتكاب جريمته وإخفاء معالمها بطريقة هي (طبق الأصل) من التمثيلية التي قامت الإذاعة بإذاعتها تحت عنوان (راحت مع التيار) ومن المؤسف أن أجد الإذاعة المصرية دائبة في الفترة الأخيرة على إذاعة تمثيلات إجرامية من شأنها أن تعلم الكافة بطريقة شبه عملية أصول فن الإجرام، وتنفيذ الجرائم وإخفاء معالمها، بدلا من أن تسعى من جانبها إلى المحافظة على الأمن العام، ومنع الجرائم، وأن تبعد عن الأذهان، فكرة الجريمة، ألا يجدر بالإذاعة أن تكف عن إذاعة مثل هذه التمثيلات بعد أن ظهرت نتائجها الفادحة». والفكرة التي دارت حولها التمثيلية وهي قتل الزوجة، ثم تقطيع أجزائها قطعا صغيرة، ووضعها في لفائف مختلفة، وحمل كل لفافة إلى مكان بعيد عن سابقه! هذه الفكرة التي تناولتها التمثيلية ورأيتها الإذاعة بابا للفن الروائي الشائق، هي التي قام بها المتهم تماما، وقد اعترف

بأن التمثيلية كانت أستاذه الموجه، لقد شن الدكتور عيдахميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين في الثلاثينيات حملة راشدة على القصص البوليسية التي تُترجم إلى قراء العربية مفصلة وقائع عصابات شيكاغو، ورأى أن المجتمع المصري بعيد عن هذه الأحداث فلا يجوز أن تُترجم وقائعها في قصص مثيرة، فماذا عسى أن يقول لو امتد به الأجل، وعلم أن المجتمع المصري قد وجد المرشد الناصح لا من القصص البوليسية بل من صفحات الحوادث في الجرائد وتمثيلات الإجرام في الإذاعة! لقد طف الكيل، لقد طف الكيل، كما يقول رسول الله! (١)

ولنتظر الآن إلى ما امتلأت به الصحف من حوادث الإجرام في الأسرة الواحدة! إننا لا نزال نرور بفظائع القتل بين الزوج والزوجة، والابن والوالد، والبنت والأم من ذوي الصلات المشبكية الواشجة بأمتن الأعراق، وتكرار هذه المآسي على صفحات الجرائد جعلها شيئا طبعيا يقرؤه الإنسان فلا يثير دهشته نظرا لاعتياده الملح! وقد كانت الأسرة في الجيل الماضي من التماسك والالتحام بحيث لا تخفل الجريمة الخاصة بها شيئا يكاد يذكر! وإذا وقع حادث في هذا المدار كان موضع الاستغراب والدهشة! ولكن الأقلام التي بارك الله فيها، قد جعلت تنتقص سلطة الأب، وتعددها مثالا لمجتمع متخلف، والتمثيلات التي تحمل أسماء (العيال كبرت) قد ألحت على إسقاط هيبة الكبير، وطالبت بنشور الصغير، وتحول الوالد الراعي صاحب الكسب والإنفاق في نظر هؤلاء الأغرار إلى سحان رهيب، وشبح متخلف، كما تحولت الزوجة الطيعة إلى أمة من الإماء! أهدرت مكائنها، ولم تأخذ حريتها في التبرج والسفور والاختلاط! وأدى ذلك كله إلى نزق الزواج العرفي بين الطالبات، وقيام جماعات الشذوذ الجنسي التي تنتمي إلى أبناء اليسار ومن يقال عنهم (الدوات) ولا زالت أقلام التجديد الزائف تعصف بكل وضع شريف يقره الخلق ويفرضه الدين.

إن إذاعة الفضائل أعظم أثرا في بناء الخلق الكريم، ونشر الرذائل أهول فتكا بالأمم من الرلازل والبراكين، وفي إذاعة الفضائل حفر للهمم، وبعث للعزائم، وقد ذكر الحسن الكريم الأستاذ سيد جلال - رحمه الله - أنه أنشأ مستشفى باب الشعرية متأثرا بما قام به أبناء صيدناوى من إقامة مستشفاهم الكبير، فكان السابق محل احتذاء لللاحق، كما أن السكوت عن الرذائل يمحو خطرهما، ويضائل شأنها، وقد كان الأشراف في الجاهلية - وهي الجاهلية - يترفعون في أحاديثهم عن ذكر المقايح، ويرونها قاذورات لا تتلخخ بها مجالس السادات، حتى ليقول قائلهم في رثاء أخيه: إذا ما تراءى الرجال تحفظوا... فلم يذكروا العوراء وهو قريب!

د. محمد رجب البيومي

(١) إتحاف السادة التقيين، ج ٨، ص ٣٧٠، يلفظ (عن أبي ذر) قال: قالوا لرجلا عند النبي ﷺ فقلت له: يا ابن السوداء! فقال النبي ﷺ: هذا الصانع، هذا الصانع، ليس لابن البيضاء، على ابن السوداء، فضل. قال أبو ذر: فاضطجعت وقتل الرجل: قم فمعا على خدي!

تفسير سورة العبران

لفضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿وَلَا

يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا
لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَتَعَمَّلُونَ خَيْرًا ۖ
لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأُنْبِيَاءَ وَغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۖ﴾

(الآيات: ١٨٠ - ١٨١)

الإنسان يده عن إعطاء الشيء لغيره، وأن
يحرص حرصاً شديداً على ما يملكه من
مال أو علم أو غير ذلك.

ويرى جمهور المفسرين أن المراد
بالبخل هنا بالبخل بالمال، لأنه هو الذي
يتفق مع السياق ويرى بعضهم أن المراد
بالبخل هنا بالبخل بالعلم وكتمانه،
وذلك لأن اليهود كتموا صفات النبي
ﷺ التي جاءت بها التوراة.

بين سبحانه بعد ذلك سوء مصير
الذين يبخلون بنعم الله، فلا يؤدون
حقها. ولا يقومون بشكر فقال تعالى:

﴿وَلَا

يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا
لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ۖ﴾

وقوله ﴿يَبْخُلُونَ﴾ من البخل وهو
ضد الجود والسخاء، ومعناه: أن يقبض

والذي نراه أن ما عليه الجمهور هو
الأرجح، لأنه هو المتبادر من معنى الآية،
وهو المتفق من سياق الكلام.

ولذا قال الألوسي: قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾

بيان لحال البخل وسوء عاقبته،
وتخطئة لأهله في دعواهم خيرته عقب
بيان حال الإملاء.

وقيل: وجه الارتباط أنه - تعالى - لما
بالغ في التحريض على بذل الأرواح في
الجهاد وغيره، شرع هنا في التحريض
على بذل المال، وبين الوعيد الشديد لمن
يبخل به.

والمعنى: لا يظن أولئك الذين يبخلون
بما أعطاهم الله من نعم وأموال أن يخلهم
فيه خير لهم، كلا بل إن يخلهم هذا فيه
شر عظيم لهم.

والنهي عن الحسبان بأن البخل فيه
خير في قوله:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾

يدل على النفي المؤكد.

أى لا يصح لهم أن يظنوا بأية حال من
الأحوال أن ذلك البخل فيه خير لهم بل
الحقيقية، أن فيه شراً كبيراً لهم.

وفي قوله: ﴿بِمَا آتَاهُمْ﴾

إشعار بسوء صنيعهم، وخبث نفوسهم

حيث بخلوا بشيء ليس وليد علمهم
واجتهادهم، وإنما هذا الشيء منحه الله
- تعالى - لهم بفضله وجوده، فكان
الأولى لهم أن يشكروه على ما أعطى
وأن يبذلوا مما أعطاهم في سبيله.

والضمير «هو» يعود على البخل

الاستفاد من قوله ﴿يَبْخُلُونَ﴾.

ويرى الزمخشري أنه ضمير فصل
لتأكيد نفي الظن في الخيرية.

وفي إعادة الضمير وذكر الجملة

الاسمية في قوله: ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾

تأكيد لمعنى الشر في البخل وأنه لا
خير من ورائه قط، ففي الحديث الشريف
الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن
جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال
«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم
القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك
من كان قبلكم، حملهم على أن سقوا
دماءهم، واستحلوا محارمهم».

ثم بين - سبحانه - المصير المؤلم
لأولئك البخلاء فقال تعالى:

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

وقوله ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ مشتق من
الطوق وهو ما يبلى من أسفل الرقبة،
أى تجعل أموالهم أطواقاً حول رقابهم،
وأغلالاً حول أجسادهم، فيعذبون عذاباً
أليماً بحملها.

وجمهور المفسرين على أن الكلام على ظاهره وأن عذاب هؤلاء البخلاء بنعم الله، سيكون نوعاً من العذاب الأخروي اغسوس، وقد أيد القرطبي هذا الاتجاه فقال: «وهذه الآية نزلت في البخل بالمال والإنفاق في سبيل الله وأداء الزكاة المفروضة، ذهب إلى هذا جماعة من المتأولين، منهم: ابن مسعود وابن عباس وأبو وائل.

قالوا: ومعنى:

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُقُوهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

هو الذي ورد في الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه - أي شذقيه - ثم يقول له: أنا مالك أنا كنزك. ثم تلا هذه الآية:

﴿وَلَا يَحْصِيَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١)

ويرى بعض العلماء أن هذا الوعيد على سبيل التمثيل، وأن الظاهر غير مراد ومعنى قوله:

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُقُوهُ﴾

عند هذا البعض: سيكلفون أن يأتوا

بمثل ما يخلوا به من أموالهم يوم القيامة عقوبة لهم فلا يأتون لأنهم ليس في قدرتهم ذلك.

أو المعنى: سيلزمون وبال ما يخلوا به لزوم الطرق، ويتحملون وزر ذلك يوم القيامة فالآية الكريمة تدعو المؤمنين إلى الجود والسخاء من أجل إعلاء كلمة الله، وتشوعد البخلاء بأقسى ألوان الوعيد وأفظعها وتبين أن كل ما في هذا الكون إنما هو ملك الله - تعالى - وحده، فهو المعطي وهو المانع، ولذا قال - تعالى -:

﴿وَقَوِّمِزَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا خَيْرٌ﴾

والميراث: مصدر كالميعاد وأصله مورات فقلت الواو ياء لانكسار ما قبلها والمراد به ما يتوارث.

والمعنى: أن لله - تعالى - وحده لا لأحد غيره ما في السموات والأرض مما يتوارثه أهلها من مال وغيره فما بال هؤلاء القوم يخلون عليه بما يملكه ولا ينفقونه في سبيله وعلى هذا يكون الكلام جارياً على حقيقته ولا مجاز فيه.

ويصح أن يكون المعنى: أن الله - تعالى - يربث من هؤلاء ما في أيديهم مما يخلوا به من مال وغيره وينتقل منهم إليه حين يميتهم ويفنيهم وتبقى الحسرة والندامة عليهم وعلى هذا يكون الكلام

(١) تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٩١. والشجاع: الثعبان الذكر الذي يقوم على ذنبه ويراقب الرجل والفارس: والأقرع: هو الذي يكون أناس الجلد كثير السم. والزبيبتان: النكتتان السوداوان فوق عينيه.

على سبيل المجاز.

قال الزجاج: أي أن الله - تعالى - يفتنى أهلها فيفتيان بما فيهما، فليس لأحد فيهما ملك فخطبوا بما يعلمون لأنهم يجعلون ما يرجع إلى الإنسان ميراثاً، ملكاً له.

وقوله:

﴿وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا خَيْرٌ﴾

تذييل قصد به حضهم على الإنفاق ونهيه عن البخل، أي أن الله - تعالى - خبير ومطلع على ما يصدر عنكم من سخاء أو بخل أو غيرهما، وسيجازي الذين أساءوا بما عملوا، ويجازي الذين أحسنوا بالحسنى.

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد ساقت ألواناً من التسلية للنبي ﷺ ولأتباعه، وبشرتهم بأن العقوبة ستكون لهم وقضحت المناقشين وهتكت من تستروا به من رياء وخداع وبيت أن من سن الله في خلقه أن يتلى عباده بشتى ألوان البلاء ليتميز الخبيث من الطيب، وأنه - سبحانه - يملئ للكافرين ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر وأن البخلاء بما آتاهم الله من فضله ستكون عاقبتهم شراً، ومصيرهم إلى العذاب الأليم.

ثم أخذت السورة الكريمة - بعد أن قضحت المناقشين - في الحديث عن بعض

ردائل أهل الكتاب وفي التحذير من شرورهم وفي بيان طبيعة هذه الحياة وما تحمله من بلاء واختبار فقال - تعالى -:

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونِ عَذَابِ الْخَرِيقِ﴾ (آل عمران: ١٨١)

قال ابن كثير: عن ابن عباس قال: لما نزل قوله - تعالى -:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضَعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

البقرة (٢٤٥).

قالت اليهود: يا محمد افتقر ربك فسأل عباده القرض، فأنزل الله هذه الآية.

وروى محمد بن إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: دخل أبو بكر الصديق بيت المدارس (١) فوجد من يهود ناساً كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له «فنحاص» وكان من علمائهم وأخبارهم ومعه حبر يقال له «أشيع» فقال له أبو بكر ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه

(٢) أي النكان الذي يتدرسون فيه علومهم.

إلينا لفقير، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنيا ما أعطانا الربا.

فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً وقال: والذي نفسى بيده لولا الذى بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله.

فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد: أبصر ما صنع بى صاحبك.

فقال رسول الله ﷺ: ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله. إن عدو الله قال قولاً عظيماً، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء. فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه.

فجحد فنحاص ذلك وقال: ما قلت ذلك. فأنزل الله فيما قال فنحاص:

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْفَرِيقِ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (٣١)

والمعنى: لقد سمع الله - تعالى - قول أولئك اليهود الذين نطقوا بالزور والفحش فزعموا أن الله - تعالى - فقير وهم أغنياء.

والمقصود من هذا السمع لازمه وهو العلم والإحاطة بما يقولون من قبائح، ثم

محاسبتهم على ما نفوهوا به من أقوال، وما ارتكبوه من أعمال، ومعاقبتهم على جرائمهم بالعقاب المهيمن الذين يستحقونه. وقوله:

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾

أى سنسجل عليهم فى صحائف أعمالهم قولهم هذا، كما سنسجل عليهم قتلهم أنبياء الله بغير حق، فالإسناد مجازى والكتابة حقيقية.

أو المعنى: سنحفظه فى علمنا ولا نهمله، وسنعاقيبهم بما يستحقون من عقوبات، فيكون الإسناد حقيقة والكتابة مجازاً.

والسين للتأكيد، أى لن يقوتنا أبداً تدوينه وإثباته، بل سنسجله عليهم ونعاقيبهم عليه عقاباً أليماً بسبب أقوالهم القبيحة، وأعمالهم المنكرة.

وقد قرن - سبحانه - قولهم المنكر هذا، بفعل شنيع من أفعال أسلافهم، وهو قتلهم الأنبياء بغير حق، وذلك لإثبات أصالتهم فى الشر، واستهانتهم بالحقوق الدينية، وللتنبية على أن قولهم هذا ليس أول جريمة ارتكبوها، ومعصية استباحوها، فقد سبق لأسلافهم أن قتلوا الأنبياء بغير حق، وللإشعار بأن هاتين الجريمةتين من نوع واحد، وهو التجرؤ

على الله - تعالى -، فقتل الأنبياء هو تعدد على أمناء الله فى الأرض الذين اختارهم لتبليغ رسالاته، وقولهم:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾

وهو تطاول على ذات الله، وكذب عليه، ووصف له بما لا يليق به - سبحانه - وبهذا كله يكونون قد عتوا عتواً كبيراً، وضلوا ضلالاً بعيداً.

وأضاف - سبحانه - القتل إلى المعاصرين للعهد النبوى من اليهود، مع أنه حدث من أسلافهم، لأن هؤلاء المعاصرين كانوا راضين بفعل أسلافهم ولم ينكروه وإن لم يكونوا قد باشره، ومن رضى بجريمة قد فعلها غيره فكأنما قد فعلها هو.

وفى الحديث الشريف: إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها قاتكها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها^(٤).

ووصف - سبحانه - قتلهم للأنبياء بأنه ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ مع أن الإجماع لا يكون

بحق أبداً، للإشارة إلى شناعة أفعالهم، وضخامة شرورهم وأنهم خبث نفوسهم، وقسوة قلوبهم لا يباليون أكان فعلهم فى موضعه أم فى غير موضعه.

ثم صرح - سبحانه - بالعقوبة بعد أن كنى عنها فقال:

﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

أى: سنجازيهم بما فعلوا، ونلقى بهم فى جهنم، مخاطبين إياهم بقولنا: ذوقوا عذاب تلك النار المخرقة التى كنتم بها تكذبون.

ففى الآية الكريمة إيجاز بالحذف دل عليه سياق الكلام.

والذوق حقيقته إدراك المطعومات، والأصل فيه أن يكون أمر مرغوب فى ذوقه وطلبه، والتعبير به هنا عن ذوق العذاب هو لون من التهكم عليهم، والاستهزاء بهم كما فى قوله - تعالى -

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

(آل عمران: ٢١)

رضا الله في رضا الوالدين

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سألت النبي ﷺ: «أى العمل أحب إلى الله - عز وجل -؟» قال: «الصلاة على وقتها». قال: ثم أئى؟ قال: «بر الوالدين». قال: ثم أئى؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمن الهذلي، من السابقين في الإسلام، وأول من جهر بالقرآن الكريم في مكة، كان يعرف في الصحابة بصاحب سوار النبي ﷺ - أى سره - وسواكه، فكان يلج عليه، ويلبسه نعليه، ويمشي معه وأمامه، ويستتره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، وهاجر الهجرة، وصلى القبليتين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .. وروى عنه من الصحابة والتابعين جمع غفير، وكان من أعلم الصحابة بكتاب الله - عز وجل - توفي - رضي الله عنه - بالمدينة سنة ٣٢ هـ، ودفن بالبقيع - رضي الله عنه -.

الشرح والبيان

في هذا الحديث النبوي الشريف بوضع الرسول الكريم (صلوات الله عليه وسلامه عليه)، ويبين للسائل - أحب الأعمال وأفضلها عند الله - عز وجل -، وأكد أن في مقدمتها أداء الصلوات الخمس في موافقتها، مستكملة الأركان، مستوفاة الشروط، يؤكد ذلك حديث ابن خزيمة عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويزيد في الحسنات؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. ما منكم من رجل يخرج من بيته

فيصلي مع الإمام، ثم يجلس ينتظر الصلاة الأخرى إلا والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه» (١)؛ لأن أثر الصلاة في المصلي واضح، فالصلاة تحمله على طاعة الله - عز وجل - وتحول بينه وبين المعاصي والمنكرات، ولذلك جاء قول ربنا - سبحانه:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
(العنكبوت: ٤٥)

وحين ذكر أحد الصحابة للنبي ﷺ: «إن فلانا يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق» قال رسول الله ﷺ: «استمنعه صلاته».. رواه الطحاوي عن أبي هريرة في «مشكل الآثار».

ثم تنى ببر الوالدين؛ لأن بر الوالدين من أعظم الطاعات التي يقدمها المرء طاعة لربه، زلفى خالقه، وقد جعل الحق - سبحانه - بر الوالدين جزءاً لا يتجزأ من عبادته. قال - تعالى -:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾
(النساء: ٣٦)

وقال:

﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفِّرْتُ عَنْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾
(الأنعام: ١٥١)

(١) مجمع الزوائد للهيتمي ج ٢ ص ٩٢

وقال:

﴿وَقَضَىٰ رَبِّيكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾
(الإسراء: ٢٣)

ثم ذكر بعد ذلك الجهاد؛ لأنه بالجهاد تحيا الأمم، ويقوى شأنها، ويرتفع قدرها، ومن ثم كان رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل».. رواه ابن ماجه عن أبي هريرة.

وكيف لا؟ وبالجهاد نكافح الفساد، ونحصد الظلم، ونحارب الباطل، ونحطمه؛ لينتصر الحق، وينتشر العدل، فلا تعثر الوجوه إلا لبارئها، ولا تخضع الرقاب إلا لخالقها، ولا تدين النفوس إلا للديان.

ولا يعنى الاكتفاء بالثلاثة أن الرسول ﷺ حصر أعمال الخير فيها، أو قصر أفضل الأعمال وأحبها إلى الله عليها، بل هى على سبيل المثال لا الحصر، يؤكد ذلك أن راوى الحديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال في نهاية الحديث: «حدثني بهن، ولو استزدته لزادني».

وإن أعطى الحديث الشريف شيئاً فإنما يعطى أن الرسول الكريم ﷺ قرن بر الوالدين بشيئين جليلين، وعملين عظيمين، من أفضل الأعمال التي يقدمها الإنسان المسلم طاعة لربه، وزلقى خالقه،

فلا أقل من أن يحسن المرء إلى من أحسن إليه؛ لأن أهم مظاهر الوقاء والتبيل، وأول واجب تفرضه الإنسانية على الإنسان، ويدعو إليه الدين الخفيف - أن يعرف المرء الجميل لأهل الجميل، ويقدر الإحسان لذوى الإحسان؛ لأن ذلك يشجع أهل المعروف، ويوجه نقوس أهل الخير إلى القيام به، والاستمرار فيه، والله - تبارك وتعالى - يقول:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾

(الرحمن: ٦٠)

بداية الأم

وإذا كان شكر المعروف، والعرفان بالجميل واجبا لكل من قدم شيئا منه فهو للوالدين أحق وأوجب؛ إذ لو أحسن الناس جميعا للإنسان، وقدموا له صنوف البر، وألوان الخير، لما ساوى ذلك ذرة من إحسان والديه، ولو أخلصوا له في الحب، وبالغوا في الحنان والود لما بلغ ذلك نحة من حنان والديه، فالأبوان رحمة من الله - عز وجل - للمحافظة على الإنسان، وجلب الخير له، وكف الأذى عنه، والولد قطعة منهما تمشى على الأرض؛ ليدخل على قلبيهما البيهجة والسرور، وقد أنشد الشاعر:

إنما أولادنا بسببنا

أكبدا لنا تمشى على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم

لا امتنعت عيني عن الغمض

وليس في ذلك أدنى مبالغة أو مجاملة؛ فإن أول يد طافت على الإنسان بالحنان والرحمة، وأحاطته بالعناية والرعاية، ومسته بالرفق واللين هي يد أمه العطوف الحانية، وإن أول قلب دق له بالبهجة والطرب، وتلقاه بالإناس والبشر.. هو قلب أمه المخلصة المحبة، وإن أول ثغر ابتسم بالفرح والسرور عند ميلاده هو ثغر أبيه، وبها لها من فرحة غامرة، فهل يعد هذا صدق في الإحساس، أو مبالغة في الحب والإكرام؟

أعتقد أنه لا يصل إلى هذا المستوى من الحب حب آخر، فإذا كان في الناس من يحبك فمتهم من يكرهك، وإذا كان فيهم من ينفعك ففهم من يضرك، وإذا وجد بينهم من ينصحك فيوجد بينهم من يغشك، وإذا كان فيهم من يأمنك فمتهم من يخونك، بل إن فيهم من يحبك أول النهار ويكرهك آخره، منهم من ينصحك مرة ويغشك مرات، منهم من يأمنك في شيء ويخونك في أشياء، منهم من يعطيك مرة ويحرمك مرات، لكن هناك محبوبون لك لا يكرهون، ناصحون - على الدوام - لا يغشون، يأمنونك - في كل الأحوال - لا يخونون، يعطون دائما ولا يمنعون، لا ينتظرون ردا جميلا، أو إحسانا بإحسان.. أولئك هم الوالدون؛ لذلك أمر الله - عز وجل - بالإحسان إليهما، فقال:

﴿ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

(الإسراء: ٢٣)

وطلب إلى الإنسان منا أن يكرم عشرينهما، وأن يحسن معاملتهما، وألا يظهر سجرا ولا تأقفا مهما ثقلا في الطلب، فقد أحسنا إليه إحسانا لا يمكنه أن يقوم بشكره، ولا أن ينهض بمكافأته.. تدبروا هذا الأدب الرائع الذي أدب الله به عباده المؤمنين:

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا عَلَىٰ آلٍ فَتَرْكُوهَا فِي مَأْنَسٍ ﴾

﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهَا فَاغْلَبُوهَا فَاغْلَبُوهَا ﴾

(لقمان: ١٥)

وهكذا لا طاعة مخلوق في معصية الخالق، ولذلك لما سأل رجل أحد الأئمة قائلا له: «إن أبي في سفر ودعاني إليه، وطلبت إلى أمي البقاء معها وعدم مغادرة البيت، فماذا أفعل؟» قال له الإمام: «أطع أباك ولا تعصى أمك.. وهذا تعبير في قمة البلاغة، فعلى السائل أن يوفق بين طاعته لأبيه، وعدم معصية أمه ما وسعه ذلك، ولكنه في زحمة الأحداث، - وغمرة المشاكل - يتناسى البعض هذه المبادئ التي تكفل سعادة الدنيا، ونعيم الآخرة، فيسيثون إلى الآباء والأمهات مغضبين بذلك رب الأرض والسموات، روى ابن ماجه في سننه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أبي اجتاح مالي، فقال: «أنت ومالك لأبيك»، وقال رسول الله

ﷺ: «إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من أموالهم...» فهلا ذكر هذا الابن أن والده كان ينفق عليه وهو صبي حتى بلغ شابا دون أن ينتظر منه شيئا، هلا ذكر أنه كان يعينه وهو ضعيف حتى صار قويا، فهل يعد ذلك يريد أن يمنعه من التصرف في أمواله؟.. لهذا أعطاه رسول الله ﷺ درسا في الأخلاق؛ ليكون عبرة لغيره من الذين لا يقدرون الأبوين، فقال له: «أنت ومالك لأبيك».

أكبر الكبائر

تلك صورة من الصور الكالحة المخزية الفاضحة في عقوق الآباء، والتي تدل على خلو القلب من روح الإيمان الصادق، وعلى افتقار صاحبها إلى خلق البر والوفاء، فإذا كان بر الوالدين من أحب الأعمال وأفضلها عند الله - عز وجل - فإن عقوق الآباء والأمهات من أكبر الكبائر التي تغضب رب الأرض والسماء.. روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن عبدالرحمن بن أبي بكر عن أبيه - رضى الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين.. وجلس وكان متكئا، فقال: ألا وقول الزور.. قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت!..

وأشوأ من عقوق الآباء عقوق الأمهات؛ ذلك أن الأم أحق بالصلة والبر.. روى الترمذي وأبو داود عن معاوية بن صيدة -

رضي الله عنه - قال : قلت : يا رسول الله ، من أبر ؟ قال : « أمك » . قال : قلت : ثم من ؟ قال : « أمك » . قال : قلت : ثم من ؟ قال : « ثم أبوك ثم الأقرب فالأقرب » . وروى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله - عز وجل - من بر الوالدة ... » وقد أجمع العلماء على أن عقوق الوالدين أو أحدهما من الكبائر ، وقد ذكرنا في حديث سابق أن العقوق من أكبر الكبائر ، ذلك أن العاق كافر بنعمة الله - سبحانه وتعالى - وبإحسان والديه ، ولأن العقوق يحدث زعزعة في المجتمع ، فمن لم يبر والديه لا يبر أبناؤه ، ولا يبر جيرانه ومجتمعه ، وذلك يبعد عن رضوان الله والجنة ، ثم انظر إلى طبيب الإنسانية الأوحى ، ومرشدها الأعظم ﷺ وهو يرشد الأبناء إلى ما تكايد الأم ، وما تعانيه في سبيل الولد حتى أنها قد تفقد حياتها ، وتسلم روحها في سبيل حياته ، وكم سمعنا عن أمهات فاضلات خیرهن الطيب في أثناء الوضع بين حياتهن وحياة جنينهن ، فآثرن جنينهن على أنفسهن ، ومن ثم سوى القرآن الكريم بين الوالدين في الوصاية ، ثم خص الوالدة بمزيد من العناية ، موضحاً أسباب ذلك . قال - تعالى - :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا طَحَنَتْ أُمُّكَ كَرهًا وَوَضَعَتْكَ كَرهًا وَحَمَلُهُ وَضَعَتْهُ تَلْتُونَ شَهْرًا ﴾

(الأحقاف : ١٥)

ولهذا لما جاء رجل إلى النبي ﷺ ليستأذنه في الجهاد - كما روى البخاري في صحيحه - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال له : « أحيى والذاك ؟ » قال : نعم . قال : « ففيهما جاهد » .

وإليك صورة من الصور المشرقة التي ينبغي أن يتخذ منها شباب الإسلام الأسوة الحسنة ، والقذوة الطيبة : مرض ابن لعمر بن ذر ، فدخل عليه وهو يجود بنفسه ، فقال : لا غضاضة علينا من فراقك ، فلما قضى وصلى عليه ، وواراه التراب .. وقف على قبره ، وقال : أي بني ، لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ، لأننا لا ندرى ما قلت وما قيل لك ، اللهم إني وهبت له ما قد يكون قصر فيه مما افترضت عليه من حقى فهب له ما قصر فيه من حقلك ، واجعل ثوابي عليه له ، وزده من فضلك ، إني إليك من الراغبين ، فلما مثل : ما بلغ بره بك ؟ قال : والله ما مشى معي بنهار إلا قدمني - يعني : احتراماً وإجلالاً - وما مشى معي بليل إلا تقدمني - يعني : خوفاً على وحذراً علي - ولا رقى سطحاً أنا تحته - أي : مهابة واحتراماً - ..

الوالد أوسط أبواب الجنة

هذا وقد كان ﷺ يقول - فيما رواه الترمذي وصححه عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - : « الوالد أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو أحفظه » ، كما كان يقول - فيما رواه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : « لا يجزى ولد

والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه » .

ولا أكاد أعرف صورة من صور البر والإحسان إلى الوالدة أفضل وأعظم مما قرأت من أنه سأل رجل زين العابدين : لم لا تأكل مع أمك في طبق واحد ، وأنت من أبر الناس بوالديهم ؟ فأجاب : أخاف أن تسبق يدي يدها إلى شيء تشتهي نفسيها ، فأكون لها عاقاً من حيث لا أدري ... وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : « ثلاث آيات نزلت مفرونة بثلاث ، لا تقبل واحدة منها بغير قرينتها : الأولى قول الله - تعالى - :

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾

(النور : ٥٤)

فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه ، والثانية قوله - تعالى - :

﴿ وَأَقِمْ وَالْصَّلَاةَ وَآتِ الزَّكَاةَ ﴾

(البقرة : ٤٣)

فمن صلى ولم يرك لم يقبل منه ، والثالثة قوله - تعالى - :

﴿ أَنْ تَشْكُرَ لِلَّهِ وَلِلْوَالِدَيْنِ إِلَى الْحَيِّرِ ﴾

(لقمان : ١٤)

رضا الرب في رضا الوالدين

فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه . والشكر لله يكون على نعمة الإيمان ، والشكر للوالدين على نعمة التربية .. وقال سفيان بن عيينة : من صل الصلوات الخمس فقد شكر الله - تعالى - ، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما ، وعموماً فمهما قدم الإنسان لوالديه من ألوان البر وصنوف الإحسان قلن يؤدي حقهما على الوجه الأكمل .. روى البخاري في الأدب المفرد عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : شهد ابن عمر - رضي الله عنهما - رجلاً يمانياً يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره ، ثم قال : يا ابن عمر : أتراني جزيتها ؟ قال : لا ، ولا يزفرة واحدة .

وعموماً فقد قال ﷺ - فيما رواه الترمذي ، وصححه الألباني - رحمه الله - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « رضا الرب في رضا الوالد ، وسخط الرب في سخط الوالد » ، ولذلك كان من دعاء الخليل (إبراهيم) - عليه السلام - :

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَسُلاً وَتَقَبَّلْ دُعَايَ ۝ رَسُلاً أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾

(إبراهيم : ٤٠-٤١)

.. والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط .

العقيدة والتضامن الاجتماعي

لفضيلة الشيخ / عمر الديب

عضو مجمع البحوث الإسلامية

وردت آيات كثيرة في الإنفاق الذي هو ضرورة قصوى لقيام المجتمع الإسلامي فهو من أسس صور التضامن والتكافل الاجتماعي بين أفراد الجماعة المسلمة فهو يزيل الفوارق الاجتماعية بينهم ويجعلهم يشعرون بأنهم جميعاً أعضاء في هذا المجتمع وإنهم جزء من هذا الجسد وعضو منه لا يمنعهم دونه شيئاً ولا يمنع عنهم منه شيئاً وذلك لسد حاجتهم وهذا أمر له قيمته الكبرى في تساوي الجماعة المسلمة شعورياً وسد الحاجة يساعدها على القيام عملياً.

ومع أن الآيات التي حثت على الإنفاق في سبيل الله متواترة في القرآن الكريم إلا أننا نجد أن الأسئلة عن الأحكام في الإسلام تمثل ظاهرة في عقيدة المسلم وذلك رغبة من المسلمين في معرفة حكم العقيدة في كل شأن من شئون حياتهم اليومية وذلك حتى يوازنوا بين تصرفهم وحكم العقيدة وهذه آية المسلم أن يتحرى حكم الإسلام في الصغيرة والكبيرة من شئون حياته فلا يقدم على عمل حتى يستيقن من حكم الإسلام فيه فما أقره الإسلام كان دستوراً وقانونه وما لم يقره كان ممنوعاً عليه وحراماً وهذا هو عصب هذه العقيدة وقد سألوا عن بعض الأحكام كي يتحروا صفاء عقيدتهم ونقاوتها وعن سؤالهم عن الإنفاق يقول تعالى مخاطباً نبيه وحبيبه محمداً ﷺ:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ قَلِيلًا لِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَآلِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

(البقرة: ٢١٥)

وهذا السؤال جاء من بعض المسلمين وهو سؤال عن نوع ما ينفقون وجاءهم الجواب بين لهم صفة الإنفاق ويحدد لهم الأولوية في مصارقه فيقول تعالى:

﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُ﴾

وهذا التعبير له إيحاءان:

• الأول: أن الذي ينفق خير وهو خير للمعطي وخير للآخذ وخير للجماعة وخير في ذاته لأنه عمل طيب وتقديمه طيبة وشيء طيب.

• والإيحاء الثاني: أن يتحرى المنفق أفضل ما عنده فينفق منه وخير ما لديه فيشارك الآخر فيه وذلك أن الإنفاق تطهير للقلب وتزكية للنفس ثم منفعة للآخرين وعون وتحري الطيب والنزول عنه للآخرين هو الذي يحقق للقلب الطهارة وللنفس التزكية، وللإيثار معناه الكريم وهذا الإيحاء ليس إلزاماً، فالإلزام كما ورد في آية أخرى أن ينفق المنفق من الوسط لا أردأ ما عنده ولا أغلى ما عنده ولكن هذا الإيحاء هنا يعالج تطويع النفس لبذل ما هو خير والتحبب فيه على طريقة القرآن الكريم في تربية النفوس وإعداد القلوب وهذه هي ماهية هذا الإيحاء ثم تبين الآية الكريمة طريق الإنفاق ومصارفه يقول عز من قائل:

﴿قَلِيلًا لِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ﴾

ابدأ بنفسك

وهذا الطريق يربط بين طوائف من الناس بعضهم تربطه بالمتفق رابطة العصب وبعضهم رابطة الرحم وبعضهم رابطة الرحمة وبعضهم رابطة الإنسانية الكبرى في إطار العقيدة وهؤلاء جميعاً - الوالدين والأقربون واليتامى والمساكين وآل السبيل - يتضامنون في رباط التكافل الاجتماعي الوثيق بين بني الإنسان في إطار العقيدة المتينة وهذا الترتيب الذي جاء في الآية والذي تزيده بعض الأحاديث النبوية تحديداً ووضوحاً كالذي جاء في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك فإن فضل شيء عن أهلك فلكل قرابتك فإن فضل شيء عن ذي قرابتك فهكذا وهكذا...»^(١) وهذا الترتيب يوضح منهج الإسلام الحكيم البسيط في تربية النفس الإنسانية وقيادتها أنه يأخذ الإنسان كما هو بفطرته وميوله الطبيعية واستعداداته ثم يسير به حيث هو كأنه ومن حيث هو واقف يسير به خطوة خطوة صعوداً في المرتقى العالي على تودة ويسر فتصعد وهو مستريح لأنه يلبس فطرته وميوله

١- مسلم كتاب الزكاة

واستعداداته وهو ينمي الحياة معه ويرقيها فلا يشعر بالجهد والرهق ولا يقيد بالسلال والأغلال ولا تكبت طاقاته وميوله الفطرية ليخلق ويرف ولا يضل الطريق ولا يطير به طيراناً من فوق الآكام إنما يصعد بها صعوداً هيناً ليناً وقدماء على الأرض وبصره معلق بالسما والقلبه يتطلع إلى الأفق الأعلى وروحه موصولة بالله في علاه.

الصدقة بعد الكفاية

ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى علم أن الإنسان يحب ذاته فأمره أولاً بكفائتها قبل أن يأمره بالإنفاق على من سواها وأباح له الطبقات من الرزق وحته على تمتيع ذاته بها في غير ترف ولا مخيلة فالصدقة لا تبدأ إلا بعد الكفاية والرسول ﷺ يقول: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعمل» رواه أبو هريرة عن مسلم، وعن جابر رضي الله عنه قال: «جاء رجل بمثل بيضة من ذهب فقال يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم أتاه من خلفه فقال مثل ذلك فأخذها ﷺ فحذف بها فلو أصابته لأوجعته وقال «يأتى أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس، خير الصدقة ما

كان عن ظهر غنى»^(١).

حكمة وخير!!

ولقد علم الله سبحانه وتعالى إن الإنسان يحب أول ما يحب أفراد أسرته الأقربين عياله... ووالديه فسار به خطوة في الإنفاق وراء ذاته إلى هؤلاء الذين يحبهم ليعطيهم من ماله وهو راض فيرضى ميله الفطري الذي لا خير منه بل فيه حكمة وخير وفي الوقت ذاته يعمل ويكفل ناساً هم أقرباؤه الأذنون - نعم - ولكنهم طائفة من الأمة إن لم يعطوا احتاجوا وأخذهم من القريب أكرم لهم من أخذهم من البعيد، وفي هذا إشاعة للحب والسلام في المقام الأول

اللبنة الأولى

وفيه أيضاً توثيق لروابط الأسرة التي شاء الله أن تكون اللبنة الأولى في بناء الإنسانية الكبرى ولقد علم الله أن الإنسان يمد حبه وحميته بعد ذلك إلى أهله كافة حسب درجاتهم منه وصلتهم به ولا خير في هذا فهم أولاً وآخرأ أفراد من جسم الأمة وأعضاء في المجتمع فسار به هذا المنهج الرباني خطوة أخرى في الإنفاق وراء أهله الأقربين تسابير عواطفه وميوله الفطرية وتسد حاجة هؤلاء وتقوى أواصر الأسرة البعيدة وتضمن وحدة قوية من وحدات الجماعة

المسلمة مترابطة العرى وثيقة الصلات، وعندما يكون هناك فائض في يده عن هؤلاء هؤلاء بعد ذاته فإن الإسلام يوجهه ويأخذ بيده لينفق على طوائف من المجموع البشري يثيرون بضعفهم أو حرج موقفهم عاطفة النخوة وعاطفة الرحمة وعاطفة المشاركة، وفي أولهم الشامي الصغار الضعاف، ثم الساكنين الذين لا يجدون ما ينفقون ولكنهم يسكتون فلا يسألون الناس كرامة وتحملاً، ثم أبناء السبيل الذين قد يكون لهم مال ولكنهم انقطعوا عنه وحالت بينهم وبينه الخوائل وقد كانوا كثيرين من الذين هاجروا من مكة تاركين ورثتهم كل شيء هؤلاء جميعاً أعضاء في المجتمع ومثلهم كثير في عالمنا المعاصر والإسلام يوجه القادرين إلى الإنفاق عليهم يقودهم بمشاعرهم الطيبة الطبيعية التي يحثها وبزكيتها فيصل إلى أهدافه كلها في سهولة ويسر، فهو يهدف أولاً إلى تركيبة نفوس القادرين المنفقين، وذلك لأنها أنفقت، بنفس طيبة راضية بما أنفقت راضية بما أعطت وبما بذلت متجه إلى الله في غير ضيق ولا تيرم

ويهدف ثانياً إلى إعطاء هؤلاء المحتاجين وكفالتهم

ويهدف ثالثاً إلى حشد النفوس كلها متضامنة متكافلة في غير ما تضرر ولا تيرم قيادة لطيفة كريمة بالغة ما تريد محققة كل الخير بلا اعتساف ولا افتعال شديد ثم يربط هذا كله بالأفق الأعلى فيطبع في القلب صلته بالله فيما يعطى وفيما يفعل وفيما يضمه من نية أو شعور

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

عليم به وعليم بباعثه وعليم بالنية المصاحبة له، وهو إذن لا يضع فهو في حساب الله الذي لا يضع عنده شيء وهو إذن لا يخس الناس شيئاً ولا يظلمهم والذي لا يجوز عليه كذلك الرياء والتمويه بهذا يصل بالقلوب إلى الأفق الأعلى وإلى درجة الصفاء والتجرد والإخلاص لله في رفق وهودة ومن غير تعسف أو اضطناع وهذا هو المنهج التربوي الذي يضعه العليم الخبير ويقيم عليه العقيدة التي يعتنقها المسلم حتى ينتهي إلى آساد وآفاق لا تصل إليها البشرية قط بغير هذه الوسيلة وهذا هو طريق الإيمان وهذه هي ثمرة هذه العقيدة التي تربى معتنقها على مبادئ الحق والعزة والخلق الكريم فيخرج من كل هذا إنسان نافع لبني الإنسان محب للخلائق جميعاً يفرح لأقراهم ويتألم لأتراحهم والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

مظهرات أخرى وإلى سوائل أخرى كثيرة حتى يمكن إزالة ما تزقت من ثوبه أو من بدنه، والمزقت باللغة العربية الصحيحة: الإناء الذي كان العرب يفتونه لينقعوا فيه التمر ويصنعوا فيه الخمر، على كل حال هذا استطراد، المهم أن بعض الناس يرتكبون أموراً تحتاج إلى توبة غير عادية لأن وساختهم غير عادية، وكما قلت - قبل ذلك - التوبة لا تكون إلا إلى الله، لا دخل لبشر في هذا، أذكر أنه جاءني في مكتبي في وزارة الأوقاف قسيس إنجيلي - من ألمانيا - وتحدث معي في المسيحية - هو بداهة ليس مبشراً معي - لكنه حديث استطرادي، وأنا في شيء من المرح، كنت أملاً قلمي الخبر، وكادت الدواة أن تقع، فقلت له وأنا أضحك: ما رأيك لو أن هذه الدواة وقعت علي؟ فقال: طبعاً الشوب سيتسخ، قلت له: لو أنك غسلت ثوبك ألف مرة فهل ينظف ثوبي أنا؟ فقال الرجل في دهشة: لا.. قلت له: أنا الذي أخطيء.. أنا الذي أنظف نفسي، ما يصنع الآخرون شيئاً لي.. فأدرك في الحال أنني أعترض على نظام النصرانية في أن عيسى قتل من أجل خطايا الخلق!! قلت له: عيسى قتل أو لم يقتل من أجل خطايا الخلق.. أنا ومسخت نفسي.. أنا الذي أنظف نفسي.. ما علاقة عيسى ومن هو أكبر من عيسى بي؟ ما العلاقة؟ من اتسخ نظف نفسه.. من مرض سعى إلى علاج نفسه وشفى نفسه.

معاصي القلوب.. ومعاصي الأبدان

والأمراض أيضاً خطيرة.. هناك أمراض يمكن أن تداوى بحبوب إسبرين، وهناك أمراض تحتاج إلى علاج مطول، وهناك أمراض ربما بلغت أن تكون سرطاناً قاتلاً، ولذلك قسم العلماء الأمراض إلى أمراض قلوب وأمراض أبدان أو معاصي قلوب ومعاصي أبدان، وقد تكلمنا في هذا.. لكن الأمر يحتاج إلى إيضاح - وقبل أن أدخل في شرح هذا.. أحب أن ألفت النظر إلى أخطاء يقع فيها الشديتونيون - وما أبرئ نفسي، فأنا أول الخطائين.. لكن من تجربتي وأنا أحاول إصلاح نفسي أعرض التجربة وأعرض ما قاله العلماء في الموضوع.. بمعنى.. إذا اتسخت يدك فهل ينقيها أن تغسل رجلك؟ طبعاً لا.. اليد هي التي اتسخت فهي التي تنظف.. ولو وقفت في مجرى ماء طول اليوم يغسل قدمك ما نظف يدك.. لأنك لم تنظف يدك.. كذلك الأمراض التي تصيب الناس أو المعاصي التي تصيب الناس في أخلاقهم وأحوالهم.. هب رجلاً مصاباً بمرض البخل.. ما الذي يجعله يشفى من هذه العلة؟ العطاء.. لا غير - العطاء، والعطاء هنا يبدأ تكلفاً كما قال **عنه**: «ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله»^(٨) إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه»^(٩). والتربية هنا لا بد فيها من معاناة وصلة بالواقع.. يعني أن تعلم السباحة يستحيل أن يكون في البر.. لا بد من أن يكون في الماء.. لأن السباحة على الأرض

لن تعلم أحداً قط.. رجل بخيل.. تريد أن تنجو من رذيلة الشح عبود نفسك العطاء.. أخرج الزكاة.. أشعر قلبك العطف على المحتاجين والمساكين.. الرجل الذي أعطى للفقراء قال لابنه: كسرنا نصف الحلقة.. وهو يقصد بالحلقة ما ذكره القرآن في سورة الحاقة وهو يصف صاحب النار فيقول:

﴿ مَا أَتَىٰ

عَنِّي مَلَكٌ ﴿٢٨﴾ مَلَكَ عَنِّي شَاطِئَةً ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ قَبْلَهُ ﴿٣٠﴾ وَرَافِعَةً ﴿٣١﴾ مَلَأُوهُ ﴿٣٢﴾ تَرَفُّفٍ سِلْسِلَةً دَرَعًا سَبْعُونَ دَرَكًا ﴿٣٣﴾ فَاسْكُوهٗ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يَمُوتُ مِثْلَ الْعَظِيمِ ﴿٣٥﴾ وَلَا يَحْصِي عَنْ طَعَامِ السَّكِينِ ﴿٣٦﴾

(الحاقة: ٢٨ - ٣٤)

سببان في التنفيذ بهذه السلسلة:

﴿ لَا يَمُوتُ مِثْلَ الْعَظِيمِ ﴿٣٥﴾ وَلَا يَحْصِي عَنْ طَعَامِ السَّكِينِ ﴿٣٦﴾

أعط المسكين تكسر نصف السلسلة!!

قول الحق هو الدواء

هذا عطاء.. علم نفسه العطاء.. يجيء رجل يريد أن يخدع الله.. يريد أن يحتال.. لديه مال كثير.. لكنه بخيل يخل بحقوق الفقراء وينمي المال.. ويصوم الاثنين والخميس.. ما قيمة صيام الاثنين والخميس؟ هذا احتيال على الله.. هذا كالذي يغسل قدمه ويده ملوثة.. لا يغسل يده.. غسل القدم هنا لا ينظف يده.. صيام الاثنين والخميس هنا لا يجعله سخياً أو كريماً.. دواؤك الذي يشفى به مرضك هو العطاء.. فإذا كان

جباناً وقال: أربى أولادي وأبتعد عن هذه المآزق ثم اعتكف في المسجد طوال اليوم، ما قيمة الاعتكاف؟ لا قيمة له.. لا خير فيه.. دواؤك الذي يشفى به مرضك هو قول الحق لا غير.. هنا نجد أن بعض الناس من الشديتينيون يحبون أن يريدون أن يخدعوا الله:

﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ

وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

(البقرة: ٩)

يفر من مرضه لكي يطيع في ميدان آخر.. هذا تصرف ما يجوز أو ما يليق أولاً خير فيه.

ندع هذا الآن إلى ما يسمى بأمراض القلوب.. أمراض القلوب أغلبها أو فصيلة كبيرة منها - فيما رأيتها - تعود إلى حب الذبوع، حب الفخر، حب العظمة، الرياء، الكبرياء، أمور كثيرة من هذا النوع ممكن أن تكون أمراضاً للقلب.

وأحب أن أقول: وقانا الله وإياكم أمراض القلوب.. إن أمراض القلوب تقع كثيراً بين العلماء وتقع كثيراً بين العباد.. وقد ألف ابن الجوزي كتاباً أسماه «تليس إبليس» ذكر فيه كثيراً من أمراض القلوب التي تقع بين العباد والتي تقع بين العلماء.. ولعله اعتمد في هذا على أحاديث وردت.. فمثلاً ورد: «أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وأن الله تعالى قال:

«من ذا الذي يتألى على أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحيطت عملي»^(١٠) هذا رجل متعبد، لكن قلبه قاس وهذا رجل

٨- رواه البخاري في الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة ١٤١/٢

٩- قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير وفيه رجل لم يسم، وعنه بن أبي حكيم وثقة أبو حاتم وأبو زرعة وابن جابر وضعفه جماعة ١٢٨/٧

١٠- رواه مسلم في البر، باب انتهى عن تنقيط الإنسان من رحمة الله ٣٦/٨

متعب لكنه مغتر بنفسه وسىء الظن بصفات الله وبأعداء العباد.. هذا مرض موجود.

الافتراء على الإمام الشافعي

ولاحظت هذا المرض عند بعض الناس الذين يشتغلون بالجدل والقضايا النافهة.. وجدت ولدا يقول: إن الشافعي أقصد مصر!! قلت له: الإمام الشافعي أقصد مصر!! أنا قرعت لما سمعت الكلمة!! قلت: سبحان الله!! وأخذ الولد يتحدث عن المذهبية والتقليد.. قلت له: يا بني إنك ترقى مرقى لا يعرفه أبوك ولا جدك.. وتدخل في ميدان ما لك به صلة.. الإمام الشافعي أولا: تلميذه أحمد بن حنبل الذي قال: يوم مات الشافعي.. كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للبدن فهل لهذين من عوض!!؟ لكن لا يعرف الفضل من الناس إلا ذوهه، لا يعرف فضل الشافعي إلا رجل مثله أما أنت فإنك تقول: الشافعي أقصد مصر!! الشافعي خالف أبا حنيفة في قضايا كثيرة، وما في هذا؟ لكن من باب الإنصاف يقول الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة!! وهو الذي خالفه، لا حرج في هذا، الأنبياء اختلفوا، والصحابة اختلفوا، واحترم بعضهم بعضا لأنهم تفاوتت وجهات نظرهم في مرضاة الله، والكل حسن النية، لكن يجيء ولد يقرأ كتابا.. أنا لا آمنه - وأنا الحقيير، أن يقرأ ثلاثة سطور من كتاب لي قراءة صحيحة - يجيء فيقرأ كتابا فيجعل نفسه ديانا على العلماء وحكما بين الأئمة وموزعا للطاعة والمعصية على كبار الشيوخ.. ما هذا؟ هذا مريض بقلبه، عنده اغترار بنفسه، هذا الاغترار هو نفسه الاغترار الموجود عند فرعون

الذي قال للسحرة لما آمنوا:

﴿ قَالَ مَا مَشَرْتُم مَّبْعُوثِينَ لَأَنَّ مَا كَفْتُمْ لَكُمْ ﴾

(الشعراء: ٤٩)

اليقظة الإسلامية

سبحان الله!! يحتاج الناس لكي يؤمنوا بالله إذا عرفوا الدليل الصحيح إلى أن يطرقوا بابك ويقفوا بساحتك ويطلبوا الإذن منك أن يؤمنوا بالله!! لماذا؟! من أنت؟! هذه أمراض قلوب تنتشر بين بعض الذين يشتغلون بالعلم الديني سواء كانوا علماء أو عيالا.. ونشأ عن هذا أن وجد في البيئات الدينية تفرق مر يخشى منه على مستقبل اليقظة الإسلامية المعاصرة.. هناك يقظة إسلامية فعلا.. وأنا وضعت يدي على هذه اليقظة بين المحيطات وأنا أجوب العالم الإسلامي، ولكن الذين يرصدون حركات الأمة الإسلامية لا حرج عليهم أبدا أن يكون لهم سماسة وعملاء يروجون في البيئة الدينية من أسباب الفركة ما يجعل الإنسان يعجب. كلام غريب يمزق الفكر الإسلامي.. هذه أمراض قلوب كما قلت وليست معاصي جوارح.. أمراض القلوب خطيرة لأنها متولدة من مرض إبليس الأول الذي قال لله:

﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾

(ص: ٧٦)

أنا!! المجادل الذي يريد أن ينصر ربه، الإنسان السفيف الذي يريد أن يحقر الآخرين ويهبط بمكانتهم لأنه يريد أن يرفع خسيسته يمثل هذا إنسان مريض. نسأل الله أن يرزقنا وإياكم العافية في الدين والدنيا.

مواقف إسلامية

التنافس المحمود

لأستاذ الدكتور / محمود عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن للأبرار أعمالاً عظيماً استحقوا بها ذلك الفوز المبين: فهم يطعمون الطعام.

لا يرسلون بقيمة الأكل إلى المحتاج.. ثم تنتهي مهمتهم بهذا البذل. ومن بعيد.. وإنما يوسعون المجلس في منازلهم ليستقبل اليتيم والسكين والأسير. متحملين مسئولية هذه المشاركة المباشرة.. وما تتطلبه من استعداد وإعداد.

وكان ذلك شأنهم المستمر.. والذي عرفوا به بين المحاييج الذين يشعرون بأنهم صاروا من أهل الدار.. يأكلون - ومع رب الدار - يأكلون أطيب ما فيها.. فلا يلقى إليهم بلقيمات من خلف الباب.. وإنما هو

يقول عز وجل في بيان خصائص الأبرار:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَشَرُوفٌ مِنْكُمْ كَانُوا مِنْكُمْ أَهْلًا فَتُحِبُّهُمْ وَأَهْلُهَا كَتَبُوا عَلَيْهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي الدُّنْيَا لَيَجْعَلُنَّ الْمُشْرِكَيْنِ سَوَاءً وَالَّذِينَ يَبْتِكِرُونَ أَصْنُفًا مِمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ ۚ وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ۚ ﴾

(الإنسان / ١٠١٥)

التكريم الذي لا يتعامل مع الضعاف من منطلق القوة.. ولا مع المحتاجين من منطلق السيادة.

ومن الذي يطعمونه؟

إنه: المسكين: الذي لا يكفي كسبه لتغطية حاجته..

واليتميم: الذي مات كاسبه.

والأسير: الذي لا حول له ولا طول..

أي: أنهم مخلصون في أعمالهم.. لأنهم لا يريدون بهما من لهم عندهم مصلحة.. وإنما هم اغوايج الذين تقع صدقتهم عليهم في يد - الله سبحانه وتعالى - وقيل أن تصل إلى أيديهم.

وعلى كفاية عملهم هذا الصالح.. لكنهم يضيفون إليه إعلانهم أنهم لا يطعمونهم حاجة في نفس يعقوب.. وإنما لوجه الله تعالى وحده.. فالمنة له عز وجل وحده.

فهو سبحانه الذي رزق.. وهو سبحانه الذي وهبنا نعمة التوفيق إلى توجيه الثروة في مصارفها الشرعية..

فكلوه هنيئاً مريئاً.. وإذا كان من جزاء.. فهو من الله وحده: لا منكم.. وإذا كان من شكر فهو لله تعالى.. وليس لنا..

﴿لَا تُبَدِّلْ كُتُبَ اللَّهِ وَلَا تُكْفِرْ بِآيَاتِهِ﴾

(الإنسان / ٩)

ومن لم يشكر الإنعام.. فهو من الأنعام!

فليس في نيتنا ونحن نأكل موباً أن نمن عليكم.. بل الله بمن علينا أن هدانا لطرائق الكسب الحلال.. ثم وقفنا إلى سبيله القاصد.. مدفوعين بالخوف منه عز وجل.. عسى أن يتجنبنا من أهوال يوم عبوس قمطير.

وإذا كانت الأشياء تتمايز بأضدادها.. فإننا نذكر الصورة المقابلة لهذا المستوى العالي..

فماذا يفعل بعض الناس اليوم؟

إنهم يطعمون.. ولكن لغرض أو مرض!!

إنهم كما نقول: يقدمون السبت.. ليجدوا الأحد!!

ومن معاني ذلك أنهم لا يريدون وجه الله:

فما دام المشول في الموقع.. فالإنفاق في سبيله ميسور..

فإذا زایل موقعه القيادي.. ذهب كل شيء.. على ما قيل: يقول لك الناس: مرحباً.. ما دمت مشولاً.. فإذا نزلت من فوق الكرسي.. مات مرحب!!

وتقترب من الصحف اليومية لتري عجباً:

في بريد الصحيفة ماذا تقرأ:

تقرأ مجموعة من الاستغاثات بخار بالشكوى:

أ - من يطلب أطرافاً صناعية.

ب - أرملة في العراء تطلب سكناً.

ج - مريض يطلب إنقاذه بالدم.

بمعنى:

أن المسكين.. واليتيم.. والأسير.. جميعاً.. يطلبون النجدة..

ولأن الأبرار قد رحلوا.. فلا مجيب..

ثم يبلغ بك الأسى مداه.. عندما تقلب صفحات نفس «الجريدة».. فإذا لافتات التعازي.. والتي تتجاوز الألوف.. تذرف دموع التماسيح على ميت لم يروه!!

وإنما هو عبادة الذات..

والأفلو كانوا أبراراً.. لادخروا هذه الأموال لتلبية حاجات هؤلاء الشاكين!!

وهنا يتراءى لك الفرق الهائل بين النجاهين:

النجاه «الأبرار» يقابله النجاه التجار!!

ولندع التجار يتنافسون في الدنيا.. لنستمتع بهؤلاء الأبرار.. ثم تتساءل:

هل يستأهلون فعلاً ذلك التعميم المرصود لهم؟

والجواب: إنهم أحق به وأهله.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾

(الانفطار / ١٣)

في صميمه.. لا على ضفافه.. ثم هو نعيم: منكر: فهو واسع فلا تعلم نفس حدوده.. ولا أعماقه.. ثم إنه نعيم: دائم:

لا يرحل عنك.. ولا ترحل عنه.. وبلا منقصات..

ثم إن ذلك بما قدمت أيديهم:

أ - عبادة كاملة: تعظيم للخالق.. وشفقة على المخلوق.

ب - وهم ملتزمون: فمن وفى بما ألزم به نفسه.. فهو أكبر وفاء لغيره..

إنه إسلام الوجه لله تعالى.. للمخالق.. لا للمخلوق.

أما بعد:

فقد نزلت الآيات الكريمة في علي وفاطمة - رضى الله عنهما - ثم لم تصرح باسميهما: بينما صرح باسم «زيد ابن حارثة».

فالأهم هو: المبدأ: الإسلام.. أولاً وأخيراً:

ذات يوم خاطب «الشاعر» الفاروق - رضى الله عنه - قائلاً:

عميرة: ودع إن تجهزت غازياً

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

فما كان جواب «عمر» إلا أن قال له:

لو قدمت الإسلام على المشيب..

لأجزتك.

فالهم هو الإسلام أولاً والإسلام أخيراً..

والذين يتحركون خارج نطاقه يبدلون.. وما أكثر ما يبدلون.. لكنهم محرومون.. وإذا كانوا في حمى السباق يطلبون الفوز حقاً.. فإن الفوز الحق هو في غفران السيئات:

﴿وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

(غافر / ٩)

الفوز العظيم لمن كان عمله لله خالصاً.

————— جــــــــــــــــالــــــــــــــــات التنافس

في السنة المطهــــــــــــــــرة
يقول ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين:
رجل آناه الله مالاً فسلطه علىهلكته في
الحق، ورجل آناه الله الحكمة فهو يقضي
بها ويعلمها) متفق عليه.

يقول الشاعر العربي:

كل من في الوجود يطلب صيداً

غير أن الشباك مختلفات

أجل: كل له غرض يسعى ليدركه..
وحول هذه الرغائب تدور أشرس المعارك..
والتي قد تنتهي بالتنافس إلى الدمار: ما
عدا المسلم: فإنه يطلب الأعلى والأعلى..
دائماً، وتأخذ طريقته إلى هدفه نفس هذا
المستوى العالي، لأن الغاية الشريفة..
لا بد وأن تكون وسيلتها من جنسها..
أيضاً شريفة.

فما هي غاية المسلم في حياته:

أولاً: المال الصالح.

وثانياً: العلم النافع.

وهو ما يشير إليه الحديث الشريف..
والذي نحن بصدد التعليق عليه:

إنه يحدد للتنافس الشريف دائرتين..
فراراً بالمسلم من ذلك الصراع الويل

المنتهى بالتصارعين إلى البوار..
التنافس حول مباحج الدنيا:

فلو كان لابن آدم واديان من ذهب
لتمنى ثالثاً..
ولا يملأ خوف ابن آدم إلا
التراب.

ويعني ذلك حماية ملايين الخلايا من
الاحتراق في أنون التدافع المحموم حول
مطالب الدنيا..
حين يتنافس المتنافسون
كالسوائم الهائلة الهائجة..
تتصور: من يملك «الألف» تعنصره
الحسرة إذا رأى مالك الألفين..
تحرقه الحسرة لأن غيره يملك أربعة!!

وهنا ندرك إلى أي حد كان هذا الحديث
الشريف نعمة كبرى.. حين يستبعد من
حياة المسلم هذا الحسد بهذا المعنى
المهلك..
ليبرز معناه على طريقة الإسلام.
وهو الحسد بمعنى: الغبطة: بمعنى تمنى
أن يكون لك مال صالح..
تصلح به مرافق
الأمة..
وتدعم به الحق..
مشفوعاً بالعلم
النافع..
الناجع.

وإذا كان رصيد بعض الأغنياء يتنامى
مع الأيام..
فيكفي أن يوظف المسلم ماله
في مجالات الإصلاح:

يمنع به امرأة من السقوط..
ويصون به
أسرة من التفكك..
ويحمي به يتيماً من
الضياع..
ثم تعرض به غنياً على الإنفاق.
ثم كان علمه خالصاً:

فلم يفأخر به..
ولم يتأجر.. ولم
يتسلط به على الآخرين..
ولكنه صاغ
حياته طبق أصوله..
ثم جعله حكماً في

قضايا أمته..
بعدما نقله إلى الآخرين.

وإذا بنفق الماديون أموالهم ليصدوا عن
سبيل الله..
فإن ثروة المسلم تصبح سنداً
يبقى بها الحق غلاباً..
وعُلت به قيم
المروءة والأريحية.

شبهة مردودة

ولكن الماديين قد يلوحون بالأرقام التي
تؤكد أن من أنفق من المائة عشراً..
صارت تسعين..
وليست هناك زيادة..
ولكن الحديث الشريف..
يحاول فك الأنامل
القابضة على المال بمثل قوله ﷺ: (ما
نقصت صدقة من مال...^(١))

ومعنى ذلك: أن الحديث الشريف
يتصدى للتقاليد التي تحاول أن تستبعدنا
حين يقول الذين لا يؤمنون بالغيب: لا،
بل إن المال ينقص بالإنفاق.

وصحيح - بلغة الأرقام ذلك - وحين
ينفق في غير مصارقه الإنسانية.

أما بمقياس الإيمان: فما نقص مال من
صدقة: فما يحققه الإنفاق من ثواب
أكبر. ثم يبارك الله تعالى لله فيما بقى..
ثم فراراً من أن تمزقك عقدة الذنب..
كلما رأيت محتاجاً أغلقت بابك دونه.

ثم إن الصدقة تقع في يد الله فيرببها
لك كما تربى مهرك، لتصير في النهاية:

بركة في العمر..
وفي الولد..
وفي الرزق: وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.
وهو ما يشير إليه قوله عز وجل:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي نَجْمٍ ۖ عَلَى الْآرَاءِ يَنْظُرُونَ﴾ تَرْفُفٌ
وَجُوهَةٌ خَضِرَةٌ نَّاصِرَةٌ

(المطففين / ٢٢ - ٢٤)

تشير الآيات الكريمة إلى ما يجب أن
يكون فيه التنافس وهو:

تعيم الآخرة..
بمعنى التسابق
المستهدف هذه الغاية العظمى..
وهو ما
يشير إليه قوله عز وجل:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

(المطففين / ٢٦)

إنه تنافس لا ينشئ في الصدور
حقداً..
لأن غاية المؤمنين واحدة ومن
حققها فباسم المؤمنين جميعاً يحققها..
فهم فيها شركاء وغير متشاكسين..
قد
يختلفون..
لكنهم لا يحقدون.

وإذا تفرق الدنيا بين طلابها..
فإذا كل
فريق في طريق..
فإن الإيمان بالآخرة
يجمع ولا يفرق:

قوم: على احتياج سهل وصالحهم
ومقامهم وعمر على الفرسان

(١) مسلم، البر والصلة، ٦٩، مستدرك أحمد، ج ٢، ٢٢٤، ٢٨٦

تحويل القبلة والتميز الحضارى

للدكتور/ حمدى فتوح والى

جاء الإسلام لينشئ أمة متميزة، متفردة، قائمة، تمتلك من أسباب السيادة والريادة ما يجعلها قادرة على القيام بمهمة التقدم لقيادة البشرية فى ثقة واطمئنان واستقرار وأمان وما يجعلها قادرة فى الوقت ذاته على إنقاذ البشرية مما كانت تعانيه من القيادات الضالة والمناهج الضالة والتصورات الضالة. وهو ما تعاني منه البشرية اليوم، مع اختلاف فى الوسائل ومظاهر السلوك والأوان للممارسات.

ولقد احتاجت هذه الأمة فى بداية أمرها إلى أنواع من الرياضات النفسية الشديدة والاختبارات الشاقة حتى تتقدم لقيادة الناس قادرة على أداء دورها الحضارى الذى خلقت من أجله، والذى انتدبت للقيام به، وكان أخطر هذه الاختبارات وأشقها على النفس، هو أن تختبر فى مصدر فخرها وعنوان كرامتها، ورمز عزتها، وشعار مجدها، وذلك عندما تلقت أمرا إلهيا يأمرها فيه بأن تتحول عن قبلة أبيها إبراهيم وتوجه إلى المسجد الأقصى فكان هذا الأمر بمثابة فطام مفاجئ والولود لم يتم عامه الثانى على شدة تعلق هذا الولود بمصدر حنانه وأمانه وقد استمر ذلك ستة عشر شهرا عانى المسلمون خلالها شعورا بالحرمان من قبلتهم وشعورا من استكبار اليهود عليهم، واتخاذهم هذا الأمر وسيلة ضغط وتشكيك وإرجاف بل إنهم أطلقوا ألسنتهم فى المدينة بالقول، بأن اتجاه محمد ومن معه إلى قبلتهم فى الصلاة دليل على أن دينهم هو الدين، وقبلتهم هى القبلة، وأنهم الأصل، فأولى بمحمد ومن معه أن يغيثوا إلى دينهم، لا أن يدعوهم إلى الدخول فى الإسلام فى وسط هذا الجو المشحون بالألم الداخلى، والحرمان الروحى، والتشكيك اليهودى، وشعور المسلمين من قريش بتوع من الانكسار النفسى فكان الرسول ﷺ يقلب وجهه فى السماء متوجها إلى ربه،

أرسل الحق
تبارك وتعالى
رسوله محمدا ﷺ
بدين الإسلام على
حين فترة من
الرحل بعد أن
استبد بأمر الأرض
شياطينها من
الانس والجن
وانضلت زمام
الأخلاق فوقعت
الأرض صريعة
فوضى من الأفعال
والأخلاق والسلوك
والعقيدة والسياسة
والاجتماع فالناس
لا يخضعون لسلطان
ولا يقرون بنظام،
ولا ينخرطون فى
سلك ولا يدينون
دين الحق.

يشنق قلبه ولا ينطق لسانه، نادبا مع الله وانتظارا لتوجهه لما يرضاه إلى أن نزل قوله تعالى:

﴿ قَدْ رَأَى ثَقَلَبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَا
فَلَمَّا رَأَى نَسَكَ قِبْلَةً رَضَاهَا قَوْلُ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

(البقرة: ١٤٤)

تحديات صنعت مؤمنين

تقول الروايات إن هذا كان فى الشهر السادس عشر أو السابع عشر من الهجرة أى قبل غزوة بدر بشهر أو شهرين، وهذا يجعلنا نتساءل عن الحكمة الإلهية فى اختيار هذا الحدث فى هذا التوقيت بالذات.

إن التحديات الجديدة التى فرضت على المسلمين، جعلتهم فى حالة استهداف مؤكد من المشركين فى مكة، ومن اليهود فى المدينة، ومن المنافقين أنباع ابن سلول ومن النصارى المتحضرين على أطراف الجزيرة العربية، من يستشعرون الخطر من دولة الإسلام الفتية، كل هذه التحديات كانت جدية بأن تصنع من المؤمنين كيانا ربانيا خالصا، لا مكان فيه لولاء قومى أو تعصب عنصرى أو ميل عاطفى أو تعلق تاريخى فكان جعل القبلة نوعا من التدريب النفسى والتأهيل الروحى والتحرور من كل لواء إلا الولاء لله ورسوله وهو ما تشير إليه الآية الكريمة فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا
جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ
مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ
هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَّا يَتَّبِعُ يَكُنِ اللَّهُ يَكُونُ
لَهُمْ وَفَّ رَجْعًا ﴾

(البقرة: ١٤٣)

يقول ابن القيم: وكان لله فى جعل القبلة إلى بيت المقدس، ثم تحويلها إلى الكعبة حكم عظيم، ومحنة للمسلمين والمشركون واليهود والمنافقين.

فأما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا وقالوا:

﴿ آمَنَّا بِهِ، كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾

وآل عمران: ١٧

وهم الذين هدى الله، ولم تكن كبيرة عليهم. وأما المشركون، فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا، وما رجع إليها إلا أنه الحق.

وأما اليهود، فقالوا: خالف قبلة الأنبياء قبله، ولو كان نبيا، لكان يصلى إلى قبلة الأنبياء.

وأما المنافقون، فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه إن كانت الأولى حقا فقد تركها وإن كانت الثانية هى الحق، فقد كان على باطل.

ضرورة تربوية

وكشفت أقاويل السفهاء من الناس، وكانت كما قال الله تعالى:

﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾

(البقرة: ١٤٣)

وكانت محنة من الله امتحن بها عباده، ليرى من يتبع الرسول منهم ممن يتقلب على عقبيه^(١).

(١) زاد المعاد لأمين الققيم ج ٢ - ط ٣ - دار الفكر ص ٥٧.

أو عن بعيد⁽⁵⁾.

مجردة من ملابسها، يغفلون جانباً مهماً من جوانب النفس الإنسانية، وهو ميلها الفطري إلى رؤية مشاعرها المضمرة في صورة أشكال ظاهرة بما يشعرها بحالة من الانسجام والتوازن والرضا، فتهدأ النفس حين إذ وتستريح بعد أن يتحقق لها التناسق الكامل بين الظاهر والباطن.

(البقرة: ١٤٣)

وإذا كانت الأمة قد احتاجت في أول أمرها إلى هذه الدروس فإنها اليوم أشد احتياجاً إليها لتعود بها إلى خصائص التصور الإسلامي الصحيح الذي يتسم بالريانية والثبات والشمول والتوازن والإيجابية والواقعية وينفرد بين أمم الأرض جميعاً بعقيدة التوحيد.

المسافر الغريب

للدكتور/ أبي حسام

جلس مسافر بن عمرو إلى صديقه أبي طالب بن عبدالمطلب وعلى وجهه علامات الضيق والأسف، وكان أبو طالب يعرف في صديقه مروءة كريمة جعلته لا يبخل بشيء مما يملك، وبيته في مكة لا باب له، كي يلجأ كل ذي حاجة، دون أن يحتاج إلى استئذان، فإذا سافر للرحلة في قوم أبي عليهم أن يحملوا زادا للطريق مهما طال، لذلك اشتهر في مكة بأنه زاد الراكب، وبعض البخلاء من الموسرين كانوا يعتمدون الرحلة معه كي يأكلوا ما يشاءون دون أن يتكلفوا شيئا، ومسافر مغتبط بما يفعل، وإن أزهقته المروءة في طلب الرزق؛ إذ كان لا يستطيع أن يذخر شيئا مع توالي الإنفاق، وقد لحظ أبو طالب ما يغشى ملامح صديقه من سهوم، فقال له: أنا أدري بما تكابد يا مسافر، لأنك تقوم وحدك بما تقوم به جماعات متحدة، ولا ألومك في الكرم، فالعربي الأصيل جواد كريم، ولكن ألومك حين أجد بعض من يرون أنفسهم سادة في

قريش يلجون منزلك ليأكلوا وهم ليسوا في حاجة، كما أجد بعض هؤلاء يعتمد الرحلة معك ذاهبا آيما، ليأكل كما يأكل الفقير المحتاج، إن للعتاء حدودا، وله قومه المستحقون، وقد أغت إلبك ببعض هذا من قبل، ولكنك لم تسمع! ولعل شيئا من عواقب صنيعك هو الذي يشغلك الآن، فيغمر وجهك بمسحة من الكتابة أشفق حين أراها تجل هذا الوجه الكريم.

قال مسافر لأبي طالب، أنت موضع سرى، ومهبط نجواي منذ عرفتك، ومادمت قد تغلغلت إلى أدق ما أكتم، فقد عرفت بعضا، وتركت بعضا آخر، أما الذي لم تعرفه فهو أنني أحب أن أقرن بهند بنت عتبة بن ربيعة، ووالدها مع ثرائه الجم في مكة، وبساتينه الزاهرة في الطائف، لا يرحب إلا بمن كان في ثرائه، وأنا لا أقدر مع مرهقاتي التي لا أرى عنها، وإن داهمني الحمام أن أقدم له ما يريد من صداق يغالي في قيمته كعهده بنى ربيعة كما حاولت أن

أطفيء رغبتى في هند فما استطعت، إنها في عيني أجمل قرشية في مكة، ولها شباب متوقد، ولديها همة عالية لأنها تنحكم برأيها الحصيف في مشيئة أمها وأبيها، وقد خطبها ابن عمها الوليد بن عتبة، فتأبت عليه لأنه لا يحل الصدر في رجال العشيرة! ومثل هذه لا بد أن أحرص عليها فماذا أصنع؟

قال أبو طالب، نحن بنى هاشم لا ننظر للمال وحده في تقدير الرجال، ولو طلبت هاشمية في منزلة هند لسارعت إلى منزلك، وسارع أبوها دون أن يفرض عليك صداقا مغاليا، ولكني أعرف أن شئون القلب لا تخضع لمنطق العقل، فإذا أردت هند بنت عتبة، فاترك مكة إلى رحلة طويلة قاصية تتاجر في بعض العروض، مقتصدا في نفقات الذهاب والنجى، فلا تكن زاد الراكب هذه المرة، فإذا رجعت بما بقي برغبة عتبة من الصداق، قبل الأمر في بشاشة؛ لأنه يعرف من أنت، وقد سار في ركبك من قبل فأكل وطعم، ولعله في أعماق نفسه كان يتمنى أن يكون مثلك جوادا كريما، ولكن طبيعته تغلبت على أمانيه!

قال مسافر: أما الرحلة فنعم، وأما ألا أكون زاد الراكب فالموت أهون لدى من أن أترك خلقا طبعته عليه، وعادة عرفها الناس جميعا عني، وقد فكرت في الرحلة إلى اليمن فماذا ترى؟

قال أبو طالب: على بركة الله يا مسافر، وقدر في نفسك أنك رحلت لأمر تحرص

عليه، وقد تعود بالخير الجزيل؛ لأننى عرفتك ميمون الطالع، سعيد الحظ، وفي ظنى أنك ستبلغ ما تريد.

لم تمض أيام حتى تهباً مسافر بن أبي عمرو للرحلة إلى اليمن، وجعل يعد من العروض والسلع ما يبلغه القصد وقد تعالم القرشيون رحلة مسافر، فخفوا لمرافقته، والرجل كعهده يأس الوجه موثلق الأسارير، يرى تهافت القوم على ركبه فيستشعر رضا يعرفه الجواد، ويذوق ثمرته الشهية كأحلى ما تكون الفاكهة الحلوة، وانطلقت القافلة لوجهها المعلوم، فكافح مسافر وجالد ووفقه الله فنال من الكسب ما يريد، وكان صدره يجيش بالأمل الفائر، فلا يهدى قورانه غير ما يملك من صداق يفنى برغبة عتبة، ويمتد به الحلم فيرى أنه قد رزق السعادة، وأن الطريق هو الذي يعوق اقترابها السريع، فإذا ما انتهى به السير إلى مكة فقد تحقق الرجاء!

ولكن الغيب المستتر عن مسافر كان يكن شيئا آخر، إذ ما كاد يطأ تراب مكة، حتى استقبله أبو طالب صديقه، وعرج به إلى بيته، فعلم أنه قد تأهب واستعد، وأن ما يريد عتبة من الصداق أصبح طوع يده، وقد قام بواجب الضيافة كما اعتاد دون أن يقيض زاد الراكب يده عما تعود، ولكن أباطال نظر إليه في حنان عاطف ثم قال له:

يا مسافر، هُرعت لاستقبالك حين علمت بقدم القافلة، لأكون معك في

مواجهة شدة ستزول؛ فأنا أعرف أحلامك وأمانيك وكنت ومازلت أشاركك الأمل والألم معاً، وقد انتهى إلى أن الفاكه بن المغيرة المخزومي اقترن بهند في غيبتك، وفرح أبوها بنسب الفاكه؛ لأنه ذو مال وفير، وقد تحيرت ماذا أصنع في أمرك، إذ ليس في طوقى أن أمنع قرانا تعاقداً عليه الأب والزوج ورضيت به الزوجة! ولكن ثقتى في مروءتك تجعلنى أهون الخطب عليك، ففتيات الحى كثيرات، وفيهن من تفوق هند بنت عتبة، جمالاً وحسباً وشرفاً، وما كان مسافر الأريحي الجواد ليبخع نفسه أسفاً، أن حرم من زواج فتاة لها نظائرها الكثيرات، ولئن شاع بين الناس أنك كنت ترغب في هند وقد سبقك بها الفاكه، لهُون ذلك من قدرك لدى من لا يعرفون قيمة الرجال، فعليك أن تكتم أمرك في صدرك، ومستلواً محالة، ولك من شواغللك القاصية والدانية ما يمنع الاسترسال في صباية لا جدوى معها! فماذا تقول؟

تماسك مسافر، فلم يزعزعه النبأ إلى حد التأثير والانفعال، بل غامت سحابة رقيقة من الشجن على وجهه بضع لحظات ثم خشي ألا يكون ذا إرادة قسوية في عين صاحبه، فأعلن أن اليأس إحدى الراحتين، وأنه في منزلته المرموقة أكبر من أن يتحدث عنه شأنى بما لا يليق، وفي اتساع أعماله ما يشغله عن هموم قلبه التى لا تلبث أن تتبدد، وهكذا بدأ مسافر مرحلة السلو جادا معتزماً، وإن لم يسمح لنفسه

بالاقتران من فتاة أخرى قد لا تحتل من قلبه مكانة هند، فتشكاً جرحه، سيظل عزباً تشغله تجارتها، ويلهيه كرمه وعطاؤه، وإقبال الناس على منزله سائلين متوددين.

٢٠

لم يمض غير عامين، حتى ارتجت مكة ارتجاجاً هائلاً، بخبر مزعج عاصف، فقد أعلن الفاكه بن المغيرة المخزومي أنه رأى على البعد شيخاً لرجل يخرج من منزله مهرولاً، وقد ضاع منه حين جرى خلفه، ويشك في أن علاقة ما قامت بين هند بنت عتبة، وهذا المسرع المهروول. وافترق الناس فريقين، فقائل: إن الرجل المسرع ربما كان زائراً يظن الفاكه في المنزل، فلما لم يجبه أحد، سارع إلى الخروج، ورأى الفاكه على بعد فتوهم أنه سيثير شكه، لذلك أسلم رجليه للفرار، وقائل: إن سرعة الرجل في الذهاب ومحاولته الاستخفاء مما يوحي بالاتهام، وقد غضب عتبة بن ربيعة لما لحق كرمته من الإرجاف، وساقها إلى منزله، وتغصب له ذوو قرابته، على حين أمعن الفاكه في ربه واستمع إلى أرباب الواقعة، فانتسعت شقة الخلاف، ومشى الشباب إلى الشباب من الفريقين، يحاولون معركة تسيل بالدم، وهنا توجه مسافر بن أبى عمرو إلى أبى طالب وقال له: أنت شيخ البطحاء، وليس لك انتماء إلى الفريقين، عليك أن تجمع شيوخ مكة في دار الندوة، وفيهم من العقلاء من يحسم الأمر على نحو ترتاح له النفوس، فقال أبوطالب: كن معى وسأفعل.

وفي مساء من أمسية مكة اجتمع الفريقان في دار الندوة مع شيوخ مكة فمن يملكون إبرام الأمر ونقضه، فاستمعوا إلى ما يقول كل فريق، وقام أبوسفيان بن حرب، ليعلن حلاً ربما وافق عليه الخصمان، فاستعدت النفوس إلى استماع ما فى جعبة أبى سفيان، وهو رجل العقدة المستعصية، فقال فى هدوء: لا أظننا سننتهى إلى حل يرضى الجميع إلا إذا وافقنا على الاحتكام إلى كاهن اليمن، وله سوابق فى مثل هذا المجال!

قال عتبة: لقد رضيت، فحددوا الميقات لتتأهب للرحيل، فقالوا: بعد ثلاثة أيام. وقد انضم بنو عبد مناف إلى جماعة عتبة، كما التف بنو مخزوم حول الفاكه، واجتمع من الفريقين من ملثوا بطحاء مكة، فاختر كل فريق عشرين من بنى أبيه وكان مسافر بن عمرو بن أمية من فريق عبد مناف الذين ساروا مع عتبة إلى البلد البعيد، وقد تحاجز الفريقان تحاجزاً قريباً، فكانت تفصلهما أثناء المسير قرابة مائتى خطوة.

كان عتبة حائراً مضطرباً لا يهدأ له بال، فتقدم إليه الوليد أخوه وسأله عما يشغله، فقال: أنا واثق من براءة هند، ولكنى حين خاطبتها قالت لى وهى ياكية: يا أبتاه سارذنا على أن رحلنا إلى رجل يخطئ ويصيب، وما آمن أن يدركه الهوج فيرمينى بفضيحة الأبد.

قال الوليد: قبل أن نقدم على الكاهن

نقدم له (هند) فى خمس فتيات، ونسأله أن يعين صاحبة الأمر من بينهما، فلو اهتدى إلى هند كان عارقاً خبيراً، وإن لم يهتد حق لنا أن نكر دون احتكام، فأطرق عتبة. وقال: هذا هو رأى، فلا جدال.

وقام مسافر بن أبى عمرو بإطعام بنى عبد مناف فى ركب عتبة، وأقسم ألا يغرم أحد شيئاً فى زاد الرحلة، وجعل يطمئن قومه بما يعرفه من طهارة هند؛ ويؤكد أن الدائرة ستدور على الباغي، فكان بجوده الغامر، ورأيه الحصيف موضع التقدير، ولم يظن أحد شيئاً يعواطفه الدفينة نحو هند، لأنه كان من الحذر البالغ بحيث أخفى كل نبضة تدق فى شفاف فؤاده، ثم حانت ساعة الفصل، وتعرض الكاهن للامتحان فاختر هند من بين الرفيقات، فكان ذلك من دلائل توفيقه، ثم تفرس فيها، ووضع كفه على عرقها النابض فى الساعد، ثم هتف، قومي طاهرة شريفة، غير آئمة ولا زانية!

فدوت الزغاريد فى رهط بنى عبد مناف، وجاء الفاكه باسم متهللاً يفتح ذراعيه، ويقول: لقد آمنت بطهارة هند، وهى فى مقلتى من الآن، ولكنها صرخت فى وجهه شائعة منقبضة، وأقسم عتبة أنه لن يراها بعد الآن، وأن الطلاق إجبارى! فصاح الملا: ليس غير الطلاق!

ترى ماذا كان شعور مسافر وقد انقلب إلى مكة مع العائدين، إنه رأى دقات الأمل ترن فى أذنه بعد أن ضربت فى قلبه، ولكن

الرحلة قد استغرقت ماله ! فما عسى أن يقدمه في الصداق المنتظر، وهو من العزة بحيث لا يدل بمعروف قدمه للرائحين الغادين في المهمة الفسيح ! لقد انتظر حتى يأتي مكة، ويسمر مع صديقه أبي طالب، وقد ينتهيان إلى حل سعيد ! وكان عتبة والوليد وشيوخ بني عبد مناف، يستمهلونه كي يقوموا في بعض الأيام بإطعام الركب شفقة على ماله المبعثر، ولكنه يصيح : هذه عادتي ! فلماذا أخالفها اليوم، أتريدون أن تلحقوا بي من المعرة ما يعصف بما نيت من قبل، لا يا قوم، ولو طاحت الرقاب.

جاءت الأنباء إلى أبي طالب قبل أن تقدم القافلة بأيام إذ سبق بعض البشراء إلى مكة، يعلنون حكم الكاهن اليمني بسراة هند، فأدرك أبو طالب أن صاحبه لا يد قد فكر في أمر هند بعد خلوصها من الفاكه، وأنه لا يد أن يستشير فيما سيصنع، وهو يعلم أن مسافرا لم يبق لديه ما يقدمه للصداق بعد نهوضه بأعباء الرحلة، فهل يقوم برحلة تجارية ثانية يقضى بها شهورا عدة، ثم يرجع ليجد أحد أشرف قريش قد خطف هند للمرة الثانية؟ ليت أبا طالب كان يملك من المال ما يقرضه إلى صاحبه، وأنى، وهو شيخ البطحاء، وذو الأسرة المتخمة بالبني والبنات فلم يدخر ما يعين؛ لأن تكاليف المروءة وأعباء الأسرة يستنزقان الكثير والقليل ! ولكنه إذا عدم المال لم يعد المشورة الصائبة، وقد أعدها متدبرا متمهلا، لتكون موضع التنفيذ !

ولم يكد مسافر بن أبي عمرو يشم ريح مكة حتى أسرع إلى لقاء أبي طالب،

فاستقبله مسرورا، وقال له مبتسما : فكرت في أمرك يا مسافر، وعندى الحل !

فأدرك مسافر أن لدى صديقه ما سيقوله، فصاح به : هيا يا شيخ البطحاء ! فقال أبو طالب : لا سبيل إلى رحلة تجارية تقطع الأسابيع والشهور فتقوت الفرصة المواتية، ولكن رحلة قريبة إلى النعمان بن المنذر بالعراق، ترجع منها ذا قضة وذهب وخيل وعبيد !

دهش مسافر لما يقول أبو طالب، وصاح بصديقه : ومن أنباك هذا، فقال أبو طالب : أنت الذي أنقذت قافلة النعمان حين تعرض لها البراض الكنانى، فسلمت القافلة، وعادت بالخير من عكاظ إلى الحيرة، وقد قال النعمان حين بلغه الخبر، لو جاءني مسافر بن أبي عمرو لقدمت إليه ما يرضيه، والنعمان جواد سمح، وعطاياء في غيم وأسد وكنانة لا ينكرها أحد، هو سمح متلاف، هيا يا مسافر، فالرجل يعرفك ويحب أن يكافئك !

فتطلع مسافر إلى صديقه وقال : بورك يا شيخ البطحاء، لقد فتحت على بابا من الأمل، ما كنت أعلم مكانه، ولن أرتاح بعد رحلة اليمن، ولكنى سأنتقل من الآن، ولن يكون معي غير فرسي ورمحي وعبدان مطيعان ! وزاد الطريق ..

ترى أكان أبو طالب ينتظر إلى الغيب من وراء حجاب ! إن النعمان ما كاد يشهد مسافر بن أبي عمرو يتقدم إليه محييا، حتى وقف مرحبا، وقال : أنت صاحب البراض، إن دينك

على كبير، ثم أفرد له خيمة بجوار الخورنق ليظل أربعين يوما ضيفا على سيد الحيرة، وتلك عادته مع كبار الأضياف ! وكان مسافر يتمنى أن يعفيه النعمان من هذه الضيافة المعوقة، ولكن مراسيم القصر تفرض هذا الواجب، وليس عليه غير الإذعان ! ومرت الأيام على مسافر ناعما بما يأكل ويشرب ويتنزه ويصحب، ولكنه في أطواء نفسه ضائق يتململ، ويتمنى لو حملته الريح إلى مكة في لحظات، ثم حان ميعد الرحيل، فقدم له النعمان أكثر مما كان يتوقع ! ذهباً وقضة ونعما وعبيدا ورياشا ولياسا، حتى أصبح ذا موكب حافل، وقد حاطه الحراس في طريق العودة كما شاء النعمان ! ولا تسل عن آمال مسافر وقد ترعرعت مزدهرة، إذ كان لا يفتأ يتصور نفسه وقد قدم على عتبة والد هند بما لم يره من قبل، ثم طرحه جميعه هدية للعروس الحسنة !

وفي الطريق إلى مكة، قابل أبا سفيان بن حرب في تجارة يعتزم القيام بها إلى مشارف العراق، فرأى أبو سفيان من نعيم مسافر وجاهه ما أذهله حتى قال له : ستكون سيد قريش يا مسافر بما تحمل، فرد عليه مسافر ردا متواضعا غير مكترث، ثم سأله : ما أنباء عتبة بعد طلاق هند؟ فقال أبو سفيان - ولا يدري عاقبة ما يقول - لقد تزوجتها منذ عشرين يوما، إذ رضى بي عتبة، وفرحت هند !

لم يكد مسافر يسمع كلمة «رضى بي عتبة وفرحت هند» حتى أحس أن الأرض تدور به، وأن السماء تغيم في عينه، ثم

انقلب على الأرض، لا يستطيع أن يتحرك، فقد أصاب الشلل جنبه الأيسر، وعجب أبو سفيان لما شاهد، فحاول أن يطب له، ورأى أن الكي وسيلة الشفاء، فأوقد ناراً حامية، وجعل يعذب مسافر بما يطب، وهو صامت لا ينطق، ثم تيقن أن أجله قريب، فقال لعبيده : ساموت في هذا المكان، إذ قدر لي أن أدفن في (تباله) فإذا ذهبتما بما أحمل من مال ونعم، فأنتما حران، وعليكما أن تسلما كل ما لدى إلى أبي طالب ليفرقه على البائسين من أهل مكة، فشغنى فيه لا تحذ ! قدر لي أن أموت فانتظراني حتى أدفن ! ثم دمعت عيناه، متحسرا على الأمل الداوى، والرجاء الفقيده ! ومضى يومان حزنانا كانا خاتمة عهده بالحياة !

جاء الركب إلى أبي طالب، وهو وحده الذي يعرف سر مسافر، فتلقي النبأ جازعا غير هادئ، وتساقطت من عينه عبرات حارة كاوية، ثم أم دار الندوة ليفرق مال مسافر في بيوت المحتاجين، تنفيذا لمشيئته، حتى إذا قرغ من مهمته، رجع إلى بيته حزينا يردد رثاءه لمسافر، وقد حفظ التاريخ منه قوله :

ليت شعري مسافر بن أبي عمرو
وليت يقول لها الحزون
بورك الميت الغريب كما بور
ك تضر الريحان والزيتون
بيت صدق على (تباله) قد حا
لن قياف من دونه وحزون
يرجع الركب سالمين جميعا
وصديقي بأرضها مدفون !

نشأة العلم الإسلامي ومناهجه

٢

للاستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

نائب رئيس جامعة القاهرة سابقاً

ثانياً: طبيعة البحث العلمي ومناهجه

لما كانت العلوم الكونية تعنى في الأساس بدراسة الظواهر الجزئية للكون والحياة وفق مناهج علمية مناسبة، بغية الكشف عن القوانين العلمية التي تصف السلوك الفعلي لتلك الظواهر، فإن «الموضوعية العلمية» تعتبر خاصية أساسية من خصائص المعرفة العلمية، ويقصد بها إمكان استعادة النتائج العلمية والتثبت من صحتها لدى أكثر من باحث، إذا أجريت التجارب المؤدية إليها تحت نفس الظروف ووفق نفس المنهج^(١).

وعندما ترقى هذه النتائج في سلم الترقى المعرفي إلى مستوى الحقائق العلمية، فإنه يمكن إدراكها لدى أكثر من باحث بنفس الطريقة، أو بطرق مختلفة. وهذا التصور المثالي للموضوعية العلمية (Scientific Objectivity) أدى إلى الاعتقاد بضرورة اعتبار الحقائق العلمية مستقلة تماماً عن الذات الباحثة عنها، وغير خاضعة لميول الباحثين ومصالحهم.

والالتزام بالموضوعية العلمية على هذا النحو

يعتبر سمة أساسية أيضاً من سمات الباحث العلمي، تتطلب حيده ونزاهته وصبره ومقدرته على الاستدلالات الصحيحة التي تميز الإدراك الموضوعي لجوانب الظاهرة المعنية، كما تتطلب أن يرى الأشياء على ما هي عليه، وأن يكون أميناً ودقيقاً في عرض النتائج التي يحصل عليها، حتى وإن خالفت اعتقاداً سابقاً له أو للمجتمع الذي يعيش فيه، وأن يكون مستعداً لأن يقبل ما دلت عليه المشاهدة، وما كان نتيجة للتجربة أو لازماً عقلياً من لوازمها، دون تدخل بالتعديل أو الحذف.

وليس هناك من شك في أن هذا التصور المثالي للموضوعية العلمية، المطلقة هو ما يجب أن يسعى إليه العلماء والباحثون، ويكون عليه اتجاه بحثهم، إلا أن صدق قضايا العلم وقوانينه يجب ألا يعنى اليقين المطلق، الأمر الذي يترتب عليه أن تكون نتائج العلم نهائية مطلقة، وهو ما لا يتفق مع استمرارية مسار التطور العلمي واتصاله عبر العصور. فالموضوعية تعني، بمفهوم أشمل، أن

العلوم الكونية ذات طبيعة عالية، وليس لأصل الإنسان أو نوعه أو ذاتيته أي تدخل في حسم موضوعات العلم.

أما المنهجية العلمية (Scientific Methodology) فهي الطريقة التي يتبعها الباحث معتمداً على خطة واعية بهدف الوصول إلى نتيجة راجحة الصدق واليقين تمثل معرفة علمية جديدة يقاد منها في الحياة. وهذه الخاصية من خصائص التفكير العلمي والبحث في موضوعات العلوم المختلفة هي أساس التقدم العلمي، ولهذا يوصف العلم بأنه «معرفة منهجية»، وبهذا يكون «العلم» مميزاً عن «اللاعلم» الذي يقتصر إلى التخطيط والتنظيم.

والقول بالمنهجية العلمية لا يعني أن للعلم منهجاً واحداً ثابتاً لا يتغير، فهذا فهم لا يعبر عن حقيقة العلم وطبيعة البحث العلمي وتطوره عبر العصور. وإن شئنا مثلاً بوضوح العلاقة بين تطور العلم ومناهجه، فإننا نشير إلى العلم الإغريقي الذي قام على منهج فلسفي يعتمد على تأملات العقل الخالص، ولا يعول على دور الملاحظات والتجارب العلمية. فقد كانت اجتهادات فلاسفة الإغريق مجرد آراء فلسفية ذاتية تختلف من فيلسوف لآخر، ويعتمد ذبوعها وانتشارها على شهرة أصحابها. فهناك مثلاً من كان يعتقد أن الإبصار يتم بخروج الضوء من العين وسقوطه على الجسم المرئي، أو يعتقد بوجود اتصال بين الجسم والعين، وهناك من قال بفكرة انطباع صور الأشياء في العين، دون أن يرد منها شيء للعين، لأن الضوء ليس له وجود في ذاته. لكن كل هذه الآراء لم تخرج عن كونها تأملات فلسفية ذاتية لا

يمكن الوثوق في صحتها دون إخضاعها للاختبار التجريبي.

وكان يمكن أن يظل الوضع على هذه الحال ولا يتقدم العلم خطوة واحدة، لولا علماء الحضارة العربية الإسلامية الذين فطنوا إلى أهمية الملاحظة والتجربة في دفع حركة العلم واستنباط القوانين العلمية الجديدة. فهذا جابر بن حيان كان يوصي تلاميذه بالاهتمام بالتجربة وعدم التعويل إلا عليها، مع التدقيق والملاحظة والاحتياط وعدم التسرع في الاستنتاج، وفي هذا يقول: «وأول واجب أن تعمل وتجري التجارب، لأن من لا يعمل ويجري التجارب لا يصل إلى أدنى مراتب الإتيقان، فعليك يا بني بالتجربة لتصل إلى المعرفة... وهذا هو أبو عبد الله القزويني الذي دعا إلى الصبر والثابرة على البحث العلمي، ونصح المشتغلين بالعلم أن يثبتوا ولا يتعجلوا، فقال: «إياك أن تفتر أو تعتل، إذا لم نصب في مرة أو مرتين، فإن ذلك قد يكون لفقد شرط أو حدوث مانع، فإذا رأيت مغناطيساً لا يجذب الحديد فلا تنكر خاصيته، واصرف عنايتك إلى البحث عن أحواله حتى يتضح لك أمره».

ثالثاً: وثيقان تركزيتان لابن الهيثم

(أ) منطق الكشف العلمي:

أحرز الحسن بن الهيثم قصب السبق في التأكيد على طبيعة العلم بأنه بحث ونقد وتحصيل، ويجب على العالم أو الباحث ألا يسترسل فيه مع سجيته في حسن ظنه بغيره من العلماء، أو في ثقته بنفسه، سواء قبل الشروع في إجراء الخطوات التنفيذية للبحث في ظاهرة ما، أو بعد الوصول إلى النتيجة النهائية الخاصة بالظاهرة

(١) يعرف «الموضوع» بوجه عام بأنه مادة البحث ومسائله، ويطلق وصف «موضوعي» على كل موضوع تتساوى علاقته بجميع المشاهدين برغم اختلاف الزوايا التي يشاهدون منها «العجم الفلسفي» - إصدار مجمع اللغة العربية - القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

نفسها، يقول ابن الهيثم في مقاله «الشكوك على بطليموس» ما نصه:

«الحق مطلوب لذاته، وكل مطلوب لذاته فليس يعنى طالبه غير وجوده، ووجود الحق صعب، والطريق إليه وعمر، والحقائق متعمسة في الشبهات، وحسن الظن بالعلماء في طباع جميع الناس، فالناظر في كتب العلماء، إذا استرسل مع طبعه، وجعل غرضه فهم ما ذكره، وغاية ما أوردوه، حصلت الحقائق عنده هي المعاني التي قصدوا لها، والغايات التي أشاروا إليها. وما عصم الله العلماء من الزلل، ولا حمى علمهم من التقصير والخلل. ولو كان ذلك كذلك لما اختلف العلماء في شيء من العلوم، ولا تفرقت آراؤهم في شيء من حقائق الأمور، والوجود بخلاف ذلك. فطالب الحق ليس هو الناظر في كتب المتقدمين، المسترسل مع طبعه في حسن الظن بهم، بل طالب الحق هو المتنهم لظنه فيهم، المتوقف فيما يفهمه عنهم، المتبع للحجة والبرهان، لا قول القائل الذي هو إنسان، اختصاص في جبلته بضروب الخلل والنقصان. والواجب على الناظر في كتب العلوم، إذا كان غرضه معرفة الحقائق، أن يجعل نفسه خصماً لكل ما ينظر فيه، ويحيل فكره في منته وفي جميع حواشيه، ويخصمه من جميع جهاته ونواحيه، ويتهم أيضاً نفسه عند خصامه فلا يتحامل عليه ولا يتسمح فيه. فإنه إذا سلك هذه الطريقة انكشفت له الحقائق، وظهر ما عساه وقع في كلام من تقدمه من التقصير والشيء»^(٢).

لقد أفصح الحسن بن الهيثم في هذا النص

السراني عن معنى «الشك العلمي» لدى الذات الباحثة، وكأنه بذلك يعبر عن إحدى صور التداخل الذاتي المرغوبة في البحث العلمي بأفضل مما عبر عنه حديثاً فيلسوف العلم «كارل بوبر» في مبدأ «قابلية التكذيب» ومنطق الكشف العلمي^(٣). وتظهر روعة الموضوعية المنهجية، عند ابن الهيثم في أنه يقدم مبدأ الشك في منهج نقدي تجريبي قادر على بلوغ الحقيقة العلمية الجزئية بأكثر قدر ممكن من اليقين. أما «كارل بوبر» الذي يعرف العبارة العلمية بأنها التي يمكن إخضاعها باستمرار لمعيار «الدحض» والتكذيب، وكان الوضعيون يعرفونها بأنها العبارة التي يمكن التثبت منها بالملاحظات التجريبية، فقد اعتبر أن تفسير الملاحظات يقع في النهاية على عاتق المشاهد، ويخضع لميوله وثقافته العلمية والنظرية التي كان يجري تجاربه في ضوءها، وعلى ذلك فمهما كان عدد الملاحظات، ومهما كان التزامن بالاستقراء، فلن يكفي ذلك لتأييد الفروض العلمية الصحيحة، ولكننا، على العكس، لو أخضعنا الفروض العلمية للدحض المستمر، يزداد احتمالها ومحتواها التجريبي وما تخبرنا به عن العالم، فإذا ثبت الفرض أمام الدحض المستمر فقد برهن على صحته، ومن ثم يمكن قبوله مؤقتاً، لكننا لن نتوقف عن محاولة فحصه لدحضه وتكذيبه.

لكن بوبر، في منطقته للكشف العلمي، لا يرى في العلم إلا مجموعة من العبارات التي استقر العمل والاعتراف بها، ولا يمكن أن يدعى أنه قد

توصل إلى الحقيقة، أو حتى ما يشابهها، كان يكون احتمالاً. فنحن - فيما يرى بوبر - لا نعلم، لكننا نخمن فقط. أما الحسن بن الهيثم - بمنطقه الإيمان - فيؤمن «بأن الحق واحد وأن الاختلاف فيه إنما هو من جهة السلوك إليه»، ويرى أنه لا يصل إلى الحق إلا من آراء، يكون عنصرها الأمور الحسية وصورتها العقلية، وعلى هذا الأساس وجه رغبته وحرصه إلى إدراك ما به تنكشف تمويهات الظنون وتنقش غيبات المتشكك المفتون، وبعض عزيمته إلى «تحصيل الرأي القرب إلى الله»^(٤).

(ب) المنهج العلمي التجريبي:

نعلم اليوم أن منهج البحث والتفكير في العلوم الكونية يكون بالاستقراء والتدرج من إدراك الأخص إلى معرفة الأعم، أو من الحكم على البعض أو الجزء إلى الحكم على الكل على سبيل التعميم، وذلك بملاحظة الجزئيات وإجراء التجارب عليها كلما أمكن، ثم الارتقاء إلى نتائج عامة في صورة «قوانين» تضيف جديداً إلى العلم، وتسهم في فهم تصور الإنسان للكون وحسن الاستفادة من ظواهره. وإن شئنا مثلاً بوضع معنى المنهج التجريبي الاستقرائي، أو الطريقة الاستقرائية ودورها في استخلاص القوانين والنظريات، فإن من يجرب تأثير الحرارة على عدد من المواد سوف يجد أن كلاً منها يتمدد بالحرارة، فالتحساس والنيكل والألومنيوم والحديد، كلها قلزات تتمدد بالحرارة، ويمكن بالاستقراء

الوصول إلى تعميم يقضي بأن «كل المعادن تتمدد بالحرارة» فيكون بمثابة «نظرية علمية»^(٥).

وقد سبق الحسن بن الهيثم إلى صياغة هذا المنهج والعمل به في كتابه الشهير «المنظر»، حيث يقول:

«... تبتدى في البحث باستقراء الموجودات، وتصفح أحوال البصريات «المرئيات»، وتمييز خواص الجزئيات، ونلتقط بالاستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار، وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس، ثم ترقى في البحث والمقاييس على التدرج والترتيب، مع انتقاد المقدمات، والتحفظ من الغلط في النتائج، ونجعل في سائر ما تميزه وننتقده طلب الحق لا للبل، مع الآراء، فلعلنا ننسهي بهذا الطريق إلى الحق الذي يثلج به الصدر، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين، ونظفر، مع النقد والتحفظ، بالحقيقة التي يزول معها الخلاف، وتنحسم بها مواد الشبهات. وما نحن من جميع ذلك براء، مما هو في طبيعة الإنسان من كدر البشرية، ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الإنسانية، ومن الله نستمد المعونة في جميع الأمور»^(٦).

بهذه الوثيقة التاريخية «يسجل الحسن بن الهيثم براءة الإبداع للمنهج العلمي التجريبي قبل أن يتحدث عنه «فرنسيس بيكون» في كتابه «الأورجانون الجديد» بعدة قرون.

(١) د. أحمد غزاد باشا، «دراسات إسلامية في الفكر العلمي» - دار الهداية - القاهرة ١٩٩٧م.

(٢) د. أحمد غزاد باشا، «مستقبلات الفيزياء في عالم متغير» - دار الرشاد - القاهرة ٢٠٠٧م. مكتبة الأسرة ٢٠٠٨م.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الحسن بن الهيثم، «الشكوك على بطليموس» - مرجع سابق.

(٥) كارل بوبر، «منطق الكشف العلمي» - الترجمة العربية - دار المعرفة الجديدة - الإسكندرية ١٩٨٨م.

لماذا ظهر التحريم للموسيقى والغناء؟

دكتور محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

وهذا التغيير -تحديدا- الذي أحدثته الزنادقة ببغداد، ليصدوا به الناس عن القرآن الكريم، هو الذي كرهه الإمام أحمد بن حنبل.. ومرجعنا في ذلك -أيضا- ابن تيمية، الذي يقول: إن الإمام أحمد سئل -في بغداد- عن هذا التغيير، فقال: «أكرهه، هو محدث».. أي أنه ليس الغناء الذي عرفه المسلمون منذ صدر الإسلام^(١).

فاختلاف الفتاوى، وتراوحها بين الحل والكراهة والحرم، راجع إلى اختلاف أصناف الغناء.. فهو حلال في ذاته، وككل المباحات تعرض له أحكام الكراهة والحرمه بسبب ما يعرض له ويلحق به -في الكلام واللحن والأداء والمقاصد-.. فليس كله مباحا بإطلاق وتعميم، ولا حراما بإطلاق وتعميم، إنه كلام ولحن وأداء، حسنه حسن وقبيحه قبيح.. ولقد حدد الراشد

تحديدا، للغناء المحرم، إذ المروى عنه أن جوابه إنما كان على سؤال عن الغناء الذي أحدثه الفساق في المدينة.. فلقد سئل عن هذا اللون تحديدا، فقال: «إنما يفعله عندنا الفساق»..

أما الغناء الذي رآه الإمام الشافعي مكروها شبه الباطل، فلقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ/١٢٦٣-١٣٢٨م) إلى نوعه عندما تحدث عن ملايسات هذه الفتوى، فقال: إن الشافعي، بعد أن غادر بغداد إلى مصر، تحدث عن لون من الغناء، أحدثته الزنادقة ببغداد، اسمه «التغيير»، أحدثوه ليصدوا به الناس عن القرآن الكريم.. ونص عبارة ابن تيمية: «قال الشافعي، رضي الله عنه: خلقت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة، يسمونه «التغيير» يصدون به الناس عن القرآن».

الغنيري، عبيد الله بن الحسن الغنيري (١٠٥-١٦٨هـ/٧٢٣-٧٨٥م) -القاضي والفقيه والمحدث- لا يرى به بأسا..

• ولقد روى عن الإمام مالك بن أنس (٩٣-١٧٩هـ/٧١٢-٧٩٥م) تحريم الغناء.. في حين كان قاضي المدينة ومحدثها الزهري، إبراهيم بن سعد (١٨٣هـ/٧٩٩م) لا يرى به بأسا..

• وروى عن الإمام الشافعي، محمد بن إدريس (١٥٠-٢٠٤هـ/٧٦٧-٨٢٠م) أنه مكروه يشبه الباطل.

• وروى عن الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ/٧٨٠-٨٥٥م) في الغناء ثلاث روايات: الحل، والكراهة، والحرمه..

وإذا كان غير معقول ولا وارد تضارب وتناقض الفتاوى عند الإمام الواحد، وفي المذهب الواحد، والعصر الواحد، والمدينة الواحدة، للون واحد من الغناء.. فإن المتبادر إلى العقل الفقهي هو أن تعدد الفتاوى قد نتج عن تعدد ألوان الغناء الذي سئل الفقهاء عن حكمه، فالإفتاء بالحل، أو بأنه لا بأس به كان عن الغناء المباح.. والتحريم كان للغناء المحرام.. والكراهة كانت للغناء المكروه..

ويشهد لذلك أن تحريم الإمام مالك إنما كان،

في الموقف الفقهي من الموسيقى والغناء.. حلال أم حرام؟.. وقف «فقه الجمود والتقليد» في عصر تراجعنا الحضاري -عند الفتاوى التي حرمت الغناء المأجور، فعمم هذه الفتاوى على جميع ألوان الموسيقى والغناء!.. ثم ذهب فقهاء الجمود والتقليد، ليدعموا هذا الخطأ النهجي فاستندوا إلى مرويات ساقطة، بمنطق «الرواية» و«الدراية» جميعا، تؤكد على هذا التحريم، بإطلاق وتعميم..

تلك هي الأسباب التي أحدثت اللغط، فجعلت الغناء عند البعض حراما بإطلاق، وأخرجته من الحلال المباح في ذاته، والذي تعرض له الحرمه أو الكراهة أو الندب أو الوجوب بسبب ما يعرض له من المقاصد والملايسات..

الفتاوى

فلقد روى عن كثير من فقهاء الأمة الفتاوى المتعارضة في حكم الغناء، في العصر الواحد، والمذهب الواحد، والمدينة الواحدة.. بل وروى عن الفقيه الواحد الفتاوى المتناقضة في حكم الغناء، إباحة وكراهة وتحريم..

«قروى عن الإمام أبي حنيفة النعمان (٨٠-١٥٠هـ/٦٩٩-٧٦٧م) كراهة الغناء.. بينما

(١) الشافعي (الاعتصام) ج١ ص ٢٧٢، تحقيق: الشيخ محمد رشيد رضا، طبعة -مصورة- مكتبة أنس بن مالك -القاهرة سنة ١٩٨٠م والقرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج١ ص ١٤، طبعة دار الكتب المصرية -القاهرة. وابن تيمية (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) ج١١ ص ٥٦٩، طبعة الملكة العربية السعودية.

الفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - هذا المعيار عندما قال للإمام الذي إذا فرغ من صلاته تقنى: «إن كان كلامك حسناً قلته معك، وإن كان قبيحاً نهيتك عنه... فلما سمعه، ورآه حسناً، غنى به عمر، وقال: «على هذا فليغن من غنى».

لكن آفة الاجتزاء، ثم التعميم والإطلاق لهذا الاجتزاء، وإهمال السياقات والملابسات، هي التي نشوه فقه الفقهاء!..

الروايات المحرمة للغناء

أما الروايات والمأثورات التي تحرم الغناء والمعارف، فلقد ثبت بمقاييس الرواية ومعايير الجرح والتعديل للرواة، أن جميعها مطعون فيه، وليس فيها حديث واحد صحيح... ومع ذلك روجها وأشاعها واستخدمها الذين لا ذرية لهم بصناعة الحديث ومقاييس صحته، من الذين وصقهم الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر (٤٤٨-٥٠٧هـ-١٠٥٦-١١١٣م) - ابن القيسراني - صاحب (تذكرة الموضوعات) و(أطراف الكتب الستة) و(الجمع بين كتابي الكلاباذي والأصبهاني في رجال الصحيحين) - عندما تحدث عن هذه الروايات فقال: «هذه الأحاديث وأمثالها احتج بها من أنكر السماع - (الغناء) - جهلاً منهم بصناعة علم الحديث ومعرفة، فترى الواحد منهم إذا رأى حديثاً مكتوباً في كتاب جعله لنفسه مذهباً، واحتج به على مخالفه، وهذا غلط عظيم، بل جهل جسيم»^(٢).

(٢) التويرى (نهاية الأرب) ج ١ ص ١٤٧-١٦١ طبعه دار الكتب المصرية القاهرة.

ابن حزم

ولقد عرض ابن حزم الأندلسي (٣٨٤-٤٥٦هـ-٩٩٤-١٠٦٤م) - وهو طاهري المذهب، بضاعته النصوص، وعمدة في نقد الروايات - عرض لهذه «الأحاديث» في رسالته (رسالة في الغناء الملهي أباح هو أم محظور)؟ وفي كتابه (المحلى)، فانتقد أسانيد جميع هذه الروايات تفصيلاً... ولقد اتفق معه في نقد أسانيد هذه الروايات علماء الجرح والتعديل، من مثل الحافظ الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ-١٢٧٤-١٣٤٨م) - صاحب (ميزان الاعتدال) - وابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ-١٣٧٢-١٤٤٩م) - صاحب (لسان الميزان) -... فقال ابن حزم في سند هذه المأثورات:

١- حديث السيدة عائشة، رضى الله عنها، عن النبي، ﷺ، أنه قال: «إن الله حرم المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها»^(٣).

في رواية هذا الحديث «سعيد بن أبي رزين، عن أخيه... وكلاهما لا يدري أحد من هما».

٢- حديث محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، عن النبي، ﷺ، أنه قال: «إذا عملت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء» ومنها: «واتخذت القينات، والمعارف»^(٤).

«جميع رواية هذا الحديث إلى يحيى بن سعيد لا يدري من هم ويحيى بن سعيد لم يرو عن محمد بن الحنفية كلمة، ولا أثره».

(١) تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ص ١٩٨.

٣- حديث معاوية: «أن رسول الله، ﷺ، نهى عن تسع... منهن الغناء»^(٥).

في رواية هذا الحديث «كيسان، ولا يدري من هو، ومحمد بن مهاجر، وهو ضعيف... وفي هذا الحديث النهي عن الشعر، والأمة مجمعة على إباحته... ولقد كان سلاحاً من أسلحة الدعوة الإسلامية منذ عصر النبوة...»

٤- حديث سلام بن مسكين، عن شيخ شهيد ابن مسعود يقول: «الغناء ينبت التفاف في القلب».

في رواية هذا الحديث شيخ لم يسم، ولا يعرفه أحد.

٥- حديث أبي أمامة: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «لا يحل تعليم المغنيات ولا شراؤهن ولا بيعهن ولا اتخاذهن، وثمنهن حرام، وقد أنزل الله ذلك في كتابه».

وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهَا الْكَحْبِثَ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

(لقمان: ٦)

والذي نفسى بيده ما رفع رجل عقيرته بالغناء إلا ارتدقه^(٦) شيطانان يضربان بأرجلهما صدره وظهره حتى يسكت».

(٥) للرجع السابق، ٢٢٦/٨.

(٦) ارتدقه: ركب وراءه، وأخذ من وراءه.

(٧) المعجم الكبير للثوري ج ٨ ص ٢٤٢.

(٨) حجر يكسر الحاء، وتشديد الراء - والأولى تخفيفها - معناه: الفرج - وأصله: حرج - أي يستحلون الزنا.

(٩) الحديث السند: هو ما اتصل إسناداً إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

(١٠) السلسلة الضعيفة للألباني.

في رواية هذا الحديث «إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف، والقاسم، وهو مثله، ضعيف ثم، إذا كان الغناء حراماً، فلم تصرب الشياطين المغنى، بدلاً من أن تفرح بمعصيته؟!..»

(أ) أن رسول الله، ﷺ، قال: «إن المغنى آذنه بيد شيطان يرعشه حتى يسكت».

(ب) وأنه قال: «إن الله حرم تعليم المغنيات وشراؤهن وبيعهن وأكل أثمانهن»^(٧). وأحاديث عبد الملك كلها هالكة.

٨- حديث البخاري: «ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر»^(٨) والخمر والخمر والمعارف».

لم يورده البخاري مستنداً^(٩)، وإنما قال فيه: قال هشام بن عمار: ثم هو إلى أبي عامر، أو إلى أبي مالك، ولا يدري أبو عامر هذا.

وأنا أضيف إلى القدر في إسناده هذا الحديث، أنه يتكلم عن قوم يستحلون الزنا والخمر، ويقرنون مجالس الزنا والخمر هذه بالمعارف، التي أصبحت عوناً على الكبائر والفواحش... فليست المعارف هنا مفردة، ولا مرادة لذاتها.

حديث لرواة مجهولين!!

٩- حديث أنس، قال رسول الله، ﷺ،: «من استمع إلى قينة صبت في أذنه الآنك يوم القيامة»^(١٠).

أما هذا الحديث «فبليّة» لأنه عن قوم مجهولين.. ومن رواه أبو نعيم - عبيد بن محمد - وهو ضعيف.. وهو يروي عن ابن المبارك، ولم يبلغه.. وفيه مالك، وهو منكرو جدا.. ومالك هذا يروي عن ابن الكندي مرسلا.

١٠ - حديث ابن شعبان.. عن ابن عباس، رضى الله عنهما، في قول الله عز وجل:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾

(قال: الغناء).

وأحاديث ابن شعبان هالكة.

ثم.. إنه مع التسليم بأن المراد باللهو هنا الغناء، فهو ليس مطلق الغناء، ولا كل الغناء، وإنما هو الغناء الذي يتخذه المشركون ليضلوا به عن سبيل الله، وليتخذوا سبيل الله هزوا.. فحرمته ليست لذاته وإنما لتوظيفه في الإضلال عن سبيل الله.. وكل ما يضل عن سبيل الله حرام حتى ولو كان واجبا أو مندوبا في ذاته..

١١ - حديث ابن أبي شيبه.. عن أبي مالك الأشعري، أنه سمع رسول الله، ﷺ، يقول: «يشرب ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، تضرب على رؤوسهم المعازف والقينات، يخسف الله بهم الأرض» (١١).

في رواية هذا الحديث «معاوية بن صالح، وهو ضعيف، ومالك بن أبي مريم، ولا يدرى من هو».. وأنا أضيف إلى نقد ابن حزم للسند: أن

المعازف والقينات هنا قد وظفت في مجلس الخمر، فأصبحت عوناً على مقارفة الكبائر والخبائث، فحرمتها لما عرض لها، وليس لذاتها إذا هي وظفت في الشرويح البريء عن النفس والقلب، وتجديد ملكات وطاقات الإنسان لتزداد كفايته في النهوض برسالته في عمران الحياة الدنيا..

١٢ - حديث: «نهى ﷺ عن صوتين ملعونين، صوت نائحة، وصوت مغنية» (١٢). وهو حديث لا يدرى من رواه.

١٣ - حديث عقبة بن عامر الجهني: «قال رسول الله، ﷺ: كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا رمي الرجل بقوسه، أو تأديه فرسه، أو ملاعبته امرأته، فإتھن من الحق» (١٣).

وفي رواية هذا الحديث عبد الله بن زيد بن الأزرق، وهو مجهول.. وللحديث طريق آخر، في رواه: خالد بن زيد، وهو مجهول..

وأنا أضيف إلى نقد ابن حزم للسند: أن الحديث لا يحصر اللهو الحق في هذه الثلاثة، وإنما يقول: إنها «من الحق»، ولم يقل إنها كل الحق، أو جميعه - وفي الحديث الآتي يجعلها أربعة، لا ثلاثة! - ويغايير فيها.

وحديث مغشوش

١٤ - حديث: «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لعب لا يكون أربعة: ملاعبة الرجل

امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغمرضين» (١٤)، وتعليم الرجل السباحة» (١٥).

وهذا الحديث «مغشوش مدلس دلسة سوء» لأن الزهري المذكور في رواه ليس هو ابن شهاب، لكنه رجل زهري مجهول اسمه عبد الرحمن.

ولهذا الحديث طريق آخر، في رواه: عبد الوهاب بن بخت، وهو غير مشهور بالعدالة.

ثم إن هذا الحديث ليس فيه تحريم.. فاللعب - كما في هذه الرواية - «السهر واللغو» - كما في روايته الأخرى - غير التحريم.. بل إن استثناء هذا الحديث لأربعة أنواع من اللعب، واستثناء الحديث السابق لثلاثة أنواع من اللهو، دليل على أن الحصر غير مراد..

١٥ - حديث عائشة، رضى الله عنها: قال رسول الله، ﷺ: «من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه» (١٥).

في رواية هذا الحديث: هاشم، وعمر، وهما مجهولان.. ومكحول لم يلق عائشة.

وأنا أضيف إلى نقد ابن حزم للسند: أن هذا الحديث «يكفر بالمعصية، فيجعل اقتناء المغنية مخرجا من الملة، يستوجب عدم الصلاة على صاحبها بعد موته - وهو ما ترفضه كل فرق أهل السنة والجماعة..

١٦ - حديث عبد الله بن عمر: قال رجل: يا رسول الله، لى إبل فأحدو فيها؟ قال: «نعم». قال: أفأغنى فيها؟ قال: «اعلم أن المغنى أذنائه بيد شيطان يرغمه حتى يسكت».

في رواية هذا الحديث عبد الملك، وهو هالك. والعمرى الصغير، وهو ضعيف.

وأنا أضيف إلى نقد ابن حزم للسند: أن معنى هذا الحديث «غير مستقيم، وتنزه عنه بلاغة الرسول، ﷺ، فصحة العبارة كانت تقتضى أن الشيطان يمسك بقم المغنى حتى يسكت، لأن القم هو أداة الغناء، لا أذنائه، فليستا أداة الغناء!.. ثم لم يغضب الشيطان من المغنى حتى يسكت.. بينما العكس هو المنطقي!..

تفنيق يشى بالفضلة

١٧ - حديث أبي هريرة: قال رسول الله، ﷺ: «يمسخ قوم من أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير» قالوا: يا رسول الله، يشهدون أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله؟ قال: «نعم، ويصلون ويصومون ويحجون». قالوا: فما بالهم يا رسول الله؟ قال: «اتخذوا المعازف والقينات والدقوف، ويشربون هذه الأشرية، فبانوا على لهوهم وشراهم فأصبحوا قردة وخنازير» (١٧).

هذا الحديث مروي عن رجل لم يسم، ولم يدر من هو.

وعلاوة على نقد ابن حزم للسند.. فهذا

(١٤) الغرض: هو الهدف.

(١٥) مجمع الزوائد للهيتمي: ٢٦٩/٥.

(١٦) الدر الثمور: ٢٢٤/٢.

(١١) مصنف ابن أبي شيبه: ٤٦٥/٧.

(١٢) تحريم آلات الطرب للآبائي.

(١٣) المعجم الكبير للطبراني ج ١٧ / ٢٤٦.

(١٦) القرطبي: ١٤ / ٤١.

«الحديث» لا يتسق مضمونه مع ثوابت عقائد الإسلام، فالذي يحيط بالإيمان والعمل الصالح، في الإسلام، هو الشرك والكفر والردة، وليس اقتراف المعصية.. وفي ألفاظ «الحديث» تلفيق يشي بالغفلة، لأنه يضع «الدخوف» بين المحرمات، بينما الإجماع منعقد على حلها، حتى من الذين يحرمون أدوات الموسيقى الأخرى.. وأخيراً، فهذا المأثور يتحدث عن توظيف المعارف والقينات والدخوف في تهيئة مجالس الخمر التي تدوم حتى الصباح، فتحرمتها هنا لما عرض لها من المقاصد والوظائف المحرمة، وليس لذاتها..

١٨- حديث أبي أمامة: قال رسول الله، ﷺ: «تبيت طائفة من أمتي على لهو ولعب، وأكل وشرب، فيصبحوا قردة وخنازير، يكون فيها خسف وقذف، ويبعث على حي من أحيائهم ريح فتسقمهم كما نسفت من كان قبلهم باستخدامهم الحرام، وليسهم الحرير، وخرابهم الدخوف، واتخاذهم القينات» (١٨).

تفسير يعارض الأحاديث النبوية الشريفة

في رواية هذا الحديث: الحارث بن نبهان، وهو لا يكتب حديثه. وفرقد السبخي، وهو ضعيف. وسليم بن سالم، وحسان بن أبي سنان، وعاصم بن عمر، وهم غير معروفين.

وعلاوة على نقد ابن حزم لسند هذا «الحديث»، فإن في منته تخليطاً كبيراً.. فهو يتحدث عن قوم يستحلون المحرمات، وهذا كفر يخرج أصحابه من الملة، بينما هو يتحدث عن

طائفة من أمة محمد، ﷺ!.. ثم هو يضع الأكل والشرب والدخوف في سياق الكبائر المحرمة، وهذا مما لم يقل به عاقل.. ثم هو ينسب إلى رسول الله، ﷺ، التنبؤ بهلاك طائفة من أمة - أي من المؤمنين - بما هلكت به الأمم السابقة، الذين أشركوا وطغوا وبغوا.. وهذا العقاب مما رحم الله منه أمة محمد، ولم يقع فيها على كثرة ما ارتكب فيها من الأعمال التي أشار إليها «الحديث»..!

١٩- حديث أبي أمامة: قال رسول الله، ﷺ: «إن الله بعثني رحمة للعالمين، وأمرني بمحو المعارف، والمزائير، والأوثان، والصلب، لا يحل بيعهن ولا شراءهن ولا تعليمهن ولا التجارة بهن وثمانهن حرام» (١٩).

في رواية هذا الحديث القاسم، وهو ضعيف. ٢٠- أما التفسير المنسوب إلى عدد من المفسرين للقرآن الكريم، والقائل إن المراد باللهو في الآية:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ

(لقمان: ٦)

هو الغناء.. ففضلاً عن ما في هذا التفسير من تعارض مع الأحاديث النبوية الصحيحة التي جاء فيها الكلام عن «الغناء» باسم «اللهو» - ما كان معكم لهو؟.. فإن الأنصار يعجبهم اللهو.. هل من لهو؟.. قد رخص لنا في اللهو عند العرس - فإن ابن حزم يراه مجرد تفسير مفسرين، وليس حديثاً عن رسول الله، ﷺ، ولا ثبت عن

أحد من الصحابة، وإنما هو قول بعض المفسرين، ممن لا يقوم بقوله حجة، وما كان هكذا لا يجوز القول به، ثم لو صح هذا التفسير لما كان فيه متعلق، لأن الله تعالى يقول - في الآية - عن مقاصد اتخاذ هذا اللهو:

يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

وكل شيء يقتضي ليضل به عن سبيل الله فهو إثم وحرام، ولو أنه شراء مصحف أو تعليم قرآن..

إنما الأعمال بالنيات

هكذا أورد ابن حزم - وهو الخبير بالحجة في نقد النصوص - كل ما يتعلق به دعة تحريم الغناء من الرويات، وأبرز عللها، فأسقط حجيتها عندما أثبت افتقارها إلى شروط الثبوت..! ثم عقب على كل ذلك بقوله: «ولا يصح في هذا الباب شيء أبداً، وكل ما فيه فموضوع. والله لو أسند جميعه أو واحد منه فأكثر من طريق الثقات إلى رسول الله، ﷺ، لما ترددنا في الأخذ به.. فلا حجة في هذا كله لوجوه:

- أحدها: أنه لا حجة لأحد دون رسول الله، ﷺ.
- والثاني: أنه قد خالف غيرهم من الصحابة والتابعين - (الذين زروا جل الغناء، في أحاديث صحيحة.. واستمعوا له واستمتعوا به) -
- والثالث: أن نص الآية -

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ

يبطل احتجاجهم بها، لأن فيها:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَتَّخِذُهَا هُزْواً أَوْ لَهْواً
عَذَابٌ شَدِيدٌ

(لقمان: ٦)

وهذه صفة من فعلها كان كافراً بلا خلاف، إذ اتخذ سبيل الله هزواً. ولو أن امرءاً اشترى مصحفاً ليضل به عن سبيل الله ويتخذها هزواً لكان كافراً. فهذا هو الذي ذم الله تعالى، وما ذم قط، عز وجل، من اشترى لهو الحديث ليتلهى به ويروح نفسه، لا ليضل عن سبيل الله تعالى، فبطل تعلقهم بقول كل من ذكرنا.

وكذلك من اشتغل عامداً عن الصلاة بقراءة القرآن، أو بقراءة السنن، أو بحديث يتحدث به، أو ينظر في ماله، أو بغناء، أو بغير ذلك فهو فاسق عاص لله تعالى، ومن لم يضع شيئاً من القرائن اشتغالا بما ذكرنا فهو محسن.

إن رسول الله، ﷺ، قال: «إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى» (٢٠)، فمن نوى باستماع الغناء عوناً على معصية الله تعالى فهو فاسق، وكذلك كل شيء غير الغناء، ومن نوى به ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل، وينشط نفسه بذلك على البر، فهو مطيع محسن، وفعله هذا من الحق. ومن لم ينو طاعة ولا معصية، فهو لغو معفو عنه، كخروج الإنسان إلى بستانه متنزهاً، وقعوده على باب داره

(١٨) مسند الإمام أحمد ج ٤ ص ٢٥٩ بلفظ مقارب فيه تقديم وتأخير.

(١٩) مسند الإمام أحمد ٢/٢٦٨.

(٢٠) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

قصيدة العدد

كن جميلاً ترى الوجود جميلاً

فلسفة الحياة

من روائع الشاعر المهجري، إيليا أبو ماضي

أبْهَذَا الثَّأْكِي وَمَا بَكَ دَاءٌ
كَيْفَ تَغْدُو إِذَا غَدَوْتَ عَلَيَّ لَا؟
إِنْ شَرَّ الْجَنَّةِ فِي الْأَرْضِ نَفْسٌ
تَتَوَقَّى، قَبْلَ الرَّحِيلِ، الرَّحِيلَا
وَتَرَى الثَّوْلُوكَ فِي الْوَرُودِ، وَتَعْمَى
أَنْ تَرَى فَوْقَهَا الثَّدْيَ إِكْلِيلَا
هُوَ عَبْدٌ عَلَى الْحَيَاةِ ثَقِيلٌ
مَنْ يَظُنُّ الْحَيَاةَ عَبْدًا ثَقِيلَا
وَالَّذِي نَفْسُهُ بِغَيْرِ خِمَالٍ
لَا يَرَى فِي الْوُجُودِ شَيْئًا جَمِيلَا
لَيْسَ أَشْفَى مِنْ بَرَى الْعَيْشِ مُرًّا
وَيَظُنُّ اللَّذَاتِ فِيهِ قُطُوبَا
أَحْكُمُ النَّاسِ فِي الْحَيَاةِ أَنَا
عَلَّلُوها فَأَحْمَنُوا التَّعْلِيلَا
فَنَمْنَعُ بِالصُّبْحِ مَا دُفِنَ فِيهِ
لَا تَخَفْ أَنْ يَزُولَ حَسَنِي يَزُولَا
وَإِذَا مَرَّ أَظْلُ رَأْسِكَ هَمٌّ
فَصَرِّ الْبَحْثِ فِيهِ كَيْلَا يَطُولَا
أَدْرَكَتْ كُنْهَهَا طَيُّورُ الرُّوَابِي
فَمِنْ الْعَارِ أَنْ تَظَلَّ جَهْلَا
مَا تَرَاهَا - وَالْحَقْلُ مِلْكُ مَرَاهَا
تَجِدْتَ فِيهِ مَرْحًا وَمَقِيلَا

والمناسك العبادية، التي هي توقيفية، وكل ما لم يرد فيها دين وشرع فهو رد - إذا كان هذا كافياً في حل الغناء وإباحته، كما هو كافٍ في السياسة - مثلاً - التي تكتسب حلها - بل وشرعيتها - من عمد مخالفتها لما ورد، وليس من ورودها عن الشارع - كما قال الإمام السلفي أبو الوفاء ابن عقيل البغدادي (٤٣١ - ٥١٣ هـ - ١٠٤٠ - ١١١٩ م) في مناظرته لأحد فقهاء الشافعية - وهي المناظرة التي نقلها الإمام ابن قسيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ - ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م): «فالساسة العادلة هي ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يشرعه الرسول ولا نزل به وحى... وهي شرعية لأنها لم تخالف ما نطق به الشرع، لا لأن الشرع قد نطق بها...» (٢٢).

إذا كان كافياً في حل الغناء، وإباحته في ذاته، عدم مخالفتها لما ورد عن الشارع - وهو ما ثبت بسقوط وتجريح أسانيد المرويات التي تحدثت عن التحريم، والتي «شغب» بها دعاة التحريم - كما يقول ابن حزم -... فما بالناس وقد صحت عن رسول الله ﷺ، الأحاديث التي أباحت الغناء، واستحبته، والممارسات التي وضعت تلك السنن في التطبيقات بمجتمع النبوة وصدر الإسلام؟!!

متفرجاً، وصباغة ثوبه لا زوردياً (٢١) أو أخضرًا أو غير ذلك، ومد ساقه وقبضها، وسائر أفعاله. فبطل كل ما شغبوا به بطلاناً متيقناً، والله تعالى الحمد، وما نعلم لهم شبهة غير ما ذكرناه (٢٢).

وإذا كان الإمام البخاري قد عقد في صحيحه لهذا الموضوع، باباً جعل عنوانه «كل لهر باطل إذا شغله عن طاعة الله»، فمعنى ذلك أن اللهر - أي الغناء... كلاماً ولحناً وأداءً - الذي لا يشغل عن طاعة الله ليس باطلاً، ومن باب أولى ليس مكروهاً ولا حراماً... وإنما هو من المباحات..

أدلة التحريم والسياسة العادلة

وإذا كان سقوط «أدلة» التحريم، بتجريح أسانيد مروياتها، كافياً في البرهنة على إباحة الغناء - حتى ولو لم يرد عن الشارع سنن في الإباحة، وتطبيقات عملية لهذه السنن، لأن الغناء - كغيره - من الناشط الدنيوية الداخلية فيما هو متجدد ومتغير من الإبداعات الإنسانية... أي أنها نشاط دنيوية، لا شعائر دينية - يكفي في حلها وإباحتها ألا تخالف ما جاء به الشارع، ولا يشترط لهذه الإباحة وهذا الحل أن تكون مما جاء به الوحي ونطق به الشارع - كما هو الحال في الشعائر الدينية

(٢١) التور للزوردي: هو الأزرق الضارب إلى الحمرة والخضرة - وهو لون معن للزوردي -

(٢٢) انظر تفصيل ذلك - لابن حزم الأندلسي - في (رسالة في الغناء لله)، مباح هو (محققاً) ص ٤٢ - ٤٣. تحقيق: د. إحسان عباس - ضمن الجزء الأول من «رسائل ابن حزم» طبعة بيروت سنة ١٩٨٠م. و(الطلي) المسألة رقم ١٥٦٥ طبعة القاهرة - الأولى -

(٢٣) (إعلام الموقعين) ج ١ ص ٣٧٢، ٣٧٥ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م. و(الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية) ص ١٧، ١٩، ٢٠. تحقيق: د. جميل غلزي - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م.

تَتَفَنَّى، وَالصَّقْرُ قَدْ مَلَكَ الْجَوَّ
تَتَفَنَّى، وَقَدْ رَأَتْ بَعْضُهَا يُؤْ
تَتَفَنَّى، وَعَمَرَهَا بَعْضُ عَامٍ
فَهِيَ قُرُوقُ الْفُصُوفِ فِي الْفَجْرِ تَتَلَوُ
وَهِيَ طُورًا عَلَى الشَّرَى وَاقِعَاتُ
كَلَمًا أَمْسَكَ الْفُصُوفُ مَكُونُ
فَإِذَا ذَهَبَ الْأَصْبَلُ الرُّوَابِي
فَاظْلُبِ اللَّهُمَّ مَثَلًا تَطْلُبُ الْأَطْ
وَتَعْلَمُ حُبَّ الطَّبِيعَةِ مِنْهَا
فَالَّذِي يَتَفَنَّى الْعَوَاذِلَ يَلْقَى

أَنْتَ لِلْأَرْضِ أَوْلَا وَأَخْيَرَا
لَا خَلُودَ تَحْتَ السُّمَمَاءِ حَيَّ
كُلُّ نَجْمٍ إِلَى الْأَفْسُولِ وَلَكِنْ
غَايَةُ النُّورِ فِي الرِّيَاضِ ذُبُولُ
وَإِذَا مَا وَجَدْتَ فِي الْأَرْضِ ظِلًّا
وَتَوَقَّعْ، إِذَا السَّمَاءُ أَكْفَهَرَتْ
قُلْ لِقِسْمٍ يَسْتَنْزِفُونَ الْمَاقِي
مَا أَتَيْنَا إِلَى الْحَيَاةِ لِنَتَفَنَّى

فَارْيَحُوا، أَهْلَ الْعَقُولِ، الْعَقُولَا

كُلُّ مَنْ يَجْمَعُ الْهَمَمُومَ عَلَيْهِ
كُنْ هَزَارًا فِي عُشِّهِ يَتَفَنَّى
لَا غُرَابًا يَطَارِدُ الدَّوْدَ فِي الْأَرِ
أَخَذَتْهُ الْهَمَمُومُ أَخَذًا وَبِيلَا
وَمَعَ الْكَيْلَ لَا يَبَالِي الْكَيْلُ وَلَا
مِنْ يَوْمًا فِي اللَّيْلِ يَبْكِي الطُّلُولَا

كُنْ غَدِيرًا يَسِيرُ فِي الْأَرْضِ رَقْرَا
تَسْتَحِمُّ النُّجُومُ فِيهِ وَيَلْقَى
لَا وَعَاءَ يُقْبِلُ الْمَاءَ حَتَّى
قَالَ فَيَتَفَنَّى مِنْ جَانِبَيْهِ الْخَقُولَا
كُلُّ شَخْصٍ وَكُلُّ شَيْءٍ مِثْلُهَا
تَسْتَحِيلُ الْمِيَاءَ فِيهِ وَحُولَا

كُنْ مَعَ الْقَجَرِ نَسَمَةً تَوْسِعُ الْأَرْ
لَا مَمُومًا مِنَ السَّوَاغِي اللَّوَاتِي
وَمَعَ اللَّيْلِ كَوْنًا يُؤْنِسُ الْغَا
لَا دَجَى يُكَرِّهُ الْعَمْرَ وَالْمَ وَالنَّ
هَارَ شَمًّا وَتَارَةً تَقْبِيبَا
تَمَلُّ الْأَرْضَ فِي الظَّلَامِ غَمْرَا
بَاتَ وَالتَّهَيَّرَ وَالرَّيْىَ وَالشَّهْرَا
مِنْ فَيَلْقَى عَلَى الْجَمِيعِ مَدُولَا

أَبْهَذَا الشَّاكِي وَمَا بَكَ دَاءُ
كُنْ جَمِيلًا تَرَى الْوُجُودَ جَمِيلَا

تنويه

وقع خطأ فني غير مقصود بمقال «مستقبل الحوار في ظل الإساءات المتكررة إلى الإسلام»
لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف ص ١١٠٣ حيث سقطت الآية القرآنية المشار إليها برقم
(٢٥٨) من سورة البقرة لذا لزم التنويه.

﴿ فَتَشْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْنَاءَاتُ الْقُرَاءِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين
اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ١٨١ لسنة ٢٠٠٨م المتضمن: أنه وردت أسئلة إلى الإدارة العامة للمجلة، للإجابة عنها في باب استفتاءات القراء.

رأب الزوجة

● هل يجوز لزوجي أن يجبرني على المساهمة بحزء من رأبي في النفقات اللازمة للأسرة؟

●● الجواب: من المقرر شرعاً أن الزوجة لا يجوز لها العمل إلا بإذن زوجها، فإن خرجت وعملت بدون إذنه الصريح أو الضمني كانت عاصية؛ لأن الحقوق الزوجية متعاقبة؛ إذ عليه الإنفاق وعليها الاحتباس في منزل الزوجية، وقد قال الله تعالى:

﴿الزَّوْجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَتَحَلَّ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ قَالَ فَضْلاً حَسْبُ قَتْنَتْ حَفِظْتُ لِنَفْسِي بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَحْلُونَ تَحْلُونَ قَطُّوهُنَّ قَطُّوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَعْصُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾
النساء: ٣٤

ولا يقدح هنا في الحق المقرر للمرأة في العمل المشروع وأن لها شخصيتها وذمتها المالية متى كانت بالغة عاقلة؛ لأن الزوجة بعقد النكاح قد التزمت بواجبات شرعية تجاه أسرتها لا يجوز لها التفريط فيها، وقد قدمها الشرع على التواقل حتى جعل من حق الزوج أن يمنع زوجته من صلاة التواقل وصومها مع أنها عبادة مشروعة.

فإذا أذن الزوج في العمل صراحة أو ضمناً جاز لها ذلك، والإذن الصريح يتمثل في أن يعلم الزوج زوجته به، والإذن الضمني أن تعمل دون اعتراض منه أو بتزوجها علماً بعملها.

وكما أن الزوج هو الذي له حق الإذن في عمل الزوجة خارج البيت، فإن الفقهاء جعلوا له كذلك حق

إلغاء هذا الإذن ومنع الزوجة من الاستمرار في العمل إلا إذا كان هناك التزام عليها في هذا العمل التزم به نفسها قبل الزواج فإن الزوج لا يملك حينئذ منعها منه، وصرح الشافعية والحنابلة بأن للمرأة أن تخرج للإرضاع إن كانت أجرت نفسها له قبل عقد النكاح ثم تزوجت لصحة الإجارة، ولا يملك الزوج فسخها ولا منعها من الرضاع حتى تنقضي المدة؛ لأن منافعتها ملكت بعقد سابق على نكاح الزوج مع علمه بذلك.

وهذا المعنى هو الذي أخذ به القانون عندما قيد هذا الحق للزوج وجعل من إذن الزوج للزوجة بالعمل خارج المنزل إذناً ملزماً للزوج يدوم بدوام العلاقة الزوجية بينهما حقاً، مكفولاً لها، فإذا طلب منها بعد ذلك الامتناع عن العمل فلم تحتل فإنها لا تعد ناشزاً ولا تسقط نفقتها؛ لأنه رضى بهذه الصورة من الاحتباس وأسقط حقه فيما زاد عليها، إلا إن كان عملها هذا منافياً لمصلحة أسرتها أو مشوباً بإساءة استعمال هذا الحق حيث نصت الفقرة الخامسة من المادة الأولى من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠م «العدالة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥م، على أنه: لا يعتبر سبباً لسقوط نفقة الزوجة خروجها من مسكن الزوجية - دون إذن زوجها - في الأحوال التي يباح فيها ذلك بحكم الشرع

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

تأمر به نص أو جرى به عرف أو قضت به ضرورة، ولا خروجها للعمل المشروع ما لم يظهر أن استعمالها لهذا الحق الشروط مشوب بإساءة استعمال الحق أو منافاً لمصلحة الأسرة وطلب منها الزوج الامتناع عنه، أ. هـ، وهذا الذي استقرت عليه المحاكم الشرعية.

ومن العلوم أن حكم الحاكم يرفع الخلاف وأن لولي الأمر تقييد المباح، وله أن يتخير في الأمور الاجتهادية ما يراه محققاً للمصلحة، والعمل بذلك حيثما واجب والخروج عنه حرام؛ لأنه من قبيل الاقتيات على الإمام.

وبناء على ذلك وفي واقعة السؤال: فإن كانت الزوجة قد انتظمت في عمل مباح بإذن زوجها الصريح أو الضمني - على ما سبق بيانه - ولم يكن هذا العمل منافياً لمصلحة أسرتها أو مشوباً بإساءة استعمالها لهذا الحق فلا حق له حينئذ في مربيها وليس له أن يجبرها على المشاركة في مصاريف البيت بغير رضاها؛ لأن لها شخصيتها وذمتها المالية المستقلة، فإن لم تكن قد عملت ولم يكن قد أذن لها في العمل يعد وأراد أن يجعل إذنه مقابل شيء من دخلها فله ذلك، فإن أثبت فله الحق في عدم الإذن لها. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الأسوة التربوية في الرسائل الحمدية

للاستاذ / محمد مصطفى البسيوني

من البديهييات الفطرية التي تلحج فيهما الذات بالموضوع مباشرة دون حاجة إلى برهان للتأكيد، أو سلطان للتأييد، حقيقة أن كل ما يصدر عن الأسوة احمدية الحسنة هو بدوره أسوة كذلك ينبغي السير على مثاله والنسج على منواله، وقد صدق الحق عز وجل الذي عرض عبده المصطفى ﷺ على العالمين كنموذجاً^(١) متفرد بين خلقه تنجيه إليه آمال الخبيث وأعمال الخاشعين للناسي والاقتداء به في كل صغيرة وكبيرة تعرض لهم في دينهم ودنياهم.

وهذه نحة من نحات الرحمة الإلهية التي امتزجت بالكيان احمدي الشريف حتى لا يتوه البشر في البحث عن مثال يحتذونه في أفعالهم بما يرضى الخالق سبحانه في حركتهم الدنيوية حتى يطمئنوا إلى الثمار المرجوة في حياتهم الآخروية، فجعل عز وجل هذا الكيان المصطفى والمثال المختار ﷺ قرآناً مقروءاً يظهر أوراخهم وملهموسا يعيش بين ظهرانيهم يترسمون خطاه ويتأثرون فكره وحر كته، وليس لهم من عذر ألا يفعلوا فعله أو يترسموا قوله لأنه من قبل ومن بعد رجل «من أنفسهم»، كما أنه ﷺ من قبل ومن بعد «بشر مثلهم» زوده الله عز وجل بالمثال الحي المتجسد أمامهم حتى يسهل عليهم أن يصدقوه فيما «يوحى إليه» فيتحول التصديق إلى توثيق وتحقيق.

انبهار العقلاء وانبهار الجهلاء

ومن هنا أراد المولى جل وعلا أن يكون انبهار المؤمنين به ﷺ حافزاً لطاعته، ودافعاً للتمثل به وليس انبهاراً عفورياً ساذجاً كرد الفعل الصباني الذي رأيناه عند اليهود والنصارى في قوله تعالى:

(١) نموذج كلمة معربة عن كلمة «نموذج» الفارسية «نراند» اللغة.

﴿وَقَالَ آلُ يَهُودَ عِزِّيَ رَبِّ آلِ الْفُتُورَةِ أَلَيْسَ الْبَشَرُ نَجْوَءُكُمْ﴾

(التوبة: ٣٠)

إن انبهار العقلاء بالإعجاز يؤدي إلى التفكير والتدبر والناسي، أما انبهار الجهلاء بالإعجاز فيؤدي إلى التسرع والتخبط والانزلاق، فالأول انبهار ببناء فعال، أما الآخر فانبهار خداع ختال، ومن هنا فقد أدى انبهار العقلاء بالإعجاز احمدي إلى الخلق والإبداع والتضحية والفداء فكانت عقولهم تنفتح لها العلوم بمجرد البحث، وكانت أقدامهم تنفتح لها الأمصار بمجرد الخطر، وذلك لأن عدتهم الباهرة كانت تتمثل في عبارة هي مزاج من النظر والتطبيق جميعاً وهي قولهم:

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

الناسي يشعر المؤمن بالعبية احمدية

وهكذا لم يجد سكان الجبال ورعاة الجمال فيما بعد أية صعوبة أو مشقة في تبوء عروش الأكاسرة والقيصرة بل أطمأنت إليهم هذه العروش وسارت بهم وساروا بها إلى بناء عالم جديد دستوره الهدى، وقانونه العدل وديده القيم الفضلى التي تنطق بصدق المؤمنين في تأسيهم بنبيهم ﷺ مما جعلهم - بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى - يستشعرون وجوده الحسي والروحي جميعاً بينهم يخاطبهم يستنه فيسمعون، ويهديهم بهديه فيستجيبون.

والآن... وبعد أن نادى المنادون بما يسمى بصراع الحضارات أو نزاع الثقافات أو حوار الديانات ترى الكلام قد كثر عن الخطاب الديني، وكيف يمكن أن يشق هذا الخطاب طريقه في زحام الخطابات التي يسمى بعضها «خطاب الشرعية» ويطلق على بعضها «خطاب الديمقراطية» ويدعى بعضها «خطاب العولمة».

إن الجهد في البحث عن مكان في هذا الزحام للخطاب الديني جهد مشكور، وجزاؤه بإذن الله مأجور، ولكن أليس من الأسر لنا والأجدى أن نعود في هذا المجال إلى «الخطاب احمدي» الذي هو بحق أسوة الخطابات كما أن صاحبه ﷺ هو أسوة البشر في الأقوال والأفعال وشئ ما يكلف به البشر من أمانات؟

وبهمننا هنا أن نتعرف على الخطاب احمدي متمثلاً في الرسائل احمدية الداعية إلى الحنيفية السمحاء سواء تلك التي أملاها ﷺ على كتابه الأبرار رضى الله عنهم يخاطب فيها قادة الشعوب آنذاك والتي مهرها بخاتمه المبارك، أو تلك التي لقنها السنة بعض أصحابه ليبلغوها إلى هؤلاء القادة سواء في نطاق الجزيرة العربية أو خارجها.

وليس من شك في أن اختياره ﷺ لرسله إلى هذه الأقطار يكفى وصفه بأنه اختيار نبوي ملهم يعرف حقاً كيف يوضع الرجل المناسب في المكان المناسب حقيقة لا شعاعاً ويذكرنا هذا بقول الشاعر العربي القديم:

إذا كنت في حاجة مرسلأ

بإلى

المصنف

9

المجلدات

إعداد

محمود الفشني

علاء عبد الرحمن

نفاق العدالة الدولية!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ محمود المبارك في جريدة الحياة الصادرة في ٢٠٠٨/٧/١٤ يقول:

المذكورة التي أصدرها المدعى العام للمحكمة الجنائية الدولية، والتي تتضمن طلب القبض على مسئولين سودانيين رفيعي المستوى، منهم الرئيس السوداني ذاته، تعد زلزالاً سياسياً وقانونياً دولياً بكل المعايير.

فأما على المستوى السياسي: فإن إدراج كبار المسئولين بمن في ذلك رؤساء الدول في قائمة مجرمي الحرب، أمر غير مسبوق، الأمر الذي قد يفتح أبواباً مستقبلية لتغيير الأنظمة السياسية عبر «الغزو القضائي» لمنطقة الشرق الأوسط، وبذلك ربما استطاعت الولايات المتحدة تحقيق قضائياً ما عجزت عن تحقيقه سياسياً!

والحكمة الدولية بهذا التصرف غير المسبوق تكون قد سمحت لنفسها بأن تكون سلعة رخيصة في يد الولايات المتحدة التي أصبحت تتعامل مع دول العالم بمنطق «الإرهاب القانون» كما أطلقت عليه.

وأما على المستوى القانوني الدولي: فإن نفاق المحكمة الجنائية الدولية المتجلى في حرصها على ملاحقة صغار المتهمين الدوليين، وترك الجرمين الدوليين الأكثر خطراً على أمن وسلام العالم، نذير شؤم للعدالة الدولية الجديدة المزعومة! وإذا كان من فائدة مرجوة من إصدار مثل هذه المذكرة، فهو أن المحكمة الدولية ربما استطاعت أن تضع حداً للنقاش الدائر حول فكرة الانضمام للمحكمة لدى صانعي القرار في الدول العربية والمسلمة، بل وربما في كثير من دول العالم الثالث! ولعله بات واضحاً اليوم أن المحكمة الجنائية الدولية حين تسمح لنفسها بأن تكون أداة ابتزاز في يد الولايات المتحدة، فإنها بذلك فقدت ما لديها من مصداقية قضائية. يأتي هذا وسط دعوات

المدعى العام للمحكمة (لويس مورينو أوكامبو) للدول العربية للانضمام إلى منظّمته القضائية!

هذا الانحياز من المنظمة القضائية الدولية ليس مجرد سلوك عابر ضد دولة ما هنا أو هناك، وإنما هو عمل ممنهج من الدول القوية ضد الدول الضعيفة في الجانب القضائي الجديد تماماً كما هي الحال منذ ستين عاماً مع انحياز الشق السياسي في مجلس الأمن.

وإلا فكيف يمكن تفسير عدم أكثر من المحكمة غير الموقرة بالجرائم التي ترتكبها الدول الكبرى، والتي ستكون كغفيلة بإشغال المحكمة بقية عمرها المديد، لو قدر لها أن تحاسب مرتكبيها عليها؟

منذ متى صار للقانون الدولي حرمة في الساحة السياسية الدولية أو احترام لدى المحاكم الدولية، حتى تصحو اليوم على صيحات نذر محاكمات الرؤساء المتهمين بجرائم الحرب؟

ألم يصح القانون الدولي سلعة رخيصة في يد الولايات المتحدة وحلفائها تبعه متى تشاء وتقذفه متى تريد؟ أليست الولايات المتحدة هي من دامت على كل القوانين والأعراف الشرعية الدولية بغزوها العراق وأفغانستان، وقبل ذلك بغزوها غرينادا عام ١٩٨٣، وبينما عام ١٩٨٩؟

وإذا كان الخاسر الدولي بدفاعه عن السودان وأهله قد عشق السودان لدرجة أنه

لم يعد يرى شيئاً سواه، من باب «حيك الشيء يعمى ويصم» فأين هو عن العدوان الأمريكي الظالم، الذي دمر مصنعاً للأدوية في الخرطوم بغير حق عام ١٩٩٨؟

ثم أليس الأولى بالمدعى العام بدلاً من البحث عن تهم قانونية في صحاري دارفور التي تعدّ لما أمام بقية الجرائم الأمريكية: التي تتسابق وسائل الإعلام العالمية على نقلها على الهواء مباشرة؟ أليس الأولى به أن يفتح عينيه على هذه الجرائم إذ سيجد هناك كل ما يريد من جميع أنواع وأصناف الجرائم القانونية الدولية التي تبحث عنها يد عدالة منظّمته؟

هل يليق بأى قاض في أى صقع، يتحدث أى لغة ويتبع أى ملة أن يغفر للدول العظمى كبائر ذنوبها ويحاسب الدول المستضعفة على اللمم؟ أيهما أشد خطراً وأعظم أثراً! قتل عشرات الآلاف - على رغم ما في ذلك من انتهاك لحرمان أرواح الأبرياء - أم غزو بلاد بأسرها وتدميرها ونهب ثرواتها وقتل أكثر من مليوني شخص من مواطنيها، وتهجير أكثر من خمسة ملايين نسمة من سكانها وإعادة تدويرها إلى العصور الحجرية بغير حق؟

ثم إذا كانت الدول الغربية - الأعضاء في هذه المنظمة - تزعم أنها منصّفة في تعاملها القضائي فما الذي يحول دون أن تطالب بمحاكمة إسرائيل على جرائمها التي شملت جميع أشكال جرائم الحرب، سواء من جرائم العدوان أو الإبادة الجماعية أو

الدولية، وفضح نفاق منظماتها القضائية الدولية.

في الوقت ذاته، إذا كانت حال الدنيا تبيّننا بأن «دوام الحال من المحال» فإنه من غير المحتمل أن تبقى الهيمنة الغربية لفترة طويلة، وتبعاً لذلك فإنه ربما كان حرياً بنا أن نأخذ جدياً مسألة البدء في الاستعداد لمحكمة المجرمين الغربيين إذا ما تغيرت موازين القوى لمصلحة أمتنا ضد المصالح الغربية في المستقبل إن شاء الله.

وإذا ما حدث ذلك، فإن الأمر يجب ألا يخفى على الدول الغربية هو أنه سيكون بإمكاننا أن نزعّم أن لدينا «سوابق قضائية» نستطيع أن نبني عليها حين نطالب بالقبض على المجرمين الغربيين من رؤساء ووزراء دفاع ومسؤولين!

كتاب أمريكي يتهم إدارة بوش

بارتكاب جرائم حرب

ورد هذا الموضوع في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٠٠٨/٧/٢٠ جاء فيه:

صدر في الولايات المتحدة مؤخراً كتاب يتهم إدارة الرئيس جورج بوش بانتهاك اتفاقيات جنيف عبر ممارستها التعذيب في «حربها على الإرهاب» ما قد يعرضها على حد قول مؤلفه، للمحاكمة بتهمة ارتكاب «جرائم حرب».

والكتاب الذي يستند في اتهاماته إلى تقرير للجنة الدولية للصليب الأحمر، لم

التطهير العرقي أو استهداف المدنيين، أو استخدام الأسلحة المحرمة دولياً، فضلاً عن بناء المستوطنات المخالفة لقوانين الاحتلال، والجدار العازل الذي أفتت محكمة العدل الدولية بمخالفته للقوانين الدولية؟ إن إدراج أسماء مسئولين سودانيين في قائمة المطلوبين الدوليين لارتكاب جرائم حرب هو بالدرجة الأولى قرار سياسي وليس قراراً قضائياً.

ثم أشار الكاتب إلى أن الولايات المتحدة هي التي انفردت بنقل خبر إدراج اسم البشير ضمن المطلوبين من المدعى العام قبل وسائل الإعلام، وهذا يشير إلى التدخلات الأمريكية في اتخاذ القرارات في المحكمة الدولية؟ إذ كيف يأتي تسريب الخبر من وزارة تابعة لدولة ليست عضواً في المحكمة أصلاً؟ بل وتريد من الدول العربية الانضمام إليها؟

ثم يختم الكاتب مقاله بقوله:

ولكن الأمر الذي يجب أن تبادر إليه الدول العربية اليوم هو السعي في تقديم طلبات جادة لمحكمة المسؤولين في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وإسرائيل وغيرهم، من الدول التي ارتكبت ولا تزال ترتكب انتهاكات خطيرة ضد الدول العربية والمسلمة، ويغض النظر عن النتيجة المتوقعة لمثل هذه الطلبات في أنها لن تحقق المآرب المرجو منها اليوم، إلا أن الفائدة من مثل هذه الطلبات هو إقامة الحجة القانونية على الدول الغربية في تلاعبها بالقوانين

يتم نفيه، وضعته الصحفية جاين ماير المتخصصة في الاستقصاء ومكافحة الإرهاب في أسبوعية «ذا نيويورك ركر» ويقع الكتاب في ٣٩٢ صفحة، وعنوانه «الوجه الخفي» وهو يشرح كيف تحولت الحرب على الإرهاب إلى حرب على المثل العليا للولايات المتحدة.

وبحسب الكتاب فإن اللجنة الدولية للصليب الأحمر أعدت تقريراً بعد لقاء موظفيها ١٤ معتقلاً من المتهمين بالإرهاب وسلمته في ٢٠٠٧ إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية «سي آي إيه» التي رفعت بدورها إلى الرئيس بوش ووزيرة الخارجية كوندوليزا رايس.

ويذكر الكتاب تحديداً حالة «أبو زبيدة» أبرز قيادي في القاعدة ألفت الولايات المتحدة القبض عليه وتقول الصحيفة: إن الصليب الأحمر «وصف الأساليب التي أخضع لها المتهم ومن دون أدنى شك أساليب التعذيب» وتضيف المؤلفة أن الصليب الأحمر «حذر من أن هذا الانتهاك يشكل جريمة حرب تضع كيار المسؤولين في الحكومة الأمريكية في موضع يمكن فيه محاكمته بحسب مصادر مطلعة على التقرير» ويشرح الكتاب كيف أن الإدارة الأمريكية اعتقلت سراً ومن دون توجيه اتهامات إليهم آلاف لأشخاص في معتقل جوانتانامو «كوبا» وسجن أبو غريب في العراق وسجون أخرى في أفغانستان أو سواها من الدول، ومن بينها دول أوروبية، وكيف أن هؤلاء المعتقلين، وبعضهم

أبرياء، تعرضوا للتعذيب مما أدى إلى خلق ما يشبه «الجولاج» معسكرات الاعتقال في الاتحاد السوفيتي سابقاً.

«فمن أولى باحكاكمة القضائية أمام محكمة العدل الدولية البشير أم هؤلاء الذين يقومون بمثل هذه الأعمال الإجرامية والوحشية!!»

إعدام الفرعون

كتب الأستاذ/ محمد الزرقاني في عموده «مجرد اجتهاد» في جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٢٠٠٨/٧/١٧ عن الفيلم الإيراني «إعدام الفرعون» يقول:

أعتبر نفسي من أشد الموالين للتقريب المذهبي بين السنة والشيعة، وبعيداً عن حبي الشديد لآل البيت - بيت رسول الله ﷺ - مثل كل أبناء مصر، ودائماً كنت أراها كلمة تعبر عما في نفسي أنا سني المذهب شيعي الهوى بل كنت أراه وصفاً لكل المصريين من المسلمين السنة... وكنت أتمنى مجيء اليوم الذي تعود فيه العلاقات الطبيعية بين مصر وإيران لمصلحتيهما معاً ولمصلحة الأمة الإسلامية كلها، ولم أكن أسعد بمحاولات الفرقة التي يسعى إليها أعداء الإسلام، وتقع فيها طوائف من الجانبيين.

ولذلك كانت فجيعتي كبيرة بسبب ذلك الفيلم الذي قدمته السينما الإيرانية بعنوان «إعدام الفرعون» حول الرئيس الراحل الشهيد محمد أنور السادات،

والذي اعتبره الفيلم - ظلما وعدوانا - خائنا للإسلام، هي نظرة قاصرة وغيبية لدور الرئيس السادات في انتصار أكتوبر المجيد، الذي لم يرفع رأس مصر فقط، وإنما رفع رأس الأمة العربية والإسلامية، ووضع السادات ضمن قائمة عظماء المسلمين على مدى التاريخ الإسلامي.

إن إنتاج مثل هذا الفيلم هو قمة «الغباء» الإنساني والسياسي في آن واحد، لأنه يفرق ولا يقرب، ولأنه يسيء لرجل أخلص لأمته، ويسيء لأمة قدمت للإسلام على مدى تاريخه أرواح أبنائها وأموالها. والرد على مثل هذا العمل «الأهوج» يكون بالطرق والقنوات الدبلوماسية، وليس كما يردد البعض بفيلم مماثل لهذا الفيلم الإيراني «الغبي» دعونا لا نكون من دعاة القرقة والتفرق، وعلينا أن نكون من دعاة الوحدة.

أما من أقدموا على هذا الفيلم فيجب أن يدركوا أنهم بإساءتهم للرئيس السادات إنما يسيئون للإسلام ولكل المسلمين، فقد كان رجلا عظيما مؤمنا حق الإيمان.. ورحم الله أنور السادات.

عبد الوهاب المسيري شهيد على خط الفكر

كتب الأستاذ/ سليمان قناوي في جريدة الأخبار الصادرة في ٢٠٠٨/٧/١١ عن المفكر الراحل عبد الوهاب المسيري يقول:

أحسبه في مراتب الشهداء: أحمد عبد العزيز وعبد المنعم رياض وأحمد حمدي هم قضاؤنا تحبهم على خط النار... والمفكر

المسيري استشهد على خط الفكر فالقصف بالأفكار الخلاقة، معركة لا تقل شراسة عن الرماية بالذخيرة الحية يلقي الرجل ربه وفي ميزان حسناته موسوعة: «اليهود واليهودية والصهيونية» و ٦٩ كتاباً آخر.

وإذا كان شهيداً وأنا العسكريون قد فضحوا أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر فقد عرى المسيري عوار الأساطير الصهيونية حين أشهر سلاح هذه الموسوعة في وجه الدعاية الإسرائيلية الكاذبة.

أنفق الرجل ربع قرن من عمره وكل ماله ومعظم صحته وضحي بمرتبته الشابت مستقبلاً من الجامعة حتى ينجز هذا العمل الذي لم يجعله يهنأ حتى بوقت الترفيه «كنت عبر كتابة الموسوعة أعامل نفسي خاصة في مسألة الوقت بيد من حديد، لا أكف عن التفكير في الموسوعة ولا أكف عن الكتابة في أي ورقة تقابلني».

ماذا فعلت موسوعة «اليهود واليهودية والصهيونية» فينا؟ لقد بددت ركام الأوهام التي عشت طويلاً في العقول، ومنها أن اللوبي اليهودي يسيطر على أمريكا أما المسيري فقال: إن هذا تخريف فإسرائيل هي مجرد آخر جيوب الاستيطان للرجل الأبيض في المنطقة، وهي تحقق أهداف أمريكا بنفقات أقل عما إذا جاءت أمريكا بنفسها إلى المنطقة ففي هذه الحالة ستحتاج إلى ٥٠ مليار دولار سنوياً حتى تدين لها السيطرة على المنطقة ولكنها وفرت كل ذلك بتحويل إسرائيل إلى حاملة طائرات

ثابتة عليها ٤ ملايين جندي مرتزقة يعملون لحساب الغم سام ويحصلون على ١٠ مليارات دولار فقط أي أن أمريكا توفر سنوياً ٤٠ مليار دولار ناهيك عن الخسائر البشرية «ما يحدث في العراق أعظم دليل».

ويعمضي د. المسيري في تشريح التصورات الخاطئة عن إسرائيل فيقول: إن تضخيم حجمها وتصورها لنا بأنها تحكم العالم أمر مبالغ فيه عن عمد لشلالة أسباب: الأول: كسر عزيمتنا، فكيف سنجرؤ على مقاومة من يقود أمريكا ومن خلفها العالم لذلك ينكر المسيري فكرة الذكاء اليهودي الخارق ويكذب وجود شيء اسمه بروتوكولات حكماء صهيون لأن من يضع خطة جهنمية للسيطرة على العالم لا بد أن تكون سرية وليست منشورة وفي يد الجميع.

الثاني: كي تتمكن بعض القيادات في أمتنا من أن تبرر هزيمتها وتخاذلها فلو فرضنا مثلاً أنهم اعترفوا بكذب نظرية التفوق اليهودي فكيف سيرزون التقاعس.

الثالث: كي تظهر أمريكا بمظهر المغلوب على أمره الذي لا يملك قراره بسبب اللوبي اليهودي.

وما كان لهذا البناء السامق أن يتم لولا إحساس العلامة المسيري بقيمة الوقت منذ أن كان طفلاً.

رحم الله الدكتور عبد الوهاب المسيري.

موقف عربي وإسلامي موحد دفاعاً عن السودان

وفي رأى الأهرام بعددها الصادر ٢٠٠٨/٧/٢٠ قالت:

في حياة الأمم والشعوب لحظات فاصلة تستلزم منها اليقظة والاعتصام بالوحدة والحكمة. لتستطيع مواجهة التحديات المفروضة عليها والموقف الحالي في السودان وخاصة بعد قرار المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية المتعلق بايقاف الرئيس عمر البشير بسبب تداعيات أحداث دارفور هو لحظة فاصلة تستلزم موقفاً عربياً موحداً دفاعاً عن السودان وحتى لا تتحول المحكمة الجنائية الدولية إلى أداة سياسية جديدة لضرب الدول العربية لذا جاء الاجتماع الطارئ لوزراء الخارجية العرب على مستوى المسؤولية متخذاً موقفاً موحداً من قرار المدعي العام كونه يخالف القانون الدولي الذي يرفض التدخل في الشؤون الداخلية للدول ومنها السودان الذي يتمتع بعضوية الأمم المتحدة والجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي.

وقالت الأهرام أيضاً الاعتبارات السياسية والأمنية والاستقرار في السودان مهمة للغاية بالإضافة إلى الاعتبارات القانونية التي تتعامل معها الجامعة العربية من المنطلق القانوني والأدوار المختلفة سواء لحكومة السودان أو مجلس الأمن أو الاتحاد الأفريقي وكلها عناصر مهمة تتطلب موقفاً عربياً موحداً وتنسيقاً أفريقياً ودولياً دفاعاً عن السودان ورفضاً لمحاولات التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية.

الصناديق السيادية العربية والمخاوف الأمريكية

بقلم / صلاح عبد الرحيم محمد

باحث في الشؤون السياسية

إن صناديق الثروة السيادية العربية الخليجية، هي صناديق استثمارية حكومية تملكها وتديرها مباشرة دول مجلس التعاون الخليجي، بعد أن تقوم بتمويلها من عائداتها النفطية الهائلة، وهذه الصناديق تستحوذ على حوالي نصف أصول الصناديق السيادية في العالم التي تجاوزت ٣ تريليون دولار، وتشير الاحصاءات إلى أن الحصص التي تملكها صناديق الثروة السيادية للدول العربية الخليجية في مؤسسات عالمية خلال عام ٢٠٠٧ م مثل «بيرنز نيوبورك» و«كارلايل جروب» و«إم جي إم ميراج»، و«بورصة ناسداك» ارتفعت إلى أكثر من ٨٣ مليار دولار، تشكل نصف الصفقات العالمية والمقدرة بـ ١٧٠ مليار دولار وفي هذا السياق يادر الصندوق السيادي الكويتي الذي يمثل «هيئة الاستثمار الكويتية» بشراء أسهم قيمتها ٣ مليار دولار في بنك «سيني جروب» وحصة أخرى قيمتها مليار دولار في بنك «سيريل ليش» وذلك بناء على طلب المصرفين الأمريكيين بالاستثمار فيهما، وقد وصل حجم أصول صناديق الثروة السيادية الخليجية إلى نحو ١,٥ تريليون دولار في أواخر عام ٢٠٠٧ ويتوقع أن يصل قيمة هذه الصناديق إلى ٣ تريليون دولار بحلول عام ٢٠١٠ في حال بقاء ارتفاع أسعار النفط إلى معدله الأخير وقدره ١٣٩ دولار للبرميل، ويتوقع اخلل الاقتصادي «ستيفن جن» المشول الكبير ببنك «مورجان ستانلي» أن يصل حجم صناديق الثروة السيادية في العالم إلى ١٢ تريليون دولار بحلول عام ٢٠١٥ م.

ريج طويل الأجل

ويرى محللون سياسيون على رأسهم «دريزتر داتيليل» الأستاذ المساعد للسياسات العالمية بكلية فليتشر الأمريكية أن دول الخليج العربية تهدف من إنشاء هذه الصناديق

السيادية إلى خلق أصول تدبر عائداً مربحاً طويل الأجل، للإسهام في التنمية الاقتصادية، بالتركيز على الاستثمار الأجنبي المباشر.

والجدير بالذكر أن معظم الصناديق السيادية في الفترة السابقة لعام ٢٠٠٣ - أي قبل ارتفاع أسعار النفط إلى هذه المعدلات غير المسبوقة - كانت تبحث عن استثمارات قصيرة الأجل ومنخفضة المخاطر، بينما تنجده هذه الصناديق العربية الآن إلى الاستثمارات طويلة الأجل، واخفوفة بالمخاطر، بهدف الحصول على مزيد من عوائد الاستثمار وفي ضوء تقرير الاستقرار المالي العالمي الصادر من صندوق النقد الدولي، يشير هذا التقرير إلى أنه يمكن تقسيم هذه الصناديق السيادية إلى خمسة أنواع.

الأول: صناديق الاستقرار، ويتمثل هدفها في حماية الموازنة العامة والاقتصاد وتحقيق الاستقرار لعملة الدول الوطنية.

والثاني: صناديق احتياطي الأجيال المقبلة وتهدف إلى تحويل الأصول غير المتجددة «النفط» إلى حافظة أصول متنوعة.

والثالث: صناديق التنمية وتهدف إلى تمويل المشروعات الاجتماعية والاقتصادية.

والرابع: صناديق احتياطات طوارئ التقاعد التي تغطي التزامات التقاعد الطارئة غير المحددة في الموازنة العامة للدولة، وهي بخلاف صناديق التقاعد التي تمولها اشتراكات الأفراد في معاشات التقاعد العادية.

والخامس: شركات استثمار الاحتياطيات أي تلك الأصول الاحتياطية التي يحتفظ بها البنك المركزي لهذه الشركات لديه.

الخصص العربية

وفي بحثه الذي أعده «إم آر راجهيو» رئيس إدارة البحوث بالمركز المالي الكويتي أشار إلى أن هناك ٣٦ صندوقاً للشروات السيادية، تملك ١٣١ شركة خليجية، تشكل مجتمعة ٢٧٪ من القيمة الرأسمالية للأسواق الخليجية والمقدرة بـ ٣٠٠ مليار دولار، وفيما يتعلق بالاستثمارات المحلية للصناديق السيادية، يذكر محللون اقتصاديون أن صناديق الثروة السيادية الثمانية في المملكة العربية السعودية، تمتلك حصصاً في ٢٧ شركة، تشكل ٣٦٪ من القيمة الرأسمالية الخليجية المقدرة بمبلغ ٣٠٠ مليار دولار.

وفي دولة الإمارات العربية المتحدة تمتلك صناديق الثروة السيادية السبعة حصصاً في ٢٧ شركة إماراتية تبلغ قيمتها ٦١ مليار دولار وفي قطر تمتلك صناديق الثروة السيادية الخمسة حصصاً في ٩ شركات بقيمة استثمارات إجمالية تبلغ ٢٩ مليار دولار، تمثل ٢١٪ من القيمة الرأسمالية الخليجية.

وفي الكويت تمتلك الصناديق السيادية ١٢٪ من سوق الأسهم الكويتية ويمثلها صندوقها السيادي المعروف باسم الهيئة العامة للاستثمار والتي يملك ٥٦٪ من تلك الاستثمارات في ٨ شركات كويتية.

وفي سلطنة عمان تمتلك ٩ صناديق سيادية استثمارات قيمتها ٦ مليارات دولار تمثل ٢٣٪ من القيمة الرأسمالية الإجمالية للسوق الخليجية.

واللافت أن صندوق حكومة عمان يعتبر أكبر صندوق للثروة السيادية في السلطنة

بحصة تبلغ ٤٤٪ تتركز في شركة واحدة هي «شركة عمان تل» وفي البحرين استثمرت الصناديق السيادية التسعة ٥ مليارات دولار تمثل ١٨٪ من إجمالي القيمة الرأسمالية كسوق الأسهم البحريني.

ومن جهة أخرى يذكر أن الصناديق السيادية التي يمتلكها حكومات دول الخليج هي بخلاف صناديق الملكية الخاصة «القطاع الخاص» التي تقدر أصولها بأكثر من ١٣ مليار دولار يديرها أكثر من ٧٠ صندوقاً للملكية الخاصة وفي هذا الصدد أكد كبير الاستشاريين في شركة «إثمار كابيتال» «علي عرفان»: إن قطاع الملكية الخاصة يلعب حالياً دوراً مهماً في إعادة تشكيل الاقتصاديات الإقليمية وصوغها في ضوء التطورات العالمية ذات التأثيرات المباشرة في المنطقة، وتشير تقديرات الخبراء إلى أن نحو ٦٠ من مديري الملكية الخاصة في الشرق الأوسط، يسعون إلى جمع ٢٦ مليار دولار، معظمها من أموال الصناديق السيادية الخليجية، ويقدر معهد الملكية الخاصة حجم ثروات الصناديق السيادية في العالم بأكثر من ٣ تريليون دولار، في الوقت الذي يشكل فيه المستثمرون الخليجيون، أكبر تجمع إقليمي في هذا القطاع بنسبة تزيد على ٤٠٪ من أموال الصناديق السيادية في العالم.

الصناديق العربية في العالم

وقد لاحظ خبراء اقتصاديون أن العلاقة بين صناديق الثروة السيادية التابعة للحكومات في منطقة الخليج، توثقت مع قطاع الملكية الخاصة خلال الشهور القليلة

الماضية أكثر من أي وقت مضى، في حين توقعوا أن تتجاوز استثمارات الصناديق السيادية في المنطقة ١٠ ترليونات دولار بعد ثلاث سنوات من الآن، ومن جانب آخر أشار تقرير لمعهد المعلومات الملكية الخاصة إلى أن ٦٠٪ من الصناديق السيادية العالمية، تستثمر أموالها في قطاع الملكية الخاصة في العالم وتملك ما بين ١٢٠ و ١٥٠ مليار دولار تعادل ١٠٪ من رأس المال العالمي للملكية الخاصة، ويرى الخبير في استراتيجيات الشركات العالمية «عامر عبد الرحمن» مؤلف كتاب «دبي وشريكاتها» أن العلاقة بين الصناديق السيادية، ومؤسسات الملكية الخاصة «متبادلة» فيمكن لصناديق الثروة السيادية الإصرار على عقد شراكة حقيقية مع شركات الملكية الخاصة، تكون أكثر من مجرد مصدر للفروض بل يمكن في ظل هذه العلاقة الوثيقة بين الجانبين أن تستفيد شركات الملكية الخاصة من المهارة الاستثمارية لصناديق الثروة السيادية بحيث تساعد في نموها.

وتملك صناديق الثروة السيادية الكبرى في العالم أصولاً بقيمة ٢,٨٧٦ تريليون دولار، حسب معهد صناديق الثروة السيادية، وذلك على النحو التالي:

في الإمارات العربية المتحدة يملك صندوقها السيادي الذي تملكه «هيئة أبوظبي للاستثمار» أصولاً بقيمة ٨٧٥ مليار دولار استثمر منه ٧,٥ مليار دولار في شراء أوراق مالية قابلة للتحويل من بنك سيتي جروب الأمريكي.

في الترويج يملك صندوقها السيادي

ويمثله صندوق المنحة الحكومية أصولاً بقيمة ٣٨٠ مليار دولار اشترى منه حصة نسبتها ٣٦٪ في بنك سيتي جروب وحصة ثانية بنسبة ٢٧٪ في ليمان براذرز، وحصة ثالثة بنسبة ٣٥٪ في بنك ميريل لينش وحصة رابعة بنسبة ٣٣٪ في بنك «مورجان ستانلي».

في ستافورة صندوقان سياديان أحدهما يملك شركة حكومة ستافورة للاستثمار بأصول قيمتها ٣٣٠ مليار دولار، استثمر منه حصة بنسبة ٩٪ في بنك «يو بي إس» بقيمة ٩,٧٥ مليار دولار وحصة أخرى من بنك سيتي جروب أما الصندوق الآخر، فيمثله «تيماسيك القابضة» وقيمة أصوله ١٥٩ مليار دولار، واشترى حصة أسهم قيمتها ٤,٤٨ مليار دولار من بنك «ميريل لينش».

في المملكة العربية صناديق سيادية عديدة تمثلها عدد من الشركات القابضة تملك جميعاً أصولاً قيمتها ٣٠٠ مليار دولار، وله استثمارات كثيرة في الخارج.

في الكويت يملك صندوقها السيادي، ويمثله «هيئة الاستثمار الكويتية» أصولاً بقيمة ٢٥٠ مليار دولار، وهو أقدم صندوق سيادي في العالم كان يعمل في لندن منذ عام ١٩٥٣، واستثمر هذا الصندوق ما قيمته ٣ مليارات دولار في بنك «سيتي جروب» وملياري دولار أخرى في بنك «ميريل لينش» الأمريكيين.

في الصين يملك صندوقها السيادي، ويمثله «شركة الاستثمار الصينية» أصولاً بقيمة ٢٠٠ مليار دولار.

في الصين - هونغ كونغ يملك صندوقها

السيادي ويمثله «في هونغ كونغ» أصولاً بقيمة ١٦٣ مليار دولار.

- في إسترالي يملك صندوقها السيادي ويمثله «صندوق المستقبل الإسترالي» أصولاً بقيمة ٦١ مليار دولار.

- في قطر يملك صندوقها السيادي، وتمثله «هيئة الاستثمار القطرية» أصولاً بقيمة ٦٠ مليار دولار.

- في ليبيا يملك صندوقها السيادي وتمثله «الشركة الليبية العربية - الأجنبية للاستثمار» أصولاً بقيمة ٥٠ مليار دولار.

- في الجزائر يملك صندوقها السيادي ويمثله «صندوق تنظيم العوائد» أصولاً بقيمة ٤٣ مليار دولار.

تأثير إيجابي على الاقتصاد العالمي

وفي هذا السياق قدرت مجموعة «انترناشونال فاينانشيال سيرفيس» في لندن حجم أصول الصناديق السيادية في العالم حالياً بنحو ٣,٣ تريليون دولار، في الوقت الذي يمكن توقع وصول هذه الأصول في العالم إلى أكثر من ١٠ تريليون دولار بحلول عام ٢٠١٥، كما أكدت هذه المجموعة المالية أنه منذ بدء أزمة الرهن العقاري الأخيرة في الولايات المتحدة، اتجهت صناديق الثروة السيادية إلى شراء حصص رئيسية في بنوك أمريكية وسويسرية تجاوزت قيمتها ٦٠ مليار دولار.

وقد أشار الخبير في صناديق الثروة السيادية لدى شركة «إيه تي كيرني دبي» «سيرل جاربوس» إلى أن هذه الصناديق تحسّل في

السلبى على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المجتمع الأمريكي المعاصر.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد من الاتهامات الأمريكية المعروضة بل اتهم «هاورد بيرمان» في جلسة استماع أمام الكونجرس حكومات دول الخليج العربية بقوله: «قد توجه هذه الحكومات صناديق الثروة السيادية إلى الولايات المتحدة لأهداف سياسية أو استراتيجية وليست اقتصادية بحتة ونظراً لأن كثير من هذه الصناديق تفتقر إلى الشفافية، فقد تجلّى القلق من الدوافع الكامنة وراء توجهات استثمارات تلك الدول المالكة لهذه الصناديق».

الرقابة الأمريكية!!

وفي ذات الوقت قامت واشنطن بتكليف صندوق النقد الدولي برسم إطار جديد لهذه الاستثمارات يتم من خلاله إخضاع أموال هذه الصناديق لمزيد من الرقابة الحكومية الأمريكية وينتظر تقديم هذا الإطار الرقابي في خريف ٢٠٠٩م وفي هذا الصدد توصل المجلس الأوروبي في بروكسيل في شهر مارس ٢٠٠٨م إلى استنتاج مفاده «أن الشفافية المحدودة التي تحيط بصناديق الثروة السيادية فيما يتعلق باستراتيجياتها وأهدافها الاستثمارية أثارت قلقاً حيال الممارسات غير التجارية المحتملة» وبالتالي شدد المجلس الأوروبي على الحاجة إلى وضع قواعد سلوك طوعية لتحكم عمل صناديق الثروة السيادية العربية ووصل الجدل أيضاً إلى حملة الانتخابات الرئاسية الأمريكية الحالية إذ

طبعتها تأثيراً إيجابياً على الاقتصاد العالمي، في وقت تشهد فيه الاقتصادات في البلدان المتقدمة تباطؤاً، وعلى الجانب الآخر فإنه على الرغم من إيجابيات هذه الصناديق على الدول الغربية وعلى الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة بسبب أزمة الرهن العقاري، فقد أثارت هذه الصناديق، مخاوف كل من الدول الغربية وأمريكا بسبب نفوذها الاقتصادي المؤثر على هذه الدول، وتخشى أن تتخذ هذه الاستثمارات العربية منحى سياسياً وبرى هؤلاء المتخوفون أنه من المحتمل أن تشتري هذه الصناديق حصصاً في كيانات ومؤسسات مالية كبرى على نحو قد يعرض أمن الولايات المتحدة وغيرها للمخطر من هذا الغزو المالي العربي الذي قد يسيطر على مؤسسات الاقتصاد الأمريكي بالإضافة إلى التأثير على السياسة الخارجية للولايات المتحدة لصالح الأمة العربية بالإضافة إلى التأثير على السياسة الخارجية للولايات المتحدة لصالح الأمة العربية وهو ما تخشاه الدول الغربية بعامة والولايات المتحدة بخاصة.

زعزعة الأمن الأمريكي!!

وقد أعرب عضو الكونجرس «هاورد بيرمان» رئيس لجنة العلاقات الخارجية عن قلق الولايات المتحدة من تدفق أموال الصناديق السيادية العربية حيث اتهم بعض أعضاء الكونجرس هذه الصناديق بزعزعة الأمن القومي الأمريكي على الرغم من إنقاذها للاقتصاد الأمريكي من نقص السيولة من جراء أزمة الرهن العقاري الأخيرة وتأثيرها

أعرب المرشح الرئاسي الديمقراطي الأمريكي «باراك حسين أوباما» عن قلقه من أن تأخذ صناديق الثروة السيادية في الحسبان مسافة أبعد من اعتبارات السوق، وهو يقصد بذلك أن هذه الصناديق السيادية العربية قد تخفي وراءها أهدافاً سياسية من شأنها التأثير على السياسة الخارجية الأمريكية.

وقالت أيضاً «هيلاري كلينتون» - المرشحة السابقة للرئاسة والتي تدعم حالياً المرشح الديمقراطي «أوباما» - «إن صناديق الثروة السيادية العربية يجب أن تتحلى بمزيد من الشفافية» وطالبت برقابة أفضل عليها.

الكيل بمكيارين

وأتساءل ويتساءل معي الكثيرون لماذا هذا الهلع من الأموال العربية؟ وهل يمكن لصناديق الثروة السيادية العربية أن تغزو قلاع الحياة المصرفية في الولايات المتحدة؟ يبدو أن الحوف فقط هو من الصناديق السيادية العربية لأنها ملك لعرب ومسلمين أنه الكيل بمكيارين معيار لصناديق الثروة السيادية الأوروبية ومعيار آخر للصناديق السيادية العربية التي أنقذت في الحقيقة الاقتصاد الأمريكي من الانهيار وفي هذا الإطار يقول «بندر السعد» رئيس «هيئة الاستثمار الكويتية وبعض ومديري الصناديق السيادية العربية الأخرى: «إن استثماراتهم ذات أغراض تجارية «بحتة» وتهدف إلى تحقيق الربح

فقط» ويقول «محمد الجاسر» المسئول بمؤسسة النقد العربي السعودي التي تسعى إلى إنشاء أكبر صندوق سيادي في العالم بقيمة ٩٠٠ مليار دولار «إن الأمر يبدو كما لو كانت صناديق الثروة السيادية العربية مذبذبة حتى تثبت براءتها».

وقد رحب «هنري بولسون» وزير الخزانة الأمريكي بالاستثمارات العربية الخليجية في السوق الأمريكية، عندما أدرك أن دول مجلس التعاون الخليجي الست، أعلنت عن غضبها من الموقف الأمريكي النافر للجميل العربي، فأكد في اجتماع ٢ يونيو ٢٠٠٨ مع المسئولين في دولة الإمارات والسعودية وقطر والكويت أثناء جولته الخليجية التي استغرقت يومين «من ٢٣ / ٦ -

٢٤ / ٦ / ٢٠٠٨»، «أن الصناديق السيادية الخليجية مرحب بها في الولايات المتحدة» وفي الختام يمكن القول إن أموال الصناديق السيادية العربية يمكن أن تتضاعف خلال السنوات القليلة المقبلة بسبب ارتفاع أسعار النفط التي قد تصل إلى ٢٠٠ دولار للبرميل الواحد، وهو ما يوفر لها قدرات استثمارية هائلة، تسمح لها بأداء دور رائد وجوهري في خريطة الاستثمارات العالمية، كما يجب ألا ننسى أن نبيه المسئولين العرب عن هذه الصناديق السيادية أن يوجهوا مزيداً من الاستثمارات الخليجية لتنمية اقتصادات الدول العربية والإفريقية الأخرى التي تحتاج إلى تمويل عربي صرف للنهوض بها، ورفع مستويات معيشة شعوبها المطحونة التي عانت الكثير ولا تزال.



الحضارة الإسلامية المسيحية

مال

تأليف

ریتشارد دبلیو. بولیت

ترجمة:

الدكتورة فاطمة نصر

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم القيم عوضين

الأستاذ بجامعة الأزهر

كما أوضح القرآن الكريم وحدة مصدر
الرسالات السماوية جميعها.. أوضح: أن
قصد تلك الرسالات إنما هو تعدد التكامل
والتنامي الملائم للتطور البشرى، وأوضح: أن
الاختلاف في الرأي بين البشر فطرة
خالق العليم الناس عليها؛ لأن بهذا
الاختلاف يلتقي الناس ويتعارفون، فيتبادلون
المعرفة، ويتعاونون على القيام بدور الخلافة
في الأرض لتعميرها والانتقال بالإنسان
من البداوة إلى الحضرة، في قوله - جل
شأنه:

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلَكُمْ شُوعُبًا وَفِئَالًا لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٠٠﴾﴾

(الحجرات: ١٤)

وأوضح - كذلك - : أن اغترار الإنسان بما
أوتيته من العلم قد يطفئ به ويخرج به عن
الجادة والفطرة، فيجعل من الاختلاف وسيلة
قهر، وسبيل بغى وظلم، وعلة حروب
 وعدوان، في نحو قوله - تعالى :

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْعِلْمُ بِمَا يُنْهَوْنَ ﴾

(آل عمران: ۱۹)

ويشير إلى أن هذا البقي الموجع للخلاف إنما نشأ من انحراف الناس في تقديرهم دور العلم، على الرغم من الإنعام عليهم بالطيبات من الرزق، مع إتيانهم الكتاب والحكم والنبوة، فقال - عز وجل -:

﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
نُوحَ الْكِتَابَ وَالْزَكَاةَ وَالْحُكْمَ وَالنُّصُوخَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَصَلَّيْنَاهُمْ عَلَى الْعُلَمَاءِ ﴿١٦﴾ وَمَا نَسْنَاهُمْ يَسْتَوِ مِنْ الْأَمْرِ
فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ نَبَأَ بَينَهُمْ أَنْ
رَبِّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَا كَانُوا بِغَيْرِ عَدْلٍ فَنُفِثُوا

(الجائية: ١٦-١٧)

مع هذا الإيضاح المتكرر... نجد من
يعميه الغرض، ويضله الهوى، فلا يرى في
الاختلاف الفطري إلا بذور الصراع، ولا
يرى في المختلفين داخل إطار تلك الفطرة
إلا متصارعين، بل ولا يرى فيما يفرزه هذا
الاختلاف من حضارات إلا نشاط عدوان
وظغيان، على نحو ما اخترعه (صمويل
هنتنغتون) وبشر به هو ومشايعوه
ومتابعوه، فراحوا يهيشون الأمريكين
ومسيحيي الغرب لشن حرب قاضية على
الإسلام بدعوى (صراع الحضارات).
فكانوا امتداداً متوالياً لصيحة البابا
(أوربان) لمحاربة الإسلام.

ولكن التعقل والاعتزان لا يفقد أنصاره في كل بيئة، فقد أبى نفر من مفكرى الغرب المسيحي المتوازنين إلا أن يناهضوا هذا التوجه المزعج لحروب قد تودى بالأخضر واليابس، وتجاوز بالإنسان طريق القطرة المستقيمة. وكان من بين هؤلاء: (ريتشارد دبليو - بوليت) فى كتابه (الحضارة الإسلامية المسيحية. ماذا حدث؟) الذى تساءل فيه عن الأسباب التى جعلت من التكامل بين الحضارتين صراعا.

الاختلاف بين الدعوة والتبشير

وإذا كان هناك تشابه بين أتباع الإسلام والمسيحية في التعريف بالدين، فإن (المؤلف) يذكر أن من يتتبع نشاط هؤلاء وأرثلك فيما بين سنة ١٥٠٠م وسنة ١٩٠٠م لا يملك إلا الإقرار بأن الإسلام اندفع بشكل حاسم في هذه المرحلة، بينما تراجعَت المسيحية الغربية.

ومع تنامي الإسلام الواضح.. فإن
المسيحيين لم يتراجعوا عن زعمهم: أن الإسلام
دين متعلق متخلف، وأن ما يلاحظ من نجاح
للإسلام في انتشاره إنما يرجع إلى ضحالة
تعاليمه، وغزله مع الوثنية.

ولا شك في أن هذا الزعم لا يقوم على أساس واقعي؛ فقد ضم عالم المجتمعات الإسلامية خلال تلك القرون عشرات من المجموعات السكانية الجديدة في أفريقيا وآسيا، وتعلموا لغاتها وأعرافها، ووجدوا أراضي مشتركة مع مؤسساتها التقليدية وقنونها وأبدوا نفس القابلية اللافتة للتكيف.

وفي المقابل... نجد الأوروبيين يشتغلون في حماس يجمع النباتات والحيوانات، والأعمال الفنية من البلاد الأخرى، لكنهم لم يفتحوا - مثل المسلمين - على تعلم اللغات الغربية، ولا رغبوا في استيعاب الأعراف المحلية، واحترام القيم الاجتماعية والفنية لتلك المجتمعات؛ فقد تقوقعوا حول أفكارهم دون غيرها، ودفعهم الاغترار بالتوسع الإمبراطوري إلى إغلاق عقولهم عن أن يقدم العالم المسيحي أى شيء مماثل للحج السنوي إلى مكة، حيث يلتقي المسلمون من شتى أنحاء الأرض - على اختلاف



برنارد لويس

كما أنه أغفل دور الشخصية القائدة النموذجية الشرقية المعترف بها عالمياً في تاريخ الأمم الغربية التي حاولت ملء الفجوة مع أوروبا مثل إمبراطور الميجي في اليابان الذي

أشرف - فيما بين عامي ١٨٦٨، ١٩١٨ - على النقلة التي حدثت في جميع مناحي الحياة اليابانية لتحقيق لها الاعتراف بأنها قوة عظمى. بينما أبرز صورة طائفة من حكام العالمين العربي والإسلامي الذين سيطرت عليهم أحلام سطوة لا محدودة، متمثلة في إحكام قبضتهم على شعوبهم، فسعوا لتحرير أنفسهم من نقد رجال الدين المسلمين، وقصروا دور التديبة مع الغرب على استخدام التقنيات العسكرية والاقتصادية الأوروبية... لقمع الشعوب والنجس عليهم فقط، وتأسيس سلطتهم على انتخابات لا يواجهون فيها معارضي أو منافسين؛ فسادت الديكتاتوريات في الشرق الأوسط بما تفرضه من تحكم بوليسي شمولي وتقديس للشخصيات الحاكمة.

وكذلك... تنبه المؤلف إلى أن ما ذكره (برنارد لويس) وأمثاله قام على تجاهل اختلاف الحضارة الإسلامية عن الحضارة المسيحية في النظرية السياسية؛ ففي ظل الإسلام يجب على الحكام الاعتراف بأن تفسير الشريعة في الإجراءات القضائية هو من اختصاص العلماء المتخصصين في الدين، الناشئين خارج فلك السلطة الحكومية... بخلاف الأمر خارج الإسلام، فإنه

ذلك استعرض ما ذكره (برنارد لويس)، و(يوسف يشال) من مظاهر هذا الاختلاف وعوامله، حيث يؤكد (لويس) في كتابه «أين الخطأ؟»: أن خطأ قد وقع في الشرق الأوسط هو الذي تولد عنه هذا الاختلاف.

وبعد مناقشة (لويس)، و(يشال) فيما ساقاه... خلص المؤلف إلى أن الخطأ لا يتعلق بالشعوب الإسلامية، ولكن الخطأ يرجع إلى (لويس)، و(يشال) لأنهما نظرا إلى العالم الإسلامي بعينين أوروبيتين من جهة، ويعيون ما جاء في المذكرات الشخصية وبعض التقارير والروايات، وبعض الكتابات السياسية لفريق من أبناء العالم الإسلامي، الذين دارت ملاحظاتهم على بعض الفروق بين المجتمعين سواء بالاستهانة أو بالاحترام، مثل عمرى الكتفين لفشة عارية في حفل راقص، أو تلك الإنجازات العلمية الأوروبية، أو القوة الصادمة لأسلحة الجيوش الأوروبية الرهيبة؛ فلم يستطع (لويس) أن يقف على ما ظل الحكام يسعون إليه منذ القرن التاسع.

فكان لافتقاده هذه الاستطاعة أثر فعال في حكمه الخاطي بأن الاختلاف مع الغرب يعني: وجود نقائص لدى المسلمين، وأن دراسة عادات شعوب الغرب بدءاً بركوب عربات الخيل، وانتهاء بكيفية تقطيع شرائح الدجاج والأرانب... وأن دراسة هذه العادات فريضة واجبة على كل شرقي يريد الاختلاط بهم، والعيش بينهم نداً معترفاً به، فكل من يرغب من غير الأوروبيين أن يتقبله الأوروبيون يجب عليه أن يتصرف وفقاً للأسلوب الأوروبي.

أخلاقية، وأن من يخالفونهم ظاهرة شاذة غير ديمقراطية.

أما المعلقون المسلمون المتشددون منهم والعلمانيون فيرون أمريكا أرضاً علمانية للرديلة والفنون الاستهلاكية والتفاحة، ويرون الليبراليين الإسلاميين اغليين عملاء للنفوذ الأمريكي، أو محرضين على الديكتاتورية.

في حين يستهجن المسلمون الليبراليون تلك التوجهات القتالية، ويرفضون التشدد الديني، ويودون لو أنه اختفى.

من كل ما يؤكد أن هناك ما يربط العالم الإسلامي بالعالم المسيحي، وأنه لا يمكن فهم ماضي الغرب ومستقبله على النحو الأكمل بدون تقدير لعلاقته المتوائمة مع الإسلام التي استمرت لأكثر من أربعة عشر قرناً.

فال حاجة الداعية للتعرف على الحضارة الإسلامية / المسيحية، والاعتراف بها تعتمد على حاجة جميع الأمريكيين أن يدركوا الأرض المشتركة مع المجموعات الإسلامية في الشتات.

بين الإسلاميين والأوروبيين رؤى متباينة

وفي الفصل الثاني (ماذا حدث؟) قام المؤلف بجولة تأملية بين كتابات ورؤى حديثة صدرت عن أوروبيين وإسلاميين بحثاً عن طبيعة التباين بين الإسلاميين والأوروبيين، ومصادره؛ سعياً منه لكشف أبعاد هذا التباين بين الحضارتين.

والمؤلف يرى - ابتداءً - أن مصدر ذلك هو اختلاف شكل الحياة في العالم الإسلامي عنه في العالم الأوروبي (المسيحي)؛ ولكي يوضح

لغاتهم - فيتعلمون من بعضهم في ظل مساواة عرقية وروحانية.

وكان من أبرز مظاهر التباين بين التوأمين اللذين سارا في طريق تطوري متشابه... إعلان حكام الأوروبيين عزيمتهم على تنصير العالم - مع اختيارهم السطوة العسكرية والاقتصادية - بينما اتبع الحكام المسلمون مسارات مختلفة سعوا فيها بكل ما أوتوا من جهد خلق إمبراطوريات غنية قوية، لكنهم لم يفكروا في تحويل الشعوب الرعايا إلى الإسلام.

وينهى المؤلف جولته الاستطلاعية بتقرير: أن اعتماد الحكام الأوروبيين على القوة في الترويج للمسيحية جعل منها شكلاً من أشكال الطغيان الأجنبي، بينما ترك الحكام المسلمون مهمة الدعوة للتجار الصوفيين غير الرسميين، وعابري السبيل الذين كانوا يعملون خارج نطاق سلطة الحكام المسلمين، وبذلك أصبح الإسلام - بقانونيته وأخلاقيته العالمية الثابتة - حصناً لمقاومة الطغيان.

ويخلص المؤلف من استعراضه وملاحظاته إلى: أن فرصة صدام الحضارات إنما هو إفراز للغرب اليهودي / المسيحي في نزاعه مع الإسلام. أما وفقاً لنموذج الحضارة الإسلامية / المسيحية، فالإسلام والمسيحية توأم لم يتوقف تشابههما بافتراق سبلهما.

ولكن المعلقين الأمريكيين ينتعنون القتاليين من المسلمين بأنهم الصوت المهيمن في العالم الإسلامي، وينكرون وجود عقول ليبرالية، وفي الوقت نفسه يصرون على نعت من يماثلون هؤلاء من الأمريكيين بأنهم قوة غير

يعتمد على طبيعة الحاكم الأخلاقية.

وكان من نتائج هذا... أن قيادة العلماء المسيحيين كثيراً ما مهدوا السبل للهيمنة الملكية. أما علماء الدين الإسلامي فقلما نجد منهم من قام بهذا الدور، وقد وضح هذا الفارق - في الدور القضائي - حيث كانت العدالة في كنف الإسلام تراعى دائماً، دون تحيز لأي اعتبار، حتى إن اليهود والمسيحيين كانوا يفضلون اللجوء إلى المحاكم الإسلامية، ويرفضون اللجوء إلى سلطاتهم الدينية.

حتى في ظل الحكم الاستبدادي

ويرى المؤلف: أن هذا الاختلاف بين المسيحيين والمسلمين برز حتى في ظل تسلط الاستبدادي، فبينما كانت الكنائس المسيحية - في الغالب - تدعم الحكام الأوروبيين الاستبداديين في مواجهة الحركات الشعبية التي تطالب بحكومات دستورية ومؤسسات منتخبة... كان العلماء المسلمون يقودون الحركات الإصلاحية في مواجهة الحكام، كما قادوا مواجهة الهيمنة الأجنبية.

ولم يكن أمام هؤلاء الحكام إلا أن يحتسروا بالسلطات الأوروبية والحركات الإصلاحية، ويستعينوا بها في تهديد هؤلاء العلماء، باذلين في سبيل ذلك كثيراً من طاقات الدولة؛ لاعترافهم أن التماثل مع أوروبا لا يمكن تحقيقه إلا بأقصى الأساليب الاستبدادية تحت وصف «العلمانية»، على الرغم مما يعنيه هذا من سلب قوة المعارضة المحتملة التي تمثلها الشريعة ورجال الدين، ساعين بذلك إلى الاستحواذ على السلطة

المطلقة.

ويلاحظ: أن الثورة الأمريكية، وحركات التنظيمات الإصلاحية، وحكم رضا شاه في إيران قد تسببت في تراجع طويل الأمد للتسمية



محمد رضا شاه إيران

الدينية، وأن هذا التراجع انقلب مؤقثاً في إيران في منتصف سبعينيات القرن العشرين قبل الثورة، حينما أصبح الإسلام نقطة حشد لمن يعارضون طغيان محمد رضا شاه. ووصلت تلك العودة الوجيزة للتسمية الإسلامية إلى ذروتها حوالي سنة ١٩٧٧م.

في ضوء هذا يمكن النظر إلى الثورة الإيرانية وتقديرها بداية مرحلة انتقال من الاستبداد إلى الديمقراطية - وليس الانتقال من العلمانية إلى الحكومة الدينية - التي سوف تقود إلى مستقبل أكثر علمانية.

الثقافة بين المدارس والطبعة

ويلاحظ المؤلف: إن الطباعة في العصر الحديث أسهمت في توسيع الوسائل الثقافية، فبعد أن كانت قاعات الدراسة هي الوسيلة الثقافية الوحيدة، قامت الطباعة بتوفير الكتب المطبوعة، وبالتالي: تيسير انتقال الثقافة وانتشارها، فقللت بذلك من أهمية المسوغات الدينية التقليدية، بل إن التكنولوجيا الحديثة مكنت للكُتّاب والمؤلفين من أن يصبحوا مرجعيات، على الرغم من بعد المسافة بينهم وبين القارئ.

ويلاحظ: أن العالم المسيحي - في هذا المضمار - سبق العالم الإسلامي بأربعة قرون؛ فلم يحدث هذا التطور في العالم الإسلامي سوى في سنوات القرن التاسع عشر الأخيرة، حيث تيسر للمتدينين في أواخر القرن العشرين أن يفرقوا المكثبات بفيض من الكتب التي تعبّر عن وجهات نظرهم الشخصية في الإسلام، وتقدم فتاواهم التي كانت تصدر تقليدياً عن العلماء ذوى المكانة العالية؛ فبينما دعا بعض الكُتّاب إلى العودة للحياة كما تخيلوها في أيام الرسول ﷺ، عبر آخرون عن آراء أكثر إبداعاً، ودعوا إلى مزيد من الحريات الشخصية، ومشاركة الأحزاب الإسلامية في الحكم، إلى جانب توجه آخر يؤثر استخدام العنف حلاً لمشكلات الإسلام.

ثم كان للثورة الإلكترونية في الطباعة أثر فعال في نقل التأويل الشخصي للإسلام - وإن لم تقلص من أهمية الكلمة المطبوعة - فاستمدت الصحوة الإسلامية السياسية قدرتها على التعيشة من ثلاث محاولات لتقليص سلطة العلماء.

وقد نتج عن ذلك: نجاح تهميش العلماء إلى درجة كبيرة في تحرير الحكومات المستبدة من تهديد سياسي منافس استمر لزمان طويل، إلى جانب تسليم المرجعيات الجديدة الصاعدة أداة للوصول إلى قراء دوليين بأعداد هائلة، وجذب القراء بعيداً عن المرجعيات القديمة. ومع ما أتاحته آلة الطباعة من فرص للمفكرين الإسلاميين... تمكن القوميون،

والاشتراكيون، والشيوعيون، والعلمانيون من إصدار آلاف الكتب والصحف، لكن معظمها خبا سريعاً لافتقارها إلى الجمهور الملزم بهذا الفكر.

وكان ثمرة هذا: أن أفكار البلاذيين المطبوعة لم تشر شيئاً؛ لافتقارها إلى جذور لها في الثقافة السياسية المحلية، بخلاف أفكار الدينيين التي ترسخت بعمق؛ لأن جذورها كانت موجودة بالفعل.

ولذلك... لم تستطع أشكال الديمقراطية العلمانية الخيلولة دون ظهور الحكام المستبدين، وغضت القوى الغربية الملزمة بالديمقراطية نظرها عن سطوة الملوك والأسر الحاكمة واستبدادها، فلم يكن هناك مفر من ظهور ثقافة المقاومة الإسلامية للتخلص من الطغيان، أو التخفيف من وطأته.

فعلى الرغم من أن حضارة الإسلام والمسيحية تشكل توأم حضارة واحدة، فإن هذا لا يعني: أن تطور علاقة الكنيسة بالدولة في أوروبا المسيحية يمكن نسخه في علاقة الدولة بالمؤسسة الدينية الإسلامية؛ لأنه لا يمكن تجاهل الإسلام في الحياة العامة والسياسية للمسلمين، ولن يؤدي شجب الإسلام من أجل الديمقراطية إلى اختفائه مادام الطغيان حقيقة من حقائق حياة غالبية المسلمين؛ فليس يوسع الإرهاب الدولي تعبئة تنصرف وفق ديناميكية سياسية لحماية المسلمين من الظلم الذي استمر لعدة قرون.

- يتبع -

أزمة دارفور.. وواجب الدعوة في هذه المرحلة

للاستاذ الدكتور/ عبد الله نجيب محمد

الأستاذ بمعهد الدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة

الإقليم الفرعي	المساحة	عدد السكان تقريبا	المركز الرئيسي
دار مساليت	٨٨٤٥ م	٢٥٠,٠٠٠	جينينا
الفاشر	١٨٢٩٠ م	١٥٠,٠٠٠	الفاشر
الشمالي	٥٠٤٦٠ م	٢٠٠,٠٠٠	كتم
الجنوبي	٤٨٣٨٥ م	٤٠٠,٠٠٠	نيالا
الغربي	١٤١٧٠ م	١٥٠,٠٠٠	زالينجي

الرابع عشر وصل عرب التنجور Tungur إلى دارفور عن طريق بورنو وواي WA-dia من أوائل ملوكهم أحمد الماكير الذي تزوج ابنة آخر حكام الداجي، وحفيده السلطان دالي Dali أشهر الشخصيات في تاريخ دارفور، وقد وضع كتابا باسم «دالي» وضع فيه قانونا للعقوبات، ومبادئ أساسية للحكم تختلف بقدر ما عن تعاليم الشريعة الإسلامية، وكان من أهم أهدافه التوحيد بين السكان عربا وأفارقة.

جاء بعد «دالي» حفيده «سليمان» الذي حكم من عام ١٥٩٦ - ١٦٣٧ م

زالينجي

بهذه الأقاليم يعيش أكثر من ٦٠ قبيلة، لكل منها زعيم، ولكل إقليم حكومة محلية لها نظامها القضائي والمالي، وما زال النظام القبلي والعرف هو الأساس، والمهنة الرئيسية لدى أغلب القبائل هي الرعي، وقليل من الزراعة.

نبذة تاريخية

سكان جبل مارا من الداجي DAGU الأفارقة، وكانوا يسودون دارفور في فترات مبكرة من تاريخها، وفي القرن

العربي، وإذا أضفنا إلى ذلك هبة الإسلام وثراء حضارته وملاءمته لكل الظروف والبيئات، فإننا ندرك حقيقة أن أناسا كثيرين يشعرون بفخر نسبهم العربي «حقيقة كان أو تصورا» إضافة إلى هويتهم الإسلامية على نطاق العالم الإسلامي من غينيا والسنغال إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي.

وإقليم دارفور من بين أقاليم القارة التي يصدق عليها ما سبق قوله.

هذا الإقليم يقع في أقصى غرب السودان، ويمتد بين خطي عرض ١٠ إلى ١٦ درجة شمالا، ومن خطي طول ٢٢ إلى ٣٧,٣٠ درجة شرقا ومساحته ١٣٨,١٥٠ ميلا مربعا، ويقدر عدد سكانه بنحو مليون نسمة، ويحده من الشمال الصحراء الليبية، ومن الجنوب المديرية الاستوائية، ومن الشرق مديرية كردفان، وعاصمة الإقليم مدينة «الفاشر» وتقع على بعد ٥٠٠ ميل جنوب غرب الخرطوم وينقسم الإقليم إلى خمسة أقاليم، لكل إقليم مركز رئيسي يوضحه الجدول التالي:

ترتب على انتشار الإسلام في أفريقيا بصفة عامة نشأة العديد من الطرق التي ربطت القارة من المحيط الأطلنطي حتى البحر الأحمر، وعلى الصعيدين الاجتماعي والديني قام الدعوة والصوفية خاصة بنشر الإسلام على نحو خاص يمتاز بالاهتمام بمهابة شيوخ الطرق وأوليائها، وهي الصفة السائدة حتى الآن في مجتمعات أفريقية كثيرة، وقد أدى ذلك إلى تدعيم روابط قوية من الإخاء الديني والوفاق الاجتماعي، كما أدى إلى نوع من التكامل اللغوي والعرفي، الذي تضمن إسباغ الطابع المحلي على الثقافة الإسلامية، ومن ثم التجانس بين المجتمعات الإسلامية بعضها البعض ومع بقية العالم الإسلامي.

وهناك حقيقة معروفة فيما يخص البعد العرقي، وهي أن حاملي لواء نشر الدعوة الإسلامية - أيا كانوا - أثبتوا على الدوام ميلا متميزا إلى الإقامة بين من يتصلون بهم من الناس، يشاركونهم حياتهم ويتزوجون منهم ونتيجة لهذا الموقف انصهر سكان مناطق كثيرة في السودان وشمال وشرق أفريقيا ووسطها في العنصر

وكان حاكماً عظيماً عمل على نشر الإسلام بين سكان الإقليم وحوله، وتابع مسيرته حفيده «أحمد بحر» الذي حكم في الفترة من ١٦٨٢ - ١٧٢٢م وامتد حكمه شرقاً من النيل حتى شاطئ العظيرة، وازدهرت دارفور في عهده، وشجع هجرة السكان من بورنو Bornu وباجيرمي Bagirmi إلى بلاده.

تورط الحكام بعد أحمد بحر في حروب مع حكام «سنار» و «وادي» مما أدى إلى فقر عام في الإقليم وتولى بعده السلطان عبدالرحمن، وإليه يرجع الفضل في ازدهار مدينة «الفاشر» واتخاذها مدينة ملكية ومقراً للحكم.

ومن أهم المراكز التجارية في دارفور «كوب» Kobbe التي تقع على بعد ٥٠ ميلاً شمال غرب الفاشر.

خلف السلطان عبدالرحمن ابنه «محمد الفضل» الذي حكم حتى عام ١٨٣٩م وكرس حياته لتوحيد القبائل في دارفور وفي عهده استولى المصريون على إقليم كردفان سنة ١٨٢١م ثم استولت بعض القبائل العربية على منطقة بحر الغزال في عهد «محمد حسين» الذي مات عام ١٨٧٣م وخلفه ابنه «إبراهيم» الذي دخل في صراع مع الزبير رئيس التجار في بحر الغزال، كما اصطدم بالقوات المصرية القادمة من الخرطوم مما أدى إلى دمار مملكته وقتله في معركة في



الترابي

عمر البشير

خريف عام ١٨٧٤م وفي عهد عمه «حسب الله» خضعت دارفور للحكم المصري أيام الخديوي إسماعيل وقامت عدة ثورات ضد الحكم المصري انتهت بالفشل وفي عام ١٨٨٣ اضطر حاكم الإقليم للخضوع للمهدي وضمّت دارفور إلى بقية الأقاليم التي استولى عليها المهدي وفي نوفمبر ١٩١٦ أصبحت دارفور مديرية من مديريات السودان تحت الحكم المصري الإنجليزي وضمّت إليها «دار مساليت» ومن ثم خضعت دارفور وتعرضت لما تعرض له السودان حتى وقتنا الحاضر.

الآزمة

سكان دارفور عرباً وأفارقة جميعاً من المسلمين، وقد تعرضت المنطقة مؤخراً إلى تدخلات خارجية خطيرة تصور الخلافات بين أهل دارفور على أنها خلافات عرقية بين العرب والأفارقة ويكثر الادعاء في الإعلام الغربي بأن العرب يقومون بإبادة القبائل الإفريقية في دارفور.

والواقع أن الخلاف بين أهل دارفور يرجع سببه الأساسي إلى الخلافات السياسية في دوائر الحكومة السودانية في الخرطوم حيث يؤيد بعض أهل دارفور «حركة العدل والمساواة» JEM النظام الإسلامي الذي كان يقوده الترابي. ومن المعروف تاريخياً أن دارفور كانت موطن الحركة المهدية وأنها كانت موضع تياهي الترابي بالنجاح السياسي طوال العقد المنصرم ومن هنا يرجع سبب الخلاف حيث تؤيد حركة «العدل والمساواة» النظام الإسلامي في مواجهة تحالف الخرطوم بين ضباط الجيش بقيادة «عمر البشير» وتؤيد الحركة الإسلامية بزعامة الترابي.

خلاصة الأمر أن الصراع في دارفور في أسماه صراع سياسي وليس صراعاً عرقياً بين عرب وأفارقة بأي حال من الأحوال كما أنه ليس صراعاً ثقافياً لأن العروبة في السودان خاصة ثقافة، فالاختلاط البشري بين الجميع غير محدود ولا يمكن الإدعاء بنقاء أي قبيلة، وكما سبق أن ذكرنا فإن جميع سكان دارفور جميعاً من المسلمين وهم جميعاً سودانيون، وخطورة الصراع بينهم سوف تؤدي إلى آثار كارثية على المستوى السوداني والعربي بوجه عام وقد يؤدي إلى تفاقم صراعات إقليمية أخرى في دول الجوار.

ومكمن الخطورة الرئيسي على المستوى العربي يعود إلى محاولة الغرب وإسرائيل استغلال هذا الصراع لاستهداف السودان كدولة موحدة ومحاولته تجزئتها وخلق المشكلات لها حتى لا تتمكن من القيام بدور في التنمية واستخراج ثرواتها البترولية البشيرة!!

يحاول الغرب الوصول إلى النفط السوداني أو على الأقل تمكين الشركات الغربية من استغلاله لصالحها وحرمان السودان من هذه الثروة. وبالتالي حرمانه من التطور والازدهار.

الأخطر من ذلك أن دارفور عند أمريكا الرسمية يمثل فرصة استراتيجية لجذب إفريقيا نحو الحرب العالمية على ما تسميه الإرهاب الإسلامي ومن خلال ذلك تحاول رسم حدود فاصلة بين العرب والأفارقة وهو هدف قديم حديث هذا علاوة على المشروع الغربي الشرق أوسطى لدمج إسرائيل في المنطقة.

وجود القوى الغربية في هذه المنطقة الحساسة من العالم العربي يهدد أمنه من الخلف، وكأن الغرب يريد أن يفتح جبهة جديدة للصراع جنوباً علاوة على جبهة الصراع شمالاً مع إسرائيل التي تحاول أيضاً تهديد الأمن المصري عن طريق التدخل في مياه النيل وبهذا أصبحت قضية دارفور قضية عربية في الأساس.

دور الأزهر

والسؤال الذي يطرح نفسه: ماذا ينبغي علينا نحن المسلمين؟ وهل يمكن أن يكون للأزهر الشريف ورجاله دور في حل هذه الأزمة بين مسلمين ومسلمين؟

• في رأينا أنه ينبغي أولاً تنظيم كل أشكال الدعم المعنوي لحل المشكلات بين أهل دارفور وبينهم وبين حكومة الخرطوم.

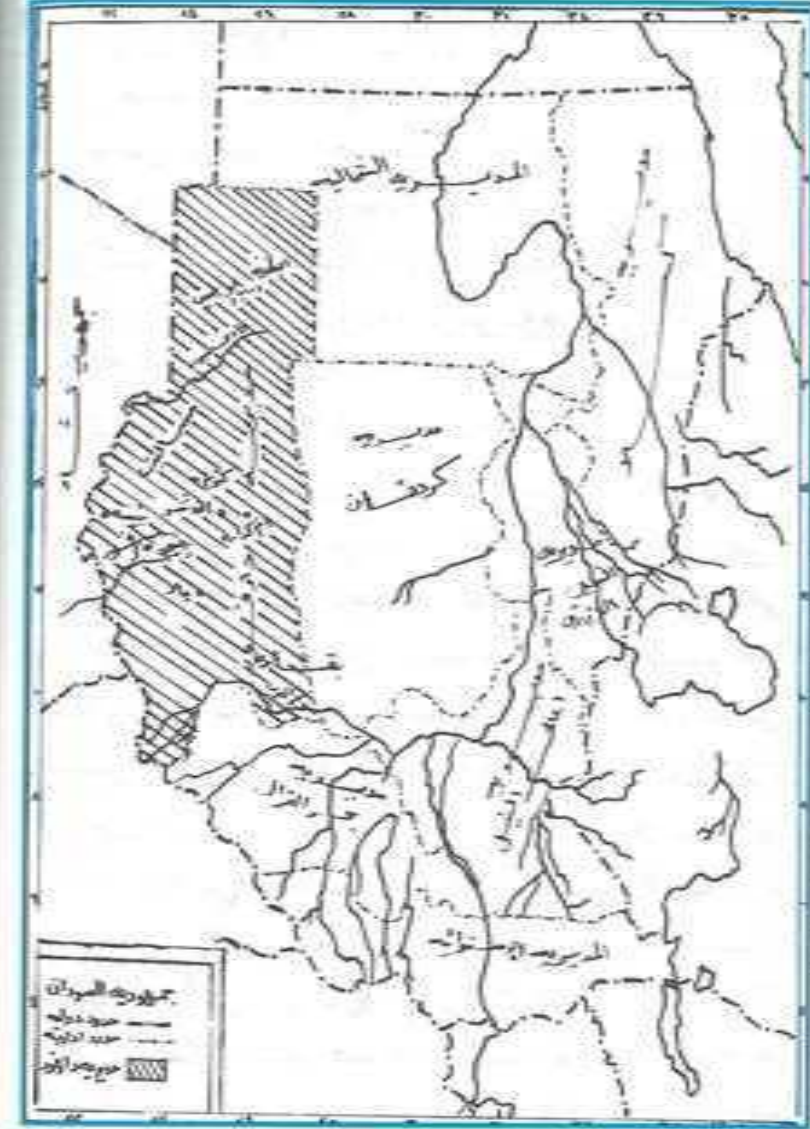
• ثانياً: أن تساهم الدول العربية بشكل جماعي ومباشر وعاجل ومنظم لتلافي المشكلات الإنسانية في دارفور.

• ثالثاً: أن تبدأ الحكومات العربية

مجتمعة في وضع خطط لتنمية الإقليم.

• رابعاً: وهو الأهم إنشاء لجنة من رجال الأزهر الشريف خاصة تزود بإمكانات قوية للقيام بمحاولة لنشر ثقافة السلام في الإقليم ودعوة المسلمين إلى تبذ الحرب والاعتصام

بحبل الله والالتزام بشريعة العدل والمساواة بين الناس والتنبيه إلى خطورة استدعاء العدو الأجنبي إلى بلادنا وما كارثة العراق بعبدة ويمكن لهذه اللجنة الاستعانة بهبات أهل الخير من أغنياء المسلمين وهم كثيرون والحمد لله.



الحوار في القرآن والسنة

الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

١

ويعمل الحوار على فتح آفاق التعاون والتعايش بين الشعوب، وقد أكد الإسلام على أن التعاون والتفاعل الحضاري والدفاع من أهم ما يؤكد الأمن في الأرض ويدفع الفساد والدمار عنها، حيث قال الله تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ

بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾

(البقرة: ٢٥١)

وحتى يتقرر الحوار المجدى لابد من التقارب والتواصل وإتاحة فرص متكافئة بين الجميع بعيداً عن الاستعلاء أو الهيمنة الثقافية، بل لابد أن

الحوار طريق للتعايش السلمي وبناء الثقة بين الناس أفراداً وجماعات وأممًا وشعوباً.

ولن يكون الحوار مجدياً عالمياً، إلا إذا نجحنا محلياً فيما بيننا في الداخل.. وإذا لم يكن الحوار مجدياً وفاجحاً محلياً، فإنه لا يعدو أن يكون جديلاً سقيماً عقيمًا، لا يستند إلى وحدة فكرية تستطيع مواجهة الآخر. فما دام لم يستطع المحاورون أن يوثقوا روابطهم ببعضهم فإنهم لن يستطيعوا ذلك مع الآخرين إذ لا يستقيم الظل والعود أعوج.

ومن هنا فإن من الواجب علينا أن نوحيد وجهات نظرنا في الحوار وأن نعمل على توحيد الرأي القائم على الحق والصواب، والقائم على دعوة الإسلام إلى الحوار لتحقيق السلام والرخاء، والأمن والاطمئنان، ومن أجل التعارف والتآلف، قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

(الحجرات: ١٣)

أغسطس ٢٠٠٨

شعبان ١٤٢٩

الأزهر ١٢٤٠

١٢٤١

الأزهر

يعد الحوار جسوراً بين الثقافة القائمة على الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية وعدم الذوبان في حضارة أخرى أو ثقافة أخرى.

إن الحوار في الإسلام ينطلق من قاعدة «عالمية الإسلام» التي تدعو الناس قاطبة إلى كلمة سواء، فلا تعبد إلا الله ولا تشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فيدعو الإسلام في حوارهِ إلى توحيد الله وإلى رفض أى طغيان أو كبرياء أو جبروت حيث قال الله تعالى:

﴿قَدْ يَأْكُلُ الْكَتَابُ ظَعَنَ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكْ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

(ال عمران: ٦٤)

وينطلق الحوار في الإسلام من قاعدة احترام الشرائع السماوية، والكتب الإلهية وجميع الرسل دون تفريق بينهم كما قال الله تعالى:

﴿مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْكُمْ رُسُلًا فَقَالَ لَهُمْ تِلْكَ حِكْمَةُ رَبِّكُمْ وَأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْكُمْ كَانُوا بِآيَاتِهِمْ لَكَاظِمِينَ وَمَا كَانُوا يَنْصَرِفُونَ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

وواضح أن هناك مساحات واسعة للتعاون والعمل المشترك يمكن للحوار أن يتناولها بغية الوصول إلى احترام حقوق الإنسان في كل زمان ومكان ودرء أخطار الظلم والعدوان ودعوة الجميع إلى

السلام العالمي والتعايش السلمي.

وواضح أن الله تعالى جعل الناس شعوباً وقبائل للتعارف والتألف، وأنه سبحانه لم يشأ أن يجعل الناس أمة واحدة لفعل، قال سبحانه:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرُؤُنَّ فَتَنًا وَيَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ قَالُوا اللَّهُ فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾

(هود: ١١٨ - ١١٩)

وهكذا نرى أن الحوار ضرورة للتعايش السلمي وأنه مسئولية مشتركة بين جميع الأطراف وجميع المنظمات العالمية والجامعات وسائر الدوائر الثقافية والعلمية من أجل نشر ثقافة السلام، وبدل أن تبعد مليارات الأموال في أسلحة الدمار الشامل توجه إلى البناء والاعمار والسلام والرخاء والازدهار.

لغة الحوار والعالمية

لغة الحوار: إن لغة الحوار لغة عريضة في الإسلام من خلال مصدريه الأساسيين: القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

لقد بدأت هذه اللغة منذ قال الله تعالى للملائكة:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُقْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

(البقرة: ٣٠)

ولغة الحوار ضرورية لأنها ترسي أصول الحقيقة وتثمر الاقتناع لدى جميع الأطراف ويتعرف كل فريق على جانب الحق بوضوح لا لبس فيه ولذا يرى المتصفح لآيات القرآن الكريم جوانب عديدة للحوار بين رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - وبين أممهم، وجوانب عديدة للحوار بين رسول الله ﷺ وبين المؤمنين وبين الناس بعضهم مع بعض في أمور العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق وفي شئون الدنيا والآخرة.

وفي عصرنا الحاضر أصبحت لغة الحوار أهم ما ينبغي أن تعنى به الأمم خاصة بعد ظهور نظريات ودعوات تقول بصراع الحضارات، وهي نظرية مرفوضة فالإسلام يدعو إلى تعاون الحضارات لا صدامها، ولقد عرفت الإسلام لغة الحوار وطبق المسلمون مبادئه الراشدة من أقدم العصور ومنذ ظهور الإسلام، وإنما اتخذ الإسلام منهج الحوار، لأن دعوة الإسلام عالمية فلا بد أن يسود الحوار حتى يصل الناس إلى الحق، ولننظر إلى عالمية الإسلام في ذلك.

صور من الحوار في القرآن الكريم

منذ الصفحات الأولى في القرآن الكريم الذي يتعبد المسلمون بكل كلمة فيه يأتي الحوار معلماً بارزاً واضحاً كل الوضوح.. ومن ثم نجد صوراً مناسبة في القرآن الكريم كله.

وقد وضح منهج القرآن الكريم في الحوار في كثير من الصور لعل أبرزها ما جرى من حوار بين الله - جل جلاله -

والملائكة عندما أراد الله تعالى تمكين آدم في الأرض.

وفي القرآن الكريم جاء هذا الحوار على النحو التالي:

يقول الله تعالى للملائكة:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

فترد الملائكة

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُقْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾

فيقول الله للملائكة:

﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

ثم يعلم الله آدم الأسماء كلها ويقول للملائكة:

﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

فيعترف الملائكة بعجزهم ويقولون لله:

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

فيقول الله لآدم:

﴿أَنبِئْهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ﴾

فينبئهم آدم بأسمائهم فيقول الله للملائكة:

﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُدْخِرُونَ وَمَا تُنْشِرُونَ﴾

وهكذا ينتهي الحوار بين الله سبحانه وتعالى والملائكة..

ثم يقع حوار آخر بين الله وآدم وحواء

تذكره الآيات القرآنية التالية :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ١٦ ﴾ وَقُلْنَا يٰٓأَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ١٧ ۝ فَآرَأَيْتُمَا النَّيْطَ بَيْنَهُمَا

(أى جعلهما ينحرفان)

﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۝ ﴾ (أى من الجنة)
 ﴿ وَقُلْنَا ۝ ﴾ (أى الله لآدم وحواء) :

﴿ أَفَطُورًا ۝ ﴾
 ﴿ عَصَاكَ لِعِصْيَانٍ عَدُوٍّ لَّكَ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ ﴾
 لكن آدم يعلن ندمه وتوبته فيتوب الله عنه ، قال تعالى :

﴿ فَلَقِيَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ فَكَفَبْتُ فَأَبَىٰ عَلَيْهِ وَابْنَهُ هُوَ النَّوَابِ الرَّحِيمُ ۝ ﴾

ثم يصدر الأمر الإلهي ببداية تعمير الأرض ورحلة الصراع بين الحق والباطل :

﴿ قُلْنَا أَفَطُورًا مِّنْهُمَا جَمِيعًا قَالُوا بَلَىٰ إِنَّا بِهَذَا كَرِهٌ لِّمَنْ هَدَىٰ هَذَا يَفْطُونَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ﴾

(البقرة: ٣٨)

— وهكذا نرى أن الله — سبحانه وتعالى — أخبر الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة ، وفي هذا امتنان على بنى آدم حيث ذكرهم رب العزة — سبحانه — في الملأ الأعلى قبل

إيجادهم ومعنى ﴿ خَلِيفَةً ۝ ﴾ : يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل ، وكان سؤال الملائكة :

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۝ ﴾

وسؤالهم هو سؤال استعلام واستكشاف يريدون معرفة الحكمة من خلف آدم مع أن من بنى آدم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء ولعلهم علموا ذلك بما هو معلوم عن الملائكة من أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأن غيرهم من بنى آدم ممن ركبت فيهم الغرائز قد يفسدون أو أنهم علموا ذلك بعلم علمهم الله إياه وعرفهم الله سبحانه وتعالى به .

— إنهم تساءلوا : إذا كانت الحكمة من خلق آدم العباداة فالملائكة يعبدون الله ويسبحون بحمده ويقدمون له .. فلماذا آدم إذن ؟

— فأجابهم الله سبحانه بقوله :

﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ ﴾

أى إنه سبحانه أعلم بالصلحة في خلق هذا الصنف فيجعل فيهم الأنبياء ويرسل لهم الرسل ، ثم يصرح الله بالشرف الذى اختص به آدم فى قوله :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ۝ ﴾

وهنا تجلى شرف آدم على الملائكة بما اختصه الله بعلم أسماء كل شئ ، فبالعلم كان تفضيل آدم عليه السلام .

حوار المشرك الغنى والمؤمن الفقير

وهذا نموذج آخر لحوار قصه القرآن الكريم بين مشرك غنى ومؤمن فقير وهو نموذج لأنماط مكرورة فى الحياة البشرية على مستوى الأفراد والمجتمعات .

قال تعالى :

﴿ وَأَنْتَ ۝ ﴾
 ﴿ لَمْ تَكُنْ مِنْ رَّحْمَتِنَا لَأَحَدٍ مِّنْ جَنَّاتٍ مِّنْ أَشْجَبٍ وَخَفَّتْهَا بِنَخْلٍ وَحَمَلْنَا بَنَاتٍ طَيَّابَاتٍ ۝ ﴾ كُنَّا الْجَنَّةَ مَأْتًا كُلَّهَا وَلَمْ تَقْضِ لَنَا شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا ۝ ﴾ وَكَانَ لَمْ تَقْضِ لَنَا لَصَاحِبِهِ . وَهُوَ يَحْمِلُهُ مَا أَكْرَمْتَنِيكَ مَا لَا وَاعِزُّكَ ۝ ﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مَا أَلْبَسَ أَنْ يَبْدُؤَ لَدُنَا ۝ ﴾ وَمَا أَلْبَسَ السَّكَاةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُودَتْ إِلَىٰ رَبِّهِ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ۝ ﴾ قَالَ لَمْ يَصَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ طِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ۝ ﴾ أَلَيْسَ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ ﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِالْقِيَامِ إِنْ كُنْتُمْ لَنَا أَقْلٌ مِنْكُمْ مَا لَا وَوَلَدًا ۝ ﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُوَفِّيَنَّ خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ ﴾ أَوْ يُضْحِكُ مَا وَهَّغُوا قُلْنَ فَتَسْتَطِيعُ لَمْ طَلَبْنَا ۝ ﴾ وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ . فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَتَىٰكَ عَنْ مَا آتَىٰكَ فِيهَا وَهُوَ حَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرْوَتِهَا وَيَقُولُ يٰٓيَسْبِي لَمْ تَكُنْ لِي بِرَبِّي أَحَدًا ۝ ﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ قِيَّةً يَضُرُّهُ وَمِنْ دُونِ اللَّهِ مَا كَانَ مُنْصَبِرًا ۝ ﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّذِينَ هُوَ خَيْرٌ تَوَابًا وَخَيْرٌ عَقَابًا ۝ ﴾

(الكهف: ٣٢ - ٤٤)

وقد ضرب القرآن الكريم هذا المثل بهذا الحوار بعد أن ذكر المشركين الذين استكبروا عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين واقتخروا عليهم بأموالهم فضرب الله لهم مثلاً بهذين الرجلين كان أحدهما غنياً يفتخر على الآخر وكان مع غناه يتمرد ويتكبر ويتنكر الآخرة فكان المؤمن الفقير يعظه ويزجره عن الكفر والغرور ويعلن يقينه بما يدخره الله له فى الآخرة خيراً من جنة هذا الغنى الكافر والله قادر على أن يرسل على تلك الحديفة الشئ يمتلكها الكافر عذاباً أو جائحة من السماء فتصبح زلقاً «تراباً أملس» أو يذهب ماءها وقد وقع للكافر ما كان يحذره مما خوفه المؤمن به فأصبح يضرب كفاً على أخرى نادماً قائلاً :

﴿ يٰٓيَسْبِي لَمْ تَكُنْ لِي بِرَبِّي أَحَدًا ۝ ﴾

(الكهف: ٤٢)

وهو نموذج للحوار بين الحق والباطل وبين الخير والشر وكيف أنه لا يصح إلا الصحيح وأن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة وأن رب العزة — سبحانه وتعالى — يمهّل ولا يمهّل .

—

استقبل الحوار

في ظل الإساءات المتكررة إلى الإسلام

لفضيلة الشيخ / فوزي الزرقاف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

٢

تحاول التوافق مع بعض ملامح عصرنا، كالدعوة إلى حقوق الإنسان، وحرية الدين والاعتقاد.

(ب) أنه حاول أن يدعم روحيا ضحايا فضائح التحرش الجنسي بالأطفال القصر على أيدي كهنة كاثوليك بلغوا أكثر من أربعة آلاف كاهن منذ عام ١٩٥٠م، ودفعت الكنائس أكثر من مليارين من الدولارات تعويضا عن تلك الأفعال المشينة.. كما تضمن الخطاب انتقادا لرجال الدين الكاثوليك، ولا سيما بعض الأساقفة الذين تواطؤوا مع بعض الكهنة الآثمين، والذين بلغ المدانون فيهم ٤٣٩٢ من أصل ١١ ألف كاهن خدموا في أمريكا بين أعوام ١٩٥٠ - ٢٠٠٢م، وحاول الخطاب الرعوى السياسي البابوي أن يتجاوز الأزمة التي ألت بالضمير

إن زيارة البابا لأمريكا تبدو رعوية، ولكنها سياسية في ظل اتفاق الدولتين إزاء بعض القضايا الاجتماعية والطبية: كرفض بوش والبابا للإجهاض، والقتل بدافع الرحمة، وأبحاث خلايا المنشأ الجنينية، وزواج المثليين... وذلك كتعبيرات عن عقائد وإدراكات دينية وسياسية محافظة.

وإن كانتا يختلفان في الرأي حول طبيعة الحرب في العراق: حيث يراها الأمريكيان مشروعة وضرورية للقضاء على تهديدات أسلحة الدمار الشامل، والمساعدة في نشر الديمقراطية وقيمها في المنطقة!! ويراهما الفانيكان أنها لا تدخل ضمن مفهوم الحرب العادلة.

وقد لوحظ أن الخطاب البابوي - أثناء الزيارة:

(أ) أنه بدأ يتحرك حول نزعة محافظة

زيارة بندكت للولايات المتحدة!!

(٥) اكتسبت زيارة البابا بندكت السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية أوقاف

عام ٢٠٠٨م بعضا من الأهمية السياسية والرعوية للأسباب الآتية:

١- لأنها تمت في لحظة تاريخية تتسم بالتوترات والقلق والخوف الكوني من نزاعات الأديان ومنافساتها على خرائط النزاعات الدولية الأخرى.

٢- الأهمية النسبية لموقع كلتا الدولتين في النظام الدولي: فالامبراطورية الأمريكية تبدو تجلياتها في القوة الاستراتيجية الكونية ومصادرها العسكرية والاقتصادية والتقنية والعلمية... والبابا يقود امبراطورية رمزية، ويحمل مصادر للقوة العقائدية والحضور الروحي على المستوى العالمي...

وكلتا القيادتين يتسم تفكيرهما بالنزعة الدينية المحافظة، والحضور المؤثر في قلب التفاعلات الدولية وصراعاتها.

٣- العلاقات التاريخية بين المؤسسة الأمريكية والفاتيكان في ظل تقارب وحوار واتفاقات واختلافات... ولا سيما منذ الحرب الباردة، والدور البارز للبابا البولندي الأصل الراحل يوحنا بولس الثاني في دعم عمليات انهيار النظام السوفيتي والكتلة الامبراطورية الماركسية...

٤- تولى البابا - الألماني الأصل - بندكت السادس عشر بابوية الفاتيكان ليتوج ذروة النزعة المحافظة، وتراجع خطابات لاهوت التحرير، وتقوية هيمنة السلطة البابوية على الكتلة الكاثوليكية العالمية، بما يصفه بعضهم بتراجع مجمع الفاتيكان الثاني..

الكاثوليكي الأمريكي.

إن زيارة البابا لأمریکا تعد جزءاً من الدبلوماسية الدينية الاحتوائية والدفاعية التي استهدفت وقف عملية تراجع الكاثوليكية في أمريكا، حيث فقدت الكاثوليكية خلال السنوات الماضية نحو ٧٪ من مؤمنيه الذين كانوا يشكلون ٣١٪ من الأمريكيين... واستطاع البابا أن يحقق قدراً من التعيشة العقائدية للكاثوليك القادمين من أمريكا الجنوبية والوسطى، وامتح ما أسماه حيوية معتقداتهم الدينية، وذلك كجزء من دبلوماسية التنافس المذهبي مع البروتستانتية ومؤسساتها البارزة التي تمثل ٥١٪ من الأمريكيين.

كما سعت سياسة الفاتيكان إلى محاولة وقف التوتر في بعض مناطق الوجود الكاثوليكي خصوصاً، والمسيحي عموماً، وفي بعض مناطق النزاعات المسلحة والحروب ولاسيماً في العراق حيث تعرضت الكنائس والمحال والمسيحيون - الكلدان - إلى عنف تدميري ودموي، وآخرهم رئيس الأساقفة الكلدان في الموصل بولس فرج رجو، وإلى وقف نزيف هجرة المسيحيين من العراق.

ومن أبرز المواقف أثناء زيارة البابا لأمریکا: ما ذهب إليه البابا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة للدعوة لعودة مفهوم الحماية الدولية والمسؤولية الدولية من خلال المنظمة الدولية، وهو أمر فشل في

أزمة التطهير العرقي في رواندا عام ١٩٩٤م، واستخدم في شمال العراق، واستخدم في حق التدخل الإنساني في الصومال، واستخدم ذريعة للتدخلات الأمريكية في مناطق متعددة حول العالم.

إن نتائج زيارة البابا للولايات المتحدة الأمريكية تشير إلى تجنب كلا الطرفين القضايا الخلافية، مع إبداء القلق المشترك من الوضع في العراق، وفي بعض مناطق أخرى في المنطقة، وأن الطرفين يأملان في حل النزاع الفلسطيني الإسرائيلي مع إقامة دولة فلسطينية مستقلة، مع دعم سيادة لبنان.

وكلها صياغات دبلوماسية عامة وغير محددة، وسائل، ولا تنطوي على التزامات محددة.

ومن أبرز ما حاول البابا إنجازه - في حدود - هو رفض إلقاء صلاة الجمعة العظيمة التي تدعو إلى اعتراف اليهود بالمسيحية، مع رفضه أي موقف ازدراء أو تمييز إزاء اليهود، أو أي شكل من أشكال معاداة السامية...

والتصدي للنشاط التبشيري البروتستانتي، والانتشار الإسلامي، والبوذية التي تنتشر بنعومة في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الغرب.

إن الهدف من الحديث عن زيارة البابا بندكت السادس عشر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعن نشاطه الديني والسياسي خلال هذه الزيارة، هو إلقاء الضوء

الكاشف على فكر واتجاهات وسياسة الفاتيكان تحت قيادة البابا بندكت السادس عشر، لتحديد سياستنا وخططنا ومنهجنا عند الحوار مع الفاتيكان.

أهمية الحوار الديني في الوقت الراهن

إذا كان الحوار الإسلامي المسيحي الكاثوليكي قد أصيب بفتور، بل وتعرض لنكسة منذ أن تولى البابا بندكت السادس عشر بابوية الفاتيكان، فليس معنى ذلك أن نتوقف عن الحوار الديني مع الآخرين، أو أن تغلق هذا الملف الحيوي المهم.

فالحوار الإسلامي المسيحي مع الكنيسة الإنجليكانية "كانتيري" يسير سيراً حسناً وتسوده العلاقات الطيبة، والاحترام المتبادل، والتفاهم الإيجابي، والتعاون البناء منذ أن تم توقيع اتفاقية الحوار بينها وبين الأزهر الشريف في يناير ٢٠٠٢م... وهذا بدعونا إلى التفاوض، وإلى المضي قدماً في مشوار الحوار الديني لتحقيق أهدافه السامية المنشودة، والغاية النبيلة المأمولة.

إن العالم اليوم طغت فيه العلمانية أكثر من أي عصر مضى، وظاهرة البعد عن الله صارت سمة من سمات العصر الحديث، والصراعات بين الدول اختلفت كثرت وتفاقت، وذلك يعود إلى أسباب عديدة نطرح بعضها تحليلاً لا حصراً فيما يلي:

١- بروز بعض ظواهر التوتر والنزاعات بين الدول والكتل الدينية الكبرى في عالمنا المعاصر، وبين بعض المذاهب داخل الأديان نفسها، ومثالها:

(أ) الكاثوليكية إزاء البروتستانتية والأرثوذكسية.

(ب) بعض مظاهر التوتر الإسلامي على مستوى مذهب أهل السنة والشيعة، وخاصة في ظل انعكاسات الغزو والاحتلال الأمريكي للعراق.

(ج) ظواهر التوتر الديني بين بعض الجماعات الإسلامية وبين المقاومة الفلسطينية المشروعة إزاء الاحتلال الإسرائيلي، وانعكاسات ذلك على بعض صور اليهود في بعض التصورات الإسلامية "الصهيونية العالمية".

٢- محاولة بعض الدوائر في عالمنا المعاصر إشعال الصراع أو التوتر بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى، وإظهار الدين الإسلامي العظيم بقيمه المتسامحة والعدالة، ومبادئه الراقية التي تدعو إلى التعارف والتعايش والتعاون والحب والإخاء بين الناس جميعاً... إظهاره بمثابة العدو للغرب، كما ورد في كتابات "صمويل هانتجتون" في كتابه "صراع الحضارات".

٣- الآثار السلبية لأحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م الدامية، والتي ترسخت في العقل والوعي والإدراك الجماعي الغربي إزاء الإسلام... وما أثارته هذه الأحداث من مجموعة من المقالات النمطية ضد الإسلام، التي ظهرت وكثرت في الآلة الإعلامية الغربية، وفي مناطق أخرى من عالمنا، والتي أساءت إساءة بالغة للمسلمين، حيث

المؤتمر العالمي للحوار بمديرية

خادم الحرمين الشريفين:

لا بد أن نتوجه إلى القواسم المشتركة التي تجمع بيننا وهي الإيمان العميق بالله والمبادئ النبيلة والأخلاق العالية التي تمثل جوهر الديانات.



الملك خوان كارلوس:

أتمنى عالمًا يسوده السلام والعدل والإنصاف ويسمح للأجيال الحاضرة والمستقبلية بأن تنمو في عز وكرامة.



رسالة مدير مكتبها: عاطف مصطفى

٥- أن استخدام الحوار الديني يساهم في حل قضايا الصراع الديني بين الشعوب مختلفة الأديان، وبين أبناء الشعب الواحد المنتمى عقائدياً إلى أديان متعددة، وبين أبناء الشعب الواحد المنتمى إلى دين واحد ولكنه يتصارع مذهبياً.

٦- أن استخدام الحوار الديني يساهم في حل بعض المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية سواء على المستوى العالمي الخارجي، أم على المستوى المحلي الداخلي، لاسيما وأن بعض هذه المشاكل ترجع جذورها إلى صراعات دينية.

٧- أن استخدام الحوار الديني يساهم في نشر التسامح، وتحقيق الغية بين البشر لیسود السلام بين الجميع.

٨- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى القضاء على التعصب والتطرف الديني وما ينتج عنهما من عنف وإرهاب.

٩- أن استخدام الحوار الديني يساهم في التعاون بين أتباع الديانات السماوية على تقديم المساعدات الإنسانية للمناطق التي تصاب بالكوارث.

١٠- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى احترام الشعائر والأماكن والمقدسات الدينية لأتباع الديانات المختلفة، وعدم التعرض لها بسوء^(١).

تبع

قدمتهم للعالم في صورة إرهابيين، بل وتجاوزت هذه المرحلة وقدمت الإسلام ذاته على أنه دين عنف وقتال وسفك دماء..

صور نمطية واستشراقية قديمة ومغلوطه حول ديننا العظيم الذي جاء رحمة وهداية للعالمين، وتنطوي على سلبات قديمة أشاعتها بعض الدوائر الغربية حول الإسلام: العقيدة والشرعية والقيم والمبادئ الأخلاقية والثقافة والتاريخ.

وهذا يدعونا إلى التمسك بالحوار الديني، وإلى أن نبذل كل ما في وسعنا لنشره وتعميمه، فالحوار الديني بين أتباع الديانات السماوية يحقق أهدافاً سامية تخدم البشرية، منها على سبيل الاسترشاد لا الحصر:

١- أن الحوار الديني وسيلة فعالة للتفاهم والتقارب والتآلف بين أتباع الديانات.

٢- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى الارتقاء بالقيم الإنسانية والأخلاقية، وإلى توضيح ارتباطها بالقيم الروحية المستمدة من التعاليم الدينية.

٣- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى تحسيس القوى الدينية لمواجهة الإلحاد والانحلال والمذاهب اللادينية الهدامة.

٤- أن استخدام الحوار الديني يؤدي إلى الحد من انتشار الرذيلة، والقضاء على الفساد الاجتماعي.

(١) بحث «الحوار الديني وأهميته في العصر الحاضر» إعداد مقدم البحث.

خادم الحرمين الشريفين يؤكد:

الاختلاف لا ينبغي أن يؤدي إلى النزاع والصراع



قال د. عبدالله التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ورئيس المؤتمر: إن اختيار مدريد بإسبانيا لعقد المؤتمر العالمي للحوار برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود تم وفق دراسة معينة من قبل رابطة العالم الإسلامي مؤكداً على أن التركيز على المشتركات الإنسانية بين الأديان والحضارات هو محور الحديث في هذا المؤتمر، وهذا ما أشار إليه خادم الحرمين الشريفين في كلمته التاريخية في الشهر الماضي بحضور أكثر من ٥٠٠ عالم ومفكر وأكد فيها على أن تشترك في مبادئ تدعو إلى حسن الأخلاق، ومواجهة المشكلات وإنقاذ الإنسان منها.

وقد شارك في مؤتمر مدريد أكثر من مائتي شخصية من رجال الفكر والأديان من المسلمين والمسيحيين واليهود والديانات الأخرى لكي يسهموا من خلال الحوار وعلى مدى ثلاثة أيام في بناء جسر تواصل جديد على ضوء نداء مكة والذي جاء ليعبر عن رغبة المسلمين الأكيدة في حوار جاد مع الديانات الأخرى وأهمها المسيحية واليهودية وصولاً إلى تفاهم مشترك بينها وبين باقي المعتقدات والديانات الأخرى.

في إسبانيا وفي قلب أوروبا كان افتتاح المؤتمر العالمي للحوار والذي عقد في مدريد في الفترة من ١٢ - ١٥ رجب ١٤٢٩ الموافق ١٦ - ١٨ يوليو ٢٠٠٨.. وجاء اختيار إسبانيا مكاناً لانعقاد المؤتمر لما تتمتع به من إرث تاريخي بين أتباع الرسالات الإلهية شهد تعايشاً وازدهاراً أسسهم في تطور الحضارة الإنسانية.

قيمة الحوار

جاء حفل الافتتاح معبراً عن الرغبة الأكيدة من قبل خادم الحرمين لمواصلة مبادرته مشدداً على القواسم المشتركة بين أتباع الأديان وإعلاء قيمة الحوار فكانت الجلسة المهمة الافتتاحية والتي حضرها الملك خوان كارلوس ملك إسبانيا في واحد من أهم القصور الملكية بمدريد وبحضور كل المدعوين من أنحاء العالم من المسلمين والمسيحيين واليهود والبوذيين وعديد من الديانات الأخرى.. الكل تلاحم مع أخيه الإنسان، دونما النظر إلى دينه أو عقيدته أو وطنه.. بعيداً عن الصراعات والحروب وفي مشهد حضاري لم تشهده البشرية وبهذا الترخم من قبل.

وأطلق خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله ابن عبدالعزيز فعاليات المؤتمر العالمي للحوار بمدريد بإسبانيا، تلك البلاد التي حفر فيها العرب تاريخاً طويلاً، وعرفت به الأندلس، منذ أن دخلوها قسطنطين في عام ٧١١ ميلادي

واستمرت لثمانية قرون وحتى عام ١٤٩٢. جاءت كلمة راعي الحفل ضافية معبرة قوية بدأها بكلمات من محكم الكتاب الكريم حيث قال.. بسم الله والحمد لله القائل في محكم كتابه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾

(الحجرات: ١٣)

بعد ذلك حيا ملك إسبانيا والذي أضفى حضوره معادة للمشاركين.. وقال: «أحييكم وأشكركم تلبية دعوتنا هذه الحوار وأقدر لكم ما تبذلونه من جهد في خدمة الإنسانية، متوجها بالامتنان العميق للملك خوان كارلوس ومملكة إسبانيا وشعبها الصديق على الترحيب بعقد هذا المؤتمر على أرضهم التي حملت ميراثاً تاريخياً وحضارياً بين أتباع الديانات، وشهدت تعايشاً بين البشر على اختلاف أجناسهم



خادم الحرمين الشريفين يرعى وبحضور ملك إسبانيا حفل افتتاح أعمال المؤتمر العالمي للحوار بمadrid

الدائم والمستمر لمسيرة السلام في الشرق الأوسط ولمسيرة الحوار في البحر الأبيض المتوسط، والتعمق في شئون السلام والحوار والتعاون على الصعيد الدولي.

وتطلع ملك إسبانيا إلى أن يدعم المؤتمر العالمي للحوار احترام الهويات والمعتقدات، والقيم والأخلاق التي تمثل القواسم المشتركة بين الأديان السماوية والثقافات والحضارات المختلفة، ويؤدي إلى التفاهم المتبادل والتعايش السلمي بين البشر، متمنيا عالما يسوده السلام والعدل والإنصاف، ويسمح للأجيال الحاضرة والمستقبلية بأن تنمو في عز وكرامة مؤكدا على ضرورة بذل الجهود من أجل القضاء على الجوع والفقر في شتى أنحاء العالم، وأن يحافظ الإنسان على البيئة.

وطلب خادم الحرمين الشريفين وهو يخاطب جميع الحضور بالأصدقاء، بأن يكون الحوار مناصرة للإيمان في وجه الإلحاد، والفضيلة في مواجهة الرذيلة، والعدالة في مواجهة الظلم، والسلام في مواجهة الصراعات والحروب، والأخوة البشرية في مواجهة العنصرية.

التسامح والاحترام المتبادل

وفي كلمته الصافية قال الملك خوان كارلوس ملك إسبانيا: إن بلاده لديها معرفة كسيرة وثرية بهذا المقتصر من الطرق والشقافات والديانات، وإنها بلد بني ديمقراطيته على التسامح والتعايش والاحترام المتبادل، مشيرا إلى دعم إسبانيا

نتائج للفراغ الروحي الذي يعاني منه الناس، بعد أن نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ولا مخرج لنا إلا بالالتقاء على كلمة سواء، عبر الحوار بين الأديان والحضارات.

القواسم المشتركة

وأضاف جلالتة: لقد فشلت معظم الحوارات في الماضي لأنها تحولت إلى تراشق، يركز على الفوارق ويضخمها، وهذا مجهود عقيم يزيد التوترات، ولا يخفف من حدتها، أو لأنها حاولت صهر الأديان والمذاهب، بحجة التقريب بينها، وهذا بدوره مجهود عقيم، فأصحاب كل دين مقتنعون بعقيدتهم لا يقبلون عنها بديلا.

وإذا كنا نريد لهذا اللقاء التاريخي أن ينجح، فلا بد أن نتوجه إلى القواسم المشتركة التي تجمع بيننا، وهي الإيمان العميق بالله والمبادئ النبيلة، والأخلاق العالية التي تمثل جوهر الديانات وأما خادم الحرمين الشريفين إلى أن الإنسان قد يكون سببا في تدمير هذا الكوكب بكل ما فيه، وهو قادر أيضا على جعله واحدا سلام واطمئنان، يتعايش فيه أتباع الأديان والمذاهب والفلسفات، ويتعاون الناس فيه مع بعضهم بعضا باحترام، ويواجهون المشاكل بالحوار لا بالعنف.

إن هذا الإنسان قادر - بعون الله - على أن يهزم الكراهية بالحب والتعصب بالتسامح، وأن يجعل جميع البشر يتمتعون بالكرامة التي هي تكريم من الرب - جل شأنه لينى

ودياناتهم وثقافتهم وشاركت مع بقية الحضارات الأخرى في تطور الحياة الإنسانية.

وبكل الثقة والإيمان بمشروعه حول الحوار قال أيضا خادم الحرمين الشريفين «جنتكم من مهوى قلوب المسلمين، من بلاد الحرمين الشريفين حاملا معي رسالة من الأمة الإسلامية، ممثلة في علمائها ومفكرها الذين اجتمعوا مؤخرا في رحاب بيت الله الحرام، رسالة تعلن أن الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية والتسامح، رسالة تدعو إلى الحوار البناء بين أتباع الأديان، رسالة تبشر الإنسانية بفتح صفحة جديدة، يحل فيها الرئام - بإذن الله - محل الصراع. إننا جميعا نؤمن برب واحد، بعث الرسل لخير البشرية في الدنيا والآخرة، واقتضت حكمته سبحانه أن يختلف الناس في أديانهم، ولو شاء لجمع البشر على دين واحد، ونحن نجتمع اليوم لنؤكد أن الأديان التي أرادها الله لإسعاد البشر، يجب أن تكون وسيلة لسعادتهم.

لذلك علينا أن نعلن للعالم أن الاختلاف لا ينبغي أن يؤدي إلى النزاع والصراع، ولنقول أن المآسى التي مرت في تاريخ البشر لم تكن بسبب الأديان، ولكن بسبب التطرف الذي ابتلى به بعض أتباع كل دين سماوي، وكل عقيدة سياسية وقال خادم الحرمين: إن البشرية اليوم تعاني من ضياع القيم والتباس المفاهيم، وتمر بفترة حرجة تشهد بالرغم من كل التقدم العلمي، تفشي الجرائم، وتنامي الإرهاب، وتفكك الأسرة، وانتهاك الأخدرات لعقول الشباب، واستغلال الأقوياء للفقراء، والنزعات العنصرية البغيضة، وهذه كلها



كلمة الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

أصلهم واحد، فاختلاف أعراقهم وألوانهم ولغاتهم وأوطانهم، لا يقتضى أى تفاوت بينهم فى أصل التكريم والقيمة الإنسانية.

يقول نبينا الكريم محمد ﷺ «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على أعجمى، ولا أعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»^(١).

إن من مقومات الحضارة الإسلامية الانفتاح على الآخرين، والتكامل معهم، ويشهد لهذه الحقيقة تعدد الأقليات الدينية أو الاثنية فى العالم الإسلامى على مر التاريخ، ورعاية حقوقها كافة ومحافظة على خصائصها،

نظرة مساواة

وأشار الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى أن من أهم أهداف الحوار التباحث فى سبل مواجهة الترويج للفوضى، والانحلال فى الأخلاق والتفكك الأسرى، إلى حد مشاكسة الفطرة وتجاهل الفروق التكوينية بين الجنسين.

فالقضايا المباشرة بين القيادات الدينية والفكرية والفلسفية فى العالم مناسبة ثمينة لإشاعة أجواء التفاهم وتصحيح المعلومات المغلوطة، والتقليل من أسباب التوتر والنزف فى الأحكام والمواقف والرؤى.

وأكد على أن الإسلام ينظر إلى أفراد الجنس البشرى نظرة مساواة باعتبار أن

وبين د. عبدالله التركي أن هذا المؤتمر يأتى فى إطار دعوة خادم الحرمين الشريفين إلى الحوار بين مختلف الفئات الدينية والثقافية والحضارية، وقادة الفكر الإنسانى، وتعبير هذه الدعوة عن رغبة صادقة وعميقة فى حسن التعايش والتعاون بين أمم العالم وشعوبه وحضاراته تسينها قيادة المملكة العربية السعودية، وتنتهجها فى سياستها الداخلية والخارجية، وهو دليل على أن الحلفية الثقافية والحضارية التى تنطلق منها المملكة تتسم بالانفتاح والمرونة، وحب الخير للبشرية جمعاء وأوضح د. التركي أن المؤتمر العالمى للحوار والذي عقد مؤخراً فى مكة المكرمة، يعتبر خطوة إسلامية جامعة فى التجارب مع هذه الدعوة الكريمة، وهو مؤتمر إسلامى عالمى حضره عدد كبير من الشخصيات الإسلامية، اتفقت على أسس وآليات تكفل النجاح للحوار.

وقد تركزت أعمال مؤتمر مكة على الجوانب التأسيسية للحوار بإبراز أصالته، ووضع المحددات والشروط التى تهيئ الأجواء لنجاحه وأعلن ذلك فى وثيقة صدرت عن المؤتمر، أطلق عليها اسم «نداء مكة المكرمة» تبلورت فيها رؤية إسلامية للحوار.

وأوضح د. عبدالله التركي أن رابطة العالم الإسلامى وهى منظمة شعبية عالمية، وعضو مراقب فى هيئة الأمم المتحدة، ومنظمة المؤتمر الإسلامى، وضعت فى أولويات أعمالها الثقافية والإعلامية الاهتمام بقضايا الحوار وسبل تعزيزه، فى مواجهة أطروحة حتمية الصدام بين الحضارات.

انتصار لصوت الاعتدال والسلام

وألقي الدكتور / عبدالله بن عبدالمحسن التركي كلمة جامعة تناول فيها كل ما يخص هذا المؤتمر العالمى حيث رقع الشكر الجزيل فى البداية إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود على رعايته لهذا المؤتمر العالمى، وافتتاحه له، وعلى حرصه الشديد والمتابع على تعزيز نهج الحوار الهادف، وذلك انطلاقاً من رؤيته الثاقبة لما تعانيه البشرية من مشكلات، وقناعته الثابتة بوجود فرص عظيمة بين البشر على اختلاف أديانهم وثقافتهم يجب استثمارها فيما يصلح شأن الإنسان فى كل زمان ومكان وقال د. التركي إن مجرد عقد هذا اللقاء يعد نجاحاً وانتصاراً لصوت الاعتدال والسلام فى العالم، وخطة إيجابية على طريق التعاون فى خدمة الأسرة الإنسانية.

وأشار إلى أن الناس وإن اختلفوا فى الدين أو المنطلقات الفكرية والحضارية، فإن القيم النبيلة من العدل والخير والفضيلة، التى تركز فى الجذور الإنسانية الفطرية، وتؤكد أصول الرسالات الإلهية تبقى على الدوام أصلاً مشتركاً ثابتاً، وإطاراً جامعاً تنبع منه الأفكار النيرة الوضاعة، والأطروحات الرشيدة البناءة فى معالجة القضايا المشتركة للمجتمع البشرى.

ويعتبر الحوار من أفضل الوسائل لتقليل وتوسيع نطاق التفاهم عليها لأنه يعتمد على مخاطبة الكيان الفطرى والعقلى، فتستجيب له القلوب والعقول.



التأكيد على أهمية الدين

وكانت رابطة العالم الإسلامي قد أشارت في بيان لها قبيل انعقاد مؤتمر مدريد للحوار أنها تسعى من خلال هذا المنتدى الكبير إلى تحقيق عدد من الأهداف... من أهمها:

- التأكيد على أهمية الدين ركيزة وأساس لا تستقيم حياة المجتمعات البشرية بدونها.

- تقييم التجارب السابقة لتأسيس حوار بين المعتقدات والثقافات والوقوف على إيجابياتها لتعزيزها ورصد سلبياتها، لتلافيها في المستقبل.

- دراسة وتحليل معوقات الحوار التي تقف حجر عثرة دون بلوغه النتائج المرجوة منه.

- التنسيق في المواقف على الصعيد العالمي

● المحور الثاني: الحوار وأهميته في المجتمع الإنساني

● المحور الثالث: المشترك الإنساني في مجالات الحوار

● المحور الرابع: تقويم الحوار وتطويره

● المحور الخامس: إشاعة ثقافة الحوار والتعايش

وجاءت الجلسة الختامية في الخامسة عشر من رجب وتضمنت البيان الختامي والتوصيات وألقى الدكتور عبدالرحمن بن عبدالله الزيد، ثم كلمة عن ضيوف المؤتمر ألقاها الكاردينال جان لويس توران رئيس المجلس البساوي لحوار الأديان والثقافات.

وعلى تراثها الديني، وعلى ثقافتها الخاصة بها.

وذلك يعود إلى سماحة الإسلام وإلى جوهر الشريعة الإسلامية التي يستمد منها المسلمون نهجهم وثقافتهم وحضارتهم.

وبين الدكتور عبدالله التركي أن الحوار آلية من أهم الآليات في التفاعل مع الوجود بأكمله، أخذاً وعطاءً، من غير إكراه ولا قهر، ضمن سنتي التنوع والتدافع من أجل تحقيق التوازن الكوني.

وأن الانتقال بالحوار من مجرد كونه لقاءات ومحادثات، إلى أن يكون تواصلاً إيجابياً، يفضي إلى نتائج ملموسة تغير من واقع الحياة إلى الأفضل: إحساناً وإتقاناً وتجويداً يقتضي التركيز على ثلاث دوائر:

دائرة المبادئ الدينية: فيما يعزز الإيمان بالله تعالى الواحد، الدافع إلى الإحسان إلى الناس، وكف الأذى عنهم.

دائرة المصالح المتبادلة التي تهتم الناس جميعاً وتحسن من ظروف حياتهم على الأرض، وتقربهم ما في المدينة المعاصرة من سوءات وشرور سببها عدم التوازن الذي يسم بعض جوانبها.

إن ما يعوق الحوار قلة التفاهم بين المتحاورين، وسوء الظن المتبادل، ونشوب التواريخ المليء بالصراعات الأليمة وشددد. التبركي أنه يجب على الأطراف المتحاورية التجرد لوجه الحق، والإنصاف مع النفس ومع الآخر، وتجاوز التواريخ السيئة، واستحضار النية الصادقة في الوصول إلى أرضية مشتركة

تنفع الناس وتحث في الأرض ولا بد أن تراجع جميعاً مسار الحوار الذي بدأ منذ عقود من الزمان ونرصد سلبياته، ونصلحها ونأخذ بما هو أرشد وأهدى سبيلاً ولعل مما يزيد من أهمية ذلك ما نراه بين الحين والآخر من انتكاسات تصيب مسيرة الحوار، بسبب تشنجات وإساءات تناقض أهدافه وغاياته، وما نلمسه أحياناً مثل انقطاع التواصل، وخفوت صوت الحوار بسبب عارض أو آخر.

وقنى الدكتور عبدالله التركي في ختام كلمته في الجلسة الافتتاحية ألا يكون حظنا من هذا المؤتمر العالمي حول الحوار كغيره من المؤتمرات التي تكون حصيلتها مجرد الإسهام ببحوث علمية ودراسات نظرية، بل نطمح إلى تحويل هذا الجهد المشكور والنافع إلى مشاريع عمل تستثمر في مسيرة الحوار العملي، وتوظف للخير ونفع بني البشرية، وتبناها الجهة المنظمة للمؤتمر وتتابع تنقيدها، وبخاصة أنه يحظى بعناية متميزة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود الحريص على الخير وسعادة الإنسان.

وبعد انتهاء مراسم افتتاح المؤتمر توجه المشاركون لمصافحة الملك عبدالله والملك خوان كارلوس، ولتبدأ في المساء فعاليات المؤتمر والتي تضمنت خمسة محاور في خمس جلسات.

● المحور الأول: الحوار وأصوله الدينية والحضارية

لمواجهة التحديات الطارئة والسلبيات التي تتناقى مع الفطرة البشرية السليمة والمشارك الإنساني من منظومة القيم.

- تعزيز وترسيخ القيم الأخلاقية النبيلة والفضائل السامية، والتصدي لكل دعاوى الإباحية والانحلال الأخلاقي وما ينتج عنها من أمراض اجتماعية فثاكة.

- مقاومة كل التيارات الداعية لتأجيج الصراع والحث على الصدام بين الأمم والثقافات المختلفة.

من داخل المؤتمر

الحوار كان ثريا بين أبناء البشر جميعا.. المسلم والمسيحي واليهودي والبوذي والكونفوشيوسي وغيرها من الديانات والعقائد، يسود الوئام، وقاعة المؤتمر لا يعلو فيها أى صوت سوى الحوار المتزن والمليء بالثقة أملا فى تحقيق هدف مهم للإنسانية، ولا يدهش الإنسان، وعلى مدار الجلسات حينما يرى أن الكل قد حضر، وربما لم يتخلف أحد عن جلسات المؤتمر، حرصا على كل كلمة تقال، أو حتى حوار يتم من خلال المنصة ورئيس الجلسة، فضلا عن الالتزام بالوقت ولغة الحوار، وكان الحرص شديدا على ألا تخرج الجلسات عن الحوار فى إطار الأديان والثقافات، وبعيدا عن السياسة ومشاكلها وأكد على ذلك رئيس المؤتمر الدكتور عبدالله ابن عبدالحسن التركي.

الحوار فى الإسلام

فى الجلسة الأولى.. جاء الحوار الأول «الحوار وأصوله الدينية والحضارية» وقد ترأس الجلسة الدكتور ياراجين الأمين العام لقمة السلام الألفية لزعماء الأديان فى الأمم المتحدة.

وكان د. حسين حامد حسان المراقب الشرعى فى بنك دوى الإسلامى أول المتحدثين، حيث قدم ملحقا لورقته المقدمة بعنوان «الحوار فى الإسلام» وأكد فيها على أصالة منهج الحوار فى الإسلام، انطلاقا من قوله تعالى

﴿لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقِفُوا بَيْنَكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخَرِّجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَزَوَّجُوا فَيَتَّقُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ بِخُصْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾

(المتحنة: ٨)

ورأى فى هذه الآية وغيرها دعوة لحسن التعايش مع الآخرين ومساكنهم، والحفاظ على حقوقهم، مبينا أن الجهاد مشروع لرد العدوان ولغيره من المقاصد المشروعة مقدما نماذج من تاريخ المسلمين فى التعايش الآمن والإيجابى مع الآخرين.

الحوار فى المسيحية

كما تحدث فى هذه الجلسة د. نجيب جبرائيل رئيس منظمة الاتحاد المصرى لحقوق الإنسان، فقدم ملخصا لورقته المقدمة بعنوان «الحوار فى المسيحية» وأكد فيها على أن

جوهر الأديان هو المحبة ومكارم الأخلاق ورفض الظلم، فهذه قواسم مشتركة متفق عليها بين بنى الإنسان، مما يؤكد على فطريتها وأصالتها فى الحياة الإنسانية.

وأشار بأن الاقتتال والصراع ليس نتاجا دينيا، بل هو بفعل الشر وبسبب أنانيتهم.

وأكد الدكتور نجيب على أن الحوار لن يقبل إذا كان مشروطا أو لازمة الاستعلاء والفوقية، وأنه وسيلة لا غناء عنها للوصول إلى الأهداف الإنسانية السامية.

وأكد فى خلال بحثة أمام المؤتمر على ضرورة احترام الخصوصية الدينية والثقافية للآخرين.

وحذر من أن يؤدى الاختلاف إلى الخلاف الذى سيدخل البشرية فى دوامة الصراع، ثم

قدم آليات لتطوير الحوار، دعا من خلالها إلى استخدام الموعظة الحسنة فى الدعوة، وبحث نقاط الاختلاف وتكريس حقوق الإنسان والعمل، وطالب بإنشاء لجنة تبتش عن المؤتمر تعالج الخلافات والمشكلات، ودعا إلى إنشاء مرصد بإشراف رابطة العالم الإسلامى، يتولى رصد الانتهاكات للحقوق الدينية، وتمثل فى عضويته كافة الأديان، كما دعا إلى تشجيع ثقافة التسامح وقبول الآخر والسلام، فهذا فقط فيه ضمان مستقبل أبنائنا.

الحوار فى اليهودية

وعن «الحوار فى اليهودية» وفى نفس الجلسة الأولى فقد تحدث الحاخام آرثر شناير مؤسس ورئيس مؤسسة نداء الضمير فى أمريكا، حيث بين أن اليهودية تدعو فى



أرحب باختيار مدريد منطلقاً للحوار بين أتباع الديانات



كان السؤال الذي تردد على كل لسان ممن قابلوني في المؤتمر سواء من اللجنة المنظمة أو من الوفود المشاركة في المؤتمر العالمي للحوار في مدريد عن وصول فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي للمشاركة في أعمال المؤتمر كما حدث في مؤتمر مكة المكرمة..

وعلى الرغم من عدم تمكن فضيلته من المشاركة في المؤتمر إلا أنه كان قد أدلى بتصريح خاص لصحيفة العالم الإسلامي والتي أصدرتها إدارة الإعلام برابطة العالم الإسلامي، في عددها الخاص بمناسبة المؤتمر العالمي للحوار بمدريد في أسبانيا.

يقول فيه فضيلة الإمام الأكبر: إنني أعرب عن سعادتي باختيار العاصمة الإسبانية لتكون منطلقاً للحوار بين أتباع الديانات المختلفة وأن هذا الاختيار سيضفي صفة العالمية على هذا الحوار وأن المؤتمر سوف يكون فرصة لسمع العالم كله رؤية المسلمين للتعايش الإسلامي وأن الإسلام ليس دين عنف وإرهاب وليس دين بغى وعدوان وأنه يعترف بالتنوع الثقافي والعنقي وباختلاف الناس في ألسنتهم ودياناتهم.

وقال فضيلة الإمام الأكبر: إنني أرحب

وقال الدكتور مصطفى الفقي حينما سأله عن هذا الأمر: لقد تقدمت باقتراح محدد للمؤتمر وباسمى شخصياً وهو أن يصدر عنه ما يسمى بـ «نداء مدريد» يدعو الدول إلى العمل على استصدار تشريع دولي أُمي من الأمم المتحدة، يمنع المساس بالمعتقدات، وقد تعرض نبينا - ﷺ - لكثير من الإساءات في الأعوام الأخيرة، كما تعرضت الديانة المسيحية أيضاً للتجريح، وتعرضت الولاية اليهودية للخلط مع الصهيونية، وحتى البوذية لم تسلم من أذى حركة طالبان، عندما حطموا التماثيل في أفغانستان.

وقال د. مصطفى: لقد علمت بأنه تمت الاستجابة لهذا الاقتراح وتضمن البيان الختامي للمؤتمر والذي تحدثت فيه عن ضرور استصدار هذا التشريع الدولي، يسعى إلى تجريم المساس بالمعتقدات الدينية، فلا يمكن أن نتوقف فقط عند مجرد تجريم معاداة السامية، ونترك الإسلام يتعرض لما تعرض له في السنوات الأخيرة.

وحمدت الله أنه قد أخذ باقتراحى القادم من مصر.. إلا أن هذا المؤتمر في حد ذاته يعتبر بداية جيدة، خصوصاً وأنه يضم الديانات السماوية وغير السماوية، ونرجو أن يستمر ويتواصل ولا يتوقف عند هذا الحد.

كانت مجلة الأزهر حاضرة في كل المناقشات وفعاليات المؤتمر، والتقت بشخصيات مهمة في مؤتمر الحوار الإسلامي وتابعت التوصيات وهذا ما سوف ننشره - إن شاء الله تعالى - في عدد قادم.

نصوصها المقدسة إلى الحوار مع الآخرين، وإلى معاملتهم أطيب معاملة، وأكد رفضه ورفض العقلاء وأهل الأديان لفكرة التصادم بين الحضارات، وأنه يخالف ما أراده الله منا في تعايش وتآلف.

كما عبر أثير شباير عن تفاؤله يقرب نهاية الصراعات، وأن يسود التفاهم علاقاتنا، وأن علينا الشروع في مد الجسور بين الحضارات، ورفض الظلم والعنف والكرهية والعنصرية، وكذلك إدانة ما يتعرض له الإسلام من هجوم في وسائل الإعلام.

إشاعة الحب والسلام

وقال الدكتور م. م. فارما مدير مؤسسة الحوار العالمية في الهند ملخصاً ورقته التي جاءت بعنوان (الحوار مع المعتقدات الشرقية) وأكد في حديثه على قناعته بوجود طائفة من القيم الإنسانية السلمية في كل دين من الأديان، وأن الحوار يهدف إلى إشاعة الحب والسلام، ووقف ثقافة الكراهية التي تلبس أحياناً بلبوس الدين.. وفي هذا خطأ كبير نرفضه تماماً.

تواصل الجلسات، وتناوب بعض القضايا حول الحوار، ويتداخل الدكتور مصطفى الفقي ليقول لبعض الحاخامات الذين حاولوا أن يخلطوا في الحوار بين الدين والسياسة قال في المؤتمر بالحرف الواحد إننا هنا نتحاور حول الأديان وحول التسامح، وإذا كان ولا بد فلدينا ملفات كثيرة يمكن أن نفتحها، ولكن الدكتور عبد الله التركي رئيس المؤتمر احتوى الأمر على القور، وعادت الجلسة إلى الحوار، كما هو مرسوم ومتبع في المؤتمر.

بهذا الاختيار وهو في حد ذاته دليل على التسامح الإسلامي، وأن المسلمين ينبغي عليهم السلام للبشرية انطلاقاً من مبادئ دينهم وصبغ عقيدتهم وأن الإسلام دين السلام للبشرية كلها مؤكداً على أن انطلاق هذه الدعوة من خادم الحرمين الشريفين ومن أرض الحرمين الشريفين من مكة المكرمة تقدم رسالة واضحة للعالم أن المسلمين في كل أنحاء الأرض يمدون أيديهم بالسلام والعيش الإنساني الكريم تحت قاعدة

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

(الكافرون ١٦)

الأزهري يؤيد المؤتمر العالي للحوار وباركه



الله جميعاً.. في الكون كله. حيث يقول:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُ ابْنُ أَخِي مَخْلِفِينَ
﴿إِلَّا لَأَمِّنَ رَحْمَتُكَ وَلَذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

(هود: ١١٨، ١١٩)

إذا فهذا الاختلاف وهذا التباين هو مراد الله سبحانه وتعالى، فكيف تفعل هذا الاختلاف، وكيف نجعل من هذا الاختلاف قوة؟! هذا مراد الإسلام.. وهذا مراد الشريعة.

وعن عقد هذا المؤتمر يقول الشيخ علي عبد الباقي: والمؤتمر يظهر ما قلته بمبادرة

التقت «مجلة الأزهري» داخل قاعة المؤتمر بفضيلة الشيخ علي عبد الباقي الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية والذي حضر مؤتمر مدريد نيابة عن صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهري الشريف.

● قال لي رداً على سؤال حول مشاركته ورؤيته لهذا المؤتمر الذي ضم العديد من مختلف الديانات في العالم:

● إن الأزهري الشريف يؤيد هذا اللقاء، ويدعو أن يبلغ أثره إلى جميع البشر كافة، ذلك لأن هذا اللقاء من مرادات الإسلام المتعددة، وأن الله سبحانه وتعالى حين يذكر الإنسان في القرآن الكريم يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)

فكيف يكون التعارف؟ المطلوب من البشر أو من المسلمين.. إنما يكون التعارف بين سائر الخلق بالحوار والالتقاء وبإبراز كل قيم الإسلام للآخر.

والإسلام يؤمن بالاختلاف في مخلوقات

جريئة من المملكة العربية السعودية وبرعاية جلالة الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود بنفسه وشخصياً، ليقول للعالم كله، خاصة بعد أن هوجم الإسلام والمسلمون، ووصفوا بنى الإسلام بالتطرف وبالعصبية وبالفاظ لا نهاية لها.

وملك السعودية يأتي إلى أوروبا وفي مدريد عاصمة إسبانيا ليقول لهم ها هو الإسلام.. يمد يده ويرفع القيم الأخلاقية للإسلام فوق المصالح الشخصية والمصالح الفانية.. ويوضح القيم للجميع، ليس للإسلام فقط، ولكنه أعطى الفرصة لجميع الأديان الوضعية: البوذية والكونفوشوسية والهندوسية والسيخ، لأن الجميع كلهم أسرة واحدة، كلهم يتول إلى رب العباد سبحانه وتعالى.

ونحن كمسلمين جزء من الأسرة الدولية، ومن الأسرة الإنسانية، ونشأ لما يحدث لهذه الأسرة في العالم كله.

إن هذا المؤتمر مؤتمر طيب والأزهري باركه، وقد شارك فيه منذ إعلانه في مؤتمر مكة المكرمة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي، ومجيش نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر يعتبر تأييداً كاملاً من الأزهري الشريف.

● شاهدنا المسيحي في الجلسة الافتتاحية التي حضرها خادم الحرمين الشريفين والملك خوان كارلوس وفي خلال الجلسات المسيحية يجلس إلى حوار المسلم وكذلك اليهودي يجلس إلى حوارهما.. والجميع يحدوهم

الأمل في حوار بناء يقوم على أسس حضارية.. وهذه تظاهرة تحدث لأول مرة وبشكل مكثف.. فماذا تقول:

● كما أشرت من قبل.. إن هذا مراد الإسلام حينما يجمع الإنسانية، لأن الإسلام يدعو إلى الأخوة الإنسانية، كلها بداية ذي بدء وهو ينادي:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)

فهو يرجع الإنسان كله إلى وحدة الأصل، وهو يخاطب المسلم لم؟ فالناس لا يسمعون لما يقوله القرآن.

وإذا كان النداء يختص بالمسلم يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

وإذا كان النداء خاصاً بالمسلم مشتركاً مع أخيه الإنسان فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾

لأن المسلم يؤمن بالقرآن، فيؤمن بأنه جزء من الأسرة الإنسانية، إنه أخ للمسيحي وللإهودي وللوثني والبودي، لأن الجميع خلق الله.

فطالما كانت الأخوة موجودة، فهناك واجبات تقدم، وهناك قيم تحترم، فله من الحقوق ما للمسلم تماماً، وعلى المسلم بالأخص أن يحترم هذه الحقوق، وذلك من رسالة القرآن ومن رسالة الإسلام.

وحيثما نتقابل لا نختلف، لكن هذا القرآن

يجمع بين الأديان المختلفة، وبين الأجناس المختلفة، وبين الأعراق المختلفة، يوحد هذا الاختلاف الموجود في العالم، يجعله أسرة واحدة يسود بينها الود والودة والمحبة.. وهذه روح الإسلام.. ولكننا في غيبة!!

تصحيح الوضع وتفعيل الحوار

إن المملكة العربية السعودية وبمبادرة خادم الحرمين الشريفين سواء في مكة المكرمة في مؤتمرها.. وفي هذا المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار في مدريد، تأتي لتصحيح الوضع، وتفعيل الحوار والحوار بالقطع يحتاج إلى مؤتمرات عدة.. لكن الجراحة في هذا المؤتمر وفي قلب أوروبا في مدريد عاصمة إسبانيا يأتي ليجتمع علماء ومفكرين من العالم كله من أجل التسامح والحوار البناء بين أصحاب الديانات المختلفة، وبالتالي فلا بد من تفعيل

توصيات المؤتمر واستمراريتها.. ومن الضروري أن تكون هناك سكرتارية دائمة التواصل بين أصحاب الديانات، والذين دعوا في هذا المؤتمر، لعرض مشاكلهم أو ما يرونه في المستقبل، ليناقد في المؤتمر القادم وفي أي مكان يعقد فيه سواء في أوروبا أو في آسيا أو في الأمريكتين.. وهذا هو الجهد المطلوب من المسلمين جميعاً.

قد تنوب عنهم المملكة العربية السعودية بما لديها من إمكانيات وآليات.. وهذا جهد مشكور لهم.. وتدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقهم ويوفق المسلمين جميعاً لصالح الأعمال.

وأخيراً تقدمت بالشكر لصاحب الفضيلة الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية على ما تفضل به من حديث.



الحقيقة في ميزان الإسلام

الصدقة تنفع المتوفى

من مكارم الصدقة الطيبة، أن الله - وهو الرؤوف بعباده - قد جعل منها باباً موصولاً بالخير والغفران يستقبل منه العبد فضل الله تعالى عليه ثوباً للصدقة التي أخرجت عنه بعد أن انتقل من الحياة الدنيا وانقطع عمله فيها إلى الحياة الآخرة وهذه الخصوصية للصدقة لا يشترك معها فيها إلا الدعاء وقضاء الدين، ومن النصوص الواردة في الدعاء قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾

(الحشر: ١٠)

وقوله تعالى:

﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

(محمد: ١٩)

وقال تعالى اخبراً عن إبراهيم عليه السلام:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾

(إبراهيم: ٤١)

وعن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:-

«ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك:

ولك بمثل» رواه مسلم، وعنه أن

رسول الله ﷺ كان يقول:

«دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة،

لفضيلة الشيخ/ علي عبد الباقي شحاتة

الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية

عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: «آمين ولك بمثل» رواه مسلم.

فأما قوله ﷺ بظهور الغيب فمعناه في غيبة المدعو له وفي سره لأنه أبلغ في الإخلاص وفي هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهور الغيب ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضاً وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة لأنها تستجاب ويحصل له مثلها راجع شرح النووي على مسلم.

ومما جاء في قضاء الدين ما روى عن قتادة قال: «كان النبي ﷺ إذا أتى له بجنائز لم يسأل عن شيء من عمل الرجل ويسأل عن دينه، فإن قيل عليه دين، كف عن الصلاة عليه، وإن قيل ليس عليه دين صلى عليه، ومن أمثلة ذلك: «أتى مرة بجنائز، فلما قام ليكبر قال: هل على صاحبكم من دين؟ فقالوا: ديناران يارسول الله، فعدل النبي ﷺ عنه، وقال: صلوا على صاحبكم، فقال قتادة رضي الله عنه، هما عليّ يا رسول الله، وهو برئ منهما، فتقدم رسول الله ﷺ فصلى عليه ثم قال لقتادة: جزاك الله عنه خيراً، فك الله رهانك كما

فككت رهان أخيك، إنه ليس من ميت يموت وعليه دين إلا وهو مرتين بدينه، ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة، القصة رواها البخاري وأحمد والنسائي وغيرهم.

قال البيضاوي لعلة ﷺ امتنع عن الصلاة على المديون الذي لم يترك وقاء تحذيراً من الدين وزجراً عن المماطلة أو كراهة أن يوقف دعاؤه عن الإجابة بسبب ما عليه من مظلمة الخلق (شرح السيوطي لسنن النسائي).

وقال النووي قال أصحابنا كان النبي ﷺ لا يصلي على من مات وعليه دين لم يخلف له وفاء لئلا يتساهل الناس في الاستدانة ويهملوا الوفاء فزجرهم عن ذلك بترك الصلاة عليهم فلما فتح الله على المسلمين مبادئ الفتح قال «من ترك ديناً فعليّ قضاؤه» (شرح السيوطي لسنن النووي).

ويصح الحج عن الميت إذا مات وعليه حج الإسلام سواء أوصى بذلك أم لم يوص، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - إن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي تذر أن تحج ولم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: نعم، حجى عنها، أرايت لو كان عليّ أمك دين أكنت قاضيته؟ أقضوا الله إن الله أحق

بالوفاء» رواه البخاري.

وكذا إذا أوصى المتوفى بحج التطوع فيجوز أن يحج عنه من الثلث.

ونلاحظ هنا أن النبي شبه لتلك المرأة التي سألته الحج عن أمها بدين الله بما تعرف غيره من دين العباد غير أنه قال فدين الله أحق.

قوله فاقضوا أي فاقضوا أيها المسلمون الحق الذي لله تعالى ودخلت المرأة التي سألته الحج عن أمها في هذا الخطاب دخولاً بالقصد الأول وقد علم في الأصول أن النساء يدخلن في خطاب الرجال لا سيما عند القرينة المدخلة (راجع عمدة القاري).

أما الصوم عن المتوفى الذي مات وعليه صيام لم يتمكن من صيامه قبل مماته فقد اختلف العلماء فيه.

فجمهور العلماء منهم أبو حنيفة ومالك والمشهور يقولون بأن وليه لا يصوم عنه ويطعم عنه مداً كل يوم. والمذهب المختار عند الشافعية أنه

يستحب لوليّه أن يصوم عنه ويبرأ الميت ولا يحتاج إلى إطعام عنه، واستدلوا بما رواه الشيخان وأحمد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه، وزاد البزار لفظ «إن شاء»

وروى أحمد وأصحاب السنن عن ابن عباس أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي ماتت وعليها صيام شهر أفأقضيه عنها قال: لو كان عليّ أمك دين أكنت قاضيه قال: نعم قال: فدين الله أحق أن يقضى.

قال النووي وهذا القول هو الصحيح اختار الذي نعتقده، وهو الذي صححه محققوا أصحابنا الجامعون بين الفقه والحديث، ولهذه الأحاديث الصحيحة فمن مات وعليه صيام فإن الله قد جعل له سبيلاً لرفع الإثم عنه إما بإطعام عن كل يوم، وإما بأن يصوم عنه وليه، كما اختار ذلك الشافعية وأما قراءة القرآن فالتفصيل فيها في العدد القادم إن شاء الله.

تعقيب على دلالات الألفاظ

ورد إلى إدارة المجلة تعقيب من الدكتور جابر الشريف الأستاذ بكلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر على مقال فضيلة الشيخ الطاهر الحامدي «دلالات الألفاظ بين جدل الأصوليين وعيب الهازلين» وإلى القارئ نص رسالة الدكتور جابر الشريف ورد فضيلة الشيخ الطاهر عليها

الأخ العزيز والأستاذ الفاضل / عادل رفاعي خفاجة

مدير تحرير مجلة الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وكل عام وأنتم بخير

أولاً: أشكر لكم جهديكم وأدعو الله تعالى أن يجعل هذا الجهد وهذا العمل الصالح النافع في ميزان حسناتكم إن شاء الله تعالى.

ثانياً: أهدي إلى ابني عديداً لمجلتكم الغراء لشهر جمادى الأول عام ١٤٢٩ هـ الجزء ٥ / السنة ٨١ وضمن ما قرأت موضوعاً لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدي، بعنوان: «دلالات الألفاظ بين جد الأصوليين وعيب الهازلين».

وفي حقيقة الأمر الكلام في أصول الفقه أو في الفقه كما تعلمنا من مشايخنا الكرام كانوا دائماً يصفونه بأنه يوزن بميزان الذهب من حيث الدقة، لأنه يبحث عن مراد الله وحكمه من خلال فهم النصوص والعبارات.. ولن أطيل لأن ما أريده هو تصحيح معلومة وهي وإن كانت دقيقة ربما لا يلتفت إليها غير المتخصصين ولكن على أية حال لابد من البيان لمن يستطيعه.. فأقول وبالله التوفيق أورد فضيلة الشيخ مقدمة فيها بيان مفيد لأهمية المصطلحات الخاصة بكل علم وفيه وبين أهمية ضبط علماء الأصول للألفاظ ودلالاتها، وذكر لأبي حامد الغزالي ما يؤيد كلامه وضرب بعض الأمثلة للتأويل، والنص والظاهر والعام والخاص إلى آخره. إلى أن قال فضيلته: كما أن درجة الوضوح تختلف وتتفاوت، فبعض الألفاظ أوضح من بعض، لذلك قسم الأصوليون الألفاظ باعتبار درجة الوضوح إلى أربع مراتب: ثم تابع فضيلته الحديث فقال: الأولى شديدة الوضوح أطلقوا عليها اسم الظاهر، والثانية أقل منها وضوحاً وسموها «نصاً» والثالثة أقل منها سموها «مفسراً» والرابعة أقلهن وسموها «محكماً».. وقد يتبادر إلى ذهنك سؤال ومعناه: كيف يكون محكماً مع أنه أقل درجات الوضوح؟ أقول لك مهلاً وإياك والتسرع لقد اتفقنا في أول الحديث على أن لكل علم مصطلحاته وأنه تبعاً لذلك «لا مشاحة في الاصطلاح» انتهى كلام فضيلة الشيخ.

التعليق عليه:

سأبدأ من حيث انتهى كلام فضيلته:

للقارئ الحق كل الحق في أن يتعجب كيف يكون النص محكماً ومع ذلك يصفه فضيلة الشيخ في أدنى مرتبة من الوضوح والظهور والدلالة؟.. وهو هاجس فطري وصحيح فالحكم كما في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾

النور ٤

في قاذفي المحصنات، وآيات المواريث.. إلى آخره.

وقول الرسول ﷺ: «الجهاد ماض إلى يوم القيامة» كلها أحكام ونصوص محكمة وقد عرف «الحكم» الأستاذ فضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف، في كتابه علم أصول الفقه، «ص ٦٨ دار القلم» بقوله: الحكم في اصطلاح الأصوليين هو ما دل على معناه الذي لا يقبل إبطالا ولا تبديلاً بنفسه دلالة واضحة لا يبقى معها احتمال للتأويل أي إرادة معنى آخر غير ما ظهر منه، لأنه مفصل ومفسر تفسيراً لا مجال معه للتأويل انتهى.

كما عرفه فضيلة الإمام محمد أبو زهرة بقوله في كتابه: أصول الفقه - «دار الفكر العربي ص ٦٦» ولا تخصيصاً إلى آخر ما أورده في نفس الأمثلة من الآية والحديث.

فكيف يدعى أخى فضيلة الشيخ أن الحكم يأتي في آخر ما عد من درجات الوضوح؟

ثم يستكر ما قد يثار من أن «الظاهر» أقوى وأوضح من المحكم، بل إن التسمية للمحكم واضحة في دلالتها على الحكم، ولذلك يقول الإمام أبو زهرة مؤكداً على أن المحكم له الصدارة وليس الأخير.. فيقول: «واللفظ المحكم يدل على الحكم دلالة أقوى من الأنواع السابقة، ولذا إذا تعارض ظاهرها قدم في الأخذ به انتهى، ويقصد الإمام بقوله: «أقوى من أنواع السابقة» أي أقوى من الظاهر والنص والمفسر التي جاءت معكوسة في وضعها. والترتيب الصحيح هو: المحكم ثم المفسر ثم النص ثم الظاهر ولا علاقة لها بالاصطلاحات فالاصطلاح على التسمية صحيحة من فقهاء الأصول.

أخى فضيلة مدير التحرير: العلم أمانة والكلمة أمانة والمجلة جديرة بأن نحفظها من أية شائبة ولو قليلة.. من هذا المنطلق كتبت كلمتي ولكم الحرية في النشر أو عدمه.

وسلام الله عليكم ورحمة وبركاته ودعاني لكم بالتوفيق.

د. جابر محمد محمود الشريف

تخصص فقه مقارن - كلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر بالقاهرة

خطأ في دلالات الألفاظ وجب رده

لفضيلة الشيخ / الطاهر الجامدي

الفضائيات المضللة الذي يثير البلبلة تحت المزاغم التي ذكرت - فصبوا أكثر - مما يوضح عيوبهم.

هي همجية شرسة مدبرة مخططة بدهاء ماكر حيث إن آراءها تسير وفق أهدافها المدمرة بدأب لا يمل وترويج هائل مدعوم بإعلام مستاجر ماجور - حتى وصل الأمر إلى أن منهم من يريد أن يغير أحكاماً ثابتة بنصوص محكمة وتنزيل محفوظ بحفظ الله - سبحانه وتعالى؛

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِعُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

ولقد سمعنا دعوة مجنونة مخبولة تريد أن تغير حكماً من أحكام الميراث بحجة زائفة رديئة وأن تغير نصاً من نصوص التنزيل ورد في شهادة المرأة.

قال صاحبي: كعادتك تركت عنوان مقالك ودخلت في دروب صعبة طويلة ولم تقل لنا أين الخطأ الذي أشرت إليه؟ هل تريد أن تنسينا الخطأ الذي وقعت فيه وكيف يمكن الإجابة عنه؟

سبق أن كتبت مقالاً في مجلة الأزهر الغراء عدد جمادى الأولى سنة ١٤٢٩هـ بعنوان «دلالات الألفاظ بين جسد الأصوليين وعبث الهازلين» تكلمت فيه عن أهمية معرفة مصطلحات علماء الأصول لمن يريد أن يفهم عنهم كما أنه لا بد من التسليم لهم بمصطلحاتهم فلكل علم مصطلحاته الخاصة به لا يختلف في ذلك العلماء.

وأيضاً كان قصدي من المقال هو عرض وتقديم بعض علم أصول الفقه وتيسيره للناس بل ودفعهم إليه دفعاً؛ حتى يعرف الناس أن الكلام في التشريع ليس مجرد التشديق بالفاظ هلامية إنما هو علم منضبط وقواعد حازمة جازمة وأن الاجتهاد ليس مجرد أقوال مرسله بالحل أو بالحرمة دون فهم أو إدراك للنصوص والقواعد الحاكمة، ولا بد من التفرقة بين حكمة المشروعية وبين العلة فكثيرون يخلطون عن عمد مقصود بين الأمرين ويبنون أحكامهم - أو قل جرائهم - على حكمة المشروعية زاعمين أنها علل الأحكام كما لا يخفى على أحد غشاء

قلت لصاحبي: عفواً الله لماذا سوء الظن هذا؟ أنا لم أكتب هذا المقال إلا لبيان الخطأ الذي وقعت فيه ونبهني إليه وردني إلى الصواب أحد أساتذة أصول الفقه بكلية الشريعة جامعة الأزهر - حرمه الله وحرس الأزهر ورجاله وحفظهم سادة للعلم وحماة للشريعة - وقد أرسل الدكتور جابر محمد محمود الشريف - الأستاذ بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بالقاهرة - إلى الأستاذ عادل خفاجة - مدير تحرير مجلة الأزهر - يتبع فيها إلى خطأ وقعت فيه فقد أشار الدكتور جابر إلى أنني عندما تكلمت عن مراتب ووضوح الألفاظ ذكرت أن الحكم هو أقلها وضوحاً وهذا خطأ وقعت فيه، فالواقع أن الحكم هو أقوى المراتب وضوحاً وما قاله الدكتور حق كله فالحكم هو أقوى المراتب ثم الظاهر فالتص فالمرس، والسبب الذي أوقعني في هذا الخطأ الواضح أنني اعتمدت فيما كتبت على كتاب الدكتور زكريا البري في مراتب اللفظ الواضح وبيان درجات وضوحه^(١) وأذكر أنني ذكرت في مقالتي المشار إليه أنه أحد مراجعي وكثير من علماء الأصول يذكرون في بيان دلالات الألفاظ هذا الترتيب، كما أنني راجعت الكتاب القيم إخراجاً وموضوعاً للدكتور

محمد عبدالعاطي محمد علي^(٢) في مراتب الألفاظ رأيته ذكرها بنفس الترتيب، قال: «قسم علماء الحنفية اللفظ باعتبار الوضوح في دلالاته على معناه إلى أربعة أقسام: الظاهر - النص - المفسر - والحكم، وقد رتبوا مراتب الألفاظ هكذا ترتيباً تصاعدياً كتبت ذلك وذكرت موضوعي ثم ذهلت^(٣) عنه، وما أكثر مشاغل الحياة بالإضافة إلى الهاتف الأرضي والحمول وانصرفت إلى ما ينصرف إليه الناس من أمور حياتهم ثم عدت إلى الورق والقلم وأكملت مقالتي من الذاكرة وكان ما كان من الخطأ الذي وقعت فيه وليس هذا اعتذاراً أقدمه للدكتور وللقرائي التحلل به من المسؤولية أو قل أتصل به من الخطأ الذي وقعت فيه بل إنني أؤكد أن هذا تقرير وتقصير أدى إلى ما كان ولا أستطيع أن أجادل فيما قاله الدكتور جابر مشكوراً من تصوير وإن كان خطأ جر إليه التقرير فلم يكن وليد خلط في الفهم أو عدم استيعاب لما هو مسطر مكتوب يعرفه كل مبتدئ في علم الأصول وعلى كل حال وفي كل حال فنحن جميعاً يجب أن نعتز بأننا لسنا مخترعين أو مؤسسين إنما كلنا ناقلون متبعون.

ليس ما أقدمه اعتذاراً أو عذراً أدفع به

١- راجع أصول الفقه الإسلامي - للدكتور زكريا البري، من ٢٢٠ وما بعده

٢- مباحث أصولية في تفسيرات الألفاظ للدكتور محمد عبدالعاطي محمد علي، ص ٢٢٥ وما بعدها - طباعة دار الحديث بالقاهرة

٣- ذهلت عن الشيء غفلت عنه أو شغلت - الصباح النهر

عن نفسي إنما هي ابتلاءات - أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يعافيني منها - فأنا لا أكتب محترفاً منتظماً ولا أرفع القلم عن ورق حتى أكمل موضوعي وأنتهي منه إنما هي رغبة في توضيح معنى أو بيان رأي وكتاباتي أقرب للدراسة ليس إلا، والمشاغل التي ذكرت والطريقة التي أكتب بها - كما قلت ليست أعذاراً تعفيني من المسؤولية - إنما هي ابتلاءات أرجو وأتني من السادة القراء أن يسألوا الله أن يعافيني منها فلا أتصور نفسي بعيداً عن الناس مشغولاً عن معاناتهم مهما كلفني ذلك من جهد ووقت هكذا عشت وهكذا أنا لا أزال فأنا لا أتصور أن أمر على جماعة من الناس يفتقون في حر الظهيرة يلتصمون الحصول على رغيغف من الحبز دون أن يتحرك قلبي أو قل: أحترق من أجل معاناتهم ومهما يكن من أمر فأرجو أن يسمح لي سيادة الدكتور أن أنتقل من الخاص إلى العام ولست أقصد بالخاص والعام المتعارف عند علماء أصول الفقه إنما أعني الشأن الخاص إلى الشأن العام أي ما يهم الناس جميعاً - وهو حري بأن ينشغل به الدارسون والمدرسون الدارسون لعلم الأصول والمدرسون له - وهي دعوة أوجهها للدكتور جابر وزملائه جميعاً وهي أن يوثقوا علم أصول الفقه بمعنى أن ييسروا فهمه لكل المثقفين ويقدموا له علماً ميسوراً مرغوباً فيه من خلال عرضه بأسلوب واضح سهل قريب إلى الأذهان وأن يركزوا على بيان أهميته

خصوصاً في فترة انتشار طاعون الفضائيات وأنه خير ضمان لترشيد الجميع وإرشادهم إلى وجه الصواب حتى لا يتجرأ عابث بالأحكام أو يتناول مدع خبيث!

ونقصد من خلال هذه الدعوة لتبسيط علم أصول الفقه لأنني أعلم أنه الحاكم في الفتاوى الشرعية كما أنني أرجو من تبسيطه أن يوسع أفق الناس ويضرهم بأن اختلاف الفقهاء ليس عن هوى ولا حب أثره إنما هي أدلة وأقيسة ونصوص وأعية وقلوب رشيدة فلا ترى في الاختلاف عوجاً ولا أمناً.

إنه يوجعني إلى حد التأوه أن معركة محتدمة - لا أقول بين أنصاف المتعلمين ولكن أقول بين من لا يعلمون من أمر الأحكام شيئاً - يوجعني أن أراهم يتصايحون في معركة ليس للعقل فيها مكان ولا للحلم فيها مجال لكنه صياح أو قل تناطح لا يوصل إلى هدى ولا يرشد إلى صواب والذي يحزنني - وأعتقد أنه يحزنك أيضاً ويحزن كل مهتم على ساحة الرأي في محيط الشريعة - أنك تسمع العراك والصياح بسبب شيء غير ذي بال وأمر لا يستوجب كل ذلك.

مثل: هل ترفع اليدين عند تكبيرة الإحرام أم لا؟ وإلى أي مدى يكون الرفع هل إلى الأذنين؟ أم إلى محاذاة الكتف؟ وما حد الأذنين؟ وهل يكون الرفع مع كل ركعة أم عند تكبيرة الإحرام فقط؟ كل

هذا والجميع بالقطع لا يحسنون الركوع والسجود بل ولا يحسنون الوضوء ولا يتقنونه ولكنهم بلا شك ذرية ماهررون في العراك والصياح والتكفير وأرجو ألا نقول كما يزعم عجزة الساحة الرافضون المنتفعون بمعاناة الكادحين: إنها مؤامرة إسرائيلية لكنني أؤكد لسيادتكم أننا مشاركون في صنع المأساة ولو بالصمت وإبشار الدعة؛ إذ الواجب علينا أن نقاوم الجهالة بنشر العلم الصحيح وتوضيح وبيان الوجه المشرق للخلاف بين الفقهاء.

وعلى كل حال وعلى أي حال إنني أرى لزماً على أساتذة الشريعة أن يقتحموا الميدان ويكتبوا في أصول الفقه يشرحون ويبسطون للناس فذلك بعض الواجب عليهم تجاه دينهم وعقيدتهم وأنا أقول بكل صراحة ووضوح: إن كثيراً ممن كتبوا في أصول الفقه يعمدون إلى التعقيد والإيهام والإيهام، وأعتقد أنكم تشاركونني الرأي حول كثير من كتب القدامى كان يختلط فيها كثير من المنطق الذي أرى أنه لا مبرر له وقد نلتهمس لهم العذر فيما كتبوا وسطروا في زمانهم فكما لا يخفى أنه في فترات كثيرة ولأسباب كثيرة كان يعمد بعض الكتابين للتعقيد ويرون أن ذلك لون من الشموخ العلمي.

وفي العصر الحديث سمعنا أن العقاد كتب كتاباً يتحدث به الخاصة من معاصريه حتى جاء عصياً على الفارئ العادي بل

وعلى بعض الكتاب ولعلكم راجعتم كتابه «الله» لكن هل توجد مبررات للتعقيد اليوم مع بداية الألفية الثالثة في علم أصول الفقه على وجه الخصوص؟ حيث إن أكثر الدارسين والراغبين في دراسته وتعلمه لا تنقصهم الشكوى من مضمون المادة العلمية والكتب المسطرة في العلم إلا من رحم ربي، وأرجو ألا يرى البعض أن ذلك تحج مني على أساتذة علم أصول الفقه فأنا أعتبر نفسي تلميذاً في ساحتهم ومهما يكن من أمر فلا أجد مبرراً معقولاً ولا عذراً مقبولاً عن سؤال ورد في امتحان نهاية هذا العام ٢٠٠٨ للسنة الخامسة بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة ونصه كما يأتي وأنقله بأمانة كما ورد في ورقة الأسئلة:

س٣: يرى الفلاسفة أن محل العقل الدماغ بينما يرى الأصوليون أن محله القلب - فيم استدلاً «هكذا» هؤلاء وأولئك مبيناً وجه الدلالة وبم رد الأصوليون؟ وما استدلل به الفلاسفة وإذا كان هناك مجال للتوفيق بين ما قاله أولئك وما ذهب إليه هؤلاء فكيف يكون؟

هذا السؤال ليس من عندي ولا من خيالي وأعتقد أن خيالي مهما بلغ من جنوحه لا يصل إلى هذا التعقيد. إنه كما قلت: ورد في ورقة أسئلة السنة الخامسة دور مايو سنة ٢٠٠٨، فهل هذا يدخل في علم أصول الفقه؟ وإذا كان مقبولاً ومستساغاً في القرن الماضي ألم بأن الأوان لكي تنقي أصول الفقه من هذا التعقيد. وإلى حديث آخر إن شاء الله.

طرائف.. ومواقف

للمشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الصديق من صدقك

في الحديث المرفوع: «المرء كثير بأخيه»
مما يجب على الصديق للصديق، النصيحة
جهده فقد قالوا: صديق الرجل مرآته، يريه
حسناته وسيئاته.

وقالوا: الصديق من صدقك وده، ويدل
لك رفته.

وقالوا: خير الإخوان من أقبل عليك إذا
أدبر الزمان عنك.

وقال الشاعر:

فإن أولى المولى من تواليه

عند السرور لمن واساك في الحزن
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا

من كان يأنفهم في المنزل الخشن
وأنشد المبرد لعبد الصمد بن المعدل في

إبراهيم بن الحسن:

يا من فدت نفسه نفسي ومن جعلت

له وقاء لما يخشني وأخشاه

أبلغ أحباك وإن شط المزار به

أنى وإن كنت لا ألقاه ألقاه

وأن طرفي موصول برؤيته

وإن تباعد عن مشواي مشوا

الله يعلم أنى لست أذكره

وكيف يذكره من ليس ينساه

عدوا قهلا حسن لم يحوه حسن

وهل فتى عدلت جدواه جدواه

قالدهر يغنى ولا تغنى مكارمه

والفطر يحصى ولا تحصى عطايه

وقيل لبعض الولاة: كم صديقا لك؟ قال:

لا أدري، الدنيا مقبلة على، والناس كلهم
أصدقائي، وإنما أعرف ذلك إذا أدبرت عنى.

من كلمات خليفة رسول الله أبي بكر الصديق

• أولى الناس بالله أشدهم توليا لله.

• الصدق أمانة والكذب خيانة.

• إن عليك من الله عيونا تراك.

• أهدم الكفر بعضه ببعض.

• ثلاث من كن فيه كن عليه: البغى
والنكث والمكر.

• حق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون
ثقيلًا، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون
خفيفًا.

الأجواد

أجواد الإسلام ثلاثة كانوا في عصر واحد:
عبيد الله بن عباس، وعبيد الله بن جعفر،
وسعيد بن العاص.

فمن جود عبيد الله أنه أول من فطر جيرانه،
وأول من وضع الموائد على الطرق، وأول من
حيا على طعامه، وفيه يقول شاعر المدينة:

وأنت ربيع لليتامى وعصمة

إذا اخل من جور السماء تطلعا

أبوك أبو الفضل الذي كان رحمة

وغوثًا ونورًا للخلائق أجمعًا

رسالة

قدم جرير على عمر بن عبدالعزيز، فقال
له: مالي وللشعر يا جرير، إني لقي شغل
عنه.

فأجابه: يا أمير المؤمنين إنها رسالة من أهل
الحجاز.

قال: فهايتها إذن فقال:

كم من ضرير أمير المؤمنين لدى

أهل الحجاز دهاه اليأس والضرر

أصابته السنة الشهباء ما ملكت

يمينه قناته الجهد والكبر

ومن قطع الحشا عاشت مخبأة

ما كانت الشمس تلقاها ولا القمر

لما اجتمعا صروف الدهر كارهة

قامت تنادى بأعلى الصوت يا عمر

المسلمون في كفاحهم

المسلمون على جهالة بعضهم

عرفوا الحياة نعيمها والبوسا

أخذوا عن الزمن المشاغب علمها

وتجرعوه من الخطوب دروسا

أفيلقون مدى العواطف نوما

أم يدركون منا البروق جلوسا؟

ليس الذي لبس السلاح كعاجز

جعل النهيب والنكول لبوسا

لو ضن معتنق الخشوف بنفسه

ما نال من دنيا الرجال نقيسا

العزم متطلق لعزمك وأمع

فأربأ بنفسك أن تكون حبيسا

(أمرهم)

الدنيا

قال أبو نواس:

ومنا نحن إلا هاك وابن هالك

وقد نسب في المالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت

له عن عذو وفي ثياب صديق

فكان المأمون يقول: «لو قيل للدنيا صفى

نفسك ما عدت هذا البيت»

السؤال عن العلم،

مما أثر عن حكماء هذه الأمة في طلب العلم والسؤال عنه الكلمات الآتية:

- خير خصال المرء السؤال.
- إذا جلست إلى عالم فسل تفقها، ولا تسل تعتنا.
- قال الحسن البصري: من استتر عن الطلب بالحياء لبس للجهل سربا له.
- وقال: إني وجدت العلم ضائعا بين الحياء والستر.
- قال الخليل بن أحمد: منزلة الجمال بين الحياء والأنفة.
- قال علي بن أبي طالب: قرنت الهيبة بالخبية، والحياء بالحرمان.

من الشعر حكمة،

قدم العلاء بن الحضرمي على النبي ﷺ، فقال له: هل تروى من الشعر شيئا؟ قال: نعم!

قال: فأتشدني، فأتشده: تحب ذوى الأضغان تسب نفوسهم تحبك القربى فقد ترقع النعل وإن حسدوا بالكفر فاعف تكرما وإن غيبوا عنك الحديث فلا تسل فإن الذى يؤذيك منه سماعه وإن الذى قسالبوا وراءك لم يقل

يسرع ليصل،

وقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية، فأذن للأحنف ثم أذن لابن الأشعث، فأسرع الثاني في مشيته حتى تقدم الأحنف، ودخل قبله، فلما رآه معاوية غمه ذلك وأحنفه، فالتفت إلى الأحنف وقال له:

«والله إني ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قلبه، وإنا كما نلى أموركم كذلك نلى أديابكم، ولا يزيد متزيد في خطوه إلا النقص يجده من نفسه».

وفي الأمثال: من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له وقال:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجأ ونظر رجل إلى الحسن بن عبد الحميد يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان، فقال له: مثلك يرضى بهذا؟ فقال:

أهين لهم نفسي لأكرمهم بها ومن يكرم النفس النى لا يهينها

دعاء،

اللهم إنا لا نعتد على أعمالنا، بل نعتد على فضلك وإحسانك، يا واسع الكون برحمتك، يا شامل الخلق بنعمتك ارحم عبادك فإنهم لا يطيقون عذابك.

قراءة في كتاب



للاستاذ / عادل خفاجة

٢

• إذا تركنا المساواة الشكلية التي تبحث عنها عضوات الحركة النسائية والتي وجدتها في لفظة «gender»، وإذا تركنا - أيضا - اللفظة المساوية لها في اللغة العربية وهي: «نسمة»، ويبحثنا عن المساواة الحقيقية لوجدناها تتبدى فيما ذكره المؤلف من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «حدثني أم هانئ بنت أبي طالب أنها أجارت رجلا من المشركين يوم الفتح، فأتت النبي ﷺ فذكرت ذلك فقال: قد أجرتنا من أجرت وأمانا من أمنت، وكذلك ما ذكره من حديث عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «إن كانت المرأة لتجبر على المؤمن فيجوز، فلنتأمل من هذه المواقف المساواة الحقيقية يفض النظر عن ثبوت ناء التأنيث أو غيابها.

القسم الثاني

ينقسم هذا القسم إلى: تسعة فصول ولقد جعل المؤلف من الفصل الأول قاعدة أقيامها على ثلاثة أركان: الركن الأول الفطرة والثاني الخلافة والتكريم والثالث المشاق.

وانطلق يوضح هذه المعاني من خلال تفسير بعض الآيات القرآنية التي تناولت تلك الجوانب وليبنى على هذه القاعدة الأساسية القسم الثاني كله.

وينتهي هذا الفصل إلى القول بأن الإيمان يقتضى خضوعا غير مشروط للأوامر الإلهية مهما بدا ذلك غاية في الشدة لقوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ أَنْ يَأْتِيَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ شَيْءٍ أَنْ يَقُولَ﴾

لَهُمْ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهُمْ وَمِنْ عَمَلِهِمْ وَرَسُولُهُ قَدْ خَلَّ ضَلَالًا
مَيْتًا ﴿٣٦﴾

حتى ولو لم يكن الأمر الإلهي مسبباً فإنه لا يؤخذ مؤاخذه تحكيمية، بل يتمثل للمؤمنين علماً بالخالق، وحكمة مقنعة تبلغ ضميرنا الرضا الكلي والمؤمنون بالخلق على الفطرة والخلافة والميثاق الإلهي هم الذكور والإناث جميعاً من البشر ولا يصح الفهم الصحيح على غير ذلك.

أما الفصل الثاني من هذا القسم فقد جاء تحت عنوان «أليس الذكر كالأنثى؟»

حيث استخلص المؤلف من تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

أن الله أراد أن يعلم خلقه أن الأنثى كالذكر وأن الذكر كالأنثى. ثم عرض أقوال بعض المفسرين ثم ذكر قول صاحب المنار في هذا الشأن إذ يقول: «إن هذا خير لا يقصد به الإخبار، بل التحسر والتحزن والاعتذار ولكن الله عز ثناؤه:

﴿أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾

أي أعلم بمكانة الأنثى التي وضعها وأنها خير من كثير من الذكور».

ونؤكد على حق المرأة يذكر المؤلف أن القرآن الكريم كرم المرأة واصطفها كما كرم الأنبياء واصطفاهم.

ومن خلال توضيحه لبعض ما حواه النص القرآني من الهدى الإسلامي، يخلص إلى القول بأن النص يذكر الرجال القائمين على الأمر في البيوت وإدارات الأعمال ويندبهم إلى عدم التبرم بمن ينجب الإناث، لأنهن مثل الذكور تماماً، ومنهن من هن خير من الذكور،

وأنهن والذكور سواء، فإن رزق الله سبحانه أحداً بالأنثى فلا يتحسر ولا يحزن، بل يرضى بما رزقه الله - ويعمل على أن يتبسطها نباتاً حسناً لتأخذ مكانها اللائق الكريم بجانب الرجل في المجتمع.

وعن معنى قوله تعالى:

﴿وَالرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ﴾

يذكر قول الإمام الطبري: «وهذا القول من الله تعالى ذكره، وإن كان ظاهره ظاهر الخبر فمعناه معنى ندب الرجال إلى الأخذ على النساء بالفضل ليكون لهن عليهن فضل درجة».

ثم ينتهي المؤلف إلى القول ص ١٣٨:

وهذه الدرجة التي للرجال على النساء، إنما لا تنال إلا بعد تنازل الرجال عن بعض حقوقهم قبل النساء فهي درجة بمقابل، وهذا يؤكد حقيقة المساواة بين الرجل بإطلاق والنساء بإطلاق، حتى لتكاد هذه الدرجة تذوب في الفضل بينهما.

في الفصل الثالث: المساواة في التكليف الشرعية والحقوق الحياتية بين النعمة والنسمة.

يبدأ المؤلف كلامه قائلاً:

يحلو للنساء - العضوات في الحركات النسائية أن يطلقن كلمة «جنذر Gender» على كل من الذكر والأنثى، ويرون أن استخدام هذا اللفظ كمصطلح يطلق على الفرد من الجنسين دليل على المساواة بين الجنسين، ولتعلم هاته النساء أن اللغة العربية، وهي أقدم من الإنجليزية بأكثر من ألف سنة استخدمت كلمة نسمة للدلالة على كل إنسان ذكراً أو أنثى.

ثم يقول تطبيقاً لذلك ص ١٤٩:

«إذا فكل نسمة حرة بالغة عاقلة أهل للتكليف، وبنفس الأهلية عليها من الواجبات ولها من الحقوق ما لأية نسمة أخرى في المجتمع نفسه، كل السمات في أهلية الرجوب سواء، لأنه لا تفاوت بين عقل أية نسمة ونسمة من حيث إدراك الحقائق بالبراهين العقلية، والدلائل الموجبة لها، ومن ثم فكل السمات على استعداد متساو للتكليف الشرعي، والالتزام الأخلاقي».

وإذا تركنا المساواة الشكلية التي تبحث عنها عضوات الحركة النسائية والتي وجدنها في لفظة «gender»، وإذا تركنا - أيضاً - اللفظة المساوية لها في اللغة العربية وهي: «نسمة» وبحسنا عن المساواة الحقيقية لوجدناها تتبدى فيما ذكره المؤلف من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: حدثني أم هانئ بنت أبي طالب أنها أجارت رجلاً من المشركين يوم الفتح، فأنت النبي ﷺ فذكرت ذلك فقال: قد أجرنا من أجرت وأمننا من أمنت «وكذلك ما ذكره من حديث «عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «إن كانت المرأة لتجبر على المؤمن فيجوز» فلنتأمل من هذه المواقف المساواة الحقيقية بغض النظر عن ثبوت ناء التأنيث أو غيابها.

وعن حق المرأة في طلب العلم يأتي الفصل الرابع يقول المؤلف ص ١٦٩، ١٧٠:

ولما كان العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة - فقد وعت المسلمات الأوائل حقهن في التعلم، فقد روى البخاري في كتاب العلم.

(١) - (٢) صحيح البخاري.

باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم عن شعبة قال: حدثني ابن الأصبهاني قال: سمعت أبا صالح ذكوان يحدث عن أبي سعيد الخدري قال: «قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من لقاء نفسك، فوعدهن يوماً يلقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن» (١).

ولا ندرى ماذا تعلمت المرأة إلا أن يكون فقه الدين والتشريعات الخاصة بالنساء - لكن ثبت أن النبي ﷺ حرض النساء على التعلم، وكان من أزواجه ﷺ من كانت على علم بالقراءة والكتابة مثل عائشة وحفصة وأم سلمة - رضي الله عنهن - وكان قد بنى بحفصة ولم تكن تقرأ. فقد ثبت من عدة طرق أن الشفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية «من رهط حفصة» - رضي الله عنهما - علمت حفصة بنت عمر - رضي الله عنها - الكتابة (٢).

ويستشهد بآراء العلماء، فيقتطف من كتاب «حديث القرآن عن الرجل والمرأة» لفضية الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر قوله: «إن التنزيل الحكيم بين للمؤمنين والمؤمنات أن الذين يخدمون أمتهن عن طريق العلم النافع ونشره بين الأفراد والجماعات من الذكور والإناث، لا يقلون في المنزلة عن الذين يخدمون أوطانهم عن طريق الجهاد الذي شرعه الله - تعالى - للدفاع عن الدين والنفس والمال والعرض والأرض ولنصرة المظلوم».

ويسوق الكثير من الأدلة على اهتمام الإسلام

السادات شهيد الأمة

في الوقت الذي نتادى فيه جميعاً، بل ويتنادى العالم كله بضرورة أن يسود الحوار الإنساني المتحضر العلاقات الدولية من أجل مستقبل أفضل للبشرية، وسعى المنظمات الدولية إلى إزالة أسباب التوتر بين الأمم والشعوب، خرج من بيتنا أناس يدعون لأنفسهم زعماء الأمة الإسلامية، ويخرج من بينهم من يسبون رجلاً انتقل إلى رحاب الله شهيداً في سبيله... رجلاً كان عندما يخاطب شعبه يستهل خطابه بلفظ «بسم الله» ويختمه بأى من الذكر الحكيم!!

فتحت مقولة حرية التعبير أخرجت السينما الإيرانية فيلماً أبعد ما يكون عن خلق المسلم بعنوان «إعدام فرعون» الفيلم يتناول حياة الزعيم المصري الشهيد محمد أنور السادات ويصفه بالفرعون منتقداً ومهاجماً كل سياساته ومباركاً ومؤيداً لقاتليه!!

هكذا يشبهون مسلماً رآه القاصي والداني وهو يؤدي فروض الإسلام ومنها الصلاة التي تنحني فيها جباه المسلمين سجوداً لله!!
هكذا يشبهون مسلماً قال: «لن أركع إلا لله» عشية استعداده للقتال ضد إسرائيل!!

هكذا يشبهون رجلاً أعاد للأمة الكرامة والعزة بنصر مبین على جيش حيكت حوله الأساطير ووصف بالجيش الذي لا يقهر لترفع الأمة رأسها من جديد بعد طول انكسار... هذا النصر المجيد الذي ضحى الأموال في خزانة الدول الإسلامية ومنها إيران ليحصده الجميع.. ما عدا مضر بالطبع.. أرباحاً طائلة تكسب في خزائن تنوء بحمل مفاتيحها الأمم والشعوب وليست العصابة من الرجال..

تحملت مصر ووحدها تكاليف الحرب الباهظة بمواردها المحدودة وتحملت وحدها تكاليف بناء ما دمرته الحرب ورغم ذلك كان شعب مصر سعيداً فرحاً بما تحقق من إنجازات فاقت توقعات أكثر المتفائلين... وكان مشهد عبور الجيش المصري لقناة السويس وحده كفيلاً بأن يجعل شعب مصر ينسى كل الآلام والشاق التي تكبدها في سبيل إعداد هذا الجيش وتأهيله لتحقيق نصر مجيد تحقق بفضل الله... فهل يمنح الله النصر لفرعون طاغية!!

يسر المجلة

و

القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد فقي الدين

الجماعة وخارجها.

«الناشي»: أن حق الاستقلالية الكامل، كان في حماية قانون عام للمواطنة في دولة مستقلة.

وللتأكيد على هذه الاستقلالية للمرأة، يذكر المؤلف أن من حق الأنثى أن ترفض من لا ترغب وتقبل من تحب، وهو ما أثبتته من قصة أم أبان بنت عتبة بن ربيعة بعد أن مات عنها يزيد بن أبي سفيان، فرفضت الكثير من الصحابة وقبلت طلحة، فيقول تعقياً على ذلك ص ١٩٨:

كل الذين تقدموا لهذه المرأة كانوا من العشرة المبشرين بالجنة، وكلهم قرشيون في الحسب والشرف سواء. ومع أنها تركت من يفضل من رغبت، لفضلهم في الإسلام، إلا أنها اختارت ما يفضلهم لها، وقد أقر على - كرم الله وجهه - بذلك فقال: إنه «أجملنا امرأة، وأجودنا كفاً» ومن ثم «أكثرنا خيراً على أهله» وما فعلت أم أبان حق كفله لها التشريع.

أما الفصل السادس فجاء عن مبدأ شوري الأسرة وحق المرأة فيه:

يبدأ المؤلف بتعريف الشوري ثم يدل على أهمية العمل بهذا المبدأ، ثم يذكر عدداً من صور حق المرأة في الشوري منها:

حقها حال خطبة الزواج في التشاور.
حقها في التشاور فيما يعترض الأسرة من مشكلات.
حقها في التشاور في فطام الطفل أو إرضاعه بحسب ما تقتضيه المصلحة.
حقها في التشاور إذا أرادت الاختلاع.

بتعليم الإناث أهمها تخصيص الرسول ﷺ لهن يوماً يعملن، ويشير المؤلف إلى الفوائد التي عادت على المسلمين من تعلم النساء الصحابيات فيقول ص ١٧٢:

«لما تعلمت حفصة رضي الله عنها - الكتابة وتحسين الخط، كانت أجدر نساء المسلمين بحفظ المصحف الشريف بعد جمعه الجمع الأول في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وكان ذلك من أعظم الأعمال التي أفادت المسلمين - كما يقول - أيضاً»:

أما عائشة - رضي الله عنها - فقد ملأ علمها الآفاق. فقد كانت أمينة على السنة وكانت من أكثر النساء والرجال رواية عن رسول الله - ﷺ -

ولقد برزت عائشة - رضي الله عنها - بعلمها الرجال، حتى أطلق عليها بعض الفقهاء: الفقيهة الربانية. وروى عنها كبار الصحابة واستفتوها، فقد روى عن مسروق أنه كان يحلف بالله: لقد رأيت الأكابر من أصحاب رسول الله - ﷺ - يسألون عائشة - رضي الله عنها - عن الفرائض.

فيإذا انتقلنا إلى الفصل الخامس نجد المؤلف يؤكد على استقلالية المرأة - هكذا في صيغة مؤنثة - حتى لا يغضب عضوات الحركة النسائية إذا استخدم لفظ «استقلال» المذكور. فيقول ص ١٨٣:

من الأمور التي يجب الانتباه إليها أن الآيات القرآنية التي حددت استقلالية المرأة نسمة مستقلة لها كامل استقلاليتها، كانت آيات مدنية. ويفهم من هذا أن في هذه الاستقلالية شيئين:

«أولهما: أن ذلك قد تم بعد أن صار للإسلام دولة مستقلة لها نظمها المستقلة، ولها قانون ينظم حياة الجماعة والأفراد، وعلاقاتهم داخل

ونظر السادات لشعبه الذى بذل كل التضحيات وتحمل من المشاق ما لا يتحمله سواه فى سبيل النصر... أبتكر شعبه نهجاً لمزيد من الفقر والمعاناة، أم يقدم على عمل - وهو الظاهر للنصر - يخفف من وطأة هذه المعاناة، فلا يمكن أبداً أن يظل شعب مصر أبداً الدهر يحيا فى ظل السلاح وتستنزف كل موارده فى قتال لا يتحمل أعباءه سوى هذا الشعب المكافح.

أجل استثمر السادات انتصاره وذهب إلى إسرائيل يملئ شروطه من أجل السلام!! أجل يملئ شروطه!! ويعلم فى الكنيسة الإسرائيلية أنه لا استغناء عن شبر واحد من الأراضي العربية وفى مقدمتها القدس ويسترد الرجل بالفعل أرض سيناء الحبيبة، فى حين يابى الآخرون أن تسترد الأمة القدس عن طريق السادات وشعب مصر!!

فالكل كان يحلم بدخولها منتظياً صهوة جواد صلاح الدين الأيوبي!! أجل أبوا أن يكون استرداد القدس على يد أنور السادات وشبوا حرباً هائلة ضد

الرجل وضد شعبه.

ثم يأتى الإيرانيون اليوم ليسبوا هذا الرجل ويشككوا فى عقيدته ويصفوه بالفرعون ويباركوا إعدامه فى مسلك تأباه عقيدة المسلم متناسين قول رسول الله - ﷺ -: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» وعقيدة الشهيد محمد أنور السادات لم ولن تكون بإذن الله محل تشكك فالرجل أدى شعائر الإسلام كلها من شهادة وصلاة وصوم وحج وزكاة، وقاتل فى سبيل الله ومنحه الله شرف النصر على أعداء الأمة الإسلامية... هذا الشرف الذى يحسدونه عليه لأنهم يعلمون أن الشهيد السادات قاتل أعداء الأمة فى وقت تفرغوا هم فيه لقتال المسلمين وسفك دمائهم وهى خطيئة عصم الله عبده أنور السادات من الوقوع فيها.

رحم الله الشهيد السادات وجازاه خيراً بما قدم لأمته.

أحمد تقى الدين

فى ظلال تحويل القبلة

تحت هذا العنوان جاءت رسالة صديقنا الشيخ مصطفى الأزهرى - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - قال:

ينظر إلى الأحداث التى صنعت تاريخنا الجيد نظرة أكثر دقة وموضوعية لنجدد بها تعاملنا مع أحداثه ومتغيراته خصوصاً فى زمان تفتت فيه المسلمون إلى كيانات ضعيفة لذا فإن مثل هذا الحدث الضخم ينبغي أن نجدد النظرة إليه ونحن نقرأ مسطوراً فى كتاب الله... إن أحد أهم الدروس التى ينبغي أن نكون لنا نحن مسلمي هذا الزمان موعظة بليغة لتغيير حياتنا وتحديد إيماننا ومسح القبار عن عقيدتنا هي (سرعة) الاستجابة لأمر الله تعالى: فإن التباطؤ والتلكؤ وتورهم فى أعمال الخير دليل على خور فى العقيدة وضعف فى الاعتصام

يظل تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام فى مكة المكرمة حدثاً جليلاً يظل على المسلمين كلما وافهم شهر شعبان ومن ثم يتبارى الدعاة وخطباء المساجد خلال هذا الشهر فى استباط العبر من ذلك الحدث العظيم مذكرين الأمة بمكانتها بين الأمم فاكرين قدر رسول الله ﷺ ومكانته العظيمة عند ربه تبارك وتعالى القائل:

﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَوْلِيتَكَ قِبْلَةً رَضِينَهَا﴾

غير أننا فى واقعنا المعاصر نحتاج بالضرورة أن

بحبل الله المتين، لقد رأينا تلك السرعة فى الاستجابة لأمر الله فى أمر كبير مثل التحول من قبلة إلى قبلة بلا جدال حين نزل الأمر من الله عز وجل بالتحول من بيت المقدس إلى البيت الحرام، ويحدثنا الصحابي الجليل البراء بن عازب رضى الله عنه، أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أخواله من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلة قبل البيت، وأنه صلى - أول صلاة صلاها - صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت، رواه البخاري - رأيتم... (فداروا كما هم قبل البيت)... بلا مناقشة وفى ذلك أيضاً حسن ظن المسلم بأخيه

المسلم فسادام ناقل الخبر مشهوداً له بالعدالة والصلاح فشهادته لا ترد... كذلك كان ذلك فى شهر شعبان وكأنه تهيئة قلبية ونفسية لاستقبال البيت الحرام فى شهر رمضان بعد شعبان، كما يشير الحدث العظيم أن واثقة علة إبراهيم عليه السلام الذى أمر بتطهير البيت إنما آلت بحق لنبي آخر الزمان محمد ﷺ كما آلت خيرية الأمم إلى أمته الكريمة، كذا فإن دفاع الله تعالى عن تحول أمة الحبيب المصطفى إلى القبلة التى رضىها لرسوله كان عظيماً وجليلاً وشافها فى الصدور فى مقابل حملة التشكيك الشرسة التى شنها اليهود على المؤمنين.

فعلينا أن نفق بديتنا وأن نحسن الظن بربنا وألا يلتفت المؤمنون للمتشككين وأن يفرقوا بوعى وبصيرة بين (الشعائش) و(الذويان)... والله المستعان

توعية المسلم.. خير من حوار الطرشان

ومن الأستاذ / إبراهيم مسلم إبراهيم النجار - مدير عام تنظيم وإدارة سابقاً - القاهرة - كانت تلك الرسالة:

● إننا نؤمن بأن الكلمة الطيبة قد تكون ثمرة فى الشعائش مع الآخر... فالتزمت ليس من الإسلام... إلا أن الغرب لا يعترف بذلك... بل يحاربنا بكل الوسائل... ولا غرو فقد بدت البغضاء من أفواههم برفض الفاتيكان الحوار معنا انطلاقاً من اعتقادهم الخاطئ أن دعوتنا إلى الحوار إنما هى ضعف ويتناسون أن أساس دعوة الإسلام تقوم على مبدأ الحوار والمجادلة بالحسنى قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم مَّا أَنَّى هُوَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْهَكِينَ﴾

(النحل: ١٢٥)

● إنهم يشيعون بيننا الفرقة والانحلال والإفساد بكل أنواعه ويشنون المؤامرات الإحلالية والعنصرية لخلق قوميات

متنافرة متقاتلة متجردة من قوميتها وعروبيتها لتلحق بركبتها البطن بغطاء رقيق من الإنسانية الزائفة عنوان حضارتهم الشريرة الشقية التى تلفظ أنفاسها بعد أن قاست... ولا زالت... تقاسى من وبلائها شعوب الأرض.

● إنهم يريدون محو هوية الشرق العربى والإسلامى ووحدة الروحية الأصيلة التى زرعتها الآباء والأجداد عبر آلاف السنين للقضاء على إسلامنا الحنيف ومبادئه التى تبشر بإنشاء حضارة أخرى جديدة تحتاجها الإنسانية... ولأن ذلك يقلقهم ويضج مضاجعهم... فكل همهم تحويل العالم عن قيادة رسول البشرية ومعلمها الأول محمد ﷺ إلى قيادتهم الشريرة... ولكننا نقول لهم: «كفاكم عبثاً ولهاواً بتقلبات الشعوب» فلا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة!! أصحاب الجنة هم الفائزون... ومهما حاربونا فى



اعداد الأستاذين / محمد جمعة - احمد رضوان

كبير قضاة بريطانيا لا يمانع في الاستعانة بالشرعية الإسلامية

بعد الجدل الذي أثاره الأسقف روان ويليامز رئيس الكنيسة الإنجليزية البريطانية بسبب مطالبته بتبني بعض أحكام الشريعة الإسلامية الخاصة بالأحوال الشخصية كالزواج واليراث في القوانين البريطانية، أعلن اللورد نيكولاس فيليبس كبير قضاة بريطانيا أن بلاده لا تمنع في الاستعانة بالشريعة الإسلامية في النظام القضائي البريطاني. وقال فيليبس إنه لا يوجد سبب يمنع أن تشكل مبادئ الشريعة الإسلامية أو أي مبادئ دينية أخرى أساساً للحكم، أو لأي شكل آخر من أشكال حل النزاعات، بشرط عدم تعارضها مع القانون البريطاني.

تبرئة قائد بوسني من جرائم الحرب

برأت محكمة الأمم المتحدة في «لاهي» ناصر أورييتش قائد قوات مسلمي البوسنة بمدينة سربريتشا خلال حرب البوسنة التي دارت رحاها في تسعينيات القرن الماضي من تهمة ارتكاب جرائم حرب بحق الضرب. وكان أورييتش قد أدين قبل عامين بالفشل في منع رجال تحت قيادته من قتل وإساءة معاملة سجناء من حرب البوسنة خلال الفترة التي تولى فيها قيادة قوات مسلمي البوسنة والتي اتهمها البعض بتدمير نحو 50 قرية يقطنها الصرب في البوسنة وطرده آلاف الصرب منها وحكم عليه حينها بالسجن لمدة عامين. ونقلت هيئة الإذاعة البريطانية «بي. بي. سي» عن المحكمة قولها إن المحاكمة السابقة فشلت في إثبات أن أورييتش كانت له سلطة على هؤلاء الرجال المتورطين في قتل

أن يكون إعلاماً قوياً ومتفتحاً يتمشى مع متطلبات العصر.. فقد أصبح الإعلام هو معيار وعي الأمة.

٢- تقديم صحافة جادة ومتطورة تقوم على التوعية الإسلامية بإقناع الخيال للأكتفاء من العلماء والفقهاء وأصحاب النقد الخلاق لتربى جيلاً مبدعاً.. بدلاً من هذه الأساليب التي تبكى على الماضي وتهزأ بالحاضر ولا تسمن ولا تغنى من جوع، اللهم إلا بعض البشورات هنا وهناك.

٣- إن الضعفاء لا يصنعون أمة ولا ينون نهضة وعلينا مواجهة التحديات الداخلية والخارجية والعمل على تنمية فعاليات تمسك الأمة بدينها بمعالجة وسائل الإعلام الحالية التي هي أحد أسباب تدهور لغتنا الجميلة وانحطاطها لانشغال الناس عنها والانصراف عن الدين فالسخرية من القصص في الأفلام والمسلسلات كارثة خطيرة، لأن اللغة العربية أكثر يسراً وسهولة وقدرة على التعامل مع مستجدات العصر، لذلك لابد من إعادة النظر في مناهج الإعلام والارتباط بجذورنا لأنها هي الأصلح.

ديننا وعقيدتنا وأسابيرنا يحقدهم وغلهم إلى رسولنا الكريم وقرآننا العظيم.. فلن يجدى ذلك معنا.. ولن نتأثر بأباطيلهم وإساءاتهم فقد حبانا الله برسوله ﷺ.

• إن مصالحهم ودعواتهم كلها تنكس في الدعوة إلى تشويه صورة الحضارة الإسلامية.. وبذلك فإن ضعفنا أعظمنا الفرصة في التجرد والتنازل علينا ومعهم اليمين المتطرف من كبار الكتاب في الداخل والخارج ليفتروا في عضد الأمة ويقطعوا أوصالها لتكون لقمة سائغة لأطماعهم ومخططاتهم، وأصبح محتملاً علينا أن نستعيد ثقافتنا في ماضينا وحاضرنا بإعادة بناء المجتمعات في بلادنا لتساير الأوضاع العالمية الحديثة.

• وحيث إنه لا غنى عن الدين في الرؤية المستقبلية خصوصاً وأنها جعلنا الله أمة هادية وحملها أمانة تبليغ رسالته فيجب علينا جميعاً أن نعمل على تصحيح المفاهيم المغلوطة التي يعوقون بها مسيرتنا.. ونصورها كما يلي:

١- وضع استراتيجية للتحالف الشفافي والديني بالتعاون الإيجابي بينهما لخدمة الدعوة الإسلامية على

موسم الامتحانات

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ / صالح البيطار من، جريدة الجمهورية، - قال:

عندما يبرز لنا بؤسنا يمتلئنا غيرة أن يراه في صورة مشرفة يفخر بها واليوم أصبحت الثانوية العامة شبحاً مخيفاً يعصف بالأسر المصرية ويهدد حياة أبنائهم واستقرارهم النفسي.. في الأيام الماضية امتلأت صفحات الصحف اليومية والأسبوعية بأخبار حوادث طلبة الثانوية العامة ما بين طالب أصيب خلال الامتحان بحالة فقدان كامل للبصر، وذلك وفق ما أكدته طبيب مختص، وآخر أصيب بصدمة عصبية، وثالث انتحر شقاً، ورابع أصيب والده بارتفاع مفاجئ في ضغط الدم وتوفي على الفور.. هذه أمثلة لما نشر في بعض الصحف، وبالتأكيد هناك الكثير لم ينشر.. والسؤال لماذا؟ لماذا هذا الرعب وهذا

الهلع من الحصول على مجموع منخفض ناهيك عن الرسوب؟! فهل الحياة تنتهي بالحصول على الثانوية العامة بمجموع مرتفع؟! وهل خلق الله الإنسان مجرد الحصول على الثانوية العامة، أم أن للإنسان مهمة أسمى من ذلك؟! الامتحانات المدرسية والجامعية في مصر أصبحت تمثل عبئاً نفسياً هائلاً على المجتمع المصري كله وبشكل اعتقد أنه يفوق مشاكل أخرى عديدة يعاني منها المجتمع مثل التطرف والغلاء وغيرها من المشاكل ونأمل أن تجد هذه المشكلة من تصدى لمعالجتها من المختصين من رجال الدين والتربية والإعلام حتى تظل صورة الأبناء مشرفة تفخر بها ولا يعكرها شبح الامتحانات الخيف.

وإساءة معاملة السجناء الصرب فأمرت المحكمة بإطلاق سراح أوريتش ٤١ عاما على الفور.

وينظر العديد من البوسنيين إلى أوريتش - الذي كان يوما ما حارسا شخصيا للرئيس الصربي السابق سلوبودان ميلوسيفيتش - باعتباره بطلا قوميا... ويعتقدون أنه قدم إلى المحكمة بهدف التغلب على شكاوى الصرب من أن المحكمة متحيزة ضدهم... يشار إلى أن قوات صرب البوسنة قامت بمذبحة في مدينة سربريتشا عام ١٩٩٥ أسفرت عن مقتل ثمانية آلاف مسلم.

اللوبي الصهيوني في فرنسا يسعى لطمس قضية الدرة

كشف رئيس المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية الفرنسية ريتشارد براسكييه أنه طلب من الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي إنشاء لجنة تحقيق حول ظروف إعداد تقرير تليفزيوني بشأن مقتل الطفل الفلسطيني محمد الدرة بديران الجيش الإسرائيلي في غزة يوم ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٠م. وذكر تقرير لقناة الجزيرة، الفضائية أن مراقبين فرنسيين اعتبروا البادرة محاولة لطمس حقيقة اغتيال الدرة، مؤكدين أن صور تلك الجريمة التي بثتها آنذاك القناة الثانية في التليفزيون الفرنسي «فرانس ٢» جعلت من الدرة «أيقونة لانتفاضة الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال ورمزا لبشاعة القمع الإسرائيلي». وبينما أوضح براسكييه أنه لم يتلق أي رد من الرئاسة الفرنسية، كما عبرت أوساط إعلامية محلية عن عدم رغبتها في تشكيل لجنة تحقيق يمكن للوبي الموالي لإسرائيل التحكم في تشكيلها وبالتالي التأثير في نتائج أعمالها.

إسرائيل تواصل حملتها لمصادرة الممتلكات العربية في القدس

تواصل إسرائيل حملتها للاستيلاء على الأحياء العربية بالقدس المحتلة حيث كشف مسئول فلسطيني أن إسرائيل ستهدم ٤٧ منزلاً في حي البستان إضافة إلى هدم ٢٤٠ منزلاً في شعفاط وبيت حنينا في المدينة المقدسة... وفيما يتعلق بالحملة الإسرائيلية للاستيلاء على منازل وممتلكات الفلسطينيين بالقدس شهدت منطقة «الشيخ جراح» حركة نشطة بعد أن توافد ممثلون للمؤسسات الوطنية الفلسطينية من بينهم الشيخ محمد حسين مفتي القدس والديار الفلسطينية، وعدنان الحسيني مستشار الرئيس الفلسطيني لشئون القدس.

باحث صيني يكتب موسوعة عن القرآن الكريم

أعلن البروفيسور يحيى صنوبرلين سورغ الباحث الصيني والترجم الشهير عن كتابة موسوعة موضوعية للقرآن الكريم بمشاركة ٤٠ دارساً وباحثاً صينياً كما أوضح أن هدفه من وراء كتابة هذه الموسوعة هو كون القرآن دستورا ومبدأً ودليلاً لما يقارب مليار وثلاثمائة مليون مسلم ولكونه وثيقة قيمة وحية يرجع إليه علماء الشرق والغرب من أجل الإطلاع على التعاليم الإسلامية كما تطرق إلى بعض ملامح هذه الموسوعة القرآنية التي ستتشر باللغة الصينية مشيراً بأنه حدد قسماً من المواضيع بصورة دقيقة وفي حال إنجاز الكتاب ستصبح هناك سهولة للحصول عما يبحث عنه القارئ.

أفضل عشرة مفكرين في العالم... مسلمون

أصبحت لجنة بريطانية أمريكية مشتركة بالدهشة عندما تبين في استطلاع للرأي أجرته أن أفضل مفكر في العالم هو مسلم، وجاء في الخبر الذي نشرته جريدة الرياض السعودية في تقرير لها من لندن، أن كلا من المجلة البريطانية «بروسبيكت» والمجلة الأمريكية «فورين بوليس» قد أشرفت على الاستطلاع الدولي للبحث عن أفضل مفكر على مستوى العالم، وشارك في الاستطلاع ٥٠٠ ألف شخص، وجاءت النتيجة صدمة للمشرفين، فعلى رأس القائمة المكونة من مائة اسم، جاء في الدرجة الأولى فتح الله جولان الذي وصف بأنه عالم مسلم وداعية معتدل لكن المفاجأة لم تتوقف عند الفائز بالمرتبة الأولى، بل تعدت ذلك عندما اكتشفت اللجنة أن المرتبات العشر الأول احتلتها شخصيات مسلمة أيضاً.

كتاب مدرسي عن الإسلام بألمانيا

يصدر أول كتاب مدرسي لمادة الديانة الإسلامية - خلال شهر أغسطس - بألمانيا... يحمل الكتاب عنوان «سفير» وهو مخصص للفصلين الدراسين الرابع والخامس من مرحلة التعليم الابتدائي. وقالت لمياء قدور مدرسة الدراسات الإسلامية - التي شاركت في إعداد الكتاب المدرسي الجديد، وتحدث من أصول سورية، وتعمل منذ عام ٢٠٠٤ في مركز الدراسات الدينية التابع لجامعة مونستر الألمانية - إن الكتاب المدرسي الجديد لا يعد فقط أحد المناهج الدراسية، التي سيعتمد عليها في حصص تدريس مادة الديانة الإسلامية فحسب، وإنما يجسد أيضاً خطوة إضافية تجاه تعامل إيجابي مع الإسلام. وأضافت قدور اعتقد أن هذا الكتاب الدراسي سيغير الكثير ليس فقط على صعيد المضمون لأن ذلك محدد مسبقاً، ولكن فيما يتعلق بطريقة تناول المواضيع. وفي السياق ذاته اعتبرت قدور أن الكتاب الجديد سوف يقدم صورة شفافة للإسلام.

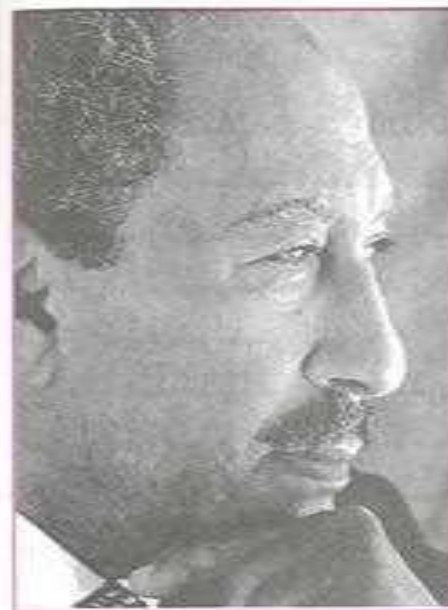
مسابقة لحفظ القرآن الكريم في فرنسا

نظمت الهيئة العامة لتحفيظ القرآن الكريم بالتعاون مع اتحاد المنظمات الإسلامية والكلية الأوروبية للعلوم الإنسانية بفرنسا الحفل الختامي للمسابقة الوطنية السادسة لحفظ القرآن الكريم، وذلك في قصر المعارض بمدينة البورجى شارك في المسابقة ١٤١ حافظاً وحافظة من مختلف مناطق فرنسا، وحضر الحفل الدكتور عبد الله بن علي بصفر الأمين العام للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، وشكيب بن مخلوف رئيس اتحاد أوروبا، والتهامي إبريز رئيس الاتحاد بفرنسا، وزين العابدين كوردي المدير الوطني للمسابقة، وعدد من الشخصيات الإسلامية من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ومن أوروبا، وعدد من الجاليات الإسلامية في فرنسا وقد اشتملت المسابقة التي استمرت لمدة ٣ أيام على ثمانية مستويات، هي حفظ القرآن كاملاً و٢٠، ١٥ جزءاً و١٠ و٥ أجزاء، وجزئين وجزء واحد.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذ / عبد الموجود أمين موسى

بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف



تناقلت وسائل الإعلام أن فئة ضالة مضلة من «إيران» قد أنتجت فيلماً قبيحاً فيه إساءات بالغة إلى السيد الرئيس الشهيد محمد أنور السادات وفيه تمجيد للذين اغتالوه خيانة وغدراً وقسوة وكفراً.

وإن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف يؤكد بكل صراحة ووضوح أن هذا السلوك السفيف من تلك الفئة المنحرفة يمثل أبشع صورة للخروج على أحكام الإسلام وعلى آدابه وعلى قيمه الشريفة ومن الأدلة على ذلك:

أولاً: أن القرآن الكريم توعد في آيات كثيرة أولئك الذين يحكمسون على المسلم بالكفر ويؤذون المؤمنين، توعدهم بأشد ألوان العذاب ووصفهم بأنهم ملعونون في الدنيا والآخرة.

ومن الآيات القرآنية التي قررت هذه الحقائق قوله - تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا

ثُمَّ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿يَعَذِّبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٧: ٥٨)

أي إن الذين يؤذون الله - عز وجل - بإشراكهم معه في العبادة آلهة أخرى ويؤذون رسوله ﷺ بالأقوال الكاذبة وبالأعمال السيئة لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً يذللهم ويهينهم.



وكذلك فإن الذين يرتكبون في حق المؤمنين والمؤمنات ما يؤذيهم في أعراضهم أو في أنفسهم يكونون قد ارتكبوا إثماً شنيعاً، وفعلوا قبيحاً، وذنباً عظيماً، بسبب إيذائهم للمؤمنين والمؤمنات.

ثانياً: لقد تواترت الأحاديث النبوية الصحيحة التي تنهى أشد النهي عن سب المسلم أو قذفه أو وصفه بالكفر لاسيما بالنسبة للأموات الذين صار حسابهم لدى خالقهم - عز وجل - وحده.

ومن هذه الأحاديث الصحيحة قوله - ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

وقوله - ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه».

وقوله - ﷺ: «لا يرمى رجل رجلاً بالفسق أو بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك».

وقوله - ﷺ: «من لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله».

وقوله - ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا».

ثالثاً: إن هذه الفئة الإيرانية الضالة عندما ترتكب هذا الفعل الشنيع تكون قد ارتكبت أبشع ألوان الجرائم والغرور والجهالة، لأن الذي يحاسب كل إنسان على عمله هو الله - تعالى - وحده، لاسيما بعد أن فارق هذا الإنسان الحياة كما قال - سبحانه:

﴿ إِنَّا لَنُثَبِّتَنَّ إِيَّاهُمْ ۖ ثُمَّ لَنَعْلِيَنَّ حَسَابَهُمْ ﴾

أى: إن إلى الله وحده مرجع جميع الخلق وأنه - عز وجل - حده هو الذى يتولى حسابهم.

رابعاً: إن ما يعيبونه على السيد الرئيس الشهيد محمد أنور السادات - رحمه الله - هو ليس عيباً وإنما هو من مكارم الأخلاق ومن أسمى ألوان الشجاعة والمروءة والإقدام، إنهم يعيبون عليه استقباله لشاه إيران السابق ورعايته له فى نكته ومرضه مع أن هذا العمل من مكارم أخلاق السيد الرئيس الشهيد محمد أنور السادات لأن الأديان السماوية والعقول الإنسانية السليمة والأخلاق الإنسانية القويمة كلها تدعو إلى مساعدة المنكوب وإلى رعاية المريض، وإنهم يعيبون عليه زيارته لإسرائيل مع أن هذه الزيارة عند كل عاقل شريف تدل على شجاعة السيد الرئيس محمد أنور السادات - رحمه الله - وعلى ثبات جأشه، وعلى كمال عقله، وعلى حكمة سياسته، وعلى إقدامه على مجابهة المتاعب بقوة وصلابة وعزيمة لا تعرف الضعف أو التردد.

إنه ذهب إلى أعدائه فى عقر دارهم بهامة مرتفعة لينذرهم بأنه قد جاءهم من موطن النصر ليحسم الأمور وقد تم له ما أرادهم منهم بكل عزة وحكمة ووقف عالم العقلاء مبهوراً من شجاعة رئيس مصر ومن حكمته - رحمه الله -

خامساً: يجب أن يعلم حكام إيران علم اليقين أن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف يخاطبهم بمنطق الدين وليس بمنطق السياسة كما يجب أن يعلموا أن صدور هذا الفيلم القبيح هو جريمة منكورة لها أسوأ العواقب لأنه فعل تأباه شريعة الإسلام وتأباه آدابه السامية.

كما يجب أن يعلموا أن هذا الفيلم القبيح سيكون سبباً فى تقويض أى جهود لدعوة التقريب التى ينادى بها العقلاء من فقهاء إيران ولن يتم رعب هذا الصدى إلا بإحراق هذا الفيلم السخيف.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾

(الشعراء: ٢٢٧)

رؤساء البعثات الأزهرية

صرح فضيلة الشيخ فوزى زيدان الأمين العام المساعد للبعوث الإسلامية أنه تم عقد المسابقة العامة للوظائف الإشرافية «رؤساء ووكلاء» للبعثات الأزهرية للخارج لعام ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩ م. وتم عقد الامتحان بمكتب فضيلة الشيخ عبد الفتاح علام وكيل الأزهر لاختيار أفضل العناصر التى تكون مؤهلة لحمل رسالة الأزهر فى الخارج ويكون خير سفير للدعوة الإسلامية والدين الحنيف.



فضيلة الأمين العام يستقبل وفد دار الإفتاء اللبنانية

استقبل فضيلة الشيخ على عبد الباقي شحاته الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفد دار الإفتاء اللبنانية والمكون من: سماحة الشيخ محمد على الجوزو مفتى جبل لبنان، والشيخ صلاح الدين فخري مدير عام الأزهر لبنان، والأستاذ الدكتور محمد نقرى أمين سر خاص مفتى لبنان والمدير العام لدار الفتوى. تضمن الاجتماع طلب الوفد خضوع معاهد الأزهر لبنان للإشراف الفنى للأزهر الشريف نظراً لموقع الأزهر فى نفوس اللبنانيين.

ومن جانبه أكد فضيلة الشيخ على عبد الباقي بأن الأزهر الشريف لا يألو جهداً فى تلبية احتياجات الدول الحريصة على الاستفادة من خبرة الأزهر دون النظر لحجم الأعباء التى يتكبدها، طالما الأمر يتعلق بنشر ثقافة الاعتدال التى يتبناها الأزهر. وقد اتفق الطرفان على أن يبدأ المشروع بمعهدى بيروت ولكار كممرحلة أولى وخصوصاً أن المعهدين سيحتاجان إلى ١٥ مدرساً فوق البعثة الموجودة حالياً. ومن جانبه أشاد مفتى جبل لبنان بالأزهر الشريف ودوره العالمى تجاه تعليم أبناء المسلمين أمور دينهم، وأنه حينما قصد الأزهر الشريف لتولى الإشراف على معاهد الأزهر لبنان فإن ذلك جاء استشعاراً لقيمة ومكانة الأزهر فى نفوس كل اللبنانيين على مختلف طوائفهم. وأعرب الدكتور محمد نقرى مدير عام دار الفتوى عن سعادته الغامرة بموافقة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية على رفع الأمر لفضيلة الإمام الأكبر.

أبناء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عبد النبي فرج

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

محاضرات لفضيلة الإمام الأكبر

توجه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف ظهر الثلاثاء ١٠/٧/٢٠٠٨م إلى مدينة الإسكندرية لإلقاء محاضرة لقوج التميز في برلمان شباب مصر في المدينة الشبابية بأبي قير بالإسكندرية في تمام الساعة الثامنة والنصف مساءً. ويأتي ذلك في إطار خطة المجلس القومي للشباب - حيث يتم الحوار أمام الشباب التميز والسادة المشولين، كما ينظم المجلس عدة لقاءات وحوارات فكرية داخل المعسكرات الشبابية الصيفية مع عدد من كبار العلماء الأجلاء لتبصير الشباب بتعاليم الإسلام الحنيف والبعد عن التطرف. كما حضر فضيلة الإمام الأكبر بمعسكر أبي بكر الصديق بالإسكندرية يوم الأربعاء ٢/٧/٢٠٠٨م في تمام الساعة الحادية عشر صباحاً مع وفود من شباب الجامعات المصرية والعالم الإسلامي وأبناء الواقدين الدارسين بجامعة الأزهر - ويأتي ذلك من خلال استضافة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وفود من شباب الجامعات المصرية والعالم الإسلامي.

البعثات الأزهرية في رمضان

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر قراراً بسفر الوعاظ الآتي أسماؤهم للوعظ والإرشاد خلال شهر رمضان المعظم سنة ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨م وهم: محمد علي محمد جعفر وعلي محمد بن أحمد أبو زيد (المركز الإسلامي بلندن) والسيد محمد منصور جاب الله (المركز الإسلامي في كارديف) والسيد محمد عبدالعال سليم ومحمد شفيق محمد شرشر (أمريكا) وعبدالرحمن عبدالقوي عبدالرحمن راشد (النمسا) وعز الرجال محمد حجاب محمد (إيطاليا) ومحمد محمد إبراهيم سلامة وحمدى عبدالعزيز السيد العنزة وإبراهيم عبدالله إبراهيم الحسانين ومحمود عبد ربه عبدالقادر موسى (نيجيريا) وعبدالواسط محمد عبدالله حسن (سيرلانكا) ورشدي السيد أحمد زهرة (فنلندا) وحسن محمد محمد نبوي (ألمانيا) وحسين محمد القطب الرفاعي (إيطاليا) ومحمد الباقيلى عبدالحميد على وأحمد صديق السمان رضوان وسليم أحمد السيد سلامة (المالديف) ومحمد عبدالغنى عبدالغنى محرم وخلف على محمد عمار والسيد محمد السيد القصاص

ومن جانيه شكر الشيخ صلاح الدين فخرى مدير عام الأزهر لبنان فضيلة الأمين العام على ما أبداه من رغبة صادقة في تحقيق مطلب الوفد مؤكداً أن هذا ليس بمستغرب على الأزهر حضر اللقاء الأستاذ / إسماعيل أبو الهيثم مدير المركز الصحفى لمكتب الأمين العام.

مكتبة الأزهر تستقبل وفداً سعودياً

استقبل فضيلة الشيخ مهدي هادي شلتوت رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر صاحب السمو الملكي الأمير الدكتور عبد العزيز آل سعود والوفد المرافق له، وقام صاحب السمو الملكي بزيارة المكتبة والتعرف على الأنشطة والخدمات التي تقدمها المكتبة للدارسين والباحثين المهتمين بالعلوم العربية والعلوم المختلفة، وقد أبدى صاحب السمو إعجابه بالتقدم الملموس في المكتبة.

الخطابة بين النظرية والتطبيق

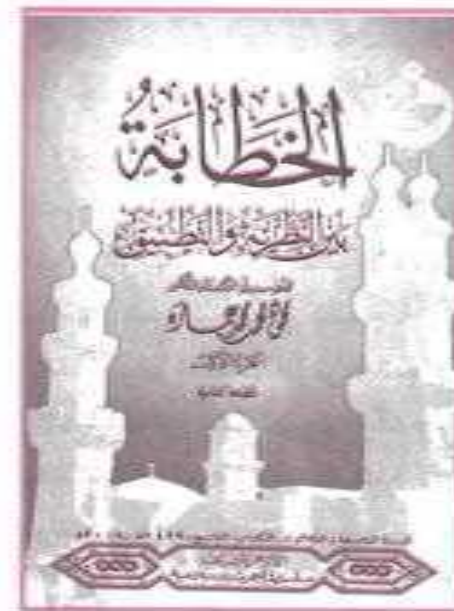
صدرت الطبعة الثانية من كتاب «الخطابة بين النظرية والتطبيق» لفضيلة الأستاذ الدكتور محمود محمد عمارة والذي سبق لسلسلة مجمع البحوث الإسلامية أن أصدرته في جزئين ويشتمل الكتاب على مبحث علمي عن قواعد الخطابة وأصولها وفروعها لتكون علامات على طريق الراغبين في توجيه الناس، مقدماً بعض النماذج. ويتكون البحث من مقدمة وأربعة أبواب: **فصل الباب الأول** عرف فيه الخطابة وأهميتها وكيفية الاستعداد لها، والعنصر الإيجابي في شخصية الخطيب.

وشمل الباب الثاني ثقافة الخطيب ومصادرها: القرآن الكريم - السنة النبوية المطهرة - العلوم الإنسانية.

والباب الثالث تناول فيه المؤلف كيف يعد الخطيب خطبته وكيف يعرض فكرته إيجازاً أو طولاً - جمال الأسلوب - اختيار الموضوع - أنواع الخطابة.

وفصل الباب الرابع «التمهيد» وقد ضمنه نماذج من الخطب مقتبداً بخطب النبي محمد ﷺ والخلفاء الراشدين ثم بعض كلمات الشيخ محمد عبده والحسن البصري كوعاظ في الخالدين مبيناً فيه أيضاً كيف حرر الإسلام الخطابة من حمية الجاهلية. هذا والكتاب سهل في أسلوبه، سلس في كلماته، يستفيد فيه كل من اشتغل بالدعوة إلى الله ولكل من اعتلى منبر الخطابة.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبد الرحمن العسيلي مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث.



وعاشور مبروك عبدالمنعم ومحمد محمد حسن فتح الله وعبدالله عاشور على إبراهيم والخضري الخضري عبدالوهاب نعمة الله ومحمد إبراهيم ومحمد بكر ومحمد محمد سليمان بدر ولوم طه محمد محمود وعلى سعيد عبدالبدیع عبد ربه وأحمد حلمي فهمي البلاط ونصر الدين كامل دياب عليو وظريف محمد إبراهيم الغريب وسلامة على السيد ثابت والبدری عبدالیاسط على رضوان وبلال فتحي إسماعيل عبدالصمد والسيد عبدالرحمن عبدالقصور (فرج أسبانيا).

الإمام الأكبر يعتمد نتائج الشهادات الأزهرية

● اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف صباح الخميس الموافق ٢٠٠٨/٧/٣ م - نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الإعدادية الأزهرية للعام الدراسي ١٤٢٨هـ / ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٧/٢٠٠٨ م على مستوى الجمهورية بنوعيتها «مبصر - كفيف».

● العشرة الأوائل من المبصرين على مستوى الجمهورية هم: أسماء محروس أحمد عويس - بنى سويف - الأول - علياء ثروت سالم محمد - الشرقية - الثاني - نشوى أحمد عبدالله عطية - الشرقية - الثاني م - آلاء عبدالعزيز عبدالوهاب - الشرقية - الرابع - أحمد فؤاد سراج الدين عبدالرؤف - دمياط - الرابع م - أحمد محمود هلال محمود - الشرقية - الرابع م - آية رفعت محمد عبدالمنعم - القليوبية - الرابع م - رغدة ممدوح عبدالجواد فهمي - الشرقية - الثامن - محمود على خليل نوار - البحيرة - الثامن م - أحمد عبدالفتاح محمد إبراهيم - الشرقية - العاشر.

● وأوائل المكفوفين على مستوى الجمهورية: عمرو محمد عبدالحميد عبده - البحيرة - الأول - أحمد محمد رضا عبدالفتاح - القليوبية - الثاني - محمد حامد زكي المرسى مراد - دمياط - الثالث - دولت حسن عبدالغنى حسن محمد - الدقهلية - الرابع - هند محمد عبدالله أحمد - الشرقية - الخامس - رجاء حسين محمود محمود - الشرقية - السادس - دعاء غريب السيد أحمد الوافي - الدقهلية - السابع - محمد عبدالكريم كامل عطية - الشرقية - الثامن - أحمد عبدالشافى عنتر - الغربية - التاسع - سلوى السيد موسى جبر موسى - الشرقية - العاشر.

● كما اعتمد فضيلته نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الثانوية الأزهرية للعام الدراسي ١٤٢٨هـ / ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٧/٢٠٠٨ م على مستوى الجمهورية بنوعيتها «مبصر - كفيف» وشهادات القراءات «إجازة التجويد - عالية القراءات - التخصص - شهادات البحوث الإعدادية والثانوية».

● والعشرة الأول من القسم العلمى: هاجر اسامة محمد عطية - الغربية - الأول - أحمد عبدالعزيز عبدالرؤف - البحيرة - الثاني - أسماء عطية محمد على البستاوي - كفر الشيخ - الثاني م - شيماء محمود طه الزنقلى - الشرقية - الثاني م - محمد عبدالخالق حسن البحر - كفر الشيخ - الثاني م - محمود عبدالله إبراهيم راجح - كفر الشيخ - الثاني م - أحمد عبدالفتاح محمد الحسنى - الغربية - السابع - رغدة محمد النبوى عبدالحميد - الغربية - السابع م - شيماء محمد المهدي التهامي - الدقهلية - السابع م - محمود أبو زيد محمد أبو زيد - الدقهلية - السابع م - محمود أحمد محمود على الأبيض - كفر الشيخ - السابع م - محمود راضى الشرنوبى النجار

- كفر الشيخ - السابع م - مرمم نصر على الشناوى - كفر الشيخ - السابع م.

والعشرة الأول من القسم الأدبى (مبصر): محمد عبدالناصر سعد صقر - الغربية - الأول - محمد قرنى أمين حسن - الفيوم - الثاني - سمر خميس منصور منصور - الشرقية - الثالث - يوسف محمد أحمد على - المنوفية - الثالث م - رحاب محمد محروس حسين - أسيوط - الخامس - عبدالمنعم السيد عبدالمنعم محمد - الشرقية - الخامس م - محمد عبدالرحمن محمد المراكبى - المنوفية - الخامس م - مصطفى محمد أحمد مجاهد - القاهرة - الثامن - محمود رضا أحمد - الدقهلية - التاسع - أمال سيد إسماعيل عبدالله - أسيوط - العاشر - إيمان مجاهد مجاهد سالم - الدقهلية - العاشر مكرر - عبدالخليم رشاد أحمد مشرف - القاهرة - العاشر مكرر - مصطفى ممدوح أحمد الطحان - دمياط - العاشر مكرر.

الخمس الأوائل من القسم الأدبى «كفيف»: محمد نبيل عبدالعليم أحمد - الدقهلية - الأول - نورهان أشرف أحمد صادق عبدالحميد - سوهاج - الثاني - أحمد مسعد محي عطية - المنوفية - الثالث - آية محمود عبدالقصور سيد أحمد - الغربية - الرابع - محمد درويش أحمد إسماعيل - الشرقية - الخامس.

الإمام الأكبر يستقبل سفير اليونان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح الأحد الموافق ٢٠٠٨/٧/١٣ م سعادة السفير / أيونيس مبيوس سفير اليونان بالقاهرة وتأتى هذه الزيارة بمناسبة توليه العمل سفيراً لبلاده في جمهورية مصر العربية متمنياً لسيادته إقامة طيبة في القاهرة والتوفيق له فى عمله. رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير فى الأزهر الشريف كما قدم فضيلته شرحاً موجزاً للتعليم الأزهرى الذى يمتاز بالوسطية والاعتدال وأن الناس جميعاً أخوة وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله كما أننا فى الأزهر نقول بتعاون الحضارات ولا نقول بتصادم الحضارات وأن لكل بلد حضاراتها تستفيد من بعضها البعض وهذا هو الإخاء الإنسانى.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء الذى يعد الأول له بعد توليه العمل سفيراً لبلاده فى جمهورية مصر العربية وأنه يعتز بتواجده فى الأزهر الشريف وبلقاء الإمام الأكبر شيخ الأزهر متمنياً المزيد من التبادل الثقافى بين الأزهر وجامعته وبين اليونان.

ويستقبل سفير السنغال

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه ظهر الخميس الموافق ٢٠٠٨/٧/١٧ م سعادة السفير انديادار سار سفير جمهورية السنغال بالقاهرة وتأتى هذه الزيارة بمناسبة توليه العمل سفيراً لبلاده فى جمهورية مصر العربية متمنياً لسيادته إقامة طيبة بالقاهرة والتوفيق فى عمله. ومن جانبه شكر السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء وأنه يعتز بتواجده فى الأزهر الشريف وبلقاء فضيلة شيخ الأزهر كما شكر فضيلته على الرعاية والتيسيرات التى يوليها الأزهر للطلاب والطالبات السنغاليين الذين يدرسون فى الأزهر ويتمتعون برعاية الأزهر لهم.

Also, he saw the spread of drinking wine, dissoluteness to a great extent as well as practicing usury to an incredible extent. Moreover, he noticed the spread of greed, hunger for money, toughness and tyranny to the extent of killing the children.

Kings were ruling many countries, while many priests regarded themselves as gods. They were robbing the people without any right. He saw the loss of the

human skills and talents without any benefit or right guidance turning to disasters towards their owners.

Furthermore, courage turned to savagery and oppression, generosity to squandering, and intelligence to robbery³ and deception. Mind became a way of formulating crimes and sins⁴. Because it was a Prophet not a social reformer, military leader or political leader, he was guided to the key of the human nature, which is the heart as he actually knows.

He knows that the guidance of the human being starts with his heart. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "The body has a small important part, which, if becomes good, the whole body becomes good; and if spoils, the whole body spoils, which is the heart."⁵

The heart mentioned here is the inner part and the spiritual entity of human being. At the beginning, the Surahs sent in Mecca were meant to revive the feelings and consciences of the people, and to shake their entities for the sake of deepening their belief.

The whole matter started in the house of the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him), as Allah sent the revelation to order him by reading. This was the beginning of the link between the heavens and earth and carrying Allah's light to the people:

{O you Population of the Book, our Messenger has already come up to you; he makes evident to you many things you have been concealing of the Book, and he is clement about many things. A light has already come up to you from Allah, and an evident Book. Whereby Allah guides whomever closely follows His all-blessed Satisfaction in the ways of peace; and He brings them out of the darkness (es) into the light by His permission, and He guides them to a straight Path.} [Al-Ma'idah (The Table): 15-16]

³ Robbing the people on their way

⁴ What the world lost by the deterioration of the Muslims – Abul Hasan Ali Nadawi, page 115, Al-

Resalah Institution

⁵ Mosnad of Imam Ahmad 4/270

The Day of the conquer of Islam to Pre-Islamic era

The verses followed each other, hearts and souls woke up seeing scenes from the Day of Judgment. There were verses which revealed the destiny of the disbelievers to draw the attention of the negligent people to their destiny and to show the believers their rewards in the Day of Judgment.

Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) feeds the people's souls by Qur'an, educates their souls by belief, and orders them to submit to Allah five times a day in a state of purity and humbleness of heart. The submission of mind and body increases their belief and elevates their souls in the existence of pure heart and cleanness.

He ordered them to liberate from materialism, and to resist the personal appetites for the sake of being sublime. Also, he taught them moral tributes such as mercy, patience and self-compulsion. The Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) continued to educate them profoundly, the Noble Qur'an continued to elevate their souls and the Prophet's sessions (may the blessings and peace of Allah be upon him) strengthened their belief and dispatching from personal appetites. These sessions had strong effect as they helped the people to devote their souls for satisfying Allah for the sake of Paradise.

They cared about their religion and did their best to know more about Islam. They were accounting for their souls and obeyed Allah's Messenger, as they fought with him twenty seven times in seventeen years. They were ordered by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to fight Allah's enemies for 100 times without caring about their life.

Translated by: Eman Ali El-khateb.

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil

The Need of the Humanity for the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)

By: Dr. Hamdy Fatouh Waly

Humanity passed by crises in which the Divine Sharia, morals firm legal facts were missed. Mind became weak and the logic of muscles and canine teeth prevailed. The poor became much poorer and the rich became much richer. Nothing was heard on earth except the logic of the claw and canine tooth in the period prior to the envoy of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him).

Although there was a heavenly religion on earth which is Christianity before Islam, but there was extreme suffering that surpassed every limit. Christianity was handicapped in a way that it could not present a controlling method or a guiding Shari'a.

"In 305 A.D, Christianity ascended the throne of the pagan Rome by Costantinus who ruled Rome. Thus, Christianity conquered paganism gaining what it had never dreamt of wide property and various countries.

Costantinus reached the throne by shedding the blood of many Christians for his sake and victory. Then, he was grateful to them in the way that he appointed them in high positions in his country. The Christians won with regard to fighting and war, but they were conquered with respect to religion, as they won a great kingdom, but lost a great religion.

The pagan Rome distorted the Christ's religion; Costantinus was the one who distorted most of the religion, although he was supposed to be the protector of Christianity.¹ Dol Diwart wrote in his book "Story of a Civilization":

"When Christianity conquered Rome, the core of paganism moved to the new religion. The title "Al-Habr Al-A'tham" and worshipping of the "Great Mother" and uncountable number of gods that satisfied and eased the souls as well as feeling the existence of some creatures every where and the joy of the old processions that the human being does not know its beginning. All of these features transferred to Christianity as the blood

¹ What the world lost by the deterioration of the Muslims – Abul Hasan Ali Nadwi page 237 Al-Resalah Institution

transfers to the embryo; and Rome captured the religion that conquered it at the beginning.²

The earth was disappointed by Christianity which deserted its message and firmly-established facts as well as satisfied by paganism. The priests became symbols isolated from the real life after the saying, "Give what Ceaser owns to Ceaser and what concerns Allah to Allah." It was clearly known that Ceaser was controlling every thing, and that Allah did not have sovereignty over anything in Paganism's point of view.

Thus, Rome turned to be a tyrannical pagan power, and its danger increased when it controlled the whole earth after conquering the Magi Persia, which had formed a sort of power balance. Persia was not much luckier by worshipping fire, but it was worse as fire does neither send Shari'a nor a messenger. Also, it does not punish the disobedient and criminals. Thus, the whole people were like disbelievers in every place.

The Earth lost its leader

It was clear that the whole earth lost its leader as well as the guiding light and the guide that shows the right path. The whole humanity was seeking a savior till Allah willed to bring happiness to the earth by sending Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him). His envoy represented conquer for the whole earth, rescue for the whole humanity and mercy for the people.

Dr. Bairon said in the fifth international conference for historical sciences held in Oslo on August 14th, 1929 A.D:

"The emergence of Islam formed the end of the old ages and the beginning of waking up the humanity at the first of the middle ages, as the Western Europe started a new civilization and modern life. Thus, we should regard this great event as the beginning of a new era."

Abul Hasan Ali Nadwi said describing the state of the human society at the time of the envoy of Muhammad, "When Muhammad Ibn Abdul Allah was sent, the whole world was extremely shaken. Everything at that time was not in place. When the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) looked around him, he found the human being humiliated himself by prostrating to the stone and tree, which neither benefits nor harms.

² The Story of Civilization – Will Durant, the sixth edition page 418, the translation of Mohammad Badran

The fourth: abrogation of some rules such as transferring the Qibla from Jerusalem to Kaaba, and transferring the iddat of the widower from a month to four month and ten days. They said that if he was true, he would not change the rules that were emphasized in Torah and the Bible. However, he changed them, and he should not be a prophet. Allah responded to the first suspicion by saying:

{We sent you as a Messenger and let you marry and have children}

Also, Allah responded to the second suspicion by saying:

{No Messenger can get any sign except by the permission of Allah}

It seems as if they do not know that any one of miracles he brought is enough to emphasize his prophecy, and he brought many miracles. We wonder why they ask for more miracles, although this matter does not refer to him, but to Allah, Glory be to Him.

Also, Allah responded to the third suspicion by saying:

{Ever term has a Book.}

[Ar-Ra'd (The Thunder): 38]

It means that there is a certain time for the sending down of torment to the disbelievers and the conquer of the Muslims, which is determined by Allah. If any event delays, this does not mean that he is a liar.

Allah responded to the forth suspicion by saying:

Allah erases whatever He decides and He makes firm (whatever He decides)

[Ar-Ra'd (The Thunder): 39]

It means that Allah erases and makes firm whatever He wants in the way He perceives the benefit of His worshippers. Allah, Glory be to Him, says:

{In no way do We abrogate any ayah whatsoever or cause it to be forgotten (except that) We come up with a more charitable one or the like of it. Do you not know that Allah is Ever-Determiner over everything?}

[Al-Baqarah (The Cow): 106]

One of these ayas is regarding the Kaaba as the Qibla of the Muslims instead of Jerusalem. Allah determines that there is no change, amendment, erasure or emphasis in the matter of the iddat of the widower. Abdullah Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) says, "There is two kinds of Books: A Book in which Allah erases whatever He wants and another one that never changes: Allah's Knowledge and the predestined Determination."

Also, he believes that erasure and emphasis relate to something other than happiness, unhappiness and life. The Book is the predetermined facts, and it was said that it is the events written by the angels. Ibn Omar (may Allah be pleased with him) narrated that he heard the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) saying, "Allah erases and makes firm whatever He wants except happiness, unhappiness and death."

As accusing the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) with the above-mentioned accusations is a kind of wronging to Allah, He revealed that

amending the signs and substituting them with others are referred to Allah. Allah legislates the rules suitable to a certain event, and when this event ends up, He changes it.

Changing rules according to the events is regarded as one of the signs of the Wisdom of Allah. The words of this famous invocation were really mentioned. Abdullah Ibn Masud (may Allah be pleased with him) said Ibn Abi Ad-Duny and Ibn Abi Shybah said that everyone who says this invocation will be prosperous and live in happiness.

The invocation is, "O Lord! Who grants many graces to his worshipers and no one grants Him any grace, there is no god but You, Who supports us all in our fear. If You destined me as unhappy, deprived, dismissed or poor, please remove this unhappiness, deprivation, dismissal, and poverty, and destine me as happy, prosperous, as You say in the holy Qur'an that reached us by Your Prophet:

{Allah erases whatever He decides and He makes firm (whatever He decides), and in His Providence is the Essence of the Book.}

[Ar-Ra'd (The Thunder): 39]

However, this invocation is not limited to the night of the middle of Sha'ban or any hour in it. It was said that this invocation was said by Umar Ibn Al-Khattab (may Allah be pleased with him) when he was circumambulating around the Kabaa.

It is believed that attributing this invocation to two honorable companions is not true, however, the addition to this invocation is said by them, as it is added by Sheik. Maa Al-Aynayn Al-Shanqity. To conclude, the night of the middle of Sha'ban is not the night in which every Wise Command is distinctly decreed. Also, it is not the Night of the Determination because all of these matters were ended up and Allah determined them.

Invocation is one of the desirable worships at any time, as Allah, Glory be to Him, says:

{Your Lord said, "invoke me and I will respond to you}

Also, Allah, Glory be to Him, says:

{And when My bondmen ask you concerning me, then, Surely I am near; I answer the invocation of the invoker when he invokes Me; so let them respond (to) Me, and let them believe in Me, so that possibly they would respond right-mindedly.}

[Al-Baqarah (The Cow): 186]

The best invocation, as the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) says, is the simplest and most truthful, and he hated the way of complicating the invocation. The Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) says, "When one of you invokes, he should not say, 'O Lord! Please forgive me if you will, but he should be decisive."

Lights on the Invocation The Night of the Middle of Sha'ban....!

By: The Honorable Sheikh. Abd-Al-Munsef Mahmoud *

There is nothing narrated about the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and the honorable companions (may Allah be pleased with them) concerning assigning a certain worship to the night of the middle of Sha'ban.

Abu Shamah Ash-Shafe'y said that the judge Abu Bakr Ibn Al-Arabi mentioned in his book "Al-Aridah" that there is no true narration about the night of the middle of Sha'ban. Also, he mentioned in his book "Al-Ahkam" that there is no reliable narration about the virtue of the night of the middle of Sha'ban or determining the lives in it.

It was narrated that Al-Awza'y, the Imam of the Levant, did not like to meet at the mosques for its sake, and did not hate that one can pray alone for its sake." It was said that the invocation that the Muslims say in this night is heresy. The invocation is, "O Lord! Who grants many graces to his worshipers and no one grants Him any grace, there is no god but You, Who supports us all in our fear. If You destined me as unhappy, deprived, dismissed or poor, please remove this unhappiness, deprivation, dismissal, and poverty, and destine me as happy, prosperous, as You say in the holy Qur'an that reached us by Your Prophet:

{Allah erases whatever He decides and He makes firm (whatever He decides), and in His Providence is the Essence of the Book.}

[Ar-Ra'd (The Thunder): 39]

The invocation is regarded as a heresy because it contains two untrue matters: The first is that the blessed night in which every important matter is the night of the middle of Sha'ban, but this is untrue and the fact is that it is the Night of Determination as Allah, Glory be to Him, says:

* An article published (in Arabic) at Al-AZhar Magazine

{Ha, Mim. And (by) the evident Book. Surely We have sent it down in a blessed night; surely We have been constantly warning. Therein every Wise Command is distinctly (decreed). (As) a Command from Our Providence, surely We have (ever) been sending (Messengers). As a mercy from your Lord; surely He, Ever He, is The Ever-Hearing, the Ever-Knowing}

[Ad-Dukhan (Smoke): 1-6]

The blessed night is the Night of Determination, as Allah, Glory be to Him, says:

{Surely we sent it down on the Night of Determination; And what makes you realize what the Night of Determination is? The Night of Determination is more charitable than a thousand months.}

[A-Qadr (Determination): 1-3]

The Night of Determination is one of the nights of Ramadan, as Allah, Glory be to Him, says:

{The month of Ramadan (is the month) in which Qur'an was sent down: a guidance to mankind, and supreme evidences of the guidance and all-distinctive Criterion.}

[Al-Baqarah (The Cow): 185]

The second is that the one who says this invocation understands the wrongly saying of Allah, Glory be to Him:

{Allah erases whatever He decides and He makes firm (whatever He decides), and in His Providence is the Essence of the Book.}

[Ar-Ra'd (The Thunder): 39]

They understand that erasure and decision are related to the Essence of Book. This is wrong understanding of the meaning of the verse. The stubborn people criticized the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) for four things:

The first: wives and children, as they said that the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) was preoccupied by women and he claims "to be a Messenger, If so, he would be preoccupied with asceticism, worshipping and leaving the graces of life.

The second: he did not respond to the signs and supernatural matters

And they have said, "We will never believe you till you make a fountain to gush forth from the earth for us; Or (till you have a garden of palms and vine (s); then you make rivers to erupt forth amidst it abundantly. Or you make the heaven to fall down, as you have asserted, on us in lumps, or you come up with Allah, and the Angels and their (dependant) tribes. Or you have a home of wonderful decoration, or you ascend into the heaven, and we will never believe your ascent till you keep sending down on us a book that we (can) read. "Say," "All Extolment be to my Lord! Have I been anything except a mortal, as a Messenger?"

[Al-Israa (The Night Journey): 90-93]

The third: He was frightening them of torture and torment, and that Allah will support him and the Muslims; when this is delayed, they doubted his prophecy.

month as much as in Sha'aban. He used to fast all Sha'aban and used to say: Do as many deeds as you can bear, for Allah doesn't get bored until you do.

The most favored prayer for the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) was what he kept doing all the time, and when he prayed a prayer he continued doing it.

From all this, it's clear that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) honored and revered the month of Sha'aban by fasting. The following Hadith also indicates the importance of Sha'aban, especially the night before the 15th of Sha'aban. Lady Aa'isha, Mother of believers (may Allah be pleased with her), said: "The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) entered and removed his clothes and then immediately got up and put them back on. I felt a terrible jealousy and thought that he was going to one of his other wives, so I went out after him. I found him in Baki'i praying for forgiveness for the believers and martyrs, so I said you are out for Allah and I am out for a worldly need. I went back and entered my room and I was breathing heavily. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) came in after me and said: "Why are you breathing heavily, Aa'isha?". So I said: you came in and took off your clothes and then immediately put it back on, so I felt great jealousy and thought that you were going to one of your other wives, until I saw you in Baki'i doing what you were doing." He said: "Oh! Aa'isha, were you afraid that Allah or his Prophet would hurt you? It was Jibril who came to me and told me: this is the night before the 15th of Sha'aban and Allah protects some people from the fire of Hell on this night, as many as the hair on sheep. Allah doesn't look in this night at a disbeliever or at a trouble-maker, or at someone who does not ask about his relatives, or someone who does not take care of his parents or an alcoholic". Then the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) removed his clothes and said to me: "Aa'isha, would you permit me to pray through this night ". I said: "Yes ", so he got up and he prostrated all through the long night until I feared that he had died. I got up and I touched him and placed my hand on his feet. He moved, so I was pleased. I heard him say while prostrating: "I implore your approval to protect me from your anger, and I implore your forgiveness to protect me from your punishment, and I implore you to protect me from you, May

your face be honored, I cannot praise you enough. You are as you praised yourself." When he got up, I mentioned this to him and he said: "Aa'isha, learn it and teach it to others, for Jibril (Peace be upon him) taught it to me and ordered me to repeat it while prostrating".

In another narration, that she heard the Prophet (May the blessings and Peace of Allah be upon him) saying while prostrating: "My body and my shadow prostrate to you, and my heart believes in you. This is my hand and what I did to myself. Oh Great One that every great one desires, forgive the great sin. I say as Dawood (Peace be upon him) said: I cover my face with dust for my Master. He deserves that I prostrate to him. My face bows to the one who created it and the One who opened up my ears and eyes. Then he raised his head and said: Oh God! Bestow upon me a pure heart, innocent of all idolatry and make me not a sinner or a loser.

It is known that the five prayers were made obligate on the night of Isra'a and Mi'raj from the seven heavens above. Based on orders from Allah, the Prophet (May the blessings and Peace of Allah be upon Him) prayed facing Al-Aqsa Mosque. Moslems continued to pray in that way for about 16 months until Allah ordered his Prophet to pray facing the Ka'aba (the Sacred Mosque) when he said:

"We have seen you turning your face towards the sky, now We shall turn you towards a Qibla which pleases you. Turn then your face in the direction of the Sacred Mosque and wherever you are turn your faces towards it."

(The Cow: 144)

All this was in the month of Sha'aban in the second year of Hijra.

There is no confirmed Hadith about the prayer that people should perform on the night of the 15th of Sha'aban, or about a special Do'a (supplication) they should say. Scholars have agreed that coming together to pray between Maghrib and Isha'a is an innovation, while it is acceptable to perform individual prayers and supplication to Allah in no fixed form.



﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Month of Sha'aban

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The month of Sha'aban is one of the months that Allah prefers. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) says in answer to a question by his honored disciple Osama Ibn Zayd (may Allah be pleased with him) when he said: "I haven't seen you fast in any of the months as much as in Sha'aban?" and the Prophet answered: "This is a month that people usually ignore, because it is between Rajab and Ramadan. It is a month in which deeds are presented to Allah, and I would like my deeds to be presented while I'm fasting".

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) also says: "This is a month that people ignore between Rajab and Ramadan". This is in reference to the fact that it is between two great months: Rajab, which is a forbidden month and Ramadan, the month of fasting. These two months keep the people from observing the month of Sha'aban.

Many people think that fasting in Rajab is better than fasting in Sha'aban because Rajab is one of the forbidden months. The lady Aa'isha, Mother of believers (may Allah be pleased with her), said: "It was mentioned to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) that some people fasted Rajab and he asked: "What about Sha'aban?"

These words by the noble Prophet indicate that many of the famous times or places or people may be less preferred than others.

It was also mentioned in the Sunnah that Sha'aban has another importance and that is the fact that times of death are written in this month. The lady Aa'isha, Mother of believers (may Allah be pleased with her), mentioned that: "most of the fasting of the Prophet (may the blessings and peace be upon him) was in the month of Sha'aban. I said: oh! Messenger of Allah, I see most of your fasting is in Sha'aban and he said (may the blessings and peace of Allah be upon him): "In this month, the angel of death writes down who he is supposed to take, and I don't want my name to be written except when I'm fasting."

It was also mentioned by Bukhari and Moslem that lady Aa'isha, Mother of believers (may Allah be pleased with her), said: "The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) didn't fast in any

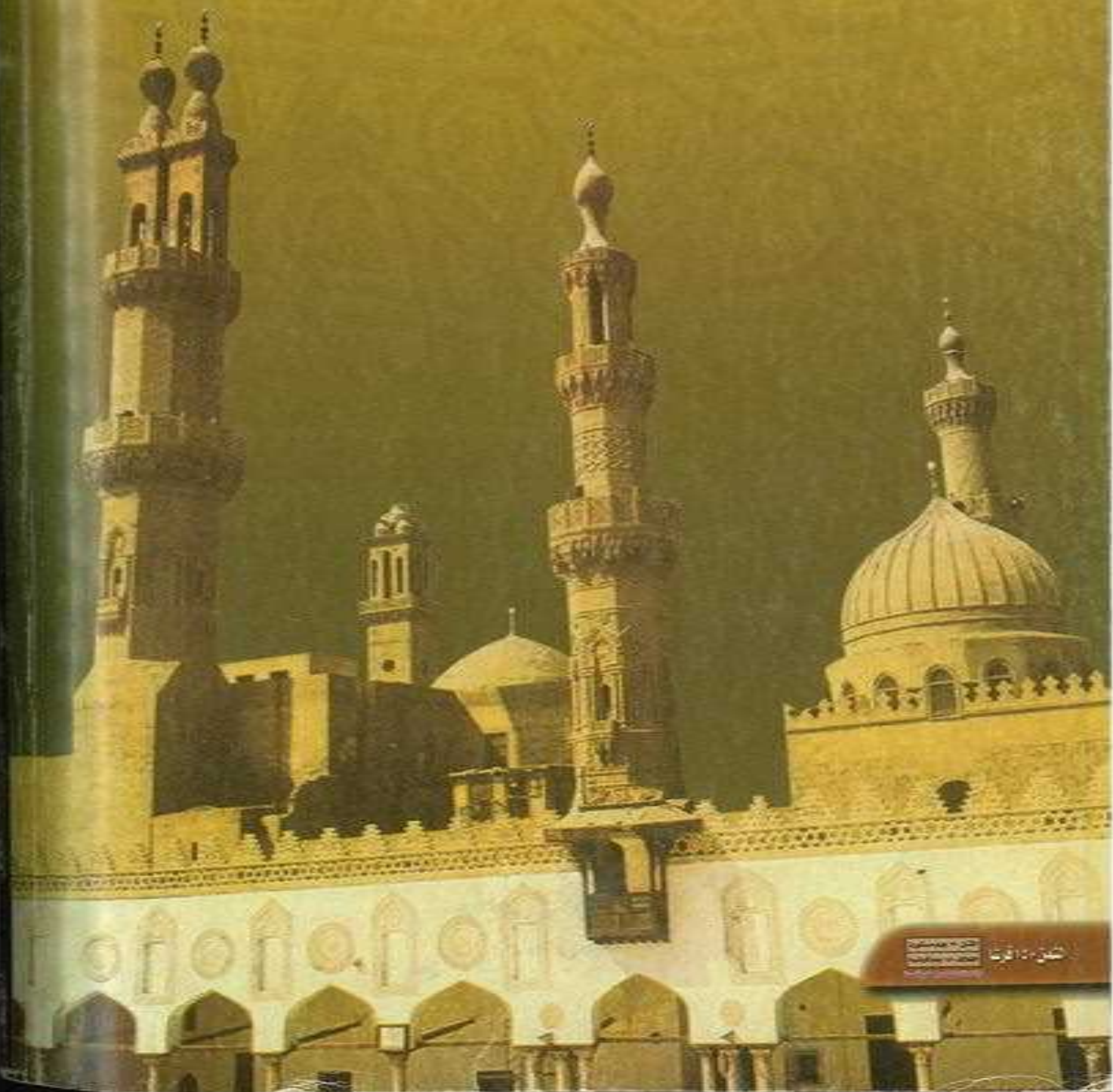
الفهرس

- الصحافة بين نشر الرذائل وكمائن الفضائل، الاقتصادية،
للاستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي — ١١٥٢
- تفسير سورة آل عمران
لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي — ١١٥٨
- السنة: رضا الله في رضا الوالدین
لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا القيومي — ١١٦٤
- العقيدة والتضامن الاجتماعي
لفضيلة الشيخ / عمر الديب — ١١٧٠
- خطبة الجمعة: معاصر القلوب.. ومعاصر الجوارح
لفضيلة الشيخ / محمد الغزالي — ١١٧٤
- مواقف إسلامية: المناقض المرحوم
للاستاذ الدكتور / محمود عمارة — ١١٨١
- تحويل القبلة والتميز الحضاري
للدكتور / حمدي فتوح والي — ١١٨٦
- قصة العبد: المسافر القريب
للدكتور / ابي حسام — ١١٩٠
- نشأة العلم الإسلامي ومناهجه
للاستاذ الدكتور / احمد فؤاد باشا — ١١٩٦
- لماذا ظهر التحريم للموسيقى والغناء
للدكتور / محمد عمارة — ١٢٠٠
- قصيدة العبد: فلسفة الحياة
للشاعر المهجري / ايليا ابو ماضي — ١٢٠٩
- استنباط آيات القرآن
يجيب عنها الأستاذ الدكتور / علي جمعة — ١٢١٢
- الأسوة القروية في الرسائل الخيرية
للاستاذ / محمد مصطفى السنوسي — ١٢١٤
- بين الصحف والمجلات
إعداد: محمود الفضلي - علاء عبدالرحمن — ١٢١٨
- الصناديق السيادية العربية والخاوية الأمريكية
للاستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد — ١٢٢٤
- كتاب الشهر: الحضارة الإسلامية المسيحية، مفاصلها
عرض وتحليل ونقد اد / إبراهيم عوضين — ١٢٣٠
- أزمة دارفور وواجب الدعاء في هذه المرحلة
للاستاذ الدكتور / عبدالله نجيب محمد — ١٢٣٦
- الحوار في القرآن والسنة
للاستاذ الدكتور / احمد عمر هاشم — ١٢٤١
- مستقبل الحوار في ظل الاساءات المتكررة الى الإسلام
لفضيلة الشيخ / فوزي الزرفاف — ١٢٤٦
- المؤتمر العالي للحوار بملربد
رسالة مترددة يكتبها: الأستاذ / عاطف مصطفى — ١٢٥١
- تعقيب على دلائل الألفاظ
للدكتور / جابر محمد محمود — ١٢٧٠
- خطأ في دلائل الألفاظ وحيث رده
لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي — ١٢٧٢
- طرق نقد ومواقف
لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم — ١٢٧٦
- قراءة في كتاب: حقوق المرأة
للاستاذ / عادل خلفا — ١٢٧٩
- بين النجدة والقارئ
للاستاذ / احمد السيد تقي الدين — ١٢٨٣
- أنباء العالم الإسلامي
إعداد: محمد جمعة - احمد رضوان — ١٢٨٧
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية
إعداد: الأستاذ / عبد الموجود أمين موسى — ١٢٩٠
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد: فضيلة الشيخ / عبد النبي فراج — ١٢٩٥
- القسم الإنجليزي
إشراف وإعداد اد / ابراهيم الاصيل — ١٣٠٩

AL-AZHAR

MAGAZINE

Sha'ban, 1429 H. Aug. 2008
Vol. 81, Part VIII.



هدية العدد
صور من البطولات
الإسلامية

الأهرام

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
رغمضان ١٤٢٩ هـ - سبتمبر ٢٠٠٨ م - الجزء ٩ - السنة ٨١

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ
عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ



١١
٢٢٢٢٢٢
د/د/د

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

الاشتراك السنوي

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩ ☎

رمضان ١٤٢٩ هـ - سبتمبر ٢٠٠٨ م - الجزء التاسع - السنة (٨١)



من حلقات الذكر في شهر رمضان

تغيرت تقاليد رمضان في هذا القرن عما عهدناه في القرن الماضي أو في نصفه الأول على التحديد، وأريد اليوم أن أتحدث عن بعض حلقات الذكر في هذا الموسم، إذ كانت هذه الحلقات ذات رواج ذائع في المساجد، ولها عشاقها الذين كانوا ينتظرونها بفارغ الصبر، لأنها تنضف كثيرا من البهجة الروحية على نفوس صافية تريد أن تؤكد صلتها بالسما في حفل بهيج كله نشاط وخفة إيقاع، ويزيد من متعة الروحية أن الذين يقومون بالذكر قضوا نهارهم صائمين، وقد أقبل الليل عليهم ليضيفوا إلى ثواب الصوم لدى الله ثوابا آخر فيما يقومون به من ذكر جماعي يتخلله الإنشاد الديني، وله من البهجة من يقوم بالترجيع الخاشع، ومن يجلس وسط الحلقة ليضرب بيده متجاوبا مع رنات النشيد، وقد يكون الجالسون جماعة، إذا اتسعت الحلقة فامتد صفها إلى الجدارين المتقابلين، والنشيد يصدح والذاكرون يهتفون بأسماء ذي الجلالة، الله، الله، حتى حي، هو... وفق نظام متعارف لا يحيد عنه إنسان، وأذكر أن الدكتور طه حسين قد وصف في الجزء الأول من (الأيام) بعض حلقات الذكر، فقال عن اجتماع الذاكرين: «إنهم يذكرون الله أولا قاعدين ساكنين، ثم تتحرك رؤوسهم وترتفع أصواتهم قليلا، ثم تتحرك أنصافهم وترتفع أصواتهم قليلا، ثم تنبث في أجسامهم رعدة فإذا هم جميعا وقوف، قد دفعوا في الهواء كأنما حركتهم لولب، ويظهر أن حلقات الصعيد التي وصفها الدكتور تختلف بعض الشيء عن حلقات الوجه البحري، حيث أن ما شهدته من الحلقات، لا يبدأ بالذكر الصامت فجأة، بل يبدأ بقراءة أجزاء من القرآن، حيث يأتي صندوق من بيت شيخ الفقهاء يضم ثلاثين جزءا، هي جميع أجزاء القرآن، ثم توزع الأجزاء على الجالسين، فيقرأ كل إنسان ما بيده من كتاب الله، حتى إذا فرغوا من ذلك كان كتاب الله قد قرئ جميعه، وتجمع الأجزاء لتوضع في الصندوق كعهدها السابق، ثم يأتي قارئ حسن الصوت فيفتح المجلس بقراءة ما تيسر من آيات الله، وفق اختيار دقيق لآيات الترغيب والترهيب مما ينقل السامعين إلى العالم الروحي، فإذا انتهى من قراءته ابتداء الذكر الصامت على نحو ما ذكره الدكتور، أما عند الخاتمة، فلا بد أن توزع النفحة، وهي قطع صغيرة من الحلوى، يتبرع بإحضارها أحد الذاكرين طيلة شهر رمضان لتوزع على الذاكرين، تذكيرا بطعام أهل الجنة ومنهم من يحفظ بها كعلاج روحي للشفاء إذا نزل به داء، لأن جو الذكر والحشوع قد خلج عليها - في اعتقاده - ما يجعلها بعض أسباب الشفاء!

لقد كان المتبع أن تقام الحلقات في هذا الشهر الكريم كل ليلة، فهي من الأمسيات الدينية التي لا تقل مكانة



طه حسين

عن دروس الوعظ في المساجد بعد العصر، وبعد المغرب، بل إن بعض هذه الدروس في المساجد الكبيرة، تخلق جوا من الانتعاش الروحي، فينهض السامعون فجأة لينتظموا في حلقة الذكر تهليلا وتسيحا، وقد حدثني أحد أساتذتي بالأزهر منذ عهد طويل أن الأستاذ الكبير الشيخ محمد بخيت الطيحي مفتي الديار المصرية كان يلقي في العشرينيات درسا دينيا في شهر رمضان بمسجد الحسين بعد صلاة العصر، وقد اختار حكم ابن عطاء الله السكندري موضوعا للدروس الرسمية، وفي أحد هذه الدروس تعرض لشرح قول ابن عطاء الله عن رب العزة:

«كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء؟ كيف يتصور أن

يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد ليس معه شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولا ما كان وجود شيء؟»

وكان السامعون في شبه الخدب روي يتفاعل مع هذه المعاني، فنهض أحدهم صائحا لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، فهب الجالسون جميعا من ورائه، وانتظموا تلقائيا في حلقة صوفية ذات رنين وابتهاج، ونزل الشيخ بخيت - رحمه الله - ليجلس وسط الحلقة إذ كان في سن متقدمة لا تسمح له بالنشاط كتلاميذه الشبان، وظلت الحلقة ممتدة حتى أذن المغرب، فآثر القوم أن يأكلوا (سندويشات القول)، ولم يذهبوا إلى منازلهم، ليعتكفوا في المسجد حتى يؤدوا صلاة التراويح بعد العشاء! وهم في جو روحي شغلهم عن الحياة والأحياء!

أخلص من هذه المقدمة إلى وصف ما أريده من الحديث عن ليلة من ليالي الإيمان في أول يوم من رمضان، فذكر لي أن أكون سببا في إقامة احتفال ديني بها ترون فيه الأذكار، وينتصب أحيا هاتفا بالخان السماء، فقد كنت زميلا للمستشرق الكبير الأستاذ عبد الكريم جرمانيوس في إحدى زياراته للقاهرة الخاصة بدورة مجمع اللغة العربية السنوية، حين ذهبت معه لزيارة مسجد الإمام الشافعي، فقلت له: وهل نسيت عمر بن القارص سلطان العاشقين، إنه قريب منا، فرحب بافتراحي، ومضى يتحدث عن نوافر طريفة تروى عن العارف بالله شعرا ونثرا، وسرنا في الطريق، فقلت له: إن هذا الطريق كان يسمى في العهد الأيوبي (وادي المستضعفين) فقال: تسمية وافقت معناها، إذ لا يوجد مستضعف أدل من عاشق، فما بالك بسلطان العاشقين.

ولكن سرورنا لم يتم، إذ ما كدنا نصل إلى مسجد الشاعر الكبير حتى رأينا نهجورا تظلل الوحشة وليس به من زائر، والمصابيح منطفئة، ولا أدري هل انقطعت الكهرباء فجأة في هذا المساء أو كان انقطاعها دائما، وقد كان ظلام المسجد، وانصراف الناس عنه، مما خلج على نفسي آية قاتمة، فقال الدكتور جرمانيوس: لو لم يكن ابن القارص صوفيا كبيرا، لكان شاعرا قديرا، فكيف يهمل مزار نايفة مثله، إن عبقرية الشعراء المشاهير من أمثال أبي تمام والبحتري والنسيب متشابهة لأنها تحتاج من بشر الملائح الإنسانية، أما عبقرية ابن القارص فمصدرها النبع الدافق من القلب الرقيق، وقد تكون خبرته بالحياة العامة قليلة، ولكن خبرته بالنفس العاشقة ذات عمق بعيد، وانتهت الزيارة، ولكن صداها كان أليما في نفسي، فالتجيت في صبيحة الغد إلى



صالح الجعفري

الجامع الأزهر وبه الشيخ العارف الشهير صالح الجعفري - رحمه الله - ولي به صلة حميمة، وكان الرجل يرى بنور الله، فقال لي حين رأيته: ما تركت عملك وجئت في الصباح إلا لأمر شغلك فما هو؟ قلت: وأى أمر يا سيدي، لقد كنت في مساء أمس أزور مسجد عمر بن الفارض، فلم أجد به إنساناً ولا سراجاً حتى ماء الوضوء كان منقطعاً، لقد أحسست أنني فقدت أملاً كبيراً حين جئت إليه سعيداً، فرجعت حزينا؟ لماذا لا تهتم وزارة الأوقاف بالمسجد، وهي تهتم بمساجد تحمل أسماء لا تعرف عنها شيئاً! ما شعور الشاعر الدفين بجسمه، الحى بروحه، وهو يرى الوحشة تكتنفه في كل مكان، فقال الشيخ صالح ما نصه: «صه يا مولانا إن روح الشاعر العارف بربه تطرد كل وحشة، وهو في قبره يعيش في روضة من رياض الجنة، فالوحشة لا يعانيتها ابن الفارض، ولكن نعائيتها نحن! قلت: وماذا نصنع إزاء هذه الحالة؟ فسكت الرجل قليلاً، ثم قال: نحن الآن في الأيام الأخيرة من شعبان، وعليك أن تحضر في اليوم الأول من رمضان إلى مسجد ابن الفارض قبل الغروب بساعة لترى احتفالنا به. قلت: وكيف؟ قال: لا تنسى الموعد، وتوكل على الله!

كنت أعرف عزيمة الشيخ وصدق حديثه فلم أتردد في تصديق ما قاله، وأخذت أنتظر مرور الأيام حتى حان اليوم المرتقب، فاستأذنت أولادي بالفيوم أن أتركهم في أول أيام الموسم السعيد، لأسافر إلى القاهرة في عمل ضروري - هكذا قلت - وما كدت أصل إلى الطريق المتجه للمسجد، حتى رأيته محاطاً بأناس كثيرين من مريدي الشيخ، وفيهم من يضع القدور على النار، ويجوارهم أكداً الخبز الطري، وما خالطت القوم حتى عرفت أن الشيخ صالح سيحيى الليلة بالمسجد، وأن أحبائه جاءوا بالمصابيح الغازية ليكونوا في مأمن إذا انقطع التيار الكهربائي فجأة، كما عرفت أن هذه القدور تمتلئ بالقرول المدفون، إذ رأى الشيخ أن يكون الإفطار منه، أما ما جاور القدور من ألقاص الفاكهة فهي للسحور، وقد اتجهت إلى المسجد فكادت أضيق في الجمع المحتشد به، ثم علت ضجة، فانتبهت لأرى الشيخ صالح الجعفري يقدم بقماته الفارعة، ساحباً عباءته الفضفاضة، ويبيده مسيحتة الشهيرة، وخلفه جمع من مريديه، وما كاد يبطأ سجاد المسجد، حتى اتجه إلى الضريح في شوق، ثم علا صوته هاتفاً يقول الشاعر:

وأقرب ما يكون الشوق يوماً .. إذا دنت الحياض من الخيام

ثم أخذ يحتضن الضريح، فخيّل لي أن الشيخ يعانق صديقاً يتقبل أنفاسه، ويسمع صوته، ويتمتع بدفء خاتمه، وقد احتاج الحاضرون هياج الطرب، وغمرهم روح من التواجد، فانتصب أخياً تلقائياً، صفوفاً خلف صفوف، والشيخ في الوسط يتواجد ويترنح، وقد حضر جميع من كانوا خارج المسجد ليشاركوا في الابتهاال، ويستمعوا لما رده الشيخ من شعر ابن الفارض إذ يقول:

كل من في جمالك يهزأك لكن .. أنا وحدي بكل من في حماكا

لك في الحى هالك بك حى .. هام واستعذب العذاب هناك

وبشيري لو جاء منك يعطف .. ووجودي في قبضتي قلت هاكا!

ولا أدري لماذا هب نسيم كله عطر، حتى رحت أتساءل: هل حمل بعض الذاكرين قارورة عطر وأراقها! أم

أن هذا الجو الروحي جعل للهواء رائحة غير التي نعهدها؟ ولم ينقطع أخياً حتى ارتفع صوت المؤذن فخشعت الأصوات للرحمن! ثم اتجه الشيخ إلى اغراب، فأدبنا الصلاة خلفه، ولم يطل، حيث جلسنا في صفوف، لتتلقى لفائف (السندوتش) تحمل ما يحلبها من التوابل والسلطات، وكانت مهلة للراحة، حددها الشيخ بأذان العشاء!

حان موعد الصلاة فأمام الشيخ، وقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة خاتمة سورة (الكهف):

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾

قرأ الآيات بصوت شجي كأنه ترجيع الطير، وقرأ في الركعة الثانية بعد الفاتحة قول الله - تعالى - في خاتم سورة (غافر): وقد بلغ ترتيله غاية الروعة حتى ليخيّل لسامعه أنه يكي، قرأ قول الله:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرٍ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ

قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ

مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا

رَأَوْا بِأَسْنَأَ قُلُوبَهُمْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُمْ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ

مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَأَسْتُ

اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

(غافر: ٨٢-٨٥)

وتبعته فريضة العشاء سنتها، فصلاة التراويح والوتر، وجلس الشيخ ليعظ، فجعل يتحدث عن أنبياء الله ورسله، ويلم بشكرات من أخبار المتصوفة، حتى وصل إلى عمر بن الفارض، فأفاض في سيرته إفاضة مدهشة، إذ حدثنا بما تعلم ونجهل معاً، واختار نبذاً من خطراته الوجدانية، أذكر منها ما رواه الشاعر العاشق من أنه كان يمشي ذات ليلة في سوق القاهرة، فصر على جماعة من حراس البضائع، إذ لم يكن للدكاكين أبواب حيث، ولكن حراساً منتظمين يكلفون بحر استنها لقاء أجر شهري، وكى يطردوا النوم جعلوا يترنمون بأبيات شعرية سمع ابن الفارض منها:

مولاي سهرنا نبعي منك وصال .. مولاي فلم تسمح ففنعنا بخيال

مولاي فلم يطرق، فبلا شك بان .. ما نحن إذن عندك يا مولاي ببال

قصر عمر صرخة مدوية حين سمع (ما نحن إذن عندك يا مولاي ببال) وأقبل الناس على الولي الصارخ، وتخلق حوله المارة وهم يرددون معه (ما نحن إذن عندك يا مولاي ببال)، وترك الخراس أنسكتهم حين سمعوا الضجيج، وجعلوا يكررون الأبيات، والحاضرون يذكرون مبتهلين، وترنح القوم، وسقط الكثير على الأرض متواجدين، وسقط معهم عمر بن الفارض، فحملوه على الأكتاف، وساروا به في حفلة ذكر متقلبة، ومنهم من خلع ملابسه، ورعى بها في الطريق، وظل يذكر في شبه غيبوبة، ثم أعاد الشيخ الأبيات السابقة بإيقاع شجي لا يسمح به في كثير من الأوقات. وأخذته الصبوة فانتصب واقفا، وانتصب من خلفه سامعوه، وهم يملئون ساحة المسجد، وانتظمت حلقة ذكر تلقائية ما شهدت مثلها إلا في القليل، وأذكر أن الشيخ قد جلس ليستريح، وجلس معه القوم، ثم دار بعينه قرآني، وسألني، ماذا سأشدد مما تختاره أنت في التوبة الثانية من شعر ابن الفارض، فقلت إني لا أمل سماع القصيدة الغنية، فقال: بارك الله فيك، لقد خطرت على بالي، وأنا أراجع بني وبين نفسي قصائد الديوان، إن هذه القصيدة ذات نفس حار، وذات نبض دفاق! ودارت كشوش القرقة فشرب من شرب، حتى إذا تمت الراحة على نحو مستطاب، نهض الشيخ للذكر مرة ثالثة وما كادت الأرواح تتجاوب حتى سبح الشيخ في جو ابن الفارض، فأنشد قوله:

أبرق مبدا من جانب الغور لامع	أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع
أنار الغضى ضاءت وسلمى بذى الغضى	أم ابتسمت عما حكته المدامع
ألا ليت شعري هل سلمي مقبلة	بواذي الحمى حيث التميم والع
وهل عذبات الرند يقطف نورها	وهل سلميات بالخج جاز أباتع
وهل طبيبات بالغبور يرينني	مــــرابع نعم، نعم تلك المربع
وهل ظل ذاك الضال شرقي ضارج	ظليل ففقد روته منى المدامع
وهل عامر من بعدنا شعب عامر	وهل هو يوماً للمحبين جامع!

ولا أذكر أن حلوة للإشاد قد تذوقتها من منشد - على كثرة ما سمعت - كما استمرت هذه الحلوة والعجيب أن الذاكرين من العامة وأكثرهم من أرباب الحرف المتواضعة ممن لا تؤهلهم معارفهم وخبراتهم إلى فهم الدقيق من هذه المعاني، قد بلغ بهم الطرب الوجداني مبلغ ما يتصور، والله في ذلك سر لا أنريه، أما أنا فقد خيل إلى أن الذي ينشد الأبيات هو عمر بن الفارض نفسه، لا الشيخ صالح، وقد حدثته بما تخيلت، فقال إني لا أشك أنه كان حاضرا معنا وأنه هو الذي خلق هذا الجو الروحاني بين الذاكرين!

وبعد ما يقرب من ساعة ونصف، جلسنا نستريح، وانفرد الشيخ في الخراب خاليا للتسريح بينه وبين نفسه، وكذلك فعل أكثر الحاضرين، وجاء من مريد الشيخ من يفرقون الفاكية والحضرات من يرتقال وموز وجزر وطماطم، لتغني غناء السحور، فأخذنا نأكل مستمرين، وسقا الماء من المنطوعين يدورون علينا بالكواب، فكان الماء خاتمة السحور.

وارتفع الابتهاال قبل أذان الفجر، فكثرت ركعات التهجد، وترددت التسابيح من الشفاعة ردحا من الوقت، ثم انشق عمود الفجر الصادق، قدوى الأذان، وخشعت النفوس، وتليت آيات من القرآن، نهض الشيخ بعدها للإمامة، ومن خلفه جميع الحاضرين!

وجئت أسلم عليه بعد انتهاء الصلاة، فضغط على يدي، وقال: هل أدينا بعض حق سيدنا عمر، ثم قال: ولنا عودة إذا أذن الله، وتفرق الجميع، رجلا وركبانا حتى وصلنا إلى محطة الترام بعد ليلة ساحرة من ليالي رمضان!

وبعد، فقد ينكر بعض قراء اليوم ما للإشاد في حفلات الذكر من تأثير، ولكنه واقع مشهود، بل رويت فيه من الغرائب ما لا يكاد يصدق، ومنها ما ذكره الدكتور زكي مبارك في كتاب (التصوف الإسلامي) وهو رسالة جامعية ناقشها من كبار المفكرين في مصر من نشهد لهم ببعد النظر وبراعة التصويب، وعنها أنقل ما يأتي ج ١ ص ٣٣٤.

«والغنى (المنشد) كان يسمى «القول» وللقوليين نواذر كثيرة مع الصوفية من ذلك ما وقع حين زار ذوالنون المصري بغداد، فقد حضر أحد تلاميذه مجلس أحد القوليين، فلما طاب السماع، وتواجد السامعون. صرخ هذا التلميذ ووقع على الأرض فحركوه فوجدوه ميتا، أقول وإلى هنا والأمر طبيعي فقد يكون لدى التلميذ مرض قلبي لم يتحمل هزات الذكر فانكفا ميتا، ولكن غير الطبيعي أن يقول الدكتور زكي مبارك بعد ذلك: «فوصل الخبر إلى ذى النون، فقال لأصحابه: تجهزوا حتى نصل إلى هذا القول، فلما وصلوا دارت الحلقة وأنشد ذى النون، والقول يسمع، ثم صرخ ذوالنون فوق القول ميتا، فقال ذوالنون: أخذنا ثأرنا، قتل بقتيل». هذه النادرة كانت تحتاج إلى توثيق يدفع عنها الشك الصريح، ولكن الدكتور زكي مبارك، ذكر لها أشباها وأمثلة مما سجلته كتب التصوف عن منشد يسمى الشجاع جبريل، كان يؤثر في بعض السامعين فيموت منهم من يموت! وقد اعترف ابن خلكان أنه شاهد وقائع هذا القول بنفسه، ورأى بعينه كيف مات أحد السامعين، وابن خلكان لم يكن متصوفا، ولم يذكر ما يروى من المناقب عن الصوفية، وإنما كان مؤرخا يلتزم بالواقع، فبم نفس ما كان؟

لقد ضاع الكثير من مباحث رمضان الروحية في المدن والقرى هذه الأيام، فلم تبق سهرات القرآن في المنازل، ولا حلقات الذكر في المجالس، ولا ابتهالات اللقاء وتواحيش الوداع في أعلى المآذن، ولا امتداد الموائد قبيل المغرب أمام البيوت ليفطر من يشاء كرما يتدقق في شهر كريم، والذي بقي مسلسلات الخلاعة وبلاهة الفوازير، ورقصات المحبون على الشاشة البيضاء (ابتهاجا) بالشهر الكريم!

كدنا لما جد من عكس الأمور بنا .. نمشي على الرأس لا نمشي على القدم!

د. محمد رجب البيومي

نَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَمْرَانِ

لفضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْآنٍ
تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قِبَلِ الْبَيِّنَاتِ
وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٥﴾
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ
وَالرُّبُوبِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
وَلِنُمَاتُوهُنَّ أَجُورُكُمْ يَوْمَ الْفَيْصَةِ فَمَنْ دُخِرَ
عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا لَمَتَاعٌ الْمُنِيرِ ﴿١٨٧﴾

الآيات من (١٨٢: ١٨٥)

أى: ذلك العذاب الشديد الذى حاق
بكم - أيها اليهود - بسبب ما قدمتم
أيديكم من عمل سيء، وما نطقتم به
أفواهكم من قول متكرر، فقد اقتضت
حكمته وعدالته ألا يعذب إلا من يستحق
العذاب، وأنه - سبحانه - لا يظلم عباده
مشقال ذرة. واسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾
يعود إلى العذاب المحقق المنزل منزلة

اخصوس المشاهد. والمراد بالأيدي
الأنفس، والتعبير بالأيدي عن الأنفس من
قبيل التعبير بالجزء عن الكل.
وخصت الأيدي بالذكر؛ للدلالة على
التمكن من الفعل وإرادته؛ ولأن أكثر
الأفعال يكون عن طريق اليأس بالأيدي؛
ولأن نسبة الفعل إلى اليد تفيد الالتصاق
به والاتصال بذاته.

قال الألوسى ما ملخصه:
وقوله:

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾

عطف على قوله:

﴿ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ ﴾

فهو داخل تحت حكم باء السببية،
وسببته للعذاب من حيث إن نفى الظلم
يستلزم العدل المقضى إثابة المحسن
ومعاقبة المسيء...

وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز
ما ذكر من التعذيب بغير ذنب فى
صورة المبالغة فى الظلم... وقيل: إن
صيغة ﴿ بِظَلَّامٍ ﴾ للنسب كعطار أى: لا
ينسب إليه الظلم أصلاً^١

ثم ذكر - سبحانه - رذيلة أخرى من
رذائل اليهود فقال:

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ

اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْآنٍ
تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾

وقوله:

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ

إِلَٰهَ الْغَيْبِ فِي مَحَلِّ نَصَبِ بَتَقْدِيرٍ: أعنى. أو
فى محل رفع بتقدير: هم الذين قالوا.

١٠. تفسير الألوسى ج ٤ ص ١٧٢.

ويجوز أن يكون فى محل جر على البدلية
من قوله:

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ

والمراد بالوصول جماعة من اليهود
منهم كعب بن الأشرف، وفتحاص بن
عازوراء، وحى بن أخطب... وغيرهم؛
فقد ذكر جماعة من المفسرين أنهم أتوا
النبي ﷺ وقالوا له هذا القول وهو:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا ﴾... إلخ.

والقربان، هو ما يتقرب به إلى الله
من نعم أو غير ذلك من القربات.

والمعنى: أن عذابنا الأليم سيصيب
أولئك اليهود الذين قالوا: إن الله فقير
ونحن أغنياء، والذين قالوا إن الله أمرنا
فى التوراة وأوصانا بأن لا نصدق ونعترف
لرسول يدعى الرسالة إلينا من قبل الله -
تعالى - حتى يأتينا بقربان يتقرب به إلى
الله، فننزل نار من السماء فتأكل هذا
القربان، فإذا فعل ذلك كان صادقاً فى
رسالته.

ومقصدهم من وراء هذا القول الذى
حكاه القرآن عنهم، أن يظهر أمام الناس
بمظهر الخافطين على عهود الله. وأنهم ما
تركوا الإيمان بالنبي ﷺ حسداً له، وإنما
تركوا الإيمان به؛ لأنه لم يأت بالمعجزات
التي أتى بها الأنبياء السابقون؛ فهم
معدورون إذا لم يؤمنوا به لأنه ليس نبياً

هي التي تبقى بعد مفارقتها للجسد ؛ فهي التي تذوق الموت كما ذاق الحياة الدنيا .
وقوله :

﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾

أي : وإنما تعطون جزاء أعمالكم وأفعالكم يوم القيامة . يوم يقوم الناس لرب العالمين ليحاسبهم على أعمالهم ، فيجازى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجازى الذين أحسنوا بالحسنى .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت كيف اتصل قوله - تعالى - :

﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾

بما قبله ؟ قلت : اتصاله به على معنى أن كلكم تموتون ، ولا بد لكم من الموت ولا توفون أجوركم على طاعتكم ومعصيتكم عقيب موتكم ، وإنما توفونها يوم قيامكم من القبور .

فإن قلت : فهذا يوهم نفى ما يروى من أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ؟ قلت : كلمة التوفية تزيل هذا الوهم ؛ لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها يكون في ذلك اليوم ، وما يكون قبل ذلك فهو بعض الأجور^{٢٠} .

وقال الفخر الرازي : بين سبحانه - أن تمام الأجر والثواب لا يصل إلى المكلف إلا يوم القيامة ؛ لأن كل منفعة تصل إلى

المكلف في الدنيا فهي مكدرة بالغموم والهجوم وبخوف الانقطاع والزوال ، والأجر التام والثواب الكامل إنما يصل إلى المكلف يوم القيامة ؛ لأن هناك يحصل السرور بلا غم ، والأمن بلا خوف ، واللذة بلا ألم ، والسعادة بلا خوف الانقطاع .

وكذا القول في العقاب ، فإنه لا يحصل في الدنيا ألم خالص عن شوائب اللذة ، بل يمتزج به راحت وتخفيفات ، وإنما الألم التام الخالص الباقي هو الذي يكون يوم القيامة^{٢١} .

ثم قال - تعالى - :

﴿ فَمَنْ رُحِّحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾

الزحزحة عن النار : هي التنحية عنها ، وعدم الاقتراب منها والفعل زحزح مضاعف ، الفعل زححه عن المكان إذا جذبه وأبعده عنه بعجلة وسرعة .

والمعنى أن كل نفس سيدركها الموت لا محالة . وأن الناس سيحاسبون على أعمالهم يوم القيامة ، فمن كانت نتيجة حسابه الإبعاد عن النار ، والنجاة من سعيرها ؛ فقد فاز فوزاً عظيماً ، وأدرك البغية التي ليس بعدها بغية .

والفاء في قوله : ﴿ فَمَنْ رُحِّحَ ﴾

للتفريع على قوله : ﴿ تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ ﴾ .

وجمع - سبحانه - بين

﴿ رُحِّحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ ﴾

مع أن في الثاني غيبة عن الأول ؛ للإشعار بأن دخول الجنة يشتمل على نعمتين عظيمتين وهما : النجاة من النار ، والتلذذ بنعيم الجنة .

وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرأوا إن شئتم : »

﴿ فَمَنْ رُحِّحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾^(١)

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ، فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه »^(٢) .

ثم ختم - الآية بقوله :

﴿ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

والمناج : هو ما يتمتع به الإنسان وينتفع

به مما يباع ويشتري .

والغرور - بضم الغين - مصدر غره أي خدعه وأطعمه بالباطل .

أي : ليست هذه الحياة الدنيا التي نعيش فيها . ونستمتع بلذاتها ومنافعها ، إلا متاعاً يستمتع به المغتر بها ، الذي لا يفكر في أي شيء سواها ، ثم يحاسب على ذلك حساباً عسيراً يوم القيامة ، أما الذي يأخذ من متاعها بالطريقة التي أمر الله - تعالى - بها ، فإنه يكون من السعداء في دنياهم وآخرتهم .

قال صاحب الكشاف : شبه - سبحانه - الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ، ثم يتبين له فساده وردائه والشيطان هو المدلس الغرور . وعن سعيد بن جبير : إنما هذا لمن آثرها على الآخرة ، فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ^(٣) .

فالآية الكريمة ترغيب للمؤمنين في الطاعة ، وتحذير للعصاة من المعصية ، وتذكير للجميع بأن مرجعهم إلى الله إن عاجلاً أو آجلاً ، وسيلقى كل إنسان جزاءه على عمله ، وأن السعادة الحققة لمن نال رضا الله يوم يلقاه .

٢٠ - تفسير الكشاف يتصرف بسين .

٢١ - تفسير الفخر الرازي ج ٩ ص ١٢٧ .

٢٠ - تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٢٥ .

٢١ - تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٤٥ .

٢٠ - تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٢٥ .

إِلَّا الْحَمْدُ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزَى بِهِ

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

الحمد لله رب العالمين، أكمل لنا وأتم علينا النعمة، وجعل أمتنا - ولله الحمد - خير أمة، وبعث فينا رسولاً منا يتلو علينا آياته ويزكيها ويعلمنا الكتاب والحكمة، أحسنه - سبحانه - على جميع نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تكون لمن اعتصم بها خير عصمة، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أكرم الأنبياء والمرسلين، وأعظم الدعاة والمرشدين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم العرض واللقاء، وسلم تسليماً كبيراً... أما بعد:

فلقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وسخر له الكون بأسره وأنعم عليه بنعمه الكثيرة التي لا تحصى ولا تعد:

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾

(إبراهيم: ٣٤)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ السَّمَوَاتِ وَمَاءَ الْأَرْضِ وَأَنْبَسَ عَلَيْكُمْ غَمًّا ظَهَرًا وَبَاطِنًا ﴾

(لقمان: ٣٠)

روى الشيخان البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ: «الريان»، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أَغْلَقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ».

ورفع شأنه وأعلى قدره، وكرمه تكريماً ما بعده تكريم، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْأَخْضَرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ النَّارِ الْيُسْبُوتِ وَقَضَّاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَقْصِيلاً ﴾

(الإسراء: ٧٠)

ثم وظفه عنده وظيفته هي العبادة والطاعة، قال تعالى:

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ خَشِيعَةً وَالَّذِينَ خَلَقْتُمْ مِنَ الذِّينِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ٢١)

وقال:

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾

(آل عمران: ٣٢)

وتلك هي الحكمة من خلق الإنسان، قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ ﴾

(الذريات: ٥٦)

وتلك وظيفة مريحة؛ لا تعب فيها ولا عناء، ولا حرج فيها ولا مشقة، قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

(الحج: ٧٨)

وهذه الوظيفة - إن صح هذا التعبير -

لا تأخذ منه إلا اليسير من الوقت، والقليل من العمل، والزهد من المال، فإن كانت العبادة بدنية - ففي حدود الاستطاعة، قال تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

(البقرة: ٢٨٦)

وإن كانت مالية - ففي حدود الطاقة؛ فما كلف الله نفساً فوق طاقتها، ولا تجود يد إلا بما تجود، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يُدْرِ عَلَيْهِمْ رِزْقَهُمْ فَلْيَسِّرْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً لَهَا يَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾

(الطلاق: ٧)

ومع أنه - سبحانه - لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، فهو غنى عن العالمين - فإنه يشيب الطائعين، ويضاعف أجر العاملين المخلصين، قال تعالى:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

(فاطر: ١٠)

وقال:

﴿ وَمَا دَعَا عَلَيْهِمْ لَوْ مَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا الْآخِرَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾

(النساء: ٣٩، ٤٠)

فليثق الله كل إنسان بقدر استطاعته ،
قال تعالى :

والشفاين: ٩٦

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

وينصرنا على أعدائنا، قال تعالى :-

الحج: ٤٠

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ

والبقرة: ١٨٦

يتركنا نهياً للشياطين، لننضلنا عن الحق،
وتصرفنا عن سواء السبيل، بل يرسل
إلينا ملائكته المكرمين تطرد الشياطين،
وتثبت قلوب المؤمنين، وتبشّرهم
برضوان الله والجنة، وأنهم سينتقلون
من دار الشقاء والفناء إلى دار ضيافته
وكرامته، قال تعالى:

(فصلت: ۳۰، ۳۲)

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٠﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١﴾

هذا ولكن الناس - سبحانه الله - لهم
أحوال في العبادة، فمنهم من يعبد الله
كوظيفة من وظائف الدنيا، يأتيها

مشتاقلاً، ويؤديها مسرعاً إن كانت
العبادة بدنية، وإن كانت مالية أنفقها
وهو كاره، وأخرجها وهو متردد، وتلك
عبادة من شغلته الدنيا وسيطرت عليه،
فلا يجد مجالاً لسواها، فهي عبادة
مظهرية لا روح فيها ولا حياة، والأمل في
قبولها ضئيل.. ومنهم من يعبد الله
طمعاً في صحة أو مال أو مركز أو جاه،
أي: في دنيا يصيبها أو طمعاً في ثواب
يدخره في الآخرة ليكون من أهل الجنة
التي هي غاية المؤمنين، وأمل الطائعين
العابدين المخلصين والله - سبحانه
وتعالى - يقبلها تفضلاً وتكرماً؛ إذ
الثواب فضل، والعقاب عدل، ومنهم من
يعبد الله خوفاً من الكوارث والمصائب
الدنيوية، ورهبة من عذاب النار وخوف
الجبار، والله تعالى يقبلها ويثيب
عليها.. ومنهم من يعبد الله للأمرين
معاً، أي: طمعاً في جنته وخوفاً من ناره،
وهم الذين عناهم الله بقوله:

والسجدة: ١٦، ١٧

ومنتهم من عرف الله حق معرفته ،
وقدره حق قدره ، فأحبه أخلص الحب ،
وبالتالي عبده أصدق العبادة ، تقرباً إليه
وإرضاء له ، وهي عبادة النبيين
والصديقين والعلماء العاملين وأولياء
الله المخلصين ، وقد أنشد أحدهم :
وأنت الذي لو بيع بالروح وذه

هذا ولما كان الصيام هو العبادة الوحيدة الحالية من الرياء، البعيدة عن التكلف؛ إذ يستطيع الصائم، أن يغلق عليه بابه، وأن يتناول ما يحلو له من الطعام والشراب، وأن يفعل ما يرغب فيه من الشهوات - كان الصيام في قمة العبادات، وذروة الطاعات التي يقدمها المسلم طاعة لربه، وزلفى خالقه، وبالتالي كان أثقل ما بوضع في ميزان العيد يوم القيامة، فعن أبي أمامة «رضي الله عنه» قال: قلت: يا رسول الله، مرني بعمل - قال: «عليك بالصوم؛ فإنه لا عدل له»، أي: لا وزن لشاويه. قلت: يا رسول الله، مرني بعمل - قال: «عليك بالصوم، فإنه لا عدل له». قلت: يا رسول الله، مرني بعمل قال: «عليك

بالصوم، فإنه لا مثل له،^(١)

فلا عجب والحال هذا أن يخبر الحق
«سبحانه» عباده أنه يتولى بنفسه الأجر
والجزاء للصائمين، وإذا أخبر الكريم
بأنه يتولى بنفسه الجزاء - اقتضى ذلك
عظم الجزاء وسعة العطاء، روى الإمام
مسلم - في صحيحه - عن أبي هريرة
«رضي الله عنه» قال: قال رسول الله
ﷺ: «قال الله عز وجل: «كل عمل
ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها
إلى سبع مائة ضعف - قال الله تعالى:
«إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به، يدع
شهوته وطعامه من أجلى، للصائم
فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند
لقاء ربه، وخلف فم الصائم أطيب عند
الله من ريح المسك» -

وذلك لأن الصيام يحمل الصائم على أن يستحضر عظمة ربه ورقابة خالقه، وبالتالي لا يجرؤ على مخالفته، ولا يدخر وسعاً في تقديم ما يرضيه، لا يراه ربه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، فينتقي عليك أيها المسلم أن تكون هكذا في حياتك كلها تعبد ربك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

والصيام - بهذا المعنى - يخلق النفس
الكريمة، والروح الشفيفة، والأخلاق
الفاصلة، ثم هو - بعد هذا وذاك - عبادة
اجتماعية، تنشر في المجتمع الإسلامي

(١) صمدیج الترقیب والترقیب

روح السلام والمحبة والتواضع والتعاطف،
بل والنظام والمساواة؛ حيث يمسكون
عن المفطرات في وقت واحد، ويفطرون
على الحلال الطيب في وقت واحد؛ لا
فرق بين غني وفقير، ولا بين وزير
وخفير، ولا بين رئيس ومرعوس، ولا بين
قائد وجندى؛ لأن الناس جميعاً أمام الله
سواء، فالصوم يجعل من الصائم إنساناً
كاملاً نظيف الضمير، طاهر اليد، عفاً
اللسان، سليم القلب، لا يخشى إلا ربه،
ولا يخاف إلا ذنبه، ولا ينتظر الناس منه
إلا السلامة والأمن، والحب والود،
والرحمة والعطف، يعيش على هذه
الأرض ملاكاً طيباً، قبلته الخير، ووجهته
المعروف، وعمله البر والإحسان، ولما
كان الصوم بهذه المكانة - قال العلامة
ابن القيم «رحمه الله» فيه:

«هو لجام المتقين، وجنة الخاربيين،
ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب
العالمين من بين سائر الأعمال؛ فإن
الصائم لا يفعل شيئاً، وإنما يترك شهوته
وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو
ترك محبوبات النفس وتلذذاتها؛ إشاراً
غلبة الله ومرضاة، وهو سر بين العبد
وربه، لا يطلع عليه سواه، والعباد قد
يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة،
وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته
من أجل معبوده - فهو أمر لا يطلع عليه

بشر ، وتلك حقيقة الصوم .

كذلك فإن الصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته أيدي الشهوات، فهو من أكبر أسباب العون على التقوى التي هي ثمرة الصيام، قال الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ ثَلَاثُونَ نَهْيًا

البقرة: ١٨٣

فلا تعجب - أخي المسلم - من عظم
الجزاء، فقد أكدّه الحق «سبحانه» في
قوله:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَائِمِينَ وَالْقَائِمَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقَاتِ وَالخَالِصِينَ وَالخَالِصَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْحَافِظِينَ
فِرْجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾

الأحزاب : ٣٥

فما أعظم الصوم عندما يدفع عن أصحابه حر جهنم - والناس في هول السؤال والحساب - ! ثم ما أعظم الصائمين حين ينطلقون إلى الجنة في

نشوة وبهجة يزيدهم الصوم مهابة وجلالاً، ويفتح لهم في الجنة باباً خاصاً بهم، لا يفتح لغيرهم، روى الشيخان البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة باباً يُقال له: «الريان»، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم، يُقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق، فلم يدخل منه أحد».

وقد دار العام دورته، وهل هلال
رمضان، فينبغي أن نستعد لصيامه
وقيامه إيماناً واحتساباً لوجه الله
الكريم، فقد روى النسائي - بسند
صحيح - عن أبي هريرة «رضي الله عنه»
عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله
تبارك وتعالى فرض صيام رمضان
عليكم، ومننت لكم قيامه، فمن صامه
وقامه احتساباً خرج من ذنوبه كيوم
ولدته أمه، وروى الإمام أحمد في مسنده
بإسناد حسن - عن أبي هريرة قال:
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصيام
جنة وحصن حصين من النار»

أَسْأَلُ اللَّهَ سِحْنَانَهُ أَنْ يَمْلَأَ قُلُوبَنَا
بِالنُّورِ وَالْهُدَايَةِ، وَأَنْ يَمُنِّحَنَا التَّوْبَةَ
وَالْإِنْفَاةَ، وَأَلَّا يَحْرِمَنَا مِنْ مَوَاسِمِ الْخَيْرِ
وَالْبَرَكَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ السَّائِقِينَ إِلَى
الْخَيْرِ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ
عَلَيْهِ.

ثمرة الصيام

لفضيلة الشيخ / عمر الديب

عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن الصوم هو تقرير الإرادة العازمة الجازمة وهو مجال اتصال العبد بربه اتصال طاعة وانقياد والصوم هو مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها واحتمال ضغطها وثقلها إيثارا لما عند الله من الرضى والمتاع وكل هذا الغرض منه إعداد النفوس لاحتمال مشقات الطريق المضروب بالعقبات والأشواق والذي تنفاثر على جوانبه الرغائب والشهوات والذي تهتف بسالكه آلاف المقربات ولهذا كانت فريضة الصيام على عباده المؤمنين حيث نزلت آيات الصيام متواليه وفي أول آية منها بينت أن الغرض من هذه الفريضة والثمرة المرجوة منها إنما تكمن في تقوى الله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة: ١٨٣)

ومن ثم يبدأ التكليف بهذا النداء المحبب إلى المؤمنين المذكر لهم بحقيقتهم الأصلية ثم يقرر لهم بعد ندائهم ذلك النداء أن الصوم فريضة قديمة على

المؤمنين في كل دين ولذلك فهم ليسوا بدعسا بين الأمم وأن الغاية الأولى هي إعداد قلوبهم للتقوى والشفافية والحساسية والخشية من الله وهكذا تبرز الغاية الكبيرة من الصوم.. إنها التقوى.. فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب وهي تؤدي هذه الفريضة طاعة لله وإيثارا لرضاه، والتقوى هي التي تحرس القلوب من إفساد الصوم بالمعصية ولو تلك التي تهجس بالبال والمخاطبون

بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله ووزنها في ميزانه فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم وهذا الصوم أداة من أدواتها وطريق موصل إليها ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفا وضيئا يتجهون إليها عن طريق الصيام..

﴿لِمَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

ثم تبين آيات الصيام بعد ذلك أن للصوم أيام معدودات فليس مفروضا العسر كله أو تكليفا بصيام الدهر ولأن الإسلام هو الدين الوسط الذي يلي حاجات الإنسان ويراعي حاجاته فقد أعفى من أدائه المرضى حتى يصحوا والمسافرون حتى يقيموا لما يعلم من مشقة السفر أيا كان وأيا كانت الرسيلة التي يكون بها السفر بل إن هذا الدين راعي حاجة الجنين في بطن أمه فأباح الفطر للحامل وكذلك حاجته للتغذية فأباح الفطر أيضا للمرضع وكذلك راعي حاجة الشيخ الكبير ورخص له في الفطر إذا كان غير قادر على الصيام أو يقدر ولكن بمشقة بالغة ولذلك يقول تعالى في شأن ما سبق:

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾

(البقرة: ١٨٤)

ومع أن الله تعالى أباح وشرع هذه

الرخصة وهي رخصة الفطر لذوى الأعذار والحاجات إلا أن بعض المتشددين في عصرنا هذا بل وفي كل العصور يضعون لذلك قيودا تخرج الرخصة عن مرادها وبالرغم من أن النص أطلق الرخص إلا أن هؤلاء وأولئك نجدهم يقيدون ما أطلقه النص ول هؤلاء نقول إن الدين لا يقود الناس بالسلاسل إلى الطاعات إنما يقودهم بالتقوى وغاية هذه العبادة خاصة هي التقوى

الإصلاح لا يتأتى من التشدد

والذي يفلت من أداء الفريضة تحت ستار الرخصة لا خير فيه منذ البدء لأن الغاية الأولى من أداء الفريضة لا تتحقق وهذا الدين دين الله لا دين الناس والله أعلم بتكامل هذا الدين بين مواضع الترخيص ومواضع التشدد، وقد يكون وراء الرخصة في موضع من المصلحة ما لا يتحقق بدونها بل لا بد أن يكون الأمر كذلك ومن ثم أمر رسول الله ﷺ أن يأخذ المسلمون برخص الله التي رخصها لهم وإذا حدث أن فسد الناس في جيل من الأجيال فإن إصلاحهم لا يتأتى من طريق التشدد في الأحكام ولكن يتأتى عن طريق إصلاح تربيتهم وقلوبهم وإحياء شعور التقوى في أرواحهم وإذا صح التشديد في أحكام المعاملات عند فساد الناس كعلاج رادع وسد للذرائع فإن الأمر في الشعائر التعبدية يختلف إذ

هي حساب بين العبد وربّه لا تتعلق به مصالح العباد تعلقا مباشرا كاحكام المعاملات التي يراعى فيها الظاهر والظاهر في العبادات لا يجدى إلا إذا قام على تقوى القلوب وإذا وجدت التقوى لم يتفلسف متفلس ولم يستخدم الرخصة إلا حيث يرتضيها قلبه ويرأها هي الأولى ويحس أن طاعة الله في أن يأخذ بها في الحالة التي يواجهها أما تشديد الأحكام مجملة في العبادات أو الميل إلى التضييق من إطلاق الرخص التي أطلقتها النصوص فقد ينشئ حرجا لبعض المتخرجين في الوقت الذي لا يجدى كثيرا في تقويم المتفلسين والأولى على كل حال أن نأخذ الأمور بالصورة التي أرادها الله في هذا الدين فهو أحكم منا وأعلم بما وراء رخصه وعزائمه عن مصالح قريبة وبعيدة وقد كان السلف الصالح يدرك أمر هذا التيسير فإن الله - سبحانه وتعالى - لم يعط تلك الرخص لذوى الأعذار والحاجات إلا تيسيرا عليهم وقد وردت في السنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة تدعو إلى استخدام الرخصة في موضعها ففي صحيح مسلم والترمذي عن جابر - رضي الله عنه - قال: خرج رسول الله ﷺ عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ «كراع الغميم» فصام الناس ثم دعا بقدر من ماء فرفعه حتى نظر الناس

ثم شرب فقبل له إن بعض الناس قد ضام فقال: «أولئك العصاة، أولئك العصاة».

ليس من البر الصيام في السفر

وعن جابر أيضا - رضي الله عنه - قال: كان النبي ﷺ في سفر فرأى رجلا قد اجتمع عليه الناس وقد ظل عليه فقال: ما له؟ فقالوا رجل صائم، فقال رسول الله ﷺ: «ليس من البر الصيام في السفر»^(١).

ومثل هذه الأحاديث كثير لا يتسع المقام لذكرها ولكن ما نود الإشارة إليه أن جميع هذه الأحاديث تشير إلى تقبل رخصة الإفطار في السفر وفي غيره في سماحة ويسر فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى وضع شطر الصلاة عن المسافر وأرخص له في الإفطار وأرخص فيه للمريض والحليل إذا خافتا على ولديهما، أخرجه أصحاب السنن».

وإذا كان الرسول ﷺ يحدثنا وهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، فيقول: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه...»^(٢) بل إن القرآن الكريم بعد أن ذكر أن ذوى الأعذار مثل المريض والمسافر رخص الله تعالى لهم الفطر وعليهم قضاء الأيام التي أفطروها بعد أن يزول العذر عنهم.

التقوى

يقول تعالى معقبا ومبيناً الحكمة من ذلك

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

(البقرة: ١٨٥)

فهو بعد ذلك - بعد كلام الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ - يأتي أحد ويقول إن هذه الرخصة مقيدة ولا تنأى إلا بقبوع معينة كالألف كلا إن ما تستريح له النفس في هذا المقام أن الصوم في السفر مخالف للرخصة والرخصة استحباب الفطر طالما بلغ السفر مسافة القصر سواء حدث من ذلك مشقة أم لا سواء كان السفر بدابة أو طائرة أو غير ذلك من اختراعات الحديثة وكذلك المريض مهما كانت حدة المرض أو شدته فإن الإسلام يبيح له الفطر فلا تحديد في نوع المرض أو قوته أو خوف شدته وما ذلك إلا لأن الصيام كما ذكرنا الغاية المرجوة والثمرة والفائدة التي تعود على الصائم منه هي التقوى فالتقوى وحدها هي التي تحكم سلوك الصائم وتحكم سلوك المتعبد وعليها الاعتماد الأول في تربية ضميره وحسن أدائه للعبادة وحسن سلوكه في الحياة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن نأخذ هذا الدين - كما أراده الله - بتكاليقه كلها

طاعة وتقوى وأن نأخذ جملة بعزائمه ورخصه متكاملة ومتناسقا في طمأنينة إلى الله وبقين بحكمته وشعور بتقواه ولهذا فإن هذه النعمة... نعمة الصيام تستحق الشكر وتستحق التكبير ولذلك كان آخر آيات الصيام

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا

هَدَنَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

(البقرة: ١٨٥)

كما قال لهم في مطلع آيات الصيام

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

نسأل الله - تعالى - أن يوفقنا لأداء هذه الفريضة وتلك الشعيرة التي هي سر بين العبد وربّه حتى نفوز بالجزاء الذي أعده الله للصائمين وحتى ندخل الجنة من باب الريان الذي أعده الله للصائمين ولذلك جاء في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»^(٣) قال الحسن: إن كل عمل ابن آدم له الجنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فجزاؤه لقائي ينظر إلى وأنظر إليه يكلمني وأكلمه دون واسطة أو ترجمان

﴿وَجُودَ يُؤْمِرُ بِكَ وَالْحَقُّ إِلَىٰ رِيبَاكَ تُنْظِرُ﴾

(القيامة: ٢٢، ٢٣)

(١) صحيح البخاري كتاب الصوم باب ٢٦.

(٢) صحيح مسلم رقم ١١٥١.

(٣) صحيح البخاري كتاب الصوم باب ٢٦.

الحياء

من ترف العادة.. إلى شرف العبادة

للاستاذ الدكتور / محمود عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

يقول الله - عز وجل - في سورة محمد:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَغُلَّ الصَّلَاحُ جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّهُونَ وَيُكَلِّمُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْجُومَةٌ﴾

(محمد: ١٢)

وفي مستهل الآية الكريمة نلاحظ من أساليب الدعوة ما من شأنه التحريض على الالتزام: فالحق - سبحانه وتعالى - لا يقول هنا: سيدخل.. أو سوف يدخل.. وإنما يدخل فعلا الآن..

وهو واحد من أساليب التأثير حين يشعر المدعو أنه في الجنة فعلا.. مما يدفعه إلى مزيد من العمل الصالح سبيلا إلى الفرار في جنات تجري من تحتها الأنهار!!

ثم تلاحظ ثانيا: كيف وقع الكافرون عبيدا في يد العادة التي استبدت بهم.. فأكلوا.. وتمتعوا.. بل استمروا على ذلك.. إلى حين.. ثم تكون النار مشواهم والسؤال الآن:

من من الفريق عاش حرا.. ومن منهما كان عبدا!!؟

إن الآية الكريمة تحكي من طبائع الكافرين أنهم: يتمتعون: بمعنى أنهم يبحثون عن التمتع - وإن كانت حراما - لإرادة التلذذ بنعيم الدنيا فلذا لا يغيرون عنه حولا.. ويعنى ذلك أنهم في قبضته أسارى!!

ومثلهم هنا كمثل الأنعام:

الأنعام التي تمرح في سرحها الخصب ترعى تجرد الأكل.. غير شاعرة بغيرها من المحتاجين.. وإنما هي عادة الالتهام كالأنعام: لا تفرق بين حلال وحرام، تهتمها أن تملأ البطن، وكأنها تاكل في سبعة أمعاء.

لقد ألفوا الترف الذي صار لهم عادة لا يملكون التخلص منها.. وليس في ذهنهم آخرون جائعون.. عطاءشا: في حاجة إلى بعض هذا الترف.. والذي يشكل في حياتهم ضرورة ملحة!! مؤكدة بذلك أن ذلك هو سبيل العبيد.. في قبضة عادة الترف الذي صاروا به أنعاما!!

أما المؤمنون: إنهم يعملون الصالحات، ومن الصالحات أنهم:

ياكلون الطعام صالحا: لا على وجه أنه متعة ولذة.. وإنما ياكلون أحرارا لتحقيق ما يلي:

١- أن الأكل الحلال طريق إلى الجنة.
٢- ثم هو الوسيلة التي يقوى بها البدن لتحقيق موار الله تعالى.

وبعنى ذلك أنهم يجعلون من الأكل عبادة لله تعالى.. يجعلهم يملكون الطعام.

ولا يملكهم الطعام.. ومن أجل ذلك كانت السنة في الطعام ما تبقى به الحياة.. وما زاد على ذلك فهو إسراف وتبذير.. وهنا نذكر قوله ﷺ:

«لا أكل متكئا»^(١)

لأن الاتكاء إنما هو جلسة الترفين الذين يضرون به أنفسهم:

وبهذه الحرية التي أتاحت للمؤمن يكون جزاؤه من جنس عمله:

﴿جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

(البقرة: ٢٥)

وفي الجريان: جمال.. وفيه كذلك تجدد واستمرار وحرية، فلا يتغير أبدا، ثم إنها تجري من تحتها الأنهار.

(فهى: دائمة النمو، والبهجة، والتضارة، والتمرة): ولقد أنساهم دخولها ما عانوه في دنياهم من شدائد، لا يحصل لهم كدر أبدا.. وهى مأواهم لا يغيرون عنها حولا.

قال صاحبى: دعك من هذا الذى تقوله لنا كل عام.. وبين يدى رمضان.. فإن الحق سبحانه يقول:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾

الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾

(الأعراف: ٣٢)

وهو - تعالى - يقول:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَقْرَبُوا أَثَرِ الرِّسَالِ﴾

(البقرة: ٦٠)

وقلت له:

أولا: أنا لا أملك سلطة التحريم ولا التحليل.. لأنها ملك الله - عز وجل - وهو خالق الرزق.. ولكننى فقط أقول لك ما قاله الله - عز وجل -:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي مَتَاعِكُمُ الدُّنْيَا وَلَا الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ﴾

نَفْسَكُم مِّنَ الدُّنْيَا﴾

(القصص: ٧٧)

(١) حاشية الأولى: ج ٧، ص ٢٥٦.

فلا بأس في منطق الإسلام أن تمتنع بما خلقه الله لك من متاع... شريطة أن تظل مدركاً للآخرة... التي تذكرك بآخرين جاثقين إلى ما تمتنع به من حلال... هو بالنسبة لهم أمر ضروري... ثم إن حريتك في هذا الاستمتاع محروسة بإرادة العمران: فكل واشرب كما شئت ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة!! فإن فعلت فإنك إذن من المؤمنين... إن الحيوان يرعى في أرض الله الواسعة غير مدرك الفارق الهائل بين ما هو حرام وما هو حلال: وكذلك الكفار.

إن المؤمن: يأكل: بينما الحيوان: يرعى!!

وإذن فلست ممن يحرمون طيبات خلقها الله تعالى... وإنما أنا فقط مذكر... مذكر بما جاء من أجله رمضان وهو: تحرير الإنسان من قبضة العادة... ليكون حراً بالعبادة!!

ومن العبادة: إطعام المسكين.

ولن يكون ذلك الإطعام إلا بتذوق مسعنى الحرمان... وهو ما جاء من أجله «رمضان»، رمضان: الذي ما جاء ليحرم المسلم من متاع أحله الله - تعالى - له... ولكن القضية هي: منعه من الأكل والشرب ساعات معدودة يجلو بها أحاسيسه ليدرك أن ناساً مثله في الإنسانية جاثقون عطاش... وعليه أن يذكرهم بعدما ذاق الجوع والعطش مثلهم!!

وذلك هو معنى «التقوى» الذي جعله الحق تعالى غاية الصيام.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة: ١٨٣)

ولقد وصى عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - فكان مما وصى به:

١- التصديق بالدينار... ثم بالأعصاب عن طريق «الحلم» وإطراح الغضب.

٢- ثم... بالاستغفار... وعن طريق هذه التقوى نكون أمة واحدة... تتلاقى على المبادئ لا على الأنساب.

ومن أجل ذلك يحق لنا أن نقول: إن رمضان هو شهر الحرية والتي تساوى قولنا:

إنه شهر القوة وليس شهر الضعف!!

ومن مظاهر هذه القوة: تلك الأحداث العظام التي تمت في رمضان بالذات... والتي تؤكد كيف كان رمضان فعلاً كما قيل بحق: شهر الانتصارات العظيمة بما كان يملك المسلم من حرية واعتزاز... كانا وقد هذه الانتصارات الحاسمة.

وإذا كان بعض الناس اليوم يؤجلون أعمال رمضان - تكاسلاً - إلى ما بعده... فليعلموا أنهم لا يتحدثون باسم الإسلام... وإنما يعبرون عن عبوديتهم لعادة التمتع الذي ألقوه... والذي جاء رمضان لتحريرهم من هذه العبودية... لتكون فقط لله عز وجل.

ومن مظاهر هذه الحرية... تدبر آياته - سبحانه - وتعالى - وفي شهر القرآن - لنخرج منها بما يمكن أن يكون وسيلة من وسائل تدعيم الدعوة الإسلامية... في زمان تتعرض فيه الدعوة بالذات لهجوم أعدائها... الذين يجب علينا منازلتهم حين نجعل من شعائر الله تعالى وسيلة للدعوة إلى دين الله.

يقول أحد الباحثين:

(والحق أن الإنسان يجب، أن يقف مأخوذاً مشدوهاً من هذا التبع الدقيق لمصادر الطعام وصوره المختلفة، من صيد البر والبحر، ومن اللبن والعمل

ومما يستخرجه الإنسان من الشجر من سكر، ومن رزق حسن، وليس هذا كله إلا تفصيلاً للآيتين الواردتين في الجزء الأول من كتاب الله واللتان تبدآن بقوله تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾

(عبس: ٢٤)

فهذا النظر، تعليم وتلقين، ترداد به معرفة الإنسان لذنيه، والعلم مطلوب عند المسلم، ثم هو تأمل في قدرة الله، وهذا التأمل تسيح للخالق عز وعلا، واقتراب منه، وركون إليه، وهو أمر يسعى إليه المسلم، وهو بعد ذلك النفات إلى جانب من حياة الإنسان، قد يظن أنها لا تستحق منه الرعاية، ولا العناية، وهو أبعد الأمور عن الإسلام، وعن أساس أحكامه وقواعده، وعن حكمته وفلسفته).

إن رمضان ما هو إلا رفض للفكر المادي الذي يريد فرض هيمنته على الحياة والأحياء وعلينا أن نستثمره بإيقاظ البصيرة التي أنامها الاستسلام للشبع والتمتع المطلق بلذات الدنيا. هذه البصيرة التي تنحصر اليوم من ربة للمحدثين بمثل هذه الآية الكريمة.

﴿مَا خَلَقَكُمْ﴾

﴿وَلَا يَعْصِيكُمْ إِلَّا أَوْفَىٰ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

(لقمان: ٢٨)

فمن كانت هذه قسوته... فكيف لا يتقوى!!؟؟

إن الفكر المادي الذي يقاوم «رمضان» استسلاماً لمتعة الترف... هذا الفكر المادي يعيش لحظته الحاضرة مستغرقاً في الترف... ثم لا يكون

منه استشراف المستقبل.

فهو لا يؤمن بالآخرة...

ولأنه لا يؤمن بالآخرة فهو...

أ- نهم، شره، مناع للخير.

ب- ثم هو يضرب بقوة من لا يرحم... لأنه لا يخشى جزاء.

ج- وهو فوق هذا مغرور... يحمله الغرور على السخرية من الذين آمنوا الذين يؤمنون بالبعث.

وهكذا يجبر الكفر على أهله الخراب... لما أنكر البعث.

ومن ثم كان هذا الرد العنيف القوي على منكري البعث من أهل الترف... ما خلقكم ولا يعثكم إلا كخلق نفس واحدة... ويعثها يستوى في قدرته... القليل والكثير، والواحد والجمع... لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن...

فهو سميع: يسمع كل صوت...

بصير: يرى كل مرئى... وفي وقت واحد.

ودليل هذه القدرة ما ترون:

فهو سبحانه... يولج الليل في النهار... وسخر الشمس لآخر السنة... وسخر القمر... لآخر الشهر.

إن قدوم رمضان يعني أن تستعد له...

فهو شهر كريم: ومن كرمه أنه يتيح لنا فرصة التحرر من العادة إلى حرية العبادة التي هي شرفنا... ثم إنه يتيح لنا فرصة تأمل الآيات تأملاً نرد به موجات الإلحاد التي تتخذ من شعائر الله - سبحانه - مسلة أو ملهية... وإنما هي هدى من الله لكل من أراد الاستمتاع بهذا.

الصيام والقرآن

حصانة دينية ومناعة جسمانية

للاستاذ الدكتور / محمد فتحى فرج بيومى

وكيل كلية العلوم - جامعة المنوفية

فالمسلم خلال شهر رمضان، وبشكل تلقائى، يعيد تنظيم حياته بالشكل الذى يقربه من الله تعالى. يبدو هذا فى المحافظة على الصلوات فى أوقاتها، وفى المكان المفضل لأدائها وهو المسجد، أفضل بقاع الأرض، هذا من ناحية ومن جهة أخرى، فإن طبيعة نشاطه وحرركته، فى مخرجه ومدخله، تجعله يقترب أكثر من أهله، ويتواصل بشكل منتظم معهم، فى أثناء تناولهم لوجباتهم الغذائية ساعتى الإفطار والسحور، وفى أوقاتها المحددة ومن ناحية ثالثة يقترب أكثر من الناس، سواء بمشاركتهم فى أداء بعض العبادات، كالصلاة فى المسجد، أو الاعتكاف لبعض الوقت فيه، ومشاركتهم فى قراءة القرآن، وتذاكر الحديث النبوى، وتلقى بعض الدروس الدينية فى الفقه أو السيرة أو التاريخ الإسلامى، أو حينما يؤدى الزكاة

رغم أن الصوم شأنه شأن العبادات الأخرى، كالصلاة والزكاة والحج وغيرها، وسيلة للتقرب إلى الله، وعلى الوجه الذى أمر به، بما يؤدى إلى ثمرة غالية هى التقوى، التى تتسق وتنسجم بها ومعها حياة الإنسان، بالإقبال على كل ما يرضى الله، والابتعاد عن كل ما نهى عنه سبحانه مصداقاً لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَقْوَىٰ﴾

(البقرة: ١٨٣)

إلا أن للصوم - على وجه الخصوص - فى حياة المسلم، مكانة فريدة، وموقعاً غالياً، قد لا نلاحظه بالدرجة ذاتها مع العبادات الأخرى.. وهذا الأمر - من هذه الناحية - جدير بالملاحظة، وجدير أيضاً بالتأمل والتفكير والاعتبار.

أو صدقة الفطر للمحتاجين منهم، وبهذا يقترب من الناس أكثر وأكثر.

الصيام والقرآن

وهذه التغيرات بهذه الاتجاهات، توأمتها تغيرات أخرى على مستوى النشاط الجسمى من حيث اليقظة والنوم، وتناول الطعام بشكل منتظم، فى وقتين محددين، كل هذا التغير الإيجابى الحادث فى جو روحانى، وفى زمن خاص من العام، هو شهر رمضان، الذى فضله الله تعالى على غيره من شهور العام، وذلك لنزول القرآن الكريم فيه، ذلك الدستور الإلهى الذى يحكم حياة المسلم، ويُرشد مسيرته فى هذه الحياة، إلى جانب فريضة الصوم، التى تسمو بروحه، وتجعله فى معية خالقه - عز وجل -.

ومن ثم فالصيام والقرآن يتآزران فى إعادة ضبط إيقاع حياة الإنسان، على الوجه الذى يقربه من الرحمن، فتكون النتيجة شفاقية روحية وراحة نفسية وجسمانية، وتناغم مع مفردات الكون، الذى خلقه الله تعالى من أجله، وتصالح مع الأهل والإخوان والأصحاب والجيران، وكل من يتعامل معهم من الناس جميعاً.

فالنبي ﷺ حينما ترجم القرآن إلى سلوك يحكم حركة حياته فى جميع نشاطاتها، فى مدخله ومخرجه، فى حرركته وسكنته، فى مسلكه تجاه زوجته وأهله وجيرانه والناس أجمعين، كان كما

وصفته زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها - خلقه القرآن، أو كان قرآناً يمشى بين الناس.

وعلى الجانب الآخر فإن من يتكبد الطريق السرى، ويعرض عن هذا الدستور الإلهى وهو القرآن الكريم، فإنه لن يجنى من ذلك سوى الضنك والعنت والعذاب، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَصِلْ إِلَىٰ عَذَابٍ وَلَا نَجْدٍ ۚ وَمَنِ أَعْرِضْ عَن ذِكْرِي وَلَمْ يَحْشَرْهُ حَتَّىٰ وَنَحْشُرْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ أَعْمَىٰ ۚ قَالَ رَبِّ ارْحَمْهُ ۖ إِنِّي أَخِفْتُ ۖ فَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۚ﴾
﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ - إِنَّمَا أَفْتَسِيْلَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْصَىٰ﴾

(طه: ١٢٣-١٢٦)

رمضان فرصة عظيمة

فحياة المسلم تتغير تماماً خلال هذا الشهر المبارك من نواح كثيرة، لتصبح مضبوطة الإيقاع باتجاه عبادة الله تعالى، قرباً من الخير المطلق، وبعداً عن الشر ومصادره المختلفة، كل أولئك يسهم فى وضع الإنسان، فى دنياه الفانية وفى أخراه الباقية، قاله تعالى أعلم بنا من أنفسنا، فهو القائل سبحانه:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَنَاجِرَ الْوَلَّيِّمِ الْخَبِيرِ﴾

(الملك: ١٤)

ومن جهة أخرى، فشواى الأعمال

الصالحة يتضاعف أضعافاً مضاعفة في رمضان، وبذلك فمن الحصافة والكياسة أن ينتهز المسلم الكيس الفطن هذا الشهر الكريم لينال جنزير الثواب من الله الكريم، ولذلك فقد قرب رسول الله ﷺ هذه الصورة من نفوس رموز هذا المجتمع التجارى، الذي يعرف جيداً قيمة المكسب والخسارة، بقوله ﷺ: «بعداً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له»^(١) وقد ورد عنه ﷺ أيضاً أن: «الصيام والقرآن يشقعان للعبد»^(٢)، فهل يغتنم المسلم هذه الفرص العظيمة والمغريات القيمة؟

رمضان أيضاً فرصة طيبة للمدخنين الذين يضعفون في غير رمضان أمام السجارة، ويجدون من تهاون رمضان حصناً يلوذون به من مخاطر التدخين ومضاره ويجهد يسير وعزيمة صادقة وباللجوء إلى الله تعالى بصدق وإخلاص، في هذا الشهر الكريم، يمكنه أن يتخلص من ويلاتها ومضارها، وهو أيضاً فرصة عظيمة للابتعاد عن أكل لحوم البشر والنيل من أعراض الناس، وتطهير النفس من أدران الخوض في وهاد الرذيلة وأرجاس الزور، لأن كل ذلك يأكل صيامه كما تأكل النار الحطب الجاف، ولذلك فقد حذرنا النبي ﷺ من ذلك في قوله: «من لم يدع قول الزور أو العمل به

فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(٣) وهو أيضاً فرصة للتسامح والتصالح مع من كان بينك وبينه بعض المناوشات الجارحة أو المناقشات الصاخبة، ولناخذ مبادرة التصالح والتسامح من نصيحة نبينا ﷺ، حينما استحسنا عليهما بقوله: «خيرهما الذى يبدأ بالسلام»^(٤) ورمضان أيضاً فرصة عظيمة لصلة الأرحام، التي أخذ رب العزة على نفسه العهد بشأنها، مطمئناً إياها بأن من وصلها وصله ومن قطعها قطعته، وقد ورد في الأثر أيضاً أن صلة الأرحام تطيل العمر وتوسع في الرزق، ورمضان مناسبة للتزاور والتواد والتراحم، خاصة بين ذوى الأرحام، لتعم الرحمة وتنتشر البركة، ويخيم السلام على أمة الإسلام.

الصيام أيضاً يقوى المناعة

الواقع أن العلاقة بين الجسم والعقل والنفس والروح قد أدركها كثير من المفكرين والكتاب والمتخصصين في هذه المسائل... ومن أفضل الوسائل التي توصل إليها بعض الزهاد والمتصوفين والعباد كمناهج للوصول إلى سكينة النفس وصفاء الروح وراحة الفؤاد، التقرب إلى الله تعالى بالجهد تارة وإن

من أعظم الجهاد جهاد النفس، الذى اعتبره الرسول ﷺ الجهاد الأكبر^(٥) أو عن طريق الصيام والتجويد تارة أخرى، والتعود على الخشونة وشطف العيش تارة ثالثة، وبالبذل والإنفاق ومساعدة الآخرين... وهكذا. والواقع أن امتلاء المعدة بالطعام يسحب الدم من أعضاء الجسم المختلفة - ومنها المخ - إلى الجهاز الهضمي، لكى يباشر مهمته فى هضم هذا الطعام، ومن ثم يشعر المرء بالكسل والخمول وقد يغلبه النوم عن أداء الصلوات والنوافل والتهجد وقراءة القرآن، فيغفوه خير كثير!

سكينة وطمأنينة

وقد أثبتت الدراسات والبحوث العلمية أن ممارسة الإنسان لهذه الفرائض والنوافل وإثراء الجانب الروحي لدى الإنسان، يسهم كثيراً فى الوصول إلى حالة من السكينة النفسية والطمأنينة الروحية، اللتين من شأنهما التأثير الإيجابى على كل من الجهاز العصبى والغدد الصماء، تلك التى تنتج الهرمونات المختلفة بالجسم، ومن ثم يؤثر كل ذلك على النواحي الصحية والمناعة الجسمانية، وإكساب المرء قوة وصلابة

تجاه معوقات الحياة ومشاكلها التى لا تنتهى. بل إنها تساعد فى إكسابه قدراً كبيراً من المناعة الجسمانية، التى يستطيع الجسم من خلالها أن يقاوم مختلف العلل والأمراض، ومنها مرض السرطان.

وتحضرني فى هذا السياق الآية الكريمة، التى يقول فيها رب العزة - جل شأنه:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُلْقِي عَنِ الدِّينِ أَمْنًا﴾

(الحج: ٣٨)

فمن أوجه دفاع الله تعالى عنهم - والله أعلم بمراده - أن يدفع عنهم غائلة الميكروبات والجراثيم ومسببات الأمراض المختلفة فهى أعدى أعداء الإنسان، فضلاً عن عدوهم الظاهر، وعدوهم الخفى المتمثل فى الهوى والشيطان، وعلى النقيض من ذلك، فإن من تنكبوا الطريق المستقيم، ولم يمثلوا لأوامر الله تعالى وابتعدوا عن عبادته من خلال أداء الفرائض المكتوبة، قد أصابهم الهم والقلق والاكتئاب، وهى من أشد العوامل التى تعمل على ارتباك أجهزة المناعة لدى هؤلاء الأشخاص، ومن ثم يصبحون عرضة وهدفاً سهلاً للإصابة بالأمراض المختلفة، بسيطها وخطيرها على حد سواء.



(١) المشترك على الصحيحين.

(٢) سنن الإمام أحمد، ٢: ١٧٤، الترغيب والترهيب، ٢: ٨٤.

(٤) البخارى.

(٣) صحيح البخارى، ٣: ٣٢.

(٥) إتحاف السادة المتقين، ٧: ٢٥١.

شهر التهاديب

الشيخ / أحمد الشرياصي

إعداد الشيخ / علي حامد عبدالرحيم

الحمد لله عز وجل. هو خير من ربي العباد وأصلح القلوب. وأعظم من هذب النفوس وقوم العيوب.

﴿سَبِّحْهُ أَقْبَرُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ سُبْحَةً وَتَحْنُ لَهُمْ عِيدُونَ﴾

البقرة: ١٢٨

أشهد أن لا إله إلا الله، هو الذي يعطي ويمنع. ويرفع ويضع:

﴿وَرَفَعَ يَتْلُو مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

التقصص: ٦٨

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله. كان خير العابدين، وأخلص القانتين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، وأصحابه السابقين، وأتباعه الموقنين:

﴿الْآيَاتُ أَوَّلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

يونس: ٦٢

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام...

إن الله الحكيم العليم يصطفى من الأيام ما يشاء، ويجعل في بعض المواسم

نفحات من تعرض لها واقتبس منها سعد وفاز، فإذا حل موسم من هذه المواسم شد

الخيرون عزائمهم، وبسطوا هممهم، فجدوا واجتهدوا، وتعبوا وتقربوا، حتى

ينالوا في الزمن القليل أضعاف ما ينال في الزمن الطويل، وبذلك تظهر الميزة لأوان النفحة على غيره من الأحيان، ومن أعظم ما نفح الله به عباده فريضة الصوم التي سجلها الحق تبارك وتعالى فرضاً ثابتاً باقياً في قرآنه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

﴿البقرة: ١٨٣﴾

وجعل الله تعالى أداء هذه الفريضة في أكرم الأوقات، وهو:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعَلَىٰ شَرْعٍ مَّا نَصَّحُوا بِهِ فَإِذَا أَفْطَرْتُمْ فَمِنْ يَذَّكَّرْهُ فَرَحَافَةً﴾

البقرة: ١٨٥

نفس صافية وعزيمة قوية

ولعل أصدق وصف يطلق على رمضان أنه «شهر التهاديب». لأن الله يمننا فيه من الطعام والشراب، واللغو والسباب، وشهوة الفرج وبغى الجوارح، إذ يريد لنا أن نكون أمة نهدي إلى الخير وإلى سواء السبيل، ومن كانت رسالته في الحياة كذلك، فلا بد له من نفس صافية وروح عالية، وأخلاق ثابتة وعزيمة قوية،

١- ابن ماجه

ولذلك نهض الصوم على أساس التأديب والتهديب، فهو تأديب يمنع الطعام ليتحمل الإنسان ألم الجوع، ويتعود الصبر والانتظار، وتأديب يمنع الماء ليعتاد المرء معالجة الظمأ وجفاف الحلق والعروق، وتأديب يمنع الفرج من شهوته ليستعلى الإنسان حيناً من الزمان على هذه الغريزة القوية فلا يكون على الدوام لها عبداً، وتأديب يمنع الجوارح من السعي نحو الحرام، ليتعلم المرء كيف يترك، ولو كان قادراً على أن يدرك، وليرتفع بإنسانيته نحو مسابح الملائكة الأطهار.

ولذلك رأينا البصراء من علماء هذه الأمة، يحرصون على أن يذكروا الناس بأن الصوم ليس مجرد العطش والجوع، فسيد الخلق يقول: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»^١. قالوا: يجب على المسلم إذا أراد أن يصوم حقاً، وأن ينتفع بثمرات هذا التأديب الإلهي الحكيم أن يشرق صاعداً في درجات الصائمين المخلصين، وأن يتذكر أنه كلما ازداد إيماناً وإخلاصاً زاده الله هداية وتوفيقاً:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَبْنَهُمْ مِّمَّا كَانَتْ لَكُمْ مِنْهُ مَخْرُجَاتٌ وَأَنَّا لَنَبْلُقَنَّ شُرُكَهُمُ الْفُتَنَاءَ﴾

العنكبوت: ٢٦٩

وأن يتذكر أن رمضان إذا كان شهراً

للتهديب، والتهديب متعب شديد، وشهراً للتأديب، والتأديب مر ثقیل، فإن الرحمن الرحيم قد حيب فيه حين حاطه بأطواق من التكريم والتعظيم، فجعل فيه نزول القرآن، وجعل فيه يوم الفرقان، وجعل فيه يوم الفتح، وجعل فيه ليلة القدر، وجعله سيد الشهور، وقال سيد الأنبياء عن فريضة: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته طعامه وشرايه من أجلي»^{٢٠}. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، مرني بأمر يتفنى الله به، قال: عليك بالصوم، فإنه لا مثل له^{٢١}. ويقول الرسول: «ثلاثة لا ترد دعوتهم، الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: «وعزتي لأصرفنك ولو بعد حين»^{٢٢}.

ويقول «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعتني الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: «منعتني النوم بالليل فشفعني فيه، قال فيشفعان»^{٢٣}.

جزء معجل وجزاء مؤجل ١١

ولو تبصر المرء هنا لرأى الجزاء الكريم على الصوم معجلاً ومؤجلاً، أما المعجل فهو ما يستقيده الصائم المستقيم في جسمه من صحته، وفي عزيمته من قوة، وفي قلبه من طهارة، وفي جوارحه من صيانة وبراءة، وأما المؤجل فهو ما ينتظر الصائم يوم القيامة من تكريم ومثوبة. يقول الرسول: «إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون، فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»^{٢٤}. ولقد قال كثير من المفسرين إن المراد بقوله تبارك وتعالى:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَهَبُوا لَسَفْهَتِكُمْ فِي الْآيَاتِ تَغْلِيحُ﴾

«الخافق: ٢٤»

هو أيام الصيام التي ترك فيها الصائمون الطعام والشراب والمناع طاعة لربهم واستجابة لدينهم. فأسلفوا ذلك عند من لا يضيع عنده أجر من أحسن عملاً، وعند من يقول وهو أصدق القائلين:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾

«الزلزلة: ٧»

فالله تعالى يضع يوم القيامة بين أيديهم كل مناع وكل مستطاب، ويدعوهم إلى أن يأكلوا ويتمتعوا بما أسلفوا في الأيام الخالية. يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام....

فرصة ١١

ليكن شهر رمضان فرصة لتأديب البطن حتى يستقيم، وصيانة الفرج حتى يعف، وحفظ الجوارح حتى تسلم، وإحياء القلب حتى يسمو، وبذلك تستحقون أن تدخلوا ضمن العباد الذين إذا دعوا استجاب الله لهم، والذين يتحدث عنهم ربهم فيقول عنهم عقب آيات الصيام:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِقَائِي إِنَّهُمْ يُرْشَدُونَ﴾

«البقرة: ١٨٦»

نضر الله باليمن أيامكم، وعمر بالصالحات أوقاتكم، وجعلكم خير الأخلاق خير الأسلاف، وأعز بكم دينه ودنياكم، وأعاد عليكم مواسم الخير وأنتم في شأنكم، وثبات من يقينكم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ

عَلَىٰ عَمَلٍ شَجِيحٍ يَصُدُّكُمُ اللَّهُ عَنْهُ وَالْعَوْرَتُونَ أَلَّا تَلْمِزُوا لَهُمْ أَمْرًا الَّذِي تُحَرِّمُونَ فِي حِلِّهِ أَسْرَارًا مَّا تَلْمِزُوهُمْ لَكُمْ وَهُمْ لَمْ يَلْمِزُوكُمْ فِي شَيْءٍ مِّنْ أَمْرٍ مَّا تَلْمِزُونَ﴾

«الصف: ١٠-١١»

واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

«النحل: ١٢٨»

مسابقة للشباب

قررت مجلة الأزهر أن تفسح المجال للشباب للكتابة في بعض الموضوعات الاجتماعية في ضوء الإسلام على أن يبدأ النشر في مطلع العام الهجري القادم، مع ضرورة إرفاق صورة البطاقة الشخصية ورقم التليفون حتي نتمكن من الاتصال بصاحب المقال الفائز بالنشر.

٤- سنن الترمذي

٣- سنن الترمذي

٢- صحيح مسلم

٦- صحيح البخاري

٥- مسند أحمد

سبتمبر ٢٠٠٨م

رمضان ١٤٢٩هـ

الأزهر

١٣٤٤

١٣٤٥

الأزهر

كيف نستقبل شهر رمضان؟

للدكتور/ حمدي فتوح والي

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ
مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾

(البقرة: ١٤٣)

ويبين المولى - سبحانه وتعالى - مدى
مشقة هذا الأمر وصعوبته على النفس
بقوله:

﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾

(البقرة: ١٤٣)

وبعد خمسة عشر يوماً يتفضل المولى -
تبارك وتعالى - على عباده بهدية جديدة،
وهي فرض الصيام، ليستمر الأثر النفسي
لتحويل القبلة ويزيد عليه أمراً آخر وهو
فطم النفس عن مألوفها ومحسوبيها من
الطعام والشراب والشهوة. وهي غرائز
أساسية لا تقوم الحياة إلا بها، ولا يستقيم
أمر العيش إلا عليها، ولهذا كان فطم
النفس عنها رغم شدة حاجتها إليها من
أعمق ألوان التربية وأجداها، فإن من يقدر
على فطم نفسه عن حلالها المشتهي غريزة
وطبعاً لا يحمله على ذلك إلا طاعته لربه

شرع الله - تبارك وتعالى - الصيام في
السنة الثانية من الهجرة، بعد اختبار
للأمة دام سبعة عشر شهراً فطمت فيه
النفوس عن مألوفها، وحيل بينها وبين
مرادها، وكان أشق ما في هذا الاختبار
أنه استهدف أمراً له مساس بعقيدتها،
وارتباط بعروبتها وأصالتها، وذلك
عندما أمرت الأمة أن تتوجه في صلاتها
إلى بيت المقدس، وتترك قبلة الآباء،
وقرر الأجداد. وظل هذا الاختبار
القاسي هذه المدة التي زادت على العام
ونصف العام، وأخبرنا المولى سبحانه بأن
هذا الاختبار النفسي كان مقصوداً لتربية
النفوس على التجرد لأمر الله وحده،
وتعويدها الاستقلال التام عن سلطان
الإلف والعادة، وتحريرها من الولاءات
الأرضية... ولواء الأرض، والقوم والوطن...
وأن تكون أسيرة لنزعة عنصرية أو
قومية أو دينية إلا أن تكون لله وحده،
وهذا ما أعلمنا الله - سبحانه وتعالى -
به في قوله:

واستجابته لمولاه يكون قد بلغ غاية
القرب ومنتهى الحب. واستشعرت نفسه
لذة المعية، وبلغت درجة الإحسان. وتلك
هي العناية التي أعلمنا الله - تبارك
وتعالى - بها في الحكمة من فريضة الصوم
بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٣)

إن الصيام للنفس تربية وتأديب
وتهذيب، وتعويدها لها على ممارسة
الإخلاص دون حسيب أو رقيب. إلا ما
يرجوه من رضا المولى - سبحانه وتعالى -،
وهو المقام الذي أطمع الله - تبارك
وتعالى - عباده فيه، وجعلهم بالوصول
إلى تلك الحال من أهل القرب الذين إذا
سألوا المولى - سبحانه وتعالى - أعطاهم
وإذا طلبوه أجابهم، وخاطب نبيه
ومصطفاه، بقوله:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٦)

الصيام... فطام للنفس

ولك أن تتصور دورة تدريبية تستمر مع
الإنسان مدة شهر كامل يطلب منه فيها
أن يمتنع عن الاستجابة لنداء بطنه إذا
اشتد به الجوع، وحيل بينه وبين الطعام
الذي عليه قوام حياته، وإذا قلنا: إن
الإنسان ربما ملك القدرة والصبر عن
الطعام لأيام، لأن الماء يقسوم عنه
بالتعويض، فكيف إذا كان الشراب ممنوعاً
عن النفس أيضاً مع الحر الشديد والحاجة
الملحة إليه إلى أن يأذن الله بغروب
الشمس فيقبل على طعامه وشرابه
مستشعراً تلك النعمة مقدراً أثرها في
نفسه بعد أن حرم منها وطال شوقه إليها،
شاكراً نعمة الله عليه أن أعانه على تحقيق
مراده منه؟ ولهذا كان من دعاء المصطفى
ﷺ عند إفطاره أن يقول: «الحمد لله الذي
أعانتني فصمت، ورزقني فأفطرت»^(١) أو
يقول: «اللهم لك صمت وعلى رزقك
أفطرت، فتقبل منا إنك أنت السميع
العليم»^(٢). وكان يقول إذا أفطر: «ذهب
الظما وابتل العروق وثبت الأجر إن شاء
الله»^(٣). وفي هذا الدعاء ما فيه من
التجرد والعبودية ورد الفضل كله إلى
الله. فيكون الصيام ممارسة عملية لفطم
النفس عن شهواتها ومنعها من تحقيق

(١) كنز العمال: ٨٨، ٨٩، الأذكار النبوية: ١٧٤.

(٢) سنن أبي داود: ٢٢٩٨، كنز العمال: ٨٦، ٨٧.

(٣) سنن البيهقي: ٢٢٩/٤، المستدرک للحاكم: ٤٢٢/١.

ملذاتها، وتقوية لعنصر الإرادة والصبر لديهما، ثم شكر لله أن وفق إلى ذلك وأعان.

يقول الإمام ابن القيم: «الصوم لحام المتقين وجنة ائحاريين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئا وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبود، فهو قد ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إشارا لخبه الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه بشر وذلك حقيقة الصوم»^(١). وهذه الحالة من الاستغراق في المعبة وطلب القرب هي ما تفهمه من معنى الإيمان والاحتساب في قول المصطفى ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٢).

والصوم لا يحقق المراد منه وهو التقوى إلا إذا أدى على الوجه الذي يريده الله - تبارك وتعالى - وهو استشعار معيته وقصد وجهه وممارسة الصوم مع استحضر الطاعة الكاملة والنية الخالصة والانكسار الخاشع، وإرادة القرب من المحبوب - سبحانه وتعالى - وهذه المعبة الخالصة والقرب الصادق لا تتأني بمجرد الامتناع عن الطعام والشراب والشهوة مع الانصراف القلبي والانشغال الروحي عن المحبوب - سبحانه وتعالى - أو فعل ذلك

وهو كاره للجوع مستثقل للصوم يتمنى انتهاء الشهر لينطلق بشهوته وملذاته كما يريد. فمثل هذا لم يتعامل مع الله ولم يستشعر معنى القرب والحب لمولاه، ولهذا غاب عن القريضة سرها، ومات فيها روحها. وحرم الصائم أثرها وأجرها لأن ذلك كله لا يأتي إلا مع الإيمان والاحتساب الخالص لله - سبحانه وتعالى - وهذا الإيمان والاحتساب هو ما يجعل الإنسان في حالة خشية وأدب تحجزه عن فعل القبيح الذي لا يليق أن يراه الله عليه، لأنه يجعل مولاه، فلا يجعله أهون الناظرين إليه.

وإذا كانت التقوى هي الثمرة التي رتبها المولى - سبحانه وتعالى - على أداء قريضة الصيام إذا أدت إيمانا واحتسابا، فإن هذه الثمرة هي الغاية التي من أجلها شرعت جميع العبادات، فالصلاة التي هي معراج دائم إلى الله - تبارك وتعالى - شرعت من أجل ذكر الله وإدامة تقواه:

﴿قَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

(طه: ١٤)

والزكاة شرعت تطهيرا لصاحبها من آفة الشح والبخل والأنانية وحب الذات. فنفعها عائد إلى المذكرى قبل أن يعود إلى الأخذ لقوله سبحانه:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾

(التوبة: ١٠٣)

وفي الحج يقول المولى - تبارك وتعالى -:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فُضِّضَ فِيهِمْ لَمْ يَلْحَقْ فَلَا رَفْعَ وَلَا فَتْوَى وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَكْتَسِبْهُ غَيْرُهُ وَكَرِهُوا فَمَا كَرِهَ الرَّادُّ الْقَوِيُّ وَالْقَوِيُّ يَتَأَوَّلِي الْأَلْتَبِ﴾

(البقرة: ١٩٧)

ويأتي على رأس تلك العبادات في ضمان تحقيق التقوى قريضة الصيام، وخاصة عندما يحسن المؤمن استثمار أيامه ولياليه فهو بجانب ما يفعله في النفس من فطم عن ملذات ومألوفاتها طاعة للمولى - سبحانه - ومراقبة لوجهه الكريم، فإنه قد هيا لتلك النفس فرصة الالتذاذ بالطاعة عندما سد عنها أبواب الشر وأضعف سلطان الشيطان، وقوى فيها سلطان الإيمان، وهذا ما نجده في قول نبينا ﷺ، فيما يرويه أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«أناكم شهر رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»^(١) وعنه

أيضا أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وصفت الشياطين»^(٢).

سلطان البدن.. وسلطان الروح

ولما كان رمضان يأتي مرة في العام وقد هيا الله فيه فرص الخير للمؤمنين بأن فتح لهم أبواب الخير وسد عنهم أبواب الشر، وأضعف فيهم سلطان البدن وقوى فيهم سلطان الروح. وحال بين الشياطين وبين أداء دورها في احتلال المؤمنين، فإنه من علامات الحرمان والخسران وسوء التوفيق أن ترى من تمر عليه أيام رمضان دون أن يزداد من الله قربا، ودون أن يمتليء قلبه حبا. فعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال يوما وقد حضر رمضان: «أناكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل»^(٣).

وحتى لا تقوت على المؤمن فرص الخير في هذا الشهر فيظل يروض نفسه وقتا طويلا من أيام الشهر حتى تلبس وتشعر بلذة الصيام، كان واجبا على كل مسلم أن

(١) رواه الترمذي والبيهقي كلاهما عن أبي قلابة عن أبي هريرة.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ورواه تقيت.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) زاد اللعاد في هدي خير العباد ج ١ لابن القيم - دار الفكر ص ١٦٤.

(٥) صحيح البخاري: ١٦/١، ٣٣/٣.

الخطاب الرمضاني

كيف يفتح الشهية للصيام؟!

للاستاذ / محمد مصطفى البسيوني

• هل يمكن أن أقول: إنني «أطيق» حمل هذه المسبحة؟ طبعاً لا؛ لأنها خفيفة الوزن.
• وهل يمكن أن أقول: إنني «أطيق» حمل هذا الحجر الرابض على باب المسجد؟ نعم، إنني «أطيق» حمل هذا الحجر؛ لأنه ثقيل الوزن ويحتاج إلى مضاعفة «الطاقة» لحمله.

إذن فكلمة «أطيق» ذات نسب وثيق مع كلمة «الطاقة» ولذلك كان كل ما يحتاج إلى مضاعفة الطاقة يقال عنه: إننا «نطيقه». ولذلك جاء في القرآن الكريم دعاء على لسان المؤمنين:

﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ «البقرة: ٢٨٦»

ومن هنا يسهل علينا فهم قوله تعالى في آيات الصيام (١):

﴿ وَعَلَى الدِّينِ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ «البقرة: ١٨٤»

١- ورد حول كلمة «يطيقونه» هذه المكار عدة في التفسير، فمنها: أنها تعني «وعلى المطيقين للصيام الذين لا يحترق لهم إن أطروا» كما جاء في تفسير التفسير. ومنها أن «الذين يطيقونه أي يطيقون التقية ولا يطيقون الصوم يعني الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة وفق ما جاء في تنوير المقياس من تفسير ابن عباس «طبعة» بيروت» كما قرئت «يطيقونه أي يكفونه أو يقدونه من الحوق بمعنى الطاقة أو القلادة حسب ما ورد في تفسير البصائر «طبعة» بيروت» ولكن يبدو أن شيخنا الراحل -رحمه الله- كان متأثراً بقول ابن عباس -رضي الله عنهما- في ذلك وهو أن «وعلى الذين يطيقونه» الآية، أي من لم يطق الصوم إلا على جهد مثل الشيخ الكبير والحامل والشيخة مثلاً ذكر الطبري «طبعة» بيروت.

خديجة فتزوده لمثلها حتى فاجأه الوحي وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: «اقرأ...» (١)

وعندما أراد الحق -تبارك وتعالى- أن يتم عليه النعمة باختياره رسولاً، خاطبه بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْزُوقُ ۚ وَالْأَيْلُ الْأَمِيلُ ۚ نَصْنَعُ ۚ وَأَنْقُصُ ۚ قِيلًا ۚ ۝ نَزَّذَ عَلَيْهِ وَرَبِّي الْفَرْمَانُ ۚ تَرْتَلَا ۚ ۝ نَسْتَلْقَىٰ عَلَيْكَ قَوْلًا ۚ قِيلًا ۚ ﴾ (الزمل: ١-٥)

فكان -صلوات الله وسلامه عليه- يقوم من الليل مصلياً حتى تنفطر قدماه، وكان يطيل السجود ويكثر الدعاء، ويستغرق في دعائه لربه حتى يسمع لصدره أزيزاً كأزيز المرجل على النار، كل ذلك تهيئة للأمر العظيم والمقام الكريم. وهكذا الشأن في جميع أمور الحياة، وليس الصوم بأقل من أمور الدنيا، وهو الذي رتب الله عليه سعادة الدنيا والآخرة. إن الصيام جدير بأن يصلح النفس من أعماقها ويغسلها من أدراجها، ويقيمها على منهج الله - سبحانه وتعالى - فإن تأتى لها ذلك، صدر عنها الإصلاح في جميع ميادين الحياة، وهذا ما ننشده لمجتمعنا المسلم في ظل هذا الشهر الكريم.

يسادر بمعالجة نفسه وتهيتها بألوان من صنوف الطاعة التي يعمر بها الشهر الكريم، فيصوم من شعبان حتى يعود نفسه لذة الصوم في رمضان.

كما ينبغي على المؤمن أن يكثر الصدقة والذكر وتلاوة القرآن وأن يستحضر نية صادقة، وتخففاً من أعباء الدنيا والغرق في شهواتها، حتى يدخل إلى رمضان وقد نهيات نفسه للتلذذ بالطاعة والشعور بتجليات الله عليه.

إصلاح النفس

ولقد رأينا هذا الإعداد والتدريب في مواقف كثيرة عند رسول الله ﷺ، فعندما سبقت إرادة الله باختياره نبياً، رأيناه ﷺ يتهيأ لذلك بما ألهمه الله به، فكان يذهب إلى غار حراء يقضى فيه الليالي ذوات العدد، خالياً مع ربه - سبحانه وتعالى -.

روى الإمام أحمد عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب إليه الخلاء، فكان يأتى غار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى

(١) سيرة ابن هشام ج١.

تلك سطور تسجل بعض المعاني التي لم تزل تحتفظ بها الذاكرة «كالنقش على الحجر» منذ أكثر من أربعين عاماً عندما استرسل فضيلة خطيب الجمعة - يرحمه الله - في محاولة مقتدرة على تبسيط معاني آيات الصوم بمناسبة استقبال شهر الصوم المبارك يوم ذاك، ويدعوني داعي الوفاء إلى أن أذكر اسمه بالخير والاستغفار لروحه وهو الداعية الذي لا ينسى الشيخ عبد الحميد أبو حامد، الذي علمت فيما بعد عندما أردت أن أترجم له في مقال «للأخبار» أنه من رصفاء الإمام المجتهد الجليل الشيخ محمود شلتوت منذ طلب العلم بالأزهر الشريف.

وكان الرجل وأمثاله - ممن خطونا على طريقهم أولى خطواتنا الإيمانية المدركة - يكاد من شدة إخلاصه لدعوته يلتحم بمنبر المسجد تحاماً عضوياً، وكأنهما في عناق إيماني مشهود لا يريد أحدهما أن يفارق صاحبه لعظمة القول، وعبقرية القائل وروعة الموقف.

هذا الأسلوب التعليمي

وقد يكون هذا الكلام معروفاً لدى البعض ولكنه - دون شك - مجهول بالنسبة للكثيرين، أما أنا فقد أضاف إلى هذا الأسلوب «التعليمي» الشارح المزيّد من المعرفة، والرغبة في البحث والاستقصاء والمزيد من الإعجاب بطريقة التشويق والجذب والتبسيط

والعرض التي اصطنعها فضيلة شيخنا الراحل، والتي هي محور رسالتنا - وليست مهنتنا - معشر المعلمين، أصحاب الرسالة التربوية، وتأمّل كيف استخدم الداعية الفاضل إمكانياته المتاحة له آنذاك ليوظفها كوسائل تعليمية ناطقة من فوق المنبر مثل «المسبحة» التي بيده، ومثل «الحجر الرابض على باب المسجد» وأحسست عندها أن أساليب الأداء التربوي ليست حكراً على المعلمين - وإن كانوا أربابها - ولكنها آلية يصطنعها كل ذي رسالة معطاء طالما وجد مجال يضم قطبي إرسال واستقبال، وطالما كان «المرسل» يحمل فكراً وإعياً تمام الوعي بأهداف رسالته، واستعداداً جاداً كل الجد لطرق أدائها، وشخصية تتمتع بتواضع العلماء الذي ينأى بصاحبه عن الغرور كلما قال له العامة: «أحسنت»، ورحم الله أستاذنا «السيد حسن الفاياتي»^(٢) عندما قال فيمن ابتلى بأففة الغرور: «ظنه الناس على شيء فظن».

وتتحرك أمامنا الآن - في مجال تواضع العلماء - سيرة الفقيه الراشد والعالم الزاهد «سفيان الثوري» يرحمه الله الذي كان يذوب تواضعاً في خدمة العلم والمعرفة من خلال إمامه الواسع باثني عشر حديث نبوي شريف يجيد حفظها متناً، ويستوعب مفهومها معنى، ويتقن روايتها إتقاناً مما كان يثير إعجاب طلابه الشديد به

حتى إذا تخلقوا حوله للدرس واسترسل في العرض والشرح، وانبهروا به ويعلمه الغزير وأسلوبه الأخاذ، لحظ هو ذلك في أعينهم المعبرة فخشي على نفسه الغرور فجمع أوراقه وقال: أخذنا ونحن لا ندري^(٣).

من الخطاب الشعراوي في رمضان

أما عالمنا الشيخ محمد متولي الشعراوي - يرحمه الله - وهو دائماً في بؤرة الذاكرة من خطاب الإسلامي - قلده في الخطاب الرمضاني النهج المشكور، والمعنى المتجدد «غير المكرور».

ففي عرضه لبعض الأحاديث النبوية المطهرة الخاصة بشهر رمضان المعظم تحدث عن قوله ﷺ (إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلمت الشياطين)^(٤). وهنا أراد فضيلته أن يبرز بذلك مستنير دور الإرادة الإنسانية في الطاعة؛ فقال: إن هذا الحديث الشريف يبين لنا أن العصيان كثيراً ما يرجع إلى إرادة الإنسان وليس فقط وسوسة الشيطان، وإلا ألغينا دور مسئولية الإنسان التي ترتبت على حمله للأمانة، حيث أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشققن منها، وقد سجل القرآن الكريم على الإنسان هذه

المسئولية الجسيمة في قوله تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

«الأحزاب: ٧٢»

ولما كانت المسئولية وليدة الحرية كان لابد أن يترتب عليها جزاء؛ إذن فهناك الأمانة التي ترتبط بالمسئولية ثم النتيجة الحتمية المترتبة على ذلك وهي الجزاء.

فمثلاً - والقول لشيخنا الشعراوي - لو كانت المسألة قاصرة على دور الشيطان فيماذا نقرر العصيان الفاجر والتبجح في شهر رمضان بينما الشياطين - كما أخبرنا النبي الصادق المصدوق ﷺ - في السلاسل؟ ألا ترى في نهار رمضان وفي الشوارع والطرق بعض المسلمين «بالوراثه» الذين يحركون أشداقهم بالطعام ثم يتلمظون في تحد واستهتار وعلانية أو يمتصون بشفاهم لفافات التبغ فإذا لم يكن هذا بمحض إرادة المرء من شياطين الإنس «الطليقة»، فماذا يكون؟

ولعمرك إن هذا الربط بين الإرادة والحديث النبوي الشريف لهو حجة تعليمية باهرة ونهج تربوي بناء يضيف إلينا مثلاً حياً لتفسير الحديث النبوي الشريف: «إنما الأعمال بالنيات»^(٥) الحديث.

٢- من معاني محاضرة الإمام الدكتور عبد الحليم محمود بالعهد العالي للدراسات الإسلامية في السبعينات.

٣- لأحمد في مسنده، والبخاري ومسلم عن أبي هريرة - الجامع الصغير للسيوطي.

٤- رياض الصالحين للإمام النووي - والنية في بعض معانيها هي «الإرادة».

٥- السيد حسن الفاياتي شاعر قدير ولغوي كبير وصوفي شهير - سليل أسرة لها تاريخها في السياسة والتصوف - كان زميل الدراسة بالأزهر للشيخ مصطفى عبدالرازق شيخ الأزهر الأسبق - طبع ديوان شعره عام ١٩٦٠ - كان عضواً بالجمع التغيوي ومجلس النواب - توفي عام ١٩٥٨ م.

طعام واحد وطهارة عديليون

هذا ولما كنا نتحدث عن شهر الصيام فما أليق أن نطعم حديثنا بأمثلة شارحة مشتقة من الطعام!!

فنحن في حياتنا العامة نرى مثلاً نوعاً من الطعام قد قام بإعداده عدد من الطهارة، فيختلف تذوقك لهذا الطعام باختلاف هؤلاء الطهارة؛ ذلك لأن هناك الطاهي المتذوق الماهر، وهناك زميله الدعي المتظاهر، وهذا ما كان يسميه أسلافنا من «حكماء العامة» في مجال الطهي «بالنفس»، فهذا الطاهي نفسه طيب بينما «نفس» غيره دون ذلك.

وكنتم - ولا أزال - أقدم هذا المثال «المغذى» لأبنائي من ناشئة المعلمين أن إعداد الدرس أشبه ما يكون بإعداد الطعام؛ فقد يكون موضوع الدرس واحداً ولكن المعلمين يختلفون في إعدادة وعرضه بين جذاب، ومتنفر، فهذا معلم يعرض أمامك الموضوع فلا تستشعر منه الملل بقدر ما تطلب منه المزيد، وآخر تستمع إليه وهو يعرض نفس الموضوع فسرعان ما يسرى في ضميرك قول النبي ﷺ (رحم الله امرأً تكلم فغتم أو سكت فسلم) (١).

ونحن نرى أن أي خطاب بين مرسل ومستقبل يصدق عليه هذا الكلام، إذ ما الذي يهدف إليه «المرسل» من موضوعه إلا أن يصل إلى «المستقبل» هنيئاً مريئاً، «هنيئاً» أي شيقاً محبباً يثير استطلاعاً، ويجذب انتباهه، «ومريئاً» أي يسرى مسرى الطعام الشهى

الناضج من «المريء» إلى سائر أجهزة البدن بالصحة والعافية والنماء؛ وإذا كان هذا في مجال الطعام والغذاء في الجسم فكذلك يفعل الخطاب المقيد الموجه إلى المتلقي فإنه يعين على تنمية شخصيته لتكون شخصية فاعلة وإيجابية بين الناس تعي ما تقول، وتتقن ما تعمل.

وكثير منا عندما يقرأ هذه السطور فإنه - دون شك - ستقفز إلى ذاكرته الصور الإدراكية التي صالحت حواسه ووجدانه عن أصحاب الخطابات الرمضانية الذين مر بهم أو مروا به في أعوام مضت، فمنا من احتفظ وعيه بما سمع من قول مؤثر لا ينسى، ومنا من نسي ما سمع بمجرد انتهاء الخطاب، وانقضاء السامر، وزوال المناسبة!!

توظيف الخطاب الرمضاني

إن الخطاب الرمضاني خطاب غني بالمعاني المعبرة، والمواقف المؤثرة التي يمكن توظيفها في الحياة السلوكية العملية كما أرادها الله وليس اتخاذها كمجرد قصص تحكي أقوال الرواة، أو مواظب تروى لمصمصة الشفاة، ولنا في كتاب الله العزيز خير أسوة لمن يسهم في هذا المجال، حيث ترى القرآن الكريم كثيراً ما يقرون الإيمان بالعمل في مثل قوله الحكيم في مواقع عدة: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات... الآيات». فإذا كان الإيمان مطلباً أساسياً لتزويد الإنسان بالشحنة الدافقة والدافعة؛ فإن العمل

الصالح الناشئ عن هذه الشحنة الإيمانية والذي تسميه بالسلوك القويم والصراط المستقيم هو مناط العبادة الحقيقية التي تعبر عن خلافة الإنسان في الأرض لتعميرها بالهمم العالية وتنويرها بالقيم السامية كما أرادها الباري عز وجل.

وإننا لنعتقد أن الدرس التعليمي الذي لا يؤكد تحقيق أهدافه وغرسها «عملياً» في أنفس الطلاب لا يمكنه مطلقاً أن يؤتي ثماره التربوية المنشودة.

وبنفس القدر فإننا لا نظن أن الخطاب الديني الذي لا يحقق تعميق المعاني الإيمانية «عملياً» في أنفس المتلقين، لا نظنه قد أدى دوره الذي أمر به - سبحانه وتعالى - ودعا إليه - والد الدعاة ومعلم البشرية الحبيب محمد ﷺ.

هل هو خطاب موسمي

ولا ينبغي أن نقصر أهداف الخطاب الرمضاني على «موسم» معين، وإنما هي أهداف ممتدة طوال عمر الإنسان فرداً أو أمة؛ لأنها تقوم على كبح الشهوات الجامحة والنزوات الجانحة وتعميق معنى عبودية العبد لربه التي تقوم على الطاعة المطلقة لله «افعل» و«لا تفعل» دون أن تتسلل كلمة «لماذا» إلى خواطرننا المؤمنة الموقنة، وحسبنا أن نؤمن في أعماقنا بأن الذي خلقنا هو وحده الذي يعلم ما ينفعنا فيأمرنا به، ويعلم ما يضرنا فينهاينا عنه - جل شأنه وعز سلطانه -.

كن فيكون... لا تحتاج إلى مبررات

ومن هنا فإننا - في هذا السياق - لا نظن أنه من المفيد أن نضمن خطابنا الرمضاني بالمبررات التي تقول مثلاً: «إن التكليف بالصوم يحافظ على الصحة»، أو «إنه يشعر الغنى بمعاناة الفقير»، أو «إنه يدرب النفس على الصبر»، وغير ذلك من المبررات التي قد تكون علامات استبسطها البشر على طريق الصوم، ولكنها ليست من جوهر هذا الطريق التكليفي الحاسم الذي يقول:

﴿ كُنْ عَلَيْنَا الصِّيَامُ ﴾

البقرة: ١٨٣

أو:

﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (٢)

البقرة: ١٨٥

وهكذا نراه أمراً حتمياً أوضح من التفسير، وأعظم من التبرير؛ لأن الذي أمر به هو صاحب «كن فيكون» وهو وحده الذي قرن هذا الأمر الإلهي بقوله سبحانه:

﴿ لَكُمْ تَنَفُّونَ ﴾

البقرة: ١٨٣

فينبغي إذن أن يكون خطابنا الرمضاني في إطار «التنقوي» ومعانيها المتعددة، ومراميها «المتجددة» بتجدد الحركة البشرية عبر العصور.

﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾

المؤمنون: ٥٢

١- للبيهقي في شعب الإيمان عن أنس وعن الحسن مرسلاً، الجامع الصغير.

٢- أي لما لموا فرض صومه «تفسير القرطبي».

﴿ سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

القرآن والمعجزات الكونية

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

القرآن كتاب الله - عز وجل - الذي أنزله على عبده ومصلته محمد ﷺ ليكون آخر كلمات السماء إلى أهل الأرض؛ وليظل هكذا إلى قيام الساعة؛ ولذا استوعب كل قضايا الخلائق: التشريعية، والفكرية، والعملية؛ إجمالاً أو تفصيلاً، وهو المتصل بكل أطراف الوجود الإنساني والكوني مادياً ومعنوياً. قال الله - عز وجل -

﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾

(الأنعام: ٢٨)

ومن هنا كان متجدداً في دلالته.. وفي تفسيراته.. وفي إعجازاته..!! التي تكشف عن كل ما يتضمنه من قضايا تشريعية أو أدبية أو معرفية، ترقى بالفكر الإنساني العام وعلى كافة المستويات، ليؤكد بذلك أنه من عند الله - عز وجل -.

فإذا لم تستطع البشرية استيعاب ما فيه من دلالات، ومن مفاتيح للعلوم في عصر واحد، أو حتى في عصور متعددة، فذلك لحكمة بالغة يعلمها منزله جل وعلا، ولتجد البشرية فيه طلبتها في كل عصر وإلى أن تقوم الساعة. ولذا لم يستطع بشر مهما أوتى من العلم، ومن سعة الفكر، ومن قوة الاستبطاء، أن يدعى لنفسه أنه أتى بالتفسير النهائي لكتاب الله - تبارك وتعالى - ولكن هناك حالة واحدة افتراضية، يمكن أن يقال فيها ذلك.. وهي لا تكون إلا في اللحظات الأخيرة من عمر الحياة الدنيا، ولو جمع كل ما قيل منذ أن نزلت أولى آياته في

تفسيره وفي بيان إعجازاته المادية والمعنوية والكونية حتى آخر الزمان، لصح أن يقال: إن هذا هو تفسير القرآن، فهو لا يزال - وسيظل - يخاطب كل جيل بما يناسبه، ويصلح من شأنه: سمع من سمع، وأعرض عنه من أعرض.

قرآن يمشى بين الناس

ولقد كان رسول الله - ﷺ - يفسر من نصوصه المباركة حال نزوله ما يضيء الطريق أمام صحابته الأبرار وتابعيهم، ويعينهم على فهم أركان الإسلام، وآدابه، وأخلاقه، ويعينهم أيضاً على تصحيح العبادات والعقائد والمعاملات، وذلك بأقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ وكان يقف في كل ذلك عند ما تطيقه أفهامهم، وما يلبي حاجاتهم، ويترك الباقي للزمن، وما يستجد من قضايا علمية، أو كونية، أو فكرية؛ لأنه كتاب الزمن قال ﷺ: «ألا وإنني أوتيت القرآن ومثله معه»^(١) وحينما سئلت السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن حياته ﷺ قالت: «كان قرآنا يمشى بين الناس».

التفسير بالمأثور

وهذه المرحلة المبكرة من قصة التفسير القرآني، هي ما اصطلح عليه باسم «التفسير بالمأثور» وبعد ذلك جاءت

التفسير بالمأثور، أو بالرأى، أو بكليةهما معاً، حيث كانت تدور كلها حول أبحاث لفظية: نحوية، أو بلاغية. وحول روايات تخللتها خرافات إسرائيلية، وأحاديث لا أصل لها. وجاء تفسير الفخر الرازي فغلبت عليه العلوم العقلية والفلسفية والفلكية، ثم جاء تفسير الألوسي جامعاً للتفسير السابقة.. حتى ظهر الشيخ محمد عبده بنضجه العقلي، وانتقد جميع التفسيرات.. وتعهد السيد رشيد رضا مدرسة الإمام محمد عبده، وظهرت تفسيرات جديدة للشيخ طنطاوي جوهرى، وسيد قطب، والمنتخب من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وخواطر الشيخ الشعراوي، التي تستعين بالكونيات، لاقتناعه بالتفسير العلمي، الذي بدأ في عصرنا الحديث للدكتور محمد الغمراوي، والأستاذ حنفي أحمد، وغيرهم^(٢).

التفسير العلمي للقرآن

والذي لاشك فيه، أن التفسير العلمي والكوني للقرآن فتح جديد، يلفت النظر إلى كثير من معجزات هذا الكتاب الخالد؛ فالكون كتاب الله المفتوح للبشر جميعاً يرى فيه كل جيل من العلماء والباحثين ما يدل دلالة قاطعة على قدرة مبدعه - جل وعلا - والقرآن كتاب الله

(١) مستند أحمد، ١٢١/٤.

(٢) إعجاز القرآن في آفاق الزمان والكان، للدكتور منصور حبيب القتيبي، ص ١٠.

المقروء، الذي أنزله على عبده ومصطفاه محمد ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرناً بهذه الكلمات، التي لا تزال تقرأها، وسوف تظل البشرية تقرأها هكذا إلى قيام الساعة دون زيادة حرف واحد، أو نقص حرف واحد، أو تبديل حرف بآخر، حيث تكفل سبحانه بحفظه ورعايته، قال عز من قائل:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

والذي لا شك فيه أيضاً، أن عصرنا الذي نعيشه، قد تحقق فيه من الإنجازات العلمية والاكتشافات الكونية ما لم يتحقق مثله في أي عصر سابق، وستزداد هذه الاكتشافات العلمية والكونية في الأنفس والآفاق يوماً بعد يوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وسيظل القرآن يلاحق كل هذا ليثبت أنه السابق في الحديث عن كل ذلك صراحة أو ضمناً أو إشارة، حسبما أراد الله - عز وجل - الذي أنزله داعياً العقل البشري إلى المزيد من النظر والبحث والدرس والاكتشاف لآلاء الله الماثورة في هذا الكون الكبير، وفي أطرافه القريبة والبعيدة؛ حيث تركت كل هذه الآثار أدلة مادية وعلمية على أنها من صنع الله عز وجل.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

الدين الطبيعي للإنسانية

فالعالم الحديث بكل تفاصيله ومكتشفاته، وإلى أن تقوم الساعة، ما هو إلا دليل واضح على صدق القرآن في كل ما أخبر به، وتفسير لمعانيه، وبيان لأوجه إعجازه، وإن فيه لدربة لمن يتعاطى هذه العلوم، يحكم بها من الصواب ناحية، ويحرز من الرأي جانباً، وهي تفتق له الذهن، وتواتيه بالمعرفة الصحيحة على ما يأخذ فيه، وتخرج له البرهان، وإن كان في طبقات الأرض، وتنزل عليه الحجة وإن كانت في طباق السماء.

ولا جرم أن هذه العلوم مستدفع بعد تمحيصها، واتصال آثارها الصحيحة بالنفوس الإنسانية إلى غاية واحدة وهي تحقيق الإسلام^(١)، وأنه الحق الذي لا مرية فيه، وأنه فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأنه لذلك هو الدين الطبيعي للإنسانية، وسيكون العقل الإنساني آخر نبي في الأرض؛ لأن الذي جاء بالقرآن كان آخر الأنبياء من الناس؛ إذ جاءهم بهذا الدين الكامل، ولا حاجة بالكمال الإنساني لغير العقول بنبه إليه بعضها بعضاً، ومن لا يجب داعي الله فليس

بمعجز في الأرض^(٢).

القرآن والظواهر الكونية

والآن، جاء دور الحديث عن بعض الظواهر الكونية، التي أشار إليها القرآن الكريم، وكانت من الإعجاز العلمي لهذا الكتاب الخالد. قال الحق - تبارك وتعالى:

﴿ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَرَبِّيَ الْأَعْلَى ﴾

(فصلت: ٥٣)

فماذا قال عن آية خلق هذا الكون الكبير؟ وكيف أكدت الأبحاث العلمية صدق ما قاله من قديم الزمان؟ يقول الله - عز وجل -:

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

﴿ أَنَّا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا بَيْنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الأنبياء: ٣٠)

ويقول أيضاً:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ

﴿ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَعُونَ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا

وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الَّتِي بَصَنَّا بِيَوْمَيْنِ وَجَعَلْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

(فصلت: ١١، ١٢)

نحن الآن، أمام عدة قضايا أثارتها الآيات المباركات، وبطبيعة الحال لا يتسع المجال هنا للحديث عنها جميعها ومناقشتها، ولكننا سنكتفي بالحديث عن قضايا: الرق، والفتق اللذين حدثا بين السموات والأرض، والرؤية التي حث الله عليها الكافرين، بأسلوبه المعجز. والدخان الذي كان نتيجة الانفجار العظيم والذي تحدث عنه العلماء الكونيون، وأيده القرآن قبل اكتشافه بقرون ولفت الأنظار إليه بإشاراته العلمية الرائعة.

قضية الرؤية

إن قضية الرؤية هنا تحتل - والله أعلم - الرؤية العلمية، والرؤية البصرية معاً، وقد أدت الآية المباركة عملها على الجانبين في غاية الإعجاز، فهي بالنسبة لمشركي العرب زمن نزول القرآن رؤية علمية؛ إذ لم تكن وسائل الرؤية البصرية قد تحققت والأسلوب القرآني هنا في قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

(الأنبياء: ٣٠)

(١) أي إقامة الشريعة على ما حق من عند الله.

(٢) د: أحمد الشرباصي في كتابه (قصة التفسير) ص ٦٠، ٦١ ملحق مجلة الأزهر، الجزء الثاني.

يحسبهم في تبكيت وتوبيخ أن يروا بعين البصيرة، وأن يتدبروا آيات الله القادر في الكون المحيط بهم وهم أهل بصير وتعقل. ورؤيتهم هذه لمظاهر قدرة الله الخالق شيء ممكن بالنسبة لهم، بل كان منهم من رأى بعض هذه الظواهر الكونية قبل الرسالة المحمدية مثل جماعة الخنفاء حتى قال قائلهم: أرض ذات فجاج، وسماء ذات أبراج، وشمس تشرق وتغرب.. أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير...!!؟

أما الرؤية البصرية، فقد أخبر عنها الحق - تبارك وتعالى - قديما وبأسلوبه الرائق المتسق مما سوف يحدث في المستقبل حين قال:

﴿سَتَرْنَاهُ عَنِ الْبَاقِي فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

(فصلت: ٥٢)

وها، قد كان.. ورأينا ورأى العالم كله: شرقه وغربه، مؤمنه وكافره، آيات الله في الأنفس وفي الآفاق تنرى واحدة تلو الأخرى ولله الحمد.. رأوا أنه الحق.. فماذا شهد هؤلاء العلماء والباحثون؟ - والعجيب أن غالبيتهم الساحقة من غير المسلمين - وهو أيضا من آفاق الإعجاز

العلمي الباهر..

«لقد توصل العلم حديثا وبالبرهان العلمي القاطع إلى أن الكون حاليا يسبح في خلفية إشعاعية، ناتجة من الانفجار العظيم، الذي حدث منذ حوالي ١٣ بليون سنة.. وذلك عندما كان الكون كرة ملتهبة درجة حرارتها بلايين الدرجات، ثم انخفضت الآن.. مما يعطينا طاقة ضعيفة مناسبة، ولقد كان الإشعاع خطيرا على الطاقة في بداية نشأة الكون. ومازال صدها يصل إلينا حاليا بضعف شديد على هيئة إشعاع الخلفية الكونية والذي تم اكتشافه عام ١٩٦٨ تأييدا لنظرية الانفجار العظيم؛ وبذلك نفهم الآن معنى الآية الكريمة في قوله تعالى^(٥):

﴿أَوَلَمْ نَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا نَفْثًا فَفُتِقْنِيهِمَا﴾

(الأنبياء: ٣٠)

الاكتشافات الحديثة

ومما يؤكد وجود هذا الدخان الكوني، الذي تحدث عنه القرآن في قول رب العزة:

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾

(فصلت: ١١)

اكتشافه وتصويره الذي تم حديثا؛ حيث إن الولايات المتحدة الأمريكية، قد أطلقت في الثامن من نوفمبر عام ١٩٨٩ سفينة فضاء اسمها «كوب». وهو اختصار لاسمها الذي ترجمته (مكتشف الخلفية الكونية) في مدار على ارتفاع ٦٠٠ كيلومتر حول الأرض، بعيدا عن الغلاف الجوي لتجنب عوائق الرصد، وتطبيقا لأحدث تكنولوجيا قياس الإشعاع الحراري والكثافة المادية والضوئية والميكروويف. وقام القمر الصناعي «كوب» بإرسال ملايين الصور والمعلومات عن آثار المادة الدخانية الأولى التي نتجت بعد مرور ٣٠٠ ألف سنة من مولد الكون الذي عمره الآن حوالي ١٣ مليار سنة، أي أنها صور تذكارية للدخان الأول وصلتنا لتعبر عن الماضي السحيق وليس الحاضر.

القرآن والكشوف العلمية

لقد أشار القرآن الكريم إلى كل هذه الظواهر الكونية وغيرها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، ولم يكن وجد من البشر من عرف شيئا من ذلك،

ولقد صدقت الكشوف العلمية الكونية كل ذلك بكل دقة..!! فهل يجوز بعد ذلك أن يقال إن هذا القرآن من عند محمد؟! وأيضا لم يرد شيء صحيح من ذلك في كتب التوراة أو الأناجيل وما ورد في التوراة مما يشبه ذلك معلومات مشوشة غير مطابقة لما ثبت علميا، وهو ما يؤكد أنها ينصها الخالي ليست هي ما نزل من عند الله - عز وجل - على كليمه موسى عليه السلام. أفهل يصح بعد ذلك أيضا أن يقال: إن محمدا قد استوحى هذا القرآن من كتب التوراة...!!؟

هذا هو كتاب الله.. القرآن.. يعلن عن نفسه، وتعلن عنه الكشوف العلمية والكونية التي تتم على أيدي أعدائه الذين يحاربونه، ويطلقون حوله الأكاذيب وينشرون الأراجيف.. هذا هو القرآن الذي قال الله فيه:

﴿وَأَنزَلْنَا لَكَ نُورًا مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَأَنزَلْنَا خَلْقَهُ مَنزِيلًا مِّنْ حَيْكُمِ جَبَلٍ﴾

(فصلت: ٤١، ٤٢)

(٥) اقرأ كتاب «إعجاز القرآن في آفاق الزمان والكان» ص ٣٥ وما بعدها.. مع ملاحظة أننا تجنبنا ذكر الأرقام والمصطلحات العلمية التي لا يترك مغزاها غير التخصص، حرصا على وضوح الفكرة لدى القارئ غير المتخصص.

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[فاطر: ٢٨]

قراءة إيمانية في كتاب الكون والحياة

للاستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

نائب رئيس جامعة القاهرة سابقا

ثمرة العلم والإيمان

يقول الله - تعالى - في كتابه الكريم:

﴿ وَلِلَّهِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُمْ أَعْيُنُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُمُ الْإِيمَانُ كَمَا نَزَلَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة الحج: ٥٤)

و«أُخْبِتَ» في اللغة تعنى: خضع وتواضع، ففي هذه الآية الكريمة يتبّه القرآن إلى دور العلم في تأسيس الإيمان بأن ما يقوله الأنبياء والرسل إنما هو الحق

المنزل من عند الله - سبحانه وتعالى - وأن الله ليتولى المؤمنين دائما بعنايته، فيهدبهم إلى معرفة الطريق السليم، فيتبعونه، ويدلنا هذا التعبير القرآني المعجز على جوهر العلاقة بين العلم والإيمان، فالعلم يتبعه الإيمان تبعية ترتب بلا تعقيب، والإيمان تبعه حركة القلوب من الإخبات والخشوع لله تعالى، وهكذا يثمر العلم الإيمان، ويثمر الإيمان الإخبات، والتواضع لله رب العالمين.

ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا الَّذِي آمَنُوا وَرِثْنَا الْقِلَابَةَ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(سورة هود: ٢٣)

أى أن الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة، وخضعت قلوبهم واطمأنت إلى قضاء ربها، هؤلاء هم المستحقون لدخول الجنة والخلد فيها، هؤلاء هم «الخبثون» الخاضعون لله من عباده، فأسلموا له وحده أمرهم، وأخلصوا له عملهم، واستحقوا البشري بالجنة والشواب الجزيل، مصداقا لقوله سبحانه:

﴿ قُلْ أَتُكْفَرُ بِهِ أَلِلَّهِ أَتُجَدِّدُهُ أَسَلِمُوا وَيَتَّبِعُوا الْمُحْسِنِينَ ﴾

(سورة الحج: ٣٤)

ونقرأ في القرآن الكريم آيات كثيرة تكررت فيها العبارات الموقظة للفكر من غفلته، والحدرة للإنسان من ريقه تقليده وجموده، والمؤسسة لعقيدة التوحيد الخالص من خلال استعراض مشاهد الكون وحقائقه، بعيدا عن أوهام الفلسفات الوضعية الإلحادية التي تحجب عن أنصارها نور العلم والإيمان وثمارهما، فالباحث في العلوم بعامة، يظل مجرد مشتغل بالبحث العلمي، ولا يرقى إلى مرتبة «العالم» إلا إذا تحقق فيه قول الله عز وجل:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

(سورة فاطر: ٢٨)

عندئذ فقط تكون لغته الإيمانية موافقة لمقولاته العلمية التي يستقرؤها من لغة الكون وإشاراته، باعتباره كتاب معرفة لأصحاب العقول التامة، والقلوب الخاضعة الخاشعة، والأنفس النقية المطمئنة الموصولة بالله رب العالمين. ويأبى الإسلام الخفيف إلا أن تقوم العقيدة، ويؤسس الإيمان الذي يثمر الإخبات والخشوع لله رب العالمين، على أساس العلم الصحيح، وليس على أساس التقليد أو الظن أو التسليم الأعمى، ولذا رد القرآن الكريم مزاعم المشركين في آلهتهم بقوله:

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْمُتَشَبِّهِينَ أَلا تُلَاقُوا الْقُلُوبَ لَأَنْفِي مِنَ الْقَوْمِ السَّاجِدِ ﴾

(سورة النجم: ٢٨)

كما عاب على الذين يقولون:

﴿ بَلْ نَسْبُحُ مَا أَفْنَاءُ عَلَيْهِمْ أَبَاءُنَا ﴾

ورد عليهم بقوله:

﴿ أُولَئِكَ كَانُوا ابْأَوَاهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

(سورة البقرة: ١٧٠)

وصاح في أصحاب العقائد الباطلة:

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

(سورة البقرة: ١١١)

وفرض على أتباعه أن يتفكروا ويسمعوا إلى طلب العلم، مثلما فرض عليهم أن يتعبدوا ويتوجهوا إلى بارئهم طلبا للرضا والغفران، حتى تظمن قلوبهم إلى معرفة الحق الذي نثلج به الصدور، قال تعالى:

﴿سُورَةُ
الْأَنْعَامِ: ١٠٢﴾

(سورة فصلت: ٥٣)
وعقيدة الإسلام - باستنادها إلى العلم الصحيح - تؤكد قوتها وحجيتها، ولا تخشى أن يأتي العلم بنتائج تناقض حقائق الدين ومسلماته وأصوله الثابتة، فالحق لا ينقض الحق ولا يعارضه، وإذا بدا لنا في بعض الأحيان تناقض ظاهري، فإن مرده أن يحسب ما ليس من العلم علما وما ليس من الدين دينا.

وتأسيسا على هذه المعاني يكون العلم في الإسلام طريقا إلى الإيمان الخالص الذي يشمر الخشية والخضوع، ويكون البحث العلمي السليم في ظواهر الكون والحياة دليلا للاهتمام بحقائقه إلى قدرة الله ووحدانيته ويكون الثبات على العلم بأنه لا معبود بحق إلا الله نعمة عظمى تستوجب الحمد والشكر الدائمين لله رب العالمين، فنحن نرى آياته في أنفسنا، وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وملاحظة آثار قدرته وعظمته، قال

تعالى:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ مُتَوَكِّلُونَ﴾

(سورة محمد: ١٩)

إن البحث العلمي، إذا ما تجرد عن الهوى والتعصب، فإنه لا بد وأن يصل بالباحث إلى نتائج من الواقع الكوني توافق إحساس الفطرة السليمة، وتوصل إلى الإيمان بالله - تعالى - وبصفاته الجليلة، وبكل مبدأ قرره الدين الإسلامي الخفيف.

حياة العناكب

قال تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً مَثَلُ الْعَنْكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ يَتَاوُنًا آلِهَتَهُنَّ الْبُيُوتَ لَيْتَ الْعَنْكَبُوتُ

(سورة العنكبوت: ٤١)

وجاء في كتب التفسير أن الله - سبحانه وتعالى - شبه الكافرين في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في اتخاذها بيوتا ضعيفا واهيا لا يجير آويا ولا يريح تاويا، بل إن شأن الموالين لغير الله في الضعف والوهن والاعتماد على غير معتمد كشأن العنكبوت في اتخاذها بيتا تحتوى به، وبيتها أوهن البيوت وأبعد عن الصلاحية للاحتماء، ولو كان هؤلاء

المبطلون أهل علم وفطنة لما فعلوا ذلك.

ويذكر التاريخ الإسلامي قصة نسيج العنكبوت على الغار إبان هجرة سيدنا محمد ﷺ مما أبعد عنه الكفار، وكان أن حفظه الله - تعالى - منهم، وقضى ربنا بأن يجد الدين الإسلامي الخفيف طريقه لهداية العالم، فقدم العنكبوت بذلك أعظم هدية وفائدة للإنسانية، وهو من بين أضعف مخلوقات الله.

ومن لطائف التعبير القرآني أن المقصود بالوهن المذكور في الآية القرآنية الكريمة ربما يكون مرجعه إلى ما كشف عنه العلماء من ضعف البنية الاجتماعية في بيوت العنكبوت، حيث يقتصد هناك الترابط الأسري ورعاية الأجيال للذات هما من سمات الحياة للحيوانات الراقية فلا نجد في عالم العناكب سوى أنثى تطيح برأس زوجها، أو صغارا تهجر مواطن أهلها... إلى غير ذلك من مظاهر التفكك وعدم الترابط.

ولقد اهتم علماء الحضارة الإسلامية بدراسة العناكب، ووصفوا أنواعها وطبائعها، ودونوا نتائج دراساتهم في عدد من الكتب التراثية، مثل كتاب «الحيوان» للجاحظ، وكتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدميري، وكتاب «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» للقرظي، وغير ذلك.

وتوصل العلم الحديث إلى وصف أكثر من خمسة وثلاثين ألف نوع من العناكب

Spiders المختلفة الأحجام والأشكال والألوان والطبائع والغرائز، ويعتبر عنكبوت المنزل المعروف أقل هذه الأنواع ابتكارا وتفننا في صنع نسيجها، ولاتزال الدراسة الميدانية والبحوث العلمية المتقدمة تكشف عن المزيد من أنواع العناكب.

وقد لاحظ العلماء، من دراسة حياة العناكب، أن بيت العنكبوت له شكل هندسي خاص دقيق الصنع، ومقام في مكان مختار له في الزوايا، أو بين غصون الأشجار، وأن كل خيط من الخيوط المبنى منها البيت مكون من أربعة خيوط أدق منه، ويخرج كل خيط من الخيوط الأربعة من قناة خاصة في جسم العنكبوت، ووجه الباحثون أن العناكب لها قدرات فائقة في العمليات الإنشائية حين تشيد بيوتها وتنسج غزلها، وكشف العلماء عن ثلاثة أزواج من المغازل توجد في مؤخر بطن العنكبوت، تأتيها المادة الخام عن طريق غدد خاصة.

وإذا كانت خيوط العنكبوت الحريرية رفيعة جدا، وتبدو ضعيفة واهية تمزقها هبة ريح، إلا أن أبحاث العلماء أوضحت أنها على درجة عالية من المتانة والشدّة والمرونة، حيث يمكن شد أحد هذه الخيوط بقوة تزيد طوله بأكثر من نصف مقداره الأصلي، ومن عجائب حياة العناكب أنها تتخذ خيوطها لغة للتحدث والتخاطب، فعندما يقف الذكر على طرف الشبكة ويجذبها تخرج الأنثى

لاستقباله، أو قد ترد عليه بأن تجذب هي
الخيوط بطريقة مخالفة، فكأنهما
يتبادلان حديثا سلكيا خاصا.

الجماذية في القضاء الخارجى، ويواصل العلماء بحوثهم المكثفة للإفادة من تحرير العنكبوت على النطاق التجارى، على غرار ما حدث بالنسبة لاستخدام الحرير المنتج بواسطة دودة القز.

دور الوقف في خدمة المجتمع

للمستشار / حسن حسن منصور

نائب رئيس محكمة النقض

اقتضت حكمة الله تعالى من بعث الرسل، تحقيق سعادة البشر في حياتهم الدنيا والآخرة. ومن ثم كانت أهم خصائص رسالة الإسلام الخاتمة، أنها كما هي عقيدة، تنظم علاقة الإنسان بربه، فهي شريعة، تنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، بما يحقق لهم جميعاً هذه السعادة، وقد كفلت هذه الشريعة العديد من الوسائل، التي توصل إلى هذه الغاية، ومنها نظام الوقف، الذي قالت عنه المذكرة الإيضاحية للقانون الصادر في شأنه رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦، إنه نظام مشروع، عاش أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، كان خلالها مصدراً للخير، ومنبعاً غزيراً، يفيض على جهات البر المختلفة، وقد وقى كثيراً من البيوت العظيمة والأسر الكريمة، من شر تكبات الدهر، وحفظ عليها كيانها.

والوقف بالصورة الواسعة على جهات البر، غير دور العبادة، لم يعرف إلا في الإسلام، وكان أول وقف في الإسلام، هو وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي أشار به النبي ﷺ، وكثرت من بعده أوقاف الصحابة، حتى أنه لم يكن أحدهم يمتلك عقاراً، إلا وقد أوقف بعضه.

وكما يقول أستاذنا الشيخ محمد أبو زهرة: لقد أدى الوقف دوراً كبيراً في باب التكافل الاجتماعي، في عصور طوبلة بمصر والشام والعراق وغيرها من البلاد الإسلامية، فكانت الأوقاف على الفقراء، والخانات لإيواء ابن السبيل وعلى القرى الحسنة، بل إن الإحسان في الوقف، تجاوز الإنسان إلى الحيوان، فكان الوقف على بعض الحيوان وتجاوز جلائل الأعمال الظاهرة، إلى الأمور التي لا يلتفت إليها، حتى أنه وجد في بعض الأوقاف، تعويض الأسر عما يتلقاه الخدم فيها، رحمة بالضعفاء من هؤلاء الخدم، حتى لا يؤذوا.

وإذا كان الوقف من الصدقات غير اللازمة، إلا أنه اختص بميزة فريدة من بين الصدقات، ألا وهي ما له من صفة الدوام، وذلك لأن موضوع الوقف هو المنفعة المستمرة، فإن له دور متجدد في التنمية الاقتصادية في المجتمع، بل التنمية

المستدامة، التي تشمل حاضر المجتمع، كما تشمل مستقبله، بما يحقق الرخاء الدائم لكل أفراد.

وإذا كان التطرق لكل أحكام الوقف، سواء من الناحية الشرعية أو القانونية، من السعة والتفصيل، بما يعجز المجال عن استيعابها، ويضيق المقام عن سردها، فإننا نقتصر في هذا المقام، على بيان دور الوقف في تنمية المجتمع، وهذا يقتضي استعراض المسائل المرتبطة بذلك، وخاصة من وجهة النظر الشرعية والقانونية والاقتصادية.

تعريف الوقف

لغة: الوقف له العديد من المعاني، منها: الحبس والمنع، كوقف السيارة أي منعها من السير، ومنها الاطلاق: فيقال أوقفه على الأمر، أي أطلعه عليه ومنها: وقف الأرض، أي حبسها ومنع التصرف فيها للغير.

ب- في الاصطلاح: اختلفت كلمة الفقهاء حول تعريف الوقف، ونختار ما قاله الأحناف فيه، باعتبار أن الراجح في مذهبهم، هو الواجب التطبيق على الوقف، في حالة عدم وجود نص في القوانين المتعلقة به، فعند أبي حنيفة الوقف هو: حبس العين على ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة. وعند محمد الوقف هو: حبس العين على حكم ملك الله تعالى.

دليل مشروعية الوقف

إذا كانت كلمة الفقهاء اختلفت حول تعريف الوقف، إلا أنه اتفقت على الوصف الشرعي للوقف، وهو أنه من الأمور المندوب

إلى فعلها شرعاً، وأن دليل مشروعيتها وردت في المصادر الأصلية للشريعة الغراء، وهي الكتاب والسنة والإجماع كالاتي:-

أ- الدليل من الكتاب العزيز:-

لما كان الوقف في حقيقته من أوجه الإنفاق في سبيل الله، فقد وردت آيات متعددة في القرآن الكريم تحت عليه، ومنها على سبيل المثال، قول الحق تعالى:

﴿لَنْ نَأْتِيَ بِالنَّاصِيَةِ تَبِغُوا بِنَا غَيْرُونَ وَمَنْ يَغْتَبِ بِنَا فَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَفْعَلُ خَبِيرًا﴾

(آل عمران: ٩٢)

ب- الدليل من السنة النبوية المطهرة:-

وذلك في الأحاديث الآتية:-

١- روى البخاري والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال: «من احتبس فرساً في سبيل الله، إيماناً بالله، وتصديقاً بوعده، كان شعبة وريه وروثه وبوله، حسنات في ميزانه يوم القيامة».

٢- روى البخاري والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن عمر أصاب من أرض خيبر، فقال يا رسول الله إني أصبت أرضاً بخيبر، لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فكيف تأمرني به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها»، فتصدق بها عمر، على ألا تباع ولا توهب ولا تورث وتكون في الفقراء وذوي القربى وفي الرقاب والضييف وابن سبيل، لا جناح علي من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير متمول. وفي بعض الروايات: «وأوصى به إلى حفصة أم المؤمنين

رضي الله عنها، ثم إلى الكبار من آل عمر، وفي بعض طرق البخاري، أن الرسول ﷺ قال: «تصدق بأصله، لا تباع ولا توهب ولا تورث، ولكن ينفق ثمرة».

٣- روى مسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «إذا مات الإنسان (أو ابن آدم)، انقطع عمله، إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوه له، وقد قال العلماء: إن فائدة عمل الإنسان وتجديد ثوابه، لا تصل إليه فائدة شيء من عمله كصلة وحج، إلا من ثلاثة أشياء، فإن ثوابها لا ينقطع، لكونه فعلاً دائماً الخير متصل النفع، وفائدة التكرير مزيد تقرير واعتناء بشأنها، والاستثناء متصل تقديره ينقطع ثواب أعماله، من كل شيء كصلة وزكاة وحج، ولا ينقطع ثواب عمله من هذه الثلاثة، ومنها الصدقة الجارية أي الدائمة المتصلة، كالوقوف المرصودة، فيدوم ثوابها مدة دوامها.

ج- الدليل من الإجماع:-

فقد أجمعت الأمة من لدن رسول الله ﷺ، حتى يومنا هذا على مشروعية الوقف، وقد وقع الاتفاق عليه من جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فقد روى ابن قدامة في المغني: جاء اتفاق الصحابة العملي في أوقافهم، لما كتب عمر رضي الله عنه كتاب وقفه في خلافته، وأشهد عليه نفرًا من الصحابة، فإنهم تابعوه، ووقفوا أموالهم على طريقته، حتى قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: ما أعلم أحداً كان له مال من المهاجرين والأنصار، إلا حبس من ماله صدقة مؤبدة، لا تشتري أبداً ولا توهب ولا تورث.

أركان الوقف

هناك أربعة أركان للوقف، إجمالاً هي: الواقف: وهو صاحب المال، الموقوف: وهو المال محل الوقف، الموقوف عليه: وهو جهة الخير أو الفرد، بحسب نوع الوقف، خيري أم أهلي، الصيغة الدالة على إنشاء الوقف.

وقد اتفق الفقهاء على أن الوقف من التصرفات التي توجد بإرادة واحدة، وهي صدور الإيجاب من الواقف، دون حاجة إلى قبول من الغير، إلا أن القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ بشأن الوقف، تطلب في المادة التاسعة منه، إذا كان الموقوف عليه جهة خيرية لها من يمثلها قانوناً، كالجمعيات الخيرية، أو معاهد العلم كالجوامع، وغيرها، أن يصدر قبول صريح من ممثل هذه الجهات، دون غيره، لهذا الوقف، باستغلال ثماره وغلته، وبدون هذا القبول يبطل الاستحقاق في الوقف، وينتقل للجهة التالية لها إن وجدت، فإن لم توجد اعتبر الوقف منتهياً.

ولكل من هذه الأركان شروط متعددة، وأحكام مختلفة، وهي من الكثرة والاتساع، بما يجعل ذكرها، أو حتى مجرد التعرض لها، يضيق المقام عن الإشارة إليها، ويمكن الرجوع إليها في الكتب المتخصصة.

تقنين أحكام الوقف

ما قبل صدور القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ بشأن الوقف، كان القانون الواجب التطبيق على مسائل الوقف، هو الرأي الراجح في المذهب الحنفي، إعمالاً لنص المادة ٢٨٠ من

المرسوم بقانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ بلاحقة ترتيب المحاكم الشرعية، ولكن نظراً لأهمية الوقف في حياة المجتمع المصري، بعد صدور قوانين الموارث والوصية، وأغالب الحسبية وغيرها، فقد تدخل المشرع وأصدر القانون سالف الذكر، ثم بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، تسارع إصدار العديد من القوانين المتعلقة بالوقف، وهي من الكثرة بما يصعب حصرها بدقة، ولكن يمكن الإشارة إلى المهم والرئيسي منها، وذلك كالآتي:-

١- القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٥٢ في شأن إلغاء الوقف على غير الخيرات، وتعديلاته.

٢- القانون رقم ٢٤٧ لسنة ١٩٥٣، بشأن النظر على الأوقاف الخيرية، وتعديل مصارفها على جهات البر، وتعديلاته.

٣- القانون رقم ١٤٧ لسنة ١٩٥٧، بتعديل المادة ٩٧٠ من القانون المدني، بإضافة حكم جديد، بعدم جواز تملك الأموال الخاصة بالدولة أو الأشخاص الاعتبارية العامة وكذلك أموال الأوقاف الخيرية، أو كسب حق عيني عليها بالنقادم.

٤- القانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٥٨، بشأن تخويل وزارة الأوقاف إدارة الأعيان، التي انتهى الوقف فيها، متى كان الاستحقاق فيها لأشخاص مقيمين خارج مصر.

٥- القانون رقم ٢٧٢ لسنة ١٩٥٩، الخاص بتنظيم وزارة الأوقاف، ولاحقة إجراءاتها.

٦- القانون رقم ٢٦٤ لسنة ١٩٦٠، بشأن استبدال الأراضي الزراعية الموقوفة على جهات البر العامة، للأقباط الأرثوذكس.

٧- القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٧١، بإنشاء هيئة الأوقاف المصرية.

٨- القرار الجمهوري رقم ١١٤١ لسنة ١٩٧٢، بتنظيم هيئة الأوقاف المصرية.

وهذه القوانين ليست وحدها التي تحكم نظام الوقف في مصر، بل هناك العديد من القرارات الجمهورية واللوائح التنظيمية، التي يصعب الوصول إليها وحصرها، وما أوردناه آنفاً ومن باب التذليل على وجود غابة متشابكة من التشريعات الصادرة في خصوص الوقف، بما يتم عن صعوبة التعامل المحيط بكل جوانب هذا النظام.

ومما يزيد من صعوبة الأمر، تلاحق التعديلات التشريعية على قوانين الوقف، إلى الدرجة أن يصدر في العام الواحد أكثر من خمسة قوانين، فعلى سبيل المثال: التعديلات القانونية الصادرة عام ١٩٥٣، بالقانون رقم ٣٤٢ لسنة ١٩٥٢، بتعديل بعض أحكام القانون السابق، والقانون رقم ٢٤٧ لسنة ١٩٥٣، بشأن النظر على الأوقاف الخيرية، وتعديل مصارفها على جهات البر، والقانون رقم ٣٩٩ لسنة ١٩٥٣، بتعديل بعض أحكام القانون رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢، والقانون رقم ٥٤٧ لسنة ١٩٥٣، بتعديل بعض أحكام القانون رقم ٢٤٧ لسنة ١٩٥٢، والقانون رقم ٦٥٧ لسنة ١٩٥٣، بتعديل بعض أحكام القانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٤٧، بشأن إجراءات الأماكن، وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين.

الأهمية الاقتصادية للوقف

من المعلوم أن الوقف، لا تقتصر أهميته على جوانب نشر الدعوة الإسلامية، والتعليم والتدريب وحفظ القرآن الكريم، والرعاية والمساعدات الإنسانية والاجتماعية، بل أصبح الوقف في العصر الحديث، يقوم بوظيفة على درجة كبيرة من الأهمية، ولا سيما في الجوانب الاقتصادية والتنمية في المجتمع.

بنظرة سريعة إلى حالة الوقف في مصر، في بداية خمسينيات القرن العشرين، تنضح هذه الأهمية الاقتصادية للوقف، حيث تشير الإحصاءات الرسمية في هذا الوقت، أن مساحة الأرض الزراعية الموقوفة بلغت ٦٠٠ ألف فدان، بما يمثل نسبة ١٠٪ من إجمالي الأرض الزراعية المصرية، وهي حوالي ٦ مليون فدان، وكان يضاف كل عام، وقف أرض زراعية بمساحة ١٢٠ ألف فدان، وتظهر هذه الأهمية أكثر وضوحاً، بالنظر إلى أن إجمالي الأرض الزراعية التي خضعت لنظام الإصلاح الزراعي، بعد ثورة يوليو، بلغ ٦٠٠ ألف فدان.

وفي إحدى الإحصائيات الصادرة عن وزارة الأوقاف، خلال عام ٢٠٠٠، ذكرت الوزارة، أن هيئة الأوقاف المصرية، تقوم بتمويل العديد من المشروعات القومية الكبرى، التي تدفع عملية التنمية، وتدعم النشاط الاقتصادي، مما يؤكد هذه الأهمية، بما أشارت إليه كالاتي:-

١- المساهمة في شركات: الحديد والصلب، «أدفينا» للأغذية والمحفوظات، المصرية للأغذية «يسكو مصر»، وصناعة الورق «راكستا»، والصناعات الكيماوية «كيما»، ومصر

للألبان، والعربية المتحدة للغزل والنسيج، والسويس للأسمنت، ومصر للتعمير والإسكان، وغير ذلك من الشركات الإنتاجية. ٢- ودائع هيئة الأوقاف في عدد من البنوك اقليمية، وبنك القاهرة بالسعودية، والبنك العربي باليونان، وشهادات الاستثمار البنك الأهلي وبنك التنمية، وغيرها.

٣- إنشاء المئات من العمارات السكنية، وقامت الهيئة ببيع بعض وحداتها، وتأجير البعض الآخر للأفراد والأشخاص الاعتبارية.

٤- استغلال حوالي مائة ألف فدان أرض زراعية، وتأجيرها للمواطنين طبقاً للقانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٢.

٥- شراء ٢٢٠٠ فدان من حدائق أنشاص بالشرقية، مزروعة بالفواكه المعدة للتصدير.

٦- شراء حوالي خمسة آلاف فدان من أراضي شركة وميسر الزراعية

٧- تخصيص ٤٨ ألف فدان من مشروع شرق العوينات، وتخصيص ٢٠ ألف فدان في مشروع توشكي، وجارى استصلاحها على نفقة الهيئة.

٨- استغلال أعيان وقف محمد علي في قولة باليونان، في مشروعات سياحية.

ومراعاة لهذه الأهمية الاجتماعية والاقتصادية للوقف، فإنه يجب إعادة النظر في كثير من الجوانب العملية في مسيرة تطبيق أحكام الوقف، خاصة من النواحي التنموية والتشريعية، على نحو ما سنحاول بيانه في مقال قادم بإذن من الله تعالى، وهو ولي التوفيق... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحقيقة

في

ميراث

الإسلام

٧

الصدقة تنفع المتوفى (ب)

أما قراءة القرآن على المتوفى ففيها خلاف بين العلماء أخصه فيما يلي:

قال الإمام النووي: المشهور من مذهب الشافعي أن ثواب قراءة القرآن على المتوفى لا تصل إليه، وقال جماعة من العلماء أنه يصل ثوابها، وبهذا قال الإمام أحمد بن حنبل، وأما الصلاة وسائر الطاعات فلا يصل ثوابها عندنا ولا عند الجمهور، وقال أحمد - رحمه الله - يصله ثواب الجميع كالحج.

قال ابن القيم: والعبادات قسمان: مالية، وبدنية، وقد نية الشارع بوصول ثواب الصدقة على وصول ثواب سائر العبادات المالية، وتبه بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب سائر العبادات المالية، وأخير الشارع بوصول ثواب الحج المركب من العبادة المالية والبدنية، فالأنواع الثلاثة ثابتة بالنص والاعتبار، وفي هذا أود أن ألفت نظر القارئ إلى صلاة الجنائز ماذا تقرأ في التكبير الأولى؟ هذا ومن المعلوم أنه لا يد من نية الفعل عن المتوفى.

واليك بعض الأحاديث الشريفة التي تتعلق بوصول ثواب الصدقة إلى المتوفى في الحديث المتفق عليه عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إن أمي أفتلتت نفسها ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أقلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال نعم.

«أفتلتت نفسها» نفسها ونفسها بنصب السين ورفعها فالرفع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله والنصب على أنه مفعول ثان قال القاضي أكثر روايتنا فيه النصب، وقوله أفتلتت بالفاء هذا هو الصواب الذي رواه أهل الحديث وغيرهم قالوا ومعناه ماتت فجأة وكل شيء فعل بلا تمكث فقد أفتلت ويقال أفتلت الكلام واقترحه واقتضبه

لفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي شحاتة

الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية

إذا ارتجله «وأظنها لو تكلمت» أي لو قدرت على الكلام.

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي والترمذي، وغيرهم أن رجلاً قال: «يا رسول الله! إن أمي توفيت أفينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: نعم. قال: فإن لي مخرفاً فأشهدك أن قد تصدقت به عنها».

قال أبو عيسى هذا حديث حسن، وبه يقول أهل العلم، يقولون ليس شيء يصل إلى الميت إلا الصدقة والدعاء وقد روى بعضهم هذا الحديث عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن النبي ﷺ مرسلًا قال: ومعنى قوله «إني لي مخرفاً» يعني بستانًا.

وقد سبق أن ذكرنا ما يتعلق بالحج والصيام وقراءة القرآن.

فالأحاديث الشريفة السابقة وغيرها أحاديث مباركة فيها الخير والرحمة والبشرى، فيها فتح أبواب قبول الصدقة ووصول ثوابها من الأحياء إلى الأموات، خاصة أولى الأرحام منهم، حيث يقول الله عز وجل:

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾

(الأحزاب: ٦)

وجاء في صحيح ابن خزيمة - رحمه الله - باب الصدقة عن الميت: «خرج سعد بن عبادة مع النبي ﷺ في بعض مغازيه فحضرته أم سعد الوفاة فقيل لها: أوصي. قالت: فيما أوصى إنما المال مال سعد؟! فتوفيت قبل أن يقدم سعد فلما قدم سعد ذكر له ذلك فقال: يا رسول الله هل ينفعها أن أتصدق عنها؟ قال: نعم. قال سعد: حائط كذا وكذا صدقة عنها».

وعلى ما تقدم فقد رأينا رحمة الله - تعالى - التي أجراها على لسان رسول الرحمة محمد - ﷺ - ففتح باب القبول للصدقة عن التوفي سواء أوصى أولم يوص. وسبحان الله إن الصدقة على التوفي لنيل الثواب وتكفير السيئات، ورفع الدرجات، هي باب عظيم من أبواب بر الوالدين بعد المسات، ومن المعلوم والشايت أن بر الآباء والأمهات من أعظم القربات إلى الله - تعالى - وقد أمر الله - تعالى - عبادة بعبادته وتوحيده وجعل بر الوالدين مقررنا بذلك.

فقال تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّكَ بِلِقَٰئِ رَبِّكَ لَكُنْتَ عِنْدَ الْكَرِيمِ بِرَّ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُ لَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾

(الإسراء: ٢٣، ٢٤)

كما قرن - جل شأنه - شكر الوالدين بشكره فقال تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنَةً ۖ إِنَّهُ كَرِيمٌ فَاعْبُدْهُمَا وَهَنَ عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلْهُ فِي عَمَلَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لَوْ وَلَدَيْكَ إِلَىٰ الْغَصْبِ﴾

(لقمان: ١٤)

وبعد جعل القرآن العظيم البر بالوالدين وصفا للأنبياء والمرسلين فقال عن يحيى - عليه السلام:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾

(مريم: ١٤)

وقال عن عيسى - عليه السلام:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْنِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾

(سورة مريم آية ٣٢)

وقال عن يوسف - عليه السلام:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

(يوسف آية ١٠٠)

هذا وكم في القرآن الكريم من آيات بينات تحث على البر بالوالدين وترفع منزلة البار بهما إلى الدرجات العلا.

وكذلك في السنة المطهرة الصحيحة من ذلك إتيان إتيان أن بر الوالدين من أفضل الأعمال عند الله - تعالى - بعد الصلاة التي هي عماد الدين.

فقد روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «والصلاة على وقتها»، قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين»، قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قال: حدثني بهن ولو استزدته لذادني».

قال: إن منا من وفقه الله وأعانه على البر بالوالدين في حياتهما، ومنا من لم يوفق إلى ذلك الفضل العظيم والخير العظيم والرحمة الواسعة، ومنا من لم يسعد بالوالدين أو أحدهما وهو شاب يستطيع القيام برهما، فأما من وفقه الله - تعالى - إلى أن يكون باراً بالوالدين

في حياتهما فهنيئاً له بذلك وعليه ألا يحرم نفسه من مواصلة برهما بعد وفاتهما، امتداداً للخير له ولهما على السواء، وأما من لم يوفق إلى البر بالوالدين في حياتهما أولم يتمتع بهما وهو قوى راشد يمكنه برهما، فإن الصدقة عليهما فرصة طيبة للبر بهما بعد وفاتهما، ولقد بلغ من فضل الصدقة أنها مع غيرها من أعمال البر التي يصل ثوابها إلى التوفي، تمحو العقوق الذي صدر من أولادهما تجاه والديهما، فكم من الناس من أساء إلى والديه وهو يقول: كيف أصلح ما مضى؟ وكيف أعرض الوالدين عن برهما وأكفر عن عقوقي لهما؟.

والجواب على ذلك ما رواه البيهقي في شعب الإيمان: «عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد ليموت والداه أو أحدهما وأنه لهما لعاق فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله باراً».

وأخرج أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول أني هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك».

وروى أبو داود وابن ماجه عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبي شيء أبرهما به بعد موتيهما؟ قال: «نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما».

في ذكرى مصطفى صادق الرافعي

رثاء الأمير شكيب أرسلان للرافعي

نشر أمير البيان أرسلان هذه المرثية الحارة، بعد أن طبع ديوانه الشعري، فلم تنشر به، لذلك رأيت أن أعيد نشرها، لما تضمنت من تعداد آثار الرافعي، فهي وحدها سجل لتاريخه الكريم رحمهما الله!

إن الذي قد ضم جسمك للثرى
كان ابن بحر واحداً ففضلته
الرافعيين الأتلى فرعوا العلى
هي عزة أبقى أبو حفص لها
جمعت إلى أنسابها أحبابها
من مثل تادئة الزمان «المصطفى»
إلا تكن قد أنجبت إلا أبا
قد كان في جيش البيان مكانه
ما إن رأى العصر الحديث نظيره
قل للمحاول أن يرى أنداده
ملاً الزمان بدائعاً وروائعاً
تلك القريحة تمترى أخلافها
إذ الذي قد ضم فيه العبقري الأكبر
بأوائل كانوا جميعاً أبحرا
وتدبروا في كل فن عبقراً
مجداً يتيه على السماك ومفخر
وغدت نجر من الأئمة عسكرياً
سلطان من وثى الطروس وحبراً
سام كفاها أن تسود وتظهر
ما كان يوماً تبع في حمير
فحلاً يبارى الأولين، ولن يرى
أقصر فكل الصبد في جوف الفرى
بقريحة تحكى الغمام المطر
أبدأ، وليس يغيبها ما يمترى



الأمير شكيب أرسلان



مصطفى صادق الرافعي

تدع الخيال لدى العيون مجسماً
وترى المعاني كالشباب مُقادة
ثأؤ يشق على الجميع لحافه
مبهات يطمع طامع في «المصطفى»
تنظما لالأقربان دون يرازه
كثير التفهيق في الجديد ونهجه
وعدا رجال يحلمون بأن يروا
حرجت صدورهم بأن يجدوا من الد
فتقصدا أن يطفئوا ذاك الضيا
وتغفلوا قوماً أبت أحلامهم
فمحاً بتور الحق آية ليلهم
ورماهم بكتائب من كُتبه
واقامهم بلاغمة مطرية
مهما تواري شخصه وتنكرا
بيننا تكون من الجأذر أنفرا
من ذا يشق له لعمرى عثيراً؟
إن صال في يوم العرراك وهذرا
مثل السباع تكع عن أسد الثرى
كم من تكلم بالجديد وما درى
شمل العروبة في البيان مبعثرا
فقرآن موزون أممة والمصدرا
وتعمدوا أن يفصموا تلك العرى
أن تستبين الرشيد أو تغدرا
وأراهم عنه النهار البصر
فتطايروا كالخمر لاقى قسورا
ما كان معجزها حديثاً يفترى

فقدت سفاسفهم لدى آياته
من ذا يضارع في البيان عصاية
هم ذلك السلف الذين لمسانهم
من ذا يطاول في البلاغة أحمدا
المُعربين إذا أجالوا خاطرا
والمناعمين المكرات وقولهم
تلك العصاية من يحد عن مبلها
زعم الألى نَحروا الجديد بأنه
حبوا التدنى في البيان تقدما
عمدوا إلى التغيير حتى يحدثوا
واستظهروا بمقالة تلخيصها
قد قاتهم أن الخلاوة سرمد
كم من قديم لا يزال رواؤه
مهما تقادم جوهري في عتقه
من حاد عن حب الجمال تعنتا
لغة قلوا أسلوبها، وتخيروا
يرتد وأرده ومسا ذاق الروى
أخنى «أبو السامى» على غلوائهم
وقدرا دعاويهم كما نشر الهبا
زحفت بلاغته نجر جيوشها

نار الحياحب ناولت نار القرى
قد أوضحوا نهج البلاغة نيرا
تنحط عنه جميع السنة الورى
وصحابه، وأبا تراب حيدر؟
عنه بأعذب ما يكون وأقصرا
ما دار في الألباب إلا أسكرا
حقاً يقال مثله: أطرق كرا
عصر تحتم أن يخالف أعصرا
وأوا الركاككة بالثقافة أجدر
حدثاً يبلغهم مراداً مضمرا
أن القديم مضى، وولى مندبرا
ومذاق طعم الشهد لن يتغيرا
متألقا يحكى الصباح المسفرا
فهو الثمين، وليس يرح جوهرا
يتبدل الأدنى، ويبقى الأحقرا
عنها كلاماً مثل أحلام الكرى
وبعود قارئة اللبيب وما قرا
وأذاقهم مر الكفاح المفقرا
وأعاد خضرتهم هشيماً أغيرا
فانقباد طوعاً من أبى واستكبرا

قد يحرقون عليه من حمد، ومن
ما زال في الأدب التزيه مبرزاً
أعجز «أبا السامى» على بأن أرى
من أسرة القصب الضعيف وفعله
لك في البيان رئاسة أزيله
ما إن دعوتك جاحظاً إلا وقد
ما قلت فيك سوى الذى أبقتته
أحببت آداب اللسان، ولم يزل
ورفعت للقرآن أرفع «راية»
انشأت أمثال التميم رقائقا
وليتنا طول الحياياة لآلئاً
أبستنى بشناك فضلاً ضافياً
فأنا عليك إلى نزولى فى الثرى
مر نحو ربك تاركاً فى خلقه
واستودع الدار التى فارقتها
فلأنت أجدر أن تهناً بالذى
فتمل من رضوان ربك جنة
أنت الدخيل عليه فى ملكوته
لا تبععدن وأنت والفد خلدته

بغض، ولكن يحرقون العنبرا
حتى إذا شهد السفاهة قصرا
ذاك اليراع الجاحظى مكسرا
فى الخطب يهزأ بالحديد معصفا
أبدية، ليست تباع وتشتري
رزت الرجال مقدماً ومؤخراً
ما كنت من كمال الرجال فآخرا
فبها مؤلفك السراج الأزهر
فلذا غدت «الرافعى» الأشهر
كانت على الحساد ربحاً صرصرا
واليوم نبكىك العقيق الأحمر
فيه ليست الطيلسان مجرراً
أذكى الأنام أسمى، وأبكى محجراً
ذكراً كما أججت مسكاً أذفرا
خوار ربك ضاحكا مستبشراً
من أجله نبكى عليه محسراً
سبقت، ومن غفرانه لك يغفرا
حاشا كريم ذمامه أن يخفرا
لا تظمن أن وقد وردت الكوثر

قراءة في كتاب

حقوق المرأة

في التشريع الإسلامي وفي الثقافة النبوية

المختار

الميد أحمد لوج

دار النظم للطباعة

٢٠٠٤

للاستاذ / عادل خضاجة

٣

رمتني بدائها وانسلت

كم ينطبق هذا المثل على الغربيين الذين يرمون المسلمون بسوء معاملة المرأة، وتقارير الغرب أنفسهم طافحة بسوء معاملتهم هم لنسائهم. وخيانتهم الزوجية التي يتباهون ويتفاخرون بكثرتها.

وليت الأمر يقف عند هذا الحد، لتتلمس لهم عذراً.. فنقول: لعل أبحاثهم تناولت مجموعة من الذين ينتمون للإسلام ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، وإنما وصل الأمر إلى حد تشديدهم بظلم الشريعة الإسلامية للمرأة، فيتناولون، قوامه الرجل، وشهادة المرأة وميراثها.

وهو ما يذكرنا بقول الشاعر:
إذا محاسني اللأني أدل بها

كانت ذنوبي فقل لي كيف أعذر
ويرغم ما ظهر من الغرب من كراهية للمسلمين وللإسلام ونبيه.. إلا أن أهل العلم لم يتخذ صبرهم، وما زالوا يجلون الحقائق لمن أرادها فلعن الله يهدي بهم ساع إلى طلب الحق.

من هؤلاء العلماء الأستاذ الدكتور السيد أحمد فرج الذي نتصفح مع القراء الصفحات الأخيرة من كتابه، «حقوق المرأة».

الخلع مقابل الطلاق

أما الفصل السابع فقد خصصه المؤلف للحديث عن حق المرأة في الخلع فتكلم عن الطلاق بالتصريح وبالكناية وساق العديد من النصوص للدلالة على كراهية الطلاق بغير ضرورة تبيحه ثم تناول الخلع ص ٢٤٢ فبين أن الله - تعالى - لم يعط للرجل حقاً إلا أعطى للمرأة حقاً مثله، أما في حالة إعطاء الرجل حق التطليق، فقد أعطى للمرأة مقابله حقين هما: العدة - والخلع. ولقد سبق وتحدثنا عن حقها في العدة عند بسط القول في قوله تعالى عز شأنه:

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ

بِالنِّسَاءِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي

أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٢٢٨﴾

(البقرة: ٢٢٨)

وهذا حقها في أن تخبر بما في الرحم من الدم، أو الولد، أو خلوها منهما، وحقها أيضاً - في حساب عدتها لتبرأ من رجل، إلى رجل آخر، لما جاء في الأثر عن عثمان - رضي الله عنه - (الطلاق بالرجال والعدة بالنساء) أما الحق الثاني الذي أخذته مقابل الطلاق - فهو الخلع لقوله تعالى:

الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ

فَإِنْ كُنَّ يَتَرَبَّصْنَ أَثْنَيْنِ فَلْيَخْرُجْهُنَّ مِنْكُمْ إِنْ يَسْلَمْنَ مِنْهُمَا شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يَخْتَا أَلَا يُخَيَّرُ الْإِنْسَانُ حَتَّىٰ دُونَ ذَلِكَ خَفِئَتْ أَلْبَابُكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٢٩﴾

(البقرة: ٢٢٩)

وأوضح أن الخلع في الشرع مفارقة المرأة بعوض أي بفداء نفسها. كما أوضح أن الخلع والقدية والصلح والمباراة تؤول إلى معنى واحد، وهو: بذل المرأة العوض على طلاقها، إلا أن اسم الخلع يختص ببذلها له جميع ما أعطاه، والصلح ببعضه، والقدية بأكثره، والمباراة بإسقاطها عنه حقها عليها.

ويعرض المؤلف شيئا من أقوال الفقهاء فيقول ص ٢٤٤:

ولكن لما كان الطلاق بيد الرجال - ملكا لهم، دون النساء - ولما كانت المرأة تبغض الرجل ولا تقدر على معاشرته، وقد فشل الأهل في الإصلاح

بينهما، وقد يأبى الرجل فراقها ميلا إليها ورغبة فيها وحبا، أو حرصا على ما أنفق عليه فيها في الصداق، وأثناء العشرة، فقد جعل الله - تعالى - لها مخرجا بأن تفتدي نفسها منه، بأن تعطيه ما كانت أخذته منه من صداق وهبات - قال ابن رشد: «والفقه أن الفداء إنما جعل للمرأة في مقابلة ما بيد الرجل من الطلاق. فإنه تعالى لما جعل الطلاق بيد الرجل إذ فرك المرأة جعل الخلع بيد المرأة إذا فركت الرجل».

وتناول المؤلف في هذا الفصل عددا من النقاط المرتبطة بالخلع مثل: أصل الخلع، وهل من حق الزوج أن يأخذ من المختلعة زيادة على ما أعطاه؟ وماذا تصنع المرأة إذا لم تملك ما تفدي به؟ وهل الخلع طلاق أم فسخ؟ وشروط الخلع، وعدة المختلعة.. إلخ.

حقوق الإنسان

والمرأة والرجل فيها سواء

تحت هذا العنوان جاء الفصل الثامن، ولقد أحسن المؤلف أيما إحسان، حين ذكر المقاصد الخمسة إذ من هذه المقاصد الخمسة تنفرع مئات المقاصد التي جاء بها الإسلام للحفاظ عليها، والتي تعرف الغرب عليها بعد عشرات القرون من اليعة النبوية وسماها: «حقوق الإنسان» وإدعاها لنفسه، يقول المؤلف ص ٢٥٥:

وإلى هؤلاء الذين يزعمون بأن العالم الإسلامي قد غيب فلم يدرك حقوق الإنسان نقول لهم: إن الشريعة الإسلامية منذ جاء بها محمد ﷺ: كان لها مقاصد خمسة، يتفرع من كل مقصد منها مئات المقاصد، وهذه المقاصد الخمسة التي تكون

أم المقاصد التي تنفخ منها هي :

- ١- الحفاظ على الدين .
- ٢- الحفاظ على النفس .
- ٣- الحفاظ على العقل .
- ٤- الحفاظ على النسل .
- ٥- الحفاظ على المال .

وكم كان المؤلف موفقا حين وضع نص صحيفة المدينة (أول وثيقة لحقوق الإنسان في التاريخ) ثم عقب عليها ص ٢٦٣ بقوله : «ولا تكفى هذه الصحيفة بذكر الحقوق فقط - كما في وثائق حقوق الإنسان الغربية التي يتباهون بها، التي أعطت للفرود حقوقا مع حرية غير مسئولة - ذلك لأن الصحيفة تتحدث عن واجبات كل جماعة نالت حقوقا - من الجماعات المتعددة التي تحدث عنهم الصحيفة جماعة جماعة، وخصصت لكل جماعة حقوقا، وواجبات تلزم بها داخل الالتزام العام لنظام الدولة الناشئة، التي أسسها ﷺ عقب دخوله المدينة.

ثم يقول ص ٢٦٨ :

وأعطت الصحيفة لكل من شملتهم في دولة الإسلام الحرية الكاملة في التملك والتصرف، والحرية والاعتقاد، إلا (من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته) فالحرية ههنا حرية مسئولة، لأن الحر لا يملك أن يؤذى غيره. أو يقضى عليه بقتل أو بظلم أو إثم أيا كان جسده ولونه ونوعه. ولا تعطى لإنسان حقا أن يستغل غيره.

ويختتم هذا الفصل بقوله ص ٢٧٣ :

فأى عدل ورحمة - كما هو الحال في الإسلام

من كفالة الحرية والحياة وحفظها، بل كفالة كل حقوق الإنسان، وواجباته وليس حقوق الإنسان دون واجباته، كما هو الحال فيما أطلقوا عليه : «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، في الغرب».

ثلاث شبهات حول المرأة

أما الفصل الأخير فقد خصصه المؤلف لمناقشة ثلاث شبهات حول المرأة هي :

ميراثها، القول بأن شهادتها على النصف من شهادة الرجل، وقوامة الرجل على المرأة، وهي الشبهات التي كثيرا ما لاكها الغرب.

فعن الأولى : وبعد أن استعرض الوضع قبل الإسلام، أوضح أن ما فرضه الله إنما هو فريضة محكمة ملزمة، لأنه - تعالى - حكيم يعلم ما يصلح خلقه. وأوضح أن الإسلام جعل العبد المالى على الذكور دون النساء، وضرب المثل على ذلك ثم أوضح أن الأنثى توث نصف ميراث الذكر في أربع حالات فقط، وأن هناك حالات توث فيها الأنثى قدر ميراث الذكر، وإن هناك حالات توث فيها المرأة أكثر من الرجل.

أما الشبهة الثانية - فهي أن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل - وللدرد على هذه الشبهة قال ص ٢٩٠ :

وعلة الأمر أن المرأة لم تتمرس في الأعمال المالية والتجارية، كما هو حال الرجال، وكما أن منازعتها النفسية والعصبية تؤثر فيها، فلا تميل بطبيعتها إلى الولوج في الأعمال المالية والمضاربات. وقد يحتج محتج بأن هناك من النساء من تفوقن في الأعمال المالية والتجارة.

ولكن تبين بفحص الأمر والتدقيق فيه، أن

النساء اللاتي يعملن في المال والتجارة يستعن بالرجال على هذه الأعمال كمحركين للمال، أو مستشارين فيه ونحو ذلك. هذا فضلا عن وجوب التمسك بنص الآية الكريمة، التي بينت أن النساء أقرب إلى النسيان في هذه الشئون من الرجال. فهو حكم الله - تعالى - الذي فرض وجوب أدائه. لقوله تعالى :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾

(الأحزاب : ٣٦)

ولقد أصاب المؤلف كبد الحقيقة حين عصف كلامه برأى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى الذى يقول : «لا عبرة بقول أنصار الجمعيات النسوية الذين يزعمون أن خبرة النساء زادت في عصرنا، بعد مشاركتن في الأعمال المالية - وفي مشاركتن في مجالات السياسة والثقافة والاجتماع، وبعد أن أتاحت وسائل العلم والمعرفة للناس جميعا رجالا ونساء - لأن ذلك يرد عليه، بأن ما ركب في طبيعة المرأة النفسية والعصبية لا يغيره زيادة علم ولا خبرة، ولا ثقافة».

ولم يفت المؤلف أن يذكر من المذاهب الفقهية بعض المواضع التي تقبل فيها شهادة النساء منفردات.

أما الشبهة الأخيرة - وهي قوامة الرجل على المرأة - فبعد أن أوضح أن القوامة تعنى : من يقوم ويسهر على مصالح أهله، فهو قوام عليهم وأن القوامة لا تعنى الرياسة، بل هي : حماية ورعاية يقول ص ٢٥٩ :

فالإسلام عندما فرض النفقة على الرجال، أعفى المرأة من أعباء المعيشة وبذل النفس، وضمن لها الحصانة والصيانة، فكان القوامة التي منحت للرجل، عداوت بالفضل والكرامة إلى المرأة، ويفهم هذا من التنزيل الحكيم :

﴿يَمَّا فَضَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾

لأنه تعالى لم يقل بما فضل الرجال على النساء، أو بما فضلهن عليهن. وإنما جعل الضمير في (بعضهم) عائدا على كل من الرجال والنساء. وإن كان الخطاب بلفظ المذكر. فأكد التنزيل بذلك أن الفضل في هذه القوامة يشمل الأزواج جميعا : رجالا ونساء. ومن خير ما قيل في ذلك ما قاله الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - يرحمه الله - فقد قال : «وقيام الرجال على النساء، هو قيام الحفظ والدفاع، وقيام الاكتساب، والتناج المالى

﴿يَمَّا فَضَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

فالتفضيل هو المزايا الجبلية التي تقتضيها المرأة إلى الرجل في الذب عنها، وحراستها لبقاء ذاتها، كما قال الشاعر (عمرو بن كلثوم) :

يَفْتَنُ جَبَادَنَا وَيَقْلُنْ لِسَمِّ

بِعَسْوَلَتِنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُوا

وبعد... فالكتاب إضافة حقيقية للمكتبة الإسلامية وبعد مرجعا شاملا لمن أراد أن يتناول حقوق المرأة بالبحث. وهو كتاب ينطق بما فيه من عناء الباحث، فنسأل الله لكاتبه حسن الثبوت في الدنيا والآخرة.

فرد أبو جهل مستنكرا: أنت تقول ذلك يا عجم. فماذا يقول سواك؟! أخشى أن ينتقل قولك إلى بعض الناس فينتقلوه، وتكون أنت داعية القرآن!

فعض الوليد على شفته، وقال: لم أقل ذلك فرحاً به، ومشيئاً بتصديقه، ولكنني أنقل عن نفسي صادقاً حين أسمعني محمد بعض آياته، فقد جذبتني جذبا لا حيلة لي فيه!

قال أبو جهل دهشاً: ومتى كان ذلك يا عجم؟!

فقال الوليد: لقد تحدثت عن ذلك مرارا، ولكنك تنسى أو تتعمد النسيان! لقد ذهبت مع عتبة بن ربيعة، ونفر من سادة قريش نسائه في رفق أن يرجع إلى صوابه، ويترك مهاجمة الأصنام، وعرضنا عليه أن تجمع له من المال ما يرضيه، وإن شاء ملكا ملكناه علينا، فاستمع إلينا في انتباه، وكان رده أن قرأ علينا مما نزل عليه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ﴿٥﴾ قُلْ أَنتُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَحْمِلُونَ كُلَّهَا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِزْقًا مِنْ فَوْقِهَا وَبِزْرِكُمْ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَنْفُسَكُمْ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ فِي السَّمَةِ وَهُمْ يُدْعَوْنَ فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضُ أَنْبِيَا طُورًا أَزْكُرَهَا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٧﴾ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ مَسَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَةٍ أَمْرَهَا وَرَبَّ السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظٍ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٨﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صُوفَةً مِثْلَ صُوفَةِ

عَادُونَ مُؤَدَّاةٍ ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ رَبِّهِمْ يَدْعُهُمْ وَيَمْنَعُهُمْ خَلْقَهُمْ لَا تَقْبَلُوا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ قَالُوا وَشَاقَرْنَا لِأَحَدٍ مِمَّنْ يَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنَّا إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكُمْ بِمَكْفُورٍ ﴿١١﴾ (فصلت: ٨ - ١٤)

عند هذا المقطع، وضعت يدي على فم محمد، وسألته أن يكف عن التلاوة فما عدت أستطيع أن أتحمّل مثل هذا القول النافذ، وأنا من يومها أحاول أن أتجنب قرآن محمد، لما له من شدة التأثير، وإنني لأعذر النجاشي في مسلكه؛ فهو إنسان! وقد كان شعور عتبة بن ربيعة مثل شعوري تماما؛ فإنه أفحم ولم ينطق بحرف وخرجنا حائرين!

ثم طرق الباب طارق، فسأل الوليد: من القادم؟ فقيل: إنه عثمان بن مظعون! وقد أسلم منيباً وهاجر إلى الحبشة ثم رجع بعد حين، وقابله الوليد فاحتسب بظله، وأعلن أنه في جواره، فلا يتعرض له أحد، فما الذي أتى به الآن؟ سؤال دار في نفس الوليد، وأيقن أنه سيجد إجابته الساعة، حين يحضر عثمان إليه، وأدرك أبو جهل ما في نفس عمه فقال:

أظن يا عجماء أنه جاء إليك شاكرا صنيعةك به إذ أجرتك، ولولاك للقاء من الإيذاء، ما يلقاه هؤلاء الصابئون، وما كنت أود أن تجبره ليجد عقبى ما اقترف!! ثم حضر عثمان، فتطلع في وجه أبي جهل قبل أن يسلم على الوليد، فرحب به الوليد قائلا: أهك الآن في مأمن يا عثمان.

فتفوجيء الوليد بقوله: جئت يا سيد بني مخزوم لأرد عليك جوارك، فلم يطمئن لي بال، وأنا أشعر أنني في حماية أحد غير الله!

فصاح أبو جهل: وهذا ما كنت أريده، وستأخذ حقك من العقاب!

فابتسم عثمان ابتسامة الساخر، وقال: أنت تفتخر بتعذيب الضعاف الأيامي، والأرقاء الذين ناولتهم بعقابك، ولكنك تستخدمني أمام الرجال، وتصبح فأرا وعديدا؟! ولن يفتخر بتعذيب الأرقاء والأيامي إلا شخص ضعيف.

فسيئت أبو جهل بما سمع، واستطرد عثمان يقول في شجاعة:

قابلك أسد الله حمزة بن عبد المطلب، وضربك بالرمح، وشج رأسك، وخشيت عاقبة النزال، فتقهقرت وقلت للملأ من بني مخزوم دعوه، فقد آذيت ابن أخيه! والحق أن سطوة حمزة قد أفرغتك، ولئن دار قتال بين بني مخزوم وبني هاشم، فتكون أنت أول صريع بيد حمزة، وقد حسبت لذلك ألف حساب، فابتسم الوليد متكلفا ثم قال لعثمان: ثم ماذا؟

قال: لقد خاف أبو جهل بأس عُمَر، حين أعلن إسلامه، ودنا ليصلي لله في المسجد على رؤوس الأشهاد وكان ابن أخيك قد حذر أي مسلم أن يصلي في بيت الله ورصد من أعوانه من يقوم بالزجر والتأديب، فلما رأى صولة عمر ارتعد، وقال: دعوه، دعوه، فما يطاق!

فقال أبو جهل مستخدرا: أهذا مالديك؟! هل عندك مثال ثالث غير حمزة وعمر بن الخطاب؟!

فقال عثمان: عندي مثال الأراشي الذي أكلت ماله، ومنعته حقه، وأقبل على الملأ يبحث عمن يشقع لديك، فقال أحد المتكلمين: هو محمد بن عبد الله! قالها ساخرا، ولكن الأراشي قد صدق القول، وبحث عن رسول الله وطلب منه أن يسترد الحق منك، فأسرع إلى منزلك، وقال لك بلهجة الأمر الناهي، رد لهذا الرجل حقه، فأمرعت بالرد، ولم تنتظر دقيقة واحدة!

فتبسم الوليد، وقال لابن أخيه: ما الذي جعلك تتخاذل يا عمرو؟!

فأطرق إلى الأرض، وقال: تخيلت حين رأيت محمدا أن فحلا هائجا من الإبل، يمسد عنقه إلى، ولو تأخرت قليلا لايتلعني! أنا والله معذور معذور!

وأراد الوليد أن ينتقل بالحديث من موضوع إلى آخر، بعد أن رأى الاكفهرار الشاحب في وجه ابن أخيه فسأل عثمان منطلقا:

ولكن ما دافعك إلى التبرؤ من حمايتي، وقد ارتضيتها من قبل؟!

فقال عثمان: لماذا لا أخذ نصيبي من العذاب في سبيل الله؟ أياخذ بلال وعمار وخباب وسمية وصهيب وأبوفكيهة والنهدية وأم عتيس من المسلمين نصيبهم من العذاب، فينالوا رضوان الله، ولا

أَتَحْمِلُ مَا يَتَحْمِلُونَ؟

فَقَالَ الْوَلِيدُ: وَلِمَاذَا لَمْ تَذْكُرْ أَبَا بَكْرٍ وَلَيْسَ مِنَ الْمُسْتَغْفِقِينَ؟

فَرَدَّ عُثْمَانُ قَائِلًا: لَقَدْ ذَكَرْتَنِي! إِنْ أَبَا بَكْرٍ أَكْرَمَهُ اللَّهُ وَجَزَاهُ عَنْ دِينِهِ وَعَنْ نَبِيهِ خَيْرَ الْجَزَاءِ هُوَ الَّذِي دَفَعَنِي إِلَى أَنْ أَقْتَدِيَ بِهِ فَأَعْلَنَ خِلَاصِي مِنْ جَوَارِكٍ حِينَ فَعَلَ ذَلِكَ مَعَ ابْنِ الدَّغْنَةِ سَيِّدِ الْأَحْيَائِشِ، وَقَدْ أَجَارَهُ حِينَ اشْتَدَّ بِهِ الْإِيذَاءُ، فَفَكَّرْتُ ثُمَّ فَكَّرْتُ، وَشَكَرْتُ ابْنَ الدَّغْنَةِ عَلَى مَسْعَاهُ، ثُمَّ اسْتَعْفَاهُ! وَهِيَ حَالَةٌ أُولَى سَبَقَتْ حَالَتِي! وَلَوْ كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ الرَّقِيقُ الشَّفِيقُ بِأَسْ حُمُزَةٍ أَوْ عَمَرَ مَا تَجَرَّأَ عَلَى سَبِّهِ وَإِيذَائِهِ أَحَدٌ مِنَ الَّذِينَ يَحْرُضُهُمْ ابْنُ أَخِيكَ، وَسَيَكُونُ لَهُ يَوْمٌ!

فَزَعَّ أَبُو جَهْلٍ فَرْعًا مَخِيفًا حِينَ سَمِعَ قَوْلَ عُثْمَانَ، سَيَكُونُ لَهُ يَوْمٌ، ثُمَّ تَسَاءَلَ فِي انْكَسَارٍ: مَنْ أَخْبَرَكَ بِيَوْمِي؟

فَرَدَّ فِي ثِقَةٍ: أَخْبَرَنَا الصَّادِقُ الْأَمِينُ! رَأَى عَلَى الْمَجْلِسِ سَكُونًا، وَأَحْسَنَ عُثْمَانُ أَنَّهُ أَدَّى رِسَالَتَهُ حِينَ اسْتَعْفَى مِنْ جَوَارِكِ الْوَلِيدِ، فَعَجَّلَ بِالْإِنْصِرَافِ وَبَقِيَ الْوَلِيدُ مَعَ ابْنِ أَخِيهِ صَامَتَيْنِ، وَكَأَنَّ قَفْلًا قَدْ سَدَّ قَمُوبَهُمَا أَمْدًا غَيْرَ قَصِيرٍ!

ثُمَّ قَالَ الْوَلِيدُ مُتَكَلِّفًا الْإِبْتِسَامَ: أَرَأَيْكَ جَزَعْتَ قَلِيلًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَطْعُونٍ.

فَتَأَوَّاهُ عَمْرُو تَأَوُّبِيَّةً حَارَةً، وَقَالَ: أَجَلٌ يَا عَمُّ قَدْ جَزَعْتَ! لِأَنِّي مَعَ عِدَائِي الشَّدِيدِ لِحَمْدٍ، وَبَغْضِي إِيَّاهُ أَعْنَفُ مَا يَكُونُ الْبَغْضُ، أَعْرِفُ مِنْ أَعْمَاقِي أَنَّهُ صَادِقٌ،

وَتِلْكَ هِيَ بِلَوَايَ! لِأَنِّي اعْتَرَفْتُ بِصَدَقِهِ هُوَ الَّذِي جَعَلَنِي أَكْنَ لَهُ مِنَ الْحَمْدِ وَأَقُولُهَا لَكَ وَحْدَكَ، مَا لَا طَاقَةَ لِي بِهِ! وَقَدْ حَاولْتُ أَنْ أَبْرَأَ مِنْهُ فَلَمْ أَسْتَطِعْ وَلَنْ أَسْتَطِيعَ!

حَسَدَتْ مُحَمَّدًا حِينَ رَأَتْ قَرِيشًا تَدْعُوهُ فِي شَبَابِهِ الْبَاكِرِ بِالْأَمِينِ وَلَا تَصِفُ بِذَلِكَ الْوَصْفِ أَحَدًا سِوَاهُ، وَحَسَدَتْ مُحَمَّدًا حِينَ تَزَوَّجَ مِنْ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ بَعْدَ أَنْ أَحْتَمَى فِي طَلَبِهِ، وَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ مَالَهَا عَنْ رِضَا وَسَمَاحٍ، فَفَازَ بِمَا لَمْ يَفْزَ بِهِ سِوَاهُ.

وَحَسَدَتْ مُحَمَّدًا حِينَ جَعَلَ وَرَقَةً مِنْ نَوْفَلٍ يَذِيعُ فِي النَّاسِ أَنَّهُ النَّبِيُّ الْمُنْتَظَرُ، وَأَنَّ الْوَحْيَ سَيَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ، وَهَذَا مَا كَانَ.

وَحَسَدَتْ مُحَمَّدًا، حِينَ أَجْمَعَتْ قَرِيشُ يَوْمَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ عَلَى تَقْدِيمِهِ لِحَمْلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ بِيَدِهِ، وَوَضَعَهُ فِي مَكَانِهِ فَكَانَ لَهُ فَخْرٌ الدُّنْيَا وَسَعَادَةٌ الْحَيَاةِ!

وَحَسَدَتْ مُحَمَّدًا: لِأَنِّي أَعْرِفُ عَنْ بَقِيَّةِ أَنْ جِهَادِي ضِدَّ ضَائِعٍ فِي الرِّيحِ، وَأَنَّهُ مُؤَيَّدٌ بِنَصْرِ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَكِنِّي مَعَ ذَلِكَ أَمَعِنُ فِي الْكَيْدِ لَهُ لِأَقْصَى مَا أَطِيقُ! وَمَسْتَمِرٌّ وَلَنْ أَحِيدَ!

ثُمَّ سَقَطَتْ عِبْرَةٌ مِنْ عَيْنِهِ لَمْ يَدْرِ الْوَلِيدُ كَيْفَ يَفْسِرُهَا، أَهِيَ عِبْرَةُ النَّدَمِ، أَمْ عِبْرَةُ الْحَمْدِ الْمُبِيدِ!

وَطَرَقَ الْبَابَ آخَرُونَ، فَاسْتَأْذَنَ عَمْرُو فِي الْخُرُوجِ، إِلَى حَيْثُ لَا يَعْلَمُ أَيْنَ يَسِيرُ!

دلالات الألفاظ

الخاص والعام والمشتراك

لفضيلة الشيخ الطاهر الجامدي

٤

تتنوع الألفاظ إلى خاص، وعام، ومشتراك

ولا يخفى أن اللفظ الخاص هو: ما دل على معنى واحد فقط على سبيل الانفراد، كما لا يخفى أيضًا أن اللفظ العام هو: ما وضع لمعنى واحد على سبيل الشمول والاستغراق، أي أنه يشمل جميع أفراد المعنى الذي وضع له. وأما أن يوضع اللفظ لعان متعددة بأوضاع متعددة، فيشملها جميعًا، ويصدق عليها كلها، ويصلح لكل واحد منها، فيسمى هذا اللفظ في هذه الحالة: مشتركًا، لأنه يشترك في معنات أشياء كثيرة، يطلق على كل واحد منها.

وعلى هذا يمكننا - علماء الأصول - أن نقول: إن اللفظ الخاص هو الذي وضع لمعنى واحد اختص به لا يدخل معه غيره، سواء كانت هذه الوحدة حقيقية - مثل أن تطلق على شخص واحد فرد، مثل محمد وعلى وثابت - أم كانت هذه الوحدة ذهنية - مثل رجل وإنسان، فإن كلمة رجل وإنسان وإن كانت تشمل كل الرجال، وكذلك كلمة إنسان جامعة، يدخل تحتها كل حيوان ناطق، إلا أنها رغم ذلك - عند الأصوليين - تسمى لفظًا خاصًا، وأيضًا كذلك يسمى لفظًا خاصًا وإن لم يكن له وجود مشخص في الخارج، بمعنى أنه كان معنى ذهنيًا فقط،

ومثل رأى وعلم وعدل ورحمة، وأيضاً يدخل في اللفظ الخاص ما كانت وحدته اعتبارية، مثل: قوم ورهط ونفر، وأسماء الأعداد مثل اثنين: وثلاثة وعشرة ورجلين وشهرين.

ولك أن تسأل كيف يكون بعد كل هذا (خاصاً)؟

وما هو العام إذن؟

أقول لك أولاً: إن لكل علم اصطلاحاته، فيجب عليك أن تسلم لأهل الأصول اصطلاحاتهم.

ثانياً: إن الخصوص هنا جاء من أن معنى اللفظ محدد، ولا يعم غير ما أطلق عليه، وهذا بخلاف العام الذي سوف يأتي تعريفه، حيث إن لفظ الخاص مثل (اثنين)، ومثل (ستين)، لا يشمل معنى آخر، فهو قاصر على ما دل عليه، لا يدخل غيره فيه بخلاف العام.

وحكم اللفظ الخاص: أنه يدل على معناه على سبيل القطع، ولا يتطرق إليه احتمال، فهو يقيد معناه ويدل على ما وضع له، ولا يكون معه احتمال آخر.

على أن اللفظ الخاص قد يرد مقيد تارة، وقد يرد مطلقاً من غير قيد، وبناء على ذلك فيكون هناك لفظ خاص مقيد، كما يكون هناك لفظ خاص مطلق.

وإطلاق الخاص وتقيدته، لا يشكل خلافاً ولا يمثل أحكاماً إذا ورد اللفظ

خاصاً في موضع، ثم ورد لفظ آخر مطلقاً في موضع آخر، فإنه لا خلاف بين العلماء - ولا ينبغي أن يكون - فيبقى المطلق على إطلاقه والمقيد بقيده.

أما الحالة التي تمثل خلافاً ويترتب عليها أحكام، فهي ما إذا ورد اللفظ الخاص مطلقاً في نص، وورد نفس اللفظ مقيداً في نص آخر، فهنا ينشور سؤال، وتترتب أحكام، فهل يعمل بالمطلق فيبقى على إطلاقه في نصه الذي ورد فيه؟ ويعمل باللفظ المقيد في نصه الذي ورد فيه؟ أم يجب أن يحمل المطلق على المقيد؟

وقبل أن نجيب عن هذا التساؤل، علينا أن تبين معنى حمل المطلق على المقيد، فنقول: إن معنى حمل المطلق على المقيد أن يعمل باللفظ الخاص المقيد بالمقيد الذي ورد في النص ولا يعمل باللفظ الخاص الذي لم يرد فيه قيد، ما معنى هذا الكلام؟ وهل يجوز لنا أن نلغي نصاً ورد عن الشارع الحكيم في كتاب أو سنة ولا نعمل به؟

إن هذا السؤال مبني على تسرع غير حميد، لأنه مبني على ظن أو اعتقاد بأن أحداً من الناس يمكن أن يلغي نصاً من كتاب أو سنة!!! فتلك دعوى فيها من النزق والتسرع والجراءة أكثر من التريث والفهم، وليس للقائلين بها أدنى حجة

فيما فعله سيدنا عمر - رضي الله عنه - في عام الرمادة، فسيدنا عمر - رضي الله عنه - لم يبلغ نصاً في حد من حدود الله تعالى، فعند تطبيق الحد - أي حد - تكون ثمة شروط واجبة التحقيق، فإذا لم تتحقق الشروط كاملة، لا يجوز تطبيق الحد، وهذا الفهم الطهور الطيب الرحيم، هو الذي أدركه أهل الفقه والحديث، فقد بدأوا كلامهم بالأبواب التي تناولوا فيها شرح الحدود - في الفقه والحديث - بقوله «ادروا الحدود بالشبهات»،^(١) والذين يمارون في هذا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، لكن الحاجة في نفوسهم يحرقون الكلم عن مواضعه.

ولعله قد تبين مما سبق: أن الخاص إذا ورد مرة مطلقاً وورد مرة مقيداً، وجب إعمال المقيد، ولا يعنى ذلك إلغاء المطلق، إنما هو في الواقع السيد الرشيد إعمال للتصين معاً، وليس فيه إلغاء لأحدهما، فإذا طلبت من ولدك - مثلاً - وقلت له: سافر إلى الإسكندرية غداً، ثم قلت له: سافر إلى الإسكندرية واصطحب أخاك معك، ففي الأمر الثاني قيدت السفر باصطحاب الأخ، وفي الأمر

الأول لم تقيد السفر باصطحاب الأخ، أفلا ترى أن تطبيق النص المقيد ليس فيه إلغاء للنص المطلق؟ بل فيه إعمال له وزيادة القيد الذي ورد في النص الآخر.

وقد اتفق علماء الفقه على أن المطلق يحمل على المقيد في هذه الحالة.

لكن تباينت أراؤهم فيما لو ورد اللفظ الخاص، مرة مطلقاً في نص، وهو هو ورد في نص آخر مقيداً، فهل يحمل المطلق على المقيد في كل حال؟

تعددت آراء الفقهاء في ذلك، وبيان ذلك يتلخص في أربع حالات:

١- الحالة الأولى: أن يتحد النصان في السبب وفي الحكم.

٢- الحالة الثانية: أن يتحد النصان في السبب ويختلفا في الحكم.

٣- الحالة الثالثة: أن يختلف النصان في السبب ويتحدا في الحكم.

٤- الحالة الرابعة: أن يختلف النصان في السبب ويختلفا في الحكم.

ومستبين كل حالة من هذه الحالات الأربع بإذن الله تعالى في حلقات تالية، مع التمثيل لكل حالة من الكتاب والسنة، والله الموفق للصواب.



(١) معرفة السنن والآثار البيهقي.

سقطت الحواجز في ظل الإساءات المتكررة للإسلام

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفراف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

٣

الإساءات المتكررة للإسلام وطرق علاجها

العداء للإسلام في أغلب مجتمعات دول الغرب لم ينقطع يوماً ما، فالكتب التي ألقت وتؤلف ضد الإسلام، والمقالات التي نشرت وتنتشر في وسائل الإعلام المضلل - الذي أساء للمسلمين إساءة بالغة، حيث قدمهم للعالم في صورة إرهابيين معتدين قتلوا، بل وقدموا الإسلام ذاته على أنه دين عنف - لم يتوقف، والاتهامات الباطلة ضد الإسلام - والتي تحذر منه لأنه دين يكره الناس على اعتناقه، وعلى استباحة أموال وأعراض وأرواح غير المسلمين - لم تهدأ ولم تقتر.

غير أن أعداء الإسلام تجاوزوا الحدود والخطوط في عدائهم للإسلام إلى التطاول على شخصية الرسول ﷺ، فتناولوه بالرسوم الكاريكاتورية السيئة التي نشرت في وسائل الإعلام المختلطة، والتي تنطق بعداء سافر للإسلام والمسلمين، وتكشف عن حقدهم البغيض على الإسلام، وعلى الجراحة في السخرية برسول الله وأنبيائه، وانعدام احترام الرموز الدينية للأديان، كما حدث في الدنمارك وفرنسا وإيطاليا... كما تتمثل في الأحاديث المتدنية الساقطة التي يدلي بها - للأسف الشديد - بعض من ينتسبون إلى رجال الدين غير الإسلاميين عبر الفضائيات، وعبر الإنترنت.

والضيلم الذي أنتجه شيطان هولندي متعصب حاقد على الإسلام، مستخدماً بعض كلمات آيات قرآنية لم يكملها، توحي لمن يسمعها - وهي مبتورة عن بقية كلمات الآيات التي تكمل وتوضح المعنى الصحيح لها - توحي له أن القرآن الكريم يدعو إلى الاعتداء على الآخرين وقتالهم، وإلى استباحة أرواحهم وأموالهم، في محاولة منه دنيئة غير أخلاقية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين.

إذا كنا نعاني من تلك الإساءات المتكررة للإسلام من أعدائه، وإذا كنا نسال من اتهام الإسلام - زورا وبهتانا - بالإرهاب والقتل وسفك الدماء، وإذا كان أعداء الإسلام قد تجاوزوا الخطوط والحدود في عدائهم للإسلام إلى التطاول على شخصية الرسول ﷺ.

إذا كنا نقاسي من كل هذا، فما علاج ذلك؟

ليس علاج ذلك أن نتردى في إسفافهم بإسفاف مثله فنرد عليهم بمثل إساءاتهم، لأننا نؤمن بجميع الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله - سبحانه - ونحترمهم ونجلهم، وقد أمرنا الله بذلك:

﴿مَنْ أَرَادَ أَنْ يُقَاتِلْ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلِيُطَهِّرَ الْبَيْتَ لِلْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٢١٧)

(البقرة: ٢١٧)

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٨)

(الأنعام: ١٠٨)

وليس العلاج - أيضاً - أن نصاب بالإحباط فننتفزع ونتكلم على أنفسنا ونغلق أبواب الاتصال بغيرنا، ونعلن مقاطعة الحديث والتفاهم معهم... لأننا إذا فعلنا ذلك فقد حققنا لأعداء الإسلام

ما يصبون إليه، ووقعنا في الشرك الذي يتصبوه لنا، وأكلنا الطعام الذي رموه لنا... لأن المتربصين بالإسلام ينشدون عزلتنا عن العالم، ويوقعون حصارنا في دائرة مغلقة ليكيلوا لنا الاتهامات بأن الإسلام دين يرفض التعامل والتعايش مع غيره من الأديان، وأن المسلمين متغلقون على أنفسهم يحاربون من عداهم، ويقاثلون من لا يدين بدينهم.

إن العلاج الأمثل هو أن نكرس جهودنا، ونبذل كل ما في وسعنا لإيضاح حقيقة الإسلام الناصعة البياض، الذي جاء خاتماً لكل الرسالات السماوية، وفيه ما تحتاجه البشرية في جميع مجالات حياتها إلى أن تقوم الساعة، وأن نبي الإسلام محمداً ﷺ أرسله الله - تعالى - رحمة للعالمين وهدى للمتقين وإماماً للمرسلين... وأن سيرته العطرة من يوم مولده إلى أن لقى ربه حافلة بالعطاء للبشرية، يدعو إلى الخير ويرفض الشر، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يحاور ويناقش ويجادل كل الناس بالحسنى، يحترم النفس البشرية ويحرم الاعتداء عليها وعلى عرضها وعالها...

(١) مجالات العلاج كثيرة جداً ومتنوعة، ويجب أن تلجأ جميعاً مثل:

وتحقيق ذلك يتطلب منا أن نعمل في مجالات كثيرة متنوعة، والمقام هنا لا يسمح ببيانها والحديث عنها (١). وإنما أقصر حديثي هنا عن الحوار الديني.

دور الحوار الديني

تعود أهمية الحوار الديني في علاج تلك الإساءات المتكررة للإسلام إلى الآتي:

١- حاجة الإنسانية الملحة للحوار بوصفه أحد سمات عصرنا الثقافي، ومدخلاً لاحتواء الأزمات والنزاعات الدينية، ولا يمكن لنا أن نعيش بمعزل عن الظواهر الكونية التي فرضت نفسها على شعوب العالم... بل يجب علينا أن نشجع الإيجابي منها الذي يتفق وتعاليم ديننا الحنيف، ونرفض السلبي منها الذي يتعارض وأحكام ديننا...

٢- التصدي لظاهرة تحويل النزاعات السياسية في بعض مناطق العالم إلى نزاعات دينية ومذهبية، بكل ما يمثل ذلك التحول من تأجيج للنزاعات على نحو بالغ الخطورة، لمساسها بعقائد ومشاعر وروحانيات الناس في جميع

بمناخ العالم الكوني.

٣- الحاجة الملحة إلى ضرورة تصحيح الصور السلبية للإسلام "العقيدة" والشريعة والقيم والمبادئ الأخلاقية والثقافة والتاريخ" التي تقوم بترويجها وبثها وتوزيعها دوائر إعلامية غربية، وفي مناطق عديدة في عالمنا... والحوار وسيلة فعالة وناجحة لتحقيق ذلك.

٤- ضرورة إبراز الحقائق والتميزات بين الإسلام وتعاليمه ومبادئه السمحة، وبين تصرفات بعض الغلاة والمتشدددين الذين مارسوا العنف إزاء الآخرين وفق تفسيرات فقهية تنسم بالغلو والتشدد على نحو ما تم في أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م، وأحداث الأقصى ووسط القاهرة وطابا وشرم الشيخ، وأحداث شرق الرياض، وأحداث الدار البيضاء، وأحداث جزيرة بالي، وأحداث قطار مدريد، وأحداث أنفاق لندن... وغيرها.

المنهج المطلوب لتفعيل الحوار الديني

ما دام الحوار هو لغة الإسلام، وما دام الإسلام هو اللغة التي ارتضاها الخالق - جل وعلا - لتكون لغة التفاهم بين البشر، وهو اللغة التي علمها الله لنا في القرآن الكريم، وما دام الحوار قد فرض نفسه على العلاقات الدولية في العالم، وأصبح ضرورة تحتاج إليها الإنسانية في عصرنا الحالي للأسباب السابق إيضاحها، والمبررات السابق بيانها...

فإن الدين والواقع يحتمان علينا أن تلج الحوار ولا نغلقه، وأن نتمسك به ولا نرفضه، وأن نشجعه ولا نخذله...

لا سيما وأنتا تواجه أعداء متربصين بنا، يتمنون أن نرفض الحوار الديني ونقاطعه، كي يهملون ويصبحون مستخدمين ذلك ذريعة لتأكيد اتهاماتهم الباطلة للإسلام بأنه دين انعزالي لا يقبل الآخر ولا يتعامل معه... والصهيونية العالمية عندها من وسائل الإعلام المتنوعة ما يمكنها من نشر أباطيلها، وتعميم اقتراعاتها...

وعلى ذلك فإن المصلحة العامة تقتضي الاستمرار في الحوار الديني، وأن نشجعه ولا نتخلي عنه...

غیر أن الحوار الديني الذي بدأنا نمارسه في أواخر القرن الماضي وحتى الآن، يحتاج منا إلى تقييمه، وإلى أن نضع له ضوابط تراعى فيها مبادئ أمامية هامة عند ممارسته، لضمان تنقيته في إطار من المنطق السليم، والفكر المستنير، والجدال والمناقشة بالتي هي أحسن، وإخلاص النية في الوصول إلى الحق والصواب، وإلى الخير والرشاد... من هذه الضوابط:

(أ) - اتفاق الطرفين المتحاورين على تحديد الهدف من الحوار: وهو الوصول إلى الحقيقة والصواب في الموضوع محل الحوار، وقبول الحق والتسليم به متى ثبت بالدليل الواضح، والبرهان

١- استخدام الإعلام بجميع أنواعه لتوضيح حقيقة الإسلام. ٢- تصحيح المعلومات الخاطئة عن الإسلام التي تدرس في المؤسسات التعليمية في الدول الغربية. ٣- إنشاء مراكز بحثية متخصصة تتبع ما يقال وما يكتب وما ينشر عن الإسلام من أباطيل وترد عليها. ٤- إقامة جسور بينة وبين النصفين من علماء العرب الذين يتحدثون بالحسنى عن الإسلام. ٥- إقامة ندوات ومؤتمرات في الدول الغربية يتحدث فيها علماء متخصصون يجنبون اللغات الأجنبية لتنفيذ المرامي الكاذبة عن الإسلام... إلخ.

الساطع، والحجة القوية السليمة... حتى ولو كان إظهار الحق على يد الطرف المخالف.

يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي - رحمه الله - عند الحديث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المتناظران والمتحاوران في مسألة معينة، يقول (٢) :

"أن يكون المتحاوران في طلب الحق كناشد الضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرّفه خطأً، وأظهر له الحق".

ويقول الإمام الشافعي - رضي الله عنه - : "ما نظرت أحداً قط فأحببت أن يخطئ، وما كلمت أحداً قط وأنا أبالي أن يظهر الله الحق على لساني أو على لسانه، وما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته، ولا كابرني أحد على الحق إلا سقط من عيني ورقضته، وودت لو انتفع الناس بعلمي دون أن ينسب إليّ منه شيء".

(ب) - الالتزام بموضوع الحوار، وعدم الخروج عنه عند المناقشة وتبادل الآراء فيه بين المتحاورين، فكثيراً ما نرى عند مناقشة موضوع معين محدد تعمد بعض الأطراف المتحاوره الخروج عن الموضوع والدخول في موضوعات فرعية جانبية لا علاقة لها بالموضوع الأصلي، فتستوه

الحقيقة ويتشتت الفكر، وتتشتت المسائل، وبدلاً من أن يكون القصد هو الوصول إلى حل مشكلة معينة محددة هي موضوع الحوار، إذ بنا نفوس في مستنقع من المشكلات ظهرت فجأة ولم تكن في الحسبان، بعد أن اختلطت الأوراق وتداخلت الموضوعات...

(ج) - نبذ التعصب للرأي، وضرورة الالتزام باحترام الرأي الآخر، فكثير من الخلافات التي تحدث بين الناس ترجع إلى التعصب الذميمة للرأي أو الفكر، أو إلى التقليد الأعمى العقيم، أو إلى الانقياد إلى الهوى والرغبة في تحقيق منافع شخصية، أو إلى الطموح أو إلى الشهرة... إلى غير ذلك من الأسباب التي تجعل الحوار لا فائدة منه، بل على العكس تكون النتيجة أن يزداد الخلاف، وتوسع الفجوة بين المتحاورين، وتباعد المسافات، وتنشأ الصراعات، وتحدث المصادمات...

ولكن لو تجرد أطراف الحوار من التعصب للرأي، واحترم كل طرف رأي الآخر، وتم إفراح المجال أمام كل طرف كي يعبر عن وجهة نظره دون مصادرة لقوله: أو توجيه إساءة إليه، والتزم الجميع بالحكمة التي تقول: "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب"، وتعاون فيما اتفقا

عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه لنجح الحوار وتحقق غايته...

(د) - التزام كل عضو من أعضاء طرفي الحوار باحترام بقية الأعضاء، وعدم التعالي عليهم، والحرص على استعمال الأسلوب الراقى المهيذب الذي لا يعرض بالآخرين، ولا ينقص من قدرهم، ولا يحط من شأنهم... وأن يتجنب الكبر والغرور، والتباهي بالأقوال والآراء عند النقاش والحوار، وليحذر أي إنسان عند مشاركته في أي حوار أن يظن أنه وحده هو الذي يملك الحق المطلق والرأي الصحيح، وأن ما عداه أقل منه علماً ومنزلة...

(هـ) تحقيق المساواة بين أعضاء طرفي الحوار في المستوى العلمي والثقافي، والإمام الكامل بالمعلومات عن موضوع الحوار، حتى يتسنى لكل طرف استعمال علمه ومعرفته وثقافته والتعبير عن ذلك بالمنطق السليم، والأسلوب الراقى المهيذب، وأن يقدم كل طرف الدليل القوي، والبرهان الناصع الذي يؤيد رأيه... حتى إذا ما اتضحت الحقيقة واستبان الصواب كان ذلك مبنياً على علم مدعم بالأدلة والبراهين الساطعة من غير أن يقلل من شأن أي طرف.

إذ قد لوحظ في بعض لقاءات الحوار أن يتعمد طرف فيها دعوة بعض أعضاء ليسوا على المستوى المؤهل للحوار علمياً وثقافياً ومعرفة ونقاشاً في موضوع الحوار

المحدد المعلن "وقد يكونون على مستوى عالٍ من العلم والمعرفة والثقافة في موضوعات أخرى" وذلك بهدف إظهار ضعف الرأي المخالف، وإعلان قوة وصحة الرأي الأول.

وهذا يدخل في باب الغش والخداع والكذب، والبعد عن الصدق والأمانة، ولا يدخل في مسمى الحوار السليم البناء الذي يقصد به الوصول إلى الحق.

(و) - ضمان حرية الرأي في التعبير لأعضاء طرفي الحوار، بشرط عدم تجريح الآخرين، أو الطعن في العقيدة، أو الخروج على الآداب العامة، وضمان الأمن والأمان لهم عند التعرض للآراء المخالفة التي تبتناها بعض السلطات التي في يدها التهيب والتخويف، فالخوف من الصراحة في الكلام لا يوصل إلى نتائج سليمة...

(ز) - أهمية توفير المعلومات الكاملة الصحيحة عن موضوع الحوار لدى المتحاورين، لاسيما إذا كان الحوار يتعلق بموضوعات اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو دينية... حتى يتسنى للمتحاورين مناقشة القضية - موضوع الحوار - بموضوعية، واتخاذ القرار المناسب لها عند الوصول إلى الحقيقة.

إذ كيف يتسنى للمتحاورين مناقشة موضوع ما، والمعلومات الصحيحة عنه مجهولة؟؟

(٢) كتاب "أحيا، علوم الدين" ج ١ - ص ١٦ - ط دار المنية.

خاتمة

أختم حديثي بالإجابة عن سؤال يتردد على ألسنة بعض المشاركين، ويجول في خاطر أذهان كثير من المسلمين، وهو:

هل ثمة إمكانية لتجّاح الحوار الديني مع الفاتيكان في ظل بابوية البابا بندكت السادس عشر، مع تحفظه وتصديه لللاهوت التحريري ومدارسه وحرركاته، ومقررات المجمع الفاتيكاني الثاني؟

لما لا جدال فيه أن العلاقات بين الفاتيكان والعالم الإسلامي قد تدهورت بعدما تولى البابا بندكت السادس عشر بابوية الفاتيكان، خاصة بعدما جاء في محاضرته التي ألقاها في جامعة ريجينسبورج بولاية بافريا الألمانية يوم الثلاثاء ١٢/٩/٢٠٠٦م تحت عنوان: "الإيمان والعقل والجامعة ذكريات وانعكاسات"، وربط فيها بين الإسلام والعنف.

وما أثارته هذه المحاضرة من موجة احتجاجات وغضب لدى المسلمين في جميع أنحاء العالم، وقيام مظاهرات احتجاج ضدها، وتصدي قادة المسلمين والسياسيين في العالم للرد عليها...

كما أن السياسة التي اتبعها البابا بالنسبة للحوار الديني بعد توليه البابوية، كانت تدعو إلى الإحباط من الاستمرار في الحوار الإسلامي المسيحي الكاثوليكي، لاسيما بعد أن قرر في شهر مارس ٢٠٠٦م تقليص دور المجلس البابوي للحوار بين الأديان، وإدماجه في المحفل

البابوي للشفافة، ونقل رئيس المجلس الأسقف فيتزجيرالد - الذي يجيد اللغة العربية، وله خبرة واسعة في العالم، ويحظى بالتقدير كممثل لحاضرة الفاتيكان في المفاوضات مع العالم الإسلامي - نقله وتعيينه سفيراً للفاتيكان لدى القاهرة والجامعة العربية...

إلا أن هناك بوادر تشير إلى تراجع بابا الكنيسة الكاثوليكية عن قراره، فقد قال وزير خارجية الفاتيكان «الكاردينال تارميسيو بيرتوني» لصحيفة "لاستمبرا" الإيطالية: إن مجلس الحوار بين الأديان سيعود إلى سابق عهده كما كان ديواناً مستقلاً، وأضاف بيرتوني: أن القرار الجديد يشير إلى الأهمية التي يوليها الفاتيكان لموضوع الحوار بين الأديان...

واعتبر مراسل بي بي سي في روما ديفيد ويللي أن التراجع عن قرار الدمج يعد إقراراً ضمنياً بأنه كان قراراً خاطئاً... إضافة إلى ذلك، سبق أن أعلن البابا بندكت السادس عشر - خلال صلاة التبشير التي أقامها في كاستل غاندولفو - أنه "حزين جداً" لموجة الاحتجاجات التي أثارها كلامه عن الإسلام الذي "لا يعبر إطلاقاً عن أفكاره الشخصية".

لكن البابا الذي تحدث علناً للمرة الأولى في هذه القضية الشائكة، والأكثر خطورة منذ تعيينه لم يذهب إلى حد تقديم اعتذارات رسمية طالبه بها العالم الإسلامي.

وفي محاولة منه لتهدئة غضب

المسلمين، قال البابا - أمام حشد في مقره الصيفي في كاسيلجندولفو بإيطاليا يوم الأحد ١٧/٩/٢٠٠٦م -: أشعر بأسف بالغ عن ردود الفعل في بعض الدول تجاه فقرات محدودة وردت في خطابي بجامعة ريجينسبورج، والتي اعتبرت مهينة لمشاعر المسلمين، كانت تلك في واقع الأمر اقتباسات من نص من العصور الوسطى، والتي لا تعبر بأي حال عن رأيي الشخصي.

ويصر البابا على أن تصريحاته انتزعت من سياقها، وأنه لم يكن القصد منها الإساءة إلى الدين الإسلامي...

إذا أخذنا في الاعتبار تصريحات البابا التي يؤكد فيها على أنه لم يقصد الإساءة إلى الإسلام، وأن الكلام الذي ورد في محاضرته لا يعبر عن رأيه الشخصي، وأخذنا تصريحات وزير خارجية الفاتيكان بأن مجلس الحوار بين الأديان سيعود إلى سابق عهده كما كان ديواناً مستقلاً...

وأضفنا إلى ذلك تريض أعداء الإسلام بنا، وأنهم يتحينون الفرصة - لو أعلننا رفضنا للحوار الديني - لتأليب العالم ضدنا، وفتح ملف أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م من جديد، وربط رفض الحوار الديني بالإرهاب، واتهام المسلمين والإسلام بالانعرالية وعدم التعايش السلمي مع غير المسلمين، وسياسة العداء للإسلام التي يتبناها العديد من الحاخامات اليهود...

إذا راعينا كل ذلك فإننا نقول: بضرورة الحوار الديني مع الفاتيكان، وأنه من المؤكد أن هناك إمكانية لتجّاح الحوار الديني مع الفاتيكان في ظل بابوية البابا بندكت السادس عشر...

غير أنه لا بد أن تكون لنا استراتيجية إسلامية للحوار الديني مع الآخرين عموماً، وأن يدور الحوار الديني بعقلانية وتبصر حول القيم الإنسانية المشتركة بين الأديان، وحول مشكلات عالمنا المعولم، ولا ينبغي أن نتراجع عن الحوار الديني وآلياته تحت ضغوط بعض الدوائر المعادية للإسلام، أو الإحباط الذي ينتاب البعض إزاء تصريحات يقولها بعض كبار رجال الدين الكاثوليك أو غيرهم التي تنطوي على رؤى سلبية، أو آراء تتسم بالتشدد أو التعصب، فهؤلاء يرد عليهم بعقلانية، ويتم التصدي لهم بالحجة والمعلومة والمنهج العلمي والتاريخي.

وإذا كانت السياسة تعتمد على المعطيات والمعلومات والتحليل والخيال السياسي الخلاق، لأنها لا تعرف - كما يذهب بعض الباحثين - التطير السياسي، أو التفاضل والتشاؤم... فإننا يجب ألا نأخذ بالتطير أو الإحباط في مجال الحوار الديني - الديني، والحوار الديني - المذهبي، لأن الوصول إلى حالة تهدئة بين أتباع الأديان في عالم اليوم من الأهمية بمكان...

والله ولي التوفيق

إعلان مدريد يوصي

بضرورة:

الاتفاق على قواعد للحوار بين أتباع الأديان والثقافات

رسالة مدريد يكتبها:

عاطف مصطفى

الشريطين في مؤتمر مكة المكرمة ثم مؤتمر مدريد ثم تحدث عن أنواع الحوار «الأكاديمي - التبشيري - المسيحي - الشباني - المناظرة» مبينا سبلات كل نوع منها ورأى أن الدعوة الملكية تشتمل على أربعة مجالات للحوار:

• التراث الإنساني المشترك وحماية الأسرة والبيئة.

• الحوار بالعيش المشترك.

• الحوار بالانفتاح على الآخرين.

• تأكيد التعاون لتحقيق السلام العالمي

وكان المتحدث الثاني في هذه الجلسة الراهب شيوجنج رئيس الجمعية البوذية الصينية والذي تحدث عن أهمية الدين كمقوم أساسي للحضارات الإنسانية، وعن المثل الإسلامية التي نفتت نظره مبرزا قوله تعالى:

بالاغتراب والعجز غالبا ما يكون في حالة ضعف تسلّمهم بعد أن فقدوا الإيمان بالمستقبل للأيديولوجيات المتطرفة.

تقويم الحوار وتطويره

اخبر الرابع من محاور المؤتمر العلمي للحوار تناول من خلال بحوثه تقويم الحوار وتطويره ورأس هذه الجلسة الحاخام كلاوديو إيلمان الأمين العام للمؤتمر اليهودي في أمريكا اللاتينية والكاريبي بالأرجنتين، وقدمت فيها أربعة بحوث وكان أول المتحدثين د. عز الدين إبراهيم مصطفى مستشار رئيس دولة الإمارات العربية للشئون الثقافية وتحدث عن الحوار الإسلامي المسيحي واليهودي ومستقبله وآفاقه وقال إنه لا يبدد شبح التنازم بمستقبل الحوار إلا الأمل الجديد الذي حمل لواءه خادم الحرمين

ومؤتمر مدريد الذي تناول فعالياته وتوصياته كان بالفعل ملتقى لكل الديانات والثقافات تفاعلت فيه الآراء ودارت المناقشات بكل ما يحمله ديننا الإسلامي من سماحة وتقبل للرأي الآخر وصولا إلى الهدف الأسمى من هذه المؤتمرات التي ينبغي أن تستفيد منها البشرية كلها حتى أننا نتوقف عند كلمة قالها الأمين العام للأمم المتحدة وبعث بها لمؤتمر مدريد وهي غزل بعض الآمال التي تعلقها المنظمة العالمية على الحوار. يقول: إن التاريخ لم يشهد فترات اشتدت فيها أكثر من الآن الحاجة إلى الحوار بين الأديان في العالم في وقت تزداد فيه الانقسامات حسب الاتجاهات الثقافية والدينية، يكون للطوائف الدينية دور حاسم تؤديه لتعزيز التفاهم ولتشجيع توافق الآراء على القيم والمطامح المشتركة ويرى الأمين العام للأمم المتحدة أهمية مد الجسور بيننا وبين الشباب لاسيما والذين يشعرون

يحرص المسلمون على الحوار لما له من أهمية بالغة في حياة الشعوب كل الشعوب، فضلا عن أن الدين الإسلامي السمح قد أكد وخصوصا في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على الحوار مع الآخر وحدد أسس هذا الحوار ومعاييرته ومنطلقاته وأهدافه.

وحرصنا على متابعة كل ما دار في مؤتمر الحوار الإسلامي العالمي بمكة المكرمة وكذلك مؤتمر الحوار في مدريد في شهرى يونيوى ويوليوى الماضيين وكاننا برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود وأقامتهما وأعدت لهما إعدادا متميزا رابطة العالم الإسلامى وبجهود أمينها العام الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وكان للأزهر الشريف دوره في مشاركة فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر في مؤتمر مكة المكرمة كما شارك نيابة عنه في مؤتمر مدريد فضيلة الشيخ على عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة لتأييد النتائج التي توصل إليها مؤتمر مدريد وعقد دورة خاصة للحوار

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَقُلُوبًا لِتَعْلَمُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَقْوَاهُ

(الحجرات: ١٣)

كما تحدث عن المسيحية والبوذية ليصل إلى أن هناك قيما مشتركة في جميع هذه الأديان وذكر ببعض ما تعانيه البشرية من أزمات أخلاقية وبيئية واقتصادية تستدعي الإفادة من المشترك الإنساني في معالجتها، لأن خطرها يهدد الجميع.

ثم تحدث الراهب شيسوجنغ عن بعض الجوانب الخاصة بالعوالم التي تظهر في التقارب بين الشعوب الإنسانية، والذي وصل إلى حد الاندماج والانصهار، وأكد على دور الأديان في تحقيق السلام والسعادة للإنسانية، وأن الصراع باسم الأديان داخل الدين الواحد، أو مع الأديان المختلفة ليس منسجما مع حقيقة الأديان، والواجب الاتجاه إلى تحقيق الانسجام والتفاهم بين أتباع هذه الأديان.

بعد ذلك عرض تجربة التعايش بين الأديان في الصين، وتحدث عن المؤتمرات والجمعيات التي عقدها الصينيون خلال السنوات الأخيرة سعيا لتحقيق السلام والتعايش بين الشعوب.

وقدم المتحدث الثالث الأب نبيل حداد المدير التنفيذي للمركز الأردني لبحوث التعايش الديني خلاصة لدراسة أعدها للمؤتمر

أكد فيها على أهمية الحوار وأنه ضرورة حتمية، وليس ترفا فكريا، فقد غدا قيما كونية لاغناء عنها، كما أكد أن الأديان جميعا تؤسس للحوار في أصولها وتصوراتها، ورأى أن الراجب إشاعة ثقافة الحوار منددا بفكرة الصراع وأكد على مبدأ التداول والتبادل الحضاري وأنه ينبغي أن يعرف كل منا الآخر، مع ضرورة إعادة صياغة خطابنا السياسية والدينية والثقافية، ضمن ثقافة التبادل الحضاري.

وفي هذا البحث بين نبيل حداد أن معاناة المجتمعات الإنسانية كانت بسبب ضعف الحوار خلال المرحلة السابقة، وأن الواجب أن تتعاون الدول والمنظمات والمرجعيات الدينية لوضع آليات علمية منهجية لاستثمار الحوار، ورأى ضرورة الخروج بالحوار من التخيرية ليصل إلى الجمهور، وأكد أن من أهم مقومات الحوار انتشار الحرب وغياب العدالة.

لماذا الحوار الآن؟

هذا سؤال طرحناه في المؤتمر وأجاب د. محمد السماك المفكر الإسلامي اللبناني والذي قال: إن هناك ظاهرة عمرها أكثر من عقدين من الزمان وخلال هذه الفترة الطويلة أقيمت مؤتمرات حوارية عديدة لكنها كانت تتميز دائما بأن الداعي إليها كانت جهة

مسيحية، إما الفاتيكان أو مجلس الكنائس العالمي، أو مجلس الكنائس الوطني الأمريكي، أو حتى مجلس كنائس الشرق الأوسط. وكان المسلمون يدعون إلى هذه المؤتمرات، ويشاركون فيها، ولكن المشاركة الإسلامية، كانت تتم على أساس جدول أعمال، يعده الداعي ولم يكن للمسلمين دور أساسي في وضع جدول أعمال، واختيار الأولويات التي يجري الحوار حولها.

وكان ذلك - بلا شك - يشكل عيبا في الحوار ونقصا فيه.

أما الآن... فهذه أول مبادرة وكان بالطبع هناك لقاءات حوارية بين الأزهر وكنائس بربري وغيرها، لكن على المستوى العالمي الدولي. أول مبادرة تأتي من جهة إسلامية وتأتي من



المملكة العربية السعودية تحديدا، بما تمثله من خدمة للحرمين الشريفين. ولذلك فإن لهذه الدعوة نكهة خاصة، لأنها تعيد المبادرة إلى جهة إسلامية، والجهة الداعية هنا أيضا تضع جدول أعمال على أساس الأولويات التي تختارها هي، وهذا ما حدث، وتختار المدعوين إلى المؤتمر الحوارى.

حملة عن جهل

هذا المؤتمر يستمد أهميته من المعطيات المهمة الجديدة.

أما لماذا أخذت السعودية هذه المبادرة؟

يشير د. محمد السماك في حوارته معي... في اعتقادي بأنها شعرت بأن حملة الإسلاموفوبيا بمعنى كراهية الإسلام عن جهل

● العمل على إصدار وثيقة تتضمن احترام الأديان واحترام رموزها وعدم المساس بها وتجريم المسيئين لها

العالم الإسلامي عام ٢٠٠٨ م وإذ ينطلقون من اتفاق أتباع الديانات والثقافات المعتمدة على قيمة الحوار، وأنه السبيل الأمثل للتفاهم والتعاون المتبادل في العلاقات الإنسانية والتعايش السلمي بين الأمم فإنهم يؤكدون على المبادئ التالية:

● وحدة البشرية، وأن أصلها واحد، والمساواة بين الناس على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وثقافتهم.

● سلامة الفطرة الإنسانية في أصلها، فالإنسان خلق محباً للخير، ميغضاً للشر، يركن إلى العدل، وينفر من الظلم، تقوده الفطرة النقية إلى الرحمة، وتدفع به إلى البحث عن اليقين والإيمان.

● التنوع الثقافي والحضاري بين الناس من آيات الله، وسبب لتقدم الإنسانية وازدهارها.

● الديانات الإلهية تهدف إلى تحقيق طاعة الناس لحالقهم، وتحقيق السعادة والعدل والأمن والسلام للبشر جميعاً، وتسعى إلى تقوية سبل التفاهم والتعايش بين الشعوب، على الرغم من اختلاف أصولها وألوانها ولغاتها، وتدعو إلى نشر الفضيلة بالحكمة والرفق، ونيل التطرف والغلو والإرهاب.

تكرس التوظيف السياسي للمؤتمر.

وكل ما حاول أن يقوم به بعض الخاطعات الذين دعوا المؤتمر مدريد قد أجهضت تماماً، وكان التصدي لها موقفاً بحق.

إعلان مدريد

بعد مناقشات البحوث والتفاعل مع كل ما جاء فيها.. جاء إعلان مدريد ونصه.

إن المشاركين في المؤتمر العالمي للحوار من أتباع الديانات والثقافات العالمية والمفكرين والباحثين، والذي دعا إليه خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، ونظمته رابطة العالم الإسلامي في مدينة مدريد بإسبانيا في الفترة من ١٣-١٥ من رجب ١٤٢٩ هـ، الموافق ١٦-١٨ يوليو ٢٠٠٨ م

يستذكرون مقاصد ميثاق الأمم المتحدة التي تدعو إلى بذل الجهود المشتركة لتعزيز العلاقات الدولية، وإيجاد المجتمع الإنساني الأمثل، وتعميق الحوار، والتأكيد عليه أسلوباً حضارياً للتعاون.

وإذ يشيدون ببناء مكة المكرمة الصادر عن المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار الذي دعا إليه خادم الحرمين الشريفين ونظمته رابطة

ما بين مؤتمر مكة ومدريد

والذي حدث في مؤتمر مكة أنه كان مؤتمراً إسلامياً إسلامياً، بمعنى أن يضع المسلمون تصوراً لكيف يحاورون الآخر، تصوراً مشتركاً، وأن يضعوا آلية للحوار مع الآخر، وأن يدخلوا الحوار متفقين على صيغ أساسية وعلى مبادئ وأولويات أساسية... ما حدث في مؤتمر مكة المكرمة كان يدعو إلى حوار الأديان كلها والعقائد المختلفة، لكنه كان متبهاً في مكة المكرمة إلى أن ذلك يجب ألا يمنح اليهود فرصة لتوظيفه سياسياً.

وما حدث الآن في مدريد.. أنه بالفعل جرت محاولة لهذا التوظيف وكان هناك وعى بهذه المحاولة وتصدد لها.

جاء التصدي من الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبداللہ بن عبدالحسن التركي أكثر من مرة، حتى في المؤتمر الصحفي.

وبعض الأخوة الذين تحدثوا في الجلسة العامة، رداً على ما تحدث به بعض الخاطعات من إسرائيل ومن الولايات المتحدة الأمريكية.. كانت هناك ردود مباشرة بأن هذا المؤتمر عقد من أجل التفاهم على أساس احترام العقائد، واحترام الآخر، وليس لتسييس هذا الاحترام، وتوظيفه في حسابات سياسية.

وقد تكرس هذا التصدي في البيان الختامي، الذي صدر عن المؤتمر، حيث لم يعط أي مكسب سياسي، أو أية محاولة

به، وصلت إلى مستويات خطيرة، وأن هذه المستويات أصبحت تسيئ حتى إلى السعودية كدولة، وليس فقط كرمز ديني، ولذلك كان لابد من مبادرة ما لتنقيس الاحتقان الدولي، الذي يزداد يوماً بعد يوم في هجومه على الإسلام.

فكانت مبادرة على أساس تقديم الإسلام على أنه دين يتقبل الآخر، وينفتح على الآخر، ويؤمن بالرسالات السماوية كلها، وهو أمر مجهول لدى أصحاب العقائد المختلفة الأخرى.

بعيداً عن التسييس

● ما بين مؤتمر مكة ومؤتمر مدريد... نجد أن الأمر اختلف في مدريد، وخصوصاً ما شاهدناه من بعض الخاطعات الذين حاولوا أن يسيئوا المؤتمر، أو في محاولة للحصول على بعض الحقوق.

في رده يقول د. محمد السماك.. في الواقع أنه جرت محاولات من جهات دولية متعددة، وحتى من بعض الجهات العربية لتحويل الحوار الإسلامي المسيحي إلى حوار متعدد الأديان، أي يشمل تحديد اليهودية.. وكنا نرفض دائماً هذه المحاولات ونصدي لها، باعتبار أن اليهود حينما يدخلون في حوار تحت مظلة دينية، يوظفون الحوار لحسابات سياسية.

ولأننا ضد تحويل الحوار الديني إلى قضية سياسية، ولأننا ضد السياسة الإسرائيلية والوجود الإسرائيلي تحديداً، فلذلك كنا نرفض أن تمنح أو توفر فرصة لليهود، ليستغلوا حواراً دينياً وليسوقوا موقفاً سياسياً لمصلحة إسرائيل.

القرآن الكريم الذي أكد على ظاهرة الاختلاف بين بني البشر دعانا إلى التفاهم ولا يتحقق التفاهم إلا من خلال الحوار

من ٨٠٠ مشارك في مؤتمر مكة المكرمة ومدير عاصمة إسبانيا، فضلا عن مئات من الصحفيين والإعلاميين ووكالات الأنباء العالمية مدى حرص المسلمين على الحوار..

وبالتالي لا بد من أن يستمر الحوار، ولا بد من العلاقات بين المجتمعات المختلفة إلا بالحوار. والحوار الهادف البناء.

إن إرادة الله أن خلقنا مختلفين.. وهذا الاختلاف صفة لازمة للمجتمعات البشرية..

وسبق الاختلاف إلى يوم الدين كما يقول النص القرآني الكريم ونحن نتعامل مع هذا الاختلاف، على قاعدة احترام الاختلاف: «والحكم يومئذ لله هو الذي يحكم بيننا فيما كنا فيه مختلفين»^(١)

ولكن القرآن الكريم - نفسه - الذي أكد على ظاهرة الاختلاف بين بني البشر، دعانا إلى التفاهم، ولا يمكن أن يتحقق التفاهم إلا من خلال الحوار، ولذلك لا بد من أن نمضي قدما في مسيرة الحوار، على أساس أن نصحح - على الأقل - الصور النمطية السلبية عن الإسلام في الثقافة الغربية في أذهان الكثير في العالم.

١- تكوين فريق عمل لدراسة الإشكالات التي تعيق الحوار، وتحول دون بلوغه النتائج المرجوة منه، وإعداد دراسة بين مؤسسات الحوار العالمية.

٢- التعاون بين المؤسسات الدينية والثقافية والتربوية والإعلامية على ترسيخ القيم الأخلاقية النبيلة، وتشجيع الممارسات الاجتماعية السامية، والتصدي للإباحية والانحلال وتفكك الأسرة.

٣- إدراج قضايا الحوار بين أتباع الديانات والحضارات والثقافات في المناشط الشبابية والثقافية والإعلامية والتربوية.

٤- دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى تأييد النتائج التي توصل إليها مؤتمر مدريد والاستفادة منها في دفع الحوار بين أتباع الديانات والحضارات والثقافات، من خلال عقد دورة خاصة للحوار.

وماذا بعد؟

ارتفع صوت المسلمين عالميا أمام العالم كله وعلى مدى شهرين متتاليين في شهر يونيو ويوليو من عام ٢٠٠٨، وليشهد أكثر

والتعايش، وأنه ظاهرة عالمية تستوجب جهودا دولية للتصدي لها بروح الجدية والمسئولية والإنصاف، من خلال اتفاق يحدد معنى الإرهاب، ويعالج أسبابه، ويحقق العدل والاستقرار في العالم.

وبناء عليه يوصى المؤتمر بما يلي:

١- رفض نظريات حتمية الصراع بين الحضارات والثقافات، والتحذير من خطورة الحملات التي تسعى إلى تعميق الخلاف، وتقويض السلم والتعايش.

٢- تعزيز القيم الإنسانية المشتركة، والتعاون على إشاعتها في المجتمعات، ومعالجة المشكلات التي تحول دون ذلك.

٣- نشر ثقافة التسامح والتفاهم عبر الحوار لتكون إطارا عاما للعلاقات الدولية، من خلال عقد المؤتمرات والندوات، وتطوير البرامج الثقافية والتربوية والإعلامية المؤدية إلى ذلك.

٤- الاتفاق على قواعد للحوار بين أتباع الديانات والثقافات، تركز من خلاله القيم العليا والمبادئ الأخلاقية التي تمثل قاسما مشتركا بين أتباع الأديان والثقافات الإنسانية لتعزيز الاستقرار وتحقيق الازدهار لبنى الإنسان.

٥- العمل على إصدار وثيقة من قبل المنظمات الدولية الرسمية والشعبية، تتضمن احترام الأديان، واحترام رموزها وعدم المساس بها، وتجريم المسيئين لها.

ولتحقيق المقاصد التي ينشرها المؤتمر من الحوار، اتفق المشاركون في مؤتمر مدريد على الأخذ بالوسائل الآتية:

• احترام الديانات الإلهية، وحفظ مكانتها، وشجب الإساءة لرموزها، ومكافحة استخدام الدين لإثارة التمييز العنصري.

• السلام والوفاء والمصادقية، واحترام خصوصيات الشعوب، وحقوقها في الأمن والحرية وتقرير المصير، هي الأصل في العلاقة بين الناس، وتحقيقها غاية كبرى في الديانات، وفي أي ثقافة إنسانية.

• أهمية الدين والقيم الفاضلة، ورجوع البشر إلى خالقهم في مكافحة الجرائم والفساد والتخدرات والإرهاب، وتماسك الأسرة وحماية المجتمعات من الانحرافات.

• الأسرة هي أساس المجتمع، وهي لبنته الأولى، والحفاظ عليها وصيانتها من التفكك أساس لأي مجتمع آمن مستقر.

• الحوار من ضروريات الحياة، ومن أهم وسائل التعارف والتعاون وتبادل المصالح، والوصول إلى الحق الذي يسهم في سعادة الإنسان.

• الحفاظ على البيئة وعلى طبيعة الأرض وحمايتها من التلوث والأخطار البيئية التي تحيط بها، هدف أساسي تشترك فيه الأديان والثقافات.

الإرهاب من أبرز عوائق الحوار

ومن أجل التعاون على تحقيق المبادئ السابقة من خلال الحوار، فإن المؤتمر استعرض مسيرة الحوار وموقفاته، مستحضرا الكوارث التي حلت بالإنسانية في القرن العشرين، مدركا أن الإرهاب من أبرز عوائق الحوار

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ شُعَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣]

الحوار في القرآن والسنة

للاستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

٢

عالمية الإسلام... توجب الحوار على المستوى الإنساني

بما أن الدعوة الإسلامية جاءت دعوة عالمية موجهة إلى جميع الناس ولم تختص كالدعوات السابقة بقوم دون قوم، بل جاءت عامة في الزمان وفي المكان فهي خالدة باقية إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

والقوم الذين بعث فيهم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - والزمان الذي أشرق فيه الدعوة الإسلامية، والمكان الذي هبط عليه الوحي بها، واللغة التي نزل القرآن الكريم بها، كلها خصائص ومنطلقات لهذه العالمية، المتخذة من الحوار منهجاً للإقناع.

● وما نركز عليه هنا هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى وهو القرآن الكريم، الذي يمثل كلمة الله الأخيرة إلى أهل الأرض جميعاً ودستوره السماوي للبشرية جمعاء وإلى يوم القيامة.

فقد أنزل الله تعالى القرآن بالحق مصداقاً للكتب السماوية التي أنزلت من قبله،

ومهيماً عليها: أي إنه مؤتمن على الكتب وحاكم على ما قبله فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جمع الله فيه محاسن الكتب السابقة، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره كما يقول الإمام ابن كثير.

وتتضح هذه الحقيقة من قول الله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

(المائدة: ٣)

ومن قوله تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾

(المائدة: ٤٨)

وقد وصف الله تعالى كتابه العزيز بأنه أحسن ما أنزل إلى الناس من ربهم فقال جل شأنه:

﴿وَأَنصِرُوا أَخْسَنَ مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن دِينِكُمْ﴾

(الزمر: ٥٥)

الحوار في دعوة الأنبياء لقومهم

وبين لنا القرآن الكريم أن كل رسول من الرسل السابقين كان يبعث إلى قوم معينين، وكان عليه أن يدعوهم - بالحوار - إلى تبتدئ الباطل والسير على منهج الحق، والالتزام بالعدل فيما بينهم، وعبادة الله وحده لا شريك له...

وقد قص علينا القرآن من أنباء الرسل ما يؤكد أصالة منهج الحوار...

● ففي شأن نوح - عليه السلام - قال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

(هود: ٢٥)

● وفي شأن هود - عليه السلام - قال تعالى:

﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾

(هود: ٥٠)

● وفي شأن صالح - عليه السلام - قال سبحانه:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾

(هود: ٦١)

● وفي شأن شعيب - عليه السلام - قال تعالى:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا﴾

(هود: ٨٤)

● وفي شأن عيسى - عليه السلام - قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعُوا إِلَهُي رَسُولًا قَدْ نُفِثَ بِكُمْ قُرْآنًا وَمِنْهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

(الصف: ٦)

ولقد ابتدأ الحوار بين نبي الله نوح وبين قومه حين رفضوا أن يكونوا مع الضعفاء الذي آمنوا، وبين الله لنا ذلك في القرآن:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرَدُّدُكَ إِلَّا بَشْرٌ بَلْ لَّعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(هود: ٢٧)

ولقد رد عليهم مقيدا هذه الدعوة:

﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظمت أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾

(الشعراء: ١٣٦)

وهكذا أنهوا هم الحوار، وحقت عليهم لعنة الله، ولو استمروا في الحوار باحثين عن الحق لكان مصيرهم غير ذلك.

ومن بعد هود أتى صالح - عليه السلام - الذي صدع بأمر الله، وأخذ يحاور قومه ويرد على ما يوردونه من شبهات أثناء حوارهم له، وكان من قوم صالح أنهم تجحوا تجاحا جزئيا من خلال الحوار، ويسجل الله لنا ذلك فيقول تعالى:

﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَدَيْنِ مِنْ رَبِّي وَمَنْ لِي بِرَحْمَةٍ مِنْ عِندِ رَبِّي غَفِيتَ عَلَىٰكُمْ أَنْتُمْ كَذِبُونَ ﴾

(هود: ٢٨)

ثم غضى الآيات ليعنف نبي الله دعواهم بكل الحجج التي يقبلها من له عقل سليم... ومن العجب أن الكافرين هم الذين ستموا الحوار؛ لأنه لا حجة لهم فقالوا:

﴿ يَنْتَوِيحُ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْتَفَرْتُمْ ﴾

﴿ جَدَلْنَا فَأَنَّا إِنَّمَا اتَّخَذْنَا مِنَ الْقَدِيرِينَ ﴾

(هود: ٣٢)

ثم بعث الله نبيه هودا عليه السلام ودعا إلى الإيمان بالله وحده، وأنه إنما يدعوهم لأن الله أمره بذلك، لا يستغنى أجرا منهم ولا محمدا، قال تعالى:

﴿ وَإِلَّا عَادِلًا لِّخَلَاةٍ مُّؤَدَّيْكُمْ ﴾

﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾

(الأعراف: ٦٥)

ولم يقبل قوم هود دعوة نبيهم وقالوا:

﴿ يَنْهَوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

(هود: ٥٣)

وتحظى الآيات تبين ما قالوه لنبيهم من الأسباب التي تدعوهم لرفض الحق، وظل نبي الله يدعوهم، ولكنه لم يجد منهم آذانا تصغي ولا قلبا تعي حتى قالوا أخيرا:

﴿ مَا أَفْكُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

(الشعراء: ١٥٤)

وهم لم يسلكوا سبيل قوم هود حين رفضوا دعوة نبيهم جملة وتفصيلا؛ بل طلبوا آية تدل على صدق الرجل الذي أرسل فيهم، ولذلك فقد قال الله فيهم:

﴿ وَأَمَّا نَعُودُ فَنَهَدِيَنَّهُمْ فَاستَحْيُوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴾

(فصلت: ١٧)

وهكذا حينما تمسكوا بالحوار، وتحكيم العقل هدوا، ثم حينما رفضوا العقل والحوار، وجأوا إلى القوة، وقتلوا الناقة التي جعلها الله معجزة لنبيهم - عليه السلام - نزل بهم غضب الله الذي لا يرد عن القوم الكافرين، وأهلكهم هلاكا مبينا.

ثم أرسل الله نبيه شعيبا، فأخذ يعظهم ويحاورهم، يحاول أن يستميلهم وأن يوقظ فيهم فطرة الله التي فطرهم عليها، قال تعالى:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ ﴾

﴿ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾

(هود: ٨٤)

وأخذ نبي الله شعيب يبين لهم فضل الله عليهم، ويخوفهم من عصيانه، ويبين لهم البركات التي تترتب على طاعته، وبالمثل أخذ قومه يحاورونه، ويحاولون أن يصرفوه عن دعوته بسلوك مسالك خبيثة فائلين له:

﴿ قَالُوا إِنَّا نَشْعَبُ أَصْلَؤُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يُعْبَدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْعَلِيْمُ الرَّشِيدُ ﴾

(هود: ٨٧)

وظل الحوار متواصلا حتى ضاق الكافرون بشعيب - عليه السلام - وقرروا أن يمنعه عن دعوته بالقوة، وأنهوا الحوار من جانبهم، وقال الله موضحا ذلك:

﴿ قَالُوا إِنَّا نَشْعَبُ مَا تَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ ﴾

﴿ وَإِنَّا لَنَرُوكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ أَلَمْ نَقُلْ لَكَ غَلِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ بِمُعْزِزٍ ﴾

(هود: ٩١)

وهكذا انتقلوا من لغة الحوار إلى التهديد بالقتل...!!

أما أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - فقد كانت له مواقف مشهودة في المحاور، ومحاولة الإقناع بالحسنى؛ فيها هو يواجه آياه؛ يحاول أن يبين له فساد اعتقاده وعبادته، ويخاطبه بما يرفق فؤاده عليه عله يتوب؛ ويبين الله لنا ذلك فيقول:

﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَادِقَ الْبَيِّنَاتِ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾

(مريم: ٤١-٤٢)

ويستمر إبراهيم - عليه السلام - ناصحا لأبيه؛ مشفقا عليه؛ حتى ينفذ صبر الأب، ويهدد ابته:

﴿ قَالَ لَرَأَيْتَ لَيْتَ عَنِّي إِلَهٌ ﴾

﴿ يَتَّبِعُهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْفِي مَلِيًّا ﴾

(مريم: ٤٦)

ويستمر إبراهيم في محاورته لقومه؛ يبين لهم ما هم فيه، ويدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويبين الله لنا ذلك فيقول:

﴿ وَاقْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا مَا تَعْبُدُونَ إِلَّا مَا يَفْعَلُ آبَاؤُنَا عَالَمِينَ قَالُوا هَلْ يَسْمَعُونَ كَلِمًا إِذْ تَدْعُونَ ﴾

(الشعراء: ٦٩-٧٢)

وظل هذا دأبه - عليه السلام - حتى قرروا هم إنهاء الحوار، واعتماد لغة القوة والقهر:

﴿ قَالُوا خَرِّقُوهُ وَانصُرُوا إِلَهُتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَاءَ ﴾

(الأنبياء: ٦٨)

● ولم يتخل خليل الرحمن عن الحوار، وعن محاولة إقناع مخالفه بالحسنى؛ حتى وهو يواجه التمرد الطاغية:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ جَاءَ إِزْرَهُمْ فِي رُبْعِهِ
أَنَّهُ تَأْتَهُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةُ إِذْ قَالَ إِزْرُهُمْ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّ
وُيَمِيتُ قَالَ أَنَا أُخَيِّ وَأَمِيتُ قَالَ إِزْرُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَأَنَّى
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتَتْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

(البقرة: ٢٥٨)

وفي النهاية نصر الله نبيه، وأذل الكافرين بوسائل الحوار والإقناع بالتي هي أحسن.

● وفي قصة يوسف - عليه السلام - نجد في القرآن الكريم صوراً من الحوار

بين يعقوب وأبنائه، وهم يكذبون عليه ليدبروا مؤامرة قتل أخيه يوسف، وصوراً من الحوار بين يوسف وعزيز مصر، وزوجته التي حاولت إيقاع يوسف في شباك الفاحشة... وصوراً من الحوار بين يوسف وزملائه في السجن... ثم مع ملك مصر وهو يحاول تعيين يوسف وزيراً بعد إخراجهم من السجن، ثم بين يوسف وإخوته والديه في نهاية القصة العجيبة... قصة نبي الله يوسف - عليه السلام -

● وفي قصة موسى صور من الحوار الفكري والعقدي العجيب بين موسى وهارون - من جانب - وفرعون وبطانة السوء من جانب آخر... ثم بين موسى والرجل الصالح الذي زوجه ابنته، ثم بينه وبين بني إسرائيل...

● وهكذا تمتد مساحات الحوار عبر كل الأنبياء - عليهم السلام - وأتباعهم... مما يؤكد أصالة الحوار بالنسبة للأديان الصحيحة كلها، وأن الحروب واستعمال القوة طريق الباطل والكفر والضلال.



الحضارة الإسلامية المسيحية

ماذا حدث

تأليف

ريتشارد دبليو. بوليت

ترجمة:

الدكتورة فاطمة نصر

٤

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض

الأستاذ بجامعة الأزهر

إن توأمة الديانات السماوية ووحدة مصدرها التي تعرف عليها (ريتشارد دبليو - بوليت) في جولته التاريخية، والتي تتوافق مع ما جاء به القرآن الكريم إلا في بعض الشروح التي افترضها طوائف من ذوى الأغراض الشخصية المنتمين إلى تلك الديانات الذين استغلوا ما نشأ من اختلافات في رؤى الناس ليؤججوا نيران الحرب والصراع بين تلك الديانات..

هذه التوأمة الدينية، مع الخلافات الناشئة بين أتباعها، والتي أوضح القرآن الكريم في أكثر من موطن أنها وسيلة تعارف وتعاون وتكامل بين الناس، وليست نذير صراع وحرب إلا عند من يطغيه العلم، ويخرج به عن الجادة والقطرة..

هذه التوأمة تفرض أن يكون القرآن الكريم مرجع كل الدارسين، ومصدر تفكيرهم في طبيعة تلك التوأمة، ودعائهم، لأنه الكتاب الوحيد الذي سلم من تدخل الشارحين والمؤولين، وغسيرهم من ذوى الأغراض الشخصية.

ومن أبرز وأهم ما يقيم القرآن الكريم هذه التوأمة عليه.. قيام العلاقة على احترام الآخر، وتقدير آرائه، ما دام الجميع ينطلق من قاعدة التوحيد، كما يقرره قوله عز شأنه:

﴿ قُلْ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا يَهُودًا نَصَارًا إِيمَانًا أَفْقُولُوا أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ ﴾

(آل عمران: ٦٤)

فلا يحق لأحد - أيا كان - أن يهيمن بأفكاره

وآرائه على الآخرين، ولا أن يسعى إلى ذلك بسبب عرقه، أو ثروته، أو سطوته؛ فالصواب والهدى يجب أن يسعى إليه المسلم، كما يجب أن يسعى إليه الآخرون، وكما يمكن أن يصل هذا إلى الصواب يمكن أن يصل ذلك إليه، دون تفاضل أو تميز، على نحو ما أكد القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا أَوْنٰكُم مَّٰلًا هَدٰى أَوْفٰى ضَلٰلٍ ثٰمِيٰنَ﴾

(سبا: ٢٤)

ولكن القائمين على أمر الغرب المسيحي يغفلون هذه الثوابت القرآنية، ويطلقون لشبهوات الاستبداد والهيمنة العنان، فيرددون صيحات الحرب ضد الإسلام، ويتقنون في ذلك السبيل بكل الوسائل بما فيها التزبي بثياب الحب والوداد.

أمريكا تبحث عن تعذيبهم في الشرق

وبعد الاستعراض المفصل لوحدة الأحوال الإسلامية والمسيحية التي رأى ثقافة الدينين في الأصل - ثقافة توأم طراً عليها من العوامل - خصوصاً مع أطماع الغرب المسيحي الاستعماري في احتواء العالم الإسلامي، ومع النشاط التثويري المسيحي المؤازر للمستعمرين - ما أجمع الخلاف بينهما، صورته بعض كتاب الغرب المسيحي بأنه (صراع بين الحضارتين)، وبأنه ناشئ عن حقد المسلمين المتخلفين والفقراء على الغربيين المسيحيين المتقدمين والأثرياء.



برنارد لويس

هنتجتون

بعد هذا الاستعراض الشفت المؤلف في الفصل الثالث (البحث عن الحب في الأماكن الخطأ) إلى ما أفرزته رؤية (هنتجتون)، و(برنارد لويس)، وغيرهما من يرون في الإسلام عدوا يستوجب التهيؤ الدائم للصراع معه، فقد أقرزت هذه الرؤية جماعة من المبشرين الأمريكيين وجماعة أخرى من العلمانيين يسعون إلى استقطاب المسلمين.

أما المبشرون الأمريكيون فقد اعتمدوا على بذل خدمات اجتماعية تلبى حاجات بعض المسلمين في بيئاتهم، متوهمين أن المسلمين - بذلك - سوف تلقى بهم في أحضان أمريكا، ولكنهم قوبلوا ببرود صاعق إزاء تجاوزهم دائرة الخدمة المباشرة، وكشفهم عن أهدافهم الحقيقية من تلك الخدمات.

وأما العلمانيون الذين كرسوا جهودهم الإبداعية لتخيل عالم إسلامي يكن لهم عميق التقدير، ويمنتحهم الحب.. هؤلاء العلمانيون أعموا أنفسهم عن حقائق معينة لحياة المسلمين وفكرهم، وأغفلوا ما في

نفوس المسلمين من شك حول نزوع الأمريكيين إلى الخير في ظل ما يقومون به من اعتداء استعماري لا يختلف عما قام به الأوروبيون وما زالوا يقومون به.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية حاول بعض الأمريكيين أن يفيدوا من الطموحات الأمريكية الجديدة للاشتباك مع العالم عن طريق اختراع (شرق) جديد يتركز حول عدد صغير سريع التكاثُر من العلمانيين المتحمسين للغرب.

فكما حطط المثقفون الفرنسيون لجعل العذراوات المثيرات محور هذا الشرق الجديد.. خطط المخللون الأمريكيون لشرق أوسط تحصل فيه النساء السافرات على الدرجات الجامعية والمراكز الحكومية المهمة في المستقبل القريب. ولم يكن صعبا العثور على أفراد من المسلمين يتوافقون مع هذه التلميذات الجديدة.

ولكن الرئيس (أيزنهاور) أنشأ سنة ١٩٥٣م مجلس تنسيق للعمل على (كسب العقول والقلوب)، فأصدر مجموعة عمل بشأن التنظيمات الإسلامية لوضوح أهمية الإسلام بالنسبة للسياسة الأمريكية لأسباب منها:-

١- توافق بعض قيم الإسلام مع القيم الأمريكية، فللإسلام والمسيحية قاعدة روحية مشتركة، هي الاعتقاد في قوة إلهية تحكم حياة الإنسان، بخلاف الشيوعية بإحادها المادي.

٢- وإدراك الأمريكيين أن الشيوعيين

بإحسانهم مخاطبة المسلمين قد استطاعوا استغلال الإسلام مع عدم الاتساق بينهما.

٣- وإدراك الأمريكيين أن للإسلام تأثيرا كبيرا في ميزان القوى، خصوصا مع سرعة تناميهِ وانتشاره في العالم، على ما هو واضح في أفريقية، وشرق آسيا.

٤- وتوقع الأمريكيين تسارع المسلمين للتوجه نحو المادية، بعد انحسار القيم الإسلامية؛ سعيا وراء جاذبية التفوق التكنولوجي في الغرب المسيحي.

ومن الحب ما قتل

ومن هنا.. كان على الأمريكيين أن يسعوا لتحقيق هذا الحب الذي يضمن لهم الهيمنة على المسلمين، فانطلقوا بحثا عن المشتركات بين الإسلام والمسيحية وعملوا على إبرازها لإغراء المسلمين بها، مثل الإيمان بالله، ومعارضة الإلحاد، إلى غير ذلك مما يولد الشعور بالود تجاه الغرب.

ومن جهة أخرى.. بحثوا عما يعيق توليد هذا الشعور ليعملوا على قهره وتشويهه في نفوس المسلمين، مثل: الفروق الثقافية بين المسلمين والمسيحيين، واستياء المسلمين من هيمنة الثقافة الغربية، وعدم ارتياحهم للتطبيقات الديمقراطية، وشعورهم بالسمو الديني.

وبحثوا عن الوسيلة التي تحقق لهم تلك الهيمنة تحت عنوان (الحب)، فأروا: أنه لا بد من بدء دراسات إقليمية تنطلق من الشرق الأوسط، وأفريقيا، ثم جنوب شرق

آسيا. وقد قام بهذه الدراسات المرجعية جامعات (هارفارد)، و(برينستون)، و(ميتشجان)، و(كولومبيا، ويوس-إل-إيه) وجامعة (جون هوبكنز).

وبدلاً من اهتمام هذه الدراسات بالتحذير من رد الفعل السلبي لأثر الغرب على البلدان الإسلامية، وبدلاً من اهتمامها بالتحذير من ضرورة التوافق بين المبادئ الإسلامية والتوجهات الاجتماعية الراهنة.. بدلاً من هذا وذاك التزم رواد الدراسات الإسلامية بنظريات (التنمية)، و(التحديث) التي استخدمت لتخلف - بشكل طبيعي - التقاليد التبشيرية، ولتغرس في دراسات الشرق الأوسط توجهها انتهازيا أمريكيا، مما حول تلك الدراسات من المجال الأكاديمي إلى جعلها رسالة وعظية تهتم بالبحث عن عرب ومسلمين يستطيع الأمريكيون أن يحبوهم!

ويصنعون لهذا الحب مجاله

ويرى المؤلف: أن هؤلاء الباحثين بعد أن قرروا ضرورة إغراء المسلمين بحب الأمريكيين المسيحيين لتمكين الأمريكيين من الهيمنة على المسلمين.. سعوا للبحث عن وسائل تحقيق ذلك عن طريق المسح الاستطلاعي لتوجهات المسلمين، جانبهم فيها الصواب - على الرغم من ضخامتها - فقد تجاهلوا طبيعة الإسلام.

واقترضوا أن التحديث الغربي هو النموذج المستقبلي للأوطان المرغوب فيه؟ ولذلك طبخوا أسئلة متوافقة مع النموذج

الغربي للحدثة، المتمثل في (القوة - الثراء - المهارة - العقلانية)، داعمين هذه الطبخة باطمئنانهم إلى حكام المسلمين في تلك المرحلة، المعنيين بالوصول إلى السلطة أو الحفاظ عليها.

وقد أعمتتهم هذه الاستطلاعات المطبوخة عن الوقوف على علاقة الإسلام بالتحديث ونوعيته، متوهمين أن لاعلاقة له بذلك، فأعماهم هذا عن رؤية مناضليه أفراد ذوى مستوى تعليمي عال، وإمكانات دعوية قوية مثل سيد قطب، وأبو الأعلى المودودي، فلم يروا توجهات إسلامية أخرى للتحديث عميقة المعادة للتحديث الغربي، على الرغم من أن تأثير هذا التوجه كان أقوى من تكهنات التحديثيين الغربيين، وعلى الرغم من أن النقد الثقافي والسياسي الموجه للغرب أصبح أكثر تنامياً منذ سنة ١٩٥٠ م.

ويلاحظ المؤلف: أن أبرز القائمين بهذه الطبخة - مثل هلبرن، ولرنر - يجزمون بعجز الإسلام عن الإصلاح أو التحديث، وباحتمالية انتصار القيادات العلمانية، بسبب هذه الغمائم التي وضعت على أعينهم ليطبخوا المجال الذي يمكن الغربيين من الهيمنة على المسلمين تحت ستار (الحب) لذلك.. لم ير هؤلاء أولئك الأناس المتزوجين بعمق مع مورثاتهم الإسلامية ممن انحزوا الثورة الإسلامية في إيران، وشكلوا عدداً كبيراً من الحركات والأحزاب السياسية الإسلامية، مما أوقعهم في حيرة تبعت على القلق.. مازالوا

واقعين تحت تأثيرها.

ويخلص المؤلف من هذا إلى تقرير: أن أهم ما نتج عن تأثير العالم الحديث على الإسلام هو: عدم قدرة المبادئ التقليدية أن تسيطر على ولاء قادة الفكر والجيل الجديد الساعى إلى الخروج من حالة التخلف، إلى جانب الاشتمزاز من الغرب اشمزازاً خلق حساً بقبول أى نظرية سياسية معادية للغرب كما يخلص إلى: أن أهم ما نتج عن مسار هؤلاء الباحثين الأمريكيين، ودراساتهم الضافية.. هو تشويه فهم الأمريكيين للإسلام وللعالم الإسلامي.

وكان فشل المركب

وقد تولد عن تشويه فهم الأمريكيين للإسلام.. الفشل المتوالى في التعرف على الطريق إلى قلوب المسلمين، فلم يستطع واحد من هؤلاء الباحثين أن يعالج فشل تلك التوقعات التي لم يتحقق منها شيء، وذلك لبنائهم تلك التوقعات على قاعدة (صراع الحضارات)، غير ملتفتين إلى أن ما بين حضارة الإسلام وحضارة المسيحية إنما هو التواصل والتكامل، وليس الصراع الذي فرض على الدارسين البحث عن رجال دائمى التحرك باستطاعتهم إعادة صنع العالم الإسلامي في الصورة الأمريكية، متجاهلين مئات الملايين من المسلمين الذين يريدون من حكوماتهم ومؤسساتها أن تقوم على نظام أخلاقي وسياسي إسلامي.. ومتجاهلين أن هؤلاء الملايين لا يمكن - بأى حال - أن يتقبلوا السياسة الأمريكية الساعية إلى

الهيمنة على العالم الإسلامي، والتي ترى في السياسات الإسلامية عدواً خبيثاً متأسلاً، والتي تعمل جاهدة على وضع المسلمين في مأزق يضطرون معه للدفاع عن أنفسهم، مع تباكيهم الدائم وهم يتساءلون: لماذا يكرهنا المسلمون؟

إن السبيل الذي يمكن أن يمهّد للحب.. هو تقديم كل ما يمكن لتحقيق تنمية تكنولوجية، ولا يمكن بأى حال أن يحب المسلمون الأمريكيين من أجل قيمهم، كما إن الأمريكيين يرفضون أن يحبوا المسلمين من أجل قيمهم.

أن الصراع الناشب بين العالم الإسلامي والعالم الغربي ليس صراعاً بين حضارتين، ولكنه صراع تؤجج نيرانه الأطماع الاستعمارية المتمثلة في الربط بين التعاون التكنولوجي، والتدخل الاجتماعي والحكومي الغربي، ربطاً لا يقبل التجزئة، توهمت أمريكا أنه سيحقق تسويق أمريكا في العالم الإسلامي، ووجد الأمريكيون في أحمد الجلبي صديقاً يمكن الاعتماد عليه في غزو العراق، ولكنهم فوجئوا بأن الملايى الشيعة في النجف لهم دورهم لقد أقرزت هذه الأوهام الأمريكية وعياً أعمق بمقاومة المسلمين للمحاولات الأمريكية، لاغتناد المسلمين جميعهم أنهم هدف الحق الأمريكي الناشئ عن تشويه التاريخ فيما يصدر عن القادة الأمريكيين من تصريحات تؤذى مشاعر جماهير الشرق الأوسطيين والمسلمين، خصوصاً تلك التصريحات التي تبارك الاستعمار الأوربي القديم، والتي

تسعى لتحديث الشرق حتى يصبح غربا .
وقد أكد هذا الاعتقاد ظن المبشرين
الأمريكيين : أن بمقدورهم تنصير المسلمين
في الشرق الأوسط ، مع سعيهم الدائب إلى
الحصول على حب الناس .

كما أكده : تركيز التوصيات بالاعتماد
على الشرق أوسطيين الذين يحاولون ملوك
مسالك الغربيين ، توهمنا منهم بأن هؤلاء
ومن يعتنقون المسيحية سيكثرون - على
قلبتهم - روادا في إدخال الحداثة الغربية إلى
المنطقة لتصبح مجتمعاتهم مثل المجتمعات
الغربية .

وجاءت الثورة الإسلامية في إيران لتبرهن
على خطأ افتراض الأمريكيين ضرورة كون
الحدثين أناسا يماثلون الأمريكيين ، فالشاه
الذي أحبه الأمريكيون ، وأحب الأمريكيين
أصبح طاغية ، بينما أراد الإيرانيون أن يكون
لهم صوت في نظام الحكم ، واثقين من قدرة
الملالي المعممين على قيادتهم ، وتشكيل
حكومة ديمقراطية . ولما ظهر بن لادن تأكد
معتقد المحللين الأمريكيين : أن بن لادن ومن
تابعوه يكرهون العالم الحديث ، في حين برز
بعض الناشطين الإسلاميين يريدون
الانتخابات مع شيء من الاندماج في العالم
الحديث . مما أحدث تشويشا في الرؤى ،
فأصبح كل المفكرين الأمريكيين تقريرا
يرتعدون من فكرة تشكيل الإسلاميين
الحكومات ، فالليبراليون يرتعدون بسبب
عدم الليبرالية ومعاداتها التي يرونها جوهر
الحركات الإسلامية ، والمحافظون يرتعدون

بسبب تقديرهم أن
الإسلاميين يكرهون
الأمريكيين ، فسعى
هؤلاء وأولئك إلى
فصل الدين عن
الدولة خوفاً من
فكرة وجود حزب
سياسي إسلامي ، على
الرغم من وجود أحزاب مسيحية ويهودية
شكلت الحكومات في عديد من الدول .



اسامة بن لادن

استشراف المستقبل الإسلامي

ويختتم المؤلف دراسته بجولة أخرى يسبح
فيها مع رؤاه ورؤى بعض الباحثين الغربيين
للتعرف على مستقبل التحرك الإسلامي
بإزاء المآزق التي تراكمت في المجتمعات
الإسلامية ، وعرفت انطلاقته الحضارية .

وقد ابتدأ تلك الجولة بإعلانه عدم التوافق
مع زملائه من المؤرخين الذين يتحاشون
تصور المستقبل ، لاقتناعه بأن الحرفية
التاريخية تمكّن المؤرخ من تركيب أجزاء من
القرائن تمنحه القدرة على تخيل صورة
مقبولة للأشياء القادمة .

ثم خلص من مسجاته التأملية إلى رفض ما
يعتمد عليه الأكاديميون في بحثهم عمن
يجدد أمور الإسلام ، حيث يقيمون بحثهم
على تصنيف الحركات الإسلامية والمفكرين
الإسلاميين بين حداثيين ، وأصوليين
جهاديين ، وأصوليين معتدلين ، وناشطين
مسالمين ، وعقلانيين ، وظلاميين ،
وليبراليين ديمقراطيين وشموليين . إلى ما

لأنهاية من التصنيف .

يرفض اعتمادهم على هذا التصنيف ،
لإدراكه أن المسلمين الذين يصنفونهم
لا يستخدمون تلك المصنفات في الحديث
عن أنفسهم إلا نادرا لذلك .. لا يفيد مثل
هذا التصنيف إلا في مجال التحليلات .

وبعد استعراض مستفيض للتعريف
بالأطراف الإسلامية التي يحتمل أن تقوم
بتطوير مبادرات مؤسسية للتغيير - سواء
مجموعات الشتات . والأحزاب السياسية
الإسلامية ، ومؤسسات التعليم الديني
بالجامعات ، وغير ذلك - يعد التعريف
بأنشطة هؤلاء وأولئك .. يعلن عن يقينه
بأن هؤلاء جميعا سوف يأتون بحلول
لجميع مشكلاتهم ، ويقينه التام بأن الأعوام
العشرين أو الثلاثين القادمة ستشهد قادة
دينيين إسلاميين يدعون للتسامح
والسلام ، يیزون من يدعون اليوم للجهاد ،
وعدم التسامح ، والاستبداد الديني ،
ويتفقون عليهم في الاحترام والشعبية
والأنصار .

فالكتاب يقدم جهدا لباحث أخلص
نفسه للبحث الجاد الساعي إلى كشف
الحقيقة ، والرافض للاسترخاء الذي يلقي
بكثير من الباحثين تحت هيمنة التسليم بما
افترضه وتبناه السابقون أو المعاصرون ،
ذو الأصوات الجهيرة ، على ضالة وضحالة
ما يقدمونه في مجال الدراسات الإسلامية ،
حيث يقعون في خطأ فرض المعايير
الغربية ، وجعلها المقياس الوحيد الذي

يختبرون به قيم الإسلاميين وأفكارهم ، من
كل ما أملى عليهم مثل الهراء الذي يعنيه
مصطلح (صراع الحضارات) .

والمؤلف - في هذا الجهد - يسعى لتقديم
خدمة للقائمين على أمر أمته ، كي يفقهوا
من تأثير التضليل الذي قادهم إليه فرية
(صراع الحضارات) ، حتى ينقذهم من
القتل الذريع الذي أصاب ماستهم في
التعامل مع الإسلام ، قرأوا أن المسلمين
لا يستطيعون الارتقاء إلى مستوى الحضارة
الغربية أو أية حضارة ، لأن الإسلام لا يوفي
بالمعايير الغربية للمساواة وحقوق
الإنسان .

بيد أن الكتاب - بما يضمه من
استطرادات واستقصاءات مستفيضة -
يجهد القارئ ، ويشتت ذهنه ، فلا يقف
على مقاصده إلا بعد معاناة ، وكد فكر ،
 وإعادة نظر .

يضاف إلى ذلك - وأظنه راجعا إلى
الترجمة - افتقاد الكتاب إلى الربط بين
أفكاره وفقراته ، فجاء ركاما يحوج إلى
كثير جهد في الوقوف عليها .

وهذا - إن ساع في الكتابة الغربية -
غير سائغ في الكتابة العربية التي تقوم
بلاغتها على باب كبير وخطير في الفصل
والوصل ومع هذا وذاك .. لا أملك إلا أن
أنوجه بالشكر للمؤلف على ما بذله من
جهد لتجلية الحقيقة ، وللمترجمة على ما
هيأته لنا من الوقوف على مثل هذا الجهد
المشكور في لغتنا العربية .

البرنامج النووي الإيراني بين الحرب والسلام

للاستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

باحث في الشؤون السياسية

غير أن إسرائيل ليست مقتنعة بجديوى «رزمة الحوافز السخية» التي حملها «خافيير سولانا» الممثل الأعلى للسياسة الخارجية فى الاتحاد الأوروبي إلى طهران مقابل تعليق أنشطة تخصيب اليورانيوم عند مستواه الحالى؛ لذلك فإن تل أبيب تحاول بكل جهد ممكن إقناع الإدارة الأمريكية بشن الحرب على إيران كخيار ليس له بديل الآن فى التعاطى مع البرنامج النووى الإيراني.

وفى هذا الصدد تشير مصادر استخباراتية أمريكية أن واشنطن تسلك طريقاً موازياً تخطط من خلالها نحو توجية ضربة عسكرية للمنشآت النووية الإيرانية، بما لا يتعارض مع التعشر الأمريكى فى العراق، خاصة أنها ستكون «ضربة جوية فقط» وليست عملية غزو. وقد أكد «فتنت كاتيسترادو» - الذى كان يعمل مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية - أن التخطيط يجرى برغم الإنكار العلن لوزير الدفاع الأمريكى، وتم تحديد المواقع النووية الإيرانية المستهدفة، ويجرى حالياً تجهيز المعدات المطلوبة لهذا الغرض؛ حيث أمر الرئيس

والحقيقة أن إسرائيل لن تستطيع بمفردها توجية ضربة عسكرية ناجحة وآمنة للمنشآت النووية الإيرانية، فى وقت لا يبدو الأمريكيون مستعدين للتورط عسكرياً فى إيران، بأى صورة من الصور من خلال مشاركة إسرائيل مثل هذا الهجوم العسكرى، أو حتى دعم أى تحرك إسرائيلى منفرد فى هذا الشأن، على الأقل فى الأمد المنظور. وقد حذر المدير السابق للمخابرات الإسرائيلية «الموساد» «أفرايم هاليفى» من أن ضربة إسرائيلية للمنشآت النووية الإيرانية، قد تؤثر على إسرائيل على مدى المائة عام المقبلة، فقال فى مقابلة مع مجلة «تايم» الأمريكية: «إن أى هجوم يهدف إلى تدمير البرنامج النووى الإيراني، سيكون له تأثير سلبى على رأى العام العربى، وأنه يتعين على إسرائيل مهاجمة إيران فقط، حينما يكون ذلك هو الخيار الوحيد». واستبعد «هاليفى» فى الوقت ذاته، أن تهاجم إسرائيل إيران قبل انتخابات الرئاسة الأمريكية فى نوفمبر ٢٠٠٨؛ خشية التأثير على فرص المرشح الجمهورى «جون ماكين».

المتحدة؛ فتحد من حرية تحركهما، وتتحدى سيطرتيهما الإقليمية.

ثمة تقارير فى واشنطن أفادت أن المسؤولين الإسرائيليين قدموا النظراتهم الأمريكيتين، معلومات استخباراتية جديدة حول البرنامج النووى الإيراني، فى محاولة لتسويق «خيار الضربة» قبل حيازة طهران التكنولوجيا المطلوبة لتطوير قنبلة نووية. ويقول «يهود باراك» وزير الدفاع الإسرائيلى: «إن إسرائيل أقوى دولة فى المنطقة. وأثبتت فى الماضى أنها لا تخشى القيام بتحريك، عندما تتعرض مصالحها الأمنية الحيوية للخطر». وأكد «مجللى وهبة» نائب وزيرة الخارجية الإسرائيلية، قدرة إسرائيل على مواجهة أى تهديد إيرانى محتمل فقال: «إن إسرائيل لا تخشى التهديدات التى تطلقها إيران من حين لآخر».

ويجزم كثير من المحللين أن إسرائيل لن تتخلى عن إصرارها على منع إيران من تحقيق قدرة نووية عسكرية، كما أن إيران لن توقف تخصيب اليورانيوم، بغض النظر عن أى مفاوضات لها فى جنيف.

لا أحد يستطيع أن يجزم بأن أزمة البرنامج النووى الإيراني، سوف يحسم أمرها فى غضون الشهور القليلة المتبقية من ولاية إدارة جورج بوش، حرباً أو سلماً، خاصة بعدما أعلن الرئيس الأمريكى فى زيارته الأخيرة لأوروبا «أن من حق إيران امتلاك برنامج نووى سلمى».

وقد كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن احتمال هجوم إسرائيلى وشيك على إيران لمنعها من تصنيع القنبلة النووية. وقد يصح أن الحرب بدأت - فى رأى البعض - وأنها اليوم فى المرحلة التى تسبقها، فيقول الكاتب الإسرائيلى «تسفى مزال»: «يتوقع أن تمتلك إيران من اليورانيوم الغضب ما يكفى لصنع قنبلة نووية ويحتمل أن تنجز إيران إنتاج اليورانيوم هذا العام (٢٠٠٨) أو مطلع العام المقبل (٢٠٠٩)، وعليه فالهجوم يجب أن يسبق هذا الموعد».

وفى هذا السياق تعتقد إسرائيل أن قنبلة نووية واحدة قد تشكل خطراً وجودياً عليها، حتى لو كانت تل أبيب تملك ترسانة نووية قوامها ٢٠٠ قنبلة نووية؛ لأن إيران النووية، ربما تكون منافساً خطيراً لإسرائيل والولايات

الأمريكي «جورج بوش» بتحريك مجموعة عسكرية ثانية تقودها حاملة الطائرات «يو إس إس. جون ستينيس» إلى الخليج لدعم حاملة الطائرات «يو إس إس. أيزنهاور» كما أرسلت صواريخ باتريوت إضافية إلى المنطقة، وكاسحات ألغام.

واللافت للنظر أنه إذا كان بمقدور إسرائيل الإقدام بمفردها أو بمعاونة الولايات المتحدة، على عمل عسكري ضد إيران، فسوف تظل أمامها «مشكلة حقيقية» تتبلور في مدى رد الفعل الإيراني المتوقع. لذلك تنوى الولايات المتحدة نشر «نظام إيجيس» قبالة السواحل الإسرائيلية من أجل تأمين خطوط دفاعية ثابتة ضد الصواريخ الباليستية الإيرانية. وهو نظام دفاعي جوي متكامل ذو مدى متوسط، ومجهز برادار يصل مداه إلى ٤٥٠ كم، ويمكن أن يستهدف أكثر من ٢٥٠ هدفا مختلفا. ويذكر في هذا الصدد أن امتلاك إيران وتشغيلها بطاريات الصواريخ «إس-٣٠٠» التي مستلمها طهران من روسيا أوائل سبتمبر القادم (٢٠٠٨)، سيجعل أي ضربة توجهها إسرائيل أو الولايات المتحدة للمنشآت النووية الإيرانية أكثر صعوبة. والجدير بالذكر أن نظام الصواريخ «إس-٣٠٠» يعتبر من أفضل الأنظمة المضادة للطائرات على مستوى العالم حاليا؛ حيث يقول الخبراء: إنه أثبت قدرته على تعقب ١٠٠ هدف في وقت واحد، والاشتباك مع ١٢ هدفا في ذات الوقت.

المناورات الحربية الإسرائيلية

ومن جهة أخرى نقلت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية عن مسئولين أمريكيين أن

عشرات الطائرات الحربية الإسرائيلية شاركت خلال شهر يونيو ٢٠٠٨ في مناورة عسكرية جوية في البحر المتوسط، وتدربت على تنفيذ هجوم جوي على إيران، ويبدو أن إسرائيل تريد بذلك تبليغ رسالة إلى واشنطن مفادها: «أن إسرائيل قادرة على مهاجمة طهران من دون مساعدتها».

وإذا سلمنا جدلا بأن إسرائيل ستقوم بتوجيه ضربة جوية خاطفة لإيران؛ فإن ذلك يلزم استخدام أجواء تركيا. والحقيقة أن تركيا لن تسمح بمنح إسرائيل الإذن باستخدام أجوائها ضد الحارة المسلمة إيران، وعليه يتعين على إسرائيل أن تحصل من العراق على هذا الإذن بعبور مجالها الجوي. وبالطبع لن تسمح حكومة نوري المالكي بذلك نظرا للعلاقة الحميمة بين العراق وإيران برغم الوجود الأمريكي في العراق. وفي هذه الحالة يبدو أن أمريكا لن تعطي إسرائيل الضوء الأخضر لمهاجمة إيران، خاصة أن واشنطن لم تنس الهزيمة التي أنزلها حزب الله بالجيش الإسرائيلي في حرب الـ ٣٣ يوما ضد لبنان. كما أن البتساجون (وزارة الدفاع الأمريكية) تشك في قدرات إسرائيل العسكرية في إحراز نصر ضد طهران، خاصة أن إيران تملك نظاما صاروخيا متكاملًا، يأتي على رأسه «صاروخ شهاب-٣» الذي يبلغ مداه ٢٠٠٠ كم، ويمكنه أن يصل إلى العمق الإسرائيلي بسهولة.

ومن ناحية أخرى عبر رئيس الأركان الأمريكية المشتركة الأميرال «مايكل مولن» عن قلقه من أن أي ضربة أمريكية أو إسرائيلية لإيران، ستطوي على مخاطرة كبيرة، بحدوث

مزيد من الفوضى في الشرق الأوسط، وقال: «أنا قلق في شأن حال عدم الاستقرار في ذلك الجزء من العالم، ومن العواقب المحتملة غير المقصودة لتوجيه ضربة من هذا النوع».

التجميد مقابل التجميد!!

ومن هنا يمكن القول: إن القدرة الأمريكية ليست وحدها في ميدان قرار الحرب إذ إن قرار الحرب هو حالة تعتمد - كما يقول الخبراء - على عوامل متعددة لا يحددها الطرف صاحب قرار الحرب وحده (وهو هنا الولايات المتحدة أو إسرائيل، أو هما معا) بل يحددها الطرف الآخر أيضا. خاصة أنه لا تزال إيران على خطتها السابقة التي تستهدف عدم دفع الأوضاع إلى حالة الحرب، والعمل وفق استراتيجية «استهلاك أو إضاعة الوقت» وتقليل الاندفاع الأمريكي نحو الحرب. وفي إطار الحل الدبلوماسي، قد تقبل طهران الاتفاق المؤقت الذي اقترحه «خافيير سولانا» الممثل الأعلى للسياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، المتمثل في صيغة «التجميد مقابل التجميد» أي تجميد عملية تخصيب اليورانيوم لمدة ستة أسابيع مقابل تجميد قصير الأجل للعقوبات المفروضة على إيران لإتاحة مزيد من المحادثات للتوصل إلى اتفاق يرضى الطرفين، وتجنب أية مواجهات بين الجانبين.

واللافت أن الرد الإيراني على «عرض الحوافر» الذي حمّله «سولانا» إلى إيران، اكتفى بطرح فكرة التفاوض حول هذا العرض، بتأسيس «كونسيرتيوم عالمي» يتولى مهمة تخصيب اليورانيوم في إيران، بمشاركة إيرانية.

ولقد اجتمع كبير المفاوضين الإيرانيين «سعيد جليلي» مع مجموعة ٥ + ١ (أي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين بالإضافة إلى ألمانيا) في جنيف يوم السبت ١٩ / ٧ / ٢٠٠٨ بحضور «وليام بيرنز» مساعد وزير الخارجية الأمريكية، للتباحث حول اقتراحات الجانبين استنادا إلى عدة عناصر أهمها:

● أولا: منع انتشار الأسلحة النووية في المنطقة، للحيلولة دون سباق تروى بين دول المنطقة.

● وثانيا: إعادة الاستقرار إلى المنطقة.

إن أهم شيء لفت في هذا الاجتماع هو حضور «وليام بيرنز» عن الجانب الأمريكي لأول مرة، وهو ما يمثل خطوة إيجابية من جانب الإدارة الأمريكية. وانتهى هذا اللقاء بمنح طهران أسبوعين للرد على رزمة الحوافر المقدمة من مجموعة ٥ + ١، ولقد رفضت إيران مؤخرا هذه المهلة.

وفي إشارة إلى العرض الغربي «التجميد مقابل التجميد» قال الرئيس الإيراني «محمود أحمدي نجاد»: «كان الأمريكيون يقولون سابقا: إن على إيران قبول تعليق اليورانيوم كشرط لحضور أمريكيي المفاوضات، لكنهم شاركوا في المفاوضات (يوم ١٩ / ٧ / ٢٠٠٨) من دون أن تعلق إيران برنامجها، ونحن ننظر إلى ذلك إيجابا». ومن جانب آخر سعت طهران إلى تحسين شروط التفاوض قبل بدء الجولة الجديدة من المحادثات حول البرنامج النووي الإيراني، فأعلنت في «٢٦ / ٧ / ٢٠٠٨» امتلاكها حوالي ستة آلاف



احمدى نجاد

العقوبات دون تقديم أى تنازلات جوهرية. وفي هذا الصدد قال نائب الرئيس الإيراني «أغارزاده»: «إن الجانب الآخر في حاجة إلى وقت لدراسة اقتراحاتنا» وقد أعرب عن أمله بأن تسفر

عملية التفاوض الجارية، إلى صوغ «وثيقة واحدة» يتفق عليها الجانبان. كما صرح بأن «بدء المفاوضات النووية مع المجتمع الدولي، يمكن أن يؤدي إلى حل كثير من المشاكل في العراق وأفغانستان ولبنان، بالإضافة إلى انخفاض أسعار النفط».

ومن ناحية أخرى قال الرئيس الإيراني «محمود أحمدى نجاد» حول أهمية المحادثات بين إيران والغرب: «إن إحراز تقدم للتوصل إلى اتفاق مع الغرب، يعتمد على مدى صدقية التحول الذي طرأ على التوجه الأمريكي إزاء طهران» كما أضاف قوله: «في الخطوات الأولى ستفاوض على النقاط المشتركة في المجموعتين، وإذا نجح الطرفان في الاتفاق على الأرض المشتركة، سيساعدنا في حل خلافتنا».

وفي الختام يمكن القول: إن كفة الحرب تكاد أن تتعادل مع كفة السلام إزاء هذا البرنامج النووي الإيراني المثير للجدل. ولكن إذا توصل الجانبان إلى نقاط مشتركة، يمكن الاتفاق عليها في غضون جولات التفاوض المقبلة: فإن آمال المجتمع الدولي تتعلق بهذه الخطوة الإيجابية، التي قد تؤدي إلى انفراجة لهذه الأزمة المستحكمة.

على إيران، جزء من «الحرب النفسية» التي يشنها الغرب على بلاده من أجل تحويل الأنظار عما وصفه به «المشاكل الداخلية» التي تعاني منها إسرائيل والولايات المتحدة.

رفع العقوبات دون تنازلات

والجدير بالذكر أن «خافيير سولانا» الممثل الأعلى للسياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي عندما قام بزيارة طهران لعرض «رزمة الحوافز» على المسؤولين الإيرانيين، حمل خلال هذه الزيارة ثلاث رسائل:

- الأولى: رزمة الحوافز.
- والثانية: رسالة موقعة من وزراء خارجية الدول الست «مجموعة ٥ + ١».
- والثالثة: رسالة غير رسمية تتضمن ثلاث مراحل لبدء المفاوضات.

في المرحلة الثانية حديث عن تعليق تخصيص اليورانيوم لمدة ستة أسابيع قبل بدء المفاوضات، وهو ما رفضته طهران. وأعرب نائب الرئيس الإيراني «رضا أغارزاده» الذي يشغل رئيس هيئة الطاقة الذرية الإيرانية، عن أمله ببدء المفاوضات في نهاية المهلة وقدرها أسبوعان، استناداً إلى الاقتراحات التي طرحتها إيران والدول الست الكبرى خلال محادثات جنيف التي جرت في ١٩ يوليو ٢٠٠٨. في الوقت الذي أشارت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية فيه إلى اقتراحات إيرانية سلمت إلى مجموعة ٥ + ١ (وهي الولايات المتحدة، روسيا، الصين، بريطانيا، فرنسا، ألمانيا) خلال اجتماع جنيف، تدعو إلى العديد من جولات المفاوضات، ورفع

والحقيقة أن الولايات المتحدة من صاحبها حضور هذه المحادثات المباشرة. ويبدو أن المنطقة دخلت بالفعل في سلسلة من التسويات التفاوضية؛ مما يقلل من احتمالات إشعال حرب جديدة في هذه المنطقة الساخنة؛ فهناك التفاوض السوري - الإسرائيلي بوساطة وضيافة تركية. وهناك أيضاً اتفاق تهدئة بين حماس في غزة وإسرائيل. وهناك اتفاق بين حزب الله وإسرائيل لتبادل الأسرى فيما بينهما من جهة أخرى. ويرى بعض المحللين أن هذه التسويات التفاوضية التي جرت بين هذه الأطراف ربما هدفها هو محاولة عزل سوريا وحماس وحزب الله عن إيران، تمهيداً لضرب الأخيرة من جانب كل من أمريكا وإسرائيل في الوقت المناسب. ويرى خبراء أن هذه الضربة ستقتصر على مواقع الحرم الثوري الإيراني بدلاً من المنشآت النووية الإيرانية، فيذهب الغلخ الأمريكي «سيمور هيرش» في مقال له بجريدة «نيويورك» إلى القول: «إن توجيه ضربة جوية أمريكية لمواقع الحرم الثوري الإيراني يعني بداية أن الولايات المتحدة قد قررت الانسحاب من العراق، وإنه لتبرير ذلك الانسحاب، فإنها سوف تضرب إيران كنوع من إثبات القوة، وحفظ ماء الوجه». ومن هنا يمكن القول: إن هذه الضربة ستكون محدودة لإرضاء إسرائيل وحلفاء وأصدقاء أمريكا في المنطقة، وحفظ ماء الوجه، وتبرير الانسحاب من العراق. وتشير تقديرات غربية إلى أن الضربة العسكرية، ستؤجل حصول إيران على القنبلة النووية من عام ٢٠١٣ إلى عام ٢٠١٥. ومن جانبه أكد «مصطفى محمد نجار» وزير الدفاع الإيراني أن التسويات التي توصلها وسائل الإعلام عن إمكانية وقوع هجوم وشيك

جهاز طرد مركزي لتخصيب اليورانيوم، وأنها وسعت برنامجها النووي برغم الضغوط الدولية. وفي هذا السياق قال الرئيس الإيراني «محمود أحمدى نجاد» في خطاب في مدينة مشهد: «وافقوا على أن لا تتم زيادة أجهزة الطرد المركزي عن الخمسة إلى ستة آلاف الموجودة، وعلى أن لا مشكلة في تشغيل أجهزة الطرد المركزي هذه» واعتبر الرئيس الإيراني هذا تراجعاً من جانب واشنطن فقال: «إن صمود إيران أجبر الولايات المتحدة على تغيير موقفها، والمشاركة في المحادثات الأخيرة في جنيف». ولقد ناقش البرلمان الإيراني في جلسة مغلقة نتائج مفاوضات جنيف التي جمعت كبير المفاوضين الإيرانيين «سعيد جليلي» و«مندوبي الدول الست» بحضور «وليام بيرنز» مساعد وزير الخارجية الأمريكية، وهو ما يمثل سابقة يعتبرها بعض المحللين تحولاً في سياسة واشنطن تجاه إيران.

ومن المعلوم أن «سعيد جليلي» قدم تقريراً عن سير محادثات جنيف يوم ٢٠٠٨/٧/١٩ والنتائج التي تربت عليها، والخطط المستقبلية الإيرانية لمواجهة الضغوط الغربية، من جانب الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين.

الحضور الأمريكي المفاجئ

واعترفت وزيرة الخارجية الأمريكية «كوندوليزا رايس» أن «حضور «وليام بيرنز» محادثات جنيف الأخيرة (في ٢٠٠٨/٧/١٩) كان مفاجئاً نوعاً ما للإيرانيين، الذين غالباً ما يرددون أن الغياب الأمريكي عن المحادثات، يؤكد عدم اهتمام واشنطن للتوصل إلى حل دبلوماسي»



القدس

للدكتور / محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

في الألف الرابعة قبل الميلاد، بنى الكنعانيون - أهل فلسطين - مدينة «يورد سالم» أو «يورو سالم».. ومن اسمها هذا جاءت تسميتها الغربية Jerusalem في اللغات اليونانية واللاتينية والألمانية والفرنسية والإنجليزية وغيرها.. ومن هذا الاسم، أيضا، جاءت تسميتها في «العهد القديم» بـ «أورشليم».

ولقد بدأ تاريخ العبرانيين الاتصال بهذه المدينة الكنعانية، عندما استولى عليها داود - عليه السلام - في القرن العاشر قبل الميلاد، أي بعد نحو ثلاثة آلاف عام من تأسيسها على يد الكنعانيين!.. ولم تدم هذه السيطرة العبرية على هذه المدينة

لأكثر من أربعة قرون - (٤١٥ عاما) -.. أي إلى التاريخ الذي هدمها فيه البابليون، الذين أزالوا «مملكة يهوذا» من الوجود سنة ٥٨٥ ق.م، وبدعوا حقبة «السبي البابلي» للعبرانيين.

وحتى بعد سماح الفرس لبعض العبرانيين بالعودة إلى أرض كنعان، كانت عودة الذين عادوا منهم إليها، عودة «استيطان» بلا دولة، وبلا سيادة على مدينة «أورشليم».

لكن هذا «الوجود اليهودي» قد عاد وأثار حفيظة الدولة الرومانية، فدمروا هذه المدينة مرتين، الأولى على يد الإمبراطور «تيطوس» Titus (٣٩ - ٨١ م) في سنة ٧٠ م.. والثانية على يد الإمبراطور «حدريانوس» سنة ١٣٥ م، وذلك عندما محاهما محوا تاما، بل وغير اسمها إلى «إيليا كابيتولينا» - أي إيليا العظمى - وهو الاسم الذي ظل علما عليها حتى الفتح الإسلامي لها (١٥ هـ - ٦٣٦ م) في خلافة الراشد الثاني القاروق عمر بن الخطاب (٤٠ ق.هـ - ٢٣ هـ / ٥٨٤ - ٦٤٤ م).

وفي السنوات الأربعمئة، التي سيطر فيها العبرانيون على هذه المدينة، احتكروا قدامتها لمقدساتهم وحدهم، دون غيرهم من الشعوب التي كانت تقطن أرض كنعان في ذلك التاريخ، وهي الشعوب بنت هذه المدينة قبل ثلاثة آلاف عام من دخول داود، عليه السلام، إليها.. وظلوا يمارسون هذا

الاحتكار، بل والاضطهاد، مع النصرانية والنصارى، منذ بعثة المسيح عيسى بن مريم، عليه السلام.

وبعد تدين الدولة الرومانية بالنصرانية - (في القرن الرابع الميلادي) - كانت قدسية هذه المدينة - «إيليا» - وقفا على النصارى، الذين اضطهدوا اليهود، وجعلوا أماكن «هيكلهم» - بعد هدمه - مجمعا للقمامة والقاذورات، تجلب إليه من داخل المدينة وخارجها!.. حتى لقد طلبوا من عمر بن الخطاب، عند تسلمه للمدينة، بعد فتحها، أن يضمن لهم «ألا يسكنهم فيها أحد من اليهود»!..

ذلك هو تاريخ هذه المدينة قبل الإسلام..

عصر جديد

لكن فتح الإسلام والمسلمين لهذه المدينة - «يورو سالم» - أورشليم - إيليا - كان بداية عصر جديد.. فالإسلام والمسلمون هم الذين أعطوا لهذه المدينة القداسة والقدسية، حتى في اسمها الجديد، فسميت بـ «بيت المقدس» و «القدس» منذ ذلك التاريخ.. ولأول مرة في تاريخها الديني، تصبح قدامتها عامة لجميع أمم الرسالات السماوية - اليهودية.. والنصرانية.. والإسلام - وليست حكرا لأبناء دين دون غيرهم من أبناء الديانات الأخرى.

فأماكن المقدسات اليهودية المهذومة منذ قرون، والتي جعلها النصارى - في العصر الروماني - «مجمعا للقمامة والقاذورات»

أمانة عمر في النظر صالح الدين

ذهب إليها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بعد أن تسلم المدينة، وعقد مع أهلها «العهد العمري» الشهير، «فوجد على الصخرة زبلا كثيرا، مما طرحه الروم غيظا لبنى إسرائيل، فبسط رداءه، وجعل يكس ذلك الزبل، وجعل المسلمين يكسونه معه الزبل، وتنسج المسلمون أماكن عبادة الأنبياء السابقين واحدا واحدا، ابتداء من إبراهيم إلى آخر من دفن منهم في فلسطين وبيت المقدس، فأقاموا فيها المساجد، وحافظوا على قدسيتها، وطهروها تطهيرا - (د. إسحاق موسى الحسيني «مكانة بيت المقدس في الإسلام» كتاب المؤتمر الرابع لجمع البحوث الإسلامية - ص ٥٧، ٥٨ - سنة ١٩٦٨ م).

أمانة الفاروق عمر

لقد أحل المسلمون هذه المدينة مكانا فريدا تميزت به عن كل المدن التي فتحوها، وذلك عندما لم يتسلمها القائد الفاتح - وهو «أمين الأمة» أبو عبيدة بن الجراح (٤٠ ق هـ - ١٨ هـ - ٥٨٤ - ٦٣٩ م) - وكان تسليمها للخليفة عمر بن الخطاب، الذي ركب من «المدينة المنورة» إليها، ليتسلم أمانتها، وليعقد بنفسه «العهد العمري» مع بطريركها، «صفرونيوس» (١٧ هـ - ٦٣٨ م) .. لتكون لها، بهذه الخصوصية، مكانة «أمانة الفاروق عمر» لدى أمة الإسلام! وهو شرف لم تحظ به مدينة من المدن التي فتحها المسلمون، عبر تاريخ الفتوحات.

وبتغيير اسم هذه المدينة، إلى «القدس» و«بيت المقدس»، رفع المسلمون عليها رايات القدسية والتقديس .. وبتحرج عمر ابن الخطاب - عندما كان يجلس مع «صفرونيوس» في كنيسة القيامة - من أن يصلي في الكنيسة، رغم دعوة البطريرك، كي لا تكون لمسلم تشبيهة حق في أرض الكنيسة يقيم فيها مسجدا .. بهذا الموقف العمري أضفى عمر بن الخطاب تقديس الإسلام لمقدسات النصارى .. ولم يكن عمر في ذلك «مبتدعا»، بل ولا حتى «مجتهدا»، لأنه هو المؤمن بال عقيدة الإسلامية، التي لا تكتمل أركانها إلا بالإيمان بسائر الرسل وجميع الرسالات وكل الكتب التي سبقت رسالة محمد ﷺ، على درب علاقة السماء بالإنسان.

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾

(البقرة: ٢ - ٥)

﴿ مَا مَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

وهو - عمر - الذي يتعبد بالقرآن الكريم، الذي عرض لمقدسات أم الرسالات السماوية جميعها، قبدأ بالصوامع وانتهى بالمساجد

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفُتِنَتْ صَوَاعِقُ رَّبِّيعٍ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۚ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ﴾

(الحج: ٤٠)

بهذا الموقف العمري، بدأت الحقبة الإسلامية في تاريخ المدينة، فغدت قدامتها عامة لعامة أبناء رسالات السماء .. فكنيسة القيامة قدس خاص بالنصارى .. ومواطن المقدسات اليهودية، أعاد إليها عمر والمسلمون الطهارة عندما رفعوا عنها القمامة والقاذورات .. وارتفعت في المدينة عمائر المساجد الإسلامية.

صنع المسلمون ذلك، لأنهم أمة الرسالة الخاتمة، التي ورثت كل موارث الأنبياء والمرسلين، فكانت رسالة رسولهم اللبنة التي تممت بناء دين الله الواحد، وحملت أمانة الحفاظ على سائر لبنات هذا البناء، فأمة الشريعة التي أكملت الدين الإلهي الواحد، هي الحاملة لأمانة الحفاظ على مقدسات سائر شرائع هذا الدين، لأنها وحدها التي تعترف بشرعية سائر شرائع هذه الأديان ..

القدس والحرم المكي

والمسلمون صنعوا ذلك مع «القدس» تحديداً، لأن قرآنهم الكريم قد جعل الرباط بين «القدس» وبين «الحرم المكي» - الذي هو قبلة الأمة الخاتمة - آية من آيات الله، وليس مجرد رباط سياسي أو إداري، يقيمه فاتحون وينقضه غزاة ..!

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۚ إِنَّهُ لَٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَنَىٰ عَلَىٰ قَوَاعِدِهِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن مَّيْمَنَتِهِ ۚ إِنَّهُ ۙ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾

(الإسراء: ١)

فكان الإسراء - إسرائ الله بعبيده ورسوله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وعروجه من الصخرة إلى سدره المنتهى، الإعلان الإلهي عن ختم هذه الرحلة القدسية لخطوات الأنبياء والرسل على طريق الله، وعن حمل أمة الرسالة الخاتمة أمانة الجهاد في سبيل الحفاظ على مقدسات كل الرسالات، تلك التي تجسدها مدينة القدس قبل غيرها، وأكثر من غيرها من المدن والبقاع.

ولقد شهد التاريخ الإسلامي للقدس، بأحرف من نور، على وفاء الأمة الإسلامية بهذه الأمانة، التي أرادها الله، والتي رمزت إليها رحلة الإسراء، والتي سلمها إياها عمر بن الخطاب .. فغدت القدس، منذ ذلك التاريخ، مشاعة القداسة،

مفتوحة الأبواب لكل أبناء رسالات السماء.. ازدهرت فيها، إلى جانب المساجد الإسلامية، كنائس النصارى.. وأخذ اليهود يعودون إلى سكناها، بعد أن حرموا من ذلك في العهد الروماني، الوثني والنصراني على حد سواء!.. بل لقد تولت الأسر المسلمة المقدسية «نظارة الأوقاف» التي أوقفها النصارى على كنائسهم، اختارهم النصارى لذلك، فرعوا هذه المقدسات النصرانية على امتداد التاريخ الإسلامي.

وشاء الله أن تظل هذه «الأمانة» من خصائص الأمة الإسلامية، والدول الإسلامية دائما وأبدا..

فطالما كانت السيادة على القدس لأمة الرسالة التي لا تحتكر التدين بدين الله.. ولا تحتكر التيسوت والرسالات.. ولا تدفعها العنصرية إلى احتكار القدسية لأماكن عباداتها.. طالما ساد هذا الحال، كانت الأبواب مفتوحة في القدس لكل أمة الرسالات.

أما في فترات تراجع هذا التوجه، وهزيمة الدولة الإسلامية، وانحسار سيادة المسلمين عن القدس.. في الحقبة الصليبية القديمة.. والحقبة اليهودية المعاصرة.. فإن الاحتكار لقداسة القدس يعود ليظل بوجهه الكتيب!..

حدث ذلك، في تاريخ القدس.. حتى لكأنه القسانون، الذي لا تبديل له ولا تحويل!..

في الحقبة الصليبية

كان الضعف قد أصاب القوى الثلاث التي تقاسمت حكم الشرق الإسلامي: العباسيين.. والفاطميين.. والسلاجقة.. فانتهز الغرب الفرصة ليعيد سيطرته على الشرق، تلك التي أقامها الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٤ ق.م) قبل الميلاد، والتي أزاحتها فتوحات الإسلام!

وفي مدينة «كلير مونت»، بجنوب فرنسا، تكرر الحلف الغربي، الذي قاده البابا الذهبي «أربان الثاني» (١٠٨٨ - ١٠٩٩ م) والذي مولته المدن التجارية الإيطالية، الطامعة في السيطرة على طرق التجارة الدولية العابرة للشرق الإسلامي، وكانت القوة الضاربة لهذه الموجة الغازية هم فرسان الإقطاع الأوروبيون.. الذين حدد لهم البابا مهمة الغزوة الصليبية، عندما خاطبهم.. في «كلير مونت».. سنة ١٠٩٥ م فقال: «أنتم فرسان أقوياء، ولكنكم تتناطحون وتتنايدون فيما بينكم.. ولكن، تعالوا وحاربوا الكفار (المسلمين).. يا من تنابذتم اتخذوا.. يا من كنتم لصوصا كونوا الآن جنودا.. تقدموا إلى البيت المقدس.. انتزعوا تلك الأرض الطاهرة، واحفظوها لأنفسكم، فهي تدر سمنا وعسلا!.. إنكم إذا انتصرتكم على عدوكم ورثتم ممالك الشرق!..»

وهكذا.. رغم «البابوية».. وأعلام الصليب.. والتهيج الديني.. والحديث عن مهد المسيح.. فإن كلمات البابا أفصحت

عن مقاصد «الغزوة - الصفقة!»: ورثة ممالك الشرق، التي تدر سمنا وعسلا!.. وحل تناقضات أمراء الإقطاع، بتوجيه قواهم لتدمير «المسلمين - الكفار»! فبدأت في العام ٨٩٩ هـ - ١٠٩٦ م أولى حملات الغزوة الصليبية، التي دامت قرنين من الزمان.. والتي أصبح قتل المسلمين فيها، ونهب بلادهم، واحتلال أوطانهم، وإقامة الإمارات والممالك اللاتينية في فلسطين وما حولها.. أصبح كل ذلك «مهمة» و«وظيفة» لأمراء الإقطاع الأوروبيين.. وبعبارة المؤرخ المسيحي «مكسيموس مونروند» - صاحب (حرب الصليب) - فإن الكثير من الأشراف والعظماء صاروا يعتبرون الحروب بمنزلة مهنة صناعية لاحتشاد - (جمع) - الأموال الغنية، بل إن التعطش نحو أخذ الغنائم وحده كان يجذب الجيش إلى المحاربة!..

ومع مطلع القرن الحادي عشر الميلادي كانت الإمارات الصليبية التي أقامها الغزاة في المشرق العربي قد قطعت الوحدة الأرضية لعالم الإسلام.. ففي شمال العراق وسوريا قامت إمارتا «الرها» و«أنطاكية».. وبعد اقتحام القدس قامت «مملكة أورشليم» التي وصلت حدودها إلى خليج العقبة!.. عازلة مصر والمغرب والأندلس عن مشرق وطن العرب وعالم الإسلام!

ولقد كان احتلال القدس نموذجا لممارسات «اللصوص الذين صاروا جنودا».. فلقد حاصرها سبعون ألفا - وكانت الحامية المدافعة عنها ألف جندي مصري.. فسقطت بيد الصليبيين بعد

صمود دام ثمانية وثلاثين يوما.. ويحكى المؤرخ المسيحي «مكسيموس مونروند» كيف انعقد ديوان المشورة العسكرية الصليبي - في ذات المكان الذي فيه مخلصنا غفر لصالبيه - فقرر أن يقاتل - (يقتل) - كل مسلم باق داخل المدينة المقدسة!.. واستمرت المجزرة أسبوعا كاملا.. ومن هرب في البيوت والأقبية، قبضوا عليه وقذفوا به من أعالي البيوت والبروج في النار!.. أما الذين احتضروا بجامع عمر بن الخطاب، فلقد غدت دمازهم ميلا «علا إلى حد الركب، بل إلى حد لحم الخبيل» - كما يقول «مكسيموس»!.. وفي الرسالة التي بعثوا بها إلى البابا، يشرونه بما صنعوا، قالوا، مفاجرين: «إذا أردت أن تعرف ما يجري لأعدائنا، فثق أنه في معبد سليمان (جامع عمر) كانت خيولنا تغوص إلى ركبتها في بحر دماء الشرقيين!..»

حامية صليبية على أبواب القاهرة!!

وبعد مرحلة تثبيت الكيانات الصليبية المزروعة في الأرض المغتصبة.. بدأت مرحلة الهيمنة الاقتصادية على المنطقة بأسرها، بالسيطرة على التجارة وطرقها، وبفرض الإتاوات - بل والجزية - على الإمارات والدول الإسلامية!..

وبعد عزل مصر عن المشرق، بدأت محاولات غزوها والسيطرة عليها.. ولقد استعانوا على ذلك بضعف النظام الفاطمي الحاكم، والذي عزلته مذهبيته «الإسماعيلية

شهر الخيرات

للمشاعر الدكتور/ عبدالفتاح عمرو وشعيب

بداية الحملة الصليبية - ثم انتقلت بعاصمتها - في عهد نور الدين الشهيد (٥١١ - ٥٦٩ هـ - ١١١٨ - ١١٧٤ م) - إلى مدينة «حلب» لتزيد الضغط على الكيانات الصليبية.. ولتبدأ صفحة من الصراع «الحربي - السياسي» بين الفريقين على مصر؟! فتور الدين يريد الالتحام بها، ليحكم وإياها - من الجنوب - طوق الحصار حول الكيان الصليبي، لزيادة الضغط عليه من الشمال والشرق والغرب والجنوب، تاركاً أمامه موانئ الشاطئ الشامي للبحر المتوسط، ليرحل عنها كما جاء منها؟! والصليبيون يريدون مصر، لمنع طاقاتها عن أن تصب في الصراع ضدهم، ولتظل عازلاً عن مدد المغرب والأندلس، وللحيلولة دون نجاح استراتيجية نور الدين!

وعبر سنوات (٥٥٩ - ٥٦٤ هـ - ١١٦٣ - ١١٦٨ م) تكررت المواجهات بين جيوش الفريقين على أرض مصر.. لكنها حسمت في المرة الثالثة لصالح جيش نور الدين، الذي قاده أسد الدين شيركوه، الذي تولى وزارة مصر للخليفة الفاطمي العاضد (٥٤٤ - ٥٦٧ هـ - ١١٤٩ - ١١٧١ م) .. وعندما توفي أسد الدين خلفه في القيادة والوزارة الناصر صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ - ١١٣٧ - ١١٩٣ م) في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٥٦٤ م.. ليفتح بذلك صفحة جديدة ومجيدة في تاريخ هذا الصراع.. بل وفي سفر التاريخ بإطلاق!

اتبع

- الباطنية، عن جمهور الأمة «السنّي».. وبصراعات جنودها - ذوى الأصول المتعددة والغريبة.. وبصراعات وزرائها - «شاور» (٥٦٤ هـ - ١١٦٩ م) و«ضرغام» (٥٥٩ هـ - ١١٦٤ م) .. حتى لقد أقامت حامية صليبية على أبواب القاهرة، ومعها مفاتيح أبواب أسوارها؟! وصالح الوزير «شاور» الصليبيين على جزية مقدارها مليون دينار؟! وكتب «غليوم الصوري»، مصوراً سيطرة الصليبيين على اقتصاديات الشرق يومئذ، فقال: كانت خزائن مصر تحت تصرفنا، وسلطنة أورشليم كانت آمنة من جهة البر المصري، ومسلك البحر كان حراً.. كما أن موانئ أقاليم مصر كلها كانت مفتوحة لقبول مراكبنا، وتجارها كانوا ينقلون إلى موانئ بلادنا غلات أراضيها، وهذه المتاجر كانت كلية الفوائد لنا.. وكانت الجزية والخراجات توفى لنا بانتظام؟!!

روح المقاومة والفروسية الإسلامية

لكن التحدي الذي اقتطع الأرض.. ومزق وحدة الوطن.. ونهب الثروة.. وسيطر على الاقتصاد.. قد استنفر روح المقاومة في الأمة.. فبدأت «دول الفروسية الإسلامية» تواجه إمارات قرمان الإقطاع الصليبيين - «الدولة الزنكية» التي قادها عماد الدين زنكي (٥٦٥ هـ - ١١٧٠ م) - في «الموصل» - والتي حررت شمال العراق وسوريا، وأزالت «كونتية الرها» (٥٣٩ هـ - ١١٤٥ م) - أي بعد نحو نصف قرن من

رمضان شع مناه في الوجدان
رمضان يا شهر العبادة والتقى
زانتك من بين الشهور فضائل
هو منحة الرحمن جل جلاله
ويصفى الشيطان في أيامه
هو مرمل السمات في يوم اللظى
يوم الصيام به تقرر نفوسنا
شهر يتيه على الزمان بقضله
شهر كأن به النفوس ملائكة
شهر به تقوى العزائم حيث لا
إلا الذي برأ الوجود وقدره
من لم يزود نفسه من فيضه
رمضان شهر النصر قد دكت يد الإ
يا أيها الإنسان في هذا الدجى
ندعو الإله بأن يدبر أمورنا
وأنتى لنا بعظائم الرحمة
الكل يسعى فيك للمغفران
هي كاللآلى، في دجى الحيران
لعباده ليفك أسر العاني
فاحذر أخى وساوس الإنسان
للمؤمنين ومنقذ الظمآن
حيث الصفاء يثبغ في الوجدان
لا فضل يعدل ليلة القرآن
متحلقات في مماء جنان
أحد يراقب مملك الإنسان
ما كان من سر ومن إعلان
فلقد هوى بالنكر والخيران
سلام فيه معاقل الطفيان
النور حولك فاخط في اطمئنان
ويزيدنا خيراً بلا نقصان

﴿ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ ﴾

اسْتِفْئَاتُ الْقُرْآنِ

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين). اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر بتاريخ: ٢٠٠٨/٨/١٠م المقيد برقم ١٣٥٣ لسنة ٢٠٠٨م المتضمن: وردت الأسئلة التالية إلى الإدارة العامة لمجلة الأزهر، للإجابة عليها في باب «استفتاءات القراء»:

استعمال البخاخة في نهار رمضان

السؤال الأول: ورد من السيد / م.أ.م. يقول فيه: ما الحكم الشرعي في استعمال البخاخة في نهار رمضان؟

الجواب: البخاخة آلة يستخدمها مريض الربو بها دواء سائل مصحوب بهواء مضغوط يعازي حامل يدفع الدواء من خلال جرعات هوائية يجذبها المريض عن طريق الفم، فيعمل كموسع قصبي تعود معه عملية التنفس لخالها الطبيعي، واستعمال هذه البخاخة يفسد الصوم؛ لأن فيها إيصالاً لهذا السائل على هيئة رذاذ له جرم مؤثر إلى الجوف عن طريق منفذ منفتح وهو الفم، وليس صحيحاً ما يقال من أنه مجرد غاز، بل هو غاز مصحوب برذاذ الدواء.

وعلى ذلك فللمريض الذي لا يستغنى عن هذه البخاخة في شفاؤه أن يفطر، بل إذا كان يخشى على نفسه الهلاك إن لم يستخدمها طوال النهار فإن الفطر واجب عليه شرعاً حتى لو طال ذلك أو استدأ معه، فإذا علم من أهل الخبرة في الطب أن مرضه هذا لا يرجي برؤه وجب عليه إخراج الفدية، وهي أن يطعم عن كل يوم مسكيناً، فإذا برئ من مرضه وقدر على الصيام لم يجب عليه القضاء وكفته الفدية التي أخرجها قبل ذلك؛ لسقوط الصوم عنه حيثئذ وعدم مخاطبته به، حيث إن الفدية على الأصح واجبة في حقه ابتداء لا بدلاً عن الصيام.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

وعند الحنفية ووجه عند الحنابلة أن القضاء على التراخي بلا قيد؛ فلو جاء رمضان آخر ولم يقض الفائت قدم صوم الأداء على القضاء، حتى لو نوى الصوم عن القضاء لم يقع إلا عن الأداء، ولا فدية عليه بالتأخير إليه، لإطلاق النص، ولظاهر قوله تعالى:

﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

[البقرة: ١٨٤]

والله سبحانه وتعالى أعلم

القراءة من المصحف أثناء الصلاة

السؤال الثالث: ورد من السيد / م.أ.م. يقول فيه: هل يجوز القراءة من المصحف أثناء الصلاة؟

الجواب: من أفضل القربات والسُنن الحسان أن يجمع الإنسان بين الحسنيين: الصلاة، وقراءة القرآن، فيحرص على ختم القرآن الكريم في صلاته، ولما كان من غير المتيسر لكل واحد أن يقوم بذلك من حفظه

من عليه صوم ولم يصمه

السؤال الثاني: ورد من السيدة / ه.ع.م. تقول فيه: لم أتم قضاء الأيام التي أفطرت فيها في رمضان الماضي، وجاء رمضان التالي، فما حكم الشرع في ذلك؟

الجواب: قضاء رمضان واجب على التراخي، ولكن ذلك مقيد عند الجمهور بالأدخال رمضان آخر، واحتجوا في ذلك بما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان يكون علي الصوم في رمضان، فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان الشغل من رسول الله ﷺ، أو برسول الله ﷺ».

فإن أخره من غير عذر حتى دخل رمضان التالي فإنه يأتى، وعليه مع القضاء الفدية: إطعام مسكين عن كل يوم؛ لما روى عن ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة - رضي الله عنهم - قالوا فيمن عليه صوم فلم يصمه حتى أدركه رمضان آخر: عليه القضاء وإطعام مسكين لكل يوم.

تكلم الفقهاء عن إمكانية الاستعانة بالقراءة من المصحف في الصلاة، وذلك عن طريق حمله في اليد، أو وضعه على حامل يمكن المصلي من القراءة.

ومذهب الشافعية، والمفتي به في مذهب الحنابلة: جواز القراءة من المصحف في الصلاة للإمام والمنفرد لا فرق في ذلك بين فرض ونفل وبين حافظ وغيره، وهذا هو المعتمد، ونقله الإمام ابن قدامة في «المغني» (٣٣٦/١) عن عطاء ويحيى الأنصاري من فقهاء السلف.

وفي صحيح البخاري معلقاً بصيغة الجزم - ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٥/٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٥٣/٢) - عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها كان يؤمها عيدها ذكوان ويقرأ من المصحف.

وسئل الإمام الزهري عن رجل يقرأ في رمضان في المصحف، فقال: «كان خيارنا يقرءون في المصاحف»، المدونة الكبرى (٢٨٨/١ - ٢٨٩)، والمغني لابن قدامة (٣٣٥/١).

وكما أن قراءة القرآن عبادة فإن النظر في المصحف عبادة أيضاً، وانضمام العبادة إلى العبادة لا يوجب المنع، بل يوجب زيادة الأجر؛ إذ فيه زيادة في العمل من النظر في المصحف.

قال حجة الإسلام الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٢٢٩/١): «وقد قيل الختم في المصحف بسبع؛ لأن النظر في

المصحف أيضاً عبادة».

والقاعدة الشرعية أن الوسائل تأخذ حكم المقاصد، والمقصود هو حصول القراءة، فإذا حصل هذا المقصود عن طريق النظر في مكتوب كالمصحف كان جائزاً.

قال الإمام النووي في «المجموع» (٢٧/٤): «لو قرأ القرآن من المصحف لم تبطل صلاته، سواء كان يحفظه أم لا، بل يجب عليه ذلك إذا لم يحفظ الفاتحة، ولو قلب أوراقه أحياناً في صلاته لم تبطل».

وقال العلامة منصور البهوتي الحنبلي في «كشف القناع» (٣٨٤/١): «وله - أي المصلي - القراءة في المصحف ولو حافظاً.. والفرض والنفل سواء، قاله ابن حامد».

بيتما يرى الحنفية أن القراءة من المصحف في الصلاة تفسدها، وهو مذهب ابن حزم من الظاهرية واستدل على ذلك بأدلة منها:

ما أخرجه ابن أبي داود في «كتاب المصاحف» (٦٥٥) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «نهانا أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - أن يؤم الناس في المصحف، ونهانا أن يؤمنا إلا المختلم».

وهذا أثر لا يثبت؛ ففي إسناده نهشل بن سعيد النيسابوري، وهو كذاب متروك، قال عنه البخاري في «التاريخ الكبير» (١١٥/٨): «في أحاديثه مناكير»، وقال النسائي كما في «تهذيب التهذيب» (٤٢٧/١٠): «ليس بشقة»، ولا يكتب حديثه.

ومنها: أن حمل المصحف والنظر فيه

وتقليب الأوراق عمل كثير.

والجواب المنع من أن يكون حمل المصحف وتقليب أوراقه عملاً كثيراً مبطلاً للصلاة؛ أما الحمل فقد صلى رسول الله ﷺ حاملاً، وأما بنت أبي العاص على عاتقه فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها، وأما تقليب أوراق المصحف فقد جاءت بعض الأحاديث الدالة على إباحة العمل اليسير في الصلاة والتقليب هو من جنس هذا العمل اليسير المغتفر.

والقراءة من المصحف لا يلزم أن تصل لحد العمل الكثير، فتقليب أوراق المصحف يكون في أضيق نطاق لبعد الزمان بين طي الصفحة والتي بعدها، ولكون التقليب في ذاته عملاً يسيراً، وقد يستعان على هذا بوضع المصحف ذي الخط الكبير على شيء مرتفع أمام المصلي ليقرأ منه الصفحة والصفحتين، ولا يحتاج إلى تقليب الأوراق كثيراً.

وذهب صاحبان من الحنفية أبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني إلى أن القراءة من المصحف في الصلاة مكروهة مطلقاً سواء في ذلك الفرض والنفل، ولكنها لا تفسد الصلاة؛ لأنها عبادة انضافت إلى عبادة، ووجه الكراهة أنها تشبه بصنع أهل الكتاب.

والتحقيق أن حصول ما يشبه صنع أهل الكتاب إنما يكون ممنوعاً إذا كان الفاعل قاصداً لحصول التشبه؛ لأن التشبه: تفعل، وهذه المادة تدل على انعقاد النية والتوجه

إلى قصد الفعل ومعانياته، ومن الأصول الشرعية اعتبار قصد المكلف، ويدل على ذلك على ذلك أيضاً ما رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: «اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد فالتفت إلينا فرأنا قياماً فأشار إلينا فقمعدنا فلما سلم قال: «إن كدتم أنفاً لتفعلون فعل فارس والروم: يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا، انتموا بأئمتكم: إن صلى قائماً فصلوا قياماً، وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً»، وكاد تدل في الإثبات على انتفاء خبرها مع مقاربة وقوعه، ولذلك لما لم يقصد الصحابة التشبه انتفى ذلك الوصف عنهم شرعاً والمصلي الذي يقرأ من المصحف لا يخطر بباله التشبه بهم، فضلاً عن قصده.

ولذلك قال العلامة ابن نجيم الحنفي في «البحر الرائق» (١١/٢): «اعلم أن التشبه بأهل الكتاب لا يكره في كل شيء، وإنما نأكل ونشرب كما يفعلون، إنما الحرام هو التشبه فيما كان مذموماً وفيما يقصد به التشبه، فعلى هذا لو لم يقصد التشبه لا يكره عندهما [أحد].

وذهب المالكية إلى التفرقة بين الفرض والنفل؛ فقرأوا قراءة كراهة المصلي في المصحف في صلاة الفرض مطلقاً سواء كانت القراءة في الأول أو في الأثناء؛ وكذلك يكره في النافلة إذا بدأ في أثنائها؛ لاشغاله غالباً، ويجوز ذلك في النافلة إذا ابتدأ القراءة في المصحف من غير كراهة؛ لأنه يغتفر فيها ما لا يغتفر في الفرض. منح

الجليل شرح مختصر خليل (١/٣٤٥).

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن هذه الكراهة إنما تنأتى إذا كان العمل فى حد العبث، الذى هو اللعب وعمل ما لا فائدة فيه، فيكره للمصلى حينئذ أن يشتغل به؛ لما فيه من منافاة الخشوع، أما القراءة من المصحف فى الصلاة فليست من هذا الباب، بل هى عمل يسير يفعله المصلى لحاجة مقصودة، وكل ما كان من هذا الباب فلا بأس أن يأتى به؛ وأصل ذلك ما ورد أن النبى ﷺ خلع نعليه فى الصلاة لما أوحى إليه أن فيهما قدراً، كما رواه الإمام أحمد فى مسنده (٣/٩٢)، وأبو داود فى سننه (٦٥٠) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

وبناء على ما سبق يثبت ما قررنا من أن القراءة من المصحف فى صلاة الغرض والنفل صحيحة وجائزة شرعاً ولا كراهة فيها فضلاً عن أن تكون مفسدة للصلاة.

على أنه ينبغى التنبيه على أنه ما دامت المسألة خلافية فالأمر فيها واسع؛ لما تقرر من أنه لا إنكار فى مسائل الخلاف، ولا يجوز أن تكون مثار فتنة ونزاع بين المسلمين.

والله سبحانه وتعالى أعلم

لاعب الكرة والصيام

السؤال الرابع: ورد من السيد / ر.م. ن. يقول فيه: سمعنا عن بعض اللاعبين أنهم لا يصومون رمضان بحجة مشاركتهم فى المباريات أو التدريبات فى رمضان لعدم

استطاعتهم الصيام مع انجھود المذول فيها. فما حكم الشرع فى ذلك؟

الجواب: اللاعب المرتبط بناديه بعقد عمل يجعله بمنزلة الأجير الملزم بأداء هذا العمل، فإذا كان هذا العمل الذى ارتبط به فى العقد هو مصدر رزقه ولم يكن له بد من المشاركة فى المباريات فى شهر رمضان وكان يغلب على الظن كون الصوم مؤثراً على أدائه فإن له الرخصة فى الفطر فى هذه الحالة؛ فقد نص العلماء على أنه يجوز الفطر للأجير أو صاحب المهنة الشاقة الذى يعوقه الصوم أو يضعفه عن عمله، كما نص فى فقه الحنفية على أن من أجر نفسه مدة معلومة - وهو متحقق هنا فى عقود اللعب والاحتراف - ثم جاء رمضان وكان يتضرر بالصوم فى عمله فإن له أن يفطر وإن كان عنده ما يكفيه:

قال العلامة ابن عابدين الحنفى فى حاشيته «رد المختار على الدر المختار» (٢/٤٢٠): [والذى ينبغى فى مسألة احتراف.. أن يقال: إذا كان عنده ما يكفيه وعياله لا يحل له الفطر لأنه يحرم عليه السؤال من الناس فالفطر أولى وإلا فله العمل بقدر ما يكفيه، ولو أداه إلى الفطر يحل له إذا لم يمكنه العمل فى غير ذلك مما لا يؤديه إلى الفطر، وكذا لو خاف هلاك زروعه أو سرقته ولم يجد من يعمل له بأجرة المثل وهو يقدر عليها؛ لأن له قطع الصلاة لأقل من ذلك، لكن لو كان أجر نفسه فى العمل مدة معلومة فجاء رمضان فالظاهر أن له الفطر وإن كان عنده ما يكفيه إذا لم

يرض المستأجر بفسخ الإجارة كما فى الظن، فإنه يجب عليها الإرضاع بالعقد، ويحل لها الإفطار إذا خافت على الولد، فيكون خوفه على نفسه أولى تأمل هذا ما ظهر لى، والله تعالى أعلم [أهـ].

وقال العلامة الخطاب المالكي فى «مواهب الجليل شرح مختصر خليل» (٢/٤٤١): [وقال البرزلى: مسألة: الحكم فى غبار الكتان وغبار الفحم وغبار خزن الشعير والقمح كالحكم فى غبار الجاسين، قال: وعلى هذا يقع السؤال فى زماننا إذا وقع الصيام فى زمان الصيف فهل يجوز للأجير الخروج للحصاد مع الضرورة للفطر أم لا؟ كانت الفتيا عندنا إن كان محتاجاً لصنعتة لمعاشه ما له منها بد فله ذلك وإلا كره، وأما مالك الزرع فلا خلاف فى جواز جمعه زروعه وإن أدى إلى قطره وإلا وقع فى النهى عن إضاعة المال، وكذا غزل النساء الكتان وترقيق الخيط بأفواههن: فإن كان الكتان مصرىاً فجائز مطلقاً، وإن كان دمنياً له طعم يتحلل فيهى كذوى الصناعات: إن كانت ضعيفة ساع لها ذلك، وإن كانت غير محتاجة كره لها ذلك فى نهار رمضان [أهـ].

وقال الشيخ ابن حجر الهيتمى الشافعى فى «تحفة المحتاج» (٣/٤٢٩ - ٤٣٠): [ويباح تركه أى رمضان، ومثله بالأولى كل صوم واجب (للمريض) أى: يجب عليه.. (و) يباح تركه لنحو حصاد أو بناء لنفسه أو لغيره تبرعاً أو بأجرة - وإن لم ينحصر الأمر فيه؛ أخذاً مما يأتى فى المراجعة - خاف على المال إن صام وتعذر العمل ليلاً

أو لم يغه فيؤدى لتلفه أو نقصه نقصاً لا يتعاقب به، هذا هو الظاهر من كلامهم، وسيأتى فى إنقاذ المخترم ما يؤيده [أهـ].

قال الشيخ عبد الحميد الشروانى فى حاشيته عليه: [قوله ويباح تركه لنحو حصاد إلخ] أفتى الأذرعى بأنه يجب على الحصادين تبويب النية فى رمضان كل ليلة ثم من لحقه منهم مشقة شديدة أفطر وإلا فلا. نهاية. زاد الإيعاب: وظاهر أنه يلحق بالحصادين فى ذلك سائر أرباب الصنائع المشقة، وقضية إطلاقه أنه لا فرق بين المالك والأجير الغنى وغيره والمتسرع، ويشهد له إطلاقهم الآتى فى المراجعة الأجير أو المتسرع وإن لم تتعين، نعم يتجه أخذاً مما يأتى فيها تقييد ذلك بما إذا احتيج لفعل تلك الصنعة بأن خيف من تركها نهاراً فوات مال له وقع عرفاً [أهـ].

هذا عن المباريات التى لا مناص للاعب من أدائها، أما التدريبات فما دام أنه يمكن التحكم فى وقتها فيجب أن تكون أثناء الليل؛ حتى لا تتعارض مع قدرة اللاعب على الصيام، وإذا خالف المسؤولون ذلك مع قدرتهم على جعلها ليلاً فهم آثمون؛ لأنه لا يخفى أن ما جاز للضرورة أو الحاجة القائمة مقامها لا يجوز أن يتعدها، والضرورة تقدر بقدرها والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَإِيجٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾

[البقرة: ١٧٣]

فأناط ارتفاع الإثم بعدم البغى والاعتداء. والله سبحانه وتعالى أعلم

طرائف.. ومواقف

للمشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وقال شاعر:

إن النفوس لأجناد مجندة
بالإذن من ربنا تجري وتختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف
وما تناكر منها فهو مختلف
وقال امرئ القيس:
أجارتنا أنا غريبان هاهنا
وكل غريب للغريب نسيب

العشراء

من شعر مسكين الدارمي:
أصبح الأخيار وأرغب فيهم
رب من صحبتهم مثل الحرب
وأصدق الناس إذا حدثتهم
ودع الكذب لن شاء كذب
رب مهزول سمين عرظه
وسمين الجسم مهزول الحنط

شبيه الشيء منجذب إليه

قال عنترة: «الصاحب رقعة في الثوب،
قلينظر الإنسان يم يرقع ثوبه» وقال عليه
الصلاة والسلام: «امتحنوا الناس بإخوانهم»
وقال الشاعر:
فاعتبروا الأرض بسكانها
واعتبروا الصاحب بالصاحب
وقالوا: كل ألف إلى ألفه ينزع. وقد نظمته
شاعر فقال:
والألف ينزع نحو الألفين كما
طير السماء على آلفها تقع
وقال آخر:
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
وقال آخر:
أصبح ذوى الفضل وأهل الدين
فالمرء منسوب إلى القرين

والله

عندى من الغيد الحسان عرائس مثل اللآلئ
يلجأن لى فيما يردن وإننى لله لاجئ
«أبو حسان»

من أخبار آل البيت

حج هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى
فلما أراد أن يستلم الحجر لم يستطع، فبينما
هو ينتظر، إذ أقبل على بن الحسين فتنحى له
الناس هيبة وإجلالا، فقال رجل ممن كانوا مع
هشام: من هذا؟ فأجابه هشام: لا أعرف،
وكان الفرزدق الشاعر المشهور حاضرا فقال
قصيدة طويلة منها قوله:
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا النقى النقى الطاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
إذا رآته قريش قال قائلها
إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
ومنها يمدحه:

يغضى حياء ويغضى من مهابة
فما يكلم إلا حين يبتسم
ومنها:
هذا ابن قناطمة إن كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا
وختمها بقوله:
وليس قولك من هذا بهائره
العرب تعرف من أنكرت والعجم

لا تزهد فى معروف

قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: «لا
يزهدنك فى المعروف كفر من كفره، فإنه
يشكرك عليه من لم تصطنعه إليه».

وقال الشاعر:
يد المعروف غنم حيث كانت
تحمليها شكور أو كفور
ففى شكر الشكور لها جزاء
وعند الله ما جحد الكفور
وقال وهو من أحسن ما يقال فى الإيثار:
أبيت خميص البطن غرثان طاويا
وأوثر بالزاد الرقيق على نفسى
وأمنحه فرشى وأقترش الشرى
وأجعل قر الليل من دونه لى
حذار مخازاة الأحاديث فى غد
إذا ضمنى وحذى إلى صدره رمى
وقال آخر فى إكرام الضيف:
يترسل الضيف أنسا فى منازلنا
قليل يعلم خلق أينما الضيف
والضيف إن قسته يوما بنا شيها
لم تدرك من عز منا من ذا هو السيف

تهنئة بالعيد

رأى العيد وجهك عبدا له
وإن كنت زدت عليه جمالا
وكبر حين رآك الهلال
كفعلك حين رأيت الهلال
رأى منك ما منه أبصرته
هلالا أضواء ووجها تلالا

ما قيل في مسايرة الأيام

قال حكيم: «اصحب الأيام بالموادعة، ولا تسابق الدهر فتتكب».

وقال الشاعر:

من سابق الدهر كبا كبوة

لم يستقلها من خطا الدهر

فأخط مع الدهر إذا ما خطا

وأجر مع الدهر كما يجري

لا أظن أن الشاعر يقصد من مسايرة

الدهر ومجاراته أن يندفع في التيار الذي

ينشأ أهل الفساد فيه، فإن ذلك فضلاً

عن منافاته للكرامة الشخصية، فهو

شديد الخطر على المجموع، فإن المدنية

الفاضلة تقتضي أن تسود الفضائل، وأن

يعلو شأن الخادم، فإذا وطن كل إنسان

نفسه على أن ينقاد لشهوات أهل

الشهوات، تغلبت الرذائل على المجتمع،

وباد كما باد غيره ولا كرامة.

وقال بشار العقيلي:

أعاذل إن الدهر سوف يفيق

وإن يساراً من غمد خليق

وما كنت إلا كالزمان إذا صحا

صحوت وإن ماق الزمان أموق

هذا يجب أن يعتبر زجراً للذين على

هذه الشاكلة، فإن من يحرق إذا حرق

الزمان كان شاهداً على نفسه بأنه من

الذين يعيشون ليتعموا وإن اقتضت

النعمة أن يبذلوا في سبيلها كرامتهم
ومروءتهم... ولا يخيل لي أن إنساناً يذم
نفسه بأشنع من هذا.

نعل في منديل

دخل رجل على الخليفة المعتصم بالله

وهو جالس بين الأمراء والوزراء وفي يده

نعل في منديل وقدمها إلى الخليفة قائلاً:

هذه نعل رسول الله! فأخذها الخليفة

ووضعها على عتيبه وقبلها من باطنها

وظاهرها وأعطاه عشرة آلاف درهم!..

فلما انصرف الرجل تعجب من كان

يجلس مع الخليفة فابتسم وقال لهم:

- إنني أعلم أنها ليست نعل رسول الله

ﷺ فضلاً عن أنه صلوات الله عليه لم

يلبسها ولم يرها.

ولكني خشيت إن رددته أن يخرج بين

الناس ويقول: «أتيت بنعل رسول الله

خليفة رسول الله فتهرني!».. فيكون

الناس أميل إلى تصديقه منهم إلى

تكذيبه! لأن من شأن العامة نصرة

الضعيف وإن كان ظالماً! فأردت أن

أشترى لسانه وأصون عرضي! وأن هذا

الذي فعلناه لأصوب وأحمد!

دعاء

اللهم إنني أسألك بالمكثون من

أسمائك، وما وراء الحجب من آلائك، أن

تجعلني ممن فوض أمره إليك، وتوكل في

كل الأمور عليك، وجعل حوائجه كلها

بين يديك.

إليك

المصحف

9

المجلدات

إعداد

محمود الفشني

علاء عبد الرحمن

ورحل فارس الكلمة الرشيدة

والغيرة الإسلامية النادرة

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ
ببسيوني الحلواني في جريدة
عقيدتي الصادرة في ٢٠٠٨/٨/٥



عبدالعظيم المطعني

يقول: كل عدة أسابيع يرسل عالم
من علماء الأمة العظيم ومع إيماني بأن

أمة الإسلام ولادة وأن عطاء وجهاد علمائها لا ينقطع إلا أنني لا
أرى على أرض الواقع من يعوضنا عن هؤلاء العلماء الذين ملأوا
الدنيا علماً وبحناً وجهاداً وإصراراً على كلمة الحق ومواجهة كل
التحريف والتخريب والضلل الذين حاولوا تشويه صورة ديننا
سواء أكانوا من غير المسلمين أم من المسلمين الذين مسخت
هويتهم وفقدت عقولهم وماتت ضمائرهم.

آخر هؤلاء العلماء المخاضين الذين رحلوا عن عالمنا هو
الدكتور / عبدالعظيم المطعني فقد كان عالماً فذاً ومصدراً مهماً
للمعلومة والموقف فتقافته الإسلامية الواسعة رغم تخصصه في
البلاغة مكنته من أن يتحدث في كل فروع الثقافة الإسلامية
وقراءاته الدقيقة وتحليلاته الموضوعية جعلته يرصد بأمانة
وإخلاص كل محاولات خصوم الإسلام ويرد على كل التبهات
والمغالطات التي يرددونها لخداع البسطاء من المسلمين وحرف
غير المسلمين عن دين الله الخاتم.

ولم تكن الثقافة الإسلامية الواسعة هي رصيد الدكتور
المطعني فهناك العديد من العلماء والباحثين الذين حصدوا
العلوم والمعارف وفشلوا في توظيفها خدمة أمتهم... بل كان
الرجل صاحب موقف ورأي شجاع يتصدى بجرأة لكل من
يتناول على دين الله يقرأ الصحف جيداً ويتابع معظم ما تنتجه
المطابع من كتب وروايات وقصص ويرصد ما فيها من خروج
على الآداب العامة وعقيدة الإسلام وأخلاقياته وبنية المستولين
في الأزهر إلى هذه التجاوزات ثم يقوم بواجب آخر وهو الكتابة
في الصحف والمجلات وإطلاق الصيحات من خلال المساجد
والمناح له من برامج إذاعة القرآن الكريم.

كل هذه الجهود والمعارك الفكرية التي خاضها الدكتور

عبدالعظيم الطعنى وضعت في مكانة عالية وسط علماء الأزهر المجاهدين لإعلاء كلمة الحق رغم أنه لم يتقلد منصبا رفيعا ولم يجلس على كرسي من الكراسي الفخمة والمكاتب الأنيقة.

ثم يشير الكاتب إلى كسرم الطعنى مع تلاميذه وكل من حوله فكان هادئ الطباع لا يخل على أحد برأى أو معلومة... تطلبه في أي وقت فيرد عليك حتى وهو في أصعب الظروف ليحيب على تساؤلاتك ويثير لك الطريق ويخلص لك النصيحة ويحرك فيك مشاعر العبرة على دينك دون أن يدفعك إلى سلوك طائش أو تصرف يرفضه الإسلام.

وبالفعل كل الذين تعرفوا على الدكتور الطعنى كانوا يشعرون أنه صحفي واع في كل وقت وفي أي مكان ولذلك حفر مكانا له في قلوب الجميع لن نسي الدكتور الطعنى وسنظل دائما نسير على نهجه في الصراحة والوضوح والدفاع عن الحق والتمسك بالقيم والمبادئ والأخلاق التي ربانا عليها ديننا.

استطلاعات الرأي في المؤسسات الأمريكية لتطبيق

الإسلام والعمل به في بعض الدول الإسلامية

تحت هذا العنوان كتب الدكتور عبد الله الفجار في عموده قرآن وسنة في جريدة الجمهورية الصادرة ٢٠٠٨/٨/١٨

يقول: لم أشعر بالطمأنينة تجاه ذلك الاستطلاع الذي قامت به إحدى المؤسسات الأمريكية المتخصصة وانتهت فيه إلى أن الإسلام يحظى برغبة أكثر من تسعين بالمائة من أبناء الشعب المصري والشعبيين الإيراني والتركي لتطبيقه والعمل به كقانون بل إن هذا الاستطلاع قد زادني شكاً ورغبة تجاه القائمين به ولم يغيب عن ذهني لحظة ذلك الشر الذي

يضمرونه للإسلام وأهله ولهذا فإن استطلاعات الرأي التي يقومون بها لن تكون في صالح الإسلام ولن تستهدف مصلحة المسلمين ولكنها تريد أن تشعل فتيل الفتنة الطائفية من خلال شحذ الانفعالات النفسية لغير المسلمين حتى يحدث مزيد من التوتر بينهم وبين أشقائهم المسلمين بعد أن عجزت أكثر المؤامرات تدبيراً وخبثاً في الوقعة بينهم وأثبت النسيج الوطني المتلاحم والتداخل بين المسلمين وغير المسلمين على أرض مصر أنه أقوى من كل مؤامرة وأمن من كل تدبير ولعل ذلك الاستطلاع يمثل لونا جديداً من الحيل الماكرة التي تدبر ليل وفي الخفاء للنيل من تلك الوحدة الوطنية الراسخة في مصر على وجه الخصوص وفي البلدين الإسلاميين وغيرهما من ديار الإسلام على وجه العموم.

إن استطلاعات الرأي التي تعد في البلاد الأمريكية بأى شأن إسلامي ليست صادقة كما أنها ليست صحيحة أو على الأقل هي محل شك كبير ورغبة أكبر ولست أدري من هم أولئك الذين تم استطلاع رأيهم؟ ما هي هويتهم وما هو توجههم وما هي حقيقة انتماءاتهم ومقاصدهم؟ وهل كانوا صادقين فيما قالوا أم مستأجرين ليقولوا رأيا موجهاً تحقيقاً لحاجة في نفس يعقوب؟ هذه التساؤلات وغيرها لا توجد إجابات عنها ولن توجد وحتى تلقى إجابة عنها فإنها سوف تظل مرسى للتهمة والشك والريبة.

كما أن الإسلام ليس بحاجة لأن تقوم مؤسسة أمريكية في اصطناع استطلاع للرأي يقول: إنه مقبول ومطلوب تطبيقه وفقاً لرغبة أكثر من ٩٠٪ من أبناء البلاد الإسلامية الثلاثة لأنه رحمة الله للعالمين وللناس جميعاً وما فيه من الخير موجود لمن يريد أن يطبقه دون استغناء أو استطلاع للرأي ودون ضغط أو

إكراه من أحد لأن الخير لا يكره عليه إنسان والهداية لا يحمل عليها أحد وقد بسط الله لعباده في كتابه الكريم حرية الاعتقاد فقال سبحانه:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

الكهف: ٢٩

وهذا البيان القرآني واضح لا يحتاج إلى استطلاع يشوه صورته أو استبيان يلتف حوله وإن حدث لا يكون ذلك الاستطلاع منزها عن الشك والغرض ولهذا يجب أن يكون محل حذر شديد.

اضطهاد المسلمين في الصين

كتب الأستاذ محمد الزرقاني في عموده مجرد اجتهاد في جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٢٠٠٨/٨/١٤ يقول:

منذ عدة شهور تار مواطنو إقليم التبت ضد احتلال الصين لبلادهم المترامية الأطراف، وهي ثورة تجدد كل فترة وباستمرار وواجه الأمن الصيني الموقف كعادته بالعنف المعهود عنه وهنا تآزرت دول الغرب والولايات المتحدة الأمريكية وشهدت مذبحة العديد من المظاهرات وأصدرت عواصمها بيانات الشجب والتنديد والتهديد، باعتبار أنها حامية حقوق الإنسان في العالم كله!

وفي نفس توقيت هذه الأحداث ومن قبلها كانت هناك أحداث أخرى تجري في الصين ولكن في إقليم آخر وهو إقليم «تركستان الشرقية» الذي يدين مكانه بالإسلام ولأنهم ليسوا مسلمين اسما فقط وإنما يتمسكون بالإسلام والقومية ويتمسكون على هويتهم الإسلامية والقومية ويتمسكون

أيضا بحريتهم في إقامة شعائرهم الدينية، فإن الحكومة الصينية تواجه ذلك بالرفض التام وتسعى لسخ هويتهم تماما، ولأنها بالطبع لا بد أن تواجه بالرفض من قبل هؤلاء المسلمين، فإنها لم تنزع عن استخدام القوة العاشمة ضدهم، فقتلت منهم الكثيرين، وأعدمت وسجنت الكثيرين بعد محاكمات صورية سريعة لم تتوفر فيها أبسط قواعد العدالة ولم يتمكن خلالها المتهمون - ظلما وعدوانا من الدفاع عن أنفسهم!!

●● ولما كان من الضروري، وإزاء كل ما يواجهه المسلمون في تركستان الشرقية - وهم بالنسبة يتكلمون اللغة التركية، وتسعى السلطات الصينية لجعلهم يتخلون عنها ويتكلمون الصينية فإنه من المنطقي أن يحاولوا الدفاع عن أنفسهم لأنه ليس من المنطقي أن يستسلموا للقتل والترويع والتعذيب والإبادة العرقية دون مقاومة... وهنا لجأت السلطات الصينية إلى استخدام الأكلوبة والدعاية الغربية التي تتهم المسلمين بالإرهاب وتحصر هذا الاتهام فيهم وحدهم، مع أنهم هم الذين يتعرضون للإرهاب المنظم وغير المنظم ويتعرضون لإرهاب الدولة وإرهاب المنظمات والأفراد... وجاءت فرصة تنظيمها لدورة الألعاب الأولمبية لحبك الاتهامات وتجييش العالم ضد مسلمي تركستان الشرقية فاتهمتهم بمحاولة السعي لإفشال الدورة من خلال القيام بأعمال إرهابية، رشت ضدهم حملات قتل واعتقال وترويع وهي مطمئنة كل الاطمئنان لأن أحدا لن يرفض ما تقوم به، فالعالم الحر الحريص على حقوق الإنسان، لا يعتبر المسلم إنسانا له حقوق، والعالم العربي والإسلامي ليس له وجود على الخريطة!!

سين المجلة

و

القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد فقي الدين

عن حقوق الطفل

دخل أعرابي مسجد رسول الله - ﷺ - بالمدينة فشهد النبي - ﷺ - يداعب حفيديه الحسن والحسين ويقبلهما فتعجب الأعرابي وقال لرسول الله - ﷺ - : «تقبلون الصبيان! فما نقبلهم؟! فقال له رسول الله - ﷺ - : «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة» (صحيح البخاري).

وعنه ﷺ أنه قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (سنن الترمذي).

كنوز من السنة النبوية المطهرة يقدم فيها النبي ﷺ الدرس العملي لما ينبغي أن تكون عليه علاقة الأب بأبنائه.

جمعتني الظروف بطفل صغير في العاشرة من عمره جلس على مقربة مني يلهم ويحواره والدته التي انتهرته وعنفته على لهوة البرئ فتغير وجه الصغير وجلس يستعطف أمه ألا تخير والده على ما فعل من لهو فسكتت الأم وهي تكاد تبكي!!

نظرت إلى الأم أستوضح حقيقة ما يقول الصغير فأومأت برأسها مؤكدة على مأساة يعيشها صغيرها مضيفة بأنها اضطرت لمغادرة منزل الزوجية والإقامة لدى أمها لإنقاذ صغيرها من جيروت أب لا يعرف قلبه معنى للرحمة، ولجأت للقضاء طلباً للطلاق من هذا الزوج القاسي... وإجراءات التقاضي في هذا النوع من القضايا تطول وتطول لأسباب كثيرة ومتعددة، والعام الدراسي بات وشيكاً ومدرسة الصغير بعيدة عن منزل الجدة التي تحتضن الطفل وأمه التي حاولت نقل الطفل من المدرسة توفيراً للجهد

والنفقات ولكنها اصطدمت بعقبة جديدة وهي أن الأب لا بد أن يوافق على نقل الابن من المدرسة باعتباره ولي الأمر، ولكن الأب رفض بإصرار وعناد.

«سألته: أما من سبيل للمصلح مع زوجك من أجل مصلحة طفلك؟! «أجابتنى: لقد كاد أن يقتله مراراً وأنا لا آمن على حياتي، ولا على حياة طفلي معه!

تذكرت حينها مؤتمرات حقوق الإنسان، وحقوق المرأة وحقوق الطفل والتي تحدثت عن مواقف مشابهة تحدث ليس في مصر وحدها وإنما في العديد من دول العالم شرقه وغربه، شماله وجنوبه.. وتذكرت الضجة التي أثارها البعض تجاه مطالبة مؤسسات حقوق الإنسان بأن يكون للطفل الحق في أن يشكو من سوء معاملة أسرته له، وحقه في الاستنجاذ بالمجتمع لتوفير الحماية له من خلال أسرة بديلة ترعاه!!

العديد من خطباء المساجد هاجموا هذا الرأي متعللين بأنه يهدم كيان الأسرة، لأن الأسرة البديلة لن تكون شقيقة ولا رحيمة بهذا الطفل من أسرته الأصلية التي تقسو عليه لحرصها على مصلحته!!

وهؤلاء يقولون - أيضاً: كيف يكون الأمر إذا تعلق الأمر بطفلة أنثى وليس

بطفل ذكر كيف ستودع لدى أسرة غريبة عنها مع ما في ذلك من اختلاط محرم برفض الشرع؟! أقول: إن أي ضرر سيحدث في هذه

الحالة هو أخف وطأة من إزهاق نفس حرم الله قتلها إلا بالحق، ثم إن الطفل قد يستنجد بجده أو عمه أو خاله أو خالته أو أي من أقاربه، فإن لم يتيسر فإن المجتمع بأسره يكون مطالباً بالتدخل لردع مثل هذا الأب وإنقاذ طفل باتس من مصير تعس ونظرة سريعة على صفحات جرائدنا اليومية تجعلنا نرتعد إذ امتلأت صفحات الجرائد بأخبار مروعة عن أب قتل ابنه وعن زوجة أب عذبت ابنة زوجها حتى الموت!!

ولكن المثين فعلاً هو سلوك أولئك الذين يتسبون أنفسهم إلى الإسلام وهو منهم براء إذ يرفضون فكرة الأسرة البديلة مع أنه من الممكن وضع العديد من الضوابط التي تنظمها في إطار الإشراف الكامل عليها من قبل الأجهزة المعنية بالدولة وهو موضوع يحتاج إلى بحث ودراسة مستفيضة من علمائنا الأجلاء بما يقدم الصورة الحقيقية للإسلام الحنيف الذي صار متهماً بالسلبية وعدم تقديم معالجات واقعية فعالة لقضايا اجتماعية مثل الطفولة والأمومة، فهل نحن فاعلون!!

أحمد نقى الدين

هذا الشهر الفضيل

من الأستاذ أحمد عبد المحسن على محمد - مدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بنين - الدقي - الجيزة - كانت هذه الأسطر عن الشهر الفضيل:

الطعام والشراب .. يقول النبي - ﷺ -: «ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن غلبته نفسه فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث للنفس» السنن الكبرى للنسائي.

(٥) ومن أخطاء بعض الناس في رمضان: الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور والخوض في أعراض المسلمين، يقطعون في ذلك ساعات صومهم كما يزعمون وهذا يضعف ثواب الصيام، قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» صحيح البخاري.

• ومن الأخطاء: إهمال بعض الصلوات، كصلاة الظهر فلا يصليها لكونه نائماً، وكذلك المغرب التي يتخلف عنها بعض الناس لانشغاله بالطعام والشراب وكذلك صلاة الفجر التي ينام عنها كثير من الناس، وكذلك صلاة التراويح والانشغال عنها بمشاهدة المسلسلات والفوازير وغيرها من البرامج، قال رسول الله ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» صحيح البخاري.

• وعلى العاقل أن يجعل من هذا الشهر بداية حقيقية لميلاد جديد في ظل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والله أسأل أن يغفر لنا ذنوبنا وأخطائنا في هذا الشهر الفضيل.

لقد أظننا شهر حبيب إلى نفوس المؤمنين فهو من مواسم الطاعة والرحمة والعنق من النيران، إنه شهر الذكر والطاعات، شهر الإيثار والواساة.

• ولكن هناك بعض الأخطاء والمخالفات التي تقع من كثير من الناس، وأحييت أن أنبه الناس إليها حتى يحذروا منها ويتقربوا إلى الله عز وجل بتركها.

ومن هذه المخالفات:

(١) هناك صنف من الناس يضيق صدره إذا علم بقدر هذا الشهر الفضيل ومعظم هؤلاء من المدخنين الذين وقعوا في أسر التدخين، ولو كانوا من أهل الحزم لجعلوا من هذا الشهر الفضيل فرصة للتخلص من هذا الوباء الخطير والسموم الفتاكة.

(٢) الكسل وكثرة النوم ولا سيما في نهار شهر رمضان، فمنهم من لا يستيقظ من نومه إلا قبيل المغرب لتناول الإفطار، فيضيع الصلوات المكتوبة.

(٣) كثرة السهر إلى ساعات متأخرة من الليل لغير حاجة فيسهر بعض هؤلاء على ما يغضب الله - عز وجل - من لعب الورق والزهر أو في متابعة القنوات الفضائية.

(٤) ومن الأخطاء كثرة الأكل في رمضان حتى أصبح رمضان عند كثير من الناس شهر

الصوم عبادة قديمة في الأديان والشرائع

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأديب الأستاذ: فرج مجاهد عبد الوهاب - عضو اتحاد الكتاب - شربين - دقهلية:

الصوم عبادة قديمة جداً في التاريخ وهي جزء عقيدة التوحيد لدى جميع الأمم التي أرسل إليها رسول، ونزل عليها كتاب، فهي العبادة المتكررة الوحيدة في جميع الشرائع السماوية، كما تقول الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَ تَكْفُرُونَ﴾

البقرة: ١٨٣

وقد قال المفسرون: إن هذه الآية تدل على أن جميع الديانات فرض فيها الصوم، وقالوا في معنى الآية: إن الصوم عبادة أصيلة قديمة، لم تفرض عليكم وحدكم، بل شارككم فيها كل الأمم.

المصريون القدماء مثلاً عرفوا الصوم منذ أزمان سحيقة، فكانوا يصومون أيام الأعياد، وكان الكهنة يصومون ستة أسابيع في العام وكان صومهم من طلوع الشمس إلى مغربها. وأن الهنود عرفوه قبل الميلاد بعدة قرون وأنه جزء من عبادتهم الشاقة القائمة على الرياضة، وتطهير النفوس بالتعذيب.

ومهما يكن فالصوم شريعة عامة، تنزع إليها النفوس بحافز من السريرة الباطنية، كعلاج قويم لصحة الأبدان، وصحة الأرواح للذين يستدعيهما بقاء الحياة، وإرضاء الخالق الأعلى على اختلاف صور التدبير، ومجالي التعبد: أما الأديان السماوية فالأمر فيها واضح،

فالصوم مفروض في التوراة على اليهود، وقد روى أن موسى - عليه السلام - لما قربه الله نجياً، كان قد ترك الأكل أربعين يوماً: ثلاثين ثم عشراً على ما ورد به القرآن الكريم.

وتابع قومه من بعده الصيام كل اثنين وخميس؛ يوم صعد الجبل، ويوم نزل منه. وأهم صيام عندهم صيام «كيبور» وصيام «الغفران» وفيه يحرم على اليهودي القيام بأي عمل من الأعمال، فلا يخرج من منزله إلا إلى المعبود. وهم في صيامهم يمتنعون عن إدخال أي شيء في المعدة لمدة تبدأ من غروب الشمس إلى ظهور أول نجمة تظهر في سماء اليوم التالي، ويقع في أيام عديدة من السنة.

كذلك فرض في شريعة عيسى - عليه السلام - وروى عنه: أنه مكث يتأجى ربه ستين صباحاً لم يأكل. وللمسيحيين صيام كثير، أشهره صوم الميلاد، وعدته: ثلاثة وأربعين يوماً، ويرخص فيه بأكل السمك، وصوم يونس، وصوم العذراء والرسول، وصوم «يونان» ومدته ثلاثة أيام، وصوم النذر والكفارة والتوبة، إلى غير ذلك.

والصوم الكبير هو الذي صامه المسيح - عليه السلام - ومدته خمسة وخمسون يوماً، يسكون فيه عن أكل المواد الغذائية والحيوانية، ومنهم من ينقطع عن الطعام من منتصف الليل حتى الساعة الثالثة تقريباً من بعد ظهر اليوم التالي.

أثر الصلاة على العلاقات الإنسانية

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ محمد عباس محمد عرابي:

بالصلاة يستقبل المسلم نهاره ويتوسطه ويستقبل الليل بالوقوف بين يدي الله يستهديه في عمله ويستلهمه الرشد فيما يأتي وفيما يدع، خمس مرات كل يوم يناجي فيها خالقه ويربط به أسبابه وحرى بهذه الوقفات أن تحول بين المسلم وما يغضب الله، فلا انحصار في ربة الذاتية، ولا انفلات على إغراء شهوة أو إشباع نزوة - بل يستعلى المسلم على كل تلك النقائص، يفيض الخير من ينبوع ضميره، ويستخذى الهوى والشیطان أمام قوة يقينه وصدق الله العظيم:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

العنكبوت / آية ٤٥

فالصلاة اتصال متكرر بالله يعصم المسلم من التردى في مهاوى الفحشاء، ويمنعه من استجلاب سخط الله باقتراف المنكر.

وإذا كانت طبيعة النفس الإنسانية تجمع غالباً إلى الشرور وعدم الرضا بالواقع وإلى الأنانية، وحب الذات، فإن الصلاة تهذب هذه النفوس وتصفلها بالأخلاق الفاضلة:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا

﴿إِذَا مَسَّهُ الْفَقْرُ وَاعْتَصَمَ﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْغِنَى وَاعْتَصَمَ ﴿إِلَّا إِلَىٰ رَبِّهِ يُتَوَكَّلُ﴾

المعارج / آية ١٩-٢٣

والصلاة في مظهرها وحقيقتها نمط كامل من الوحدة والترابط، فكل المصلين يتجهون إلى قبلة واحدة على اختلاف ألسنتهم وأوطانهم يتجه

الجميع من شتى بقاع الأرض إلى أول بيت بمكة وضعه الله (سبحانه وتعالى) قبلة للمسلمين:

﴿قُلْ لَّيْسَ بِنَاكِ قِبْلَةٌ تَرْضَاهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ مُطَرِّقُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ مَطَرًا﴾

البقرة / آية ١٤٤

والصلاة في المسجد أفضل من صلاة الإنسان في بيته، لأن المسجد مكان اجتماع عدد كبير من الناس:

﴿فِي بُيُوتٍ إِذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرُفَعَ

وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمَاءُ سَبِيحٍ تُقْرَأُ بِالْعَدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿وَيُحَالِلُ لَأَتْلُوهَا بِمَنْعَةٍ وَلَا يَنْبَغُ عَنْ ذِكْرِ أَعْيُنِ الْقَوْمِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّا لَآزْكُونَ بِحَقِّهِ يَوْمَ تَنْقَلِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَرَبِّهِمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

النور / آية ٣٦-٣٨

والصلاة في جماعة خير من صلاة الفرد، لأنها مثال للترابط بين المسلمين فالمصلون مقتدون بإمام واحد وقد وقفوا صفوفا متراصة ذابت بينهم القوارق الدنيوية ونسى كل مركزه المادي، لأنهم جميعاً في حضرة قدمية عظيمة... والعيد الأسبوعي للمسلمين هو يوم الجمعة حيث يجتمع عدد كبير من المسلمين في بيوت الله يستمعون إلى الخطبة ويتعلمون منها ما يذكرهم بأمر دينهم ومعاشهم ومن مظاهر الوحدة الاجتماع القوى بين المسلمين في عيدي الفطر والأضحى وما يتصل بذلك من عوامل الألفة والحب في هذين اليومين.

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذين / محمد جمعة - أحمد رضوان

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يدعو لحماية مسلمي الصين

دعا الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين برئاسة د. يوسف القرضاوي إلى توفير الحماية لمسلمي الصين... معرباً عن قلقه البالغ إزاء الأنباء المتداولة عن الاعتداءات التي يتعرض لها مسلمو إقليم تركستان الشرقية «سينكيانج» على يد السلطات الصينية بدعوى تأمين دورة الألعاب الأولمبية.

وقال الاتحاد في بيان له: إنه مهما تكن الأسباب التي تتذرع بها السلطات الصينية لتسويق هذه الإجراءات، فإنه يجب أن تقرأ في سياق الاضطهاد المستمر لمسلمي تركستان الشرقية الذي بلغ مداه هذا العام بإلقاء القبض على اثنين وثمانين شخصاً بدعوى تخطيطهم لمهاجمة الألعاب الأولمبية... ومن مظاهر هذا الاضطهاد بحسب البيان ما زعمته السلطات الصينية من إحباطها مؤامرة لبعض أهالي تركستان الشرقية تستهدف اختطاف صحفيين أجانب ورياضيين ومثاقين بمناسبة الألعاب الأولمبية.

وقال الاتحاد إنه يتابع بقلق بالغ الأنباء المتداولة عن هدم السلطات مبنى أحد المساجد في منطقة كاليين قرب مدينة إكسو في تركستان الشرقية، ومصادرة نسخ من المصحف الشريف كانت موجودة بالمسجد.

وأضاف: إن السلطات قامت خلال المداومة بالقبض على عدد كبير من المسلمين وحاكمت

١٥ منهم خلال جلسة سرية يوم ٩ يوليو، حيث قطعت بالإعدام على خمسة، بينهم ثلاثة مع وقف التنفيذ وبالسجن مدى الحياة على عشرة وأكد الاتحاد أن نحو ٨ ملايين مسلم في تركستان الشرقية يحتاجون إلى حماية عاجلة ومستمرة من الدول والشعوب الإسلامية.

مفتي فلسطين يحذر من بناء كنيس يهودي في ساحة البراق

حذر الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية وخطيب المسجد الأقصى المبارك - سلطات الاحتلال من المخطط القديم لبناء كنيس يهودي في ساحة البراق.

وقال المفتي العام في بيان صحفي إن سلطات الاحتلال موعنة بهدم طريق تلة باب المغاربة وإقامة جسر مكانها بهدف تسهيل عمليات اقتحام المسجد الأقصى المبارك من قبل هذه السلطات ومستوطناتها.. وأضاف أن سلطات الاحتلال تهدف من بناء كنيس في ساحة البراق ليكون نواة للهيكل المزعوم الذي يسعى المستوطنون والمتطرفون اليهود لإقامته على أنقاض الأقصى وتناشد المفتي العام الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي التدخل لوقف هذا العمل العدواني الذي يستهدف عقيدة وحضارة الأمة الإسلامية والشعب الفلسطيني.

الجدير بالذكر أنه في شهر أغسطس الماضي يكون قد مر ٣٩ عاماً على حريق المسجد الأقصى على يد الصهاينة، ورغم مرور تلك السنوات مازالت المعاناة مستمرة ومازال الأقصى يستصرخ المسلمين حمايته وإنقاذه من يد الصهاينة.

وزارة المرأة الفلسطينية تعذر من اغتصاب الأسيرات بالسجون الإسرائيلية

حذر تقرير صادر عن وزارة المرأة الفلسطينية من إقدام سلطات الاحتلال الإسرائيلي على اغتصاب الأسيرات الفلسطينيات لإجبارهن على تقديم اعترافات ومعلومات عن المقاومين.

وذكر التقرير الذي تسلمته جامعة الدول العربية أن المحققين الإسرائيليين يهددون بالاعتداء الجنسي والاغتصاب لإجبار المرأة على الاستسلام وتقديم الاعترافات.. وأشار التقرير إلى أن هذه الممارسات تتعارض مع قرار مجلس الأمن رقم ١٣٢٥ للمادة رقم ١٠ التي تدعو جميع الأطراف في الصراعات المسلحة إلى أن تتخذ تدابير خاصة تحمي الفتيات والنساء من العنف القائم على أساس الجنس في حالات الصراع المسلح.

٢٣٠٠ طالب من غزة يحفظون القرآن الكريم في أقل من ٦٠ يوماً

أتم أكثر من ألفي طالب فلسطيني حفظ كتاب الله خلال المخيمات الصيفية الخاصة التي أقيمت في قطاع غزة وأعلنت دار القرآن الكريم والسنة، أن عدد الطلاب الحافظين لكتاب الله المنضمين إلى المخيمات القرآنية الصيفية وصل إلى ٢٣٠٠ حافظ وحافظة من أصل ٣٠٠٠ طالب انضمو للمخيمات هذا الصيف في كل محافظات قطاع غزة.

إسرائيل تمنع استيراد كتب الأطفال من سوريا ولبنان

أفادت إذاعة الجيش الإسرائيلي بأن إسرائيل منعت استيراد كتب الأطفال باللغة العربية من سوريا ولبنان، بذريعة أن إسرائيل لاتزال في حال حرب مع هذين البلدين.

في أحدث تقرير للكونجرس الأمريكي:

٦٤٨ مليار دولار تكلفة الحرب على العراق

أظهر تقرير للكونجرس الأمريكي أن إجمالي تكلفة حرب العراق تقارب تكلفة حرب فيتنام، وكشف التقرير الجديد لخدمات الأبحاث بالكونجرس أن واشنطن أنفقت ٦٤٨ مليار دولار على عمليات العراق العسكرية في ذات مستوى تكلفة حرب فيتنام وقدرها ٦٨٦ مليار دولار واضعاً في الاعتبار القيمة السوقية للدولار.

ورغم التكلفة الباهظة إلا أن استهلاك حرب العراق من إجمالي الناتج المحلي الأمريكي هو الأقل بين النزاعات العسكرية التي خاضتها واشنطن.. فقد بلغت تكلفة الحرب العالمية الثانية ٤,١ تريليون دولار بالقيمة الحالية للدولار والتي مثلت ٣٦ في المائة من إجمالي الناتج المحلي الأمريكي فيما استنفدت حرب فيتنام ٢,٣ في المائة منه.

فرنسا ترفض منح جنسيتها لمغربية منتقبة

رفضت فرنسا، في حكم قضائي منح جنسيتها لامرأة مغربية منتقبة، على أساس أن ممارستها «الأصولية» للإسلام لا تتوافق مع القيم الأساسية الفرنسية مثل المساواة بين الجنسين.

وذكرت صحيفة لوموند الفرنسية أنها المرة الأولى التي يرفض فيها منح الجنسية لمسلم لأسباب تتعلق بممارساته الدينية الشخصية وجاء في نص حكم مجلس الدولة الفرنسي تأكيداً لتقرير صحيفة لوموند «إن المرأة تبنت ممارسة أصولية لدينها لا تتوافق مع القيم الأساسية للمجتمع الفرنسي خاصة مبدأ المساواة بين الجنسين».

ويذكر أنه تعيش في فرنسا أكبر جالية مسلمة في أوروبا حيث يبلغ قوامها نحو ٥ ملايين شخص.

افتتاح ثلاثة مساجد جديدة في جمهورية قبرغيزيا

افتتحت الندوة العالمية للشباب الإسلامي ثلاثة مساجد جديدة في جمهورية قبرغيزيا بآسيا الوسطى وذلك في إطار الجهود المبذولة لإعمار بيوت الله وتوفير دور العبادة للمسلمين في أنحاء العالم ومساعدتهم على التمسك بهويتهم.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للاستاذ / عبد الموجود أمين موسى

الأزهري طالب بتجريم أخطاء طباعة المصحف ووضع جزاء رادع بحق مرتكبيها

علق فضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو غزالة مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة والنشر على ما أثارته قناة المخور في برنامج (٩٠ دقيقة) على لسان أحد أعضاء مجلس الشعب عن وجود أكثر من ٤٠ ألف نسخة من كتاب الله العزيز في الأسواق المصرية بها أخطاء.

حيث أكد فضيلته بأن الرقم المذكور لا يستند إلى دليل ملموس أو إحصاء رسمي، وذكر أنه بالنسبة للأخطاء التي تقع في جميع ملازم المصحف والتي ينتج عنها تداخل الصفحات وظهور سور من القرآن الكريم في غير موضعها هو هنا خطأ ناجم عن إهمال الناشر في عمله في حين أن النص نفسه سليم.

وقد جرى العمل على أن الناشر يقوم بتسليم نسخ من المصحف لمراجعتها بواسطة لجنة مراجعة المصحف بالأزهر الشريف للتأكد من سلامتها وخلوها من أي أخطاء ومن ثم يحصل الناشر على تصريح بالطبع في حالة خلو النسخ المسلمة من الأخطاء.

ولكن بعد منح التصريح للناشر يبدأ في الطبع بكميات كبيرة ويفترض في الناشر أنه يراعي الدقة في عمله ولكن قد يحدث خطأ في جميع الملازم وفي هذه الحالة يقوم الأزهر بإخطار الجهات الأمنية لاتخاذ ما يلزم ويتم رفع دعوى قضائية ضد الدار المتسببة في مثل هذا الخطأ وتحرم من شرف طباعة المصحف الشريف لاحقاً.

وقد قامت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بتقديم مشروع قرار إلى اللجنة الدينية بمجلس الشعب لإضافة مادة إلى القانون رقم ٨٥/١٠٢ بشأن تجريم هذا العمل ووضع جزاء رادع لمثل هذه المخالفات التي تحدث في طبع المصحف الشريف.

وأقيمت هذه المساجد الثلاثة في مناطق نائية بولاية جلال أباد الملاصقة لحدود جمهورية أوزبكستان.. وقال د. محمد بن عمر بادحدح الأمين العام المساعد للندوة بمنطقة مكة المكرمة: إن سكانها معزولون لا يعرفون عن الإسلام شيئاً، كما لم تصل إليها مؤسسة إسلامية من قبل رغم النشاط الواسع للمؤسسات غير الإسلامية فيها.

مصنع أمريكي يخصص إجازة في عيد الفطر لعماله المسلمين

أعلن مسئولون في اتحاد نقابات للعمال الأمريكيين ونظرائهم في مصنع أمريكي للأغذية أنهم اتفقوا على إعادة تقييم إجازة عيد العمال واعتبارها إجازة مدفوعة الأجر، كما اتفقوا على اعتبار فترة عيد الفطر إجازة إضافية مدفوعة الأجر في العقود التي يوقعها المصنع مع المسلمين خلال العام الحالي فقط.

مشروع إسرائيلي لبناء ٦ آلاف مسكن بالقدس

حذرت صحيفة «القدس» الفلسطينية من أن الحكومة الإسرائيلية تستعد لطرح مشروع بناء في مستوطنة «كيدار» جنوب شرقي القدس المحتلة الواقعة ضمن تجمع مستوطنات «معاليه أدوميم».

علماء فلسطين يؤسسون منظمة «علماء بلا حدود»

أعلن الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية عن اعتزام مجموعة من علماء فلسطين وعدد كبير من العلماء من مختلف دول العالم الإسلامي تأسيس منظمة تحت مسمى «علماء بلا حدود» تمارس أنشطتها بمختلف أرجاء العالم للمساهمة في مكافحة الأمية والفقر ودعم العدالة والسلام الدوليين وقال مفتي القدس: «إن العلماء يسعون من خلال هذه المنظمة إلى اجتثاث الفقر والامية في العالم الإسلامي، وتقديم تغطية إعلامية موضوعية ومحايدة للتطورات التي تحدث في العالم الإسلامي».

وأوضح أن المنظمة الجديدة ستكون لها مكاتب بمناطق عديدة في العالم مثل آسيا والدول المطلة على المحيط الهادي والشرق الأوسط وإفريقيا، والولايات المتحدة وأوروبا.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

فضيلة الشيخ / عبد النبي فراج

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس مجلس الدولة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر بمكتبه السيد المستشار / نبيل مكرم رئيس مجلس الدولة برفقة المستشار معتر كامل مرسى - نائب رئيس مجلس الدولة والأمين العام لمجلس الدولة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد المستشار في الأزهر الشريف، وهي الزيارة الأولى لسيادته منذ أن تولى منصبه رئيساً لمجلس الدولة.

ونأتى هذه الزيارة في إطار التعارف والتعاون المستمر وتوطيد العلاقة بين الأزهر ومجلس الدولة وهي خطوة على طريق تبادل الزيارات.

ومن جانبه أشاد الضيف بسعادته لزيارة مشيخة الأزهر ولقائه بفضيلة الإمام مشيراً إلى تأكيد التعاون بين الأزهر ومجلس الدولة.

الأزهر يستضيف وفداً من جامعة سرايفو

استقبل الأستاذ / عبد النبي فراج - رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر الشريف - نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف - بمبنى مشيخة الأزهر وفداً من طلبة كلية الدراسات الإسلامية بجامعة سرايفو من جمهورية البوسنة وعددهم (١٨) طالباً وطالبة وذلك في إطار التعاون مع الصندوق المصري للتعاون الفني مع دول الكومنولث بوزارة الخارجية المصرية.

رحب سيادته بالسادة الحضور في الأزهر الشريف، مشيداً بالصلة القوية بين الأزهر والبوسنة، معرباً أن الأزهر في خدمة أبناء البوسنة، ويستقبل أبناءها للدراسة على منح من الأزهر، يتلقون العلم إلى جانب أبناء دول العالم، وأن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن المغالاة، كما أن الأزهر الشريف يقوم بالتأكيد على حفظ القرآن الكريم في مراحل التعليم المختلفة إلى جانب تدريس المواد الشرعية والعربية والمواد الثقافية واللغات، ويساير

خطة للارتقاء بمستوى الدعوة

صرح فضيلة الشيخ عبد الحميد الأطرش الأمين المساعد للدعوة والوعظ بمجمع البحوث الإسلامية بأنه تمت مناقشة خطة للارتقاء بمستوى الدعوة عملياً وذلك بالتعاون مع وزارة الأوقاف.

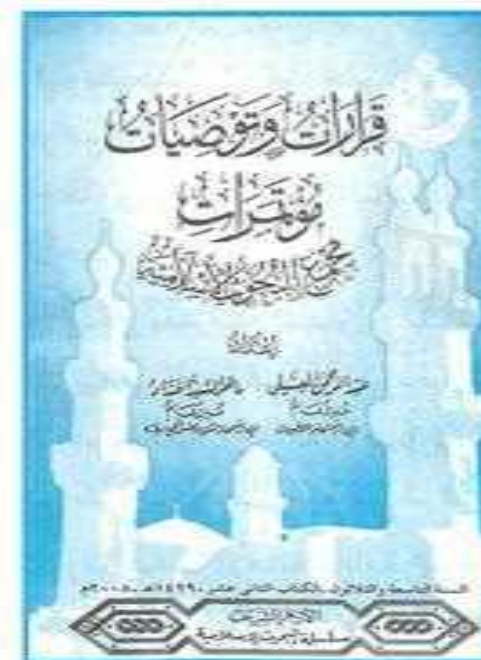
وتهدف الخطة لتغطية مراكز ومعسكرات الشباب والأندية وتكليف مديري عموم الوعظ بإسناد العمل إلى الوعاظ المتميزين مع جواز الاستعانة ببعض مدرسي الأزهر الشريف من ذوي الخبرة.

تنسيق الطلاب الوافدين

صرح فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة للطلاب الوافدين بأن تنسيق الطلاب الوافدين للدراسة بالأزهر الشريف سينتهي يوم ٣٠ / ٩ / ٢٠٠٨، وستقوم إدارة الوافدين بمعالجة شهادات أبناء المصريين العائدين من الخارج وذلك بعد تقديم الشهادة الدراسية وصورة منها مع باقي المستندات الدالة على صحة البيانات.

وبالنسبة للوافدين الأجانب تنلقى إدارة الوافدين خطاباً من السفارة التابع لها الطالب يفيد صحة شهادته وبياناته، بعدها يتم قبول الطالب للدراسة بالأزهر الشريف بجميع مراحلها، كما تم أيضاً - فتح باب قبول طلبات الالتحاق بالدراسات العليا بجامعة الأزهر -.

قرارات مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية



انطلاقاً من رسالة الأزهر الشريف أصدرت سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاباً يتضمن قرارات وتوصيات مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية التي هي نتاج للأبحاث والموضوعات التي تقدم بها علماء المسلمين عند عقد كل مؤتمر من مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية الإثنى عشر التي عقدت بالقاهرة في المدة من عام ١٩٦٤م وحتى عام ٢٠٠٢م والتي تعرضت لمشاكل الأمة الإسلامية وإيجاد الحل الأمثل لها على ضوء من هدى القرآن الكريم والسنة المطهرة وقواعد الشريعة الإسلامية والدفاع عن الإسلام وعن نبيه ﷺ وأبناء المسلمين بالكلمة الطيبة وبأدب الحوار وكذلك استنباط الأحكام التي تتطلبها مقتضيات العصر حتى لا يتهم الإسلام بالجمود وعدم مسيرته للتقدم العلمي ومستجدات الأمور.

متطلبات العصر، ثم قام فضيلته بتقديم شرح مبسط عن مراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف.

وأكد سيادته على ضرورة وفصل تعلم اللغة العربية وبخاصة لدى المسلمين الناطقين بعربية العربية مما يعينهم على فهم شريعة الإسلام فهماً سليماً، مؤكداً بأن الأزهر الشريف هو مؤسسة دينية تعليمية كبرى لا تعرف تعصب لمذهب بعينه وإنما تدرس جميع المذاهب الإسلامية في معاهدها وفي جامعاتها، فالإسلام رسالة عالمية صالحة لكل زمان ومكان، فلا تفرق بين قوم وقوم أو لون ولون أو جنس وجنس وإنما جعل التفاضل بين الأقوام في التقوى، ونحن نؤمن بهذه المبادئ السامية ونسعى لتطبيقها وتجعلها المنهاج والمرجع.

والأزهر يستقبل أئمة ووعاظ العالم الإسلامي من شتى بقاع الأرض لحضور الدورات التدريبية التي يعقدها كل ثلاثة أشهر لتبصيرهم بأمور الدين الإسلامي ليكونوا رسلًا له حينما يعودون إلى بلادهم، وبذلك يكونوا على صلة دائمة بالأزهر الشريف وعلمائه الأجلاء، كما يوفد الأزهر العلماء في شهر رمضان لأكثر من خمسين دولة لتعريف المبادئ الصحيحة للدين الإسلامي كما يستقبل الطلاب الوافدين من أكثر من مائة دولة يتعلمون صحيح الإسلام في الأزهر الشريف.

اعتماد نتيجة الدور الثاني للشهادة الابتدائية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمشيخة الأزهر صباح الثلاثاء الموافق ١٢ / ٨ / ٢٠٠٨ م نتيجة امتحان الدور الثاني للشهادة الابتدائية الأزهرية للعام الدراسي ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ م على مستوى الجمهورية.

حيث تقدم لأداء الامتحان للدور الثاني ٥٢٦٤٨ تلميذاً وتلميذة نجح منهم ٤٣٦٢٢ وبذلك تكون النسبة المئوية العامة للنجاح في الدورين الأول والثاني معاً للعام الدراسي ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ م (٩٥.٠٢٪).

شهد اعتماد النتيجة فضيلة الشيخ / عبدالفتاح علام - وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ / زكريا إسماعيل - رئيس قطاع المعاهد وفضيلة الشيخ - محمد الخزرجي - الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر.

ختام الملتقى الثقافي الخامس عشر لمدن البعوث الإسلامية

في ختام الملتقى الثقافي الخامس عشر لمدن البعوث الإسلامية المقام بمدينة البعوث الإسلامية بالإسكندرية والذي بدأ في الفترة من ٦ / ٧ / ٢٠٠٨ وحتى ١٦ / ٨ / ٢٠٠٨ والذي اشتمل على لقاءات ثقافية ومحاضرات للسادة أصحاب الفضيلة قيادات وعلماء الأزهر وأساتذة جامعة الأزهر.

اختتم فضيلة الإمام الأكبر اللقاء الثقافي بمحاضرة ألقاها يوم الأربعاء الموافق ١٢ / ٨ / ٢٠٠٨ عقب صلاة المغرب بمدينة البعوث الإسلامية بالعصافرة بالإسكندرية.

ترقيات

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر القرار الآتي:
يعين بطريق النقل السادة الآتية أسماؤهم بعد من شاغلي درجة كبير بالوظائف القيادية الموضحة قرين اسم كل منهم بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف:

الشيخ يوسف محمد حسن رمضان - وكيل منطقة أزهريه (أ) للعلوم الدينية والعربية بنى سويف والشيخ عبدالموجود عطية سليمان معوض - وكيل منطقة أزهريه (أ) للعلوم الدينية والعربية القليوبية والشيخ عبدالسلام حسين خلف عبدالباقى - وكيل منطقة أزهريه (أ) للعلوم الدينية والعربية الفيوم والشيخ أحمد السيد حسنين الديب - مدير عام منطقة أزهريه (ب) السويس والشيخ صلاح صديق همام سليمان - وكيل منطقة أزهريه (أ) للعلوم الدينية والعربية الجيزة والشيخ محمد أحمد حسن يوسف السنديوني - وكيل منطقة أزهريه (أ) للعلوم الدينية والعربية الإسكندرية والشيخ سالم محمد سالم مسلم - مدير عام الإدارة العامة للدعوة والشيخ عبدالله عبدالمجيد سليمان حسن - مدير عام منطقة دعوة وإعلام ديني أسبوط والشيخ شوقي عبدالله عطية عبدالرحمن - مدير عام منطقة دعوة وإعلام ديني شمال سيناء والشيخ جلال عبدالغنى على الخطيبى شيخ معهد المنصورة الثانوى بنين والشيخ يسرى محمد حسن سليم - شيخ معهد قنا الثانوى بنين والشيخ محمود عبدالفتاح محمد شتا - مدير عام المعاهد التجريبية والنموذجية.

مهندس / نبيل محمود محمد إبراهيم - مدير عام الإدارة العامة للأبنية التعليمية والإدارية والسيد / عادل عبدالبدیع محمد الدهتورى - مدير عام المعامل والوسائل التعليمية والسيد / محمود سعيد مصطفى محمد - مدير عام الكمبيوتر التعليمي والسيد / محمود أحمد حسين أحمد - مدير عام الإدارة العامة للأملات والشيخ إبراهيم لطفى السيد إبراهيم - مدير عام منطقة دعوة وإعلام ديني دمياط.

The life of Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him) is very diverse and has so many aspects that it cannot be dealt with briefly or swiftly. Almost 1500 years have passed since the death of the Holy Prophet. During these years, so many incidents and happenings have occurred that prove the truthfulness of the Holy Quran. It also confirms what the Prophet said about himself: *"I was given five attributes that were given to no-one before me; frightening was used to give me victory, the earth was made a prayer place for me and its soil pure, I was allowed to mediate on behalf of my followers, and Allah made me the final Prophet and Messenger."*

Islam is the final religion and Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him) is the last Prophet and Messenger. This is actual proof of the truthfulness of the Message of Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him) that we present to those that refuse to believe in his Message and insist on closing their minds and hearts to the obvious truth. They are deceived by their strength, power and scientific knowledge and ignore the religion of Islam that encourages the meditation and examination of all forms of God's creations in the world.

"Do not the unbelievers see that the heavens and the earth were one mass, then We rent them apart, and We made every living thing out of water? Will they not then believe? And We have placed in the ground mountains standing firm so that it does not shake with them, and We have made it in ravines so they may find their way. And We have made the heavens a well-guarded roof, yet they still turn away from its signs. God is the one who created the night, the day, the sun and the moon, each one is traveling in an orbit with its own motion"

(Al-Anbiyaa (The Prophets): 30 – 33)

"Have you not seen how your Lord has spread the shade? If He willed, He could have made it stationary. Then We made the sun its guide"

(Al Furqan (The criterion): 45)

Those who are deceived with their limited knowledge, if only they looked around them, would realize that what they refer to as Modern Science was actually founded by Muslim Scientists and was based on the Muslim civilization and its scientific achievements.

One of the Western researchers mentioned that: "Knowledge is one of the most important benefits of the Muslim civilization to Mankind and the modern world, based on the teachings of the Quran and the instructions of the Prophet. The intellect that was created in the West by the Arab culture appeared after a long period of ignorance. Islamic knowledge was not the only factor that revived Europe. Other Islamic factors were also effective in pumping new life into the Western world and affecting all aspects of its advancement."

Another Western researcher states: "Islamic scholars have ascertained that a purely secular view of life does not lead to advancement of a nation. The only hope of revealing the truth lies in looking at the events themselves. Thus, their policy was to adopt a scientific method that involves feelings."

There are other means of evidence to prove that Muhammad is a true prophet. In the Quran, there are verses that put blame on the Prophet for certain actions. If the Quran was not a Holy Book and was fabricated by Muhammad, as some claim, it would not direct any blame or admonish him for any actions. We would not have found words in the Quran such as those saying:

"He frowned and turned away; when there came to him a blind man."

(Abasa (He frowned): 1, 2)

To the end of that Surah that admonishes the Holy Prophet for not receiving a blind man properly.

The history of the life of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon Him) is full of evidence of his truthfulness and proof that he is a Holy Prophet. We do not need to prove that he is a prophet, since his honor is an extension of the power of God who needs no evidence to prove His existence. An honest believer can feel the presence of God in his heart and mind and in everything around him.

The Quran also provides decisive, convincing answers for those who insist on going into endless arguments in an attempt to embarrass the Prophet and prove him wrong. The Quran Says:

"And he has set for us a similitude and forgotten how he was created. He says: 'Who will revive the bones when they are rotten?' Say: 'He shall revive them, the One who originated them the first time, He is all-knowing of all creation'"

(Yassin: 78, 79)

God also Says:

"And they will say: 'who will bring us back?' Say: the One who created you the first time."

(Al-Israa (The night journey): 51)

There are many other illuminating verses in the Quran, which was Prophet Muhammad's first miracle, that light up the path of Muslims with the grace of God.

Translated by: Eman Ali El-khateb.

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil

vegetables, fruit juices and hot drinks. Nutritionists also recommend this nutritional diet for seven days twice a year in spring and in autumn. This allows the body to avoid many health problems, especially in old-age.

Fasting in Islam has an advantage that it allows its followers to eat whatever they like at the end of the day (except the kinds of food prohibited by Islam). This allows the body to replace the energy it has lost and protects the Muslim from diseases that arise from mal-nutrition or deficiency in vitamins or mineral salts. This is contrary to other kinds of fasting which extend for long periods of time, such as for vegetarians that rely solely on vegetables for nutrition.

As such, we find that the method of fasting in Islam takes into account the benefit to the human body in addition to the well-being and purity of the soul. This keeps the body energetic and active. Some ignorant people believe that fasting leads to weakness and anemia. This is totally wrong, since fasting has only good effects on the Muslim. Allah says: *"If you fast, it is better for you, if only you knew."* (Al-Baqarra (The Cow): 184)

The month of Ramadan is also a special month because, in it, the Holy Quran was revealed to guide people to the right path. We should study the words of Allah in which He Says:

"Why do they not meditate on the Quran, or are there locks on the hearts"
(Muhammad: 24)

And His Saying:

"Do they not reflect upon the Quran, had it been from other than God, they would surely have found in it many inconsistencies"
(An Nisa'a (The Women): 82)

It is natural that the ability of Muslims to understand the words of the Quran is different, due to different levels of knowledge in different periods of time and differences in intellect.

The Need for Prophet Muhammad...!

(May the blessings and peace of Allah be upon Him)

By: Ustaz Muhammad Mustapha Al-Basiony

Allah almighty says in the Holy Quran, addressing his Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him), emphasizing his role in delivering the final Message of all times: *"O Prophet, indeed We have sent you to be witness, and a bearer of glad tidings and to warn; And call to the Way of Allah, by His permission, and as an illuminating light."* (Al-Ahzab (The Allied parries): 45, 46)

Any believer who meditates on these words of Allah would realize that Allah describes the Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him) as an illuminating light. God has explained this in other parts of the Quran and clarified the meaning of illuminating light. This is one of the miracles of the Holy Quran: that it explains itself. It should be explained as a whole, not individually, as mentioned by the great Islamic scholar Mahmood Shaltout. Allah Says about the light:

"And made the moon a light therein, and made the sun a lamp"
(Nooh: 16)

And in another verse: *"And placed a blazing lamp"*
(Al-Nabaa (The tiding): 13)

Let us examine carefully these Holy words. We can deduce from them that Allah describes his Prophet as a sun and moon that bring light to the world. The Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him), with his Holy message, is the light that illuminates our days, just like the sun, and our nights, like the moon. Prophet Muhammad leads us at all times to the right path with its wisdom and certainty, away from any misdeeds and ignorance.

The beginning of the light of Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him) and his message was a new birth for the world and a new spring in life. The birth of this Prophet, which was prophesized by previous Holy Books, brought light to the entire human race. With his coming, the Muslims formed a nation that was neither tyrannical nor submissive. They became an intermediate nation, not like the previous state in which people were either heartless or had no power to be merciful.

Muslims, at the present time, are in great need for adopting the path of the Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him) since they are now in a decisive period of time. They need to attempt to strengthen their faith, in order to be true followers of this great Prophet.

Fasting in Ramadan Purifies the Soul and Body...!

By: Dr. Ahmad Fouad Pacha

Fasting is the best way to purify the soul and body. Allah ordered Muslims and those before them to fast. He Says:

"O you who believe! Fasting is ordained for you as it was ordained for those before you, that you may be pious."

(Al-Baqarra (The Cow): 183)

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) has indicated clearly how Muslims should fast and the aim and advantages of fasting. As for scientific research, it has uncovered several important facts about fasting that proves the Holy Wisdom in enforcing fasting. It is not only a means of worship, but also an important method to maintain the life and health of humans.

God has chosen the great month of Ramadan, in which the Holy Quran was revealed, to be the month of fasting. With the coming of Ramadan, Muslims feel happy and optimistic. They receive this month with the saying of the Prophet (whenever He used to see the moon of Ramadan): *"Allah is Great, O Allah! Begin this month with goodness, faith, safety and Islam and guide us to that which pleases You. My God and yours is Allah, O crescent of prosperity and wisdom".*

In the month of Ramadan, spiritual peacefulness and faith increases due to constant prayer by night, reading of the Quran and praising Allah and asking for His forgiveness. Muslims also avoid talking about others, arguments and any bad deeds. All this removes any bad feelings the Muslim may have that may affect his psychological well-being and could even affect his physical health. The sincere faith in Allah during this Holy month actually has a miraculous effect in curing such medical conditions before they increase.

Fasting is a real indication of the faith of the Muslim. When this great month begins, every Muslim has prepared himself spiritually for its coming. These holy days pass by until the twentieth day of Ramadan. At this time, Muslims dedicate all their time to worship in the mosque following in the path of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him). The lady A'ishaa (May Allah be pleased with her) said: "The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) used to pray all night during the last ten days of Ramadan, and he used to wake his household to pray". This complete dedication to the worship of Allah increases the purity of the soul and its ability to accept the bestowments of Allah on his worshippers. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: *"Whoever fasts Ramadan with faith and belief will have his sins forgiven"*.

On the other hand, fasting is regarded as a medical way to purify the body from any excess or toxic substances or unwanted remains of food. As a result, many medical journals treat fasting as a method of nutritional treatment. A Muslim fasts about 12 to 16 hours daily, depending on the season: winter or summer, spring or autumn. During these few hours, the level of sugar in the blood decreases. The body then attempts to find another source of energy, and uses the stored carbohydrates in the liver. This store of food is enough to provide the body with energy for about 6 hours. After it is used up, the body then breaks down the store of fat under the skin and around the organs to obtain the required energy. The body also breaks down any unnecessary cells, such as those that are not healthy, and, thus, gets rid of the toxic substances present in it. This is followed by building new cells to replace those that were broken down. All this renews the biological constituents of the body and makes it more efficient and energetic.

It is well known in most modern medical institutions that there are basic rules to improve bodily functions. This relies on simple nutrition and abstaining from all usual means of nutrition for specific periods of time. They recommend relying on only simple food that is easy to digest, such as

Ramadan is a Holy month. It is a method to purify the soul and the society. In it, all Muslims have a collective feeling that the days of Ramadan are not like other days. They are days for obedience to Allah. Its daytime is spent in fasting, worshipping Allah and reading the Quran. Its nights are spent in prayer. In this way, human cravings are suppressed and people rush to do good, give alms to the poor and obey Allah.

Allah chose this month to reveal the Quran in it. He Says:

"The month of Ramadan is that in which the Quran was revealed as a guidance for people, in it are clear signs of guidance and the criterion" (Al-Baqarra (The Cow): 185)

It is, therefore, not strange that people try to read and listen to the Quran as much as possible all through the month of Ramadan. Voices are heard in all places reading the Quran. In this great month, Al-Azhar sends many Islamic preachers and reciters of the Quran to all Muslim countries and countries that have large Muslim communities. They help to celebrate Ramadan by spending its nights in preaching and reading the Quran.

In Ramadan, there is a general feeling of compassion in Muslim communities. It is, indeed, a month for providing for the poor and needy and weak. Islamic Law encourages this feeling of compassion and brotherhood. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: *"Whoever breaks the fast of someone who is fasting will have the same reward as him, without decreasing the reward of the person who was fasting"*.

Fasting is a means of reminding us of all the gifts and blessings bestowed upon us by Allah. Continuing to benefit from these blessings may cause us to forget or disregard them. When it is stopped, as in Ramadan, the person remembers these bestowments and the generosity of Allah. Hunger reminds the fasting Muslim of the gift of food, while thirst reminds him of the gift of water. This causes him to remember Allah, the provider of these blessings.

Fasting also keeps us away from misdeeds by lowering our gaze and preventing our tongues from mentioning any bad words or lies or talking about people behind their backs. It prevents disputes and arguments. It is mentioned in the sayings of the Holy Prophet: *"He who does not abstain from being a false witness, then Allah does not need him to abstain from food and drink"*.

Piousness is the main aim from fasting, as mentioned in the Holy Quran: *"Fasting is ordained for you as it was ordained for those before you, that you may be pious."* (Al-Baqarra (The Cow): 183)

In being pious, a Muslim is rewarded by Allah's approval. Allah says: *"Allah does not get its meat or its blood, but he gets your piousness"* (Al-Haj (The Pilgrimage): 37)

Fasting teaches us perseverance, and trains us to be patient. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: *"Fasting is half of patience"*. He also said: *"Ramadan is the month of patience, and patience is rewarded by heaven"*. The patience of a Muslim is a result of abstaining from bad deeds and bodily needs, and in abstaining from things that are halal (lawful). All this is solely to please Allah. This causes him to reject all evil, and avoid immorality. It encourages him to behave properly and treat others well. By fasting, the Muslim gets rid of all sins and regains his purity. This was indicated by the Holy Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) when he said: *"Whoever fasts Ramadan with faith and belief will have his sins forgiven"*.

In this way, the fasting Muslim abides by Islamic laws, and he is revived by obedience to Allah. He tries to get close to Allah by doing good deeds and this makes him more serene and peaceful. He also feels joy in his nearness to Allah and feels that his deeds are accepted favorably. His soul seeks Allah by praying with conviction that his prayers will be answered. Allah says while mentioning fasting:

"And if My bond men ask you about Me, surely I am near, I answer the prayer of he who calls Me, so let them respond to My call and believe in Me, that they may be rightly guided".

(Al-Baqarra (The Cow): 186)

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: *"The person who fasts has an invocation that is answered"*. It is, therefore, preferred for the fasting Muslim to invoke while breaking his fast, and this invocation may be: *"O Allah, for You I have fasted, and in You I believe, and with Your bestowments I break my fast, thirst is ended and blood vessels are wetted, and the reward is taken with the grace of Allah. O Allah, help us to fast by day and pray through the night, and to lower our gaze, and to hold our tongues"*.

It is also preferred, during the night of Al-Qadr, to say this prayer: *"O Allah, you are all forgiving and love forgiveness, so forgive me"*. This is because the spiritual side of the person who fasts reaches its peak on the last ten days of Ramadan, especially in the greatest and most honored night, the night of Al-Qadr.



﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

RAMADAN: THE MONTH OF THE QURAN...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Ramadan is the month of mercy and forgiveness, and the month of the Quran. It has a night more honorable than a thousand months. As such, Muslims should receive this month in the best possible way.

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "If worshippers know the value of Ramadan, my people would wish that the whole year was Ramadan". He also said (May the blessings and peace of Allah be upon him): "The month of Ramadan has arrived. A Holy month, Allah ordered you to fast in it. In it, the doors of Heaven are opened and the doors of Hell are closed, and the devils are tied down in it. There is a night in it for Allah, better than a thousand months, in which anyone who is deprived of its goodness is a deprived person."

This honorable month is now near, so we must look forward to it. We should start working hard and put more effort into worshipping Allah. We should ensure that we pray Taraweeh (Ramadan prayer) at night, and fast all day.

Fasting has many benefits. This includes purifying the soul by obeying the orders of Allah. It also signifies complete submission to Allah, which elevates the spiritual side in preference to bodily needs. This may be the secret to the daily happiness felt by every Muslim whenever he completes fasting all day until he breaks his fast. This was expressed in the saying of the Holy Prophet: "The fasting Muslim has two sources of happiness: if he breaks his fast he is pleased with his breakfast, and if he dies he is pleased with his fasting". Fasting is the only means of worship that has no outer appearance. It is only abstinence and faith. As a result, when a person performs it, only Allah knows what he is doing. This makes him more aware of Allah's presence and increases his faith and fear of Allah.

Allah says:

"O you who believe! Fasting is ordained for you as it was ordained for those before you, that you may be pious."

(Al-Baqarra (The Cow): 183)

To indicate the great honor in fasting, Allah has claimed it for Himself alone in his Greatness, as stated in the Holy Saying: "Every deed by Adam's son is for him except fasting, it is for Me and I reward it".

الفهرس

- من حشرات الذكر في شهر رمضان
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ————— ١٣١٢
- تفسير سورة آل عمران
للشيخ الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ————— ١٣١٨
- السفة: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به
لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي ————— ١٣٢٤
- ثمرة الصيام
لفضيلة الشيخ/ عمر الديب ————— ١٣٣٠
- الصيام من طرف العادة.. إلى شرف العبادات
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ————— ١٣٣٤
- الصيام والقرآن حصانة دينية ومناعة جسمانية
للأستاذ الدكتور/ محمد فتحي قرج ————— ١٣٣٨
- خطبة الجمعة شهر التهذيب
لفضيلة الشيخ/ أحمد الشرياصي ————— ١٣٤٢
- كيف تستقبل شهر رمضان؟
للككتور/ حمدي فتوح والي ————— ١٣٤٦
- الخطاب الرمضاني كيف يفتح الشهية للصيام
للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني ————— ١٣٥١
- القرآن والمعجزات الكونية
لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عديطة ————— ١٣٥٦
- قراءة إيمانية في كتاب الكون والحياة
للأستاذ الدكتور/ أحمد قواد باشا ————— ١٣٦٢
- دور الوقف في خدمة المجتمع
للمستشار/ حسن حسن منصور ————— ١٣٦٨
- الصلقة في ميزان الإسلام (٧)
لفضيلة الشيخ/ علي عبد الباقي شحاتة ————— ١٣٧٣
- قصيدة العبد في ذكرى مصطفى صادق الرافعي
ولاء الأمير شبيب أرسلان الراعي ————— ١٣٧٦
- قراءة في كتاب: حقوق المرأة في التشريع الإسلامي (٢)
للأستاذ/ عادل خفاجة ————— ١٣٨٠
- قصة العبد.. حاسد حنود يكشف عن نفسه
للككتور/ أبي حسام ————— ١٣٨٠
- دلالات الأضاح: الخاص والعام والمشارك (٤)
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي ————— ١٣٨٩
- مستقبل الحوار في ظل الإساءات المتكررة إلى الإسلام
لفضيلة الشيخ/ فوزي الزغلاف ————— ١٣٩٢
- المؤتمر العالي للحوار
رسالة مبررة يكتبها: عاطف مصطفى ————— ١٤٠٠
- الحوار في القرآن والسنة
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ————— ١٤٠٨
- كتاب الشهر: الحضارة الإسلامية المسيحية.. ماذا حدث؟
عرض تحليل أ.د/ إبراهيم عوضين ————— ١٤١٣
- البرقاج النوراني الإيراني بين الحرب والسلام
للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد ————— ١٤٢٠
- القدس.. أمانة عمر في انتظار صلاح الدين
للككتور/ محمد عمارة ————— ١٤٢٦
- شهر الخيرات (قصيدة)
للشاعر الدكتور/ عبدالفتاح عمرو شعيب ————— ١٤٣٣
- استقبالات القراء
يجيب عنها الأستاذ الدكتور/ علي جمعة ————— ١٤٣٤
- طرائف ومواقف
للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ————— ١٤٤٠
- بين الصحف والجلات
للاستاذين/ محمود الطنسي - علا عبد الرحمن ————— ١٤٤٣
- بين الرحلة والقراءة
للأستاذ/ أحمد السيد نقى الدين ————— ١٤٤٦
- أنباء العام الإسلامي
للاستاذين/ محمد جمعة - أحمد رضوان ————— ١٤٥١
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية
للأستاذ/ عبد الموجود أمين موسى ————— ١٤٥٤
- أنباء مكتبة الإمام الأكبر
للأستاذ/ عبد النبي قراج ————— ١٤٥٧
- القسم الإنجليزي
إعداد: أ.د/ إبراهيم الأصيل ————— ١٤٦٩

هدية العدد
صور من البتولات
الإسلامية

الإسلام

مجلة إسلامية شهرية تصدرها مجمع البحوث الإسلامية
شوال ١٤٣٩ هـ - أكتوبر ٢٠١٨ م - الجزء ١٠ - السنة ٨٨٩

رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةٍ
وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشْدًا

١١
٢٠٠٠
دوريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

عادل رفاعي خفاجة

الاشتراك السنوي

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

شوال ١٤٢٩ هـ - أكتوبر ٢٠٠٨ م - الجزء العاشر - السنة (٨١)



من الأمانة العلمية

تأليفا - تدريساً - تقليدا

(مقدمة)

جاءني أستاذ كبير بإحدى الكليات الجامعية ساخطا كل السخط على ما نشرته من قبل عن الخيانات العلمية التي تقع من أدعياء التأليف، مؤكداً «أن السمعة العلمية لمصر في العالم العربي تهتز بمثل هذه المقالات»!! وإخواننا العرب يعرفون أن الأساتذة ليسوا من طراز واحد؛ فمنهم الأمين المتحرز -وما أكثر هؤلاء من قبل لا الآن- ومنهم الدعي المتسرع، كما أن طلاب العرب في جامعات مصر، يعرفون عنها ما يعرفه المصريون جميعاً، ويقدرّون الفاضل لفضله، ويهزون بالدعي لانحداره! ففيم الخوف من كتابة مقال صادق ليس فيه كلمة واحدة لفقها الخيال؟!!

قلتُ هذا مخدثي، فقال: ولماذا وقد اعترفت بوجود هؤلاء النابهين من الأصلاء، لا تكتب عن محاسنهم كما كتبت عن مساويء الآخرين؟

قلت: يا سيدي إن الأصل في أهل العلم أن يكونوا أمتاء، فإذا سار هذا الأصل على سننه، فهو المتوقع الذي لا يثير دهشة، ولا يدعو إلى استغراب، إنه أمر طبيعي كما تشرق الشمس صباحاً من المشرق، وتعود إلى ستارها في المغرب، أما الذي يوجب الدهشة حقاً فهو الشذوذ الطاريء في هذه الخيانات المنكرة، وواجب الكتاب أن يشيروا إليها دون استحياء، وقد بدت على نحو متقطع، فلم يكذب يلفت إليها أحد، ثم اتسع الحرق على الراقع، فصارت ظاهرة مشهودة، تحدث عنها الناس لساناً وبراعاً.

أفتقول من بعد: إننا نسيء إلى مصر حين نشخص الداء وتلتبس الدواء! وقد دعاني حديث صاحبي إلى أن أفكر في كتابة مقال، يتحدث عن الأمانة العلمية؛ ليكون

مثلاً مرجواً للشببية العلمية المتطلعة، وليصبح بحقائقه السافرة، داعياً إلى الاحتذاء، منقراً من السطو والأدعاء، وقد سبق لي أن أشرت إلى بعض ما سأتناوله في صحف شتى؛ فإذا اخترت مما ذكرت بعض ما يسعد القاريء، ويدعو إلى الأسوة فقد بلغت ما أريد.

تأليفاً

من أمثلة الأمانة العلمية التي أذكرها في مجال التأليف الجامعي، ما أقرره عن كتاب (الجغرافية التاريخية الإسلامية) للأستاذ محمد أحمد حسونة بك -أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة-، وهو أول كتاب عربي في موضوعه، ومؤلفه مؤرخ فاضل له نشاطه في الإدارة التربوية، وفي التأليف، وكتبه المدرسية وغير المدرسية شاهدة بفضله. وقد جاوز الستين قبل أن يخط كتابه سنة ١٩٥٠م، وقد أسندت إليه الكلية تدريس مادة الجغرافية الإسلامية، وهي مادة جديدة لم يكتب عنها شيء من قبل، فماذا صنع الأستاذ الأصيل؟ لقد كتب كتابه مشكوراً فوق إلى خير كثير، غمطه حقّه حين قال في مقدمة الكتاب:

«ولما كنت عديم الخبرة بهذا الموضوع، فقد رجوت بعض علمائنا الفطاحل في الجغرافيا، أن يكتبوا فيه، ولو كانت كتاباتهم عن العناصر المهمة، ولكنهم اعتذروا بضيق الوقت، وهو عذر حقيقي بسبب ما يتوعدون به من مهام الدولة، ومن ثم عكفت على تتبع آثارهم، وجعلت أساس عملي رسالة قدمها الأستاذ /حسن بك جوهر لنيل درجة الماجستير فاحتذيتها احتذاءً يكاد يكون كلياً، واستعنت بما كتبه سعادة الأستاذ /مصطفى عامر بك وكيل وزارة المعارف، وحضرة الأستاذ الدكتور عباس بك عمار، ولم أتورع عن الأخذ من كتابات هؤلاء الأعلام، وكثيراً ما نقلت أفكارهم بأسلوبهم خشية أن أضل إذا أنا حاولت تفسير الصيغة التي اختاروها، ورحم الله امرءاً عرف حدود جهله ووقف عندها، فما ورد في هذه الوريقات من الصواب فمرده إلى هؤلاء العلماء وأمثالهم، وما ورد من الخطأ فمرجعه إلى تقصيري، ورجائي أن يكون هذا الخطأ من الجسامة بحيث يحفز أحد هؤلاء المتخصصين على التأليف في موضوع حان الوقت لتدريسه».

هذا ما جاء في مقدمة الكتاب! أما الكتاب نفسه فذو جهد مشكور واضح؛ إذ تعرض المؤلف بإفاضة إلى الحديث عن جغرافية بلاد العرب، وعن طرق القوافل بالجزيرة ثم عن الظروف الجغرافية التي هيأت فتح العراق وفارس فأنتى بما لم يسبق إليه، وانتقل إلى فتوح الشام ومصر وبلاد السودان والمغرب، فتحدث عن العوامل الجغرافية بما لم يشغل بال المؤرخين من قبل!! وبعد ذلك كله يصارح الأستاذ طلابه في الدراسات العليا وفي سنوات الكلية بأنه عديم الخبرة في الموضوع، وقد رجا المختصين أن يؤلفوا فاعتذروا، وقد اعتمد على مؤلفاتهم وكان أحياناً ينقل العبارة بحروفها خشية أن يضل إذا لجأ إلى الاختصار أو البسط! وأن أخطاءه من الجسامة بحيث يجب أن تدفع هؤلاء إلى الكتابة الصحيحة تلافياً لعثراته!! هذا القول

الباهر الرائع لم ينقص من قدر الأستاذ، بل زاده تقديراً وسموا، ولولا أنه يعرف أمانة البحث، وضرورة التنبيه إلى بعض ما قد يعثره من نقص، ما أسهب في تسجيل ما يتم عن قصوره، وهو قصور متوهم.

لقد كان في استطاعة الرجل أن يكتفى بمثل قوله: إن الموضوع جديد، وقد انتفع بمؤلفات فلان وفلان، ثم يسكت، فلا يتحدث عن جهله بالموضوع بدءاً وأنه ينقل النص بحروفه كيلاً يضل، كان في استطاعته أن يقول ذلك دون اعتراف بما تردد في داخله من معانٍ يظنها المغرور أنها تسيء إلى فضله، ولكن حرمة العلم، وجلال الأستاذية، وخطورة التبعة الخلقية لا الإدارية، كل ذلك قد فرض عليه أن يتحدث عما عانى وكابد! وقد أعطى بذلك -رحمه الله- درساً خلقياً واجب الاحتذاء، وهو درس عملي يفوق كثيراً من الدروس المسجلة في الكتب والمجلدات!

مقدمة ثانية

في سنة ١٩٤٧م زار أديب الشام الكبير الأستاذ علي الطنطاوي -رحمه الله- القاهرة مندوباً من وزارة العدل السورية لدراسة بعض القوانين المصرية، وكان يزور إدارة مجلة الرسالة كثيراً، ولما كنت أعلم أنه ألف كتاباً عن (بشار بن برد) ولم تكن كتب المازني والنويهي وغيرهما ظهرت بعد عن الشاعر العباسي، أردت أن يعطيني فكرة عن مستوى الشاعر؛ إذ كنت مكلفاً بإعداد بحث عنه في الكلية، وانتظرت أن أسمع منه شيئاً عن كتابه (بشار بن برد) ففاجأني بقوله:

إياك أن تعتمد على هذا الكتاب في شيء؛ فكله أخطاء؛ لأنني نقلت روايات ثبت بطلانها، ومحدث أبياتاً لا تستحق المديح، وقد أوصيت من لديه نسخة منه في دمشق أن يحرقها حرقاً، أو تريد أنت أن ترجع إليه في مصر؟!!

تعجبت كثيراً مما سمعت؛ لأن لهجة الأستاذ خيلت إلي أنه يتحدث عن كتاب ألفه أكبر أعدائه! وقلت: إنه حديث بين اثنين فقط، وسينقضي أثره!

ثم وقعت في يدي الطبعة الأخيرة من كتابه عن عمر بن الخطاب، وأخذت أقرأ مقدمتها فوجدته يقول عن الطبعة الأولى من كتابه:

«ولما رجعت إليه الآن وجدت فيه عيوباً لا يجوز معها أن يعاد طبعه، منها أن فيه أخباراً باطلة لا أصل لها، كقصص البطريق في الصفحة الثالثة والعشرين، وفيه أخباراً ضعيفة السند، وأخباراً مكررة معادة، وألفاظاً تنبؤ عن أدواق القراء وأقهاهم من غريب اللفظ، أو معقد الأسلوب، ووجدت فيه تطويلاً لا داعي له، واستطراداً يدعو إلى الإملال، ووجدت تعليقاتي عليه، تعليقات الشباب فلم أرتض أكثرها، فحذفت الباطل منها والموضوع، ثم جئت إلى



جدا الحق على جاد الحق

الأخبار فهديتها، وطرحت من الكتاب ما هو تطويل وليس من صميم الموضوع. ومن أثر أن ينظر فيه على ما فيه من العيوب التي نجد من الأمانة الإشارة إليها، والتحذير منها استطاع أن يعود إليه.

قرأت ذلك فقلت: يا لله! ما هذه القسوة الدقيقة القاطعة! كان في مقدرة الأستاذ أن يقول: إن هذه الطبعة خلصت من أخطاء وقعت في الطبعة السابقة، وهذا يكفي كل الكفاية للإفصاح عما يريد، ولكنه قاض عادل، وقد رأى من الأمانة أن يعلن كل ما في نفسه في وضوح سافر، وقد زاده هذا رفعة في نظر القارئ.

وحين ذهبت إلى جدة سنة ١٩٩٠ شرفت بلقاء الأستاذ في مجلس علمي مشهود، وتنازلنا حديث الأدب والأدباء على نحو واسع ممتد، والأستاذ الطنطاوي كالسبل الدافق إذا تحدث عن أعلام العصر الحديث، وقد قلت له فيما قلت: أتذكر يا سيدي ما حدثتني به في القاهرة عن كتابك (بشار بن برد) إنك أعدت تماماً في مقدمة كتابك عن عمر في طبعته الثانية ما قلته لي عن كتاب بشار: فضحك كثيراً، وقال: من يدري، لعلني إذا طبعت كتابي طبعة ثالثة أقول في الطبعة الثانية ما قلت في الطبعة الأولى! لأنني لا أرضى عن نفسي! فيالها من عبرة لمن اعتبر!

تدريسا

يقول الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق متحدثاً عن ذكرياته عن دروس الفلسفة بكلية الشريعة حين كان طالباً بها - وذلك في كتاب «رحلة إلى الستغال» ص ٨٢.

«لقد قرأت الفلسفة، ودرستها كمبادئ، في السنة الأولى بكلية الشريعة، وأذكر أن أستاذ الفلسفة كان يدعى الشيخ (شبل يحيى) وهو من خريجي الأزهر، ومدرسة القضاء، ودار العلوم جميعاً، لقد حاز ثلاث شهادات من ثلاثة معاهد!!

يقول الإمام (وكان الدكتور إبراهيم مذكور - رئيس مجمع اللغة العربية الخالي - قتيلاً تجاوز العشرين بستوات قليلة، وكان يقوم بتدريس الفلسفة في الفصول الأخرى، ومن الأشياء التي تحضرني بامتنان عن الأستاذ شبل يحيى أنه كان يحضر دروس الدكتور إبراهيم مذكور جنباً إلى جنب مع الطلاب، لكي يتعرف إلى المنهج الذي يدرسه الدكتور مذكور لطلابه، والطريقة التي يتبعها في توصيل الفكرة إلى أذهان الطلاب ثم يسعى الشيخ شبل بعد ذلك إلى أن يكون أكثر عطاء مع الطلاب في الفصل الذي يدرس فيه).

ولهذا الكلام الذي قرره الأستاذ الأكبر تفصيل يوضح مغزاه؛ فقد كانت الفلسفة أحد الدروس المقررة على طلاب كلية الشريعة، وقد استعانت بانتداب الدكتور مذكور من كلية



مامون الشناوي

الآداب، وهو في الوقت نفسه منتدب لتدريس المادة بدار العلوم ! فلم يكن وقته يسمح بقدر كاف لتغطية القصول، ولما كان الشيخ شبل قد درس الفلسفة بمدرستي القضاء ودار العلوم فقد رأت الكلية أن يقوم بتدريسها زميلاً للدكتور مذكور، وقد فكر الشيخ فوجد أن الدكتور مذكور قد درس الفلسفة في باريس، وباعه أطول، فلا بد أن يقيض على طلابه بأكثر مما لديه، وقد أعد الدكتور مذكور مذكرة مطبوعة تضم خلاصة محاضراته، وكان فيها غناء للشيخ إذ تيسرت له المادة مذلة مبسطة، ولكنه أراد أن يعلم كل مالمدي الدكتور مذكور، فأثر أن يجلس

مع الطلاب لسمع كل ما يقول، وليدونه في كراسة معه!! وقد عجب الدكتور لسلوك زميله، واعترف له أن الامتحان لا يخرج عن المذكرة، وعليه أن يقتصر عليها في درسه فلا يكلف نفسه مشقة الجلوس مع الطلاب، لاسيما أن طلابه في الفصل المقابل سينظرون إليه نظرة لا ترفع من قدره أمامهم، ولكن الشيخ شبل قرر في اطمئنانه أنه طالب عالم، ويسره أن يعلم طلابه أن الدكتور مذكور وإن كان يصغره في السن فهو أكبر منه علماً، ولا غشاضة في ذلك، وجعل من ذأبه الحضور جالساً مع الطلاب، وقد أراد الدكتور مذكور أن يكرمه، فأحضر له كرسيًا يجلس عليه في جواره، فأبى الشيخ وقال: إن النتيجة واحدة، وأن مجيء الكرسي لا يقدم ولا يؤخر! فأنا مستمع مستفيد.

وأذكر أن أحد الأساتذة عرض على شيخ الكلية الأستاذ مامون الشناوي - وقد صار شيخاً للأزهر فيما بعد- أن يضم الفصلين معا في محاضرة واحدة، مادام وقت الدكتور لا يسمح بأكثر مما اتفق عليه، وهو حل طبيعي مريح، ولكن الشيخ مامون رفض في إصرار أن يكون عدد الطلاب في المحاضرة ستين طالباً، وأن الراغب أن يعرف المدرس طلابه واحداً واحداً، وأن ينظر إليهم في اطمئنانه ليعرف من أساليب وجوههم من فهم الدرس، ومن تعثر، ليعيد ما قال! فيكفي أن يكون أمامه ثلاثون على أكثر تقدير! فهل يعلم الشيخ في مرقده المظمن بضريحه الهادي أن مدرجات الجامعة الآن تجمع ألفين من الطلاب في محاضرة واحدة! وأن الأستاذ لا يهتم أن ينظر في وجوه الطلاب ليعرف الفاهم والغافل! بل لا يهتم أن يلقى الدرس بتمامه اكتفاء بعناصر يسردها سرداً، ثم يحيل إلى المذكرة! أين كنا؟ وكيف أصبحنا!

ولي مع الشيخ شبل يحيى موقف مماثل كدت أنساه لولا ما ذكره الإمام جاد الحق عنه، إذ أعاد لي ما كان، وكأنه الآن! لقد كان الأستاذ يتولى تدريس المنطق لنا بكلية اللغة العربية سنة ١٩٤٧، وقد سار لي ذكر بين الزملاء بأنني أنظم الشعر، وأنشر ما أكتب في الصحف والمجلات، وفي ظهيرة يوم الأيام، رأيت الشيخ يتقدم إلي باسم الشعر، ويقول في صوت هادئ: معي يا بني قصيدة شعرية نظمناها استجابة لإلحاح جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة كي ألقوها في احتفال الهجرة في الأسبوع القادم! وأخشى أن يكون بها بعض الكسر



مصطفى عبدالرازق



علي عبدالرازق

العروضي أو القلق في القافية (فتفضل) هكذا.. تفضل بمراجعتها، واحذف منها ما لا ترتضيه، فأنا لا أحب أن أخرج بين الجمهور!! سمعت هذا الكلام فدارت الأرض بي، ووضعت يدي اليمنى على رأسي، ويدي اليسرى على الجدار خلفي كيلا أقع!! طويلاً صغير بالكلية يأتيه أستاذ كبير ليقول له: صحح ما تراه خطأ في قصيدتي!! لقد شاهد الرجل اندهاشي فصحتي

إلى مقهى الكلية، وطلب لي فنجان قهوة! وقال في مودة: يا بني، الشعر موهبة، وليس كسباً، وقد يملأ العالم طباق الأرض ثم لا يقدر أن يقول بيتاً، والقوم قد ألحوا علي أن أنشد قصيدة في حفل الهجرة؛ لأنني نظمت أشياء مهمة من قبل لا أرضى عنها! فقيم اندهاشك؟ خذ القصيدة واقراها، وأحضرها إلي من الغد! فلم أجد بداً من الإذعان، وقد قرأت القصيدة فوجدت مستواها مشرقاً! وليس بها من الكسر العروضي، أو القافية القلقة ما توهم، فألحقتها بأبيات من الوزن والقافية أشيد فيها بمقدرة الشاعر، ونسوغه، وأكبر تواضعه المثالي، وحن اللقاء فأسمعت ما قلت، فجعل يقبل الورقة التي كتبت فيها أبياتي، وقال: شكراً، لقد أعدت إلي ثقتي! ولم أكن من قبل أعرف قصة درس الفلسفة التي أشار إليها الإمام الأكبر، ولكنني حين طالعت ما قال، عرفت أن معدنه الخلقي الرائع نفيس نفيس، وأنه طبع على هذا النموذج الفريد، إننا نشهد الآن زملاء المادة الواحدة يلزم بعضهم بعضاً في المحاضرات أمام الطلاب، وبعضهم يحاول إيهام سامعيه بأنه وحده العالم المتخصص، وأن الأقدار قد ساعدت هؤلاء قصاروا زملاءه! نرى ذلك رأى العيان! فهل نجد في هذا العصر من يحمل نفس الشيخ المتواضعة فيجلس طالباً في محاضرة زميله ويدون ما قال، ليعيده على الطلاب!!

تقديم

أما تقديم الكتب، فقد يكون موضع الجرح في أكثر أموره؛ لأن من يطلب المقدمة من المؤلفين في أكثر أموره- لا يطلب نقداً، وإنما يطلب تقريراً، وقد لا يقنع بصفحة تكتب، بل يريد عدة صفحات، فماذا يفعل إنسان متحورز يقدر أمانة الكلمة، إذا جاءه مؤلف يرجو مقدمة لكتاب قد لا يكون في المرتبة اللائقة من الجودة والابتكار! قد يعتذر هذا الإنسان بدعوى الاشتغال بأمور لا تسمح التأجيل أو بتوكل في الصحة، مثلاً، فينصرف الراجي وقد أسر من الألم ما لا يبيديه! ولكن ما القول في إنسان يمنعه حياؤه من الاعتذار، ثم هو لا يرى قيمة بين يديه من الصفحات الجديدة يستأهل التقديم، هنا تقع المعادلة الصعبة كما يقولون!

لقد كان الحياء الفرط أظهر سمات الإمام العظيم حقاً بخلقه وعلمه معاً، الإمام مصطفى

عبدالرازق شيخ الأزهر الأسبق، وقد قال عنه شقيقه الأستاذ الكبير علي عبدالرازق في مقدمة كتاب (من آثار مصطفى عبدالرازق).

«كان أخي مطبوعاً منذ الطفولة على فطرة رقيقة؛ فهو لا يحب الأذى ولا العنف، وكان خلقه الحياء، والحياء خير كله، والرفق والحياء إذا استمكننا من نفس كما استمكننا من نفسه تولد عنهما من الفضائل ومكارم الأخلاق ما يرفع إلى أسمى الدرجات».

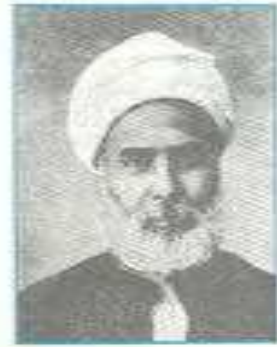
لقد كان الإمام الأكبر في مكتبته بالأزهر ذات صباح، فاستأذن عليه الأستاذ مصطفى الصاوي المدرس بالمعهد الديني، فقام له الشيخ واقفاً كعادته مع كل زائر، عظم أو صغر، ثم قدم إليه الزائر كتاباً صغيراً في «علم العروض» يشمل مقرر السنة الأولى بالمعهد الثانوي! كتاب مدرسي لا جديد فيه، وطلب أن يكتب الشيخ مقدمة للكتاب!!

لا أدري ما الذي اعتمل في نفس الإمام الأكبر حين تصفح الأوراق فوجد كتاباً مدرسياً يحمل قواعد مشتهرة يعرفها الدارسون جميعاً! لو كان الإمام غير مصطفى، لقال للمؤلف: ماذا صنعت يا رجل؟ وماذا أضفت! ثم اعتذر ساخراً! ولكن حياء الشيخ الذي تحدث عنه شقيقه قد وقف حائلاً دون أن يرفض المطلب غير المستساغ، وكأنه أدرك أن المدرس أزهرى، ويحب أن ينال مجادة بتقدمه، فأخذ الكتاب، ووعد أنه يكتب المقدمة، ووعد في ابتسام، ثم خلا بنفسه ليقرأ ما بين يديه، وليرعى أمانة البحث دون أن يكسر خاطر المؤلف، فكتب مقدمة وجيزة تتجمع في هذه السطور:

«طلب إلى فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى الصاوي المدرس بمعهد القاهرة أن أكتب مقدمة لكتابه في العروض، ومع أنني درست العروض، وحفظت في عهد الطلب بعض متونه الشهيرة، وأدبت فيه امتحان العالمية منذ عهد، ومع أنني كنت أقول منذ شبابي شعراً، ولا أزال أميز بين المنظوم والمنثور، لكنني أعترف أنني لست عروضياً بالذوق، ولا أعتبر نفسي فنياً في العروض؛ وإذن فإنني أرى من الجرأة أن أضع مقدمة لكتاب رجل فني يشغل منذ سنوات كثيرة بتدريس العروض».

ولكن لا يسعني إلا أن أثنى على أستاذ يضع مجهوده في صورة كتاب يقدمه للناس، ليستفيدوا من ثمرة مجهوده من ناحية، وليستفيد هو مما قد يصل إليه من ملاحظات، وأعتقد أن هذه هي السبيل إلى بلوغ الكمال؛ لأن المؤلف يستطيع على هذا الوجه، أن يعيد طبع كتابه، فيوضح ويستكمل، وعلى هذا الاعتبار أشكر للأستاذ الفاضل مجهوده وإخلاصه لفنه، وأسأل الله أن يوفقه إلى الكمال والنجاح».

هذه هي المقدمة التي ترعى أمانة الحقيقة، فلا تجازف بتقريظ زائف، أو تغيل إلى تجريح غير قاصد، مع ما أبانت عنه من تواضع إمام جليل يقول عن نفسه: «إنه لا يزال يميز بين المنظوم والمنثور!! ويرى من الجرأة أن يتقدم بكلمة عن كتاب ألقه مدرس متمرس!! وإذا دلت هذه



محمد عيده



الأفغاني

الكلمات على الأمانة العلمية فقد أنبأت عن حياء وأدب وذوق!

ومما أذكره عن الإمام الأكبر في هذا الصدد أن الطالب (محمد سلام مذكور الطالب بكلية الشريعة، وقد صار فيما بعد (الأستاذ الدكتور محمد سلام مذكور رئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة) كان قد ألف وهو في السنة الثالثة بالكلية كتاباً تحت عنوان (جمال

الدين الأفغاني) وتقدم به إلى أحد أساتذته في الكلية لينضج مقدمته فأشاح عنه معتذراً، وتالم المؤلف الشاب، فوقع في خاطره أن يذهب إلى وزير الأوقاف الأستاذ الشيخ مصطفى عبدالرازق؛ إذ يعلم من سماحته ما قد يسر له أن يكتب مقدمة للكتاب، وقد حدثني المؤلف -رحمه الله- أنه ذهب بالكتاب قبل تجليده إلى الأستاذ وقلبه يضطرب هيبة من لقائه، ولكنه قبول بابتسام مشجع، فتقدم الطالب بالملزم إلى الشيخ عارضاً طلبه في استحياء! وما كاد الرجل الكبير يرى اسم (جمال الدين الأفغاني) حتى استنار وجهه بابتسام خالب، وقال في حب وود، وكأنه يخاطب ولده ممدوح: لقد أتلفت صدري يا بني حين تحدثت عن جمال الدين، وأنا أطمع في كتاب آخر عن (محمد عيده) تعال غداً لتأخذ المقدمة.

ثم جاءت مقدمته قوية التفاضل، مباشرة بمستقبل للطلاب في عالم البحث العلمي، ولم ينس الشيخ عند عودته لتسلم المقدمة أن يلاطفه بحديث مشجع ثم يشير إلى بعض ملاحظات لم يشأ أن يدونها في كتابه، قال الدكتور سلام: وقد نشرت إعلاناً كبيراً عن الكتاب في الصحف اليومية، قلت به: إن مقدمة الكتاب (بقلم مصطفى عبدالرازق) لأغيظ من تدمروا من قبل إذ طلبت منهم التقديم، فأبوا في استخفاف!

أما بعد

فهذه قصص موجزة عن أمانات علمية لنفر ممن أنعم الله عليهم بسمو إخلق مع وثاقة العلم فضربوا المثل في أمانة القول تأليفاً وتديساً وتقديماً، وهم بفضل الله كثيرون، ولعل لدى غيري من الأمثلة أكثر مما لدى، وهنا يلزم التنويه بهذه المآثر، لأنها في واقعها الملموس، ومشهدا المرموق مبعث فخر لمن يحملون مصابيح الهداية من قادة العلم، وأولى المروءة، كما أنها تصفع وجوه الانتهازين ممن يحسبون أنفسهم على شيء، وهم ضعفاء مساكين غناهم المتنبي حين قال: ومن جهلت نفسه قدره... رأى غيره منه ما لا يرى

د. محمد رجب البيومي

نفسير سورة عمران

لفضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى: ﴿تَتَّبِعُونَ فِي أُمُورِكُمْ

وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً
وَلِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
وَلَنْ كُفَرُوهُمْ فَنبذوه وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِمُ مِمَّا
كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ۚ وَمِمَّا أَشْرَوْا بِهِمْ لَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٨﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغُونَ
بِمَا آتَوْا وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ
بِمَقَارِفَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٩﴾﴾ الآيات من (١٨٨: ١٨٩)

وقوله:

﴿تَتَّبِعُونَ فِي أُمُورِكُمْ﴾ جواب قسم محذوف أي: والله
لتبطلون أي لتختبرون، والمراد لتعاملن معاملة الاختبر
والممتحن ليطهر ما عندكم من الثبات على الحق،
ومن التمسك بمكارم الأخلاق، فإن الصائب محك
الرجال.

وإنما أخبرهم - سبحانه - بما سيقع لهم من بلاء،

ثم بين - سبحانه - للمؤمنين أنهم
ستعرضون في المستقبل للمحن والآلام كما
تعرضوا لذلك في أيامهم الماضية، وأن من
الواجب عليهم أن يتقبلوا ذلك بعزيمة صادقة،
وصبر جميل فقال - تعالى -:

﴿تَتَّبِعُونَ فِي أُمُورِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾

ليوطنوا أنفسهم على احتماله عند وقوعه،
وليستعدوا لتلقيه من غير فزع أو جزع، فإن الشدة
المتوقعة يسهل احتمالها، أما الشدة التي تقع من غير
توقع فإنها يصعب احتمالها.

والعنى: لتبطلون - أيها المؤمنون - ولتختبرن.

﴿فِي أُمُورِكُمْ﴾ بما يصيبها من الآفات،
وبما تطالبون به من إنفاق في سبيل إعلاء كلمة الله،
ولتختبرن أيضاً في ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾

بسبب ما يصيبكم من جراح وآلام من قبل
أعدائكم، وبسبب ما تتعرضون له من حروب
ومتاعب وشدائد، وفضلاً عن ذلك فإنكم:

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

مِنْ قَبْلِكُمْ﴾

وهم اليهود والنصارى.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾

وهم كفار العرب، لتسمعن من هؤلاء جميعاً
﴿أَذًى كَثِيراً﴾ كالطعن في دينكم،
والاستهزاء بمعبدتكم، والسخرية من شريعتكم
والاستخفاف بالتعاليم التي أياكم بها نبيكم،
والنغن فيما يضركم.

وقد رتب - سبحانه - ما يصيب المؤمنين ترتيباً
تدريجياً، فابتدأ بأذى ألوان البلاء وهو الإصابتة في
المال، فإنها مع شدتها وقسوتها على الإنسان إلا أنها
أخون من الإصابتة في النفس لأنها أعلى من المال، ثم
ختم ألوان الابتلاء ببيان الدرجة العليا منه وهي التي
تختص بالإصابتة في الدين، وقد عبر عنها بقوله:

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾

وإنما كانت الإصابتة في الدين أعلى أنواع البلاء،
لأن المؤمن الصادق يهون عليه ماله، وتهون عليه
نفسه، ولكنه لا يهون عليه دينه، ويسهل عليه أن
يتحمل الأذى في ماله ونفسه ولكن ليس من السهل
عليه أن يؤذى في دينه.

ولقد كان أبو بكر الصديق مشهوراً بليته ورفقه،
ولكنه مع ذلك - لقوة إيمانه - لم يحتمل من
«فجاحص» اليهودي أن يصف الخالق - عز وجل -
بأنه فقير، فما كان من الصديق إلا أن شج وجهه
فجاحص عندما قال ذلك القول الباطل.

وقد جمع - سبحانه - بين أهل الكتاب وبين
المشركين في عداوتهم وإيذائهم للمؤمنين، للإشعار
بأن الكفر ملة واحدة، وأن العالم بالكتاب والجاهل
به يستويان في معاداتهم للحق، لأن العناد إذا
استولى على القلوب زاد الجاهلين جهلاً وحمقاً،
وزاد العالمين حقناً وحسداً.

ثم أرشد - سبحانه - المؤمنين إلى العلاج الذي
يعين على التغلب على هذا البلاء فقال:

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

أي: وإن تصبروا على تلك الشدائد، وتقبلوها
بضبط النفس، وقوة الاحتمال ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله في
كل ما أمركم به ونهاكم عنه، تنالوا رضاه - سبحانه -
- وتنجوا من كيد أعدائكم.

والإشارة في قوله:

﴿ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

تعود إلى المذكور ضمناً من الصبر والتقوى، أي
فإن صبركم وتقواكم من الأمور التي يجب أن يسير
عليها كل عاقل، لأنها تؤدي إلى النجاح والظفر.
وقوله:

﴿ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

دليل على جواب الشرط، والتقدير: وإن تصبروا وتنفقوا تنالوا ثواب أهل العزم فإن ذلك من عزم الأمور.

فالآية الكريمة استئناف مسوق لإيقاظ المؤمنين، وتنبيههم إلى سنة من سنن الحياة، وهي أن أهل الحق لابد من أن يتعرضوا للإشلاء والامتحان، فعليهم أن يوطنوا أنفسهم على تحمل كل ذلك، لأن ضعفاء العزيمة ليسوا أهلاً لبلوغ النصر.

ولقد بين النبي ﷺ أن قوة الإيمان وشدة البلاء متلازمان، فقد روى الترمذي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاءه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة».

ثم حكى - سبحانه - رذيلة أخرى من رذائل أهل الكتاب فقال:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾

الميثاق، هو العهد الموثق المؤكد. وقد أخذ - سبحانه - العهد على الذين أوتوا الكتاب بأمرين: أولهما: بيان ما في الكتاب من أحكام وأخبار، وثانيهما: عدم كتمان كل شيء مما في هذا الكتاب..

والمعنى: واذكر أيها المخاطب وقت أن أخذ الله العهد المؤكد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأن يبينوا جميع ما في الكتاب من

أحكام وأخبار وبشارات بالنبي ﷺ، وألا يكتُموا شيئاً من ذلك، لأن كتمانهم للحق سيؤدي إلى سوء عاقبتهم في الدنيا والآخرة.

والضمير في قوله ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ ﴾ يعود إلى الكتاب المشتمل على الأخبار والشرائع والأحكام والبشارات الخاصة بمبعث النبي ﷺ.

أي لتبين ما في هذا الكتاب الذي بين أيديكم من أحكام وشرائع وأخبار وبشارات، وقيل الضمير يعود إلى الميثاق، ويكون المراد من العهد الذي وثقه الله عليهم هو تعاليمه وشرعه ونوره.

وقوله: ﴿ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ عطف على ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ ﴾ وإنما لم يؤكد بالتون لكونه منفياً، وجمع - سبحانه - بين أمرهم المؤكد بالبيان وبين نهْيهم عن الكتمان مبالغة في إيجاب ما أمروا به حتى لا يقصروا في إظهار ما في الكتاب من حقائق وحتى لا يلجأوا إلى كتمان هذه الحقائق أو تحريفها.

ولكن أهل الكتاب - ولا سيما العلماء منهم - نقصوا عهودهم مع الله - تعالى -، وقد حكى - سبحانه - ذلك في قوله:

﴿ فَتَبَيَّنُوا وَرَأَى ظُهُورَهُمْ وَأَشْرَافَهُمْ قَتْلًا قَلِيلًا قَلِيلًا مَا يَشْتَرُونَ ﴾

النبد: الطرح والتروك والإهمال.

أي أن أهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهود الموثقة بأن يبينوا ما في الكتاب ولا يكتُموا شيئاً منه، لم يكونوا أوفياء بعهودهم، بل إنهم نبذوا ما عاهدهم الله عليه، وطرحوه وراء ظهورهم باستهانة وعدم اعتداد، وأخذوا في مقابل هذا النبد والطرح والإهمال شيئاً حقيراً من متاع الدنيا وحظائرها، فبئس الفعل فعلهم.

والضمير عنهم بقوله:

﴿ فَتَبَيَّنُوا وَرَأَى ظُهُورَهُمْ ﴾

كناية عن استهانتهم بالنبوة، وإعراضهم عنه بالكلية، وإهمالهم له إهمالاً تاماً، لأن من شأن الشيء النبوة أن يهمل ويترك، كما أن من شأن الشيء الذي هو محل اهتمام أن يحرس ويجعل نصب العين.

والضمير في قوله: ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ يعود على الميثاق باعتبار أنه موضع الحديث ابتداء.

ويصح أن يعود إلى الكتاب، لأن الميثاق هو الشرائع والأحكام، والكتاب وعماؤها، فتبذ الكتاب نبذ للعهد.

والمراد «بالثمن القليل» ما أخذوه من أموال ومتاع دنيوى من غيرهم في مقابل عدم بيانهم لما في الكتاب من حقائق، وكتمانهم لذلك إرضاء للشهوات وللأهواء الباطلة.

وليس وصف الثمن بالقلة من الأوصاف المخصصة للنكرات، بل هو من الأوصاف اللازمة للثمن المحصل في مقابل تبذيرهم لكتاب الله وعهوده، إذ لا يكون هذا الثمن المحصل إلا قليلاً وإن بلغ ما بلغ من أغراض الدنيا بجانب رضا الله - تعالى -.

قوله: ﴿ فَبَيَّنَّا مَا يَشْتَرُونَ ﴾ أي بشئ شيئاً يشترونه ذلك الثمن.

فما نكرة منصوبة مقسرة لقاعل بشئ، وجملة يشترونه صفته، واغضوص بالذم محذوف.

وقيل «ما» مصدرية قاعل بشئ، واغضوص

بالذم محذوف، أي بشئ شرأؤهم هذا الشراء لاستحقاقهم به العذاب الأليم.

وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة، وجوب إظهار الحق، وتحريم كتمانها.

ورحم الله صاحب الكشف فقد قال عند تفسيره لهذه الآية: وكفى به دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس، وألا يكتُموا منه شيئاً لغرض فاسد من تسهيل علي الظلمة، وتطبيق لنفوسهم، واستجلاب لمساوهم، أو لجر منفعة وحطام دنيا، أو لتقية، أو ليخل بالعلم وغيره من أن ينسب إلى غيرهم، وعن النبي ﷺ أنه قال: «من كتم علماً عن أهله أجم بلجام من نار»^(١) وعن علي رضي الله عنه، قال: «ما أخذ الله على أهل الجاهل أن يتعلموا حتى خذ على أهل العلم أن يعلموا»^(٢).

وقال ابن كثير عند تفسيره للآية الكريمة: هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على السنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن يتوهوا بذكره في الناس فيكونوا على أمة من أمرة، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتُموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، واحظ الدنيوى السخيف، فبئس الصفقة صفقتهم، وبئس البيعة بيعتهم، وفي هذا تحذير للعلماء من أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبدلوا ما بأيديهم من العلم النافع، ولا يكتُموا منه شيئاً.^(٣)

ثم حكى - سبحانه - رذيلة أخرى من رذائل

(١) كشف الخفا ١/٣٢٥.

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٣.

(٣) تفسير الكشف ج ١ ص ٢٤٦ بصرف يسير.

أهل الكتاب المتعددة، وهي أنهم يحسبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا، ويقرحون بما أتوا، وبين سوء عاقبتهم بسبب تلك الأخلاق القبيحة فقال:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

والخطاب في قوله ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ موجه إلى النبي ﷺ أو لكل من يصلح له الخطاب.

والنهي موجه إلى حساب أن يكون في هؤلاء الأشرار خير.

أي أن الله تعالى، ينهي نبيه ﷺ نهياً مؤكداً عن أن يظن خيراً في هؤلاء الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا.

و«الغاية» مصدر ميمي بمعنى الفوز، وقيل هي اسم مكان أي محل فوز ونجاة.

والمعنى: لا تظن يا محمد ﷺ أن هؤلاء الأشرار.

﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾

أي يفرحون بما فعلوا من بيعهم الدين بالدنيا واستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير، والذين:

﴿يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾

أي يحسبون أن يمدحهم الناس على ما لم يفعلوه من الوفاء بالعهود، ومن إظهار الحق وعدم كتمانهم، فبأنهم فعلوا الشرور والآثام، ثم لم يحاولوا أن يستروا ما اقترفوه من آثام، بل يطلبون من الناس أن يمدحهم على ما ارتكبوه

من منكرات، فهم ممن قال الله فيهم:

﴿أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ عَمَلِهِمْ فَراءَ حَسَنًا﴾

لا تحسبن هؤلاء الأشرار ﴿بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي بمنجاة منه، بل لهم عذاب مؤلم أشد الإيلام بسبب ما اجترحوه من سيئات.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾

هو المفعول الأول لتحسب، والمفعول الثاني محذوف والتقدير: لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا موفقين، أو مهتدين، أو صالحين.

وحذف هذا المفعول الثاني لدلالة ما بعده عليه وهو قوله:

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ﴾

ولتذهب النفس كل مذهب فيما يتناسب مع الوصف الذي وصفهم به - سبحانه - وهو أنهم يفعلون القبيح ويحبون أن يحمّدهم الناس عليه.

وقوله:

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾

بيان لسوء عاقبتهم بسبب أفعالهم السيئة وهو تأكيد لقوله:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾

قال الزجاج: جرت عادة العرب أنهم إذا طالت القصة أو الكلام أعادوا لفظ حسب وما أشبهه، للإعلام بأن الذي جرى متصل بالكلام الأول والأول متصل به، فتقول، لا تظن زيدا إذا جاءك وكلمك بكذا وكذا فلا تظنه صادقاً، فيفيد «لا

تظن» تأكيداً وتوضيحاً (٢).

والتعبير عن النجاة من العذاب الأليم بقوله - تعالى - ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ للإشعار بأن أقصى ما يكون لهم من فوز أن ينجوا من العذاب الأليم، ولكنهم لن ينجوا منه أبداً، ولذا أكد - سبحانه - عدم نجاتهم بقوله:

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

فذكر - سبحانه - عذابهم الأليم بالسلب والإيجاب، فنفي أولاً: أنهم بمنجاة منه، وأخير ثانياً: أنهم واقعون فيه.

هذا، وقد ذكر كثير من العلماء أن هذه الآية الكريمة نزلت في شأن أحبار اليهود فقد روى الشيخان والترمذي والنسائي وغيرهم عن حميد ابن عبد الرحمن بن عوف أن مروان قال لبوايه رافع: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أوتي وأحب أن يحمّد بما لم يفعل لنعذب جميعاً.

فقال ابن عباس: مالكم هذه، وإنما نزلت هذه في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾

إلى قوله:

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

وقال ابن عباس: «سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، ثم خرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من

كتمانهم إياه ما سألهم عنه».

وذكر بعض العلماء أن هذه الآية نزلت في شأن المنافقين، فقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو، اعتنقوا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمّدوا بما لم يفعلوا فنزلت:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾

قال العلماء: ولا منافاة بين الروایتين، لأن الآية عامة في جميع ما ذكر، وبذلك نرى أن الآيات الكريمة قد حدثتنا عن جملة من رذائل أهل الكتاب، فقد حكى قولهم:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَا﴾

[آل عمران: ١٨١]

وحكى قولهم:

﴿الْأَنْزِيلُ رِيسَالٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ نُنَاسِئُكَ الْفَارُ﴾

[آل عمران: ١٨٣]

ووصفتهم بكتمان الحق ونبذ وراء ظهورهم، كما وصفتهم بأنهم يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا، وردت على أكاذيبهم بما يدحضها وأنذرتهم بسوء مصيرهم، وسأقت للمؤمنين من ألوان التسلية ما يخفف عنهم مصائبهم، ويجعلهم يسرون في هذه الحياة بعزم ثابت، وهمة عالية، ونفس مطمئنة.

(٢) تفسير الألويسي ج ١ ص ١٥١

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ج ٦ ص ٥١ باب «لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا»

الحق فضيلة والكذب رذيلة

لمضيعة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

الشرح والبيان

ما أجل الصدق ! وما أعظم الصادقين ! حين يتولاهم الله برعايته، ويشملهم بعنايته، ويمنحهم حبه وحب الناس في الدنيا، ويعطيهم الأجر العظيم، والثواب العظيم في الآخرة، ومن ثم ذكر الله - عز وجل - الصدق في مناقب النبوة، قال تعالى:

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾

(مريم: ٥٤)

وحقاً لقد كان إسماعيل - عليه السلام - أصدق الناس وعداً حين قال لأبيه:

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

(الصافات: ١٠٢)

لما قال له أبوه إبراهيم - عليه السلام:

﴿يَبْنِيْ اِنِّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ اَنِيْ اَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾

(الصافات: ١٠٢)

روى البخاري -
رحمته الله - عن
عبد الله بن مسعود -
رضي الله عنه - عن
النبي ﷺ قال: إن
الصدق يهدي إلى
البر، وإن البر يهدي
إلى الجنة، وإن
الرجل ليصدق حتى
يكون صديقاً، وإن
الكذب يهدي إلى
الضجور، وإن الضجور
يهدي إلى النار، وإن
الرجل ليكذب حتى
يكتب عند الله
كذاباً.

ورسول الله ﷺ وهو القدوة الحسنة، والأسوة الطيبة كان صادقاً في جميع أقواله وأفعاله، وسائر تصرفاته، شهد له بذلك أعداؤه قبل أصدقائه، فيها هو ذا أبو جهل أشد الناس عداوة له، وأبغضهم لما جاء به، يقول له رجل: يا أبا الحكم، ليس هنا غيري وغيرك فخبّرني عن محمد، صادق هو أم كاذب؟ فيقول: إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، وهذا هو أبو سقيان بن حرب الدأعدائه، وأقواهم خصومة له يسأله هرقل عظيم الروم - في حديث البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قائلاً: هل كنتم تنهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: لا... فقال هرقل: قد كنت أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله.

ومن ثم أخبر الحق - سبحانه وتعالى - الدنيا كلها عن صدق نبيه - صلوات الله وسلامه عليه - فقال - جل شأنه:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

(النجم: ٤، ٣)

وأكد ذلك بقوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۖ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۚ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْفَوَاحِشَ ۚ﴾

(الحاقة: ٤٤ - ٤٦)

وكانه - تعالى - يقول: ولكننا لم نأخذ

منه اليمين، ولم نقطع منه الوتين، فكان ذلك شاهد صدق على ما جاء به عن الله - عز وجل - وكان اعتراف أعدائه بصدقه خير شاهد على صدقه مع الناس.

فإذا كان الصدق من الصفات التي يحبها رب العالمين، وهو من صفات الأنبياء والمرسلين، فيجب علينا أن نتمسك بالصدق في كل الأحوال، لأن الصدق قرين الإيمان، فالمؤمن صادق مصدق، كما أن الكذب قرين الكفر، فإذا انعدم الصدق انعدم الإيمان، ولهذا لما سئل النبي ﷺ أيكون المؤمن جباناً؟ قال: (نعم). قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: (نعم). قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: (لا) (١).

وبهذا نتبين أن الإسلام جعل الكذب قرين الكفر. قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَتَقَرَّرُ الْكَذِبَ الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِحُكْمِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

(النحل: ١٠٥)

وأسوأ أنواع الكذب الكذب على الله - عز وجل - وقد توعد الله من يكذب عليه بأشد أنواع العذاب. قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ الْفِتْنَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ

مُسْوَدَّةٌ أَلْسِنَتُهُمْ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾

(الزمر: ٦٠)

كما يحب علينا - معشر المسلمين - أن
نحارب الطون، وأن نصد الإشاعات الكاذبة
التي تبعثنا عن حادة الحق والضواب، فإن
حق الحق غني عن الباطل، فقد قال ﷺ فيما
رواه الترمذي: (وقال: حديث حسن
صحيح): عن أبي محمد الحسن بن علي بن
أبي طالب - رضي الله عنهما: (دع ما
يريك إلى ما لا يريك، فإن الصدق
طمأنينة، والكذب ريبة).

فلا تكذب أيها المسلم، لأن الكذب خيانة
كبرى لأخيك المسلم، وقد قال إبراهيم
الخواص - رحمه الله: الصادق لا تراه إلا في
فرض يؤديه، أو فضل يعمل فيه، وقال
الجنيد - رحمه الله -: حقيقة الصدق أن
تصدق في موطن لا يتجيك منه إلا الكذب ..
فالكذب - أعاذنا الله منه، ووقانا شره -
داء وبيل، وممرض شنيع يلحق النفس
البشرية، فيقطعها عن الخير، ويدفعها إلى
الآثام والمعاصي دون مبالاة، ومن ثم جرم
الإسلام الكذابين، وشدد عليهم النكير،
روى أحمد في مسنده وابن حبان في
صحيحه والبخاري - واللفظ له - عن عائشة -
رضي الله عنها - قالت: (ما كان من خلق
أبغض إلى رسول الله - ﷺ - من الكذب،
ما اطلع على أحد من ذلك بشيء، فيخرج من
قلبه، حتى يعلم أنه قد أحدث توبة) ..
ولذلك عرف الصحابة - رضوان الله عليهم -
بصدق الحديث، ودقة الأداء، وضبط
الكلام، والواجب علينا أن نتقدي بهم، وأن
نمتنع عن جميع صور الكذب، وأن نقول
الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم،

فإنه لما أراد معاوية بن أبي سفيان - رضى الله عنه - أن يضمن البيعة لابنه يزيد جمع الناس، فقال: (هَذَا أَمِيرُكُمْ)، وأشار إلى نفسه، (فَبِإِذْنِ هَذَا)، وأشار إلى ابنه، (فَمَنْ لَمْ يَشَأْ فِهَذَا) وأشار إلى سيفه، ثم التفت إلى الأحنف بن قيس متحدياً، وقال: (مَا رَأَيْتُكَ يَا أَهْنَفُ؟) قال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يخاف الله إِنْ كَذَبْنَا، ونخافُكَ إِنْ صَدَقْنَا، وتوقف عن الكلام.. تأملوا هذا الموقف وتدبروه، ففيه رجولة وحسن تصرف، وامتناع عن الكذب والنفاق في أصعب المواقف وأخطرها، ولهذا كان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول: (لَأَنْ يَخْفَضَنِي الصَّدَقُ وَقَلَمَا يَفْعَلُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْفَعَنِي الْكَذِبُ، وَقَلَمَا يَفْعَلُ).

وتحدثنا كتب التاريخ أن الحجاج بن يوسف الثقفي أمير الكوفة اتهم رجلين بالمؤامرة عليه، فقبض عليهما وأودعهما السجن، ثم أحضرا بين يديه، لينالا جزاءهما من العقاب، فقال أحدهما: إن لي حقاً عليك أيها الأمير. قال: وما هو ذلك؟ قال: دافعت عنك في مجلس كذا وكذا. فقال الحجاج: إن هذه دعوى تحتاج إلى بينة، فأين هي؟ قال: صاحبي هذا كان حاضراً في المجلس، فسأله الحجاج: أحق ما يقول صاحبك؟ قال: نعم، فقال: وهل دافعت أنت عني كذلك؟ قال: لا، قال: ولم ذلك؟ قال له: لكراحتي إياك... فعند ذلك قال الحجاج: قد عموت عن الرجلين، أما الأول فلحقه علينا، وأما الثاني فلصدقه.

كما تحدثنا الكتب أيضاً أن الحجاج خطب

يوماً فأطال، فقام رجل فقال: الصلاة، فإن الوقت لا ينتظرك، والرب لا يعذرک، فأمر بحبسه، فأتاه قومه وزعموا أنه مجنون، وسألوه أن يخلی سبيله، فقال الحجاج: إن أقر بالمجنون أخليت سبيله، فقیل للرجل ذلك، فقال: معاذ الله، لا أزعج أن الله ابتلاني وقد عافاني، فبلغ ذلك الحجاج، ففعل عن الرجل لصدقه.

فهل نتفح بهذه العبر، وتلك العظات،
ونأخذ منها دروساً في حياتنا وسلوكنا؟
فكثيراً ما نرى على الساحة عادات سيئة،
وأخلاقيات ذميمة ينبغي أن تختفي من
اجتماعات الإسلامية، منها اليمين الفاجرة،
وهي الحلف على البيع والشراء، وذلك
مذموم ومنهى عنه، لأن الخالف - في هذه
الحالة - يكون كاذباً، لتزيين السلعة في عين
المشتري وترويجها، وهذا تصرف قبيح
يغضب منهي عنه، روى الشيخان - رحمهما
الله - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه
- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
(الخلف منفة للسلعة، ممحقة للبركة)،
والمراد بالخلف هنا اليمين الكاذبة.. والمسلم
منهى عن الخلف حتى لو كان صادقاً، فلا
يكون الخلف إلا لضرورة. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْشَكُمْ لِأَيِّمِيكُمْ أَنْ تَبُورُوا
وَتَقْتُلُوا وَتُضِلُّوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٢٤)

ولم يرخص الإسلام في شيء من الكذب
إلا في أضيق الحدود، وعندما تقتضيه

الضرورة، واستدل العلماء بما رواه البخاري في صحيحه عن أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فيسمى خيراً، أو يقول خيراً) .. وروى الطبراني في (المعجم الكبير) عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: (ما رأيت رسول الله ﷺ يرخص في الكذب في شيء إلا في ثلاث، كان رسول الله ﷺ لا يعده كذباً، الرجل يصلح بين الناس، يزيد في القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها) .

هذا وقد توعّد الرسول ﷺ الذي يكذب ليضحك الناس بالعذاب الشديد، والعقاب الأليم، فلقد روى أبو داود والترمذي (وحسنه) والنسائي والبيهقي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده - رضي الله عنهم - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويل للذي يحدث بالحديث، ليضحك به القوم، فيكذب. ويل له ويل له».

فى حين أنه وعد المستنوع عن الكذب،
الملتزم بالصدق، حتى وإن كان مازحاً -
بالأجر العظيم، والثواب العظيم. روى
أبو داود فى سننه عن أبى أمامة - رضى الله
عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (أنا زعيم
«أى: ضامن» بيت فى ربض الجنة - أى:
حولها - لمن ترك المراء وإن كان محققاً،
وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن
كان مازحاً، وبيت فى أعلى الجنة لمن حسن
خلقه).

ولذلك أثر عن النبي ﷺ أنه كان فعلاً قبل أن يكون قولاً، فقد كان يمزج، ولا يقول إلا صدقاً وحقاً، لقد أخرج أبو داود والترمذي (وصححه) على حديث أنس - رضي الله عنه - قال: أنت النبي ﷺ امرأة، فقالت: يا رسول الله ﷺ أحملني على يعير، فقال: بل نحملك على ابن البعير. فقالت: ما أصنع به، إنه لا يحملني؟ فقال رسول الله ﷺ: (ما من يعير إلا وهو ابن يعير).

وقد أوصى الإسلام أن نغرس في نفوس أطفالنا - فضيلة الصدق، حتى يشبوا وقد ألفوا الصدق في أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم، فقد روى أبو داود والبيهقي من حديث عبد الله بن عامر - رضي الله عنه - أنه قال: «دعنتي أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: هيا تعال أعطيك! فقال لها رسول الله ﷺ: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمراً. فقال لها رسول الله ﷺ: (أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة).

فأين ذلك مما عليه البعض الآن؟! إذا دق جرس الباب قال الوالد لولده: قل لهذا القادم: (إنني غير موجود)، وكذلك إذا رن جرس الهاتف، ومن العجيب أنهم يطالبون أبناءهم بعد ذلك الالتزام بالصدق، كيف وقد تدرّبوا على الكذب واعتادوه؟! فليتنق الله هؤلاء في أبنائهم وبناتهم، وليعطوا من أنفسهم القدوة الحسنة، والأسوة الطيبة في تحري الصدق، والالتزام به، فوالله لا ينفع

الناس في الدنيا إلا الصدق، ولا ينفعهم في الآخرة إلا صدقهم مع الله ومع أنفسهم، ومع الناس.

هذا وقد قال الله - عز وجل -:

﴿ قُلْ لَّعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴾
يَتَّقُ الْقَدِيدَ مِنْ يَدِ فَهُمْ لَكُمْ مَحَنَّتٌ تَحْرَى مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَارُ
حَكِيمِينَ فِيهَا الدَّارُ رَضَى الْقَمْعُ وَرَضَاةً ذَلِكَ النُّورُ الْعَظِيمُ

(المائدة: ١١٩)

فالصدق نجاة، والكذب هلاك، فلا ينبغي لإنسان يقرأ هذه الآيات، ويسمع تلك الأحاديث، وتلك الآثار، ويرضى لنفسه أن ينساق وراء نفسه الأمانة بالسوء، أو شيطانه الذي يحرضه على الكذب والفجور، ويزين له أن الكذب وسيلة من وسائل النجاة. روى الإمام أحمد - رحمه الله - في مسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي - ﷺ - قال: (اضمنوا لي ستاً من أنفسكم اضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اتهمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم).

وعموماً فقد ضمن رسول الله ﷺ الجنة لمن صان لسانه عن الكذب، وفرجه عن الحرام، ففي الحديث المتفق عليه من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه اضمن له الجنة).

وقفنا الله لعمل الخير، وخير العمل.

الصدق

فكر

الأسلام

٨

الكلمة الطيبة صدقة

فتح الإسلام بنوره وهدية ومنهجه القويم أبواباً مفتحة بالخيرات والحسنات والرحمات وتذكرة الدخول من هذه الأبواب لا تكلف المسلم إلا اليسير من القول الطيب أو القليل من الفعل الحسن، ومن ذلك اختيار الكلمة الطيبة فهي صدقة.

فالكلمة الطيبة صدقة غير مالية يتعدى أثرها إلى الغير. فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة».

فكلمة طيبة من كتاب الله تعالى أو من سنة رسوله ﷺ تنقذ النفس من ضلالها وتخرجها بإذن ربها من الظلمات إلى النور فتتهدي بعد ضلال وتحيا بعد موت وتسعد بعد شقاء ثم تنال حظها الأكبر مغفرة من الله ورضواناً، وعلى العكس من ذلك فكلمة خبيثة من سجل شياطين الإنس أو الجن تغلق أمام النفس أبواب النور

وتدفعها إلى مهاوى الضلال والقوابة فتشقى في الدنيا ويوم القيامة تصلى عذاب النار ونجد ذلك واضحاً في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليتكلم

لفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي شحاتة

الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية

بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن يبلغ ما بلغت، يكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم القيامة.

هذا وكثيرا ما نجد القرآن الكريم يحث على القول الطيب من ذلك قوله تعالى:

﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ قَوَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (الآية ٨٣ البقرة)

وفي سورة الإسراء:

﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّذِي أَحْسَنُ إِذَا تَلَاوُا السُّورَةَ يُعْرِضُ عَنْهَا إِنَّا الشَّيْطَانُ كَانَتْ لَهُمْ لِسَانًا عَذُوًّا مُّبِينًا﴾

(الآية ٥٣ الإسراء)

وفي سورة الحج:

﴿وَهُدُوا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مَن الْقَوْلِ هَدُّوهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّبِينٍ﴾

(الآية ٢٤ الحج)

فالنطق بالكلمة الطيبة لون كريم من

ألوان الهداية والتوفيق يحقق الاستقامة على أقوم طريق وفي سورة «فاطر» يقول الله تعالى:

﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَلَْيَأْخُذْ بِالذِّكْرِ الْكَرِيمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ بَرْقَعَةً وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّيْكَانَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُبْرَرُ﴾

(الآية ١٠ فاطر)

قالذي يتكلم بالكلمة الطيبة قد أذن الله له بالصعود إلى عليين في كتاب مرقوم يشهده المقربون، وقد بين القرآن الكريم الفرق بين الكلمة الطيبة واخبيثة وضرب لكل منهما مثلا بليغا فقال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ٥ تُوْقُّ أَكْثُلَهَا كُلِّ جَنٍّ يَأْذِنُ فِيهَا وَيَضَعُ فِيهَا أَمْنًا ٥ إِنَّمَا لَهَا ثَمَرٌ نَّزْدَكُرُّوهُ ٥ وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن قَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ٥﴾

(الآيات ٢٤، ٢٥، ٢٦ - إبراهيم)

وفي هذا يحدثننا ابن عطية الأندلسي عن الكلمة الطيبة فيقول: قال ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره: هي لا إله إلا الله مثلها الله تعالى بالشجرة الطيبة وهي النخلة في قول أكثر المتأولين فكانت هذه الكلمة أصلها ثابت في

قلوب المؤمنين، وفضلها، وما يصدر عنها من الأمثال الزكية والحسنة، وما يتحصل من عفو الله تعالى ورحمته هو فرعها يصعد إلى السماء من قبل العبد وينزل بها من قبل الله رحمته، ثم يقول ابن عطية الأندلسي «والكلمة الخبيثة» هي كلمة الكفر وما قاربها من كلام السوء في الظلم ونحوه وهي - كما قال أكثر المفسرين - شجرة الخنظل.

قال ابن بطال: ووجه كون الكلمة الطيبة صدقة أن إعطاء المال يفرح به قلب من يعطاه ويذهب ما في قلبه - أي من الحزن ومرارة الحاجة - وكذلك الكلام الطيب فأشبهها من هذه الخبيثة.

وقال القاضي عياض: يحتمل تسميتها صدقة أن لها أجرا كما أن للصدقة أجرا وأن هذه الطاعات يعنى التي يطلق عليها صدقة وليست بمال - تماثل الصدقات في الأجور وأقول: وهو الأظهر لأن الغاية من الصدقة هو حصول الأجر والثواب من الله تعالى للمتصدق وهذا عام يشمل المالية وغير المالية والله أعلم.

والأستاذ الدكتور محمد عمارة في

شرحه لكتاب رياض الصالحين يقول عن الكلمة الطيبة بأنها تشمل الذكر والدعاء والسلام والثناء بحق ومكارم أخلاق ومحاسن آداب وأفعال.

فالكلمة الطيبة المسماة في الأمور العادية والتبادلة بين المسلم وأخيه المسلم في إطار من الخلق الإسلامي الكريم هي صدقة في ميزان الإسلام، أما إذا كانت الكلمة الطيبة تحمل معنى كريما يحبه الإسلام ويرغب فيه فتوابها وأجرها على قدر ما تحمل من خير وبر فتحية المسلم لأخيه كلمة طيبة ومع كونها صدقة في ذاتها إلا أنها تزيد عليها عشر حسنة أو عشرين أو ثلاثين فقد روى أبو داود في سننه عن عمران بن حصين قال:

«جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي ﷺ: «عشر» ثم جاء رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال: «عشرون» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال «ثلاثون».

يحيى

فرحة العيب

الشيخ / أحمد الشرياصي

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله - عز وجل -، هو الذي يداول بين الناس الأوقات والأيام، واليه وحده المرجع في أمر الحلال والحرام،

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ فَاَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾

(الأنعام: ٩٥)

أشهد أن لا إله إلا الله، وهو ولي القضاء، والتدبير، ويبدد مقاليد الأمور،

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْشِئُ مَا يَشَاءُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

(الرعد: ٣٩)

وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله، جاهد في سبيل دعوته خير الجهاد، حتى أسعد بها العباد والبلاد، فصولات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، وجنوده وحزبه،

﴿قَالَتِ ابْنَتُ مُوسَى ادْعُونِي أَعْمِلُوا لِي صَدَقَةً فَلَمَّ مَوْجُفٌ مِنْ رَبِّهِ فَفَعَلْنَا﴾

(الحج: ٥٠)

العيد هو يوم من أيام الله بين عبادته، وهو يوم فرحة عامة، ليست فرحة لفرد ولا لبيت ولا لبلد ولا لقطر فقط، بل هي فرحة لأبناء القبلة جميعاً، وأهل الإسلام كلهم، وديار المسلمين في شتى بقاع الأرض. وقد عبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن فرحة العيد بقوله: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة

عند لقاء ربه»^(١)، والفرح لذة في القلب بسبب الحصول على أمر محبوب، وانشراح في الصدر عند بلوغ مقصد مطلوب، ومن المقاصد شريف وغير شريف، والإسلام يحرض أبناءه على أن يفرحوا بما يحمد ويشكر من الأمور والأعمال، ولذلك نهاهم عن أن يفرحوا بمتاع الحياة الزائل، أو يفرحوا للمسطرة في الأرض بغير الحق، أو يفرحوا فرح الاغترار أو الافتخار الكاذب بما في أيديهم من مال أو جاه، ودعاهم إلى أن يفرحوا بفضل الله ورضوانه:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ قَدْ كُنَّا فِي فِرَاقٍ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

(يونس: ٥٨)

وإلى أن يفرحوا بنعمة الكفاح والشهادة في سبيل الله حتى يكونوا:

﴿فَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَبَرَزْنَا لَهُم مِّنْ خِلَافِهِمْ أَلْحَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(آل عمران: ١٧٠)

وإلى أن يفرحوا بالتوفيق لطاعة من الطاعات أو قرية من القرى، فإن التقى الصالح المصلح هو السعيد المجيد.

وفرحة يوم العيد هي فرحة العامل الذي أخلص في عمله، وأقبل على يارثه ومولاه يقدم إليه نتيجة هذا العمل وثمرته، وهي فرحة المجاهد

(١) صحيح مسلم

الذي قهر شهواته وقاوم رغباته، وحرم نفسه الطعام والشراب، وزان أيامه بالصيام والقيام، وعمر ليله ونهاره بالتلاوة والذكر، والتدبر والفكر، وأقبل على رحمت الدنيا والآخرة وديان العالمين، وقبوم السموات والأرض يستنجزه وعده، ويسأله عطاءه ورفده:

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾

(التوبة: ١١١)

﴿إِنَّمَا يَوْفَى الْوَعْدَ لَهُم بغير حساب﴾

(الزمر: ١٠)

ومادام المرء قد أخلص الإقبال على ربه والتعب له فمن حقه أن ينال ثمرة جهاده وعاقبة إخلاصه: رضا نفسياً ورضواناً إلهياً وفرحاً حسيّاً ومعنوياً.

﴿لَقَدْ أَوْفَى﴾

﴿مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَ يُنْفَخُ الْفُتُوحُ﴾

﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

(الروم: ٥-٤)

فرح الأقوياء!!

وكل فرحة لها مظهرها ومنظرها، وفرحة عيدنا تتجلى في الخشود المؤمنة، والجموع الموقنة التي تسعى عند مطلع الشمس وتبلغ ضوء النهار إلى ربها خالق الشمس والنهار تذكروه وتشكروه، وتحمده، وتتجلى في الهتاف الإسلامي الرائع، المدوي في الآفاق، المنبعث من أفواه الملايين من الموحدين: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر»!

وتتجلى في هذه الزكوات والصدقات التي تفيض بها أيدي القادرين الخيرين على الفقراء والمساكين، وفي هذه التهنئات الرقيقة التي يتبادلها أبناء الإسلام في هذا اليوم المبارك السعيد، وللمسلمين الحق كل الحق في أن يفرحوا إذا نالوا نعمة، أو حققوا أمنية، أو صادفوا توفيقاً، أو بلغوا خيراً في دينهم أو دنياهم، ولكنهم يفرحون فرح الأقوياء الأنقياء، الذين قد ينعمون ويتمتعون ويتمتعون، ولكنهم في الوقت نفسه لا يبعثون ولا يزعمون، ولا ينحرفون ولا يعتسفون، وهم أيضاً يعمرون فرحتهم بذكر ربهم الذي أتم عليهم نعمته، وورزقهم من الطيبات، وهباً لهم في كونه كثيراً من أسباب البهجة، فخلق الأنهار والأشجار والأطيار والأزهار والثمار وخلق الحقائق ذات بهجة، وأنبث في الأرض من كل زوج بهيج، وإذا كان سبحانه قد قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾

(الفصص: ٧٦)

فالمقصود من الفرح هنا - والله أعلم بمزاده - هو الشخص الذي يكثّر فرحه بمشاع الحياة وزخارفها، وليس من شأن المسلم أن يكون مفراحاً يكثّر الفرح ويسرف فيه، ولذلك قال الأول:

ولست بمفراح إذا خير مسنى

ولا جازع من صرفه المنقلب ! وما من شيء من أمور الدنيا إلا والإسراف يشبهه والاعتدال يزيهه، اللهم إلا عمل الخير، ولذلك قالوا:

«لا خير في الإسراف، ولا إسراف في الخير».

القرآن ينفرنا من الحزن

ومن الناس قوم ينتهزون فرصة هذه الأعياد ليجددوا فيها الأحزان ويبعثوا الأشجان، ولذلك نراهم لا يتسفعون بالأعياد، ثم لا تحديهم أحزانهم فتيلاً، وما جعل الله الأعياد لتتخذها منادب وملاطم، أو لتملأها بالصراخ والعيول، بل لتحدث فيها بنعمة الله، ولتظهر فيها بمظهر الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، والقرآن الكريم ينفرنا من الحزن والغم فيقول:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

(آل عمران: ١٣٩)

ويجعل من صفات الأبرار من عباد الله عدم الحزن والحزن:

﴿الْآيَاتُ أَوَّلُهَا أَفْوَاحُ خَوْفٍ عَلَيْهَا وَلَا تَمُوتُ بِحَرْفٍ﴾

(يونس: ٦٢)

وذكر أن من أعظم النعم على عباده في جنات عدن أنه أذهب عنهم الحزن:

﴿وَقَالُوا الْحَسْبُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّْا الْحَزْنَ﴾

﴿إِنَّكَ رَبَّنَا أَفْعَلُ شُكْرًا﴾

(فاطر: ٣٤)

فليذكر هؤلاء أن الله تبارك وتعالى قد أراد يوم العيد يوم فرحة وبهجة، لا يوم حزن وشجن، ثم ليذكروا أن الله قد علم الأخيار من عباده كيف يقاومون الجزع، ويعلمون على الفرع، ويتخلصون من فضلات الاستسلام

للحزن والضيق، ويتحملون ما يأتيهم من ابتلاء أو اختبار في رضا وتسليم واسترجاع:

﴿وَلَتَنْبُوْاكُمْ يَحْيَىٰ وَمِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾

﴿وَتَقِيْنَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْعُرَىٰ وَالْقَدَرِ﴾

﴿الَّذِينَ لَا أَهْبَتَهُمْ مُّسِيْبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَأَلْيَوْمَ نَرْجِعُونَ﴾

﴿وَلِلَّهِ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخِرُونَ﴾

(البقرة: ١٥٥ - ١٥٧)

والناس في كل زمان ومكان يسحشون جاهدين عن السعادة، ليلبغوا بها قمة الفرح والبهجة، في هذه الحياة، ولهم في تحديدها وتصويرها أفانين من القول والوان من الكلام، والأخبار من عباد الله يرون أن السعادة كل السعادة والفرحة حق الفرحة هي أن يعرف الإنسان واجبه اللائق به المطلوب منه ثم يوفقه ربه في أداء هذا الواجب أداء مضبوطاً كاملاً، فإذا نهض المرء بما وجب عليه نحو نفسه ونحو بلاده ونحو الناس ونحو خالق الكون جل جلاله، وبلغ في ذلك الغاية المثلى أحسن كأنه أسعد مخلوق وأبهج إنسان، وللتوفيق في أداء الواجبات من اللذة النفسية والنشوة الروحية ما يحس معه أهل المبادئ السامية وأصحاب الدعوات العالية كأنهم في جنات النعيم يتقبلون.

الأعياد بعد الفرائض والواجبات

ومن هنا جعل الإسلام أعياد العباد في أعقاب القيام بالفرائض والواجبات فعيد الفطر في أعقاب فريضة الصوم، وعيد الأضحى في أعقاب فريضة الحج،

وهكذا... فمن حق الإنسان أن يفرح ويتبجح إذا كان قد دفع ثمن ذلك من عمل أداه أو واجب نهض به أو مكرمة زان بها حياته:

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ مَّعِيَهُ مَوْفٍ بَرِيءٌ﴾

(النجم: ٣٩ - ٤٠)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام.. إن رسولكم قد قال: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه»، وها نحن أولاء نتهياً للقاء فرحة الإفطار وتبقى بعدها فرحة اللقاء.. بقيت الفرحة الكبرى يوم الجزاء.. بقي أن نطمئن إلى ما سيكون من شأننا يوم نقف بين يدي ربنا:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

(الشعراء: ٨٨ - ٨٩)

يوم يتردد النداء في جنبات الكون: لمن الملك اليوم؟ فيكون الجواب لله الواحد القهار.. فلنحسن الاستعداد ليوم اللقاء، بالهدى والتقى والعمل الصالح، حتى نفرح يوم تشهد نور الخالق الوهاب...

﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَتَمَرِيهِمْ مُّؤْمِنُونَ﴾

(المائدة: ٨٨)

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

(النحل: ١٢٨)

الحياء .. يساوي الحياة!!

لأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

(أ) ونذكر هنا قوله ﷺ: «نعم العيد ضئيل: لو لم يخف الله... لم يعصه»^(١).

يعنى: يمتنع «الحياء» من العصيان..

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة: فأفضلها: قول: لا إله إلا الله. وأدناها: إمساك الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان» (متفق عليه).

يراد بالعدد هنا: الكثير والمبالغة، ولا يراد التحديد كقوله -تعالى-:

﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾

(التوبة: ٨٠)

والسؤال المتبادر هنا هو: ما فائدة قوله ﷺ: «والحياء شعبة... لماذا الحياء بالذات ١٩».

(١) كشف الخفا، ج ٢، ص ٤٤٦.

وأجاب العلماء: إن الحياء له مكانته العظمى فى المنظومة الأخلاقية الإسلامية.. ومع ذلك فهو شعبة واحدة من شعب الإيمان الكثيرة.. مما يدل على أن الإيمان شيء عظيم حقاً.. ونعمة ينبغى أن تذكر فتشكر..

معنى الحياء

وقد عرفه العلماء بتعريفات شتى.. نختار منها: الحياء هو: خلق يبعث على ترك الفسح.. ويمتنع من التقصير فى حق ذى الحق.. والتعريف قريب مما جاء فى «بصائر ذوى التمييز»^(٢): «هو انقباض النفس عن القبائح.. وعن التفريط فى حق صاحب الحق».

ويتوسع ذو النون^(٣) فى معناه فيقول:

■ الحياء: وجود الهيبة فى القلب. مع وحشة مما سبق منك إلى ربك.. والحب ينطق.. والحياء يسكت.. والخوف يقلق!

جذور الحياء

والحياء فى جملته نوعان:

حياء غرزي.. وحياء مكتسب:

ونحن مكلفون بالشانى دون الأول.. لأنه هو الداخل فى إمكاننا..

■ أما الغرزي: فإنه لكى يكون شرعياً.. فلا بد فيه من مران ونية وعلم..

ومن الحياء الغرزي ما روى من أنه ﷺ:

(٢) ج ٢/ ٥١٥.

(٤) صحيح البخارى ج ٤، ص ٢٢٠، صحيح مسلم ج ٤، ص ١٨٠٩.

(٣) الرسالة التبشيرية/ ١٢٨.

«كان أشد حياء من العذارى فى خدرها»^(٤). ■ أما فى المكتسب: فقد كان منه فى القمة الأعلى.. وقد أوشك من فرط حيائه أن يلامس «الخجل» ولكن الله -عز وجل- حماه وبين له وجه الحق: وذلك قوله -عز وجل-:

﴿إِنَّ دَلَّكُمْ كَانَ يُوْذَى الْتَنَّى يَسْتَنَّى﴾

﴿مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَنَّى مِنَ الْحَقِّ﴾

(الأحزاب: ٥٣)

والقصة هنا هي:

أن بعض الناس كان ينتظر استواء طعامه ثم يظل منتظراً.. وقد يطول انتظاره إلى الحد الذى يصير شاقاً على الرسول ﷺ.. فممنعوا من ذلك.. إلا فى حالة الإذن بالدخول.. على أن يتم الانصراف فور الانتهاء من تناول الطعام.. لأن الانتظار بعد الأكل وتجاذب أطراف الحديث.. كان مما يؤذى النبى ﷺ.. ومن صور الإيذاء هنا: التشويش على فكره؛ مما يترتب عليه تعثر الدعوة فى شخص رجلها الأول.

وإذن.. فالآية تحذير لهؤلاء من ذلك.. هؤلاء الذين كانوا يستغلون حياءه ﷺ.. ولكن الله -تعالى- والذى له كل الأمر -لا يفعل فعل المستحى فيترك ما أمر به: إنه -تعالى-:

﴿لَا يَسْتَنَّى مِنَ الْحَقِّ﴾

(الأحزاب: ٥٣)

٦٦

الأهر ١٤٩٨

شوال ١٤٢٩ هـ

أكتوبر ٢٠٠٨ م

الأهر ١٤٩٩

لقد كنتم جائعين.. فأكلتم.. ثم شبعتم.. فلم يبق إلا الانصراف، وأهم منه استيقاظ «الحجل» ولا تقول «الحياء» لأن الحياء خير كله.. لأنه في ناحيته الإيجابية دافع إلى الفضيلة.. وفي ناحيته السلبية مانع من الرذيلة.. وصدق الرسول ﷺ حين قال: «الحياء لا يأتي إلا بخير» متفق عليه.

أقسام الحياء

قسم العلماء «الحياء» إلى عشرة أوجه:

- ١- حياء جنائية ومثاله: حياء آدم.. لما فر هارباً في الجنة.. قال الله - تعالى -: «أقرا يا آدم؟ قال: لا يا رب.. بل حياء منك».
- ٢- وحياء التقصير: كحياء الملائكة، الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون.
- ٣- وحياء الإجلال: وهو: حياء العبد من ربه (وهو بحسب هذه المعرفة).
- ٤- وحياء الكرم: كحياء النبي ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة فطروا عنده.. فقام حياء من طلبه منهم الانصراف.
- ٥- حياء الحشمة: كحياء علي - كرم الله وجهه - أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذی، لمكان ابتته.
- ٦- وحياء الاستحقار واستصغار الإنسان نفسه حين يسأل ربه شيئاً مع إحساسه بهوان نفسه.

٧- حياء المحبة فهو: حياء الخب من محبوبه، فإنه إذا خطر على قلبه غائباً، أو رآه ظهر أثر ذلك على وجهه.

٨- حياء العبودية وهو: حياء العبد من معبوده - تعالى -.. وأن قدر الإنسان أهون قطعاً.

٩- حياء الشرف: فهو حياء كبار النفوس إذا صدر منه ما لا يليق بكرمه.. ومنه حياء بعضهم من خجلة من يأخذ منه شيئاً.

١٠- حياء المؤمن من نفسه.. امتهاناً لها.. وهو من غيره أشد حياء.

إنهم يستحيون من الله مطيعين.. فكيف إذ أذنوا؟! إنهم في حساب دائم لأنفسهم التي يتهمونها دائماً بالتقصير.. بل إن أحدهم يلحقه الحياء إذا تورط زميله منطلقين من الواقع الشاهد: باستحياء الإنسان من حبيبته أن يطلع عليه وهو يخون، فكيف بحيائه من ربه - تعالى -؟!

حياء الله - تعالى - من العبد

وذلك أنه - تعالى - يستحي من عبده:

- (أ) إذا رفع يديه أن يردهما صفراً..
 - (ب) ويستحي أن يعذب شعبة شابت في الإسلام.. وكان يحيى بن معاذ يقول: «سبحان من يذنب عبده.. ويستحي هو».
- ولكنه - تعالى - يعلمنا ألا تستحيى من الحق: ونقرأ هنا قوله - عز وجل -:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا

(البقرة: ٢٦)

﴿لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾

(الأحزاب: ٥٣)

الحياء بمعنى الشرف

ماتت زوجة الشاعر جرير.. فحزن على رحيلها حزناً عميقاً..

وأثار فراقها ملكته الشعرية فقال:

لولا الحياء.. لتهافتني استعبار

ولزوت قبرك.. والحبيب يزار

فالرجل هنا حزين لفراق صاحبه.. ولكنه

بغالب دموعه التي قد تجرى أسفاً عليها.. ثم يحرم نفسه من تحقيق حاجته إلى زيارة قبرها..

ولكنه هنا يرجع بموقفه هذا الفاسي إلى «الحياء».. ولكننا نقول:

إن الحياء «ملكة تمنع من القبيح وتحض على الجميل» وهو ما لم يرد «جرير» ولكنه لما كان رمزا من رموز العرب، وشاعراً مرموقاً..

وجد من موجبات مركزه الاجتماعي والأدبي ألا يقف بنفسه موقفاً ضعيفاً.. ومن أجل ذلك قرر ألا يركى على حبيبته.. وألا يزور قبر زوجته.. مدفوعاً بالإحساس «بالشرف» الذي استعار له «الحياء» زوراً.

والمقصود: أن «جريراً» لا يتحدث هنا عن «الحياء» كملكة دافعة إلى الخير مانعة من الشر.. وإنما يتحدث عن «الوجاهة» وعن «الشرف» عند الناس..

أهمية الحياء

يقول صالح بن عبد القدوس:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه

ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

حياؤك فاحفظ عليك فباغماً

يدل على فعل الكريم حياؤه

وذلك يعني: أن وجود الإنسان هو الحياء،

فإذا لم يكن حياء انفرط العقد، وضاع وجود الإنسان الأدبي.

ومما يدل على أهمية الحياء قوله ﷺ:

«الحياء والإيمان قُرنا جميعاً: فإذا رُفِعَ

أحدهما، رُفِعَ الآخر» (رواه الحاكم / ج ١ / ٢٢). ولهذا وصي به النبي ﷺ.

عن سعيد بن زيد الأنصاري - رضي الله عنه - قال: «إن رجلاً قال: يا رسول الله أوصني.. قال: أوصيك أن تستحي من الله - عز وجل - كما تستحي رجلاً من ضاحي قومك» (رواه البيهقي في الشعب / ٢ / ٤٦٢).

تصحيح مفهوم الحياء

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء قال: كُلمنا يا رسول الله: إنا نستحي والحمد لله. قال: ليس ذاك.. ولكن الاستحياء من الله حق الحياء:

أن تحفظ الرأي وما وعى. والبطن وما حوى. ولتذكر الموت والبلى. ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك.. فقد استحيا من الله حق الحياء» (الترمذي / ٢٤٥٨) وقال: غريب.

ويلاحظ في الحديث أن الرسول ﷺ يأمرهم بحق الحياء.. لا بمجرد الإحساس العابر.. فلما أجابوا بأنهم كذلك.. أرشدهم

إلى أن قيمة الحياء أعظم من هذا..
فالحياء في منطق الإسلام ليس هو فقط
احمراراً في الوجه يكسر من حدة الإنسان..
ولكنه مضموم على معان خطيرة:

- أولها: حراسة الفكر حتى لا يشتت به
الزوار بعيداً عن الصواب.
- وثانيها: تحري اللقمة الحلال.
- وثالثها: دوام ذكر الموت ردعاً لمشاعر
التعلق بزهرة الدنيا.

■ ورابعها: إرادة الآخرة والسعي لها.
وإذن.. فالشقة بعيدة.. ولا بد لها من زاد
تتقوى به على تجاوز عقبات الطريق.. وهذا
مما يحمل الصحابة - رضوان الله عليهم -
والمسلمون من بعدهم مسؤولية الحياء بمفهومه
الإسلامي الواسع العميق.

الحياء أساس البناء

قال ﷺ فيما رواه ابن ماجه:

«إذا أراد الله أن يهلك عبداً نزع منه
الحياء.. فإذا نزع منه الحياء لم تلفه إلا مقبلاً
مُتَقَبِّلاً.. فإذا لم تلفه إلا مقبلاً مُتَقَبِّلاً.. نزع
منه الأمانة، فإذا نزع منه الأمانة لم تلفه إلا
خائناً مخوناً.. فإذا لم تلفه إلا خائناً مخوناً..
نزع منه الرحمة.. فإذا نزع منه الرحمة
لم تلفه إلا رجيماً مُلْعَناً نزع منه ريقته
الإسلام».

ويحكي الحديث قصة انهيار بناء الإنسان:
هذه القصة التي تبدأ بنزع الحياء منه:

هذا الحياء الذي يشكل خيطاً يجمع حبات
الأخلاق.. فإذا قطع الخيط انفرطت حبات
المسبحة أو هو العقدة تجمع كل الخيوط!

الحياء يساوي الحياة

يقول ابن القيم - رحمه الله -:

«الحياء.. الذي هو الاستحياء، مشتق من
الحياة، ومن ذلك أيضاً: الحيا: للمطر، لكنه
مقصور».

وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة
خلق الحياء:

وقلة الحياء من موت القلب والروح:
فكلما كان القلب حياً.. كان الحياء أتم،
مدارج السالكين / ٢ / ٢٧٠.

وقد جاء «الحياء» في بيان سلفنا الصالح بما
يؤكد هذا المعنى الذي يجعل الحياء هو
الحياة! ففي الحياء كفاية المسلم.

قال مجاهد: لو أن المسلم لم يصب من
أخيه إلا أن حياء أخيه يمنعه هو من المعاصي..
لكفى! وهو علامة من علامات الحياة
وظاهرة من مظاهرها.

وروى عن عبد الله بن عمر - رضي الله
عنهما - قال:

«مر النبي ﷺ على رجل، وهو يعاتب أخاه
في الحياء يقول: إنك لتستحيى.. حتى كأنه
يقول: قد أضربك.. فقال رسول الله ﷺ:
دعه: فإن الحياء من الإيمان» (٤).

ما هي القضية هنا؟!

القضية هنا: أن أخا يعظ أخاه معاتباً له
على حياته من الناس.. كأنما يقول له: قد أضرب
بك الحياء الذي صار عادة له إلى الحد الذي
منعه من استيقاظ حقوقه لدى الناس.. يقول
له ذلك وهو عندئذ لم يكن يعرف قيمة
الحياء.. حتى أمره الرسول ﷺ بتركه في
حياته؛ لأن الحياء كله خير.. ولا يأتي إلا
بخير.

وصدق القائل:

هَبْ الْبِشْعَتِ لَمْ يَأْتِنَا نَذْرُهُ

وجاحمة النار لم تُضْرَمْ (جهنم)

اليس بكاف لدى فكرة

حياء المسيئ من النعم؟!

حكم الحياء

تعقيب:

يقول العلماء: حقيقة الحياء: خوف الدم
بنسبة الشر إليه.. وهو مركب من: حُبْن
وغفلة، فلذلك لا يكون المستحي قاسقاً
وقلما يكون الشجاع مستحيّاً:

أما عن حكمه فقالوا: إن كان في مُحَرَّم..
فهو واجب. وإن كان في مَكْرُوه.. فهو مندوب.
وإن كان في مَبَاح.. فهو العرفي وهو المراد بقوله
ﷺ: (الحياء لا يأتي إلا بخير) ويجمع ذلك
كله: أن المباح إنما هو ما يقع على وفق الشرع
إثباتاً ونقياً. وحكى عن بعض السلف:

فيقول المرحوم الشيخ محمد الغزالي: إن
الإنسان في حضرة الرجال الذين يحلّهم
ويحرص على استرضائهم يضبط سلوكه ضبطاً
محكماً، فيشكله بقدر، ويتصرف بحذر.
والمسلم الذي يعرف من تعاليم دينه أنه لا
يغيب عن الله أبداً؛ لأنه ماثل في حضرة ليله
ونهاراً، ينبغي أن يكون تهيئه لجلال الله أعظم،
وتأديته بشرائعه أحكم.. وذلك معنى الأثر:
«استحي من الله كما تستحي من أولى الهيبة
في قومك». إن اهتزاز الإنسان وتمعر وجهه في
بعض المواقف دليل سمو كامن، وطبع كريم،
والحياء خير كله (٦). أما إذا سقطت صيغة
الحياء عن الوجه، كما تسقط القشرة الخضراء
عن العود الغض، فقد أذنت الحياة القاضلة
بالضمور، وتهدأ الحطام الباقي أن يكون حطباً
لنار... وذلك الذي يقال له: إذا لم تستحي
قافل ما شئت (٧).

أما بعد..

فذكر الحياء مع الإيمان دليل على أهمية
الإيمان الذي كان من بعض مفرداته الحياء:
على خطره..

وذلك دليل على أن الإيمان بحر واسع
عميق لا يغرف.. كما قيل بحق:
ولا يقطعه سابع مهمل خاض فيه وضرب
بذراعيه.

هو البحر من أي النواحي أتيت
فلجته المعروف والجود ساحله!

(٤) صحيح البخاري ج ١ - ص ١٦٢، سنن أبي داود ج ٥ - ص ١٤٧.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم ٦٦.

(٧) خلق المسلم.

نعمة العقل ونقمة الإدمان

لفضيلة الشيخ / عمر الديب

عضو مجمع البحوث الإسلامية

وتدفع الإنسان إلى العمل والتفكير وإلى التمييز بين الحبيث والطيب يقول تعالى في الجاثية:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(الجاثية: ١٣)

وفي سورة الرعد يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

(الرعد: ٤)

وفي سورة البقرة قوله تعالى:

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

(الآية: ٢٦٩)

وقد نعى القرآن الكريم على هؤلاء الذين لم ينتفعوا بآيات الله الذي أنقذ كل شيء نعى عليهم عدم الشعقل والتفكير يقول تعالى:

﴿أَنَّا مُرُّونَ النَّاسِ بِالْغَيْرِ وَنَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾

﴿وَأَنْتُمْ تَنْتَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

(البقرة: ٤٤)

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وشرفه وكرمه على سائر المخلوقات فذكر في سورة الإسراء:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ الْآخِرِ وَزَوَّجْنَاهُمْ مِنْ أَطْيَبَاتٍ وَقَفَّسْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْصِيلًا﴾

(الإسراء: ٧٠)

ولقد استخلف الله الإنسان في الأرض من أجل عمارتها وتزاد به ثناء ومن هنا كانت له خاصية تميزه عن باقي المخلوقات تلك الخاصية هي العقل والتفكير، وجعل هذه الخاصية للإنسان هي مناط التكليف بالأحكام وتحمل المسؤولية في كل شئون الحياة كما اعتبر الإسلام المؤثرات العارضة لا تؤثر على عقل الإنسان وتكون طارئة عليه اعتبرها عذرا يرفع عنه المسؤولية ويرفع المؤاخذه على ما يصدر منه من أثم في مثل هذه الحالة كمثال حالة الجنون ولقد وردت في القرآن الكريم آيات بينات تشهد على العقل

كما بين القرآن الكريم حالة الندم والخسرة على هؤلاء الذين عطلوا العقول وأهدروا أعظم نعم الله على الإنسان يقول تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ النَّارِ﴾

﴿فَلَا تَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَعُدْكُمْ لَا لِصَاحِبِ النَّارِ﴾

(الملك: ١٠ - ١١)

كما أن الله تعالى أوضح أن هؤلاء الذين أهملوا أعمال العقل قد أصيبوا ببلادة الحس والشعور ووصيهم بأقبح الصفات قال تعالى:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمَمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾

(الأنفال: ٢٢)

وقيل لابن عباس رضي الله عنه بم نلت العلم؟ قال: بلسان مشول وقلب عقول ولقد بين الإسلام الوسائل التي تضمن النسر للعقل وترشده فحث على طلب العلم والاستزادة منه قال تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

(طه: ١١٤)

ويقول جل شأنه:

﴿فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

(الأنبياء: ٧)

ولقد حذر القرآن الكريم هؤلاء الذين يحاولون تزيف الفكر وتلبس الباطل بالحق ويعتمدون إلى الخلط في الأمور تلبساً على عقول الناس قصد إضلالتهم وإفساد حياتهم قال تعالى:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُضِلُّ النَّاسَ﴾

﴿يَغْتَرِبُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

(الأنعام: ١٤٤)

وإذا كان الإسلام قد دعا إلى المحافظة على العقل وجعل هذا من الضرورات الخمس من أجل حمايته من المؤثرات الفكرية والنفسية فهو دون شك يدعو إلى المحافظة على العقل من المؤثرات المادية التي تتمثل في الاعتداء على الجسم بما يذهب منافعه وفي ذروتها العقل وقد جاء في نيل الأوطار للشوكاني عن عم أبي قلابة رضي الله تعالى عنه قال: (إن رجلاً رمى آخر بحجر في رأسه في زمن عمر رضي الله عنه فذهب سمعه وبصره وعقله ولم يستطع قربان النساء فقضى عمر فيه بأربع ديات وهو حي) وقد جاء في حديث معاذ بن جبل (.. إن في العقل الدية) وقد جاء في الأثر أن من أذهب عقل إنسان فكأنما أفقده الحياة ومعنى ذلك أنه لما لا يجوز الاعتداء على نفس الإنسان أو على عضو من أعضائه فكذلك لا يحل للإنسان الاعتداء على عقل إنسان آخر وبالأولى يحرم على كل إنسان أن يعتدي على

عقله بأية صورة من الصور. هذا ومن صور العدوان على العقل التي انتشرت واستشرت في هذا الزمان حتى إنها صارت حرباً ضروساً هدفها الإنسان وحصادها الشباب - الذين هم عدة الأوطان - تعاطى المسكرات والمخدرات التي لا شأن لها إلا ذهاب العقل أو إصابته بالخمول أو الفتور أو الجمود والركود ونحو ذلك والعقل ليس عضواً جسدياً في جسم الإنسان وإنما هو قوة مدركة يميز بها الإنسان بين النافع والضار، تنمو بالعلوم والمعارف وتضمحل وتفسد بما يتعاطاه الإنسان من المسكرات والمخدرات والسموم التي ظهرت وتعددت أنواعها وتسمياتها في هذا العصر الذي نعيش فيه هذا فضلاً عن إتلاف عقله واختلال ذاته عن كونه إنساناً سويّاً حالة تعاطى هذه السموم ومن هنا كان تحريم الصلاة على السكارى لذهاب عقولهم وخلطهم في الكلام قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾

(النساء: ٤٣)

ومن هذا يتبين أن السكر اعتداء على العقل وإذا كان الإسلام قد كرم العقل وأحاطه بالعناية والرعاية فإنه جعل بين الإنسان وبين المسكرات والمخدرات والإدمان عليها باباً موصداً لا يجرؤ على اقتحامه إلا من ضعف إيمانه بالله وتلبد

شعوره نحو خشية الله وخوفه ففنى الحديث الشريف الذي رواه الشيخان: «لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن.. ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» ويتبين من هذا الحديث وغيره أن من يقدم على شرب الخمر يكون قد فقد الإيمان أو نزعه الله من قلبه لأنه لو كان إيمانه مستقراً قوياً لما أقدم على هذه الكبيرة من الآثام وإذا كان الله تعالى قد حرم على المسلمين قتل النفس مطلقاً بما فيها قتل الإنسان لنفسه قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

(النساء: ٢٩)

فإن إتلاف العقل بالمسكرات أو بالمخدرات يكون كبيرة وخطيئة لأن فقدان العقل بهذه المؤثرات بمثابة الانتحار أو قتل النفس الذي حرمه الإسلام وأن الدول لتبذل أقصى ما في وسعها من التنبيه إلى خطورة الإدمان وتعاطى المسكرات والمخدرات بجميع أنواعها بما فيها المشروبات سواء كانت مصنعة أو طبيعية ذلك أن الإدمان هو نقمة على المجتمعات تهدف إلى إضعاف المجتمعات التي تنتشر فيها تلك الآفة ولذلك فإن مسؤولية مجازية الإدمان ليست قاصرة على الدول والحكومات فحسب بل على الجميع أن يتحمل المسؤولية تجاه هذه الآفة كل في موقعه: الأسرة - المدرسة - الجامعة - المصنع -

رجال الأمن - رجال الاجتماع - علماء الدين - يقول تعالى موضحاً هذه المسؤولية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَقْلِبُوا لَكُمْ زُكُورُهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ عَلَيْهَا مَكِيلَةٌ فَلَا طِغْيَاءَ لَآتِصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

(التحريم: ٦)

ولهذا فإن الحروب في عصرنا هذا ليست قاصرة على القوة العسكرية أو كثرة العدد والعتاد بل إنها أصبحت تشمل أيضاً الحرب الخفية المؤثرة على المجتمعات والدول مثل نشر الإدمان وإضعاف الشباب الذين هم العدة الحقيقية لأي مجتمع من المجتمعات ولهذا فإننا نسمع الحديث عن الإصلاح ومقاومة الفساد وهذا الإصلاح لا بد وأن يواجه تلك النقمة التي تستشري بين أفراد المجتمع وتهدف إلى إفساد الشباب وإضعافه وبالتالي فساد المجتمع ككل كما أنه من الواجب علينا ألا نضعف أمام الأحداث بل علينا أن نكون كما أمرنا

ربنا متواصين بالحق والصبر والحق هو مقاومة هذه المخدرات التي تنزع منا ما فضلنا الله به عن سائر مخلوقاته وهو العقل وعلينا أن نقوم بالمسؤولية وأن نزن مواقفنا من هذه المهلكات وليس الإصلاح ومقاومة الفساد قاصرة على السرقة والرشوة وغيرها بل إنها تشمل أيضاً سرقة عقول شبابنا الذين هم أمل أمتنا ودرعها الذي يحميها ويصد عنها كيد الأعداء وليس الإصلاح كلمات تقال وتندوات تعقد وإنما الواجب الوقوف بحزم ضد هذه الآفة قبل أن تصبح ظاهرة وعلى أولياء الأمور أن يدعوا أبناءهم لأنهم مسئولون عنهم يوم القيامة كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ: «كلكم راع ومسئول عن رعيته»^(١) فلا بد من تشخيص الداء حتى يكون الدواء مفيداً ويكون منه الشفاء بإذن الله قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا دَعَوَاتِ الرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

(الأنفال: ٢٤)

(١) صحيح البخاري.

خلق السموات والأرض .. بين القرآن والكشف العلمي الحديث

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

جديد، يجمع السموات والأرضين وما بينهما فيما نسميه «الانسحاق العظيم» في بيضة كونية جديدة في المستقبل مشابهة لمثلتها في الماضي، وبهذا يعود الكون لنفس ظروف البداية كما في الوعد الإلهي «كما بدأنا أول خلق نعيده».

والعلماء التجريبيون يقولون: إن عملية اتساع الكون هذه إلى الخارج لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية؟ لأنها محصلة الانفجار الأول، ولما كان معدل اتساع الكون اليوم أبطأ من المعدل الذي بدأ به، فسوف يأتي على هذا الكون زمان تتساوى فيه القوتان: القوة الدافعة إلى الخارج بالانفجار، والقوة اللازمة إلى الداخل بالجاذبية، ثم مع ضعف القوة الرافعة إلى الخارج تبدأ قوى الجاذبية في تجميع الكون مرة أخرى في جرم واحد مشابه تماماً للجرم الابتدائي الأول الذي ابتدأ منه الخلق، ويسمى العلماء المعاصرون هذه النظرية باسم «الانسحاق الشديد».

الدخان والشقوب السوداء والمادة المظلمة المنتشرة في أرجاء الكون وكتلة (النوترينو) حديثاً سوف يعمل على زيادة كثافة الكون عن القيمة الحرجة، التي حددها أينشتين، مما سيؤدي في المستقبل إلى انكماش الكون عقب وقوف التمدد الحالي! وهذا ما يتنبأ به القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِّينِ﴾
﴿بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ ثُمَّ إِيَّاهُ رَعَدْنَا عِلْمًا لَّكَا فَعِيدِينَ﴾

(الأنبياء: ١٠٤)

وهذا ما يقوله العلماء اليوم من أن الكون سوف ينطوي، أي ينكمش في المستقبل، تماماً كما توقع أينشتين، لأن سرعة التمدد سوف تتناقص مع مرور الزمن، وتؤدي الكشافة المرتفعة للكون إلى تغلب الجاذبية المتبادلة بين المجرات، فينعكس اتجاه في كون منكمش حيث تعود المجرات في الاتجاه المعاكس لتلتقي جميعها في المستقبل مع بعضها البعض في «رتق»

معارفه، بما يقطع باستماله صدوره من بشر^(١).

وفي المقال السابق، كنا قد تحدثنا عن الانفجار العظيم، الذي كان بداية خلق الكون الكبير الذي نعيش فيه، وكنا قد قلنا إنه نجم عن هذا الانفجار تمدد بين شظايا هذا الانفجار، كما نجم أيضاً عنه مادة دخانية بعد مرور ٣٠٠ ألف سنة من مولد الكون، وقد تم تصوير هذه المادة الدخانية بواسطة سفينة الفضاء الأمريكية «كوب» التي أطلقت عام ١٩٨٩م...

وبناء على هذا، فإن العلماء يقدرّون كتلة هذا الدخان المعتم المرصود بحوالي ٩٠٪ من كتلة الكون، وبهذا زادت كتلة الكون عن القيمة المرصودة من قبل، كما تبين أن اكتشاف

يقول الدكتور «موريس بوكاي» في كتابه «القرآن والعلم الحديث»: «ينبغي أن نؤكد أولاً أن القرآن الكريم - قبل كل شيء - كتاب هداية، لم ينزله الله مصدرًا للمعارف العلمية، وإنما هو رسالة تستبصر العقل للتأمل في خلق الله، وتوأميس الطبيعة، ليتعرف من خلالها على جلاله القدرة الإلهية».

«وفي خلال تدبر ذلك الكتاب، يجد أولو العلم والبصيرة فيه من «الإشارات العلمية» المشرقة نفحات من الله - تعالى - تشد أزرهم في مواجهة دعاوى الاتحاد المادي المتهافنة، وإن تسربت بعباءة العلم».

«والقرآن أيضاً هو البرهان الخالد، والمعجزة الشاهدة إلى آخر الزمان على صدق تنزيله من خالق الكون، سواء في إعجاز بيانه، أو صدق

١- القرآن والعلم الحديث ص ١٨، مؤسسة أم القرى للترجمة والنشر والتوزيع - القصوة، الدكتور موريس بوكاي، هو صاحب كتاب «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم»، والكتاب الذي نقلنا منه القيس لتسجيل المحاضرة الفقهية الرجل أمام معهد الكونبول البريطاني في لندن حول القرآن الكريم والعلم الحديث بلخص فيها رحلته مع كتاب الله، وكيف هداه الله إلى الإسلام.

والقرآن يسبق العلم بألف وأربع مائة سنة،
في الإشارة إلى تلك السبوة العلمية وذلك
بقوله تبارك وتعالى:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعِندَ ذَلِكَ تُنَادَى السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ بِمَا فِيهِنَّ أَنْفِخُوا بِأَفْئِدَتِكُنَّ وَلَهُ يَوْمَ السَّعَادَاتُ﴾

ويجمع المفسرون على أن هذا اليوم -
الذكر في يوم تطوى السماء - هو يوم القيامة
كما يقول ابن كثير عن ابن عباس: يطوى الله
السموات السبع والأرضين السبع بما فيها من
خلائق لتكون كلها في يده في حجم الخردلة
كما يطوى الكاتب السجل، وما يقول تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَلِيلٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ
مَطْوِيَاتٌ مِثْلُ سِجِّينَ وَمَنْ يَحْكَمْ وَعَلَى شَرْعٍ يَكُونُ﴾

ولكن نود أن نتعرف هنا على: كيف تقوم
السموات والأرض «الآن» وأثناء الحياة الدنيا
التي لا يعلم إلا الله متى تنتهي، ونحن نعيش
فيها بين الانفجار العظيم والانكماش
العظيم.. (أو ما يسمى علمياً بالانسحاق
العظيم). لقد وردت في القرآن الكريم، آيات
كثيرة تؤكد على أن هذه السموات مرفوعة
بغير عمد ترونها، من هذه الآيات قوله تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

(لقمان: ١٠)

وقوله عز من قائل:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

(الرعد: ٢)

ويلاحظ أن هذا القرآن العظيم، وهو يتحدث
عن (العمد) كان في غاية الإعجاز العلمي
والكوني لدقته في اختيار اللفظة وفي تركيب
العبارة بما يؤكد أن الله - عزت كلمته وتعال
حكمته - لم يكن يخاطب البشر زمن نزوله
فحسب، وإنما كان يخاطب البشر كافة وإلى أن
تقوم الساعة، فكان أن صدقت الآيات
الباركات، كل ما يتوصل إليه الكشف العلمي
في طول الحياة وعرضها، فالآية المباركة لم تغل:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ وفقط، وإنما

قالت ﴿تَرَوْنَهَا﴾ وهذه الكلمة هي سر
الإعجاز العلمي هنا، حيث إن من العلماء من
جعلها عائدة إلى السموات، وعلى ذلك يكون
المعنى أنكم أيها الناس ترون السماء مرفوعة
بغير عمد، وهو ما يؤدي - حسب هذا التوجيه
- إلى الاعتراف بقدرته الخالق - عز وجل -
الذي رفع السموات بغير عمد، وهو ما اختاره
بعض المفسرين.

وهناك من أعاد ﴿تَرَوْنَهَا﴾ إلى العمدة.
وعلى هذا يكون المعنى: إن هذه السماء
مرفوعة بعمد ولكنكم لا ترونها، وهو ما
ارتضاه العلماء المحدثون، لأنه يتمشى مع

النظريات الكونية الحديثة، ويتطابق مع نتائج
البحث العلمي الدقيق. فما هي العمدة التي أثبتتها
العلم الحديث، والتي لا تراها بأعيننا ونحدث
عنها القرآن منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً
مضت؟ إنها قوة الجاذبية، التي تشد الكون
العلوي بعض إلى بعض - كما يقول علماء
الكونيات - وتجعله بمثابة البناء التماسك الذي
لا تختل منه لينة، وهو ما يتوافق مع قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُ كَالسَّمَكِ
وَالْأَرْضُ لَنُزُولٌ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مِّنْ لَّيْلٍ
وَيَوْمٍ لَّيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ مِّنْهُ يَخْتَلِفُونَ﴾

(فاطر: ٤١)

كما أشارت إلى ذلك الآية التي نقول:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرٍ﴾

(الروم: ٢٥)

قوة الجاذبية على هذا الوجه بمثابة المادة
الأسمنتية التي تشد الطوبة إلى أختها حتى لا
يتهدى البناء. فإذا ما أذن الله للكون بالقضاء،
زالت هذه المادة الأسمنتية - أقصد القوة الجاذبة
- فاختل نظام الكون واضطرب البناء الكوني
العظيم، وكان الدمار الشامل، إيداناً بوقوع
القيامة، وهو ما أشار إليه الحق في قوله تعالى:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾

(الانشقاق: ١)

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾

(الانفطار: ١)

﴿إِذَا السَّمَاءُ كُورَتْ﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُورَتْ

(التكوير: ٢٠١)

وقد فسر الإمام الشيخ محمد عبده وقوع
هذه الأحداث: (انشقاق السماء... وانفطارها... تكوير الشمس... وانكدار
النجوم).. فسرهما الإمام جميعها باختلال نظام
الكون، وتخلي هذه العناصر كلها عن أداء
وظائفها التي جعلت من أجلها، واعتبار ذلك
مقدمة لفساد الكون العظيم، وقيام الساعة،
وهذا التفسير الذي قال به الإمام، اعتبره
الدكتور منصور حسب النبي - وبحق - في
كتابه «فتحا هاتلا في التفسير، بل فتوى علمية
تبيح تفسير الآيات الكونية في القرآن طبقاً لما
ثبت أو يثبت على أيدي علماء الفطرة من
الحقائق الخاصة بالسنة الكونية العامة التي
ثبتت صحتها نظرياً وعلمياً.. وهو اتجاه
يمكننا من مخاطبة العالم كله بإعجاز القرآن
لإثبات صدق النبوة وعالمية الرسالة»^(١).

هذا عن قيام السماء والأرض بأمره، وعن
العمدة التي لا تراها.. فماذا عن الأيام الستة،
التي أخبر الحق - تبارك وتعالى - في كتابه
العزیز، أنه خلق السموات والأرض وما بينهما
على مدارها؟ وكيف تفهم هذه الأيام علمياً؟
وهل ورد شيء من ذلك في كتب اليهود أو
النصارى؟ وما مدى مطابقتها للواقع الذي ثبت
علمياً؟ هذا ما ستدور حوله الفقرة التالية من
هذا المقال:

يقول الحق - تبارك وتعالى - في كتابه

٢- لقرا: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - د. زغول النجار ج١ ص ٤٤.

٣- الروم: ٦٧، ولقرا كتاب: إعجاز القرآن في أفلاك الزمان والمكان ص ٢٨ وما بعدها للدكتور منصور حسب النبي، وكتاب: من آيات

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، للدكتور زغول النجار ج١ ص ٤٤ مكتبة الشروق الدولية.

٤- د. منصور حسب النبي: إعجاز القرآن في أفلاك الزمان والمكان، ص ١٩.

﴿إِنَّكُمْ أَنتَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾

(الأعراف: ٥٤)

ويقول أيضاً:

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَتَنَلَّ بِرُوحِهِ الْخَبِيرَ﴾

(الفرقان: ٥٩)

إذا لقد تم الخلق على مدار ستة أيام حسبما نص عليه صريح الآيتين الكريمتين، فكيف وفق العلماء بين ذلك وبين ما ذكر في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَنتَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ وَالَّذِي خَلَقَ
الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَحْمِلُونَ فِيهَا ثَمَرَهَا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رِجْسًا مِن بَنَاتِهَا وَفَازَ فِيهَا قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ
أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْأُولَىٰ لِّلْآخِلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضَ أَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٧﴾
فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَعَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ﴾

(فصلت: ٩-١٢)

بداية، لا بد من إزالة ما قد يبدو من تعارض بين ستة الأيام، التي نصت عليها آيات الأعراف والفرقان، وبين آيات سورة فصلت،

التي تجعل الأيام وكأنها ثمانية، حيث بدأت الأيام بخلق الأرض في يومين، وثنت بتقدير الأقوات، وإتزال البركة فيها، وخلق الجبال الرواسي... كل ذلك في أربعة أيام بعد يومى خلق الأرض، وانتهت بقضاء الله على السموات السبع في يومين ليصير المجموع ثمانية أيام...!! فكيف تم التوفيق علمياً بين هذين المفهومين لعدد الأيام؟؟ مشترك الإجابة عن هذا التساؤل للدكتور منصور حسب النبي - رحمه الله - الذي يقول: «إن هذا التعارض ظاهري فقط، وليس حقيقياً، ولقد اعتبره بعض المستشرقين خطأ - لا سمح الله - في القرآن... وللدرد على هذا الافتراء، فإن الأيام الأربعة المذكورة في سورة فصلت «وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام» بعد يومى خلق الأرض في آية «قل أنتكم...» تشمل هذين اليومين المذكورين في البداية، لأن الحديث عن الأرض لم يتوقف في الآيتين، ولقد أجمع المفسرون على أن لفظ (خلق) في الآية الأولى بمعنى التقدير (دون الإيجاد) الذي استغرق يومين، بينما استغرق تشكيل الأرض جيولوجياً يومين آخرين، ليصبح مجموع خلق وتدبير كوكب الأرض أربعة أيام متساوية كما في الآية الثانية... ثم ينهي الدكتور منصور حديثه في هذه النقطة بتعقيب، ملخظه الآتي:

«وبهذا يمكننا تفسير المراحل الثلاث المتساوية الواردة في سورة فصلت كما يلي، بترتيب يتمشى مع العلم والقرآن...»

(أ) يومان خلق جميع عناصر الأرض في الدخان الكونى...

(ب) يومان لتسوية السموات السبع وإحرامها...

(ج) يومان أخيران لتشكيل الأرض جيولوجياً ابتداء من تصلب قشرتها... وبذلك يصبح المجموعة ستة أيام (للمراحل الثلاث المتساوية) وليس ثمانية أيام كما يعتقد البعض الذين يستوعبوا معنى هذه الأيام... ولا تعارض في القرآن مطلقاً، ويمكن انقراَن يفسر بعضه بعضاً^(١).

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن - كما يقول الدكتور زغلول التجار - من الذى علم سيدنا رسول الله ﷺ هذه الحقيقة قبل ألف وأربعمائة سنة^(٢)؟

وما الذى كان يضطره قبل ألف وأربعمائة سنة، أن يخوض في هذا الغيب، لولا أن الله تعالى يعلم بعلمه الخفيط أن الإنسان سيكتشف هذه الحقيقة في يوم من الأيام فتكون هذه الومضة القرآنية المبهرة شهادة صدق بأن القرآن الكريم كلام الله، وأن هذا النبي الخاتم ﷺ كان موصولاً بالوحي معلماً من قبل الخالق - عز وجل -^(٣)

والآن، ما حقيقة هذه الأيام: هل هي أيام كأيامنا هذه، أم أنها شيء آخر؟؟

الواقع أن كتب التوراة، التي بأيدي اليهود، تحدثت في هذه القضية بما يقيد أن اليوم من أيام خلق السموات والأرض، يعنى

اليوم الذى تعهده في حياتنا، أى أنه المصور بين غروبين متوالين للشمس، أو بين شروقين أى أن الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض عبارة عن (١٤٤) ساعة... وذلك يعنى أن أيام الأسبوع يتبقى منها يوم بلا عمل، فكان يوم السبت، الذى استراح الله فيه بعد عناء ستة أيام في العمل المتواصل - وحاش لله - وهذا هو سر اختبار اليوم ليوم السبت باعتباره يوم الراحة الأسبوعية، جاء في سفر التكوين: «... ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً، وكان مساءً وكان صباح يوماً سادساً».

«فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمله»^(٤).

دع عنك ما تعنيه آيات التوراة هذه من عدم تقدير قدسية الرب - تبارك وتعالى - في المفهوم اليهودي، بما يؤكد أن هذه التوراة، وبهذا النص لم يكتبها موسى - عليه السلام - ولم توح إليه، وإنما هي ملفقة كما ثبت علمياً وبعد دراسات مستفيضة، ربما تتعرض لها مستقبلاً. كما لا يفوتنا أن ننبه على أن الله - تبارك وتعالى - رد على فريتهم المنكرة في نسبة التعب إليه - عز شأنه - بقوله:

١- د منصور حسب النبي «إعجاز القرآن في أدق الزمان والمكان» ص ٥١، ٥٢. بتصرف يسير جداً.

٢- من آيات «الإعجاز العلى في القرآن الكريم» ج ١ ص ١٩.

٣- سفر التكوين: الإصحاح الأول: الآية ٢١ الإصحاح الثاني: الآية ٢، ١.

مصرع النصيرة

للدكتور/ أبي حسام

وأين كرامة سابور كسرى فارس، ماذا بقي أيها المرزبان؟!.

قال المرزبان في أسف بالغ، وهو يطأطي رأسه إلى الأرض: بقي أن أقول إن مولاتي الأميرة شاهناز شقيقة مولاي قد اختطفت أسيرة، وسيقت كما تساق الإماماء!.

وهنا صرخ سابور: تبا لكم، وتسكتون، فلا تتحدثون عن مصاب «شاهناز» بل مصابي أنا في أعز من أحب وأخلص من رأيت؟ لا بد أن نعمل الساعة بغزو «الحضر» ولن أهدأ حتى تسيل دماء الضيزن أمام ناظري، وحتى تحرق مدينة «الحضر» كما أحرقت شهرزور! لترحف جميع الكنائس منذ الساعة، وأنا فائدها الأول إذ لا يشفى صدى أن أجلس هنا في الإيوان وتأتيني الأخبار بعد أيام، إلى الميدان، ماذا تنتظرون؟!.

وما مضت ساعات، حتى امتلأ القضاء بجيوش كسرى، وتقدم سابور أمام موج يملا طباق الأرض، ويرتفع غباراه فيسد أفق

جلس سابور في إيوانه الكسروي مغيباً بعض على شفتيه من الضيق، حين جاءت الأنباء بأن «الضيزن» ملك الحضر قد هاجم مدينة «شهرزور» وأمعن فيها قتلاً وتخريباً، فسفك دماء الرجال، وساق النساء أسرى صارخات يلطمن الوجوه، ويشققن الجيوب، مع ما وقع في يده من ذخائر الذهب والفضة والحلى، ومن آلاف الماشية الرائعة من بقرة وغنم وخيل، ثم أشعل الحريق فيهما بقي من المنازل، ورجع إلى بلاده، ووراء كل جندي من جنوده أسيرة فارسية تصبح وا ذلاًه!.

ثم نظر كسرى إلى جلسائه وقال: هل بقي بعد هذه القطائع ما يمكن أن يقال؟.

فوقف كبير المرازبة ليقول في حسرة: مولاي، قد كتمنا عنك ما هو أفجع وأتكي! فصرخ سابور وقد قام من فوق سريره الذهبي، وخطا خطوات مضطربة في الإيوان، وهو يقول: هل بقي شيء بعد أن أسرت الفارسيات، وجعلت تصبح وا ذلاًه؟. أين كرامة فارس؟.

﴿إِنَّكَ رَكْمٌ مُّثْقَلٌ بِالْعَنَاءِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾

(الأعراف: ٥٤)

وقوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَتَلَبَّسَ بِهِ حَبِيرًا﴾

(الفرقان: ٥٩)

وهي إنما تعني المراحل، وليس الأيام بالمعنى المعروف، بدليل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْمُتَعَذِّلِينَ كَأَنَّكَ كَالْفَرَّةِ فَتَتَأَنَّى عَلَيْهِ﴾

(الحج: ٤٧)

وقوله تعالى:

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾

(السجدة: ٥)

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾

(المعارج: ٤)

وهو ما يؤكد على أن اليوم في هذه القضية - قضية خلق السموات والأرض - لا يعني في منطق القرآن، المدة المحصورة بين شروقين متواليين أو بين غروبين، وإنما سنة مراحل مر ذكرها آنفاً.. وإلى اللقاء في مقال آخر نتابع فيه آيات الإعجاز الكوني في القرآن الكريم.

﴿وَأَنَّهُ لَكِنَّتُ عَرْشِي لَآيَاتِي لِلنَّاسِ لِيَذُنَ لِي وَلَآئِي خَلْقِي يُزِيلُ بَيْنَ الْحَيِّينَ﴾

(فصلت: ٤١ - ٤٢)

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَا مِنْ لَّغْوٍ﴾

(ق: ٣٨)

ولكن الذي يعنينا الآن هو اعتبار أيام خلق السموات والأرض - في المفهوم التوراتي اليهودي - من أيامنا هذه التي تعيشها، وهو ما لا يقبله منطق صحيح، ولا يستسيغه عقل ناضج!!.

ففي مناقشته لهذه القضية يقول الدكتور «موريس يوكاي»: «إن كلمة «يوم» كما يفهم من التوراة، تعرف بالمسافة الزمنية بين إشراقين متواليين للشمس، أو غروبين متواليين، وذلك بالنسبة لسكان الأرض إن اليوم، وقد تحدد بهذا المعنى، يرتبط وظيفياً بدوران الأرض حول نفسها، وواضح تماماً أنه من المستحيل منطقياً أن نتحدث عن «الأيام» بهذا المعنى الذي تحدد، على حين أن العملية المركبة التي ستؤدي إلى ظهورها، أي وجود الأرض ودورانها حول الشمس لم تكن قد أنشئت بعد عند أول مراحل الخلق وذلك بحسب رواية التوراة^(٨).

أما آيات القرآن الكريم فقد تحدثت عن أيام خلق السموات والأرض - وهو من الإعجاز العلمي للقرآن - في مثل قوله تعالى:

^(٨) - القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، فصل: مراحل الخلق الستة.

السماء! وكانت الصحراء الترابية بين فارس وعاصمة الضيزن لا تجد مكانا يخلو من فارس أو من مركبة تحمل السلاح! وقد جعل كسرى يستبطن الوقت، ويتمنى لو طويت الأرض، لتحتل الحضر عاصمة الضيزن في لحظة عين، وقد انقطع الحديث فلم يتكلم مع فرد من أفراد حاشيته المقربين، وكأنه ألقى على نفسه ألا ينطق غير السيف، وألا تتكلم غير الرماح!

لم يكن الضيزن ملك الحضر بجاهل ما سيحدث، فهو يتأكد تمام التأكد أن «سابور» لن يصبر عن الانتقام، وأنه سيأغته بالرحف الكاسح بعد وقت يقصر أو يطول، فجمع رجال عاصمته داخل حصنه النيع، الذي أعده لثل هذا الموقف، وقد ملأه بالسلاح المدمر ومؤونة الطعام والشراب، وساق إليه الماء من منفذ أرضي لا يعرفه غير خلائه الأقربين، وهباً جنوده لأهبة الصراع، إذ يعلون الأسوار في غسق الليل ليرموا المحاصرين بالسهم، وهم مدرعون بالحدوات والزرد الحديدى، ولهم قدرة على التصويب بحيث لا تخطئ الرمية فارساً يقترب من الأسوار، وزحف الجيش ليجد الناس جميعاً داخل السور الحصين، وليجد ما بالمدينة من مأكول ومشرب ومتجر قد انتقل إلى الحصن، ليصبح مؤونة الأكل إلى مدى قد يطول! وماذا يخشى الضيزن بعد هذا الاحتماء، وجنوده محصنون، وطعام الدولة موفور، والعدو في الخارج تنفذ ذخيره الحربية كما تنفذ مؤونته الغذائية يوماً بعد يوم! ولا بد أن يدركه اليأس فيؤثر الانسحاب!

لم يكن سابور يتوقع أن تكون أسوار الحضر بهذه الناعة، إذ أنها اتخذت من الحجارة الصلبة،

وامتدت لتدور حول ستين برجاً من الأبراج الكبار، وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار، وفي داخل الأسوار قناة مائية تمتد تيارها من نهر الثرثار، إذ يصل الماء من نفق أرضي لا يعرف موضعه غير الخواص من أمراء الضيزن، حتى أن أقرباءه الأذنين يجهلون من أين جاء؟ وقد قامت أسواق التجارة داخل السور، وغطا الفارسيين أن يسمعوا أصوات الغناء والحنان الطرب من الداخل دون أن يقدرُوا على شيء!! وفي كل ليلة يعلو المقاتلون إلى الأبراج العليا فيقتذفون الفارسيين بالمهلك المبيد، حتى قرروا الابتعاد عن الحصن إلى ما تبعدى به الصحراء، وهكذا ألزموا بأن يسكنوا العراء وضاق بهم الحال حتى ليتسائل سابور: أنحن المحاصرون؟ أم هم جنود الضيزن؟

وفوجئ سابور ذات مساء بمن يأتيه بشابة رائعة الحسن باهرة الجمال، لم ير نظيرها في سحرها الخالب على كثرة ما شاهد من بنات فارس والروم والعرب والهند والصين والترك، فملكته الدهشة قليلاً، ثم راجعه صوابه، فأمر بجلوس الفتاة، وأراد أن يسألها عن أمرها، فتكلمت في لهجة الوثيقة المطمئنة، وأشارت بأن يخرج المحاصرون، لتنفرد به، وتطلع سابور إلى ملته فوجدهم يتلكنون، وفيهم من قرب منه ليسر إليه أنهم لم يفتشوا الفتاة، ويخشون أن تكون غادرة سفاكة أرسلها من أراد أن يوقع الشر بكسرى! وفهمت الفتاة ما يسره القوم، فصاحت بهم: كنت أعرف أن في فارس أحلاماً! ولكنى أرى ما يرينى، أأحضر وحيدة لأغتال كسرى! وأين أذهب إذا فعلت ما تنوون؟! ألا أخاف على نفسى؟! إننى جئت سقيمة

مختارة لم يعنى أحد!

أمر كسرى بانصراف القوم، وقد أسعده أن يلتمس عقلاً صائباً مع ما يرى من الجمال الأسر، ودنا من الزائرة العجيبة ليقف على سرها المكتوم، فنظرت إليه طويلاً كأنها تقرأ مشاعره المستورة من ملامحه البارزة، ثم قالت: قد تدهش حين أخبرك أننى الأميرة «النضيرة» بنت ملك الحضر «الضيزن» وقد جئت سرا دون أن أعلمه، فلعلنى أهنئ معك إلى حل موقف يحفظ الدماء، وترحلون بسلام!

صاح سابور: عجيباً، نرحل بسلام! دون أن نتقم لما أصاب شهرزور؟ ولماذا جاءت هذه الجموع الغازية؟ ألتسرى الصحراء والحة غادية؟! وكأنها تقوم بنزهة في بعض الأعياد!

قالت النضيرة: أيها الملك العظيم، أعترف لك بسرٍ دفعتنى إلى لقائك، لقد كنت منذ ثلاث ليال أقف في منتصف الليل بالبرج الأعلى من الحصن، وحتك على فرسك الأشهب، وفوق رأسك التاج، وعز على أن أراك تلطم وجهك بيديك، فخليل إلى أنك تكابد هماً ثقيلاً! وأدركت أنك نظرت إلى الأسوار المنيعه ورأيت أنها مستصمد طويلاً دون أن تنهار، وأن جهتك خارج الأسوار سيضيع سدى، فرفعت يدك إلى خدك ولطمت!

نظر سابور كالماخوذ وقال: قد حدث هذا بالفعل، وما كنت أظن أن عينا ساهرة تنظر إلى! بل ما كنت أظن أنك تلجى إلى أعماقى فتعرفين لماذا رفعت يدي إلى وجهى ولطمت! لا أنرى ماذا أقول لك بعدما سمعت؟!

قالت الأميرة: منذ هذه اللحظة وأنا أفكر في

لقائك، وقد كنت أعلم أن المجازفة خطيرة، ولكن أخطر منها أن أتركك هكذا تنالم.

خفض كسرى رأسه إلى الأرض: وقال: لم أسمع منذ سنين طويلاً أحلى مما سمعت الآن! وأنا فى حاجة شديدة إليك؟!

قالت النضيرة: تتواضع معى أيها الملك العظيم، ولكننى أخبرك عن صدق أن قلبى معك! وليس لى أن أكنم عاطفتى بعد أن قلت إنك فى حاجة إلى!

قال كسرى: لولا أننى أهابك، لعانقتك وقبلتك، لأعبر عن سعادتى بك، فعاجلت النضيرة تقول: ألا تحسب أيها الملك العظيم أن حديثنا الآن فوق العناق والقبلات، قد يكون العناق والقبلات سبيلاً من سبل التصويه والخداع، ولكن الصدق لا يخفى على ملك عظيم... ولندع ذلك لنتم الحديث فيما جئت إليه قبل أن يذهب الليل، ويفضحنى الصباح، إنى أرى أن تصالح أبى من أجلى!

فقال الملك فى دهشة: وددت لو استطعت ذلك، ولكن ماذا أقول للمرازية والأساورة والوزراء والحجّاب، وقد شاهدوا حسنك الصارخ، ووقفوا ينتظرون نتيجة ما نتحدث فيه؟! أقول لهم سنرجع دون أن ندرك الشار، ليقولوا قد وقع كسرى فى حبال غادة حساء؟! فكبرى معى يا غادتى! فكبرى معى فى حل مريح!

قالت سارحل الآن وأزورك بعد ثلاثة أيام فى مثل هذا الموعد، ورجائى أن أرجع وحيدة فلا يتعقبنى أحد من جنودك فيعرف كيف أبدا السير أو إلى أين ينتهى بى الطريق! ولعلك

توافقني على ما أشير به.

قال كسرى: ما دمت أضمن زيارتك الحبيبة، فأنا مدعن لما تشائين، وأنا الذي سأودعك إلى منتصف الطريق، ولن يجرأ أحد على أن يسير معنا دون أن أمره، فإذا شئت فهبها، فأنا من ورائك.

قالت: على أن تُموه على القوم إذا طلبوا معرفة ما دار بيننا، فلا تنقل عواطفنا لمن لا يقدر معدنها الأصيل، فأومأ الملك برأيه موافقاً، ومضى مع الأميرة إلى حيث تسير.

وفت الأميرة بزيارتها الثانية ورجعت من حيث جاءت ليجتمع الملك بمسشاريه، ويقول لهم:

لقد رأيت الأميرة أن أياها مصمم على العدا، ولا تفاهم معه على غير ما يريد، وسيطول بنا الوقت أمام الحصن المنيع، وبعد نقاش كبير معها، حاولت أن أعرف باباً للحصن يسهل علينا معضلة الاقتحام، فتشددت غاضبة، ورأيت إزاء ذلك أن أقبل اقتراحها في أن أذهب معها للقاء أبيها، فقد أتفاهم معه على أن تسلم الأسرى، ويمكن بعد التظاهر بالقبول أن نكر راجعين!

تطلع كسرى فوجد الوجوه يكسو الوجوه، ولمح نذر الغضب الصارخ تكتمه هيبة الملك، فرأى أن يخاطب قائده «مهران» ليبدى رأيه فيما سمع، فأحجم القائد بدءاً، وبعد إصرار الملك على استمناخ رأيه تطلع في وجوه أصحابه ثم قال:

إن كارثة كبرى أياها الملك العظيم أن يرحل كسرى مع الأسرى دون أن يؤدب هذا الفاجر

اللعين، وإن قضيحة تملأ البلاد حين يتردد نيا هذا الرحيل دون جدوى، والحرب خدعة يا مولاي، وقد بدا لي أن تعمل رأبك في إحكام خطة ماهرة كي تحقق النصر السريع!

قال الملك في حيرة: أي خطة تقترحها يا مهران؟ فأسرع القائد يقول: إذا كانت الأميرة قد عرضت أن تذهب معها للقاء الضيزن، فمعنى ذلك أن باب الحصن سيفتح أمامك فتدخل دون صعوبة، وسيكون وراءك من يعرف مكان الباب، فيرجع سريعاً ليدل عليه، ونكون نحن قد أخذنا العدة لمباغطة العدو بما تملك من القوة القاهرة، وتدور المعركة قبل أن يستعد من الداخل من الجنود، فتوقع بهم الهزيمة النكراء، والحرب خدعة يا مولاي!

قال كسرى، ولكنني اتفقت مع الأميرة أن أمضى للسلام لا للحرب، فكيف أخون عهدها معي، وأنا ملك أحترم ما أقول؟!!

هنا قال القائد: أياذن لي الملك أن أعلن أنه لا عهد مع الضيزن ولا مع ابنه، إذا كنا نريد الانتقام؟!!

سكت الملك لحظة، وتطلع في وجوه القوم فوجد ما يدل على تأييد القائد في اتجاهه فقال في هدوء متطلع: أعرف أنه لا عهد مع الضيزن، ولكنني عاهدت الأميرة فكيف أغدر بها؟!!

فيادر مهران يقول: وأي خطو ينال الأميرة، سنحرص على سلامتها حين نغلق أهلها محققاً، وحين يحترق الحصن بمن فيه، وللملك العظيم أن يرجع بها أسيرة إلى بلاطه، ولن يتعرض لها أحد يسوء!

ظهر الانقباض في وجه الملك، فسارع كبير

وزرائه يقول: إن الأميرة بما قدمت إلينا من معونة حقيقية جديرة بالتقدير، فلا تعتبرها أسيرة، ولكن نجعلها ضيفة كريمة!، وستنسى ماضيها في الحاضر حين ترى بلاط فارس، وتنعم بلطف كسرى العظيم!

قال كسرى: لن أقدم على هذا الخطر الهائل إلا إذا اخترتها زوجاً، فلعلها إذا مر الزمان تودع ماضيها متناسية وترى في رعايتي ما يهون عليها الكارثة! وإنها لكارثة بالنسبة لها دون ريب!

قال مهران: إذا شاء الملك اختيارها زوجاً يخلص لها الود، فهذا من عطفه الكريم، ولا شأن لنا به، إنما الشأن كل الشأن أن يتأمل كسرى العظيم فيما أيديه، وأن يحلله محل التنفيذ...

وهكذا استطاع القائد مهران أن يقترح ما يعجل بالمواجهة دون تريث، وظل كسرى يتردد بين الرفض والقبول حتى غلبه جانب القبول، فاتفق مع القائد على أن يأخذ الأهبة لاقتحام الحصن، حين يلجئ كسرى، وأن يأخذ القوم على غرة، مع المحافظة على الأميرة، لتكون موضع الرعاية والاهتمام.

وكان القدر قد استجاب إلى كل ما اقترحه القائد، ووافق عليه سابور، إذ أخذ القوم على غرة، وتدفقت الجيوش القارسية كالسيل الكاسح تجز الرقاب، وتبقر البطون، وكان الضيزن أول من تصدى للنزال فلاقى مصرعه السريع، إذ لم يحتط للمعركة من قبل، ودعرت الأميرة حين أيقنت بالخدعة، وجعلت تصرخ كالجثونة، ولكن بعد أن قطع الرجاء،

ولاحت نذر الفناء!

تقدم سابور إلى الأميرة الصارخة، فوجدها على حالة من الهياج لا تسمح بالحوار، فأشار إلى من حملها يرفق إلى العربة الملكية بالخارج لترحل مع القوم إلى فارس، وقد ظن أنها ستفقد الأمل في البقاء بالحضر، وسترضى بالواقع، لاسيما وقد أعلن اقترانه بها مكافأة على صنيعها، ولكنها قابلت مشيخته بالازدراء، وظلت تهذى بالسياب دامعة ياكية، إذ كان الجرح النازف في قواها أقوى من أن يحف بأي علاج! وقد اعتقدت في صميمها أنها أس الكارثة، وأنها عجلت بمصرع أبيها، وانتهاء ملكه، ولو لم تجازف بزيارة سابور لكان الأمر على غير ما انتهى إليه من الذلة والهوان...

وقد اجتمع أمراء كسرى وقرو استشارته يتحدثون في أمر الملكة الجديدة، التي رفضت عرش فارس، واستمع سابور لما يقولون، وكان مهران أعلاهم صوتاً حين قال: إن حياة مولاي أهم ما نحرص عليه، ولا نأمن أن يعيش مع حاقدة تناصبه العدا، فقد تضع له السم القاتل، مرحبة بعقابها الرادع من بعده، إذ لا هناء لمثلها في الحياة! فالأحرى بمولاي أن يذيقها النكال!

قال كسرى: لا أقدر أن أكون قاتلها؟! وإن قتلني فقال مهران: نقتلها نحن قداء للملك، وكلنا له الفداء... فتراجع سابور يقول: هذا إذا دأبت على العصيان!

وبعد أيام عرف الناس أن الأميرة الغريبة قد سقطت تحت أقدام أخيل فلقبت حثقتها المييد....

الأسوة التربوية في الرسائل الحملمية

٢

لأستاذ / محمد مصطفى البسيوني

تدرج التبليغ

كما أن من المعالم التربوية في أداء الرسالة أن أوصى النبي ﷺ وسله إلى هذه الأقطار بالتدرج في تبليغ رسالته، فيروى أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه- وهو يعدده لتبليغ الدعوة إلى أهل اليمن «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جشتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» (١).

وتأمل هنا كيف يتسق أدب الدعوة مع آداب الداعية الذي ينبغي أن يتحلى بالتواضع وعدم التباهي والتعالي على الناس بعلمه، وكيف يراعى عدم الخلط بين الأمور حتى لا يقع في محذور الظلم في القول والفعل جميعاً.

كما أن علينا أن نتأمل كذلك في هذا السياق كيف أن هذا التدرج هو من سمات التربية القرآنية الحكيمة، ومثال ذلك كما هو معروف التدرج في تحريم الخمر في القرآن الكريم وذلك في مثل قوله تعالى بالأسلوب التربوي الرباني:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾

(البقرة: ٢١٩)

ثم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾

(النساء: ٤٣)

ثم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْمِرُ وَالْأَصْبَابُ أَلْفَاظٌ يَجْعَلُ النَّبِيُّ الْقُلُوبَ فَتَعْبَثُ بِهَا أَلْسِنَةٌ كَذِبَةٌ﴾

(المائدة: ٩٠)

وغير ذلك من الأمثلة الخكممة التي يدركها الذين يتدبرون القرآن، ومن الواضح البين هنا أن تأسي النبي ﷺ بالنهج القرآني في مسألة التدرج التربوي هو من الدلائل الناطقة بأنه «كان خلقه القرآن» كما روى عن أم المؤمنين الحميرة عائشة رضي الله عنها.

التيسير لا التعسير

ومن أبرز الملاح التربوية المحمدية الرائدة أن يتحلى الداعية بخلق التيسير على من يتحمل مسئولية دعوتهم أمام الحق سبحانه وتعالى، ومن الجلي البين في العملية التربوية أن التيسير في عرض الموضوع أدعى إلى انتباه الإدراك لدى المتلقين واجتناب وجدانهم وحثهم على الإقبال والعمل بما يتلقون بينما يعلم علماء التربية والمشتغلون بها أن التعسير مدعاة لنفور المتلقين وبغضهم وانصرافهم وانغلاق عقولهم وصدود قلوبهم إزاء الأمر المطروح، ألم يخاطب الحق سبحانه رسوله الكريم بقوله:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري ومسلم «كتوز الحقيقة للإمام الشافعي».

(٤) مسند الإمام أحمد.

وفي هذا حدثتنا كتب السيرة أن النبي ﷺ عندما أرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل -رضي الله عنهما- إلى اليمن ليدعوا كل منهما طرفاً من أطرافها زودهما بوصيته الهادية والهادقة: «يسرا ولا تعسرا، ويشرا ولا تنفرا، وتطابعا» (٢) بل إن النبي ﷺ وجه هذا الأمر إلى الأمة جميعاً في حديث آخر يقول «يسروا ولا تعسروا» (٣).

تربية الداعية عملياً

وهنا نذكر ملمحاً تربوياً فعالاً في معاملة الأستاذ لتلميذه الذي يعدده لمهمة الرسالة وناهيك بالرسالة للقدسة، فقد ذكر الإمام أحمد في مسنده (أن الرمي الأسوة ﷺ خرج مع معاذ -رضي الله عنه- إلى ظاهر المدينة وهو يوجهه إلى اليمن، ومعاذ إذ ذلك راكب بينما رسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته ثم قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك تمر بمسجدي هذا وقبري» فبكى الصحابي الجليل والتلميذ النبيل لفراق المعلم والحبيب ﷺ (٤) .. وقد كان، إذ لبث معاذ في اليمن إلى ما بعد وفاة رسول الله ﷺ، فكان الأمر كما أخبره به المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

ومن أساليب التيسير: التبسيط في العرض دون خلل، وبسط الموضوع دون ملل، ومراعاة حال المتلقين اللغوية والفكرية والاجتماعية والعقائدية والمعيشية وغيرها. ألا تذكر أن النبي ﷺ نبه معاذاً -رضي الله عنه- كما أسلفنا -إلى أن أهل اليمن الذين

يقصدهم هم أهل كتاب؟ ومعنى هذا أنه ينبغي على معاذ أن يراعى ذلك في حديثه إليهم عن الدين الجديد. ولقد قالت العرب منذ القدم: إن البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال.

أما الشعور في العرض، وتعتمد التظاهر بالإلمام والاقتدار، والبعد عن الواقع، وتخري هامش الموضوع دون لبابه، وسرادييه دون بابه فذلك هو التعبير بعينه.

ويذكرنا هذا بطريقة جادة عن الشاعر أبي تمام الطائي، وكان يتحرى في شعره صعوبة التعبير وغموض التصوير فقال له أحد مستمعيه: يا أبا تمام لم لا تقول ما يفهم؟ فأجاب أبو تمام يسؤال دون جواب: ولم لا تفهم ما يقال؟

ومن هنا اقتضت حكمة الحق - سبحانه - أن يختار الأنبياء - عليهم السلام - من بين أقوامهم الذين يرسلون إليهم، وذلك حتى تيسر لهم أسباب الدعوة وليسهل على أقوامهم الاستيعاب والاستجابة، ومن هنا أيضا أنزل القرآن الكريم على محمد ﷺ:

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾

(الشعراء: ١٩٥)

وذلك مصداقاً للقانون الإلهي الحكيم:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ يُبَيِّنُ لَهُمْ﴾
(إبراهيم: ٤)

عود على بدء

ونحن إذا تأملنا النهج النبوي الكريم في مكاتبة الحكام آنذاك نرى أن كتبه ﷺ تمتاز بالتوضيح الجامع السديد والتبركيز المانع الرشيد الذي يأخذ طريقه الواعى إلى العقل من بابه، لأنه طريق غير عوج يتسم بالاستقامة التي قال عنها الرياضيون: إنها أقصر الطرق بين نقطة الابتداء ونقطة الانتهاء.

كما أننا نشعر من نهجه ﷺ في هذه المكاتبات الحكيمة كيف يخاطب كلا من هؤلاء الحكام بما يتفق مع ما يعتقد حتى يشعر كل منهم أن هذا الداعية الكريم ليس ذابيه الهجوم والعدوان ولكن ذابيه الحق والإحسان، وقد لمسنا هذا في كتابه ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة^(٤) الذي قيل: إنه كان يدين بالنصرانية حيث يؤكد له ﷺ أنه «يشهد بأن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحسنة فحملت بعبسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده».

وكذلك إعلامه ﷺ لكل من هرقل (عظيم الروم) والقوقس (عظيم القبط) بأن القرآن الكريم يدعو أهل الكتاب من أمثالهما إلى كلمة الحق في قوله تعالى:

(٤) ذكر الواقدي وغيره أن هذا النجاشي أسلم وشهد شهادة الحق بينما يقول ابن القيم إنه لم يسلم، ولكن الذي أسلم ومات مسلماً وصلى عليه رسول الله ﷺ هو نجاشي آخر اسمه «الصخمة» - والمعروف أن كلمة «نجاشي» لقب ملوك الحبشة بينما «مكسري» هو لقب ملوك الفرس، ويقصر لقب ملوك الروم مثلاً أن «فرعون» لقب ملوك مصر في عهد يوسف - عليه السلام - حيث قال القرآن عن حاكم مصر آنذاك «الملك».

﴿قُلْ أَقْبَلُ الْكِتَابَ مِمَّا آتَاكُمْ بِرُحْمَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَبِمَا نَنْهَيْتُمْ عَنْكُمْ مِنَ الْأَقْبَادِ لَا تَلْبِسُوا بَيْنَهُمَا وَلَا تَلْبِسُوا بَيْنَهُمَا بَعْضَ الْأَنْبَاءِ مَنْ دُونِ آخَرِهِمْ قُلْ أَقْبَلُ الْكِتَابَ مِمَّا آتَاكُمْ بِرُحْمَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَبِمَا نَنْهَيْتُمْ عَنْكُمْ مِنَ الْأَقْبَادِ لَا تَلْبِسُوا بَيْنَهُمَا وَلَا تَلْبِسُوا بَيْنَهُمَا بَعْضَ الْأَنْبَاءِ مَنْ دُونِ آخَرِهِمْ﴾
مُتْلَمُونَ

(آل عمران: ٦٤)

وهكذا يوفق المدعو بأن الداعية لا يدفعه إلى الدعوة إلا الحق والإخلاص لبني جنسه، ولا يحفزها إليها إلا الصدق في أدائها وأن هذا لا يتعارض مع علمه وإيمانه بالأديان «الصحيحة» السابقة، لأن هذه الرسالة الخاتمة قد أرادها الباري عز وجل كمالاً للدين وتاماً للنعمة ورضى بالإسلام نهجاً للحياة وإطاراً للنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة تصديقاً بقوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

(المائدة: ٣)

ويؤكد هذا قوله جل وعلا

﴿مَنْ آمَنَ الرَّسُولَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

من خصوصيات محمد ﷺ

ولعله من نافلة القول هنا أن نعي أن النبي خاتم ﷺ هو وحده من بين الرسل والأنبياء الذي أرسل كتبه إلى مختلف بقاع الأرض، لأنه هو وحده من بين الرسل الذي أرسله رب العالمين كفاية للناس استجابة لقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾
(سبا: ٢٣)

فهى خصوصية من خصوصيات المختار «رحمة للعالمين» ﷺ، وقيامه ﷺ على ذلك كان تلبية لأمر ربه الذي خاطبه في آية أخرى من القرآن الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا يَلْفُتْ رِسَالُكَ﴾

(المائدة: ٦٧)

حيث لم يحدد الولي العليم الخبير مساحة هذا البلاغ، ولم يقصره على قریش فقط أو الجزيرة العربية فحسب، ومن هنا تحمل محمد ﷺ بالهام إلهي وروحي رباني أنه لا حدود لهذا البلاغ سواء في المكان أو الزمان، ولعل هذا بعض ما يفهم من آية:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

(آل عمران: ١١٠)

حيث إنها أمة مكلفة باستمرار تبليغ رسالة محمد ﷺ بلا حدود جغرافية في المكان أو تاريخية في الزمان وهي الرسالة التي تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله.

الاستمالة وتأليف القلوب

وإن التأمل للمكاتبات الحميدة إلى حكام الأقطار آنذاك يلهم قدر الأدب النبوي الرفيع في مخاطبتهم عندما يقول: من محمد رسول الله إلى (عظيم الروم) أو (عظيم الحبشة) أو (عظيم القبط) بأسلوب معجز في استمالة هؤلاء أملا في أن تلين قلوبهم وتخضع جوارحهم وجوانحهم في ضياء الدين الإلهي خاتم الذي قد عرفوه عن

رمضان ولي

للشاعر / السيد الصديق حافظ

رمضان ولي! جل وجه الباقي! يا رب هل من عسودة وتلاق؟
هل يقسم المولى لنا أمثاله في طاعة مثلي وعيش راق؟

يا زائراً ما كاد يقدم ركبه
لو كانت الأيام تنزل بيننا
حتى تهيباً مؤذناً بفراق!
فلأنت في الأزمان أين قدام
كالضيف أنزلناك في الأحداق!
زاد من الأخلاق راق ذوى النهى
يرجى وأكرمها على الإطلاق!
ولدى التهامة رائق الأطباق!

رمضان يا شهر المسرة والرضا
الناس يختلقون فيمما بينهم
ومحاسن الأعمال والأخلاق
كل يحبك راغباً أو راهباً
إلا عليك فهم مثال وفراق!
قد جئت هذا العام وفق مذابح
والحب من وله ومن إشفاق!^(١)
ودم جرى في المشرقين مراق!

رمضان كيف وجدت أمة أحمد
أيام كانت هذه الدنيا لنا
طاوى النجوم على جناح براق
إنى لأسأل والأسى يدعو الأسى
ولنا من الأخرى أعز خلاق!^(٢)
والهم يطغى ممكاً بخناق!
مالي أرى عينيك غارقتين في
بحر من الإرهاق والإخفاق!
الجاهل والأمراض والإملاق!

(١) الوله - شدة الوجد - الإشفاق هنا بمعنى الحزن، والمعنى: إن الحب فيه شئ من الرغبة وشئ من الرهبة.

(٢) أعز خلاق - أعظم نصيب وحظ.

أسلافهم في كتبهم السماوية المقدسة في التوراة والإنجيل.

ويذكرنا هذا بالموقف الملهم الرشيد للنبي ﷺ عند فتح مكة حين اصطحب العباس -رضي الله عنه- أبا سفيان بن حرب للقاء التاريخي مع الفاتح الأكبر ﷺ وحوله جحافل الحق العائدة بنصر الله حيث يخاطب العباس ابن أخيه تحت ألوكة النصر: «يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، وإذا بالحكمة المحمدية تهتف في اعتراز بالله بعيداً عن غرور الفتح واستعلاء التنصر متناسية كل ما ارتكبه أبو سفيان إبان جاهليته الجهلاء من حماقة وسفه وغرور في حق النبي الأكرم ﷺ وصحبه الأكرمين من أجناد الحق، إذ يعقب ﷺ على قول عمه العباس -رضي الله عنه- «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»^(١) «قياساً على من دخل المسجد الحرام ومن لجأ إلى بيته معترفاً بأن العزة لله جميعاً وأن النصر كله بيد الله، وأن الأمر كله لله الكبير المتعال».

وهكذا يعطينا المصطفى ﷺ الأسوة التربوية في مخاطبة غير المسلمين حين ندعوهم بالقول اللين والسلوك الراشد النبيل وذلك استجابة للتوجيه الرباني التربوي الحكيم:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ
وَالنَّعْظِ الْحَسَنِ وَجِدْ لَهُم بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

(النحل: ١٢٥)

كما يذكرنا هذا بقول الحق سبحانه وتعالى -لموسى وأخيه هارون- عليهما السلام-

حين أمرهما بالذهاب إلى فرعون (إنه طغى) فعلى علم الله عز وجل بطغيان فرعون وجبروته وعنته وعناده إلا أن هذا شئ وأسلوب الداعية في مخاطبة شئ آخر إذ عندما أوجس موسى وأخوه خيفة من فرعون:

﴿فَلَا رَيْبَ إِنَّنَا خَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾

(طه: ٤٥)

كانت الطمأنينة الإلهية الحكيمة:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾

(طه: ٤٤)

سباقة قبل الإحساس بهذا الخوف البشري حتى يشيع جو الأمن الإلهي الخلاق في القلب والوجدان.

وقد ذكرت بعض المأثورات عن التلميذ النبوي علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه جرب اللين وجرب السيف فوجد أن اللين أحد من السيف.

ذلك شأن الوعي القيادي والقيادة الواعية فما بالك إذا توجت هذا الشأن العناية الإلهية، والرعاية الربانية والإلهام المقدس الخلاق.

ولئن قال النبي ﷺ: «المؤمن كيس فطن»^(٢) فإن من قبيل الفطنة والكياسة أن نأخذ بهذه النماذج ونعمل من خلال هذه الأطر التي ذكرها القرآن الحكيم ونأسي بها النبي الكريم واتبهجها الرواد من المؤمنين الصادقين، فنصوغ خطابنا الديني على أساس تربوي متين وفي إطار نبوي مكين.

(١) كنز العمال

(٢) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٠٥

الحوار في القرآن والسنة

٣

للاستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

نماذج من الحوار في السنة النبوية:

وقد ذكرت سنة نبينا محمد ﷺ بنماذج رائعة في الحوار تذكر منها على سبيل المثال:
عن حذيفة بن اليمان. رضى الله عنه. قال:

كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني
فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجهنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير
من شر؟

قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من الخير؟ قال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟
قال: قوم يهدون بغير هدى يعرف منهم وتكر. قلت: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال:
نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا.
قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم
جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق
كلها ولو أن بعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك^(١).

وهكذا نرى نتيجة هذا الحوار، وهي تأكيد
الدعوة إلى وحدة الأمة وعدم التفرق إلى
جماعات، بل حتى عندما لا توجد جماعة ولا

(١) رواه البخاري.

من نماذج الحوار في السنة

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: يا رسول
الله أرأيت لو جاء رجل يريد أخذ مالي؟

قال ﷺ: «لا تعطه مالك». قال: أرأيت إن
قاتلني؟ قال ﷺ: «قاتله». قال: أرأيت إن
قتلني؟ قال ﷺ: «فأنت شهيد». قال: أرأيت
إن قتلته؟ قال ﷺ: «هو في النار»^(٢).

وهكذا نرى أن هذا الحوار الموجز أعطى الرجل
الحوار مساحة من الحديث ليتعرف على الحكم
بالنسبة لمن أراد أخذ مال الغير ظلماً وعدواناً، وأن
عليه أن يدافع عن ماله، وأن المعتدى إذا قاتل
المعتدى عليه فعلى صاحب الحق أن يدافع عن حقه
وأنه إذا قتل دون ماله فهو شهيد. أما المعتدى فإذا
قتل فهو ظالم مستبوح لما حرم الله فهو في النار.

فأرسل هذا الحوار الحق لصاحبه ووضح
الواجب على المظلوم تجاه ظالمه، وأنه لا يسكت
ولا يرضى بالظلم، بل عليه أن يقاوم ما استطاع
إلى ذلك سبيلاً، ولو كان في هذا بذل حياته فهو
شهيد في الجنة.

ومن الاجتهادات الدال على أصالة الحوار في عهده
ﷺ: ما روى عن أبي سعيد الخدري رضى الله
عنه: قال خرج رجلان في سفر، فحضرت الصلاة
وليس معهما ماء فتيكما صعيداً طيباً، فصليا ثم
وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الوضوء
والصلاة ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله ﷺ
فذكرا ذلك له فقال للذي لم يعد: «أصبحت السنة

وأجزأتك صلاتك»، وقال للذي توضأ وأعاد: «لك
الأجر مرتين»^(٣)، فأقر كلا منهما على اجتهاده ولم
يرد على أحد منهما اجتهاده الذي اجتهد به.

والمراد بقوله: «أصبحت السنة» أي الشريعة
الواجبة ومعنى «وأجزأتك صلاتك» أي كفتك
عن القضاء، والإجزاء معناه: أن يكون الفعل
مسقطاً للإعادة.

كما أن من اجتهادات الصحابة -رضوان الله
عليهم- أسوة برسول الله -عليه الصلاة والسلام-
اجتهاد سيدنا أبي بكر الصديق «رضي الله عنه»
في موضوع المرتدين الذين منعوا الزكاة مع إقرارهم
بالإسلام، وإقامتهم للصلاة، واجتهاد أبو بكر
«رضي الله عنه» في أن يقتلهم. حتى يؤدوا الزكاة
التي كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ، قائلًا:

والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة،
فإن الزكاة حق المال (أي حق الفقراء والمساكين
وغيرهم)، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها
إلى رسول الله ﷺ، لقاتلتهم على منعها.

قال عمر «رضي الله عنه»: فوالله ما هو إلا
أن قد شرح الله صدر أبي بكر «رضي الله عنه»
فعرفت أنه الحق^(٤).

ومن اجتهادات سيدنا عمر «رضي الله عنه»
(واجتهاداته كثيرة جداً):

ما روى ابن عباس -رضي الله عنهما- أن
الطلاق الثلاث دفعة واحدة كان يعد واحدة على
عهد رسول الله ﷺ، وعهد أبي بكر «رضي
الله عنه»، ومستن من خلافة عمر «رضي الله

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه النسائي وأبو داود. وهذا الحديث لفظ أبي داود.

أكتوبر ٢٠٠٠

شوال ١٤٢٩ هـ

الأخضر

١٥٢٦

١٥٢٧

الأخضر

عنه... ثم وجد عمر أن الناس قد أكثروا منه مع مخالفته لما شرع الله فقال: «إن الناس قد استعجلوا في أمر كان لهم فيه أناة، فلو أمضيته عليهم نأديا للمطلقين، وزجراً لغيرهم». ومن ذلك أيضاً: اجتهاده في عام الحجة في عهده حيث كثرت السرقات فأوقف العقوبة على السرقة وهي الحد نظراً لحاجة الناس وشدة جوعهم.

الاجتهاد والتطور من بواعث الحوار

ويعد من أبواب الحوار في الإسلام حشمة المسلمين على الاجتهاد وعلى التطور على أساس أنهما من بواعث الحوار، وأنهما أيضاً من مظاهر إفراده.

ومعروف أن القرآن هو أول مصادر التشريع الإسلامي، فهو المصدر الأول الذي تؤخذ منه الأحكام الشرعية، ثم تليه السنة النبوية الصحيحة التي هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، لقوله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

(الحشر: ٧)

ولقوله تعالى في كلام الرسول ﷺ:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

(النجم: ٣-٤)

واعتماداً على هذين المصدرين، ومع الانفتاح على الحضارات، واتساع الأرض الإسلامية واختلاف البيئات... كان الاجتهاد لمراعاة التطور ضرورة فتحت بها الإسلام الأبواب مشرعة على التطور، والتجديد، والحوار من أجل الأفضل،

والأكثر ملاءمة للمصلحة والحق... وذلك مع الانطلاق من الحكم الشرعي، وقياس ما يستجد في حياة الناس من أمور في ضوء الشواهد الشرعية.

وقد اجتهد العلماء من خلال المصادر المتعددة للاجتهاد في فقه النص وإنزاله على الواقع.

ويعرف العلماء الاجتهاد بأنه: بذل العالم المجتهد أقصى طاقته العلمية في استنباط حكم شرعي من الدليل بحيث يرى أنه لا زيادة على ذلك، ويتسع مجال الاجتهاد، فيشمل ما لم يرد بشأنه نص في القرآن أو السنة الشريفة.

وما يدل على أهمية الاجتهاد والدعوة إليه - كاسلوب حوارى علمي - قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾

(النساء: ٥٩)

فأمر الله تعالى في الآية الكريمة بطاعته سبحانه، وطاعة رسوله ﷺ، وذلك بالتمسك بالكتاب والسنة، وأمر بطاعة أولي الأمر في غير معصية الله تعالى فلا طاعة لخلق في معصية الخالق (وأولو الأمر هم الأمراء والعلماء) وفي قوله تعالى:

﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾

ما يفيد أن أولي الأمر الذين يجب طاعتهم يجب أن يكونوا منا، والمخاطبون في الآية الكريمة هم المؤمنون:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

فشرط طاعتهم أن يكونوا مؤمنين:

﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾

أي إذا حدث اختلاف فأرجعوا فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

وواضح أن قوله تعالى:

﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾

يفيد أنهم عندما يختلفون في حكم من الأحكام لا يلجأون إلى الهوى، بل يجتهدون - بالحوار الهادف - في استنباط الحكم من روح الآية، ومن الحديث الصحيح، وذلك بالبحث عما قد يكون غير واضح أو يكون غائباً عن العقول أو بتطبيق القواعد العامة بإخلاق الشبيه بشبيهه.

ومن الأدلة على جواز هذا الاجتهاد والقياس القائم على الحكم الشرعي من السنة النبوية: ما روى عن معاذ بن جبل «رضي الله عنه» أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعثه إلى اليمن قال له: كيف تقضى إذا عرض لك قضاء؟ قال أقضى بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: اجتهد رأي ولا آثر، قال معاذ: فضرب رسول الله ﷺ صدرى وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله»^(٥).

(٥) رواه أبو داود والترمذي والدارمي.

التعارف الإنساني من بواعث الحوار

وكذلك يعد من أبواب الحوار في القرآن والسنة دعوتيهما الناس إلى التعارف والتآلف وإلى التعايش السلمي بين الناس بغض النظر عن أشكالهم وأجناسهم ومعتقداتهم فخطبهم بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾

فلم يقل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

ولا «يا أيها المسلمون»

بل قال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

(الحجرات: ١٣)

وقد خص الله تعالى الإنسانية كلها بالتكريم، فقال تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ رِزْقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

(الإسراء: ٧٠)

وهكذا دعا الإسلام الناس جميعاً ليتعارفوا ويتآلفوا ويتعاونوا على البر والحق والخير، ونشر السلام في الأرض، حتى تعيش البشرية في أمن واستقرار، لا في حروب ودمار.

كما وضع القرآن الكريم علاقة المسلمين بغير المسلمين وهي علاقة البر والعدل حيث قال سبحانه:

﴿لَا يَنْهَى اللَّهُ عَنْ الْإِيمَانِ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كُفْرٌ مِنْ دِينِهِمْ أَنْ تَزُورُوا دِيَارَهُمْ وَتُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾
﴿إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنْ الْإِيمَانِ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَظُهُورُهُمْ وَأَخْرَجَكُمْ أَنْ تَقُولُوا مِنْ يَدَيْهِمْ وَأُفٍّ لَهُمُ الظَّالِمُونَ﴾

(المتحنة: ٨-٩)

وهذه الآية تدعو ضمناً للحوار بين المسلمين وغيرهم إذا كانوا غير محاربين أو متربصين بالمسلمين.

وكان من ثمرة الدعوة القرآنية إلى الحوار الإنساني العام من خلال تكريم الإنسان - كل إنسان - إن الإسلام منذ ظهرت دعوته سنة (٦١٠م) يدخل قلوب الناس وعقولهم برضا وطمأنينة واقتناع.

وقد انجذب إلى دعوة الإسلام غير العرب وغير المسلمين ممن بهرهم الأسلوب الهادئ للدعوة الإسلامية من خلال مصادرها الأصلية وبواسطة الدعاة، والتجار الصادقين في معاملتهم وتجاراتهم، أو من خلال القراءة والاطلاع، والجدال بالتي هي أحسن مباشرة أو بطريق غير مباشر.

وقد دفعت أساليب الدعوة والعبادة والمعاملة الصادقة والحوار الكريم الثقات على الإقناع كثيراً من غير العرب وغير المسلمين إلى أن يقتربوا من هذا الدين، وأن يؤمن به الكثيرون منهم.

وكانت الرحلة في طلب العلم ميكرة، منذ

عهد الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - وعرفت الرحلة لديهم لجمع الأحاديث والأحكام من قطر إلى آخر ومن بلد إلى غيره حتى عرفت الرحلة لديهم من أجل حديث واحد، ومن أجل الاستيثاق من حديث واحد، كرحلة جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنس بالشام... وهذه الرحلات هي التي عرفت بعد ذلك وفي عصرنا «بالبعثات التعليمية»، كما عرفت رحلات أخرى لنشر تعاليم الإسلام والدعوة إليه من خلال الحوار.

ومن هؤلاء الدعاة: - من كان يرسلهم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ليعلموا أهل البلاد القرآن الكريم والتعاليم الإسلامية، وتبصير الناس بحقائق الإسلام الصحيحة، وليس كما يشوهها أعداؤها.

ومنهم من كان يحمل رسائل من رسول الله ﷺ إلى بعض الملوك يدعوهم إلى الإسلام.

وما لا شك فيه أن هذه الرحلات كانت سبيلاً قوياً للحوار مع المسلمين وغيرهم، فخلال هذه القرون لم تكن نسبة المسلمين تشكل الأغلبية في بعض البلاد... وإنما أخذت النسبة تزداد ويتشرب الإسلام بالحوار، والتعرف الموضوعي على حقائق الإسلام.

.. ويبقى هنا سؤال أساسي هو:

إذا كان القرآن والسنة يحثان على الحوار والاجتهاد وطلب العلم ودعوة الناس للإسلام، فلماذا بقي كثيرون في العالم غير مسلمين، مع أن الحضارة الإسلامية كانت الحضارة العظمى ذات الصبغة العلمية الرائدة لمدة عشرة قرون

كما يقول كبار المؤرخين المنصفين من غير المسلمين؟

.. وللإجابة على هذا السؤال نقول:

إن التسامح الإسلامي - من جانب - وإصرار الكنيسة على تشويه الإسلام وعلى الحوار بهدف مسبق هو التنصير - من جانب ثان - وتمسك الناس بموروثاتهم مهما كانت رديئة على غرار من يعبدون الأبقار والحيوانات ولا يسمحون بالحوار العقلي - من جانب ثالث - إلى غير ذلك من الأسباب - هي العوامل التي كانت وراء هذا الوضع - فليس الذنب ذنب الإسلام، وإنما هو ذنب هذه العادات الرديئة الموروثة، كما أنها ذنب بعض الدول الإسلامية التي لم تهتم بالدعوة كما ينبغي واهتمت بالمظاهر المادية... هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى ظهرت وقويت ومنها:

١ - التعصب الديني والعنصري.

٢ - الآراء اللاهوتية ذات الصور العقيمة عن الإسلام.

٣ - كراهية الإسلام خوفاً من جاذبيته وترشيحه العدو من العدو في كثير من الظروف.

٤ - الممارسات الخاطئة لبعض أتباع هذا الدين من متصارعين داخل الوطن الإسلامي أو داخل المؤسسات نفسها.

٥ - الممارسات المتطرفة والإرهابية لبعض التيارات داخل الوطن الإسلامي.

٦ - الفهم الخاطئ عن الإسلام وعدم الوقوف على قيمه ودعوته السمحة.

٧ - التزييف والتشويه المقصود لبعض حقائق الإسلام وإثارة الشبهات حوله من المستشرقين

وعملاء الغرب وغيرهم.

٨ - النظر إلى الإسلام نظرة عدائية بسبب ما شملت دعوته عليه من تصويب لأتباع الأديان السابقة عليه فيما انحرفوا فيه.

٩ - ما اشتمل عليه الإسلام من قيم ومبادئ وتعاليم سمحة جذبت إليه قلوب أتباع الأديان الأخرى مما دفعهم إلى اعتناقه عن اقتناع... فنظر أتباع الأديان الأخرى إليه على أنه منافس وخطر عليهم فلم يتجرأوا عن الهوى والغرض في التعامل مع الإسلام.

١٠ - عالية الإسلام وسرعة انتشاره وعدم إيقاف دعوته مع ما بذله أعداؤه من صنوف المقاومة السياسية والعسكرية والحروب الصليبية وغير ذلك، بل كان يزداد انتشاراً مما دفعهم إلى اتباع طريق آخر هو التشويه لدعوته ومحاولة النيل من حقائقه وتعداد المحاسن في فلسفات تشريعاته على أنها مثالب... بتخطيط دقيق خبيث.

١١ - اعتماد المستشرقين على أعمال وكتابات استشراقية، وعدم رجوعهم إلى المصادر الأصلية للإسلام واقتدارهم في النظر إلى المصادر الإسلامية المعتمدة، واعتمادهم أحياناً على كتب بعض الفرق الشاذة المخالفة لأهل السنة والجماعة.

وهكذا - وعبر هذه الجوانب وغيرها مما لا يتسع المقام لذكره - قدم القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة منهاج الحوار بالضوابط العلمية وبالجدال الحسن الباحث عن الحق والملتزم بأخلاق الحوار... داعياً البشرية إلى كلمة سواء تلتزم بالوسائل الكريمة، وتصل إلى الغايات الكريمة!!



الإسلام في الألفية الثالثة

ديانة في صعود

تأليف

الدكتور مراد هوفمان

تعريب:

عادل المعلم، يس إبراهيم

١

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عريض

الأستاذ بجامعة الأزهر

المشأمل في مسار الحياة الإنسانية على الأرض يجد: أن هذا الإنسان - في شتى أطواره - وقع أسير أصنام يصنعها بيديه، ويتفنن في إتقان صنعها وتجميلها حتى يتيه بين إخوته زهواً بما صنع، وإعجاباً بما أبدع.

ثم إذا به - في غمرة هذا الزهو - يتحول إلى عابد لها، يدور في فلكها، ويعلق الآمال برضاها، ويبذل الغالي والرخيص في الذود عنها، والدعوة لها، والتبشير بها، والسعي لتسويدها، واجتذاب الآخرين لعبادتها، والخضوع لها، غير مكترث بما يكلفه ذلك من عناء وتضحيات، غير ملق بالآلمنتشيتها ولا لطبيعتها التي تعلن دائماً: أنها لا تضر ولا تنفع، وأنها من صنع مخلوق ضعيف، محدود البصر والبصيرة، ولا تستطيع أن تقوم بنفسها.

ولكثرة صانعي هذه الأصنام عدداً... كثرت أعدادها، وتباينت أنواعها، واختلفت خاماتها وبيئاتها.

لهذا... يجد المشأمل: أن هذا الإنسان بدأ رحلته في ذلك الأسر مع ما واجهه من ظواهر كونية تفزعه، وتقض مضجعه، وهو لا يدري من أمرها شيئاً؛ فصورها الوهم له قوة قاهرة، يجب أن يسترضيها حتى يأمن شرها، وينال خيرها؛ فكان عابد الشمس، وعابد الرعد والبرق، وعابد الأعاصير.

وفي مرحلة أخرى... كانت رحلته مع ما أدرك من وجود كائنات خفية لا يرى إلا بعض آثارها: من جان وشياطين، صورها له الوهم

قوة مهيمنة، لا أمان له إلا مع طاعتها، والتقرب منها، فاختلق كل جماعة اسماً أو نعماً وسموا به واحداً أو طائفة منهم ليدور في فلكه، ويخضوه بالعبادة.

وفي مرحلة ثالثة... أحس هذا الإنسان بالحاجة إلى تجسيم مآله؛ ليزداد منه قرباً، وبه ثقة واطمئناناً؛ فصنع كل ما أملاه عليه خياله جسماً من حجر، أو معدن، أو مطعوم؛ فكان: مناة، وعزى، ولات، وهبل، وبعل، وغير ذلك من الأسماء.

ولما بلغ هذا الإنسان درجة من التطور والرقى... استطاع معها أن يرصد من العادات والتقاليد ما صور له الوهم لازمة من لوازم الوجود والاستقرار، كبل حياته بأغلالها، وأبى إلا الخنوع لها، والخضوع لما يتوافق معها، دون اكتراث بتلازمها مع حياته ومتطلباتها المتنوعة.

ولما أدرك قيمة عقله وما حققه به من كشوف علمية، وانتهاك لكثير مما خفى على آبائه، وتعرف على كثير من أسرار حياته... ظن أن ذلك هو الإله الذي لا يقهر؛ فصنع - في داخله - للعقل اغاريب، واعتقد أن ما يثمره هذا العقل من علم ومعرفة هو الإله الذي يجب الاستسلام لمقدراته.

وكان مما أقرزه العقل من آثار علمية آلهة أخرى، زاحم بعضها بعضاً في تسنم عرش الألوهية، فكان من بين تلك الآلهة

ما رسم بالتشبيوعية، والاشتراكية، والليبرالية، والديمقراطية، والعلمانية، والحدائية، والعولمة... إلى غير ذلك من الأصنام - أو الآلهة - التي فرضها العقل على إنسان الغرب المسيحي، حتى خيل إليه أنه وصل بها إلى قمة الحضارة والترقي، وهو يودع آخر أيام الألفية الميلادية الثانية.

وفي مقابل هذا يجد المشأمل: أن من بنى الإنسان من شدة عن هذه المسارات - مخافتها القطرة الكامنة فيه - وشعر أن هناك قوة أعلى من تلك القوى وأحكم، هي التي يجب أن يلوذ بها ليحقق لنفسه الأمن والطمأنينة الحقة، مثلما حدثنا القرآن الكريم عن رحلة إبراهيم - عليه السلام -، مع استغراق قومه في موروثهم العقيدى؛ فكانت نظراته الفاحصة التي انتهت به إلى أن صاح قائلاً:

﴿يَقُولُ إِنِّي بَرئٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣١﴾

(الأنعام: ٧٨ - ٧٩)

ويجد أن من بنى الإنسان من اصطفاه الله الخالق لينتشل قومه من ضلالات أوهامهم، وبأخذ بأيديهم إلى نور الحقيقة المستورة عنهم، فكانوا أعلام هداية وتبصير، توالى في كل منعرجات الحياة، فظل صوتهم يهتف في السائر



هيتنجنون

وسيطرة نظام الحكم الليبرالي بقيمه على العالم كناعة، ويقرر عدم استطاعته إنكار نجاح العولمة فيما تستهدفه من تحويل العالم إلى قرية صغيرة.

لكنه يدرك أن هذا النجاح يحمل في طياته شكوك الغرب في قيمة ما شعر به من زهو الانتصار بعد انهيار الشيوعية؛ فبالإلى جانب هذا الانتصار لا يمكن أن يغيب عنه ما شهده القرن العشرون - في ظل تلك الحضارة - من حروب عالمية مدمرة، وانتشار الأسلحة القادرة على إبادة الملايين من البشر، وانتشار معسكرات الإبادة وعمليات التطهير العرقي، وغير ذلك من مآسي البشرية على الرغم من مرور مائتي وخمسين عاماً على بداية عصر التنوير والحداثة، وعلى الرغم من أن هذه الأعمال الوحشية المهيبة للبشرية تتركز في أوروبا المتحضرة، شديدة الزهو بعقلانياتها وإنسانياتها.

ويخلص الدكتور من هذه الالتفاتة إلى طرح ما يساور نفس أي باحث جاد من تساؤلات حول ما إذا كانت هذه المتناقضات المفزعة أثراً لمرض خطير

بصيرة بين الديانات المنبثة في أرجاء العالم الحديث - خصوصاً المسيحية الكاثوليكية والإسلام - بحيث تمكنت رؤاه وأحكامه من القيام على ركائز يقينية واضحة... في هذه المقدمة التفت الدكتور «مراد هوفمان» إلى الرعب الهستيرى، والذي غير العقول من نهاية العالم المرتقية الذي انتاب العالم الغربي مع مقدم الألفية الثالثة، على الرغم من حالة اللامبالاة التي أصابت المجتمعات الغربية قبل ذلك بسنوات طويلة، نتيجة الشعور بالإحباط والانهزامية.

وحين نظر إلى العالم الإسلامي، لاحظ أنه لم يستقبل الألفية الجديدة بما استقبلها به الغربيون، من شرب الخمر والبيرة، بل لقد اتسم بالهدوء أكثر مما حدث في الغرب؛ لقلة من يهتم بأسرار الأرقام من المسلمين، كما أن إيمانهم بأن الساعة يمكن أن تقوم في أي وقت... كان وراء عدم إصابتهم بما أصيب به الغربيون من مخاوف.

وأياً كانت مساحة الخوف الذي انتاب هؤلاء وأولئك، فإن الدكتور يقرر: عدم استطاعته تأكيد تلاشي مخاوف الجانبين بعد انقضاء احتفالية رأس السنة، ويقرر: عدم استطاعته الانقياس مع تبوء «فرانيس فوكوياما» بأن نهاية التاريخ تلوح من خلال سيادة الحضارة الغربية،



مراد هوفمان

دراسات - من بينها كتابه «الإسلام في الألفية الثالثة - ديانة في صعود» - كانت ثمرة دراسات علمية جادة أتاحت له في حياته المستدة، وكانت

إفراز خبرات عملية متنوعة، كفلت له معايشة المجتمعات المختلفة بتوجهاتها الحضارية المتنوعة، وكانت نتيجة موازنة بصيرة بين الديانات المنبثة في أرجاء العالم الحديث، خصوصاً: المسيحية الكاثوليكية التي عاش في كنفيها خمسين عاماً، والإسلام الذي عاش في كتفه عشرين عاماً كذلك؛ فخير الدينين عن قرب، بحيث تمكنت رؤاه وأحكامه من القيام على ركائز يقينية واضحة.

والكتاب يشغل أربعاً وسبعين ومائتي صفحة من القطع المتوسط، ويضم مقدمة، وخمسة عشر فصلاً، قام بتعريبه الأستاذان عادل المعلم، ويس إبراهيم، وقدم طبعته الأولى مكتبة الشروق بمصر سنة ١٤٢١هـ - سنة ٢٠٠١م.

في المقدمة كانت ثمرة دراسات علمية جادة، أتاحت له، والتي كانت إفراز خبرات عملية متنوعة كفلت له معايشة المجتمعات المختلفة بتوجهاتها الحضارية المتنوعة، والتي كانت نتيجة موازنة

محذراً من الاستسلام للأهواء والأوهام الضالة، على نحو ما جاء على ألسنة الرسل:

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾

(الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣)

وكانت هذه الملاحظات التأملية دافع خوف كثير من المفكرين في العصر الحديث؛ إذ رأوا الصراع بين الإيمان بالله واحد، وبين الخضوع لآلهة الهوى يحتدم بعنف، ويملك على الإنسان شتى أقطاره، ورأوا أن حضارة العصر باستخدام مستحدثات التكنولوجيا هي الشوب الزاهي الذي يرتديه مخصصو الإيمان بالله الواحد الخالق، على نحو ما عبر عنه المفكر الألماني «فريدريش ديرنمات» سنة ١٩٩٠ في قوله: «إنني لا أستطيع إلا أن أقرر - بصفتي طبيباً - أن الإنسانية غارقة في أزمة رهيبة».

ولا ريب في أن الذي دفع هذا المفكر الطبيب إلى تقرير ما قرر إنما هو إدراكه: أن جميع هذه الآلهة الحديثة لم يشذ واحد منها بتحقيق شيء من الطمأنينة للإنسان، ولا بالإسهام في تخليص هذا الإنسان من بعض مشكلاته وأزماته.

فشل يقود للتطلع إلى الإسلام

وكان من بين هؤلاء المفكرين الجادين الدكتور «مراد فيلفريد هوفمان» المولود سنة ١٩٣١ في ألمانيا بما قدمه من

تعاني منه المجتمعات الغربية، أو إنها إنذار بما يتهددها من خطر السقوط الأخلاقي الذي أصاب «البولشفية» من قبل.

أياً ما يكن حال الغرب.. فقد تكون لدى الغربيين شعور بضرورة وجود قطبين في العالم. حسمته نظريات «صمويل هنتنجتون» بشأن صدام الحضارات، كما حسمه إعلان «أرنست ريتان» سنة ١٨٦٢م بأن الإسلام هو النقي التام للنقيض لأوروبا.

وبهذا أصبح كل دارس معاصر للثقافات والسياسات مسلماً بأن تطور عالمه - في القرن الحادي والعشرين - سيتأثر بدرجة كبيرة بما سيشهده الإسلام، وبما سيؤثر فيه.

بيد أن تردد هؤلاء الدارسين إنما هو فيما إذا كان العالم الإسلامي سيقوم بتحديث نفسه مع استمراره في رفض أسلوب الحياة الأمريكي، أم مع امتثاله لهذا الأسلوب، وفيما إذا كان الغرب سيصبح قادراً على الاعتراف بالإسلام الذي سينقذه من نفسه، والذي يجد فيه الدواء والشفاء من أزمته، أم أنه سيعجز عن ذلك !.

مع السداجة تفتن المظاهر

وفي الفصل الأول «مفتون.. الغرب الأخير» قام الدكتور بتجربة علمية

متجردة؛ فتخيل وجود شابين مسلمين ذهبا إلى الغرب طلباً للعلم، يمثل كل منهما وجهة تقابل وجهة الآخر؛ فأحدهما مسلم بالميلاد، والثاني مسلم بالممارسة، وانطلق مع كل منهما وفق أهوائه وتصوراته عن الغرب.

أما الأول فالغرب في تصوره كيان يسير فيه كل ما يتعلق بالتكنولوجيا على أكمل وجه في شتى المجالات، حيث يلتزم غالبية المواطنين بالقوانين، ويطبق الدستور بشكل روتيني، والحديث عن الرشا قليل جداً، والقوات المسلحة تدين بالولاء التام للحكومة المنتخبة، ولا يتعرض أتباع الأديان والمعتقدات المختلفة للسجن أو التعذيب، والفرد - الذي يقف في موقع المركز - يتمتع بأقصى حماية من قبل الشرطة والقضاء، ومن يتعطل عن العمل لا يضطر إلى التسول، إلى غير ذلك من المظاهر الحضارية.

فهذا الطالب المسلم ميلادياً يرى في العالم الغربي أقصى ما بلغته الحضارة الإنسانية وأزهاها، بما يستوجب أن تسود العالم هذه الحضارة وصانعوها.

ومع التعصب تختفي بعض الحقائق

وأما الطالب الثاني - وهو ممن يمارسون شعائر الإسلام - وينظرون إلى الغرب بعين المسلم الخائف على قيم الإسلام وتقاليده - فيرى أن الغرب منذ

عصر التنوير ما كان إلا سلسلة متتالية من الفظائع، والأعمال غير الإنسانية، بدءاً من عمالة الأطفال، وتحويل قطاعات ضخمة من المزارعين إلى عمال في قطاع الصناعة، ومروراً بتجارة العبيد وإشاعة التفريقة العنصرية، وإشعال حروبين عالميتين مدمرتين، وممارسة إرهاب الدولة تحت شعارات أيديولوجية مثل «البولشفية»، ونزعات فاشية «شوفيتية»، وانتهاء بعمليات التطهير العرقي في وسط أوروبا، كنما هو الحال في كرواتيا، والبوسنة، وصربيا، وما جرى فيها من فظائع وأهوال ضد المسلمين.

وهذا الطالب يرى: أن آباء التنوير في الغرب أقاموا تنويرهم على إنكار الوحي السماوي - وإن كان منهم من يؤمن بوجود إله - انبهاراً منهم بما كتشف لهم من أسرار الطبيعة ومكنوناتها، فركزوا جهودهم في القضاء على سلطات الكنيسة وتفوذها الكهنوتي ويرى: أن هذا التنوير قام على اعتقاد أن الله مجرد إسقاط لرغبات البشر، حتى أصبح الخيال مهيباً لتأليه الإنسان، جماعة كان كالدولة عند الماركسيين والفاشيين، أو فرداً كالليبراليين والرأسماليين.

وأن هذا التنوير تولد عنه مثل ما أعلنه «فردريش نيتشة» سنة ١٨٨٢م من موت الله ممهداً بذلك للقرن العشرين، ظناً منه ومن أمثاله: إمكانه الاستغناء

عن الإله وعن الغيبيات، على الرغم من تحول هذا الإلحاد في المعسكر الاشتراكي إلى البديل الديني القهري، كما أكد ما حدث في ألمانيا، حيث أثبتت الإحصاءات التي أجريت بعد عشر سنوات من زوال الحكم الشيوعي عنها: أن النجاح لم يحالف النظام إلا من خلال محاولته فرض العقيدة الشيوعية، وتعليم الإلحاد في المناهج الدراسية، كما أثبتت الإحصاءات: أن ربع السكان بلا مذهب ديني.

وأن العامل الأساسي في الوصول إلى هذا... هو ما ينشر من نظريات علمية بأساليب سوقية فجوة حول نشأة الخليقة، وسر الحياة، والروح؛ فنهى - وإن اختلفت شعاراتها في القرن الحادي والعشرين عنها فيما قبل ذلك - أغراض تتمثل في عملية الاستبعاد لكل ما هو ديني من المجال العام، من كل ما يدل على تسلل نزعة مادية قظة إلى فكر الكثيرين من الناس في الغرب ووجدانهم... هذه النزعة تفقد الناس إلى عدم المبالاة بأمور الآخرة، وإلى تأليه الإنسان، وتهدد بآثار وخيمة العاقبة، لا يؤخرها إلا بقايا من القيم المتوارثة والسلوكيات التي تمرس الإنسان عليها، ولكن سرعان ما ينتهي هذا الرصيد.

وتزداد صورة الغرب قتيامة وسوءاً كلما أوغل المتأمل في استعراض مناحي الحياة

هناك، حيث ينهمك الأفراد في البحث عن اللذة، ويهملون الأسرة حتى فقد الأطفال شعورهم بالانتماء بعد أن فقدوه داخل الأسرة المفككة، وتمكنت وسائل الإعلام وألعاب الفيديو من عقول المراهقين فتضاعفت جرائمهم وازداد عنفهم، ومعدلات الانتحار بينهم، خصوصاً مع تحول الجنس والتخدرات إلى سلعة في متناولهم، وحتى صار الشذوذ الجنسي أسلوباً للحياة، وانتفت عنه صفة الفساد، وصفة المرض النفسي، على الرغم من ارتباطه بفيروس فقدان المناعة (الإيدز)، وارتباطه بعوامل الاكتئاب، فبدلاً من مقاومته، لجئوا إلى إخفاء آثاره المترتبة عليه حرصاً من الغرب على نزع عوامل الكبت البشري.

ويضاعف درجة القسامة في الغرب، وقوة انحياز الغربيين غياب دور الكنيسة بعد أن فقدت الكثير من أهميتها، حين تغير جلدتها، وتحولت إلى مؤسسة اجتماعية تناقض غيرها من المؤسسات العلمانية والدينية، وقام بعض أساتذة اللاهوت بتحويل «يسوع» إلى مصلح اجتماعي فقط.

ويؤكد الدكتور «هوفمان» صدق هذين الطالبين في تقديم صورة الغرب - على تناقض الصورتين - لأن كلا منهما نقل ما رأى، مما يعني: اشتغال الغرب على ما يغري بالمشايعة، واشتغاله كذلك على ما يجب القرار منه، والسعي غاياته. ومما يعني

كذلك: حتمية سلوك سبيل الانتفاء؛ فالشكل والقشرة السطحية للذات هيمنة على رؤية الطالب الأول لا يغنيان عما غاصت وراءه رؤية الطالب الثاني، كما أن الفكر والدعائم لا يغنيان عن الشكل والمظاهر السطحية.

ويضدها تتميز الأشياء

وحرصاً من الدكتور على نقاء منهجه العلمي من التأثير الشكلي أو العاطفي أو الانتقائي... قدم في الفصل الثاني «الشرق النير للتساؤل» صورة للشرق الإسلامي - على غرار الصورة السابقة للغرب المسيحي - استقها من طالبين مماثلين اعتنقا الإسلام؛ تخيلهما كذلك وفدا من الغرب إلى الشرق لدراسة علوم الإسلام، ومعاشة الإسلام في مهده، وبين رواده.

أما أولهما فإنسان غربي وقف على ما في الغرب المسيحي من نقائص وتناقض أفقدته كل أسباب الأمن والأمان، فاندفع هذا الإنسان إلى الشرق الإسلامي بما عرف عنه بالإسلام من تقاليد وسلوكيات توفر الحياة الآمنة المستقرة الحرة لكل من يعيش في كنفه.

فقد رصد في المجتمع الإسلامي ما يرمو على عشرين عاملاً من العوامل الحضارية الإسلامية التي تجعله مجتمعاً جذاباً يغري بالرغبة في الهجرة إليه، والحياة فيه؛ مثل: الترابط العائلي الوثيق الشامل الذي

يشيع الدفء العاطفي بين الأفراد، والذي لم يتأثر بمحاولات التغريب الوافدة مع السباحة والأفلام المتحررة التي تزيد الطلاق وتنتشر الفساد والتحلل.

وينضج هذا الترابط في أمور حيوية كثيرة، منها: سيادة الاحترام بين الجميع، وخصوصاً لمن هم أكبر سناً، واحترام الخصوصية التي تظهر في النظام الهندسي للبيوت الإسلامية، ومنها: إيجاب الإسلام على المسلم دعوة الآخرين كما تفهمه كلمة «اقرأ»، حيث أثمرت هذا التراث العلمي الفريد الذي شمل كل نشاط إنساني بدون استثناء؛ فلم تستطع أية قوة قاهرة أن توقف مدته، ولا أن تضعف من قدرته، فلم يعق مسيرته اعتقال علماء الإسلام، ولا حرق المكتبات، ولا مضادة الكتب؛ لأن تلون الوسائل الدعوية بحميه من آثار كل ذلك... إلى غير ذلك من العوامل الكثيرة.

ولكن الواقع يخيف

وأما ثانيهما فإنسان غربي اعتنق الإسلام، ولما خالط المسلمين فوجئ بما هم عليه من بعد عن الحضارة الغربية وجهل بها، وبما هم عليه من بعد عن الإسلام الذي عرفه وأقبل عليه، فلم يلتفت إلا إلى مساوئ المسلمين في واقعهم؛ إذ رأى ناساً يتسم مفهوم العائلة عندهم بازديادية شديدة تجعله عاملاً أساسياً للفساد، ورأى المناصب

المهمة - عموماً - توزع بناء على علاقة القرابة والمحسوبية، فحزمت الدولة من عوامل نموها، ورأى في دول فقيرة مظاهر رفاهية لا مثيل لها في دول غنية، حتى أصبح الحيوان لدى هؤلاء البدو المرفهين أهم من الإنسان، ورأى آفاقاً من الأمراء في شبه الجزيرة العربية يحتفظون لأنفسهم بخصائص دون غيرهم من البشر؛ استناداً إلى جاهد أو ثروته على الرغم من نزوع الإسلام للمساواة وإقرارها بين البشر.

ورأى: أن الاحترام الذي يحكم حياة المسلمين ويشير الإعجاب... دفع إلى الاعتقاد المطلق في السلطة، فلا مساءلة ولا نقد، مما أدى إلى فقدان المجتمع أهلية الممارسة السياسية الحرة، وإلى عجزه عن تحقيق إنجازات علمية جديدة، اكتفاء بتقليد السابقين.

ورأى أن المسلمين لا يلتزمون بتحريم جميع ما حرم الإسلام، ورأى انهماك طائفة من المسلمين في إثارة مسائل غير جوهرية في الإسلام، مثل أثر طلاء الأظافر على الوضوء، واستخدام مواد التجميل التي تحتوي على مواد كحولية إلى آخر مثل تلك الأمور، مما يكاد يحول الإسلام إلى تعاليم تلمودية مثبدة، لا تتناسب مع الإسلام الذي يهدف إلى تيسير حياة الناس، والتخفيف عنهم.

- يتبع -

كارثة البصرة

من التراث الأدبي العريق للشاعر العباسي الكبير ابن الرومي، ننشرها اليوم تذكراً لما حل بالأمس مما نشاهده اليوم من كوارث الاحتلال في العراق، وهكذا يعيد التاريخ نفسه في هذا البلد الشقيق، والقصيدة طويلة نجتزئ منها بهذه الأبيات، إذ تحدث ابن الرومي عن البصرة فقال:

بينما أهلها بأحسن حال إذ رماهم عبيدهم بامطلام
دخلوها كأنهم قطع اللب بل إذا راح مذلهم الظلام
أي هول وأوا بهم، أي هول حق منه بثيب رأس الغلام
إذ رموهم بنارهم من يمين وشمال وخلفهم وأمام
كم أغصوا من شارب بشارب كم أغصوا من طاعم بطعام
كم ضنين بنفسه رام متجا فتلقوا جبينه بالحمام
كم أخ قد رأى أخاه صريعاً ترب الخند بين صرعى كرام
كم أب قد رأى عزيز بنيه وهو يعلى بعمار من مقام
كم مفقدي في أهله أسلموه حين لم يحمله هنالك حامى
كم رضيع - هناك - قد فطموه بشيا السيف قبل حين الفظام
كما فتاة - بخاتم الله بكر - فضحوها جهراً بغير اكتنام
كم فتاة مصونة قد مبروها بارزاً وجهها بغير لثام
صحوهم فكابد القوم منهم طول يوم كأنه ألف عام

من رآهن في المساق مباليا داميات الوجوه للأقدام
من رآهن في المقاسم وسط الز نج يقمن بينهم بالمهام
من رآهن يتخذن إماء بعد ملك الإماء والخدام

ما تذكرت ما أتى الزنج إلا أضرم القلب أيماء إضرام
ما تذكرت ما أتى الزنج إلا أوجعتني مرارة الإرغام

رب بيع هناك قد أرخصوه طال ما قد غلا على السوام
رب بيت هناك قد أخربوه كان مأوى الضعاف والأيتام
رب قصر هناك قد دخلوه كان من قليل ذاك صعب المرام
رب ذى نعمة هناك ومال، تركوه محالف الإعدام
رب قوم باتوا بأجمع شمل تركوا شملهم بغير نظام

عرجا صاحبى بالبصرة الزهد سراء، تعريج مدنف ذى مقام
فاسألاها - ولا جواب لديها لسؤال - ومن لها بالكلام؟
أين حوضاء ذلك الخلق فيها أين أمواقها ذوات الزحام؟
أين قللك فيها، وفلك إليها، منشئات في البحر كالأعلام؟
أين تلك القصور والدور فيها أين ذاك البنيان ذو الأحكام؟
بدلت تلکم القصور تلالاً من رماد ومن تراب ركام
سلط البشق والحريق عليها فتداعت أركانها بانهدام
وخلت من حلولها، فهي قفر، لا ترى العين بين تلك الآكام:
غبر أبداً وأرجل بائنات نبذت بينهما أفلاق هام

ووجوه قد رملتها (١) دماء
وطئت بالهوان والذل قسراً
فتراها، تنفى الرياح عليها
خاشعات، كأنها ياكيات

بل ألما بساحة المسجد الجا
فاسالاه - ولا جواب لديه -
أين عمارة الألى عمروه
أين فتبانه الحمان وجوها؟

أى خطيب، وأى رزء جليل
كم خذلنا من ناسك ذى اجتهد
واندامى على التخلّف عنهم!
واحيائي - منهم - إذا ما التقينا
أى عذر لنا، وأى جواب
يا عبادى! أما غضبت لوجهي
أخذلتم إخوانكم، وقعدتم
كيف لم تعطفوا على أخوات
لم تغاروا لغيرتى، فتتركتم
إن من لم يغر على حرمتي

بأبى تلکم الوجوه الدوامى
بعد طول التبجيل والإعظام
جاريات بهبوة وقنم
ياديات الثغور، لا لايتسام

مع، إن كنت مـ ذوى المام
أين عياده الطوال القيام؟
دهرهم، فى تلاوة وصيام؟
أين أشياخه أولو الأحلام؟

نالنا فى أولئك الأعظام
وققبيد فى دينه عظام
وقليل عنهم غناء تدامى
وهم، عند حاكم الحكام (٢)
حين ندعى على رؤوس الأنام:
ذى الجلال العظيم والإكرام؟
عنهم - ويحكم - قعود اللثام؟
فى حبال العبيد من آل حام؟
حرمتي، لمن أحل حرامى
غير كفء لقاصرات الخيام (٣)

(٢) يعنى عند الله يوم القيامة.

(١) لطفتها.

(٣) الحور.

كيف ترضى الحوراء بالمرء يعلا
وهو - من دون حرمة - لا يحامى

واحيائي من النبى - إذا ما
وانقطاعى - إذا هم خاصمونى -
لامنى فبيهم أشد الملام
وتولى النبى عنهم خصامى!

مثلوا قوله لكم - أيها النا
دامنى! أين كنتم - إذ دعيتنى
صرخت: «يا محمداه» فهلا
لم أجبها إذ كنت ميتاً - فلولاً

بأبى تلکم العظام عظاماً
وعليها من المليك صلاة
وسقتها السماء صوب الغمام
وملام مؤكّد بسلام

انفروا أيها الكرام خفافاً
أبرموا أمرهم، وأنتم تيام،
صدّقوا ظن إخوة أمليوكم
أدركوا ثأرهم، فذاك لديهم
لم تقروا العيون منهم بنصر
أنقذوا سبيهم - وقلّ لهم ذا
غارهم لازم لكم، أيها النا
س، لأن الأديان كالأرحام



القدس

للدكتور / محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

أمانة عمارة في انتظار صلاح الدين

٢ كان «الشعر»، في ذلك التاريخ، هو أداة الأمة للتعبير عن «ثقافتها» وإعلامها...! وعندما تحققت وحدة مصر والمشرق، عبر الشعر عن دور هذا الإنجاز في تحقيق استراتيجية تحرير فلسطين - والتي كانت القدس رمزها المقدس -.. فد «العماد الكاتب» - وهو يهنيء أسد الدين شيركوه بانتصاره في مصر، يذكره أن هذا الفتح هو في سبيل تحرير القدس:

فتحت مصر، وأرجو أن تصير بها
ميسرا فتح بيت القدس عن كثر

وعندما يهنيء نور الدين، يذكره بأن شروط تحرير القدس - وهي وحدة مصر والشام - قد تحققت:

أعز الفرغ فهذا وقت غزورهم
واحطم جموعهم بالذابل الحطم
فملك مصر وملك الشام قد نظما

في عقد عز من الإسلام منتظم
أما الشاعر ابن عساكر على بن الحسن
هبة الله، فإنه يعلن أن لا عذر عن تأخير
المعركة بعد توحيد الطوق وإحكامه حول
كيانات الصليبيين، فيقول لنور الدين:
ولست تُعذر في ترك الجهاد وقد

أصبحت غملك من مصر إلى حلب
وصاحب الموصل الفيحاء تمثل
لما تريد.. فيادر فجأة النوب!

لكن الأجل لم يمهل نور الدين ليحقق
هذه الاستراتيجية التي تحدث عنها
الشعراء.. وبعد وفاته، وجد صلاح
الدين الأيوبي نفسه أمام «المهام العملية»
اللازمة لتحقيق هذه الاستراتيجية في
«أرض الواقع»، وليس فقط في شعر
الشعراء!

● كانت طاقات مصر وإمكاناتها -
وهي هائلة - قد جمدت وعزلت وذبلت
في حقبة الضعف الفاطمي، التي امتدت
نحو قرن من الزمان.. وكان على صلاح
الدين إحياء وتوظيف هذه الإمكانيات
للانتصار في الصراع ضد الصليبيين.
فبعد أن طوى صفحة الخلافة

الفاطمية، وأعاد مصر إلى الولاء للخلافة
العباسية، خاض معركة كبرى وطويلة
على الجبهة الفكرية والثقافية، ليحل
الفكر السني محل المذهبية «الإسماعيلية»
- الباطنية.. فبدأ إقامة «المدارس
السنية».. «الناصرية».. و«القلمحية»..
و«القطبية».. و«السيوفية».. إلخ.. إلخ..
والتي بنى منها في عهده ست
مدارس، كانت كل منها مؤسسة ضخمة
وجامعة.. حتى ليصف الرحالة ابن جبير
(٥٤٠ - ٦١٤ هـ - ١١٤٥ - ١٢١٧ م)
بناء إحداها - «الناصرية» - فيقول:
«إنها مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلاً،
لا أوسع مساحة، ولا أحفل بناء، يخيل
لن يتطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته،
وبازائها الحمام، إلى غير.. ذلك من
مرافقها...! ويحكى عن سخاء صلاح
الدين في الإنفاق عليها.. وقوله للقائم
على عمارتها: «زد احتفالاً وتأنقاً،
وعلى القيام بمؤنة ذلك كله»..! ولقد
ملأ الفكر السني لهذه المدارس - التي
كانت تدرس مذاهب السنة الأربعة -
الفراغ الفكري الذي كان يملؤه المذهب
«الإسماعيلي - الباطني» فحل «الانتماء»
الفكري بين «الأمة» و«الدولة» محل
«القطيعة والانقسام»، الأمر الذي مثل
إحياء وازدهاراً للطاقت المصرية في هذا
الميدان.. ولقد بلغ من التزام صلاح
الدين وتشده في هذا الأمر، الحد الذي
أغلق فيه الأزهر - ذي المناهج الشيعية -
خمس سنوات، حتى تغيرت مناهجه إلى

الفكرية السنية.. ومع «الدولة» والعلم والفكر والتعليم تحول القضاء إلى المذاهب السنية أيضا.

● وعلى الجبهة الاقتصادية، حل «الإقطاع الحربي» في استثمار الأرض الزراعية، محل نظام «الالتزام».. وهو الذي يمكن أن نسميه، بلغة عصرنا: «اقتصاد الحرب والمعرفة».. وبلغه الفقه الإسلامي: النظام الشبيه «بوقف الأرض على الجهاد في سبيل الله».. فقسمت أرض مصر إلى ثلاث وعشرين منطقة ووحدتها اقتصادية، أصبحت إقطاعات مخصصة للإنفاق على فرق وأمراء الأجناد!.. قسم الاستنفار للطاقت الاقتصادية كما تم الإحياء على الجبهة الفكرية.. وتحقيق الولاء والالتزام بين المحكومين والحكام.

● وفي التمهيد للمعارك الفاصلة، بإحكام الطوق حول الكيانات الصليبية المزروعة قسرا في وطن الأمة.. بدأ صلاح الدين أولى غزواته ضد الحاميات الصليبية في «حصن الكرك»، «جنوبي فلسطين»، لتوسيع وتأمين الطريق الذي يربط مصر بالشرق، إحصاءا لطوق الحصار حول الكيانات الصليبية.. وفي سبيل تحقيق ذلك قاد صلاح الدين أربع غزوات في الأعوام ٥٦٨ و ٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٨٣هـ.

● ولإعادة الوحدة إلى الجبهة الشرقية، التي أصابها التفكك بموت نور

الدين الشهيد، عقد صلاح الدين تحالفا بين أمراء «الموصل» و«حلب» و«الجزيرة» و«أرميل» و«كيفا» و«ماردين» وقوتية و«أرمينيا» وشارك معهم في هذا التحالف الذي نص على أن لا يحارب بعضهم بعضا.. ولم يتردد في استخدام القوة ضد من خرج على هذا الاتفاق - كما صنع مع أمير «حلب» ٥٧٩هـ - ١١٨٣م.

● وتحصينا للجبهة العامة، المكرمة كل طاقتها وإمكاناتها وجميع ثغورها لتحقيق استراتيجية التحرير بلغ صلاح الدين حد التشدد ضد كل الفكرية والفلسفات والأيدولوجيات المخالفة للمنهج - عقيدة الأغلبية وأيدولوجيتها - فقصي على دعاة «الإسماعيلية» «الباطنية».. وأمر ابنه - حاكم حلب - بإعدام فيلسوف «الغنوصية» - الإشرافية - السهروردي - المقتول - (٥٤٩ - ٥٨٧هـ - ١١٥٤ - ١١٩١م) لما أثاره، في مناظراته مع الفقهاء، من بلبلة فكرية كانت تخلط الأوراق بين الحضارات والثقافات، فتضع «زوائد» و«أفلاطون» مع نبي الإسلام؟! وتخلط «محاورات أفلاطون» مع «الوحي الكلداني» «بالقرآن الكريم»، الأمر الذي يميع الجبهة الفكرية باعتماد منهاج «الأشياء والنظائر» في وقت يحتاج فيه الصراع مع «الآخر» إلى اعتماد منهاج «الفروق» للتمييز عن الآخر، ولملء الوجدان بالكراهة له، كشرط من شروط «التعبئة» والانتصار!..

حطين صلاح الدين

وعبر هذه الإنجازات، السياسية والفكرية.. والاقتصادية.. والعسكرية، قاد صلاح الدين الأيوبي جيشه، ذلك الذي أقام مع قادته وجنوده علاقة أبوية حميمة، إلى المعركة الكبرى، التي غيرت اتجاه الخط البياني للصراع مع الصليبيين - معركة «حطين» في ٢٢ ربيع الثاني سنة ٥٨٣هـ أول يوليو سنة ١١٨٧م.. أي بعد تسعين عاما من بدء اجتياح الصليبيين لديار الإسلام!..

وعلى أرض «حطين» - في فلسطين - حشد الصليبيون ثلاثة وستين ألفا من الفرسان والمشاة.. وأدرك الفريقان أنها «المعركة المصيرية» - بلغة عصرنا - وبلغه «ابن شداد» (٦١٣ - ٦٨٤هـ - ١٢١٧ - ١٢٨٥م) - مؤرخ ذلك العصر - فلقد «علمت كل طائفة أن المكسورة منها مدحورة الجنس معدومة النفس»!.. فحطين هي بوابة القدس، التي هي رمز كل الصراع!..

وانضمت إلى حرارة صيف يوليو: حرارة النيران التي أشعلها جيش صلاح الدين في الحشائش القريبة من الحشد الصليبي.. وأيضاً الحرارة المتولدة من حدة الصراع وتلاحم المتقاتلين.. حتى ليتحدث «مكسيموس مونروند» عن «النبال المتطايرة في الهواء» تطير مثل طيران العصافير، محترقة بحوارتها!.. وماء السيوف - (أي الدماء!) - جامدة

في وسط المعركة، يغطي الأرض كمياه المطر!..

وعندما سقطت خيمة الملك الصليبي «جاي لوزنجان» مؤذنة بهزيمة جيشه، ترجل صلاح الدين من على ظهر جواده، وسجد، وقبل الأرض شكراً لله على هذا الانتصار، الذي فتح له الطريق إلى القدس الشريف!..

وفي وصف هذا الذي حدث يوم حطين، يقول المؤرخ «أبوشامة» (٥٩٩ - ٦٦٥هـ - ١٢٠٢ - ١٢٦٧م): «إن من شاهد القتلى - الفرغ - قال: ما هناك أسير!.. ومن عاين الأسرى قال: ما هناك قتيل!.. ومن استولى القرع على ساحل الشام ما شفى للمسلمين كيوم حطين!..»

● وبعد جولات حور فيها صلاح الدين العشرات من القرى والمدن والقلاع والحصون.. تقدم جيشه فحاصر القدس الشريف.. فهي رمز كل الصراع.. وبها يذكر الشعر - إعلام العصر - عند كل انتصار، وعقب كل معركة.. حتى ليقول «العماد الكاتب» لصلاح الدين، عقب انتصاره في «غزة»:

غزوا عقر دار المشركين «بغزة»
جهارا، وطرف الشرك خزيان مطرق
وهبجت للبيت المقدس لوعة
يطول بها منه إليك التشوق
هو البيت إن تفتحته، والله فاعل
فما بعده باب من الشام مغلق!

نعم... كانت القدس هي «الرمز»...
والمقصود... والمفتاح!؟

وفي يوم الأحد ٢٠ سبتمبر سنة ١١٨٧م بدأ حصار صلاح الدين لأسوار المدينة المقدسة.. وعسكر في ذات المكان الذي اقتحمها منه الصليبيون سنة ١٠٩٩م.. وأخذ يضيق عليها الخناق حتى يجبر حاميتها الصليبية - البالغة ستين ألفاً - على التسليم صلحاً، كي لا تتعرض مقدسات المدينة للدمار - وكان الصليبيون، في المفاوضات إبان هذا الحصار، يهددون بمعركة يائسة يدمرون فيها هذه المقدسات - فقالوا لصلاح الدين:

«إننا إذا يئسنا من النجاة من سيوف جندك فإننا:

- سنهدم المعبد، والقصر الملوكي، وننقض حجارتها حتى الأساسات!
- سنحرق الأمتعة والنفائس والكنوز والأموال الموجودة في خزائن المدينة!
- سنهدم جامع عمر، والصخرة المقدسة، اللذين هما موضوع ديانتك!
- وسنقتل ما لدينا من أسرى المسلمين المخبوسين في سجون المدينة منذ سنوات، وعددهم خمسة آلاف أسير!

- وسنذبح نساءنا وأولادنا بأيدينا حتى لا يقعوا في أسر المسلمين!

- وبعد أن تصير المدينة المقدسة «كيமானاً من الرديم، ومدفناً واسعاً» سنخرج للقتال قتال اليائس من الحياة،

الذي لا أمل لديه في النجاة.. فامنعنا الأمان، تسلمك المدينة دون أن يمسسها أحد من الطرفين بسوء!..

فاستجاب صلاح الدين.. ومنحهم الأمان.. فخرج الغزاة اللاتين من المدينة بما يملكون.. وبقي فيها أنباؤها - من المسلمين ومن النصارى الشرقيين -.. ونحررت القدس في ذكرى إسراء الرسول، ﷺ، من مكة إليها - في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ، أكتوبر سنة ١١٨٧م - دون إراقة قطرة دم واحدة.. وهي التي سيحت فيها خيول الصليبيين بدماء المسلمين، بمسجد عمر، قبل تسعين عاماً!؟

وبعد فتح القدس.. لم يبق - كما قال الشاعر - «باب من الشام مغلق»!..

لكن أوروبا لم تتراجع عن تجيش الجيوش مغاربة صلاح الدين.. حتى لقد فرضت حكوماتها على شعوبها ضريبة قتال سموها «عشر صلاح الدين»!؟.. فجاءت جيوش وأساطيل إنجلترا، وفرنسا، بل وجاء ملوكها.. واستمر الصراع سنوات.. حتى انتهى، مرحلياً، بالهدنة.. بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد (١١٥٧ - ١١٩٩م) ملك إنجلترا.. لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر - في شعبان سنة ٥٨٨ هـ سبتمبر سنة ١١٩٢م.

وأنفق صلاح الدين أوقات السلم في تعمير ما خربته الحرب، وبناء ما هدمه

الصليبيون.. فأقام في ميادين العمران العلمي والفكري والتعليمي والاقتصادي ركائز الإحياء التي تنمي روح الانتماء، وتنزكي عوامل التقدم على درب استكمال التحرير لما بقي في الأسر من حصون وقلاع.. وفي إعمار القدس كان صلاح الدين يحمل بنفسه الأحجار مع البنائين!

ثم سار إلى دمشق.. وفيها مرض «بالحمى الصفراوية».. وتوفي في ٢٦ صفر سنة ٥٨٩م مارس سنة ١١٩٣م.. ليدخل، لا في «تاريخ» الأمة وحده، بل وفي «ضميرها»، كواحد من أعظم عظماء الإسلام وأبرز أبطال فتوحاته منذ عصر صدر الإسلام وحتى هذا التاريخ.

الأسرار المعاصرة للقدس

لكن القوى الغربية، التي حركت ونظمت وتولت الغزوة الصليبية.. قد عادت، في مرحلة لاحقة، وفي طور جديد، لتحقيق ذات المقصد القديم: «انتزاع الأرض التي تدر سمنا وعسلاً!!» واحتكار قداسة القدس لها وحدها، وإهدار قداستها لدى الآخرين.

فبدأت هذه القوى الاستعمارية، بعد اقتلاع الإسلام من الأندلس، وإسقاط «غرناطة» (٨٩٧ هـ - ١٤٩٢م)، مرحلة «التطويق للعالم الإسلامي»:

• ففي ذات العام الذي سقطت فيه غرناطة خرجت حملة «كريستوف كولومبس» لاكتشاف طريق تطويق عالم

الإسلام.

• وعندما ضل «كولومبس» الطريق، فذهب إلى القارة الأمريكية.. خرجت الحملة البرتغالية، لتحقيق الهدف الذي لم يحققه «كولومبس»، فكان اكتشاف البرتغاليين لطريق الالتفاف حول العالم الإسلامي، عبر ميناء «رأس الرجاء الصالح» (٩٠٣ هـ - ١٤٩٧م) أي بعد خمس سنوات من سقوط غرناطة!..

• وعلى شواطئ الهند المسلمة حدثت المواجهة بين البرتغاليين وبين الجيش المصري، بقيادة المماليك (٩١٠ هـ - ١٥٠٤م) وهي المواجهة التي انتصر فيها البرتغاليون على المماليك.

• ومع تزايد نشاط حملات «التطويق»، حول شواطئ الهند، وفي بحر العرب، والخليج العربي، والبحر الأحمر.. وفي ظل ضعف الدولة المملوكية، كان الاتجاه العثماني إلى الشرق والجنوب، وإدخال العالم العربي في كتف العسكرية العثمانية (٩٢٣ هـ - ١٥١٧م) لمواجهة مخاطر هذا التطويق، الذي نجح في تثبيت أقدام الغزاة الأوروبيين في أندونيسيا.. والهند.. والفلبين - (في القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي).

وبعد نجاح «مرحلة التطويق» للعالم الإسلامي.. بدأت مرحلة ضرب «القلب» في هذا العالم..

• فبعد إذكاء الصراع بين «الصفويين



جلوب

التاريخي، عندما قال: «نحن طلائع الحروب الصليبية الجديدة»!!

مقالة جلوب

وبرزت القدس في هذه الحقبة من حقبة هذا الصراع،

كما كانت في الحقبة الصليبية، باعتبارها: «الرمز.. والمقصود.. والمفتاح»!!

قتلها.. واحتكار قداستها، قائمان على قدم وساق.

وإذا كانت ذاكرة الأمة، بواسطة ثقافتها، قد ظلت واعية بمكانة القدس في هذا الصراع التاريخي، المتعدد المراحل والحلقات.. فإن المهمة المعاصرة لثقافتنا الوطنية والقومية والإسلامية، هي إبقاء ذاكرة الأمة على وعيها الكامل بمكانة هذا القدس الشريف، وذلك حتى يطلع الفجر الجديد، بالناصر صلاح الدين الجديد!

لقد درج الناس - عامة الناس - على تسمية قضية القدس وفلسطين: «أزمة الشرق الأوسط».. والمطلوب هو الوعي بتاريخ أزمة الشرق الأوسط هذه.

ولقد أراحنا الكاتب والفنان الإنجليزي «جلوب باشا»، عندما قال: «إن مشكلة الشرق الأوسط.. قد بدأت منذ القرن السابع للميلاد»!! أي منذ ظهور الإسلام!!!

(١٩٢٠م) عندما ذهب الجنرال الفرنسي «جورو» إلى قبر صلاح الدين الأيوبي، فركله بقدمه، وقال: «ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين»!!

• ومعاهدة «لوزان» (١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م) - بين «الحلفاء الغربيين» وبين تركيا، تلك التي قننت لطي صفحة الدولة العثمانية وإسقاط الخلافة (١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م).

• وإقامة إسرائيل - تجسيدا للشراكة اليهودية - الغربية، في استعمار وطن العروبة وعالم الإسلام (١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م).

• واحتلال كامل القدس، وبدء تهويدها (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م).

• ليصل الغرب إلى الاحتفال بذكرى خمسمائة عام على بدء هذه الحقبة من حقبة هذا الصراع «التاريخي - الحضاري» بإقامة الدورة الأولمبية في «يرشلمة» على أرض الأندلس، في ذكرى اقتلاع الإسلام، وإسقاط غرناطة.. لقد كانت البداية (٨٩٧ هـ - ١٤٩٢ م) وكان الاحتفال (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م)!

• ومع الاحتفال بذكرى مرور خمسمائة عام على اقتلاع الإسلام من الطرف الغربي لأوروبا.. بدأت في نفس العام (١٩٩٢ م) حرب البوسنة، لاقتلاع الإسلام من قلب أوروبا!! وهي الحرب التي حدد وزير الإعلام الصربي موقعها في صفحات كتاب هذا الصراع

• وتقسيم جميع أقاليم الخلافة الإسلامية بين القوى الاستعمارية، وفق معاهدة «سيكس - بيكو» (١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م) وكانت القدس - رمز الصراع - من مقاصد هذا التقسيم.. حتى أن «سيكس» - الإنجليزي - قد أقيم له في قريته - «سيلمير» بمقاطعة «بوركاياير» - نصب تذكاري، يقف فيه «مزيينا بالنحاس» محصنا بالدروع، متقلدا سيفاً، وتحت قدميه يرتقي مسلم، فوقه لفافة كتب عليها «ابتهجي يا قدس»!!

• واحتلال إنجلترا للعراق (١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م).

• وإصدار وعد بلفور - الذي قنن الشراكة الصهيونية - الغربية، في هذه الحملة الاستعمارية (١٣٣٦ هـ - ١٩١٧ م) تلك الشراكة التي سبق ودعا إلى إقامتها نابليون، أثناء حصاره لمدينة «عكا» (١٢١٣ هـ - ١٧٩٩ م).

• واحتلال الإنجليز للقدس (١٣٣٦ هـ - ١٩١٧ م) ويومها قال الجنرال الإنجليزي «النتي»: اليوم انتهت الحروب الصليبية!! ونشرت مجلة «بنتش» البريطانية رسماً كاريكاتوريا تحت عنوان: «آخر حملة صليبية»، وفي الرسم يظهر «ريتشارد قلب الأسد» (١١٨٩ هـ - ١١٩٩ م)، وهو يحدق في القدس، قائلاً: «أخيراً تحقق حلمي»!!

• واحتلال فرنسا لدمشق (١٣٣٨ هـ

- الشيعة» - في إيران - وبين الدولة العثمانية - القوة الضاربة والسياسية العسكرية للعالم الإسلامي - وهو الصراع الذي اصطفتته أوروبا وورعت حروبه الدموية - ثم شغل واستنزاف العسكرية العثمانية في صراع «إسلامي» - «إسلامي»!! الأمر الذي فتح الباب لضرب «قلب العالم الإسلامي»، بعد أن تمت «مرحلة التطويق».

• فكانت حملة بونايرت على مصر (١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م).

• وبعد فشل الحملة الفرنسية على مصر، جاءت حملة فريزر - الإنجليزية - (١٢٢٢ هـ - ١٨٠٧ م).

• ثم كان احتلال الجزائر، من قبل فرنسا (١٢٤٦ هـ - ١٨٣٠ م).

• واحتلال عدن، من قبل إنجلترا (١٢٥٤ هـ - ١٨٣٨ م).

• ومنع مصر - بقيادة محمد علي باشا - من تجديد شياح الدولة العثمانية - بمعاهدة لندن (١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م).

• واحتلال فرنسا لتونس (١٢٩٨ هـ - ١٨٨١ م).

• ونجاح الإنجليز في احتلال مصر (١٢٩٩ هـ - ١٨٨٢ م).

• واحتلال إيطاليا لليبيا (١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م).

• واحتلال فرنسا للمغرب (١٣٣٠ هـ - ١٩١١ م).

كيف تستعيد الأمة دورها الحضارى؟

للاستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

نائب رئيس جامعة القاهرة سابقاً

عم يتساءل الناس؟

يتساءل الناس كثيراً عن سبب، أو أسباب، تخلف العالم الإسلامى فى القرون الأخيرة بعد أن كان العالم الأول طوال فترة زمنية امتدت لأكثر من ثمانية قرون دفع خلالها مسيرة الحضارة الإنسانية قدماً باتجاه العلم والإيمان، وأثمرت علومها وفنونها ومدنية، ووضعت نماذج إرشادية وقياسية paradigms، قامت عليها نهضة أوروبا الحديثة وحضارة التكنولوجيا المعاصرة التى تجنى البشرية ثمارها اليوم. لماذا تبدل الحال بالأمة الإسلامية إلى ما نشاهده الآن من تراجع وتخلف وانحسار عن ركب المتقدمين، فضلاً عن التمزق الذى أصاب وحدتها، والعطب الذى لحق بمنظومتها الفكرية، وانعكس بدوره على مسيرتها العملية، فكيّل حركتها، وفقد حريتها؟..

أين تكمن الأزمة إذن التى ينبغى حلها؟ وماهى «أم المشكلات» التى يجب

التصدى لها من أجل استنهاض هذه الأمة المريضة واستعادة عافيتها، وتمكينها من حمل رسالتها الإصلاحية، وأداء دورها الحضارى، واستئناف مسيرتها التاريخية الرائعة فى ترشيد الحضارة الإنسانية بعامّة، وإشاعة القيم الهادية إلى حب الحق والخير والجمال، خاصة وأن الإسلام الذى تنتسب إليه هذه الأمة يعدّ أغنى الديانات والشقافات والرؤى بالقيم والمبادئ والتعاليم والأهداف السامية المنسجمة مع الفطرة الإنسانية من جهة، والملائمة لحركة الواقع المتغيرة من جهة أخرى.

فيم يتوزع الفكر؟

نعم.. تشخيص الأزمة وتوصيف المشكلة على هذا النحو ينبىء بأن القضية المطروحة بالغة التعقيد والصعوبة، وأن الإجابة على التساؤل عن كيفية استعادة الأمة لدورها الحضارى ليست بالأمر الهين، وتحتاج إلى عمل وجهد وصبر

دعوب، أخذاً فى الاعتبار كل جبال التراكمات التى خلفتها قرون الهزائم والنكاسل والتخاذل، وسببها حالة الجمود والدوران فى فلك التبعية المقيتة، والأيديولوجيات الوافدة، والمذاهب الفلسفية المتهافنة، والتيارات السياسية المتصارعة، هذا بالإضافة إلى مستجدات الواقع المعيش بكل ماقيه من تناقضات وصراعات وعداءات، سواء على مستوى الأمة الإسلامية ذاتها ومن داخلها، أو على مستوى العالم بأسره، فى وجود مراكز قوى عملاقة تستأثر بامتلاك أسرار العلوم الحاكمة والتقنيات الدقيقة المتقدمة التى تمكنها من فرض هيمنتها وبسط نفوذها على شعوب الأرض المستضعفة.

أيضاً، الإجابة عن التساؤل المطروح عن سبب، أو أسباب، الأزمة المستحكمة التى تعاني منها أمتنا الإسلامية، والسبيل إلى الخروج منها ليست بالأمر البسيط أو الهين بسبب أطماع الأقوياء فى السيطرة على ثرواتها واستغلال مواردها الطبيعية، فى وقت تفاقمت فيه مشكلات البيئة والطاقة والمياه والغذاء، وتزايدت فيه معدلات الجهل (الأمية) والفقر والمرض. ذلك أن مساحة الدول المكونة للعالم الإسلامى تمثل أكثر من ربع مساحة اليابسة، ويزيد فى قيمة تلك المساحة الشاسعة من الأرض اتصالها مع بعضها، وتوسطها دول العالم، وتكاملها من ناحية الموارد والمناخ

والتضاريس وطبيعة الأرض، وتعدد الثروات، وتنوع مصادر المياه فيها. كما يطل العالم الإسلامى على مسطحات مائية عديدة تخترقها أهم خطوط المواصلات البحرية فى العالم، وله موانئ مهمة على كل من المحيط الأطلسى والهندي والهادى، وكل من البحر المتوسط، والبحر الأحمر، والبحر الأسود، وبحر قزوين، كما يتحكم فى مداخل كل من المحيط الهندي، والبحر الأحمر، والبحرين الأبيض والأسود، هذا بالإضافة إلى عدد من المسطحات والقنوات المائية المهمة، مثل البحر الأحمر، والخليج العربى، وبحر عمان، والبحر العربى، وبحر مرمرة، وقناة السويس.

أما من ناحية الثروات الزراعية والحيوانية والتعدينية، فيكفى أن نشير إلى المساحات الهائلة من الأراضي الصالحة للزراعة، بينما شبح المجاعات يتهدد العالم بأسره الآن، كما نشير إلى مايمكن تربيته وإنتاجه من حيوانات صالحة للغذاء وصناعات مختلفة قائمة عليها، وإلى ما يوجد من خامات العديد من المعادن بنسب متفاوتة يصل بعضها إلى ٢٥٪ (القصدير)، بل إلى ٤٥٪ (الفوسفات واليورانيوم) من احتياطي العالم. وبالنسبة للنفط فإن العالم الإسلامى يملك مايزيد على ٧٥٪ من احتياط النفط العالمى، و٢٥٪ من احتياط الغاز الطبيعى. هذا بالإضافة إلى ثراء

العالم الإسلامي بمختلف مصادر الطاقة النظيفة والمتجددة، مثل الطاقة الشمسية والطاقة الهيدروجينية وطاقة المياه والرياح.

هكذا، بين تراكمات الماضي، وصراعات الحاضر، وأطماع الآخر، يتوزع الفكر وتتباين الرؤى والآراء. فهل من بداية جادة لمعالجة علمية رشيدة تفضي إلى الفراج الأزمنة التي ضاقت واستحكمت حلقاتها، وتدفع المسلمين إلى استعادة دورهم الحضاري في خدمة الإنسانية؟

الإفادة من مشاريع

الإصلاح والتجديد

ربما يكون أول ما يتبادر إلى الذهن على طريق الإجابة هو حسن الإفادة من محاولات التجديد والإصلاح التي قام بها أو دعا إليها علماء الأمة المجددون. فقدور هذه الأمة، أمتنا الإسلامية العريقة - أن تحمل أمانة الاستخلاف التي اختارها الله - سبحانه وتعالى - لها، وتبلغ رسالة السماء الأخيرة إلى الناس كافة حتى قيام الساعة، قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَظُّونَ ﴾

(سورة الحجر: ٩)

وقال سبحانه:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(سورة آل عمران: ١١٠)

ولقد واجهت الأمة، ولا تزال تواجه، تحديات كثيرة منذ بدأت حمل هذه الأمانة مع سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، وحتى يومنا هذا. واستطاعت، رغم هذه التحديات أن تقدم للإنسانية في ظل الإسلام نموذجاً حضارياً راقياً ورائداً ارتفع بالإنسان سلوكاً وفكراً، فعمر حياته على الأرض بالعلم والإيمان، وأثرى مسيرة الحضارة الإنسانية بتجربة متميزة وثريّة.

وعندما زادت خطورة هذه التحديات، فانتع مكان المواجهات وطال زمانها، لم تسلم هذه الأمة، ولم يجر عليها قانون الزوال الذي فعل فعله في أم أخرى، وبقيت لأنها تحمل أمانة تبليغ الرسالة التي وعدها الله - تعالى - بحفظها، وحاولت التغلب على هذه التحديات بحركات إصلاحية كثيرة: فكرية وعملية. هذه المحاولات هي التي أبقت نبض الحياة في الأمة لتظل حاملة شعلة الأمانة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

لهذا ينبغي الإفادة من كل محاولات الإصلاح والتغيير والتجديد التي مرت بها الأمة في مواجهة الأزمان والتحديات، بهدف العودة إلى الصراط المستقيم واتباع الهدى الإلهي بعزم وإصرار على مواصلة السير حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد يكون من أقرب هذه المحاولات إلى أيامنا، وأكثرها

ملاءمة لظروف عصرنا، ما قدمه الإمام محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) من خلال مشروعه الفكري ورسالته التنويرية ومنهجه الإصلاحية لتقنين دعاوى الفصل بين الإسلام والعلم، ودافع بحجة وموضوعية عن وحدة الفكر الإسلامي عن طريق التوفيق بين الحقائق الإيمانية والعلمية لتلبية مطالب الحياة الحديثة، وسعى إلى التقريب بين ما ينبغي للمجتمع الإسلامي أن يكون عليه، وبين ما بات عليه في الواقع، متخذاً من ثنائية الإيمان والعلم أساساً لتفعيل الإصلاح وإطراد التقدم وتمييزه، وفي يقينه أن العقائد إذا ما سلمت من البدع تبعتها سلامة الأعمال من الخلل والاضطراب، واستقامت أحوال الأفراد، واستضاءت بصائرهم بالعلوم الحقيقية، دينية ودنيوية، ونهضت أخلاقهم بالملكات السليمة، وسرى الإصلاح منهم إلى بقية أبناء الأمة.

وقد أقام الإمام محمد عبده منهجه في الإصلاح على الوسطية الإسلامية الجامعة، مخالفاً في الدعوة إليه رأى الفئتين العظميين اللتين يشركب منهما

جسم الأمة: طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم، وطلاب علوم العصر ومن هو في ناحيتهم. وكان يؤمن بإيمان الدين المتين أن التقدم العصري رهين بعلوم لنا أهملناها وهجرناها، وعلوم لقينرنا سبقونا إليها ولم نلحقهم في غير القليل منها، وهي من لوازم حياتنا في هذه الأزمان، لا بد لنا من اكتسابها، وبذل الجهود في طلبها، لأنها كافة عنا أيدي العدوان والهوان، وأساس لسعادتنا ومعيار لثروتنا وقوتنا، وأن تفوق الأمم على بعضها إنما يقاس بقلية أفكارها والمهارة في معارفها^(١).

إن منهج الإصلاح والتنوير الذي خلقه لنا الإمام محمد عبده يؤكد لنا اليوم أن مبدأ الاستخلاف الذي يطرحه الإسلام بحاجة ماسة إلى ترسيخ مفهومه الصحيح في بؤرة اهتمام المسلمين، باعتباره واحداً من المبادئ الإسلامية الحاكمة التي يرقدها العلم والعمل معا ليتمكننا لهم في الأرض، ويتحقق بهم وعد الله - سبحانه وتعالى - بحفظ رسالته الخاتمة وتليغها إلى الناس أجمعين.



(١) راجع أعمال الإمام محمد عبده: «دراستنا: حول رؤية الإمام محمد عبده لعلاقة العلم بالدين»، مجلة المسلم المعاصر، العدد ١١٩/١٢٠، ٢٠٠٨ م.

التفكير الإبداعي ودوره في التقدم الإنساني بحالته وضوابطه

لفضيلة الشيخ / فوزي فاضل الزقزاق

عضو مجمع البحوث الإسلامية

خطورة حين يعتقد هؤلاء أن رجال الدين يقفون أمام الحرية الأدبية للكاتب، وأنهم يعيدون عهود الحجر الأدبي القديمة، ولقد سمعت بعضهم يقول: إن رجال الدين يريدون أن يعيدونا إلى القرون الوسطى!!

ولا أعرف أي قرون وسطى هذه التي يشيرون إليها، وأي عودة يقصدونها؟

إن الواقع غير ذلك تماماً فالإبداع الأدبي الهادف هو ما يحرص عليه ذوو الرسائل السامية من المفكرين والأدباء، وأصحاب الدعوة إلى الرقي الأخلاقي والأسلوب العالي من الكتاب، وهو ما يجدونه في صحف الأدب الرفيع.

وكتاب الله عز وجل هو الصورة الأدبية الرائعة للبيان العربي في التعبير عن قصة خلق الكون، وعن الدعوة إلى عمارة الأرض، وعن التفكير الهادف، وعن التوحيد وعبادة الله، وعن قصص الأنبياء والأمم السابقة، وعن العبادات والتشريعات والأخلاق، وعن الحياة والموت، وعن البعث والشواب والعقاب... إلخ ما تضمنه القرآن الكريم من

الواقع المؤلم!!

وقبل أن أتحدث عن قضية التفكير التقدمي والإبداع، ودورهما في المجتمع. أرى أن الواقع المؤلم الذي نعيشه الآن وتغانيه من حيث اختلاط المفاهيم، وتداخل الاصطلاحات، وعدم تحديد المعاني، ودعوة التحرر المطلق في الكتابة والتأليف دون قيد أو شرط يتطلب وقفة نظر.

إن الذي يتأمل فيما تخوض فيه كثير من الأقلام حالياً: من أحاديث عن حرية الكاتب المطلقة فيما يكتب وضرورة أن توفر هذه الحرية له كي يتمكن إبداعه من الانطلاق فينتج ما يعبر به عن مشاعره الذاتية، وأفكاره الشخصية بأسلوب الذي يختاره، والكلمات التي تروق له...

من يتأمل ذلك يتصور أن هناك من يمنع الكاتب عن ممارسة الحرية الإيجابية الهادفة التي تبنى ولا تهدم، وتعمر ولا تخرب، أو من يقف حائلاً دون تصوير المشاعر الإنسانية تصويراً راقياً، بل يزيد الأمر

عندما نشرت وسائل الإعلام ذلك، قوبل هذا الخير بارتياح كبير من المسلمين، لحمايتهم مما يطبع وينشر ويتداول من مطبوعات فيها إساءة للإسلام والمسلمين، ومعلومات خاطئة عن الإسلام وشرائعه ومبادئه وأحكامه، واقتراءات وأكاذيب عن الرسول - عليه الصلاة والسلام -، وعن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وفيها دعوة إلى الإلحاد والزندقة.

غير أن فئة قليلة ممن ينتسبون إلى الكتاب لم يرضها ذلك، وبكت وتباكت على حرية القول والتعبير، والإبداع الفني والتصوير!!

فرايت من واجبي - كمسلم أولاً - وبصفتي من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر أن أكتب موضحاً: أن الإسلام يدعو إلى التفكير الإبداعي، وإلى أعمال النظر والعقل في خلق الله، وإلى حرية التعبير وإلى الأخذ بالأسباب التي تساعد على التقدم الإنساني...

غير أن هذا التفكير الإبداعي له مجالاته وضوابطه...

عندما نشرت وسائل الإعلام المصرية في أواخر شهر يوليو الماضي: أن مجلس الدولة أكد على أن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر له حرية إصدار قرارات بعدم الموافقة على طبع ونشر وتداول أي مؤلف إسلامي إذا كان ما جاء به مغلوفاً يثير البلبلة ويشكك في العقيدة إلى حد يصل معه هذا المؤلف إلى مجموعة من الطلاس والألفاظ ولا تؤخذ منه فكرة علمية صائبة...

وهذا التأكيد جاء تطبيقاً وإعمالاً لنصوص مواد القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها، وللجنة التنفيذية له الصادرة بقرار رئيس الجمهورية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥.

معاني ومقاصد، وعبادات ومعاملات،
وأحكام وتشريعات...

الإبداع الريائي

ولا ينكر أحد أنه نمط فريد من الأسلوب
الأدبي الراقى، والبلاغى المعجز يحاول أدباء
العربية الأصلاء احتذائه والاقتباس من
سموه، هذا الإبداع الريائي يضرب المثل
الحقيقى لكل من يحاول الإبداع البشرى
فيستمر بالقارئ إلى معارج الكمال...

ادعاء أن الإبداع الفكرى محارب

وسببه عند من يدعونه

ولكى أكون صريحا غاية الصراحة، فإننى
أرى أن الذين يدعون أن الإبداع الفكرى
محارب من بعض الأفراد والمؤسسات
والهيئات، لا يقصدون بالإبداع الفكرى ما
يصور خوالج النفس الشريفة، وما يدعو إلى
الارتقاء بالقارئ إلى عالم من الإحساس
الشريف الذى يريح أعصابه، ويسمو به إلى
مثل من الشعور الإنسانى تجذبه إلى الكمال،
وتدعوه إلى الفضائل... بل يقصدون
ناحيتين هامتين هما موضوع الاحتجاج على
ما يكتبون:

• **أما الناحية الأولى:** فانجذبتهم
بتعمد وإصرار، وبأسلوب مباشر صريح
وغير صريح إلى تحقير المثل الرفيعة، وإلى
الانحطاط الأخلاقى، وإلى الحياة البهيمية
الحيوانية، وإباحة مظاهر الشذوذ الإنسانى
فى تصوير النوازع الهابطة، والإسفاف

الثائن، وجعل الأدب صورة من أحاديث
الساقطات والساقطين فى الخنادع المريسة
بدعوى أن الفن للفن، وأن كل من يصور
لحظات السقوط أديب فنان...

وهذا فى الواقع انحراف عن مثل الأمة
وأهدافها، ودعوة إلى إشاعة الإباحة الهابطة
على نحو ينذر اجتماع بالسقوط والتردى إلى
مدارك الرذيلة، وظلم لفهوم التفكير
الإبداعى، ومعناه، وغايته...

الأدب والأدباء بين الأمس واليوم

وقد عرفنا من كبار الأدباء والكتاب فى
الجيل الماضى من كتبوا: القصة، والقصيدة،
والمرحبة، والمقالة...، وعالجوا مشاكل
العاطفة، ومعضلات الحياة الوجدانية دون أن
يتحدروا إلى الإسفاف الدنىء، متأدبين
بآداب الفضائل الدينية، وقيم المجتمع
الأخلاقية، ولم تظهر عند أدباء الجيل الماضى
كتوفيق الحكيم، ومحمود تيمور، وعلى
أحمد باكثير، والمنفلوطى، والرافعى،
وغيرهم كثير... ما يدل على انحدر فى
تصوير العواطف، أو إسفاف فى أسلوب
التعبير على نحو ما نراه الآن... مما سبب فى
اعتراض الشرفاء القيورين على قيمهم
الدينية، وأخلاقهم الاجتماعية، ومثلهم
العليا، اعتراضهم على ما يطبع وينشر من
قصص وكتب مليئة بالانحدر والإسفاف
والإفساد الذى يدافع عنه من يظنون أن
حديث الجنس الساقط أدبى، وأن الإباحية
تقدما، وأن الإلحاد فكرا، وأنه يجب أن يذاع
وأن ينتشر دون اعتراض...

• **أما الناحية الثانية:** فهى الهجوم
على المثل العليا فيما يتحدثون به عن أنبياء
الله والمرسلين، فقد تركوا كل احترام وتقدير
لهذه المثل، واندفعوا يسوقون على السنة
إبطالهم فى كتبهم ما يبرأ منه الواقع الحقيقى
لهؤلاء الكرام، بل يزيدون فى غيبهم
وانحرافهم وسقوطهم فيتحدثون عن الذات
الإلهية حديث الساهر العايب، ويجعلون
هذه الأحاديث مثالا لحرية الفكر!! كأن
حرية الفكر لا تكمن عندهم إلا فى الهجوم
على المقدمات الدينية، وأصحاب المثل العليا
من الرسالات السماوية...

وقد يكون كاتب هذه القصص نكرة إمعة
لا تاريخ له فى دنيا الأدب، ويريد الاشتهار
بالإلحاد فيتجرا أتما على الحديث عن الله عز
وجل، وعن الرسل الكرام، وعن الصحابة
رضوان الله عليهم، بما تندى له الوجوه
خزيا، وحق للقارئ المتدين أن يشور على هذا
الإمعة الهابط ويتساءل: كيف جاز لهرائه أن
يطبع؟ وأن توزعه الدولة فى مجموعة ما
تنشر من الكتب والقصص؟

فإذا قامت هذه الثورة الغاضبة، وجدنا من
أرباب الأقلام من يدعى ويعلن فى صوت
عال بلا حياء ولا خجل أن فى ذلك محاربة
لحرية الفكر والإبداع وأن الأدب لا يتقيد
بأفكار يحترمها المجتمع... وربما خجل أحد
هؤلاء المدافعين فحاول أن يبرر هذا السقوط
بقوله: إن هذا الإلحاد قد جاء على لسان بطل
لا يصور عواطف الكاتب. والذى يقول هذا
التبرير لا يستطيع أن يجهر به أو ينطقه إذا
كان الحديث عن رئيس دولة أو صاحب

سلطان وسطوة... بل تجده يهب مستنكرا له
أبتع استنكار... أما أن يكون الحديث
الساقط عن إله السموات والأرض، أو عن
نبي من أنبياء الله، فهنا تبرز قضية وقصة:
الفن للفن، وهنا يحلو التباكى على حرية
الفكر والإبداع...، وربما يتشنج البعض
فيكتسبون العرائض، ويجمعون التوقيعات
دفاعا عما يسمونه حرية الفكر والإبداع...
وهذا ما نشاهده الآن آسفين، ولو كان
لدينا رأى أدبى محترم لقبح هؤلاء فى
جهورهم وانزروا فى مخابثهم، وعلموا أن
أحاديث الزندقة والإلحاد من ناحية،
وأحاديث الجنس الهابطة من ناحية أخرى
ليست جديرة بتأييد أو دفاع، وأن كرامة
المجتمع ومصلحته تأبى هذا الانحدر...

الهدف والقصد والغاية

من الإبداع الفكرى

نعود إلى قضية الإبداع الفكرى
فتساءل: هل رسالة صاحب القلم أن يرقى
بمستوى قارئه أم يهبط به؟؟ وأيهما أجدى
على المجتمع وأنفع للناس.

أن يقرأ الإنسان قصة تصور الهبوط
الجنسى فى مراحل المتدنية - وقد يكون
شايأ حديث الخبيرة فيذهب بأروهامه
وتخيلاته مذاهب شتى تهين له جوانبا من
السقوط، ويستشعر الحرمان إذا لم يجد فى
حياته صورة لهذا الذى قرأه - أم أن يقرأ
صورة مهذبة تحببه فى الطهارة والعفة،
وتدفعه إلى تصور عالم فاضل تكون فيه

هل يعرف الغرب قدر الإسلام؟

للدكتور/ حمدي فتوح والي

عقيدة ودستورا بما هو مخالف لذلك كله، بل بما هو ضده؟!

وبرغم صعوبة تلك المعضلة وخطورتها، فإن الإصرار اليهودي الصليبي لم ييأس، وإنما أحسن دراسة الحالة، ودقق في الشخص، ثم ذهب ليضع منظومة العمل التي وزعت أدوارها بكل براعة، وهيئت لها الأسباب لتؤدي هذه الأدوار بكل إتقان.

لقد بدأ القوم بدراسة عناصر القوة التي تضمن قيام هذا الكيان؛ فعمدوا إلى استهدافها، وأصروا على ضرورة إضعافها ثم إسقاطها.

وحتى لا يكون الكلام مجرد اجتهاد مني أو استنباط واستنتاج سأترك كبار مفكرى الغرب ممن قادوا حملته الصليبية الأخيرة وحققوا لأنفسهم المراد، وبلغوا بتخطيطهم وقيادتهم لحافل تلك الجيوش إلى أخطر النتائج، سأترك لهم المجال لتعرف منهم على أخطر عناصر القوة في ديننا، ثم ننظر كيف تعاملوا مع هذه العناصر؟ وكيف كانت نتيجة تخطيطهم؟

ما أحوج أمتنا إلى قيادة روحية وفكرية وثقافية تعيد لها رسم عقلها وصياغة فكرها وترتيب أولوياتها وتحديد ملامح أصدقائها وأعدائها، حتى تحسن ممارسة الحب والبغض، وحتى تدرك من جديد كيف تعبد الله - سبحانه وتعالى - بإحسان الولاء والبراء وكيف تحسن الدعوة إليه على بصيرة.

لقد نجح أعداؤنا في تهميش دور العقيدة في حياتنا واستطاعوا أن يقنعوا قادة الفكر في أمتنا بأن الانطلاق في التعامل الدولي من منطلق العقيدة واليقين تعصب شائن وانغلاق أحق، وتطرف مقبوت.

ولم يقفوا عند حدود القول في ذلك، وإنما انطلقوا ليشعروا في نظر الأمة كل رمز يمت إلى الفكرة الإسلامية بصلة.

ولما كان أمر الأمة كله قائما على الإسلام ومصيرها به، فقد وجد الأعداء أنفسهم أمام معضلة عويصة؛ إذ كيف يقنعون أمة تحكم بالإسلام سياسة وتنحازكم إليه شريعة، وتعامل به سلوكا، وتهتدى به أخلاقا، وتستند إليه تاريخا، وترجع إليه

فماذا يرى القارئ في هذا النص القرآني الشريف؟؟ لقد تحدث عن أدق العلاقات الجنسية في قوله تعالى: «فلما تغشاها حملت حملا خفيفا» كما تحدث عن متاعب الحمل والأم الحامل في قوله:

﴿ فَلَمَّا أَتَتْكَ ﴾ ، ولم يتترك الأمر دون الاتجاه إلى السماء فقال - جل شأنه - :

﴿ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا حَبْلًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

وهذا مثل يحتذى بين الكتاب النابهين، فقد كنا في عهد الدراسة الثانوية نقرأ آثار المنفلوطي - رحمه الله - وقصصه العاطفية من نحو: «ماجدولين» و«الشاعر» و«الفضيلة» وغيرها فترى العفاف في أجمل مظاهره، ويشعر قارئ الفضيلة «مثلا» أنه قرأ كتاب أخلاق وقصة أدب معا...

والقصة مترجمة عن الفرنسية، أي أنها لكاتب أوربي كبير لم يشأ أن ينحدر في تفكيره انحذار من ترسم خطاهم من الإباحيين، فإذا كنا نحرص على تقليد أدباء الغرب فلماذا لا نقلد الموهوبين منهم ذوي الالتزام الخلقى، كما في روايات الفضيلة، وما ترجمه الأسانذة: أحمد حسن الزيات، ومحمد عوض محمد، و خليل مطران، وغيرهم وغيرهم من روائع القصص الأوربي النبيل..

يتبع

الأسرة الإنسانية سعيدة بالتعاون التخلص، والتحاب الشريفة، واحترام الحقوق والحدود، فيشرئب ويسعى إلى تحقيق ما يقرأ، ويرتفع بنفسه إلى مستوى ينأى به عن تخيل المفاصد المنحدرة؟؟

إن رسالة الأديب الحق هي رسالة الأنبياء والمرسلين... فإذا كانت مادة القراءة منحدرة مسفة فإنها شيطان أخرس يوسوس للقارئ بما يؤذيه ويكدر حياته، ثم إن الحياة ليست جنسا فقط حتى يتكالب كتاب القصة على تصوير الجانب الحيواني من هذا الاتجاه!!

إننا لا ننكر قوة الغريزة ودافعها الذي يتطلب الإشباع، ولا ننكر على الأديب أن يصور هذه الدوافع تصويرا نبلا، ويستطيع كل كاتب أن يعبر عن أخرج المواقف وأشدّها حساسية بما لا يؤذى الشعور الإنساني، وبما يجعله محترما أمام قارئه.

والقرآن الكريم قد عبر عن أدق العلاقات الجنسية تعبيراً نبلا يضرب به المثل الراقى لمن يريد أن يتحدث عن العواطف الإنسانية في اتجاهها الجنسي.

يقول الله - عز وجل - في محكم كتابه:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَبْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْكَ دَعَا إِلَهُ رَبُّهَا إِلَيْنِ، آتَيْنَا حَبْلًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

(الأعراف: ١٨٩)

يقول أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢م:

«إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدا مباشرا عتيفا، هو الخطر الإسلامي...» ويتابع: قلنعت هذا العالم ما يشاء، ولننقر في نفسه عدم الرغبة في الإنتاج الصناعي والفني، فإذا عجزنا عن تخطيط هذه الخطة، وتحرير العملاق من عقدة عجزه الفني والصناعي، أصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة، خطرا داهما ينتهي به القرب، وينتهي معه دوره القيادي في العالم»^(١).

ويقول المستشرق الأمريكي و. ك. سميث:

«إذا أعطى المسلمون الحرية في العالم الإسلامي وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية؛ فإن الإسلام سينتصر في هذه البلاد وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها».

وينصح رئيس مجلة تايم في كتابه «سفر آسيا» الحكومة الأمريكية أن تنشئ في البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون سيطرة دعوة الإسلام على الأمة الإسلامية، وبالتالي الانتصار على الغرب وحضارته واستعمارها.

إن الغرب كان واقفيا وعاقلا عندما فكر لنفسه ورصد الخطر بموضوعية ووضوح، وأدرك عن طريق عقلائه وحكمائه طبيعة هذا

الخطر وكيف يسقطوه، فكانت مرثيات المستشرقين الذين فرغوا جهودهم لدراسة الإسلام والولوج إلى أسرارته تقابل بكل جدية واهتمام.

مواضع القوة.. ومواطن الضعف!!

ولهذا فلم يكن غريبا أن ينشط هؤلاء لدراسة ديننا وعقيدتنا دراسة حولت علماء المسلمين تلامذة على أيدي هؤلاء العلوج الذين خدموا عقيدتهم أعظم خدمة عندما أهدوا إلى حكامهم وقادتهم نتائج أبحاثهم وخلاصة مرثياتهم، فكانت تلك النتائج والأبحاث بمثابة المفاتيح التي أداروها في نفوس أبناء المسلمين فقيروها.

لقد أدركوا مواضع القوة في الإسلام فحذروا قاداتهم منها، وأعدوا الخطط الحكيمة الدقيقة لكيفية إضعاف تلك العناصر وإسقاطها.

كما درسوا نقاط الضعف واستطاعوا ببراعة أن يستثمروا وينفذوا منها إلى ما يشاءون.

ولقد وضح جيدا أن نظام الخلافة الإسلامية الذي يضم أمة الإسلام جميعا في كيان واحد، هو أخطر ما يخشى منه الغرب على كيانه ومستقبله.

فهؤلاء الحاقدون لم ينسوا أبدا ما أصيب به آباؤهم من هزائم منكرة وضربات مرة إبان حروبهم الصليبية المتكررة مع المسلمين.

ولم ينسوا أبدا أن جيشا لا يتحرك إلا بكلمة رجل واحد هو خليفة المسلمين أمر خطير؛ فكان هدفهم الأول هو إسقاط ذلك الرمز الذي يستطيع أن يهزم عروشهم ويذل كبرياءهم بإشارة من يده أو بكلمة من فمه.

وقد صرح أحد الكتاب النصارى بقوله: «إن أوروبا كانت تنزع من الرجل المريض؛ لأن وراءه ثلثمائة مليون من المسلمين على استعداد للجهاد بإشارة من إصبعه»^(٢).

تغريب الشرق

ومن منطلق إدراك الغرب لخطر الإسلام وإحاطتهم ومعرفتهم لحقيقته التغييرية، رأينا الخوف الشديد فيما صدر عن كبار مفكرينهم الذين تخصصوا في تحصيل أقوامهم ضد الإسلام، واجتهدوا في تشويه صورته لديهم حتى يطمثوا إلى عمق الهوية بين أتباعهم الغربيين وبين الإسلام.

يقول المستشرق «هاملتون. جب»:

«إن تغريب الشرق إنما يقصد به قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع في كل ناحية من النواحي، وإذا أمكن قطع صلة التفكير والعقيدة بين الماضي والحاضر أمكن صبغ ماضي الشرق بلون قاتم مظلم يرغب عنه أهله فتفقد بذلك أعظم جانب من حيويتها، وتبقى عالة على الغرب تتطلع إليه تطلع إعجاب وتقديس وعبادة،

وترى في خضوعها له شرفا كبيرا»^(٣).

تلك هي الغاية الشيطانية التي يحلم بها، ويخطط لها المستشرقون. قطع صلة المسلم عن ماضيه، وتفريغه من الإحساس بعظمة هذا الماضي وقداسته، بل يريدون له أن يتحول كارها لدينه زاهدا فيه؛ وعند ذلك لا يجد أمامه إلا ما يقدمه له أسياده المستعمرون فيتبعهم ويلبث وراءهم، وهو في هذه التبعية لن يكون شريكا وإنما هو تابع ذليل، ولن يرقى فيهم إلى درجة المواطنة أو الشعور بالانتماء، وإنما سيظل منبوذا محترقا من هذا الكافر الذي أغراه وأضله، لأن هذا النوع من الناس الذي سهل عليه خيانة أهله وازدراءهم لا يكتر عليه خلع أسياده الجدد.

إن المؤامرة على المسلم لكي ينقطع عن أصوله ويكره ماضيه لا يقصد منها أن يدخل النصرانية فذلك شرف في نظرهم لا يستحقه هؤلاء المتخلفون، وإنما المقصود أن يفرغ من عوامل القوة التي تجعله يستعصى على التبعية والرضا بالكفر الصليبي أو اليهودي بعد أن يفرغ من عقيدته ومبادئه، وهذا وحده مكسب كبير.

﴿وَدُّوا أَنْ

تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهْجُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ

(٢) الغارة على العالم الإسلامي - محب الدين الخطيب

(٣) هاملتون. جب - من كتابه «وجهة الإسلام»

(١) جند الله - سعيد جوي ص ٢٢

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنْجَدُوا مِنْهُمْ وَلَا تَكُونُوا مِثْلَهُمْ ﴿٨٩﴾

(النساء: ٨٩)

إن أبالسة الغرب يدركون عن يقين أن قوة المسلم في عقيدته، ولهذا كان استهدافها هو الهدف الأهم والأعظم في أولويات حياتهم.

رحمة الإسلام

يقول جوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»:

«الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب. إن الإسلام هو الذي أعطى المسلمين هذه الرحمة، وهذا التسامح، ونحن رأينا صوراً مختلفة: مثل حرب الأفيون، وأقصى منها حروب الاستعمار الحديث، وأشد منها ظلم الصهيونية وقسوتها وحبها للدماء والعدوان والإبادة».

وتلك شهادة من رجل رضع لسان النصرانية، وتغذى على الكيد للإسلام، جاء إلى بلاد المسلمين باحثاً عن نقاط الضعف لينفذ منها ويقدمها هدية لقادة الحروب من الصليبيين، ولكنه لم يجد مهرباً أمام وضوح هذه الحقيقة من أن يعترف بها خاصة، وأنها حقيقة تغطي بإجماع إخوانه من المستشرقين، لكن منهم من ملك القدرة النفسية فأعلنها، وكثير لم يستطيعوا إعلان ذلك.

ومن الصف الأول الذي لم يجد بدا من إعلان إعجابه برغم شدة تعصبه لدينه: المؤرخ الإنجليزي المعروف «أرنولد تويني» الذي يقول:

«إنني أغبط أتباع المجتمع العربي لما تضيفه عليهم الأمة العربية؛ إنه في داره ما دام في بلاد عربية إسلامية».

الإسلام قوة الغد العالمية

وهذه شهادة لرجل من أعظم كتاب الغرب في القرن العشرين، هو المستشرق الألماني: «باول شميرز» يقول في كتابه «الإسلام قوة الغد العالمية» الذي كتبه في الثلاثينات من القرن العشرين: «سعيد التاريخ نفسه ميتداً من الشرق عوداً على بدء، من المنطقة التي قامت فيها القوة العالمية في الصدر الأول للإسلام، وستظهر هذه القوة في تماسك الإسلام، ووحدته العسكرية، وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها».

فهل يعي المسلمون دورهم، وهل ينتهون إلى قوتهم، ويدركون طبيعة المهمة التي وكلها الله إليهم فيتقدموا للعالم اليوم بطوق النجاة؟

إن الغرب يعترف بقوة الإسلام وعظمته، ويدرك حقيقة الإسلام ومدى خطورته، لكن ذلك كله لا ينبع من نفوس منصفه أو مشاعر متعاطفة، وإنما مرد ذلك كله الخوف الشديد من أن يعود العملاق إلى القيادة، ويستيقظ المسلم من جديد. إنهم يجتهدون في رصد الحقائق والاعتراف بالواقع حتى لا يخدعوا أنفسهم وقادتهم فيضلوا عن الحقيقة فيصابوا في تخطيطهم بانتكاسة، أو يقاسموا بما لا يحسبون؛

ولهذا فهم يقولون ما يقولون من باب التحذير والتهويل.

واليك هذا النموذج من التحليلات السياسية الدقيقة التي يرفعها المستشرق الإنجليزي «هاملتون. جب» المستشار الثقافي لوزير المستعمرات البريطانية في مصر لقادته، يقول في كتابه «وجهة الإسلام»: «هل يمكن أن تقع يوماً ما تحت وطأة الخطر الإسلامي؟!»، ويعد أن يذكر الأجوبة المختلفة التي تستبعد هذا الخطر أو مجرد توقعه يقول: «أجل إنهم اليوم ضعاف متفرقون، لا نرى عزماً أكيداً لدى شبابهم يحملهم على التصححية، ولا نرى عند ذوي الرأي والوجاهة فيهم أنهم يستطيعون الجلوس معا جلسة جدية يتحدثون فيها عن مشاكلهم، فضلاً من أن يتمكنوا من حلها».

وبعد استعراض دقيق لأصول العالم الإسلامي واتجاهه نحو عقد المؤتمرات منذ بداية القرن العشرين وتشكيكه في جدوى هذه المؤتمرات، وأنها لن تبلغ غايتها حتى بعد مدة طويلة من الزمن يعود فيقول:

«ولكن ينبغي ألا نبالغ في تقدير هذه المدة؛ لأن هناك ظاهرة كثيراً ما يهملها الباحثون في حركات المجتمع الإسلامي مهما كان نوعها، وهي أنها تنضج بسرعة مذهلة؛ حتى إن وجودها يندر أن يخطر على بال أحد قبل أن يتدلع لهيبها ويروع

العالم»، ويختتم الرجل كلامه بقوله: «إن المسألة الكبرى هي مسألة الزعامة؛ فحينما يجد الإسلام صلاح الدين الجديد رجلاً يجمع بين الحنكة السياسية العظيمة وبين شعور برسالته الدينية يبلغ أعماق نفسه؛ فإن ما عدا ذلك ينحل من تلقاء نفسه»^(١).

نبوة غربية

وأختم هذه الشهادة التي يقدمها كتاب الغرب اعترافاً بقدر الإسلام بما كتبه الدكتور أحمد شوكت عن المستشرق الغربي «ألير شارود» الذي تناول الحديث عن المسلمين فقال:

«إن هذا المسلم الذكي الشجاع قد ترك لنا حيث حل آثار علمه وقته، آثار مجده وفخاره، إن هذا المسلم الذي نام يوماً عميقاً مئات السنين قد استيقظ وأخذ يتنادى ها أنا ذا لم أمت، إنني أعود إلى الحياة، لا لأكون أداة طيعة أو كتلاً من البشر تسيرها العواصم الكبرى»، إلى أن يقول: «ومن يدري؟ قد يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الفرنج مهددة بالمسلمين، فيهبطون من السماء لغزو العالم مرة ثانية في الوقت المناسب أو الزمن الموقوت... لست أدعي النبوة ولكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة؛ لا تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها»^(٢).

(١) الأستاذ جوت سعيد. لم هذا الرعب كله من الإسلام؟ ص ١٦.

(٢) الصغر نفسه ص ٢٧.

مشروع الاتحاد من أجل المتوسط

للاستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

باحث في الشؤون السياسية

أطلق الرئيس الفرنسي «نيكولا ساركوزي» مشروعه لتعزيز التعاون بين دول ضفتي البحر الأبيض المتوسط، الشمالية والجنوبية تحت اسم «الاتحاد من أجل المتوسط» في قمة باريس يوم الأحد ١٣ يوليو ٢٠٠٨ التي رأسها عن الضفة الشمالية «نيكولا ساركوزي»، وعن الضفة الجنوبية الرئيس المصري «محمد حسني مبارك». فقد جاء على لسان الرئيس الفرنسي في حوار لجريدة «لوفيجارو» الفرنسية في ٨ مارس ٢٠٠٨ «أن الرئاسة ستكون ثنائية، أي رئيس من دول شمال المتوسط، ورئيس من جنوبه، وستتم اجتماعات رؤساء الدول والحكومات كل سنتين» وحضر قمة هذا الاتحاد المتوسطي ٣٤ دولة أوروبية، و٧ دول عربية تمثل الضفة الجنوبية للمتوسط هي مصر ولبنان وسوريا والمغرب والجزائر وتونس وفلسطين برئاسة «محمود عباس» بالإضافة إلى قطر بينما غابت ليبيا عن هذه القمة لأسباب متوردها فيما بعد، ويرى محللون أن الاتحاد من أجل المتوسط، وهو المشروع الذي تبنته فرنسا

ونال تأييداً من دول الاتحاد الأوروبي، باستثناء ألمانيا التي تحفظت عليه، بفرد بميزة جديدة تتمثل في طرح مشروعات محددة، يتم تنفيذها من أجل دفع جهود التنمية المستدامة في دول جنوب البحر الأبيض المتوسط، وتعزيز علاقات التعاون بين ضفتي المتوسط في جميع المجالات مع البحث عن الموارد المالية اللازمة لتنفيذ عدد من المشروعات من جانب الاتحاد الجديد، أهمها مكافحة التلوث في البحر الأبيض المتوسط، وإنشاء خطوط نقل بحري تربط بين موانئ المتوسط، سواء بين دول الجنوب، أو بين دول الشمال والجنوب، وإقامة مركز متوسطي للحماية المدنية لمواجهة الكوارث الطبيعية، وتوليد الطاقة الشمسية، ودعم بناء جامعة أورو متوسطية، وتأسيس وكالة متوسطية لتنمية الأعمال، وتشجيع الشركات والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة.

التفاهم والاحترام

ولقد أوضح الرئيس الفرنسي «ساركوزي»

الهدف من مشروع الاتحاد من أجل المتوسط حينما قال في كلمة أمام قمة الاتحاد في ١٣ يوليو ٢٠٠٨ في باريس «إن الهدف من القمة، ليس الاكتفاء بإقامة علاقاتنا على التسامح، بل أن نفتح على بعضنا البعض في جو من التفاهم والاحترام، فلم نعد نريد أن نكون جيراناً فقط، وإنما أن نكون شركاء».

ومن المعروف أن إقامة الاتحاد من أجل المتوسط جاء نتيجة لاقتراح الرئيس الفرنسي «نيكولا ساركوزي» كخطوة لتطوير «عملية برشلونة» أو عملية الشراكة الأوروبية المتوسطية التي أطلقت في عام ١٩٩٥ بين الاتحاد الأوروبي، وعدة دول في جنوب المتوسط وشرق.

وتتضمن عملية برشلونة الاتحاد الأوروبي، و١٠ دول من جنوب وشرق المتوسط هي المغرب والجزائر وتونس ومصر والسلطة الفلسطينية وإسرائيل والأردن ولبنان سوريا وتركيا. وحسب المشروع الفرنسي للاتحاد من أجل المتوسط، ينبغي أن تفتح عملية برشلونة حالياً أمام دول أوروبية غير أعضاء في الاتحاد الأوروبي مثل جمهوريات بوجوسلافيا السابقة وألبانيا، بما يشمل كذلك كافة دول الجنوب المتوسطي وشرق.

ويذهب البعض إلى أن مشروع الاتحاد من أجل المتوسط هو الفضاء الجغرافي الذي يريد «ساركوزي» من خلاله، معالجة ملف «الهجرة غير الشرعية» خاصة أن العدد الأكبر من المهاجرين الذين يتوافدون على أوروبا يأتون من بلدان المغرب العربي، وأفريقيا عامة، وهو



ساركوزي

مبارك

ملف يرتبط بملفات أخرى يسعى هذا المشروع الفرنسي لمعالجتها مثل ملف الأمن الغذائي، والإرهاب، وهو الملف الذي قام من أجله «ساركوزي» بجولات مكوكية بين بلدان المغرب العربي طوال النصف الأول من عام ٢٠٠٨.

وفي هذا السياق يرى كثير من المحللين أنه إذا كان مشروع الاتحاد الأوروبي هو مشروع المصير والوجود بالنسبة لفرنسا وأوروبا، فإن مشروع الاتحاد من أجل المتوسط هو مشروع وقاية من الأخطار، بمعنى أنه درع يقي أوروبا من أخطار الإرهاب، والهجرة غير الشرعية، وخطر تجدد الحروب في الشرق الأوسط، وفوق ذلك إيجاد «فضاء بديل» لتزكيا عن الفضاء الأوروبي الطامحة إليه، في سعيها الجاد للانضمام للاتحاد الأوروبي.

الموقف التركي!!

ويعتبر «ساركوزي» صاحب مشروع الاتحاد من أجل المتوسط بموقفه الراض لالتحاق الأتراك بالاتحاد الأوروبي، أنه أوجد - بالمشروع الجديد - قضاء آخر للطموح التركي، وهو ما أرتأته الصحافة التركية



أوردوغان

القذافي

في المقابل نحن أيضا لن نقبل بتجزئتنا عربياً أو أفريقياً.

وأضاف الزعيم الليبي «أن الاتحاد المزعوم سيمزق العرب إلى ثلاثة أجزاء: الأول العراق والجزيرة العربية، والثاني السودان والصومال في قلب أفريقيا، والثالث ثمانى دول متوسطة عربية مقابل الطرف الآخر وهو عبارة عن كتلة واحدة ممثلة في الاتحاد الأوروبي لذلك سيكون العرب هم الطرف الخاسر» ويتساءل الزعيم الليبي ما الندية بين ٣٤ دولة أوروبية و٨ دول عربية...؟ لا يوجد توازن، ويرى أن هذا المشروع سينظر إليه على أنه «سيجعل الدول العربية تابعة لأوروبا، لأنه لا توجد ندية في العلاقات».

الشراكة الأوروبية

ومن جهة أخرى أعربت ألمانيا عن قلقها من أن يؤدي هذا المشروع الفرنسي إلى إضعاف الشراكة الأوروبية المتوسطة المعروفة باسم «عملية برشلونة»، ولذلك طابت «انجيلا ميركل» مستشارة ألمانيا بأن تنضم جميع دول الاتحاد الأوروبي إلى مشروع الاتحاد من أجل المتوسط، وأن يكون هدفه هو

إسرائيل على الدوام أنه في مصلحة كل شعوب المتوسط تعزيز تعاونها لذلك نحن نرحب بالمشاركة في الاتحاد من أجل المتوسط، لكن «عمرو موسى» الأمين العام للجامعة العربية أكد في بيان صحفي له «أن الاتحاد من أجل المتوسط لن يكون للتطبيع مع إسرائيل، ما لم تفلح عن بناء المستوطنات، وتتجاوب مع السلطة الفلسطينية لإقرار السلام العادل والشامل».

ودعا «عمرو موسى» إلى ضم الدول العربية غير المتوسطة في إطار هذا الاتحاد مثلما أن الدول الأوروبية غير المتوسطة من الاتحاد الأوروبي ممثلة فيه. واقترح الأمين العام للجامعة العربية أن يكون التمثيل العربي غير المتوسطى في شكل منتدى يعقد على هامش كل اجتماع يعقده الاتحاد من أجل المتوسط.

الرفض الليبي

ومن اللافت أن ليبيا لم تحضر قمة الاتحاد من أجل المتوسط في ١٣ يولييه ٢٠٠٨ إذ أعلن الزعيم الليبي «معمر القذافي» رفضه القاطع لمشروع الاتحاد من أجل المتوسط الذى وصفه بـ «حقن الألقام واغثيف» وقال «يجب ألا نجازف بأى حال من الأحوال بتمزيق الوحدة العربية أو الأفريقية، وعلى شركائنا الأوروبيين أن يفهموا هذا جيدا» وأضاف قوله «أنا قبلت فكرة صديقى ساركوزى، عندما كان المشروع تعاوناً وشراكة تجمع ٦+٦ أى الدول الأفريقية والأوروبية الست المظلة على البحر المتوسط من الجانبين ولكن ألمانيا رفضت ذلك وقالت «نحن لن نسمح بتقسيم أوروبا»

«ساركوزى» رغبة في استخدام الاتحاد من أجل المتوسط لإحداث اختراق فى الصراع العربى -الإسرائيلى، وهو ما يؤكد العديد من الخبراء الفرنسيين. ومن جانب آخر يقول «باسكال يونيفاس» مدير معهد العلاقات الدولية الاستراتيجية بباريس «إن ساركوزى جاء بهذا المشروع للدوران حول مسار برشلونة الذى فشل منذ عام ١٩٩٥ فى معالجة الصراع العربى - الإسرائيلى».

ويتساءل «يونييفاس» متشككا ما حدود قدرة ساركوزى ومشروعه المتوسطى على إنهاء الصراع العربى - الإسرائيلى الذى عجزت عن حله حتى الآن كل المنتديات والمنظمات والقمم الدولية، أم أن الأمر يتعلق بكسر حالة الممانعة العربية، والإيهام بالتطبيع عن طريق مصافحة بين الزعماء العرب وقادة إسرائيل؟

والحقيقة أن الدولة العبرية تأمل فى أن يشكل إطلاق الاتحاد من أجل المتوسط خطوة على طريق تطبيع علاقاتها مع الدول العربية لقد قدمت إسرائيل التى مثلت فى قمة باريس للاتحاد المتوسطى برئيس وزرائها «إيهود أولمرت» ووزيرة الخارجية «تسبي ليفنى» دعماً من دون تحفظ للمشروع الفرنسى الجديد الذى أطلقته باريس على أمل الاستفادة من هذه القمة فى التقريب بين العرب وإسرائيل، دون تحريك لعملية السلام التى لازالت جامدة.

وفى هذا السياق قال الناطق باسم الحكومة الإسرائيلية «مارك ريخيف» «لقد اعتبرت

«تلاعباً سياسياً» مما دفع رئيس الوزراء التركى «رجب طيب أردوغان» إلى التردد كثيراً قبل إعلان حضوره، قمة باريس فى ١٣ يولييه ٢٠٠٨ لولا تعهدات الفرنسية على الإقرار فى بيان إعلان الاتحاد بأن تركيا «تبقى بلداً مرشحاً للاتحاد الأوروبى» وفى هذا الصدد قال «أوردوغان» «إن الاتحاد من أجل المتوسط ليس بديلًا بالنسبة إلينا عن الانضمام للاتحاد الأوروبى».

الصراع العربى الإسرائيلى

ويرى بعض المحللين أنه إذا كان من الأهداف الرسمية المعلنة للاتحاد من أجل المتوسط، تعزيز التعاون الاقتصادى والأمنى والبنى التمثيل فى إنجاز مشروعات اقتصادية لدول جنوب المتوسط ومكافحة الإرهاب وإنقاذ البحر المتوسط من التلوث، بالإضافة إلى مكافحة الهجرة غير الشرعية من جنوب البحر المتوسط إلى شماله فى أوروبا، فإن ثمة أهدافاً غير معلنة مثل جذب سوريا بإغراءات اقتصادية، من دائرة الممانعة إلى دائرة الدول الرافضة لمشاريع المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلى وترسيخ النفوذ الفرنسى فى المنطقة، فى مقابل تمدد النفوذ الأمريكى، إضافة إلى صهر الدول العربية وإسرائيل فى بوتقة مصالح اقتصادية وسياسية مشتركة، قد تؤدى إلى تنازلات فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية لكننى أرى أن سوريا مازالت متمسكة بتحرير الجولان ومصرة على مقاومة الاحتلال مهما كانت الإغراءات والوعود المعسولة ومن ناحية أخرى أن لدى

إحياء عملية برشلونة، على أن تكون أوروبا جزءاً من المشروع، وعلى أن يتم مناقشة كل عمليات التمويل من خلال المجلس الأوروبي وبذلك يمكن أن يتدرج الاتحاد من أجل المتوسط داخل سياسة المتوسط للاتحاد الأوروبي بدلاً من أن يكون مشروعاً منفصلاً.

وقال كبير المفاوضين الفلسطينيين «صائب عريقات» إن الاتحاد من أجل المتوسط يشكل خطوة في الاتجاه الصحيح، لكن أي مشروع تعاون إقليمي لا يمكن أن يعمل بشكل كامل إذا استمر الاحتلال الإسرائيلي.

وقال رئيس منظمة أرباب العمل المغاربية مولاي «حفيظ العلمي» «على أوروبا أن تنظر إلى شركائها في صفة المتوسط الجنوبية، ليس كدول فقيرة، يجب أن تنصق عليها بل كشريك كامل العضوية» وأعلن وزير الخارجية الجزائري «مراد مدلسي» «أن دول الضفة الجنوبية للمتوسط، تخشى أن تحتكر المفوضية الأوروبية القرار لأن علاقاتنا بالاتحاد الأوروبي غير متوازنة، والقرار يعود حالياً لمن يملك الأموال والكفاءة» بينما قالت «آمنة شيتوي» الوزيرة التونسية المنتدبة للشئون الخارجية واصفة مشروع الاتحاد من أجل المتوسط «إنها مبادرة واعدة من شأنها أن تضمن لدول جنوب المتوسط وسائل تحقيق طموحاتها من تكامل واندماج مع الاتحاد الأوروبي».

ووصف «عمرو موسى» الأمين العام للجامعة العربية، اجتماع قمة باريس بشأن

الاتحاد من أجل المتوسط بأنه «فكرة جيدة» ولكن يجب التأكيد أن «المؤسسة الجديدة هي تطوير لعملية برشلونة وفي إطارها».

وترى الدكتورة «ماريا الجيلاروكي» مديرة دراسات معهد كنتاليا المتوسطي برشلونة «أن فرص نجاح الاتحاد من أجل المتوسط رهينة بوجود إرادة من دول الضفة الجنوبية للمتوسط والاتحاد الأوروبي لتفعيل القرارات والمشاريع التي أقرت». وفي ردها على سؤال ماذا يحمله الاتحاد من أجل المتوسط من جديد مقارنة مع مسار برشلونة، قالت الدكتورة «ماريا الجيلاروكي» إن مسار برشلونة كان طموحاً جداً، وكان ذلك ضرورياً، وقد كانت أهميته في انطلاقته بثلاثة أبعاد: اندماج اقتصادي وقضاء إقليمي للأمن والاستقرار بالإضافة إلى دور المجتمع المدني».

وتعتقد الخبيرة الأسبانية «ماريا» أن من عوامل عرقلة مبادرات الشراكة بين ضفتي المتوسط، وجود نزاعات مزمنة مثل نزاع الشرق الأوسط بين إسرائيل وجيرانها العرب وقالت «إنه مشكل خطير جداً حيث نجد نزاعات كثيرة في بلدان الجنوب، مثل النزاع الجزائري - المغربي حول الصحراء الغربية، وهو ما يجعل من الصعب أن يتقدم مسار الشراكة على مستوى أفقي بين بلدان الجنوب».

ويذهب الاتحاد الأوروبي إلى أن الاتحاد من أجل المتوسط سيعطي دفعة قوية للعلاقات بين دول الشمال والجنوب المتوسطية من خلال ثلاثة طرق: الأول تحسين مستوى الحوار السياسي بين الاتحاد وشركائه المتوسطيين،

والثاني إعادة توزيع المسؤولية عن علاقاتنا الجماعية بشكل متوازن، والثالث إطلاق برامج ومشاريع إقليمية مفيدة للمواطن على نحو يجعل العلاقات بين الشمال والجنوب واضحة أكثر بالنسبة له.

الديمقراطية وحقوق الإنسان

والجدير بالذكر أن القمة الأولى للاتحاد من أجل المتوسط التي بدأت أعمالها يوم الأحد ١٣ من يوليو ٢٠٠٨ في باريس، أثارت موجة من الاعتراضات من جانب عدة منظمات حقوقية في ضفتي البحر الأبيض المتوسط، الشمالية والجنوبية، أهمها الشبكة الأوروبية المتوسطية لحقوق الإنسان، والفيدرالية الدولية لروابط حقوق الإنسان، ومركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، إذ اعتبرت هذه المنظمات أن ملف الديمقراطية وحقوق الإنسان وهو الجانب المهم المغيّب من مشروع الاتحاد من أجل المتوسط، وانتقدت فيه «التركيز فقط على المشروعات الاقتصادية، والتغاضي عن تطلع شعوب جنوب المتوسط إلى التمتع بالحريات الأساسية، التي هم محرومون منها بالفعل».

واقترحت هذه المنظمات الحقوقية الثلاث على الاتحاد من أجل المتوسط أربعة ركائز لرسم سياسة جديدة لدعم العلاقات بين دول الشمال والجنوب المتوسطي، الأولى: وضع احترام حقوق الإنسان والديمقراطية في مرتبة الصدارة في السياسة الخارجية للاتحاد من أجل المتوسط، والثانية: الإسهام بشكل نشط في تحقيق السلام في المنطقة المتوسطية، خاصة في الشرق الأوسط، عبر تنفيذ قرارات المجتمع الدولي

ذات الصلة الرامية إلى إنجاز سلام عادل ودائم، والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، والثالثة: كفالة حقوق المهاجرين من جنوب المتوسط إلى شماله الأوروبي، الذين هم ضحايا لسياسة عقابية وأمنية صارمة، والرابعة: الاعتراف بنشاط المجتمع المدني، خاصة المنظمات غير الحكومية المعنية بالدفاع عن حقوق الإنسان.

ومن ناحية أخرى حذرت هذه المنظمات الحقوقية من غض البصر عن مقاييس احترام الحريات الأساسية، وحقوق الإنسان لدى البلد الذي سيشارك في رئاسة الاتحاد خلال الدورات المقبلة، وكذلك لدى البلد الذي سيستضيف أمانته التنفيذية، وهو ما يعني ضرورة احترام دول جنوب المتوسط بخاصة، للديمقراطية وحقوق الإنسان، والحكم الصالح كشرط لرئاسة الاتحاد، أو استضافة أمانته التنفيذية.

وفي الختام يمكن القول: إنه يجب على الاتحاد من أجل المتوسط إذا أراد بالفعل مساندة دول جنوب المتوسط، أن يحقق إلى جانب المشروعات الاقتصادية والأمنية والبيئية، تعزيز الديمقراطية، ودعم عملية السلام في الشرق الأوسط، وإقامة منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل، وإحلال الاستقرار والأمن، وتحقيق الازدهار الاقتصادي، وتحسين التفاهم بين الثقافات، وضمن احترام كل الديانات والمعتقدات، وكلها أهداف تقتضي تعاون وتنسيق كامل بين دول الشمال المتوسطي الغني، ودول جنوبه الفقير المتعطشة لمزيد من التنمية واحترام حقوق الإنسان، سواء بسواء.

ليست كارثة مصر وحدها

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ طارق الحميد في جريدة الشرق الأوسط الصادرة في ٢٠٠٨/٩/٩ يقول:

كم هي مؤلة مشاهدة صور ضحايا الانهيار الصخرى في منطقة الدويقة الشعبية في شرق القاهرة، ومحاولة إنقاذ من هم تحت الأنقاض يستغيثون طلباً للنجدة، ورؤية ذويهم والألم يمزقهم.

لكن المؤسف هو أن الأحزان تمر بنا وتعودناها بكاء ساعة، وصراخ يوم، ومناكفة لمدة أسبوع وبعد ذلك ينفض المولد حتى نحل بنا كارثة جديدة على غفلة، لأننا لانكثرت بالكوارث، قدر ما أننا نجيد الصراخ. المناطق العشوائية ليست كارثة مصرية فقط، وإن كان نصيب مصر منها كبيراً نظراً لارتفاع عدد السكان، فالقاهرة وحدها بها قرابة ٨١ منطقة عشوائية، وحوالي ٨ ملايين نسمة يعيشون في تلك العشوائيات التي تحتل ٤٥٪ من سطح القاهرة.

ومع ضرورة التوضيح بأن أزمة المناطق العشوائية دولية، إلا أن خطرهما يتهدد جل دولنا العربية، والمقلق أن حجم خطورتها يتفاوت بين دولة وأخرى. المناطق العشوائية خطر على ساكنيها، وعلى أمن أوطاننا، فالقضية أكبر من معاناة فقراء، إنها مشكلة انعدام شروط السلامة والصحة والأمن، وهي مرتع للجريمة بأنواعها.

فالمناطق العشوائية تآكل مستمر للمدينة، وبنيتها التحتية، حيث إنها خارج نطاق الإحصائيات، وخارج مساحة المؤسسات التعليمية والصحية وتحت خط الفقر، سكان العشوائيات هم بشر داخل الدولة، لكن خارج نظامها الأمنى أو الصحى، غير موجودين على خارطة الخدمات بكل أنواعها.

فالمناطق العشوائية تشكل بؤراً للجريمة المنظمة من قتل وسرقة ومخدرات، حيث الحياة اليائسة، التي تشكل بئناً عن المجتمع وخارجها سياق تطوره الطبيعى، إذ تتحول كثير من المناطق العشوائية إلى مناطق يصعب على رجال الأمن أحياناً دخولها ناهيك من دخول فرق الإنقاذ لإسعاف المحتاجين والتضررين،

فالعشوائيات أحياء شكلت نفسها بنفسها من دون تخطيط مدنى لشبكة الطرق وخلافه. ومالم تشرع الدول العربية فى الاهتمام بالمناطق العشوائية، وتقوم بعمل شجاع تجاه المقيمين غير النظاميين، بحيث تنصف من يستحقون الإنصاف وتنظم إقامة من يستحقون الإقامة، مع الشروع فى مشاريع نحد من الهجرة المتسارعة لأبناء القرى إلى المدن، فسوف تواجه دولنا العربية كوارث قادمة، فالمناطق العشوائية قنابل موقوتة.

إصلاح الأمم المتحدة

تحت هذا العنوان فى جريدة الجمهورية الصادرة فى ٢٠٠٨/٩/٣ كتب المحرر يقول:

«بعد تجربة من التعامل تجاوزت النصف قرن اتفقت دول وشعوب العالم على ضرورة إصلاح الأمم المتحدة.. إلا أن حق الفيتو فى جهازها الرئيسى مجلس الأمن الدولى - عرقل من تحقيق أهدافها المرجوة والمذكورة فى الميثاق وضرورة تواجده المنظمة وتطورها لتكون مكاناً محمياً لمناقشة المشكلات والنزاعات الإقليمية والوصول إلى حلول عادلة لها.. بسبب تمتع الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن بحق الفيتو.. والذى فقد التوازن والموضوعية فى استخدامه بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتى.. حيث شهد العالم ظاهرة الكيل بمكيالين من جانب الولايات المتحدة وعدم المصادقية وحماية أطراف العدوان ضد أصحاب الحق.. مثل منع الفيتو للإدانات المتكررة للعدوان الإسرائيلى على الشعب الفلسطينى والأمة العربية.

«ومن هنا وبهدف الحفاظ على بيت العالم

ليقوم بالأهداف المرجوة، ولنع اندلاع حرب نووية لاتبقي ولا تذر - فقد بادرت الأسرة العالمية بالسعى الجدى لإصلاح المنظمة الدولية والمؤسسات العاملة تحت مظلتها، وأسفرت هذه الجهود عن اقتراحات موضوعية تتبناها العديد من الدول والتكتلات الإقليمية مثل عدم الانحياز، ومن المنتظر أن تكون أحد البنود الأساسية فى مؤتمر قمة عدم الانحياز بشرم الشيخ خلال العام القادم.

مخارية الاحتكار

تحت هذا العنوان كتب الدكتور/ محمد المسير فى جريدة اللواء الإسلامى الصادرة فى ٢٠٠٨/٩/٤ يقول:

مجتمع المسلمين مجتمع متكافل، يأخذ بعضهم بيد بعض تحقيقاً لمعنى الأخوة فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(الحجرات: ١٠)

والتجارة أمانة وشعارها الصدق فى المعاملة، والتاجر الأمين له منزلة رفيعة فى الدين قال رسول الله ﷺ: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء». والتجارة فى الإسلام تتناقى مع الاحتكار، وواجب على الأمر هو مقاومة الانحراف بكل أشكاله، والاحتكار هو احتباس السلعة انتظاراً لغلاء سعرها، ويكثر وقت الندرة، ويترتب على الاحتكار ضرر للناس وبيع غير مشروع، ويدل الاحتكار على خلق ذميم وشح قاتل فإن احتكر يفرح عند حزن الناس، ويحزن عند فرحهم، وليس هذا من أخلاق المؤمنين، ثم إن الاحتكار يثير الحقد بين الناس ويدفعهم إلى صراع

المادة وهذا ما يباه الإسلام، قال رسول الله ﷺ: «من احتكر يريد أن يغالي المسلمين فهو خاطئ» وقد برئ من ذمة الله.

انشطار قضايا الأمة

في جريدة الأخبار بعددها الصادر في ٢٠٠٨/٩/٧م قال بدر الدين أدهم:

كان العرب على عهد الدكتور عصمت عبد المجيد أمين عام الجامعة العربية قد اتخذوا قراراً بتقليص بنود أعمال اجتماع وزراء الخارجية العرب والتخلص من الحشو غير المفيد في جدول الأعمال تحت مسمى «البند الدائم» يومها اقترح أحد الوزراء العرب تحديد موضوعات البحث في ٤ موضوعات كان يومها العرب يواجهون قضية رئيسية هي احتلال إسرائيل لفلسطين وقضايا متعددة كاحتلال إيران لجزر الإمارات وتفرّد إسرائيل بامتلاك السلاح النووي لكن الوزراء أمامهم ٣٣ ملفاً شائكاً فقد انشطرت قضايا الأمة؛ ففلسطين لم تعد قضية احتلال إسرائيلي وضياح القدس بل أصبحت مائة قضية أخطرها صراع الفصائل على السلطة واحتلال حماس لغزة وحوار لا حياة لمن تنادى.

وجزر الإمارات انشطرت هي الأخرى حتى رفعت إيران علمها على أبو موسى العربية، ولبنان وسوريا كالتار فوق الهشيم ورؤية بوش وسيادة السلام العربية تاهت في خضم الانتخابات الأمريكية حتى كونداليزا لم تحقق شيئاً والعراق تتكالب عليه الأمم حتى مياه نهر الفرات سيطرت عليها تركيا وأصبح شط العرب يسيطر عليه طهران ومصدر النهرين

دجلة والفرات تحت ولاية أنقرة. وناهيك عن السودان الذي أصبح شماله يصارع شرقه وغربه وأصبحت دارفور على لسان كل من هب ودب حتى رئيسه أصبح مطلوباً للعدالة وسقطت الصومال في أيدي الجماعات المسلحة ونسى العرب القدس والمسجد الأقصى الأسير وآلاف اللاجئين الفلسطينيين أسرى لصراع الأخوة الفلسطينيين. ماذا سيفعل وزراء الخارجية العرب بعد أن اجتمعوا على مائدة رمضان؟!

نشر حقيقة الإسلام واجب شرعي

في دراسة نشرتها جريدة الأحرار في عددها الصادر في ٢٠٠٨/٩/١٦ كانت لنا وقفة مع هذه الدراسة التي تقول:

تعيش الأمة الإسلامية أخطر مراحلها في ظل سيطرة الأنظمة العلمانية الحاسمة بالإضافة إلى محاربة الغرب للإسلام باسم مكافحة الإرهاب وتخفيف منابع الدين وتصادم الحضارات وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم هذه المرحلة التي تعيشها أمتة بقوله صلى الله عليه وسلم تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. وتوضح الدراسة التي أعدها الباحث الإسلامي طه أحمد حميد أن أمتنا تعيش الآن صراعاً تاريخياً فرضته قوى الغرب والشرق وأدى إلى حرب شمولية وعقائدية وفكرية واقتصادية واجتماعية وعلمية وكنان من أبرز أدوات هذا الصراع الحرب الإعلامية التي سبقت ومهدت بل وجنت أول الثمار لبداية الحرب العسكرية التي مازلنا نعاني منها حتى الآن الآثار المباشرة لهذا

الصراع الذي بلغ ذروته باحتلال العراق.

ويؤكد الباحث أن الإعلام الإسلامي يعاني الضعف أمام قوة الإعلام المضاد المضلل حيث إن إعلامنا لا يزال يعاني قصوراً في تكوين رأي عام إسلامي صحيح تجاه قضايانا الرئيسية وما يواجهنا من تحديات وأخطار. ويشير الباحث إلى أن أهمية الإعلام الإسلامي تتجلى في إدراكنا حاجة الإنسانية إلى الإسلام أو إلى قيم حقيقة ورسالته وضرورة تبليغها إليهم وهذا من أهم واجبات المسلمين. لذلك كان الإعلام الإسلامي ضرورة حتمية حتى يكون الكافر بعد ذلك قد كفر عن بيته. للتأكيد على أن الإسلام يهتم بأمور كل مسلم تأكيداً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، وهذه إحدى وظائف الإعلام الإسلامي الذي ينظر إلى جميع الأحداث من أخبار ومعلومات وأحكام بمنظور إسلامي أصيل وهو يبني قضايا المسلمين وإبرازها وتحليلها ويعرض ألحاح الحلول لها. ويشير الباحث إلى أهمية الإعلام الإسلامي في ضرورة القيام بدوره في تزويد الجماهير والرأي العام بحقيقة الإسلام ورد الشبهات والأباطيل عنه وكشف الدعاوى والأفكار المضادة والمضللة خاصة بعد الفتح الإعلامي السلبى الغربى والعربى الموالى للغرب والمتواصل على الهجوم على الإسلام ورسوله والمسلمين. ويضيف الباحث أن بعض الباحثين الإسلاميين يرون أن الإعلام فرض عين على كل مسلم بقدر طاقته ويرى البعض بأنه فرض كفاية وآخر يرى أن خصائص الإعلام الإسلامي لا بد أن يتميز بأن يكون إعلاماً عقائدياً ملتزماً وله رسالة واضحة.

مصر وترتيب البيت الفلسطيني

في جريدة الأهرام المسائي بعددها الصادر في ٢٠٠٨/٨/٣١ كان رأى المحرر في الجهود المصرية المتواصلة لتهدئة الأوضاع في الأراضي المحتلة وعودة وحدة الصف الفلسطيني لتؤكد أهمية تفعيل الحوار بين الفصائل الفلسطينية وهو الحوار الذى أسفر عن نتائج إيجابية لصالح الشعب الفلسطينى وانعكس بالطبع على تهدئة الأوضاع في غزة والضفة بعد الأحداث المؤسفة بين حركتى فتح وحماس. ودائماً ما تهدف السياسة المصرية إلى تحقيق المصالح الفلسطينية بالدرجة الأولى حيث تقوم مصر وبصفة مستمرة بإرسال المعونات والمساعدات الغذائية والطبية لأبناء غزة وكذلك فتح. وفي السياق نفسه فإن حوار الفصائل الفلسطينية الذى استضافته القاهرة يسعى لإيجاد تقارب بين الفصائل في وجهات النظر. ونعتقد أن إعادة وحدة الصف الفلسطينى من جديد وترتيب البيت من الداخل يتطلبان جهوداً كبيرة من جميع الأطراف الفلسطينية لدعم الجهود المصرية المستمرة التى تبذل في هذا الشأن ولتغويت الفرصة على إسرائيل التى تسعى من خلال الممارسات غير الشرعية لها ضد الفلسطينيين إلى تقويض جهود السلام وتدمير أى مبادرة لصالح القضية الفلسطينية. وإذا كان الدور الدولى تجاه القضية الفلسطينية قد تراجع فى ظل غياب أى دور حقيقى للرباعى الدولى ونتيجة الأوضاع فى جورجيا والانتخابات فى أمريكا. فإن ذلك يجب أن يشكل حافزاً حقيقياً للشعب الفلسطينى على الوحدة ونبذ الخلافات لصالح القضية المصرية والسعى لتحقيق حلم إقامة الدولة الفلسطينية.

﴿ رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرٍ نَارَشِدًا ﴾

تعقيب على مقال خطافي دالات الألفاظ وجبرده

للاستاذ الدكتور / محمد محمد عبد اللطيف

أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة

وجب رده، لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي جاء في نهايته تساؤل مؤداه. هل توجد مبررات للتعقيد اليوم مع بداية الألفية الثالثة في علم أصول الفقه على وجه الخصوص؟ ثم استرسل في كلامه قائلاً: «ومهما يكن من أمر فلا أجد مبرراً معقولاً ولا عذراً مقبولاً عن سؤال ورد في امتحان نهاية هذا العام ٢٠٠٨م للسنة الخامسة بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة ونصه كما يأتي وأنقله بأمانة كما ورد في ورقة الأسئلة:

س ٣: «يرى الفلاسفة أن محل العقل الدماغ. بينما يرى الأصوليون أن محله القلب» قيم استدلالاً «هكذا» هؤلاء وأولئك مبيناً وجه الدلالة. وم رد الأصوليون؟ وما استدلال به الفلاسفة وإذا كان هناك مجال للتوفيق بين ما قاله أولئك وما ذهب إليه هؤلاء فكيف يكون؟ هكذا أورد شيخنا السؤال. ومع أنه قد قال: «وأنقله بأمانة كما ورد في ورقة الأسئلة» إلا أنه

الحمد لله رب العالمين. أستفتح به وأستهديه. وأعتمد عليه وأرتجيه والصلاة والسلام على خاتم النبيين وأشرف المرسلين. سيدنا محمد الصادق الأمين. الذي جاء بالملة السمحة والعقيدة المنزهة. والرسالة المحكمة. وعلى آله وأصحابه وتابعيه. الذين أفتوا حياتهم في طاعة ربهم. وخدمة دينهم. وبيتوا للناس القواعد والأحكام. وفصلوا شريعة الله أتم تفصيل وأحكم تبيان. ووثقوا ذلك كله أتم توثيق. حتى لا يكون عرضة للضياع والإهمال.

أو يعتري الناس فتور ونسيان. فجزاهم الله خيراً. ونفعنا بهم في دنيانا وآخرانا.

«وبعد»..

فقد شاءت الأقدار أن أطلع على مقال منشور بمجلة الأزهر / عدد شعبان سنة ١٤٢٩هـ تحت عنوان «خطأ في دالات الألفاظ

لم يكن أميناً في النقل إذ ترك علامات استفهام. ووضع بعضها في غير محلها. ومن ثم جاء السؤال مبتوراً الأمر الذي أدى إلى ركاكة في الصياغة وصحة السؤال كما ورد بورقة الأسئلة المرفقة هكذا:

س ٣: «يرى الفلاسفة أن محل العقل الدماغ. بينما يرى الأصوليون أن محله القلب» قيم استدلالاً هؤلاء وأولئك؟ مبيناً وجه الدلالة. وم رد الأصوليون ما استدلال به الفلاسفة؟ وإذا كان هناك مجال للتوفيق بين ما قاله أولئك وما ذهب إليه هؤلاء فكيف يكون؟

هكذا ورد السؤال في ورقة الأسئلة مع خطأ من المطبعة في كلمة «استدلالاً» حيث إن صحتها «استدل» بدون ألف وقد خاطبت المسؤولين بالمطبعة بهذا الخصوص. وبالتالي فلا ينسب الخطأ إلى واضع السؤال.

وأقول للشيخ الكريم أين التعقيد في هذا السؤال؟ اللهم لا تعقيد فالكلام سهل ميسور. فكيف تقول: إن خيالك مهما بلغ من جنوحه لا يصل إلى هذا التعقيد!!! ثم تتساءل قائلاً: فهل هذا يدخل في علم أصول الفقه؟ وأبادرك الإجابة فأقول: نعم. إنه لا يدخل في علم أصول الفقه فقط بل هو من أهم موضوعات أصول الفقه. ولا غرو فإن العقل مناط التكليف. به يشيب الله وبه يعاقب. وبه يأخذ وبه يعطى ولا أدل على علو مكانته وسمو منزلته من أن دعوة الاعتقاد بوجود الله ووحدانيته تعتمد أول ما تعتمد على العقل والنظر في الكون اقرأ معنى قول الحق جل في علاه:

﴿ أَوْفِرْنَا لَدُنَّ كُفْرًا ﴾

لَا تَسْأَلُونَ وَالْأَرْضَ كَمَا تَرْتَفَعُونَ فَتَنْفَعَنَّهُمَا وَجَعَلْنَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ سُبُوحًا يُؤْمِنُونَ

(الأنبياء: ٣٠)

والعقل هو النعمة التي أنعم الله بها على الإنسان عموماً ومميزه بها على غيره من مخلوقات هذا العالم وهي نعمة متفاوتة بالنسبة لساكني البشر إذ وصول النعمة لهم شيء وتفاوتهم في هذه النعمة شيء آخر. فكما أن الناس يتفاوتون في نعمة الإبصار ونعمة السمع قوة وضعفاً. ويتفاوتون في نعمة المال على درجات مختلفة من الغنى فذلك الأمر بالنسبة للعقل. وقد بين الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن الناس يتفاوتون في الفقه والفهم والتذكر والتدبر والاعتبار وأن بعض الناس قد أوتي من الفطنة والحكمة ما لم يتوفر لآخرين:

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(البقرة: ٢٦٩)

من هنا كان العقل ساحة حوار ونقاش. وميدان أخذ وعطاء بين الفلاسفة والفقهاء.. وكان لابد من تناول هذا في دراستنا من حيث تعريفه وتفاوتاته ومحله من الإنسان. خاصة وأن مقرر السنة الخامسة بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر يتمثل في موضوعين منهيين هما: «المحكوم به أو فيه والمحكوم عليه» ولا شك أن المراد بالمحكوم عليه هو الإنسان محل التكليف وموضوع توجيه

الخطاب «إن أمراً وإن نهياً» إليه.

لولا العقول لكان أدنى ضيغم

أدنى إلى شرف من الإنسان (*)

هذا ما يتعلق بموضوع تعليق شيخنا على ما ورد بسؤالنا لطلاب السنة الخامسة بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة دور مايو ٢٠٠٨ م إلا أنني عند ما اطلعت على مقاله كانت لي وقفات مع بعض ما ورد به أجد لزماً على إيرادها. وقبل إيراد هذه الوقفات أقول لفضيلة الشيخ: إنه في ص ١٢٧٤ من مقالك في المجلة قد اعترفت اعترافاً صريحاً وواضحاً بأن للعقل مجالاً في بعض الأمور حيث قلت: «إنه يوجعك إلى حد التأوه أن ترى من لا يعلمون أو أنصاف المتعلمين يتصايحون في معركة ليس للعقل فيها مكان».

بعد هذا أعود إلى وقفاتي مع بعض ما ورد بالمقال.

أولاً: يقول فضيلة الشيخ: إن الدكتور جابر محمد محمود الشريف أستاذ بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة. وهذا الاسم لا وجود له بيننا فجميع أعضاء هيئة التدريس بكلية إما زملاء وإما تلاميذ لنا ولا أعرف من بينهم هذا الاسم.

ثانياً: يقول فضيلة الشيخ في ص ١٢٧٣: (وما قاله الدكتور حق كله فالحكم هو أقوى المراتب ثم الظاهر فالنص فالمفسر) وهذا خطأ علمي فادح. والصحيح ما ورد بنفس الصفحة نقلاً من كتاب «مباحث أصولية في تقسيمات

(*) ضيغم: الأسد.

الألفاظ» لابننا العزيز وزميلنا الفاضل الأستاذ الدكتور محمد عبد العاطي محمد على حيث جاء فيه: «قسم العلماء الحنفية اللفظ باعتبار وضوحه في دلالة على معناه إلى أربعة أقسام: الظاهر / النص / المفسر / المحكم. ثم عقب بقوله: «وقد رتبوها ترتيباً تصاعدياً».

ثالثاً: في ص ١٢٧٥ يقول فضيلة الشيخ: «إن كثيراً ممن كتبوا في أصول الفقه يعمدون إلى التعقيد والإيهام والإيهام» مستنداً على ذلك بتعرضهم لمسائل منطقية يرى أنه لا مبرر لها. متهماً إياهم بأنهم كانوا يرون ذلك لونا من ألوان الشموخ العلمي. وفات شيخنا أن للمنطق منزلة تعلو على سائر العلوم. إذ هو معيار العلوم أو ميزان العلوم أو مدخل لها. كما أنه العاصم للذهن عن الخطأ في الفكر. وكم كان الإمام السيوطي «رحمه الله» محققاً عندما قرر في كتابه «صون المنطق» أنه لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل. والصون من الكذب. والخير من الشر. والحجة من الشبهة. والشك من اليقين إلا بما حويناها من المنطق.

ولا أدل على حاجتنا الملحة إلى علم المنطق من أن قانوني (العلية والاطراد) مطبقان في القياس الأصولي الذي هو أحد الأدلة الأربعة المتفق عليها. فقانون العلية يتلخص في أن لكل معلول علة أو أن كل شيء يحدث في الطبيعة إنما يحدث لسبب وأن نفس السبب يؤدي دائماً إلى نفس النتيجة. أما قانون الاطراد فمعناه أن العلة الواحدة إذا وجدت تحت ظروف

متشابهة أنتجت معلولاً متشابهاً. وذلك يعني إن الأشياء إنما تحدث وفقاً لنظام عام وطبيعي.

وأنت لو نظرت إلى القياس الأصولي لوجدته مبنياً على هذين القانونين. فحكم التحريم في الخمر مثلاً معلول بالإسكار. ومتى وجدت هذه العلة وجد لها نفس الحكم. وما دنا قد وجدنا الإسكار في الخمر ووجدنا التحريم ثم وجدنا الإسكار في أي شراب آخر جزماً بوجود التحريم فيه.

ثم ما لنا نذهب بعيداً ألم تعلم يا فضيلة الشيخ أن عنوان مقالك (خطأ في دلالات الألفاظ وجب رده) خير شاهد وأكبر دليل وأوضح برهان على مدى احتياج الأصوليين لعلم المنطق. فإن من أهم مباحث هذا العلم «مبحث الدلالة» التي هي بمعناها العام: فهم أمر من أمر آخر. أو هي كون الشيء «الدال» بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر هو «المدلول» ثم يقسمها علماء المنطق إلى دلالة لفظية وأخرى غير لفظية. ثم يقسمون اللفظية إلى: وضعية / طبيعية / عقلية. وهكذا يقسمون الوضعية إلى: مطابقة / تضمن / التزام. وجميع هذه الأقسام نحن كأصوليين في حاجة ملحة إلى معرفتها والإلمام بها.

فلم تقلل من شأن هذا العلم؟ ولم تضع من قيمته؟! ولم تتهم من تعرضوا له بأنهم يرونه مظهراً من مظاهر الشموخ العلمي ولونا من ألوانه؟! ولم تصفهم بأنهم كانوا يعمدون إلى التعقيد والإيهام والإيهام!!!!

رابعاً: الدعوة التي وجهتها لنا بتيسير علم أصول الفقه وتبسيطه حتى يصبح علماً

ميسوراً مرغوباً فيه من خلال عرضه بأسلوب واضح قريب إلى الأذهان. دعوة كريمة لا بد من أن تذكر فتشكر. ونحن «والحمد لله» نعمل جاهدين على تحقيقها من خلال ما يوفقنا الله إلى كتابته في هذا المجال.

خامساً: في نهاية مقال فضيلة الشيخ ص ١٢٧٥ يقول فضيلته: «ألم بأن الأوان لكي ننقي أصول الفقه من هذا التعقيد» ولا أدري كيف تقرأ الكلمة التي فوق الخط والتالية لكلمة «ألم»!!! إنها تقرأ والحالة هذه كما تقرأ كلمة «بأن» الواردة في قول الحق تبارك وتعالى في الآية السادسة عشرة من سورة الحديد:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾

إن هذا خطأ إملائي وقع فيه صاحب الفضيلة وجدنا أن الأمانة العلمية تقتضي الإشارة إليه.

وأخيراً أهيب بصاحب الفضيلة كاتب هذا المقال ذي الشاعر الفياضة وصاحب الشعور الرهف الرقيق الذي تحرك قلبه أو احترق «على حد تعبيره» عندما رأى إخوانه المواطنين يقفون في حر الظهيرة يلتمسون الحصول على رغيغ من الخبز الأمر الذي جعله يشغل عن الكتابة أو ينصرف عنها. أن يتقى الله قيناً. وأن يتضرع إلى الله بقلب مخلص صادق بأن يوفقنا فيما نحن بصدده من مهمة التعليم والتثقيف. وأن يجعل كل ما بذلنا ونبدل في ميزان حسناتنا يوم يساق أهل الشر إلى سقر. ويساق أهل الخير إلى جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ظرائف.. ومواقف

للمشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد المحليم

الكبر يؤدي إلى الوضاعة

- قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» (١).
- وكان يقال: من جهل قدر نفسه فهو بقدر غيره أجهل، ومن أنف من عمل نفسه اضطر إلى عمل غيره.
- وقال الشاعر:

رأيت الغنى يزدد نقصاً وذلة

إذا كان منسوباً إلى العجب والكبر
ومن ظن أن العجب من كبر همة

- فإني رأيت العجب من صغر القدر
- وقال معاوية بن أبي سفيان: إن التواضع مع البخل والجهل، أزين بالرجل من الكبر مع البذل والعقل، فبالها حسنة غطت على سيئتين كبيرتين، وبالحها من سيئة غطت على حسنتين عظيمتين.

• وقال حكيم: من أصاب حظاً من جاه

(١) صحيح مسلم

فأصاره إلى كبر وترفع، أعلم الناس أنه دون تلك المنزلة، ومن أقام على حاله أعلمهم أن تلك المنزلة دونه، وأنها دون ما يستحق.

وقال بعض المهوسين بالكبر، وإنما نوره تفككة:

أتبه على جن البلاد وإنها

ولو لم أجد خلقاً لتبته على نفسي

أتبه فما أدرى من التبه من أنا

سوى ما يقول الناس في وفي جنسي

فإن زعموا أنني من الإنس مثلهم

فمالي عيب غير أنني من الإنس

في الظن والفراسة

- قال النبي ﷺ: «إن في كل أمة محدثين، أو مروءين، فإن يكن في هذه الأمة أحد فإن عمر منهم».

المحدث: المصيب في رؤية كأنما حدث بالأمر،

والمروء: الذي يلقي الأمر في روعه أي قلبه أو عقله.

• وقال علي رضي الله عنه: ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

• وقيل: اعتبر بما في قلب أخيك بعينه، فالعين عنوان القلب، وقد نظم شاعر هذا المعنى فقال:

ألا إن عين المرء عنوان قلبه

تخبر عن أسرارها شاء أم أبى

هذا ولا يجوز أن ينسى أحد قوله تعالى:

﴿إِنَّكَ بِعَيْنِ الظَّنِّ إِنَّهُ﴾

(الحجرات: ١٢)

فلا يسترسل في التنظي، متوهماً أنه من المحدثين أو المروءين، فيتهم الناس بما لم يفعلوا اعتداداً بأوهامه.

عن الحسن البصري

رأى الحسن البصري أناساً يضحكون ويستهنون بالناس في رمضان، فوقف أمامهم يقول: إن الله تعالى قد جعل رمضان مضمراً لخلقهم يستبقون إليه بالطاعة فيه، فسبق قوم فغافوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب كل العجب ممن يضحك في يوم يتسابق فيه المحسنون، ويخسر المبتلون.

ورأى قوماً بعد صلاة العيد يتضاحكون في سخرية، فقال: إن هؤلاء إذا تقرر عندهم أن صومهم قد قبل، فليس هذا فعل الشاكرين، وإن علموا أنه لم يقبل فليس هذا فعل الخائبين.

العلم في الجنة

حضر الشريف التلمساني وهو صبي درس الأستاذ أبي زيد بن الإمام، فذكر الأستاذ في حديثه نعيم الجنة، فقال الشريف: هل يدرس العلم في الجنة يا أستاذ؟ فقال الأستاذ: نعم، قال ما دليلك؟ قال قول الله:

«فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين»

والعلم يشتهي فهو موجود، قال الشريف: لو قلت لي لا، لحزنت فالحمد لله.

مثل للكرم

خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له، فنزل على بستان قوم، فرأى عبداً أسود يأكل، وقد جاء إليه كلب، فقدم له رغيفاً مما معه، فأكله الكلب، ونظر إليه، فقدم له الرغيف الثاني، فأكله الكلب ونظر إليه فقدم له الرغيف الثالث، ولم يبق مع العبد شيء من الطعام، فدهش عبد الله وتقدم إلى العبد يسأله: كم قوت يومك؟ قال: ثلاثة أرغفة، قال ولماذا دفعتها كلها للكلب؟ قال العبد: إن أرضنا ليست بأرض كلاب، فلا بد أن هذا الكلب كان جائعاً وأتى من مكان بعيد! قال فماذا تفعل في يومك الطويل؟ قال أذكر ما صنعت فأشبع، فتعجب ابن جعفر وسأل عن سيد العبد، فاشتراه وأعتقه ووهب له مالاً وغنماً يرعاه!

نعمة البيان

• قال الله تعالى:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٢﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

(الرحمن: ٣، ٤)

أيام من رمضان بين مكة المكرمة والمدينة المنورة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

المخاطب أمامه وبين يديه - قائلًا له: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله.. وأشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة.. فجزاك الله خير ما جزى نبيًا عن قومه.

مشهد مهيب مفعم بالإيمان يصب اليقين والرضا في قلب المسلم وهو يشاهد ويرى جموع المسلمين حوله يحيطون به.. يردد معهم ويرددون معه ابتهالات ودعوات كلها من أفئدة تهوى إلى هذه الأماكن المقدسة استجابة لدعوة أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - والتي وردت على لسانه في قوله تعالى:

﴿فَجَعَلَ أَفئدةَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾

(إبراهيم: ٣٧)

قال صاحبي - كأنه ظهر فجأة وسط هذه

لا أظن أن مسلماً لا يعرف حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه «عمرة في رمضان كحجة معي» (١) .. ولا أحسب أن مسلماً لم تطمح نفسه أو تتمنى أن يكحل عينيه ويمتع قلبه بمراى الكعبة المشرفة - شرفها الله وحرمتها وحرسنا حولها - تهدد أرواحنا كلما طفنا أو رملنا؛ نقبل الحجر آناً ونستلم الركن اليماني آناً؛ داعين مبتهلين:

﴿رَبَّنَا انكفِ الْفِتْنَةَ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَيْنَاكَ الْفَيْزَ﴾

(البقرة: ٢٠١)

ثم يغسل روحه بماء زمزم يزيل عنها كل دن أو خطيئة.

كما أتى لا أتخيل أن مسلماً لا يهوى أو يتمنى المشول بين يدي رسول الله ﷺ عند زيارته في المدينة ويكلمه بكاف الخطاب - أغنى ضمير

الحمد والنعمة في يديكا

قال: بل في يدي الله تعالى، ثم قلت: يأذن لي أمير المؤمنين في الإنشاد؟

قال: نعم، فأنشدته:

ما زال يأتي الملك في أقطاره

وعن يمينه وعن يساره

منعراً لا يصطلي بتاره

حتى أقر الملك في قراره

فقال: يا رؤبة إنك أتيتنا وقد شف المال،

واستغده الإنفاق، وقد أمرنا لك بجائزة، وهي ناقية يسيرة، ومنك العود وعلينا المعول.

بين أديب ومتصلق

مر أديب كبير بشيخ يتكفف الناس على قارعة الطريق، فوقف يعطيه شيئاً، ثم أخذ يبحث في جيوبه عن حافظة نقوده فلم يجدها، لقد تسيها في المنزل، وكان السائل المسكين لا يزال باسطاً يده إليه ليشترى ما يوجد به، فما كان من الأديب إلا أن وضع يده في يد السائل وصافحة بشدة فشغل وجه السائل وقال له:

أشكرك! هذه أيضاً صدقة.

دعاء

اللهم يا عظيم الجناب، يا واسع الرحاب، يا قابل المناب، افتح الأبواب، وامن الكتاب، ويسر الحساب، وأجزل الثواب.

• وقال عليه الصلاة والسلام: «إن من البيان لسحراً» (٢).

• وقال الجاحظ إمام البيان: «البيان اسم جامع لكل كلام كشف لك عن قناع المعنى، وهتك الحجاب عن الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقة اللفظ، ويهجم على محصوره كأنما ما كان».

• وقال أديب: «البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ليسرع إلى الفهم تلقينه، وموجزاً ليخفف على اللسان تعاهده».

• وقال ابن المعتز: «البيان ترجمان القلوب، وصيقل العقول».

• وقال سهل بن هرون: «البيان اللسان وروض القلوب».

• وقد يعبر عن البيان بالفصاحة، فقال هشام بن عمرو: «ما أحدث الناس مروءة أعجب إلى من الفصاحة».

أجشع القوم

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

بين رؤية وأبي مسلم

قال الأصمعي: حدثني رؤية قال: دخلت على أبي موسى صاحب الدعوة للعباسيين، فلما أبصرني نادى يا رؤية، فأجيبته:

ليبك إذا دعوتني ليبيكا

أحمد ربنا ما فاني إليكا

(٣) صحيح البخاري

(١) كنز العمال

الهيئة والأبهة طوى الإمام -رضي الله عنه-
رجله رغم ما به من ألم احتراماً لهذا العالم
المهيب!! وكان الناس يتكلمون عن منى يفطر
الصائم، وماذا لو أكل أو شرب قبل المغرب؟
فقال الرجل ذو الهيئة: ماذا لو وجب المغرب
قبل غروب الشمس؟؟!! ففهم الإمام أن
الرجل ظاهره مهيب عالم وباطنه لا يحكم من
العلم شيئاً!! فتنهد الإمام ثم قال: أن لأبي
حنيفة أن يمد رجله ومد رجله. ومبارك مثلاً.

لكني لم أقل مثل قول الإمام ولم يخطر ببالى
أن أمدد رجلى داخل الحرم المكي الشريف في
مواجهة الكعبة، لكني رأيت من واجبي أن
أصحح أحكاماً فقهية وردت، لقد مكنت
وتحملت الهجوم على التصوف والصوفية لأنى
أعلم أنه لا فائدة من الحوار، لكني والحق يقال لم
أتمكن من الشاب، حيث إن الشرطة جاءت
وفرقت الصليين بعد الصلاة ليشع المكان
للطائفين، وتأللت لأنى أحسست بأننى قصرت
في دورى نحو تصحيح وتصويب أحكام فقهية.

ثم قضينا مناسكنا، أدينا عمرتنا بمكة
المكرمة وحان وقت الرحيل إلى المدينة المنورة
الثلاثة بالنور اغمدى، ولا أكنتمكم سرا، فلقد
أحسننا بدفء الحب وهدوء النفس وسكينة
الفؤاد وكأننا أطفال أو صبية تهدهدهم أمهاتهم
في حنان فيتسمون في غبطة وسرور وجور.

كم اشتقنا إليك يا سيدى يا رسول الله، ولا
أقول أننا شغفنا غلتنا برحيق اللقاء، لكننا نطمح
في صدق أن تكتمل سعادتنا بأن نشرب من

حوضك يوم القيامة بيدك الشريفة وأن نحظى
بلقائك في الجنة وقد أرضانا وبلل شوقنا إليك ما
قلته لشوبان -رضي الله عنه-: «المرء مع من
أحب»^(١) ويشهد الله أننا تحبك ونسأل الله أن
يقبضنا على حبك.

قال صاحبي في جفوة أكرهها منه، لكني
أعهدا فيه: قال أحسن أنكم تفرطون في حب
المدينة والحديث عنها، ثم صمت بعد ذلك
وأدرك أنه لو زاد في حديثه لم يجد منى غير
الثائب الذى يصل إلى حد المقاتلة... أليس من
يقاتل فيقتل دون ماله فهو شهيد ودون عرضه
فهو شهيد!! وأى عرض بعد رسول الله ﷺ
وأى كنوز الدنيا تغنى عن محبته والولاء له
... ثم قلت: أنت يا صديقى لا تستطيع أن
تفرق بين معنى نجده في مكة وآخر نجده في
المدينة... فأنت تخلط الأمور وتحسب أننا نزيد
إفراطاً بحبنا للمدينة على ساكنها أفضل الصلاة
والسلام.

ثم واصلت حديثى قائلاً: مشكلتكم أنكم
تفهمون ما تسمعون حسب أهوائكم، ثم تردون
في عنف وجمود لكن الأمر يسير ومقبول لو
أنك أحببت أن تسمع وتفهم، فدعنى أقول لك
بأخوة وصدق: إن ما يسيطر علينا في مكة هو ما
يمكن أن نسميه تجلياً جالياً، فتهمين الرهبة
والقهر والوجل بما لا تطيقه أفئدة كثيرة بل إنها
تن من وطائه وتكاد القلوب أن تنط لها وحق
لها أن تنط.

أما ما تدركه في المدينة المنورة -زادها الله

نورا- هو ما يمكن أن نسميه تجلياً جالياً... فيه
الحب والدعة والحنان والبسط... ودعنى أذكر
لك مواقف حلوة بالمدينة... هزنتى وأمتعتنى
بهذا الجمال الفياض...

كنا نسير متجهين إلى الحرم المدني - قبل
صلاة الفجر - وعلا صوت رفاقي بالحديث
عن هموم بلدنا وما تعانیه منا وما نعانیه منها
وفيها، واقترب منا رجل مهيب وقور ذو شبة
ولكنه يقبض حبوية ووداً، أراد أن يلتفت
نظرنا - فى أدب ووقار - إلى أنه لا ينبغي أن
نشغل أنفسنا ونحن سائرون إلى حرم الله
وحرم رسوله ﷺ نذكر صلاة الصبح بغير
ذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله...
قدنا منا حتى سمعناه، وصمتنا عن الحديث
فيما نحن فيه هيبة لوقاره وشيبته وسمعناه
يردد ويرقع صوته بالصلاة والتسليم على
رسول الله، فأدركنا أن الرجل ينهانا ويوجهنا
في أدب نبوى كريم إلى الأدب النبوى الكريم
بأن علينا أن نشغل أنفسنا بالصلاة والتسليم
على رسول الله ﷺ ونحن قادمون عليه.

قال صاحبي كأنه يتهمكم أو هكذا خيل
إلى: وما هو ثانى الموقفين؟؟... قلت إنها
مواقف متعددة لكنى أؤثر أن أنهى حديثى
بموقف علمنا الأدب والتواضع وأن تتطامن لله
عز وجل وتذكرت قول ابن عطاء الله
السكندري: «رب معصية أكسبت ذلاً
وانكساراً خبير من طاعة أكسبت عزاً
واستكباراً»... لكنى أبادر فأقول لك: الحمد

الله أننا لم يخطر ببالنا العز والاستكبار.
لكننا رغم هذا فما حدث وسوف أحكيه لك
جعلنا نخجل من أنفسنا!! حيث إننا وجدنا من
هو أكثر منا فضلاً وخلقاً، ونحن نعتز بهذا
له، ونسأل الله أن يزيده منه وأن يكثّر من
أمثاله وأن يجعل المسلمين يتعلمون ويعرفون
أن القدوة الصالحة خير من كثير كلام مهما
علت بلاغته وسمت لغته.

فلقد جلسنا داخل الحرم النبوى وكانت ثمة
فرجة فى الصف... جلست متأخراً عنها قليلاً
وجلس أصحابى حولي قليلاً... وكان يجلس
قبل الفرجة شاب وضئ يبدو أنه سودانى... لم
يشعرنا أن هذا مكانه بين رفاقه لكنه نظر فى
حياء إلى الفرجة!! ولم يلتفت إلينا... لكنه قام
فى سمو رفيع وتواضع جم فعمد إلى رداء له
ووجد مكاناً فى المسجد أمامنا وليس عليه
بساط - وكان الجو يميل إلى البرودة بفعل
تكييف الهواء - وسط عليه الرداء فتكأ كما
الناس عليه واجتمعوا فوق الرداء، فلم يشأ
صاحب الخلق الرفيع أن ينتهى الناس أو
يزاحمهم، لكنه ترك المكان وذهب إلى مكان
آخر يصلى فيه...

قلت لصاحبتى ورفقتى: هل رأيتم هذه
القدوة الصالحة وهذا المثل النبيل وهذا الإيمان
العميق وهذا التواضع السخى وهذا الإيثار
الوفير، علنا نتعلم منه ونحن فى حضرة سيد
الخلق أجمعين ﷺ... القائل: «إنما بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق»^(٢)

٦٠٠ عالم ومثقف يبحثون في جاكارتا بيان

دونيبياتعزيز دور الإسلام كرحمة للعالمين

للأستاذ / عاطف مصطفى

يقول تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ مِنْ خَلْقِنَا مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لَهَا بِإِقْبَالٍ﴾

(الحجرات: ١٣)

من هذه الآية الكريمة، وما تحمله من معان سامية تخرص على الإنسان، مطلق الإنسان وتؤكد على ضرورة المحبة والتعارف المستمر، انطلق المسلمون في شهرى يونيو ويوليو الماضيين ومن خلال ثلاثة مؤتمرات، يحملون لواء السلام، وخطاب التفاهم بيننا وبين الآخر، بأن نؤمن بالله خالقنا، ونعبده وحده، وتلمس هديه الذى أنزله على أنبيائه ورسله، وأن نواجه متحدين مظاهر الظلم والطغيان والاستعلاء، ونتعاضد فى إنهاء الحروب والصراعات، والمشكلات الدولية، ونعمل سويا على إشاعة ثقافة التسامح والحوار، ودعم مؤسساته وتطوير آفاقه، واعتماده وسيلة للتفاهم والتعاون، وتوطيد ركائز السلم العالمى، والكف عن إهدار سوارى الإنسانية ومواجهتها فى إنتاج أسلحة الدمار الشامل التى تهدد مستقبل الأرض بالفناء، والتعاون على إشاعة القيم الفاضلة وبناء منظومة عالمية للأخلاق، تتصدى لهجمة

الانحلال الأخلاقى، وتواجه العلاقات غير الشرعية، خارج إطار الزواج، وتعالج الأخطار المحدقة بالأسرة، بما يصون حق الجميع فى العيش ضمن أسرة سعيدة.

• المؤتمر الأول عقد فى يونيو ٢٠٠٨ بمكة المكرمة وحمل عنوان: المؤتمر الإسلامى العالمى وحضره أكثر من ٥٠٠ عالم من علماء المسلمين من كل أنحاء العالم واقتتحه ورعاه خادم الحرمين الشريفين.

• المؤتمر الثانى فى الفترة من ١٣-١٥ / ٧ / ١٤٢٩ هـ الموافق ١٦-١٨ يوليو ٢٠٠٨ بعنوان: المؤتمر العالمى للحوار بمدريد عاصمة إسبانيا وفى وسط أوروبا واقتتحه الملك عبد الله بن عبدالعزيز عاهل المملكة العربية السعودية، والملك خوان كارلوس ملك إسبانيا، وحضره علماء ومفكرون من المسلمين ومن كل الأديان السماوية وصل عددهم إلى ٤٠٠ شخصية من أبرز الشخصيات العالمية.

تعزير دور الإسلام كرحمة للعالمين

أما المؤتمر الثالث وهو الموضوع الذى نتناوله، فكان فى جاكارتا عاصمة إندونيسيا وعقد فى الفترة من ٢٩ يوليو إلى ١ أغسطس ٢٠٠٨ بعنوان: المؤتمر الدولى عن تعزير دور الإسلام، كرحمة للعالمين.. نحو بناء السلام ودور الصراعات فى العالم الإسلامى، واقتتحه رئيس جمهورية إندونيسيا سوسيلو بامبانج يودويونو وشارك فيه ما يقرب من ٦٠٠ شخصية بينهم علماء مسلمون كثيرون ومن بلاد عربية عديدة.

نظمت المؤتمر وأشرفت على فعالياته جمعية نهضة العلماء، وهى إحدى كبرى منظمى إسلاميتين بإندونيسيا، ولها مؤسسة اجتماعية تربوية تعليمية، تضم مئات المدارس المنتشرة فى إندونيسيا وقد ألقى هاشم مزادى رئيس المؤتمر والرئيس العام للتنفيذى لجمعية نهضة العلماء كلمة تدور حول تأكيد الالتزام لتحقيق السلام فى

- محاور المؤتمر
- تركيز على:
- بناء المسلم
- ودور الصراعات فى العالم الإسلامى
- الالتزام
- بالقضاء على الفقر والامية وحل الصراعات
- البيئية.
- ضرورة
- تحصين المجتمعات الإسلامية من العناصر المحرصة على الكراهية والعنف والإرهاب

العالم الإسلامي، حيث أشار إلى ما يواجهه العالم الآن من مشكلات إنسانية بالغة التعقيد، وأصبحت المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية هي بؤرة الاهتمام، التي تولد القضايا الجادة في إطار عالمي، وأدى الصراع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي إلى ظهور الصراع بين الشعوب بشكل لا يمكن تفاديه، حتى أن آمال السلام التي نادى بها شعوب العالم باستمرار، أصبحت حلما بعيد المنال بسبب السلوكيات الفردية الطامعة.

وقال هاشم مزادى: إن الصراع الدموي، سواء ما يحدث بين الأديان أو القبائل والشعوب أو الجماعات، أصبح حقيقة لا تنكر في كثير من بلدان العالم، ويواجه الإنسان في تلك البقعة ألوانا من العنف وتبعاته، ولكن- وما يدعو للأسف- أن أعمال العنف التي حدثت في العالم، حدثت معظمها في الدول المسلمة، فلتنظر إلى ذلك الصراع المزمع في فلسطين والعراق والسودان وباكستان وبنجلاديش وكشمير وجنوب تايلاند وجنوب الفلبين، وغيرها من البلاد الإسلامية، فقد شهدت هذه البلاد تلك الصراعات الدامية، التي خلفت عددا من المشكلات المستعصية، مما يهدد كرامة الإنسان والنظام وحقوق الإنسان.

ما هو الحل؟

ويؤكد رئيس المؤتمر هاشم مزادى أن حل هذه الصراعات في البلاد الإسلامية، لا يمكن تحقيقها دون فهم جذورها الحقيقية،

فعلينا أن نبحث عن تلك الجذور في كل هذه البلاد التي تحدثنا عنها، وفي الحقيقة أن الدين ليس هو سبب تلك الصراعات، وإنما العوامل الاقتصادية والسياسية، كالفقر والظلم الاجتماعي والاعتداء على البيئة، هي السبب المباشر لحدوث الصراع، كما أن الظلم العالمي تجاه البلاد المسلمة يزيد من حدة هذا الصراع المزمع، والظلم العالمي أيضا يشجع كثيرا من الجماعات لاستخدام القوة والعنف كحل بديل لمشكلة الضعف، وعدم القدرة لمواجهة الظلم، وقد دلت عدد من الشواهد أن الظلم العالمي في المجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، أدى إلى تهميش أدوار كثير من الجماعات، مما أدى إلى ظهور أعمال العنف في صورة الصراع القبلي والديني والجمعي.

الصراع في فلسطين

وذكر على سبيل المثال الصراع في فلسطين وكيف يمكن حله، فقال: توجد خمس مشكلات أساسية تدعو إلى الاهتمام بها:

● الأولى: المجتمع العالمي الذي يمثلته الأمم المتحدة، والتي تميل إلى الطرف الإسرائيلي وتظلم الطرف الفلسطيني، ولم تتخذ موقفا عادلا تجاه هذا الصراع الدائر، فإذا كان هناك حل في صالح فلسطين، وعلى حساب إسرائيل، فهو مجرد حبر على ورق ولا يتم تنفيذه! والعكس صحيح فإذا كان الحل لصالح إسرائيل وعلى حساب فلسطين، فيتم

تنفيذه فوراً، ذلك لأن أمريكا دائما تدافع عن إسرائيل.

● والثانية: أن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ليس قضية المنطقة، وإنما صراع المصالح الأمريكية الأوروبية.

● والثالثة: وكما يقول: عدم الاهتمام الكبير من بعض الدول العربية الشرق أوسطية تجاه هذه القضية، فهم متفرقون في تحديد مواقفهم، والقضية الفلسطينية ليست قضية دينية فقط، وإنما قضية اقتصادية وثقافية وهيمنة سياسية.

● والرابعة: أن الشعب الفلسطيني نفسه، لم يجد حتى الآن موقفا موحدا ضد العدو الصهيوني، بل إنهم متفرقون ومختلفون في مواقفهم الجهادية، حسب سيطرة المذهب الحاكم، أو هيمنة الجماعات الحاكمة، فهناك جماعات منهم تتبع أسلوبا راديكاليا والآخر يسلك تيارا سلميا هادئا في مواجهة العدو.

● والخامسة: عدم اتفاق الرؤية من بعض الدول العربية تجاه ما يحدث الآن في فلسطين والحلول المطروحة لحل المشكلة!

دور مهم لعلماء المسلمين

وشدد رئيس المؤتمر على دور العلماء قائلا: إن العلماء مطالبون بالمشاركة في حل هذه القضايا في تلك الدول المسلمة. والعلماء لهم أدوار مهمة استراتيجية، باعتبارهم القوة الثقافية المؤثرة عبر الحدود. والتي لا تتمتع بها جماعات أخرى.

وبمصادر القوة الثقافية التي يتمتع بها العلماء، فإن لديهم قوة دافعة كبيرة للمشاركة في حل تلك القضايا بحرية مطلقة وهم قادرون على نشر ثقافة السلام في المجتمع مباشرة والعلماء أيضا لديهم القدرة لتوضيح أن الدين ليس سببا للصراع، وإنما السبب هو المشكلات الاقتصادية والسياسية المتفاقمة.

وعلى الرغم من أن جهود السلام تم بذلها على المستوى المحلي والقومي والعالمي في الأمم المتحدة، أو منظمة المؤتمر الإسلامي، لكن أدوار العلماء في حل هذه القضايا، مازالت مهمة ويمكن الاعتماد عليها، وبخاصة على المستوى الشعبي، حيث يستطيع العلماء تقديم أدوارهم في منع وقوع الصراع الدائر، ومنع وقوع الصراع هو الوظيفة الأساسية للعلماء تجاه الشعوب، حيث يبيتون كل الحقائق حول اختلاف الديانات، والسلام الذي ينبغي أن يسود بين بني البشر.

إسهامات لتحقيق السلام

وقال هاشم مزادى: في هذا الإطار تقدم «جمعية نهضة العلماء» باعتبارها منظمة تؤمن بقيم الوسطية والتسامح إسهاماتها في بناء السلام والحد من الصراع، وفي تطبيق هذه القيم تؤكد الجمعية على مدخلين.

● الأول: فقه الأحكام، وهو الجهود لبحث الحل الإسلامي من خلال أحكام الفقه الإسلامي للأمة المستعدة لتطبيق الشريعة الإسلامية، وفي إطار هذه الجهود تم

عقد حلقة علمية حوارية بعنوان «بحث المسائل الدينية بين العلماء»، وحلقة أخرى بعنوان «فقه الدعوة»، وكلها جهود لنشر الدعوة الإسلامية، وسط المجتمع الواسع المتنوع واختلف الثقافات والعادات وغيرها. وفي هذه الحالة لا يستخدم المدخل الفقهي، ولكن يستخدم مدخل الإرشاد والتوجيه، وهذا دليل على أن «جمعية نهضة العلماء» ملتزمة بعقولة شعار «رحمة للعالمين».. وتطبيقاتها العملية.. ومن هذا المنطلق فإن آمال السلام لا يمكن تحقيقها إذا لم يتم تأسيسها من منظور ديني تحت شعار «رحمة للعالمين» وهذا لا يمكن أن نجده إلا في إسلام «السلام والتسامح» وعلى هذا الأساس سيظهر الإسلام في الصورة التي نتمناها.

تواجد قوى لرابطة الجامعات الإسلامية

وقد شارك في المؤتمر الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، وقدم بحثاً مهماً بعنوان «الدور المأمول لمنظمة المؤتمر الإسلامي في تحقيق السلام ومنع النزاعات بين الدول الإسلامية»، وكذلك شارك في صياغة البيان الختامي للمؤتمر حيث اختار له عنوان «رسالة جاكارتا».

وعن أهم المداولات وما دار في المؤتمر قال الدكتور جعفر عبد السلام: المؤتمر استمر لثلاثة أيام، وكان البرنامج خلالها مزدحماً، حيث عقدت جلسات عامة خصصت للأوراق المهمة، كانت المناقشات جادة، وذلك أعطى

لي انطباعاً بأن هذا المؤتمر يستمد أهميته من رسالته، وحضور عدد كبير من علماء المسلمين، والتأكيد على ما قرر في مؤتمرات عديدة سابقة عن روح السلام والتسامح التي تميز بها الإسلام. ركز المؤتمر على الظلم وعدم العدالة كأسباب رئيسة للمشكلات في العالم الإسلامي وطالب العلماء للتصدي لهذه المشكلات كما دارت المناقشات من خلال البحوث المقدمة حول أربعة اتجاهات:

● الاتجاه الأول: يتصل بحسم النزاعات وتسويتها سلمياً، وضرورة الاهتمام بالقيام بدراسات علمية معمقة تنتج تصوراً واضحاً عن خارطة الصراعات في العالم الإسلامي، سعياً لاكتشاف العوامل الرئيسة المسببة لها والأطراف المعنية بها، كما جرى الحديث عن إقامة نظام مبكر ضد الصراعات، لعمل إجراءات استباقية لتلافيها والقيام بدراسات وبحوث معمقة في هذا الاتجاه من قبل «علماء عبر الحدود».

● الاتجاه الثاني: الاهتمام بتجميع علماء العالم الإسلامي للنظر في مشكلات الأمة، وكيفية الارتقاء بها.

● الاتجاه الثالث: التركيز على اعتبار العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية هي محركات الصراعات وأسباب النزاعات وإبعاد الدين عن أن يكون سبباً للنزاعات.

وعلق د. جعفر على هذا الاتجاه بقوله: مع تقديري لهذا البعد إلا أنني لا أتفق معهم فيه، فالدين كدين لا يثير نزاعاً، ولكن المؤمنين

بالأديان اختلفوا وتنازعوا بسبب تفسيرات وتأويلات مختلفة، لذا تفرقوا واقتتلوا بسبب الاختلاف في الاعتقاد.

● الاتجاه الرابع: الاهتمام بخطورة العناصر الخروسة والمهشمة من حقوق الإنسان الاقتصادية على وجه الخصوص، وكان من أهم الأعمال التي دارت حولها بحوث المؤتمر تأسيس مفوضية للمؤتمر من كل الأقاليم الجغرافية التالية: شرق آسيا، والمحيط الهادى، وجنوب ووسط آسيا، الشرق الأوسط، أفريقيا، الأمريكتين، أوروبا.

توصيات في حاجة لتفعيلها

وجاء البيان الختامي للمؤتمر بعنوان «رسالة جاكارتا» وتضمن الآتى: استناداً إلى يقيننا الجازم بأن التعاليم الإسلامية السمحة تلزم الأمة جميعها بتبني قيم السلام والعدالة والحرية والوسطية والتسامح والتوازن والشورى والإنصاف، باعتبارها أساساً جوهرياً للكرامة الإنسانية، واسترجاعاً لمقررات المؤتمرين الأول والثاني، والتي تبلور من خلالها تصوراً مشتركاً جامعاً، يكون الإسلام رحمة للعالمين في مواجهة تناقضات عالمنا اليوم، وأن ثمة حاجة ملحة لتحويل ملتقى العلماء والمثقفين المسلمين، من مناسبة موسمية إلى منتدى وحركة عالميين دائمين، وذلك في سبيل تفعيل دور العلماء المسلمين كورثة للأنبياء في قيادة مختلف مكونات الأمة الإسلامية، وإذ نؤكد على موقفنا المبني بأن من واجب

علماء المسلمين اليوم أن يسموا على كافة الحواجز، من أجل بناء السلام، ودرء وقوع الصراعات وغيرها من المشكلات، غير تهيئة الأجواء المناسبة لأطراف النزاعات والوساطة والتحكيم وغيرها.

وأعلن المجتمعون من خلال توصياتهم: ● حتمية تجسيد النموذج «الإسلام رحمة للعالمين» في شكل نظام سلوكي إنساني يسعى دوماً نحو تحقيقها التناغم بين قيم الخير العالمية (الخير) والخلية (المعروف) كما توحى بذلك الآية:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَعْرِفُوا وَأَخْتَفُوا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

(آل عمران: ١٠٥)

● استمرار الجهود الإصلاحية من أجل تحويل العوائق النفسية، المتمثلة أساساً في الشك المتبادل، إلى يقين متبادل من خلال إجراءات لبناء الثقة، جوهرياً لعمل الصالح كما تلهمنا بذلك الآية الكريمة:

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

(سورة الحجر: ٩٩)

وكذلك الآية:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَغْفِرُوا الْعَذَابَ الَّذِينَ مَاتَ كُفُورًا يَأْتِيَكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(سورة البقرة: ١٤٨)

● إن جذور الصراعات لا يمكن ردها إلى عوامل دينية محضة، بل هي محصلة عوامل أخرى شتى، منها ما ينتج من داخل المجتمع المعين، ومنها ما يتأتى من خارجه، تلك العوامل التي تشمل سوء استخدام القوة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

● إن العولمة قد أنتجت وضعاً تتسع فيه الهوية باستمرار بين القوى الموجودة في مركزها، وتلك الواقعة على أطرافها، وأن مثل هذا الوضع يحتم على الدول والأمم العمل بشكل دؤوب على مراجعة الهياكل السياسية التي تسبب في العواقب الوخيمة على الإنسانية مثل الصراعات والتوترات والعنف.

● واشتملت التوصيات أيضاً على ضرورة صرف الاهتمام اللازم نحو التعارض القائم بين الصورة المثلى للإسلام كدين للسلام والوحدة، وبين واقع المسلمين اليوم الذي تشوّه الصراعات والعنف والفقر المدقع والمعاناة.

● تشجيع وسائل الاتصال الجماهيري على تقديم تغطية موضوعية ومتوازنة تختلف القضايا التي تهتم المجتمعات الإسلامية عبر العالم، ونجيب صناعة أجواء الخوف المرضى من الإسلام وتشويه صورته، إضافة إلى تمكين الرأي العام من لعب دور فعال من خلالها.

● التأكيد على التزامنا القاطع نحو القضاء على الفقر والعوز والأمية، وكل أشكال عدم العدالة، وذلك في عزم وحكمة

وإيمان بأن الله سوف يفتح لنا من الخير أبواباً، إن نحن بدأنا بتغيير ما بأنفسنا كما جاء في هذه الآية الكريمة:

﴿لَمْ يُعَيِّنْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُكُمْ مِنْ أَمْرِ الْقِيَامِ ۚ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يَغْيُرَ أَمَّا بِأَنْفُسِهِمْ ۚ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومُ شَيْئاً فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ أَمْرِ شَيْءٍ ۚ﴾

(سورة البرعد آية: ١١)

● التشديد على تعهدنا بتشجيع مختلف مكونات الأمة على حل الصراعات العقائدية البنية، والذي سيشكل إسهاماً ذا دلالة تجاه السلم والأمن الإنساني العام.

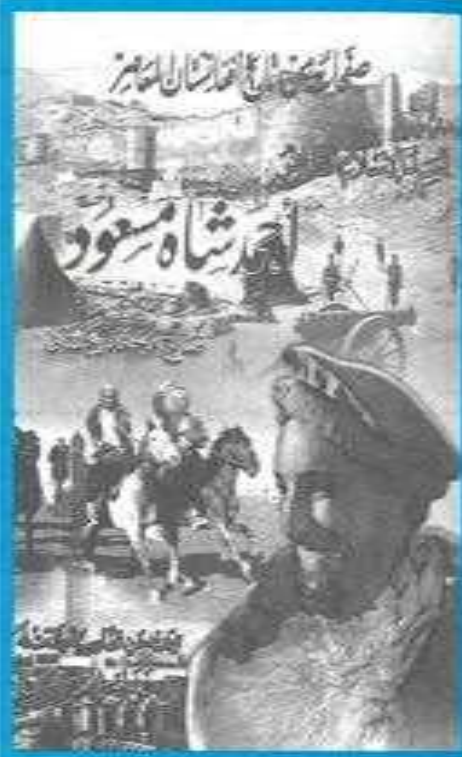
● لعب دور أكثر فعالية في إطلاق حملات التواحم والسلام بصرف النظر عن اختلافاتنا المذهبية أو القطرية.

● تمكين الشباب المسلم من المشاركة المدنية الفعالة، بما فيها درء الصراعات وبناء السلام.

● تخصيص مجتمعاتنا من العناصر المخروجة على الكراهية والعنف والإرهاب.

● تدشين تجمعات علمية تقوم بالدراسات والبحث العلمي اللازم حول قضايا درء الصراع وحله، إضافة إلى إجراءات إرساء السلام في مراحل ما بعد حل الصراعات وبناء الثقة على أن يتم هذا كله بالتعاون مع الجامعات المرموقة ومؤسسات البحث والمثقفين المعترف بهم على نطاق واسع.

قراءة في كتاب



للاستاذ / عادل خفاجة

١

لم يختلف اثنان من زملاء أحمد شاه مسعود أو رفاقه والذين كتبوا عنه أنه كان جندياً ممتازاً ومحارباً فذاً، وصاحب حنكة وخبرة أعطتها له سنوات الجهاد التي بدأها في أوليات شبابه المبكر، وكان قائداً مغواراً وسياسياً يحسن سياسة من يقودهم وكان قوى الإيمان راسخ العقيدة واثقاً بالله تعالى وكان زاهداً متقشفاً.

وكان محباً للحرية شديد الحرص عليها حتى قال محبوبه «كأن الحرية شبيهة بغزال يرى احتضنه مسعود بصعوبة، وأي إهمال لهروب هذا الكائن الطاهر في صحراء مترامية كان يسبب لمسعود مشكلة حقيقية».

يقع كتاب: «صفحات من تاريخ أفغانستان.. أسد الإسلام الطاهر.. أحمد شاه مسعود» في ثلاثمائة وستين وثمان صفحات من القطع (١٦ × ٢٣,٥ سم) وهذا الكتاب في واقع الأمر كتابان: أحدهما تحت عنوان «أفغانستان.. الأرض والتاريخ» وهو عبارة عن مقدمة المترجم ينتهي عند ص ٩٨ كتبته الأستاذة الدكتورة عفاف السيد زيدان أما الآخر فهو من تأليف صالح محمد ريكستاني وتنتهي ترجمته العربية عند



أحمد شاه مسعود

وحسودوها مع
تاجيكستان
١٢٠٦ كم ومع
تركمنستان
١٠٢١ كم ومع
أوزبكستان ١٣٧ كم
ويحدها من الجنوب
والشرق الباكستان

وتبلغ حدودها معها ٢٢٤٠ كم ويحدها
من الغرب إيران بحسودود تصل إلى
٩٠٠ كم ويحدها من الجهة الشمالية
الشرقية جمهورية الصين وحدودها معها
٩٣ كم ولأفغانستان حدود مشتركة مع
جامو وكشمير تبلغ ١٠٢ كم.

ثم تناولت تاريخ الأسر والأشخاص
الذين حكموا أفغانستان، وكان
لأفغانستان في العصور الإسلامية الجزء
الأكبر من هذا القسم.

وفي معرض حديثها عن الشخصية
الأفغانية تقول: «اتهمت الشخصية
الأفغانية في الآونة الأخيرة اتهامات
كثيرة وألحقت بها صفات متنوعة مثل:
الرجعية، والجسود، والبدانة بل إن
البعض غالى في هذه الصفات فجعل
الأفغان نموذجاً للعصور الوسطى وما
يدعو إلى الغرابة أن هذه الصفات طقت
على السطح بعد زوال الاتحاد السوفيتي
في ٢٢ ديسمبر ١٩٩١ م، وبعد أن تمكن
الأفغان أن يلحقوا بجيوشه - التي قيل
أنها لا تهزم - هزيمة ثقيلة».

شريف وقندز.

ثم ذكرت أن أهم الثروات الطبيعية
في أفغانستان الغاز الطبيعي - البترول -
الفحم الحجري - النفط - الحديد -
النحاس - حجر اللازورد - الياقوت -
الزمررد - والمرمر - والرخام والذهب
والفضة - القصدير واليورانيوم.

وعن الدين في أفغانستان تقول
الدكتورة: قبل الإسلام وجدت في
أفغانستان الديانة البوذية والديانة
الزردشتية وحينما فتح الخليفة الراشد
عثمان بن عفان - رضي الله عنه -
أفغانستان عام ٢٣ هـ اعتنق أهل
أفغانستان الإسلام وجميعهم سنة على
مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ويمثل
الشيعة حوالي ٥٪ من مجموع السكان.

وعن طبيعة أفغانستان تقول:
أفغانستان قطر داخلي ليس له شواطئ
على البحار والمحيطات وهي بلاد جبلية
تمتد جبال الهندوكش فيها من الشمال
الشرقي إلى الجنوب الغربي فتقسمها من
النواحي الجغرافية إلى قسمين شمالاً
وجنوباً ويصل ارتفاع بعض قممها
٧٤٨٥ متراً فوق سطح البحر.

موقع أفغانستان:

تبلغ مساحة أفغانستان
٦٥٢٢٢٥ كم^٢ وتحتل أفغانستان موقعاً
استراتيجياً بالغ الخطورة فمن الشمال
تحدها الجمهوريات الإسلامية:
تاجيكستان وتركمنستان وأوزبكستان

٤٤٣ هـ.

• العلاقات الأفغانية الروسية من عهد
الأمير محمد خان حتى برك من ١٨٢٦ م
- ١٩٨٦ م تأليف الدكتور حق شناس.
ولها في مجال التأليف العديد من
المؤلفات في الأدب الفارسي منها:

١- شاعر أفغانستان المعاصر خليل
الله خليلي وقد طبع ونشر في القاهرة.
٢- الحب في الشعر الفارسي وقد طبع
ونشر في القاهرة أيضاً.

رأست العديد من المؤتمرات الدولية
التي أقيمت بجامعة الأزهر.

• سافرت إلى إيران وأفغانستان
بدعوة من حكومتيهما لتمثيل مصر في
عدد من المؤتمرات الدولية التي عقدت في
الدولتين الشقيقتين.

وفي هذه الدراسة التي جعلتها مقدمة
للكتاب تناولت الدكتورة عوامل نجاح
المجاهدين الأفغان وأسباب هزيمة الروس
كما تكلمت عن رحلتها إلى أفغانستان
والأسباب الداعية لترجمة هذا الكتاب
ولماذا غيرت اسم الكتاب من «أحمد شاه
مسعود والحرية» إلى «أسد الإسلام
الظافر أحمد شاه مسعود» وفي حديثها
عن أفغانستان .. الأرض والتاريخ ذكرت
مجموعات الأنهار الرئيسية الثلاثة ثم
الأقسام الإدارية في أفغانستان ثم ذكرت
تعريفها بأشهر المدن فتكلمت عن: كابل
وقندهار ومدينة غزنة وباميان وهرات
وبلخ وجلال آباد وبغلان وكرديز ومزار

صفحة ٣٣٧ أما بقية صفحات الكتاب
فقد خصصت لعدد من الصور الضوئية
لأحمد شاه مسعود وأسرته وبعض رفاقه،
وكذلك للتعريف بكل من المؤلف المترجم
وثبت المصادر والمراجع التي استخدمت
في مقدمة المترجم والتي تقارب الخمسين
وهو ما يعكس لنا درجة الدقة والتوثيق
التي تتمتع بها الدكتورة عفاف زيدان.
وتعريفاً بالدكتورة عفاف السيد زيدان
نقول: هي أستاذ اللغة الفارسية وآدابها
بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر،
وهي أول سيدة عربية سافرت إلى
أفغانستان لدراسة الدكتوراه في الأدب
الفارسي في جامعة كابل.

• تولت العديد من المناصب في جامعة
الأزهر:

• رئيسة قسم اللغة الفارسية وآدابها
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية.
• رئيسة قسم اللغة الفارسية وآدابها
بكلية الدراسات الإنسانية.
• وكلية كلية الدراسات الإسلامية
والعربية.

• وكلية كلية الدراسات الإنسانية.
• عميدة كلية الدراسات الإنسانية.

مقررة اللجنة العلمية الدائمة لترقية
أساتذة اللغات الشرقية بجامعة الأزهر.

• لها في مجال الترجمة العديد من
الترجمات أهمها:

• زين الأخبار للكرديزي المتوفى عام

ثم تذكر أن التركيبة السكانية للشعب الأفغاني تركيبة متنوعة وأن أهم الأجناس، والعرقية في أفغانستان هم الأفغان والتاجيك والهزارة والأوزبك والتركمان والعرب وهذه التركيبة تذوب وتندمج لتخرج منها الشخصية الأفغانية بفضل توحيد الإسلام لهذه الأجناس، فالكل مسلم يؤمن بالله تعالى وبكتابه وبرسوله ﷺ.

ثم تكملت عن الهوية الثقافية للأفغان وعن أهم اللغات التي كان لها الفضل في بلورة هذه الهوية الثقافية وأكسبتها مميزات وشخصيتها التي تنفرد بها عن غيرها من الأمم والشعوب فأفست عدة صفحات للحديث عن اللغة العربية واللغة الفارسية واللغة الباشتو واللغة التركية.

فإذا ما انتهت الدكتورة من حديثها عن «أفغانستان الموقع والتاريخ» انتقلت إلى الحديث عن «عوامل التميز والعبقريّة في شخصية أحمد شاه مسعود» وعن العوامل التي ميزت شخصيته فذكرت عدة عوامل أهمها.

- عنصر المفاجأة في المعارك.
- الشعور بالمسؤولية تجاه الجنود في الجبهة وتأمينهم وبتثالثة في نفوسهم.
- اعتماده على قوة مخابرات يقطعة.
- كونه إدارياً ناجحاً وقائداً مرموقاً.
- كما كان يتمتع بالتقوى والورع والزهد.

ثم اختتمت هذا البحث بالكلام عن استشهاد أحمد شاه وأنه استشهد من أجل أربعة أشياء هي: الإسلام وأفغانستان والأفغان والحرية. وأنه من أجل ذلك استحق أن يقوّر بلقب بطل أفغانستان.

بعد هذا العرض المستفيض الذي سطرته الدكتورة عفاف زيدان عن «أسد الأسود الحمسة» كما يلقبه الأفغان أو عن «أسد الإسلام الظافر» كما لقبته هي وعن موطنه أفغانستان أوردت الترجمة لكتاب: «أحمد شاه مسعود وآزادي» أي: أحمد شاه مسعود والحرية وتعريفاً بالمؤلف نقول:

هو الأستاذ صالح محمد ريكتاني أحد المجاهدين الذين لازموا أحمد شاه مسعود في جبهة القتال وظل يعمل إلى جواره حتى استشهاده عام ٢٠٠١م وكانت تجمعهم به أواصر القرى، وكلاهما من مدينة بنجشير معقل القتال، العتيد ضد الاتحاد السوفيتي السابق.

درس المرحلة الابتدائية في مدرسة الاستقلال بكابل ثم درس المرحلة الثانوية في المدرسة الصناعية في كابل أيضاً، والتحق بالجامعة العسكرية حيث تخرج ضابطاً، ولكنه تعلم فنون العسكرية والجنديّة من أحمد شاه مسعود، وتدرج في المناصب العسكرية من مجاهد عادي حتى وصل إلى درجة

معلم وقائد، ثم أسند إليه قطاع العمليات في جيش المجاهدين بقيادة أحمد شاه مسعود.

وفي عام ١٩٩٤م انتظم للدراسة في كلية الحقوق والعلوم السياسية في كابل، ولكنه لم يتم الدراسة فيها نظراً لسيطرة حكومة طالبان في ذلك الوقت.

ومن عام ١٩٩٧م إلى عام ٢٠٠٠م كان ممثلاً لأحمد شاه مسعود في تاجيكستان، وعمل مستشاراً عسكرياً في سفارة أفغانستان في روسيا.

له العديد من المؤلفات عن فترة الاحتلال السوفيتي في أفغانستان ومقاومة المجاهدين وشعب أفغانستان لهذا الاحتلال البغيض.

تقع ترجمة الكتاب بدءاً من ص ٩٩ وتنتهي في صفحة ٣٣٧ وقد قدم المؤلف كتابه للقارئ العربي بقوله: يعتبر أحمد شاه مسعود أشهر قائد أفغاني في الجهاد ضد الاتحاد السوفيتي في الأعوام ١٩٧٩ - ١٩٨٩م.

ففي سن التاسعة عشر من عمره التحق بسلك المجاهدين وجاهد أكثر من ربع قرن من أجل الإسلام والحرية، ولقد امتزجت شهرته في داخل أفغانستان بالأساطير، لدرجة أن وجهه من حيث الشكل انحصرت فيه أشكال جميع السلالات والأقوام التي استوطنت

أفغانستان، وفي الواقع كانت حياته بسيطة للغاية ولكنها كانت مؤلمة، فلقد أوقف ما يقرب من ثلاثين عاماً من عمره للجهاد من أجل الإسلام والمسلمين، ثم لقي وجهه ربه شهيداً، وقصة استشهاديه مفجعة ومؤلمة.

كان مولده في وادي بنجشير وهو المكان الذي حدثت فيه أكثر الخسائر لجنود الاتحاد السوفيتي في أفغانستان.

وفي عام ١٩٧٨م تولت الحكومة الشيوعية مقاليد الحكم ثم دخل السوفييت ثم جاءت طالبان، وحتى عام ٢٠٠١م تعرضت بنجشير مرات ومرات لهجوم قوات الحكومة الشيوعية ثم الاتحاد السوفيتي وبعدها طالبان ولكنها لم تحتل ولم تهزم، وكل هذه المقاومة وهذا الصمود كان نتيجة للقيادة الحكيمة لأحمد شاه مسعود، ولهذا السبب لقيه أعداؤه بالفارس المغوار، أما أجياله ورفاقه فقد لقبوه بأسد بنجشير.

وذات مرة سأله أحد الصحفيين: يقولون عنك أسد بنجشير فما هي وجهة نظرك في هذا الأمر؟ فأجاب: «إن الأسد حيوان أما أنا فإنسان».

ويقصد من ذلك أنه إنسان بالمعنى الحقيقي والواقعي.

استمع



لين المجلة و القارة

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

مانشستر سيتي

قام مؤخراً أحد الأثرياء العرب بشراء النادي الإنجليزي الشهير مانشستر سيتي بمقابل لم يكشف عنه، ولكن الثرى العربى قام بإبرام صفقات هائلة فى مجال شراء اللاعبين لتدعيم صفوف ناديه وأنفق فى سبيل ذلك مبالغ مالية ضخمة غير مسبوقة فى تاريخ القارة الأوروبية، فعلى سبيل المثال فقد قام بشراء حارس الدولى (جان لويجى بوفون) حارس مرمى يوفنتوس الإيطالى بمقابل يبلغ سبعين مليون يورو (حوالى ٩٠ مليون جنيه مصرى) وكان قبل ذلك قد قام بتقديم شيك على بياض لنادى ريال مدريد لشراء لاعبه الدولى الهولندى (نيستلروى) فضلا عن قيامه بشراء اللاعب الدولى الشهير (روبنيس) بمبلغ خمسين مليون يورو (حوالى ٣٥٠ مليون جنيه مصرى) أى أن الرجل قام بإتفاق نحو مليار جنيه مصرى لشراء ثلاثة لاعبين فقط، وصرح فى أكثر من مناسبة أنه سيسعى لتدعيم مانشستر سيتي بأفضل اللاعبين فى العالم دون أكثر اثار بالمقابل المادى الذى سيتكبده جراء ذلك !!

قد يقول قائل: وما شأنك.. الرجل ينفق ماله بالشكل الذى يتوافق مع مزاجه وهواه، وهو ماله هو لامال غيره. هنا أقول: أتذكرون يوم قام الخليفة الراشد

عمر بن الخطاب.. رضى الله عنه - بمصادرة نصف أموال خالد بن الوليد بمجرد أن علم أن خالداً أجزل العطاء لشعراء مدحوه !!

وقد يقول قائل آخر: إن كرة القدم اليوم مجال من مجالات الاستثمار الاقتصادى التى تدر أرباحاً طائلة وأن الملايين التى دفعها هذا الثرى لشراء النادي الإنجليزي وتدعيمه باللاعبين مستعود عليه بأرباح مضاعفة عندها أقول: إن مجالات الاستثمار فى العالم العربى عديدة ومتنوعة ومربحة أيضاً، فهل يتصور عقل أن المساحة الممتدة من الخليج العربى شرقاً إلى المحيط الاطلنطى غرباً لا توجد بها مجالات استثمار مربحة. ناهيك عن دول العالم الإسلامى باكستان والهند واندونيسيا وماليزيا وغيرها، هل هذه الدول لا توجد بها مجالات استثمار مربحة !!

ثم أين الاستثمار مع الله.. البشر فى أفريقيا من المسلمين وغير المسلمين يتضورون جوعاً ولا يجدون ما يسد رمقهم.. ألا تذكرون ما فعله عثمان بن

عفان - رضى الله عنه - يوم اشترى بشر رومة من صاحبها اليهودى الذى كان يبيع الماء للمسلمين بثمن باهظ فاشتراها عثمان وجعل ماءها للمسلمين بغير ثمن.

أرض المسلمين أولى بأموال المسلمين من أى مكان آخر ومجالات الاستثمار فيها عديدة ومتنوعة وواضحة لمن أراد، ولكن المشكلة أن القوم يبحثون عن الشهرة والأضواء، فالاستثمار فى أرض القارة الأفريقية وهى تكاد تكون مستودعاً للمواد الخام الحيوية والاستراتيجية فى العالم كله - يتطلب عملاً وجهداً هائلاً لن تتوقف عنده كاميرات الفضائيات، على العكس من الاستثمار فى نادى كروى شهير بحجم مانشستر سيتي حيث يكون المستثمر ضيفاً دائماً على شاشات الفضائيات !!

وهذا هو سر تأخر عالمنا الإسلامى عن غيره وستبقى كذلك ما لم يظهر فينا من يرعى الله من مال المسلمين.

أحمد تقي الدين

من نفحات.. رمضان الكريم.. عيد الفطر المبارك

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ / إبراهيم مسلم إبراهيم النجار - مدير عام تنظيم وإدارة سابق - سند نهج - قلوبية:

من نفحات شهر رمضان المعظم عيد الفطر المبارك، وهو عيد الجائزة، لأنه يأتي بعد أن ربنا في سوق حسناته وطيباته - أعاده الله علينا بالخير والبركات، ونكون سعداء باستعادة القدس الشريف وتطهير أرض المسلمين وتحريرها من المعتدين.

والعيد شعيرة من شعائر الإسلام ومظاهره الهامة، وهي - بلا شك - فرصة ومناسبة طيبة نروح بها عن أنفسنا بالمتعة الحلال اقتداء بقول رسول الله ﷺ: «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت». (كشف الحقا).

وقد قررنا الرسول ﷺ وأمر بها وواظب عليها كما أمر بالخروج لها للصلاة مع اصطحاب النساء والأطفال.. كذلك أمرنا في مناسبتها بالغسل والتطيب وليس الجميل من الثياب.. ويقول أنس - رضي الله عنه - وهو خادم النبي ﷺ: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نلبس أجود ما نجد وأن نتطيب بأطيب ما نجد وأن ننضح بأنمن ما نجد».

وقد كان الصحابة يتزاورون ويتبادلون التهاني والدعوات.. فإذا التقى أحدهم مع الآخر يوم العيد يقول:

تقبل الله منا ومنكم، كما يقول أنس - رضي الله عنه - أيضا: كان النبي ﷺ قدم المدينة وكان لأهلها يومان يلعبون فيهما منذ أيام الجاهلية فقال ﷺ لأصحابه: «قد أبدلكم الله - تعالى - بهما خيرا منهما.. يوم الفطر ويوم الأضحى» (سنن النسائي) وكان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه قد نهر جاريتين في بيت عائشة ينشدان الشعر في يوم العيد فقال له ﷺ: «يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وإن اليوم عيدنا». (مسند أحمد).

وفي بيان رائع يوضح المصطفى ﷺ في حديثه إلينا في هذه المناسبة إذا كان غداة الفطر يبعث الله ملائكته فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق: اخرجوا إلى رب كريم يغفر الذنوب العظيم فإذا برزوا إلى المصلي يقول الله تعالى: يا ملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا: جزاؤه أن يوفي أجره. فيقول الله تعالى: يا ملائكتي أشهدكم أنني جعلت ثوابهم من صيامهم وقيامهم رضائي ومغفرتي.. يا عبادي سلوني: فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم في جمعكم هذا شيئا لاخرتكم إلا

أعطيتكم، ولا شيئا لدنياكم إلا نظرت إليكم، وعزتي وجلالي لأسترن عبويكم ولا أفضحكنكم ولا أخزبنكم.. انصرفوا مغفور لكم فقد أرضيتموني فرحيت عنكم». (كنز العمال)

فما أعظم ديننا.. وما أروع نبينا الكريم حين يتبسه على الترويح عن المسلمين باللهو البريء في أيام عيدهم وفي أيام تكبيرهم ذكرا وتسيححا وإجلالا لله تعالى وعظمته وقدرته:

﴿الْأَبْدَانُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

ولكن نلاحظ أن كثيرا من التمسكين بظواهر النصوص يذهبون إلى الاكتفاء بالاحتفال بعيدى الأضحى والفطر.. ونحن نرى أن الرسول ﷺ لم يمنع أن يكون هناك مناسبات التقاء بين أفراد المسلمين تحشيم على التواصل وصلة الأرحام، بشرط أن تكون بعيدة عن الخجون والرقص.. فلا حرج شرعا أن نحتفل بذكرى ميلاد أو زواج أو أى نعمة من نعم الله تعميما للخير بين الناس.

أما عن علاقة المسلمين بغيرهم من أهل الديانات الأخرى، فإن القرآن الكريم يحث على تبادل التحية بينهم ومشاركتهم في مناسباتهم وهذا من سماحة ديننا الحنيف، حيث يقول تعالى:

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنِ مِمَّا أَوْدَدُوهَا﴾

وقد كان الرسول ﷺ يزور جاره

النصراني المريض وكان أيضا يقف لجنازة يهودي وهذا دليل على عفوه ورغبته في التسامح مع أهل الديانات الأخرى باحترام كل عقيدة بهدف بذل الحب والمؤاخاة بين أفراد المجتمع.

وتعود فنقول إن الأعياد هي موسم الفرح والسرور وخصوصا لأطفال المسلمين حين يذهبون أو يرافقون آباءهم إلى مصلى العيد فتتغرس في نفوسهم العادات الحسنة الطيبة فيحترم الطفل دينه ويحرص على سلامة مجتمعه.. قال تعالى:

﴿قُلْ يُضِلُّ أَفْهًا بَعْضُهُمْ فَبِأَفْهَى مِمَّا بَدَأُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَحْكُمُونَ﴾

يقول ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها..» (كشف الحقا).

وفرحة العيد تتجلى فيها كل معاني الخير التي تتمثل في أعمال البر والصدقات والعطف على الفقراء والمساكين، والاهتمام باليتامى والمعوذين - فهنيئنا لمن تقرب إلى الله بهذه القربات في هذه الأيام ووسع على أبنائه وأبناء المسلمين حتى ينعم الجميع بالآلفة والحب والتراحم وحسن الوصال.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنحنا حفظ ديننا وسلامة وطننا وأن يبارك وحدة ونهضة أمتنا.

وكل عام وأنتم بخير

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

من الأستاذ عبد الله رجب. مدرس بالمعاش. شبرا مصر - جاءت هذه الأسطر عن الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

عمر بن عبد العزيز بن مروان، الخليفة الصالح، أبو حفص، خامس الخلفاء الراشدين.

قال سفيان الثوري: «الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز» أخرجه أبو داود في سننه.

ولد عمر بن حلوان، قرية بمصر، وأبوه أمير عليها سنة إحدى وستين، وقيل: ثلاث وستين وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب، وكان يوجه عمر شجرة، ضربته دابة في جبهته - وهو غلام - فجعل أبوه يمسح الدم عنه، ويقول: «إن كنت أشج بنى أمية إنك لسعيد» أخرجه ابن عساكر.

وكان عمر بن الخطاب يقول: من ولدي رجل بوجهه شجرة يملأ الأرض عدلاً، أخرجه الترمذي في تاريخه، فصدق ظن أبيه فيه.

وأخرج ابن سعد أن عمر بن الخطاب قال: «ليت شعري! من ذو الشين من ولدي الذي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً».

وأخرج عن ابن عمر قال: كنا نتحدث أن الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر، يعمل بمثل عمل عمر، فكان بلال بن عبد الله بن عمر بوجه شامة، وكانوا يرون أنه هو، حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز.

روى عمر بن عبد العزيز عن أبيه، وأنس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وابن قارظ، ويوسف بن عبد الله بن سلام، وعامر بن سعد، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وأبي بكر بن عبد الرحمن، والربيع بن سمرة، وطائفة.

روى عنه: الزهري، ومحمد بن المنكدر، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومسلمة بن عبد الملك، ورجاء بن حيوة، وخلائق كثيرون.

حفظ القرآن وهو صغير، وبعثه أبوه إلى المدينة يتأدب بها، فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم، فلما توفي أبوه طلبه عبد الملك إلى دمشق وزوجه ابنته فاطمة.

وكان قبل الخلافة على قدم الصلاح أيضاً، إلا أنه كان يبالغ في التمتع، فكان الذين يعيبونه من حساده لا يعيبونه إلا بالإفراط في التمتع والاختيال في المشية، فلما ولي الوليد الخلافة أمر عمر على المدينة، فوليها من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين، وعزل، فقدم الشام.

ثم إن الوليد عزم على أن يخلع أخاه سليمان من العهد، وأن يعهد إلى ولده، فأطاعه كثير من الأشراف طوعاً وكرهاً، فامتنع عمر بن عبد العزيز، وقال لسليمان:

في أعناقنا بيعة، وصمم على موقفه، فغضب عليه الوليد، فلما تولى سليمان حفظها له فعهد إليه بالخلافة.

قال زيد بن أسلم عن أنس رضي الله عنه: «ما صليت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى - يعني عمر بن عبد العزيز - وهو أمير على المدينة، قال زيد بن أسلم: فكان يتم الركوع والسجود، ويخفف القيام والقعود، له طرق عن أنس» أخرجه البيهقي في سننه وغيره.

وسئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز، فقال: هو نجيب بنى أمية، وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده.

وقال ميمون بن مهران: كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة.

بويج بالخلافة بعهد من سليمان، في صفر سنة تسع وتسعين فمكث فيها سنتين وخمسة أشهر، نحو خلافة الصديق رضي الله عنه، ملأ فيها الأرض عدلاً، ورد المظالم، ومن السنن الحسنة، ولما قرئ كتاب العهد باسمه اضطرب وقال: والله إن هذا الأمر ما سألته الله قط، وقدم إليه صاحب المراكب مركب الخليفة فأبى وقال: اثنوني ببغتي: قال الحكم بن عمر: شهدت عمر بن عبد العزيز حين جاءه أصحاب المراكب يسألونه العلوقة ورزق خدمتها، قال: ابعث بها إلى أمصار الشام يبيعونها فيمن يريد، واجعل أثمانها في مال الله، تكفيني بغتي هذه الشهباء.

وقال عمر بن ذر: لما رجع عمر من جنازة سليمان قال له مولا: مالي أراك مغتما؟ قال لمثل ما أنا فيه فليغتم، ليس أحد من الأمة إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه غير كاتب إلى فيه ولا طالبه مني.

وعن عمرو بن مهاجر وغيره أن عمر لما استخلف قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام، ألا وإنني لست بفارض ولكني متفد، ولست بمبتدع، ولكني متبع، ولست بخير من أحدكم، ولكني أثقلكم حملاً، وإن الرجل يهارب من الإمام الظالم ليس بظالم، ألا لا طاعة مخلوق في معصية الخالق.

وعن الزهري قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله يكتب إليه بسيرة عمر بن الخطاب في الصدقات، فكتب إليه بالذي سأل، كتب إليه إنك إن عملت بمثل عمل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك كتبت عند الله خيراً من عمر.

وعن حماد أن عمر لما استخلف بكى فقال: يا أبا فلان، أتخشى علي؟ قال: كيف حبك للدرهم؟ قال: لا أخيه، قال: لا تخف فإن الله سيعينك.

وقال قرات بن السائب: قال عمر بن عبد العزيز لامرأته فاطمة بنت عبد الملك: وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها لم ير مثله: اختاري إما أن تردى حليك إلى بيت

المال وإما أن تأذني لي في فراقك، فإنني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد، قالت: لا بل أختارك عليه وعلى أضعافه، فأمر به فحمل حتى وضع في بيت

مال المسلمين، فلما مات عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة: إن شئت رددته إليك، قالت: لا والله، لا أطيب به نفساً في حياته وأرجع فيه بعد موته.

هو أعلام الإسلام

سيبويه

ومن الأديب فرج مجاهد عبد الوهاب - عضو اتحاد الكتاب - شربين - دقهلية كانت هذه الكلمات:

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، من أئمة فقهاء النحو - يقول بعض فقهاء اللغة: إن سيبويه معناها «رائحة التفاح» ويقول البعض الآخر إنها كانت عبارة تحمل معنى التدليل وتدل على «التفاحة الصغيرة» ويحيط بتاريخه مولد سيبويه ووفاته ومكانهما كثير من البلبلة والاضطراب، والظاهر من أوثق الروايات أنه ولد في البيضاء بناحية شيراز في فارس ثم ذهب إلى البصرة ودرس على أيدي شيوخ فقهاءها.

أما أقدم تاريخ ذكر لوفاته فهو سنة ١١٧ هـ، أما مكان وفاته فغير معروف.

ويعتبر سيبويه من شيوخ الأئمة في العلوم العربية وقد أودع ثمرة دراساته كتاباً كبيراً في النحو العربي (قدر بألف ورقة) ولا يعتبر هذا الكتاب أكبر مؤلف في تخصص وصل إلينا عن علم البصريين فحسب ولكنه أصبح أيضاً منذ

تأليفه عمدة جميع الدراسات العربية في النحو ومن المرجح أن سيبويه لم تنح له فرصة تدريس كتابه أو قراءته على تلاميذه بل وقعت هذه المهمة على عاتق تلميذه الأخفش الذي اضطلع بعد وفاته بمراجعة كتاب سيبويه مراجعة دقيقة.

وإذا كان سيبويه ينطق العربية بلسان تشوبه عجمة واضحة، فإن كتابه كان يعد دائماً من الكتب العمدة في العربية الفصحى، ويتسم أسلوبه شأن المؤلفات العربية الأولى بالإطناب الكثير والحجج المملة المجهدة، على أنه حافل بعدد لا يحصى من الشواهد المستقاة من القرآن ويشتمل أكثر من ألف بيت من الشعر القديم.

وقد كثر شراح كتاب سيبويه، وظل يدرس بشغف وقتاً طويلاً، كما قام بشرحه علماء أوروبيون وترجم إلى الألمانية.

الصلاة فيه تعادل أجر العمرة

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ / محمد عباس محمد عرابي - قال:



محراب مسجد قباء

بعد مسجد قباء أول مسجد أسسه الرسول ﷺ بالمدينة المنورة فقد خطه الرسول ﷺ بيده عندما وصل إليها مهاجراً من مكة المكرمة، وشارك ﷺ في وضع أحجاره الأولى، ثم أكمله الصحابة - رضوان الله عليهم - وكان رسول الله ﷺ يقصده بين الحين والآخر ليصلي فيه ويختار يوم السبت غالباً، ويحضر على زيارته.

جاء في الحديث الشريف: «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة» (سنن ابن ماجه) وفي حديث آخر: «من خرج حتى يأتي هذا المسجد - يعني مسجد قباء - فيصلي فيه كان كعدل عمرة» (مسند أحمد).

واهتم المسلمون في مختلف العصور منذ عصر الخلفاء الراشدين حتى العصر الحالي بمسجد قباء بناء وتجديداً، وهو يحظى اليوم برعاية واهتمام كبيرين حيث يعتبر من أكبر مساجد المدينة المنورة بعد المسجد النبوي الشريف، وتقام فيه الصلوات العادية وصلاة الجمعة والعيدين ويعتبر مقصداً لزوار وسكان

المدينة نظراً لفضل الصلاة فيه.

ويقع المسجد اليوم بشموخ على طريق الهجرة الرابط بين مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ويتم ملاحظته من أماكن عدة بالمدينة المنورة نظراً لموقعه المميز والمرتفع بعض الشيء.

نعذر للسادة القراء لعدم نشر رسالتهم كاملة، وذلك حرصاً من مجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسالتهم ونواصل نشرها تباعاً بحسب مشيئة الله تعالى.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للاستاذ / عبد الموجود أمين موسى

الشيخ على عبد الباقي:

الإسلام ينبذ العنف وهدفه الرئيسى السلام

استقبل فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بمكتبه بمدينة نصر السيد / إدوارد أ. هوايت سكرتير أول السفارة الأمريكية بالقاهرة، وقد تناول الحديث العديد من القضايا أهمها: دور مجمع البحوث الإسلامية فى نشر الدعوة الإسلامية وموقفه من حوار الأديان، وكذا موقفه من فتاوى الفضائيات، وأى الفتاوى أولى بالاتباع: فتاوى المجمع أم تلك التى تصدرها دار الإفتاء؟

● وعن سؤاله عن دور المجمع فى نشر الثقافة الإسلامية أجاب فضيلة الشيخ على عبد الباقي شحاته الأمين العام للمجمع قائلا: إن الأزهر يرسل مبعوثيه إلى كل أنحاء العالم لنشر صحيح الدين الإسلامى وتبصير المسلمين فى هذه البقاع بضرورة التعايش مع هذه المجتمعات فى سلام، لأن الإسلام ينبذ العنف، وينادى بالسلام، وهدفه الرئيسى أن يسود السلام كل بقاع العالم.

● وعن موقف المجمع من حوار الأديان، قال فضيلته: إننا فى مصر مسلمين ومسيحيين نمثل جسداً واحداً منذ الأزل، ولا يتصور أن يطعن الإنسان المصرى نفسه، فهذا النسيج المتصافى المتعاون لا يمكن أن تفرق فيه بين مسلم ومسيحى، فمسألة اختلاف الأديان لا تظهر أبداً أى تباعد فى تعاملهم اليومى معاً.

أما مسألة الحوار فهدفها ترسيخ مبدأ المواطنة وإرساء أسس السلام، والأمثلة فى التاريخ الإسلامى كثيرة وشاهدة على أن المسلمين يحترمون الآخر ويقبلونه ويحترمون إنسانيته، ويضمنون له كل حقوقه، وهكذا يأمرهم دينهم.

وأكد فضيلته على صلابة الوحدة الوطنية، واستطرد قائلا: إن المروجين لغير هذا، إنما هم أصحاب الهوى والمصالح الشخصية الضيقة، وأن ما يحدث من اعتناق أحد أفراد المجتمع



لغير دينه، إنما أساسه تعرضه لبعض المشاكل الاجتماعية المعقدة، ويظن أنه بتركه دينه يتخلص من هذه المشاكل، وأوضح فضيلته أن الإسلام يؤكد على الأخوة الإنسانية، وأن الاختلاف صورة مثبتة فى الكون، وهو من إرادة الله.

● وأما سؤال سيادته عن الفتاوى، أجاب فضيلة الأمين العام قائلا: إن مسألة تضارب الفتاوى فى الفضائيات أمر فرضته كثرة القنوات الفضائية وعدم التدقيق والتثبت قبل الإجابة، بل فى بعض الأحيان عدم أهلية المتحدث للرد الإسلامى الصحيح.

أما عن فتاوى دار الإفتاء فهى تلى وترد على حاجات الناس وتساؤلاتهم المتعددة الكثيرة اليومية أما الفتاوى التى تأخذ طابع التفرد وغير المسبوق بحالات مماثلة وليس هناك آراء للفقهاء حولها، وهى الفتاوى المستحدثة التى تستجد للأمة الإسلامية، فإنها تطرح على مجلس مجمع البحوث الإسلامية، ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن فضيلة المفتى أحد أعضاء هذا المجلس الموقر ومن هنا فلا يوجد خلاف بين فتاوى المجمع ودار الإفتاء بل هو تكامل واتفاق تام.

وفى نهاية اللقاء عبر فضيلة الأمين العام عن سروره بهذا اللقاء ورغبته فى تكرار مثل هذه الزيارة لتأكيد التعاون بين الجانبين.

كما دعا السيد / إدوارد أ. هوايت فضيلته لتكرار الزيارة للولايات المتحدة، وعبر فضيلته عن سعادته بهذه الدعوة والاستجابة إليها عندما تتاح الفرصة.

تشغيل الوحدة الثانية لترميم المخطوطات بمكتبة الأزهر

أصدر السيد الأستاذ / مهدي هادي محمود شلتوت - رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر الأمر التنفيذي لتشغيل الوحدة الثانية لترميم الآلى بمعمل الترميم بمبنى مكتبة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة والتي تعد إضافة جديدة للبنية التحتية للحفاظ على مقتنيات مكتبة الأزهر سواء المخطوط منها أو المطبوع حيث تعتبر هذه المقتنيات من أندر وأنفى المجموعات التراثية على مستوى جمهورية مصر العربية.

وتعتبر أهمية تركيب وتشغيل الوحدة الثانية لترميم الآلى من العوامل الأساسية في زيادة معدلات ترميم المخطوطات النادرة التي لا يجود الزمان بمثلها.

مسابقة للعمل بالوعظ

صرح فضيلة الشيخ أحمد قنديل تربية مدير عام شئون مناطق الوعظ بأن الأمانة العامة المساعدة قد قامت بنشاط كبير خلال شهر رمضان المبارك وذلك بإيفاد مندوبيها من كبار رجال الدعوة الأفاضل إلى مختلف مؤسسات الدولة مثل الجيش والشرطة وكذلك كبرى الشركات الحكومية العاملة في مصر، كما أرسلت مجموعة من كبار رجال الدعوة إلى محافظات مختلفة خلال الشهر الكريم لإلقاء المحاضرات الدينية وإحياء ليالى الشهر الكريم.

كما صرح فضيلته أنه خلال الشهر القادم سوف يعلن عن مسابقة للعمل بالوعظ عن طريق التعاقد للعناصر التي تجيد الخطابة الدينية وحفظ القرآن الكريم وسوف يعقد اختبار لهؤلاء الوعاظ الجدد بالأمانة العامة للدعوة والإعلام الدينى فى مجمع البحوث الإسلامية وذلك بعد موافقة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

ترجمة معانى القرآن الكريم إلى لغة الإشارة

تلقي مجلس مجمع البحوث الإسلامية كتاب وزارة التضامن من مكتب الوزير بشأن مشروع ترجمة القرآن الكريم بالإشارة وقرر المجلس أنه من المتفق عليه عدم جواز ترجمة النص القرآنى لأن ذلك يخرج من إعجازه بلغته العربية، أما ترجمة معانى القرآن إلى لغة الإشارة أو أى لغة أخرى، فذلك هو الجائز فقط.

٣١٨ طالباً بريطانيا فى مراحل التعليم الأزهرى

فى الإحصاء السنوى للطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف أكد فضيلة الشيخ / رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين بمجمع البحوث الإسلامية أن

عدد الطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف من المملكة البريطانية قد بلغ ٣١٨ دارساً ودارسة فى مختلف مراحل الدراسة. منهم فى الدراسات الخاصة عدد ٦ بنين وفتاة واحدة، وفى المرحلة الابتدائية ١٤٧ طالبا و٩٦ طالبة، وفى المرحلة الاعدادية ١٥ طالبا و١٣ طالبة، وفى المرحلة الثانوية ١٣ طالبا وفى الجامعة ٢٨ طالبا.

العقيدة والأخلاق

صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب جديد بعنوان العقيدة والأخلاق لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ويقع الكتاب فى ثلاثمائة صفحة من الحجم الكبير وقد تضمن عدة مباحث عن العقيدة الدينية ففى مبحث الإلهيات تناول معرفة الله ووجوده - وحدانيته - أسماء الله الحسنى وصفاته - القضاء والقدر - أفعال العباد وفى مبحث النبوات اشتمل على حاجة الإنسانية إلى الرسل - وحدة رسالتهم عليهم السلام - عددهم - صفاتهم - معجزاتهم .. وفى مبحث السمعيات شرح المقصود بالسمعيات منهم الملائكة، الجن، الروح - أحوال القبر - الساعة - اليوم الآخر - العرش - اللوح - الكرسي - اليد، وفى مبحث الأخلاق ألقى الضوء على الموضوعات التالية - العفاف - العدل - الصدق - الصبر - العلم - الرحمة - التعاون على البر والتقوى - نعمة الأمان.

والكتاب واضح المعنى فى جميع المعلومات، يسترشد بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام، يتعدى عن الجدل والخلافات التى لا طائل منها يخاطب العامة والخاصة.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبدالرحمن العسلى مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث.





إعداد الأستاذين / محمد جمعة - أحمد رضوان

مستشرقون ألمانيون يرفضون التشكيك في وجود الرسول ﷺ

ذكرت صحيفة ألمانية أن عدداً كبيراً من المستشرقين الألمان والباحثين في العلوم الإسلامية رفضوا الآراء التي طرحها أستاذ العلوم الإسلامية سيفين كاليش، المشككة في وجود دليل تاريخي على وجود النبي محمد ﷺ. وأضافت الصحيفة أن القائمين على مشروع الدراسات القرآنية في أكاديمية برلين - وهو مشروع موسوعي ضخم يهدف إلى دراسة كل ما له علاقة بالقرآن والسيرة النبوية - قالوا في بيان لهم إنه لا يجوز الشك في المعطيات التاريخية المتعلقة بوجود النبي محمد ﷺ ودلائل نبوته.

وأضاف الباحثون أن مشروعهم «يمثل آراء الغالبية العظمى من الباحثين التي تعتبر النبي محمد حقيقة تاريخية». يذكر أن الإذاعة الألمانية وجهت انتقاداً إلى سيفين كاليش مدير مركز الدراسات الدينية بجامعة مونستر كاليش الألمانية بسبب إنكاره وجود الرسول محمد ﷺ، وقالت إن ذلك يمثل استفزازاً واضحاً للمسلمين.

البحرين تحاكم مدرسة أمريكية أساءت إلى الرسول ﷺ

أعلن رئيس النيابة في البحرين أن النيابة العامة قررت إحالة مدرسة أمريكية بإحدى الجامعات الخاصة إلى المحكمة بسبب إساءتها إلى الرسول محمد ﷺ.

عرض فيلم، فتنة، المعادي للإسلام في إسرائيل

عرض نائب إسرائيلي يميني لقطات من فيلم «فتنة» الهولندي الذي يربط بين الإسلام والإرهاب، وقال النائب اليميني إن عرض الفيلم لا علاقة له بالصراع العربي الإسرائيلي ولكن إسرائيل هي الحصن الوحيد للحضارة الغربية في الشرق الأوسط على حد وصفه. ويعتزم النائب استضافة مؤتمر بعنوان «مواجهة الجهاد» في الكنيست الإسرائيلي في ديسمبر يحضره ما بين ٢٠ و ٣٠ نائباً أوروبياً.

علماء فلسطين يرفضون إساءة اليهود للرسول ﷺ

استكثرت رابطة «علماء فلسطين» بشدة قيام يهود متطرفين بطباعة صور مسيئة لشخص الرسول الكريم محمد ﷺ على ملابس يتم إنتاجها لتوزيعها في الأسواق. واعتبرت الرابطة - في بيان لها - هذا الأمر بمثابة استخفاف واضح بمشاعر مليار ونصف المليار مسلم وتجاوزاً سافراً لكل القيم والأعراف والبادئ السماوية والإنسانية. وقالت: ننظر بخطورة بالغة لمثل هذه التصرفات وندعو شعوبنا العربية والإسلامية للخروج من دائرة الصمت وكسر حاجز التردد والانتصار لرسول الله ﷺ بمختلف الوسائل. وأكدت الرابطة إن الإساءة الجديدة لشخص النبي الكريم من قبل يهود متطرفين تمثل حلقة في سلسلة طويلة من الإساءات والاعتداءات على حرمة المساجد داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة فضلاً عن دور العبادة في بقية الأراضي الفلسطينية.

القرآن.. شرط الترشيح للانتخابات بإقليم اتشيه

قالت اللجنة المستقلة للانتخابات المعنية بالإشراف على انتخابات إقليم اتشيه الأندونيسي عام ٢٠٠٩: إن إجادة قراءة القرآن الكريم ستعد شرطاً أساسياً للترشيح لتلك الانتخابات وأوضح رئيس اللجنة ياروين آديدارما إن اللجنة ستجري اختباراً في قراءة القرآن الكريم لكافة الأشخاص الراغبين في ترشيح أنفسهم في هذه الانتخابات.

غالبية الإسرائيليين يعتبرون الشرق الأوسط، منطقة مجانيين،

أظهر استطلاع للرأي أن غالبية اليهود في إسرائيل يعتبرون أن منطقة الشرق الأوسط «منطقة مجانيين» كما جاء في الاستطلاع أن ٦٣٪ يفضلون أن يكونوا جزءاً من الغرب وكشف الاستطلاع أن أجوبة المشاركين صاحبها عبارات من نوع: «منطقة مجانيين»، و«منطقة ملعونة»، و«مستنقع» ولم أعد أحتمل، و«ماذا نفعل هنا؟».

الأمم المتحدة: ٢ ملايين صومالي يحتاجون لمساعدات

حذر تقرير صادر عن الأمم المتحدة من أن نحو ثلاثة ملايين صومالي في حاجة للمساعدة قبل نهاية العام الجاري؛ جراء الارتفاع الكبير في أسعار المواد الغذائية، وطول فترة الجفاف والاضطرابات الأمنية التي تشهدها البلاد.

تقارير ودراسات فرنسية: ٢٠ مليون مسلم في عام ٢٠٢٠

أشار آخر تقرير للمخابرات الفرنسية أن نسبة المسلمين الجدد في الجيش الفرنسي تصل إلى ٥٪ وهو ما دعا جهاز المخابرات الفرنسية إلى إعداد تقرير مفصل وإرساله إلى الجهات المعنية بالحكومة لدراسة الأمر دراسة واقعية. ويقول التقرير الفرنسي أن تزايد نسبة المسلمين الجدد في فرنسا يحدث بشكل عام في القرى والمدن الفرنسية التي يوجد بها جاليات إسلامية قوية وأن ٣٧٪ من حالات الدخول في الإسلام حدثت بفضل تأثير الأصدقاء أو الأقارب في الأوساط الاجتماعية والثقافية، ورصد التقرير ما تقوم به المساجد الفرنسية في مجال الدعوة إلى الإسلام ووصف المساجد بأنه أحد أهم أسباب انتشار الإسلام. يذكر أن عدد مسلمي فرنسا يزيد عن ستة ملايين مسلم يشكلون ١٠٪ من عدد الفرنسيين، وتشير دراسات وتوقعات إلى أن عدد هؤلاء المسلمين سيتضاعف عددهم ثلاث مرات حتى ٢٠٢٠ ليزيد عددهم عن ٢٠ مليون نسمة بسبب نسبة المواليد العالية بينهم.

أكبر مسجد في أوروبا يقام في كولونيا

وافقت السلطات الألمانية في كولونيا على بناء مسجد سيكون هو الأكبر في أوروبا بعد أن قامت الهيئة الإسلامية الرئيسية في البلاد بتعديل ارتفاع منتهى المسجد. كان الاتحاد التركي الإسلامي للشئون الدينية يخطط لبناء منتهى بارتفاع ٥٥ متراً إلا أن السلطات رفضت ذلك مما دفع الاتحاد إلى تغيير خطته بخفض ارتفاع المنتهى. يذكر أن خطة بناء المسجد في كولونيا التي يشكل فيها المسلمون ١٢٪ من إجمالي عدد السكان قد تم طرحها قبل أكثر من عام، ويوجد ١٥٩ مسجد في ألمانيا فيما يبلغ عدد المسلمين نحو ٣,٥ مليون مسلم معظمهم من الأتراك أو من أصول تركية.

مجزر أمريكي يطرد ١٠٠ عامل مسلم بسبب صيام رمضان

طرد المجزر العملاق «جاي بي إس سويقت اندكو» ١٠٠ عامل مسلم في مدينة جريلى الأمريكية بعد أن احتجوا على قرار أصدرته الشركة جددت بموجبه موعداً ثابتاً لصلاة المغرب خلال شهر رمضان المبارك. وأوضحت قناة «الجزيرة» الفضائية أن ٢٢٠ عاملاً شاركوا في الاحتجاج إلا أن ١٢٠ عادوا إلى عملهم ولم يتعرضوا للطرد.

وأضافت الشركة التي تدير ٤٠٠ بقرة في الساعة الواحدة - أن هذا التصرف يعد انتهاكاً مباشراً لاتفاقنا الجماعي.

وكانت الشركة قد سمحت لعمالها باستراحة مدتها ٣٠ دقيقة يومياً عند الساعة الثامنة مساءً طيلة شهر رمضان الذي بدأ في أول سبتمبر، لكن العاملين لم يناسبهم تحديد الوقت لأن موعد الغروب يتغير من يوم لآخر.

مذبحة المسلمين، لعبة إلكترونية، بريطانية

أبدت مؤسسة رمضان الإسلامية البريطانية غضبها الشديد بسبب إطلاق لعبة إلكترونية بعنوان «مذبحة المسلمين» في ذكرى هجمات الحادي عشر من سبتمبر ودعت إلى فتح تحقيق حكومي بشأن هذه اللعبة. وتشير خطوات اللعبة إلى أن أمريكا أعلنت الحرب على الإسلام، ومن ثم فعلى المستخدم أن يتحكم في «البطل الأمريكي» في اللعبة ويتخلص من المسلمين جميعاً باستخدام ترسانة من أكثر أسلحة العالم فتكاً وشراسة.

منظمة حقوقية إسرائيلية: مستوطنون يهود استولوا على مزيد من الأراضي في الضفة الغربية

كشفت منظمة «يتسليم الإسرائيلية لحقوق الإنسان» أن سلطات بلدها ومستوطنين يهودا استولوا على مساحات كبيرة من الأراضي في الضفة الغربية المحتلة وضموها إلى المناطق الأمنية حول المستوطنات اليهودية إلى الشرق من الجدار العازل الذي تقيمه إسرائيل وفي تقرير جديد لها قالت إنه جرى إقامة سور حول نحو ١٢ مستوطنة شرق الجدار العازل بموجب خطة رسمية للمنطقة الأمنية الخاصة مما يمنع الفلسطينيين من الوصول إلى حقولهم.

وأوضحت «يتسليم» التي تراقب النشاط الاستيطاني الإسرائيلي في الأراضي التي احتلتها الدولة اليهودية في حرب عام ١٩٦٧م أن تقديراتها لإجمالي مساحة بعض المستوطنات في الخطة زادت بأكثر من المثلين. وأضافت: أنها يمكنها أن تقدم تقديراً تقريبياً لإجمالي مساحة الأراضي التي أغلقت في وجه الفلسطينيين لكن ١١٢٦ فدانا على الأقل حول ١٢ مستوطنة تم ضمها بطريقة غير رسمية، مشيرة إلى أن نصف هذه الأراضي مملوكة خاصة لفلسطينيين وقال التقرير إن السيطرة على الأراضي تم تحقيقها من خلال إقامة سور حولها أو من خلال هجمات مستوطنين وبعض الجنود على فلسطينيين غامروا بالاقتراب منها.

في تحد سافر لشاعر مسلمي العالم إعادة طرح كتاب يسىء للسيدة عائشة رضي الله عنها

قرر ناشر صربي إعادة طرح كتاب مسيء ومثير للجدل حول السيدة عائشة رضي الله عنها زوجة النبي «عليه الصلاة والسلام» للبيع بعدما سحب من المكتبات في أغسطس إثر احتجاج مجموعة المسلمين في صربيا وقد وصفه الفتى معمر ذو كورليتش بأنه «مسىء لجميع مسلمي العالم».

أنباء مكتب شيخ الأزهر

فضيلة الشيخ / عبد النبي قسروج

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

اعتماد نتيجة الشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر صباح الاثنين ٨ / ٩ / ٢٠٠٨ نتيجة امتحان الدور الثاني لشهادات معاهد البحوث الإسلامية - الإعدادية والثانوية للعام ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م وكانت نسبة النجاح للدور الثاني للشهادة الإعدادية ٧٢,٣٪ حيث تقدم للامتحان ٢٩٥ طالباً حضر منهم ٢٤٩ طالباً ولما كانت نسبة النجاح في الدور الأول ٤٩٪ فبذلك تصبح النسبة المئوية للنجاح في الدورين الأول والثاني معاً ٨٦٪.

وكانت نسبة النجاح للدور الثاني للشهادة الثانوية ٨٧٪ حيث تقدم للامتحان ٣٢٩ طالباً حضر منهم ٢٧٠ طالباً ولما كانت نسبة النجاح في الدور الأول ٦١٪ فبذلك تصبح النسبة المئوية للنجاح في الدورين الأول والثاني معاً ٩٦,٣٪.

حضر اعتماد النتيجة فضيلة الشيخ / عبد الفتاح علام وكيل الأزهر والسادة القائمين على أعمال الامتحانات والبحوث.

الإمام الأكبر يستقبل وفد نقابة الصحفيين

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر صباح الثلاثاء ١٦ / ٩ / ٢٠٠٨ م وفد أعضاء مجلس نقابة الصحفيين وهم (١٣) عضواً برئاسة السيد الأستاذ / مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين.

وجاء اللقاء للاعتذار عما كتبه السيد / محمد الباز - بجريدة الفجر والتي يرأسها الأستاذ / عادل حمودة بشأن الإساءة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

وأكد فضيلة الإمام بأنه لا يتنازل عن حقه مع احترامه للصحفيين ونقيب الصحفيين مؤكداً بأنه من بدر منه مثل تلك الإساءة ليس بصحفي ولا يعتبره من الصحافة، وأنه يطالب بحقه ممن لا يستحق العفو وقال: - لقد رفعت الأمر للقضاء ليقول كلمته وأنا واثق في نزاهة وعدالة القضاء المصري.

ترتيبات العام الدراسي الجديد بالأزهر

عقد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف اجتماعاً موسعاً برؤساء الإدارات المركزية ومديري عموم المناطق الأزهرية والمعتين بمسيرة التعليم بالمعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية وذلك صباح الخميس الموافق ١١ / ٩ / ٢٠٠٨ م بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر الشريف.

وقد تم مناقشة الترتيبات الخاصة باستقبال العام الدراسي ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩ م وكذلك الوقوف على ما أعدته المناطق من ترتيبات تتعلق بتجهيز مواقعها التعليمية بمرافقها المختلفة لاستقبال الطلاب في العام الدراسي الجديد.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر أنه لا يحب أن يلقي ربه وهناك تلميذ واحد يجلس على الأرض - فعلى رؤساء ومديري المناطق الانضباط وتحري الواقع في كل معهد للتأكد من الاحتياجات الفعلية حتى يجد كل تلميذ مقعده، مشيراً بأنه قد تم توزيع مليونين وسبع مائة وثمانين ألف جنيه لشراء المقاعد بالأماكن التي بها عجز بالمناطق، كما أنه يتم توزيع خمسمائة مقعد كل شهر من إنتاج ورش الأزهر على المعاهد التي بها عجز - كما تم التأكيد والاطمئنان على وصول المناهج والخطط الدراسية إلى جميع المناطق والوقوف على أي معوقات تحول دون ذلك، ومبحث الإجراءات التي تتعلق بتدبير الكتب الدراسية سواء كانت شرعية أو عربية أو ثقافية تمهيداً لتسليمها للطلاب مع بداية العام الدراسي الجديد وسرعة تذليل العقبات التي تحول دون ذلك. كذلك وضع المناطق أمام مسؤوليتها حيال متابعة سير الدراسة والعناية الكاملة بتحقيق القرآن الكريم ودعم كافة وسائله المتاحة تأكيداً لحكمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر (ليس بأزهري من لا يحفظ القرآن الكريم) .. والتأكيد على طلاب مرحلة الصف الأول الابتدائي بحفظ القرآن الكريم بالاعتماد على التلقين السليم من خلال الأجهزة المعدة لذلك (شرائط الكاسيت) التي تم توزيعها على جميع المعاهد من قبل ليكون تلميذ الطالب خلف القارئ بالصورة الصحيحة.

وأكد فضيلة الإمام على ضرورة تحقيق التوازن في توزيع العمالة بعيداً عن تكديسها في مواقع وانحسارها في أخرى دون مبررات مراعاة لصالح العمل. كما أكد فضيلته على التزام كافة المناطق بالتفويض الصادر لها في نقل المتعاقدين داخل المراكز التي يعملون بها فقط لتحقيق التوازن، والتأكيد على التزام هيئة التدريس بالخطوة والمنهج دون تقصير أو تجاوز، وحث المناطق على قيامها بمسؤولياتها حيال انتظام الطلاب في الدراسة وتعزيز انتمائهم للأزهرية بكل الطرق المتاحة واتخاذ الإجراءات اللازمة نحو الطلاب غير الملتزمين. وقد أشار فضيلة الإمام الأكبر بوضع الإعلان الصادر بجريدة صوت الأزهر والمتضمن الشروط الواجبة للدخول بكادر المعلمين بمكان واضح حتى يتسنى لمن تنطبق عليه الشروط أن يتقدم لها وذلك من خلال النموذج المعد. حضر الاجتماع فضيلة الشيخ / عبد الفتاح علام - وكيل الأزهر، وفضيلة الشيخ / عبد الفتاح درديري - رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، وفضيلة الشيخ / محمد عبد المجيد الخزرجي - الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر.

higher standing. His duty was to deliver the message sent to him by Allah truthfully, honestly and accurately. Allah says:

'say : 'I do not say to you that I possess the treasures of Allah , nor that I know the unseen , nor do I say to you that I am an angel , I only follow what is revealed to me .'
(Al – Anam: 50)

This indicates that he has forsaken all personal sentiments, and likings and preferences. He has abandoned the beauties of life and its riches. As such, he has elevated himself as a human beings, and has acquired a great status in it. However, he is still human.

The caller to Islam is unique in that he has the qualities that allow him to succeed in his mission, such as patience, faith, sacrifice and stability. On the other hand, he is not expected to be superhuman. He is a human being with soul and body. If he attributes to himself any extra appreciation or respect or holiness, or that he controls destiny and can predict the future, or that he can forgive sins or provide absolution, in this case he fails and his mission fails with him.

A human being is always human. He may rise or descend in levels, but he does not acquire a different nature.

2 – The caller to Islam adheres to his mission:

The caller to the truth must have self-control, and exemplary behavior and principles. He should be a good example to others with high principles and values in his manners, character and in dealing with others.

The Quran has analyzed the dealings of the prophet (May the peace and blessing of Allah be upon him) and his inner feelings and required him to announce any actions that are not accepted. The Quran blames the prophet and the believers in their tendency to favor the opponents of Islam who are not likely to believe in Islam:

' It is not fitting for the prophet and the believers to ask for forgiveness for the unbelievers , even though they be near of kin , after it has become clear to them that those are the inhabitants of Hell'

(At – Tawba : 113)

The Quran also objects to the reliance of Islam on opponents of Islam to give them power or because of their connections. In this case, the call to Islam is no longer the aim, and people may start to lose faith, which means the failure of the mission.

The Holy Quran states:

'You shall not find a people who believe in Allah and the last day who are loving to anyone who opposes Allah and His Messenger , even if they are their parents , or their brethren ,or their kin '.

(Al Mujadalah: 22)

The caller to Islam instruct others to do the right things, so they themselves should adhere to that. There is no place for personal preferences or emotions. The caller to Islam must train himself to stick to the right path. He should point out to believers the mistakes they are likely to make, so that they may be avoided in future. He should try to create trust between him and the believers, so that no suspicions or rumors occur. This ensures peace in the society and the call to the truth is fulfilled.

3- The Prophet of Islam as seen by Moslems:

Muhammad Ibn Abdullah is the last of the Prophets and Messengers. He is human, but Allah revealed to him with the Quran through the angel Jibril (Peace be upon him).

"Say: I am only a mortal like you, it is revealed to me"

(Al-Kahf: The cave: 110)

"Say: Oh people! I am the Messenger of Allah to all of you"

(Al-Aa'raf: 158)

He was sent by Allah to all people.

"We have sent you to be witness, and a bearer of glad tidings and to warn, and call to the way of God with His permission, and so an illuminating light".

(Al-Ahzab: 45- 46)

He is a human being with all the greatness of Prophets and all their efforts to bless humans and lead them to the right path using what Allah has sent to him and ordered him to deliver. Allah says:

"And thus We have revealed to you an inspiration by Our Command, You did not know what was the Book, and what was Faith, but We made it a light, by which We guide whoever We please of Our servants, and You are surely guiding to the straight way. The way of God, to Whom belongs all that is in the heavens and the earth. Indeed to God do all things return"

(Ashura: 52- 53)

4- Moslems bear a great message and should deliver it:

Allah has blessed Moslems by completing their religion and bestowed upon them the blessing of having Islam as a religion. He ordered them to spread the truth, as He will not do that for them.

"But a party of every section of them should march forth to become learned in religion and to warn their people when they return back to them, that they should guard themselves against evil" (Atwbah: 122)

People need means of subsistence from Allah to sustain their bodies, and need guidance from Allah to sustain their souls. However much they may have of knowledge, cleverness or genius, they still need guidance from Allah.

'Could he not know He who created? And He is the gentle, the Aware'

(AL - MULK: 14)

They need religion as much as they need food and other bodily requirements. Religion has balanced between the needs of the body and the needs of the soul, none is more important than the other. For the past century, the world has ignored religion. This has resulted in uncertainty, war and destruction and emptiness of the soul. Humans have brought terrible things to themselves and to others.

Modern civilization, with its tyranny and lack of vision, has harmed the world and has broken all ties and connections. It has lived only half of the truth, and the devil has completed the other half. Freedom in the west has spread and increased. In the east, the basic needs of life have been fulfilled. In Islamic countries, people have sustained the soul but are backward with respect to civilization. Islam, on the other hand, combines between all these, but Moslems have ignored their religion and have stopped applying it to their daily lives.

Now, we need to understand the call of Islam as an invitation to the truth. As a result we need to know the obligations and responsibilities of a person who calls to Islam, and who he is described by the Quran.

' Indeed, in this is a reminder, for whoever has a heart, or who listens mindfully '

(Qaf: 37)

The characteristics of a caller to Islam as mentioned in the Quran :

1- The caller to Islam is human:

The prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him), who is calling to the truth, announced that he was human, and does not have any

- Muhammad is a messenger of Allah and the last of the Holy Prophets.

- The message of Muhammad is to all people till the Day of Judgment.

In order to clarify, we will briefly mention the meaning of religion or message and we will talk about the Holy book of Islam and its Holy Prophet. This will avoid any sensitivity in the mention of Islam and its Prophet, so that we know more about nature of the call to Islam and the nature and characteristics of a Da'awa (caller to Islam). We will also mention how the Quran pictured the Prophet since he is an example in his behavior, manners, deeds and message. This will act as a light to guide callers to Islam in their lives and in the message, making it fruitful and beneficial to all mankind.

The call to Islam is civilized in its methods and humane in its values. Those who perform the call are people with high values and have complete faith in what they are calling to. Their only aim is Allah's reward and the good of Mankind.

1- The meaning of religion as understood by Moslems:

Religion to Moslems is Islam. It is the religion of all Prophets (Peace be upon them) as mentioned in the Quran. Moslems believe in all messages and all Prophets of Allah, as indicated in the Quran:

"The Messenger believes in what has been revealed to him from his Lord, and so do the believers, they all believe in Allah and His angels and his books and his Messengers, We make no distinction between any of His Messengers"
(The Cow (Al-Baqrah): 285)

All heavenly religions have the same origin. In the Quran, it is mentioned that:

"Say: We believe in Allah and in what is revealed to us, and in that which was revealed to Abraham and Ismail and Isaac and Jacob and the tribes, and in that which was given to Moses and Jesus, and in that which was given to the Prophets from their Lord, we do not make any distinction between any of them and to His will we submit"

(The Cow (Al-Baqrah): 136)

Religion is necessity to humans. Anyone who says that the mind does not need a religion is either insane or stupid or too proud.

2- The Holy Quran as seen by Moslems:

The Holy Quran is the book of Allah, His revelation to his Prophet Muhammad (May the blessings and Peace of Allah be upon Him), the last of the Prophets. It guides people to the right path. It promises those who follow it with all good things, and it threatens those who disobey it with lack of happiness and peace of mind in this life and in the hereafter. Allah has promised to protect the Holy Quran:

"Indeed! We revealed the Quran, and We will most surely preserve it"
(Al-Hijr (Expounded): 9)

It has been protected by both those who believe in it and those who do not. Allah protects it from any additions or deletions or any changes or mixing up.

The Holy Quran is not very different from previous books sent by Allah to previous messengers. However, it is the Holy Scripture that collects all original messages to previous Prophets and Messengers.

The Holy Quran describes itself saying:

"It is a Mighty Book. No falsehood can come to it from before it or from behind it, it is a revelation from the All-Wise, the One Worthy of All Praise. Nothing is said to you that was not said to the Messengers before you."
(Fussilat: 41- 43)

It includes details of life now and in the hereafter that are not included anywhere else. It ensures a good life and the good of the living.

"And We reveal of the Quran that which is healing and a mercy to the believers"
(Al-Isra'a (The night journey): 82)

No one refuses mercy except the obstinate, and no one refuses to be healed except a crazy person. The Holy Quran is the Prophet's greatest miracle that will remain till the day of Judgment.

busy with our wives and children and forget a lot. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: I swear by Allah, if you continue to worship Allah in the way you do when you are with me, the angels would greet you in your beds and while you are walking, but, Hanzallah, you have to live an hour in worship and an hour for your life, and he repeated this three times."

This is the genius of Islam and its mercy. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) applied this in his life. He (May the blessings and peace of Allah be upon him) used to worship Allah and pray to Him until his feet swell, and at other times, he used to joke with his friends and smile. He used to like happiness and hated sadness, and used to ask Allah to protect him from it. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Oh Allah! I implore you to protect me from misery and sadness". Al-Bukhari and Muslim have narrated that the Lady Aisha, Mother of Believers, (May Allah be pleased with her) said: That Abu Bakr (May Allah be pleased with him) came to her while she was with two women servants in the Eid of Al-Adha, and they were singing and beating on drums, and the Prophet was covered with his clothes. Abu Bakr scolded them, but the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) removed the clothes from his face and said: Leave them, Abu Bakr, these are days of Eid and rejoicing". As such, People are allowed to rejoice and feel happy with the coming of the Eid, and to express their joy and happiness within the limits set by Allah. They can visit their relatives, go out to the gardens and amusement parks, have parties and invitations to dinner, and any other innocent gatherings.

However, does the Eid make us forget the present state of the Muslim Nation? Al-Rafee says: "The Eid is a method to teach the Muslim Nation how to face the changes around them. The religion has laid down the basics. It has set an economic feast for the Nation in the Eid. It is a feast for industry, for education, and for Art of making things beautiful. Every day of Eid is a day to victory.

Is the Eid in the Islamic Nation actually like that? The Eid is a method to make this Nation feel that it is strong enough to change and to show that it can be an economic power with the unity of its members.

¹The call to Islam and the Caller to Islam as mentioned in the Holy Quran...!

By: Dr. Tawfik Muhammad Shaheen

The nature of the call to Islam in the Holy Quran:

The Prophet Muhammad Ibn Abdullah (May the blessings and Peace of Allah be upon Him) called people to Islam, the religion of Allah, all his life. In doing this, he used the method of clear proof and reasoning in order to convince people. He did not attempt to harm any of his opponents and did not indulge in their false talk. It was enough that that truth was on his side. He used human reasoning that respects the mind and is not swayed by human craving. It is not affected by prejudice or pride of leadership or family honor or class. He did not aim at any personal gain.

The Prophet (May the blessings and Peace of Allah be upon Him) lived solely to spread the truth, forsaking any worldly ambitions. This required patience in facing hardship and dislikes, in order to succeed in spreading his message. He avoided using force, intimidation or fear. Whoever accepted the religion did so of his own free will and with complete conviction.

The Prophet allowed the believer freedom in following the principles of Islam. It is the believer who monitors himself and behavior in his life and in the lives of those around him; following his own conscience without outside interference. This allows him to become a member of the Moslem nation that respects human beings and their honor and freedom in addition to all other periods or specific places or to a race or family. Rather, it aims to unite the Moslem world. It relates to all humans wherever they may be. All what was mentioned in the Holy Quran about calling to Islam emphasizes the following:

- Islam is the religion of Allah.
- The Quran is the book of Allah.

¹ An Article published (in Arabic) at Al - Azhar Magazine .

"When the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) came to Medina, there were two days for playing and enjoyment. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) asked: 'What are these days?' They answered that these were days in which they played and rejoiced during the time of Jahilia (before Islam), so the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: Allah has substituted them with better days: the day of Al-Adha and the day of El-Fitr. They are days for prayer and giving thanks. They are for joy and happiness for having fulfilled the orders of Allah, instead of just playing and loud noise".

These two days are rewards from Allah to Muslims who obey Him and perform the worship required from them, according to the laws of Allah. It is a day in which Muslims have finishing a worshipping act. It is a day of joy and good expectations after finishing the fasting of the month of Ramadan which the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) describes as: "It is a month that Allah has ordered you to fast in, and the Prophet prayed through its nights. Anyone who fasts during the day and prays at night during this month for the sake of Allah has been forgiven for all his sins and returns back as the day his mother gave birth to him"

The day of Eid is a day Muslims rest in, after a month of fasting. In this day, also, giving money to the poor and needy is a way of purifying the soul of all bad deeds. It is a day of pity and generosity. The rich gives money to his needy brothers, solely for the sake of Allah, and to ask for His forgiveness. In this day, relatives get to meet each other and Muslims meet together with pure hearts and clean souls.

A true Muslim should judge himself before he is judged. Were our deeds in Ramadan, as individuals and as a nation, good enough to deserve this reward? Fasting purifies the soul and makes our hearts more merciful. It directs us to face Allah, since one of the fruits of Islam is to have our hearts bound to Allah. Nowadays, we all need to improve our relationship with Allah.

Ramadan is the month in which the Holy Quran was first revealed. Allah Says:

"And we reveal from the Quran what is healing and merciful to the believers, and to the oppressors, it only increases their loss" (Al-Israa: 82)

In the Islamic world now, there are so many problems. The solution to most of these problems is in the Holy Quran. The Quran came with the true faith and the laws of Allah. If Muslims abide by these laws, most of their

problems will be solved. The society, as a whole, will set to work and improve the standards of all Muslims. This is true mercy, since work results in increased production and this leads to the spread of wealth. If the society abides by the laws of Allah, Muslims will live in wealth and prosperity. We were in the month of Ramadan, and yet we saw a lot of problems in our Muslim society- financial and otherwise. We need to ask ourselves, have we applied Allah's laws in our life?

Ramadan is the month of friendliness, cooperation and brotherhood. It is the month of strong convictions, honest faith, and sincere actions. However, we see many Muslims around us who think that Ramadan is the month for rest and relaxation. These Muslims have forgotten that their ancestors fasted in the heat of the desert, where there is very little food and water. They had no means of comfort at all. Allah has tested the companions of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) in this month with several wars like Badr, and the Opening of Mecca. They proved themselves to be true believers and fulfilled their oath to Allah. He, in turn, gave them victory and kept them steadfast and gave them the upper hand over their enemies.

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) allowed Muslims to relax and enjoy themselves within the limits set by Allah. Our religion is intermediate. Some Companions of the Prophet believed that a person cannot obtain Allah's favor and forgiveness unless if he continues to pray day and night without any chance to enjoy himself and feel happy. They thought that any form of joy is against the religion. This is indicated in the dialogue by Hanzallah Al-Usaidy (an honored companion of the Prophet and one of the Muslims who recorded the Quran). He spoke about Abu Bakr Al-Siddiq (may Allah be pleased with him) and said:

"Abu Bakr met me and said: How are you, Hanzallah? And I said: Hanzallah is not a true believer! Abu Bakr said: What are you saying? And I said: When we are with the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him), he reminds us of paradise and Hell until we can almost see them with our eyes, then when we leave we become busy with our wives and children and forget a lot. Abu Bakr said: This is true. Then Hanzallah said: Abu Bakr and I went to the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) and I told him: Oh! Prophet, I am not a true believer! And the Prophet said: Why is that, Hanzallah? And I said: Oh! Prophet, when we are with you, you remind us of paradise and Hell until we can almost see them with our eyes, then when we leave we become



﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Day of Eid: A Day of Rewards....!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The feast of Eid El-Fitr and Eid El-Adha come after two holy occasions that connect between Muslims from all parts of the earth: fasting the month of Ramadan and performing the Holy pilgrimage to Mecca. Muslims are now on celebrating Eid El-Fitr. It is a holiday for all Muslims who wait for this heavenly reward after performing their act of worship by fasting the month of Ramadan. They deserve this reward since one of the basics of Islam is to reward all good deeds.

"Anyone who does an atom weight of good is rewarded, and anyone who does an atom weight of evil will receive his due" (El-Zalzala: 7, 8)

Even though acts of worship by a worshipper are mainly aimed at announcing his submission to Allah the Almighty, for He alone should be worshipped, Allah requires his worshippers to thank Him for guiding them to the true faith and honoring them by being Muslims. He has given them the strength to fulfill one of the five pillars of Islam.

"And to complete the days and to glorify Allah for what he has bestowed on you so that you may thank him." (A-Baqara: 185)

Allah the Almighty has bestowed upon his fasting worshippers a huge reward as a prize for their obedience to Allah in fasting the month of Ramadan. They have deprived themselves of the pleasures of life. This elevates the Muslim and makes him a complete human being. Allah wants the Islamic Nation to practice through the month how to unite in all aspects, starting from giving up food and drink (which are essential to sustain life) to improving personal relationships between people with their children, their wives, their family and even outside the family circle. If each Muslim succeeds in improving his behavior and abide by the rules of fasting, the Nation will unite intellectually and socially. This is the main aim of Islam and this is why Eid El-Fitr comes as a reward.

The day of Eid is a holy day honored in Islam. It is prohibited for a Muslim to fast on this day because it is a day of joy and happiness for all Muslims. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said a Hadith narrated by Abu-Dawood and Al-Nesaaee that Anas said:

الفهرس

● من الأمانة العلمية: تأليفًا، تدريسًا، تقليدًا

● كيف تستعيد الأمة دورها الحضاري

للاستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي — ١٤٧٢

للاستاذ الدكتور / أحمد قزاد باشا — ١٥٥٢

● تفسير سورة آل عمران

● التفكير الإبداعي

للفضيلة الإمام الأثير الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي — ١٤٨٠

للفضيلة الشيخ / فوزي الزغراف — ١٥٥٦

● السنة: المنهج فضيلة والكتب رذيلة

● هل يعرف القرب قدر الإسلام

للفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي — ١٤٨٦

للدكتور / حمدي فتوح والي — ١٥٦١

● الصلوة في ميزان الإسلام

● مشروع الاتحاد من أجل المتوسط

للفضيلة الشيخ / على عبد الباقي شحاتة — ١٤٩١

للاستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد — ١٥٦٦

● خطبة الجمعة: فرحة العيد

● بين الصحف والمجلات

للفضيلة الشيخ / أحمد الشرباصي — ١٤٩٤

إعداد / محمود القسبي - علا عبد الرحمن — ١٥٧٢

● مواقف إسلامية: القيامة يساوي الحياة

● تعقيب على مقال خطأ في دلائل الأنفاة وجبرده

للاستاذ الدكتور / محمود عمارة — ١٤٩٨

للاستاذ الدكتور / محمد محمد عبد اللطيف — ١٥٧٦

● نعمة العقل ونعمة الإيمان

● طرائف ومواقف

للفضيلة الشيخ / عمر الديب — ١٥٠٤

للفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم — ١٥٨٠

● القرآن والعلم الحديث

● أيام من رمضان بين مكة المكرمة والمدنية المنورة

للفضيلة الشيخ / صديق بكر غبطة — ١٥٠٨

للفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي — ١٥٨٣

● قصة العبد: مصوع الضميرة

● مؤتمر إسلامي عالمي في جاكارتا

للدكتور / ابي حسام — ١٥١٥

للاستاذ / عاطف مصطفى — ١٥٨٨

● الأسوة التربوية في الرسائل المجلدية (٢)

● قرابة في كتاب أسد الإسلام الفخاطر أحمد شاه مسعود

للاستاذ / محمد مصطفى البيهوني — ١٥٢٠

للاستاذ / عادل خفاجة — ١٥٩٥

● رمضان ولي

● بين المجلة والفكر

للساعر / السيد الصديق حافظ — ١٥٢٥

للاستاذ / أحمد السيد تقي الدين — ١٦٠٠

● الحوار في القرآن والسنة (٢)

● أبناء مجمع البحوث الإسلامية

للاستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم — ١٥٢٦

للاستاذ / عبد الموجود أمين موسى — ١٦٠٨

● كتاب الشهر: الإسلام في الألفية الثالثة

● أبناء العالم الإسلامي

عرض وتحليل ونقد: د. إبراهيم غواصين — ١٥٣٢

للاستاذين / محمد جمعة - أحمد رضوان — ١٦١٢

● قصيدة العبد: كرامة البصرة

● أبناء مكتب شيخ الأزهر

للساعر العباسي الكبير / ابن الرومي — ١٥٤٠

للفضيلة الشيخ / عبد النبي فراج — ١٦١٦

● القلم: أمانة عمر في انتقال صلاح الدين (٢)

● القسم الإنجليزي

للدكتور / محمد عمارة — ١٥٤٤

إعداد: د. إبراهيم الأصيل — ١٦٢٩

AL AZHAR

MAGAZINE

Shawwal, 1429 A.H. Oct. 2008
Vol. 81, Part X.



تلفون : ٥٥٤٦٠٦٦
www.alazhar.org

أحكام الحج والعمرة
هدية العباد

الأهرام

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
ذو القعدة ١٤٢٩ هـ - نوفمبر ٢٠٠٨ م - الجزء (١١) السنة (٨)

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا
وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ



11
٢٠٠٥
دور ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد نخس الدين

الاشتراك السنوي

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩ ☎

ذو القعدة ١٤٢٩ هـ - نوفمبر ٢٠٠٨م - الجزء الحادي عشر - السنة (٨١)



الأزهر

نوفمبر ٢٠٠٨م



من ألام المجتمع الاكتئاب مرض حقيقي

١

ارتفع المستوى المادي أكثر من ذي قبل، فأصبح كثير من الناس ينعمون بما لم يكن يحلم به أجدادهم، وكان الظن بهؤلاء الذين تحسنت أحوالهم المعيشية أن تتحسن أمورهم النفسية تبعاً لراحة البال من ناحية السعي وراء لقمة العيش، ولكن المشاهد الملموس في طوائف كثيرة ممن تراهم رأى العين أن من رزقوا وفررة الرزق يعانون أمراضاً نفسية هي أشد وقعاً من الحرمان المادي، فأنت تجد الإنسان ينعم بالعمل المريح، والبيت الهادئ، والثراء الوفير، والصحة الجسمية التي تبلغ حد الفتوة الجريئة، ولكنك تجده منكسر الخاطر، مشتت البال، مترنح النفس، لا يطمئن إلى غيره، فهو في حذر لما تفاجئه به الأيام، وقد تتحول هذه العوارض إلى ما يفوقها خطراً من اعتزال للناس، ووجوم وإطراق وقلق، وتلك ظاهرة تعرف لدى النفسانيين اليوم (بالاكتئاب) وقد أخذت هذه الكلمة تتردد في العيادات النفسية كما تتردد أسماء: الصداع والضغط والسكر في العيادات الجسمية، وإذا كان تحليل المرض الجسدي أسهل بكثير من تشخيص المرض النفسي، فإن الاكتئاب بآثاره الفادحة في حاجة إلى وقفة متأنية.

وأول أسباب هذا الاكتئاب هو الطموح الكاذب في مسائل الثراء والجاه؛ إذ أخذ جدول الضرب المالي يسيطر على الناس سيطرة أفقدتهم فضائل النفس الإنسانية التي تتجلى في القناعة والغبطة والوفوق بالله، والتفاؤل، فقد يكون الإنسان منعماً بما يملك، ولكنه ينظر إلى ما يملك سواء، ولا يد أن يوجد من هو أحسن حالاً منه، كما لا يد أن يوجد من هو أسوأ وضعاً منه، وبدلاً من أن يحمد الله على أن أمدّه بما يهون عليه أعباء العيش؛ فإن الزفريات تتصاعد من صدره؛ لأنه لم يحز أكثر مما في يده! وهكذا تعمى العين عن نعم الله الجزيلة منتقلة إلى ما لا يفيد لها شيئاً لو تحققت، إذ ليس لك من مالك في الواقع! إلا ما أكلت أو لبست، وما كفالك حاجة

الجسم، وكل ما سوى ذلك عبء أي عبء، بل ربما أدى الإفراط في اللذائذ إلى علل جسيمة تنقص العيش، وتدني من الحمام!

وقد صدق الباحثون حين قال:

يسعى الأكثر في الدنيا وقد

تبلغ الحاجة فيها بالأقل

وهو قول صادر عن تجربة إنسان عاش أكثر من ثمانين عاماً! فوجد الناس يتقاتلون ويتخاصمون، ويعيشون في أسوأ حالات الصراع، وأشق مآزق النزاع ليكسبوا ما لا يفيدهم في شيء؛ لأن الحاجة المادية مكفولة لديهم، وهم يتفنون أكثر مما يحتاجون، فيعيشون في قلق لا يهدأ ويستشعرون مرارة لا ترم.

لقد كان المعهود من قبل أن تحتل السجون بمن يسرقون اضطراباً لقضاء الضروريات من أمور الحياة، فأصبحنا اليوم نجد السجون تحتل بالأغنياء، فهذا ثرى كبير يختلس أو يرشو أو يسرق أو يعتدى على عقار غيره، فإذا سأله عن جرائمه التي ساقته إلى السجن، قال: إنه يريد أن يكون في وضع أحسن!! ولو كان لدينا رأى عام يقبح الجرائم، وينزلها المنزلة الوضيعة من الهوان، لما تجرأ غير محتاج على الغصب والسلب والاحتيال، ولكن كثيراً من المفسدين تعظم أموالهم ويكثر عقارهم، ويقابلون من الرأى العام - ولو ظاهراً - بالاحترام والاحتفاء، فينسبون ما اقترفوا من الجرائم ويضربون أسوأ الأمثلة لأبنائهم وعارقيهم، بل لا بد أن يجدوا من يحاول تقليدهم، ولماذا لا يجدون المقلد، وذو الجريمة محترم مقدر، لا يجد من يحابه بجرائمه وكأنه في حوز حريز!!

كما كنا من قبل نجد المستشفيات تحتل بصرعى الفاقة والجوع والحرمان، فأصبحنا اليوم نجدها تحتل بصرعى النخمة والاحتفاظ والإسراف في المأكولات الدسمة، والمشروبات السامة، والملاذات الدنيئة، وهكذا أصبح المال أداة بلاء بدل أن يكون عامل هناء! هذا هو المشاهد الملموس فيما ترى من السجون والمستشفيات! فماذا تقول في هذه الحالات المتعددة، وكيف يجوز أن نسكت عن هذا الخطر المحيى!!

دع عنك السجون والمستشفيات، وتعال إلى من يعانون الاكتئاب في منازلهم ومناجرهم وأماكن وظائفهم الحكومية وغير الحكومية، إنك تسأل المكتئب من هؤلاء؟ هل فقدت عزيزاً؟ هل خسرت مالا؟ هل علق قريب، هل جفاك حبيب؟ هل أصبت بمرض شاغل؟ فتجد الإجابة عن هذه الأسئلة جميعها بالنفى القاطع! فتعجب لماذا صار كذلك، وهو محظوظ بالصحة، مكفول أداة الطعام والشراب، مالك للملبس والسكن،

ممتع بالأولاد والزوجة والأصحاب! - لم يكون مصدر الهناء أداة الشقاء؟ ولماذا يتقلب الصباح المشرق ليلاً متكاثر الظلمات؟!

إن المكتتب غير سعيد قطعاً، بل هو في أعماق نفسه يتشد السعادة، ويبحث عنها جاهداً، ويراهنا بعيدة عنه، وليست في طوقه، وهو في حاجة إلى من يرشده إلى واقعه النفسي ناصحاً مشفقاً، فيزيح الغطاء عن عينيه ليرى أن السعادة في متناول يده، وهو المعرض المتبعد عن مكانها القريب!

لقد جمع رسول الله ﷺ أصول السعادة النفسية في عبارة موجزة حين قال: (من بات آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما شقيت له الدنيا بحذافيرها) (١).

والكثرة الكثيرة من مكتئبي هذا العصر يملكون كل ما أشار إليه النبي ﷺ، فأنت تسألهم هل يأمنون على أنفسهم، فلا تجد في حياتهم ما يهددها بخوف، أو يزعرعها باضطراب، فكل منهم آمن في سربه، وبذلك تحقق الشرط الأول؟ ثم تسألهم هل في أبدانهم علة جسمية، فتعرف أن البدن سليم، والجسم صحيح، وأن أحدهما يحمل الأوزان الثقيلة دون كليل، ويمشي المسافات البعيدة دون إعياء! فكل منهم معافى في بدنه، وبذلك تحقق الشرط الثاني؟ وأنت تسألهم أيجدون ما ينفقون؟ فتعجب حين ترى المال يجري بين أيديهم بحيث يضمن حاجة اليوم والغد، وقد تمتد إلى حاجات أبنائهم في المستقبل، دون يأس من فضل الله، فكل منهم ليس عنده قوت يومه فحسب، ولكنه جاوز اليوم إلى الأعوام الطوال، وبذلك تحقق الشرط الثالث؟ فما علة هذا الاكتئاب، ولم تصاعد الزفريات وعموس الوجه، وانقباض الجبين؟!

على أن خطر المكتتب لا يقف عند نفسه، بل يتعداه إلى أحب أحيائه وأخلص خلصائه، تصور والدا مكتئبا في منزل يضم الزوجة والأولاد، وكلهم يرى فيه القدوة الماثلة، ويعده عماد البيت وحصنه الواقى، وظله الوارف فماذا عسى يصنعون، وهم يجدون الوالد شاكياً صاخباً؟! إن المنزل يتحول إلى جحيم، وإذا هرب الأولاد من ضيقه الدائم، واكتابه الملازم، فإلى أين يذهبون؟ إلى أقاربهم، إنهم يتحملونهم المرة والمرة، ثم لا يجدون غير الصداود، بل إنهم يسمعون ما يضايقهم حين يتردد الحديث عن مسلك الوالد، وانقباضه العابس دون مرور، وفي المتحدثين من يظهر روح السخرية والاستخفاف؛ فيزيد الهم وبضائع البلاء، والزوجة ماذا تصنع؟ وأمامها زوج لا تعرف سبباً لشكواه، وقد تعدده منصرفاً عنها؛ لأن رغبته قد امتدت إلى سواها، فيحدث الشجار وتتابع الصعاب!

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد

إن العلاج سهل ميسور، ولن يكون في غير النظرة الواقعية، وفي وأد الطموح البعيد، والتطلع الكاذب، فليست الملذات ملذات جسم ومنصب، ولكنها ملذات إيمان ويقين، لماذا نستعجل الشقاء قبل البلاء؟ وإذا كان المرض الجسمي حادثاً متوقفاً، نعمل على تلافيه جاهدين؛ فلماذا نضيف إليه مرضاً نفسياً، وأسباب السعادة موفورة تامة، لو استمعنا إلى منطق العقل، ووقفنا متأملين أمام حديث رسول الله السالف، وقد أوضح السيل، وأثار الطريق؟!

٢

هذا ما نراه من وسائل العلاج، وليست بالأمر الخافى الذى تبذل الجهود جلالته ولكنها واضحة مشتهرة، يعرفها المريض بعقله وينأى عنها بسلوكه؛ إذ إن إرادة الشفاء ليست في الخلل الأول من اعتباره، أقول ذلك عن تأكيد، وقد يستغربه من يسمعه للوهلة الأولى، إذ إن كل مريض يريد الشفاء عن رغبة كالأمنية فقط، أما الواقع فبعيد كل البعد عن تحقيق هذه الإرادة، وإذا طلبت أمثلة تكشف هذا الخطر العجيب فإليك:

نرى الرجل العاقل مصاباً في بعض جهازه الهضمي، وقد منعه الطبيب أن يأكل ما يتقل هضمه، ويضخم سمته، ثم هو يشتري من الأدوية والعقاقير ما يساعد على الهضم ولكنه مع ذلك لا يريد الشفاء لنفسه، حين يأكل مما يجب أن يمتنع عنه، وحين يعاود أكل الممنوع مرة بعد مرة، وكأنه لما لا خطر فيه، فتسأل متعجباً: أيريد مثل هذا المريض لنفسه الشفاء؟ ونجد الرجل العاقل، وقد كثرت أعياءه الصحية بتقدم السن، وارتفع الضغط لديه ارتفاعاً يندب بالخوف، وقد أمره الطبيب أن يأخذ قسطاً من الراحة، فلا يواصل العمل كما قد كان في عصر الشباب، ولا يديم السهر في متجره دائماً، ثم هو بعد ذلك لا يستجيب لنداء الطبيب، ويواصل أخذ الدواء دون أن يعمل على تهدئة أعصابه، فتسأل متعجباً: أيريد مثل هذا المريض لنفسه الشفاء؟!

والمشروبات الضارة من مسكرات ودخان! يتحتم على بعض المرضى في أحيان كثيرة مجافاتها، والابتعاد عن تناولها؟ لأن الضرر محقق، والعاقبة الوخيمة منتظرة، ومع ذلك تجد المريض الممنوع من الدخان يخالس نفسه ليشرّب السجارة بعد السجارة، كما يفعل مدمن المسكرات، وكأنهما يتآمران على شخص أجنبي لا يهمهما أن تنتهى حياته في العاجل القريب فتسأل متعجباً: أيريد هذان لنفسيهما الشفاء؟!

أمثلة كثيرة من هذا الطراز نراها وأرى العين؛ فنقف إزاءها حائرين، كما نرى في الجهة المقابلة نوعاً من المرضى، قد رزقوا الإرادة القوية، فالتزموا النصائح الطبية التزاماً حميداً، ومضت حياتهم الصحية على نهج مريح، ولكن وجود هذا الفريق، لا يجعلنا نغفل أمر الذين يتورطون فيما يسوء، وهم - للأسف - كثيرون.

لقد قرأت قصة لكاتب إنجليزي، موجزها أن شاباً مريضاً سقط من الدور الرابع، فتكسرت عظامه على نحو يؤذن باليأس، وذهب إلى المستشفى، فواصل الأطباء علاجه في غير تفاؤل، ولكنه كان مستبشراً باسماء، ينفذ التعليمات القاسية في طمأنينة، وقد ينام على جنب واحد أسبوعاً دون أن يتحرك، وهو مع ذلك يحرص على استماع المسليات في الإذاعة، ويحدث عائديه في رغبة، وقد يحاولون الإقلال من مجالسته كيلا يرهق بالحديث، ولكنه يؤكد أن المرض مسألة عابرة، وأن الصحة قادمة عن قريب! ويراه الأطباء في هدوئه المثالي، فيبدلون الجهد في رضا وتشجيع، ثم تكون النتيجة أن يراً في مدى غير متوقع، وأن ينتصر الرجاء على اليأس؛ لأن صاحبنا أراد الشفاء عن حزم حازم، واستبعد كل وسواس ينذر بسوء المصير.

قد تكون هذه القصة واقعية رآها الكاتب فسجلها عن عيان، وقد تكون خيالية شاء المؤلف أن يخسد وقائعها لتنتهي إلى مدلولها النفسي الصادق، وهو أن إرادة الشفاء إذا تأكدت في نفس المريض، ووجدت من التصميم الحازم ما يؤكد تفوذها الجاد فإنها تصل بصاحبها إلى بر النجاة، وهذا ما نحب أن نقرره في هذا المجال؛ لنصبح في هؤلاء الذين يفرطون في أعز ما يملكون أن هبوا من النوم، فإن الحذر الحريص له دواعيه اختومة في سلامة الجسم، وتوقى الأخطار!

لقد ضربت بعض الأمثلة للأمراض الجسمية، والأمر في الأمراض النفسية أخطر وأدهى؛ لأن المرض الجسمي غالباً ما يكون ملموساً مرئياً يشاهد دون إنكار، أما المرض النفسي فلا يكون لدى صاحبه من الوضوح الجاد بمنزلة المرض الجسمي، بل كثيراً ما يمتري فيه مع وضوح الدلائل، وهو من الخطورة بمنزلة لا تقل عن غيره، وإرادة الشفاء في المرض النفسي هي العامل الأول في الشفاء لأن العقاقير الطبية تجبي لديه في المرتبة الثانية غالباً؛ إذ تكون من قبيل التهذبة لا من بواعث الاستئصال، فإذا كان المريض النفسي لا يعترف بمرضه تارة، أو يعترف ولا يأخذ بأسباب الشفاء تارة أخرى، فأى عاقبة تكون؟

تجد بعض الناس يخافون من المستقبل دون مبرر؛ إذ يترهبون أن الغد سيفاجئهم بما يؤلم ويسئ ويأتي الغد المنتظر فلا يحدث لهم ما يتوقعون، وكان من المنطق أن يكفوا عن الخوف، ولكنهم يتوقعون الخطر فيما بعد الغد، وتكرر الأيام، والأعصاب مشدودة، والقلق مسيطر، والمريض الخائف مرتبك في عمله، ضائق بنفسه وأهله، متحفز للشجار في أنفه الملابس، فإذا أردت أو أراد الطبيب النفسي أن يشر عليه بما يبدد أو هامه، أنكر أنه مريض، ورمى من حوله بسوء التدبير، وذهاب الاحتيال، وإذا لم يعرف المريض مكن دائه فلا أمل في الشفاء! وقد تجد مريضاً آخر يسيئ الظن برئيسه أو زميله أو مرءوسيه دون موجب، وهو تحت هذا الظن الواهم،

يؤول كل حركة، ويفسر كل عمل، ويحلل كل موقف بما ينتمي إلى سوء الظن، واهما أنه قد رزق من بُعد النظر، وقوة الاستنتاج، وصدق القراسة ما لم يرزق سواء، وطبعي أنه في مثل موقفه سيجد المعارض المهاجم، وستشأ معارك حادة تعكر الصفو، وتجلب الشقاء، فإذا حاول إنسان محايد أن يقدم النصيحة لهذا الشكاك المتبرم، ثار وصخب، وأضاف إلى أعدائه عدواً جديداً هو الناصح الأمين، وإذا انتهى الأمر إلى ذلك فهل يصل صاحبنا إلى الشفاء، وهو لا يريد.

ومن هؤلاء من يتخوفون من ركوب الطائرة، أو النوم في الظلام، أو الاجتماع مع الناس في محفل لتبادل الآراء، وتركبهم الوسواس حين يضطرون إلى مزاوله ما يخافون، وقد يقدمون على عمل مشر، لديهم الكفاءة في تنفيذه لو سلموا من الخوف، ولكنهم يبددون طاقتهم في السيطرة على أو هامهم، وقد لا يستطيعون، فيمنون بالإحفاق؛ فإذا تقدم ناصح محايد أو معالج دارس، فأوقفهم على متغد الخطر في حياتهم، ودعاهم إلى طرد هذه الوسواس، وضرب الأمثلة الواقعية من الحياة، مستشهدين بالآلاف ممن يركبون الطائرة، وينامون في الظلام، ويتشجعون على النقاش في الندوات العامة دون حذر ما، إذا تقدم لهم ناصح بذلك، ضجروا منه وباعدوه، وأنكروا أنهم في حاجة إلى نصيح يشر بالرأى الصحيح، أفيعقل بعد هذا أن يكون لهؤلاء إرادة في الشفاء؟!

إن المريض في حاجة إلى صديق يأنس له، ويمنحه ثقته الأكيدة، وهو وحده الذي يستطيع أن يأخذ بصاحب المرض النفسي إلى إرادة الشفاء متى كان ذا مستوى فكري قاتد، أو أن يدلّه على الطبيب النفسي مشجعاً محبباً؛ إذ إن بعض الناس لا يزالون يتخرجون من العلاج النفسي، كيلا يشك أحد في قدراتهم العقلية، وهو وهم يجب أن يزول؛ لأن الجسم إذا تطلب العلاج دون معابة؛ فالنفس صنو الجسم، بل هي التي تدبر دفته، وتعمل على إبعاده، وبدونها لا تتم هناة، فإذا احتاجت إلى علاج فلا بد أن يتاح! وإرادة الشفاء نتقدم في الطريق، وقد أخذنا الأهبة للنجاح، ونحن نريد بالإرادة التصميم العملي، لا التمني الطموح؛ لأن التمني وحده لا يقيد شيئاً، إلا إذا وضع التمني موضع التنفيذ، ليقطف الثمر عن قريب.

وبعد فهل نريد الشفاء حقاً، كما نريد أن نخلص سريعاً من الاكتئاب؟!

د. محمد رجب البيومي

نفسير سورة العبران

لفضيلة الأيام الكبير شيخ الزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقَتَلْنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن ذُخِّلَ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي بِالْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۝﴾

الآيات (١٨٩: ١٩٣)

قوله - تعالى -:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾

أى له وحده - سبحانه - ملك السموات والأرض بما فيهما، فهو وحده صاحب السلطان القاهر في هذا

العالم يتصرف فيه كيفما يشاء ويختار: إيجادا وإعدامًا، وإحياء وإماتة، وتعذيبًا وإثابة، وهو - سبحانه - على كل شيء قدير، لا يعجزه أمر، ولا يدفع عقابه دافع، ولا يمنع عقابه مانع، فعليكم أيها الناس أن تطيعوه وأن تحذروا غضبه ونقمته.

وبعد أن بين - سبحانه - أن ملك السموات والأرض بقبضته، أشار - سبحانه - إلى ما فيهما من عبر وعظات فقال:

﴿إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝﴾

أى: إن في إيجاد السموات والأرض على هذا النحو البديع، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب وبحار وزروع وأشجار.. وفي إيجاد الليل والنهار على تلك الحالة المتعاقبة، وفي اختلافهما طولًا وقصرًا.. فى كل ذلك لأمارات واضحة، وأدلة ساطعة، لأصحاب العقول السليمة على وحدانية الله - تعالى - وعظيم قدرته، وباهر حكمته.

ومصدورت الجملة الكريمة بحرف «إن» للاهتمام بالخبر، وللإعتناء بتحقيق مضمون الجملة، أى إن في إيجاد السموات والأرض وإنشائهما على ما هما عليه من العجائب، وما اشتملتا عليه من البدائع، وفي اختلاف الليل والنهار.. إن فى كل ذلك من العبر والعظات ما يحمل كل عاقل على الاعتراف بوحدانية الله، وكمال قدرته وحكمته.

والمراد بأولى الألباب: أصحاب العقول السليمة، والأفكار المستقيمة، لأن لب الشيء هو خلاصته وصفوته. ولقد قال الزمخشري فى صفة أولى الألباب: (هم الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطرة، وفى الحكم: املأ عينيك من زينة هذه الكواكب، وأجلها فى جملة هذه العجائب متفكرا فى قدرة مقدرها، متدبرا فى حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر، ويحال بينك وبين النظر^(١))

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٤٨

هذا، وقد أورد المفسرون كثيرا من الآثار فى فضل الآيات العشر التى اختتمت بها سورة آل عمران، ومن ذلك قول ابن كثير - رحمه الله -:

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتبجده فقد روى البخارى - رحمه الله - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد: فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال:

﴿إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝﴾

ثم قام فتوضأ واستن، ثم صلى إحدى عشر ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح. وروى مسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة بعد ما مضى شطر من الليل فنظر إلى السماء وتلا هذه الآية:

﴿إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝﴾

ثم قال: (اللهم اجعل فى قلبى نورا، وفى سمعى نورا، وفى بصرى نورا، وعن يمينى نورا، وعن شمالي نورا، ومن بين يدي نورا، ومن خلفي نورا، ومن فوقى نورا، ومن تحتي نورا، وأعظم لى نورا يوم القيامة). وروى ابن مردويه عن عطاء قال: انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة - رضى الله عنها - فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب فقال لها ابن عمر: أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول الله ﷺ؟ فبكت وقالت: كل أمره كان عجبًا!! أتاني فى ليلتى حتى مس

جلده جلدی ثم قال: يا عائشة: ذرني أتبع لربي -
عز وجل - قالت: فقلت والله إني لأحب قريك وإني
أحب أن تبعك ربك.

أن ذكرهم الله - تعالى - بقلوبهم وألسنتهم يستغرق
عامة أحوالهم.

ولما كان الأمر كذلك لا جرم أنه أمر في هذه الآية بالفكر في خلق السموات والأرض، لأن دلالتها أعجب. وشواهدا أعظم.^(١٧)

وكان نداؤهم خالقهم - عز وجل - بلفظ ﴿رَبَّنَا﴾ اعترافاً منهم بأنه هو مربيهم وخالقهم فمن حقّه عليهم أن يفرّدوه بالعبادة والخصّوع.

السنة مسئولية المرأة في بيت الزوجية

تفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الضيومي

روى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة «رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شئت».

الشرح والبيان: يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿مَرْبَاتٍ لَكُمْ وَبَيْنَ يَدَيْكُمْ﴾

(البقرة: ١٨٧)

ولم يهمل الإسلام هذا الجانب، فمتى اكتمل للأسرة وجودها من زوج وزوجة وأولاد، فإن لكل عضو من الأعضاء مركزه في التشريع الإسلامي، فلكل حقوقه وسلطانه، وعليه بالتالي تبعات ومسئوليات، وأود أن أتحدث عن مسئوليات ربة البيت، وأعني بها الزوجة والأم، وهي مسئوليات لها أثرها الفعال في حياة الأسرة واتجاهاتها، وما يصيبها من خير وشر، أو ترابط وتفكك، فالزوجة شريكة لزوجها في كل ضرب من ضروب الحياة،

دلالة على سلامة فطرته، وبعدهم عن الكابرة والعتاد.

ثم حكى - سبحانه - مطلبهم فقال:

﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكَ دُونَا وَكَفَّرَ عَنْ سَيِّئِكَ أَفْعَاكُ﴾

أي نسألك يا ربنا بعد أن آمنّا بنبيك، واستجبنا للحق الذي جاء به، أن تغفر لنا ذنوبنا بأن تسترها وتعفو عنها، وأن تكفر عنا سيئاتنا بأن تزيلها وتحولها وتحولها إلى حسنات أو بأن تحشرنا مع الأبرار أي مع عبادك الصالحين المستقيمين الأخيار إذ الأبرار جمع بار وهو الشخص الكثير الطاعة خالقه - تعالى - فأنت تراهم قد طلبوا من خالقهم ثلاثة أمور، غفران الذنوب، وتكفير السيئات، والوفاء مع الأبرار الأخيار، وهي مطالب تدل على قوة إيمانهم، وصفاء نفوسهم، وزهدهم في متع الحياة الدنيا. وقد جمعوا في طلبهم بين غفران الذنوب وتكفير السيئات لأن السيئة عصيان فيه إساءة، والذنب عصيان فيه تقصير وتباطؤ عن فعل الخير، والغفران والتكفير كلاهما فيه معنى الستر والتغطية، إلا أن الغفران يتضمن معنى عدم العقاب، والتكفير يتضمن ذهاب أثر السيئة. ومعنى وفاتهم مع الأبرار: أن يموتوا على حالة البر والطاعة وأن تلازمهم تلك الحالة إلى الممات، وألا يحصل منهم ارتداد على أديارهم، بل يستمروا على الطاعة استمراراً تاماً وبذلك يكونون في صحبة الأبرار وفي جملتهم.

ثم حكى - سبحانه - لونا آخر من ألوان ضراعتهم يدل على قوة إيمانهم فقال - تعالى:

﴿وَلَمَّا سَمِعْنَا بِمَا إِنَّا إِلَٰهٌ لَّهُمْ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمَّاحَةٌ فِي الْوُجُوهِ ضَعِيفَةٌ لَّيَافٍ﴾

أي أنهم يقولون على سبيل الضراعة والخضوع لله رب العالمين: يا ربنا إنا سمعنا متادياً ينادي أي داعياً يدعو إلى الإيمان وهو محمد ﷺ، فاستجبنا لدعوته، وآمنّا بما دعانا إليه بدون تردد أو تسويف. وفي وصفه ﷺ بالمنادي، دلالة على كمال اعتنايه بشأن دعوته التي يدعو إليها، وأنه حريص على تبليغها للناس تبليغاً تاماً.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: فأى فائدة في الجمع بين «المنادي» و«ينادي»؟ قلت: ذكر النداء مطلقاً، ثم مقيداً بالإيمان، تفخيماً لشأن المنادي، لأنه لا منادى أعظم من مناد ينادي للإيمان، ونحوه قولك: مررت بهاد يهدي للإسلام. وذلك أن المنادي إذا أطلق ذهب الوهم إلى مناد للحرب، أو لإغاثة المكروب، أو لكفاية بعض التوازل، أو لبعض المنافع، وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الرأي وغير ذلك.

فإذا قلت: ينادي للإيمان ويهدي للإسلام، فقد رفعت من شأن المنادي والهادي وفخمته^(١). و«أن» في قوله ﴿أَنَّهُ يَوْمَئِذٍ﴾ تفسيرية لما في فعل ﴿يُنَادِي﴾ من معنى القول دون حروفه، وجيء بقاء التعقيب في قوله - تعالى - حكاية عنهم ﴿يُنَادِي﴾ للدلالة على المبادرة والسبق، إلى الإيمان وأنهم قد أقبلوا على الداعي إلى الله بسرعة وامتثال، وفي ذلك

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٥٠

﴿وَمَنْ يَلْبِسْ أَنْ خَلَقَ الْكَافِرِينَ﴾

أَحْسَنُ أَزْوَاجٍ لَتَكُونُوا إِلَٰهًا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

(الروم ٢١)

فأساس الأسرة السكن والمودة والرحمة، وإذا توافرت هذه العناصر للأسرة فتلك نعمة من أجل النعم، ومنه من أعظم المنن، ولذلك امتن الله «عز وجل» بها على عباده فينبغي أن يشيع الحب في الأسرة، وأن تنتشر فيها المودة والرحمة.

حلوها ومرها، وهي الحفيظة على بيته بكل ما يحويه، وهي القوامة على إدارة شئونه، وتسيير دفته.

وهي - في استقامتها وصلاحها وصون شرفها - موطن الأمان، ومنبع السعادة، ومبعث الرضا والاطمئنان، وفي اعوجاج طرقها، والتواء سبلها، وتشكيها للصراف السوي، والنهيج القويم، عنوان التعاسة، ومصدر الشقاء.

والأم هي مهد الطفولة الناشئة، والرائدة الأولى لأطفالها، والحارسة على تهذيبهم وتوجيههم وتأديبهم وتعليمهم، فإذا أهملت في واجبها، أو قصرت في أداء رسالتها ضاعت جهود الأب، وجهود دور التعليم على اختلاف مراحلها، وجهود الدولة عموماً، أدراج الرياح.

ولما كانت الأم بهذه الدرجة من الأهمية أنشد الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيب الأعراق.

والمرأة بطبيعتها إذا أرخى لها العنان، ومد لها في الحبل، وأطلقت أمامها الحريات طغت وبغت، وجمحت وأسرفت، فلا يستطيع أحد أن يردها عن وجهتها، ولا أن يمسك لها بزمام، وفي طغيانها تهاون في العرض، وتفريط في السمعة والكرامة، ومن ثم يتولد الإسراف في المال، والشره في الحصول على المتع والزينات، والجشع في إرضاء المآرب والرغبات، وبالتالي

تغضب ربها، وتهمل واجب بيتها، وحقوق زوجها وأبنائها، وبالتالي تعطى أسوأ مثل لأبنائها وبنائها وجاراتها، وتكون عنوان الخراب والدمار في مجتمعها، لهذا ينبغي على الزوج أن يعود وزوجه على القناعة، وأن يلزمها الطاعة، فالمرأة كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع، وإن تطفمه ينظم.

كما يجب أن يطالبها بما افترض عليها الإسلام من فرائض، وأن يدعوها إلى ما دعا إليه الإسلام من خلق حميد، وأدب عظيم، وسلوك قويم، وقد امتدح القرآن الكريم من يأمر أهله بذلك، قال تعالى في شأن سيدنا إسماعيل عليه السلام:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِذْ كَانُ صَاحِقًا نُوحِدَ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ آمِرًا هَدَاهُ بِالْحَلَاوَةِ وَالْزُكُوفَةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝﴾

(مريم: ٥٤-٥٥)

وقد قال الله لنبيه ورسوله العظيم:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْكَرْ وَرَقًا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ زُرْكَانًا ۖ سَبِّحْهُ مِائَةً مِائَةً ۖ وَاسْمِعْ بَيْنَ الْأُذُنِ ۖ وَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾

(طه: ١٣٢)

هذا ولما قرأ رسول الله ﷺ «يأيتها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا. وقودها الناس والحجارة»، والأهل في لغة العرب: الزوج والأولاد، قال عمر «رضي الله عنه»: نقي أنفسنا - يا رسول الله - فكيف لنا بأهليتنا؟ قال: «تأمرونهم بما أمر الله، وتهونهم عما نهى

الله، فيكون ذلك وقاية لهم من النار».

وقد بشر رسول الله ﷺ المرأة بالجنة إن هي فعلت ذلك، واستقبلته برضا نفس ورحابة صدر، كما ورد في حديث ابن حبان «رحمة الله» عن أبي هريرة «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلمها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت».

هذا وإن أول حق من حقوق الزوج أن تطيعه وزوجه، روى الحاكم في مستدركه ورفعته من حديث معاذ بن جبل «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألتها نفسها وهي على ظهر قتب» أي: رجل صغير يوضع على ظهر بعير.

وقد روى البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمي، إني وافدة النساء إليك، وأعلم - نفسي لك الفداء - أما إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أولم تسمع إلا وهي على مثل رأيي، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء فآمنوا بك وبإلهك الذي أرسلك، وأنا - معشر النساء - محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم - معشر الرجال - فضلتم علينا بالجمعة والجماعات، وعبادة المرضى،

وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مرابطا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابا، وربينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ قال: فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: «هل سمعتم مقالة امرأة قط؟» أحسن من مسألتيها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي ﷺ إليها، ثم قال لها: انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من خلقتك من النساء أن حسن بعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله». قال: فأدبرت المرأة وهي تهمل وتكبر استشارا.

فالتبعل هنا: القيام بشئون الزوجية على خير وجه، وإن أعطى هذا الحدث شيئا فإنما يعطى أن مكان المرأة الطبيعي هو البيت، بخلاف الرجل، وكل ميسر لما خلق له، والأجر في ذلك سواء، فالمرأة التي تعمل في بيتها تأخذ على ذلك أجرا كأجر الرجل الذي يعمل في المتاجر والمصانع والمعامل والمتاجر والمناجم، فإذا اضطرت المرأة إلى العمل خارج المنزل فإن الإسلام لا يمنعها ذلك الحق مادامت تخرج إلى العمل في حشمة ووقار، كذلك إذا احتاج المجتمع إليها ولا يحسن العمل المطلوب غيرها، والله «تبارك وتعالى» يقول:

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَاهِي وَهُوَ غُورٌ فَتَحْنِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾ (النحل: ٩٧)

والحق الثاني من حقوق الزوج على امرأته أن تلتزم بيته، وأن تصون سره، وأن تحفظ زوجها إذا غاب، في نفسها وبيته وماله، قال تعالى:

﴿فَصَلِّحْ خَلْقَكَ لِلْيَدِ بِأَحْسَنِ مَا هُوَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُ﴾

(النساء - ٣٤)

وروى الإمام مسلم «رحمه الله» في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال - في حجة الوداع - : «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف». والحق الثالث من حقوق الزوج على زوجته أن تنقّي الله في ماله بأن تنفق منه دون إسراف أو تبذير، لأن الله نهى عنهما، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

(الفرقان: ٦٧)

وعليها ألا تكلفه ما لا يستطيع، ولا تنصرف في غيبته في شيء من ماله إلا بإذنه، أو فيما جرت به العادة كإكرام زائر، أو إطعام جائع، فإذا كان الزوج ذا مال، لكنه شحيح بخيل، لا يعطيها ما يكفيها وأولادها فقد أجاز لها الشرع أن تأخذ من ماله بغير إذنه ما يسد حاجتها وحاجة أبنائها.

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن أم

المؤمنين عائشة «رضي الله عنها» أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: «خذي ما يكفيك وولذك بالمعروف».

والحق الرابع من حقوق الزوج على أهله أن تربي أولاده، وتحسن رعايتهم، وعلى المرأة أن تؤديه على الوجه الأكمل، ومسئوليتها في هذا الجانب لا تقتصر على مسئوليتها أمام زوجها، فهي مسئولة - بالدرجة الأولى - أمام ربها ودينها، بل ومسئولة أمام المجتمع عن تقديم الذرية الصالحة التي تسهم في إسعاد المجتمع وإنهاضه، ولذلك حرص الإسلام على صلاح الزوجين ضمانا لصلاح الذرية. قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ يُخْرِجُ النَّبِيَّ إِذَا زَنَى رَجُلٌ وَنَحْنُ لَا نَخْرِجُ إِلَّا كَمَا كُنَّا نَصْرِفُ الْأَيُّمَ لِيَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾

(الأعراف: ٥٨)

ومن هنا ألزم الإسلام الراغب في الزواج - باختيار الزوجة ذات الدين والخلق. روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي ﷺ: (تنكح المرأة لأربع، لمالها وحبسها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)، فرسول الله ﷺ - في هذا الحديث - ذكر بعض المرغبات في النكاح، وهي المال والحسب والجمال والدين، ولكنه ركز على ذات الدين

وبما حبذا لو جمعت مع الدين المال والحسب والجمال، ومن ثم ينادي أنشد الشاعر لبنيه:

وأول إحساني إليكم تخيري

لما جدة الأعراق باد عفافها. وقد قال حكيم العرب المشهور أكثم بن صيفي: (لا يفتنكم جمال النساء عن صراحة النسب، فإن المناكح الكريمة مدرجة الشرف)

فإذا حملت الزوجة حافظ الإسلام على جنتها، وتعهده بالرعاية والعناية، ولا أدل على ذلك من إباحة القطر لأمه في نهار رمضان إذا خافت عليه، فإذا ولدت وخرج الجنين إلى النور، وعاش حياته ألزم الشرع الحنيف أمه بحضانه وإرضاعه. قال تعالى:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُسَمِّيَ الرِّضَاعَةَ﴾

(البقرة: ٢٣٣)

وإنه لمن الخطأ الجسيم أن نترك أولادنا، وفلسفات أكبادنا للحاضنة غير الأم، أو للخادمة، فإذا تركناه لهن تركناه للضياع، وعرضناه للفساد، فالطفل المسكين إن لم يصبه مرض جسمي أصابه مرض نفسي خلقي، وقد قيل: أعط ولدك خادمتك يكن لك بدل الخادم اثنان، ومعنى ذلك: أنه ينشأ على صفات الخادم إذا وكل إليه، فينشأ كأنه خادم مثله.

فإذا عقل الرضيع ربه أمه على الأخلاق

والفضيلة، وغرست فيه بذور الخير والصلاح، وحببت إليه مكارم الأخلاق، وأعطت أولادها من نفسها القدوة الحسنة، فلا يرى أولادها من أمهم إلا عظيم الفعال، وجميل الخلال، وطيب الأقوال، فإن فعلت تكون قد أدت واجب زوجها، وحقوق أبنائها، وأسهمت في إسعاد مجتمعها، فإن فارقت الدنيا، وتقيت ربها لقيته وهو راض عنها، وأمنت العذاب، وسوء الحساب.

وهكذا ينعم المجتمع الإسلامي بالأمن والأمان، والسعادة والاستقرار إذا قام كل فرد من أفرادها بالواجب الذي رسمه الإسلام، وحدده له الشرع الحنيف، لأن سعادة المجتمع من صنع أفرادها، وسعادة الفرد مرتبطة بسعادة المجتمع، وشقاؤه مرهون بشقاؤه، والكل مسئول أمام الله «عز وجل» عما استرعاه، حفظ أم ضيع.

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر «رضي الله عنهما» قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسئولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده، ومسئول عن رعيته». قال: وحسبت أن قد قال: «والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته».

وفق الله نساءنا وأمهاتنا وبناتنا إلى ما يرضى ربنا، ويسعد مجتمعنا.

الحوار

في القرآن والسنة

للاستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

الدعوة إلى الإسلام

محاورة هرقل لأبي سفيان ومساءلته له عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم

روى البخاري - رحمه الله - قال: حدثنا أبو اليمان، حدثنا الحكم بن نافع، قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله عتبة ابن مسعود: أن عبد الله بن عباس أخبره: أن أبا سفيان بن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهو يبلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا ترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي

يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: قلت: أنا أقربهم نسباً، قال: ادنوه مني وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهري، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبتني فكذبوه، قال: فوالله لولا الحياء من أن يأتروا عليّ كذباً لكذبت عليه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن

يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها؟ قال: ولم يمكس كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا ونال منه، قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، فقال لترجمانه: قل له: سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يتأسى بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت

(١) أخرجه الترمذي في «مجمع الزوائد» (الحديث: ٢٣٩/٨)

أن لا، وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والعدل والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، يا أهل الكتاب، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون»^(١)، قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات، وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر، فمازلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام، وكان ابن الناطور

بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل.

البشارة:

«أبو سفيان»: هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، «هرقل»: هو ملك الروم، وهرقل: اسمه، وأما لقبه: فهو قيصر كما أن ملك الفرس يلقب بكسرى.

«في ركب من قريش»: الركب: جمع راكب، والجملة في محل نصب حال، أي: أرسل إلى أبي سفيان حال كونه في جملة الركب، وكان عدد الركب ثلاثين رجلاً، وقيل: نحو من عشرين.

(...) في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان..): هي مدة الصلح بالحديبية، وكانت في سنة ست وكانت مدتها عشر سنين، وهذا أشهر الآراء، وقيل: كانت أربع سنين. «فأتوه»: اللقاء عاطفة على محذوف وتقدير الكلام: أرسل في طلب إتيان الركب، فجاء موصول يطلب إثباتهم فأتوه.

«إبلياء»: قيل: معناه بيت الله والمراد به: بيت المقدس «الترجمان»: بفتح التاء وضم الجيم ويجوز ضم التاء اتباعاً فتح الجيم من فتح التاء، والمعنى: أرسل إليه رسلاً أحضره والترجمان: هو الذي يعبر عن لغة بلغة أخرى وهو معرب وقيل: عربي «أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل»: ضمن أقرب معنى أوصل فعده بالباء، وفي رواية مسلم: «... من هذا الرجل»

وصاحب إبلياء وهرقل أسقف على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إبلياء أصبح خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استكرنا هيتك قال ابن الناطور: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حيث سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخيره هرقل: قال: اذهبوا فانظروا تختن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر، ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النسي ﷺ وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم أطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتابعوا لهذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم على وقال: إني قلت مقالتي آنفاً اختبر

وهو على الأصل «أن يأتروا» أي: ينقلوا «ثم كان أول ما سألني عنه أن قال...» أول: بالنصب على أنه خير مقدم لكان، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر اسمها مؤخر والتقدير: «قوله...» ويجوز أن يرفع على أنه اسمها.

«فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟»: في هذه العبارة إسقاط همزة الاستفهام، وفي التفسير: «أتبعه أشرف الناس» والمراد بهم: أهل النخوة والتكبر منهم لا كل شريف «سخطه» بضم أوله وفتححه، وأخرج بهذا من ارتد مكرها أولاً لسخط لدين الإسلام، بل لرغبة في غيره كحفظ نفساني، «الحرب بيننا وبينه سجال»: وسجال بكسر السين، أي: نوب، والسجل: هو الدلو، والحرب اسم جلس، وقد جعل غيره اسم جمع، ومعنى «ينال»: يصيب، فشبه المخارين بالمستقين يستقي هذا دلواً وهذا دلواً، وأشار أبو سفيان بذلك إلى ما وقع بينهم في غزوة بدر وغزوة أحد.

«وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشته القلوب»: ومعنى البشاشة، انشراح الصدر واللفظ بالشئ عند قدومه والفرح به، يقال: بش به وتبشيش، وقد روى ينصب بشاشته على أنها مفعول به، وروى بشاشته القلوب على أن بشاشته فاعل والقلوب مفعول به. «أخلص»: أي: أصل. «لتجشمت»: أي: تكلفت الوصول إليه.

«أما بعد»: في «أما» معنى الشرط وتستعمل لتفصيل الكلام الذي يذكر غالباً، وترد مستأنفة لا للتفصيل كما هنا، ولفظ «بعد» مبنى على الضم، لأنه مقطوع عن الإضافة ولو أضيف لفتح. «دعاية الإسلام»: أي: الكلمة الداعية إلى الإسلام وهي الشهادتان. «أسلم تسلم يوتك»: تسلم: مجزوم في جواب الأمر، ويوتك جواب ثان للأمر، وفي قوله تسلم نوع من البديع وهو الجناس الاشتقافي. «فإن توليت»: في هذه الجملة استعارة تبعية، لأن معنى «توليت»: أعرضت، وحقيقة التولي يكون بالوجه ثم استعمل مجازاً في الأعراض عن الشئ على سبيل الاستعارة، «الأريسين» هم الفلاحون أو اليهود والنصارى أو الملوك.

«لقد أمر أمر ابن أبي كبشة»: أمر: بفتح الهمزة وكسر الميم، أي: عظم، وأراد بابتن أبي كبشة النبي ﷺ، لأن أبا كبشة أحد أجداده وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض قيل: هو جده لأمه وقيل: من قيل أبيه، وقيل: أبوه من الرضاة واسمه: الحرث بن عبد العزى. «ملك بنى الأصفر»: هم الروم يقال: إن جدهم روم بن عيص تزوج بنت ملك حبشة فجاء لون ولده بين البياض والسواد، فقيل له: الأصفر، وقيل: لأن جدته سارة زوج إبراهيم حلته بالذهب. «ابن الناطور»: حارس البستان «صاحب إبلياء» ينصب صاحب

على الاختصاص أو الحال أو يرفعه عن الصفة، أى: أميرها و«الأسقف والسقف» لفظ أعجمي، أى: رئيس دين النصراني، وقيل: عربي وهو الطويل في اتحناء. «خبيث النفس» أى: رديء النفس وغير طيبها، «حزاء» بتشديد الزاي، أى: كاهن. «رومية» بالتحقيق: مدينة معروفة للروم. (فلم يرم) بفتح الياء وكسر الراء، أى: لم يرح. «والدسكرة» القصر الذي حوله بيوت. «فحاصوا» أى: نفروا.

المهنتى:

هذا الحديث يمثل جانباً من منهج الدعوة إلى الإسلام، وهو إرسال الكتب إلى الملوك، ودعوتهم إلى الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ، كما يمثل أيضاً جانباً آخر من علامات النبوة، وكيف يصل الفكر المستنير إلى الحق، ويعرف عن طريق الاستتاج الصحيح أن صاحب هذه الدعوة مرسل من ربه.

فإن هرقل حين جاءه كتاب الرسول ﷺ قرأه، وأراد أن يصل إلى الحقيقة من أقوم طريق، فقال هرقل - كما في رواية مسلم - هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نعم، قال أبو سفيان: فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان:

فقلت أنا، فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بترجمانه فقال له: قل لهم إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي فإن كذبتني فكذبوه.. وإنما أراد هرقل أن يسأل أقربهم نسباً بالرسول ﷺ، لأنه هو الذي يكون أكثر معرفة بأحواله والاطلاع على شئونه ظاهراً وباطناً أكثر من غيره، ولأن الأبعد لا يؤمن أن يقدر في نسبه بخلاف الأقرب، ثم أكد الأمر لأصحابه فقال لهم: إن كذبتني فكذبوه، أى: لا تستحيوا منه، كما أنه جعل أصحابه خلفه، ليكون تكذيبهم له - إن كذب - أهون وأيسر ولئلا يستحيوا أن يواجهوه فإن مقابلة بالكذب وجهاً لوجه من الأمور الصعبة. وقال أبو سفيان: فوالله لو لا الحياء من أن يأتروا على كذباً لكذبت عليه، وفي هذا القول دليل على أنهم كانوا يستقيحون الكذب، أخذاً على الشرع السابق أو بالعرف.

وأول سؤال هو: كيف نسبه فيكم؟ أى: ما حال نسبه أهو شريف أم لا؟ فكان الجواب: «هو فينا ذو نسب»، والتوين فيه للتعظيم وفي رواية مسلم: كيف حسبه فيكم؟ فقال: هو فينا ذو حسب، والمعنى واحد.

والسؤال الثاني: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ أى: من قريش أو العرب، والمراد: من قومكم، فأجابه بقوله: لا.

والسؤال الثالث: فهل كان من آياته من ملك؟ وفي رواية مسلم: فهل كان من آياته ملك؟ وقد روى هذا اللفظ على وجهين: أحدهما: «من» بكسر الميم و«ملك» بفتح الميم وكسر اللام. والثاني: «من» بفتح الميم و«ملك» بفتحها على أنه فعل ماض وكلاهما صحيح.

والسؤال الرابع: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فأجاب بقوله: ضعفاؤهم وفي رواية بإثبات همزة الاستفهام أتبعه أشراف الناس؟ والمراد بهم: أهل النخوة والتكبر منهم لا كل شريف حتى لا يرد مثل أبى بكر وعمر.

والسؤال الخامس: أيزيدون أم ينقصون؟ فأجاب بقوله: بل يزدون.

والسؤال السادس: فهل يتردد أحد منهم مسخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فأجاب بقوله: لا، والمراد بالسخط: كراهة الشيء وعدم الرضا به.

والسؤال السابع: فهل كنتم تتهمونهم بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فأجاب بقوله: لا، والمراد بالكذب: هو الكذب على الناس وإنما عدل عن السؤال عن نفس الكذب إلى السؤال عن التهمة، تقريراً لهم على صدقه، كما قال الحافظ ابن حجر؛ لأن التهمة إذا انتفت انتفى سببها ولهذا عقبه بالسؤال عن الغدر، أهد.

والسؤال الثامن: فهل يغدر؟ فأجاب بقوله: لا.. والغدر: هو ترك الوفاء بالعهد، ثم قال: ونحن في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم يمكنى كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، والمراد بالمدة التي أشار إليها أبو سفيان هي مدة الهدنة والصلح الذي حصل في الحديبية، ومعنى قوله: ولم يمكنى كلمة إلخ.. أى: أنه لم يستطع أن ينتقص من قدر النبي ﷺ والتقيص نسي، فقد كان رسول الله ﷺ معروفاً بأنه لا يغدر، ولكن لماذا كان الأمر مغيباً، لأنه مستقبل أمن أبو سفيان أن ينسب إليه الكذب، وفي رواية أبو الأسود عن عروة مرسلًا خرج أبو سفيان إلى الشام فذكر الحديث إلى أن قال: فقال أبو سفيان: هو ساحر كذاب، فقال هرقل: إني لا أريد شتمه ولكن كيف نسبه؟ إلى أن قال: فهل يغدر إذا عاهد قال: لا، إلا أن يغدر في هذنته هذه، فقال: وما يخاف من هذه، فقال: إن قومي أمدوا حلفاءهم على حلفائه، قال: إن كنت بدأت فأنتم أغدر.

والسؤال التاسع: فهل قاتلتموه؟ فأجاب بقوله: نعم.

والسؤال العاشر: ماذا يأمركم؟ فأجاب بقوله: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

والكلمة الطيبة صدقة

تفضلية الشيخ / علي الباقي شحاتة
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

وحين تكون الكلمة أمراً بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس فإن أجر العظيم عليها كبير وعظيم. قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاءَ مَرْضَاتٍ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

(النساء: ١١٤)

فالكلمات في الآية الكريمة اشتملت على الأمر بالصدقة أو المعروف أو الإصلاح بين الناس جاء في مختصر تفسير ابن كثير قوله يقول تعالى:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾

ويعنى كلام الناس إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس أي: إلا تجوى من قال ذلك.

من الحديث المتفق عليه عن أم كلثوم بنت عقبة - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فيتمى خيراً أو يقول خيراً»

وروى البخاري في الأدب المفرد عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «ألا

أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا: بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين، قال: وفساد ذات البين هي الحالقة» وقال تعالى:

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاءَ مَرْضَاتٍ اللَّهِ﴾
أي مخلصاً محسباً ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
أي ثواباً جزيلاً واسعاً.

وإذا كانت الكلمة الطيبة دعوة إلى الخير - أي: الإسلام - أو أمراً بمعروف أو نهياً

عن منكر فإن ثمرتها الفوز بسعادة الدنيا والآخرة قال تعالى: -

﴿وَلَنْ نَكْذِبَنَّكَ أِنَّهُ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَالْبِرْرِ﴾
﴿بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ همُ الْمُتَّقُونَ﴾

(آل عمران: ١٠٤)

أي: الفائزون بالنجاة من العار والنار وبدخول الجنة مع الأبرار، وإذا كانت الكلمة الطيبة وعظاً أو إرشاداً أو هداية إلى الله تعالى فإن لفاتها مثل أجور من تبعه - ممن استمع إليها أو بلغه - ما قال عن طريق كتاب ونحوه فاستجاب. وقد روى مسلم وأبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً».

وإذا كانت الكلمة الطيبة دعوة بظهر الغيب كان للداعي مثل ما دعا به لأخيه المسلم.

فقد روى مسلم عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك الموكل ولك بمثل ذلك وإذا كانت الكلمة الطيبة دلالة على خير من صدقة أو معروف أو إحسان فإن لصاحبها من الأجر مثل أجر فاعل الخير هذا.

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» رواه مسلم.

وإذا كانت الكلمة الطيبة تعلم الناس الخير بما ينفعهم في دينهم ودنياهم فإن كثيراً من مخلوقات الله تصلى على صاحبها وتدعو له بالخير.

فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما

عابد والآخرة عالم فقال: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم».

ثم قال رسول الله ﷺ: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير، وإذا كانت الكلمة الطيبة قرآناً يتلى أو يعلم فقيه من الخير ما لا يحصى. فعن ابن مسعود رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول «ألم» حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» رواه الترمذي في سننه.

وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» رواه البخاري وأبو داود وغيرهما.

وإذا كانت الكلمة الطيبة حديثاً لرسول الله ﷺ يسمع أو يتلى ليعلم للناس. ففي تلك الكلمة الطيبة النصرة والحسن والثواب من الله تعالى.

فقد روى الإمام أحمد وغيره عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع».

وإذا كانت الكلمة الطيبة صلاة وسلاماً على رسول الله ﷺ فإن الله تعالى يصلى بها على العبد عشراً، فقد روى مسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «من صلى على صلاة صلى الله بها عليه عشراً».

وإذا كانت الكلمة الطيبة نصيحة فإن أجرها يعظم بعظم آثارها الحميدة من إرادة الخير

خطبة الجمعة

عائذ من الحرام

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرياهي

إعداد الشيخ: علي حامد عبد الرحيم



الحمد لله عز وجل، شرع فأنم وأحكم، وهدي فأكرو وأنع: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

«النساء: ١١٣»

أشهد أن لا إله إلا الله، الخير في دعوته، والفلاح في اتباع ملته:

﴿إِنَّ هَذَا الْقَوْمَ أَنْ يَهْدِيَ إِلَيْهِمْ أَقْوَمُ وَيُشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْبَصَائِرِ أَنْ هَذَا أَجْرُكُمْ كَبِيرًا﴾

«الأنبياء: ٩»

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، كان خير الداعين وأمام العابدين،

فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه

«الأنبياء: ١٩»

﴿قَالَ وَلَيْدُكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾

أجرها يعلو ويتعاضم، لأنها أحسن القول: كما قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

(فصلت: ٣٣)

ويروى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم».

وإذا كانت الكلمة الطيبة ذكرا لله تعالى، فهي نهر عظيم جار بالبركات والخيرات والחסنات والمكرمات، وكم في القرآن الكريم والسنة المطهرة من آيات وأحاديث ترفع فضل الذكر والذاكرين إلى أعلى عليين. فمما جاء في كتاب الله الكريم عن الذكر وفضله وجزائه قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا لَا يُذَكِّرُهُمْ اللَّهُ أَنْفُسَهُمْ وَالْخَالِدِينَ فِيهَا﴾

«الأحزاب: ٣٥»

ومما جاء في السنة النبوية قوله ﷺ يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، أنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسي ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعسا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» رواه البخاري ومسلم.

فما أكرم الكلمة الطيبة، وما أعلاها شأنًا، وأرفعها مقاما عند الله تعالى!

(تابع)

للمنصوح له، ومعلوم أن النصيحة عماد الدين وقوامه، فقد جاء النصيح في القرآن الكريم:

﴿أَتْلُوكُم بِرِسَالَتِي رُبِّي أَسْمِعْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

(الأعراف: ٦٢)

وفي القرآن الكريم - أيضا - علي لسان هود عليه السلام يقول لقومه:

﴿أَتْلُوكُم بِرِسَالَتِي رُبِّي وَأَنَا لَكُمْ بِرَحْمَةٍ أَمِينٌ﴾

(الأعراف: ٦٨)

وعلي لسان صالح - عليه السلام -:

﴿يَقُولُ لَقَدْ أَلْفَضْتُكُمْ رَسُولًا﴾

﴿رَبِّي وَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾

(الأعراف: ٧٩)

وشعيب عليه السلام يقول لقومه:

﴿يَقُولُ لَقَدْ أَلْفَضْتُكُمْ رَسُولًا رُبِّي وَصَحْتُ لَكُمْ﴾

﴿لَكِنَّنِي أَسْمَى عَلَى قَوْمِي كَثِيرِينَ﴾

(الأعراف: ٩٣)

ويقول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم وغيره «الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

وإذا كانت الكلمة الطيبة دعوة إلى الله تعالى وطريقه المستقيم وشرعه العظيم وسنة نبيه العظيم على يد علماء عاملين وفقهاء محدثين ودعاة موفقين، دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة خاصة بين غير المسلمين، فإن ثواب

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام!..
إن من حسنات دين الله تعالى أنه إذا أمر بشيء
طوى الأمر على حكمة وثمرة، وإذا نهى عن شيء
جعل للنهي سببا وعلة:

يَا أَيُّهَا الْمَعْرِوفُ وَيَسْمَعُهُ عَنِ الشَّكْرِ
وَيُحِلُّهُمُ الصَّلَاةَ وَيُحَرِّمُهُمُ الْخَبَائِثَ

(الأعراف: ١٥٧)

وهو لا يقول للإنسان: «اعتقد وأمن ثم فكر
وابحث، بل يقول له: ابحث وفكر، ثم آمن
واعتقد، وحتى الأمور التعبدية التي لا تبدو لنا
حكمتها تنطوي حقيقتها على حكمة وهدف، وإذا
كنا لا نعرف هذه الحكمة أو هذا الهدف فلعل
السبب راجع إلى قصور في الفهم وضيق في الإدراك،
وليس عدم العلم بوجود الشيء دليلاً على أنه غير
موجود، فما أكثر الأشياء التي لا نعلمها ومع ذلك
هي موجودة وقائمة

﴿وَالَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

(البقرة: ٢١٦)

هذا هو الحج مثلا، كلما أنعم الإنسان فيه النظر
تكاثرت أمامه الحكم والعبر، ففي أوائل شهر ذي
القعدة من كل عام يؤذن مؤذن الإيمان في
المسلمين بالدعوة إلى حج بيت الله الحرام،
فيسمع السامع ويستجيب القادر.

ويسعى الحجيج إلى ربهم مواكب في إثر

مواكب، وجموعاً وراء جموع، منهم فريق يتجه إلى المدينة فيبدأ بزيارة الرسول قبل الشروع في أداء القرىضة والقيام بمناسك الحج، ومنهم من يتجه إلى مكة إذا جاء متأخراً فيقوم بالقرىضة، ثم يذهب عقب الموسم إلى مدينة الرسول - ﷺ - ويتوالى تجمع الجموع في رحاب مكة ورحاب المدينة قبل موسم الحج، ولكن هذه الجموع، مع كثرتها وضخامتها تعد محدودة قليلة بالنسبة إلى الجمع الأعظم الذي يتكثل في الحج الأكبر، فإذا أشرق يوم عرفة رأيت الجبل الواسع الفسيح - جبل عرفات - كأنه يتطامن أو يخشع من ضخامة هذه الجموع الهائلة التي تلاقى على موعد محدد لتمثل بضخامتها قوة الإسلام وعزة المسلمين، لتمثل وبحسن استجابتها صدق الطاعة لله رب العالمين، لتمثل وبملايس إحرامها، إخلاص الخضوع والتواضع لله في المظهر والمخبر، وفي الحس والنفس، ولتمثل بتجنبها ما لا يليق من القول والعمل الاعتصام بحيل الله القوى المتين، والتأبى على وسوسة الشيطان الخبيث اللعين:

﴿الْحُجَّاجُ أَشْهَرُ مَدْلُومَاتِهِ مَنْ قُضِيَ فِيهِ مِنَ الْحُجَّجِ فَلَا رَفْتَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جَدَالَ
فِي الْحُجَّجِ وَمَا تَعَدَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَزِدُّوا فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ
الَّتَنَوَعُوا وَتَنَوَّنِي أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ﴾

البقرة: ١٩٧.

هناك تجتمع هذه الآلاف المولفة من الحجيج
الذين كتب لهم ربهم النعمة، وحققهم خالقهم
بالرحمة، يتلاقون فوق الجبل الكريم المبارك
عرفات، ويقفون في ساحته طاعة لأمر ربهم،
واستجابة لنداء رسولهم، بعد أن زاروا مكة منزل
الوحي، وطافوا بالكعبة بيت الله الحرام الذي
يقول فيه القرآن:

﴿إِنَّا أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا
وَهُدًى وَبُخْرًا ۚ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ لِّقَوْمٍ أَعْبَارُ ۚ
وَمِنْ ذِكْرِهِمْ أَنَّا نُنزِّلُ الْغَيْثَ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَكُونُونَ
رَاغِبِينَ ۚ﴾

آل عمران: ۹۶، ۹۷

وبعد أن سعوا بين الصفا والمروة:

﴿إِنْ أَصْغَاوُا لِلزُّرُوعِ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَنَحْنُ آتِيَاتُ أُولَئِكَ بِزُرْعَتِهِمْ حَبْلًا مَمْدُودًا ۖ أَعْمَرُوا فَمَا جُنَّاحٌ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمْ أَوْ مِنْ تَقْلُوعِ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾

(البقرة: ١٥٨)

و هناك يقرعون أبواب السماء بالدعاء، ويجأرون إلى ربهم بالتكبير والتهليل والرجاء، يسألونه أن يغفر ذنوبهم، ويتقبل متابهم، ويتم حجهم، ويوفقهم لجمع كلمتهم، ودراسة مشكلاتهم، وإخلاص نياتهم، واستكمال حرياتهم، وتوطيد عزتهم، وتحقيق العدالة والتكافل بين قلوبهم وضعيفهم،

(۹) صحیح مسلم

وغيرهم وفقيرهم، حتى يكونوا كما قال رسولهم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١) ويتذكرون وهم فوق الجبل، وفي أثناء هذه اللحظة الروحية القوية أن رسولهم محمدا صلوات الله وسلامه عليه وقف موقفهم هذا منذ مئات ومئات من السنين، وخطب في أتباعه خطبة الوداع التي وعّاها الزمن ورددتها الأيام، وأبطل فيها الوثنية والشرك، والربا والظلم، وأنصف فيها المرأة والضعيف، ورد فيها الحق إلى نصابه، كما يتذكرون في هذا اليوم أيضا أنه قد نزل على رسولهم قول ربهم جل جلاله:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَأَرْضِيَكُمْ بِالْإِسْلَامِ﴾ دِينًا قَرِيبًا مِثْلَ مَا كَانَ فِي الْفَتْحِ وَغَيْرِهَا بِحُجَّتِي
لِإِسْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۝

(المائدة: ٣)

وفي هذا اليوم الذي يعد عند الله تبارك وتعالى
أفضل الأيام، وفي هذه اللحظات التاريخية
الخالدة في حياة من حج وسعى من بني الإنسان،
يلزم المؤمن أن يضع فاصلاً قرياً متيناً بين حاضره
وماضيه، فهو قد أحرم ولي وطاف وسعى، بعد أن
تاب إلى الله، وتآلف مع عباد الله، ثم ازداد إشراقاً
وضياءً بتطهير الله، فلا بد له إذن من أن يعد نفسه
في هذا اليوم المعجيد كأنه يولد من جديد، وأن
سجله مع الله ومع الناس يجب أن يعاد فتحه منذ

البداية بلا أوزار ولا أتعال، فهو إذن يأخذ على نفسه العهد الوثيق والوعد الأكيد بأن يقلع عما كان يأتيه حيناً أو أحياناً من انحراف أو اعتساف، وأن يحرص على الطاعات والباقيات الصالحات، يرجو رحمة ربه ويخشى عذابه، واصل في الخير بعد أن نزل ضيفاً على مولاه، فأكرم وفادته ومسعاه، وأكمل له أمته وهدهاء، مما يستوجب إخلاص العمل لوجهه ورضاه:

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

(فريش: ٣-٤)

ثم يعود إلى وطنه مع غيره من الحجاج بعد أن طهرهم ربهم جل جلاله ذلك التطهير المنقى الممحض الذي يجعلهم - إذا صدقوا وأخلصوا - وكأنهم مولودون لساعتهم فليس في حياتهم إلا الطهارة والصفاء.

ولكن السؤال الذي يجب أن نسأله هنا ويلزم أن نجيب عنه بوضوح هو: أيقظ المسلمون فعلاً هذه الأغراض والأهداف المأمولة في موسم الحج وبعد موسم الحج؟

الجواب: لا. وإذا كنا نقول إن المسلمين لا يحققون الأهداف المأمولة من موسم الحج فإنه يلزم منا الاستثناء هنا.. وإن كان يلزم الاستثناء هنا، إذ توجد قلة مخلصه تحاول جهدها أن تبلغ بأداء الحج غايته وهدفه، ولكن هذه القلة تضيع بين طوفان آخر هو

طوفان الغفلة عن الحكم الجليلة العظيمة لموسم الحج، وطوفان الكسل والتخلف عن تحقيق هذه الحكم بالقول والعمل، وبمختلف الوسائل فهذا فريق يحج لأنه يريد أن يزيل عن كاهله ما أثقله به من ذنوب وسيئات، ولأمانع عند هذا البعض من أن يحج اليوم ليزيل ذنوبه، ثم يعاود الذنوب والمنكرات غداً وأمامه - كما يتوهم خطأ - فرص كثيرة لكي يعود فيحج فيزيل الآثام مرات ومرات، وكأنهم:

﴿يَخِرُّونَ لِلَّهِ سُجَّدًا فَخَلَعُوهُمْ﴾ (النساء: ١٤٢)

﴿وَيَذْكُرُونَ وَيَسْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَذْكُرِينَ﴾

(الأنفال: ٣٠)

وفريق يحج للسمعة والشهرة والتمتع بلقب «الحاج»، وله في هذا اللقب مآرب أخرى يطول حديثها كما يطول ليل الشتاء الثقيل، وفريق يذهب إلى الحج وهو جاهل به وبأحكامه ونظامه، غافل كل الغفلة عن حكمه وأهدافه وثمراته، فهو يقاد بلا وعى أو بصيرة، وهو يقلد بغير علم أو فهم، وهو يردد ما يقال له من عبارات أو دعوات، فيحكى كما تحكى البيغاء كلمات تسمعها دون أن تفقه لها معنى أو مغزى، ولو أنصف المسلمون دينهم وأنصفوا أنفسهم أيضاً، لكان الحج في حياتهم فاصلاً رائعاً يفصل بين ماض لا يرضى ولا يشرف، وبين مستقبل يجب أن يكون عامراً بجلائل الأعمال وصوالح الأفعال، ولو أنصف



لأولاهم وآخرهم خطة تصلهم بأسباب ربهم، وتمكن لهم في أرضهم، وتبعدهم عن أسباب فرقتهم وضعفهم وذللتهم وهوأنهم:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْبَانٌ فَهُمْ يَنْفَعُونَ﴾

(ق: ٣٧)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام!.. إذا كان النبي الصادق الأمين قد قال: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(١)، فليس معنى ذلك أن الحاج قد تخفف من ذنوبه وتخلص من آثامه فحسب، بل معنى ذلك أيضاً أن الله قد هيا له فرصة العمر الذهبية الفريدة، فإذا كان قد قصر أو تخلف في الماضي، فهاهو ذا ربه تبارك وتعالى، كأنه يخلقه من جديد ويسويه بقدرته الربانية مرة أخرى في صفاء ونقاء، فواجبه المحترم هو أن يحسن استغلال النعمة، وأن يواصل المسير بعد ذلك على الصراط المستقيم،

يؤدي واجبه نحو ربه ونحو دينه ونحو الناس جميعاً في استقامة وإخلاص، وسيحان من لو شاء لهدانا جميعاً سواء السبيل، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون.

المسلمون دينهم وحجهم وأنفسهم لكان موتمر الحج في دنياهم مغنياً لهم عن كثير من المؤتمرات والاجتماعات ولحلوا مشكلاتهم في حمى ربهم حل العقلاء البصراء المخلصين «ولاختلطوا»

(٢) صحيح البخاري

الحج

أشهر معلومات

لفضيلة الشيخ عمر الديب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الحج قبل الإسلام

الحج عبادة عرفت قبل الإسلام، وكان المقصود بها زيارة أمكنة مخصوصة ابتغاء التقرب للإله المعبود اتخذتها الشعوب والقبائل رمزا لإجلال معبوداتهم وتقديسها، ولقد قام بهذه العبادة المصريون القدماء واليونانيون واليابانيون وغيرهم من الأمم القديمة إلى الهياكل المقدسة عندهم، وكانت كل أمة من هؤلاء تتخذ في حجها ما يناسبها ويناسب تخيلها لعظمة معبودها، واستمر الحال على هذا حتى هيا الله - تعالى - الأمر لسيدنا إبراهيم - عليه السلام - وأمره ببناء البيت الحرام بمكة كي يطوف الناس به، ويذكروا اسم الله فيه:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

(البقرة ١٢٧)

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝ وَأَذِّنْ لِلنَّاسِ أَنَّ هَلِ الْوَلَدِ الْجَاهِلُ عَلَى الْوَلَدِ الْحَقِ ۝ وَاسْمِعْ لِي وَاسْمِعْ لِلْعَالَمِينَ ۝﴾

(الحج ٢٦، ٢٧)

وقد لم يأت إبراهيم أمر ربه فبنى بيته وطهره ودعا الناس إلى حجه وأسكن عنده من ذريته، ومنذ ذلك الوقت اتجه العرب إلى البيت الذي بناه جددهم إبراهيم يحجون إليه ويعبدون الله فيه بما رسم الله وظلوا كذلك يحجون بيت الله ويعظمونه حتى بعث الله خاتم الأنبياء والمرسلين، لكن العرب مع تظاول الزمن غير وافي

الحج وبدلوا كثيرا مما كان عليه في زمن إبراهيم، فأشركوا بالله الأصنام والأوثان ورفعوها على ظهر البيت، وجعلوا منها سباجا حول الكعبة، واتجهوا إليها واستعانوا بها واتخذوا منها شقعا عند الله وذبحوا لها وذكروا اسمها على ما يذبحون وكذلك أحدثوا في كيفية الحج تقاليد معينة تبعها لأهلهم فطالوا بالبيت عرايا وحرما على أنفسهم الدسم واكتفوا بما يقيم أودهم من ألوان الطعام، وترفع فريق منهم عن الوقوف مع الناس بعرفة اعتقادا منهم أنهم أفضل من الناس جميعا؛ لأن بيدهم ولاية البيت، فلا يصح وهم كذلك أن ينزلوا بمستوى العامة، ويأخذوا أنفسهم بقوانين الناس ويقفوا معهم في صعيد واحد - ولو كان في موقف العبادة لله الواحد القهار - هكذا غيروا وبدلوا في نسك الحج.

سيدنا محمد ﷺ

يجدد دعوة أبيه إبراهيم

وجاء الإسلام بعبئة سيدنا محمد ﷺ يجدد دين إبراهيم ويحيى دعوته دعوة، الحق والعبادة الصحيحة جاء بالحقيقة السمحاء.

﴿قُلْ إِنِّي هَدَىٰ رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ رَبَّنَا قَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ حَنَفًا وَمَا كَانُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾

(الانعام ١٦١)

﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ أَلَيْكَ الْإِسْلَامُ هُوَ مَسْكُوكٌ ۝ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا يَكُونُ الرُّسُولُ شَاهِدًا عَلَيْكَ ۝ وَكَوْنُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ أَن تَقْبُولُوا الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَتَقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَتَعْلَمُوا بِآيَاتِهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَبِعِزَّتِ اللَّوْنِ وَبِعِزَّتِ الْقَبْرِ ۝﴾

(الحج ٧٨)

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ مِنْ قِبَلِ رَبِّهِ الْأَمْرُ مِنْهُ نَفْسُ وَنَحْنُ آمَنُ بِمَا فِي الْكِتَابِ ۝﴾

(البقرة ١٣٠)

فقد جاء الإسلام هكذا مجددا لدين إبراهيم - عليه السلام - وهو الدين عند الله فوجد القوم يحجون إلى الكعبة، ولكنهم بدلوا وغيروا؛ فتركهم أول الأمر يحجون كما اعتادوا وقصر الرسول ﷺ جهوده على الدعوة إلى إقرار التوحيد في القلوب وإفراد الله - تعالى - بالعبادة حتى أخرج هو وصحبه من مكة موقع بيت الله الحرام وحيل بينهم وبين القيام بفريضة الحج وظلوا يكافحون في سبيل الله بعد تركهم هذا المكان حتى عرف منهم الشوق العظيم لزيارة بيت الله الذي حرموا النظر إليه والطواف به فجاءتهم البشرية بأنهم سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمين محققين رؤوسهم ومقصرين.

وفي حرارة هذا الشوق، وعلى ضوء هذه النضحية أعاد الله عليهم ذكر الحج وأنزل آيات كثيرة شرح بها أحكامه وبين أوقاته وآدابه وأصلح ما أفسد القوم فيه وورده إلى عهده الأول عهد إبراهيم وإسماعيل، ومن ذلك الحين قام المسلمون بتنفيذ فريضة الحج الذي فرضه الله على الناس من عهد إبراهيم - عليه السلام - وقد تم على أيديهم تطهير البيت من الأصنام التي كان يعبدونها قومهم

وأمر أرباب العظمة الزائفة أن يقفوا مع الناس في عرفات وأن يقبضوا من حيث أفاض الناس تقريراً لمبدأ المساواة الذي جعله الله بين عباده.

زمن الحج والحكمة من اختياره

لقد عين الإسلام لأداء فريضة الحج أشهراً معلومة من السنة العربية وهي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة. فشوال هو الشهر الذي يلي رمضان قد كان له في الوضع الإسلامي اعتباران قويان جديران بالتقدير حتى يستديم التقويم الخلقى الذي حصل عليه المسلم بالصيام والقيام في شهر رمضان.

الاعتبار الأول أن شوال أول شهر من أشهر الحج. والاعتبار الثاني أنه يشير بالأشهر الحرم «ذو القعدة وذو الحجة والمحرم».

ولقد اعتنى القرآن الكريم بأشهر الحج عنايته بالحج كما اعتنى بالأشهر الحرم عنايته بتطهير النفس من المظالم ودفع العدوان والبغى، كما لفت أنظار المؤمنين إلى ما لهذا الشهر من بواعث البر والتقوى، بواعث الترفع بالنفس عن مواطن الإثم والطغيان وانتقاص الحقوق والواجبات، ففي أشهر الحج يقول تعالى:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ رَزَقَهُنَّ الْخَيْرَ فَلَا رُفْقَ وَلَا فَسُوقَ ۚ وَالْحَجُّ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْحَجِّ وَلَا تَقَعُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَمَنْ تَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ فَتَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ لَا يَخْلُوقُ ۚ وَمَنْ تَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ فَسَيَكُنْ فِي يَوْمٍ أُخِرٍ مِمَّنْ يَسْأَلُ الْآلِيبَ ۚ﴾

(البقرة ١٩٧)

الحج رحلة أعقبت رحلة

إذا كان المؤمنون بانتهاء رمضان عادوا إلى دنياهم من رحلة روحية تعلقت فيها قلوبهم بمولاهم وعظمت بها مراقبته في نفوسهم حتى امتعوا في أيامه - لله وفي سبيل الله - عما أبيح لهم من مقومات الحياة، فإنهم بدخول شهر شوال يملأ قلوبهم الشعور باستئناف رحلة أخرى يشارك الروح فيها البدن ويهرع إليها القادر عليها تاركاً وراءه أهله وماله ووطنه متحملاً غناء السفر ووعناء الطريق لا شيء من حظوظ النفس إلا أن يقف لله عبداً خاشعاً ملياً أمام بيته معترفاً بالتقصير ملتصاً منه المعونة والرضوان حتى إذا ما فرغ من ذلك واطمأن إلى حسن وقفته عاد إلى وطنه آمناً مطمئناً قريباً في الأخذ بنفسه وبأمنته إلى سبيل الهدى والرشاد، ولقد أرشد القرآن الكريم إلى ما يضمن للمؤمنين هذا الهدف السامي من تلك الرحلة:

﴿ قَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ ۚ وَالْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ رَزَقَهُنَّ الْخَيْرَ فَلَا رُفْقَ وَلَا فَسُوقَ ۚ وَالْحَجُّ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْحَجِّ وَلَا تَقَعُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَمَنْ تَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ فَسَيَكُنْ فِي يَوْمٍ أُخِرٍ مِمَّنْ يَسْأَلُ الْآلِيبَ ۚ﴾

(البقرة ١٩٧)

وهذا جانب التطهير من أدران النفس إلى جانب التحلي بالفضائل المزكية للنفوس، المؤلفة للقلوب، المقربة إلى الله، فإن ذلك نراه في قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ تَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ فَسَيَكُنْ فِي يَوْمٍ أُخِرٍ مِمَّنْ يَسْأَلُ الْآلِيبَ ۚ﴾

(البقرة ١٩٧)

الأشهر الحرم

فإذا كان شوال أول شهور الحج يشير في نفوس المسلمين ذكريات الحج ويتمثلون به وبأخويه ذي القعدة وذو الحجة الطواف ببیت الله الحرام والوقوف بمكان الضراعة الخالصة بعرفات والمشعر الحرام فتهفوا القلوب إلى تلك المشاهد منابع الوحي والنور وتتجرد من دنياها وترحل إلى مولاهم متقلبة في هذه الحركة المكانية، فإنه باعتباره الثاني وهو أنه يشير بالأشهر الحرم يشير في نفوسهم مرة أخرى حرمة مستقبلونها بشهر ذي القعدة وهي حرمة زمنية قصد بها من قديم تأمين الطريق لأداء الحج وزيارة الله في بيته الحرام، وهي في نفس الوقت تغرس في القلوب عوامل الأمن والطمأنينة تلکم الحرمة الزمنية هي حرمة الأشهر الحرم ذات القدسية التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ ثَلَاثَ شُهُورٍ مَّا فِي كِتَابِ اللَّهِ يُرْفَعُ فِيهَا الْقُرْآنُ وَخُلِيَ النَّمْلُ وَالْأَرْضُ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ لِلَّذِينَ لَقِيَہُ فَلَا ظِلٌّ فِيہِمْ ۚ﴾

(التوبة ٣٦)

وقد تعرض القرآن الكريم كثيراً إلى قدسية الأشهر الحرم وبين أن المحافظة عليها تقتضي البعد عن القتال وسفك الدماء وسائر المظالم والخianات، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا هَٰذِهِ الشُّهُورَ وَالْحُرُمَ وَلَا الْحَرَمَ وَلَا الْقُلُوبَ وَلَا الْإِيمَانَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَتَفَقَّحُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَيْءٌ أَنْ صَدُّوا عَنْ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْبُدُوا عَلَى الْإِبْرَةِ وَالشَّقَوَى وَلَا تَعْبُدُوا عَلَى الْأَيْدِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ﴾

(المائدة: الآية ٢)

ولقد كان لله تعالى في تربيته لعباده وتدريبهم على الخير حرمتان:

١- الحرمة المكانية دائرتها البيت الحرام والبلد الحرام، وقد اتسع نطاق هذه الحرمة حتى شملت الحيوانات:

﴿ لَا تَقْتُلُوا الْحَيَاةَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ۚ﴾

(المائدة: ٩٥)

٢- الحرمة الزمنية: وميقاتها الأشهر الحرم تجتمع حرمة ثلاثة منها، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم مع الحرمة المكانية وتنفرد حرمة رابعها وهو شهر رجب كذكر في أثناء السنة بحرمة الله التي لا ينبغي أن يغفل عنها المؤمنون.

ومنهج التربية بتحريم الزمان والمكان شرع إلهي قديم أقره الإسلام وربط به بين المؤمنين

الرأي العام الرشيد في الإسلام

استشار / حسن حسن منصور
قائم رئيس محكمة النقض

يؤذني، فيلعبه، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فقال: ماذا لقيت من فلان، أخرج متاعه، فيجعل الناس يلعنوني ويسبونني، فقال صلى الله عليه وسلم: إن الله لعنك قبل أن يلعنك الناس، وكان من ثمرة اتجاه هذا الرأي العام، أن الجار المؤذى لجاره عدل عن سلوك الإيذاء، وأخذ يحسن إلى جيرانه.

ثانياً: معيار الرأي العام الرشيد:

والرأي العام الذي له هذه المنزلة، هو الرأي الرشيد، النابع من أصحابه العدول، لأن هذا الرأي في حقيقته، شهادة الله ورسوله وللمجتمع، فيجب أن تكون له ذات شروط الشهادة في الإسلام، ومن أهمها عدالة الشاهد، ومن أبرز عناصرها انتفاء التهمة عنه، فلا يغى من وراء شهادته جر مغنم، أو إلحاق الضرر بالغير، فقد روى النسائي والإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من أثبتتم عليه خيراً وجبت «أى ثبتت» له الجنة، ومن أثبتتم عليه شراً «بالسب»، وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، قالها ثلاثاً للتأكيد، وقد قال العلماء: إن في إضافة الشهداء إلى الله غاية التشريف، وإشعار بأنهم عنده بمنزلة عليية، لأنه عدلهم حيث قبل شهادتهم على الناس، كما في قول الحق تعالى:

إذا كان الإنسان - كما يقرر علماء الاجتماع - كائناً اجتماعياً، فإن من ثمار ذلك أن رأيه محل اعتبار في الأمور المتعلقة به وبغيره من بني جنسه، ومن مجموع آراء كل فرد من أفراد، يتكون الرأي العام في المجتمع، ويعتبر هذا الرأي هو معيار قبول أو رفض أى سلوك يقع من أفراد الناس، بما تكون له قوته في توجيه هذا السلوك، على النحو الذي تتطور معه صورة حياتهم العامة والخاصة على السواء، وقد دعا الإسلام إلى تفعيل الرأي العام الرشيد، ونظراً لأهمية دور هذا الرأي في المجتمع، فإنه للوقوف على هذا الدور في ضوء ما يقرره الإسلام من مبادئ في هذا الشأن، يتعين استعراض النقاط الآتية:

أولاً: أهمية الرأي العام في الإسلام:

لقد حرص الإسلام على احترام الرأي العام، والتحويل على ما يتجه إليه من تقييم سلوك أبناء المجتمع، بل رتب نتائج خطيرة على هذا التقييم، من أهمها: الوقوف على درجة قبول العمل أو رفضه، ومعرفة رضا الله تعالى عن صاحبه أو غضبه عليه، ومن الشواهد الدالة على ذلك، ما رواه الطبراني بسنده: من أن رجلاً شكى إلى النبي ﷺ من جاره، فقال له: أخرج متاعك في الطريق، ففعل، فصار كل من يمر عليه يقول: مالك؟ فيقول: جارى

جميع الناس، ولا يبلغ الأمن فيه إلا من ارتحل إليه وحجه، ولم يكن من الممكن أن يرتحل إليه جميع سكان المعمورة في وقت واحد، جعل الأشهر الحرم ملجأً أمن عاماً تنشر على الناس وهم في أوطانهم وبلادهم ألبوبة الأمن والاطمئنان ويدخلون بها في حصى الرحمن الرحيم، فقرر كذلك في القلوب حرمتها فيها تسكن أسلحة الدماء والقتل في أغمادها وتوجه القلوب إلى ربها وفيها يتضاعف الجزاء لمن أحسن أو أساء وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغُرُوبِ حَرَمًا
فِيهِ الْكَأْسُ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ وَالْأَمَلُ ذَلِكَ لِيُعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

(المائدة: الآية ٩٧)

فإذا آمن الإنسان واعتقد في هذه الهدنة الإلهية وانقلعت نفسه بشرائع ربه وعالج نفسه في ظلها وهي أربعة أشهر من اثني عشر شهراً صار ولاشك إلى فسحة وراحة، واتسع أمامه مجال العمل والسياحة، واستطاع الاتصال بإخوانه بنى الإنسان، وكان معهم في أمن واطمئنان متعاونين على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.. ■■

الأولين والآخرين، وهو في واقعه لأهل العصر الواحد فرصة تهيب لهم - لو آمنوا به ونزلوا على مقتضاه واتبعوا شرع الله فيه - حسن التفاهم والعمل على قطع الأسباب التي تؤدي إلى الخلاف والتخاصم، بل تؤدي إلى إقرار الأمن والسلام هو بمثابة هداية إلهية يتدبر الناس فيها شئونهم فيعرفون مهمتهم في الحياة من حسن التعمير وإسعاد البشرية على أسس من المحبة والتعاون، وبذلك يكفون عن العدوان وعن الجشع المثير للحروب القاضى على الهناء والاطمئنان، المفسد لخلافة الإنسان في الأرض.

الحكمة من تحريم الكعبة والأشهر الحرم

الله - سبحانه وتعالى - خلق الناس على سليقة واحدة وركب فيهم غرائز قوية مثل الغضب والشهوة، تلك الغرائز التي تدفعهم إلى التحاسد والتقاطع، بل إلى القتل والتخريب وإلى السلب والاستعلاء، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون لهم رادع ينبع احترامه من ضمائرهم، ومن هنا عظم البيت الحرام في قلوبهم وملأ بهيته نفوسهم وضاعف في حرمة جزاء المنحرفين، ولما كان البيت الحرام في مكان مخصوص، لا يدركه كل مظلوم ولا

وَكَلَّمَ جِبْرَائِيلُ امَّةً رَحْمَةً لِّكَوْنِ الشَّاهِدَةِ عَلَى النَّاسِ
(البقرة : ١٤٣)

والوسط هو العدل، فهم عدول بتعديل الله لهم، فإذا شهدوا على إنسان بصلاح أو فساد، قبل الله شهادتهم وتجاوز عن من يستحق العذاب فضلا وكرما. والرأى العام الرشيد هو القائم على التفكير والتعقل، وهو ما أشار إليه الحق تعالى في قوله:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بَرِيَّةً أَن تَقُولُوا لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ وَيَقُولُوا لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾
 مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

وقد قال المفسرون: إن الله طلب من أهل مكة الاجتهاد بإخلاص في أمر هذا الرسول ﷺ ويكون ذلك باجتماعهم متفرقين اثنين، أو واحدا، لأن الازدحام غالبا ما يؤدي إلى تهوئش الخاطر، والمنع من الفكر، وتخليط الكلام، وقلة الإنصاف. والرأي الباعث الرشيد هو الذي لا ينساق وراء كل ناعق، بل يتثبت من صحة كل ما يسمعه، حتى تسلم له العواقب، عملا بالتوجيه القرآني العظيم:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
فَقَبِّضُوا أَن تُبْلِغُوا قَوْلًا بِجَهْلَةٍ فَفُضِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ سُدَّ مَرِئًا
(الحجرات: ٦)

وهو الرأي الذي لا يردد كل ما يقال دون وعي أو تدبر، بل يدرك حقيقة هذا القول، فإن عجز استعان بمن له قدرة على حسن الإدراك، حتى يصل إلى الوعي التام به، قبل الإقدام على التحدث

به، وإذاعته بين الناس، وهذا هو منهج القرآن الذي يقول فيه:

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْآيَاتِ وَالْحُجُوبِ إِذَا غُلِبُوا بِهِمْ وَتَوَدُّوا إِلَى الْأَرْضِ
وَالْأُولَى الْأَمْرُ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَظِلُّونَهُمْ ﴿٨٣﴾

(النساء: ٨٣)

ولاسيما أن الرسول الكريم ﷺ قال فيما رواه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما يسمع»، فليس كل ما يسمعه الإنسان من غير بينة صدق، بل بعضه كذب فعليه أن يبحث ولا يتحدث إلا بما عاين صدقه فإن ظن كذبه حرم وإن شك، وقد أسنده لقائله وبين حاله، يرى من عهده وإلا امتنع أيضاً. والرأي العام بهذه الأوصاف يؤتى ثماره في محاربة الشائعات المغرضة، التي تنال سلباً من الفرد واجتمع، وهو ما حذر منه الرسول ﷺ بقوله، الذي رواه الطبراني بسنده عن أبي الدرداء - رضي الله عنه: «أبما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة، وهو منها يرى، يشبهه بها في الدنيا، كان حقاً على الله تعالى أن يدينه يوم القيامة في النار، حتى يأتي بإفغاذ ما قال «وفي رواية: وليس بقادر على إفغازه».

ثالثاً: حصانة الرأي العام المسلم:

من الخصائص المميزة للرأى العام فى المجتمع المسلم، أنه لا يخضع للتزييف والباطل، لأن الله تعالى عصم أمة الإسلام من الاجتماع على الضلالة، فقد روى البيهقى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أمتي لن تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم»، ومن هنا قال العلماء: إن إجماع الأمة حجة على

الكافة، ومن رحمة رسول الله ﷺ بأنته أنه لم يتطلب إجماعها في كل الأمور، بل جعل من رأى الغالبية فيها حجة أيضا على الباقيين، وذلك عندما نصح ووجه في حالة عدم توافر إجماع الأمة، بمتابعة السواد الأعظم من أهل الإسلام، والذين قال عنهم العلماء: إنهم جماهير المسلمين فإن متابعتهم هو الحق الواجب والفرص الثابت، الذي لا يجوز خلافه، ومن خالف ذلك ومات، فإنه يموت ميتة جاهلية.

رابعاً: من السلبية التي تصيب الرأي العام:

في واقعة قد لا تكون الفريدة من نوعها، ذكر لي أحد علماء الدين الفضلاء، أنه أثناء ركوبه إحدى وسائل المواصلات العامة في إحدى المدن الكبرى، شاهد مجموعة من القتيان والفتيات ذوى الملابس الضيقة، يتحلقون داخل هذه الوسيلة، ومعهم جهاز تسجيل «كاسيت» مرتفع الصوت، بأغانٍ شبابية، بينما وقف في وسط الحلقة شاب وفتاة، يترقصان على هذه الأغاني، مما تسبب في إزعاج جميع ركاب هذه الوسيلة، وعندما حاول التدخل لديهم لوقف هذه الموضوءاء، سمع منهم عبارات استهزاء عف لسانه عن ذكرها، ويضيف أن الغريب في هذا الأمر أن الركاب الآخرين، التزموا الصمت إزاء ذلك، دون ثمة تكبر، أو إساءة التصح لهم، أو حتى مجرد التأييد له، عندما تصدى لهذه الغرغاء.

إن هؤلاء الشباب أصيبوا بحالة من
اللامبالاة بانجتماع الذى يعيشون فيه، فلم
يعبأوا بحيراتهم فى وسيلة المواصلات العامة،
وما لهم من حقوق فى الهدوء والراحة أثناء

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

التنقل، كما أنهم أصموا آذانهم عن سماع داعي النصيحة لهم، بل تناولوا على الجميع بالقول والفعل، وهذا مرده الخواء الذي يعيشونه في حياتهم، ذلك الخواء الذي أصاب دينهم وأخلاقهم وأبسط قواعد معاملته الآخرين من يشاركونهم في هذه الحياة.

وهذه الواقعة تكشف عن خفوت صوت الرأي العام في المجتمع، وعن الدعة التي أصابت الغالبية العظمى من الناس، فلا تتحرك في وجه الخطي حتى يشعر بصوت النكير العام، الأمر الذي يوشك معه أن يلحق الضرر بالجميع، ويعمهم الله بعذابه تصديقا لقول رسولنا الكريم ﷺ «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أدناها، فكان من أدناها إذا استقوا مروا على من أعلاها، فقالوا: لو خرقتا بها خرقا، فلو تركوهم وما يريدون لهلكوا وهلكوا جميعا، وإذا أخذوا على أيديهم لنجوا ونجوا جميعا»^(١).

خامساً: الرأي العام يقتضى الإيجابية فى المجتمع:

لقد ابتلى الإسلام في عصور الضعف بأتباع أصابهم القصور في الفهم، وحصروا هذا الدين العظيم في ركعات، قد تؤدي في رتبة بلا روح، فإذا ما طلب منه المشاركة بدور إيجابي في المجتمع الذي يعيش فيه، تولى وهو يردد قول الحق تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ كَمَا أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَدْعُونَهُ﴾ (المائدة: ١٠١)

والحقيقة أن هؤلاء لو قرءوا كتاب ربهم وسنة نبهم - ﷺ - بوعى، لتغيرت أحوالهم الراهنة إلى أحسن الأحوال، فقد روى أبو داود والترمذي بسندهما عن أبي ثعلبة الخشني - رضى الله عنه - قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْتَبَهِوا عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْلِهِمْ فَحَقِصُوا عَنْهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

فقال: «بل التمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأى برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام، وإن من ورائكم أياما لصبر، الصابر فيهن مثل قابض على الجمر، العامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله، قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: لا، بل أجر خمسين منكم». فالرسول الكريم ﷺ طلب من المؤمن أن يكون إيجابيا في مجتمعه، فهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويشارك الناس كل مظاهر حياتهم، ويجب عليه أن يظل كذلك مادام هناك من يستجيب له، وما يؤكد هذه الإيجابية أن الرسول ﷺ قد أشار إلى مقام الصبر، الذي يتعين التحلي به عند مباشرة هذا الأمر، والصبر لا يكون إلا في مواطن الاحتكاك بالآخرين، ومعاشة ظروفهم وأحوالهم، فضلا عن الأجر العظيم الذي يقابل هذه الإيجابية والصبر عليها، ولا سيما إذا كنا نعلم قدر الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم.

سادساً: الرأي العام يتطلب المشاركة الجماعية:

إن فاعلية الرأي العام تفرض على كل فرد في المجتمع المشاركة الإيجابية برأيه في كل القضايا التي تهم

مجموع أفراد، لا فرق في ذلك بين رجل أو امرأة، ولا بين غنى أو فقر، ولا بين كبير أو صغير، فالكل في رعاية مصلحة المجتمع سواء، وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى حرص الإسلام على تفعيل دور المرأة في المشاركة في صنع الرأي العام في المجتمع.

إن من أوجه العظمة في شريعة الإسلام أنها لا تكفي بتقرير حقوق الإنسان، وكفالة حرياته، ولكن تجعل منها فرائض دينية، وواجبات أساسية في حياة الأمة، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن المرأة قد حظيت في هذه الشريعة بالقسط الوافر من حرية إبداء الرأي، سواء كان ذلك من طرف واحد، أو من أطراف متعددة، أو في صورة حوار مع طرف آخر أو أطراف أخرى، ومن أمثلة ذلك الآتي:

١- الحوار القرآني العظيم، الوارد في قول الحق تعالى:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِكَ وَتَشَكِّي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُسَ كِلَا الْأُتْمَانِ﴾

(الجدالة: ١)

وأطراف هذا الحوار هم: الزوجة الشاكية وهي خولة بنت ثعلبة، والرسول ﷺ يرد على شكواها، والله تعالى يسمع الحوار الدائر بينهما، وموضوع الحوار يمين الظهار الصادر من أوس بن الصامت زوج الشاكية، وما يترتب عليه من الفرقة الزوجية بينهما، وهذا الحوار يعد من أعظم أوجه تكريم الإسلام للمرأة، ويكفيها فخرا أن تدخل في حوار مع خير الخلق أجمعين ﷺ والله جل جلاله هو

السميع له، وهذا ما فهمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، كما روى البيهقي: أن خولة لقيته، وهو يسير في الطريق مع الناس، فاستوقفته، «وفي رواية في تاريخ البخاري فأغلظت له القول»، فوقف لها ودنا منها، وأصغى إليها، حتى قضى حاجتها وانصرفت فقال رجل: يا أمير المؤمنين، حبست رجالا فريش على هذه العجوز، فقال عمر: ويحك أتدري من هذه؟ قال: لا، قال عمر: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف حتى أتى الليل، ما انصرفت حتى أقضى حاجتها.

٢- السيدة عائشة تبتدي رأيها لرسول الله ﷺ في تعاملها مع الغير، فقد روى البخاري بسنده عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها رجل، فكانت تغير وجهه، كأنه كره ذلك، فقالت: إنه أخى «من الرضاع»، فقال: انظرن ما إخوانكن، فإنما الرضاغة من الجماعة»، فكان رأى السيدة عائشة للنبي ﷺ هو أنه لا يجوز للأخ من الرضاغة أن يدخل على أخته من الرضاغة دون محرم، ولكن الرسول ﷺ أخبرها أن هذا يكون عندما تكون الرضاغة في سن الإرضاع المعتاد في الصغر، وهو خلال الحولين، وليس بعد ذلك، وقد استمع الرسول لرأيها ولم يصادره عليها، وطلب منها إعادة النظر في الأسباب المنشئة للروابط الإنسانية، وإجراء التعامل على أساسها.

٣- وحوار امرأة ثابت بن قيس مع رسول الله ﷺ من الشهرة بمكان، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن هذه

المرأة أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، زوجي ثابت لا أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكن لا أطيقه، فقال الرسول ﷺ أتدريين عليه حديثه؟ قالت: نعم، فقال النبي ﷺ لثابت: خذ الخديقة، وطلقها تطليقة»، فكان تشريع الخلع في الإسلام.

٤- وهاهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقف خطيبا على المنبر، ويقترح تحديد المهور، للقضاء على ظاهرة المغالاة، فتقف امرأة من بين صفوف النساء، وتقول: كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ والله تعالى يقول:

﴿وَالنِّسَاءُ إِحْدَثُنَّ قِطَارًا﴾

(النساء: ٢٠)

فقال عمر قولته المشهورة: أصابت امرأة، وأخطأ عمر، ومن الملاحظ أنه بفضل آراء هؤلاء النسوة، جاء تشريع السماء بتقرير أحكام شرعية لها أثرها الخطير في حياة المسلمين، فكانت المرأة الأولى سببا في تشريع كفارة الظهار، وكانت الثانية سببا في بيان حكم رضاع الكبير، وأثره في تحريم الزواج وحل الخلوة، والثالثة كانت سببا في تشريع الخلع، كحق للمرأة في طلب فسخ عرى الزوجية، ولو لم يكن هناك سبب من جانب الزوج، والرابعة كانت سببا في عدم تقييد المهور بحد أقصى، وفي هذا أبلغ الرد على من يشكك في الحقوق العظيمة التي منحها شريعة الإسلام للمرأة، والتي تطلبت منها ممارستها في كل الأحوال وعلى مر العصور والأزمان.

والله تعالى ولى التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

من خصائص المؤمنين

للاستاذ الدكتور / محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

يقول الله عز وجل في سورة الأنفال:

﴿ إِنَّمَا

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ
آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَوَكَّلُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣﴾

(الأنفال: ٢ - ٤)

الرجل: يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف ألا يتقبل
الله منه^(١)

■ من مظاهر الوجل
قال أحد الصالحين:

إني لأعلم متى يستجاب لي. قالوا: ومن أين لك
ذلك؟ قال إذا اقشعر جلدي. ووجل قلبي وقاضت
عيناي فذلك حين يستجاب لي..
قالت عائشة رضي الله عنها:
(إذا وجل أحدكم.. فليدع عند ذلك)
واذن: فالوجل حركة في القلب، كاحتراق السعفة:
وهي جريد النخل عند الاحتراق يسمع له تشيش
أي خفقان.

توضح الآيات الكريمة الخصائص التي بها يكون
المرء مؤمناً حقاً، وأولى هذه الخصائص:

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾

وفي معنى الوجل يقول العلماء:
(الوجل: الخوف ورجفان القلب وانصداعه لذكر
من يخاف سطوته وعقوبته أو لرويته).
والمعنى أن من وجل: حدث له رهبة وخشية..
وليس الوجل خوفاً محضاً.. ولكنه مزيج من
الرغبة والتعظيم.
وقد روى عن عائشة رضي الله عنها:
«قلت يا رسول الله: أهو الذي يسرق ويزني..
ويشرب الخمر؟ قال: لا يا ابنة الصديق: ولكنه

(١) تخريج

ثم إنه ليس خوفاً محضاً.. ولكنه مزيج من الخشية
والتعظيم كما قلنا آنفاً، وهذا بعض ما يشير إليه
قول الصحابي: وعظنا ^{﴿١﴾} موعظة وجلت منها
القلوب: كأن حماسة علقت بالقلب من شدة
الخفقان.

فالمؤمنون حقاً من سماتهم: أنهم إذا سمعوا مجرد
اسمه عز وجل.. ارتعدوا.. إنهم أمام صفات
الجمال.. يرجون الثواب..

وأمام صفات الجلال.. يرتعدون من العقاب..
انطلاقاً من إحساسهم بالتقصير مع القادر الغني..
وهم ضعاف عاجزون محتاجون؟!
إنها المهابة من عظمته عز وجل.
ولعل ذلك بعض ما يشير إليه قوله عز وجل:

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ الْحَسَنَ

الْمُحْسِنِ كِتَابًا مَّا تَشَاءُ إِنَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ فَلَمْ تَكُنْ لَكُمْ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ الذِّكْرُ الْقَلِيمُ ﴿١﴾

(الزمر: ٢٣)

إنهم يتصورون جلاله تعالى فيخافون.. ثم يتذكرون
جمال صفاته سبحانه فتلين قلوبهم وجلودهم.. لنا
يشمر النشاط في العبادة مدفوعين بعقل صقيل. وفكر
طويل.. ثم بقلب شاعر حساس مدرك عظمته عز
وجل.. بمعنى: أن المؤمنين هم: الذين يُرتبون على
الإيمان ثمراته اللانعات، وهذا موافق لمن قال من
العلماء: إن الوجل هو: ما اقترن بالعمل الصالح..
والا كان وجلاً عقيماً؟!

يقول البقاعي هنا:
وجلّت، أي خافت خوفاً عظيماً: يتخلل صميم

عظامهم، ويجول في سائر معانيهم وأجسامهم.
يقول صاحب الظلال:

إنها الارتعاشة الوجدانية، التي تنتاب القلب
المؤمن حين يُذكر بالله في أمر أو نهى فيغشاه
جلاله وتنتفض فيه مخافته، ويتمثل عظمة الله
ومهابته إلى جانب تقصيره هو وذنبه.. فينبعث إلى
العمل والطاعة.

■ معنى الذكر

يقول صاحب المنار:
والمراد بذكر الله: ذكر القلب لعظمته وسلطانه
وجلاله أو لوعيده ووعدده.

.. وقد يقول المؤمن في صلاة التهجد في الخلوة:
«الله أكبر» مستحضراً للمعنى كبرياله عز وجل
فينتفض ويقشعر جلده.

وصدق الله العظيم القائل:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

(فاطر: ٢٨)

■ منزلة الذكر

يقول ابن القيم رحمه الله في منزلة الذكر وأهميته:
«وهي منزلة القوم الكبري التي منها يتزودون..
وفيها يتجرون.. وإليها دائماً يترددون.
والذكر: منشور الولاية الذي من أُعطي.. اتصل..
ومن منعه.. غزل، وهو قوت قلوب القوم التي متى
فارقها.. صارت الأجساد قبوراً.

وهو: عمارة ديارهم الذي إذا تعطلت عنه..
صارت بوراً.

وهو: سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق.
وماؤهم الذي يطفئون به النهاب الحريق.

ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم.. انتكست منهم القلوب.

وهو: السبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب يقول قائلهم:

إذا مرضنا.. تداوينا بذكر كمو

فتترك الذكر - أحياناً - فتتكسر!

به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات

وتتهون عليهم به المصيبات: إذا أظلمهم البلاء..

فإليه ملجؤهم.. وإذا نزلت بهم النوازل.. فإليه

مفرعهم فهو رياض جنتهم التي فيها يتقبلون:

يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً.

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة:

والذكر: عبودية القلب واللسان.. وهي غير مؤقتة.

بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل

حال: قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم فكما أن الجنة

قيعان وهو غراسها.. فكذلك القلوب:

إنها بؤر.. خراب.. وهو عمارتها وأساسها.

■ من بركات الذكر

ومن تجربات السالكين، التي جربوها فألفوها

صحيحة: أن من أدام «ياحي ياقيوم لا إله إلا أنت»

أورثه ذلك حياة القلب والعقل.

كان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - شديد

اللهج بها جداً، وقال: لهذين الاسمين - وهما

«الحى القيوم» - تأثير عظيم فى حياة القلب،

وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم وكان يقول:

من واطب على أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر

(٢) رواه مسلم: (٧٠٠).

(٣) راجع لفرة التعم / ٥.

وصلاة الفجر «ياحي ياقيوم، لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث» حصلت له حياة القلب. ولم يمت قلبه.

ومن علم عبوديات الأسماء الحسنى والدعاء بها،

وسر ارتباطها بالخلق والأمر، وبمطالب العبد

وحاجاته: عرّف ذلك وتحققه. فإن كل مطلوب

يسأل بالمناسب له، فتأمل أدعية القرآن

والأحاديث النبوية تجدها كذلك.

ومن تأملوا أدعية القرآن ذلك الرجل الصالح

الذى كان يسمع اسم الجبار سبحانه فيتلقاه

بقلبه... ثم يسبح منه فى محيط لا ساحل له!

وإذا بمعنى الجبروت.. والقهر.. يفسح الطريق

ليفهم من معنى «الجبار» أنه الذى يجبر الخاطر.

يجبره تعالى بالعفو عمن عصاه من عباده...

فكانت للعفو مدرسة قال واحد منها:

ملكنا: فكان العفو منا سجية

فلما ملكتم.. سال بالدم أبطح

وحللتمو قتل الأسارى.. وطالما

مررنا على الأسرى: نمن ونصفح

فحسبكم هذا التفاوت بينا

وكل إناء بالذى فيه ينضح!

■ أهمية الذكر

وعن أهمية الذكر قال ﷺ: «لا يقعد قوم

يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة،

وعشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم

الله فيمن عنده^(٢)

والأصل القرآنى هنا^(٣) هو:

١- الأمر به مقيداً ومطلقاً وذلك كقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ۝ وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْمَقَامِ الْمَشْهُورِ ۝﴾

(الأحزاب: ٤١ - ٤٢)

٢- النهى عن ضده من الغفلة والنسيان كقوله

تعالى:

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ۝﴾

(الأعراف: ٢٠٥)

٣- تعليق الفلاح باستدامته وكثرته كقوله تعالى:

﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾

(الجمعة: ١٠)

٤- الثناء على أهله والإخبار بما أعد الله لهم من

الجنة والمغفرة كقوله تعالى:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْغَائِبِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾

(الأحزاب: ٣٥)

٥- الإخبار عن خسران من تلهى عنه غيره كقوله

تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْمَسَاحِقِ وَأَعْيُنُهُمْ فِي الْوَحْشِ وَالْيَدِ يَسْخَرُ وَالْيَدِ يَسْخَرُ وَالْيَدِ يَسْخَرُ ۝﴾

(المنافقون: ٩)

٦- جعل الله سبحانه ذكره لهم جزاء ذكرهم له: كقوله تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ۝﴾

(البقرة: ١٥٢)

٧- الإخبار أنه أكبر من كل شيء كقوله تعالى:

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۝﴾

(العنكبوت: ٤٥)

٨- جعله قرين جميع الأعمال وروحها:

﴿وَأَقْرَبُ الصَّلَاةِ وَأَعْيُنُكُمْ رَأْيُهَا ۝﴾

(طه: ١٤)

وكذلك قرنه بالصيام وبالحج.

ومن خصائص المؤمنين أنهم كما وصفهم ربهم

سبحانه:

﴿وَإِذْ نَبَّأْنَاهُمْ عَلَىٰ عَيْنِي أَنَّ هَٰذَا لَآيْمَانٌ ۝﴾

أى: زادتهم: يقينا فى الإذعان وقوة فى

الاطمئنان وسعة فى العرقان ونشاطا فى

الأعمال وهكذا: يتامى الإيمان صاعداً فى

مدارج الكمال:

من علم اليقين.. إلى حق اليقين.. إلى عين اليقين:

إنهم يزدادون إيمانا كما يزداد الزرع بالماء نماء.

أجل: يزداد كلما واصل المؤمن إبحاره مع آيات

الله المنزلة.. وآياته الكونية: المثبتة فى الأنفس

والآفاق، لما فى قلوبهم من الخصوبة وما فى

الآيات من عناصر الخير يقول القضاعى:

أى بإيمانهم بها وبما حصل لهم من نور القلب

وطمأنينة اليقين بسببها: فإنها هى الدالة على

الله.. بما تبين من عظيم أفعاله، ونعوت جلاله وجماله.

وتظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه، وكمال قدرته تعالى إنما يعرف بواسطة آثار حكمته في مخلوقاته.. وذلك بحر لا ساحل له» يقول صاحب الظلال:

والقلب المؤمن يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيماناً وما ينتهي به إلى الاطمئنان:

إن هذا القرآن يتعامل مع القلب البشري بلا واسطة ولا يحول بينه وبينه شيء إلا الكفر الذي يحجبه عن القلب ويحجب القلب عنه:

فإذا رُفِعَ هذا الحجاب بالإيمان.. وجد القلب حلاوة هذا القرآن.. ووجد في إيقاعاته المتكررة زيادة في الإيمان تبلغ الاطمئنان» وهنا نذكر ما قيل: «كنا نوتى الإيمان.. قبل أن نوتى القرآن».

ومن أجل ذلك.. كانت تلك الزيادة خاصة بالمؤمنين.. لأنهم المرشحون للتفاعل مع آي القرآن.. وذلك بعض ما يفهم من مثل قوله عز وجل:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمُؤْمِنِينَ﴾

(الحجر: ٧٧)

ونذكر هنا قوله عز وجل في آخر سورة الفرقان:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا خُمًا وَعُمًا﴾

(الفرقان: ٧٣)

ولاحظ بناء الفعل «ذُكِّرُوا» للمفعول؛ لتدرك من طبيعة القوم:

أنهم أهل لهذا التذكير والاعتبار بما يسمعون من الآيات بفطرتهم.

إنهم مؤهلون للتجاوب مع هذه الآيات الكريمة.. بدليل أنهم ينسجمون مع هداياتها إن ذكروهم غيرهم مهما كان.. لأنهم يعرفون الحق بفطرتهم وليسوا في حاجة إلى من يلفتهم إليه:

إن هؤلاء المؤمنين:

«إنهم يسقطون عند سماعها، ويكون عليها سقوط سامع منتفع بسمعه. بصير: منتفع بصره وبصيرته.

سجداً يكون، ويزيدهم خشوعاً.

وليسوا كهؤلاء المنافقين مردة المشركين من مثل أبي جهل والأحنس.. الذين أعرضوا عنها.

تغطية لما عرفوا من حقيقتها. وسترا لما رأوه من نورها، فقل من لا يسمع ولا يبصر والمعنى: أنهم لم يفعلوا فعل الساقطين المستعجلين الساترين لها، وإنما هم المقبلون عليها.. المتقبلون لها».

ومن صفات المؤمنين: أنهم:

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

يتوكلون عليه تعالى وحده «لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجنابه ولا يطلبون الحوائج إلا منه ولا يرغبون إلا إليه ويعلمون: أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه المتصرف في الملك لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب»^(٥)

والتعبير بالفعل المضارع «يتوكلون» يفيد أنهم يجددون إسناد أمورهم إليه مهما وسوس لهم الشيطان بالفقر أو غيره ليكفيهم من حيث لا يحتسبون فإن خزائنه واسعة ويده سخاء الليل والنهار.

إن المؤمن متوكل على الله - وليس كالمادى اليوم - الذى يتخذ من الآلة إلها من دون الله. ومن معانى ذلك: أن المؤمن متحرر من سطوة الأسباب المادية التى استعبدت الماديين فى دول أخرى.

ومن معانى ذلك أن المؤمن هو المتمتع وحده بالحرية التى حرم منها عبيد الآلة! فالله تعالى هو الذى يخلق وهو الذى يفعل.. وما الأسباب الظاهرة إلا وسائل من صنعه عز وجل.. وما على الإنسان إلا أن يفعل ما يؤمر به والنتيجة بعد ذلك على الله عز وجل.. وذلك قوله: ﴿اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ!﴾^(٦)

وبمعنى ذلك أنه لا جبر.. ولا حتمية للأسباب وإنما الأمر كله لخالق هذه الأسباب!

ومن قوة إيمان المؤمن أنه يقيم الصلاة عبادة ظاهرة تراها العين بعد عمارة القلب بما لا يدرك إلا بالبصيرة. إن المؤمنين كما وصفهم ربهم: ﴿الَّذِينَ يُحِبُّونَ الصَّلَاةَ﴾ وتلك صلتهم بالخالق سبحانه، أما صلتهم بالمخلوق فإنها أيضا لاتقطع.. وذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْزَقْنَاهُمْ يَفْتَرُونَ﴾.

ينفقون ما فى اليد منطلقين من قيمة التوكل واعتمادا على ما عند الله تعالى:

«فالاتفاق إهانة الدنيا همتهم: لا الحرص عليها..

فحينئذ يكونون كالذين عند ربك: فى التحلى بالعبادة والتخلى من الدنيا إغراضاً وزهادة».

وهؤلاء هم المؤمنون حقاً.. وكان غيرهم ليس كذلك.

وهو تعريض بمن لم يكن على شاكلتهم بقدر ما كان تحريضاً لهم على أن يظلوا كذلك: مترعين على قمة الإيمان:

﴿لَهُمْ ذِكْرُكَ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

■ فضل التوكل

عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطيرة شرك، الطيرة شرك ثلاثاً وما منا إلا.. ولكن الله يذهب بالتوكل»^(٧) ومعنى: وما منا أى:

وما منا إلا ويعتريه شيء منه فى أول الأمر قبل التأمل.. وقال جماعة من العلماء: إن كلمة (وما منا إلا.. ولكن الله يذهب بالتوكل) من كلام ابن مسعود رضى الله عنه.

وهذا يعنى واقعية الإسلام الذى يعترف بطبيعة الإنسان.. والذى يجب عليه الاعتلاء فوق جبلته ليكون سماوياً لا أرضياً.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله قال: يقال حينئذ هُديت وكفيت ووقيت فتحتى له الشياطين فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدى. وكفى ووقى»^(٨)

(٥) حلية الأولياء ج ٨، ص ٣٩٠، صحيح ابن حبان ج ٢، ص ٥٩، رقم ٧٢٩.

(٧) رواه أبو داود/ ٥٠٩٥.

(٨) سنن أبي داود ج ٤، ص ٢٣٠، رقم ٣٩١٠.

(٤) ابن كثير.

وتأمل كيف يذكر ﷺ كيف يصل المؤمن إلى نعم: الهداية والكفاية والرقاية على جسر من التوكل على الله عز وجل.. والتجرد من كل حول وطول وأطراح كل أسباب الدنيا.. اتكالا على الله وحده.. وكيف كان التوكل تحريراً للمؤمن من قبضة الشياطين الذين يقعدون له كل مرصد.. وكيف كان المؤمن بالتوكل على الله وحده في حصن الأمان فلا تطوله وسوسة شيطان.

ثم كيف كان التوكل على الله ضربة موجعة تفرق بها حزب الشيطان بدءاً.. بدليل هذا التلاوم بينهم حين يعلن شيطان رجيم يأسه من إغواء رجل بات في عناية الرحمن العظيم.

ولنا أن نتصور الصورة المقابلة ليزداد إحساسنا بنعمة التوكل وآثاره العظام وفي خيالي صورة ذلك الرجل الكبير: إنه غني قوی ذو حسب ونسب وله سلطان: يملك سيف الحجاج.. ولسان «ابن حزم»!

إنه ذلك المغرور الذي قال مع «طرفة بن العبد»

إذا قيل من فارس؟ قلت أنتي

ذعيت.. فلم أكسل ولم أتبدل
ولأنه غني: فقد أطعم الأفواه.. فاستجبت منه العيون ولأنه قوی.. فهو المتنبي.. المغرور.. والذي سول له غروره أن يقول:

يقول لي الطيب: أكلت شيئاً

ودارك في الشراب وفي الطعام
وما في طيبه أنتي جواد

أضرب جسمه طول الجمام

تعود أن يغبر في السرايا

ويدخل من قنم في قنم! ولقد تعود صاحبنا هذا أن يتأبط مطالب الناس داخلها من ديوان إلى ديوان وتلك ساحات كفاحه.

وقد يدق باب المستول بقدمه.. قُسمته وسطوته تسبقانه إلى حيث يريد.. وكان الظن أن يشكر صاحبنا هذه النعم.. ولكنه أنكرها.. بل عاش مع النعمة.. ونسى المنعم.. فماذا حدث؟

أولاً: نبت من حوله جيش من النفاق الذي يثبت في القلب.. كما ينبت العشب في الماء ثم تمتد جذوره كلما تكرر اللقاء.

وثانياً: سلط الله تعالى عليه الشياطين.. من الجن والإنس.. فمال واحتجب.

وإذا كان فرعون قال يوماً يا هامان ابن لي صرحاً.. فهذا وبعد أن سمع صيته بأذنه يقول كما قال «خروشوف» لما صعد الإنسان إلى القمر:

لقد صعدنا إلى آفاق السماء.. ولكننا لم نجد الله؟!

وهكذا يملأ الغرور ويوسوس:

قيل للمتي: امدح مصر بخضرتها وأهراماتها.. فقال: شعري طائر: أزحف نحوه.. فيطير وأنا لما مدحت الملوك.. فلکی أكون مثلهم ملكاً!.. وأنا أستخدم من الشعر فقط ما يصل بي إلى هذه الغاية الكبرى!!

ورفض المتي أن يمدح ولي نعمته!

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿لَا يَرْفَعُ قَدْرَهُ إِلَّا بِشَيْءٍ عَمِلَ﴾
﴿لَا يَرْفَعُ قَدْرَهُ إِلَّا بِشَيْءٍ عَمِلَ﴾
﴿لَا يَرْفَعُ قَدْرَهُ إِلَّا بِشَيْءٍ عَمِلَ﴾
﴿لَا يَرْفَعُ قَدْرَهُ إِلَّا بِشَيْءٍ عَمِلَ﴾

(آل عمران: ١٩٦-١٩٨)

ومن معاني ذلك:

الاعتزاز بالله أمام هذا النموذج المستكبر: منطلقين من القاعدة التي تقول:

نحن: المتقين: لنا الغد: لنا المستقبل.

واعترافنا فائق بقيمة التقوى.. ذلك الاعتزاز الذي يذكرنا به هذا الموقف، مثل أحد الصالحين: من آلك؟

فقال: كل المتقين: ثم تلا قوله عز وجل:

﴿إِنْ أَرَادِ اللَّيْلُ أَنْ لَا تُنْفَسَ﴾

(سورة الأنفال ٣٤)

هذه التقوى - بتوكلنا على الله تعالى - لا تجعل الدنيا متسلطة علينا، ولكنها مسخرة لنا.. وإذا لا يشكر غيرنا لله تعالى حسن الأداء.. أفلا نشكر نحن حسن العطاء؟!

وقاتل الله الغرور:

ذات يوم.. قدم العلماء أحد الشباب ليقوم بالتدريس فلما اعتلى المنصة.. ورأى الأشياخ بين يديه ظن أنهم ما قدموه إلا لعلمه فاغتر! وتجيته القذيفة من حيث لا يحتسب.. لما سأله سائل:

يقول عز وجل:

﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾

(الرحمن: ٢٩)

فما شأن ربك الآن؟؟ فلم يجبه ثم تكرر السؤال حتى اليوم الثالث والفتى لا يجيب، وفي اليوم الرابع جاءه من يعلمه في المنام قائلاً: أمور يبدئها.. ولا يستدئها: يرفع أقواماً ويخفض آخرين.

فلما أجاب بعد ذلك، فقال له السائل: صل على من علمك هذا!

وصدق القائل:

كلما أخرسني لومي.. أنطقني كرمك

ولا أزال أطرق باب الرجاء ناظراً إلى ما منك إليّ قراراً من الحزن عندما أنظر إلى ما مني إليك!!

وهكذا يكون منطق المتوكل على الله.. الخارج من كل حول له وطول.. اعتماداً على من منه الحول والطول سبحانه وتعالى..

إنها الثقة بالله عز وجل.

نقل ابن القيم: «الثقة سواد عين التوكل، ونقطة دائرة التفويض» ومثالها: قوله تعالى لأم موسى:

﴿فَإِنْ خِفْتَ عَلَيْهِ الْفَقِيرَ فِي السَّبِيلِ وَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾

(القصص: ٧)

فهذا دليل على كمال ثقته بربها عز وجل.. وبهذه الثقة تجي الله تعالى الرجل الذي خرج من بيته.. وفي نفس اللحظة «أخرج» من كل أسباب الدنيا.

يجيب عنها الأستاذ الدكتور على جمعة مفتي الجمهورية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله
وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)
اطلعنا على الطلب المقدم من/مجلة الأزهر - المقيد برقم ٦٣٠ لسنة ٢٠٠٨ م
المتضمن السؤال التالي:

■ هل يجوز إعادة البكارة للفتاة المغتصبة؟

الاجواب

جاء الشرع الشريف بالأمر بالستر، وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الستر صفة من صفات الله تعالى يحب من خلقه أن يتصفوا بها فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله عز وجل حيي ستر؛ يحب الحياء والستر» رواه أبو داود (٣٤٩٧)، والنسائي (٤٠٣) من حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه. وتتابع النصوص الشرعية على الحث على الستر وأن الجزاء فيه من جنس العمل، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» متفق عليه.

بل توعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سعى في فضيحة المسلمين وتبع عوراتهم بحصول ذلك له وعوده عليه: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فنادى بصوت

رفيع فقال: «يامعشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه! لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته» رواه ابن ماجه بإسناد حسن كما قال الحافظ المنذرى في الترغيب والترهيب.

وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن تتبع العورات سبب من أسباب الفساد والإفساد؛ فعن معاوية - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كَدَتِ أَنْ تَفْسِدَهُمْ» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

وإذا أصاب المسلم معصية فإنه مأمور أن يستر على نفسه؛ حيث لم يجعل الشرع إقامة الحد شرطاً في قبول التوبة؛ فعن زيد بن أسلم أن رجلاً اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسوط، فجلده، ثم قال: «أيتها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستر بستر الله، فإنه من يبدى لنا صفحته نقم عليه كتاب الله» رواه مالك في الموطأ (١٢٩٩) عن زيد بن أسلم رضي الله عنه يرسله. قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «هذا حديث منقطع ليس مما يثبت به هو نفسه حجة، وقد رأيت من أهل العلم عندنا من يعرفه ويقول به، فنحن نقول به». (سنن البيهقي ٩٩/٢)

وروى الإمام أحمد في مسنده (٤٢/٥) من حديث أبي بكره رضي الله عنه أن امرأة حبلى جاءت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: إنها زنت، وطلبت أن ترجم، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «استري بستر الله عز وجل»، فرجعت، ثم جاءت الثانية وطلبت أن ترجم، فقال لها: «استري بستر الله تبارك وتعالى»، فرجعت، ثم جاءت الثالثة وطلبت أن ترجم، فقال: «أذهبي حتى تلدي»، فانطلقت، فولدت غلاماً ثم جاءت فكلمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال لها: «أذهبي فتطهري من الدم»، فانطلقت؛ ثم أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت أنها قد تطهرت، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم تسوة فأمرهن أن يسترن المرأة، فجئن وشهدن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بظهرها، فأمر لها بحفيرة ورجمت، ثم صلى عليها، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لو قسم أجرها بين أهل الحجاز وسعهم».

وروى البخاري (٥٦٠٨) ومسلم (٥٣٠٦) واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «كل أمتي معاينة إلا المخاهرين، وإن من الإجماع أن يعمل العبد بالليل عملاً، ثم يصبح قد ستره ربه فيقول: يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيبيت

يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه».

وروى أبو داود عن نعيم بن هزال قال: كان ماعز بن مالك يتيماً في حجر أبي، فأصاب جارية من الحى فقال له أبي: أنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بما صنعت لعله يستغفر لك... فأقر عنده أربع مرات، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم برجمه وقال لهزال: «لو سترته بتوبك كان خيراً لك».

وقد فهم الصحابة والسلف الصالح هذا المعنى العظيم في اعتبار السر في الشرع الشريف فظهر أعمالهم له في وقائع مختلفة؛ منها حادثة ماعز بن مالك الأسلمي لما جاء إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأخبره بزنا، قال له الصديق: «هل ذكرت هذا لأحد غيري؟» فقال: «لا»، فقال له أبو بكر: «فتب إلى الله واستر بستر الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده»، فلم تقرره نفسه حتى أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له مثل ما قال لأبي بكر، فقال له عمر مثل ما قال له أبو بكر، فلم تقرره نفسه حتى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعترف بزنا، فأعرض عنه، فلما أكثر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حقق في أمره حتى استوثق، ثم حده. رواه الإمام مالك في الموطأ (١٢٨٩) عن سعيد بن المسيب يرسله، وأصل الحديث في الصحيحين، رواه البخاري (٤٨٦٦)، ومسلم (٣٢٠٢).

فهذا هو الصديق الأكبر، ومعه القاروق عمر رضي الله عنهما قد أرشدا المعترف بالزنا أن يستر على نفسه ويكتم أمره، ولم يرد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أنكر عليهما ذلك، ولا حضهما على خلافه. قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/١٢٤): «ويؤخذ من قضيته أنه يستحب لمن وقع في مثل قضيته أن يتوب إلى الله تعالى ويستر نفسه ولا يذكر ذلك لأحد، كما أشار به أبو بكر وعمر على ماعز، وأن من اطلع على ذلك يستر عليه بما ذكرنا، ولا يقضحه، ولا يرفعه إلى الإمام، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في هذه القصة: «لو سترته بتوبك لكان خيراً لك»، وبهذا جزم الشافعي رضي الله عنه فقال: أحب لمن أصاب ذنباً فستره الله عليه أن يستره على نفسه ويتوب. واحتج بقصة ماعز مع أبي بكر وعمر اهـ. وروى عبد الرزاق في مصنفه (٢٤٦/٦) أن رجلاً خطب إلى رجل ابنة له، وكانت قد أحدثت - أي ارتكبت ما يوجب حداً - فجاء إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فذكر له ذلك، فقال له عمر: ما رأيت منها؟ ما رأيت إلا خيراً. قال: فزوجها، ولا تخبر.

وروى في «المصنف» أيضاً (٢٤٦/٢٤٧) عن الشعبي أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب فقال: «يا أمير المؤمنين! إنني وأدت ابنة لي في الجاهلية، فأدركتها قبل أن تموت، فاستخرجتها، ثم إنها أدركت، فحسن إسلامها. وإنها أصابت حداً من حدود الإسلام، فلم نفجأها إلا وقد أخذت السكين تذبج نفسها، فاستنقذتها وقد خرجت نفسها، فداويتها حتى برأ كلمها (أي: جرحها)، فأقبلت إقبالاً حسناً، وإنها خطبت إلي، فأذكر ما كان منها؟»، فقال عمر: «هاهن لئن فعلت لأعاقبتك عقوبة يسمع بها أهل الوبر وأهل الودم» (كذا في الأصل، والمعروف في اللغة مقابلة أهل الوبر بأهل المدر).

وفي رواية أخرى عنده (٢٤٧/٦): «لأعاقبتك عقوبة يتحدث بها أهل الأمصار، أنكحها نكاح العفيفة المسلمة».

وفي رواية أخرى عند الإمام الطبري في تفسيره (١٠٥/٦): «أتخبر بشأنها؟ تعمد إلى ما ستره الله فتيديه؟ والله لئن أخبرت بشأنها أحداً من الناس لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار، بل أنكحها بنكاح العفيفة المسلمة».

فهذه الآثار جميعها أفادت اعتبار عمر رضي الله عنه للستر في حق الزانية، وأنه لا يجوز أن تغلق دونها باب الرحمة وأن يحكم عليها وعلى أهلها بالعار الأبدى، بل يكتم ما كان منها، ولا يشاع، وتستفتح فصلاً جديداً أوله التوبة، والتملص من المعصية، وتشرع في حياة العفاف الطاهرات.

وقد نص فقهاء الشافعية أنه يستحب للزاني، وكل من ارتكب معصية الحق فيها لله تعالى أن يستر على نفسه، بأن لا يظهرها ليحد أو ليعز، وأما التحدث بها تفكها أو مجاهرة فحرام قطعاً، انظر مثلاً: أسنى المطالب (١٣١/٤)، والزواجر عن اقتراف الكبائر (٢٠٩/٢).

وإذا كان السر مشروعاً في حق المكلف الذي ارتكب الفاحشة، فإن كونه مشروعاً ومأموراً به في حق من أرغمت عليها من غير ذنب منها ولا إرادة من باب أولى وأحرى لأن الرخصة إذا ثبتت مع عدم العذر فتبوتها معه أكد. ولا شك أن رفق غشاء البكارة لمن فقدت عذريتها باب من أبواب السر عليها، ووسيلة من وسائل درء الفضيحة عنها، ومن فعلت ذلك بنية السر على نفسها فهي ممتثلة بذلك لحديث: «من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستر بستر الله»، وإذا كان هذا فيمن صدر ذلك منها برضاها، فإنه أشد مشروعية إذا كانت قد أرغمت عليه وأكرهت على مقارفته، والأصل في الشريعة أن الوسائل لها أحكام المقاصد، ونص الفقهاء على أن «الإذن في الشيء إذن في مكملات مقصودة» كما أفاده الإمام ابن دقيق العيد في «إحكام الأحكام»، وهذه العملية مظهر من مظاهر السر، ومن استثنى شيئاً مما يحقق السر طوّل بالدليل؛ لأن دعواه تخالف هذا الأصل.

كما أنه قد تقرر في قواعد الشرع من أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ومن المعلوم أن المفاسد المترتبة على العلم بزوال بكارة المرأة في غير نكاح بين الناس تربو على مصالح ذلك، ولعل أدنى هذه المفاسد هو سوء الظن بها وحمل أفعالها الماضية والمستقبلية على المحامل القاسدة، فضلاً عما هو فوق ذلك من هدم الأسر أو الإيذاء الشديد اللاحق بالمرأة الذي قد يصل إلى حد القتل في بعض البيئات، وكذلك المعرفة التي تلحق ذويها وعائلتها، ولا شك أن هذه المفاسد ترجح على المصلحة الحاصلة بالعلم بزوال العذرية، فتجري عملية الرق لدفع هذه المفاسد المذكورة وأشباهاها طالما كانت هي الوسيلة المعينة التي تحقق هذا الدفع.

قال العز بن عبد السلام في «قواعد الأحكام» (٩٨/١): «إن كانت المفاسد أعظم من المصلحة درأنا المفاسد ولا نبالي بقوات المصلحة، قال الله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْعٌ لِلنَّاسِ وَأَفْئِدَةٌ كَثِيرٌ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩)

حرمهما؛ لأن مفسدتهما أكبر من منفعتيهما. أما منفعة الخمر في التجارة ونحوها، وأما منفعة الميسر فيما يأخذه القامر من المقهور. وأما مفسدة الخمر في إزالتها العقول، وما تحدثه من العداوة والبغضاء، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة. وأما مفسدة القمار في إيقاع العداوة والبغضاء، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهذه مفسد عظمية لا نسبة إلى المنافع المذكورة إليها.

وفقهاء الحنفية عندما تعرضوا لمسألة الإجماع في النكاح، ذكروا أن البكر إذا استأذنها وليها في التزويج، فسكت أو ضحكت، أو زوجها قبلها أخبر فسكت فهو إذن، وأما الثيب فلا يكتفى منها بما يدل على رضاها من الأفعال، بل لابد من تصريحها بالقول. وعندهم أن من زالت بكارتها بوثبة أو حيضة أو جراحة أو تعيس أو زنا فإذنها كالأبكار، بخلاف من تكرر زناها فإنها لا تستحي بعد التكرار عادة بل تجعله مكسبة. قالوا: «وكذا إذا أخرجت وأقيم عليها الحد؛ لأنه ظهر بين الناس وعرفت به فلا تخفيه» اهـ تبين الحقائق (١١٨/٢-١٢٠)، فجعلوا علة أنها لا تزوج كالأبكار معرفة الناس بما كان منها وظهوره، ويلزم من هذا التعليل أنه لو انعدمت معرفة الناس بخونها وزناها أنها تزوج كالأبكار أيضاً، والله أعلم.

وإذا اغتصب البنت وأكرهت على الزنا رغماً عنها فلا إثم عليها؛ لقوله تعالى: ﴿لَا مَظْهَرَ لَهَا مِنَ الْإِثْمِ﴾ [النحل: ١٠٦]، قال الإمام القرطبي في «أحكام القرآن»: «لما سمح الله عز وجل بالكفر به - وهو أصل الشريعة - عند الإكراه ولم يؤخذ به، حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلها، فإذا وقع الإكراه عليها لم يؤخذ به ولم يترتب عليه حكم»، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله وضع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» رواه ابن ماجه (٢٠٣٥) والبيهقي (٣٥٦/٧)، وصححه الحافظ أبو محمد عبدالحق وحسنه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٣٧١)، وفي حكم الإكراه الصغر ونقص العقل أو زواله؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «رفع القلم عن ثلاثة عن التائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل» رواه أبو داود (٣٨٢٥)، والنسائي (٣٣٧٨)، وابن ماجه (٢٠٣١)، وصححه الإمام النووي في شرح مسلم (١٤/٨).

ويجوز لها أو لوليها إجراء عملية رتق البكارة؛ لما يترتب على ذلك من سد لباب إساءة الظن بها، مما يحجبها من المواقفات الاجتماعية الجائرة، مع ما فيه من عون على الاستقامة والعفاف؛ لإرجاع عذريتها لها يغلق باباً قد ينفذ منه الشيطان فيهن عليها المعصية بعد الذي ابتليت به؛ فكم من فتاة عفيفة ابتليت بحادث اعتداء على شرفها تسبب في زوال بكارتها، فامتنعت عن الزواج، وأورثتها ما تعرضت له شعوراً بالهوان والدنس، ثم بدأت ميالاتها بمعاني الشرف والفضيلة في الانحسار، وأخذت حرارة المعصية في قلبها في الحفوت شيئاً فشيئاً، فبدأت في إشباع حاجاتها وشهوتها بما يغضب الله تعالى دون حساب لرقب؛ فقد زالت العلامة التي يعتبرها المجتمع دليل الطهارة والعفاف، فصارت وسيلة فساد وإفساد في المجتمع، وإلى

ذلك يشير قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

وأما الاعتراض بأن زوال غشاء البكارة يعتبر عيباً من العيوب، وإخفاؤه بالرتق نوع من الغش، والشريعة الإسلامية حرمت الغش والتدليس في الزواج وفي غيره، فهو مردود بأنه ليس كل عيب يعد إخفاؤه غشاً، بل العيب المؤثر يكون في كل شيء بحسبه، قال الإمام النووي - رحمه الله - في «تهذيب الأسماء واللغات» الجزء الثاني من القسم الثاني ص (٥٣): «العيب ستة أقسام: عيب في المبيع، وفي رقية الكفارة، والغرة، والأضحية والهدى والعقيقة، وفي أحد الزوجين، وفي الإجارة. وحدودها مختلفة؛ فالعيب المؤثر في المبيع الذي يثبت بسببه الخيار هو: ما نقصت به المالة أو الرغبة أو العين، كاختصاص. والعيب في الكفارة: ما أضر بالعمل إضراراً يائناً. والعيب في الأضحية أو الهدى أو العقيقة هو: ما نقص به اللحم. والعيب في النكاح: ما ينفر عن الوطء ويكسر سورة التوافق. والعيب في الإجارة: ما يؤثر في المنفعة تأثيراً يظهر به تفاوت الأجرة، لا ما يظهر به تفاوت قيمة الرقية، لأن العقد على المنفعة. فهذا تقريب ضبطها، وهي مذكورة في هذه الكتب بحقائقها وفروعها. وعيب الغرة في الجنين كالمبيع» اهـ.

والقول بأن إخفاء مطلق العيب من الغش قول فاسد؛ لأننا لو لم نحدد العيب المؤثر بحد معين لصار غير منضبط يختلف باختلاف الأشخاص، فما يراه شخص عيباً قد يراه غيره مناسباً. ويلزم عليه كذلك أن المرأة يلزمها أن تخبر بكل فيها ولو كان ندبة أو جرحاً صغيراً، وكل هذا من البطالان بمكان، وهو مما تنزه الشريعة عنه، فتعين رد العيب المؤثر لحد معين وضابط مستقر.

فنقول في بيان هذا الضابط: إن ما يعد غشاً في هذا الباب هو ما كان إيهاماً بوجود مفقود مقصود لذاته، أو إخفاء لعيب مقوت لمقصود النكاح.

وقولنا: «ما كان إيهاماً بوجود مفقود مقصود لذاته» مثاله: وصل الشعر؛ فالمرأة توهم به وجود مفقود مقصود، فيحرم عليها ذلك؛ لما فيه من تغريب وتدليس على الأزواج، ولهذا المعنى أجاز فقهاء الشافعية الوصل للحررة إذا كانت ذات زوج بإذن زوجها، وللأمة بإذن سيدها؛ حيث ينتفي معنى التدليس حينئذ. وخرج بهذا: ما إذا ما أوهم مفقوداً غير مقصود لذاته فإنه لا أثر له.

وقولنا: «عيب مقوت لمقصود النكاح»، يقصد به ما أعاق الوطء حساً، كالرتق والقرن، أو أوجب نفرة تمنع من القربان والمساس، كالبرص والجذام المستحكمان، والجنون وإن تقطع، فينزل ذلك منزلة المانع الحسى، وهي جملة العيوب الخمسة التي ذكر فقهاء الشافعية أن الزوج يثبت له بها خيار الفسخ. وأما ما سوى هذه العيوب كالبحر، والصنان، والاستحاضة، والقروح السائلة فلا خيار بها؛ لأنها لا تنفوت مقصود النكاح. انظر مثلاً: أسنى المطالب (١٧٦/٣).

وبالكارة ليست مقصودة لذاتها؛ وقد ذكرها الفقهاء في كتبهم على أنها من صفات الكمال، انظر مثلاً:

معنى الاحتاج (٢٠٧/٣)، وأسنى المطالب (١٧٨/٣)، وهذا يقتضى أن زوالها لا يعد من جملة العيوب المؤثرة بالمعنى المشار إليه سابقاً، لأنه لا يفوت مقصود النكاح، فلا يكون إخفاؤه غشاً، بل الغش إخفاء ما لم يفوت مقصود النكاح.

قال الشيخ علي العدوي المالكي في «حاشيته على شرح الخرشي مختصر خليل (١٧٧/٥)»: «يلزم من كون الشيء مفوتاً للعب كونه مفوتاً للغش والكذب، لا العكس».

وقال الإمام الباجي في «المنتقى شرح الموطأ» (٣٥٢/٣): «ولا يلزم الولي أن يخبر من حال وليته إلا بما يلزم في ردها، وهي العيوب الأربعة: الجنون والجذام والبرص وداء الفرج، وأما غيره من العيوب فلا يلزمه ذلك».

والنصوص التي تحض الإنسان أن يستر على نفسه عامة من جهة شمولها للأفراد، ومطلقة من جهة عدم تحديد وسيلة السر، والخطاب إذا كان عاماً أو مطلقاً فإنه يجري على عمومته وإطلاقه ما لم يأت ما يخصه أو يقيد.

وتقدم أثر الرجل الذي خطبت ابنته وكانت قد زنت وتابت، فقال له أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: «زوجها، ولا تخبر».

والآخر الذي أصابت أخته فاحشة، ثم تابت وكانت تخطب إلى عمها، وكان يكره أن يدلسها، ويكره أن يفشي على ابنه أخيه، فأتى عمر، فذكر ذلك له، فقال عمر: «لو أفشيت عليها لعاقبتك، إذا أتاك رجل صالح ترصاه فزوجها إياه».

والآخر الذي سأل عمر في شأن ابنته التي خطبت إليه، وكانت قد زنت ثم تابت، هل يذكر خطبها ما كان منها؟ فقال له عمر: «تعهد إلى ما ستره الله فتبديه! والله لئن أخبرت بشأنها أحداً من الناس لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار، بل أنكحها بنكاح العفيفة المسلمة».

وأنفارق عمر - رضي الله عنه - هو محدث الأمة، وفيه يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم» رواه مسلم. وأحدث هو الملهم، أو هو - كما قال ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١٠٨/٤) - المتكلم الذي يلقي الله في روعه الصواب يحدثه به الملك عن الله.

وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» رواه الترمذي (٣٦١٥)، وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، ورواه أحمد في مسنده ٥٣/٢. والمتأمل في هذه الآثار الأخيرة يلحظ أن عمر رضي الله عنه أمر بترويج المرأة زائلة البكارة على أنها عفيفة مسلمة، ولم يأمرها بفصح نفسها، ولا بإخبار من أقدم على زواجها بما سلف منها، ولم يعتبر تزويجها على هذه الحال وإخفاء ما كان منها غشاً. وكذلك يظهر أن المسلمين الأوائل ما كانوا ينظرون للمرأة التي

يكشف زوال بكارتها على أنها خاطئة أو مومسة كما يشيع الآن بين الناس؛ فالعذرة مجرد أمانة على العفاف، ولكن لا تلازم بينهما بحيث يتعلم العفاف بالعدامها ويوجد بوجودها؛ لتعدد أسباب زوال البكارة، ومعظمها لا إثم فيه.

والاستدلال بهذه الآثار ليس مجرد صدورها عن سيدنا عمر فحسب، بل لعدم إنكار الصحابة عليه ما كان منه، فصار إجماعاً سكوتياً على مقتضاها.

وقد التفت الفقهاء الحنفية إلى مدرك التشوف إلى السر والتمسك به وتقديمه، وراعوه في فروعه؛ فمذهب الإمام أبي حنيفة أن من زالت بكارتها بزنا خفي زوجت كالأبكار فلا تستطق في إذن النكاح بل يكفي سكوتها؛ تقديماً لمصلحة السر والإخفاء على المصلحة المتهمة من علم الزوج بزوال بكارتها. قال

الزيلعي في «تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق» (١٢٠/٢): «لأن الشارع قد ندب إلى السر، وفي إلزامها النطق إشاعة الفساد مع تفويت مصالحها» اهـ، وهذا نص صريح في تقديم السر دون التفات إلى غياب ذلك عن الزوج؛ تحقيقاً للمصالح العامة بالحد من شيوع الفساد، والمصالح الخاصة بالسر على العاصية.

وقد اعتبر ابن القيم مذهب أبي حنيفة في أن البكر إذا زالت بكارتها بالزنا فإذنها الصمت من محاسن الشريعة، قال: «لأننا لو اشترطنا نطقها لكنا قد ألزمتها بفضيحة نفسها وهتك عرضها، بل إذا اكتفى من البكر بالصمت لحياتها، فلأن يكفي من هذه بالصمت بطريق الأولى؛ لأن حياها من الاطلاع على زناها أعظم بكثير من حياها من كلمة (نعم) التي لا تدم بها ولا تعاب، ولا سيما إذا كانت قد أكرهت على الزنا، بل الاكتفاء من هذه بالصمت أولى من الاكتفاء به من البكر؛ فهذا من محاسن الشريعة وكمالها» اهـ من الطرق الحكمية ص ٩٨.

وكذلك فليس في إخفاء زوال البكارة بالرتق تفويت حق الزوج في القسح؛ لأن عدم البكارة ليس منه العيوب التي يثبت بها الخيار كما قدمنا، إلا إن اشترط في العقد، فإن اشترط فيه ثم بان خلاقه ثبت الخيار عند طائفة من العلماء كالشافعية والمالكية، ولا يثبت عند طائفة أخرى كالحنفية، بل إنهم لا يشترط الخيار للزوج أصلاً بأي عيب، وعن أحمد كلام يحتمل أمرين، أحدهما: لا خيار له؛ لأن النكاح لا يرد فيه بعيب سوى ثمانية عيوب، فلا يرد منه بمخالفة الشرط. ولكن العقد الصحيح عند هؤلاء جميعاً سواء قبل بثبوت الخيار أو بعده.

قال الجلال الأغلي في «شرحه على المنهاج»: «لأن المعقود عليه معين لا يتبدل بخلف الصفة المشروطة» اهـ من قليوبي وعميرة (٢٦٦/٣).

وقال الشمس الرملي في «نهاية المحتاج» (٣١٦/٦) ك: «لأن الخلف في الشرط لا يوجب فساد البيع مع تأثيره بالشروط الفاسدة، فالنكاح أولى».

ويضاف إلى هذا أن جماعة من الفقهاء قد نصوا أن من زالت بكارتها بسبب غير وطء كدخول إصبع ونحوه،

لا يرتفع عنها وصف البكارة شرعاً، بل تعتبر بكرةً إما حقيقة عند بعضهم وإما حكماً عند البعض الآخر. قال في مجمع الأنهر (٣٣٤/١) من كتب السادة الخنقية: «(ومن زالت بكارتها) أى عذرتها، وهى: الجلدة التى على الخُل. وفى الظهيرية: البكر اسم لامرأة لا تجماع بنكاح ولا غيره (بوثة، أو حيضة، أو جراحة، أو تعيس) من عنتت الجارية إذا جاوزت وقت التزوج فلم تتزوج (فهى بكرة) حقيقة، أى: حكمهن حكم الأبكار، ولذا تدخل فى الوصية لأبكار بنى فلان؛ لأن مصيبتها أول مصيب لها. منه الباكورة والبكرة لأول الثمار ولأول النهار، ولا تكون عذراء».

وقال الإمام البابرتى الخنقى فى «العناية شرح الهداية» (٢٧٠/٣): «البكر هى التى يكون مصيبتها أول مصيب».

وجاء فى حاشية العلامة الدسوقي على الشرح الكبير (٢٨١/٢) من كتب السادة المالكية أن من أزيلت بكارتها بوثة تعتبر بكرةً؛ لأن البكر أعم من العذراء.

وقال العلامة البحرى من الشافعية فى حاشيته على شرح الخطيب (٣٦١/٣): «وفى معنى البكر من زالت بكارتها بنحو حيض».

وفى الإقناع وشرحه كشف القناع للعلامة منصور البهوتى (٦٣٦/٢) من كتب السادة الخنابلة: «(وزوال البكارة بأصبح، أو وثبة، أو شدة حيضة، ونحوه) كسقوط من شاق (لا يغير صفة الإذن) فلها حكم البكر فى الإذن؛ لأنها لم تخبر المقصود، ولا وجد وطؤها فى القبل، فأشبهت من لم تنزل عذرتها».

وعلى هذا فإن ترميم بكارة المرأة التى طرأ لها التهلك بسبب ما ذكر لا يسبل على المرأة وصفاً هى خالية عنه، بل هو مؤكد لو صف قائم بها وهو البكورة، ودارى عنها الخوض فى عرضها بالظنون الفاسدة والأقاويل الباطلة.

بل يرى الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - أن من زالت بكارتها بزنا خفى فإنها تعد بكرةً وتزوج كالأبكار، ولا تعد ثيباً.

قال فى مجمع الأنهر (٣٣٤-٣٣٥/١): «(وكذا لو زالت) بكارتها (بزنا خفى) عند الإمام - يعنى تعتبر بكرةً - وفيه إشارة إلى أنها لو زنت، ثم أقيم عليها الحد أو صار الزنا عادة لها، أو جومت بشبهة أو نكاح فاسد فحكمهن حكم الثيب، ولو خلى بها زوجها، ثم طلقها قبل الدخول بها، أو فرق بينهما بعنة أو جب تزوج كالأبكار وإن وجبت عليها العدة؛ لأنها بكرة حقيقة، والحياء فيها موجود كما فى البحر».

وفى حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٢٨١/٢) من كتب المالكية: «البكر عند الفقهاء هى التى لم توطأ بعقد صحيح أو فاسد جار مجرى الصحيح، وأما العذراء فهى التى لم تنزل بكارتها بمزيل، فلو أزيلت بكارتها بزنا أو بوثة أو بنكاح لا يقران عليه فهى بكرة، فهى أعم من العذراء».

وعلى هذا رأى فإن من زالت بكارتها بالزنا الخفى، ثم أجرت عملية الرق، فهى الأخرى تؤكد وصفاً

ثابتاً لها، ولا تدعى ما هى خالية عنه من الأوصاف.

وأما دعوى بعضهم أن الرجل لا بد أن يعلم ما كان من امرأته إن كان ثم خطأ ما قد واقعته، فهو قول فاسد فيه ما فيه من الجهر بالمعصية، وهتك ما ستره الله تعالى، والتبع لعورات الخلق، والاستشراف لما نهينا عن استشرافه، والذريعة لحصول الظنون الفاسدة بعده، بل لا تلازم أصلاً بين زوال غشاء البكارة وبين حصول الزنا - كما سلف - وإنما الذى أوجد هذا التلازم هو بعض الأعراف السائدة التى لا ترى عظيم شين فى الرجل ذى العلاقات المشبوهة، بينما تواجد المرأة وتطعن فى شرفها وعرضها بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان.

وقد يعترض بأن فى مثل هذه العملية كشفاً للعورة ولما لها وذلك لا يجوز، والجواب: أن الضرورات تبيح المحظورات، والبنت التى ابتليت بزوال عذريتها قد تعرض فى بعض البيئات للأذى الشديد والظعن فى شرفها وغبتها؛ حيث ارتبط فى أذهان الناس العفاف بوجود غشاء البكارة، وهذه هى حقيقة الضرورة.

وإذا ابتليت البنت بفقد غشاء البكارة - سواء أكرهت على الفاحشة أو أخطأت فعلاً وأرادت التوبة وطلت ما فات - ولم تجد طريقة تستر بها ما حصل لها، فإنها ستعزف عن الزواج خوفاً من فضيحتها وفضيحة أهلها، أو ستضطر إلى مصارحة من يرغب فى الزواج منها فيؤدى ذلك إلى رغبته عنها كما هو الغالب، وقد يفضحها فتصبح مطمعا للفسقة وأراذل الخلق، وقد يسرى الضرر إلى عائلتها أيضاً، وإلى كل من ينتسب إليها فيمتنع الناس عن الزواج منهم ومصاهرتهم، وهذه الأخاذير إن لم ترق لمرتبة الضرورات فلن تنزل عن مرتبة الحاجات بحال، والحاجة منزلة منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة، فكل منهما فى إباحة المحظور سواء.

وقد نص الفقهاء على جواز كشف العورة فى مواضع هى أهون بكثير مما نحن فيه؛ للتوسعة على المكلفين ونفى الحرج عنهم؛ ومن ذلك ما نص عليه السادة الخنابلة من أن حلق العانة لمن لا يحسنه يجزى نظر الغير إلى عورته ومساها؛ ليقوم عنه بما لم يستطعه من ذلك، ولا شك أن الحاجة إلى الستر على النفس ودرء هذه المفاسد أشد من الحاجة إلى الاستحدا.

قال الشيخ منصور البهوتى الخنبلنى فى «كشف القناع» (٢٦٥/١): «(ويجوز كشفها) أى: العورة للضرورة (و) يجوز (نظر الغير إليها لضرورة، كنداء وختان، ومعرفة بلوغ وبكارة وثبوتة وعيب، وولادة ونحو ذلك) كحلق عانة لا يحسنه».

وقال المرداوى فى «الإنصاف» (٢٢/٨): «من ابتلى بخدمة مريض أو مريضة فى وضوء أو استنجاء أو غيرهما فحكمه حكم الطيب فى النظر والمس. نص عليه كذا لو حلق عانة من لا يحسن حلق عانته. نص عليه، وقاله أبو الوفاء، وأبو يعلى الصغير».

وإذا كان كشف العورة مفسدة عظيمة، فإن ما ذكرنا من المفاسد أعظم، والمقرر أنه إذا تعارض مفسدتان روعى أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما.

والله سبحانه وتعالى أعلم

النعمة المفقودة

د. حمدي فتوح والي

من أخطر ما يواجهه الناس في حياتهم فيسعدهم إن حضر، ويؤلمهم إن غاب قضية الأمن النفسي، ويؤكد هذه الأهمية قول الحق سبحانه وتعالى في معرض المن بالنعمة على قريش: ﴿الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ جُوعٍ وَاسْتَكْبَارٍ﴾ (سورة قريش: ٣) فجعل نعمة الأمن في المنزلة التالية لنعمة الطعام والشراب الذي عليه قوام الحياة.

وعندما ذكر المصطفى ﷺ أركان سعادة المرء في حياته جعل نعمة الأمن على رأس تلك النعم فقال صلوات الله وسلامه عليه: «من بات آمناً في سريته، معافى في بدنه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»^(١)

وتعنى بالأمن هنا: ما يجده الإنسان من الشعور بالسكينة والاطمئنان نتيجة ثقته بقوة قاهرة قادرة على حمايته ورعايته في ليله ونهاره وفي حركته وسكونه، وفي يقظته ونومه، وهذا الشعور على أهميته وضرورته، لا تستطيع قوة في الأرض أن تحققه في نفس إنسان أو قلبه مادام قلبه لم يشعر بهذا المعنى، ولم تتوافر لديه دواعي الأمان، فإن أعظم الناس مكانة وأرفعهم قدراً، وأكثرهم

(١) متفق عليه

اعتراض أو امتعاض، وانقا من إحاطة الله به، وإطلاعه عليه وقربه منه، وانفراده وحده بالتصرف في أمره كله، وانقا من قول ربه سبحانه:

﴿لَهُ يَحْكُمُ مَا يُخْلُقُ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِقَدَارٍ ۝ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ الْكُبْرَى ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ هَادٍ ۝ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَبْغُودٍ ۝﴾ (سورة الرعد: ٨: ١١)

ومستيقنا من قول ربه سبحانه:

﴿وَعَنْدَهُ مَقَالِقُ الْغَيْبِ لَا يَبْلُغُهَا الْأَعْيُنُ وَرِجَالٌ لَا يُلَاقُونَ اللَّهَ وَلَاحِقُهُمْ فِي عِلِّيِّينَ ۝ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ هَادٍ ۝ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَبْغُودٍ ۝﴾ (سورة الأنعام: ٥٩: ٦٠)

بهذا اليقين الكامل في علم الله، وبهذه الثقة المطلقة في إحاطته وحفظه، كان لابد أن يجد القلب لذة المعية، ويستشعر القواد لذة القرب، ويذوق الوجدان طعم الأُنس بالله سبحانه وتعالى، وعندها يكون الإيمان قد اكتمل ويكون الشعور بالأمن قد استقر في أعماق القواد، وهذا ما تفهمه من قول الخالق الحكيم سبحانه: «يحدد المعنى الحقيقي للأمن».

(٢) متفق عليه

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُسْتَبَدُونَ﴾ (سورة الأنعام: ٨٢)

والمقصود بالظلم هنا هو الشرك الذي يتنافى وحقيقة الإيمان والذي تجده في قول ربنا سبحانه

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة لقمان: ١٣)

ومن الآيات الكريمة يتبدى لنا بوضوح: أن الأمن لا يجتمع مع الشرك في قلب أبداً وأن الأمن الحقيقي لا يكون إلا حيث يكمل الإيمان وتلك هي الخلاوة التي يشير إليها حديث رسول الله ﷺ بقوله: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود للكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»^(١)

وهذه الخلاوة هي الأمن الذي استشعره المؤمنون الصادقون، ووجد لذته العلماء المخلصون، وهي السعادة التي جعلت العالم الرباني الجاهد تقي الدين بن تيمية يقول: «نحن في سعادة لو علمها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيف».

ولقد قص القرآن علينا مواقف لأنبياء الله وقبورها أمام الباطل في شموخ وإباء، ما حملهم على الثبات فيها إلا شعورهم بالأمن القلبي الذي أثمره لديهم صدق الإيمان، وعمق اليقين.

ففى سورة الأنعام يقدم الحق تبارك وتعالى صورة لوقائع حوار بين إبراهيم وقومه يختمه بقوله سبحانه:

﴿وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ قَالُوا لِمَ تَحْجُرُنَا فِي اللَّهِ وَقَدْ مَدَّ يَدُ الْأَخِلَّاءِ مَا تَشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبُّ شَيْءٍ وَسِعَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيفَ أَخْلَقَ مَا تَشْرِكُونَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْإِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ فَذَرْهُمْ وَلَا يَزَلِ فِي عِلْمِكَ سُلْطَانًا فَآىُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُسْتَبْرَحُونَ ﴿٨٢﴾﴾

(سورة الأنعام: ٨٠: ٨٢)

ومن يتأمل فى الاستفهامات الواردة فى الآيات يدرك أنها جميعا تقوم على إبداء الدهشة والإنكار والتعجب من شأن هؤلاء المحجورين المظموسين عندما انطمست بصائرهم فغاب عنهم إدراك حقيقة الوجدانية، وذهبوا يحاجون إبراهيم فى إيمانه بربه، ويخوفونه نعمة آلهتهم فقال لهم متعجبا دهشا:

﴿أَحْجُرُنَا فِي اللَّهِ وَقَدْ مَدَّ يَدُ الْأَخِلَّاءِ مَا تَشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبُّ شَيْءٍ وَسِعَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

ولا يجد ما ينهض تعليلا لهذا التوجه الأحمق إلا أنهم فقدوا عقولهم، وغابت عنهم ذاكرتهم التى بها يفقهون ويعقلون فيقول لهم موبخا:

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

ثم يقدم لهم الحقيقة ناصعة باهرة دامغة، لعلهم يفقهون من سباتهم وينتبهون من غفلتهم

(١) فى خلال القرآن ج ٣ ص ١١٤ ط السابعة

فيوقفهم أمام أنفسهم باستفهام تعجبي آخر، لكنه يقدم معه الحجة الدامغة الباهرة بقوله: «وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فأى الفريقين أحق بالأمن».

إنه منطق المؤمن الواثق المدرك لحقائق هذا الوجود، إنه إن كان أحد قميئا بالخوف فليس هو إبراهيم - وليس هو المؤمن الذى يضع يده فى يد الله ويمضى فى الطريق - وكيف يخاف آلهة عاجزة - كائنة ما كانت هذه الآلهة، والتى تبدى أحيانا فى صورة جبارين فى الأرض بطاشين، كيف يخاف إبراهيم هذه الآلهة الزائفة العاجزة، ولا يخافون هم أنهم أشركوا بالله ما لم يجعل له سلطانا ولا قوة من الأشياء والأحياء؟ فأى الفريقين أحق بالأمن؟ الذى يؤمن به ويكفر بالشركاء؟ أم الذى يشرك بالله ما لا سلطان له ولا قوة؟!

أى الفريقين أحق بالأمن لو كان لهم شىء من العلم والفهم؟! (١)

هنا يتزل الجواب من الملاء الأعلى، ويقضى الله بحكمه فى هذه القضية:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُسْتَبْرَحُونَ﴾

وهذا الأمن الذى عايشه إبراهيم نتيجة ما يحمله فى قلبه من يقين خالص وإيمان صادق

هو الذى حمله على مواجهة الكفر التمردى وهو فرد أعزل من كل سلاح، وانطلق يكسر أصنامهم فى ثقة وكبرياء وشموخ، وعندما عقدوا له محكمتهم الأثمة الظالمة الفاجرة لم يتردد فى السخرية منهم لعلهم يرجعون ويفقهون.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ كَيْفَ بِكُمْ مَهْلِكًا فَمَا تَكْفُرُونَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ﴿٦٣﴾﴾ (سورة الأنبياء: ٦٣)

وبصدر الحكم فظيلا مريعا:

﴿قَالُوا لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَأَصْرُهُمْ فِي يَمِينِ قَوْمِهِمْ كَمَا أَفْلَحُوا بِطَغْوَانِ﴾

(سورة الأنبياء: ٦٨)

لكن قلب إبراهيم الذى امتلأ إيمانا ويقينا يدرك أن مقاليد الكون كله بيد مولاه سبحانه وتعالى، ويعلم بما علمه ربه أنه لن يهلك والله معه. ولن يخذل والله ناصره.

أليس هو القائل عن ربه:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطِيعُنِي ﴿٧٩﴾ وَسَيَعِينُنِي ﴿٨٠﴾ وَإِذَا أَرَادْتُ مَسَاجِدَ يُسْتَفِينُنِي ﴿٨١﴾ وَالَّذِي يُسَيِّئُ لِمَنْ يَشَاءُ يُفْسِدُنِي ﴿٨٢﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي وَخَطِيئَةَ آبَائِي وَإِنَّهُ يَكُونُ رَحِيمًا عَلِيمًا ﴿٨٣﴾﴾ (سورة الشعراء: ٧٨ - ٨٢)

إنه اليقين الذى أثمر المعية، والمعية التى أثمرت الأمن والاطمئنان.

وبهذا الشعور الذى لمسناه فى وجدان إبراهيم فلم يجزع أمام كيد الطاغية وهو يسمع

الحكم، ويرى التنفيذ لهبا يرتفع إلى عنان السماء، فلا يزيده ذلك إلا ثقة بربه وتوكلا عليه، يمثل هذا الشعور لاقى نبي الله موسى كيد فرعون عندما ﴿فَاتَّبَعَهُ فَرِيعُونُ وَخَلُوعُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٠﴾﴾ ﴿قَالَ الْحَبِيبُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿١٠١﴾﴾ لكن موسى كان له مع الله شأن آخر فما كان جوابه إلا أن قال ﴿كَلَّا إِنَّ نَبِيَّ رَبِّي سَيِّدُنِي ﴿١٠٢﴾﴾

إنه يدرك يقينا أن الله لن يخذله، وأنه لابد واجد سبيلا إلى الخلاص، لأنه يدرك أن الكون كله بيد الخالق، وأنه لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء.

ومن فضل الله على هذه الأمة أن هيا لها أسباب الوصول إلى حالة الأمن النفسى، والاستقرار الروحى، والرضا القلبى، وذلك عندما فرض عليها الصلاة، فكانت معراجا دائما إلى الله، وسبيلا موصلا إلى رضاه، لأن الصلاة تعنى إحراز النفس فى كنف الله واستسلام العبد كاملا لمولاه فيشعر فى كنف ربه بالأمن والأمان وهذا ما نفهمه من قول ربنا سبحانه:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَإِذَا تَجَافَى السُّجُودَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَانَهُ لَعْنَةُ الْعَرَفِ ﴿٣﴾ وَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِمَّا كَانَتْ تَرْغِبُهُ إِلَى أَنْ يُخْلَقَ سَاجِدًا لِأَمْرِ اللَّهِ ﴿٤﴾﴾ (سورة المعارج: ١٩ - ٢٣)

حركة الأرض و القمر

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

ظفر القرآن الكريم، بما لم يتطرق به كتاب سماوى أو أرضى من اهتمامات البشر جميعهم: سواء من أمن به ومن كفر!! وكل هذه التحليلات والدراسات العلمية والأدبية والفنية والأخلاقية والتشريعية، التي ترمى إلى تحقيق هدف صحيح، لم تصل في نهاية كل مطاف إلا إلى نتيجة واحدة، هي أن هذا القرآن ليس من صنع البشر، وإنما هو وحى أوحاه الله - عز وجل - الذى أبدع هذا الكون، وأقام أركانه على حقائق ثابتة.. إلى نبيه ومصطفاه محمد - ﷺ - وإن كان هناك فى كل عصر نفر من المعاندين المكابرين، ممن يدعون أنه من عند محمد - ﷺ - وذلك بالرغم مما فيه من الشواهد التي تجل عن الحصر، ولكنهم عنها عمون، وأمام دلائلها صم بكم عمى فهم لا يعقلون...!!

﴿وَلَوْ أَنَّا أَطَّعُوا الْأَوَّلِينَ أَكْتَسَبْنَا فِيهِ مُثُلَ نَارٍ كَبِيرَةٍ وَأَصِلًا ۝
قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝﴾

(الفرقان: ٦، ٥)

والعجيب، أن هذه الأدلة والبراهين العلمية ظهرت على يد غير المسلمين، وهو من إعجاز قول الله - عز وجل - فى هذا القرآن:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْآيَةُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا تَحْتَدُّونَ ۝
أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ آيَةٌ أَنَّا نَكْتُبُ الْكِتَابَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَ رُكُوعٍ ۝﴾

(فصلت: ٥٣)

ومن الأدلة الواضحة التي تشهد بأن هذا القرآن حق، وأنه من عند الله - عز وجل - ما يحتوى عليه من الإشارات الكونية التي أكدت عليها البحوث العلمية الحديثة، وكلها أو معظمها من نتائج البحوث التي أجريت فى الهزيع الأخير من القرن العشرين...!!

بين القرآن و العلم الحديث

ويقول أيضاً:

﴿قُلْ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ السِّرَّ الَّذِي فِي الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ نُنْزَلَ فِيهَا لَكُنَّا قَوْمٌ مِّنَ الْخَاسِرِينَ ۝﴾

(الكهف: ١٠٩)

ولكن... هناك مصطلحان يكتنفان هذا الميدان، قد يشبه أحدهما بالآخر فى رؤية بعض الباحثين يجب التمييز بينهما، وهما مصطلح «التفسير العلمى للقرآن الكريم»، ومصطلح «الإعجاز العلمى للقرآن الكريم»، وهو ما قد يؤدى إلى شيء من اللبس فى هذه القضية، ونظراً لأهمية الموضوع، وللحساسية الشديدة التي تكتنف هذا المجال المقدس - أعنى مجال الدراسات القرآنية - أود أن أترك المجال لأحد الفرسان البارزين فى هذا المضمار، ليوضح الفرق بين هذين المصطلحين.

يقول الدكتور زغلول النجار: «أما عن الفرق بين التفسير العلمى للقرآن الكريم، والإعجاز العلمى فى هذا الكتاب الكريم، فأقول:

«فالقرآن الكريم، يحتوى على أكثر من ألف آية صريحة تتحدث عن الكون، وعن بعض مكوناته وظواهره، بالإضافة إلى آيات أخرى كثيرة تقترب دلالتها من الصراحة، وهذه الآيات لم ترد من قبيل الإخبار العلمى المباشر للإنسان، وذلك لأن الكشف ترك لاجتهاد الإنسان، وتحصيله عبر فترات زمنية طويلة، نظراً لمحدودية القدرات الإنسانية، وللطبيعة التراكمية للمعارف المكتسبة»^(١) حتى نشأ نتيجة لذلك ما سمي - وبحق - «الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم» وهذا الميدان الجديد، من ميادين الدراسات القرآنية بحر لا ساحل له، وذلك لأن هذا الكون كتاب الله المفتوح، وهو يعد فى أحد اعتباراته تفسيراً لما ورد فى شطر كبير من آيات كتاب الله المقروء. يقول الحق - تباركت أسماؤه:

﴿وَوَاقِعًا فِي الْأَرْضِ مَنَاقِبُ الَّذِينَ هَدَيْنَا لِنُذَكِّرَ الْبَاقِيَ ۝
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْنَا الْكِتَابَ الْحَكِيمَ ۝﴾

(لقمان: ٢٧)

(١) «قرأ كتاب «من آيات الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم - المفهوم العلمى للجمال» د. زغلول النجار ص ٩ وما بعدها.

«إن التفسير العلمي، يقصد به توظيف كل المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآية القرآنية، وهذه المعارف، قد تكون حقائق وقوانين، كما قد تكون فروضاً ونظريات، ونحن ندعو إلى توظيف الحقائق والقوانين كلما توفرت، فإن لم تتوفر فلا أرى حرجاً من توظيف النظريات، لأن التفسير يبقى محاولة بشرية لحسن الفهم، إن أصاب فيها المفسر فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، ولا نسحب خطأه على جلال القرآن الكريم.

«أما موضوع الإعجاز العلمي، فهو موقف من مواقف التحدي، الذي نريد أن تثبت به للناس كافة، أن هذا القرآن - الذي أنزل قبل ألف وأربعمائة سنة على النبي الأُمِّي ﷺ - في أمة كان غاليته الساحقة من الأميين - يحوى من حقائق هذا الكون ما لم يستطع العلماء إدراكه إلا منذ عشرات قليلة من السنين»^(٢).

وبناء على هذا التمييز بين هذين المصطلحين اللذين ذكرهما الدكتور النجار، فإننا نحن الآن، إنما نتحدث في مجال «الإعجاز العلمي لكتاب الله»، لنرد على هؤلاء الذين يثيرون الشبهات حول القرآن الكريم مدعين أنه من عند محمد بن عبد الله ﷺ تمهيداً لإزاحته من طريقهم حتى يتجنحوا في مسغاهم الخبيث، وهو أن يحلوا محله «فرقاتهم» الأمريكي المشبوه.

وفي هذه الحلقات التي نحن بصددتها نتابع

الحديث حول بعض الظواهر الكونية، التي أكدت على أن هذا القرآن من عند خالق هذا الكون الفسيح، لما أبدت من التطابق التام بين مجريات حركاتها المتناسقة، التي لم يكشفها الإنسان إلا منذ عقود قليلة من الزمن، وبين ما نطق به كتاب الله الذي أنزل على قلب هذا النبي الأُمِّي، منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً!!!

مثلاً، يقول الحق - تبارك وتعالى - في كتابه الكريم:

﴿وَأَيُّ لَئْلَئِلِ شَيْءٍ يَمُنُّ أَتَى اللَّهُ الْفَلَاحَ وَهُوَ يُكَلِّمُ الْوَحْيَ وَالْغَيْبَ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ إِلَّا مَا يُشَاءُ اللَّهُ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ فَتَبْلُغُ أَرْضَ الْبَرِّ وَالْأَرْضُ تُجْعَلُ أَحَدًا وَاحِدًا كَالْعِشْجِ الْفَاحِ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ إِلَّا مَا يُشَاءُ اللَّهُ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ فَتَبْلُغُ أَرْضَ الْبَرِّ وَالْأَرْضُ تُجْعَلُ أَحَدًا وَاحِدًا كَالْعِشْجِ الْفَاحِ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ إِلَّا مَا يُشَاءُ اللَّهُ﴾ (يس: ٣٧).

ويقول أيضاً:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَمْتَخِطُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ الْقُرْآنَ لَأَفْلَحُوا (بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ) طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأْمُرُ بِالْإِفْكِ وَالْكَذِبِ وَالْعَدْوِ إِلَى أَعْتَادِهِمْ إِنَّهُمْ لَخَبِيرَاتٌ بِمَا يُفْكُونَ﴾ (النمل: ٢٩).

ويقول:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَمْتَخِطُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ الْقُرْآنَ لَأَفْلَحُوا (بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ) طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأْمُرُ بِالْإِفْكِ وَالْكَذِبِ وَالْعَدْوِ إِلَى أَعْتَادِهِمْ إِنَّهُمْ لَخَبِيرَاتٌ بِمَا يُفْكُونَ﴾ (النمل: ٥).

وينجمع بين هذه الآيات البينات في نسق إعجازي واحد، أنها تشير إلى حركة الأرض تجاه كل من الشمس والقمر، وما يحدث نتيجة لذلك

من تتابع بين آتني الليل والنهار حيث يجيء الليل بعد النهار كما يجيء النهار بعد الليل.. وهكذا دواليك، وحيث يتداخل كل منهما في الآخر بعض الوقت عند ذهابه وعند عودته، هذا التداخل هو ما عبر عنه النص القرآني العجيب بالتكوير في

﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (النمل: ٢٩).

لقد كان الاعتقاد السائد زمن نزول القرآن الكريم، وإلى ما بعد ذلك بأكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان أن الأرض هي مركز الكون، وأن كلا من الشمس والقمر يدوران حولها لتبادلًا مهمة الإضاءة والإنارة للبشرية التي تعيش على سطح هذه الأرض، إذ لم يكن هناك نص صريح ومباشر من القرآن أو من السنة يؤكد على أن الأرض كروية الشكل، وأن القمر يدور حولها، وأن الشمس هي مركز مجموعتنا الشمسية التي تعد الأرض أحد كواكبها، وعلى هذا ساد الاعتقاد قروناً متطاولة من الزمان، ولكن خلال القرن العشرين، أو قبله بقليل استطاع الإنسان أن يرى من عجائب صنع الله في هذا الكون ما لم يسبق له به عهد، مما تأكد له من خلاله، أن الأرض تدور حول محورها، بما يسمح لليل والنهار أن يتبادلا مواقعهما على سطح الكرة الأرضية، وبالتدريج وهو ما يعبر عنه قول الله - عز وجل - في آية سورة «يس» «بالتكوير»:

﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (النمل: ٢٩).

و«التكوير» في قوله تعالى في آية سورة الزمر:

﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (النمل: ٢٩).

﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (النمل: ٢٩).

ويوضح هذه الحقيقة الكونية، وما بها من إعجاز أشار إليه القرآن الكريم الدكتور «موريس بوكاي» في كتابه «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم»، حين يقول: «إن الشمس تضيء بشكل دائم (فيما عدا فترات الخسوف) نصف الكرة الأرضية، التي تقع أمامها، على حين يظل النصف الآخر مظلمًا، وقد رأى رواد الفضاء الأمريكيون هذا وصوروه من على القمر مثلاً.. وبدوران الأرض حول نفسها على حين تظل الإضاءة ثابتة، فإن المنطقة المضاءة منها - وهي على شكل نصف كروي - تؤدي في أربع وعشرين ساعة دورتها حول الأرض، على حين يتم النصف الآخر المظلم في نفس الوقت نصف الرحلة، والقرآن يصف بشكل كامل هذه الدورة التي لا تكف أبداً للنهار والليل، وهي اليوم يسيرة على الإدراك الإنساني، فحين نملك اليوم خيرة فكرية عن ثبوت الشمس، وعن دورة الأرض، هذه العملية الدائمة في التكور مع الولوج المستمر لقطاع آخر يعبر القرآن عنها، وكأن اكتشاف استدارة الأرض كان قد تم في عصر تنزيل القرآن، وبالطبع لم يكن هذا قد حدث بعد»^(٣).

ومما يسهم في إيضاح هذه الحقيقة الكونية التي أشار إليها القرآن الكريم، وهي حقيقة الحركة

(٣) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم.. د. موريس بوكاي - فصل «تعاقب الليل والنهار»

(٢) د. زغلول النجار «من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم» ج ١ ص ٣٥، ٣٦

الدائبة والمستمرة للقمر تجاه الأرض... وللأرض حول الشمس ما أثبتته العلم الحديث من أن الأصل في الكون إنما هو الظلمة، أما الضوء والنهار فهما طاران حينما يسقط النور من القمر على الوجه المقابل له من الأرض، وحينما يسقط الضوء من الشمس على الوجه المقابل لها من الأرض بالتبادل مع القمر... والذي يدل على أن الأصل في الكون إنما هو الظلمة كلمة «نسلخ» في قوله تعالى:

﴿وَأَيُّكُمْ آلُ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾

فالنهار إنما هو بمثابة القشرة التي تغطي أصل الثمرة فإذا انسحلت قشرتها ظهرت حقيقتها... «فالآية إنما تشير إلى إزالة الغلاف من الأصل، والطارئ من المستديم، والقشرة المضيفة من مكان الليل المظلم المغطي للكوكب على الدوام، فالأصل في الكون هو الليل وليس النهار، وبذلك فإن تعبير النسلخ تعبير علمي دقيق وإشارة قوية إلى أن ضوء النهار طارئ ينشأ في الغلاف الجوي لقشرة رقيقة منيرة بالنسبة لأعماق الفضاء الحالكة، وهذه الأنوار يتم سلخها من الظلام بدوران الأرض حول نفسها كما نسلخ جلد الحيوان من جسده، فأنوار النهار، ليست ضياء ذاتياً في الجو لكنها انعكاس وتشتت على ذرات هذا الغلاف الجوي كزينة مؤقتة لليل دائم، وكقشرة يتم سلخها يومياً لتعود إلى الظلام

كآية من آيات الله»^(٤).

لقد ثبت مؤخراً أن طبقة الضياء حول الأرض لا تتعدى النصف المقابل للشمس... هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن سمك هذا الضوء لا يزيد على ٢٠٠ كيلو متر فوق سطح الأرض وما عدا ذلك فهو ظلام دامس، وبعبارة القرآن الكريم، ظلمات بعضها فوق بعض، حيث إن القرآن الكريم يتحدث - كما يقول الدكتور زغلول النجار - عن الظلمة والنور، أو الظلمات والنور كأن هناك أكثر من ظلمة واحدة. ويأتي العلم التجريبي ليؤكد على أن طبقة النور حول الأرض هي طبقة رقيقة للغاية لا يتعدى سمكها ٢٠٠ كم، وهي في النصف المواجه للشمس... وبإلى الكون ظلام دامس، والنصف الآخر من الأرض تتصل فيه ظلمة الأرض بظلمة السماء، ولكنه حينما يدخل نطاق الغلاف الغازي، وبدأ ينشأ على جسيمات الذرات الصلبة في الهواء وجزيئات بخار الماء، يتحول هذا الضياء إلى نور، ويضاء النهار إضاءة مبهرة تعين الإنسان على السعي في هذه الحياة، ولولا هذه الخاصية، ما تمكن الإنسان من العيش على هذا الكوكب على الإطلاق».

ويواصل الدكتور النجار حديثه قائلاً^(٥): «أما الباقي - أي باقي مساحة الكون بعد عبور منطقة المائتي كيلو متر - لا يرى إلا ظلام «دامس، أما الشمس فتبدو على هيئة قرص أزرق في صفحة سوداء شديدة السواد... حتى إن أول رجل تجاوز المائتي كيلو متر أصابه شيء من الدهول،

(٤) د. منصور حب الشبي في «إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان» ص ١٥٠ ط دار الفكر العربي.

(٥) حقائق مستخلصة من الحوار الذي دار بين الدكتور زغلول النجار والأساتذة أحمد فراج من خلال برنامج «نور على نور». اقرأ كتاب «من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم» للدكتور زغلول النجار ج ٢، ص ١١، ١٠ مكتبة الشروق الدولية.

وقال كلمة أو جملة مبهرة.. قال: كأني فقدت بصري، أو اعتراني شيء من السحر...!! وهو ما يتناسق مع قول الله - عز وجل -:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سَحَابٌ مَّذْكُورٌ نَّابِلٌ مِّنْ سَحَابٍ مَّزْكُورٍ﴾

(سورة الحجر: ١٤، ١٥)

لقد تعددت أوجه الإعجاز القرآني بما يتسع لمفاهيم البشر كافة وقيم الحجة الناهضة عليهم بأن كلام الله - عز وجل - الذي أوصاه إلى عبده ومصطفاه محمد ﷺ وهو ما يدعو إلى ضرورة تعدد أساليب الدعوة إلى الله، وإلى الإيمان بأن هذا القرآن كلام الله - تبارك وتعالى - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ودراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم «أسلوب جديد في الدعوة إلى الله تعالى - كما يقول الدكتور زغلول النجار في كتابه «المفهوم العلمي للجمال» - وإلى دينه الخاتم، لم يكن متوفراً لنا من قبل، وعلى المسلمين استعماله بحكمة بالغة في زمن فتن الناس فيه بالعلم فتنة كبيرة، وكثرت مفتريات المفترين على الإسلام والمسلمين في كافة وسائل الإعلام، كما كثرت المؤامرات على أمة الإسلام والمسلمين في كل أرض وفي كل مكان وأصبحت أراضي المسلمين مشحنة بالحروب، ومستباحة من قبل الأعداء، وغارقة في الدماء، ومدمرة تدميراً كاملاً بسبب ما شوه به أعداء الله صورة هذا الدين، وصورة أتباعه من المسلمين، وعجز هؤلاء عن القيام بواجب الدعوة إلى دين الله الخاتم. وأحسب أن الدعوة بتوحيف الإعجاز

(٦) المرجع السابق ص ٢٣

العلمي في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ هو من أنسب أساليب الدعوة في زماننا، زمن العلوم الكونية والتقنية»^(٦).

يقول علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن» قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نيا ما قيلكم، وخير ما بعدكم، وحكم ما يبتكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشعب معه الآراء، ولا يشع منه العلماء، ولا يملأه الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»^(٧).

وأحسب أننا الآن في زمن الفتن التي حذر منها رسول الله ﷺ فقد حورب الإسلام بكل الوسائل، وفي كل مكان من أرضه، واستيحت حرمانه، وانتهكت مقدساته، وهدمت مساجد المسلمين فوق رؤوسهم. وهذا كله في العلن وفي وضوح النهار، كما قامت الصهيونية الماكرة بالتعاون مع الصليبية الغربية الحاكمة بعمل كتاب أسود يحاربون به القرآن الكريم، وأطلقوا عليه «الفرقان الحق» يهدفون من وراءه إلى شطب القرآن الكريم من العالم الإسلامي تماماً.

(٧) أخرجه الترمذي والدارمي وغيرهما.



الإسلام في الألفية الثالثة



عرض وتحليل ونقد
الدكتور إبراهيم عوضين

116

• **Wavelength**

١٠٢٩ هـ

كثيرة، مثل بقاء اليونان على مسيحيتها في ظل الحكم الإسلامي العثماني من خمسمائة عام.. إلى غير ذلك من المظاهر المختلفة التي تعلن عن رسوخ التسامح الديني في ظل الإسلام.

وأما الأمر الثاني فهو قدرة الإسلام على الاحتفاظ ببقائه دون ذوبان في الآخر، مما دفع الغرب - منذ العصور القديمة - إلى تقدير أن الإسلام شكل وكيان ذو صبغة واحدة، ونظام صارم لا يعرف المرونة، يخشاه الغرب ويخافه، وظل هذا التقدير هو الذي يحكم علاقة الغرب بالإسلام منذ القدم إلى يومنا هذا، لذهول الغربيين ودهشتهم من توسع الإسلام المستمر من غير إكراه، دون أن يفهموا سبب ذلك غافلين - أو متغافلين - عن سبب لجوء تلك الأعداد الهائلة من مواطني بيزنطة، وفارس إلى المسلمين، واعتناقهم الإسلام، المتمثل في ثلاثة أمور، هي: التسامح الديني، وقيام نظام الضرائب وإدارة شؤون البلاد على العدل، وقرب التصور الإسلامي للإله من تصور الكثيرين من المسيحيين غير المؤمنين بما تعتقه الكنيسة الرسمية.

وبدلاً من تفهم هذه الحقيقة والتعامل على أساسها.. راح المسيحيون الغربيون يشرون أساطيرهم الكاذبة الزائفة اعتماد الإسلام في انتشاره على السيف، ليدافعوا عن أنفسهم وعن شعورهم الكاذب بالتميز، وعائسة العنف إلى الإسلام في العصر الحديث إلا طور من هذه الأكذوبة، على الرغم من تأثير الغرب بالازدهار الثقافي والعلمي للحضارة الإسلامية وإنجازاتها في مجالات عدة، مثل علم الكلام والفلسفة اللاهوتية، وشعر الغزل والغناء، وفن العمارة، والطب، والصحة، والرياضيات إلى غير ذلك من مجالات العلم والحضارة

التي حرص الغربيون على تجاهلها استجابة للعقلية التي أثمرتها الحروب الصليبية في تحديد العلاقات بين الشرق والغرب، والتعامل مع الإسلام على أنه خروج على المسيحية يجب محاربتها بكل الطرق، وليس على أنه دين آخر، فلم يترددوا في ارتكاب أي جرم حتى شتى الأطفال، وأكل لحومهم، واختراع أحط النعوت لإصافها بمحمد «صلى الله عليه وسلم» تبريراً لحشية الكنيسة الكاثوليكية من الاعتراف بمحمد قائداً للإسلام الذي اعترفت به واحداً من طرق النجاة، مما يثير الدهشة والتعجب من هذا التناقض الصريح.

ويرى الدكتور: أن الذي دفع الغرب قديماً إلى الحروب الصليبية هو الذي دفع الغرب حديثاً إلى استعمار البلاد الإسلامية، وما ترتب عليه من انتهاك لكل الحرمات، على نحو ما حدث في البوسنة، وكوسوفا من حروب الإبادة للقضاء على آخر الآثار الإسلامية في البلقان، من كل ما أقر في نفوس المسلمين استمرار الحروب الصليبية في ثياب رجال الأعمال، خصوصاً مع تأكيد الأدلة على دور الكنيسة في اختراع النعوت المسينة للإسلام وإصافها به، ودورها في الزعم أن الأخيار هم فقط المسيحيون، وأن القلة القليلة من المسلمين إذا كانوا من المسلمين يتحولون في النهاية إلى المسيحية، مكررة - بذلك - ما كان يصدر عن المستشرقين التبشيريين في القرن الثامن عشر.

ويرى الدكتور (هوفمان): أن الإسلام - في وقتنا هذا - تحققت له أسباب الانتشار في العالم أجمع بفضل الثورة التكنولوجية في وسائل الانتقال والاتصال، والمعلومات، والعولمة الاقتصادية.. على الرغم من هذه الحرب الشواء المستمرة، عسكرياً وثقافياً، وإعلامياً

بقصد القضاء على الإسلام أو الحد من انتشاره، فقد أصبح له موضع رصين وعميق في أمريكا، وفي غربي أوروبا منذ سبعينيات القرن العشرين، حتى لقد أدى هذا المد الإسلامي إلى انتشار المسلمين في أنحاء العالم كافة، وإلى وجود تجمعات إسلامية في كوريا، واليابان، وبوليفيا، وغيرها من البلاد الأوروبية والأمريكية الشمالية والجنوبية.

على طريق ميلاد علاقة بين الشرق والغرب

وفي الفصل الرابع (وسائل الإعلام تحت المراقبة) تناول الدكتور (هوفمان) دور الإعلام في نفس جميع القُرص التي تهبط لميلاد علاقة طبيعية بين الشرق والغرب، فاستعرض أمثلة مختلفة لما يختلفه رجال الإعلام الغربي من معاول توسع الفجوة بين الشرق والغرب وتعميقها، بحيث تراكم أسباب الفزع والخوف من الإسلام في نفوس الغربيين من جهة، وبحيث تثير أسباب السخط والغضب في نفوس المسلمين من جهة أخرى، على الرغم من أن الجو العام - فيما يبدو للوهلة الأولى - مهيأ لأن ينسى المسلمون مواقف الغربيين المسيحيين منهم، ويتصوروا من الأوروبيين تعاملات طيبة بلا تحفظ، خصوصاً مع قولهم هذا التنوع في الأفكار والمعتقدات، ومع نزعة ما بعد الحداثة وقبولها كل ما هو هامشي ومختلف، حتى غدا العالم كأنه «سوبر ماركت» مختلف الديانات والاتجاهات مع نزعة تسامح بلا حدود، حتى إن المرء ليقن أن الغرب أصبح يطبق فعلاً مبدأ التسامح الذي دعا إليه الملك «فريدريك الثاني» ملك بروسيا، والذي جاء فيه: «للمارس كل امرئ دينه وفق طريقته» غير إن الدكتور «هوفمان» يلاحظ: أن الصورة تتغير تماماً مع الإسلام، حيث يختفي التسامح، وتتغير الروى،

قاللحية التي تدل على التقديرة عند (جباراً) تكون دليل الرجعية من المسلم، وغطاء الرأس التي تتحلى به العذراء في الأيقونات ويثير المشاعر الإيجابية، يتحول إلى أن يكون عنوان التخلف إذا تحلت به المسلمة، والعادات والطقوس الصادرة من اليهودي نحوز الرضا والإعجاب، فإذا صدر مثلها من المسلم تعبت بالغريبة والشذوذ والإيهام، وجهل العصور الوسطى، ومخالفة الدستور.

ويرى الدكتور: أن وسائل الإعلام تتحمل القدر الأكبر من المسؤولية في جعل الإسلام في مقدمة الديانات المرفوضة والمستكرة، فليس هناك شك في أن استمرار عدم التسامح إزاء كل ما هو إسلامي إنما هو من أعمال وسائل الإعلام التي يحتلها ويعمل فيها - في الغالب - أناس لا يأبهون بالدين ولا بقيمه، فيهم يقدمون الإسلام في هيئة فكر، وليس ديناً وعقيدة، ويقدمون المسلمين في هيئة عدوانيين توسعيين يجتحمون إلى التعصب والعنف والإرهاب، ويدبتون بدين عقي عليه الزمن، ولا أمل في إصلاحه أو تنويره أو إخراجهم من ظلمات العصور الوسطى التي يقبع فيها.

فإذا كان الجو العام مهيأ لأن ينسى المسلمون مواقف الغربيين المسيحيين منهم على مدى قرون ممتدة، فإن ما يقدمه الإعلام الغربي بهذا الشكل المتفرز ينسف القُرص كافة لإعادة ميلاد علاقة طبيعية بين الشرق والغرب، لأن هذا الإعلام يشوه صورة الشرق الإسلامي في أذهان الغربيين، ويثير غضب المسلمين على الغربيين، ويفقداهم الثقة فيهم.

وبزيد الأمر سوءاً قلق المجتمع الغربي الناشئ من انتشار البطالة في أماكن كثيرة من أوروبا الغربية، وشعور

الغربيين أن الأجانب الذين ينازعونهم فرص العمل القليلة ليسوا أجانب فحسب، بل هم - إلى ذلك - مسلمون.

لقد أدى هذا وذاك إلى فشل السياسة الغربية في معالجة ما واجهوا من قضايا متارة، وصراعات ناشئة، كما رأينا في البوسنة، وما أوقعه الصربون فيها من حرب إبادة قتل فيها مائتا ألف بوسني، وطرد ثلاثة ملايين، واغتصب عشرات الآلاف من نسائهم، وهدم مائة ألف مبنى أخرى.

ومع هذا كله.. استطاع الإعلام الغربي أن يضلل العالم، ويقلب الحقائق، ويريقها باقتان تام، حتى أصبح الأمل في تحول هذا الإعلام إلى الحقائق أمراً ميتوساً منه، لا يتصور تحققه إلا بتأثير معجزة خارقة.

ولكن - مع فقد الأمل في التحول الإعلامي - يظهر بوضوح من نور قد يبدد هذا اليأس القائم، أو يخفف من شدة إظلامه، حيث يلوح اليوم في الأفق ظهور عدد من علماء المسلمين الغربيين المتشربين في شتى المدن الغربية بمعلوماتهم الوفيرة عن الإسلام، وموقفهم الموضوعي منه الخالي من الأحكام المسبقة.

ويخلص الدكتور (هوفمان) من ذلك إلى أن المسلمين يستطيعون بهذا أن يأملوا في تحسين صورة الإسلام، بشرط أن يكونوا على استعداد تام للاعتراف علانية، ودون مواربة بأن العالم الإسلامي يسهم بنصيب والفر في تشويه صورة الإسلام، لأن هذا العالم نفسه لا يسر على نهج الإسلام في كثير من مناحي الحياة، فالواجب على المسلمين أن لا يحلموا بتغيير ومنتظروا وقوعه، بل عليهم أن يقوموا هم بصناعة هذا التغيير، وذلك بالحرص على التواجد داخل الصحافة، والتلفزيون،

والإذاعة قبل إنشاء صحافة وتلفزيون وإذاعة إسلامية تمثلها، فالتمثيل من داخل أقوى.

■ حقوق الإنسان بين الإعلان والممارسة

وفي الفصل الخامس (عن الحقوق الشفراء وغيرها) قدم الدكتور (هوفمان) قائمة بالانتهاكات التي يصر الإعلام الغربي على الصاقها بالإسلام، حتى أصبحت محور أي حوار مسيحي إسلامي، بتقديرها نقاط تنفر من الإسلام والمسلمين، وعقبة تعوق تطبيع العلاقات مع الإسلام والمسلمين، وتتمثل في ثلاثة أمور، هي: موقف الإسلام من حقوق الإنسان، وموقف الإسلام من حقوق المرأة، وموقف الإسلام من الديتقراطية، ثم انبرى مقدنا هذه الأمور الثلاثة متطابقاً من الواقع الإسلامي تشريعاً وسلوكاً.

فذكر الدكتور: أن اتهام المسلمين بعدم القدرة على ممارسة حقوق الإنسان اتهام يذلل المسلم ويدهشه حين يتبين أن الغربيين يوجهون هذا الاتهام لهم متيقنين أنهم هم الذين اكتشفوا حقوق الإنسان، ووضعوا مبادئها، وأنهم هم الذين يستأثرون بها دون غيرهم، وأن المسلمين ليسوا قادرين على ممارسة حقوق الإنسان.

والذي يثير دهشة المسلم أمام هذا الاتهام إنما هو علمه اليقيني أن التاريخ يقر بأن الغرب لم يبدأ التفكير في حقوق الإنسان إلا في سنة ١٢١٥م مع لائحة (الماجنا كارتا) البريطانية، وعلى أطوار تلك اللائحة استند إعلان حقوق الإنسان للأمم المتحدة ١٩٤٥م، فلا فضل للمسيحية في إتمامها، حيث كانت الكنيسة المسيحية - حتى عهد البابا (يوحنا) الثالث والعشرين في القرن الماضي تدن فكرة حقوق الإنسان، وتصفها بالعلمانية، وتلصق بها الكثير من الصفات السلبية إلى أن أصدر

الفايكان الشهور الباباوى باسم السلام سنة ١٩٦٣م. والذي يذلل المسلم ويدهشه يقينه: أن الإسلام قرر حقوق الإنسان في صورتها الأكمل والأشمل منذ مجيئه في القرن السابع الميلادي، ويذهله ويدهشه علمه: أن هذه الاتهامات تتجاهل ما يقرره الواقع التاريخي من أن عليه القوم والمهيمنين على مقاليد الأمور هم دائماً الذين يهدرون حقوق الإنسان سواء في الشرق أو في الغرب، بل إن انتهاك حقوق الإنسان - بما يعنيه من تعذيب بدني، وعنف شرطي، وتزوير انتخابات إلى غير ذلك - لا يقره الإسلام، وأن دوافعه غير إسلامية، بل إن هذا الانتهاك إنما يمارسه الحكام في مواجهة الشخصيات المسلمة.

ويذهله ويدهشه علمه اليقيني أن ما شهده الغرب من انتهاك لتلك الحقوق في الحرين العالميتين، وفي زمن الحكم الستاليني، وفي حروب التطهير العرقي في البوسنة وكوسوفا هو الأعنف والأقطع بما شهدته تلك الحرب من استخدام للأسلحة الكيميائية والنووية، فلم يقع أي من هذه الفضائع في المناطق التي يسودها الإسلام.

ولكن - على الرغم من تاريخ الغرب المتصل في انتهاك حقوق الإنسان - نجد أن هذا الغرب يلوح دائماً بعقوبة حجب المعونات الاقتصادية عن البلاد التي لا تقارن نظام حقوق الإنسان الذي يتلاءم مع مصالح الأوروبيين والأمريكيين، حتى أصبح كثيرون من شباب المسلمين يتلدرون بقولهم: (إن حقوق الإنسان شعراً أشقر، وعيوناً زرقاء).

ويرى الدكتور (هوفمان): أن من اليسر إثبات أن الإسلام لم يكتف بمعرفة الحقوق التقليدية للإنسان منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، ولكنه مارسها ورسخها أكثر مما

فعلت موافيق الغرب، حيث نص على ذلك كثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والروايات التاريخية الموثقة، بخلاف الغرب الذي أثبت أن حقوق الإنسان ما هي إلا الورقة التي تضمنت هذه الحقوق، سواء في ذلك أمريكا، وأوروبا، والاتحاد السوفيتي سابقاً، إذ من الثابت المقرر: أن الإنسانية لم تنجح أبداً في وضع نظام قانوني من خلال العقل وحده يجمع عليه البشر، ويلتزمون به عقلياً وممارسة.

ولكن متقدي الإسلام وأعداءه يغفلون تماماً كل مبادئ التسامح وتقبل الآخر باختلافاته، كما يغفلون تماماً كل مبادئ المساواة، أو يقولون عنها: إن ما يتم في الحقيقة هو أمر آخر مخالف لذلك. ثم يركزون بشدة على ما يلقي قبولاً في أنفسهم، مثل: حد السرقة، والزنا، ويطلبون الحديث عن بشاعة ذلك وقسوته، متجاهلين أن الغاية من هذه الحدود إنما هو الترهيب، لأن ما يلزم لتطبيقها من شروط وملابسات يجعلها نادرة الوقوع أو مستحيلة، ولا أدل على ذلك من أن المرء يستطيع أن يتجول عدة عقود في العالم الإسلامي دون أن يلتقي بإنسان قطعت يده، أو إنسان رجم في ظل الحكم الإسلامي.

ويرى الدكتور: أن التامل المنصف يكشف أن مجال الاختلاف بين إعلان حقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة، وبين ما قدمه الإسلام في هذا الصدد إنما هو اختلاف ضئيل جداً، وأنه - مع الأخذ بمبدأ الاجتهاد المتمسك بالقوانين الإسلامية تماماً - يمكن التخفيف من حدة هذه الاختلافات.

يتبع

لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم في رأى أمير البيان شكيب أرسلان

للاستاذ الدكتور / السيد أحمد فرج - الأستاذ بكلية التربية بالمنصورة

أولاً: التعريف بأمير البيان شكيب أرسلان

شكيب أرسلان: شاعر ونائب، وكاتب صحافي، وسياسي عربي، اشتهر بالمطالبة بوحدة العرب والمسلمين، وعرف بالأمير لأنه سليل بيت إماره، وكان له قدم سبق في مجالات: اللغة والأدب والصحافة، فقد كتب في أشهر الصحف التي عاصرها مثل: الفتح، والمؤيد، والأهرام، والشورى، والرسالة، والشباب، والمشرق، والعرفان، ومجلة المنار، ومجلة المجمع العلمي العربي.

بالشام، وكانت أم شكيب سيدة شركسية فاضلة (د. سامي الدهان: شكيب أرسلان حياته وآثاره، ص ٦٠، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٦، ط ٢) وتوفي شكيب أرسلان في التاسع من ديسمبر سنة ١٩٤٦م.

عاش شكيب أرسلان قرابة الثلث الأخير من القرن ١٩ وقرابة النصف الأول من القرن العشرين، وكانت هذه الفترة فترة غليان سياسي بالعالم العربي والإسلامي، إذ كانت أغلب بلاده تحت الاحتلال الإنجليزي والفرنسي، وما نجا من الاحتلال، وقع تحت ظلم الحكام العثمانيين الذين كانت لهم السيادة على بعض أجزائه، وفي هذه الفترة قامت حربان عظميان، وفيها اقتطعت

ظل شكيب أرسلان يدعو إلى وحدة العرب والمسلمين إلى يوم وفاته في سنة ١٩٤٦م، ولد شكيب - ومعنى الاسم بالفارسية «الصابر» في يوم الاثنين أول ليلة من رمضان سنة ١٢٨٦هـ - ٢٥ ديسمبر ١٨٦٩م بقرية الشويفات من منطقة الشوف على عشرة أميال من مدينة بيروت، وكان ترتيب ميلاده الثاني بين إخوته، أبناء حمود، بن حسن، بن يونس، بن فخر الدين، بن حيدر، بن سليمان الذي يحمي النسب به إلى أرسلان الذي مات في سنة ١٢٧١هـ الذي كان من نسل الملك المنذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة في العصر الجاهلي. فلما جاء الإسلام كان جده عون مجاهداً في جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه



فلسطين أعز أرض على العرب والمسلمين، ومنحت للعصابات الصهيونية، عاش شكيب هذه الفترة متأثراً بأحداثها ومؤثر فيها.

في الخامسة من عمره أحضر له والده في البيت معلمين يدرسون له مبادئ القراءة والكتابة والحساب ويحفظونه ما تيسر حفظه من القرآن الكريم، وفي سنة ١٨٧٩م التحق بمدرسة الحكمة المارونية بيروت وكان لها شهرة كبيرة في تعليم اللغة العربية، ولقد تأثر فيها بالشيخ عبد الله البستاني اللغوي المعروف، ولما زار الشيخ محمد عبده - وكان في منفاه بيروت - هذه المدرسة التقى شكيب وأعجب بذكائه وتفوقه، خاصة في مادة اللغة العربية.

وفي سنة ١٨٨٧م انتقل شكيب إلى المدرسة السلطانية بيروت، وفيها تلقى دروس الفقه والتوحيد على الشيخ محمد عبده. وفي سنة ١٨٩٠م حل شكيب بمصر زائراً لأول مرة، وكان مشوقاً إليها فهي في عقله وقلبه بلد الثورة العرابية، وفي هذه الأثناء التقى الشيخ محمد عبده وكان قد عاد من منفاه، وزار صحيفة المؤيد وتوثقت علاقته بالشيخ علي يوسف، كما زار صحيفة الأهرام، وتوثقت علاقته بالصحفيين وصار من كتابهما.

وفي آخر سنة ١٨٩٠م. سافر إلى الآستانة وقابل جمال الدين الأفغاني، وكان مشوقاً للقائه، وفي سنة ١٨٩٢م سافر إلى فرنسا والتقى بالشاعر أحمد شوقي وتصادقا، فكانا يلتقيان يومياً في مقهى «دار كور Dharcourt».

ولما عاد من فرنسا عين مديراً للشويفات مدة سنتين، ثم عين بوظيفة قائم مقام مقاطعة الشوف مدة ثلاث سنوات.

وفي سنة ١٩٠٩م اختير عضواً بمجلس المبعوثين بتركيا نائباً عن إقليم حوران السوري تقديراً من الدولة العثمانية، بسبب تأييده للتعاون العربي التركي، وموالاته للخلافة العثمانية.

وفي سنة ١٩١١م احتلت إيطاليا ليبيا، فغضب لذلك ودعا العرب والترك لتخليص ليبيا من الاحتلال الإيطالي، وحضر إلى مصر والتقى بصديقه الشيخ محمد رشيد رضا، وظل بمصر أربعين يوماً كتب فيها أربعين مقالا كانت افتتاحيات صحيفة المؤيد لأربعين عدداً.

وفي سنة ١٩١٢م اختير مفتشاً لبعثات الهلال الأحمر المصري، وفي سنة ١٩١٤م سافر إلى المدينة المنورة ليؤسس مدرسة بها.

وكان شكيب أرسلان حتى ذلك الوقت عثمانياً الهوى لأنه كان «يرى في الخلافة العثمانية عز

الإسلام وقوة العرب» (د. أحمد الشرباصي: شكيب أرسلان، ص ٣٣) ولكن بعد أن أسرف الحكام الأتراك في ظلم العرب، وزاد شر نوايا إنجلترا وفرنسا بتقسيم العالم العربي واحتلاله كله، بعد أن كانوا قد احتلوا بعضه، نفض يديه من كل من الأتراك والمحتلين الغربيين، وتراءى له أن العرب يروم هدم الأمتين العثمانية والعربية، فقد كان الغرب يبرى في الأولى سياجا للعالم الإسلامي، وفي الثانية مادة الإسلام.

ولما تعلمت تركيا، وقطعت أو اصر ارتباطها بالإسلام والعروبة بفعل كمال أتاتورك، قطع شكيب علاقته نهائيا بتركيا، وتفرغ بكل جهده لنصرة القضايا العربية، والدعوة إلى الوحدة العربية (أرسلان رشيد رضا وإخاء أربعين عاما ص ١٦١)، وهو ما جعله في سنة ١٩٢٢م ضمن الوفد السوري الفلسطيني للدفاع عن حقوق العرب أمام عصبة الأمم المتحدة، فأدهش مندوبي الأمم بالوثائق المهمة التي تؤكد الحقوق العربية (د. محمد رجب البيومي: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، ص ٥٠٧).

وفي سنة ١٩٢٤م أسس هيئة الشعائر الإسلامية ببرلين، وهي هيئة تهتم بأمور المسلمين المقيمين بأوروبا، وفي سنة ١٩٢٥م أخذ يكتب مقالات تحت عنوان: أزفت ساعة الاتحاد أيها العرب، ثم أخذ يث نشاطه في المحافل الدولية في أنحاء أوروبا لخدمة القضايا العربية، فكان أول داعية عربي للوحدة العربية والجامعة العربية، ولكن المصائب أخذت تلتف حول له في سنة

١٩٢٦م فقد أصبح مطاردا من تركيا لأنه كان يدعو إلى الوحدة العربية والجامعة العربية، وصار مطاردا من فرنسا لأنه كان يدافع عن سوريا، وفي مصر طارده الملك فؤاد لغلبة ظنه أنه كان يدعو سرا للخديوي عباس حلمي الثاني للعودة لعرش مصر، وانتهى به المقام منقيا بسويسرا حيث ظل يجاهد بالكلمة داعيا إلى تحرير البلاد العربية والإسلامية وكان قد اتخذ له بيتا خاصا يطل على بحيرة ليتمان، كان مقصد كل عربي يزور سويسرا (د. رجب البيومي، السابق، ص ٥٠٦).

وفي سنة ١٩٢٩م ذهب إلى الأراضي المقدسة ليوذي فريضة الحج، وهناك التقى بالملك عبدالعزيز آل سعود، وألف كتاب: «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف». وسافر شكيب إلى إسبانيا سنة ١٩٣٠م فأصدر كتاب: الحلل السندسية في الآثار والأخبار الأندلسية وفي السنة نفسها أصدر مجلة «الأمة العربية» بالفرنسية في جنيف للدفاع عن قضايا العرب.

وفي سنة ١٩٣٧م سمحت له فرنسا لأول مرة -من بعد نفيه- بزيارة سوريا، وفي سنة ١٩٣٩م أذن له المسؤولون بمصر بزيارتها، ف قضى بها أربعة أشهر، ثم عاد إلى أوروبا ليواصل كفاحه، وظل على هذه الحال، إلى أن عاد قبيل وفاته إلى الشويقات ليموت ويدفن بها في التاسع من ديسمبر سنة ١٩٤٦م.

صفات شكيب أرسلان البدنية والخلقية:

كان شكيب أرسلان يميل إلى الطول في القامة -

حظى اللون، وكان أميل إلى امتلاء الجسم، وكان في صوته خشونة، وكان يتميز بصفاء القلب، ونقاء الضمير، وكان يحب أصدقاءه ويقدرهم ويكتب في مناقبهم كما فعل مع شوقي أمير الشعراء ورشيد رضا، كما كان وفيا لشيخه وفي مقدمتهم الشيخ عبدالله البستاني والشيخ محمد عيده، وكان حريصا على الوقت لا يضيعه، وكان مكثرا في الكتابة - خاصة كتاباته الصحافية التي لو جمعت لكانت تاريخا للأمة العربية والإسلامية في مجالات: السياسة، والاقتصاد السياسي، والوحدة العربية.

ولقد وصف الأمير شكيب أرسلان بأنه زعيم عربي كبير عمل للوحدة العربية، ونادى بالجامعة الإسلامية، وجاهد في سبيلهما من بداية العقد الثاني من القرن العشرين، كما كان خير محام عن العروبة والإسلام، كما كان كاتباً مجليا وقف قلمه للدفاع عن الوطن العربي والدين الإسلامي. ولأنه كان وحدويا بالقطرة فقد قال تقدير المؤسسات السياسية والحكومية التي عملت للوحدة العربية والرابطة الإسلامية منذ خمسينيات القرن العشرين خاصة في مصر التي كرمت حكومتها ذكرى جهاده الإسلامي والعروبي، فقررت جهاده مقررًا دراسيا على طلاب معهد الدراسات العربية العالية بالجامعة العربية في سنة ١٩٥٨م وقام بتدريس المقرر الكاتب المفكر د. محمد سامي الدهان.

وكان شكيب يتميز بقوة الحفظ، ويؤكد ذلك ويثبته أنه كان قد فقد مجموعة من قصائده المدونة

في الأوراق، ويبحث عنها فلم يجدها فأملأها عن ظهر قلب، ولم ينس بيتا واحدا منها (ارجع إلى كتابه شوقي أو صداقة أربعين عاما، ص ٣٣) وكان شكيب يحتد في نقاشه أو حوار له في بعض الأحيان، مما كان يقلب عليه من كان يخالفهم الرأي، وكان في بعض الوقت يسارع إلى إبداء الرأي أو الرد فيقع في الخطأ أو القصور. (أرسلان: رشيد رضا أو أخوة أربعين عاما، ص ٦٥١، ٦٧٤).

ورسالة: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، لم تسلم من قصور نتج عن التسرع، فمع أنها صحيحة ممتازة في مضمونها، فإن ترتيب الأفكار فيها وسردها لم يكن جيدا جدا، فقد اعتمد على ذاكرته في كتابتها، ومع أن ذاكرته كانت قوية حديدية، ومع أنه عاش تجارب قضايا العرب والمسلمين في حاضرتهم، فإن ذلك ليس بكاف لإنجاز رسالة كهذه تحيا بها الأمة، مما جعل الرسالة على طولها (١٦٧ صفحة) تبدو أقرب إلى خطبة طويلة، أو مقال طويل فيها من الحماسة والتحميس، أكثر مما فيها من البحث العلمي الدقيق.

وكان شكيب أرسلان يلقب بكاتب الإسلام، لدفاعه المستمر عن الإسلام، وبكاتب العروبة لدفاعه الدائم عن العرب والعروبة. ويعد شكيب أرسلان مفكرا من مفكري مدرسة النار، وعضوا عاملا بها تدور أفكاره في دائرتها كما سنرى في المقال المقبل.

بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية

للدكتور / محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

إذا أردنا المقارنة بين «العالمية الإسلامية» وبين «العولمة الغربية» فيأتي لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إنهما على طرفي نقيض. فالعالمية الإسلامية هي: تنوع.. وتعارف.. وتعايش.. وتدافع وتسايق في إطار الوحدة الإنسانية والمشارك الإنسانية العام. أما العولمة الغربية فإنها: صراع.. وتفتت.. وفوضى يسمونها خلاقة! في إطار الهيمنة الغربية، التي تريد صب العالم في قالب الحضاري الغربي دون سواه.

إن العالمية هي نزع إنسانية، وتوجه نحو التفاعل بين الحضارات، والتلاقح بين الثقافات، والمقارنة بين الأنساق الفكرية، والتعاون والتساند والتكامل والتعارف بين الأمم والشعوب والدول، ترى العالم «منتدى حضارات»، بينها مساحة كبيرة من «المشارك الإنسانية العام»، ولكل منها «هوية ثقافية» تتميز بها، ومصالح وطنية وقومية وحضارية واقتصادية وأمنية لا بد من مراعاتها، في إطار «توازن المصالح» وليس «توازن القوى» بين هذه الأمم والحضارات.

وإذا كانت عين الفاحص لا تخطئ التمايز الحضاري في هذا «المنتدى العالمي» عندما ترى الخصوصيات الحضارية لكل من الصين والهند

واليابان والغرب والإسلام - وغيرها من الحضارات - فإن عقل الباحث لا يخطئ أيضا تميز بعض الحضارات بـ «المحلية» - مثل الهند والصين واليابان - بينما تميزت وتتميز كل من الحضارات الإسلامية والغربية بصلاحيات التمدد العالمي، وإمكانات العطاء خارج الحدود الجغرافية التاريخية لشعوب هاتين الحضارتين. تميزت بذلك النزوع العالمي الحضارة الأوروبية الغربية، منذ طورها الإغريقي / الروماني، وتميزت به الحضارة الإسلامية منذ أن خرجت من بين دفتي القرآن الكريم. فمن القرآن الكريم ولدت مقومات الأمة الإسلامية الواحدة، وخرجت الصيغة الإسلامية

لحضارة هذه الأمة، وجاءت عالميتها كثرة من ثمرات عالمية الرسالة الإسلامية والشرعية الإسلامية، التي شاء الله - سبحانه وتعالى - أن يختتم بها شرائع السماء إلى الإنسان.. ولهذه الحكمة جاء الحديث القرآني عن هذه العالمية منذ العهد المكي للدعوة:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(يوسف - ١٠٤)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(الأنبياء - ١٠٧)

﴿بَارِكْ الَّذِي بَارَكَ الْفِرْعَوْنَ وَكُلَّ الْعَبِيدِ وَلَئِنَّ الْغَالِبِينَ لَمِّن ذُرِّيَّتِهِ﴾

(الفرقان: ١)

فكانت هذه الأمة الإسلامية وحضارتها دائمة التحقق حيثما امتدت تعاليم الإسلام وقيمه وثقافته على امتداد الزمان والمكان، ولذلك لم يأت تعريف «الأمة» في المصطلح القرآني عنوانا على الصفات اللصيقة والمغلقة والجامعة المانعة، وإنما جاء عنوانا على «الجماعة» - أية جماعة - المنفتحة دائما وأبدا.. والمستوعبة دائما وأبدا.. والممتدة دائما وأبدا.. والدائمة التحقق على اختلاف الأزمان.. والأمكنة.. والمجالات.

لكن هذه «العالمية الإسلامية» لا تعني - في الرؤية الإسلامية - انفراد الحضارة الإسلامية بالعالم، وإغائها «للاخر الحضاري»، بل إنها تعني التفاعل والتدافع والتسايق مع الآخر، في ظل التأكيد على أن

التعددية الحضارية والتنوع الثقافي والاختلاف في الشعوب والأمم والقبائل، وفي الألوان والأجناس والأعراق.. وفي الألسنة واللغات، ومن ثم في القوميات، وفي الشرائع والملل الدينية، وفي المناهج والمذاهب والثقافات والفلسفات والحضارات.. إن كل هذا التنوع والتمايز والاختلاف هو القاعدة الطبيعية، والقانون التكويني، والسنة الإلهية التي لا تبديل لها ولا تحويل.

إن أية حضارة من الحضارات إنما تتميز عن غيرها بصمتها الثقافية.. وإن أية ثقافة من الثقافات إنما تتميز عن غيرها برؤية إنسانها للكون، ولمكانة هذا الإنسان في هذا الكون.

وإذا كانت الحضارة الغربية في ظل «لاهوتها النصراني» قد رأت الإنسان صورة لله، وفي ظل «حداتها الوضعية العلمانية» قد رأت الإنسان سيذا لهذا الكون.. فإن الحضارة الإسلامية قد انطلقت من رؤية للكون ترى: الواحدية والأحادية فقط للذات الإلهية، المنزهة عن الند.. والشبه.. والمثال.. كما ترى أن كل عوالم الخلق - في الإنسان والحيوان والنبات والجماد - أي كل ما عدا الذات الإلهية ومن عداها - قائمة على سنة التنوع.. والتعدد.. والتمايز.. والاختلاف.

* فالناس شعوب وقبائل:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ

إِنَّمَا خَلَقْتُكُمْ ذَكَرًا وَنَثَىٰ وَجَعَلْتُكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ مُخَبِّرٌ

(الحجرات: ١٣)

* والناس السنة ولغات وقوميات وألوان وأجناس:

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ الْبَشَرِ وَالْوَحْيِ وَالْآيَاتِ
الْعَلِيَّةِ (الرُّوم: ٢٢)

* والناس يتوعون إلى ديانات ومعتقدات:

﴿وَوَسَّاهُ رَبُّكَ لِيُحَدِّثَ آسَافَةَ وَهُدَاجَةَ وَلَا يَزَالَا لَوْلَا
تُخَلِّدِينَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْبَنِيَّانَ
لَأَدْلَا لَكُمْ جَهَنَّمَ مِنْ أَلْحِقَ وَفَالِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١﴾﴾

(هود: ۱۱۸، ۱۱۹)

* والناس يتمايزون في الشرائع والثقافات والحضارات:

مِنْكُمْ شِرْكَهٖ وَمِنْهُمَا حَارُونَ إِنَّ اللَّهَ مُجْتَعِلٌ فِي ذُنُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ
لِئَلَّوْكَ فِي مَنَاسِكُمْ فَاسْتَفِىءُوا الْفَوَاحِشَ إِلَىٰ أَعْيُنِ مُرْجِعِكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ (المائدة: ٤٨)

فالناس سعيهم شتى :

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ (الليل: ٤)

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْبَغْيَ ۚ إِنَّ الْكُفْرَ وَالْبَغْيَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾

(البقرة: ١٤٨)

و«التدافع» والحراك والتسابق هو سبيل رأب الصدع وتعديل الخلل وإعادة التوازن والميزان - الوسط العدل - إلى العلاقات بين الطبقات أو الأمم أو الحضارات :

﴿أَذْفَعُ بِالْأَخِي هُوَ أَحْسَنُ فَرَادَ الَّذِي
يُنْذِرُكَ وَيَبَيِّنُ وَعْدَهُ﴾ كَأَنَّهُمْ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

وليس «الصراع» الذي يصرع فيه وبه طرف الأطراف الأخرى، فينفرد هذا الطرف بالساحة والثمرات والامتيازات، منهيا التعدد والتنوع والاختلاف:

﴿وَأَنذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾
يَسْجُدُ حَرَصًا عَالِيَةً ① سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَمْعَ لَيَالٍ وَنَحْيَةٍ أَيَّامٍ حُسُومًا
فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُغِصَصُوا فَأَنْجَى أَخَوَيْهِ ② فَمَا يَرَى لَهُ
فَرَجٌ بَاقِيَةً ③ ﴿

ذلك هو المفهوم الإسلامى للعالمية: نزوع عالمي، يرى التعدد والتنوع والتمايز والاختلاف القاعدة والقانون في كل عوالم الخلق، ويؤمن أن «التفاعل» هو الوسط العدل بين «العزلة والاتغلاق» وبين «التبعية والإلحاق» فتصبح الصورة الحضارية للعالم هي صورة «متحدى الحضارات» الذي يكون التكريم فيه لمطلق الإنسان.

ولقد تميز هذا المفهوم الإسلامي للعالمية عن المفهوم الغربي للعالمية، ليس فقط في حقبتنا الراهنة - حقبة العولمة الغربية - وإنما منذ فجر الحضارة الأوروبية الغربية.. فـ «النزعة المركزية» لصيقة بالنموذج الحضاري الغربي، منذ العصر الروماني، الذي رأى أصحابه أن «الإنسان» هو «الروماني الحر» وحده، ومن عداه «برابرة» وأن ما يتدين به الرومان هو الدين الوحيد، وما عداه واجب الاستئصال.. ولقد طبقوا هذه «النزعة المركزية الواحدية» في عصر وثنيهم بإيادة

النصارى - بعد تشريد اليهود - وفي عهد
نصرانتهم، باضطهاد المذاهب النصرانية المخالفة
لمذهبهم «الملكاتى»، وامتد ذلك فيما عرف بـ
«الحروب الدينية» بين مذاهب النصرانية -
الكاثوليكية والبروتستانتية - التى امتدت من
منتصف القرن السادس عشر وحتى العقود الأخيرة
من القرن السابع عشر «١٥٦٢ - ١٦٨٨م» أى
حتى عصر «التوير» التى أيد فيها نحو عشرة
ملايين، أى ٤٠ ٪ من سكان وسط أوروبا^(١)

ثم واصلت هذه «النزعة المركزية الغربية» صراعها مع الآخر طوال عصر استعمار الغرب الأمم والبلاد والحضارات غير الغربية، وتم هذا الصراع ومحاولات الاستئصال على مختلف الصعد والميادين والجهات - على الجبهة الفكرية بإبادة البنى التحتية للموراث الفكرية لحضارات الشعوب المستعمرة - وعلى الجبهة القيمية، باختراق منظومة القيم الخاصة بالشعوب المستعمرة^(١٧) - وعلى الجبهة الثقافية بتغريب المستعمرات - وعلى الجبهة الدينية، بتبشير العالم بالنصرانية الغربية - وعلى الجبهة الاقتصادية بالنهب الاقتصادي الاستعماري، الذي بنى رفاهية الغرب بـ «الفائض» الذي تحقق من تقار الأمم والشعوب المستعمرة - وعلى الجبهة الأمنية، بتحويل العالم إلى هامش للأمن الأوروبي

والغربي، وتسخير الشعوب المستعمرة وإمكاناتها
وقودا في الحروب الاستعمارية - كما كان الفرس
والرومان يصنعون - قديما - مع «الغاساة»
و«المناذرة»، في النظام العالمي القديم!

وهذه «النزعة الغربية في التمركز حول الذات» ورفض التعددية والاعتراف بشرعية وجود الآخر، هي «صفة لصيقة» بنظرة مشروع الهيمنة الغربية «للذات» و«للآخر».. اعترف بها المنصفون من العلماء الغربيين.. وعنها قال المستشرق الفرنسي «مكسيم رودنسون» (١٩١٥ - ٢٠٠٤م): «إن تشجيع التمركز حول الذات، هي صفة طبيعية في الأوروبيين، كانت موجودة دائما، لكنها اتخذت الآن صيغة تتسم بالازدراء الواضح للآخرين.. وخصوصا في ظل الإمبريالية، منذ منتصف القرن التاسع عشر»^(٧)

ذلك هو المفهوم الغربي «العالمية» حضارته الأوروبية، مفهوم الواحدة الحضارية، الذي يرى أن الحضارة الغربية هي وحدها العالمية والإنسانية! بل هي وحدها «الحضارة» - التي يجب أن تكون النموذج الوحيد للحضرة والتقدم.. والقالب الأوحده الذي يجب أن يصب فيه العالم جميعا.

ولذلك رأى الغرب - ولا يزال يرى - أن

(١) هاشم صالح «التبوير الأوروبي ردة فعل للاحتلال المذهبي» - صحيفة «الشرق الأوسط» - لندن - في ٢٦-٢-٢٠٠٠م.

(٢) الجبرتي «مظهر القديس بزرال دولة الفرنسيس» ص ٣١٠، ٣١١، تحقيق: حسن محمد جوهري، عمر الدسوقي، طبعة القاهرة ١٩٦٩م.

(٣) د. محمد عمارة في *عبرون غريبة: بين التراء والجهلاء واتصاف العلماء*، ص ٦٥، ٦٦، طبعة دار الشروق - القاهرة ٢٠٠٥م.

«الصراع» والصدام هو الخيار الرئيسى فى تحقيق هذه «الواحدية الحضارية»، وذلك بسبب «الصبغة الصراعية»، التى تماهت فى بنية تكوين الحضارة الغربية، والتى أفضحت عنها - ثم بررت لها - النظريات الرئيسية التى صبغت فلسفة الأتوار الوضعية الأوروبية و«فكر الحداثة» الغربية وثقافتها. * فلسفة القوة والصراع والتفعية، المتحللة من الأخلاق، هى جوهر فلسفة السياسة الماكيافيلية - كما صاغها «ماكيافيللى» «١٤٦٩-١٥٢٧م» فى كتاب «الأمير».

* وفلسفة التاريخ عند «هيجل» «١٧٧٠-١٨٣١م»، تقيم علاقات العصور على الصراع الذى ينسخ فيه الجديد القديم. * والداروينية - كما صاغها «داروين» «١٨٠٩-١٨٨٢م» - فى «أصل الأنواع» - تجعل الصراع هو قانون التقدم والتطور فى عالم الأحياء؛ فالبقاء للأصلح، والأقوى هو الأصلح للبقاء.. ونسخه للآخرين - الضعفاء - هو القانون!

* وكذلك الحال فى الفكر الاجتماعى، والعلاقات بين الطبقات - عند «ماركس» «١٨١٧-١٨٨٣م» وغيره - وهو تطبيق للفلسفة الصراعية الداروينية والهيكلية فى الاجتماع - فالجديد يستأصل القديم، والطبقة الجنينية يتم نموها على حساب فناء الطبقة السائدة، و«العبودية» قد نسخت «المشاعية البدائية»، ثم جاء «الإقطاع» فنسخ «العبودية» ثم جاءت الرأسمالية فنسخت «الإقطاع»، ولقد بشرت الماركسية بنسخ الشيوعية وديكتاتورية

البروليتاريا للبرالية الرأسمالية.

وكأنما شعار هذه «الفلسفة الصراعية» - التى صبغت الحضارة الغربية - هو:

﴿كُلٌّ أَتَتْهُ أُمَّةٌ لَمَنَّا لَحَبًا﴾

(الأعراف: ٣٨)

وأبادتها!

* وهذه النزعة المركزية الاستصالية هى التى جعلت حتى مفهوم «الإنسان» - فى الحضارة الغربية - هو الإنسان الغربى وحده! ثم جعلت هذا الإنسان الغربى - فى عصر الاستعمار - يمارس استئصال الآخر - الحضارى والثقافى - براحة ضمير عجيبة، هى أشبه ما تكون بموت الضمير! لأنه يمارس ذلك الاستئصال كـ «رسالة»، وكإعمال للقانون العلمى والطبعى - الذى يحكم عالم الأحياء والاجتماع - فى عالم الحضارات والثقافات.. فاستئصال الشعوب بالاستعمار الاستيطانى - فى أفريقيا وفلسطين - هو تمدن وتحضر لهذه البلاد، وذلك بتطهير أرضها من الشعوب البدائية، وموارثها البدائية! وتضمير المسلمين هو تحقيق «الخلاص» لأرواح هؤلاء الكفار المحرومين! وإزالة الموارث الثقافية للشعوب غير الأوروبية، هو تحرير لها من التخلف والرجعية والجمود، وإعمال للقانون الطبعى: البقاء للأقوى الأوروبى.. الذى هو الأصلح دائما وأبدا!

وهذه النزعة المركزية الغربية، التى لا ترى إلا «الذات» ولا تعترف بشرعية «الآخر»، بل ترى قانون التقدم فى صراع هذا «الآخر» وإزالته، هى التى جعلت الغرب دائم النزوع إلى العدوان الاستعمارى ضد الآخرين، مع التبرير لهذا النزوع العدوانى، حتى ليحبره «الطبعى» الذى لا يصح الاعتذار عنه بأى حال من الأحوال، وفى أى ظرف من الظروف.

* إن التاريخ المكتوب لعلاقة الغرب بالشرق - منذ «الإسكندر الأكبر» «٣٥٦ - ٣٢٣ ق. م» وحتى الآن - يبلغ أربعة وعشرين قرنا - من القرن الرابع قبل الميلاد، وحتى القرن الواحد والعشرين.. ولقد مارس الغرب الاستعمارى قهر الشرق - سياسيا وثقافيا.. ودينيا.. وحضاريا - ونهيه اقتصاديا على مدى سبعة عشر قرنا من هذه القرون الأربعة والعشرين!

عشرة قرون فيما قبل الإسلام - من «الإسكندر» وغزواته الإغريقية - فى القرن الرابع قبل الميلاد - وحتى «هرقل» «٦١٠ - ٦٤١م» فى القرن السابع للميلاد.

وقرنان هما عمر الحملات الصليبية الغربية على الشرق الإسلامى «٤٨٩ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١م».

وخمسة قرون هى عمر الغزوة الغربية الحديثة لعالم الإسلام، بدأت بإسقاط غرناطة «٨٩٧ هـ / ١٤٩٢م»، ولا تزال مستمرة حتى هذه اللحظات.

ولقد احتفل الغرب بمرور خمسمائة عام على بدء هذه الغزوة الحديثة بإقامة دورة أوليمبية فى «برشلونة» ١٩٩٢م بالمكان الذى تم فيه استئصال الإسلام من الأندلس - بغربى أوروبا - وبدأ فى ذات العام ١٩٩٢ حرب البوسنة والهرسك لاستئصال مشروع دولة إسلامية فى وسط أوروبا!!

ولأن الغرب الاستعمارى قد رأى - ويرى - فى هذا العدوان والقهر والاستئصال لمقومات «الآخر الشرقى» الدينية والحضارية «القانون الطبعى» و«الداروينية الحضارية»، فإن عينه لم تدمع، بل لم تطرف! ولم يفكر فى يوم من الأيام

أن يعتذر عن هذا التاريخ الطويل والدامى من القهر والاستعمار!

فاليابا يوحنا بولس الثانى «١٩٢٢ - ٢٠٠٥م»، عندما زار قبر سيدنا يحيى - يوحنا المعمدان - بالمسجد الأموى - بدمشق - ورفض أن يزور قبر صلاح الدين الأيوبي «٥٣٢ - ٥٨٩ هـ / ١١٣٧ - ١١٩٣م» - فى ذات المكان - حتى لا يكون فى هذه الزيارة شبهة اعتذار للمسلمين عن الحروب الصليبية! وأوروبا وأمريكا رفضت وترفض حتى الآن أى اعتذار - حتى ولو بالكلام - عن ذلك الذى صنعه بأفريقيا على امتداد خمسة قرون! بل لقد أعلنت الجمعية الوطنية الفرنسية سنة ٢٠٠٥م انتصارها واعتزازها بما صنعت العسكرية الفرنسية بالجزائر، على امتداد قرن وثلث القرن؛ حيث أبادت - فى الفصل الأخير من هذه المأساة - قرابة المليونين من الشهداء المسلمين الجزائريين!

* وكذلك كان - ولا يزال - حال «الضمير الغربى» مع كل «الآخرين»، مع الهنود الحمر الذين أباد شعوبهم واستأصل حضارتهم، ومع دماء أربعين مليوناً من الزوجات الأفارقة، الذين اصطادهم القراصنة الغربيون اصطیاد الحيوانات.. ثم شحنوهم فى سفن الحيوانات ليقیموا - على عظامهم ودمائهم - رفاهية «الإنسان» الغربى - فى أمريكا وأوروبا!

ذلك هو حال النزعة المركزية الغربية، حتى فى المراحل التى سبقت طور العولمة المعاصرة، وهكذا علاقات الغرب الاستعمارى بالآخرين.

ودوره في التقدم الإنساني مجالاته وضوابطه

لفضيلة الشيخ / فوزي الزهزاف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

التفكير الإبداعي

موضوعاً ومنهاجاً وسلوكاً

نحن لا ننكر أن يعالج الكاتب المشكلات العاطفية والجنسية.. ولكننا ندعو أن يعالج الكاتب هذه المشكلات من ناحية تحقيقها للأهداف التربوية، والغايات النبيلة، والفضائل الرفيعة، التي تعلو على الرذائل، وتسمو على الإسفاف والتدني والانحطاط. يقول صاحب كتاب «منهج الفن الإسلامي»: «إنما يعالج الفن الإسلامي موضوع العلاقة بين الجنسين من خلال تحقيقها لأهداف الحياة العليا، من خلال رفعها للرجل والمرأة كليهما إلى مستوى الإنسانية، من خلال حثهما على إبراز أجمل ما لديهما من المعاني الكريمة، من خلال توسيع دائرة الشوق الجنسي حتى يشمل الأشواق العليا المتصلة بصميم الكون، وفطرة الحياة، والتي لا تقف عند

اللحظة العابرة، واللقاء العارض، بل تمتد حتى تشمل الحياة كلها».

ومعنى هذا كله أن الحياة بين الرجل والمرأة أوسع من أن تحد بلحظات الاتصال وحده، بل تشمل ما يجب أن تكون عليه الأسرة من تراحم وتواد، وصلة ووثام، وإيثار وإنكار للذات، وحفاظ وأداء للحقوق والواجبات، وصلة للقرابة والأرحام. أما الولع بإظهار المقاتن وحدها، والحديث عن اللقاء غير المشروع، وعد ذلك من صميم الحياة الذي يجب أن ينفصح أمامه مجال التعبير، فهذا هبوط برسالة الأدب عن مستواها الرفيع.

وإذا قال قائل: «إن الواقع القلبي يجب أن نعبر عنه، فنحن نقول له: إن كثيراً من شؤون الحياة لا يستحسن التعبير عنها، وليس معنى الحرية الإنسانية أن تمشي عارياً في الطريق، كما ليس معناها أن تسي إلى الناس بالفاظ كريهة تستدعي المواجهة!!

فإذا كان للسلوك الإنساني ضوابط مقررة يقرضها الراجب الاجتماعي، ويلتزم الكل بتطبيقها وعدم الخروج عنها، فلماذا لا يكون للتعبير الأدبي هذه الضوابط؟ أنراعي الآداب في مجالس السمر، وفي المجتمعات العامة؛ بحيث يصير من يخرج عنها هزاً بين الناس، منبوذا منهم، غير مرغوب في الجلوس معهم!! ثم نتحلل من ذلك كله حين نكتب قصة ماجنة وندعي أننا نعبر عن الواقع!! أي واقع هذا!! هل تجلس عاري العورة في الطريق العام وتقضي حاجتك أمام الناس ثم تقول: هذا أمر ضروري لا سبل إلى إنكاره!!

أين تعاليم الأديان؟! وأين دروس الأخلاق؟! وأين آداب الاجتماع؟! وأين الأدب والحياة؟!

ليس من التفكير الإبداعي

التعرض للذات الإلهية، وكرامة

الأنبياء والقيم الإنسانية بما ينقصها

لقد أخذ الإلخاديون من هؤلاء المتحررين يتعرضون للذات الإلهية، وكرامة الأنبياء، والمقدسات الدينية بما ينقصها ويحط من شأنها ويقلل من قدرها بلا حياء، فيتحدثون عن الله وكأنه غير موجود، وتدور الأسئلة والأجوبة في حوار ساقط لا تشم منه رائحة المعرفة التي تبغى الوصول إلى الحق، بل ترى استخفافاً إذا دل على تهاة العقل، فقد دل من ناحية ثانية على وضاعة الخلق وسوء السلوك العلمي.

وليس لدينا في الأدب المعاصر القصة الفلسفية التي تعالج شئون عالم الغيب معالجة المستبصر الضليع، فنحن نرحب بكل استفهام يبحث عن الحقيقة، بحيث يكون السائل متعطشاً للمعرفة، صادقاً في الرغبة في الوصول إلى الحقيقة، ويكون انجيب في الوقت نفسه أهلاً للإرشاد والتوجيه، ولكننا ننظر فنجد الهزاً والاستخفاف فقط!!

الاستخفاف بمن؟ بفاطر السموات والأرض، مع غرور كاذب إذ يدعي صاحب هذا العبث أنه صار فيلسوفاً يحل مشكلات الوجود فيتساءل عن البداية والنهاية، والأزل والأبد!!

ولقد لمسنا من قبل عند بعض الشباب من الشعراء من يحسب الفلسفة العميقة لاتخرج عن قوله: من أين جئنا؟ وتكون الإجابة: لست أدري؟ والأمر الساذج يستطيع أن يسأل كما يسأل الشاعر المتفلسف دون فرق، وتكون الإجابة: لست أدري؟ وأن كبار الفلاسفة لايسألون دون إجابة شافية، وأن الشك ليس بفلسفة إلا إذا كان طريقاً لليقين.

وأشهر هنا - في حزن وأسى ومرارة - إلى أنه ترد إلى مجمع البحوث الإسلامية قصص مبتذلة لبعض المغرورين من الشباب تتخللها عبارات السخرية بخالق الكون، بل تتجاوز السخرية إلى السب، ويتابع الحوار اللاغى فإذا به مجرد استهتار واستخفاف لم يلتفت إلى قضية، ولم يبحث عن علة، وكأن كاتبه ماجن يسهر في

حفلة خليعة، أيقال مثل هذه القصص ومثل هذه القصائد أنها إبداع فكري يتطلب الحرية؟ ويقابل من يدعو لمعارضته بصيحات متشنجة، وتجمع الإمضاءات والتوقيعات محبذة هذا المروق!! وللأسف لوحظ أن بعض النقاد الذين تشهد لهم بالكفاءة لا يجابهون هذا السفه المنحدر علانية، وكأنهم يخافون أن يوصموا بالرجعية والتخلف، فليتمسسون الأعذار ليصبحوا في صفوف أحرار الفكر، وحرية الفكر الصحيحة هي التي تساند وتعزز الثوابت الأكيدة في العقائد والفضائل والموضوعات التي لها أهداف سامية تخدم المجتمع وتدعو إلى رفعة شأنه، لا التي تصفق إلى كل منحل سفيه.

مشكلات المجتمع

التعليمية والاجتماعية، والاقتصادية، أولى بالفكر الإبداعي

إن مشكلات المجتمع التي تتطلب: الفكر الإبداعي، والإفصاح الروائي، والتعبير الشعري، والمقالة الأدبية أكثر من أن تعد وتحد، ولكننا للأسف لانلجأ إلا للإغراء الجنسي فإذا تجاوزناه فللإلحاد الساقط، والمجتمع العربي يعج بشتى المشكلات: السياسية، والاجتماعية والاقتصادية، ومشكلة التعليم التي صارت مشكلة المشاكل، ويعانى المجتمع التخلف في كثير من هذه النواحي، فلماذا لا يكون الفكر

الإبداعي مصباحاً وضاء ينير الطريق في هذه النواحي حتى يساهم في حل هذه المشكلات. وتأخذ مكاننا في دول العالم المتقدم، بدلاً من تصنيفنا ووضعنا في دول العالم المتخلف الذي يضحكون عليه بتهذيب لفظه وقولهم: دول العالم النامي؟!

ولماذا لا يكون الاهتمام إلا بالجنس في أحط صورته، وبالإلحاد في أحسن نواحيه؟

وهناك حقيقة لا خلاف عليها هي: أن الإنسان جسم وروح وللجسم حاجاته وضرورياته، وللروح أشواقها ومراقبها العالية، والفنان القدير، أو الأديب البارع هو الذي يعرف حاجات الجسم فيحاول السمو بها من الدرك الحيواني إلى الأوج الإنساني، وكلما كان موفقاً في هذا الاتجاه كان صاحب رسالة خالدة، فهو لا يذكر مع الكتاب فقط، أو مع الشعراء فقط، ولكنه يذكر مع المصلحين أصحاب النهضة المتقدمة في تاريخ الأمم.

فإذا أضاف إلى ذلك: التعبير عن مطالب الروح فإنه يسمو بالنفس البشرية إلى مستوى ملائكي.

وليس هذا الكلام مجرد أحلام ترحى دون تحقق، فلدينا من الأدباء من أسعدوا الكون برسالتهم الخالدة في عالم الفكر، ومنهم من استطاع بتأثيره النفاذ أن ينشئ دولة بقلمه، كما ينشئ الأبطال الدول بسيفهم، وما دولة باكستان إلا صدى فكرة خالدة أحس بها الشاعر الكبير محمد إقبال،

فجمع الجموع حول فكرة، وجعلها بما ألهم من مشاعر، وألهم من عواطف حقيقة ماثلة، صحيح أن زعماء باكستان السياسيين قد عملوا معه وتعاونوا مع بعض على تحقيق هذا الحلم، ولهم جهدهم المشكور في ذلك، ولكن من الصحيح الذي لا افتراء فيه أن الشاعر الكبير محمد إقبال هو الذي أشعل الشرارة المتقدة فمضى تيارها يلهب النفوس.

وعالم النفس كعالم الكون فسيح مترامي الأطراف، والمفكر الراقى والأديب السامى، والمبدع المصلح هو الذي يعبر عن عالم النفس في آفاقه المتراصة فيمتزج بالضياء ويتوهج بالسناء، ويرى ما لا يراه الناظرون من حقائق الكون فيهتف بما يراه هو أخذاً بيد من لا يرى إلى ما يرى في عالمه الرفيع المبدع مصعداً، وهنا يكون المفكر والأديب والمبدع صاحب رسالة في الحياة، تشرق بالأمل وتفسح مجال الصاعدين ممن يرون آفاق الفضيلة جذيرة بالارتقاء.

وبالإبداع السماوى الطاهر يرتفع المجتمع وينهض من كبوته العائرة، وبالإبداع يصير الواقع الملموس موضع رجاء للنهوض، ويقبل القارئ على ما يطالع وكأنه مريض يتقبل بلسم شافيا وعلاجاً ناجحاً، أو كأنه أعمى يحتاج إلى من يده له على الطريق.

هذا بعض ما يقال في صلة الإبداع بارتقاء الأمم وتقدمها نحو الكمال الإنسانى المنشود.

خاتمة

بعد العرض السابق لموضوع التفكير الإبداعي التقدمى، وتحديد المفاهيم والمعانى فى هذا الموضوع، وإيضاح الفرق بين الإسفاف والانحطاط والدعوة إلى الرذيلة والإباحية الهابطة فيما يكتبه بعض العابثين المستهترين المارقين ويطلقون عليه إبداعاً، ويتأكون على الحرية عندما يوجه إليهم النقد فيما يكتبون، ويعتبرون هذا النقد مصادرة للإبداع، وذبحاً للحرية وحجراً على التأليف الإبداعي وبين التفكير الإبداعي الراقى الذى يسمو بالبشرية إلى مجتمع الفضيلة والأخلاق الكريمة، ويدفع المجتمع إلى النهضة والرقى والتقدم. يتأكد لنا بعد هذا العرض والإيضاح أن التفكير الإبداعي التقدمى له ضوابط لا بد أن تراعى، وأن يلتزم الجميع بها، ضماناً لأمن المجتمع واستقراره، ورفعة شأنه، وحفاظاً على القيم الدينية، والسمو بالذات الإلهية وتقديسها، واحترام الأنبياء والرسل والبعد بهم عن مهاترات العبث والمجون والخلاعة، وأن هذه الضوابط الشريفة لا تتعارض مع الحرية ولا تضطدم بها، فالحرية هي: أن تقول وتفعل ما تشاء بما لا يتعارض مع القيم الدينية والأخلاقية، وبما لا يمثل اعتداء على حقوق الآخرين.

وختاماً نقول ونعلن: إننا لسنا ضد التفكير الإبداعي التقدمى الذى يخدم البشرية، ويحل مشاكلها، ويكون ملتزماً بالضوابط التى ذكرت بل على العكس نؤيد وندافع عن التفكير الإبداعي التقدمى الملتزم بالتعاليم الدينية وضوابط الأخلاق والفضيلة. وفقنا الله جميعاً وهدانا إلى الخير وإلى الصراط المستقيم وجنبنا أخطأ والزلل.

فارسة قصر الباهلي

” هذه امرأة تلد الأبطال.. العصر لا يسوده
إلا لون واحد من الرجال والنساء.. ”

للكاتب الكبير الأستاذ: محمد فريد أبو حديد

وقد وطنتها أقدام فرسان العرب منذ سنوات قليلة، مع قائددهم الشاب قتيبة بن مسلم الباهلي القيسي. ومشت بين الصبية امرأة فارعة بيضاء، واسعة العينين سوداء الشعر تتنفس سحرًا وكبرًا ونبلًا، وعليها حلة من الحرير الأبيض، ورشاح رقيق تزينه نقوش زاهية تحاكي ألوان زهور المرج، وكان حول خصرها الدقيق منطقة زرقاء من نسيج رقيق، عقدت فيها عقدة دلت أطرافها على جانب حلتها. وسارت عاتكة تنقل طرفها فيما حولها ولا ترى إلا صورة زوجها الحبيب هلال التميمي

كان المرج الأخضر يمتد حول القصر - قصر الباهلي - فلا تقع منه العين إلا على بساط يتموج مع النسيم، وقد وشته الزهور بين بيضاء وصفراء وحمراء، وخرج الرعاء يسوقون فيه قطعانهم ويحولهم الضامرة. وخرج من الحصن صبية يمرحون في صباح ذلك اليوم الوديع، بعد أن حبسهم الشتاء في حصنهم الحصين شهورًا طويلة، كانت فيها تلك المروج هادئة في سبات يشبه الموت، تحت أكداس من الثلوج تعصف عليها زعازع الزمهرير. كان ذلك في أرض السغد فيما وراء سمرقند،

ذلك الفتى الفارس الذي قتل منذ عامين وترك لها طفلها الصغير الذي يمرح مع الصبية حولها، وكانت بين حين وحين تنبه من حلمها فتتنظر إلى الصبية في لعبهم فتبتسم لهم ابتسامة عطف ثم تعود إلى خيالها لتناجي صورة الزوج الذي نشأ معها في أودية قومها بنى تميم حتى زفت إليه على حب نبيل ولكنها لم تتمتع بالحياة معه إلا ريثما درج ولدهما بينهما، ولما نزعت الحرب منها لم تبد لموته جزعًا، وكتمت حزنها في أعماق قلبها، والتمست العزاء في خلواتها مع صورته في الخيال، وفي نظراتها إلى الصبي الصغير الذي خلفه من ورائه معها.

ولما بلغ الصبية مرعى الخيل أقبل ولدها يجرى نحوها، وقد علق على كتفه قوساً صغيرة ودلى من منطقتة كنانة سهام من جريد النخيل وقال لها في حماسة:

— ألا أركب قليلاً يا أمه؟

فمالت عاتكة عليه فرفعته بين ذراعيها، وقبلته قبلة سريعة وهو يقاوم ويرفس ويصرخ حتى وضعت على الأرض فتخلص من يديها ووثب جاريًا وصاح بها:

— أدركيني إذا استطعت فأني سابق إلى الخيل.

فأسرعت المرأة وراء ولدها وصاحت به:

— ألا تخشى السقطة يا عمير؟

فضحك الفتى في مرح وقال وهو يمسك بقوسه:

— لا أخشى السقطة يا أمه.. ألسنت عمير بن هلال؟

وانجه نحو فرس بيضاء كانت أدنى الخيل إليه، فأسرعت أمه حتى أدركته ومسحت بيدها على رأسه في رفق وقالت مبتسمة:

— تعال معي يا عمير سنركب جميعاً.

ثم ذهبت معه إلى الفرس البيضاء فنادت بها كأنها تنادى بعض أهلها فأقبلت الفرس نحوها ورفعت أذنيها وحركت ذيلها كأنها قد فهمت النداء، ورفعت المرأة ولدها فأركبته، ثم قصدت إلى فرس أحمر قريب منها، وقفزت فوق ظهره خفيفة كأنها فارس من فرسان الحروب، ومسحت بكفها عنق الفرس، فصهل صهيلًا خفيفًا ثم سار يثب هادئًا، وسارت فرس الصبي إلى جواره تحاكي وثباته، ولكن الصبي لم يرض بذلك السير المطمئن فوخز ظهر فرسه بقدميه الصغيرتين، ومال على عنقها قابضًا على شعر معرفتها، وصاح بها يحثها على الإسراع، فاندفعت به الفرس مسرعة وضحكت عاتكة وصاحت بولدها:

— على مهلك يا عمير! فما ينبغي لنا أن نبعد.

فصاح الفتى وهو يفرق ضاحكًا:

الحق بي إذا استطعت يا أمه.

ثم جذب شعر الفرس وضرب ظهرها برجليه، فاندفعت تعدو به في المرج الفسيح عدوا هينا، فلم يكن لعاتكة إلا أن تعدو بفرسها في أثره وقد داخلها كثير من الخوف عليه، وطالت بينهما المسابقة حيناً حتى لحقت به واستوقفت، وقالت له تلومه في شيء من الغضب:

- لقد أسأت يا عمير وعصيتي.

فلم يقلل الصبي من مرحه عند سماع لومها، بل قال ولا يزال يضحك:

- كان في استطاعتي أن أعجزك عن إدراكي. فلم تملك عاتكة إلا أن تبسم وتصرف ما ثار في نفسها من الغضب، وقالت له في عطف:

- هلم بنا نعود فقد بعدنا عن القصر.

فعاد الصبي إلى الضحك وهو يمسك بقوسه: - وماذا تخشين يا أمه؟ لست أبالي السغد فهذه قوسي.

فاقتربت منه عاتكة وقالت وهي تمسح عنق فرسه:

- سابقتي إذا شئت في العودة يا عمير.

وفيما كانت تدير جوادها إلى جهة القصر لاح لها فارس يعدو نحوها، فأرادت أن تسرع عائدة، ولكن الصبي تلكأ وهو يعيد عليها أحاديثه وضحكاته حتى اقترب الفارس وترجل وأقبل نحوها، فوضعت عاتكة الخمار

على وجهها، واتجهت إلى الصبي وقالت له في حدة:

- هلم يا عمير.

وأحست في نفسها غضبة قوية؛ لأن ذلك الفارس تعود أن يتعرض لها في المرج منذ حين كلما تحين خلوتها.

واقترب الفارس وأشار إليها بالتحية متأدباً وهو باسم، ولم يخف على عاتكة ما بدا على وجهه من اضطراب كان يحاول أن يخفيه تحت ابتسامته، فلم تجب عاتكة على تحيته، بل انصرفت إلى الصبي وقالت له في شيء من الصرامة:

- أرني الآن كيف تحسن الركوب يا عمير؟

ثم همزت جوادها في شيء من العنف وضربت بيدها كفل فرس الصبي فعدا الجوادان، وجعل الصبي يصيح بفرسه أن تسرع حتى يدخل القصر سابقاً، ووقف الفارس ينظر في آثارها معجباً، وعلى وجهه آثار من اضطراب أنفاسه.

ثم مضى مطرقاً حتى عاد إلى أصحابه الذين كانوا ينتظرون عودته في وجوم، فوقف معهم حيناً ولا يزال مطرقاً، ثم رفع رأسه وقد لمعت عيناه بريق خاطف، ولاحت على وجهه بسمه ضئيلة ونظر إلى صاحب كان إلى جواره وقال بصوت هامس:

- سأذهب غداً إلى أبيها.

فنظر إليه صاحبه منكراً ولم يجب، فأعاد عليه قوله ثم أضاف:

- ولكنني أراك لا تجيب يا بغا.

فقال صاحبه:

- إنك لم تسمع نصيحتي من قبل، فلا فائدة في إعادة نصحك.

فقال له الشاب باسمًا:

- وهل عرفت أن النصح ينفع من كان مثلي؟ إنني لا أملك قلبي يا بغا حتى أصرفه عنها.

فقال بغا في دفعة:

- ولكنك تنسى أنك الأمير صول سيد السغد وابن سيدهم، وأنت تعرف هؤلاء العرب ومبلغ كبريائهم، فهل سمعت أن أحداً منهم زوج ابنته لغريب؟ ألا تعرف ما يجيبك به أبوها إذا أنت خطبتها إليه؟

فانتفض الأمير صول غاضباً وقد احمر وجهه:

- أيجرو هذا الرجل على الإباء؟

فقال بغا:

- إنهم يتزوجون بناتنا حقاً ولكنهم لن يرضوا بنا أزواجاً.

فقال صول وقد زاد غضباً:

- إذا لأضرمنها عليهم حرباً حامية، لأعيدن الحرب فيما بيننا إذا تجرأ الرجل فلم يرض بي صهراً.

ولم ير بغا أن في مراجعته نفعاً، فأمسك عن الجواب وسار الجميع إلى مضارب خيامهم في صمت ووجوم.

وقضى صول تلك الليلة متردداً في شجونه، لا يستطيع أن ينسى صورة عاتكة التي علقت بقلبه منذ رآها عرضاً، عندما حل في تلك المروج في مطاردة الصيد من شهرين، فمنذ ذلك اليوم الذي رآها فيه بقيت صورتها ماثلة في خياله، لا تفارقه في صباح ولا مساء، وكان يتعرض لها كلما ستحت له في المرج، فلا يفوز منها في كل مرة إلا بإعراض وصمت، فكان ذلك لا يزيده إلا وجداً بها، حتى خطر له أن يقتحم الأمر اقتحاماً ويخطبها من أبيها، ولم تزده نصيحة بغا إلا عناداً وإصراراً على خطبتها، وحملته دفعة حبه على أن يخوض في سيلها الحرب، فقد كان العرب في قصر الباهلي فئة قليلة، لا تستطيع أن تقوم لها قائمة إذا صدمها صول بالألوف المولفة من قبائل السغد، الذين كانوا لا ينتظرون منه إلا أن يأمر فيبادروا إلى طاعته سراعاً.

وبكر صول في الصباح فذهب مع بعض أتباعه إلى باب القصر، يطلب الإذن على نهشل بن يزيد أبي عاتكة، وأذن له نهشل وأنزله ضيفاً وأكرمه وحدثه وأنسه، فقد عرف أنه سيد السغد، وأنه في ذروة القوم

غنى ونسباً وكان الفتى فى تمام شبابه وكرم شيمه مما يزيد منزله وكرامة.

ثم أفضى صول إلى نهشل بما جاء له.. وكانت مفاجأة وجم لها العربى فأطرق لحظة ثم قال بصوت خافت:

- لولا أنك ضيفى لما نجوت من عقوبتى.

فوثب صول على قدميه كأنه قد وطىء حمرا، ولم يجب بكلمة، بل خرج من القصر وهو لا يرى مواقع أقدامه من الغضب، وعاد إلى قومه والنار تلتهم قلبه التهاماً.

ومضى شهر بعد ذلك على قصر الباهلى ولا حديث لمن فيه إلا ذكر ذلك الأمير التركى الذى بلغت به الجرأة أن أتى إلى نهشل بن يزيد يخطب منه ابنته، وامتنعت عاتكة عن الخروج إلى المرح، وزاد حزنها على زوجها الحبيب، لأن خطبة الفتى التركى أعادت إليها ذكرى فجيعتها.

ثم تحرك السغد فجأة وإذا بقصر الباهلى ذات مساء مثل بقعة جزيرة فى محيط من جموع الأتراك.

وبلغت أنباء الثورة إلى حامية العرب فى سمرقند، وكانت الجيوش العربية غائبة فى بعوث الفتح، موزعة فى دروب سجستان وخراسان فلم يبق فى عاصمة الحدود إلا بضعة آلاف فى وسط ألوف الألوف من قبائل الترك.

واجتمع قواد العرب فى سمرقند يتشاورون فى أمر القصر، وفى أمر من فيه من نساء وصبية وفى عجزه عن الثبات لمن أحاط به من فرسان الترك وشجعانهم، وقد امتلأت قلوبهم حقداً على سادتهم المتكبرين.

وقال شعبية بن ظهير، وكان منذ حين أمير القوم ثم عزل عنهم:

- لو كانت هنا خيول خراسان لاستطعنا أن نذهب إلى نجدة هؤلاء.

فصاح به فارس طويل من جانب الجمع على رأسه عمامة حمراء:

- ألسنا من خيول خراسان؟

وتبعه آخرون فإذا بالجمع يتصايح ويتناقش، منهم متوثب إلى القتال ومنهم موثر للحذر والأناة، حتى كاد العقد ينفرط، والقول يتشعب، والخصام والجدال يصيران إلى تدافع ونضال.

فقام رجل من وسط الحلقة متكئاً على سيفه، وأشار بيده يطلب الكلام فالتفت إليه الناس بعد حين وهم يتنادون:

- أنصتوا إلى أميركم عثمان بن عبدالله..

فقال الأمير بعد أن هدأت النائرة وخشعت الأصوات:

«أى قوم! هؤلاء إخوانكم فى قصر الباهلى لايزيدون على مائة، أهل بيت يحرسون ثغراً

بعيداً، ويحمون من نساكنكم وذرائكم من هم فى أعناقكم أمانة».

فحاول شعبية أن يقاطعه، فعلت ضجة أسكتته واستمر عثمان فقال: «ولسنا فى حربنا نبأى ما يصيبنا. إن قصر الباهلى بمن فيه من نساء وصبية يستظلون بعلمكم، ويقبضون هناك ربيثة لكم، أتسلمونهم إذ تكاثر عليهم العدو؟ أتيجون حرمكم لأنكم اليوم فى قلة؟».

فعادت الضجة، وعلت الأصوات، وتهاتف الناس قائلين:

- إلى قصر الباهلى!

فتبسم عثمان راضياً، وعاد إلى الكلام فقال: «لست أمر ولست أنهى، إنكم إن أقدمتم استقبال كل فرد منكم عشرة أو عشرات من العدو ولعلكم لن تستطيعوا غير أن تواسوا من هناك من المسلمين بأنفسكم، فتالوا الشهادة إلى جوارهم، ولكنى لا أمنع من أراد منكم النهوض للقتال».

فما كان يتم قوله حتى قام من جانب الجمع ذلك الفارس الطويل الذى تكلم من قبل، وهو المسيب بن بشر التميمى، فقال وهو يسوى على رأسه عمامته الحمراء:

«لقد عرفتم أن السغد ما تحركوا إلا ليأخذوا عاتكة، امرأة هلال التميمى، وهو الذى عرفتموه، فارساً فى الحرب، كريماً فى الجوار،

طالما دافع عن أحسابكم حتى قتل.. أنترك امرأته سبياً وتسلم ابنه الصبى يبيعه عدوكم؟ لن أبيت الليلة ههنا ومن شاء أن يلحق بى فليفعل».

وما طلع صباح اليوم التالى حتى كان سبعمائة فارس يتبعون المسيب فى الطريق إلى قصر الباهلى وقد بايعوا أنفسهم جميعاً على الموت. وسارت الكتيبة الصغيرة لا تهدأ فى ليل ولا فى نهار، حتى صارت بعد أيام على فرسخين من القصر، فنزل المسيب يستروح قليلاً ويريح من معه، وانصرف الفرسان يلتمس بعضهم طعاماً وبعضهم يستلقى استجماماً وتركوا جيادهم فى سروجها وعدتها، وأقاموا فى أطراف منزلهم ربيثة يحرسونهم من المفاجأة.

ثم دعا المسيب فارسين ليسبقا الكتيبة فى حذر إلى القصر، ويحملا إلى من فيه نبأ النجدة، ويأمرا حاميته بالصبر والدفاع.

وأقبل الليل ولف المروج فى ظلمة حالكة، لا يلوح فيها غير وميض نيران العدو تملأ الأفق من بعيد، وهبط على الفضاء سكون تخرقه صيحات تتموج مع الريح، وتصل إلى الأذان مبهمة فتزيد الظلام رهبة ووحشة. وما هى إلا ساعات حتى عاد الرسولان، فكان أول من لقيهما المسيب وهو يسير فى المرح ينتظر

عودتهما في قلق، وما كاد يراهما حتى
سألهما بلهفة:

- هل بلغتما القصر؟

فقال أحدهما:

- لم نستطع الدخول، فقد كاد حراس القصر
يرموننا بالسهام يحسبوننا أعداء لولا أن
سمعوا كلامنا العربي، فطلبت منهم أن يدعوا
أمير القصر ليكلمني، فما أبطأ حتى أتى،
وأخبرته بقرب الغياث.

فسأل المسيب ولا يزال متلهفاً:

- وماذا وجدت منه؟

قال الرجل:

- لقد اعتزموا أن يقدموا النساء دونهم،
ويقاتلوا حتى يغنوا جميعاً فسرى عن المسيب
وتنفس نفساً عميقاً، وقال:

- هؤلاء قومي..

ثم أسرع إلى رجاله، فنادى قائلاً:

- القتال في ليلتنا هذه..

فلم يجبه أحد بكلمة، بل وثب الجميع على
خيولهم، وتجهزوا للمسير، فاتجه إليهم
المسيب وقد اعتلى جواده قائلاً:

- خفضوا الأصوات واهدأوا في السير حتى
إذا اقتربنا منهم فكروا تكبيرة واحدة
واجعلوا شعاركم «يا محمد!».

ثم اندفع يسير في طليعتهم سراً وثيداً في

صمت وسكون، حتى لاحت لهم خيام الترك
في ضوء النيران وقد همدت الأصوات
والقوم من تحتها نيام، فاقترب المسيب برجاله
حتى إذا صار من الخيام على مرمى سهمين
صاح مكبراً، واندفع مع أصحابه يصيحون
صيحة رجت جوانب الفضاء: «الله أكبر! يا
محمد!».

ولم يلبث العسكر الفسيح بعد هذه الصيحة أن
صحا وتحرك وماجت جموعه مضطربة، وقد
خالطتها سيوف قاطعة، ورماح طاعنة، كأن
السماء قد صبتها على رؤوسهم بغثة.. وما
هي إلا ساعة حتى سالت المروج بالرجال
والخيل، وصار العرب في وسط المروج
الزاحرة كالشعيرات البيضاء في الفرس
الأدهم، لا يعرف بعضهم بعضاً إلا بصيحة «يا
محمد».

وكان المسيب دائماً في طليعة القوم، يجوب
المعسكر من طرف إلى طرف، وأوغل بين
الجموع فإذا هو وحيد، ثم رأى بين ألوف
يخبطون في عماية الظلام ودهشة النوم،
فرسه يختر من تحته وقد أصابته ضربة قطعت
عجزه، فترجل وهو يصيح صيحته:

«الله أكبر! يا محمد!»

واجتمعت عليه السيوف من كل جانب وهو
يدافع ويناضل ويتعثر في جثث قتلاه وكاد

التعب يعييه عن القتال وكسر رمحه وكلت
يداه، ثم سمع صيحة على مقربة منه أعادت
إليه نفسه، فتحامل وصاح صيحته مجيئاً فأقبل
عليه رجاله وجعلوا يطاعنون ويضربون وفيهم
رجل قد قطعت يمينه، فأخذ السيف بشماله ثم
قطعت شماله فجعل يدافع العدو بما بقي من
ذراعيه، ولما استجمع المسيب قوته، وصاح
صيحته مرة أخرى اندفع نحو الرجل ليعينه،
ولكن سيفاً هوى على المسكين فأنامه، ولكن
العدو لم يلبث أن تردد وتزعزع وتملكه الفرع
فتراجع يطلب الفضاء هرباً من ذلك العدو
الذي لا يعرف من أين يأتي إليه، وما هي إلا
لحظات حتى كانت أشباح الترك تسد الأفق لا
تلوى على شيء.

فصاح المسيب في أصحابه:

- دعوا القوم في هربهم، ولا تلحقوا بهم.

ووقف ينظر لحظة إلى الفارس الصريع المقطوع
اليدين، ثم مال إليه فقبله، وأسرع فركب
جواده رآه قريباً منه ولوى عنانه وأشار إلى
أصحابه قائلاً:

- إلى القصر..

في فجر اليوم التالي سار الراكب العربي عائداً
إلى سمرقند، بعد أن حمل من في قصر الباهلي
من نساء وذراري.. وفصل المسيب من القصر
في آخر الركب بعد أن دار حول الأسوار ينظر

لعله يجد متخلفاً، فرأى امرأة تصيح به
تستميله، وعلى يديها غلام صغير، فوقف
حتى اقتربت منه، فقال لها في لهجة اللوم:
- وفيم تأخرت وقد كدنا نبعث؟

فقالت المرأة في هدوء:

- كنت أحمل ولدى من جانب في القصر
تركنه فيه.

فقال الرجل متعجباً:

- وكيف تتركين ولدك؟

فقالت المرأة:

- كنت أحارب مع قومي فما كنت لأتركهم
يحاربون وحدهم.

ثم دفعت الطفل إلى الرجل قائلة:

- خذ هذا بين يديك.

فأخذ الرجل الطفل منها فجعله أمامه وذهبت
هي إلى فرسها في جانب القصر فوثبت عليه
كأنها فارس بارع.

فصاح بها المسيب:

- أو أنت عاتكة؟

فقالت المرأة:

- أنا عاتكة ابنة نهشل.

فخفض الرجل بصره وجمع الطفل إلى صدره
في عطف وسار صامتاً أمامها ليلحق بالركب.

علوم الأرض في تراث المسلمين

بتزم: أ.د. أحمد فتواد باشا

وقال سبحانه:

﴿يُنَادِيكُمْ فِيهَا لَكُمْ مِّنْهَا مَنَازِلٌ أُخْرَىٰ﴾
(سورة طه: ٥٥).

ومنذ القرن الأول للهجرة اتسعت معرفة المسلمين بأقسام الأرض وصفاتها لاتساع فتوحاتهم، وعرفوا منذ ذلك الحين عمل الخرائط وقراءتها، فيروى أنه لما غزا «قتيبة بن مسلم الباهلي» مدينة بخارى صعب عليه فتحها فكتب بذلك إلى «الحجاج بن يوسف الثقفي» وإلى العراق، فكتب إليه الحجاج يطلب منه أن يصورها (أي يرسم خريطتها وما حولها) ويرسل صورتها إليه، وقد أشار الحجاج على قتيبة بطريقة فتحها سنة ٩٠ هـ. وكانت الدولة الإسلامية الكبرى المترامية الأطراف تجتمع على وحدة دين ولغة وثقافة،

كتب المسلمون في علوم الأرض، بقسميها الجغرافيا والجيولوجيا،^(١) قبل أن ينقلوا كتب غيرهم إلى العربية، وكانوا مدفعين في هذا، وخاصة علم الجغرافيا، استجابة لدعوة الإسلام الحنيف إلى طلب العلم وإعمال العقل في كل ما خلق الله - تعالى - وسخره لخدمة الإنسان، بما في ذلك الأرض التي يعيش عليها، فهي أصل وجوده، من ترابها ومائها خلق، وعلى صورها وخيراتها يعيش، وإليها يعود ويتلاشى ترابا في ترابها، ومنها يبعث تارة أخرى، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلًّا فَتَوَلَّوْا
فِي مَنَازِلِكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ رَّزْقِهِ وَآيَةُ النَّشُورِ﴾

(سورة الملك: ١٥)

(١) الجغرافيا علم يدرس ظاهرات سطح الأرض الطبيعية، كالجبال، والسهول، والغابات، والصحاري، والحيوان، والإنسان، كما يدرس الظاهرات البشرية التي صنعها الإنسان على هذا السطح، كالمدن، والإنتاج الاقتصادي: الزراعي والمعدني، والتجارة، وطرق المواصلات، وميدان هذا العلم الطبقة العليا من قشرة الأرض والطبقة السفلى من الجو، أما الجيولوجيا فعلم يبحث في الأرض من حيث تكوينها وتاريخها والعوامل المؤثرة فيها (المعجم الجغرافي، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م).

فاجتهد علماء الحضارة الإسلامية إلى دراستها عن طريق الرحلات والأسفار والتعرف على تضاريس الأقطار والبلدان لتوثيق الصلات بينها، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بالعدل بين سكانها، وكان لاكتشاف الأجهزة العلمية، كالبوصلة والأسطرلاب، أثر مهم في تسهيل الرحلات وتشجيع الرحالة.

وتميز الجغرافيون في الحضارة الإسلامية بنظرتهم العلمية الواقعية لمختلف الموضوعات الجغرافية، وكان الخوارزمي (ت ٨٥٠ م) من أعلام المرحلة الأولى لتطور الفكر الجغرافي الإسلامي فقد وضع كتابا عن «صورة الأرض» قال عنه «تالينو»: إن مثل هذا الكتاب لا تقوى على وضعه أمة أوروية في فجر نهضتها العلمية فصاحبه من أبرز العلماء في عصر المأمون، وهو يعالج في كتابه بصفة أساسية أهم الموضوعات الجغرافية المتعلقة بخطوط طول وعرض الأماكن والجبال والبحار والأنهار وأسماء المدن الواقعة على الجانب المعمور من الأرض، مرتبة حسب ورودها في الأقاليم السبعة.

وقد ساعدت مثل هذه البدايات العلمية تدريجيا على أن تبلغ الجغرافيا درجة عالية في البحث المبني على الاختيار الشخصي والمعرفة المكتسبة من السفر والتنقل، وازدهرت حركة

التأليف الجغرافي، وزاد الاهتمام بالجغرافيا الرياضية والطبيعية والفلكية والبشرية، واتسع رسم الخرائط حتى شمل العالم الإسلامي كله مما يمكن أن نسميه أطلس العالم الإسلامي، وقد أحصى «ميللر» الخرائط التي رسمها المسلمون للعالم الإسلامي فوجدتها مائتين وخمسا وسبعين خارطة، باستثناء خرائط «الإدريسي» التي وصفها «ميللر» بأنها تمثل مدرسة جغرافية خاصة ذات أثر كبير في تصوير الدنيا للأوروبيين.

وهنا قد يبدو للبعض أن دور التجربة في البحث الجغرافي عند المسلمين غير واضح وضوحه في أبحاث العلوم الطبيعية الأخرى وتطورها، إلا أن الجغرافي المعاصر يرى في «الرحلة» عين الجغرافيا المبصرة في الدراسة الميدانية، وفي ضوء هذه الملاحظة المهمة يشهد التراث الجغرافي للحضارة الإسلامية بسبق علمائها إلى مفهوم البحث الجغرافي وإنجازته عن طريق الرحلة الميدانية، وذلك قبل الجغرافي المعروف «إسكندر همبولت» الذي يعد واحدًا من عمالقة الجغرافيا في القرن التاسع عشر الميلادي، وينسب إليه البعض أبوة الرحلة الجغرافية المتخصصة، عندما خرج في الرحلة التي غطت مساحات من أمريكا اللاتينية، ومساحات من شرق أوروبا وسيريا، وعاد منها لكي يصبح جغرافيا مرموقا^(٢).

(٢) راجع في ذلك:

- ١- صلاح الدين الشامي، الإسلام والفكر الجغرافي العربي، الإسكندرية ١٩٧٩ م.
- ٢- صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا في الدراسات الميدانية، الإسكندرية ١٩٨٢ م.
- ٣- أحمد فتواد باشا، العطاء العلمي للحضارة الإسلامية وأثره في الحضارة الإنسانية مكتبة الإمام البخاري، القاهرة ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م.

وإذا انتقلنا إلى الحديث بإيجاز عن أصول بعض العلوم الجيولوجية ومنهجيتها في التراث الإسلامي، فإننا نجد الكثير من النصوص التراثية التي تؤكد سبق علماء المسلمين إلى صياغة مبادئ النظرية الجيومورفولوجية الحديثة والمفاهيم العلمية التي تطور على أساسها علم شكل الأرض Geomorphology وأصبح واحداً من أهم العلوم الجيولوجية المعاصرة^(٣).

ويأتي أبو الريحان البيروني ليوضح أن ما يحدث من تغيرات في سطح الأرض يحتاج إلى مدد زمنية طويلة، فيسبق بذلك إلى القول بنظرية الانتظام أو التواتر Uniformitarianism التي نسبها المؤرخون إلى العالم الاسكتلندي «جيمس هاتون» في عام ١٧٨٥م، والتي تفسر حدوث تغيرات سطح الأرض على أساس أن «الحاضر هو مفتاح الماضي».

من ناحية أخرى، فطن علماء الحضارة الإسلامية إلى مفهوم الزمن الجيولوجي وظاهرة التغير النسبي في مواضع الماء اليابسة من خلال ملاحظتهم لتغير عروض البلاد ومطالعها وأنصاف نهارها تبعاً لتغير وضع اليابسة (القارات) وما يرافق ذلك من تغير في موقع البحار ووضعية الخزانات الجوفية، وها هو أبو الريحان البيروني،

على سبيل المثال، يجعل نظرية تبديل البحر واليابسة أقرب صحة إلى الواقع التاريخي لكوكب الأرض، ويجعل من الاستقراء منهجاً تاريخياً يمتد تطبيقه ليشمل الأحداث الجيولوجية القديمة، فيقول عن بادية العرب: «... وعلى مثله ينتقل البحر إلى البر في أزمنة إن كانت قبل كون الناس في العالم، فغير معلومة، وإن كانت بعده، فغير محفوظة، لأن الأخيار تنقطع إذا طال عليها الأمد، وخاصة في الأشياء الكائنة جزءاً بعد جزء، بحيث لا يفتن لها إلا الخواص. فهذه بادية العرب وقد كانت بحراً فانكس، حتى أن آثار ذلك ظاهرة عند حفر الآبار والحياض بها»^(٤).

ونلاحظ هنا أن البيروني يطوع منهجه العلمي تبعاً لطبيعة الموضوع، فلا يحصد عملية البحث عن الحقيقة في المشاهدة والتجربة العملية فقط، بل إن رؤيته المنهجية الرائدة تعطى عملية التفكير والاستدلال، إلى جانب الربط التاريخي، الأهمية التي تستحقها عندما يكون موضوع البحث قائماً على أحداث تاريخية تفصلها أزمنة مديدة، مثل تراجع البحر وانكشاف اليابس وتبديل مواضعهما، ولم يفتن فلاسفة العلم إلى هذه المعالجة المنهجية عند البيروني، والتي تعتبر تأصيلاً لما يسمى الآن بالمنهج القرصي الاستباطي، أو المنهج العلمي المعاصر.

(٣) تنقضي النظرية الجيومورفولوجية الحديثة بأن تطور أشكال سطح الأرض يعتمد على عوامل التعرية والإرساب والحركات الأرضية، وهي عوامل ناتجة عما يسمى بقوى البناء والهدم.

(راجع في ذلك: د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، دراسات تأصيلية، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٧م)

(٤) المرجع السابق

ويضيف الشيخ الرئيس ابن سينا ما يدعم هذه الرؤية المبكرة والمميزة للبحث العلمي في عصر الحضارة الإسلامية، فيؤكد على دور الحدس، كملكة إدراكية، إلى جانب الملاحظة والتجربة والاستقراء، في الوصول إلى الحقيقة العلمية، وهو يرى أن عملية تبادل توزيع الماء واليابسة ذات طابع كوني لا تتوارث فيه التواريخ، وليست -كما قال فلاسفة الإغريق- محصورة في مناطق ضيقة عند السواحل ومصاب الأنهار، فيقول موضحاً كل هذا وغيره: «ونحن نعلم بأقوى حدس أن ناحية الشمال كانت مغمورة بالماء حتى تولدت الجبال، والآن فإن البحار جنوبية، فالبحار متقلبة وليس يجب أن يكون انتقالها محدوداً، بل يجوز فيه وجوه كثيرة»^(٥).

وهناك مباحث جيولوجية أخرى اهتم بها علماء الحضارة الإسلامية، فقد تحدث الهمداني وابن سينا وإخوان الصفا وغيرهم عن «الطاقة الزلزالية» في باطن الأرض، ووصفوا ما ينتج عنها من آثار متفاوتة الشدة، كما وصفوا بعض أنواعها وسموها «الرياح المحترقة» ودونوا ملاحظاتهم عن الهزات الزلزالية التي تعرضت لها البلدان العربية والإسلامية خلال القرون الماضية، وهي سجلات يمكن الاسترشاد بها في الدراسات

(٥) المرجع السابق

المتعلقة بخرائط التوزيع الزلزالي^(٦). أيضاً، قال علماء الحضارة الإسلامية بنظريات رائدة تحدثت عن طبيعة الحفريات ومدلولاتها العلمية التي يتم على أساسها استنباط التاريخ الجيولوجي ومعرفة تطور الكائنات الحية وتطور اليبسات القديمة عبر العصور الجيولوجية المختلفة، وينسب للبيروني أنه أدرك بالملاحظة الدقيقة ما نعرفه حالياً من أن الحفريات قد تكون عبارة عن الكائن نفسه بجميع أجزائه، أو تكون بقايا الأجزاء الصلبة الهيكلية فقط، وتوجد هذه البقايا بدون أي تغيير في مادتها الأصلية، أو توجد متحجرة بعد استبدال مادتها بمادة أخرى، وقد تكون الحفريات مجرد طابع خاص أو أثر لبقايا الكائن الحي على الصخور التي كان يعيش عليها عندما كانت رخوة لم تتصلد بعد، وعندما تتصلب بمرور الزمن تحتفظ بهذه الطوابع أو هذا الأثر، يقول البيروني: «... بل تخرج منها أحجار إذا كسرت كانت مشتملة على أصداغ وودع وما يسمى آذان السمك، إما باقية فيها على حالها، وإما بالية قد تلاشت وبقي مكانها خلاء تشكل بشكلها»^(٧)، ولا بد أن يكون البيروني قد قارن بين أنواع شتى من الحفريات حتى يتوصل إلى هذه النتيجة التي تؤكد إدراكه لدور الحاضر في فهم عمليات حدثت في الماضي.

(٦) أ.د. عبدالله يوسف الغنيم، سجل الزلازل العربي: أحداث الزلازل وآثارها في المصادر العربية، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت ٢٠٠٢

(٧) د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، مرجع سابق.

العلم فى الإسلام بين النظر والعمل

للاستاذ / محمد مصطفى البسيونى

ووجدانهم يلفظ عله يغذو فى كيانهم سلوكا قويا
آخذًا بخطواتهم المؤمنة الوثيقة على صراط العزيز
الحكيم.

ومن هنا نتأمل قول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

(الأعراف: ٢٠٤)

وهنا نتأمل رحمة الله - عز وجل - بعباده إذ لماذا
يهيب الحق سبحانه بالناس أن يستمعوا للقرآن
وينصتوا؟ هل المولى - عز وجل - فى حاجة إلى
من يستمع إلى قوله وينصت؟ حاشا لجلاله،
وتعالى عن ذلك علوا كبيرا إنما فى «الاستماع»
إلى القرآن مظهر عملى للإيمان بالله وبما أنزل
وإشارة عملية إلى استعداد المؤمن للتجاوب مع
الذكر الحكيم والتزام أوامره، وتجنب نواهيه

من المواقف التى لا أنساها ما سمعته من عالم
فاضل يعمل خطيبا فى مسجد شهير إذ بدأ فضيلته
خطابه بقوله «بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها
الذين آمنوا... ثم صمت... ثم استأنف «يا أيها الذين
آمنوا» ثم صمت، وإذا به يهيب بالسامعين فى
لهجة رقيقة عاتبة: «قولوا نعم، أستمع المعنيين
بقوله سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا»؟

وعلى بساطة العرض، وإيجاز القول كانت
الفكرة عميقة أشد العمق، صادقة أوثق الصدق
تلقت اللب، وتنبه القلب، وتثير الانتباه، فلقد
درج معظم المستمعين فى كثير من الأحيان أن
يتلقوا ما يقال بحكم «العادة» وليس بحكم
«العبادة» وكان شيخنا النابه - أنار الله طريقه -
موفقا أيما توفيق عندما دغدغ آذان سامعيه إلى أن
يستمعوا للكلام الحق بإدراكهم الواعى،

وهى إشارة إلى العبودية التى خلق الله الناس من
أجلها أساسا لخلافة الأرض وعمارتها، تلك
العبودية التى قال الله عنها:

﴿وَمَا خَلَقْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾

(الذاريات: ٥٦)

أما «الإنصات» فهو التركيز فى الاستماع وتوجيه
وجمع الطاقة لذلك حرصا على الاستفادة مما يقال
من استعمار بالماضى واستثمار للحاضر واستفاد
للمستقبل وهذه كلها أمور تدور بالدرجة الأولى
فى صالح العبد.

وهذه إشارة ربانية نعى منها - والله سبحانه أعلم
- أن «استمعوا» تفيد تدبر العبد لكلام الله فى
علاقته مع ربه، وأن «أنصتوا» تفيد تدبر العبد
لكلام الله فى علاقته مع نفسه ومحاسبتها وفق
القضايا والمعايير التى جاءت فى القرآن الكريم
لتقويم النفس بما يعود عليه بالفلاح والرحمة فى
الدارين.

ولعل هذا هو ما يحللى أماننا مسار الآية الكريمة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

(الأنفال: ٢٤)

فإذا انتقلنا إلى قوله تعالى

﴿إِنَّمَا اسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾

(الأنعام: ٣٦)

فتأمل هنا قوله عز وجل يعطف الإنصات على
الاستماع بالواو وليس «أو» أو «ثم» مثلاً،
فالمرور بالقرآن الحكيم دون استماع وإنصات

هو ضرب من المراعاة والتغافل واللامبالاة كما
نلاحظ اليوم فى الطرقات على عربات الباعة أو
المحال العامة أو السراقات للنظار بأن أصحابها
أناس يعرفون القرآن وبالتالي يوهمون الناس أنهم
أمناء فى بيعهم وتجاريتهم ومعاملاتهم على
زعمهم، وذلك هو النفاق بعينه، والمراعاة نفسها،
والجهل البين بقدر القرآن ورسائله فى التوجيه
والإصلاح والعمارة وإلا ما جعلوه فى زحام
ضوضائى مع الأصوات الخليعة، دون أن يعرفوا
للسطريق حقه الذى قرره الإسلام فى السنة
المطهرة.

الرواد بين المبادرة والمثابرة

ولعلنا نذكر هنا ما قيل عن القارئ الورع الشيخ
محمد رفعت يرحمه الله من أنه كان يرفض قراءة
القرآن الكريم عبر الإذاعة المصرية حين افتتاحها
عام ١٩٣٤ حتى صدرت له فتوى بجواز القراءة
وذلك تخرجاً من انصراف الناس عن الاستماع
إلى مشاغل الحياة فيتحمل معهم الوزر.

ولقد قصدنا بذلك القول بأن كلام الله الحق إلى
الخلق فيه تبيان لكل شىء، وتلك بديهية ناصعة
الوضوح فى العقول النيرة والأفئدة الخيرة التى لا
تحتاج إلى استدلال أو برهان.

ذلك أنه أوثق كتاب ارتباطاً بحياة الخلق منذ قال
البديع القويم عز وجل للكون «كن» فكان، ومن
هنا سمي «بالكون» إلى أن يرث سبحانه الأرض
ومن عليها، فإذا تحدث القرآن عن الماضى فذلك

للتذكار والاعتبار، وإذا تحدث عن الحاضر فذلك للاختيار والاختيار، وإذا تحدث عن المستقبل فذلك للتفكير والانتظار.

وهكذا يحدث القرآن الكريم الإنسان عن الزمان والمكان بصدق الواقع المحيط لأنه فوق الزمان وفوق المكان، ومن هنا كان أولى بصاحب الفطرة النقية والفكرة السوية والروح النقية أن يستجيب في إيمان وأعظمنا لأنه قد أوحى به من عل حيث يتكشف كل شيء إذ أن منزل القرآن - عز وجل - هو خالق كل شيء، وهو سبحانه قد أحاط علما بكل شيء ومن ثمة كان

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)

وعندما اهتدى أسلافنا المخلصون الرواد من المسلمين إلى هذه الحقيقة عكفوا على هذا الكتاب المبين يستوحونه المعرفة النافعة، ويستلهمونه العلم الصادق المفيد حيث استحث هممهم، وشجذ قرائحهم، واستنهض جهدهم واستثار عقولهم بآياته الغامرة بالروحانية الدافقة والدافعة إلى النهوض والابتكار وليس القعود والاجترار، ولم يستسلموا للتشاوب والاعتذار حتى يفد إليهم وافد ليقول إن العلم قد اكتشف كذا فهبوا صائحين في غيرة مفتعلة «كذلك قال القرآن من قبل!!»

ولكنهم تشبثوا بزمام المبادرة فكانت المثابرة

تلو المثابرة وعضوا بالنواجذ على حبل المبادرة فكانت على أيدي أبناء الصحراء المفاجأة وذلك عندما قال الحق

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (محمد: ٢٤)

فشغلوا بتدبره.

وحين قال لهم القرآن :

﴿قُلْ يَرْوَاهُ الْآرْضُ﴾ (الأنعام: ١١)

فساروا مكتشفين مبتكرين، وحين أثنى على من «يفكرون في خلق السموات» فتفانوا في التفكير العميق والتدبر الدقيق.

وغير ذلك من مواقف الطاعة المذعنة، والاستجابة المؤمنة مما انعكس على هذه العقول المتطلعة إلى الحق والحقيقة علوما لم يسبقوا إليها في كل باب، وشع في قلوبهم يقينا لا تتسرب إليه شبهة الارتياب، حتى أصبح تاريخهم سماء بلا ضباب، وسطوعا بلا سحاب، ونقاء بلا سراب.

وكانت العلوم في الغرب تتجرجج بأسمائهم فيقال عن علم الكيمياء «صنعة جابر»^(١) ويكسى علم الطب بمهنة «الشيخ الرئيس»^(٢)، ويرتبط علم الضوء بالحسن ابن الهيثم^(٣).

وقد قبل إن جامعة السربون الشهيرة في فرنسا ظلت منذ افتتاحها ولأمد بعيد يقدم الدرس فيها

بالعربية لغة وعلوما لأن الأوروبيين لم يكونوا قد ولجوا بعد هذا الباب.

وهكذا وهكذا كانت تلك الأسماء هي معايير قياس العبقريات في أوروبا، ولم يكن قد ظهر بعد «الفريد نوبل» (١٨٣٣ - ١٨٩٦) مخترع الديناميت المدمر لتصبح جائزته معيارا لقياس العبقريات بعد ذلك في الشرق والغرب جميعا، يلهمت خلفها اللاهثون، ويا للبلون الشاسع بين المعيارين والثقافتين.

النظر والعمل في القرآن

وهكذا نرى القرآن الكريم معجزة الإسلام العظمى، ومعجزة الكون الكبرى يتضافر فيه النظر والعمل، فأياته الكريمة المبينة تقود من يتدبرها ويتفكر فيها إلى العمل القويم والسلوك المستقيم وعندما يوتى هذا العمل أكله، وينضج ثماره يدفع إلى المزيد من التدبر والتفكير في هذه الآية القرآنية بما يشبه العشق العظيم الذي يملأ صاحبه بالطاقة الدافعة والإرادة الفعالة.

وهكذا ندرك أن التضافر الرائع بين النظر والعمل هو الذي يدفع المسلم الحق إلى الإسهام بحب وفاعلية في خلافة الأرض وعمارتها حتى يكون جديرا بحق بالولاء الصادق والعبودية المطلقة للخالق العظيم بديع السموات والأرض.

التربية العملية

ويقودنا هذا الحديث عن النظر والعمل في

القرآن الكريم إلى ما يسميه التربويون «بالتربية العملية» وهي الجانب التطبيقي والميداني لطرق التدريس، إذ لا بد لمن يهيء نفسه لتحمل رسالة «التعليم»^(٤) أن يتلقى دروسا في كيفية القيام بمهنته ثم عليه بعد ذلك أن يطبق هذه الدروس النظرية التي يتلقاها في مدرجات كلية التربية على طلاب بعض المدارس تحت إشراف ذوي الحنكة والتجربة ممن سبقوه في هذا الميدان، حيث يضيفون إلى ما حصله مع معلومات من معلومات نظرية بعض المواقف التعليمية التي قد تعرض له في حياته العملية، وإلا كان أشبه بالبيغاء يردد ما يدرسه في الكتب دون أية دراية بأسلوب تحويل ما هو نظري مجرد إلى عمل ميداني ملموس.

وقد حثت الشرائع على التفقه والتعلم، وفي مقدمتها كتاب الكتب، ومرجع المراجع، ومصدر المصادر ألا وهو القرآن الكريم الذي كان معجزة المعجزات للأمي العظيم ﷺ

ليرهن على أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن تتفق الأمة - بقدرته القادر الخلاق - عن العلم بنسب متفاوتة يعددها الحق سبحانه وتعالى إلى أن تصل إلى قمة المعرفة عند سيد الخلق ﷺ الذي من الله عليه بقوله

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

(النساء: ١١٣)

كما حث جل وعلا الأمة من خلاله عليه الصلاة

(٤) - أفضل أن أسمى عملية «التدريس» بالتعليم لأن التدريس موقوف على الدروس التي يتلقاها الطالب بينما عملية التعليم تشتمل كل ما يتلقاه الطالب من دروس وأنشطة وغير ذلك مما يمتحن شخصيته، ويغلب مسواه.

(١) - جابر بن حيان من علماء العرب في الكيمياء - عاش في الكوفة نحو عام ٧٧٦م ينسب إليه كتاب «الرحمة» الذي بحث فيه طريقة تحويل المعادن إلى ذهب.

(٢) - ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧م) من أئمة فلاسفة العرب، له مؤلفات في الطب والفلسفة والمنطق.

(٣) - الحسن بن الهيثم (٩٦٥ - ١٠٣٩م) عالم في الرياضيات والطب - ألف كتاب «المناظر» في علم الضوء - عاش بالقاهرة في عصر الحاكم بأمر الله.

والسلام على طلب المزيد دائما من العلم بقوله تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

(طه: ١١٤)

العلم بين القوة والضعف

وفي هذا برهان ناصع على أن عقل الإنسان عالم بالقوة^(٥) فإذا تهيأت له الأسباب أصبح عالما بالفعل^(٦).

كما أن هذا برهان ساطع على أن محمدا ﷺ هو أسوة الخلق في الانتقال من الأمية إلى المعرفة مع تدخل الإعجاز الإلهي الياهر، والعناية الربانية القادرة، ثم أليس هو عليه الصلاة والسلام القائل: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»^(٧).

وقد اكتشف هذه الحقيقة في نفسه الفيلسوف الإسلامي الحكيم «ابن سينا» عندما قال في ترجمته الذاتية إنه في سن السابعة عشرة من عمره كان قد قرأ كل الكتب التي كانت معروفة في عصره وفهمها فيما عدا كتاب «الميتافيزيقا» أو «الفلسفة الأولى» للفيلسوف الإغريقي «أرسططاليس» فقد حار ابن سينا في أمره حتى هداه الله إلى أن يصلي ركعتين لوجهه تعالى لعله سبحانه أن يفتح له مغاليق هذا الباب يقول ابن سينا «فصليت ركعتين لوجه الله عز وجل ثم خرجت إلى الطريق فإذا برجل ليس من أهل المدينة معه كتاب يتوجه به إليّ قائلا: يا بني هل لك أن

(٥) - الوجود بالقوة هو الإمكان ويعرفها ابن رشد بأنها الاستعداد الذي في الشيء.

(٦) - أما الوجود بالفعل فهو ظهور الشيء ولذلك يقال إن هذا الشيء موجود «فعلا».

(٧) - ابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود «الجامع الصغير للسيوطي».

(٨) - يبدو أن هذا الكتاب كان من شرح الفيلسوف «الفارابي».

تشتري هذا الكتاب بستة دراهم فصاحبه في حاجة إلى ثمنه، فلما وقع بصري على عنوان الكتاب ووجدته «شرح الميتافيزيقا»^(٨) تناولت الرجل الثمن وعدت إلى الدار، ولم أترك الكتاب إلا بعد أن فهمت فحواه»، وعندئذ - والكلام لابن سينا - صليت لله ركعتين أخريين ثم تصدقت بمال كثير. وهكذا ندرك أن العلم حق من لدن الله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

(الحديد: ٢٩)

وهو - جل وعلا - وحده القادر على نقل المعرفة الإنسانية من القوة الكامنة إلى الفعل البين الفعال وكلاهما من خلق البارئ العظيم.

ومن هنا ضمن القرآن الكريم النجاح لأية أمة تسير على طريق التعلم والتعليم كما أكد الذكر الحكيم - إما بطريق مباشر أو غير مباشر - الحث على ملازمة هذا الطريق المستنير كقوله تعالى:

﴿وَفِي آيَاتِكُمْ آفَافٌ لِّبَصِيرَةٍ﴾ (الذاريات: ٢١)

وكذلك:

﴿أَوَلَمْ نَرْفَعْكُمَا فِي أَنْفُسِنَا فَخَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ (الأنبياء: ٨)

ثم: ﴿فَلْيَنْظُرُوا آيَاتِنَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(يونس: ١٠١)

بل لم يفرق كتاب الله الكريم في هذا المجال بين الرجال والنساء صغارا وكبارا كما نتدبر قوله تعالى مخاطبا نساء النبي ﷺ:

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُكَلِّفُ فِي نَفْسِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ﴾

(الأحزاب: ٣٤)

وعلى هذا الدرب الإلهي سار صاحب الرسالة السمحاء ﷺ عندما نجد من أقواله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(٩) كما يعزى إليه ﷺ قوله: «اطلبوا العلم ولو بالصين»^(١٠) وقد تأسّى به ﷺ في ذلك من جاء بعده من القادة الرواد الذين حذوا حذوه، وسعوا في تحصيل العلم والحث على الاشتغال به، وبهمنا هنا كلمة «الاشتغال به» فالعلم للعلم ليس هو غاية خلافة الإنسان في الأرض، ولا هو سبيل البناء والعمران، ولكن الأهم هو الاشتغال بالعلم وتناوله بالتطبيق لخدمة الإنسان وتطوير الحياة بما ينفع الناس إذاعنا لأوامر الحق سبحانه وتعالى، والعمل في إطار تكليفه، والعرفان بنعمته على الخلق، وتقديرا لشكره عز وجل لبني آدم حيث سجل سبحانه ذلك في كتابه العزيز:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ رُفْدًا مِّنْ فَضْلِنَا وَلَقَدْ كَرَّمْنَا دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنَي مَرْيَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)

تلك هي ملامح الإيجابية التي أرادها البارئ - جل - وعلا في مجال العلم والتعليم، أما خروج

الأمر عن الحدود المشروعة التي حددها الله للبناء والعمران فذلك هو بحق ما تنطق به الآية الكريمة:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾

(الروم: ٤١)

حيث يتحول العلم إلى مارد شيطاني يأكل الحرث والنسل ويهدد حياة الآمنين، ويطفئ نور العقل، ويحرق روحانية الروح، ويدمر طهارة الجسد، ويفسد الخلق والخلق عصيانا للخالق ويفصح عمليا عن معاناة آدم وحواء حين بدت لهما سوءاتهما حيث لا يفيد في ستر هذه السوءات اليوم كل أوراق التوت في الأرض، وحيث أصبحت ضراعة المؤمنين اليوم - وقليل ما هم -

﴿لَا تَعْلَمُ الْيَوْمَاتِ أَنَّهَا يَوْمَ عَالَمٍ﴾

(هود: ٤٣)

وأنه سبحانه:

﴿لَا تَعْلَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانُ﴾

(التوبة: ١١٨)

وهكذا ندرك أن من صور التكامل الذي خلق الله عليه الكون تكامل النظر مع العمل، أو الفكر مع التطبيق في إطار الحق والخير والإحسان وليس في إطار الباطل والشر والخسران، فلا يجدى بريق الأقوال مع ظلمة الأعمال، وهو ما شاع في هذا العصر بين الأفراد والجماعات، بل بين الدول والمنظمات... وباليات قومي يعلمون.

(٩) - ابن عبد البر في العلم عن أنس.

(١٠) - من حديث للعلقبلي في الصفاء وابن عدي في الكامل وابن ماجه «الجامع الصغير».

التعارض بين أحكام الشريعة الإسلامية في مجال الأسرة وأحكام الاتفاقيات الدولية

الأستاذ / عاطف مصطفى

- المتحدثون في المؤتمر يؤكدون على الأهمية المطلقة التي توليها الشريعة الإسلامية لحماية الأسرة المسلمة
- علينا كشعوب مسلمة أن نتمسك بمرجعيتنا الإسلامية وألا نستقي القوانين التي تشترع للأسرة والمرأة والطفل من أي مصدر خارج القرآن والسنة.
- الوثائق التي تطالب بتوحيد الأدوار بين الرجل والمرأة، تحرم المرأة من حق عظيم ميزها به الإسلام.
- المؤتمر يؤكد حق الدول الإسلامية في التحفظ على كل الوثائق والاتفاقيات التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية

شهدت مدينة طنطا على مدى ثلاثة أيام ابتداء من ٧ - ٩ شوال ١٤٢٩ هـ الموافق ٧ - ٩ أكتوبر ٢٠٠٨ م أعمال المؤتمر الدولي لأحكام الأسرة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقيات والإعلانات الدولية، والذي يعالج قضايا مهمة، سواء على المستوى العقائدي أو على المستوى القانوني، أو على المستوى الاجتماعي، وهي قضية أحكام الأسرة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقيات والإعلانات الدولية.

شارك في المؤتمر علماء مسلمون من العديد من البلاد الإسلامية يبحثون مهمة أيضا وهادفة، كما شارك في الإعداد له ثلاث جهات معنية في مقدمتها جامعة الأزهر ممثلة في كلية الشريعة والقانون بطنطا ورابطة الجامعات الإسلامية وجامعة طنطا.

وكان هذا المؤتمر تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر والسيد اللواء عبد الحميد الشناوي محافظ الغربية، أما رئاسة المؤتمر فقد كانت لكل من الأستاذ الدكتور أحمد محمد الطيب رئيس جامعة الأزهر والأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام، وكان الدكتور عبد الفتاح صدقة هو رئيس شرف المؤتمر، أما المقرر فهو الدكتور إسماعيل عبد النسي شاهين عميد كلية الشريعة والقانون بطنطا. وجاءت فكرة المؤتمر من منطلق أن أحكام الأسرة تمثل أهم مناطق النزاع الملتهبة في

العلاقة بين القوانين الداخلية للدول من ناحية، والقانون الدولي العام من ناحية أخرى، حيث صدر في هذا الإطار العديد من الاتفاقيات والإعلانات والوثائق الدولية التي تناولت بشأنها رؤى ومواقف كثير من الدول والمنظمات الدولية العامة والخاصة، بل والمؤسسات الدينية الكبرى كالأزهر والفتاوي، وكذلك المؤسسات المدنية على كل مستوياتها، وكان التفاوت فيما يتعلق بالشريعة الإسلامية أكثر حدة وإثارة، فبينما يعتبر الشرق هذه الأحكام أحوالا شخصية، هي كل ما تبقى من شريعته السماوية، والتي مازالت تحفظ له بعضا من خصوصيته المفقودة وجزءا من ملامح هويته الممسوخة، يفرض الغرب هذه الأحكام باعتبارها أحد أهم حقوق الإنسان غير القابلة للتصرف، والتي تعد الأساس الأول للشريعة الدولية، والمرجع النهائي للحضارة العالمية، وذلك في محاولة لعولمتها على أرجاء المعمورة، ومن ثم وجب بادئ ذي بدء تحديد وتشخيص المسائل التي تشكل تعارضا بين الاتفاقيات الدولية في شأن أحكام الأسرة، وبين القوانين الداخلية لمختلف الدول، ومنها الشريعة الإسلامية، إذ أن عدد التحفظات الواردة على هذه الاتفاقيات تنبئ عن مدى وحجم هذا التعارض، فضلا عن الدول التي امتنعت أصلا عن التوقيع وعلى رأسها فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

أهداف المؤتمر

ومن أهم وأبرز أهداف المؤتمر:

■ حصر مواطن الخلاف بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات الدولية ذات الطابع الاجتماعي على أسس علمية.

■ تحديد المفاهيم الخاصة بالأطر والحقوق والمبادئ التي تندرج فيها أحكام الأسرة كالحقوق العامة والخاصة، والحقوق الفردية للإنسان، ومبادئ المساواة والحرية والتنمية والسلام.. إلخ.

■ إبراز أهمية الاستناد إلى أحكام الشريعة الإسلامية في الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمعات، وتحقيق التوازن النفسي والخلقي للفرد والمجتمع على السواء.

■ الإسهام في إيجاد تقارب حقيقي بين الشرق والغرب، من خلال صياغة الشروط اللازمة لإقامة حوار فعلي بين أنظمة قانونية مختلفة لكل منها مجال صلاحيته، دون افتئات على الآخر، أو محاولة إلغائه وإدماجه.

بحث القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة

استهدف المؤتمر الدولي بحث مدى الاتفاق والاختلاف بين أحكام الأسرة في شريعتنا الإسلامية، وبين الاتفاقات الدولية المعاصرة، مثل اتفاقية السيداو «الخاصة بالقضاء على جميع

أشكال التمييز ضد المرأة وغيرها من الاتفاقيات». وقد عقدت الجلسة الافتتاحية والتي أكد فيها جميع المتحدثين على الأهمية المطلقة التي توليها شريعتنا الإسلامية لحماية الأسرة المسلمة، وعلى ضرورة التصدي بالرفض والتحفظ على كل النصوص الواردة في الاتفاقيات والإعلانات الدولية التي تتعارض جوهرياً مع مبادئ وأحكام شريعتنا الإسلامية مثل توحيد الأدوار بين الرجل والمرأة توحيداً مطلقاً، ومثل المطالبة برفع ولاية الأب عن ابنته البكر في الزواج، ومثل حق المرأة في جسدها دون ضوابط شرعية، ومثل إلغاء التمايز بين الذكورة والأنوثة، والاكتفاء بمصطلح النوع الإنساني (الجندر) وإلى مثل هذا من يتود تصادم تصادماً جوهرياً مع شريعتنا الإسلامية.

وعلى مدى ثلاثة أيام قدم أكثر من خمسين بحثاً تغطي ثلاثة محاور أساسية.

المحور الأول:

دراسة أهم الاتفاقيات والوثائق الدولية المتعلقة بأحكام الأسرة من - جوانبها المختلفة: اجتماعية فلسفية - قانونية.. إلخ. ومنها: اتفاقية الحقوق السياسية للمرأة عام ١٩٥٢.

■ اتفاقية جنسية المرأة المزدوجة.
■ اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة عام ١٩٧٩ م.

■ الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة، الذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٩٣ م.

المحور الثاني:

دراسة تحليلية لأوجه التعارض بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات والإعلانات الدولية في شأن أحكام الأسرة وأسس التعارض، ومن بين ما تضمنته موضوعاته:

- الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والمدنية للمرأة.
- وسائل الزواج «رضاء الطرفين بالزواج - الحد الأدنى لسن الزواج - تسجيل عقود الزواج - المساواة بين الرجل والمرأة «الميراث - الشهادة - القوامة - التعدد - الأجر - الأدوار «الجندر».
- فلسفة وجود الأسرة بين الشريعة والاتفاقات الدولية.

المحور الثالث:

فقد تناول تطبيق الاتفاقات الدولية المتصلة بالأسرة داخل الدولة وتضمن عدداً من البحوث التي تناولت:
- أوجه التعارض بين الاتفاقات الدولية والشريعة الإسلامية.
- موقف الفقه الدولي وموقف القوانين الداخلية للأمم وموقف القضاء الدولي والعمل الدولي «مواقف الدول».

- مدى الالتزام بتطبيق الاتفاقات المتصلة بالأسرة في ظل التعارض القائم بين الشريعة الإسلامية والإعلانات الدولية، والتحفظ من قبل الدول الإسلامية على الاتفاقات.

كما عقدت على هامش المؤتمر مائتان مستديرتان بعنوان وسائل تفعيل مشاركة المجتمعات الإسلامية في صياغة الاتفاقيات الدولية.. الأولى بعنوان «التعامل مع التشريعات الدولية من منطلق الشريعة الإسلامية».

والثانية بعنوان: مدى شرعية إلغاء التحفظات على الاتفاقات الدولية.

مناقشات مثمرة

في الجلسة الثانية التي رأسها الدكتور إسماعيل عبد النبي شاهين عميد كلية الشريعة والقانون بطنطا ومقرر عام المؤتمر، وفي اليوم الأول (٧ شوال ١٤٢٩ هـ / ٧ أكتوبر ٢٠٠٨) كان المتحدثون ثمانية من المشاركين في المؤتمر، كل واحد منهم تحدث عن بحثه، وتم التعليق عليه من بعض الحضور، وكان من بين هذه البحوث بحث بعنوان المرأة المسلمة في المواثيق الدولية للدكتورة نورة بنت خالد السعد أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

أشارت د. نورة في بحثها إلى اهتمام الإسلام بالأسرة اهتماماً بالغاً وشرع لها تشريعات خاصة بتكوينها وأمنها وسلامتها حتى في حالات الخلل

الوظيفي لها عندما يفتقد الزوجان مكان من المودة والسكن بينهما، نجد أن هناك تشريعات تحدد حقوق وواجبات كل منهما ليكون الانفصال أداة للتكامل وليس الصراع بين الطرفين لصالح الأبناء. وأشارت إلى أن المرجعية الإسلامية هي التي تحكم جميع ما يرتبط بهذا البناء الأسري ولكل ما يتعلق بقضايا المرأة في المجتمعات الإسلامية والتي لابد أن تكون متباعدة من تعاليم الإسلام من قرآن ومن سنة وتطلق كل من الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية في مسألة حماية الأسرة والأفراد، وتحقيق أمنهم من منطلق حقوق الإنسان، ويستمد كل منهما شرعيته في مسألة الحقوق من مرجعية ذات أصول فكرية وعقدية متباعدة، وتقتضي منا المقارنة عند تناول قوانين حماية الأسرة والمرأة في كل من النظامين الإسلامي والدولي، بيان المنهجية والأسس التي تشكل المنطلقات الرئيسية في التعامل مع التشريعات ذات العلاقة بقضايا الأسرة والمرأة بصفتها «محور الاهتمام العالمي المعاصر» والتي ينبغي الإشارة إليها، وقالت في بحثها عن الأسرة المسلمة في المواثيق الدولية: إن الحقوق في الشريعة الإسلامية تعتمد «الحاكمية لله» مرجعية شاملة، وتدور الحريات في فلك حفظ مصالح الفرد والمجتمع، بينما تستمد الحقوق في المواثيق الدولية من العلمانية التي ترفض الدين وتسعى لإلغاء أثره نهائيا في المجتمعات الإنسانية

فالشريعة الإسلامية تعطي المرأة حقوقا وتكفلها بواجبات، في حين أن المواثيق الدولية تركز على حقوق المرأة دون ذكر للواجبات، وتنظر إلى المرأة كفرد قائم بذاته، وفي حالة صراع وتنافس دائم مع الرجل. والمواثيق الدولية تتعامل في تشريعاتها مع المرأة كفرد مستقل عن غيره، أما الإسلام فهو ينظر إلى المرأة والرجل ضمن مؤسسة الأسرة، وينظر إليهما وإلى الأسرة من خلال المصلحة العامة للمجتمع.

التمسك بالمرجعية الإسلامية

وتوضح د. نورة أن المواثيق الدولية تنطلق من رؤية منهجية مستمدة من فكر الحركة الأنثوية «Feminism» وهي من أقوى الحركات الفكرية التي ترعرعت في ظل النظام العالمي الجديد، وتمارس هيمنتها عبر منظمات الأمم المتحدة ومؤسسات المجتمع المدني، وتسعى لأن تكون المواثيق الدولية هي المرجعية في التشريع بالنسبة للمرأة، دون أن تأخذ في الاعتبار أية مرجعيات أخرى ثقافية كانت أو دينية.

فالاختلاف الرئيسي بين تشريعات الأسرة في الإسلام وبين الأمم المتحدة، يتضح من خلال المرجعية، وهذا يصعب الدور، فالخالق جعل العالم قائما على الاختلاف والتعددية الثقافية والدينية التي لابد من احترامها، ولكننا بوصفنا شعوبا مسلمة لنا الحق في أن نتمسك بمرجعيتنا

الإسلامية، والأناستقي القوانين التي تشرع للأسرة والطفل والمرأة من أي مصدر خارج القرآن والسنة في حين أن المواثيق الدولية للأسرة وللمرأة والطفل فيها الكثير من أوجه التعارض الشديد مع الدين الإسلامي.

فعلى سبيل المثال أقر الإسلام الكثير من الفوارق بين الرجل والمرأة، مثل عقد النكاح والقوامة والتعدد والنفقة والميراث.. الخ.

وهذه الفوارق ليست ضد أي من الذكر والأنثى، بل هي متناسبة مع الدور الخاص بوظيفة وتكوين كل منهما، وهي في صالح الأسرة.

في حين تعد الاتفاقات الدولية هذه الفوارق تميزا ضد المرأة، وهي بهذا تحرم المرأة من حقوقها الأساسية.

فحين تطالب الوثائق بتوحيد الأدوار بين الرجل والمرأة، تحرم المرأة من حق عظيم ميزها به الإسلام، وهو حقها في أن يتفق عليها زوجها، فالمرأة في الإسلام ليست مضطرة أن تعمل لتتفق على نفسها.

وحين تطالب المواثيق الدولية برفع ولاية الأب عن ابنته البكر في الزواج، فهي تحرم الفتاة من حق الحماية والاسترشاد برأى الأب والأهل بصفة عامة، والذي يحميها من الاختيارات الخاطئة، ويحميها من أن تعرض للأذى أو الإهانة على يد زوج تعرفت عليه بعيدا عن الأسرة، وتحرم الأب بصفته المسئول عن الأسرة من أدائه لواجباته.

أيضا حين تطالب المواثيق بما يسمى بحق المرأة في جسدها يجب أن يسمى في الواقع إسقاطا لحقوق المرأة التي أوجيها لها الإسلام، فالمرأة في الإسلام لها الحق في المهر والسكن والنفقة والرعاية والحماية التي تتوفر لها داخل منظومة الزواج، وبإقامة علاقة خارج الزواج، أو بانتهاء منظومة الزواج تسقط كل هذه الحقوق، فتعطي المرأة كل شيء دون أن تحصل على أدنى حق من حقوقها.

مصطلح غريب ومرفوض!

وتواصل د. نورة السعد بحثها المهم مبينة أن المواثيق الدولية ترفض حقيقة وجود اختلاف أو تمايز بين الجنسين، وتبني مصطلح النوع الاجتماعي «Gender» بديلا لمصطلح ذكر وأنثى، وذلك لإلغاء جميع التشريعات والمفاهيم المترتبة على الجنس، والدعوة إلى تماثل المرأة النام مع الرجل في الأدوار والموارد والمسؤوليات وهو من المصطلحات الخطيرة التي تعتمد عليها المؤتمرات في تنفيذ بما يحقق مضمونها البعيد عما تنادى به تشريعاتنا الإسلامية في حين أن الإسلام ينطلق في تشريعاته من وجود فروق جوهرية بين الرجل والمرأة، تحقق لكل منهما وظيفته في الحياة وتجعل كلا منهما مكتملا للآخر. لكن هذا لا ينفي أن هناك بنودا في مواثيق الأمم المتحدة من خلال «اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة» المعروفة بالسيداو

Cidaw تتفق مع تشريعاتنا الإسلامية، بل في تشريعاتنا ما يفوق أهمية وخدمة للبناء الأسري في المجتمع، كما استعرضت الباحثة الموثيق الدولية ابتداء من عام ١٩٢١، بداية من الاهتمام بقضايا المرأة في المجتمعات الغربية، وتقنين حقوقها دون واجباتها، ودون النظر إليها باعتبارها جزءاً من الأسرة، ثم توضيح بنود الاتفاقية التي تعتبر الآن المرجعية القانونية لقضايا الأسرة، من خلال التركيز على دور المرأة فيها وفي المجتمع، التي تتعارض بعض موادها مع التشريعات الإسلامية، والتي تشكل خطورة على البناء الأسري في المجتمعات المسلمة.

إعلان طنطا

في نهاية المؤتمر صدر إعلان طنطا، حيث أكد العلماء والمفكرون أن الأسرة لما كانت عماد المجتمع وقاعدة الحياة البشرية فإن الإسلام أولاهها عناية فائقة، وجاء بالمبادئ والقيم التي تدعمها وتنفى عنها شوائب الضعف والاضطراب، وتكفل لها حياة الاستقرار والقوة لتظل دائما خلية حية في جسم المجتمع، تشد أزره، وتدفع عنه كل ما يهدده من مخاطر وأمراض.

وانطلاقاً من عناية واهتمام الإسلام بالأسرة وحرصاً على استمرار تماسكها وحمايتها من معاول الهدم، والتي أصبحت تحيط بها من كل جانب، وإيماناً بقوة المقاومة من شعوبنا العربية والإسلامية في مواجهة محاولات الهيمنة والسيطرة التي تمارسها قوى مضادة لاستقرار

الأسرة المسلمة، واستلهاماً بتشريعات وعقائد الأديان السماوية التي اتحدت كلمة أهلها على التصدي لمحاولات هدم الأسرة، دعت جامعة الأزهر ممثلة في كلية الشريعة والقانون بطنطا، ورابطة الجامعات الإسلامية، وجامعة طنطا إلى مؤتمر دولي لدراسة كل ما يتعلق بالأسرة، من خلال ما صدر من إعلانات وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة حول حياة الأسرة وحقوقها. ساهم في هذه الدراسة لفيف من علماء الأمة المتخصصين وقدمت بحوث علمية تناولت قضيتين رئيسيتين.

الأولى: مدى التعارض بين أحكام الشريعة الإسلامية، وأحكام الاتفاقيات والإعلانات الدولية التي تنظم العديد من جوانب أحكام الأسرة، وتتفق أحياناً مع الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية التي خلت قبلها، والتي تتفق في جملة أحكامها الأساسية مع الشريعة الإسلامية.

الثانية: مدى حق الهيئات الدولية في إجبار الدول والحكومات على رفض هذه الاتفاقيات والإعلانات مع سلب حقها في التحفظ على هذه الاتفاقيات بشرط عدم التعارض مع الشريعة الإسلامية.

وبعد مناقشة البحوث والدراسات أصدر المؤتمر عدداً من التوصيات منها:

أولاً: استعرض المؤتمر أهم الاتفاقيات والإعلانات الدولية الخاصة بالأسرة، مثل اتفاقيات

إزالة كافة أشكال التمييز ضد المرأة «السيداو» واتفاقية جنسية المرأة المزدوجة وحقوقها السياسية، وحقوق الطفل، والإعلان بشأن حماية النساء والأطفال في حالات النزاع المسلح وإعلان القضاء على العنف ضد المرأة، والبروتوكول الملحق باتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، والاتفاقية الخاصة برضا الزواج، والحد الأدنى لسن الزواج، وتسجيل عقود الزواج، وتبين له أنها تتضمن أحكاماً متفقة مع أحكام الشريعة الإسلامية مثل المساواة في الحقوق والواجبات في الجنسين، وضرورة توافر رضا الطرفين في الزواج، وحق كل طرف في حل عقدة النكاح، إذا قامت لديه أسباب واضحة لذلك.

ويعلن المؤتمر تأييده للوثائق الدولية التي تستهدف كل أشكال التمييز ضد المرأة، والأوضاع المتردية التي تحيط بها في كثير من المجتمعات.

ثانياً: يعلن المؤتمر رفضه لكافة الإعلانات والاتفاقيات التي تخالف نصوصها الشرائع السماوية، وتسعى إلى إعطاء المرأة حقوقاً لا تتفق مع فطرتها، أو تسعى إلى إلغاء الفوارق الفطرية، بين رسالة الرجل والمرأة في المجتمع، كالمساواة التامة في الميراث أو الحق في إيقاع الطلاق، أو حقوق الرجل في القوامة، أو واجب الرجل في الإنفاق على بيته وتربية أولاده.

ثالثاً: راجع المؤتمر كل الوثائق والاتفاقيات التي يقصد بها هدم الفضائل التي تقرها الأديان والشرائع السماوية، ويستتكر إباحة الزواج المثلي، أو الحرية الجنسية بين الرجل والمرأة، كما يستتكر إباحة الاختلاط بغير عذر شرعي وضرورة ملحة.

رابعاً: يؤكد المؤتمر حق الدول الإسلامية في التحفظ على كافة الوثائق والاتفاقيات التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية، تأكيداً لأحكام القانون الدولي بهذا الخصوص ويرفض سلب الدول هذا الحق المقرر قانوناً لأي سبب مهما يكن، كما يؤكد حق ممثلي الدول في المؤتمرات والمنظمات الدولية في عدم إقرار أية قواعد لا تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، والشرائع السماوية الأخرى والقوانين الداخلية.

خامساً: يستحث المؤتمر اتباع الديانات السماوية الوقوف صفاً واحداً ضد محاولات الافتئات على كيان الأسرة أو إضعافها، كما يدعو المؤتمر إلى تعزيز الإشباع الديني للإنسان تحقيقاً للرقابة الذاتية وحدا من حب الشهوات والملذات الحسية التي أدت إلى إهدار آدمية الإنسان وتدمير قيمه.

وأخيراً.. يحض المؤتمر الآباء والأمهات على أن يكونوا أسوة حسنة لأبنائهم في الأقوال والأفعال، ومراقبة سلوك هؤلاء الأبناء حماية لهم من رفقاء السوء.

الدرع الصاروخي الأمريكي والأمن القومي الروسي

للاستاذ: صلاح عبدالرحيم محمد
باحث في الشؤون السياسية

تشكل منطقة شرق أوروبا، منذ القدم بالنسبة للأمن القومي الروسي، أهمية استراتيجية خاصة، فقد كانت بولندا وتشيكوسلوفاكيا، على وجه الخصوص، هما المعبر الذي عبرت من خلاله القوات الغازية إلى روسيا، كما تعتبر هذه المنطقة الحيوية، منطقة عازلة بين الأراضي الروسية، وأى محاولات عدوانية تأتي من غرب أوروبا عليها، ومن هنا جاء حرص القيادة السياسية الروسية للسيطرة عليها، ومد نفوذها إليها، لرد أى اعتداء عليها من الغرب الأوروبي.

(وهي دول البلطيق)، وبلغاريا، ورومانيا، وسلوفاكيا، وسلوفينيا، ورغم تواضع قدراتها العسكرية التي لا تؤهلها لهذه العضوية في الناتو، والهدف من وراء ذلك واضح وهو حصار روسيا الاتحادية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أصدر البرلمان الأوكراني قرارا يتيح للحلف حق المرور عبر الأراضي الأوكرانية، وحق القيام بعملية تطوير وتحديث على نطاق واسع للمنشآت العسكرية لدول البلطيق الثلاث «أستونيا، لاتفيا، ليتوانيا»

وتسعى روسيا الاتحادية في الوقت الحالى، جاهدة إلى عدم وقوع هذه المنطقة تحت الهيمنة الأمريكية، ومن اللافت بعد انهيار الاتحاد السوفيتى السابق في بداية التسعينيات من القرن العشرين بادر حلف شمال الأطلسي (الناتو) بتوسيع عضويته حتى الحدود الروسية، بإيعاز من الولايات المتحدة الأمريكية، ففي قمة الحلف في مارس ٢٠٠٤، تم قبول عضوية سبع دول من جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق، هي... أستونيا، ولاتفيا، وليتوانيا

التي انضمت إلى الناتو، ولقد أثارت هذه الإجراءات من جانب الحلف، قلق روسيا الاتحادية، التي رأت أن توسيع هذا الحلف بهذه الصورة، يمثل تحدياً خطيراً للأمن القومي الروسي، وهو ما وضع الناتو أمام البوابة الروسية، وفي إطار الاستراتيجية الأمريكية للهيمنة على منطقة شرق أوروبا، أعلنت واشنطن عزمها على مد درعها الصاروخي المضاد للصواريخ إلى هذه المنطقة الحساسة، فاتفقت مع كل من بولندا، وجمهورية التشيك، على نشر ١٠ بطاريات من الصواريخ الاعتراضية على أراضي الأولى، ونصب قاعدة رادار، على أراضي الثانية، واختار خبراء الاستراتيجية الأمريكية قرية «ريجيكوفو» البولندية التي تبعد فقط ٢٠٠ متر عن جيب «كالينينجراد» الروسية لنشر قطع الدرع الصاروخي الأمريكي، كما اختاروا منطقة «بردي» العسكرية التشيكية، لنشر الرادار الأمريكي، وأكد رئيس وكالة الدفاع الصاروخي الأمريكي «هنري أوبرنج» أن قاعدة الرادار المزمع إقامتها في جمهورية التشيك، والصواريخ الاعتراضية العشرة في بولندا، ستصبح عناصر من نظام صاروخي عالمي، يشمل أيضاً راداراً في بريطانيا، وقد صرح «أوبرنج» بأن النظام الصاروخي الأمريكي سوف يدافع عن جمهورية التشيك، ودول وسط أوروبا الأخرى ضد التهديدات الإيرانية. ومن جانب آخر حددت وزيرة الخارجية الأمريكية «كونداليزا رايس» الهدف من الدرع الصاروخي الأمريكي حينما قالت: «إن هذه الاتفاقية، ستقيم موقعاً للدفاع

الصاروخي في بولندا، يساعدنا في التعامل مع المخاطر الجديدة للقرن الحادى والعشرين، للصواريخ البعيدة المدى من دول مثل إيران وكوريا الشمالية». وتقول واشنطن إن الصواريخ الاعتراضية في بولندا، ومحطة الرادار في جمهورية التشيك، ستشكل جزءاً من درع صاروخي عالمي لحماية الولايات المتحدة وحلفائها من الصواريخ الطويلة المدى التي قد تطلقها في المستقبل إيران أو جماعات متشددة مثل القاعدة.

ويذكر مسئولون أمريكيون أنه «إذا مضى كل شئ، وفقاً لما هو مقرر، فإن قاعدة الصواريخ الاعتراضية، ستكون جاهزة للتشغيل بحلول عام ٢٠١٢»

وفي هذا السياق قال الرئيس الأمريكي «بوش» «إن الدرع الصاروخي الدفاعي قد يقنع إيران بالتخلي عن برنامجها النووي».

ويقوم الدرع الصاروخي على نظام الإنذار المبكر، وهو مصمم لاعتراض الصواريخ العابرة للقارات، حيث يقوم الصاروخ الاعتراضى، باعتراض الصاروخ العابر، وتفجيره في الفضاء قبل وصوله إلى هدفه إلى الأرض، وترى موسكو أن نشر ١٠ صواريخ اعتراضية على الأراضي البولندية، ونصب قاعدة رادار على الأراضي التشيكية، ليست لها علاقة بالتهديد الإيراني فقال الرئيس الروسي «دмитري ميدفيديف» «إن إقامة قوى جديدة مضادة للصواريخ في أوروبا الشرقية تستهدف روسيا الاتحادية» وأكد وزير الخارجية الروسي معارضة موسكو نشر الدرع الصاروخي الأمريكي في شرق أوروبا لأنها تهدد الأمن

القومى الروسى، وقال «لا يمكننا إلا أن نرى المخاطر تتكشف نتيجة مجيء القوات الاستراتيجية الأمريكية قرب حدودنا». وقد اعتبرت روسيا قرار مجلس الشيوخ الأمريكى فى ١١ سبتمبر ٢٠٠٨ بالموافقة على إنشاء محطة رادار وإنذار مبكراً جديدة، ضمن عمليات توسيع الدرع الصاروخى، تصعيداً خطيراً، ومواصلة لنهج عسكرية أوروبا، وتوتيراً للموضع فى القارة الأوروبية كما جاء بيان وزارة الخارجية الروسية ليعلن أنه «سيكون على روسيا فى هذه الحالة أن ترد، ولن يقتصر ردّها على الاحتجاجات الدبلوماسية». وقال قائد قوات الصواريخ الاستراتيجية الروسية: «نيكولاى سولو فسوف» «إن روسيا ستوجه بعض صواريخها العابرة للقارات إلى مواقع المنظومة المضادة للصواريخ، التى تعتزم واشنطن نشرها فى بولندا وجمهورية التشيك» ولم يستبعد «سولو فسوف» توجيه عدد من الصواريخ الروسية إلى مواقع أخرى مماثلة فى المستقبل فى إشارة إلى جمهوريات البلطيق الثلاث التى تتخذ موقفاً عدائياً من روسيا وهى إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا، خاصة بعدما تردد مؤخراً عن احتمال نشر درع صاروخى أمريكى فى هذه المنطقة أيضاً.

ولعل إعلان روسيا تجميد العمل بمعاهدة الحد من الأسلحة التقليدية فى أوروبا، جاء جزءاً من ردود الفعل الذى توعدت بها موسكو فى حالة إصرار واشنطن على نشر درعها الصاروخى كما أعلن قائد القوات الفضائية الروسية، الجنرال «فلاديمير بويو فكين» أن «منظومة صاروخية فضائية تعرف

باسم «روكوت» ستدخل الخدمة العسكرية فى نهاية عام ٢٠٠٨ إلى جانب صواريخ جديدة متطورة من طراز «إنجادا».

ويذكر مركز الدراسات الاستراتيجية الروسى أن موسكو قد تنشر دبابات ومدافع، ومنظومات صاروخية فى إقليم «كالينجراد» الروسى القريب من الحدود البولندية، ومنطقة «مسكوف» الواقعة على البحر الأسود، بالإضافة إلى منطقة «فلاديمقاز» فى الجنوب الروسى كرد فعل لنشر عناصر من الدرع الصاروخى فى كل من بولندا وجمهورية التشيك، كما أعرب رئيس الوزراء الروسى «فلاديمير بوتين» عن نيته نشر منظومة أسلحة «فائقة التطور» فى أذربيجان، لمواجهة الدرع الصاروخى الأمريكى، وفى هذا السياق أجرت روسيا مؤخراً تجربة ناجحة لصاروخ عابر للقارات متعدد الرؤوس، قادر على اختراق الدرع الصاروخى الأمريكى المضاد للصواريخ، فيذكر مسئولون عسكريون روس «إن الصاروخ الذى أطلق من غواصة روسية، أصاب أهدافه فى «كورا» فى شبه جزيرة طامشاك، فى أقصى شرق روسيا»، وصرح قائد قوات الصواريخ الاستراتيجية الروسى «نيكولاى سولو فسوف» فى إطار مواجهة نشر الدرع الصاروخى فى كل من بولندا والتشيك بأن «القوات الاستراتيجية الروسية، ستجرى تجارب إطلاق ٤ صواريخ عابرة للقارات قبل نهاية عام ٢٠٠٨، بما فى ذلك تجربة إطلاق صاروخ باليستي عابر للقارات من طراز «آر. إس - ٢٤» من قاعدة «بليستسك».

ويذكر فى هذا الصدد أن مدى الصواريخ

الاعتراضية الأمريكية يبلغ ٢٠٠٠ كم، بينما تقع بولندا نفسها على بعد ٤٠٠ كم عن إيران، الذى يجرى إنشاء الدرع الصاروخى فى أوروبا ضدها -يزعم واشنطن- وهو ما يثير شكوك روسيا، بأن هذه الصواريخ الاعتراضية موجهة ضدها، وليس ضد إيران، فقال الناطق باسم وزارة الدفاع الروسية الجنرال «نيقولا أوفاروف»: «إن عناصر المنظومة الأمريكية المضادة للصواريخ، المزمع نشرها فى أوروبا تستهدف روسيا، بما فيها قواعد الصواريخ الاستراتيجية فى «كوزيلسك»، و «مقاطعة كالوجا» وفى هذا الصدد قال «سيرجى لافروف» وزير الخارجية الروسى: «إذا كانوا يتحدثون عن تهديدات محتملة من إيران، أو كوريا الشمالية، فكان يجب نشر الصواريخ الدفاعية فى مواقع مختلفة»، ومن هنا صرح الرئيس الروسى السابق «بوتين» ورئيس الوزراء الحالى فى مؤتمر صحفى فى الكرملين بقوله: «إن اختصاصيين لا يجدون أن منظومة الدفاع المضادة للصواريخ المزمع نشرها فى بلدان أوروبا الشرقية، تستهدف التصدى للخطر القادم من إيران أو من إرهابيين معينين» واعتبر «بوتين» أن حجج واشنطن لنشر منظومة الدفاع الصاروخى الأمريكى فى أوروبا «باطلة» وغير مقنعة، وأن الأمر كله يتعلق بروسيا مباشرة وأنه سيثير رد الفعل المطلوب. ويقول الكرملين «إن ما تقوله الولايات المتحدة حول أهداف الدرع الصاروخى غير حقيقى» وعارض هذا الدرع بوصفه تهديداً للأمن القومى الروسى.

ومن جهة أخرى أكد «فيليب كويل» مستشار مركز معلومات فى واشنطن ومساعد وزير الدفاع

الأمريكى السابق «أن إيران لا تمثل خطراً على موقع الدرع الصاروخى الأمريكى، اغتبط له فى شرق أوروبا، وأن الدرع سوف يعجز عن التصدى لخطر إيرانى مفترض فى المستقبل»، والحقيقة كما تقول وكالة الدفاع الصاروخى الأمريكى رسمياً «إن الغرض الأول من هذا الدرع، المزمع نشره على الأرضى التشيكية فى صورة قاعدة رادارية، هو حماية أجهزة الرادار الموجودة فى جرينلاند، وبريطانيا، وهو يكشف زيف المزاعم الأمريكية بأن الدرع الصاروخى الأمريكى هو لحماية الولايات المتحدة وحلفائها، من صواريخ الدول المارقة مثل إيران وكوريا الشمالية، ويتساءل محللون عسكريون: هل هناك تهديد حقيقى من إيران على أوروبا فى الوقت الحالى؟ وتأتى الإجابة من جانبهم بأن المسافة بين طهران، وبراغ العاصمة التشيكية التى تستضيف الرادار الأمريكى هى نحو ٣٤٠٠ كم، وأن أطول مدى للصواريخ التى تملكها إيران حالياً هو حوالى ١٥٠٠ كم أى أنها لا تقطع، ولا حتى نصف المسافة إلى «براغ» ويصل هؤلاء المحللون العسكريون إلى نتيجة مفادها أنه ليس هناك خطر من إيران على برنامج الدرع الصاروخى الأمريكى، كما تزعم واشنطن.

ومن هنا هدد الرئيس الروسى السابق «بوتين» بالانسحاب من معاهدة القوات التقليدية، فى أوروبا، وأعلن أنه لا يعتبر نفسه ملتزماً بها، وجاء تحذير روسيا باتخاذ إجراءات مناسبة لمواجهة الدرع الصاروخى الأمريكى على لسان السفير الروسى فى «براغ» «إلكساي فيدوتوف» قبل يوم من موعد توقيع وزيرة الخارجية الأمريكية «كونداليزا رايس»

مع نظيرها التشيكي «كارل شفار تسينجر» على الاتفاقية الخاصة بوضع القاعدة الإدارية الأمريكية في منطقة «يردى العسكرية» التشيكية، ويذكر أن واشنطن عجزت عن القناع موسكو بأن نشر هذه الصواريخ في أوروبا هي بهدف حفظ الأمن العالمي، وحماية الولايات المتحدة نفسها وجزء كبير من أوروبا من الصواريخ التي توجهها بعض الدول المارقة مثل إيران وكوريا الشمالية، لذلك فإن واشنطن عرضت على روسيا في محاولة لتجنب اعتراضاتها، بأن ترسل مراقبين روساً، إلى قواعد الدرع الصاروخي الأمريكي في بولندا، وجمهورية التشيك للاطلاع عن قرب على برنامج وأهداف المشروع الدفاعي الأمريكي، لكن موسكو أصرت على أن يكون لها وجود دائم لمفتشيها في القاعدة الإدارية في جمهورية التشيك وأنها لن ترضى بأقل من ذلك لكن يبدو أن كلا من بولندا والتشيك تعارضان هذا الوجود الروسي على أراضيها ولو في شكل مفتشين، وهذا ما يباركه الأمريكان، وتري روسيا أن مشروع الدرع الصاروخي الأمريكي المزمع إقامته في بولندا، وجمهورية التشيك، ينتهك مناطق نفوذها السابق، ويخل بتوازنات القوى خلال فترة ما بعد الحرب الباردة، كما انتقد الرئيس الروسي السابق «فلاديمير بوتين» الولايات المتحدة بتخطي حدودها القومية بشتى السبل، والترويج لسباق تسلح دولي من جراء نشر عناصر من الدرع الصاروخي الأمريكي في بعض دول الاتحاد السوفيتي السابق مثل بولندا أو التشيك، ويرد وزير الخارجية الروسي «سيرجي لافروف» على المزاغم الأمريكية فيقول: «إن

اكتساب أمريكا قدرة على اعتراض الصواريخ الروسية، قد تتيح لها النظر في إمكانية تسديد ضربة نووية على روسيا، دون تخوف من رد فعل انتقامي» وتعارض روسيا الخطط الأمريكية لإقامة نظام دفاعي صاروخي عالمي، كما تسعى إلى إلغاء معاهدة الحد من الصواريخ الباليستية «ABM» الموقعة عام ١٩٧٢ والتي انسحبت منها واشنطن، وتعتبرها موسكو حجر الزاوية لاستتباب الأمن الدولي، وفي هذا السياق هدد الرئيس الروسي السابق «بوتين» بتوجيه صواريخ بلاده إلى أوروبا، إذا مدت الولايات المتحدة المظلة الصاروخية إلى أوروبا الشرقية، ويرفض التصريحات الأمريكية بأن النظام الصاروخي الأمريكي يهدف إلى الوقاية من أي تهديدات من الدول التي تعتبرها واشنطن «مارقة» مثل إيران وكوريا الشمالية، ويقول «بوتين» «إن هدفه الحقيقي هو روسيا»، وإذا كان إعلان موسكو عدم التزامها بالاتفاقية الخاصة بمراقبة القوات المسلحة التقليدية في أوروبا جاء في إطار المخطط الأمريكي لنشر الدرع الصاروخي الأمريكي في بعض دول أوروبا فالحقيقة أن حلف شمال الأطلسي (الناتو)، الذي يضم ٢٧ دولة، لم يصدق حتى الآن على اتفاقية ١٩٩٩ الخاصة بهذه القوات، وأن الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، تستغل الوضع لتوسيع نفوذها العسكري لذلك قال «بوتين» «إن شركائنا لا يتصرفون بشكل سليم» واتهم الولايات المتحدة بفرض سيادتها العسكرية على العالم، واعتبر أن إقامة واشنطن لهذه النظم الصاروخية في بولندا والتشيك، والتي قالت إنها موجهة ضد الدول المارقة مثل إيران، وأسلحتنها

النووية المحتملة، هو أكبر مثال على عدم احترام المصالح الروسية، كما أعلن الرئيس الروسي «دimitry ميدفيدف» «إن روسيا سترد على نشر عناصر الدرع الصاروخي الأمريكي في بولندا والتشيك، رداً عسكرياً، إذ إن هذه الصواريخ سيتم وضعها بالقرب من حدود روسيا، وهي بذلك تهددها بخطر فعلي، وتخلق توتراً إضافياً بالنسبة لها، وسيتعين عليها أن ترد عليها، وستتخذ موقفاً سليماً من احتمال ضم جورجيا وأوكرانيا إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو)» مؤكداً أنه لا يرى أي ضرر في قطع العلاقات مع الناتو، واللافت في هذا الصدد أن روسيا ليست عضواً في الناتو، فقد تبلورت العلاقات بين الجانبين عام ٢٠٠٢ من خلال تأليف «مجلس الناتو - روسيا»، حيث وصلت هذه العلاقات إلى مرحلة متقدمة، خاصة بعد تعاون موسكو مع الناتو على مكافحة الإرهاب في إطار خطة مجلس الناتو - روسيا عام ٢٠٠٤، غير أن هذه العلاقات توترت مؤخراً بين الجانبين، بعد دخول القوات الروسية جورجيا في الثامن من أغسطس ٢٠٠٨، للدفاع عن استقلال كل من أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا، والجدير بالذكر أن الولايات المتحدة تؤيد وبشدة انضمام جورجيا لحلف الناتو - وهو ما لا يرضى روسيا - حتى يتم الوصول إلى الحدود الروسية مباشرة، ومراقبة والتحكم في أي تحرك روسي، وقمع أي تهديد من جانب موسكو، ومن ناحية أخرى نجحت واشنطن في استثمار النزاع الروسي - الجورجي، في توقيع معاهدة نشر الدرع الصاروخي الأمريكي مع بولندا في الرابع عشر من أغسطس ٢٠٠٨، وهو ما تراه

روسيا تهديداً مباشراً لأمنها القومي، وبذلك ضربت الولايات المتحدة عصافورين بحجر واحد، وهو توقيع الاتفاق مع بولندا وتضييق الحناق على موسكو.

وفي الختام يمكن القول أن القيادة الروسية الجديدة في عهد رئيسها الجديد «ميدفيدف» ورئيس وزرائها الحالي ورئيسها السابق «بوتين» ليست قلقة فقط من مجرد نشر ١٠ صواريخ اعتراضية أمريكية في بولندا، وقاعدة رادار في جمهورية التشيك، بل أيضاً من غياب الشفافية في المنظومة الصاروخية الاعتراضية الأمريكية، التي تزمع واشنطن نشرها، وهو ما يعنى - في المنظور الروسي - أن الأمريكيين ربما يوسعون تواجد ترسانتهم الصاروخية في أوروبا من دون أخذ رأي موسكو في الاعتبار، لذلك فإن هذا المشروع الأمريكي الطموح يمثل أكبر التحديات التي تواجه الدب الروسي الذي انتفض مؤخراً من سباته، وبدأ يكشر عن أنيابه في مواجهة القول الأمريكي بمطامعه التي ليس لها حدود في السيطرة على منطقة القوقاز بتغطيتها وغازها، وبسط هيمنته على أهم الدول المحيطة أو القريبة من حدود روسيا التي كانت تابعة في السابق للاتحاد السوفيتي قبل انقراط عقده، والهدف واضح هو محاصرة روسيا الاتحادية التي بدأت تستعيد عافيتها في عهدها الجديد، وتهديد أمنها القومي، وتقليص دورها في الإسهام في حل القضايا الدولية الشائكة على المسرح العالمي، حتى لا تكون منافساً عنيدا للولايات المتحدة الأمريكية التي تريد أن تربع دائماً على القمة بلا منازع.

طرائف.. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حتى تردوا المظالم إلى أهلها

■ قال سفيان الثوري:

بلغني أن قوما من بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة، وكانوا يخرجون إلى الجبال يكون، ويتوسلون بنبي لهم، فأوحى الله إليه: «لو مشيتم بأقدامكم حتى تحفي ركبكم، وتبلغ أيديكم عنان السماء، وتكل ألسنتكم عن الدعاء، فإني لا أجيب لكم داعيا، ولا أرحم باكيا، حتى تردوا المظالم إلى أهلها، ففعلوا، فأمطرت السماء».

البلاغة في الطلب

■ دخل الأحنف بن قيس على معاوية وأخذا عن أهل البصرة، ودخل معه النمر بن قطيبة، وعلى النمر عبادة، قطوانية، وعلى الأحنف مدرعة صوف وشملة، فلما مثلا بين يدي معاوية اقتحمتهما عينه، فقال النمر: يا أمير المؤمنين إن العباد لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها. فأوماً إليه فجلس، ثم أقبل على الأحنف فقال: ثم مه؟ فقال:

(١) الآية رقم ٣٠ من سورة محمد.

نقول: «قوله المحول جمع محل وهو الجذب، والدحول الضغائن، والأواء الشدة، والجفلى الدعوة العامة للطعام، والتقرى الدعوة الخاصة، وكلاهما بثلاث فتحات، ولحن القول فحواه وإشاراته».

تكلف

لـي صديق يرى حقوقى عليه نافات، وحقه الدهر فرضا لو قطعت البلاد طولا إليه ثم من بعد طولها سرت عرضا لرأى ما فعلت غير كثير وانتهى أن يزيد لي العرض عرضا وقال صالح بن عبد القدوس في صديق السوء: تجب صديق السوء وأمرم جباله وإن لم تجد عنه مجيضا، فذاره ومن يطلب المعروف من غير أهله يجده وراء البحر، أو في قراره ولله في عرض السموات جنة ولكنها محفوفة بالمكاره

هذا هو الغسل الذي أراده

■ لما مرض الإمام الشافعي - رضى الله عنه - مرضه الذي مات فيه قال لقومه: إذا أنا مت فقولوا لفلان يغسلني، فلما توفى وبلغه الخبر قال: اتنوني بتذكرته، فجاء بها إليه، فوجد فيها على الشافعي سبعين ألف درهم دينا لفلان وفلان، فكتبها الرجل على نفسه وقال: هذا هو الغسل الذي أراده.

لا عليك

■ قرأ أحد الناس كلمة تهجم عليه في إحدى الصحف، فشكا ذلك إلى بعض أصدقائه، فقال له: «لا عليك يا صاحبي من هذا كله، فإن نصف قراء الصحيفة لم يلاحظوا هذه الكلمة، ونصف الذين لاحظوها لم يطلعوها، ونصف الذين طالعوها لم يفهموها، ونصف الذين فهموها لم يصدقوها، ونصف

الذين صدقوها لا أهمية لهم، فماذا يبقى بعد ذلك؟»

من طرائف الحكمة

■ قبل لقى بن ساعدة: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل نفسه، فقبل له: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف الإنسان عند علمه، فقبل له: فما أفضل المروءة؟ قال: استيقاء الرجل ماء وجهه. ■ وقال الحسن: التقدير نصف الكسب، والتودد نصف العقل، وحسن طلب الحاجة نصف العلم. ■ وقالوا: لا عقل كالنذير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق، ولا غنى كرضا عن الله، وأحق ما صبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل. ■ وقالوا أفضل البر الرحمة، ورأس المودة الاسترسال، ورأس العقوق مكاتمة الأذن.

جود عبيد الله بن عباس

■ كان عبيد الله بن عباس من أجود الناس وأسخيائهم، قيل إنه جاءه رجل من الأنصار فقال: يا ابن عم رسول الله إنه ولد لي في هذه الليلة مولود، وإنى سميت به باسمك تبركا مني به، وإن أمه ماتت، فقال عبيد الله: بارك الله لك في الهبة، وأجزل لك الأجر على المصيبة، ثم دعا بوكيله فقال: انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه، وادفع إليه مائتي دينار للنفقة على تربيته.

ثم قال للأنصاري: عد إلينا بعد أيام، فإتاك جنتا وفي العيش يس، وفي المال قلة، قال الأنصاري: لو سبقت حاتميا بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدا، ولكنه سبقك فصرت له تاليا، وأنا أشهد أن عفوك «أى قليلك» أكثر من مجهوده، وظل كرمك أكثر من وإبله!

■ لما حضرت معاوية الوفاة جعل يقول:

إن تناقش يكن نقاشك يار ب عذابا، لا طوق لي بالعذاب أو تجاوز - فأنت رب رحيم عن مسيء ذنوبه كالتراب!

«الإذن عند الحرب»

■ قال زياد لحاجبه عجلان: كيف تأذن للناس؟
■ قال: على البيوتات، ثم على الأسنان، ثم على الآداب.

■ فقال له الأمير: فمن توخر؟

■ قال الحاجب: من لا يعبأ الله بهم.

■ قال الأمير: ومن هم؟

■ قال الحاجب: الذين يلبسون كسوة الشتاء في الصيف وكسوة الصيف في الشتاء.

وكان سعيد بن عتبة إذا حضر باب أحد من السلاطين جلس جانبا، فقبل له: إنك لتباعد من الأذن جهدا. قال: لأن أدعى من بعيد، خير من أن أقصى من قريب. ثم قال:

فإن مسرى في البلاد ومنزلى هو المنزل الأقصى إذا لم أقرب ولست وإن أدنيت يوما يائع خلاقي ولا ديني ابتغاء التحب وقد عده قوم تجارة رابح ويمتحنى من ذلك ديني ومتنسى

«حسن الظن بالأخوان»

■ قال محمد بن بشار:

غلط الفتى في قوله من لم يردك فلا ترده من نافس الإخوان لم يبد العتاب ولم يعده عاتب أخاك إذ هفا واعطف بودك واستعده وإذا أتاك بغيبة واش فقل لم تعتمد

«بلاغة الاستعطاف»

■ لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي ومثل بين يديه، قال إبراهيم: كل ذنب دون عفوك، فإن

صفحت فبكرمك، وإن أخذت فيحقك.

ثم قال: يا أمير المؤمنين إنه وإن كان جرمي يبلغ سفك دمي، فحلم أمير المؤمنين وتفضل به يبلغاني عفوه، ولي بعدهما شفعة الإقرار بالذنب، وحرمة الأب بعد الأب. فقال المأمون: لو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفح عن زلتك، لبلغك إليه حسن توصلك، ولطيف تنصلك.

إبراهيم هذا كان عما للمأمون، خرج عليه وقاتله ليغتصب الخلافة منه.

«عدل الولاة»

■ قال ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال: استعمل ابن عامر عمرو بن عروة أصيب على الأهواز، فلما عزله قال له: ما جئت به؟ قال له: ما معي إلا مائة درهم وأتواب. قال ابن عامر: كيف ذلك؟ قال أصيب: أرسلتني إلى بلد أهله رجلا: رجل له مالي وعليه ما على، ورجل له ذمة الله ورسوله. فوالله ما دريت أين أضع يدي. فأعطاه ابن عامر عشرين ألفا مكافأة له على أمانته.

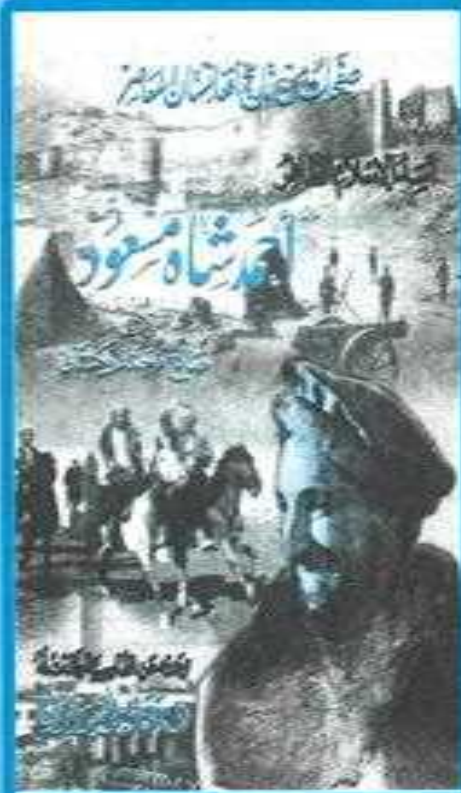
وقال معاوية: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد على ناصرا إلا الله.

وقال النبي ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة».

«دعاء»

■ اللهم أيقظنا من رقذات الغفلة، ووفقنا للنزود قبل النقلة، وألهمنا اغتنام الزمان وقلة المهلة اللهم الطف بنا في قضائك، وهب لنا ما وهبت لأولائك واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك.

قراءة في كتاب



للأستاذ / عادل خفاجة

٢

■ كان من أبرز علامات شخصية مسعود أنه كان قوى العقيدة ظاهرة عقيفا شجاعا مقداما صاحب عقل راجح شاقب البصيرة، وكان بسيطاً صاحب شرف ومروءة متواضعا حرا.

ونستكمل قراءة مقدمة المؤلف التي خص بها القارئ العربي إذ يقول:

في عام ١٩٨٢ م قام الاتحاد السوفيتي بحملة على وادي بنجشير للمرة الخامسة وطالت الحرب شهورا ووصلت إلى النهاية ولم يستطع أي طرف أن يتغلب على الآخر، وفي هذه الأجواء المتضاربة اقترح الاتحاد السوفيتي أن يجري مباحثات مع مسعود، فتشاور مسعود مع العلماء والقادة فأذتوا له بالمباحثات مع السوفيت، ونتيجة لهذه المباحثات تم وقف إطلاق النار الذي استمر عامين، ولكن في عقب هذا اشتعل أوار الحرب وكان أكثر دموية مما مضى، وأثار وقف إطلاق النار الكثير من التساؤلات لقد تصالح الكفار مع مسعود، وأضرم المسلمون تبران الحرب ضده، ونشر الثمان من زعماء المجاهدين الشائعات ضده فألحقوا لطمة شديدة إلى شخصية ذلك المجاهد المسلم بين المسلمين وخاصة المسلمين العرب إلى حد أن بعض علماء العرب الآن يساورهم الشك في إسلامه، الشك في مسلم لم يعش لحظة واحدة بغير ذكر الله، وسوف تشهد كل أحجار أفغانستان بين يدي الله تعالى على جهاد مسعود.

ويبدأ المؤلف عرض كتابه أو مذكراته بالكلام عن الهدنة ووقف إطلاق النار ١٩٨٣ / ١٩٨٤ ويستمر حديث الأستاذ صالح ريكتاني في أسلوب قصصي شديد التماسك بدءا من حياة مسعود تلميذا في مدرسة كابل حتى استشهاده.

وفي معرض حديثه عن الهدنة وأسبابها استوقفني حديث الرجل عن أوضاع الأفغان حيث قال: «من ناحية الأسلحة لم يكن من المهم أن تعاني نقصاً منها؛ لأننا بالقدر اللازم كنا نحصل على الغنائم ولكننا فرجنا بقلة الذخيرة، فمثلاً لم يكن لدينا طلقات للمدفعين الذين استهدفوا الرخة في ذخيرتنا، والطلقات التي بقيت من السوفيت وكانت أكثرها صدنة كنا نجمعها وبعد أن نظفناها كنا نطلقها عليهم».

«ومن ناحية الملابس فلم تكن بحالة أحسن من المهمات، وأذكر تماماً أن الأفراد الذين كانوا يقصون قاعدة الرخة بالأسلحة كانوا يخلعون أحذيتهم في وقت التبديل ويعطونها للذين كانوا سيحلون محلهم».

وهنا وجدتني أتساءل أي وضع أسوأ من أن يتبادل الجنود أحذيتهم؟! ولم تمر ثوان حتى وقعت عيناى على قول المؤلف: «أما وضع الغذاء فقد كان أسوأ من ذلك بكثير» وقوله عن الوضع الاقتصادي أنه كان غير قابل للوصف.. ومع هذا انتصر هؤلاء الأبطال على السوفيت فعلمت أنه كان هناك مع أحمد شاه مسعود رجال يطاولون قمم جبال أفغانستان الشاهقة ويمثلونها رسوخاً.

وكم كان المؤلف موفقاً حين صور الظروف المناخية التي تمر بها أفغانستان في الشتاء حيث يقول: «وطوال أيام الشتاء تكون الطرق مسدودة، هناك واحد فقط يمر من ولاية بغلان في الشمال عن طريق جبل خاواك، وهو أقل الجبال ارتفاعاً بين بنجشير والشمال، والعبور من جبل خاواك في الشتاء بالنساء والأولاد يكون معناه استقبال الموت، لأن هذا الجبل لا يمر عام من الأعوام دون أن يدفن فيه أشخاص تحت منات الأطنان من الجليد، وإذا بدأت العواصف الثلجية فإن عذاب ترع الروح تحت الثلوج لن تراه بعيداً».

هذه صورة لطبيعة الظروف المناخية العادية، فماذا يقول الرجل إذا أضيفت الحرب لتلك الظروف؟ لقد جاءت كلماته برغم بساطتها تحمل الكثير من المعاني حيث يقول: «هذه هي الحرب التي تمت في الشهر السابع والثامن، وأعطت قمم الجبال الخير عن مجيء الشتاء، وليس هناك خير عن نهاية الحرب، ولم يستطع الناس في ذلك العام أن يحصلوا حاصلاتهم، لأنه عندما حان وقت تصح المحصول كانت طائرات العدو تقصف الأرض وترمي بالنار والقنابل الجديدة».

ويتناول المؤلف العديد من الذكريات فيحدث عن انقلاب محمد داود سنة ١٩٧٣ م وأنه وصل إلى السلطة بعد انقلاب أبيض عن طريق الشيوعيين الأفغان. ويصف المؤلف العلاقة بين محمد داود رئيس الجمهورية وبين الشيوعيين بأنها مجرد «تكثيك» وكلاهما كان بصدد القضاء على الآخر.

ويوضح أن مسعود كان تحت زعامة حبيب الرحمن الذي كان يسبقه دراسياً بعامين.

ويصف مسعود لحظة سماعه بالانقلاب يقول: «أتذكر أنني كنت جالساً في منزلي مع أسرتي نستمع إلى الأخبار وعزفت في الراديو موسيقى عسكرية، ولكن لم يكن هناك شيء معلوم، ثم جاء صوت داود تحمله أمواج الأثير، وعرفنا عن الانقلاب وفي هذه اللحظة قال والدي: لقد انتهت أفغانستان ووقعت في فك الشيوعية وروسيا».

ثم يتكلم المؤلف عن لقاء مسعود بحبيب الرحمن، ثم استشهاد حبيب الرحمن ثم الفرار إلى الباكستان، ويصور المؤلف العلاقة بين الجارتين: أفغانستان والباكستان، بأنها مملوءة بالتقلبات، فهي تتوتر إلى حد الصدام، وأحياناً تصل إلى حد المودة!!

الانقلاب الشيوعي في أبريل ١٩٧٨ م

بدأ الانقلاب بضباط ذوي رتب صغيرة من الشيوعيين الأفغان ولم تتمكن إجراءات رئيس الجمهورية محمد داود أن تقبض على قادة الشيوعيين في الأيام القليلة قبل الانقلاب أو تمنع وقوع المأساة، وأوضح المؤلف ما كان عليه الشيوعيون الأفغان من مسلك إلحادي، إذ يقول:

«كان الشيوعيون الأفغان يقلدون جميع الأعمال السيئة للشيوعيين في الاتحاد السوفيتي، وأول هذه الأعمال الانقلاب، يعني الطريق السريع لحل معضلة اجتماعية عميقة، والثاني قتل رئيس الجمهورية وجميع أعضاء أسرته».

وفي عقب ذلك شعارات الموت لهذا ويحيا ذلك، والشوراب الطويلة المسترسلة التي تتدلى تحت الشفتين، ونعرات هورا ولينين وماركس والإلحاد، و(وصف) القرآن بأنه عبارة عن أساطير، و(وصف) الصلاة بأنها تمارين رياضية،.... الخ والخطوة التي تلت ذلك عدد من الترميمات المفضوحة للإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية، أما اللون الأحمر فهو علامة لجواب على سؤال، وكان علامة على الأبواب والحوائط والنوافذ وكان لباساً وواجهة وبيرقاً، وحتى الآن لم تصف الحسابات بين الناس وهؤلاء، فقد أشعلوا أوار الحرب، وحتى كتابة هذا الكتاب لا تزال مستمرة ولكن بأسماء وعتاوين مختلفة.

ومن خلال هذه المذكرات التي دونها الأستاذ صالح محمد ريكستاني تعلم أن مسعود كان يجيد تجويد القرآن الكريم ويجيد النحو والصرف، كما درس التفسير على يد الأساتذة: مولوي بشار وشهاب وعبدالرحمن وذلك أثناء وجوده في باكستان في الفترة من ١٩٧٤ : ١٩٧٨ م ويبدو أن مسعود كان مولعاً

بالعلوم الإسلامية، فلما أراد الارتقاء بسطح المعلومات لرؤساء الإدارات، قرر تنظيم دورة لهم في «أصول الفقه» يقول صاحب هذه المذكرات «ومع أن هذه الدورة لم تستمر حتى النهاية فقد اشتركت فيها وعرفت كيف تستخرج الأحكام من النصوص في الإسلام».

أما عن الحديث وأصول الحديث: فيقول المؤلف: «إنني لا أعرف مقدار تقدم مسعود في هذين الفرعين من العلوم الإسلامية، إنني أذكر فقط أنه بدأ تعلمهما عند مولانا «أفقر» ومولانا «عبدالظاهر»

ويمتد حديث المؤلف عن مسعود ومدى التزامه الديني فيقول: «اشتهر مسعود بالتشدد والحذر في صرف النقود وسائر الأشياء التي تتعلق ببيت المال، وفي نظري أنه كان يفرط في الشدة في بعض الأمور، ولم يكن بصرف مطلقاً من نقود بيت المال على نفسه أو أسرته.. وأظن أنه في هذه الناحية ليس لأعدائه أي كلام».

وكان مسعود حريصاً على أداء الصلاة في وقتها مهما كانت الظروف، حتى لو صلى فوق الثلوج ويحكي المؤلف - الذي كان يرافقه - هذا الموقف قائلاً:

«كان الهواء شديد البرودة وكنا متعبين للغاية من قطع مسافة الطريق طوال اليوم سيراً على الأقدام ولم تستطع شدة الخوف من العواصف أن تزيد من سرعتنا لأن الثلج كان مانعاً كبيراً للسرعة في سيرنا، وكانت البرودة إلى حد أن أنفاسنا كانت تتجمد على لساننا، وفي هذه الأثناء انفصلت إحدى قوافلنا لأداء صلاة المغرب وأمعنا النظر فوجدنا أن مسعوداً حين خرج عن الطريق غاص حتى وسطه في الثلج».

وأشار لنا أن نستمر في السير أما نحن فلم نستطع أن نصلي ولم نستطع أن نترك مسعوداً وحده، ولم يكن

هناك بد من الوقوف حتى يتم مسعود صلاته وأخذ مسعود بطانية من تاج الدين مساعده وقرشها تحت أقدامه على الثلج لأن هذا المكان لا يستطيع أن يصلي فيه أكثر من شخص واحد ثم وقف للصلاة، والعاشقون لله فقط هم الذين يستطيعون أن يعبدوه في هذه الحالة، لقد كنت أنتفض مثل أوراق الصفصاف في الوقت الذي كنا فيه أكثر شباباً من مسعود بحوالي عشر سنوات، فليقبل الله من مسعود هذه الصلاة الخاشعة الصارعة والتي تقيض وجداً وعشقا للذات العلية.

ويبدو أن مسعوداً كان مولعاً - أيضاً - بالشورى فكان له ثلاثة مجالس للشورى وهي: مجلس شورى الشعب، ومجلس شورى القادة، ومجلس شورى العلماء.

وكان مسعود يستفيد من هذه المجالس التي كانت تعقد إما باقتراح من الأعضاء وإما باقتراح من مسعود. ويسرد المؤلف عدة مواقف تبين حب مسعود للعقود حتى عن هؤلاء الذين خططوا لقتله أو كانوا أداة لمن خطط.

كان مسعود مسلماً ورعاً.. درس كثيراً من علوم الإسلام بقدر ما سمح له الوقت الذي يكاد يقتصر على فترات الشتاء التي يتوقف فيها القتال.

كافح مسعود العادات السيئة التي كانت منتشرة بين صفوف المجاهدين مثل: السجائر والحشيش وسائر المواد المسكرة والمخدرة وكان مسعود يهتم اهتماماً فائقاً بحفظ البيئة: منع مسعود منعاً باتاً قطع الأشجار المشجرة النضيرة، وأشجار الفستق وصيد الأسماك باستعمال القنابل اليدوية وسائر المواد المتفجرة. ولكن هل كان من حول مسعود يصلون إلى المستوى الراقى لفهم مسعود؟!

ونترك الإجابة عن هذا السؤال لمؤلف الكتاب حين

يتكلم بصدق برغم أنه يدين نفسه أمام القراء وأمام التاريخ - أيضاً - إذ يقول ص ٢٧٤: «وذاث يوم ذهب مسعود إلى طالقان وجاءني عدد من المجاهدين وقالوا: إن الشتهاء أكل السمك ذات الحال تدور برووسهم وطبعاً كانوا يريدون أن يصطادوا السمك بتفجير القنابل اليدوية، وقالوا: إن لديهم الخبر أن مسعوداً لن يعود بسرعة.. وها هم يريدون أن يجعلوني شريكاً في الجرم، وبأقل ضغط قبلت..» يقول المؤلف الذي يعترف بالمخالفة: فجأة امتلأ سطح الماء بالأسماك وفي الحقيقة كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها الأسماك بكثرة «ثم يشعر بالندم فيقول:» إن الأسماك الشعبية التي اطمأنت لحماية مسعود لم تضع «في حساباتها» أي احتمال في أن يخالفه أتباعه ذات يوم هذه المخالفة.

وبصدد الكلام عن حب مسعود للحرية يقول المؤلف:

لقد هب مسعود للدفاع عن بلاده في أشد الفترات اضطراباً في تاريخ أفغانستان، ولم يحدث في أي فترة من فترات التاريخ في أفغانستان أن وقع عليها مثل هذا الظلم أو حدث لها مثل هذا التدخل في شئونها، ولم يحدث في أي فترة من فترات التاريخ أن يظلم الأفغان الأفغان، ألم يكن الجيش الذي كان يصاحب القوات السوفييتية ويحارب ضد الشعب من الأفغان؟ وألم تكن أكثر قوات طالبان من الأفغان؟ لقد نهض طالبان باسم الصلح ورفعوا الأعلام البيضاء ولكنهم تركوا العار والشار على جبهة تاريخ أفغانستان.

فيهم باسم الجهاد جمعوا الجبناء من أقاليم العالم وأدخلوهم إلى البلاد، وقتلوا شعبهم بواسطة تحت

هذا الاسم أو ذلك، وقالوا: إن الإسلام لا يعرف الحدود، فهل طالب الإسلام لا يعرف حدود المنزل والبستان والفناء والأرض وتقاليده الناس؟

ولهذه الأسباب قال مسعود: إذا كنت قد جارت بالأمس دفاعاً عن البلاد ضد الجيش الأحمر، أما اليوم فأنا أحارب من أجل الدفاع عن بلادى ضد الجيش الأسود.

ولعل أهم أجزاء الكتاب على الإطلاق هو ذلك الجزء الذي تألق فيه المؤلف وأبدع حين ذكر أخطاء مسعود من خلال سرده لمراحل حياة مسعود الثلاث: «النضال - الانتصار - المقاومة» فجاء هذا الجزء حاملاً تحليلاً دقيقاً للأحداث فيقول المؤلف ص ٣١١:

الأحداث الأخيرة تثبت عكس ذلك، وبعبارة أخرى: إن مسعوداً الذي كان يذكرنا دائماً بوضعية بسمارك رئيس وزراء ألمانيا وأن الإنسان لا يجب أن يحارب في جبهتين ها هو الآن يحارب في أكثر من جبهة.

ففي داخل أفغانستان كان يحارب الحزب الإسلامي «الزعيم حكمت يار» وحزب الوحدة الإسلامية «الزعيم آية الله مزارى»، والحركة القومية «الزعيم دوستم» وحركة طالبان «الزعيم الملا عمر»، على مستوى المنطقة كان ضد الباكستان وإيران وأزبكستان وتاجيكستان، وعلى المستوى الدولي كان يحارب قبل ذلك الاتحاد السوفييتي وبعد ذلك أمريكا وطبعاً وجهة نظري في الاشتباك هنا في الداخل يعني الحرب، أما في الخارج فلا توجد علاقات مباشرة خصوصاً مع الدول التي كانت مهتمة بقضية أفغانستان، مثلاً علاقات مسعود مع إيران كانت ظاهراً من أجل حمايتهم لحزب الوحدة، ومع أوزبكستان من أجل حمايتهم لدوستم ومع

تاجيكستان بسبب حمايته لأعداء حكومة تاجيكستان، ومع روسيا لأنها وريثة الاتحاد السوفييتي ولم يستطع أن يسلم هذا كله للنسيان مرة واحدة، وكانت علاقته مع أمريكا على سطح عميق وبارد لأنها أسلمت قضية أفغانستان للنسيان.

والدولة الإسلامية الوليدة التي كان يحكم فيها مسعود بكل هذه الاشتباكات كانت تلت كابل وثلث الشمال وثلث أفغانستان، ومن الجائز أن أمل الانتصار على كل هذه الجبهات كان يعتمد في نفسه، أي أنه مع كل هذه المشاكل لم يكن يئس أبداً.

ثم يقول:

على كل حال كان خطأ مسعود الرابع أنه كان من النواحي العسكرية يحارب في عدة جبهات، ومع ظهور طالبان وتقدمهم السريع إلى أبواب كابل فإن أكثر الدول التي ذكرناها بدأت في حماية مسعود ولكن هذه الحماية كانت بدون مقدمات وكانت متعجلة ولم تستطع أن تمنع سقوط كابل، وكانت النتيجة أن مسعوداً في فترة جهاده الثانية «١٩٩٢ - ١٩٩٦ م» أعطى للعلاقات الخارجية أهمية قليلة وكان هذا هو الخطأ الخامس.

هزم مسعود ودخلت كابل تحت حكم طالبان، وتجدد سفك الدماء الذي بدأ من كابل واستمر حتى نيويورك ولا يزال مستمراً، ولا يعرف إنسان غير الله - سبحانه وتعالى - إلى متى سوف يستمر.

وبعد فالكتاب يعد بحق وثيقة تاريخية؛ لأن الأستاذ صالح محمد ريكستاني شاهد على ذلك العصر يحكم قربه اللصيق بالأحداث وبأحمد شاه مسعود.

ثم الكتاب في ترجمته العربية بالأسلوب الشيق للذكر غفاف زيدان يعد إضافة قيمة وجادة للمكتبة العربية.

بين المجلة والقارئ

للاستاذ / أحمد السيد تقى الدين

«إن ربك لبالمرصاد»

أزمة عالمية طاحنة ضربت الولايات المتحدة ضربة مزللة ألحقت باقتصادها خسائر فادحة.. سبب الكارثة أن المؤسسات المالية الأمريكية تسابقت فيما بينها من أجل منح المواطن الأمريكي أقصى قدر ممكن من التسهيلات في مجال الرهن والتمويل العقاري فتسابق الأمريكيون بدورهم للاستفادة من تلك التسهيلات والاقتراض من البنوك لاقتناء العقارات والفيلات والشقق الفاخرة وبما يفوق احتياجاتهم على أمل بيعها فيما بعد وتحقيق أرباح خيالية.. وتوسع الأمريكيون في اقتناء العقارات بشكل أدى إلى أن أصبح المعروض للبيع من الشقق والفيلات يفوق بكثير احتياجات السوق العقارية الأمريكية!! وعجز المقرضون عن سداد أقساط القروض للبنوك التي كانت قد توسعت في الإقراض على أمل جنى أرباح طائلة من فوائد تلك القروض ولكنها لم تكن سوى كارثة.. توقف المقرضون عن السداد فأعلنت البنوك إفلاسها وكانت الكارثة الهائلة التي امتدت آثارها لتشمل جميع الدول التي تتعامل مع البنوك الأمريكية لتتحول الكارثة من كارثة أمريكية إلى كارثة عالمية واستصرخت الولايات المتحدة

أصدقاءها وحلفاءها في العالم لإنقاذها من براثن هذه الكارثة المروعة.. أتدرون من استجاب؟! استجابت العديد من الدول العربية حيث تؤكد وكالات الأنباء العالمية أن الدول العربية البترولية قامت بتقديم مبلغ ألف مليار دولار كمساعدات عاجلة لإنقاذ الاقتصاد الأمريكي من الإنهيار!! تذكرت وأنا أطلع هذه الأنباء عبر صفحات الإنترنت أن ضعف التمويل العسكري وعجز دول المواجهة عن الوفاء بمسئزمات تسليح جيوشها كان أحد الأسباب القوية التي دفعت مصر على سبيل المثال إلى الموافقة على طلب إسرائيل وقف إطلاق النار.. وربما لو توفر التمويل العسكري وقتها لتغيرت العديد من الأمور.

تذكرت وأنا أطلع أنباء المتحة العربية للولايات المتحدة الأمريكية صور الأطفال الجياع والمرضى والمشاهد المأساوية التي اجتاحت القارة الأفريقية دون أن يرق لهم أحد أو يعطف عليهم باستثناء المؤسسات التبشيرية التنصيرية التي توجهت للقارة الأفريقية تعرض على أهلها المال والغذاء والكساء والدواء مقابل تغيير ديانتهم واخراجهم من إسلامهم الذي لم يجلب لهم سوى ما هم فيه من

بؤس وشقاء.. هكذا قالوا لهم.. وكان طبيعياً ومنطقياً أن يستجيبوا اتقاء لويلات الفقر والنجاعة وهو مسلك يقرهم عليه الإسلام إذا فعلوه وقلبيهم عامر مطمئن بالإيمان. أما هؤلاء الذين تقاعسوا عن نصره إخوة لهم في

الدين وتركوهم فريسة للوقوع في أيدي التنصيرين في حين هبوا لنصرة قوم يذيقون أخوة لهم في الدين العذاب كما في العراق وأفغانستان وفلسطين، فبهيات أن يصيروا إلا إلى ما صار إليه قارون وإن ربك لبالمرصاد.

أحمد تقى الدين

وحدة الأمة في يوم عرفة

﴿وَلَا يَذَرُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾

(المؤمنون: ٥٢)

الحج عرفة: أجمع العلماء على أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم، فعن عبد الرحمن بن يعمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ أمر منادياً ينادي «الحج عرفة» رواه أحمد وأصحاب السنة، ومعناه «الحضور والتواجد في أي جزء من مكان عرفة سواء كان قائماً أو يقظاً أو راكباً أو قاعداً أو مضطجعا أو ماشياً، ووقته كما أجمع جمهور الفقهاء يبتدئ من زوال يوم التاسع إلى طلوع فجر يوم العاشر، وأنه يكفي الوقوف في أي جزء من هذا الوقت ليلاً أو نهاراً، إلا أنه إن وقف بالنهار - وجب عليه مد الوقوف إلى ما بعد الغروب، أما إذا وقف بالليل فلا يجب عليه شيء» ولعل من حكم جعل الوقوف بعرفة ركن الحج الأعظم تكثير سواد المسلمين في هذا اليوم وهذا المكان، كي تظهر وحدة المسلمين في هذا الفريضة الجامعة.

أن جميع العبادات التي فرضها الله تعالى على عباده لتدل على معاني الوحدة التي أمرنا بالمحافظة عليها، ففي

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ: كمال عبد المنعم محمد خليل - الكوم الأحمر - مركز ومحافظة بني سويف، ومما جاء فيها:

أعز الله تعالى الأمة المحمدية بدين الإسلام وشريعته، ولا عزة لها إن هي تمسكت بغير هديه، وتبدو هذه العزة واضحة جلية في يوم عرفة، هذا اليوم الذي يحتو فيه الشيطان على رأسه التراب لما يراه من اجتماع المسلمين، ولما يراه من مغفرة للذنوب من قبل الرب الغفور، وهدم لمكره ووسوسته طوال عام مضى، فعن جابر - رضي الله عنه - قال: «رسول الله ﷺ: ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة فقال رجل: هن أفضل من عدينتين جهادا في سبيل الله؟ قال: «هن أفضل من عدينتين جهادا في سبيل الله، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله - تبارك وتعالى - إلى السماء الدنيا، فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادي، جاءوني شعثاً غبراً ضاحين، جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم ير يوم أكثر عتيقاً من النار في يوم عرفة» رواه أبو يعلى» وفي رواية «أشهدكم أنني قد غفرت لهم»، حقاً، إنها عزة الطاعة، وعزة العبادة، وعزة وحدة الأمة التي قال الله تعالى عنها:

الصلاة نتجه إلى قبلة واحدة، تدعو ربا واحدا - سبحانه وتعالى - وفي الصوم نبدؤه في يوم واحد، والزكاة تدل على التكافل والتآزر بين أفراد المجتمع، أما الحج فتوحيد فيه المشاعر، ويلتقي أبناء الأمة الواحدة، يرتدون ثيابا واحدة، قاصدين مكانا واحدا، يلون ويدعون جميعا في صوت واحد، كله خشوع وخضوع للخالق سبحانه قائلين «إليك اللهم ليك»، إن هذه الوحدة تجعلهم في منعة من اعتداء الباغين عليهم، فهم جميعا كالجسد الواحد الذي لا ينقسم عنه عضو، فعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم) فهي نكون كذلك؟

علينا أن نتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، ونترك الشقاق والاختلاف، ونصلح بين المتخاصمين، ويعطف الغنى على الفقير، ويعين القوى الضعيف، فعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، بل تحلق الدين» (رواه أبو داود)

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأبي أيوب: ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله؟ قال: بلى قال: «صل بين الناس إذا تقاسموا، وقرب بينهم إذا تباعدوا» (رواه البزار والطبراني) عند ذلك نأمل من الله أن يعجب دعائنا في يوم عرفة وفي غيره، ونتحقق وحدة الأمة كما نراها في يوم عرفة.

التحديات التي تواجه العالم الإسلامي

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ: فرج مجاهد عبد الوهاب - عضو اتحاد الكتاب - شرين - دقهلية قال:

إن العالم الإسلامي يواجه بالأزمات العميقة الخائفة كأنها ظلمات حالكة بعضها فوق بعض فما هو سبيل الخروج إلى النور!!؟

لا يمكننا أن نجد السيل دون أن نعرف «السر» الذي يكمن وراء هذه الأزمات المتشابكة المتتالية، ومحال أن يصل إلينا النور قبل أن نمسك بالحبل الذي يربط كل هذه المشكلات ويضمها في سياق واحد يمكننا من فهم سر الأزمة ومن ثم بدنا على طريق الخروج من الظلمات.

بهذه الكلمات يدخل الدكتور توحيد الزهيري إلى صلب بحثه الذي وضع له عنوان: «التحديات التي تواجه العالم الإسلامي» والذي فاز بجائزة مسابقة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي والتي سلمها له فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر.

والكتاب دراسة جادة وعميقة لأزمة العالم الإسلامي، حيث يرى المؤلف أن سر هذه الأزمة يكمن في علاقة الأمة الإسلامية المريضة غير السوية مع المشروع الحضاري للغرب الذي يسعى للسيطرة على العالم ومحو كل الحضارات الأخرى وطمس معالم ثقافتها، ذلك المشروع كان ولم يزل هو العدو التاريخي لأمتنا الإسلامية، هذه هي حقيقة الأملس واليوم والغد وبها ينطق.

ويرى المؤلف أن أصل الأزمة الحضارية التي يعانيها عالمنا الإسلامي يتلخص في أربعة تحديات:

التبعية للغرب: وهو التحدي الذي يواجه الرسالة الإسلامية، فإذا كان الله - سبحانه وتعالى - قد شرف الأمة الإسلامية وكلفها بتبليغ رسالته إلى الناس جميعا فهذا التكليف الإلهي يتناقض في جوهره مع الشعور بالتبعية للغرب، فصاحب الرسالة ينبغي أن يكون قائدا رائدا لا تابعا مقلدا.

ثم بعد ذلك يتناول في هذا الفصل عدة نقاط منها: الأمة الوسط - وسائل الدعوة - الجهاد دفاع عن حرية الإنسان الدينية - علاقة المسلمين بغيرهم - الفتوحات الإسلامية لم تكن غزوات استعمارية.

التغريب: والتحدى الثاني الذي يواجه عالمنا الإسلامي هو التغريب الذي يهدد هويتنا الثقافية فإن الغرب قد سعى ولم يزل يسعى لمسح معالم ثقافتنا لجعل منا مسوخا غربية بلا ملامح ذاتية، إن الغرب يريدنا مجرد أنشياء له تحاكى ليرضى بذلك كبريائه الذي يوهمه بأنه المثل الأعلى الذي يجب أن يحتذى ويحقق مصالحه في نهج ثرواتها باعتبارنا مجرد أدوات لبناء مجده وزبائن مستهلكين لروائع إبداءه!!

لقد أدركت الأمة أن الإسلام هو هويتها، وهو الحل لأزماتها الحضارية، أو الإجابة الصحيحة عن سؤال النهضة ومن ثم فقد بزغ فجر الصحوة «الإسلامية» وأخذ نورها يتدفق، وبوغت المراقبون الغربيون وتباعهم من النخب السياسية والثقافية في العالم الإسلامي بذلك البعث الروحي يندفع في قلوب المسلمين خاصة بين الشباب، وتعالص صيحات العودة إلى الله في كل مكان.

التمزق السياسي: قطع التمزق السياسي أمتا إلى أشلاء متآثرة متافرة بفعل الحدود السياسية الوهمية التي

رسمتها أيدي القوة الاستعمارية وبفضل الصراعات الطائفية والعرقية والسياسية التي يشعلها الغرب في جسد أمتنا الواحدة طبقا لقولة شيطان المطامع «فرق تسد». ويقرر المؤلف أنه من المحال أن تتحقق وحدة الأمة الإسلامية - كما يعلمنا القرآن - قبل الرجوع إلى الرؤية الشاملة للإسلام والإيمان بكل ما جاء في كتاب الله باعتباره الصراط المستقيم في كافة مجالات الحياة.

ويختم الدكتور توحيد الزهيري كتابه الهام برؤيته للتحدي الرابع وهو إسرائيل التي تتحدى وجودنا نفسه على كافة المستويات ولقد غررنا الغرب خنجرا مسموما في قلب عالمنا الإسلامي.

الأمانة والعدل.. من سمات المجتمع المسلم

ومن الأستاذ إبراهيم مسلم النجار - مدير عام تنظيم وإدارة سابق - كانت هذه الرسالة:

إن المواطن الصالح السوي هو الذي يكون أمتا على حقوقه وحقوق الآخرين، وتكون الأمانة هي العقيدة التي يجب أن تستقر في وجدانه مهما كانت مسؤولياته، ولا انفرط عقد الأمن والأمان وانفتح الباب على مصراعيه للخونة والانتهازين.

وفي مدرسة معلم البشرية نبينا محمد ﷺ نتعلم أن الأمانة قيمة عظمى وصفة طيبة يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم في كل علاقاته ومعاملاته حيث يقول ﷺ: «أد الأمانة إلى من أئتمنته ولا تخن من خانك» (أخرجه الترمذي وأبو داود).

والأمانة بكل أنواعها جعلها الله قيمة اجتماعية عظيمة لأنها صفة الرسل والأنبياء وغياها دليل على فساد

الاجتماع واضطراب الموازين وإهمال مطلوبات سنن الله في أرضه وخلقه.

إن قلة الأمانة وكثرة الخونة علامة من علامات قيام الساعة فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة فارتقبوا الساعة» قيل وكيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُبد الأمر لغير أهله». وعكس الأمانة تكون الحيانة التي هي من صفات المنافقين الذين مصيرهم الفضيحة يوم الدين حيث يصفهم رب العالمين بقوله سبحانه:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾

(التحل: ٨٣)

كذلك يصفهم الرسول ﷺ في حديثه الشريف الشهير: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم»، ولعظمة قيمة الأمانة للمجتمع المسلم يجعل القرآن العظيم الأمانة من أحباب الله وأصفائه فيصفهم بقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾

(المؤمنون: ٨)

ثم يأمر الله المسلمين وأولى الأمر منهم بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يكونوا أمانة في تطبيق العدالة بين الناس وهي القيمة السامية التي قرنوها بالأمانة في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَقْكُوا بِالْعَدْلِ﴾

(النساء: ٥٨)

وإذا كانت الأمانة قيمة أساسية وسمعة مميزة في حياة المجتمع المسلم فهي أيضا صنو القناعة التي هي كثر لا يفتنى وقد أطلقها مجتمع قريش في مكة على الأمين محمد ﷺ قبل بعثته حتى إنه عندما شرع في الهجرة إلى المدينة المنورة استبقى عليا - رضى الله عنه - بمكة إلى أن يرد تلك الأمانات إلى أهلها.

وعن الأمانة والعدالة بين الراعي والرعية في مجتمع الإسلام يروى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وجد قطعة من البرونز في يد ابنه الأصغر فسأله من أعطاك هذه القطعة يا غلام؟ فقال أعطاه لي عامل بيت المال. فذهب أمير المؤمنين إليه، وقال له: من الذى أمرك أن تعطى ابن عمر هذه القطعة؟ فقال: يا أمير المؤمنين: لقد قممت بجرد الخزانة فوضعت الذهب مع الذهب والفضة مع الفضة ولم أجِد قطعة من البرونز إلا هذه فأعطيته لابنك وهي لا تساوى شيئا وهنا أحمر وجه عمر وقال بغضب: «هل فشتت في بيوت المسلمين فلم تجد بيتا يأكل من الحرام إلا بيت عمر خذ هذه القطعة وضعها في مكانها».

كذلك يروى أنه عندما كان على بن أبي طالب أميراً للمؤمنين طلبت ابنته من عامل بيت المال أن يعطيها عقداً تتزين به في عيد الأضحى ثم ترده بعد ذلك، وعندما رآه على - رضى الله عنه - في رقيتها قال لها: من أين جاء لك هذا العقد؟ فقالت: استعرت من بيت المال لأتزين به يوم العيد ثم أردته فبعث أمير المؤمنين إلى عامل بيت المال وقال له: أتمخون المسلمين؟ قال: أعوذ بالله أن أخون المسلمين يا أمير المؤمنين. فقال: أعرت العقد بغير أذننى فقال له: إنها ابتك!! فقال على: رده من يملك وإياك أن تعود لمثلها فتتال عقوبتى وويل لابنتى.

بين الصحف

٤

المجلات

للاستاذين / محمد جمعة - علا عبد الرحمن

الأزمة المالية

تناولت الصحف في الآونة الأخيرة الأزمة المالية التي تعرض لها العالم وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، ففي جريدة أخبار اليوم الصادرة بتاريخ: ٢٠٠٨/١٠/١١ م كتب الأستاذ محمد الزرقاني مقالاً، قال فيه:

الأزمة الاقتصادية التي يمر بها العالم كله، جاءت بسبب ما تعرضت له الولايات المتحدة الأمريكية من انهيار اقتصادى، أرجعه المحللون والخبراء الاقتصاديون إلى ما يسمى أزمة الرهن العقاري، عندما تبارت البنوك الكبرى في منح التسهيلات للمواطنين لتملك العقارات والبيوت، فتخاذلوا عن تسديد الأقساط، وحدثت الأزمة التي انهارت فيها بنوك كبرى وأفلس أحدها.. وهؤلاء

المحللون والخبراء الاقتصاديون غفلوا عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى عدم قدرة أبناء الشعب الأمريكى ودول غربية كبرى على تسديد الأقساط المطالبين بها، واعتقد أنه تغافل متعمد.. فأمرىكا ومن يدور في فلكها من دول الغرب التي تساندها في بغيتها وعدوانتها، يهدرون مليارات الدولارات في مغامرات طائشة في صحراء وجبال ووديان الدول المستضعفة وأغلبها إن لم يكن جميعها من الدول العربية والإسلامية من أجل السيطرة عليها وعلى ثرواتها وإذلال شعوبها، تنفيساً عن حقد قديم وخوف من الإسلام، وأمريكا ومن والاها لا يكتفون بإهدار المال، وإنما يضحون بدماء أبنائهم الذين يسوقونهم للموت، بعد أن جعلوا منهم أيضا آلات للقتل، آلات تعمل بلا عقل ولا قلب!

وهؤلاء المحللون والخبراء يعرفون الحقيقة، ويتغافلون عنها... ولم يخرج صوت عاقل يطالب الولايات المتحدة بالكف عما تقوم به من قتل وتدمير، وإهدار للأموال والدماء ليس في داخل حدودها، وإنما أيضاً في تلك الدول المستضعفة، ليرى قادة أمريكا والغرب عطشهم الدائم للدماء! فإلى متى ستظل مقدرات العالم كله في أيدي قادة أعماهم الحققد عن اتخاذ الطريق السليم لسلام العالم؟... ومتى يتور العالم على «البلطجة» التي تفوده إلى الدمار؟!

كنوز العرب الثقافية المستهدفة من إسرائيل

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عاطف الغمري في جريدة الأهرام الصادرة في ٨/١٠/٢٠٠٨ يقول: كانت لإسرائيل خطط قديمة ومستمرة لتفتيت الدول العربية من الداخل، وكان التراث الثقافي العربي يتصدر الأهداف المطلوب تدميرها، أو طمس معالمها؛ لأنه في نظر السياسة الإسرائيلية ذاكرة الشعوب ومصدر تجدد طاقاتها، وبعث ثقافتها المعاصرة، وتجدد شعورها بالكرامة الوطنية. الكاتب الإسرائيلي (إسرائيل شاحاك) كتب عام ١٩٨٢ عن خطط إسرائيل لتفتيت العالم العربي، وأن هذا وارد في التفكير الإسرائيلي مراراً وتكراراً. وقد صدر في لندن كتاب بعنوان «تدمير التراث الثقافي في العراق» للكاتبين الإنجليزيين بترستون وفراشاك بيالي، يتحدث عن

١- عمليات النهب التي تعرضت لها بغداد عام ٢٠٠٣ عقب دخول قوات الاحتلال، بما في ذلك المتحف الوطني.

٢- وكذلك إشعال النار في المكتبات لإحراق الذاكرة الوطنية.

٣- فضلاً عن سرقة ملفات سجلات المواطنين. والكتاب يتحدث عن الكنوز الأثرية التي اختفت، وعن مخطوطات من أرشيف المكتبة الوطنية لم يعثر لها على أثر.

وبالرغم من أن المؤلفين يقولان: إن جدلاً مازال يدور حول من الذي نظم ودبر عملية سرقة المتحف الوطني؛ فإن معلومات كانت قد نشرت عام ٢٠٠٣ من مصادر أخرى بعد النهب والتدمير الذي تعرض له المتحف الوطني في بغداد، والمواقع الأثرية الأخرى في العراق، تذكر أن إسرائيليين كانوا أول من خطط أقدامهم هذه المواقع، ونقلوا قطعاً منها إلى إسرائيل، وقيل: إن من بين ما سرقه قطعاً أثرية كانت معهم بيانات كاملة بشأنها، تتصل باليهود وتاريخهم في العراق.

ومن المعلومات المؤكدة أن فرقاً من الموساد اندفعت إلى داخل العراق في ركاب قوات الغزو، ومن بعده إما مستترة وراء لافتة شركات المقاولات الدولية، أو مراكز بحوث سياسية أو اجتماعية، أو في إطار شركات الأمن التي فتح لها وزير الدفاع رونالد رامسفيلد أبواب العراق لأداء عمليات أمنية معانة للجهد العسكري لقوات

الاحتلال، وهي شركات لا تخضع للقانون العراقي أو لسيادة الدولة العراقية، وتتصرف وفق بنود الاتفاق الموقع بينها وبين البتاجون.

يذكر كتاب «تدمير التراث الثقافي العراقي» أنه عندما اشتغلت الحرب لم يكن لدى قوات التحالف أي خطة لحماية الكنوز الثقافية، مما تسبب في سرقة وتدمير الآلاف من المواقع الأثرية.

وهذه نقطة كشفت حقيقتها شخصيات دبلوماسية ومصادر من وزارة الخارجية الأمريكية، وكذبت الروايات التي رددت عدم وجود خطة لإدارة العراق لما بعد الحرب، وكشفت هذه الشخصيات من خلال أوراق لوزارة الخارجية عن أن الوزير كولن باول سلم رامسفيلد خططاً كاملة أعدتها وزارته للإدارة المدنية للدولة بعد الضربة العسكرية، تحاشياً لحدوث فوضى؛ لكن وزارة الدفاع تجاهلتها ولم تأخذ بها، عندئذ حدث فراغ داخلي في العراق، كانت الفوضى هي الأسرع لملكه.

وإذا كان قد دار جدل واسع حول نهب وتدمير التراث الثقافي للعراق، وآثاره التاريخية، فلم يكن ذلك عملاً عشوائياً أو من فعل لصوص ونهايين، لكنه جرى عن عمد، وعلى يد من عرفوا ماذا كانوا يفعلون.

المقدسات المنسية

تحت هذا العنوان كتبت الأستاذة نهال شكرى في جريدة الأهرام الصادرة في ٨/١٠/٢٠٠٨ تقول:

لا يمكن أن تختصر قضية المقدسات في تحرير المسجد الأقصى، ولا يمكن أن تغفل مقدسات أخرى طال الانتظار لتحريرها أيضاً وعلى رأسها الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل بفلسطين. وإننا هنا لابد لنا أن نعترف بضالة معلوماتنا حول هذا المكان المقدس الهام إلى جانب عدم التفاتنا لمشاكله وهمومه في خضم أحداث القضية الفلسطينية ذاتها وخضم الخلافات.

ثم تحدثت الكاتبة فتقول: وقد هالني ما شهدته على شاشة التليفزيون في برنامج عن أوضاع الحرم الإبراهيمي المنسي وهو يتشح بأسلحة جنود إسرائيل الواقفين على أبوابه ويثن من مرافقهم للمؤذن في كل صلاة.

ثم تواصل الكاتبة: ومما أثر في الإهمال الشديد لهذا الحرم المقدس، وانصراف المسلمين عنه والمؤسسات الثقافية الدولية، بل وما يسمونه مؤسسات حقوق الإنسان في كل مكان على الرغم مما يضمه من كنوز دينية تاريخية، حتى إنه يقال: إن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وبعض آل بيته تم دفنهم تحت الحرم الإبراهيمي.

ثم تختتم الكاتبة مقالها فتقول: وإنني هنا أطالب بإيقاظ الوعي والاهتمام بالحرم الإبراهيمي أسوة بالمسجد الأقصى ووضعه على خريطة المطالب، وعلى دروب الدفاع عن الحق، لأننا لا يمكن أن نغفله أو نضعه في موقع المقدسات المنسية.

«جوهرة المدينة، إساءة غريبة جديدة للرسول ﷺ والسيدة عائشة رضي الله عنها

وما زال مسلسل الإساءة للنبي ﷺ مستمرا، فتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذة دعاء محمود المنشورة في جريدة الأسبوع تقول:

أصبحت الإساءة إلى الرسول ﷺ وسيلة لجذب الأنظار واكتساب الشهرة يتبعها الكثير من الكتاب والصحفيين والشخصيات الغربية الذين ثبت فشلهم في الحياة العملية ليتخذوا الإساءة للإسلام ورسوله طريقا للنجومية وهذا ما قامت به مؤخرا صحفية أمريكية مغمورة.. حيث عكفت الصحفية على كتابة قصة عن السيدة عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ خطبتها حتى وفاته ﷺ.

وأكد «دينسي مبليرج» أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية، أن جوهرة المدينة أشد خطورة من «آيات شيطانية» والرسومات المسيئة للرسول ﷺ.

الجدير بالذكر أن الشركة الأمريكية رفضت إعادة نشر الكتاب بعد تعرضها لحادث حريق.. فضلا عن اعتراض علماء دين مسلمين بالولايات المتحدة على مضمون الرواية.. ولذا قامت المؤلفة الأمريكية بالاتفاق مع ناشر ألماني لم تعلن اسمه بعد، لنشر القصة المسيئة. ولكن وسط هذه البذاءات الغريبة نجد أن أصواتا منصفة تتحدث بموضوعية عن الإسلام، فعلى سبيل المثال: أكد «جيفي دولاندسون» نائب رئيس الوزراء الأيرلندي «اعترازه بالإسلام كدين سماوي

له مكانته بين الإنسانية، وأعرب عن دهشته لمحاولات التشويه التي يتعرض لها الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر جاء ذلك خلال حفل أقامته الجالية المصرية بمقر البرلمان الأيرلندي. الأخيار: ٢٠٠٨/١٠/١١

فرق الموت والقرصنة

تحت هذا العنوان جاءت افتتاحية الأهرام العربي الصادرة بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٤م:

يكشف حادث اختطاف السياح الأجانب في جنوب مصر عن لعبة جديدة من قبل رجال فرق الموت في منطقة الشرق الأوسط، عمليات القرصنة التي تتوالى من الصومال إلى اليمن إلى أماكن أخرى تؤكد أن المنطقة قد تمر بنوع جديد من الحروب، فقد نجح الأمريكيون من خلال شركائهم المحليين في العراق في تكوين فرق الموت التي حصدت عشرات الآلاف من العراقيين بالسيارات المفخخة، وانفجار السيارة المفخخة في حي مكتظ بالسكان في العاصمة السورية دمشق يأتي ضمن هذا المخطط.. وهو مخطط لو قدر له النجاح فيكون أخطر من كل الحروب التقليدية التي ساعدت واشنطن على إشعالها في الشرق الأوسط.

مرة أخرى نحذر من وقوع المنطقة في برائن فرق الموت، فهي تتخذ هذه المرة أشكالا جديدة من الحرب القذرة، منها ترويع الزائرين إلى بلد كمصر. وإزاء هذه المخططات يجب ألا تنام فالتقدم قد يكون أسوأ.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

إعداد: عبدالموجود أمين موسى

البعوث الأزهرية

شهد مركز الأزهر للمؤتمرات اجتماعاً موسعاً لمبعوثي الأزهر الجدد إلى دول العالم المختلفة سواء العربية أو الإسلامية أو غير الإسلامية.

وقد حضر الاجتماع فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر وسفراء من وزارة الخارجية المصرية.

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر للمبعوثين مهام بعثتهم وكيفية أدائها على أكمل وجه وأوصاهم بحسن معاملة أهل البلاد المبتعثين إليها وأن يكونوا واجهة مشرفة للإسلام ولمصر والأزهر.

كما أوصاهم بالبعد عن التطرف وإظهار صحيح الدين الإسلامي وتفقيه وتعليم وغرس الإسلام في نفوس أبناء هذه البلاد ليسيروا على هدى الرسول الكريم صلى الله عليه

وسلم بذلك يكون المبعوث سفيراً للإسلام وبلده، بإظهاره الإسلام على صورته الحقيقية للدول غير الإسلامية.

صرح بذلك فضيلة الشيخ/ فوزي زيدان الأمين المساعد للبعوث الإسلامية.

اجتماع موسع لوعاظ الأزهر الشريف

عقد في مقر الأمانة العامة للدعوة والإعلام الديني بمجمع البحوث الإسلامية اجتماع موسع لمديري عموم الوعظ على مستوى الجمهورية، وحضره فضيلة الشيخ على عبدالباقى شحاتة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

وقد ناقش في اللقاء العقبات التي تواجه الدعوة وسبل تذليلها وحلها، كما بحث اللقاء احتياجات الأمانة العامة إلى دعاة وعلماء جدد لسد العجز الموجود نتيجة حالات الوفاة أو بلوغ السن القانوني للمعاش حرصاً على عدم انقراض جهاز الوعظ، حيث إن

الوعظ هو يد الأزهر التي يضاف بها العالم. كما نوقش في الاجتماع خطة التوعية الدينية التي تشمل التوعية الدينية بالمدارس الحكومية ومراكز الشباب والمستشفيات والسجون ومراكز تدريب الشرطة والأمن العام.

وتم بحث سبل النهوض بمستوى الدعاة علمياً وثقافياً ومادياً، وقد تفضل الإمام الأكبر بالموافقة على إعطاء كل واعظ نسخة من كتابه: «التفسير الوسيط» بسعر التكلفة و«الفقه الميسر» ليستعين الواعظ بهما في مهامه.

كذلك تم بحث سبل النهوض بمستوى رجال الفتوى في سائر المحافظات حيث يلعبون دوراً مهماً وفي حل مشاكل الجمهور ويشاركون رجال الأمن في المجالس العرفية التي تعقد في الريف المصري.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبد الحميد الأطرش الأمين المساعد للوعظ بمجمع البحوث الإسلامية.

مشروع الشيخ محمد بن راشد لحفظ مخطوطات مكتبة الأزهر

صرح الأستاذ/ مهدي شلتوت - رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر بأنه يتم الآن إعادة هيكلة وتشغيل مشروع حفظ

مخطوطات مكتبة الأزهر ونشرها على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» - قريبا إن شاء الله تعالى - عن طريق شركة IBM العالمية في مجال الحاسبات الآلية والبرمجيات، ليستفيد منها جميع الباحثين والمهتمين بالثقافة العربية والإسلامية سواء الأديبة أو العلمية في شتى بقاع الأرض.

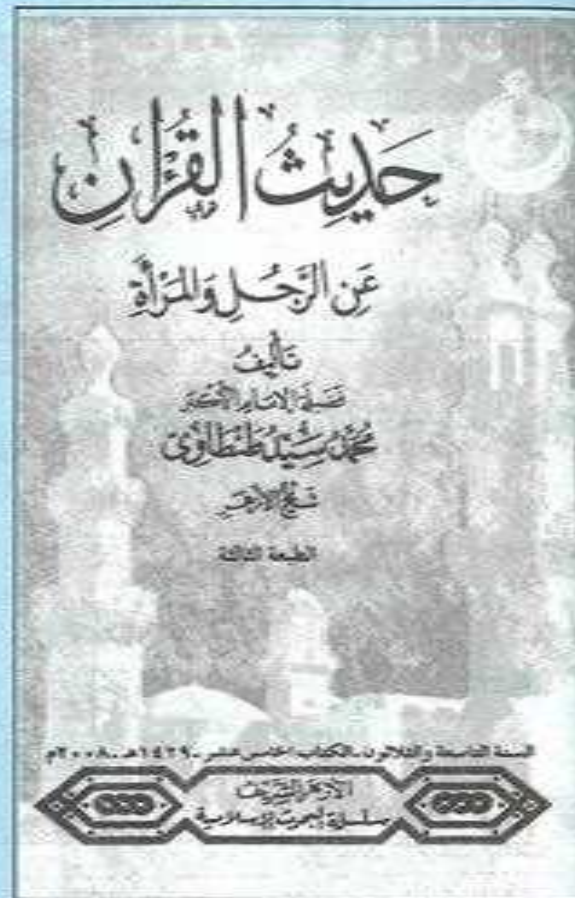
الطلاب الوافدين

بدأ امتحان تحديد المستوى للناطقين باللغة العربية وغير الناطقين بها اعتباراً من أول أكتوبر حتى آخره للمرحلة الشفهية، وفور إعلان المرحلة الشفهية يتم عقد الامتحان التحريري للحاصلين على المرحلة الإعدادية شفهياً حيث يعقد الاختبار التحريري بمعهد البحوث الإسلامية بالقاهرة.

كما بدأ تجديد المنح اعتباراً من أول أكتوبر وحتى نهايته، أما الذين تخلفوا عن هذا الموعد فسوف يتم صرف المنح بدءاً من تقديمهم الأوراق اللازمة.

أما بالنسبة للطلاب الذين أنهوا مراحل التعليم الجامعي والمقيدين على منح الأزهر فعليهم التقدم بصرف تذاكر العودة إلى بلادهم خلال شهرين من تاريخ اعتماد النتيجة.

صرح بذلك فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة للطلاب الوافدين.



صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب «حديث القرآن عن الرجل والمرأة» لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وقد بين فيه فضيلة الإمام الأكبر أن شريعة الإسلام كرمت المرأة تكريماً عظيماً حيث بين القرآن أوجه المساواة بين الرجل والمرأة وأوجه الاختلاف بينهما، فمن أوجه المساواة: كونهما من نفس واحدة - التكاليف الشرعية - المسئولية - الثواب

والعقاب - طلب العلم - استقلال الشخصية - الكرامة الإنسانية.

ومن وجوه الاختلاف: الجوانب الذاتية والدينية - الميراث - الشهادة - القوامة - موضوع الطلاق، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر بأسلوب شيق ورائع سبل استقرار الحياة الزوجية طبقاً لما جاء في الشريعة الإسلامية، وقد ذكر من هذا الموضوع: حسن الاختيار - التنفير من السعي إلى الطلاق والتضييق من حالات وقوعه - الحرص على الإصلاح - التحلي بالصبر والتسامح والتعاون والتراحم والمؤانسة - قيام كل من الزوجين بواجباته نحو الآخر بشرف وإخلاص وصدق.

واستخلص في نهاية الكتاب محاسن شريعة الإسلام مبنياً أنها لم تفتح باب الطلاق فتحاً مطلقاً ولم تغلقه غلقاً مطلقاً وإنما أباحتها عندما تسد جميع أبواب الصلح ويصل التناحر والشقاق إلى حال يستحيل معها على الزوجين الوفاق، ومن هنا يأتي حكم الله بالتفريق ويغني الله كلا من سعته.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبد الرحمن العسيلي مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث.



للاستاذين: محمود الفشني - أحمد رضوان

بدء مسابقة الملك عبدالعزيز الدولية للقرآن الكريم

انطلقت منذ أوائل الشهر الماضي منافسات مسابقة الملك عبدالعزيز للقرآن الكريم وتجويده في دورتها الجديدة والتي تنظمها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد تحت رعاية خادم الحرمين واستمرت المنافسات حتى ١٩ أكتوبر الماضي بمكة المكرمة وشارك فيها ١٦٤٠ متسابقاً من مختلف الدول العربية والإسلامية والهيئات والمراكز والجمعيات والمؤسسات الإسلامية المنتشرة في بلاد الأقليات الإسلامية.

افتتاح أول جامع في ألمانيا الشيوعية سابقاً

في احتفال رسمي كبير في برلين عاصمة ألمانيا الشيوعية سابقاً تم افتتاح أول جامع بمساحة ١٠٠٠ متر مربع ومطاعمات احتجاج وحواجز لشرطة المدينة، وقامت الشرطة بإغلاق الطرق المؤدية إلى «جامع خديجة» خلال الاحتفال بافتتاح البناء المكون من طابقين وقبة فضية اللون ترتفع إلى ١٣ متراً في منطقة يانكو، جدير بالذكر أنه يوجد في ألمانيا أكثر من ثلاثة ملايين مسلم

ويوجد في برلين الغربية ٧٠ جامعاً وهي موزعة على بنايات وأماكن غير معروفة وغير محددة المعالم وفي الشوارع الخلفية ورحبت الأوساط الألمانية الرسمية بالحدث وبمكان العبادة هذا.

برلمان هولندي يتحدى باعتباره الإسلام ديناً عالمياً

في سابقة الأولى من نوعها دعا برلمان هولندي النائب عن حزب الشعب الهولندي.. هينك كامب في مذكرة قدمها للبرلمان تحت عنوان «مذكرة الإسلام» زملاءه السياسيين والمجتمع الدولي إلى مزيد من المرونة أمام الدين الإسلامي والاعتراف به ديناً عالمياً، والجدير بالذكر أن النائب هذا خلف انطباعاً مخالفاً عما عهد عنه في السابق كمنقذ عيد لسياسة الحكومة الهولندية تجاه المسلمين المقيمين في هولندا وبشأن النظرة الجديدة إلى الدين الإسلامي في رأى النائب كامب بمساعدة عملية إدماج الشباب الهولندي المسلم في المجتمع، ويقترح كامب تحقيق اندماج المسلمين في المجتمع ويدعو لسن قوانين تعاقب المعوقين والمعارضين لسياسة الاندماج.

الجدير بالذكر أن هولندا شهدت في الآونة الأخيرة موجة

كبيرة من المهاجرة والحرب على الإسلام.

١٦ هندوسياً اعتنقوا الإسلام خلال رمضان

في شهر رمضان الماضي اعتنقت أسرة هندوسية من ١٦ فرداً في منطقة سيالكوت بشرقي باكستان الإسلام لإعجابهم وتأثرهم من قيام المسلمين بالصيام خلال شهر رمضان وإسماهم عن الطعام والشراب مع الحر الشديد والعمل المتواصل وقالت صحيفة «خيرين» التي تصدر باللغة الأردية «إن وحدة المسلمين وتكاتفهم خلال الشهر الفضيل أثار إعجاب هذه الأسرة التي أقبلت على الإسلام واشهرت اعتناقها عقيدة التوحيد وأعلنت الشهادتين ومنحتهم الحكومة الباكستانية أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين.

المؤتمر الإسلامي يطالب المسلمين باعتماد تقويم هجري موحد

اتخذ الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي أكمل الدين إحسان أوغلي احتفال المسلمين عبر العالم بعيد الفطر في مواعيد مختلفة معجراً أن ذلك يعبر عن تشرذم وتشتت وكرر الدعوة إلى اعتماد تقويم هجري موحد وشدد الأمين العام للمنظمة التي تضم ٥٧ عضواً والتي مقرها جدة السعودية على أهمية التزام الدول الأعضاء بالقرارات التي اتخذتها المنظمة بخصوص التقويم الهجري الموحد، وهو ما من شأنه أن يضع حداً لعوامل التفرقة والتشتت ويعكس وحدة المسلمين في أوقات أعيادهم.

التليفزيون الإسرائيلي ينظم مسابقة للقرآن الكريم

القرح موشيه غاييش رئيس هيئة الإذاعة الإسرائيلية لتقديم جائزة للعمل الحائز على جائزة رمضان لمسابقة القرآن

الكريم، وقال موقع «القناة السابعة» للتليفزيون الإسرائيلي إنه للمرة الأولى يقوم رايدو صوت إسرائيل والتليفزيون الإسرائيلي بث مسابقة رمضان وأشادت القناة الإسرائيلية إلى أن المسابقة سوف تقام في مسرح الميدان بحيفا في اليوم الأخير من شهر رمضان المعظم وبعد عيد الفطر المبارك.. وأضافت القناة أن المشتركين في المسابقة هم من استطاعوا الإجابة عن حل المسابقة اليومية التي تبث طيلة أيام الشهر الكريم، والتي تؤهل للمنافسة الكبرى التي تقام تحت إشراف لجنة قضائية خاصة مشكلة من رجال الشرعية الإسلامية. وأضافت «القناة السابعة» أن جائزة مسابقة رمضان للقرآن تشبه مسابقة جائزة الكتاب المقدس.

الخدمات المالية الإسلامية الأسرع نمواً في بريطانيا

أكدت هيئة الخدمات المالية البريطانية أن هناك نمواً كبيراً في التمويل الإسلامي في بريطانيا والتمهيد بالاستثمار المسئول اجتماعياً وأخلاقياً. وأوضحت أن بريطانيا في طريقها لأن تكون مركزاً مالياً أوروبياً رئيسياً لخدمات ومنتجات التمويل الإسلامي في ظل بيئة تشريعية مرنة، حيث صدرت تراخيص لستة مصارف إسلامية بالكامل لمستثمرين ومؤسسات من الشرق الأوسط هي: بنك بريطانيا الإسلامي، بنك الاستثمار الإسلامي الأوروبي، بنك مصر والشرق الأوسط، وبيت الأوراق المالية، بيت التمويل الأوروبي، بنك جيتهاوس، وتعتبر هيئة الخدمات المالية أول مشروع أوروبي يصدر تراخيص لمصارف إسلامية بالكامل، كما أنها أصدرت ترخيصاً لأول مرة في صندوق إسلامي لأول مزود للتأمين التكافلي.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عبد النبي هراج
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس وزراء بريطانيا السابق

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي بمكتبه يوم الخميس ٢٠٠٨/١٠/٩ السيد / توني بليز - رئيس وزراء بريطانيا السابق وعضو اللجنة الرباعية بالشرق الأوسط الذي أكد أن الأزمة المالية أكدت أهمية التعاون والحوار ليكون مصدرا للقوة ويساعد الناس، كما أعرب عن رغبته في أن يكون هناك مركزا للديانات السماوية في لندن من أجل التقارب والتعارف، خاصة أن لندن بها أعداد كبيرة من جميع الديانات السماوية.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الدين الإسلامي يسمح بحث على نصرته المظلوم والوقوف إلى جانبه حتى ينتصر لاسيما في هذا العصر الذي نعيش فيه فيجب أن يتعاون العقلاء على نصرته المظلوم ومعاونته ونشر العدل ومحاربة الظلم والإرهاب، لأن الإرهاب نكبة دينية ونكبة دنيوية بكل المقاييس ولا تستر على الإرهاب بأي حال من الأحوال، لأن التستر على الظالم أو من يؤذى الغير جريمة، فيجب أن نتكاتف جميعا من أجل نشر العدل والأمان والاطمئنان، فنحن نريد حوارا إيجابيا تكون نتائجه مفيدة، ولا نريد الحوار في العقائد، فالحوار له منهج وكل إنسان له عقيدته والذي يحاسب على العقائد هو الله، فالحوار يكون من أجل خدمة الحق ونصرة المظلوم ومساعدة المحتاج.

معرض مخطوطات قرآنية

افتتح في قاعة «سام فوغ» في لندن معرض خاص بالمخطوطات القرآنية يضم أكثر من خمسين عملاً فنياً تغطي مرحلة زمنية تتجاوز ١٣٠٠ سنة، وتقدم في الوقت نفسه نماذج من فنون الخط والزخرفة التي مارسها الفنانون المسلمون على مدى العصور وفي مناطق جغرافية تمتد من حوض المتوسط إلى أقصى الصين وأفريقيا.

وتهدف قاعة العرض «سام فوغ» المتخصصة بتقديم الفنون الأوروبية والإسلامية والهندية العائدة إلى القرون الوسطى، من هذا المعرض، أن تقدم للمشاهد الأوروبي بصورة خاصة كيفية تعامل الفنانين المسلمين مع النص القرآني بصفته نصاً مقدساً يتطلب أساليب فنية مميزة في الخط والزخرفة وتنوعية الورق والتجليد.

مؤتمر عالمي في أمريكا لمواجهة المخاوف الغربية من الإسلام

اقترحت ماليزيا عقد مؤتمر دولي كبير تموله منظمة المؤتمر الإسلامي مطلع العام القادم للتصدي للمخاوف ضد الإسلام «الإسلام فوبيا» التي ترسخ جذورها في عدد من الدول المتقدمة، وقال وزير الخارجية الماليزي ريس نيم في تصريح صحفي: إن منظمة المؤتمر الإسلامي طلبت من ماليزيا أن تلعب دوراً رئيسياً في تصحيح سوء الفهم في المجتمع الغربي بسبب ظاهرة «الإسلام فوبيا» لدرجة تجعلهم يكرهون أي شيء له علاقة بالإسلام، والدليل على ذلك ما حدث مؤخراً في ألمانيا من

احتجاجات ضد إنشاء مسجد في كولونيا وبأمر الوزير الماليزي في أن تشارك في المؤتمر شخصيات مؤثرة مثل الزعماء والرؤساء والمفكرين والمنظمات غير الحكومية التي تؤيد التسامح الديني.

محمد، أكثر أسماء المواليد شعبية في بروكسل

تصدر اسم «محمد» قائمة أكثر الأسماء شعبية في العاصمة البلجيكية «بروكسل» التي يوجد بها مقر العديد من مؤسسات الاتحاد الأوروبي، وذلك بحسب ما نقلته وكالة الأنباء الألمانية، وأعلن مكتب الإحصاء البلجيكي أن ٢٣٥ من المواليد الجدد في بروكسل حصلوا على اسم «محمد» عام ٢٠٠٧، يليه في المركز الثاني اسم «آدم» الذي سمي به ١٦٩ مولوداً، وجاء اسم «أمين» في المركز السادس لقائمة أكثر ١٠ أسماء شعبية في بروكسل، في حين اشترك اسم «أيوب» و«مهدي» في احتلال المركز السابع.

ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم

نظم فرع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بمالطا مؤتمراً إعلامياً بمناسبة صدور الترجمة المالتية لمعاني القرآن الكريم، والتي قام بإعدادها الشيخ محمد السعدى إمام مسجد المركز الإسلامي، والدكتور مارتين زميت أستاذ اللغة العربية بالجامعة المالتية، وقام بمراجعتها وتنقيحها الدكتور أوليفر فريجيرو الأديب والشاعر وأستاذ اللغة المالتية بالجامعة المالتية والداعية بفرع الجمعية ماريو عبدالرحمن فوجه بورج.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس المجلس الأعلى للقضاء الشرعي بـ فلسطين

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه اليوم الأحد الموافق ٢٠٠٨/١٠/١٢ الدكتور تيسير التميمي - رئيس المجلس الأعلى للقضاء الشرعي وقاضي قضاة فلسطين يرافقه فضيلة الشيخ / محمد جمال قاضي القدس الشرعي. رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد الفلسطيني مؤكداً على أن الشعب الفلسطيني دائماً في قلبنا ونتمنى له التقدم والرخاء وأن يكون للفلسطينيين دولتهم المستقلة، مضيفاً بأننا نشعر بما يعاني منه الشعب الفلسطيني ونطالب بوحدة الصف الفلسطيني وأن يفك الله كربه، وقدم فضيلة الإمام الأكبر النصح لشعب فلسطين بالتعاون والتضامني وأن يكون كل فرد كالبنيان المرصوص، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وإذا كانت هناك بعض الخلافات فيجب ألا تؤثر على وحدة الشعب الفلسطيني كما طالب في دعوته بنبذ الخلافات فيما بينهم.

الإمام الأكبر: الحوار أساس التفاهم

واستقبل فضيلة صباح يوم الأربعاء الموافق ٢٠٠٨/١٠/٨ السيدة ليلي الصلح / وزيرة الصناعة اللبنانية السابقة نائب رئيس مؤسسة الوليد بن طلال الإنسانية، في بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيدة الفاضلة في بلدها الثاني مصر، وأعرب فضيلة الإمام الأكبر عن سعادته لزيارة السيدة الفاضلة للأزهر وأشاد بالجهود التي تبذلها في مجال الرعاية الصحية ورعاية المعاقين بشكل خاص، والذي يخدم الإنسانية والمجتمع الإسلامي.

وقدمت السيدة الفاضلة التهئة لفضيلة الإمام بمناسبة أعياد السادس من أكتوبر وأشادت باتصارات المصريين والعرب في ذلك اليوم ووجهت لفضيلة الإمام الأكبر الدعوة لزيارة لبنان للاطلاع على ما تقوم به من ترميمات بالأبنية الأزهرية في لبنان، وأشادت السيدة الفاضلة بدور الأزهر في العالم أجمع، وأيضاً دور الأزهر في كبح الفتن ونشر الوعي الإسلامي، حيث إن الأزهر يحتاز بالوسطية والاعتدال.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر بأنه في مصر مصلحة المجتمع فوق مصلحة الفرد، وأنه ليس هناك فرق بين مسلم أو غير مسلم، لأننا جميعاً من أب واحد وأم واحدة ونعمل من أجل خدمة الإنسانية جمعاء كما أنني أؤمن بالتخصص، فأنا كرجل دين أتناول فيما يخص الأمور الدينية وأقوم بالإرشاد والتوجيه، وأوضح فضيلته بأن الأخوة الإنسانية أصل من أصول الكون لأن النفس الإنسانية واحدة، ومادام غيري لا يسىء إليّ في التعامل ولم يعتدي على أرضي أو مالى فمن حقي التعامل معه بغض النظر عن عقيدته وأكد فضيلته على

أن الحوار هو أساس التفاهم حول أى موضوع من الموضوعات بغرض الوصول إلى نتيجة ترضى جميع الأطراف، وعلى كل متخصص أن يتحاور في موضوع تخصصه بما يخدم المجتمع والدولة والبشرية جمعاء دون النظر للمصلحة الخاصة.

الإمام الأكبر يستقبل سفير تايلاند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الأحد الموافق ٢٠٠٨/١٠/٥ السيد السفير نويادون تيبثاك سفير تايلاند بالقاهرة.. رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير في مصر وأزهرها الشريف، وقد تناول اللقاء اطمئنان فضيلة الإمام الأكبر على الحالة الصحية لجلالة ملك تايلاند ومن جانبه شكر السفير فضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال والرعاية واليسيرات التي يوليها الأزهر للطلاب والطالبات التايلانديين الذين يدرسون في الأزهر ويتمتعون برعاية الأزهر لهم كما تم الاتفاق على تحديد موعد حفل تخريج الطلاب التايلانديين اللذين أتموا دراستهم بالأزهر الشريف وجامعته العريقة والذي تقيمه سفارة تايلاند بالقاهرة.

الإمام الأكبر يستقبل السفير البرازيلي

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى بمكتبه يوم الخميس ٢٠٠٨/١٠/٩ - السيد / سيزاريو ميلاتونيو ناتو - سفير البرازيل بالقاهرة وتأتى هذه الزيارة بمناسبة توليه العمل كسفير جديد لبلاده بالقاهرة. رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير في الأزهر الشريف متمنياً له التوفيق في عمله، ودار اللقاء من جانب السفير حول عمله بالمنطقة العربية والإسلامية لمدة ٧ سنوات سابقة بإيران وتركيا ثم أخيراً في مصر متمنياً تحقيق رغبته في تنمية الحوار الثقافي والدينى بين الناطقين باللاتينية وأمريكا وأوروبا والمنطقة العربية الإسلامية، وناشد السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر المساهمة لعمل لقاء لتنمية الحوار بالقاهرة العام القادم، كما رغب السفير في دعوة الأساتذة والمثقفين من جامعة الأزهر لزيارة البرازيل حيث يوجد بالبرازيل ما يقرب من ٢ مليون من أصل عربى من سوريا ولبنان وباقي البلدان العربية.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر ترحيبه بمثل هذا العمل الذى يتناول الحوار وبين أن الأديان السماوية والعقول الإنسانية كلها تدعو إلى السلام ونشر الأمان فى الأمم وتدعو إلى الأخوة الإنسانية ونبذ الإرهاب والتطرف، وأبدى موافقته لحضور مثل هذا العمل حينما تأتية الدعوة من خلال الطرق الدبلوماسية المتمثلة فى وزارة الخارجية.

{And the heaven, He raised it up, and laid down the Balance. That you should not be inordinate in the Balance.}
[Ar-Rahman (The All-Merciful):7].

Thus, the Prophetic speech is like a universal document!

No... Farewell

Many people used to call the Prophetic speech as "farewell speech", as if the relationship between Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his followers has ended by this speech. How come?!

The relationship between the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his nation will continue even in the crowd of the Day of Judgment, as the people will cling to him in the way the sons do with their father, and he sympathizes with them in the way the father sympathizes with his children in the day when every prophet says, "myself, myself" and Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) says, "my nation, my nation."

The attraction between Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his nation is so special, the evident is that all of the visitors of his house and mosque including men, women and children crowd and weep in a way that reveals their love and yearning although more than a thousand and five hundred years passed since his death. Then, we remember the saying of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), "when someone enters and salutes me, Allah restores my soul to me to salute him in response."

Thus, we can not put the word "farewell" in the context of the relationship between Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) and the believers. It is more appropriate to call this speech as "the speech of the completion of religion and grace" rather than "farewell speech".

Also, we can call it "the document of the great jihad", which the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) delivered to his nation while he was performing the rituals of his only hajj in which he taught the Muslims the rituals of hajj that continued up to now.

The morals of asking permission

Contemplate on the magnificence of the Prophet's (may the blessings and peace of Allah be upon him) morals at the beginning of "Arafat declaration", as if he was asking Allah's permission to address the people with the points from which they will benefit in their life and afterlife.

Here he starts with thanking Allah and asking for His help, forgiveness and repentance, which are like ablution before prayers. This is really right, as all of the deeds of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) are like prayers that brings him close to Allah, Glory be to Him.

Then, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) follows up his speech which was full of parental and Prophetic feelings saying, "Listen to me, I do not know whether I will meet you in the next year at this situation."

This warm sentence caused all of the people to weep, then they listened to him while he was presenting the responsibilities and tasks which were engraved in the minds of the believers and transferred to the following generations. Then, all of the people stopped talking and Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) started talking:

"O People, your blood and money are inviolable till you meet Allah in the way this day, this month and this country is."

The impartiality of the legislator and the subjectivity of the legislation

The impartiality of the legislator and the subjectivity of the legislation are revealed when the great leader sets the rules on himself and his family without caring about family relationships, friendship or patronage

"If anyone is entrusted to take something, he should restore it to the one who entrusted him, and that the usury of the pre-Islamic era is rejected, and the first usury I start with is that of my uncle Al-Abbas Ibn Abd Al-Muttaleb, and that the blood of the pre-Islamic era is rejected and the first example I talk about is blood of Amer Ibn Rabi'ah Ibn Al-Harith."

not merely an indication of the love and admiration of Muhammad's followers to him, however, it is a real link to the last Message with all of its values and correct behaviors.

The link between the witness that "Muhammad is Allah's worshipper and Messenger" and "Allah is the only God" is in some contemplation a link between the tangible and intangible, as satisfaction by Allah is automatically followed by the satisfaction of Muhammad as a Messenger and Prophet. Thus, we should realize that belief in Allah, Glory be to Him, must have a practical echo in time and place.

Islamic belief is not like a coin that has two different faces, but it is a coin whose two faces are harmonious. Also, the confirmation of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) that he is "Allah's worshipper" reveals that he denies the sayings of the misleading people who may stir the riots that the resisting people of the nations of Musa and Jesus Christ, as some of the rude Jews said: {And the Jews have said, "Uzayr is the son of Allah."}

[At-Tawbah (Repentance): 30]

Some of the Christians say:

And the Nasara have said, "Al-Masih is the son of Allah."

[At-Tawbah (Repentance): 30]

It was intuitive in our forgiving religion that the Message holder says that he is "Allah's worshipper" to stop any assumption or suspicion

One of the magnificent sayings in this context is that Allah – Glory be to Him – previously revealed this matter when He willed that Muhammad become the son of "Abdullah" Ibn Abd Al-Muttaleb. Thus, there is undoubtedly no field for saying that Muhammad is Allah's son, as the doubters in the previous Messages said.

We note that the prophetic speech in Arafat was concerned with the human soul as a main basis in the different relations that link the human being to others including the familial, economic and social relations, but it extended to the Prophet's concern in his orotund speech that the hajjis at the first period of Islam should care and deal with astronomy such as days, months, years and so on.

Universal Document

It is really useful here to note the universal indication in this wise declaration of Muhammad in his saying about "the postponed month", which is that the Arabs used the lunar months in their accounts, and the tasks which were assigned to them at the time of Ibrahim and Ismail (may the blessings of Allah be upon them) – such as hajj and the inviolable months are ranked according to these months.

When they found that this rule may harm their commercial interests, as hajj may come in a season that is not suitable to them, and the inviolable months may come in months that do not suit their trade, they added some days at the end of the lunar year called "the days of the postponed month" to be equivalent to the calendar year to perform every task at the time suitable to them.

They collected these "fabricated" days to complete a month, the action that caused some years to contain twelve months, while others contain thirteen months. Thus, hajj may come in Zhul-Hijjah in some years, while it may come in Zhul-Qi'dah in other months. Allah willed that the hajj of Muhammad be in Zhul-Hijjah, the month that Allah assigned to hajj.

Thus, Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) ordered the people to cancel "the days of the postponed month" that the Noble Qur'an denied:

{Surely the month postponed is only an increase in disbelief whereby the ones who have disbelieved are led into error}

[At-Tawbah (Repentance): 37].

Thus, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said in his orotund declaration:

Time is the same as the day of the creation of heavens and the earth, and the number of the months is twelve in the Noble Qur'an including four inviolable ones: Zhul-Qi'dah, Zhul-Hijjah, Muharram, and Rajab.

In this way, Muhammad eliminated the pre-Islamic manipulation of the circle of astronomy that was created by Allah, Who organized it in a certain way:

[As-Saffat (Those Ranked in Ranks): 100]

Allah responded to his invocation and his wish came true, as Allah (Glory be to Him) said:

{So We gave him the good tidings of a forbearing youth}

[As-Saffat (Those Ranked in Ranks): 101]

He is the righteous son and the Prophet Isamil (may the blessings of Allah be upon him). Thus, Allah let him reside with the nation of this place to which the Muslims come every year for the sake of performing the rituals of hajj. It was – at that time- empty and desolate – but the Prophet Ibrahim was satisfied with this case, as he performs the orders of Allah. He visited his son frequently, and the boy became an adult and was full of intelligence and courage, the matter that made Ibrahim cling many wishes upon him.

As soon as Ibrahim was happy for his son and his intelligence, he was surprised by this vision. What happened to him can not be endured even by the tough men, so we can imagine how the matter was with Ibrahim, the kind-hearted sheikh.

{Then when he reached the age of endeavoring with him, he said, "O my son, surely I see in a dream that I should slay you; so, look, what do you see?"}

[As-Saffat (Those Ranked in Ranks): 102]

As Ibrahim behaved in this way, Allah rewarded and had mercy on him; this can be clarified by the saying of Allah, Glory be to him, {So, as soon as they had both surrendered, and he dashed him upon his brow. And We called out to him (saying), "O Ibrahim, you have already sincerely (believed) in the vision; surely thus We recompense the fair-doers. Surely this is indeed what is evident trial." And we ransomed him with magnificent slain (sacrifice).}

[As-Saffat (Those Ranked in Ranks): 103-107]

This means a magnificent ram from paradise that came with Jibril (may the blessings of Allah be upon him) saying, "Allah is great, Allah is great, Allah is great". Ibrahim (may the blessings of Allah be upon him) said, "Allah is the only God", then Ismail (may the blessings of Allah be upon him) said, "Allah is great, Praise be to Allah". Thus, we restore the memories by these words whose sublimity can not leave the minds. In this way, Allah keeps the affliction away from the one obeys Him and grants him good rewards.

**An important declaration from the prophet
(may the blessings and peace of Allah be upon
him) from Arafat to the Islamic nation and the
whole world..!**

By: Ustaz. Muhamad Mustapha Al-Basiouny

Since more than fifteen centuries till now – and up to the time Allah wants – Glory be to Him – the "huge rocks" of the "Mountain of Mercy" welcomes the believers in Arafat area in confidence and honor at the day of Arafat every year. The crowd of the believers says from the deepest of their hearts:

"O, Lord, here we are, here we are, 'praise be to You, and You own all graces and the whole world, You are the only God".

At these "huge rocks", the Prophet Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him) overtopped his blessed she-camel which has a part of her ear cut, and all of his nation gathered around him competing each other to reach him first to take orders from him. The Prophet said, "Allah orders you to perform the rituals of hajj, thus perform what Allah orders you".²

This incident was – as it is well-known – in the ninth of Zhul-Hijah in the tenth year of the blessed Prophecy. The whole crowd stood listening and paying their entire attention to the words of the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him).

"Praise be to Allah Whom we thank, ask for help and forgiveness, and seek protection from ourselves and our sins. The one who is guided by Allah can never be misguided, and the one who is misguided by Allah, can never be guided. I witness that Allah is the only God and Muhammad is His worshipper and Messenger".³

This introduction was said by "Muhammad" who witnessed that "Muhammad", the one who leads the hajjis is Allah's worshipper and Messenger. It is a clear indication that Muhammad's Prophecy is

¹ One of the miracles of these words is that praise is recedent to grace, as thanking Allah is ultimate from each person to Allah at every time.

² Part of a hadith by Abu Hurairah (may Allah be pleased with him) and narrated by Muslim about the commandments of the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him).

³ The biography books.

The happy and ideal society is the one in which morals become sublime in the feast and its human feeling extends to the ultimate extent, being represented in visiting the relatives and friends, congratulating one another, getting rid of malice, spite and enmity, doing good deeds and helping the needy.

Our feasts are one of the religious rituals which we should reveal according to the sunnah of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). Also, we should seek the allowable things and refrain from the forbidden matters.

When Abu Bakr (may Allah be pleased with him) entered the house of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) at the feast day and found two bondwomen talking about the day in which the valiant people of Al-Aws and Al-Khazraj were killed, he said, "Allah's worshippers, take care of the devil." He repeated this sentence thrice, and the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Every nation has a feast, and it is our feast."

'Aishah (may Allah be pleased with her) said that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said at that day, "Let the Jews living in Medina know that I am sent with a kind and tolerant religion." The truthful believers should obey Allah and His Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) in every order and prohibition. Without this obedience, the nation will not realize its aims.

One of the situations from which the Muslim learns the obedience to Allah and His Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) is the situation that links us to our father, Ibrahim (may the blessings of Allah be upon him). It is a great situation in which obedience is crystal clear, as Ibrahim saw in his vision an order to slaughter his only son, with whom he is endowed after a long time. However, he hurried to carry out Allah's order and told his son Ismail (may the blessings of Allah be upon him) about his vision saying:

{O my son, surely I see in a dream that I should slay you; so, look, what do you see?}

[As-Saffat (Those Ranked in Ranks): 102]

The answer was full of favor and pertinence:

{O my (dear) father, perform whatever you are commanded; you will soon find me, in case Allah (so) decides, among the patient.}

[As-Saffat (Those Ranked in Ranks): 102]

Ismail did not tell his father, "Do what you see" because he knows – although he was still young – that the vision of the Prophets is a real revelation, and Allah's order should be obeyed whatever the sacrifices are. When Ibrahim and Ismail (may the blessings of Allah be upon them) were willing to obey Allah's order, Allah manifested His mercy and sacrificed him with a great immolation:

{Surely whoever is pious and (endures) patiently, then surely Allah does not waste the reward of the fair-doers.}

[Yusuf (Joseph): 90]

Allah (the Lord of the worlds) is Truthful as He says in the Noble Qur'an:

{So, as soon as they had both surrendered, and he dashed him upon his brow. And We called out to him (saying), "O Ibrahim, you have already sincerely (believed) in the vision; surely thus We recompense the fair-doers. Surely this is indeed what is evident trial." And we ransomed him with magnificent slain (sacrifice).}

[As-Saffat (Those Ranked in Ranks): 103-107]

The immolation reminds us with one of the ideal families that should be followed by the Muslims:

{Those are they whom Allah has guided; so emulate their guidance.}

[Al-An'am (The Cattle): 90]

It is the family of Prophet Ibrahim (may the blessings of Allah be upon him). The Greater Bairam reminds us with the incident of the tribulation of Ibrahim, who was an old believer and endured – in his Da'wa for monotheism – much pains. He was not only afflicted by the stubbornness of his people, but he was thrown in fire. However, he preferred his religion and Allah and did not abandon his Da'wa. Also, he was satisfied to be eaten by fire, but Allah – Glory be to Him – fire saying:

{We said, "O fire, be coolness and peace upon Ibrahim!}

[Al-Anbiya (The Prophets): 69]

When he became old, he asked Allah to grant him virtuous children saying:

{Lord! Bestow upon me one of the righteous.}

An-Nawawy (may Allah forgive him) said, "Fasting the nine days of Zhul-Hijah is not unpleasant, but it is very recommended." On the other hand, "Aishah (the mother of believers) (may Allah be pleased with her and her father) said, "I have never seen the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) fasting in these ten days. Ibn Al-Qiem (may Allah forgive him) said about this matter, "The proven opinions are given priority over the denying ideas if they are right."

Ibn Hajar said after mentioning the virtue of fasting in these days that (the mother of believers) "Aisha's saying means that the Prophet sometimes broke off from some deeds for fear that they are imposed on his nation." The Muslim's exclaiming that Allah is great and thanking Him are recommended in these days. Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) narrated that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Allah likes the Muslims to do their best in their worshipping and prayers in the ten days of Zhul-Hijah including exclaiming that Allah is great and thanking Allah."

The scientists regard exclaiming that Allah is great is ultimate and limited at the same time; it is ultimate in the way that it take place at every time in the night and day from the beginning of the first ten days of Zhul-Hijah, while it is limited in the way that it is done by man and women after the five prayers.

One of the sayings narrated about the exclaiming that Allah is great from the limited approach is the saying of Ali and Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) as it starts from the morning of Arafat day to Al-Asr prayer in the last day of the ten days of Zhul-Hijah. As for the Hajjis, it starts after Az-Zuhr prayer in the day of immolation.

Al-Bukhary in As-Sahih said, "Ibn Umar and Abu Hurayrah (may Allah be pleased with them) used to come out to the market in the ten days of Zhul-Hijjah saying Allah is great, and the people say the same after them."

One of the best pious acts by which the Muslims can gain Allah's favor is the immolation. The one who wants to sacrifice for himself and his family should not cut hair and nails till he slaughters his immolation, as Um Salamah (the mother's believers) narrated that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "If you see the crescent of Zhul-Hijah, the one who wants to slaughter an immolation, he should not cut neither his hair nor his nails."

Also, the Muslims should increase their good deeds in these days such as prayers, alms, Jihad and reading Qur'an. They should also repent from their sins which deprive the human being from Allah's blessings and separates his heart from his Lord.

The one who wants to be relieved from Hell and to be forgiven, he should fast in this day, abstain from sins, say that Allah is the only God and ask Allah for forgiveness.

The Greater Bairam..!

By: The Honourable Sheikh. Ibrahim Ata Al-Fayoumy

The feast is intended to reward the people who do their best and forebear much. It is called that name as it comes back and repeats itself with joy and happiness. Thus, the allowed fun is accepted in these days. Anas Ibn Malek (may Allah be pleased with him) narrated that Ya'ly Al-Mawsely in his Musnad said that Al-Ansar had two days in which they used to play in the pre-Islamic era, and when the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Allah granted you two days better than them: the Lesser Bairam and the Greater Bairam."

The two days previously mentioned are An-Nayroz day (the Persian New Year's Day and the Festival Day (the first day of the scales). The weather becomes moderate in these days and the day and night become equal, thus the ancient wise people interested in astronomy called them the days of fun and joy. The people continued to believe in them till Islam which substituted them with the Lesser Bairam and the Greater Bairam.

The Lesser Bairam is the day in which the basis of the Islamic nation is set, as it is the day of the meeting of the Muslims, in whose accumulation the Word of Allah becomes high. Also, it is the bay of breakfasting in which they give alms, thus the poor become happy as well as the rich for being able to perform what is imposed on them.

The Greater Bairam is the day in which the whole building became complete. Thus, the two days deserve to be feasts whose memories, effects and inspiration cling to the hearts.

The Greater Bairam is one of the blessed and great days in which the building of the Islamic nation became complete, taking a great rank among the nations. It is a joyful day in which the people say "Allah is Great" abandoning the sins and evil deeds. Thus, the feast day is the measurement by which the morals of the nations become known; if you want to know the reality of a certain nation, you should watch it at the time of feasts, as the people follow their nature in feasts and their real habits and attributes appear truthful.



﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾

الأعراف / ٤٣

“Praise be to Allah, Who guided us to this;
and in no way could we have been guide,
unless Allah has guided us.”
(Al- A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM AL-ASSIL

Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Hajj and the virtue of the first ten days of zhulhijjah..!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

At these days, the Muslims' hearts yearn for visiting the Kaaba, and the Islamic nation pass through great seasons and blessed times, which are considered by the believers as chance for earning blessings and grades and for gaining blessings and decreasing the sins. Allah is so merciful, as He rendered these days for forgiving the hajjis and the others. Thus, the one who is not able this year to travel for hajj, and makes every effort to worship and satisfy Allah, his deeds will be better than going for hajj.

The first ten days of Zhul-Hijah are the best days of the year in which the one can earn great rewards. Ibn Abbas (may Allah be pleased with him) narrated that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Allah likes the good deeds in these days more than at any time else"; he meant the ten days of Zhul-Hijah. The people asked the Prophet (May the blessing and peace of Allah be upon him) saying, "Not even striving for the sake of Allah?!", and he said, "yes, except a man came out with his money and came back without them.

Also, Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) narrated that the Prophet (May the blessing and peace of Allah be upon him) said, "Allah likes best the good deeds the Muslim does in the first ten days of Zhul-Hijah." The reason behind the privileges of these days is that they include the main bases of worshipping such as prayers, fasting, alms, Hajj and others.

At the beginning of the great month, the Muslims come to Kaaba, being promised by Allah (Glory be to Him) with great rewards, as the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "The one who performs hajj without doing sins, he gets rid of his previous sins as a newborn".

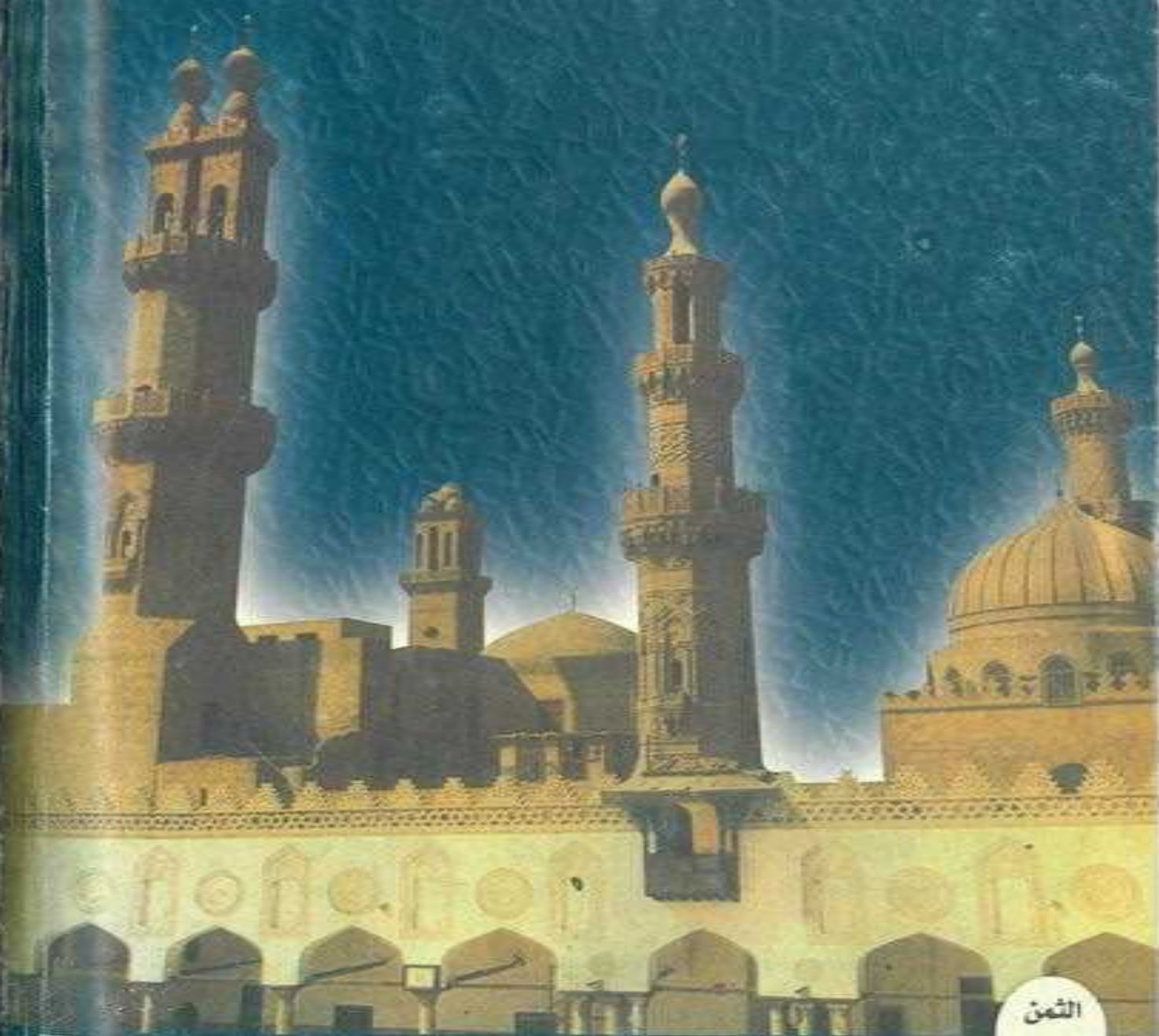
The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Continue your performance the Hajj and Umrah, as they separate you from poverty and sins, the way the bellows remove the scum of iron, gold and silver, and the blessed hajj is rewarded only by paradise." Also, fasting is greatly recommended in these days, especially in the day of Arafat. Hafsa (the mother of believers) (may Allah be pleased with her) said, "The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) abided by four worships: fasting the day of Ashura, the first ten days of hajj, three days of every month and Al-Fajr prayer." Mentioned by Ahmad, Abu Dawud, An-Nesa'y and some of the wives of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) narrated that the Prophet was fasting ten days of Zhul-Hijah.

الفهرس

- الأكتاب مرض حقيقى**
للأستاذ الدكتور / محمد رجب اليومى ١٦٣٢
- تفسير سورة آل عمران**
لقضية الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى ١٦٣٨
- السنة: مسئولية المرأة في بيت الزوجية**
لقضية الشيخ / إبراهيم عطا القويى ١٦٤٣
- الحوار في القرآن والسنة**
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ١٦٤٨
- الصدقة في ميزان الإسلام ٩٠**
لقضية الشيخ / على عبدالقادر شحاتة ١٦٥٤
- خطبة الجمعة: عائد من الحرم**
للأستاذ الدكتور أحمد الشرباصى ١٦٥٧
- الفتح أشهر معلومات**
لقضية الشيخ عمر الدبب ١٦٦٢
- الرأى العام الرشيد في الإسلام**
للمستشار حسن حسن منصور ١٦٦٧
- مواقف إسلامية: من خصائص المؤمنين**
للأستاذ الدكتور محمود عمارة ١٦٧٢
- استفتاءات القراء**
يجيب عنها الأستاذ الدكتور على جمعة ١٦٨٠
- نظرات اجتماعية: النعمة المفقودة**
للدكتور حمدى فتح والى ١٦٩٠
- القرآن والعلم الحديث**
لقضية الشيخ صديق بكر عطية ١٦٩٤
- كتاب الشهر: الإسلام في الألفية الثالثة**
عرض وتحليل ونقد أ.د. إبراهيم محمد ١٦٩٤
- لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**
للأستاذ الدكتور السيد أحمد راجى ١٦٩٤
- بين العالمية الإسلامية والعودة القوية**
للدكتور محمد عمارة ١٧١٠
- التفكير الإبداعي ٢٠**
لقضية الشيخ فوزى الزرقانى ١٧١٦
- قصة العدد: فائدة قصر الباهلى**
للكاتب الأستاذ محمد فريد أبو حديد ١٧٢٠
- علوم الأرض في تراث المسلمين**
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ١٧٢٨
- العلم في الإسلام بين النظر والعمل**
للأستاذ محمد مصطفى السيوى ١٧٣٢
- مؤتمر دولى بمدينة طنطا**
للأستاذ عاطف مصطفى ١٧٣٨
- الدور الصاروخى الأمريكى والأمن القومى الروسى**
للأستاذ صلاح عبدالرحيم محمد ١٧٤٦
- مواقف .. ومواقف**
للشيخ عبدالحليم محمد عبدالحليم ١٧٥٢
- قراءة في كتاب: أسد الإسلام الظاهر أحمد شاه مسعود**
للأستاذ عادل خفاجة ١٧٥٥
- بين المجلة والمقارئ**
للأستاذ أحمد تلى الدين ١٧٦٠
- بين الصحف والمجلات**
للأستاذين محمد جمعة - علا عبدالرحمن ١٧٦٥
- أبناء مجمع البحوث الإسلامية**
إعداد: عبدالجود أمين موسى ١٧٦٩
- أبناء العالم الإسلامى**
للأستاذين محمود الفتى - أحمد رخوان ١٧٧٢
- أبناء مكتب شيخ الأزهر**
لقضية الشيخ عبدالحى فراج ١٧٧٥
- قسم الإنجليزى**
إشراف وإعداد أ.د. إبراهيم الأصيل ١٧٨٩

AL AZHAR MAGAZINE

Zu-L-Qeida 1429 A.H - Nov. 2008
VOL. 81 Part XL



العدد ١٠٠
الطبعة ١٠٠٠

مطابع **الملك**

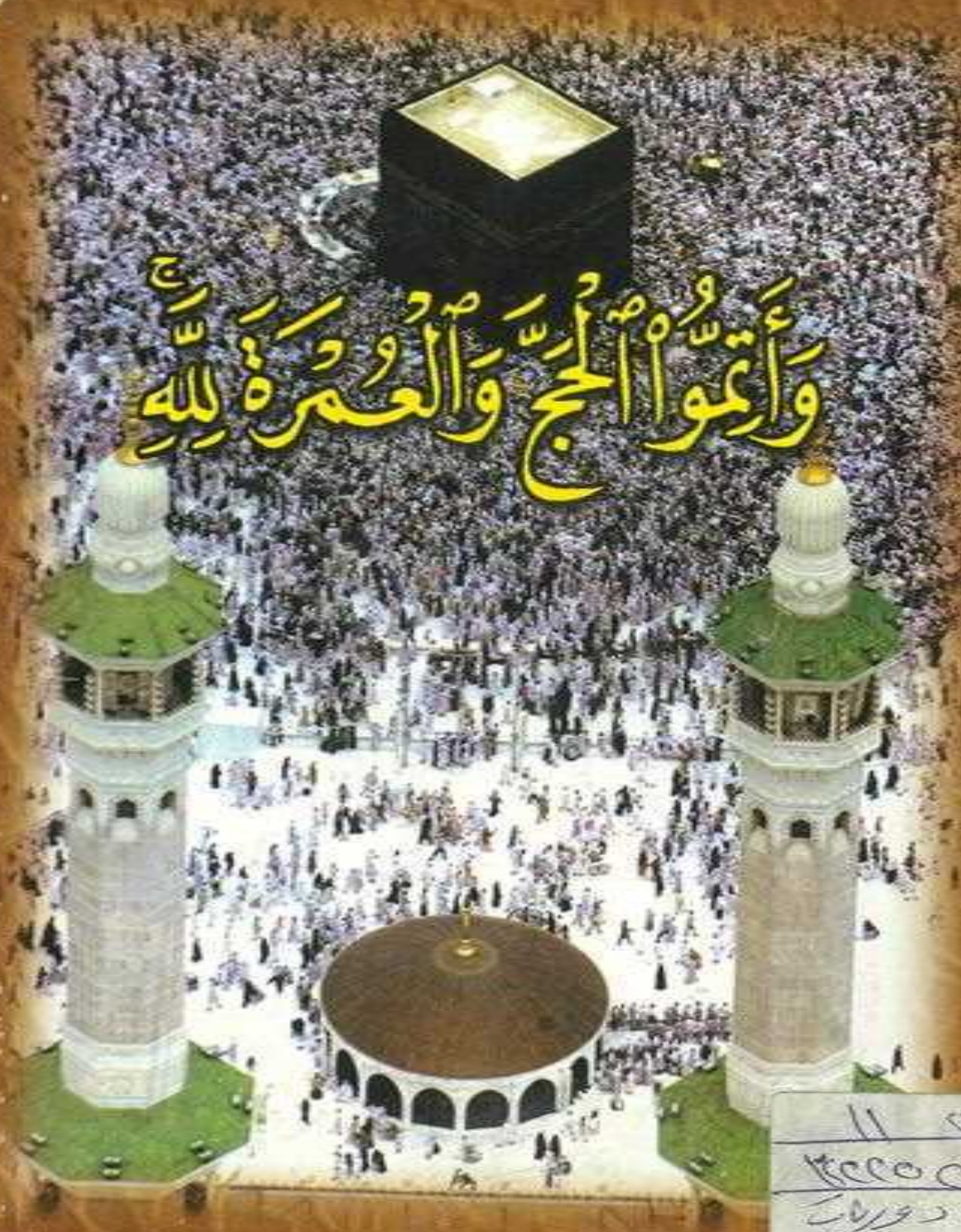
الثلث
١٥٠ قرشا

هدية العدد
رد الأثر على كتاب:
فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب

الأثر

مجلة إسلامية شهرية تصدرها مجمع البحوث الإسلامية
ذو الحجة ١٤٢٩ هـ - ديسمبر ٢٠٠٨ م - الجزء (١٢) السنة (٨١)

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ



١١ ٥
٢٢٢٥٠
دور ٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

الاشتراك السنوي

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أميركيا

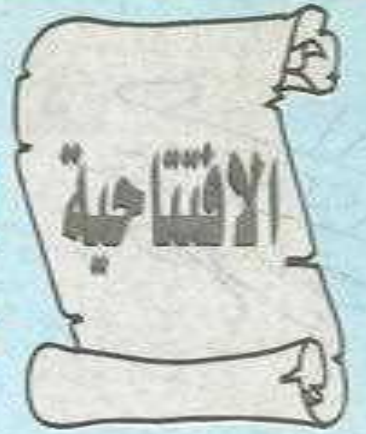
أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أميركيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أميركيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت. ٢٢٦٢٨٥٩٩ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت. ٢٢٦٢٨٥٩٩

ذو الحجة ١٤٢٩ هـ - ديسمبر ٢٠٠٨ م - الجزء الثاني عشر - العدد ١١٣٤



في موسم الحج إلى ابنتي بالمدينة المنورة حديث عن الأماكن المظهرة

مازلت أذكر فرحتك الشديدة، حين عرفت أنك ذاهبة إلى السكى في المدينة المنورة بصحبة زوجك العزيز، فكان البشر يأتلق على صفحة وجهك، وكتب تسالين في لهفة عن المسافة الزمنية بين مكة المكرمة والمدينة المنورة. وهل تستطيعين أن تزوري البيت الحرام بالبلد الأمين أسبوعيا، فتسعدى بالحرمين الشريفين متى تشائين؟!

كنت تسالين عن ذلك، وبوذلك أن تكون المسافة عدة كيلومترات، لا تتجاوز العشرة، ولكنى قلت لك لا تكوني طامعة، فأنت ستزورين مكة في موسم الحج. فصحت على الفور: وماذا يجعلني أنتظر إلى موسم الحج وأنا بالحجاز، أول شيء بعد زيارة المسجد النبوي سأنتقل لأداء العمرة. وحين سمعت ذلك منك جاش خاطري بعواطف رقيقة نحوك، ولم أعجب للبهتلك الخارقة، لأنني أعرف قول الشاعر العربي:

وأقرب ما يكون الشوق يوما إذا دنت الخيام من الخيام

ثم حان موعد الرحيل، فكنت تستكثرين ساعتين في الطائرة، وتعديهما وقتا طويلا، وتودين لو أن المدة تنقضى في نحة عين، وليت شعري ماذا كنت تصنعين قبل أيام الطائرة، حين كانت الباخرة تشد كثيرا في قطع مسافات البحر، وحين كانت الجمال تحمل الراكبين أياما من جدة إلى مكة، ثم أياما آخر من مكة إلى المدينة بعد انقضاء موسم الحج في البلد الحرام؟ ماذا كنت تصنعين حينئذ وقد امتدت الليالي ذوات العدد والشوق يطير بك طيرنا إلى المسجدين الشريفين خير مساجد الله طرا على الأرض، وأقرب مكان تتصل فيه السماء بما تحتها من العوالم، ابنتي العزيزة، ماذا كنت تصنعين؟

ولابد أن تنقضى مسافة الطائرة، وأن تلتفت عينك ذات اليمين وذات الشمال، فتجدى نفسك في مطار

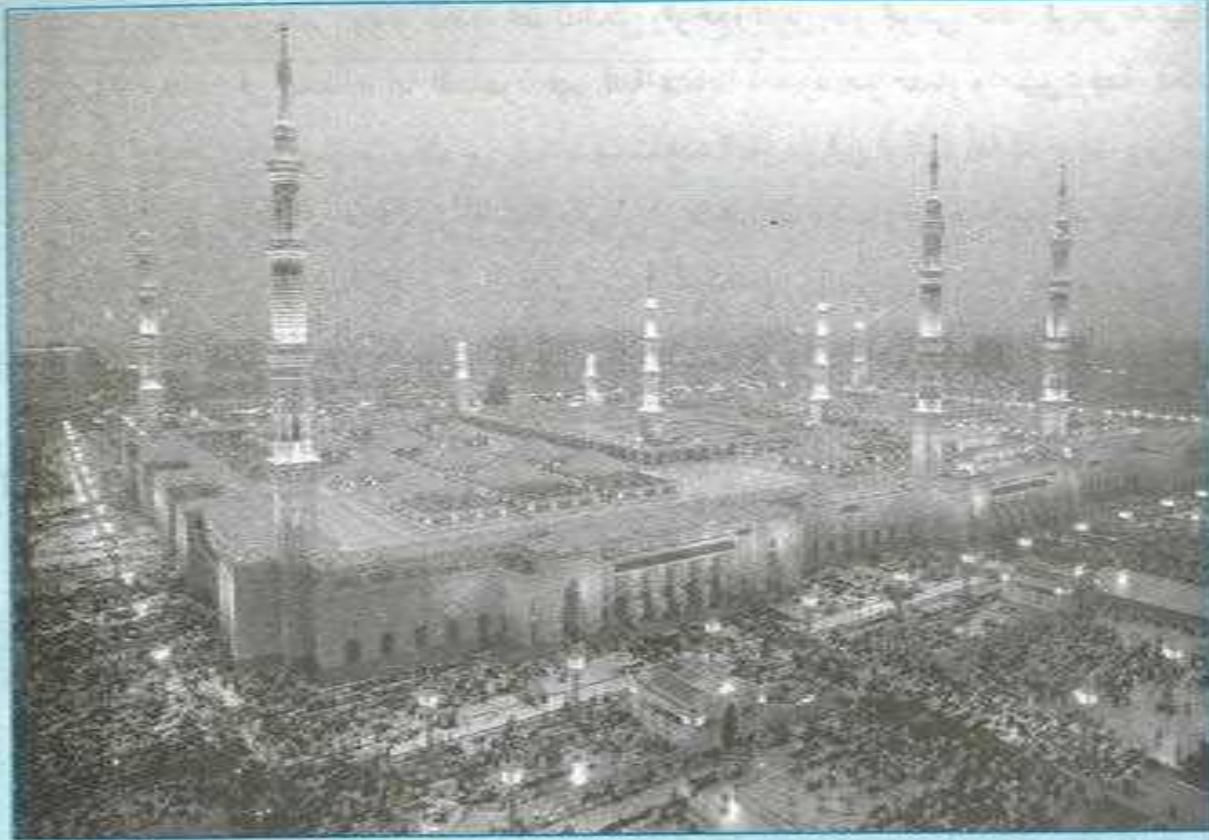
المدينة المنورة، لقد عرفت أنك وأسرتك الصغيرة سارعت بالتوجه إلى المنزل، لا لتستريح، وقد انتقلت من أفريقيا إلى آسيا، بل لتضعي رحلك على عجل، ولتغتسلي متروضة، ثم يصحبك زوجك العزيز وهو مثلك في لهفته وحينئذ، إذ يقع الطير على شكله، يصحبك إلى ماذا؟! إلى مسجد رسول الله! وكم خف قبلك إلى هذا المسجد الطاهر ملايين الملايين من المسلمين، وكأنهم ينهضون إلى زيارة حبيب طال العهد بلقائه، فانقد الحنين في الصدور وباح الدمع بمكنونه، وخفت الأضالع خفقات الحب والإيمان، ولا أستكثر ذلك ولا أستعظمه فأنت ذاهبة إلى من؟ إلى من؟ رسول الله في حرمة الشريف.

مضاجع طهر قدس الله سرها يطوف بها الروح الأمين مسلما

إذن، فقد تحقق الأمل، وأصبح حقيقة واقعة، فأنت الآن أمام المسجد النبوي الشريف، وقد اندفعت مهتاجة إلى المتوى الطاهر، لم تلتفتي إلى عظمة المسجد المعمارية، ولا إلى أرائه النفيس، ولا إلى الأعمدة الضخمة الرائعة التي تأخذ العين برونقها الخالب، لم تلتفتي إلى ذلك كله، فأنت عنه في شغل شاغل، إنما توجهت مندفعة إلى زيارة المتوى الطاهر، فوجدت ازدحاما راغك مشهده، وسروعا أكثر وأكثر حين يأتي الموسم المبارك فلا تجد من موضع قدم في الروضة الشريفة، فضلا عن المتوى الأثير، لقد قرأت الفاتحة في انفعال أعرفه بالمشاهدة، لا بالتجربة لأنني أشكو إليك فسوة عواطفى، فقد وقفت هذا الموقف من قبل، ورأيت من حولي من الناس، يكون ويتضرعون، ولكنى لم أبل! تعجبت من فسوة عواطفى وأخذت ألوم نفسي، وأعدنى شاذًا أي شذوذ، ولكنى حين قرأت كتاب «في منزل الوحي» للكاتب المزمع الدكتور محمد حسين هيكل وجدته هو الآخر يتعجب لأنه لم يلك كما بكى الحاضرون، وإذا كان اللسان يتعقد أحيانا من فرط الدهشة، فإن الدمع يتجس أحيانا من فرط التأثر، والنفوس لا تنفق تماما ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة!

ثم انتهى الموقف، انتهى الموقف في مدته الزمنية، ولكن تأثيره النفسى لم ينته بعد، إن الذين يقفون أمام الملوك والعظماء يظنون يستذكرون هذا الموقف، فما بالك بمن يقف أمام منوى رسول الله! أسمحين أن أنقل إليك كلام الدكتور محمد حسين هيكل، فإنه أبلغ بيانا منى وأصدق تصويرا، لقد كتب سطورا ذات جلال وجمال، كنت أتمنى أن أكون أنا كاتبها، ولكن الله يخص بعض عباده بفضل لا يناله الآخرون، وقد رزق الدكتور إحساسا مؤمنا صادقا جعله يقول:

«أقمت مكانى هنيهة شاخصا إلى هذه الحجرة مأخوذ الذهن عن التفكير، وكأننى فى حضرة ملك أودى مراسم الإجلال والإكبار، كلا، بل كان الموقف أكبر من حضرة ملك، لقد لقيت ملوكا، وتحدثت إليهم،



الزيارات أسبوعيا كما علمت، وكنت أتمنى أن تذكرى أباك في بعض هذه الزيارات، فتسألني له القبول في موضع تنساقط فيه الرحمت، فهو إلى ذلك محتاج أى محتاج! ولولا عبء الحياة لحضرت إليك، ولكن العمر قد تقدم، والصحة قد تأخرت، ولا يأس من روح الله.

أعرف أنك درست السيرة المطهرة دراسة وافية، فعرفت ما بالمدينة ومكة معا من آثار شريفة، يمضى القرن وراء القرن وصداها يجلجل في سمع الزمان، كما أن لك زميلات من مصر العزيزة سيقنك إلى المدينة فعرفن ما بها من الآثار، وأخذن يتحدثن إليك عنها في شغف حار، حدثك عما حول المسجد من منازل تحمل عبق التاريخ، فهناك منزل أبي أيوب الأنصاري، ودار عثمان بن عفان! منزل أبي أيوب الأنصاري الذي اختاره رسول الله مستراحا له أول ما نزل المدينة بعد الهجرة الشريفة إذ تراحم المدنيون على استضافة رسول الله، وهو يركب ناقته فقال لهم خلوا سبيلها فإنها مأمورة، وما زالت تسير حتى وقفت أمام هذا المنزل فنزل رسول الله حيث طاب له أن يقيم! أما دار عثمان فقد شهدت سعادته بداء وخاتمته المبكية نهائية، وما زال ما شهدته جرحا داميا يعتصر القلوب بالألم، وقد قال القائل وصدق:

أرى الإسلام في عثمان يكي شهيد الدار إذ ورد الحماما

ولقيت بعضهم وما أزال في صدر الشباب، فلم أجد للقباهم مثل هذه المهابة، ولا امتلأت نفسي أمامهم بشيء من هذا الإكبار، ووقفت أمام قبور ملوك وفراعين وأباطرة وعظماء فلم أشعر بشيء من الجلال الروحي الذي أخذ على تفكيرى المسالك، وأنا في هذا الموقف، وأشهد لقد كنت في حيرة.

كما أذكر لك أن كاتبنا من كبار الكتاب كان يسجل خواطر الرحلة المباركة إلى الحج خاطرة خاطرة، يسجلها تلقائيا وكأنه يتحدث في مجلس سمر، ثم جاء موقف الزيارة الكريمة، فكتب عنوانا في أعلى الصفحة هو هذا «في حضرة رسول الله» وأراد أن يكتب فوق القلم، لأن ما في خاطره أبلغ كثيرا مما يحاول أن يرسمه، ثم قال في نفسه سأترك هذا الموقف حتى تهدأ الخواطر ويسكن الانفعال، ولكن الصفحات ظلت خالية في وسط كتاب الرحلة، لا يهم صاحبنا بالكتابة حتى يتفعل ويتحير! لقد ذكرت في هذا الموقف الصوفي الكبير أبا بكر الشبلي، إذ قيل عنه إنه حين وقف على جبل عرفات انعقد لسانه فلم يستطع التلبية، وجميع الناس من حوله يقولون «ليك اللهم لبيك» ثم أخذ يحدق في السماء باكيا! ولو كنت بجواره لقلت له لا تيك يا سيدي، فقد لبي قلبك بين جوانحك فتاب عن اللسان!

ثم ماذا بعد الزيارة؟ لقد اتجهت إلى الروضة الشريفة فصليت ركعتين! صلاة لم تعرفي مذاقا أحسن من مذاقها على كثرة ما صليت من قبل، ولا أستغرب ذلك، فشعور المؤمن بأنه قريب من رسول الله ينقله إلى عالم آخر، أكبر الظن أن الشيطان لا يستطيع أن يوسوس للمصلي مهما احتال عليه، فيشغله بشيء من أمور الدنيا، وهو بين يدي الله في حرم رسول الله، ولعل ذلك هو الباعث لتردد المؤمنين على الحرم، حتى في غير أوقات الصلاة، فهم يخلون إلى أنفسهم، وكأن رابطا وثيقا قد ربط قلوبهم بالسماء، فهم إليها يتجهون، ولو قدروا على أمورهم ما تركوا هذا المكان، ولكن الحياة هي الحياة، والإنسان مقيد بظروف لا يستطيع أن يتحرر عنها في يمين أو شمال!

لقد دخلت المسجد من باب السلام، وخرجت من باب الرحمة! ما أعظم ما توحى به كلمة السلام بداء ثم ما توحى به كلمة الرحمة خاتمة، لقد وفق من أطلق هذين الوصفين على البابين! إنني أتخيلك بعد الزيارة، وقد جلست تتحدثين مع زوجك عما شهدت، فقال لك لم تشهدى مثوى أبي بكر وعمر جوار رسول الله، فقلت له: لقد شهدت لأنني أعرف من قراءتي قرب الصالحين من حبيهما، وأعلم أن عمر رضى الله عنه قد استأذن عائشة أن يدفن جوار أبيها فأذنت، بعد أن كانت تهوى المكان لنفسها! ثم جعلتما تتحدثان في ارتياح، هذه أقياس من التاريخ تأتي مناسبتها فتشع وتضيء... على أنه لم ينقض الشوق بزيارة واحدة، بل تكررت



محمد حسين هيكل

وهذه لفنة شاعر حقا، لا حديث مؤرخ، أما تحليل الأديب البار فقد جاء عقب ذلك حين قال الدكتور هيكل بصدد هذا الموقف الرهيب:

«وحدثني نفسي وأنا بموقفي، كيف يبلغ الحزن من محمد هذا المبلغ، وقد حمل في الحياة ما ينوء به من لم يؤته الله من فضله ما أتى نبيه ورسوله، وقد حمّله قويا صابرا مستهينا بالأذى والألم والموت، وإذا ذاك ذكرت أنه صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا، وإن لنا فيه الأسوة والمثل، وأنه في حزنه على إبراهيم قد كان الأبوة البارة، والعاطفة السامية التي ركبها الله في الناس إبقاء على الحياة وصورة لوحدها

المتقلبة على الأجيال، وهل في الحياة كعاطفة الأبوة البرة نعمة وسعادة وزينة، وهذه العاطفة هي التي تسعد بها، هي التي تبعث إلى قلوبنا حب غيرنا، وتخفف من أثرنا وتعلمنا الإيتار وتدعو إليه، وهي التي تدفعنا بذلك إلى السعي في الحياة ابتغاء الرزق لأولادنا ومن يلوذ بنا، وابتغاء الخير بعد ذلك للناس جميعا، ولولا هذه العاطفة لفضت الأثرة على الحياة ولأسرع الفساد إلى الكون».

أكثر - يا بني - من حديث الدكتور هيكل، والإشارة لما كتبه، لأدفعك إلى قراءة كتابه، وأنت في المدينة المنورة، لأن الذي يقرأ كتابا عن منزل الوحي في مكان الوحي يستشعر معاني لا يجدها حين يقرأ الكتاب في بلد آخر، والكتاب هو الكتاب، ولكن الجو الروحي يعين على تجدد المعاني واستيفائها واستشفاف ما كمن بين سطورها، وهذا شيء جربته بنفسى كثيرا، في مواقف شتى، وقد ألف الدكتور هيكل كتب كثيرة، ولكن أخلدها على مر الزمن ما كتبه في: حياة محمد وفي منزل الوحي وفي كتبه عن الصديق أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم جميعا، ورحمة الله رحمة واسعة!

أما قبر حمزة أسد الله، فقد وقفت أمامه، وهزنتى زيارته هذا، لأننى أعرف تاريخه الذهبى الخالد في صحائف الإسلام، أعرف كيف كان سم الأعداء في مكة وبدر واحد، وأعرف كيف كانت مكانته لدى الرسول حيا، وكيف حزن عليه شهيدا، وقال كلمته الخزينة حين رأى نساء الأنصار يندبن شهداءهن! أما حمزة فلا يواكى عليه، فجعلت كل أنصارية تبكى فقيدتها تبدأ بالبكاء على حمزة، وأعرف أن بعض الولاة من عمال بنى أمية رأى أن ينقل القبور بالبقيع من مكان إلى مكان! فماذا وجد؟ وجد الدم الطاهر في عروق الشهداء لا يزال ساخنا بعد قرابة ثمانين عاما! ومن بين هؤلاء دم حمزة! أليس في هذا ما يؤكد

لقد استشهد من قبله عمر، ولكن فجيرة عثمان أنكى وأوجع، فقاتل عمر مجوسى حاقدا، تربص به غيلة، وأخذوه وهو مطمئن في سلطانه، أما المسلمون فهم قتلة عثمان! أخذوه بعد حصار وتضييق وقتة، فكان المصراع رهيا تنفطر له السماوات والأرض، وقد شهدت هذه الدار من قبل فوقفت أمامها حزينا، وتوالت على عيني مشاهد غمرتني في طوفان من اللوعة! وعزائى أن ما عند الله أحب وأوسع مما عند الناس. أما أماكن بدر وأحد والخندق فلا بد أن طائفا من الإيمان قد دفعك إلى زيارتها، وإن بعد بعضها في شمال المدينة فاحتاج إلى سفر، وقد زرت من قبلك مساجد الغمامة والسقيا والفتح، وغيرها من المشاهد، أما الذى علق بذهني بعد الزيارة فمشهد البقيع، ومشهد قبر حمزة، ومشهد بئر أريس! وأنا ألس في نفسى نشاطا للحديث عن هذه الثلاثة، وهو حديث تاريخي يعرفه كل من قرأ تاريخ الإسلام في عصره الأول، ولكن الاسترواح بذكره يجعل الغائب حاضرا، والبعيد قريبا، بل يشخصه أمام ناظرى، فكأنك تلمسين باليد، وترين بالعين، وتستعربين جيباته وأسافله وأغاليه، ولعل الشاعر الصوفي الكبير عمر بن الفارض قد عني ذلك حين قال:

وأعده عند سمعى يا أخى

روح القلب بذكر المنحنى

ضاع منى هل له رد على؟

كان لي قلب بجرعاء الحمى

لقد كان ملهما من تحدث عن البقيع من المؤلفين فقال عنه «جنة البقيع»، ولا عجب إذا صارت المقبرة جنة، لأن شهداء الغزوات النبوية قد دفن أكثرهم بالبقيع، والمؤرخون يذكرون من بين من دفنوا بالبقيع: فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورقية أختها وإبراهيم، ولا أدري لماذا لا يذكرون زينب، وقد توفيت بالمدينة، وليس للمسلمين بالمدينة إذ ذاك مدفن غير البقيع، كما يذكرون جميع زوجات رسول الله غير خديجة رضي الله عنها فقد دفنت بمكة، وميمونة التي دفنت بسرف، أما الصحابة من أمثال عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص وأبي سعيد الخدري والعباس بن عبدالمطلب، فكلهم دفن في هذا المكان الطاهر، وقد كان الرسول يزوره، وقد دعت عيناه به، وهو يدفن ولده إبراهيم، وقال قوله المشهورة: إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع، ولا تقول إلا ما يرضى الرب، وأنا على فراقك يا إبراهيم تخزونون. وفي الحديث زار الدكتور هيكل جنة البقيع ووقف فيها موقف المؤمن المستعبر، بل موقف الشاعر أيضا لأنه ذكر في كتابه «في منزل الوحي» حديث موت إبراهيم، وحزن والده العظيم عليه ثم قال بعاطفة الشاعر ووجدانه، «ولعله كان واقفا مكاني الآن حين صلى على ولده إبراهيم، وحين سوى على قبره بيده بعد دفنه، وحين رش الماء على قبره وأعلمه بعلامة».

قول الله عز وجل:

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ سَيَكُنْ أَعْيُنُهُمْ كَصُهُوفٍ يُفْرَجُ أَصْغَرُهَا نَجْدٌ﴾
 ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ سَيَكُنْ أَعْيُنُهُمْ كَصُهُوفٍ يُفْرَجُ أَصْغَرُهَا نَجْدٌ﴾
 ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ سَيَكُنْ أَعْيُنُهُمْ كَصُهُوفٍ يُفْرَجُ أَصْغَرُهَا نَجْدٌ﴾
 ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ سَيَكُنْ أَعْيُنُهُمْ كَصُهُوفٍ يُفْرَجُ أَصْغَرُهَا نَجْدٌ﴾

(آل عمران: ١٦٩: ١٧١)

وسيد الشهداء هو حمزة بن عبدالمطلب كما نعرف جميعا، وإذا كانت الحواطر الخاصة تتوافد على نفسى دون ترتيب، فأنا أذكر أنى تشأت معجبا بسيرة حمزة، ومعمركه مع أنى جهل يوم إسلامه، وبروائعه الخارقة فى بدر وأحد، وقد عبرت عن ذلك بقصيدة قلتها منذ أمد طويل، وجعلت عنوانها «على قبر حمزة» ومطلعها:

بلغت قفف وقوف أخاشعينا هنا بطل الكماة الفاشعينا
 هنا اتخذ الهزير له عربنا يطوف به الليوث مسلمينا

هنا عم الرسول غدا دفينا!

وأنا على يقين من أن الأجل لو امتد بحمزة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكان خليفته الأول، إذ إن أبابكر وعمر وعلياً وعثمان كانوا يوثرونه على أنفسهم وهو بعد عم الرسول! ولكن لله مشيئة غالبية، وتديرا محكما، وهو السميع البصير، إن ذكريات البطولة - يا ابتى - تمدقارنها بحمية باسلة، وتجعله يشرب إلى سماوات العزة والكرامة، ومن هنا كانت صحائف الأبطال فى تاريخ الإسلام صحائف همة وارتقاء! وإن قراءة بطولات أبى عبيدة وعمرو وخالد وسعد والثنى وعلى بن أبى طالب وقتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم الثقفى ونور الدين زنكى وصلاح الدين الأيوبي وأمثالهم إلى يومنا هذا لتنشئ شبيبة إسلامية، تعتز بالإسلام، وتهب نفسها للذباب عن حوضه اقتداء بهؤلاء البررة من الأسلاف، وفى طليعتهم أسد الله حمزة بن عبدالمطلب طيب الله مثواه.

أما بئر أريس، فلعلك لا تعلمين عنها شيئا، وأنا كذلك لم أكن أعرف منزلها التاريخية قبل أن أقرأ مقالا رائعا عنها لأديب العربية الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات! إذ شوقنى إلى رؤيتها، ومن العجيب أنى حين زرتها فى سنة ١٩٧٢م وجدتها ناضية جافة لا ماء فيها، ثم رجعت إلى ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكى فى منزل الوحى فوجدته يتحدث عن مائها العذب المتدفق، وقد زارها سنة ١٩٣٥م، وإذا فى فمى تملى وتخلو، وتفيض وتفيض وفق النسوب المدخر فى المياه الجوفية فى باطن الأرض، كانت هذه البئر خارج المدينة تستظل بعدة فروع خضراء مزهرة، وعلى حافتها مجلسان متقابلان لمن يجلس،



أحمد حسن الزيات

وقد أثرها رسول الله ﷺ، لتكون له فى المدينة، ما كان غار حراء فى مكة، يخلو بها لنفسه مفكرا فى أعباء الرسالة، ومتصلا بالسمااء اتصال من يطلب العون فى هدايته من ربه، وعزلة رسول الله لم تكن عزلة فارغة خالية، لكنها عزلة تفكير وإشراق، عزلة تفكير فيما يهمه من أمر الرسالة، وإشراق بما يسطع فى قلبه من نور الهداية، فيرجع بعدها مطمئن الخاطر، هادئ النفس، ومن حديث هذه البئر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما جاء فى البخارى ومسلم - قد أمها ذات صباح، ودخل العريش الشجرى المخاط بها، على

حين وقف على الباب أبو موسى الأشعرى كحارس له، وقف من تلقاء نفسه، إذ رأى الرسول معتزلا قائرا أن يصون مجلسه عن هجوم متطفل، إلا حين يأذن، فجاء أبو بكر، فاستأذن، فأذن له الرسول فدخل، وقال لأبى موسى بشره بالجنة، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له، وقال الرسول لأبى موسى بشره بالجنة، وجاء عثمان فاستأذن فأذن له وقال الرسول لأبى موسى بشره بالجنة على بلوى نصيبه! لقد جاء الصحابة الثلاثة على نسق قدّره الله مطابقا لما كان من توليتهم أمر الخلافة فيما بعد، أما عثمان فقد فكر طويلا فى قول الرسول على بلوى نصيبه! ثم ترك الأمر لمشيئة الله تصرفه حيث أراد، وتقول الرواية إن خاتم رسول الله قد حملة أبو بكر وعمر وعثمان من بعده، تقليدا يتبع، وذهب عثمان إلى البئر مستريحا، فسقط الخاتم فى الماء، وبذل أعوانه الجهد بحثا عنه فكأنه غاص فى أعماق الأرض محترقا أطباقها جميعا! وقد تأسف عثمان إذ ضاع الخاتم منه، وكان حريصا على التبرك به، وعد فراقه نذيرا بشر يأتى!

حول هذه المعانى دار حديث الزيات، فأحببت أن أزور البئر، ووجدتها كما وصفت من قبل، ولعلك يا بنتى تكونين أسعد حظا منى فترينها دافقة بالماء مستظلة بالخضرة، كما رآها الدكتور هيكى، فلا تنسى أن تصحبى زوجك الكريم إلى رؤيتها، وأن تتذكرا حديث الرسول معها! وما كان من أمر خلفائه الثلاثة، وكلهم خيار من خيار!

وبعد، فهل بلغت حاجتى فى كتابة هذه الرسالة إليك، وإلى كل زائرة لمدينة الرسول الأعظم، كلا، فما فى النفس أعظم من أن يخطه قلم أو يوحى به بيان!

د. محمد رجب البيومى

نفسير سورة العبران

لفضيلة الأمام الأكبر شيخ الإسلام
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُوكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ﴿١﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بِعَصَاكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَلِجُوكُمُ الْيَمِينَ هَاجِرُونَ وَأُخْرُجُونَ مِنْ يَدِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلٍ وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَ لَهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَ حُسْنِ الثَّوَابِ ﴿٢﴾ لَا يَغْرِبُكَ تَعَالَى الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿٣﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ حِسْمٌ وَفِي السَّيِّئَاتِ لَكِنَّ الَّذِينَ آتَتْ قُلُوبُهُمْ لَهْمَ حَسَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَمُوتُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآزَارِ ﴿٤﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ كُتِبَ لَهُ مِنْ يَوْمٍ ثُمَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا نَزَّلَ إِلَيْكُمْ وَمَا نَزَّلَ إِلَيْكُمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْعُرُونَ بِثَابِتِ اللَّهِ ثُمَّ قِيلَ لَا أُولَٰئِكَ لَمْ يَجْرُمُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ حَسْبُ الْيَمِينِ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦﴾

الآيات (١٩٤: ٢٠٠)

والسلام، (يستغفرون مع علمهم بأنهم مغفور لهم، يقصدون بذلك التذلل لربهم، والتضرع إليه، والملجأ الذي هو سيما العبودية).^(١)

تلك هي الدعوات الخاشعات التي حكاها سبحانه - عن أصحاب العقول السليمة، وهم يتضرعون بها إلى خالقهم - عز وجل - فماذا كانت نتيجتها؟

لقد كانت نتيجة دعواتهم، أن أجاب الله لهم سؤالهم وحقق لهم مطلوبهم فقال - تعالى -:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بِعَصَاكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

قال الحسن البصري: (ما زالوا يقولون ربنا حتى استجاب لهم).

وقال جعفر الصادق: (من حزيه أمر فقال خمس مرات ﴿رَبَّنَا﴾ أجابه الله لما يخاف، وأعطاه ما أراد، قيل: وكيف ذلك؟ قال: اقرءوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا﴾ (آل عمران: ١٩١)

.. الخ، فإن هؤلاء الأخيار قد نادوا ربهم خمس مرات فأجاب الله لهم دعاءهم. ودلت الفاء في قوله ﴿فَاسْتَجَابَ﴾ على سرعة الإجابة، لأن الفاء للتعقيب، فهم لأنهم دعوا الله بقلب سليم، أجاب الله لهم دعاءهم بدون إبطاء.

واستجاب هنا بمعنى أجاب عند جمهور العلماء، إذ السين والتاء للتأكيد، مثل استوقد واستخلص. وقال بعضهم: إن استجاب أحسن من أجاب، لأن استجاب يقال لمن قبل ما دُعي إليه، وأجاب أعم فيقال لمن أجاب بالقبول وبالرد.

حكى القرآن أنهم ترقوا فانتقلوا من طلب الغفران إلى طلب الثواب الجزيل، والعطاء الحسن فقال - تعالى - حكاية عنهم:

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُوكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

أي نسألك ياربنا أن تعطينا وتحننا بعد وفائنا، وحين قيامنا من قبورنا يوم القيامة، ما وعدتنا به من ثواب في مقابل تصديقنا لرسلك، وطاعتنا لهم، واستجابتنا لأوامرهم ونواهيهم ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

أي ولا تذلنا ولا تفضحنا يوم الحشر على رءوس الأشهاد ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ أي إنك - سبحانه - لا تخلف وعدك الذي وعدته لعبادك الصالحين.

فهم قد جعلوا هذا الدعاء وهو طلب الثواب الجزيل يوم القيامة، ختاماً لدعواتهم، لشعورهم بهفواتهم وتقصيرهم أمام فضل الله ونعمه.

والمراد بقولهم ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾ الثواب والعطاء الكائن منه - سبحانه - و﴿مَا﴾ موصولة أي آتنا الذي وعدتنا به أو وعدتنا إياه.

وقوله ﴿عَلَىٰ رُسُوكَ﴾ فيه مضاف محذوف أي آتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من ثواب.

أو آتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك والإيمان بهم من جزاء حسن.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: كيف دعوا الله بإنجاز ما وعد الله لا يخلف الميعاد؟

قلت: معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد، أو هو من باب الملجأ إلى الله والخصوع له، كما كان الأنبياء عليهم الصلاة

والمعنى: أن الله - تعالى - قد بشر هؤلاء الأخيار برضاه عنهم، بأن آخرهم بأنه قد أجاب لهم دعاءهم، وأنه - سبحانه - لا يضيع عمل عامل منهم، بل سيجازيهم بالجزاء الأوفى، وسيمنحهم من الثواب، فوق ما عملوا لأنه هو الكريم الوهاب، ولن يفرق في عطائه بين ذكر وأنثى، لأن الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر وقد خلقهم جميعا من نفس واحدة.

وفي التعبير باللفظ السامي ﴿رَبِّهِ﴾ إشارة إلى أن الذي سيجزيهم هو خالقهم ومربيهم والمنعم عليهم، والرحيم بهم.

ومعنى: ﴿لَا أَنْصِبُ عَلَى عَمَلِكُمْ﴾ لا أزيل ثواب عمل أى عامل منكم، بل أكافئه عليه بما يستحقه، وأعطيته من ثوابي ورحمتي ما يشرح صدره، ويدخل البهجة والسرور على نفسه.

وقوله: ﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَخَذَ﴾ بيان لعامل، وتأكيد عمومته، أى لا أضيع عمل أى شخص عامل سواء أكان هذا العامل ذكرا أم أنثى.

ومعنى ﴿يَمْشُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ أن الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر، كلكم بنو آدم، وهذه جملة معترضة مبينة لسبب شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله به عباده من أجر جزاء أعمالهم الصالحة. روى الترمذى عن أم سلمة قالت: يارسول الله، لا أسمع الله - تعالى - ذكر النساء فى الهجرة، فأنزل الله - تعالى -

﴿فَأَنْصَبْ لَهُمْ رُبُّهُمُ إِلَىٰ لَا أَنْصِبُ عَلَىٰ عَمَلِكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَخَذَ يَمْشُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾

ثم بين - سبحانه - الأعمال الصالحة التى استحق بها هؤلاء الأبرار حسن الثواب منه - سبحانه - فقال:

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَآخَرُوا مِن دِينِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَقْرَبُوا إِلَى اللَّهِ أَقْرَبَ مِنْ هَؤُلَاءِ﴾

أى: فالذين هاجروا بأن تركوا أوطانهم التى أحبوها إلى أماكن أخرى من أجل إعلاء كلمة الله، وأخرجوا من ديارهم، قرارا بدينهم من ظلم الظالمين، واعتداء المعتدين، ﴿وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أى تحملوا الأذى والاضطهاد فى سبيل الحق الذى آمنوا به ﴿وَقَاتَلُوا﴾ أعداء الله ﴿وَقَاتَلُوا﴾ وهم يجاهدون من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل.

هؤلاء الذين فعلوا كل ذلك، وعدهم الله - تعالى - بالأجر العظيم فقال:

﴿لَا أَكْفِرُنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أى لأمحون عنهم ما ارتكبوهم من سيئات، ولأسترنها عليهم حتى تعتبر نسيا منسيا ﴿وَلَا أَزْجِلُهُمْ جَنَّتِ نَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أى تجرى من تحت قصورها الأنهار التى فيها العسل المصفى، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلد الأعين.

وقوله ﴿وَأَبَإُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَلَهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ أى لأثنيهم ثوابا عظيما من عندي، والله - تعالى - عنده حسن الجزاء لمن آمن وعمل صالحا.

فأنت ترى أن الله - تعالى - قد منح هؤلاء الأخيار ذلك الأجر الجزيل لأنهم قد هاجروا من الأرض التى أحبوها إلى غيرها من أجل إعلاء كلمة الله، وأخرجوا منها مضطرين لا مختارين فرارا بدينهم، ولقد ذكر المؤرخون أن الرسول ﷺ عندما خرج

فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقوله ﴿ثَوَابًا﴾ مصدر مؤكد لما قبله، لأن المعنى لأثنيهم على ما عملوه ثوابا عظيما وقوله ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ صفة لقوله ﴿ثَوَابًا﴾ وهو وصف مؤكد؛ لأن الثواب لا يكون إلا من عنده - تعالى -، لكنه صرح به - سبحانه - تعظيما للثواب وتعظيما لشأنه.

وقوله ﴿وَلَهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله.

وقد ختم - سبحانه - الآية بهذه الجملة الكريمة لبيان اختصاصه بالثواب الحسن كأن كل جزاء للأعمال فى الدنيا لا يعد حسنا بجوار ما أعده - سبحانه - فى الآخرة لعبادة المتقين.

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد دعت المؤمنين إلى الإكثار من ذكر الله وإلى التفكير السليم فى عجائب صنعه، وسأقت لنا ألوانا من الدعوات الطيبات الخاشعات التى تضرع بها الأخيار إلى خالقهم، ويبت لنا الثواب الجزيل والعطاء العظيم الذى منحه الله لهم فى مقابل إيمانهم الصادق، وعملهم الصالح، فقد جرت سنته - سبحانه - أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا، وأنه لا يرد دعاء الأبرار من عباده.

وبعد أن بشر - سبحانه - عباده المؤمنين الصادقين بهذا الثواب الحسن، نهاهم عن الاغترار بما عليه الكافرون من قوة وسطوة ومتاع دنيوى فقال - تعالى:

﴿لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ اللَّهُ كَثُرَتْ وَأَفْزَلَتْ﴾

يغرنك: من الغرور وهو الأطماع فى أمر محبوب على نية عدم وقوعه، أو إظهار

من مكة مهاجرا التفت إليها وقال: «يا مكة والله لأنت أحب بلاد الله إلى ولولا أن قومك أخرجنى ما خرجت».

ولأنهم قد تحملوا ما تحملوا من الأذى فى سبيل الله، ولأنهم قد جاهدوا أعداء الله وأعداءهم حتى استشهدوا وهم يقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله. وقوله ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ مبتدأ، وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له، والتفخيم لشأنه، وخبره قوله ﴿لَا أَكْفِرُنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾.

وقوله ﴿وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ معطوف على ﴿هَاجَرُوا﴾، وجمع بينهما للإشعار بأنهم قد تركوا أوطانهم تارة باختيارهم ليحتوا عن مكان أصلح لثماء دعوتهم، وانتشار الحق الذى اعتنقوه، وتارة بغير اختيارهم بل تركوها مجبرين ومضطرين بعد أن أجازهم أعداؤهم إلى الخروج منها بسبب ما نالهم منهم من ظلم واعتداء.

وقوله ﴿وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ معطوف على ما قبله، والمراد من الإيذاء ما هو أعم من أن يكون بالإخراج من الديار، أو غير ذلك مما كان يصيب المؤمنين من جهة المشركين.

وجمع - سبحانه - بين قوله ﴿وَقَاتَلُوا وَأَقْرَبُوا﴾ للإشارة إلى أن للقسامين ثوابا وأنهم لن يصيبهم إلا إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وقوله: ﴿لَا أَكْفِرُنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ جواب قسم محذوف، أى والله لأكفرن عنهم سيئاتهم.

وقدم - سبحانه - تكفير سيئاتهم على إدخالهم الجنة، لأن التخلية - كما يقولون - مقدمة على التحلية، فهو أولا طهرهم من الذنوب والآثام ونقاها منها، ثم أدخلهم بعد ذلك جنته وأعطاهم

الأمر المضر في صورة الأمر النافع، وهو مشتق من الغيرة بكسر الغين - وهي الغفلة - ويقال: رجل غر إذا كان يتخدع لمن خادعه.

والثقل في البلاد: التصرف فيها على جهة السيطرة والغلبة ونفوذ الإرادة.

والمناخ: الشيء الذي يتمتع الإنسان به لمدة معينة، والمعنى: لا يصح أن يخدع أحد بما عليه الكافرون من ثقل في البلاد ومن تصرفهم فيها تصرف الحاكم المسيطر عليها، المستغل لثرواتها وخيراتاتها، فإن تصرفهم هذا لن يستمر طويلاً، بل سيقى مدة قليلة يتمتعون فيها بما بين أيديهم ثم يزول عنهم كل شيء وسوف يعودون إلى خالقهم فيعذبهم العذاب الأكبر على ظلمهم وبغيهم وكفرهم.

والخطاب في قوله ﴿لَا يَنْفَعُكَ﴾ للرسول ﷺ أو لكل من يتأتى له الخطاب، وهو نهى للمؤمنين عن أن يغتروا بما عليه الكافرون من جاه ونفوذ وسلطان وغنى.

وليس من مقتضى النهي أن يكون قد وقع النهي عنه، فإن الإنسان قد ينهى عن شيء لم يقع منه لتحذيره من الوقوع فيه في الحال أو المال. ولذا روى عن قتادة أنه قال: «والله ما غروا نبي الله حتى قبضه الله إليه».

ولقد قال صاحب الكشاف في الجواب على أن النهي موجه إلى النبي ﷺ فإن قلت: كيف جاز أن يغتر رسول الله ﷺ بذلك حتى ينهى عن الاغترار به؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن عظيم القوم ومتقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام

خطابهم جميعاً، فكانه قيل: لا يغرنكم.

والثاني: أن رسول الله ﷺ كان غير مغرور بحالهم فأكد ما كان عليه وثبت ما كان على التزامه بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

(الأنعام: ١٤)

وقوله ﴿مَتَاعٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي هو متاع وقوله ﴿قَلِيلٌ﴾ صفة لمتاع. ووصف بأنه قليل لقصر مدته، ولكونه متعة فانية زائلة بخلاف ما أعد الله للمؤمنين من نعيم في الآخرة فإنه دائم لا يزول.

وجاء العطف بـ ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ في قوله:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ للإشعار بالتفاوت الكبير بين حالهم في الدنيا وما هم فيه من متاع زائل وبين ما سنبالهم في الآخرة من عذاب دائم لا ينقطع. أي أنهم يتمتعون بهذه المتع العاجلة لفترة قليلة ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي مكاتبتهم الذي يأوون إليه ويستقرون فيه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ التي لا يحيط الوصف بشدة عذابها ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي بشس ما مهدوا لأنفسهم وفرشوا جهنم.

وفيه إشارة إلى أن مصيرهم إلى جهنم هم الذين كانوا سبياً فيه بكفرهم واستحبابهم العمى على الهدى.

وفي هذا تعزية للمؤمنين وتسلية لهم عما يرونه من غشى وجاه وسلطان للمشركين وتحريض للأخيار على أن يجعلوا همهم الأكبر في العمل الصالح الذي يوصلهم إلى رضوان الله الباقي، ففي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع).

(٣) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٩٣ رقم ٢٨٥٨.

-تعالى- على سبيل الإكرام لهم، والتشريف لمنزلتهم.

وقوله ﴿وَمَاعِدَةٌ خَيْرٌ لِّأُولَئِكَ﴾ أي ما عند الله من نعيم مقيم لعباده المتقين خير مما يتقلب فيه الكافرون من المتاع القليل الزائل.

ثم بين -سبحانه- أن أهل الكتاب ليسوا سواء، بل منهم الأشرار ومنهم الأخيار، وقد بين -سبحانه- هنا صفات الأخيار منهم فقال:

﴿وَأَن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَأْمُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾
﴿وَأَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾
﴿وَأَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾

أي: ﴿وَأَن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود والنصارى لقريقاً ﴿يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ إيماناً حقاً منزهاً عن الإشراك بكل مظاهره ويؤمن بما ﴿أُزِيلَ إِلَيْكُمْ﴾ من القرآن الكريم على لسان نبيكم محمد ﷺ ويؤمن بحقيقة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ﴾ من التوراة والإنجيل ولا يزالون مع هذا الإيمان العميق ﴿خَشِعِينَ﴾ أي خاضعين له -سبحانه- خائفين من عقابه، طالبين لرضاه ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي لا يبيعون آيات الله أو حقيقة من حقائق دينهم في نظير ثمن هو عرض من أعراض الدنيا القانية، لأن هذا الثمن المأخوذ قليل حتى ولو بلغ القناطير المنتطرة من الذهب والفضة.

فأنت ترى أنه -سبحانه- قد وصفهم بخمس صفات كرمية تدل على صفاء نفوسهم وطهارة قلوبهم، وفي هذا إتصاف من القرآن الكريم للمهتدين من أهل الكتاب.

وقد ذكر القرآن ما يشبه هذه الآية في كثير من

ثم بين -سبحانه- حسن عاقبة المؤمنين إثر بيانه لسوء عاقبة الكافرين فقال:

﴿لَكِنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾
﴿وَنَهَمُوا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾

والفتحت الآية الكريمة بحرف ﴿لَكِنِ﴾ الذي معناه الاستدراك، لأن مضمونها ضد الكلام الذي قبلها. ولكي تكون هناك مقابلة بين عاقبة المشركين الفجار وبين عاقبة المؤمنين الأخيار.

والمعنى: هذا هو شأن الكافرين يتقلبون في البلاد لفترة قصيرة من الزمان هي مدة حياتهم في هذه الدنيا الفانية ثم يتركون كل شيء عند موتهم ليلاقوا مصيرهم المحكوم وهو عذاب جهنم الذي لا ينقطع.. لكن الذين اتقوا ربهم وخافوا مقامه ونهوا أنفسهم عن الهوى ليسوا كذلك، فقد أعد الله لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار المليئة بأنواع المشارب الطيبة اللذيذة، وهم خالدون في تلك الجنات خلوداً أبدياً لا انقطاع له ولا زوال.. فأين مصير أولئك الأشرار من مصير هؤلاء الأخيار؟

فالآية الكريمة بيان لكمال حسن حال المؤمنين، إثر بيان سوء عاقبة الكافرين ثم قال -تعالى-:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

أي لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها حالة كون هذه الجنات منزلاً مهيباً لهم من عند الله

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٥٨.

سوره ومن ذلك قوله - تعالى -:

﴿لَسَوْا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَمَّا قَوْمٌ يَمْلِكُونَ﴾
﴿يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَهُمْ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ﴾

(آل عمران: ١١٣)

وقوله - تعالى -:

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ مَنَافِقَهُمْ وَأَكْثَرُ زُجُجَتِ لَهُمْ صَفَاتُهَا فَهُمْ لَا يَحْشَوْنَ﴾

(المائدة: ٦٦)

وقدم - سبحانه - إيمانهم بالقرآن على إيمانهم بما أنزل عليهم لأن القرآن هو المهيمن على الكتب السماوية والأمن عليها، فما وافقه منها فهو حق وما خالفه فهو باطل وقوله ﴿يَحْشَوْنَ﴾ حال من فاعل ﴿يَرْفَعُ﴾ وجمع حملا على المعنى، ثم بين - سبحانه - جزاءهم الطيب بعد بيان صفاتهم الكريمة فقال:

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ جَدِيدًا إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

أي: أولئك الموصوفون بتلك الصفات الكريمة لهم أجرهم الجزيل في مقابل أعمالهم الصالحة وأفعالهم الحميدة.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ كناية عن كمال علمه بمقادير الأجور ومراتب الاستحقاق وأنه يوفيها لكل عامل على ما ينبغي وقدر ما ينبغي.

ويجوز أن يكون كناية عن قرب إنجاز ما وعد من الأجر؛ فإن سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء فكأنه قيل: لهم أجرهم عند ربهم عن قريب، لأن الله - تعالى - سريع الحساب والجزاء. ثم ختم - سبحانه - السورة الكريمة بثناء جامع للمؤمنين، دعاهم فيه إلى الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

والصبر معناه: حبس النفس عن أهوائها وشهواتها وترويضها على تحمل المكاره وتعويدها على أداء الطاعات.

والمصابرة: هي المغالبة بالصبر: بأن يكون المؤمن أشد صبرا من عدوه.

ورابطوا: من المراقبة وهي القيام على الثغور الإسلامية لحمايتها من الأعداء، فهي استعداد ودفاع وحماية لديار الإسلام من مهاجمة الأعداء.

والمعنى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ على طاعة الله وعلى تحمل المكاره والآلام برضا لا سخط معه؛ فإن الصبر جماع القضائل وأساس النجاح والظفر.

﴿وَصَابِرُوا﴾ أي قابلوا صبر أعدائكم بصبر أشد منه وأقوى في كل موطن من المواطن التي تستلزم الصبر وتقضيه.

قال صاحب الكشاف: ﴿وَصَابِرُوا﴾ أعداء الله في الجهاد، أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب، ولا تكونوا أقل منهم صبرا وثباتا فالمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته. (١)

﴿وَرَابِطُوا﴾ أي أقيموا على مرابطة الغزو في نحر العدو بالترصد له، والاستعداد لمحاربتة، وكونوا دائما على حذر منه حتى لا يفاجئكم بما تكرهون.

ولقد كان كثير من السلف الصالح يربطون في سبيل الله نصف العام، ويطلبون قوتهم بالعمل في النصف الآخر.

ولقد ساق الإمام ابن كثير جملة من الأحاديث التي وردت في فضل المراقبة من أجل حماية ديار الإسلام، ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه

عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها).

وروى مسلم في صحيحه عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه؛ وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان). (٢)

وبعضهم جعل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة مستدلا بالحديث الذي رواه مسلم والنسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أدلكم على ما يعجزو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة، فذلكم الرباط». (٣)

قال القرطبي: بعد أن ساق هذا الحديث: «والقول الصحيح هو أن الرباط هو الملازمة في سبيل الله - وأصلها من ربط الخيل، ثم سمي كل ملازم ثغر من ثغور المسلمين مرابطا فارسا كان أو راجلا. واللفظ مأخوذ من الربط، وقول النبي ﷺ (فذلكم الرباط) إنما هو تشبيه بالرباط في سبيل الله». (٤)

ومما يدل على أن المراقبة في سبيل الله من أجل الديار الإسلامية من أفضل الأعمال وأن الصالحين الأخيار من المسلمين كانوا لا ينقطعون عنها، مما يدل على ذلك ما كتبه عبدالله بن المبارك - وهو يربط بقرسوس - إلى صديقه الفضيل بن عياض - وكان الفضيل معتكفا بالمسجد الحرام - كتب إليه عبدالله يقول:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك في العبادة تلعب من كان يخضب خده بدموعه

فحورنا بدمائنا تنخضب أو كان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الصبيحة تتعب ربح العبر لكم ونحن غيرنا رهج السنايك والغبار الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبينا قول صحيح صادق لا يكذب لا يستوي غبار خيل الله في أنف امرئ ودخان نار تلهب هذا كتاب الله ينطق بينا ليس الشهيد يجبت لا يكذب

فلما قرأ الفضيل هذه الأبيات بكى وقال: صدق عبدالله

وقوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ عَظِيمًا﴾ أي اتقوا الله بأن تصونوا أنفسكم عن محارمه وعن مخالفة أمره، ورجاء أن يكتب لكم الفوز بالنصر في الدنيا، والثواب الحسن في الآخرة.

وبعد: فهذه سورة آل عمران، وهذا تفسير مفصل لما اشتملت عليه من توجيهات نافعة وعظات بليغة، وآداب عالية وتشريعات سامية وتربية رشيدة وعبادات قويمه وحجج تثبت الحق وتدحض الباطل.

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ونافعا لعباده.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(٦) تفسير القرطبي ج ٤ ص ٣٢٣

(٥) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٤٤

الحج و العمرة ينفيان الفقر والذنوب

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

روى الطبراني في «الأوسط»، والبرزاري عن جابر بن عبد الله «رضي الله عنهما» عن رسول الله ﷺ قال: «ما أضر حاج قط، قيل لجابر «رضي الله عنه»: «ما الإضرار؟ قال: ما افتقر».

الشرح والبيان

الحج هو قصد الكعبة المشرفة في مكة المكرمة لعبادة الله «عز وجل» عندها وفي ضواحيها، والكعبة المشرفة هي رمز الوحدة الإسلامية؛ يقصدها المسلمون من كل أنحاء المعمورة، ترتبط بها قلوبهم، ويستقبلونها في صلواتهم، تتوافد إليها جموعهم مهما تباعدت أقطارهم، واختلقت لغاتهم، وتباينت ألوانهم، يتجردون من ثيابهم التي ترشد إلى أحوالهم، من غنى وفقير وسلطان وجاه، ويلبسون ثياب الإحرام البيضاء، جميعهم على هيئة واحدة؛ تذوب من خلالها الطبقات، وتتوارى الدرجات.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

(المائدة: ٣)

هذا ولما كان الحج يحتاج إلى جهد بدني شاق، ونفقة مالية كبيرة قد تشح بها بعض النفوس الحريصة على المال - فقد رغب رسول الله ﷺ

في الحج وحث عليه، وأرشد الراغبين في أداء هذه الفريضة إلى أن النفقة في الحج لا تنقص المال، ولكن تنميته وتركه، كما أرشدهم إلى أن من يسارع إلى أداء هذه الفريضة فإنه لا يصاب بالعوز والحاجة، ولا يتعرض للفقر، ولذلك ورد في الحديث الشريف عن جابر بن عبد الله «رضي الله عنهما» قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أضر حاج قط»، فسأل أحدهم جابرا «رضي الله عنه» عن مراد النبي ﷺ به «الإضرار: ما الإضرار؟ فأجابه جابر رضي الله عنه قائلا: «ما افتقر».

وقد أكد رسول الله ﷺ أن الحق «سبحانه» يضاعف النفقة في الحج، إلى سبعمائة ضعف؛ لأن الجزاء من جنس العمل. قال تعالى:

﴿مَنْ جَاءَهُ الْإِحْسَنُ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾

(الرحمن: ٦٠)

وقد روى الإمام أحمد «رحمه الله» - بإسناد حسن - والطبراني والبيهقي عن بريدة «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف».. وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه الكريم:

﴿مَنْ جَاءَكَ يَتَزَكَّىٰ لَكَ فِئْتٌ مِنْ آلِهِ أَنْفُسًا ذَلِيلَةً فَإِنَّمَا تَتَزَكَّىٰ لَكَ الْإِنْسَانُ الْمَذِينُ﴾

الأنفوسة في سبيل الله كمثل خبثة أتينت سبع سنابل وكل سبيل لله خبثة والله يصعق بئسك، والله واسع عليه (البقرة: ٢٦١).

هذا ولم يقتصر هذا الثواب العظيم والأجر الكبير على من أنفق الأموال في أداء الفريضة، بل يعطى الله «عز وجل» مثل هذا الأجر لمن جهز حاجاً أو غازياً أو ما أشبه ذلك. روى ابن خزيمة - في صحيحه بإسناد صحيح - والبيهقي - في «شعب الإيمان» عن زيد بن خالد الجهني «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: من جهز غازياً أو حاجاً أو حلفه في أهل أو فطر صائماً - كان له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

وإذا كان الحق «سبحانه» يضاعف للحجاج الأجر والثواب - فإنه يغفر لهم الذنوب والآثام. ويؤكد هذا المعنى ما رواه الإمام مسلم «رحمه الله» عن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق «رضي الله عنهما» قالت: إن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق فيه عبد من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: «ما أراد هؤلاء؟!»

وانهم ليسشرون بالجنة بمجرد أن يبدؤوا في الحج. روى الطبراني - بإسناد جيد - عن أبي هريرة «رضي الله عنه» عن النبي ﷺ قال: «ما أهل مهلاً قط إلا بشر» قيل: يا رسول الله، بالجنة؟ قال: «نعم».

وقد روى ابن ماجه «إسناد صحيح» عن عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» عن النبي ﷺ قال:

«تابعوا بين الحج والعمرة فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكبر خبث الحديد».

وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على أن الحج فريضة مرة في العمر، وأن الزيادة على الفريضة تطوع يندب إليه، لما يترتب من تحصيل الثواب والأجر ومغفرة الذنوب، والبعد عن الافتقار والحاجة إلا إلى الله «عز وجل». قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اشْفَعُوا لِقَوْمِكُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
«فاطر: ١٥».

وقد روى الإمام مسلم والبخاري «رحمهما الله» عن أبي هريرة «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

أي: رجع صفحة بيضاء نقية كما خلقه الله «عز في علاه».

وقد يسأل البعض سؤالا هو: الحج أفضل أو إتفاق المال على الفقراء والمحتاجين؟ - والحق أن كلا من الحج والتصدق على الفقراء من أبواب الخير التي تجلب الأجر العظيم، والنفع الكبير، ولكن الحج أفضل كما أجاب ابن تيمية «رحمه الله» وكثيرا ما يتردد هذا السؤال على الألسنة، وبعض الناس يؤثر التصدق على الفقراء إذا كان المتصدق قد أدى الفريضة، ولم يفضل ابن تيمية

(١) مسند الإمام أحمد ٢/١٩١

(رحمه الله): هذا الرأي: لما ورد في متابعة الحج والعمرة من الآثار التي تدل على الأفضلية، وأرى أنه لا تعارض بين حج التطوع والتصدق على الفقراء والمساكين، لما في الأمرين من فوائد ومنافع تعود على صاحبهما في الدنيا والآخرة. فإن تعذر القيام بالأمرين معا، كان أفضلهما الحج، والحج كأي عبادة من العبادات قد يكون فرضا وقد يكون نافلة، قال رسول الله ﷺ: «الحج مرة، فمن زاد فهو تطوع فلتطوع» (١).

وقد قال الله «عز وجل»:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

«آل عمران: ٩٧»

فالحج إلى بيت الله الحرام يرمز إلى وجوب تجريد الإخلاص لله «عز وجل»، وإعلان التوحيد الخالص لله «سبحانه وتعالى» والبراءة من الشرك، والقضاء على الوثنية، ورجسها التي تدنس النفس والعقل والضمير. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا الشِّرْكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَأُوا لَكَ حُجَّةٌ بَعْدَ كَلِمَةِ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْدَ فَسَادِكُمْ فَلَكُمْ حُجَّةٌ مِنْ فَضْلِي إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

«التوبة: ٢٨».

فقد كان المسلمون لما منعوا المشركين من

موسم الحج، وكانوا يجلبون الأطعمة والتجارة - قذف الشيطان في قلوبهم الخوف من الفقر فقالوا: كيف نعيش؟! فوعدهم الله «عز وجل» أن يغنيهم من فضله. قال عكرمة: أغناهم الله بإدراك المطر والنبات وخصب الأرض، كما أغناهم الله من فضله بالجهاد والظهور على الأمم. وقد أنشد الشاعر:

وما يدرى الفقير متى غناه
وما يدرى الغنى متى يعيل
ومما يدل على أن في الحج إعلان البراءة من الشرك قوله تعالى:

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾
«الحج: ٢٦».

وخلاصة القول أن الحج إلى بيت الله الحرام له فوائد عديدة، ومنافعه الروحية العظيمة. وكذلك المادية والاقتصادية والاجتماعية مما لا يحصره العد، وقد أجمل الله (عز وجل) ذكر ذلك كله في قوله تعالى:

﴿يَسْتَشْفِعُ لَهُ فَأَكْبَرُ وَأَكْبَرُ﴾
«الحج: ٢٨».

كما أنه تتجلى التضحية بكل معانيها وألوانها وأشكالها في الحج إلى بيت الله الحرام جبا في

الله، ورغبة في رضاه، فإن الحاج يضحي بالأهل والمال والنفس والولد والوطن، يضحي بكل غال ورخيص، ويخرج متجردا إلى الله وحده مفضلا حبه وطاعته على كل شيء في الوجود، وقد أنشد ابن القيم (رحمه الله) في هذا المعنى أبياتا غاية في الروعة والجمال:

أما والذي حج المحبون بينه

ولبوا له عند المهل وأحرموا
وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعا

لعزة من تعبر الوجوه وتسلم
يهلون بالبيداء: لبيك ربنا

لك الملك والحمد الذي أتت تعلم
دعاهم قلبوه رضا ومحبة

فلما دعوه كان أقرب منهم
تراهم على الأنضاء شعثا رؤوسهم

وغبرا وهم فيها أسر وأنعم
وأخيرا فإن «الحج» إلى بيت الله الحرام بنية

خالصة لله، وبنفقة حلال، وكيفية شرعية سليمة - يكفل لصاحبه أعظم الجزاء عند الله «عز

وجل» في الآخرة بالنعيم المقيم. روى مالك وأحمد والشيخان وأصحاب السنن وأبو نعيم عن

أبي هريرة «رضي الله عنه» أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».



من ثمرات فريضة الحج

للاستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

في هذه الآونة وضيوف الرحمن يشدون رحالهم إلى بيت الله الحرام في رحلة العمر التي أوجبها الله - سبحانه وتعالى - على المستطيع، يجدر بنا أن نلقى نظرات على ما تشتمل عليه هذه العبادة، وما تشتمل عليه مناسكها من دعوة عالمية للإنسانية جمعاء أن تعيش في سلام وأمان.

فإن الله - تعالى - شرع من عباداته عبادات أوجبها في كل يوم كالصلاة، ومنها ما أوجبه الله في كل أسبوع كصلاة الجمعة، ومنها ما أوجبه في كل عام كصيام شهر رمضان، ومنها ما أوجبه في العمر كله مرة واحدة على المستطيع وهو الحج إلى بيت الله الحرام. هذه العبادة يجتمع فيها المسلمون على شوق، أولئك الذين تحقق فيهم شرط الاستطاعة، وشاء الله لهم أن يحظوا بهذه العبادة، يتلاقون في صعيد واحد وبزى واحد، في موتمرهم العالمي الإسلامي ومع شعائره ومناسكهم يتدارسون كبرى قضاياهم حتى يكونوا خير أمة، كما أراد ربهم - سبحانه وتعالى - ولو نظرنا إلى لحظات بناء هذا البيت أو إلى ما قبل بناء إبراهيم

بقليل لهذا البيت، حين ترك ابنه الرضيع وأمه في هذا المكان وذهب إلى الشام، وتناديه الزوجة قائلة: أين تذهب وتركتنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أئیس ولا شيء؟ فلا يلتفت وثانية وثالثة، فلما لم تر منه جواباً قالت له الزوجة العاقلة الحصيفة: آله الذي أمرك بهذا؟ فأجابها قائلاً: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا. وتمكث الأم مع رضيعها وفي سقاتها بعض الماء وفي جرابها بعض التمر، حتى إذا نفذ الماء والتمر وجاع الرضيع وجاعت الأم وتراه يتلوى أمامها - وللأم عاطفتها التي لا تعادلها عاطفة في الوجود - فذهبت مسرعة إلى جبل الصفا تنظر، عليها تجد الغوث وتهول إلى المروة وتعود إلى الصفا حتى أكملت سبعة أشواط، وفي نهاية الشوط

مؤتمر إسلامي عام

فيقف إبراهيم فيؤذن في الناس بالحج ويقول: أيها الناس لقد كتب الله عليكم الحج فخرجوا، فيبلغ الله نداءه إلى كل أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى أن تقوم الساعة، فما من أحد يحج إلا وهو يلي هذه الدعوة قائلاً: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، وتحمل هذه العبادة بمناسكها المتعددة معاني السلام والأمان التي يجتمع من أجلها المسلمون من كل أنحاء الدنيا، ويتدارسون كبرى قضاياهم ويدعون إلى الوحدة والسلام وإلى الأمان، ولها آثار في دنياهم وآخرهم، لها آثار في دنياهم في مغفرة ذنوبهم وتطهيرهم: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(١) وللحج آثاره في سعة الرزق فإنه ينفي الفقر، وتلك آثار دنيوية واقتصادية يقول الرسول ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور ثواب دون الجنة»^(٢).

أثر ديني وديني

ومن هنا ندرك ما للحج من أثر ديني وديني، وما له من أثر في مغفرة الذنوب، وما لرسولنا ﷺ من رحمة وشفقة على أمته حين

السابع سمعت الغوث، ومن هنا كان السعي بين الصفا والمروة، سمعت الغوث وجاء الملك فبحث بعقبه فإذا بالمكان الذي كانت جالسة فيه يتفجر منه الماء فكانت عين زمزم التي جعلها الله شفاء من كل داء، وأغاث الله تعالى الأم ورضيعها، وتمر الأيام ولكن حين فجر الملك ماء زمزم، ماذا قال للأم في هذه اللحظة التي أغاثت السماء هذا الرضيع وأمه، وتغيث الأمة على مر أدوارها، لقد قال الملك حين تفجر ماء زمزم التي قال عنها النبي ﷺ «ماء زمزم لما شرب له»^(٣).

لقد قال الملك لأم إسماعيل حين كانت خائفة مرعدة على نفسها وولدها؟ قال لها: لا تخافوا الضيعة - أي لا تخافوا الضياع ولا الهلاك - فإن هذا بيت الله بينه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله^(٤). إن أهل هذا البيت، أهل هذه الدعوة، أهل هذا الدين لن يضيعهم الله - سبحانه وتعالى - وما إن مرت الأيام وجاء إبراهيم وأمره الله ببناء البيت وكان بناؤه ولده إسماعيل - الذي كان رضيعاً وتقدمت به السن - فإذا ما أكمل البناء قال يارب اقتربت، فيقول له الله :

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ (الحج: ٢٧)

قال يارب وماذا يبلغ صوتي الضعيف أتأدى من؟ لا يوجد أناس أناديهم ولا صوتي بالقوة التي تمتد عبر الدنيا، فيقول له رب العزة، ما عليك إلا الأذان وعلينا البلاغ.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده والبيهقي في السنن الكبرى وابن أبي شيبة في مصنفه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأضياف.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة.

(٤) أخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج، باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة.

دعا عشية عرفة أن يغفر الله لأمنه فيجيبه رب العزة قائلاً: إني قد غفرت لهم ما خلا الظالم فيني أخذ للمظلوم منه، قال: أي رب إن شئت أعطيت المظلوم الجنة وغفرت للظالم، فلم يجب عشيته، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل، فضحك رسول الله ﷺ أو تبسم. فقال أبو بكر وعمر: بأي أنت وأمنى إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذي أضحكك؟ أضحك الله سئلك. قال: «إن عدو الله إبليس لما علم أن الله عز وجل - قد استجاب دعائي وغفر لأمتي أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والشبور، فأضحكني ما رأيت من جرعه»^(٥).
إن من رحمته ﷺ ووقفه بأمنه أنه لا يتساهل ويدعو الله - سبحانه وتعالى - لها.
إن هذا البيت الذي أوجب الله علينا حجه وجعله حرماً آمناً وجعله مثابة للناس وأمناء، جعل وقته وقتاً حراماً، ومكانه مكاناً حراماً، ولا يحل فيه القتل، ولا يحل فيه الترويع، ولا يحل فيه أن يخيف الإنسان إنساناً أو شيئاً ما، فقد جعل الله الإنسان فيه آمناً وجعل الطير والحيوان آمناً فلا يحل الصيد فيه، وجعل الشجر والنبات آمناً فحرم قطع الشجر،

حتى الشوك حرم الله قطعه في الحرم.

كل ذلك يعلمنا ويغرس في نفوس المسلمين أن يعيشوا في أمن وسلام فيما بينهم:

﴿وَلَتَجْمَعَنَّ الْبَيْتَ مَكَّةَ قَدْ قَامَ وَأَمَّا وَتَقْبَلُونَ مَكَّاهُ بَرَكَةً وَعِلَّةً إِلَى الْأَرْضِ وَأَنْتُمْ حِلٌّ فِيهَا وَالْحَاجُّ وَالْمَكِّيُّ وَالْكَعْبُ الْحَجُّ﴾
(البقرة: ١٢٥)

ويقول الرسول ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، لا يقطع عضائها ولا يصاد صيدها»^(٦).

ولقد قرر الإسلام احترام الإنسان واحترام أمنه في هذه الشعيرة المهمة التي حج فيها النبي ﷺ حجة الوداع وهو يقول للمسلمين ويبين لهم حرمة الدماء وحرمة الأموال وحرمة الأعراض: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم فاشهد، فليبلغ الشاهد الغائب قرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٧). فعبادة الحج بما تحمله من معان كريمة وبما تحمله من تجمع إسلامي كبير على

«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٨) ومن أولى تعاليم هذا الدين: «المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم»^(٩)، والذين يستحلون دماء الناس يخرجون من الإسلام بالمرة ويكونون مخطئين في النار بنص القرآن الكريم:

﴿وَمَنْ يَحْتُلْ دِمَاءَ نَفْسٍ كَثِيرَةٍ أَوْ نَفْسًا وَاحِدَةً وَهُوَ يَعْلَمُ وَأَعْلَىٰ عَدَاؤُهُمْ﴾

(النساء: ٩٣)
ورسولنا ﷺ يقول: «أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة»^(١٠).

وإن فريضة الحج - أيها الإخوة - يجب على من كتبها الله - تعالى - له أن يظهر نفسه قبل أن يخرج، وأن يتحرى المال الحلال، وأن يكتب وصيته، فالأجل بيد الله، وعليه أن يتوب توبة نصوحاً، وأن يرد المظالم، وأن يقطع عن ذنبه، وأن يندم على ما فات، وأن يعزم على عدم العود، وأن يذهب وهو طاهر مقبل على ربه عسى الله أن يجعل حجه مبروراً وسعيه مشكوراً.

وإذا كانت هذه العبادة تحمل هذه الدلائل،

أعلى مستوى وعلى مختلف اللهجات والأجناس والألوان، يجتمع الناس من كل فج عميق يؤدون هذه الشعيرة التي أوجبها الله - تعالى - مرة واحدة في العمر للمستطيع، حتى يتمكنوا من أداء هذه المناسك، وحتى يتدارسوا كبرى قضاياهم ومشاكلهم التي تعين لهم في أوطانهم، وحتى يوحّدوا صفوفهم لنيل الخلافات ولتقوية شوكة الأمة الإسلامية، وما أخرجنا في هذه العبادة وفي هذه الشعيرة التي يتجمع فيها أكبر عدد من المسلمين، ما أخرجنا إلى أن نستوصي بالحق وأن نوصيهم أن تكون مدارستهم لقضاياهم جادة، وهذا له أكبر الأثر، حل هذه القضايا التي تقض مضاجع الأقليات الإسلامية وتقض مضاجع الأمنيين في الأوطان الإسلامية.

الحج دعوة للسلام

وإذا كانت دعوة الحج ومناسك الحج ومظاهر بيت الله الحرام دعوة إلى الأمن والسلام، فلنقل لأولئك الذين حاولوا تخريب السلام وتخويف الناس وإرهابهم، نقول لهم: إن الذين يخالفون شعار الدين وشعيرة السلام والأمان هم خارجون عن حظيرة الإسلام، لأن من أولى تعاليم هذا الدين:

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأمره أفضل.

(٩) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

(١٠) رواه الطبراني في المعجم الكبير، والضياء المقدسي في المختارة.

(٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب الدعاء بعرفة.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فيها بالبركة.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، وأخرجه أيضاً في كتاب الأدب، باب قول الله - تعالى - : «وأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم».



خطبة الجمعة

يوم التضحية

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي
إعداد الشيخ : علي حامد عبد الرحيم

الله أكبر «تسعا».

ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبداً
ورسولك، أفضل من ذكرك، وأبلغ من شكرك،
وقائد الغر المحجلين يوم الدين، فصلواتك اللهم
وسلامك عليه، وعلى آله وأحبابه، وجنده
وأصحابه، والمستمكين بمفاتيح بابه، أولئك
هم أهل التقى، وأصحاب الفردوس الأعلى،

الله أكبر ولله الحمد حمداً كثيراً طاهراً طيباً
مباركاً فيه.. ملء السماوات والأرض، حمداً
يليق بجلال الخالق العظيم، ويكافئ نعم
الرحمن الرحيم،

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾
(الزمر: ٦٢)

نشهد أن لا إله إلا أنت، رب الأرباب، ومجرى
الأسباب، ومقدر الحساب.

﴿قُلِ اللَّهُ شَرُّ ذَرِّهِمْ فِي حُوزِهِمْ لَعِينٌ﴾

(الأنعام - ٩١)

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا فَايَ الْهُدَىٰ﴾
﴿سُبْحَانَكَ يَا مَنْ أَلَمَ الْخَشِينِ﴾
(العنكبوت: ٦٩)

ما قيمة الحياة إذا لم يكن للمرء فيها عقيدة
يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام،
يجاهد من أجلها، ويفرح بانتصاره في تحقيقها...؟
وما منفعة العيش إذا لم يكن كفاحاً فيه تعب

والأركان والسنن، وأن يكونوا إخوة متحابين، وأن
ينبذوا الخلافات والأثرة والأنانية، وأن يذهبوا
أصدقاء، وأن يعودوا أكثر صداقة، ولا يكون
أحدهم كأولئك الذين يذهبون أصدقاء ويعودون في
خصومات فيما بينهم، لا بد من الصبر والحلم في هذه
الرحلة التي يخالف الإنسان فيها الله وعادته ووطنه
وأولاده، فإنه إن أدى الحج على هذا النحو كان
حجه مبروراً.

قال ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما،
والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(١).

وتحمل هذه الآثار الدينية والدنيوية - التي
ألمحنا إلى بعضها - فإننا لا بد أن ندرك أن أداء
هذه العبادة التي يحصل الحاج منها على هذه
الآثار، وأنه يعود كيوم ولدته أمه، إنما هو لمن
أدى الحج مبروراً، أي لم يخالفه إثم، أي لم
يكن فيه فسوق ولا عصيان ولا جدال

﴿قَدْ وَصَّ فِيهِمْ الْحَجَّ فَلَا تَرْكَ وَلَا تَشُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾

(البقرة: ١٩٧)

فليحافظ ضيوف الرحمن على أنفسهم، وعلى أداء
مشاعرهم على أكمل وجه، على أداء الواجبات

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها، وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة.



والبذل الأعظم الذي لا غاية للبذل بعده، فأصغيا للدعاء، واستجابا للدعاء، فكان ذلك منهما درسا للأجيال بعد الأجيال!

هذا شيخ جليل طاعن في السن، هو إبراهيم خليل الرحمن، جاهد في سبيل ربه، واحتمل أذى قومه، وغاضب أباه وهجره نصرة لدينه، واحتمل عذاب النار في سبيل عقيدته وهو لا يدري أن الله سيجعلها عليه بردا وسلاما، ثم تزوج سيدة يرجو منها ولدا تقرر به عينه، فكانت عاقرا عقيما لا تلد، واشتد حنينه ورغبته إلى الولد، فتزوج على الكبر بأخرى، وبشاء الحليم العليم أن يبدأ قبض النعمة عليه فيه مولودا ذكرا، وينشئه سليما معافى، ويجعله من صغره حليما رشيدا، ويضعه بين يدي والديه وحيدا فريدا، فيصب الوالد الشيخ كل رحمته وعنايته وهمته في ولده الناشئ المتزعزع، ويرى شبابه وحياته تتجدد في

ونصب، ثم يتبعه راحة فيها مسرة وهناء؟ وما جدوى السير الطويل في الصحراء الجرداء، إذا لم يكن في نهايتها واحة خضراء، يجد عندها المرء ما يتمنى من ظل وفاكهة وماء!.. ولهذا نصر الكريم الحليم أيام عباده المؤمنين بالأعياد، تأتيهم على ميعاد، فيستريحون فيها ويهدئون، ويلعبون ويضربون، ويلبسون ويتزينون، ويأكلون ويشربون، ومع كل هذا لم يخلها سبحانه - من حكمة بالغة وعظمة شافية؛ فهذا عيد الأضحى مثلا - يقبل علينا بتوره وجماله، ويهزنا بروعته وجلاله، ولكنه فوق هذا يعود بآلباننا وخواطرننا إلى الموقف الباقي على الزمن، الخالد في التاريخ، المردد على شفثى الأيام، موقف إبراهيم مع إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، يوم دعاهما داعي الحق تبارك وتعالى إلى التضحية الكبرى،



﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ
قَالَ يَبْنَؤُنِي إِلَىٰ أَرَىٰ فِي السَّمَاءِ آيَاتٍ فَاتَّخِذْ مَا مُدَّ إِلَيَّ
رَبِّي قَالَ يَٰإِبْرَاهِيمُ أَفَعَلْتَ مَا أَمَرْتَنِي أَن فَعَلَ اللَّهُ
مِنَ الصَّابِرِينَ﴾

(الصافات: ١٠٢)

ولكن الله لما رأى منهما صادق الاستسلام وحسن الاستعداد للابتلاء، رحمهما برحمته، وجنبهما الاكتواء بلبه محنته، فنجاهما وأكرمهما، وزاد لهما في بره وعطفه:

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا
قَالَتْ هَذِهِ نِسَاءِي أَلَا تَأْتِيكُنَّ
بِالْحَبْلِ مِنْ رَبِّكَ فَإِنْ كُنَّ لَكَ
بِذُنُوبٍ فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
عَلِيمٌ﴾

(الصافات: ١٠٣ - ١٠٧)

ما الذي نستفيد من هذا الموقف الخالد المجيد؟! نستفيد أن الحياة في الحقيقة ملك خالص لله، يتصرف فيها كيف يشاء، وأن العبد بين أصابع ربه يقلبه كيفما أراد، وأن حسن الاستجابة لأوامر الله فيه أمن ونجاة، وأن الترحيب بالأقدار وعدم الفرار من شديد الاختيار، يؤدي في كثير من الأحيان إلى حسن النتائج وكريم العواقب.

إهاب غلامه، فيرضى ويقنع، ويشكر ربه ويخشع، ويشب الغلام قويا فنيا حتى يكبر، ويبلغ مع أبيه مبلغ السعي والعمل، ويستطيع السير والكسب والارتزاق، وبذلك تتم النعمة على أبيه الهرم، وهنا يبدأ الاختبار الإلهي والابتلاء الرباني فيكون مع إبراهيم فلذا عجيبا، ولا يختار له موضعا إلا الفتى المرجى المأمول، ولا يأتي إلا في أقصى الصور وأشد الأحوال.. لا يمرض الله إسماعيل ولا يميته، بل لا يكتب عليه قتل أو عرقا أو شهادة، بل يكتب عليه وعلى أبيه أن يذبح على مرأى من أبيه، ويد أبيه، ويسكن فيها حز وقطع وضغط، وفيها إمرار وتكرار.. ومن؟ من أبيه الشيخ العجوز الطاعن في السن، الذي ترتعش يده بلا شيء، فكيف بها في قتل الوحيد الغالي؟.. وبأي طريق يطلب منه ذلك؟.. ليس بطريقة الوحى المألوف في وقت اليقظة، بل بطريقة الرؤيا في المنام، وحقيقة أن رؤيا الأنبياء وحى وصدق، ولكن إبراهيم - لو أنه غير إبراهيم - كان يستطيع أن يتأول أو يخرج، أو ينتظر قطع الشك باليقين، ولكنه إبراهيم خليل، وابنه هو إسماعيل ذو اليقين، والأمر هو الله رب العالمين، الذي له ما أعطى وله ما أخذ، والذي يجب أن يسمع ويطاع، وقد كان:



تأسي الصحابة

وإن المرء ليس بهرة الالتزام المطلق لدى الصحابة رضوان الله عليهم بالتأسي بإمامهم وإمام العالمين ﷺ في حجة الفذة^(٨) التزاما يعمره الإيمان الواقف، والثقة المؤمنة.

ولا يغيب عنا في هذا المجال مسلك الفاروق عمر رضي الله عنه، وهو الذي كان كثيرا ما يفصح عن فكره، ويظهر برأيه فيما يعن له أمام أستاذه ﷺ حتى كان القرآن الكريم ينزل أحيانا مصداقا له في كثير من الآيات، فلما أتم الوحي مهمته بتمام القرآن، وانتقل الرسول ﷺ، لم يعد هناك مجال لفكر أو رأي بعد قوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

(المائدة: ٣)

وهنا يقف الرجل الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «إن كان نبي بعدى لكان عمر»^(٩) أمام الحجر الأسود مبتدئا طوافه للبيت العتيق هاتفا بهذا الحجر: «والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك»، فله ما أروع التأسي وأصدق الاقتداء، وتأمل هنا كلمة «رسول الله» لتدرك

(٨) لقد بنى القرد (معجم اللغة).

(٩) لأحمد في مسنده والترمذي والحكم عن عتبة بن عامر (الجامع الصغير).

على عمق إيمان عمر رضي الله عنه بالرسالة والرسول إذ لم يقل: «ولولا أنني رأيت محمد»^(١٠)

مرونة وتيسير

ومن الآداب القيادية التي نستمدّها من «الحجة المحمدية» المرونة والتيسير في شرح المناسك والأخذ بها، فقد كان ﷺ يأتيه الرجل أثناء الحج فيسأله «فعلت كذا قبل كذا أو بعد كذا» فيقول له عليه الصلاة والسلام: «افعل ولا حرج» مما يستميل الناس ولا يشق عليهم، ونحن في هذا المجال لا ننسى نصيحته ﷺ لمعاذ بن جبل وأبي ذر رضي الله عنهما وهو يوجههما لدعوة أهل اليمن إلى الدين الحق حيث يقول لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا»^(١١).

ومن هنا كان التيسير خصلة أساسية من أخصال التي ينبغي أن يتحلّى بها كل راع مسئول عن رعيته دون حاجة إلى تعمد التشديق وافتعال التفيهق^(١٢) والتعقيد لأن الدين يسر مصداقا لقوله ﷺ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا...» الحديث^(١٣).

فعن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ

كان يسأل يوم منى فيقول: (لا حرج) فسأله رجل فقال: إني خلقت قبل أن أذبح قال: «اذبح ولا حرج» قال إني أمسيت ولم أرم، قال: «أرم ولا حرج»^(١٤).

ماذا بعد العودة؟

من هنا ينبغي على الحاج العائد من أداء القرية أن يقوم حجة أمام نفسه وذلك - والرجوع إلى الله - بمراجعتها على نيته، وقياسها على إرادته حتى يتبين في جوانب نفسه وحنايا روحه أين تقع حجته وفق معايير الحق - سبحانه وتعالى - وتعاليم رسوله الكريم ﷺ.

وانتا لرجو لمن دعاه الله من فضله إلى حج بيته الحرام فلي الدعوة المقدسة هاتفا: «لبيك اللهم لبيك».. نرجو له أن يصدق عليه قول الهادي الأمين ﷺ: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(١٥).

أما من صوّرت له أباطيله أنه قد عاد كما ولدته أمه فيستأنف عمره من جديد بمسيرة لا يرضاه الله ورسوله فتدعو له ولأنفسنا بالهداية والرشاد والمغفرة والسداد.

فهل يعي كل من وفق إلى هذا الحشر الأصغر أن يهيئ نفسه للحشر الأعظم حيث يوم التناد؟ وهل يدرك أن الحج مسئولية تكليف لا تشريف؟ تكليف بحمل الأسوة المحمدية إلى الآخرين لا تشريف بحمل اللقب مجرد الزهو به بين الناس.

السكينة والهدوء

ولقد كان من المعالم التربوية في الحجة النبوية المباركة أنه ﷺ كان يحث الحجاج على الهدوء والسكينة حتى يستشعروا هيبة الموقف ويخلصوا إلى التأمل والتدبر والعظة في إطار المعنى المحكم في القرآن الكريم أن لا رث ولا فسوق ولا جدال في الحج.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: أفاض رسول الله ﷺ من عرفة وعليه السكينة وردفه أسامة فقال: «يا أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بإيجاف أخيل والإبل»، ثم أردف الفضل بن عباس وقال: «يا أيها الناس إن البر ليس بإيجاف أخيل والإبل فعليكم بالسكينة»^(١٦).

والتأسي بالحجة المحمدية لا يقف عند تتبع المناسك والقيام بها ولكنه يمتد إلى ما بعد أداء القرية تدبرا للأقوال المحمدية في هذا المجال، وذلك اتساقا مع المعنى البليغ الذي أكده النبي الكريم ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته

(١٤) سنن أبي داود.

(١٥) سنن أبي داود - والإيجاف من وجف أي اضطرب ويقال: أوجف القرس أي جعله يعثر عثوا سريعا «الشجدة».

(١٦) رياض الصالحين للإمام النووي.

(١٧) لأحمد في مسنده - والبخاري والترمذي وابن ماجه - عن أبي هريرة (الجامع الصغير).

(١٠) ولعل خصال عمر هذه هي التي جعلت كاتبنا عباس العفلا يقول في كتابه «عقوبة الصديق» عن الشيخين الصديق والفاروق «لقد كان أبو بكر يحب محمد النبي، أما عمر فكان يحب (النبي محمد)».

(١١) متفق عليه.

(١٢) منها «التفيهقون» وفي الحديث «إن أعضاكم إلى التثاؤون التفيهقون» - معجم القاموس في اللغة.

(١٣) البخاري والترمذي - عن أبي هريرة (الجامع الصغير).

الحجة
المحمديةمسيرة اتباع
لا حجة وداع

الأستاذ: محمد مصطفى البسيوني

من الخبر المشهور، والأثر المأثور أنه في السنة الخامسة للهجرة - على ما عليه الأكثر - فرض الله على الأمة الإسلامية حج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلاً حتى يجتمع المسلمون من جميع الأقطار والأمصار فيتوجهوا إلى بارئهم، ويبتهلوا إليه في رحابه المقدسة أن يؤيدهم بتأييده، وينصرهم بنصره، ويعينهم بفضله على الالتزام بتعاليم دينه القويم والتمسك باتباع صراطه المستقيم، لما في ذلك من تقوية الروابط، واتحاد القلوب في الأولى والتنعم بالنعيم المقيم في الآخرة.

بخطبة الوداع لأنها نهاية سلسلة من الخطب النبوية الشريفة، فكيف يجوز أن نسمى حجته عليه السلام بحجة الوداع؟ إن من إعجاز الحق - سبحانه وتعالى - وحكمته في صياغة حياة النبي صلى الله عليه وسلم أن جعل كل هذه الحياة المحمدية بحوادثها وأحداثها ومواقفها منذ رحلة الجنين اليتميم، جعلها سبحانه معالم إنسانية عامرة

ولقد درج كتاب السيرة المطهرة من القدامى والمحدثين - ومنهم الباحث المجد، والفقيه المجتهد - درجوا على أن يسموا حجة النبي ﷺ وهي الحجة الرائدة التعليمية التي حملت مشعل الحجاج منذ كانت وإلى أن تقوم الساعة - «حجة الوداع»، مثلما أطلقوا على خطبته الخاتمة ﷺ أنها خطبة الوداع. ولئن جاز تسمية الخطبة المحمدية الأخيرة

بالكم زاخرة بالكيف، فلقد حوت كل ما يمكن أن يتعرض له أي إنسان في حياته. ولعل هذا هو جوهر «الأسوة» في الحياة المحمدية المنفردة، حتى إذا عرض لأمري موقف من هذه المواقف الحياتية تساءل: ماذا فعل محمد في مثل هذا الموقف؟ فوجد الجواب الكافي والشافى والحكيم في سيرة الأسوة الحسنة ﷺ مصداقاً لقول الباري جل وعلا:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

(الأحزاب: ٢١)

وذاك لما يشير إلى أن حياته عليه الصلاة والسلام معرض إنساني تربوي حافل يعرض المواقف، ويشرح مواجهتها، ويصور المشكلات، ويبين حلولها وطرق التعامل معها، حتى في حالات المرض، ولحظات مغادرة الأرض إلى الرفيق الأعلى مما يصدق عليه حديثه ﷺ: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم»^(١) وكذلك حديثه ﷺ: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت شراً استغفرت لكم»^(٢).

(١) أخرجه عن أبي هريرة (الجامع الصغير للسيوطي).

(٢) ابن سعد عن بكر بن عبد الله المزني (المعجم الكبير).

مسيرة تربوية ومنهج مثالي

ومن مواقف هذه الأسوة المحمدية في سيرة النبي ﷺ تتبين أنها كانت مسيرة تربوية هادية وتعليمية موجهة للمؤمنين به، حتى إذا تمت هذه المسيرة المباركة بفصولها وأبوابها ومواقفها انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى الذي أكد هذا المعنى في آي الذكر الحكيم عندما نزل على حبيبه ومصطفاه قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ كُنْ لِلْعَالَمِينَ
حَسْبٌ وَرَضِيتُ لَكَ الْإِسْلَامَ رِيسًا

(المائدة: ٣)

وكان سنى حياته المباركة على الأرض ﷺ كانت مخصصة لذلك، وإنها لكذلك، بل كان المعلم العظيم قد انتهى من أداء المنهج المثالي لتلاميذه على أكمل وجه وأروع أسلوب. وهكذا كانت حياته ﷺ بين الناس وقفاً على ترجمة الحياة الإنسانية إلى مواقف شارحة ومعالم واضحة حتى إذا مضى عليه الصلاة والسلام، تدرك أن الله سبحانه وتعالى قد قضى أن هذه الحياة المحمدية قد أدت دورها الإلهي فوق الأرض، فاختاره الحق سبحانه إلى جواره، فهو ﷺ «المختار» حقاً في الأولى والآخرة.

ومن هذه المواقف التي تضمنتها الرسالة

لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ

لفضيلة الشيخ / عمر الديب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن الحج باعتبار مكانته في الإسلام وغايته المقصودة منه للفرد والجماعة التي يجب أن يقصدها المسلمون في حياتهم، جدير أن يتجهوا إلى بيت الله الحرام وإلى مكة المكرمة، حيث تنشر عليهم أجنتها وتجمعهم بكلمة الله حول بيت الله يتعارفون ويتشاورون ويتعاونون ثم يعودون إلى بلادهم أمة واحدة متحدة القلب متحدة الشعور والإحساس، وهذا هو ما تدل عليه كلمة أفئدة التي جاءت في دعوة إبراهيم - عليه السلام - حين أكمل البيت ورفع قواعده وأسكن ذريته بواديه:

﴿فَجَعَلْ أَفئدةً مِنَ النَّاسِ يَهُودَىٰ إِلَيْهِمْ

وَأَرَادَهُمْ مِّنَ الشَّمْرِ لَعَلَّهُمْ تَشْكُرُونَ﴾

(إبراهيم: ٣٧)

دعوة الناس إلى الحج قال - تعالى - مخاطباً سيدنا إبراهيم عليه السلام:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ مَنَازِلٍ مُّنْ كُلِّ مَنَازِلٍ لِّيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنصَابَ اللَّهِ فِي الْآيَاتِ الْعَوَّلَىٰ عَلَىٰ مَا ذَرَعْتُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ فَكُلُوا مِن ثَمَرِهِمْ وَلَا يَلْعَنُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّالِحُونَ﴾

(الآيات من ٢٧: ٢٩ من سورة الحج)

فالمنافع التي جعل الحج سبيلاً لشهودها

فإن كلمة أفئدة ليس المقصود منها مجرد الأشباح التي تروح وتغدو والتي لا تعرف من معنى الحج سوى أعماله الفردية وسوى زيارة الرسول - عليه الصلاة والسلام - وإنما المقصود بالأفئدة الأرواح والقلوب التي تقدر ما يجب أن يكون لهذا الاجتماع الحاشد في أمكنة الذكريات الأولى وفي ظل عبادة الله من أهداف تجمع قلوب الموحدين على خطط الحياة العزيزة كما جمعت أشباحهم العبادة والذكريات، ولعل هذه الأهداف هي أول ما لفتت إليه الآية الكريمة التي تضمنت

أخرى لكانت الحجة الثانية فريضة أيضاً، ولكنه عليه الصلاة والسلام انتقل دون أن يحج مرة أخرى، ومن هنا قلنا أنها كانت حجة تربوية تعليمية للاتباع وليست للوداع. ومن المعروف في هذا السياق أنه ﷺ سئل عن الحج هل كل عام فسكت فأعاد السائل سؤاله مرة ثم مرة، فما كان من النبي ﷺ إلا أن أجاب جواب الربى العظيم الذي يعلم الناس آداب الحوار في ثنايا تبليغ الدعوة الربانية المكرمة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»^(١) فقال رجل: «كل عام يا رسول الله؟» فسكت حتى قالها ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم»^(٢)، ثم قال: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

فهذه الحجة المحمدية مسيرة اتباع لا حجة وداع لأنها ترتبط بمحمد ﷺ نبياً خاتماً ومعلماً مرشداً وأسوة حسنة ولأنها حجة تعليمية وتربوية ليس لها سابقة ولا لاحقة.

المحمدية في الدنيا تبليغ الناس فريضة الحج حتى يدرك الناس أن الإسلام دين اجتماع لا تفرقة، ودين توحد لا تمزق.

ومن هنا لم يحج ﷺ في حياته النورانية المباركة إلا مرة واحدة، فيروى عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج، فقدم المدينة كثير كلهم يلتبس أن يأتيهم برسول الله ﷺ ويعمل بمثل عمله^(٣) ويستمر الصحابي الجليل يتابع خطوات الحجة الهادية المباركة منذ خروج الحجيج المحمدي المبارك من المدينة المنورة^(٤)، وكان الدور المحمدي في هذه الحجة أن يعلم الناس مناسكهم وأن يصحح للناس شعائرهم التي طرأ عليها ما طرأ بعد جده إبراهيم عليه السلام أول من أذن للناس بالحج، ولنصغ في هذا إلى جابر رضي الله عنه حين يقول: رأيت النبي ﷺ يرمي الجمرة على راحلته يوم النحر ويقول «لتأخذوا عني مناسككم»، فأني لا أدري لعل لا أحج بعد حجتي هذه^(٥)، ثم لم يحج ﷺ بعد ذلك لأن الناس قد تعلموا مناسكهم كما أراد الله على يد النبي، ولأنه ﷺ لو قدر له أن يحج مرة

(٣) سنن أبي داود.

(٤) سنن أبي داود.

(٥) رواه أحمد ومسلم والسنن - فقه السنة، المجلد الأول.

(٦) تفسير الإمام القرطبي لسورة آل عمران.

(٧) ولا شك في أن فقدان الاستطاعة هنا يؤثر على مبدأ مهم من مبادئ الحج الذي قال الله فيه: «من استطاع إليه سبيلاً».



والحصول عليها وهي أول ما ذكر في حكمة الحج كلمة عامة مطلقة لم تفيد تنوع دون نوع ولا ناحية دون ناحية، وهي بعمومها وإطلاقها تشمل كل ما ينفع الفرد والجماعة ويصلح شأنهما؛ فطهارة النفس والتقرب إلى الله منفعة والتشاور في رسم خطط العلم والثقافة وفي جمع الكلمة على تركيز الدعوة والعمل على إظهار الإسلام بسماحته وأحكامه الرشيدة منفعة وإعداد العدة لنسج خيوط الشخصية الإسلامية ثوبا واحدا، منفعة وأي منفعة وامتناء القلوب بمبدأ المحافظة على تلك الشخصية من التحلل والذوبان منفعة. وهكذا تعدد المنافع وتنوع على حسب مقتضيات الأحوال التي تروحي بها الأزمنة ومواقف الناس من الناس.

الأخطار المحدقة بالمسلمين

لقد جدت في العالم كله آراء ومذاهب في الدين ومذاهب في الاجتماع وأخرى في الاقتصاد وغيرها في السياسة، وصار لكل مذهب من هذه قوة غاشمة تتربص الدوائر بدعوة الحق، دعوة السلام والإصلاح الإلهي، وامتلكت تلك القوى الغاشمة أسلحة جديدة أعدت للتخريب والتدمير وترويع الآمنين، وتجلت مطامع الجشع الإنساني في صورها البشعة الكريهة، فكان لابد لدعوة الحق والإسلام في مواجهة هذا الخطر الداهم من اجتماع عام شامل يحددون فيه موقفهم ويشهدون به منافعهم التي تقيهم وتقي العالم شر ذلك الطيش الذي يقضي على الأمن والسلام ويلتهم الفضائل والتدين الحق، وعلى هذا فإن منافع المسلمين اليوم التي يتخذ الحج سبيلا

لشهودها لم تعد تبقى في دائرتها الأولى دائرة المنفعة الروحية الفردية التي عمادها في الأذهان مجرد فعل المناسك حول بيت الله الحرام ألا وإن أبرز ما تصدق عليه كلمة منافع فيما بين المسلمين أن تتوحد كلمتهم وشعورهم فيما يجب أن يتخذوه بحكم دينهم وإيمانهم أساسا - لحياتهم وهو الاعتصام بحبل الله :

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

(آل عمران: ١٠٣)

معالم الاعتصام بحبل الله ومتطلباته

١- الاعتصام بحبل الله يقضي أولا بتنحية الشهوات والأهواء التي تثيرها بينهم العصبية القبلية والجنسية والمذهبية، تلكم العصبية التي دفعت وتدفع بهم إلى جمر التفرق عن سبيل الله الواضحة وتجعلهم فلولاً يستعين ببعضها العدو المشترك على باقيهم ويقضي على الجميع.

٢- والاعتصام بحبل الله يتطلب ثانيا النظر السريع في تنقية العقائد والأعمال بيتا مما يشوبها من صور الشرك والابتداع، الأمر الذي هباً لخصوم الإسلام أن يقولوا: إن الإسلام ليس دينا واحدا وإنما هو أديان متعددة تختلف باختلاف الأقاليم والمذاهب، فتركبا إسلام وإيران إسلام وباكستان إسلام ولمصر إسلام وليباد المغرب إسلام وللحجاز إسلام وأي إسلام من هذه هو إسلام محمد وإسلام القرآن؟

﴿كَبُرَ كُفْرُكَ أَنْ تَقُولَ إِنَّ الْإِسْلَامَ كُفْرًا﴾

(الكهف: ٥)

محكم لإعداد الدعاة الذين يدعون إلى الإسلام على أن يكون هؤلاء الدعاة مزودين بالنضج الفكري والمعرفة الصحيحة واللغات الأجنبية وأساليب العرض الملائمة، وذلك وراء إمامهم بمواقع البلاد التي يوجهون إليها ونفسيات أهلها وعقائدهم وتقاليدهم وسائر شئونهم حتى يستطيعوا أن يتبوأوا فيما بينهم مكانة المواطن الحرير على خير مواطيه، وأن يتخذوا في دعوتهم إلى الخير سبيل الحكمة التي أمر الله بها في كتابه.

٥- والاعتصام بحبل الله يتطلب النظر السريع الجاد في تنسيق شئون الاقتصاد في الجماعات الإسلامية، وذلك بإنشاء سوق إسلامية اقتصادية مشتركة تكون مهمتها تنظيم التبادل الاقتصادي وسد حاجات الجماعات الإسلامية بعضها من بعض، حتى لا يكون للمستعمر أثر في اتخاذ هذا الجانب سبيلا لاستنزاف ثروة البلاد الإسلامية وتثبيت أقدامه فيها، ثم الحيلولة بيننا وبين الحصول على ما يحفظ كياننا ويرفع مستوانا.

٦- ويتطلب الاعتصام بحبل الله تكوين قوة تدافع عن هذا الدين لتدفع شر الاعتداء وتكون محوطة بقلوب المؤمنين، كي تكون من أقوى وسائل السلم المسلح الذي أمر الله به وأرشد إليه في كتابه :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

(الأنفال: ٦٠)

هذه هي المنافع التي تتوقف عليها حياة الأمة ولا تكون إلا في مواسم الحج الإلهي الكريم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فالإسلام وحدة في العقيدة والعمل تعرف عناصرها من كتابه المبين الواضح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وما هذه المظاهر المختلفة التي تراها في الجماعات الإسلامية إلا أثر من آثار الانحراف البشري في فهم المصادر بما توحىه العصبية الكريهة، وما ينبغي أن تكون حالة المرضى الذين انحرف المرض بطبيعتهم مصدرا سليما لمعرفة تلك الطبائع، وإذن فعلينا ونحن المرضى أن نعالج أنفسنا من هذه الحالة وتلك العلة حتى يعود إلينا النقاء والشفاء وعندئذ تكون أحوالنا وشئوننا مصدرا حقا لقدسية الإسلام وصلاحه كما هو واضح في كتابه :

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أَلْفَتْكُمْ﴾

(الأنفال: ٩)

٣- والاعتصام بحبل الله يتطلب ثالثا العمل الجاد السريع في إبراز أهداف القرآن الكريم بتفسير سهل واضح خال من الإسرائيليات والخلافات المذهبية والتطبيقات العربية التي اتصلت به وحشرت في تفسيره حشرا، شغل الناس بها عن معرفة هدايته وإرشاده وأن يطبع ذلك التفسير بلغات العالم المختلفة ثم يوزع على جميع دول العالم ليعرف الناس حقيقة الإسلام ويعرفوا دعوتهم على وجهها الصحيح، وعندئذ تبوء بالإثم هذه الأقلام المأجورة المسيئة للإسلام.

٤- والاعتصام بحبل الله يتطلب وضع نظام

قصيدة
العدد

لبیک لبیک

فی أرض النبوة

للشاعر الكبير الأستاذ محمود عتيق

صوت من العالَم العلوي ناداني
ما أعذب الصوت! ما أشجاء من نغم
وكيف تسمعُه أذن، وبخمله
لبئس به بفؤاد ملوّه وجل
كيف الوقوف على باب الرسول، وفي
دار النبوة، ذنبي عنك أبعدني
لم يذر قدرك من في ذات أجنحة

لبئسك لبئسك إلا آن، ولا واني^(١)
سمعته بجناني لا بأذاني^(٢)
موج الأثير حروفاً وهز زوحاني؟
وصيب من دموع العين هتان^(٣)
يبدى صحائف زلاتي وعصبياتي؟
وحسن ظني برؤي منك أدناني
أتى يزورك، أو في ذات سُكّان^(٤)

(١) أتى ليأ كحني حني، ورؤي رحي: تأخر وأبطأ، وآن: متأخر، ووأن: ضعيف متكامل

(٢) الجنان: بفتح الجيم: القلب والروح

(٣) الصيب: المطر، واليهتان: الغريز

(٤) ذات أجنحة: كتابة عن الطائفة، وذات سكّان: كتابة عن السنية، والسكّان: الدفء

هلاً أتبيحك سبارا على قدمي
ما غبت عني، وإن لم يمتلي بصرى
قد كنت ألقاك في لؤحي، وفي كُتبي
ما زلت رشحاً جميلاً في مخيلتي
كأنني لست ضيفاً عند أهلك، بل
وما طربت للحن ليس يذكرك لي
اللّه يعلم كم حركت في خلدي
كم في ذروك من درب أضخت له
لي من صعبك أفواه، وألسنة
يا جيرة الحرمين الأمين، لكم
اللّه أورثكم مجداً يقرب به
والله شرف مغناكم، وشرفكم
ما للشراب وردنا ماء زمزمكم
بالله، لا تشرعوا من مائها قدحى
هنا رحيق، عتيق، حل مشربه
هنا مفاتيح أغلاق السماء، هنا
هنا بتي المصلح الأمي جامعة
على قواعد من هذى النبوة، لا

(١) الصيد: جمع أصيد، وهو الشرف العظيم

(٢) الشاني: أصلها الشاني: المفضل الكاره

(٣) لا تشرعوا: لا تغلقوا، والقده: الآية

أو طار من حر شوقي بي جناحان؟
من أهلك الصيّد أو من ربّعك الغاني^(١)
وفي سطور أحاديثي، وقرآني
حتى كأننا النقيض منذ أزمان
هم في ربوعهم الفتحاء ضيفاني
ما فيك من علم، أو فيك من بان
من ذكريات، وكم هيّجت أشجاني!
كأنه بحديث الأمل نأجاني
بقدر ما فيه من أمل، وكُتبان
أهدى التحية من رُوح وريحان
قبل الحبيب لسان الحاسد الشاني^(٢)
خير البقاع أقلت خير سُكّان
بل للظّهارة من رُحس وأذنان
بل فاغمرُوا جسدي منها يطوفان^(٣)
فيه ظهارة أرواح وأبدان
باب الوصول إلى جنّات رضوان
على أساتين من: علم وعرفان
على قواعد من صخر وصقوان

(١) الصيد: جمع أصيد، وهو الشرف العظيم

(٢) الشاني: أصلها الشاني: المفضل الكاره

(٣) لا تشرعوا: لا تغلقوا، والقده: الآية

وكيف لا ورسول الله منشورها؟
ما كان طلابها إلا شراذم من
رئى العتيق أبابكر بها، وأما
طلابها فى ربوع العالم انتشروا
وسمحة من سماء الله منزلة
فيها تخرج نواصير البرية من
ساسوا الشعوب بأحكام الكتاب؛ فما
سماحة عرف الدين الحنيف بها
من كل منفر حرب يوم معركة
أجلهم كل ذى علم وفلسفة
«الله أكبر» كانت سر قوتهم
شاد السداة حضارات بها، وبها
لا حصن قيصر أغنى عنه زحفهم
والأمر لله، دار الدهر دورته
قد جال فى أفهم فكرى؛ فأضحكنى
يا ويح قومي! نسوا الله الكبير؛ فلم
يارب، شعبك يشكو ما أحاط به
(١) من حرب: موقد نارها.
(٢) السداة: جمع السداة، وهو من سكن البادية.
(٣) العاني: الأسير، أو المرهق الذى أصابه العناء.

جل البناء، وجل المنشئ الباني!
رعاة إنبل، ومن عباد أو ثمان
حفص، وربى علينا، وابن عقان
مبشرين بإصلاح وعمران
ومحكم من كلام الله ربانى
أدنى المحيط إلى أقصى غراسان
أحسن شعب بجور، أو بطغيان
ما فرقت بين ألوان وأديان
وكل نابغة قد وفنان^(١)
وهابهم كل ذى جاه وسلطان
على الجبابر من فرس ورومان
فلأعروشا، ولأذر تيجان^(٢)
ولا احتفى منهمو كرى بإيوان
فأصبح القوم شاء بين ذؤبان!
وجال فى يومهم فكرى؛ فأبكاني!!
يذكرهم الله، تبيان بنسيان!
من الخطوب، فأدرك شعبك العانى^(٣)

أدرك بلطفك شعباً غط فى ومن
يا سيد الرسل، لم أشدك ممتدحا
وهنا على. إذا أنشدت. من خرج
لنمارأيت الفريسين التى قدمت
لو استطعت، نظمت الشعر من بصرى
يهون عندي إن أكسب رضاك به
بيل دون نظيرة عطف منك واحدة
إنى لأطرق باب المصطفى بيد
وأيسط الكف أستجدي رضا، وما
وأسفع الدمع سهلاً فى جما، وكم
لا أكنم الله ما أسلفت من زلل
إذا جوارحى التالى جئت شهدت
جاهدت، يارب، أعدائى فما وهنت
إن عدت من حربها الشعواء منتصرا
والنفس أفتك بالإنسان من سبع
ماذا أقول؟ أقول الله: قدر لى
أو أدعى أن لى أمارة أمرت
على تخوم عدو غير وثمان^(١)
فأنت فوق مزاميرى والحيانى
كم كنت تضغى إلى إشاد حنان
بها الوقود، جعلت الشعر قربانى
ونور قلبى، وبعض الشعر نورانى
ما نال أحمد من كف ابن خمدان
ملك السماء وملك الأرض فى آن
بيضاء لم تتعود طرق بيبان
بسطة كفى لذى من وإحسان
كفت عن الدمع يوم الروح أجفانى^(٢)
وهل يغطى عليه طول كتمانى؟
بما جئت، كان إقرارى كشكرانى
قواى، لكن جهاد النفس أعبانى
جينا، فكم عدت أحيانا بخذلان!
ضار، وأزى له من ناب شعبان
إن شاء أشعدنى، أو شاء أشقانى
أو أن شيطانى الشريم أغوانى^(٣)

(١) التخوم: جمع تخم، وهو الحد بين البلاد والدول.

(٢) أسفع الدمع: أرسله منهراً، وسفع الدمع سقفاً وسقواً: انصب، والروح: الفزع.

(٣) النفس الأمارة: التى تلهم صاحبها بالمعروف والنهي عن المنكر، وأغواء الشيطان: استغواءه، وأحله.

أستغفرُ الله! ذنبي لستُ أجحده
 يارب، إن لم تُقلْ ذا عشرة، فليمن
 لمن بثبت جنان الخلد دائية
 لذاتك العظمة الكبرى بها انقردت
 وأنت أختي على العصاة أنفسهم
 ما زاد في مُلكك الأواب خردلة
 يجني على نفسه الجاني، ومن زرع
 ومن أكون بكون أنت مُبدعه
 أم ذرة في فضاء لا يجس بها
 سبحان من يعلم الأسرار أجمعها
 وما أبرئ نفسي من جهالتها
 يارب، إن كنت قد قصرت في نسكي
 ما جاءني فيك شيطاني يشككني
 وكيف لا، ورسول الله بيني
 يارب يوم نهاني فيه خوفك عن
 ورُب يوم كبحت النفس عن عبث
 ورُب معصية لم آت بها ورعا
 لكن على الغير يلقي التهمة الجاني
 ما لي جنائيك من حور وولدان؟
 قطفوها، ذات أشجار وأفنان؟
 وعصمة الناس من زور وبهتان
 من كل أم رءوم، أو أب حان؟
 أو ناله المذنب العاصي بنقصان؟
 يمينه الخير في الدنيا هو الجاني!
 أقطرة بين أمواج وتطآن؟
 لم أدر ما كنهها في العالم الفاني؟
 وسره هو أعيا كل إنسان!
 جهلي، وعلمي بجهلي كم أراحني
 فيما ترُب شك نخو إيماني؟
 إلا وعاد بثوب الخزي شيطاني
 وحجتي أنت، والقرآن برهاني؟
 لهو، وغري يلهو بابنة الحان؟
 فيه، وكنت شباباً بين شُبان
 والنفس تأمرني، والدين ينهاني^(١)

(١) الأواب: العائد، والذي يرجع إلى ربه من قريب، ولا يتماذى في الذنوب.

(٢) التسلط: العبادة.

(٣) ابنة الحان: كناية عن الخمر، والحانة: موضع بيعها.

(٤) رب في هذا البيت واليتيم قبله، للتكبير، أي أنه كان كثير الخوف، وكثير كبح النفس، وكثير الطاعة.

ولا أئن على ربي بطاعته
 عصيان ربي ذنب واحد، فإذا
 لبنيك، يارب، لا ألوك تلبية
 بيان: إن أقض، أو أرجع إلى وطني
 فإن أعذت مغفور الذنوب، وإن
 ليس التثبت بالأوطان من أربي
 كهف بأرض رسول الله أروح لي
 فيم القباب على الأموات تنصبتها؟
 الخاملون من الأحياء كم طلبوا
 لا تبغوا المجد من تشيع ميتكم
 يارب، قد عشت في دنياي مغتربا
 حاشاك، يارب، في أخراي تحرمني
 أستغفر الله من كفران نعمته!
 ألم يجدني أخوا غي فارشدني؟
 ألم يجدني أخوا جهل فعلمني؟
 وما البكاء على الدنيا وزخرفها؟
 وما أبالي بما في الكون أجمعه
 لبنيك ملء فمي، لبنيك ملء ذمي
 إليك شفعت من ترجي شفاعته
 إنني أعوذ به من كل منان
 يثبت من عفوه، فالذنب ذبيان
 حتى تمن علي ذنبي بغفران^(٢)
 ما دمت تشملني بالعفو، بيان
 أنت فصيح رسول الله جيرانني
 كل البلاد- بلاد العرب- أوطاني
 من قبة ضربت في ظل بستان
 يكفي الدفين بجوف الأرض شبران!^(٣)
 على حساب ذفين رفعة الشان
 أو المغالاة في قبر وأكفان
 وبلاء إن أغترب في العالم الثاني!
 يارب، حبي في دنياي حرمانني
 بل فوق ما أستحق الله أعطاني
 وهائما غير ذي مأوى فإواني؟
 وعائلا غير ذي وجد فأعتاني؟^(٤)
 شأهت ولو أنها دنيا سليمان!
 إن صح منه الرضا عني وأرضاني
 لبنيك يارب من قلبي ووجداني
 يارب، إن خفت يوم الحشر ميزاني

(١) لا ألوك تلبية: لا أقصر في الإقبال عليك والاستجابة إليك.

(٢) يتكر الشاعر أن نصب القباب على الأموات أسوة بأهل السنة، وذلك مخافة أن يصاب مقدس هذه القباب ببلوة من الوثنية.

(٣) في هذا البيت وما قبله ذكر الشاعر بعض القرآن الكريم في سورة الضحى.

عيد الأضحى

درس للتضحية والفداء

أ. د. محمد فتحي فرج بيومي

قلنا في موضع آخر: إن الإسلام دين حياة، يدعو إلى الحياة، نفهم ذلك ونعيه من قول ربنا جل وعلا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا قَوْلَ رَسُولِنَا كَلِمَاتٍ يَتَذَكَّرُ فِيهَا لِقَاءُ رَبِّكُمْ﴾

(الأنفال: ٢٤)

والحياة نشاط وحركة وبركة، وفرح وسرور، بانتصار المرء على نفسه وهواه، وعلى الشيطان، وفرحة أيضا بالنجاح في الامتحانات التي يتعرض لها كل يوم، ومنها أيضا نجاحه في أداء فريضة الصيام والحج، ولذا فقد سن الله تعالى، وهو - سبحانه - أعلم بمراده، عيد الفطر عقب انتهاء شهر الصيام وعيد الأضحى عقب أداء ركن الحج الأعظم، وهو الوقوف بعرفة، لقوله ﷺ: «الحج عرفة»^(١) فتوقيت مجيئهما بعد أداء المسلم لهاتين العبادتين بنجاح وفلاح،

(١) مسند أحمد، ج ٤، ص ٣٠٩، ٣١٠، سنن أبي داود، (٢) أخرجه الشافعي ج ٣/ ١٨٠.

يذكرنا بالجائزة التي تمنح باستحقاق لمن ينجح في الامتحان. ولذا فإن نصيب من اجتهد حقاً في أداء كل عبادة منهما - على وجهها الصحيح، نصيب موفور من السعادة والسرور.

والأعياد من قديم الزمان، مناسبات للفرح والحيور، والإسلام الذي يسعى لإسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة، لا يأتي من الشرائع والأحكام بما يتعارض مع ما يبعث على بلوغه السعادة المشروعة؛ إذ إن هذا مبدؤه العام؛ ولهذا فحينما «أقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة، ووجد للأتصار يومين يلعبون فيهما» - كما روى عن أنس رضي الله عنه - «فقال النبي ﷺ: ما هذان اليومان؟ قالوا: يومان كنا نلعب فيهما (أي نجتمع ونحتفل فيهما) في الجاهلية. فقال ﷺ: كان لكم يومان تلعبون فيهما، وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما، يوم الفطر ويوم الأضحى»^(٢).

نحو ملء البطون الجائعة، ودليلاً على التقوى وبرهانا على الصلاح، إثارة لما عند الله، فما عند الله خير وأبقى. ومجمل القول أنها فرحة في الدنيا بما يقدمه الإنسان فيها للآخرة، لتمتد وتتواصل الفرحة إليها أيضاً، وهذه هي السعادة الحقيقية الخالدة.

فالأعياد بهذه المثابة نفحة من الله تعالى لعباده المؤمنين الطائعين، بعد فترة من الجهاد، وكأنما هي محطات للاسترخاء الفكري، والهدوء النفسي، وهي أيضاً مناسبات طيبة لإعادة النظر في كثير من أمورنا الخاصة، التي لا يجد المرء في زحام الحياة فرصة للتفكير والتأمل فيها بتأن وروية. بعيداً عما درجنا عليه من عادات وتقاليد وأفكار، اتخذت طابع المسلمات جرت مجرى العادات!

وهي مع هذا مناسبات تشجع - بطبيعتها - على الخروج على ما ألفناه، من أساليب معاملة بعض الأقارب والمعارف والأصدقاء والجيران. ومن ثم فهي فرص سانحة، لانتهاج سبل جديدة للتعامل معهم، تملأها حميمية هذه المناسبات، التي تقرب ما بين الأباعد من مسافات، وتوثق بين القلوب المتنافرة. وقد تذيب حرارة الأعياد، وذوب العلاقات بين المتخاصمين والمتنافرين، خصوصاً بين الأقارب الأقربين.

عيد التضحية والفداء

أما بالنسبة لعيد الأضحى على وجه التحديد، فكلما يطل علينا هلال ذي الحجة، من كل عام، تتداعى للذاكرة أجل معاني الجهاد والتضحية

والإسلام ليس مجرد مجموعة من الحقائق والنظريات والمعلومات، والشعائر والعبادات، المنفصلة عن الواقع، والتي يكتفى بمعرفتها والعلم بها، أو حتى مجرد أدائها آلياً فحسب، لا روح فيه ولا غاية تبغى منه، ولكنه دين كل ما فيه من تعاليم، وكل ما يحض عليه من فعال، وما يأمر به من أوامر، وينهى عنه من نواه، فهو من أجل التطبيق العملي والترجمة الفعلية، والشروع الفوري في نقل وتنفيذ ما عرفه المسلم، من الجانب النظري إلى التطبيق الفعلي في أرض الواقع وميدان الحياة، من أجل حياة سعيدة له وللآخرين، وآخرة السعادة فيها خير وأبقى. والله - جل وعلا - الذي خلق الإنسان ويعلم:

﴿مَّا مَوْصُوفٌ بِغَفْلَةٍ﴾

(ق: ١٦)

ويعلم أيضاً أن: «القلوب إذا كملت عميت»، وارتضى الوسطية لهذه الأمة الوسط، فكما فرض على الأمة المسلمة الجهاد والعبادات، لم يرض عليها بما يؤنس وحشتها، ويجدد لها نشاطها وإقبالها على الحياة، ويرودها بالطاقة والقدرة على مواصلة السير في دروبها الوعرة، وهو القائل سبحانه:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

(البلد: ٤)

ولذا فقد منحها هذين اليومين - يوم الفطر ويوم الأضحى - تفرح فيهما الفرح المشروع، ويربط بين هذه الفرحة وبين ما أنعم الله به عليها من توفيق لأداء صيام أو حج أو ذبح وتضحية لله تعالى شكراً له، وإحساناً إلى النفوس المحرومة، وسعياً



والفداء، لنستخلص منها دروساً غالية، وقيمة عالية، ومثلاً جديرة بالناسى والاحتذاء.

فتتلخص حكمتا عيد الأضحى، كما يبين الدكتور أحمد زكى، فى الحج والأضحية، وبهما تتألف القلوب بين الشعوب بالاجتماع، وموعد ذلك المسجد الحرام وما حوله من شعائر، ثم تأليف القلوب بين طبقات الناس بالصدقة، وموعد ذلك كل بقعة فى الأرض. ولهذا العيد فوق ما اختص به من أنه عيد الحج وعيد الأضحية، صفة كل عيد. إذ العيد وقفة من وقفات الزمان، يقف لها السائر ويقعد القائم ويفرغ المشغول. ويضع صاحب القلم قلمه، وصاحب المعول يلقى بمعوله، ويترك صاحب المبرد مبرده. وهم يفرغون من أمور الحياة ليشتغلوا بأفوار العيد. وهى - بعد العبادة - بث الفرح وإشاعة السرور حيث ما قدر الإنسان فى البيت وبين الأهل وعند

الجوار والجبر ان کا علمی قدر طاقتہ

أما الامتحان الذي تعرض له أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وابنه سيدنا إسماعيل عليه السلام، وتوجحا فيه بمراتب الشرف العليا، مناسبة غالية على الإسلام والمسلمين، بل وانتصار حقيقي للمثل العليا للإنسانية، في سعيها الدائب والحثيث، نحو بارئها وخالقها، طاعة وعبادة وحباً، وتضحية بكل غال ونفيس، حتى وإن كان نفس المرء التي بين جنبيه، إيثاراً لما عند الله تعالى، فما عند الله خير وأبقى. كما أن نهايتها السعيدة جذيرة بالاحتفاء والاحتفال، ومن ثم فهي تعتبر في حد ذاتها عيداً، وإنها كذلك عيد وأى عيد!

يقول د. كامل الباقري: إن الناحية في قصة الغداء والباحث في آية الذبيح، يخرج منهما بعير، وأى غير، ويستخلص منهما صورا، وأى صور. فالقصة على ما

فبيها من المظهر المادى، تؤدى من الدلالات
الروحية، والمفاهيم المعنوية، ما يجعلها تحتل مكانها
بين أخلد القيم التى عرفها التاريخ ووعتها الإنسانية.
فالتضحية فضيلة من الفضائل الإنسانية، تدعو لها
شرائع السماوية، وتحث عليها القوانين الوضعية.
فالدولة الحديثة تقوم على أسس من التضحية
واضحة، فكل مواطن عليه أن يضحي بشيء من ماله،
وشىء من جهده، بل عليه أن يضحي بكل ما يملك من
حياته، إذا ما دعا داعى الواجب، ودق ناقوس الخطر.
والتضحية هنا من أجل فكرة، ومن أجل غاية ومن
أجل مبدأ. وهى بهذا المعنى ينبغي أن تتوافر للأفراد،
كما تتوافر للجماعات، فالمجتمعات المختلفة،
والجماعات المتنافرة، لن يلتقى جمعها، ولن يلتم
شمليها، إلا إذا آمنت بهذه الفضيلة، وعملت على
التخلص من أكنار الأنانية البغيضة، وشوائب الأثرة
المقنية، ونسيت فى سبيل الفكرة الصغائر التى تهوى
بالإنسان ولا ترتفع به، وتحط بمعاييره ولا تسمو بها.
ولكى يتحلى الإنسان بفضيلة التضحية، لابد أن يكون
شجاعا نبىلا فى خلقه، كما برز إسماعيل النبى فى
قصته مع أبيه إبراهيم عليهما السلام على أن معنى
التضحية يكبر، ومذلولا يعظم، كلما كان الثمن الذى
يدفعه الإنسان غالبا. وهل ثمة شىء أغلى من الروح،
وأسمى من النفس، التى جاد بها إسماعيل فى عزيمة
وقوة ورباطة جأش؟ فحينما أخبره أبوه إبراهيم -
عليهما السلام - أنه رأى فى المنام أنه يذبحه، وروى
الأنبياء حق، فماذا كان جواب إسماعيل؟ ولنتطرق إلى
جوابه مما حكاه القرآن على لسانه:

﴿قَالَ يَبِيتُ أَفْكُلُ مَا أُكْرِمُكَ إِنِّي أَشَدُّ الظَّالِمِينَ﴾
(الصافات: ١٠٢)

ولم تكن تضحية النبي إبراهيم بأقل من تضحية
فلذة كبد إسماعيل، الذي رزقه وهو شيخ كبير،
حينما هم بذبحه بيديه، امتثالاً لأمر الله تعالى.
فماذا كان جزاؤهما من الله تعالى؟ لقد فرج الله
همهما، حينما رآهما ينجحان في هذا الابتلاء
العظيم، حيث يقول عز من قائل:

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ آيَاتٍ لِّعِبَادِكُمْ فَاصْبِرُوا فِيهَا

(المصافات: ١٠٧)

ثم يثنى عليه ربه ويدعوه وييسره أيضا بولد فان
هو اسحاق، فيما جاء بسورة الصافات:

﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ ۖ إِنَّهُم مِّنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَبَشَّرْنَا لَهُمُ يَسَّاءَ ابْنَتَنَا الصَّالِحِينَ ۖ ﴾
(الصافات: ١٠٩: ١١٢)

وهكذا يبرز للوجود الدرس الذي تلقاه العالم،
ويذكره المسلمون في هذه المناسبة، وما أحمله
من درس، وما أروعها من ذكرى إذ التضحية التي
تلخصها هذه الذكرى التي نستعيد بها مع إطلالة هذا
العيد، هي التي تنقص عالم اليوم، وتعوز قيمه، وتهز
معايره فلا يزال الصراع في كل مكان، والجشع
في كل أرض، والأنانية تطل بوجهها الكالح،
فتلهب النار، وتقذف بالأوار. فلو أن دول اليوم
أدركت معنى التضحية كما تصورها هذه الذكرى،
ونفضت عنها الأنانية التي تدفعها للتوسع والتغول
لاختفى الشر وانتشر الخير وعم السلام.

فى الحقل

حديث
عن
الحج

للدكتور / محمود عمارة

تمهيد

قال رجل لابن سيرين:
رأيت أنى أودى فريضة الحج.

قال له: ستحج!

فلما سئل نفس السؤال من رجل

آخر قال له: تب من ذنبك!

فلما قيل له فى ذلك قال:

رأيت الصلاح على الأول،

فتذكرت قوله تعالى:

﴿وَلَذِينَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾

(الحج: ٢٧)

ورأيت الطلاح على الآخر..

فتذكرت قوله تعالى:

﴿لَهُ أَذُنٌ مُّؤَذِّنٌ يَتَّبِعُكَ إِذَا مَكَرْتَ تُشْرِقُونَ﴾

(يوسف: ٧٠)

وهكذا.. عندما تشرق شمس

الإيمان فى قلب الإنسان تمر على

اللسان فصوص الحكم.

(١) ذكره الزعزعى فى «الذائق فى غريب الحديث» ١/٣٧١.

للأرض. وأن هذه إشارة علمية لكل من أراد أن يتذكر..

قال صاحبى الفلاح: يتذكر ماذا؟

قلت: يتذكر أن مكة هى: مركز الأرض وقلب البلاد، بمعنى أنها وطننا الأول الذى لامس ترابه أجسامنا:

فنحن نحن إليه، والعود إليه وليس الخروج منه وهو الذى يجب أن يكون، وإذن: فهذه الطبول التى تدق،

وهذا الغناء الذى يتردد فى جنبات الوادى، ما كان يبغي أن تكون، وإنما وقتها هو: عندما يعزم «الحاج»

على الحج: لأنه فعلا عائد إلى وطنه الذى منه نشأ، ومن ثم فالحج إليه دافق، أما العود منه فهو ما تأباه القطرة

المتعلقة أساسا بوطنها الذى نشأت منه!!

وهكذا: تبدو مكة المكرمة هى وطننا الذى يجب أن نشد الرجال إليه، والخروج منه هو خروج من الوطن،

إلى الاغتراب.

وهذا ما فطن إليه الحسن البصرى - رحمه الله -

لقد كتب رسالة إلى صديقه عبدالرحمن بن أنس الرمادى، وكان يسكن مكة المكرمة، وكان له

فضل دين وذكر ولم يكن له فى الدنيا عمل إلا عبادة الله تعالى.

لكنه أراد الخروج من مكة إلى اليمن، فلما علم الحسن بهذا كتب إليه عاتبا ناصحا، فقال له:

«حفظك الله يا أخى بما حفظ به أهل الإيمان، ووقاك المكروه، ووفقك للخيرات، وأتم عليك

النعم فى كل الأمور، وجمعنا وإياك فى دار السلام فى جوار الرحمن: فإن ذلك بيده، ولا حول ولا

قوة إلا بالله العلى العظيم.

اعلم يا أخى - أبقاك الله تعالى - أنه بلغنى أنك قد أجمعت رأيك على الخروج من حرم الله تعالى وأمنه،

والتحول منه إلى اليمن.

والى والله كرهت ذلك وغمنى واستوحشت من ذلك وحشة شديدة، إذ أراد أن يزجرك من حرم الله تعالى ويستزلك!

فيا عجباً!! من عقلك إذ نويت ذلك فى نفسك، بعد أن جعلك الله من أهله، ولو أنك حمدت الله تعالى

على ما أولئك وأبلاك فى حرمه وأمنه، وصبرك من أهله، لكان الواجب عليك شكره أبدا ما دمت حيا،

ولكنت مشغولا بعبادة الله عز وجل أضعاف ما كنت عليه: إذ جعلك من أهل حرمه وأمنه، وجيران بيته.

وإياك... ثم إياك والقلق والضجر، وعليك بالصبر والصمت والحلم فإنك تغلب بهن الشيطان الرجيم.

إياك ثم إياك والخروج منها والانعراج عنها، فإنك فى خير أرض، وأحب أرض الله تعالى إليه وأفضلها

وأعظمها قدرا، وأشرفها عنده.

ففسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياك للخيرات، فإنه الحنان الشان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ولقد كان الحسن البصرى داعيا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

فقد كان يدرك تماما مدى تعلق صديقه، بوطنه اليمن ومن ثم لم يلجأ إلى سياسة الضغط سبيلا إلى تحقيق

وجهة نظره، ولكنه استعان بالحكمة التى كان منها ما ذكره من فضائل مكة المكرمة، وذلك قوله:

اعلم يا أخى أن الله تعالى فضل مكة على سائر البلاد، وأنزل ذكرها فى كتابه العزيز فى مواضع

عديدة منها قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا

وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ فِيهِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَمِنَ حَقِّكَ

كَانَ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَن يَدْعُوا بِهِ قُلُوبَهُمْ

(آل عمران: ٩٦، ٩٧)

وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ قَالَ رَبُّهُ رَبِّ اجْعَلْ لَنَا بَلَدًا أَيْتًا وَآرَاقًا
أَهْلًا مِنْ الشَّعَرِ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ بَاهُوَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

وقال تعالى: (البقرة: ١٢٦)

﴿لَا تَقْضُوا أَلْفَاظَ يَوْمِكُمْ وَلِيُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ بِرِزْقِهِمْ وَلِيُطَوِّفُوا فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾
(الحج: ٢٩)

وهو نفسه التقدير الذي اعترف به مراد هرقمان في كتابه «الرحلة إلى الإسلام» قال:

«لقد ارتدينا إحرامنا الأبيض البسيط ودخلنا إلى المسجد الحرام ووجدنا أنفسنا نقابل الكعبة المشرفة «زادها الله تشريفا وتعظيما»، وهي تقع في وسط ساحة المسجد الحرام الداخلية الواسعة، ولعل هذه لحظة من لحظات العمر يصعب حتى على المسلم أن يحلم أو يفكر فيها قبل حدوثها، ويصاب الناظر بخيبة أمل كبيرة عندما ينظر لأول مرة إلى معلم طبيعي أو ذى هندسة عمرانية خاصة تعرض عليه من خلال الصور والأفلام، إلا أن الأمر مختلف في هذه الحالة.

لن نجد أى ضجيج تجارى وتسويقى حول هذا المسجد، بل وليس هناك أى جو من التقديس الحار أو السحرى الهائل، كل ما يحيط بهذا المسجد مضى، ومحترم وتلاحظ فيه أعلى مقاييس علم الجمال.

ويلاحظ أن حشود الحجاج الكبيرة ليست صاحبة ولا طاغية بأى حال من الأحوال، بل على النقيض من ذلك تراهم يؤدون صلاتهم بتناسق وانسجام، يؤدون الصلاة بصمت تام يحمى خصوصية كل شخص من المصلين، ويطوف حول الكعبة المشرفة عشرة آلاف حاج وزائر بصمت وهدير وسكينة، ولعلك تلاحظ آثار ذلك على النفس وكأنه «تنويم مغناطيسى».

لقد استمتعا بالشعور الرائع الذى شعرنا فيه بالترحيب بنا وأنا آمنون تماما بين إخواننا المسلمين، وأدركنا حقيقة ماذا تعنى عبارة «السلام عليكم»، حيث إنها كانت متحققة تماما فى هذا المكان، لقد لمسنا هناك العزة والكرامة، والجمال والبهاء، والإيمان والنظرة العالية الحقيقية إلى الأمور، لقد شعرنا بأننا ذرات من هذا الكون الفسيح المترامى الأرجاء، نعم، تخفى فى مكة الفوارق العنصرية، وخلال الصلاة فقط كنت أتمكن من رؤية الأقدام الملونة من غيرها لأدرك أن جميع الألوان والأجناس البشرية من جميع القارات مجتمعة هناك.

إن الكعبة المشرفة وهى بشكلها ذى الأبعاد الثلاثية، وبساطتها الواضحة المعبرة، هى الجواب الذى يقدمه الإسلام للبحث عن رمز بصرى حى عن الكمال الإلهى. وتتل الكعبة المشرفة «نقطة ساكنة»، كما أنها تعتبر قبلة يتجه إليها المسلمون فى صلاتهم، وهى المرسة الرمزية للدين عالمى يدرك بشكل منقطع النظير أن الله تعالى ليس فى «الغرب»، كما أنه ليس فى «الشرق» وأنه تعالى لا يحده زمان ولا مكان.

وبعد أن أكملنا طوافنا سبعة أشواط حول الكعبة المشرفة، حيث كانت السماء تتلألأ بالنجوم، وقفنا عند «الحجر الأسود» الذى وضعه محمد ﷺ بيده الشريفة فى ركن الكعبة المشرفة فأصبح منذ ذلك الحين مكانا شريفا يقبله المسلمون ويذرفون عنده الدموع.

موقف الخصوم

وقد أدرك الخصوم ما للكعبة المشرفة من قداسة، وما يشع منها من آيات تؤكد أن هذا الدين حقا من عند الله، فشمروا عن ساعد الجحد، فماذا فعلوا؟!

حينما قرأ المستشرقون هذه الأحاديث النبوية الشريفة ظنوا الحجر الأسود قطعة من البازلت الذى جرفته

حفر الاتفاق حول مكة المكرمة، حين أدرك العاملون فى حفر تلك الاتفاق أن الماء يتدفق من تشققات شعيرية دقيقة فى الصخور التبلورة تمتد لمسافات بعيدة خارج حدود مكة المكرمة وفى جميع الاتجاهات من حولها، وهذه الملاحظة تؤكد وصف المصطفى ﷺ لهذه البئر المباركة بأنها تنبعث عن طريقة شديدة وصفها بقوله الشريف: «هى هزومة جبريل وسقيا الله لإسماعيل»^(١)؛ لأن الهزيمة فى اللغة هى الطريقة الشديدة.

وبئر زمزم هى إحدى الآيات المادية الملموسة الدالة على كرامة المكان ويصف رسول الله ﷺ ماءها بقوله «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم»^(٢)، وقوله «ماء زمزم لما شرب له»^(٣).

وتبقى «مكة المكرمة» سيلا إلى قلوب الآخرين بما حفلت به من آيات منها:

● أن أعدادا كبيرة من الأنبياء والصالحين مدفونون فى الحرم المكى:

فعلى سبيل المثال يذكر أن سيدنا إسماعيل عليه السلام، وأمه السيدة هاجر «رضى الله عنها» مدفونان فى حجر إسماعيل، ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فى مسجد أخيف قبر سبعين نبياً»^(٤)، ويروى عن سعد بن أبى وقاص «رضى الله عنه» قوله عن الحرم الشريف: «لو كنت من أهل مكة ما أخطأتنى جمعة لا أصلى فيه، ولو يعلم الناس ما فيه لضربوا إليه أكباد الإبل»، وقال مجاهد: «حج خمسة وسبعون نبيا كلهم قد طاف بهذا البيت وصلى فى مسجد منى».

● وفى قوله تعالى:

﴿وَمَنْ ذَكَرَ بَيْتَنَا﴾

(آل عمران: ٩٧)

السيول من الحرات المجاورة وألقت به إلى منخفض مكة المكرمة.

ومن أجل إثبات ذلك استأجرت الجمعية الملكية الجغرافية البريطانية ضابطا بريطانيا باسم ريتشارد فرانسيس بيرتون Richard Francis Burton جاء إلى الحجاز فى هيئة حاج أفغانى، وذلك فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى «١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م» بهدف سرقة جزء من الحجر الأسود والقرار به إلى بريطانيا، وبالفعل تم له ذلك، وبدراسة العينة المسروقة ثبت أنها من أحجار السماء؛ لأنها تشبه أحجار النيازك، وإن تميزت بتركيب كيميائى ومعدنى خاص، وكان هذا الاكتشاف سببا فى إسلامه، وقد سجل قصته فى كتاب من جزئين بعنوان «رحلة إلى مكة A Journey to Mecca» وتوفى بيرتون فى سنة ١٨٩٠م / ١٣٠٨هـ.

مسئولية الأمة

وتبقى الأمة الإسلامية مسئولة مسئولية مباشرة عن العود إلى الوطن الأم لتجلى للناس أن هذا الدين حقا من عند الله، وهذا ما يقرره العلماء الذين قالوا: «وفيما يروى عن رسول الله ﷺ قوله: الركن والمقام من الجنة»^(٥) وقوله: «الحجر والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة»^(٦).

بئر زمزم آية من آيات الحرم المكى

إن تدفق الماء من بئر زمزم على مدى أكثر من ثلاثة آلاف سنة من قلب صخور نارية ومتحولة شديدة التبلور هو أمر لافت للنظر، على الرغم من طمرها وحفرها لعدة مرات، ولم يعرف مصدر هذا الماء المتدفق إلى البئر إلا بعد

(٢) صحيح ابن خزيمة رقم ٢٧٣١، الحاكم فى المستدرج ج ١، ص ٤٥٦

(٤) سنن الدارقنى

(٦) سنن ابن ماجه ج ٢، رقم ٣٠٦٢

(٣) كنز العمال، رقم ٣٤٧٤٣

(٥) المعجم الكبير للطبرانى ج ١١، ص ٩٨، مجمع الزوائد ج ٢، ص ٢٨٦

(٧) مجمع الزوائد للهيئى ج ٣، ص ١٩٧

رأى المفسرون في هذا النص القرآني الشريف التأكيد على أمن من دخل إلى الحرم المكي على اتساع مساحته، فكل من دخل في هذا الحرم صار آمناً على نفسه، مطمئناً على ماله، ولو كان مطلوباً للشار ولاذ به، كان ذلك في الجاهلية، من بقايا إجلال الناس لهذا المكان الذي كرمه ربنا - تبارك وتعالى - وفضله على جميع الأرض، وجعله أشرف بقاعها على الإطلاق، أما اليوم فمن افتقر جرماء فيه من جرائم الحدود أقيم عليه الحد.

وفي أثناء الفتح الإسلامي لمكة المكرمة أمر رسول الله ﷺ ببناء بئري: «من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»^(٨).

وأشار بعض المفسرين إلى أن الأمن في الحرم المكي ليس للإنسان فقط، بل هو أيضاً للحيوان والنبات، فقد حرم رسول الله ﷺ أن يعضد شوكه، أو يقطع حشيشه، أو يقطع شجرة أو ينقر صيده، أو أن تلتقط لقطته إلا من عرفها.

وقد لاحظ المراقبون أن الحيوانات الضارية لا تصطرح في الحرم المكي، ولا يؤذى بعضها بعضاً، بل تتخاطب من الحيوانات ما تعودت على الفتراسه خارج الحرم المكي، ولا تعرض له فيه أبداً.

ويروى لنا التاريخ أن كل جبار قصد الحرم المكي بسوء أهلكه الله، ولم يمكنه من ذلك، كما حدث مع أصحاب القيل، وربنا تبارك وتعالى يقرر حمايته لبيته

العتيق بقوله عز من قائل:

﴿وَمَنْ يُدْخِلِ الْحَرَامَ يَكُنْ فِيهِ ثَلَاثَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾

(الحج: ٢٥)

وتحقيقاً لهذا الوعد الإلهي تعجل العقوبة لمن انتهك حرمة في الحرم المكي، لذلك قال المصطفى ﷺ: «الدجال يطوى الأرض كلها إلا مكة والمدينة»^(٩)، وقال ﷺ: «يوم فتح مكة: لا تغزى مكة بعد هذا العام أبداً»^(١٠).

ومن الشواهد العلمية على أمن الحرم المكي ما يلي:

(١) حماية مكة المكرمة من الهزات الأرضية والثورات البركانية:

على الرغم من افتتاح قاع البحر الأحمر بخسوف أرضية عميقة، واتساع هذا القاع بمعدل ١ - ٣ سنتيمترات في كل سنة «تقاس عند باب المدب»، وعلى الرغم من تحرك الجزيرة العربية ككل في الاتجاه الشمالي الشرقي «أي في عكس اتجاه عقرب الساعة» متباعدة عن القارة الأفريقية، وعلى الرغم من السجلات الزلزالية المدونة، والثورات البركانية العنيفة التي تركت طفوحاً هائلة من الحمم والرماد البركاني في المنطقة والتي تقدر بنحو ٢٥٨٦ حدثاً زلزالياً تقدر قوتها بقدر يتراوح من ٣,١ إلى ٦,٧ درجة على مقياس ريختر خلال الفترة من سنة ٦٢٧م إلى ١٩٨٩م، وما تلا ذلك من زلازل حتى سنة ١٩٩٦م بلغ قدر أعلاها ٦ درجات على مقياس ريختر «أو فوق ذلك قليلاً» وامتدت من

البحر جنوباً «مثل زلزال دمار الذي حدث في ١٢/١٢/١٩٨٢م» إلى العقبة شمالاً، فلم تسجل هزة أرضية واحدة في الحرم المكي كله الممتد من وادي الشبيسي غرباً «على بعد ١٥ كم من مكة المكرمة»، إلى الجعرانة شرقاً «على بعد ١٦ كم» ومن أضاء جنوباً «على بعد ١٢ كم» إلى التميم شمالاً، على بعد ٦ كم، وإلى وادي نخلة في الشمال الشرقي من مكة المكرمة على بعد ١٤ كم، وذلك على الرغم من وقوع زلزال في المدينة المنورة سنة ١٢٥٦م، صاحبه ثورة بركانية عنيفة وعلى الرغم من وجود أكثر من تسعين ألف كيلو متر مربع من الطفوح البركانية وآلاف الفوهات البركانية على أرض الحجاز.

(٢) توسط مكة المكرمة لليابسة: وإثبات وجود الأرضين السبع كلها في أرضنا انطلاقاً من حديث سيد المرسلين «عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم» الذي قال فيه: «من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه حسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»^(١١). ومن دراسات التركيب الداخلي للأرض ثبت أن أرضنا مكونة من سبع أرضين متطابقة حول مركز واحد يغلف الخارج منها الداخل.

كل ذلك يؤكد لنا أن الأرض في مركز الكون، وأن الكعبة المشرفة في مركز الأرض الأولى، ودونها ست أرضين، وحولها سبع سماوات، والكعبة تحت البيت المعمور مباشرة، والبيت المعمور تحت العرش، هذا الموقع المتميز للحرم المكي أعطاه من الشرف

والكرامة، والبركة والعناية الإلهية ما جعل من هذا الوصف القرآني: «ومن دخله كان آمناً» حقيقة مدركة ملموسة لأنه دخل في أمان الله وظل عرشه، وهل يمكن أن يضام من نال شرف الوجود في هذا المكان؟

من هنا كان اختيار الحرم المكي ليكون أول بيت عبد الله تعالى فيه على الأرض، وليكون قبلة للمسلمين ومقصداً لحجهم واعتماهم، وجعلت الصلاة فيه بمائة ألف صلاة، والحسنة فيه بمائة ألف حسنة، لذلك قال رسول الله ﷺ: «في حق مكة المكرمة عشرات الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد خصوصية المكان، ومكانته عند الله سبحانه وتعالى، ومنها قوله «عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم»: «هذا البيت دعامة الإسلام من خرج يوم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده أن يردّه بغنيمة وأجر»، «رواه ابن جريج عن جابر رضي الله عنه»^(١٢).

فسيحان الذي اختار مكة المكرمة موقعاً لأول بيت عبد في الأرض، واختاره بهذه المركزية من الكون، وغمره بالكرامات والبركات، وقرر أن من دخله كان آمناً، وهذه حقائق ما كان للإنسان أن يدركها لولا نزول القرآن الكريم، وحفظه بلغة وحيه يحفظ الرحمن الرحيم، فالحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على نعمة القرآن، والحمد لله على نعمة مكة المكرمة، والحمد لله على بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

(١١) بداية ونهاية ج ١، ص ١٩، الحارثي للتأري السرخسي ج ١، ٢٢٤، ٢٢٥.

(١٢) المطالب العالمة لابن حجر ج ١، ص ٣٢٥ برقم ١٠٩١.

(٨) مست أحمد ج ٢، ص ٢٩٢، ٥٣٨.

(٩) ابن أبي شيبة ج ١٢، ص ١٨٩.

(١٠) مست الحميدي ٥٧٢، مست الإمام أحمد ج ٣، ص ٤١٢.

صور من الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

تعددت أوجه الإعجاز واتسعت مجالاته في القرآن الكريم، بما يؤكد أن هذا الكتاب الرياني الأسنى، إنما نزل ليكون كتاب البشرية كلها، فلم يكن لطائفة دون طائفة ولم يكن لعصر دون آخر، وإلى أن تقوم الساعة.

ولما علم الله أولاً أن هذا القرآن سينزل ليقود البشرية كلها، اختار له أمة العرب وأعدّها الإعداد اللازم لحمل هذه الأمانة الثقيلة: نفسياً وجسماً وعقلياً، وهياها لمعرفة قدر هذا الكتاب من بين سائر الكتب الأخرى سماوية كانت أو أرضية، ووهبها نعمة البيان، الذي لم تذق حلاوته أمة غيرها قبلها أو بعدها، لأنه - عز شأنه - جعل هذا البيان أول معجزة ظهرت له أمام البشرية كلها، وكان المفتاح الأول الذي فتح الله به قلوباً

غلغفا وأذاناً صمّاً وأعينا عمياً لمعرفة أن هذا الكتاب جاء من عند الله - تبارك وتعالى - ولذلك كانت الأمة العربية جديرة بأن تكون في شرف استقباله من بين سائر الأمم، وأن تكون أذنّها أول من يسمع هذا النداء العلوي الكريم. آمن بهذا القرآن من آمن، وكفر به من كفر.. ولم يكن كفر هؤلاء إلا بسبب حقدهم على صاحب الدعوة الكريم ﷺ ولذلك وقفوا منه موقف العداء الشخصي، حتى قالوا:

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولٍ مِنْ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾

(الزخرف: ٣١)

والإشارة هنا - كما يقول البيانون وفي هذا الموضع - تفيد تعظيم المشار إليه، وهو القرآن الكريم!! أما هذا القرآن فقد تحداهم وأعجزهم، وسجل ذلك عليهم في كثير من سورة المباركات.

واستمر الحال على هذا الوضع طيلة حياة النبي ﷺ وشطراً كبيراً من الزمن بعد رحيله - عليه السلام - وبلاغة القرآن وبيانه الرائع هو المعجزة التي انحت أمامها أعناق العرب قاطبة سواء من آمن منهم ومن كفر!!

ثم بعد ذلك بقرون طويلة جاءت العلوم المختلفة، وتعددت مصادرها واتجاهاتها، وتراكت نتائجها إلى أن جاء ما اصطلاح على تسميته «الإعجاز العلمي في القرآن» بأبعاده المختلفة: فمنه البعد المكاني، والبعد الزمني، ومنه البعد النفسي، ومنه البعد الطبي، ومنه البعد التناسلي، ومنه البعد التاريخي.. ولا تزال قرائح البشرية وأبحاثها العلمية تنتج كل يوم الجديد تلو الجديد، مما يدفع إلى المزيد والمزيد من دراسة هذا القرآن وتقرير آياته.

وإننا اليوم - وفي هذا المقال - سنقف أمام بعض

صور الإعجاز التاريخي في القرآن الذي يشتمل على الكثير مما وردت الإشارة إليه في هذا الكتاب الرياني الأسنى، وبخاصة قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وكيف عاقبهم الله - عز وجل - العقاب الذي يستحقه كل فريق منهم:

﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّسُولُ مِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاجِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَالْكَافِرِينَ أَفْسَهِمْ يَخْلَوْنَ﴾

(العنكبوت: ٤٠)

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَحْنُ عَلِيمٌ﴾

(هود: ١٠٠)

ذكر القرآن الكريم قصص بعض الأنبياء، بعد أن بث في أحداثها الحياة، وكأنه ينتزعها من بين برائن الماضي السحيق انتزاعاً، ليعود إلى الحياة من جديد، أو كأنه ينتقل بالقارئ ذاته إلى آلاف القرون التي مضت لي شاهد أحداثها واحدة بعد واحدة، لتكون العظة أبلغ، والعبرة أنفع، ومن هذه القصص: قصة نوح - عليه السلام - أبي البشر الثاني مع قومه، وقصة موسى - عليه السلام - مع فرعون وقومه، وقصة «عاد إرم» التي أرسل الله إليها هوداً - عليه السلام -

ونحن حينما نذكر هذه القصص أو نشير إليها، لا نههدف إلى ذكر أحداثها، فهي معروفة من جانب، وليس هذا أو أن تحليلها من جانب آخر، وإنما سنقف منها أمام ما يتعلق بالجانب التاريخي.. وكيف أثبتت الدراسات العلمية والأبحاث الجيولوجية صدق القرآن الكريم فيما أخبر به عن هذه الأمم السابقة!! والعجيب الذي لا نمل الإشارة إليه، أن كل هذه الإعجازات العلمية بكافة أبعادها، لم تظهر إلا على يد أعداء هذا القرآن، وهو ما يعد تطبيقاً عملياً لقول الله - عز شأنه -

﴿سَرِينَةُ بَرِيَّتِي فِي الْأَنْفِ وَقَفِ أَنْفِهِمْ حَتَّىٰ نَجْعَلَ مِنْهُمُ الْقَحْبَةَ﴾

(فصلت: ٥٣)

قال تعالى في محكم التنزيل وهو يحكى قصة نوح عليه السلام مع قومه:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي نَوَاءَكَ وَاسْكُنَا أَهْلُ الْغِيَا وَغِصَّ النَّوَاءُ وَخِصَّى الْأُمُورَ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ٤٤)

ففى هذه الآية الكريمة: نرى الإشارة لحقيقتين تاريخيتين، لم تكتشفهما البشرية إلا منذ سنوات قليلة، وهاتان الحقيقتان تتعلق

إحداهما بالأخرى إلى حد كبير، وهما طبيعة الماء الذى حمل سفينة نبي الله نوح - عليه السلام - ومصدر هذا الماء.. وحقيقة الجبل الذى انتهت إليه مسيرة هذه السفينة.

أما عن الحقيقة الأولى، فلقد كان من المعتقد وإلى عهد قريب جداً أن الماء الذى حمل هذه السفينة هو ماء البحر المالح، الذى فاض من المحيطات والبحار، حتى أغرق الكرة الأرضية كلها فى هذا الحدث التاريخي الجلل، ومن ذكر هذا رأى وقال به، العالمان الأمريكيان «ويليام ريان» و«ولتر بنمان»، وهما من أبرز علماء الفيزياء الأمريكيين، وقد ذكرا ذلك فى كتابهما «طوفان نوح» الذى ألفاه فى عام ١٩٩٨م، وقد أكد الكاتبان الأمريكيان رأيهما هذا بقولهما: «إن هذا الحدث قد تم قبل ٧٦٠٠ سنة حين أدى ارتفاع منسوب الماء فى البحار والمحيطات إلى اندفاع هذا الماء المالح من البحر الأبيض المتوسط عبر وادى البوسفور ليدمر كل شيء مر به، ويؤدى إلى عدد من الهجرات البشرية الكبيرة.

وهذا رأى لا يلتقى مع قول الله - عز وجل - فى سورة هود:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي نَوَاءَكَ وَاسْكُنَا أَهْلُ الْغِيَا﴾

(هود: ٤٤)

ولا يتوافق مع قوله تعالى:

﴿فَفُتِحَتِ السَّمَاءُ وَأُمْدَادُهَا مَطَافُهَا الْأَرْضُ عُيُونُهَا أَنْعَامُهَا عَلَى الْفَنَاءِ وَخَلَّتْ عَلَيْهَا الْقَارِعُ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

(القمر: ١١: ١٤)

فمصدر الماء كما تقرر الآيات المباركات إنما هو الأرض والسماء، وليس البحار والمحيطات كما يزعم العالمان الأمريكيان، وطبعاً أن الماء النازل من السماء، والماء الذى يتفجر من باطن الأرض لا يكون ملحا وإنما هو العذب القرات، فماذا قالت الاكتشافات العلمية الحديثة فى هذا الشأن؟

لقد أكدت الاكتشافات العلمية لسفينة نوح - عليه السلام - وجود هذه السفينة فى أعلى قمة جبل الجودى مطمورة وسط سُمك هائل من رسوبيات الماء العذب التى تمتد من جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربى، مروراً بالمساحة الهائلة من أرض ما بين النهرين «دجلة والفرات».. وهو ما يؤكد حقيقة أن الطوفان كان بالماء العذب الذى هطلت به الأمطار الشديدة، وتفجرت به عيون الأرض، كما وصفت آيات القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة سنة.

أما كون السفينة قد انتهى بها المسير إلى جبل

الجودى، وهو الحقيقة التاريخية الثانية التى تنص عليها الآيات الكريمات فى قوله تعالى:

﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى﴾

فهو وجود هذه السفينة فى جبل الجودى فى تركيا، وليس فى بلاد الأردن كما كان يُعتقد فى الماضى وإلى عهد قريب، حيث أثبتت الدراسات الأثرية التى قام كل من: «مارتن روى» فى سنة ١٩٩٤م، و«تشارلس ويليس» فى سنة ١٩٨٠، و«جون مونتهجرى» فى السبعينيات من القرن العشرين أن بقايا السفينة موجودة فعلاً فوق جبل الجودى على بعد ٢٥٠ ميلاً إلى الجنوب الغربى من جبل أراط، وذلك بعد اكتشاف سفينة نوح - عليه السلام - وبقايا من أخشابها مطمورة فى رسوبيات من مياه عذبة فى قمة جبل الجودى بواسطة أحد رعاة الغنم من الأكراد واسمه «رشيد سرحان» فى منتصف شهر مايو من سنة ١٩٤٨م، وجبل الجودى يمثل واحدة من أعلى القمم فى سلسلة جبال جنوب تركيا، إذ يزيد ارتفاعه على سبعة آلاف قدم «أى حوالى: ٢٣٠٠م» فوق مستوى سطح البحر^(١)، وصدق الحق حين قال فى نهاية قصة نوح:

(١) حقائق مستخلصة من موقع الدكتور زغلول النجار «الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة» على شبكة الإنترنت.

﴿قَالَ مَنْ أَنَا فَقَالَ الْغَيْبُ فَجَاءَ الْيَدُ
فَأَنكَ تَخْلُقُ مَا تَشَاءُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ إِنَّكَ لَمُعْتَبَرٌ
فِي عَيْنِ رَبِّكَ﴾ (هود: ٤٩)

فرعون

ومما يشتمل عليه القرآن الكريم من صور الإعجاز التاريخي، ما جاء من أخبار فرعون، الذي أرسل الله إليه موسى - عليه السلام - وما انتهت إليه حياته من الغرق في مياه البحر الأحمر وهو يطارد موسى ومن آمن معه.. ونستعين في عرض هذه المعجزة التاريخية بما ورد في كتاب «القرآن والعلم الحديث» وكتاب «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم».. وهما للدكتور «موريس بوكاي»، والنص الذي سننقله من الأول، و«بوكاي» هذا من أشهر جراحى فرنسا في العصر الحديث، حيث كانت مومياء فرعون الخروج سبباً لإعلان هذا الرجل إسلامه، وسط حشد من أشهر أطباء العالم في فن الجراحة!!

وتبدأ القصة حينما استضافت فرنسا جنمان هذا الفرعون في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، وشكلت لجنة طبية برئاسة الدكتور «موريس بوكاي» لفحص هذا الجنمان، وعمل الإجراءات اللازمة لترميمه وحفظه من التلف، وأثناء إجراء هذه العمليات الكبيرة، كان الشغل الشاغل للدكتور

«موريس بوكاي» هو التعرف على الأسباب التي جعلت هذه المومياء دون غيرها من مومياءات الفراعين أكثر سلامة بالرغم من مرور هذه الآلاف من السنين. إلى أن ظهرت له بعض بقايا الملح العالق بها، مما يدل دلالة قاطعة على أنه مات غريقاً في مياه البحر، وقامت الأدلة القاطعة أيضاً على أنه لم يمكث في البحر طويلاً بعد أن غرق ولقظ أنفاسه، وإنما خرجت جثته إلى الشاطئ.. وقد عدّ «بوكاي» هذا اكتشافاً هائلاً يسجل له في صفحات الاكتشافات العلمية، باعتباره أول من تعرف على هذه الحقيقة التاريخية.

كان موريس بوكاي يعدّ تقريراً نهائياً عما كان يعتقد أنه اكتشافاً جديداً في انتشال جثة فرعون من البحر، وتحنيطه بعد غرقه مباشرة، حتى همس أحدهم في أذنه قائلاً: لا تتعجل فإن المسلمين يتحدثون عن غرق هذه المومياء.

ولكنه استنكر بشدة هذا الخبر، واستغربه، فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا بتطور العلم الحديث، وعبر أجهزة حاسوبية حديثة بالغة الدقة، فقال له أحدهم: إن قرآنهم الذي يؤمنون به يروى قصة عن غرقه وعن سلامة جثته بعد الغرق. فزاد دأباً ذهولاً، وأخذ يتساءل.. كيف يكون هذا، وهذه المومياء لم تكتشف أصلاً إلا في عام

١٨٩٨م أى قبل مائة عام تقريباً، بينما قرآنهم موجود قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام؟! وكيف يستقيم في العقل هذا والبشرية جمعاء وليس العرب فقط لم يكونوا يعلمون شيئاً عن قيام قدماء المصريين بتحنيط جثث فراعنتهم إلا قبل عقود قليلة من الزمان فقط؟

ثم سافر «موريس بوكاي» إلى المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر طبي يوجد فيه جمع من علماء التشريح المسلمين.

وهناك كان أول حديث له معهم، عما اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق، فقام أحدهم وفتح له المصحف، وأخذ يقرأ له قوله تعالى:

﴿فَالْيَوْمَ نَخْلَعُ بَدَنَكَ الْكِبَرَ
وَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾ (يونس: ٩٢)

وكان وقع الآية على هذا الرجل شديداً، ورُجّت له نفسه رجّة جعلته يقف أمام الحضور ويصرخ بأعلى صوته: «لقد دخلت الإسلام، وآمنت بهذا القرآن»!!^١

قصة عاد

ومن صور الإعجاز التاريخي في هذا القرآن، ما ورد عن قصة «عاد» قوم هود - عليه السلام - وهي ما عُرفت «بعاد إرم» ذات العماد. قال تعالى:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَعَذَابِي
عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْسَرًا فِي يَوْمٍ نَّخْسِفُ الْبُيُوتَ
أَنجَازًا نَّخْلًا نَّخْلًا فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَعَذَابِي﴾ (القمر: ١٨: ٢٢)

وقد قصّ الله قصة عاد هذه في كثير من سور القرآن الكريم منها: الذاريات - فصلت - الأحقاف - القمر - الحاقة - الفجر، وبدرجات متفاوتة من التفصيل والإجمال، وقد كان علماء التاريخ يشكّون في حقيقة هذه القصة، لأنهم لم يجدوا لهم أثراً على الإطلاق - كما يحكي الدكتور زغلول النجار في كتابه «من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم»^٢.. وفي رحلة

(٢) اقرأ كتاب «القرآن والعلم الحديث» للدكتور موريس بوكاي، من ص ٥ إلى ص ١١ وهذا الكتاب نص محاضرة ألقاها «بوكاي» في معهد الكومنولث البريطاني، يحكى فيها قصته مع القرآن الكريم، وكيف كان إعجازه العلمي سبباً في دخوله الإسلام. وقد ألف هذا الرجل عقب هذا الحادث كتابه الشهير «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم».. قارن فيه بين هذه الكتب السماوية الثلاثة في ضوء المعارف الحديثة، وأثبت فيه من خلال هذه المقارنة الراسخة صدق القرآن في كل ما أخبر به بخلاف ما استقر عليه الرأي العلمي المعاصر في التوراة والإنجيل، ولا يزال هذا الكتاب يُحدث دويّه الشديد في الأوساط العلمية والدينية في أوروبا.

(٣) ج ١ ص ٦٦، ٦٧.



موريس بوكاي

عن هذه المدينة قلعة ثمانية الأضلاع على أسوار المدينة، مقامة على أعمدة ضخمة عديدة يصنفها ربنا - تبارك وتعالى - بقوله - عز من قائل:

﴿إِذْ دَنَا الْعِمَادُ الْآلِيَّةُ يَخْلَوْنَ رِيشًا فِي الْبَلَدِ﴾ !!

فماذا كان يمكن أن يقول محمد ﷺ في هذا الشأن، لو أن القرآن من عنده؟ وماذا كان يمكن أن يعرف من نتائج هذه الكشوف العلمية التي تعددت فيها الوسائط المتقدمة والتي فاقت في قدرتها كل تصور، وهي كلها من مبتكرات الهزيع الأخير من القرن العشرين؟!

إن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الذي دخل في ميدان الدراسات القرآنية الحديثة، لهُو فتح جديد، أفاء الله به على البشرية، ليكون الرد المناسب على الفترعات أولئك الذين يزعمون أن هذا القرآن من عند محمد بغيه صرف الناس عنه، بعد أن رأوه يكسب كل يوم أرضاً جديدة في نفوس البشر وذلك بالرغم مما يناله المسلمون من أذى كثير، أخير الله به عز وجل منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان حين قال:

﴿لَتَبْلُوَنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فَاسْتَعِزَّزْنَ مِنَ اللَّهِ وَأَوَّلِيَّكَ﴾

﴿مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الرِّسَالَةِ كَذَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ﴾

﴿لَا تَذَكَّرُكَ مِنْ عَذَابِ الْأُمُورِ﴾

(آل عمران: ١٨٦)

من رحلات الفضاء، زود مكوك الفضاء بجهاز رادار له قدرة اختراق التربة إلى عشرة أمتار، وحين مرّ المكوك بصحراء الربع الخالي، صور مجرى لنهرين جافين، يندفع أحدهما من الغرب إلى الشرق، والآخر من الجنوب إلى الشمال، فانبهر الأمريكيون لأن الربع الخالي الآن من أكثر أجزاء الأرض جفافاً وقحولة، ومع ذلك كانت به أنهار جارية في الماضي غير البعيد...!!

وفي رحلة ثانية زودوا المكوك بجهاز رادار له قدرة اختراق أكبر، فصور مجرى النهرين وأنهما يصبان في بحيرة قطرها يزيد على أربعين كيلو متراً في جنوب شرق الربع الخالي، وصور المكوك بين مصبي النهرين، وعلى ضفاف البحيرة عمراناً لا تعرف البشرية نظيراً له في ضخامته، فجمعوا علماء التاريخ وعلماء الآثار وعلماء الأديان، وقالوا ماذا يمكن أن يكون هذا العمران؟ فأجمعوا على أنه قصور «إرم» التي وصفها القرآن الكريم بقول الحق تبارك وتعالى:

﴿إِذْ دَنَا الْعِمَادُ الْآلِيَّةُ يَخْلَوْنَ رِيشًا فِي الْبَلَدِ﴾

(الفجر: ٨: ٧)

وقالوا في تقريرهم: إن البشرية لم تعرف في تاريخها الطويل عمراناً في مثل ضخامة هذا العمران، فاكتشفوا حينما بدأوا في إزالة الرمال

بين الصحف

و

المجلات

للاستاذين / محمد جمعة - علا عبد الرحمن

إيمانيات وفد الله

تحت هذا العنوان كتب د. محمد داود في جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٦/١١/٢٠٠٨ م يقول: نعم المؤمن خلال مناسك الحج بإيمانيات وفيوضات، يتجلى الله بها على عباده، بداية من ترك المؤمن لكل شيء من دنياه، يترك أهله وماله وسلطانه، ويخرج الإنسان من الحياة التي يألفها ويرتدى ملابس كاكفان الموتى، تسقط معها عن الإنسان المظاهر الزائفة التي نتعالي ونشأخ بها ونتميز فيما يتنا، فالكل في زى موحد وهيئة واحدة ونداء واحد: «ليكن اللهم ليكن» ليعلن العبد أن خروجه للحج امتثال لأمر الله سبحانه واستجابة لنداء خليل الله سيدنا إبراهيم:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾

(الحج: ٢٧)

ويأتي المؤمن الطواف وتقبيل الحجر تعظيماً لأمر الله تعالى وطاعة لله، فمرة يقبل حجراً ومرة أخرى وحجر يقبل والأمر في الحالتين هو التعظيم والامتثال لأمر الله تعالى.

وهناك في عرفات تكون قمة التجليات الإلهية والفيوضات الربانية وأولها التجلي بالمغفرة والرحمة، ومع التقلب بين الأماكن المقدسة لإقامة مناسك الحج، تعود بنا الذكريات إلى ارتباط هذه المناسك وهذه الأماكن لمواقف إيمانية لسيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل، والسيدة هاجر - عليهم السلام - لتعلم أن طاعة الله - عز وجل - غالية، وأن أوامر الله أعلى من الأهل والولد والنفس، وأن الله إذا أقامك في مكان فلن يضيعك أبداً، وأنه ينسغي على المؤمن أن يتعلم السعي، وأن يترك

وجده لأمه الشيخ عبدالعزيز متولى، كان من كبار علماء الأزهر، وخاله أيضا الشيخ محمود متولى كان من علماء الأزهر.

أليست تلك بحق خسارة كبيرة، عزائنا فيها أن نحى تراثه وفكره وأن نسير على مناهجه وأمثاله من العلماء الصالحين المخلصين المتجربين لله. رحم الله فقيد الأمة العالم الشيخ محمد المسير رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

مستقبل السودان

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عبدالحسن سلامة مقاله المنشور في جريدة الأهرام بعددها الصادر في ٢٠٠٨/١١/١٢م قائلا:

منذ زيارة الرئيس جمال عبدالناصر لمدينة جوبا في جنوب السودان عام ١٩٦٢ لم يقم أى رئيس مصرى أو عربى بتكرار تلك الزيارة إلا حينما قام الرئيس مبارك بزيارته إلى السودان الشقيق، وتوقف أولا في الخرطوم عاصمة الشمال ثم ذهب إلى جوبا عاصمة الجنوب.

السودان دائما وأبدا في قلب كل المصريين ولن ننسى أبدا أننا ظللنا ولفترة طويلة دولة واحدة بإرادة الشعبين واختيارهما الطوعى، ولولا الاستعمار البغيض والأخطاء التى وقعت من هنا وهناك لظلت تلك الوحدة قائمة حتى الآن وجبت السودان مخاطر عديدة تربص به الآن لليل من وحدته وتفتيته إلى دويلات واستخدام تلك

الدويلات كرأس حربة ضد العالم العربى كله في إطار مخطط عام لتجزئة وتفتيت العالم العربى كله.

لا أحد يتكرر وجود مخططات خارجية داعمة لتقسيم السودان والبلدات ستكون في ٢٠١١ وهو العام المقرر للاستفتاء الذى ستحسم نتيجته مصر الجنوب، وما إذا كان سيستمر في السودان الموحد أم سيقسم دولة انفصالية، ولو حدثت الأخيرة فسوف تطالب دارفور بنفس المصير.

وهكذا يستدعى الأمر استراتيجية عربية داعمة للموقف المصرى في رؤيته للوحدة الطوعية لكل التراب السودانى من خلال دعمه اقتصاديا وسياسيا بحيث يصبح خيار الوحدة جاذبا لكل الأطراف بعيدا عن الشعارات أو الضغوط أو الوعد والوعيد.

السودان الشقيق في محنة ويحتاج إلى مساندة كل عربى مخلص ولا فسوف تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن العربية من المحيط إلى الخليج.

تصويت ضد بوش

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ صلاح منتصر المنشورة في جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٦م.

أخيرا باراك أوباما أول رئيس أمريكى أسود يدخل البيت الأبيض، ورغم أنها كانت نتيجة متوقعة في ضوء ٢٥٠ استطلاعا إلا أن التخوفات

ظلّت قائمة في أن يغير الناخب الأمريكى رأيه أمام عتادى الاقتراع، فانتخاب رئيس أسود أمر ليس سهلا على دولة حاربت نفسها من أجل ألا تكون للسود مكانة فى مجتمعهم مثل البيض، لكن الأمريكىين فعلوها أخيرا، ولم يفعل ذلك الأمريكيون السود الذين انتخبوا أوباما، فكل تعداد السود فى أمريكا أقل من ١٢ فى المائة من تعداد السكان وبالتالي فإن الذى انتخب باراك وحمله إلى البيت الأبيض هم الأمريكيون البيض.

ولم يأت نجاح أوباما سهلا رغم اكتساحه، فهو إذا لم يكن قد نجح فى هذه المرة فقد كان مستحيلا بعد ذلك أن يفكر أى أسود آخر فى الاقتراب من البيت الأبيض مستقبلا لمدة ١٠٠ سنة على الأقل.

لقد كانت معركة الترشيح داخل الحزب الديمقراطى فى حد ذاتها معركة شرسة واجه فيها أوباما شخصية عنيدة وقوية ومشهورة عالميا، ومن ثم كان تحديه لهيلارى كلينتون فى حد ذاته معركة لفتت إليه الأنظار.

ومن معركة هيلارى التى لفتت إليه الأنظار بدأ التطلع إلى المنافس الآخر جون ماكين الذى أساء اختيار نائبه وجاء بسيدة بلا مؤهلات، فأثبت من البداية عدم القدرة على إصدار القرار الصحيح فى الوقت الذى دل اختيار أوباما لنائبه على حسن الاختيار.

لكن أكبر عنصر ساعد بالتأكيد على نجاح أوباما

هو الرئيس جورج بوش وسجله التخريبى الذى حرك ملايين الناخبين الأمريكىين وجعل تصويتهم لصالح أوباما تصويتا فى حقيقته ليس ضد ماكين وإنما ضد بوش وسياسته التى انتهت بكارثة مالية.

مدرسة الإرهاب فى إسرائيل

تحت هذا العنوان كتب محرر الجمهورية فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٣١م قائلا:

لا يختلف أفيجنور ليرمان المتطرف الإسرائيلى الذى اعتاد مهاجمة مصر والفلسطينيين والعرب عموما مدفوعا بأوهام التفوق والعنصرية عن المتطرف اليهودى الذى اقتحم كنيسة القيامة فى القدس واعتدى على بعض رهبانها وهم فى ساحة العبادة، ولا عن السفاح اليهودى الذى اغتال جموع المصلين المسلمين وهم يستهلون إلى الله فى الحرم الإبراهيمى بالخليل.

يتسبب هؤلاء وغيرهم من الإرهابيين والمتطرفين الإسرائيليين لمدرسة نشأت فى أحضانها النظرية الصهيونية لتتغذى بأساطير مثل أرض الميعاد والهيكل الموعود، وتتآمر لاستئصال وجود العرب والفلسطينيين على أرضهم وسلب حقوقهم، وممتلكاتهم وإجبارهم على الفرار بالمذابح المروعة التى سجلها التاريخ باسم العصابات الصهيونية.

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

لفضيلة الشيخ / فوزي الزهزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

والأحكام، فإن العيب في الحقيقة ليس في هذه التشريعات وتلك الأحكام، وإنما العيب في عدم فهمهم لها الفهم الصحيح السليم. وموضوع حقوق المرأة في الإسلام، وتصور البعض أن الإسلام لم يعطها حقوقها كاملة، وأن الإسلام فضل الرجل على المرأة، وأن الإسلام أهان المرأة وأهدر كرامتها، فقد أمر الزوج أن يضرب زوجته.. هذا الموضوع قديم، ولم يقصر علماء المسلمين على مدى تاريخ الإسلام منذ ظهوره وحتى الآن في القيام بواجبهم في الرد على هذه الشبهات وتفنيدها وبيان الأحكام الصحيحة فيها. غير أن أعداء الإسلام يحاولون تجديد إثارة هذا الموضوع بين الحين والحين، وأن يظهره كل مرة في ثوب جديد بغية الوصول إلى ما يتمنون:

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَارَهُ وَالْعُلَمَاءُ يَأْتُونَكَ بِالنَّارِ لَمْ يَكُنْ نَارًا إِلَّا أَنْ يُنْفَخَ تَوْرَهُ وَنُورُهُ وَنُورُهُ وَالْكَافِرُونَ﴾

(التوبة: ٣٢)

لقد أقام الإسلام العلاقة الزوجية بين الزوجين على السكينة والمودة، وعلى الرحمة والحب،

لم يترك أعداء الإسلام باباً من أبواب الطعن في الإسلام إلا وولجوه، ولم يتركوا شبهة - في نظرهم - تكون موضعاً لإثارة التشكك في الإسلام إلا وتحدثوا فيها. ولم يتوقف طوفان مهاجمة الإسلام الذي يصنعه المبتطلون والمشككون من خصوم هذا الدين منذ ظهور الإسلام وحتى الآن... وبذلوا أقصى جهدهم في التنقيب في مصادر الدين الإسلامي ومبادئه وأحكامه وتشريعاته، عليهم يجدون فيها ثغرة يتقدون منها إلى تحقيق غرضهم في هدم هذا الدين الحنيف، الذي ختم الله به الرسالات السماوية، والذي ارتضاه - سبحانه - ليكون آخر حلقة في سلسلة اتصال السماء بالأرض.

ومادام الدين الإسلامي هو خاتم الديانات السماوية إلى أن تقوم الساعة؛ فمؤدى ذلك أن الله - جل شأنه - وهو العليم الخبير - قد ضمنه كل ما تحتاجه البشرية في حياتها.. وأن تعاليمه وتشريعاته كلها لصالح الإنسان، وأنها صالحة لكل زمان ومكان.. وإن بدا للبعض - من وجهة نظرهم - قصور حول بعض التشريعات

وعلى التراحم والتسامح، وعلى الاحترام المتبادل بين الزوجين، وعلى أن يسود التعاون والتفاهم حياتهما، وعلى أن يبذل كل واحد منهما قصارى جهده في توفير السعادة والهناء للآخر، يقول الله - تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم: ٢١)

أى: ومن آيات الله - جل شأنه - الدالة على كمال قدرته ورأفته ورحمته بعباده أنه - سبحانه - خلق لكم من جنسكم في البشرية والإنسانية أزواجا لتسكنوا إليها، ويميل بعضكم إلى بعض، فإن الجنس إلى الجنس أميل، والنوع إلى النوع أكثر التلافاً والتسجماً.. وجعل بينكم يا معشر الأزواج والزوجات محبة ورأفة وألفة ومودة لم تكن بينكم قبل ذلك، وإنما حدثت عن طريق الزواج الذي شرعه الله بين الرجال والنساء. وقد وصف الله - جل جلالته - هذه العلاقة الزوجية القائمة بين الزوجين على التماسك والترابط والاتحاد، وصفها بقوله - سبحانه -:

﴿مَرْبُوبٌ وَرَبٌّ مَحْبُوبٌ﴾

(البقرة: ١٨٧)

لأن كلا من الزوجين ستر وغطاء وقريب وملاصق للآخر، ومن شدة القرب والملاصقة بينهما صارا كالثوب الملاصق له، وفي هذا التعبير القرآني البليغ ما فيه من الأدب وسمو التصوير لما

بين الرجل وزوجته من شدة الاتصال والمودة والألفة، واستار كل واحد منهما بصاحبه.

وإذا كان الإسلام قد دعا إلى حسن العشرة بين الناس على وجه عام؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده، فضروريات الحياة تحتم عليه أن يخالط غيره، وأن يتعامل ويتداخل مع غيره في أمور معيشته، فمن باب أولى أن يحض الإسلام على حسن العشرة بين الزوجين؛ لأن أقرب ما يعاشره الإنسان وبصاحبه ويعامله ويخالطه «الزوجة والزوج»، فهما الدائرة الأولى، أو الدائرة الصغرى في الحياة الاجتماعية التي تتم فيها المخالطة والمعاشرة بين الزوجين.

ولذا نجد الإسلام يطلب من كليهما حسن المعاشرة؛ فطلب من الرجال - بصيغة الأمر - حسن معاشرته النساء، يقول الله - تعالى -:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا نِسَاءَ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَأْتِ بِفُحْشٍ كَثِيرٍ مِمَّا هُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي بُيُوتِكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (النساء: ١٩)

أى: يا أيها الذين آمنوا وصدقتم بالحق الذي جاءكم من عند الله، لا يحل لكم أمران:

١- أن تأخذوا نساء موتاكم بطريق الإرث، وهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه؛ لأن هذا الفعل من أفعال الجاهلية التي حرمها الإسلام لما فيها من ظلم للمرأة وإهانة لكرامتها.

٢- كما لا يحل لكم - أيضاً - أن تفهروهن على

المعيشة معكم، وأنتم كارهون لصحبتهن ليقندين أنفسهن منكم، بأن يتركن ما لهن من مال لديكم كالمهر أو غيره، فإن هذا الفعل يبغضه الله تعالى.. إلا أن يأتي بفاحشة مبينة لسوء أخلاقهن: كالزنى، والنشوز، وسوء الخلق، وإيذاء الزوج وأهله بالبداء وفحش القول ونحوه، فلكم العذر في هذه الأحوال في طلب الخلع منهن، وأخذ ما آتيتوهن من المهر لوجود السبب من جهتهن لا من جهتكم.

ثم أمر الله - تعالى - الرجال عامة والأزواج خاصة بحسن معاشرته النساء والتلطف معهن، وعدم التعجل في مفارقتهم - إن كرهوا صحبتهم - فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا في الدنيا والآخرة.

إن كل قوانين البشر، ودساتير المنظمات الدولية الحديثة التي تدعو إلى حقوق الإنسان وحقوق المرأة، وإلى تنظيم العلاقات بين الجميع، هذه القوانين والدساتير تتضاءل وتتضاغر أمام هذا التكريم الإلهي للزوجة، الذي أمر الله به المؤمنين في هذه الآية الكريمة ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْقُرْوَفِ﴾ فإن المعاشرة بالمعروف تستوجب كل تكريم واحترام للزوجة، وتستوجب كل تقدير ورحمة ورأفة بها، وتستوجب الاستحضار الدائم للغاية النبيلة والهدف السامي الذي من أجله خلق الله الزوجة للإنسان وجعل الرجل يعمل دائما في خدمتها، ويعمل لراحتها.

(١) مسلم.

ولكى تسير الحياة الزوجية على أسس سليمة، وقواعد ثابتة تضمن لها الاستقرار والاستمرار في جو كله حب ودفء وخنان، حدد الإسلام حقوقا مفروضة للزوجة على زوجها، وحقوقا مفروضة للزوج على زوجته.. بحيث إن من يخل منهما بهذه الحقوق يقع في المساءلة أمام الله تعالى.

فمن حق الزوجة على زوجها - على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر - أن يحسن معاملتها فلا يؤذيها بالقول أو الفعل، وأن يتفق عليها على قدر استطاعته وعلى حسب مستوى دخله، قال رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقية، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك: أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك»^(١) وأن يحترم حقوقها المدنية المتصلة بأملاتها وذمتها المالية المنفردة، ولا يجبرها ويكرهها على الإنفاق من مالها، وأن يراعى مشاعرها الحسية والمعنوية، لا سيما في الأوقات التي تتغير فيها ظروفها الصحية.. وأن يتلطف معها ويحافظ على كرامتها أمام أولادها وأهلها وجيرانها وأمام الناس بصفة عامة، وأن يتزين لها بما يرغبها فيه، وكان ابن عباس - رضى الله عنه - يقول: «إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لى».

وكان رسول الله ﷺ يحلم ويتبسط مع زوجاته، فقد قال مرة للسيدة عائشة - رضى

الله عنها - : «إني لأعرف غضبك من رضاك» قالت: وكيف تعرفه؟ قال: «إذا رضيت قلت: لا والله محمدا، وإذا غضبت قلت لا والله إبراهيم»، قالت: «إنما أهدر اسمك»^(٢)، وكان رسول الله ﷺ يقول: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى»^(٣) كما أن من حقوق الزوجة على زوجها العدل بين الزوجات إذا كان متزوجا بأكثر من واحدة، قال رسول الله ﷺ: من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى - وفي لفظ - لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل»^(٤) والعدل المطلوب هو: العدل في العطاء والمبيت.

ويكفى من حرص الإسلام على رعايته للزوجة، أن آخر ما وصى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجج لسانه وخفى كلامه، جعل يقول: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون، الله الله في النساء فإنهن عوان في أيديكم - يعني أسراء - أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله»^(٥).

ومن حقوق الزوج على زوجته - على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر - أن تطيعه إذا أمرها في غير معصية، وأن تحافظ على عرضه وماله، ولا تخونه في نفسها وماله، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وأن تربي أولادها على طاعة الله والتحلى بالأخلاق الفاضلة، وأن تتزين له فلا يرى

(٢) متفق عليه.

(٣) الترمذى.

(٤) متفق عليه.

منها إلا كل ما يرغب فيها، وأن تتعاون معه على مواجهة أعياء الحياة، قال ﷺ:

«إذا صلت المرأة فرضها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها»^(٦).

كما يجب على الزوجين معا، أن يصونا أسرار العلاقات الزوجية، لأن للعلاقات الزوجية - في نظر الإسلام - قداسة لها حرمتها التي يجب أن تصان، وأسرارها التي يجب أن تظل في طي الكتمان، وخصوصيتها التي يجب أن تحفظ في أمان، فما يضمه البيت من شئون العشرة بين الزوج وزوجته يجب أن يطوى في أستار مسيلة، فلا يطلع عليه أحد مهما قرب، ولا يعلمه إنسان مهما كانت صلته.

غير أن السفهاء من العامة، والوضعاء من البشر، وفاقدى المروءة، وعديمى الحياء يثرثرون بما يقع بينهم وبين أهلهم من أمور.. ويكشفون الأسرار التي سترها الله، ويتحدثون عما يجرى في الحجرات المغلقة بين الزوج وأهله من أقوال وأفعال.. بل يتباهى بعضهم بالحديث عن أدق الخصوصيات في العلاقات الزوجية.. لا يمتنع أدب، ولا يرده حياء.. وهذا العمل: ندالة في السلوك، وسفالة في الأخلاق، ووقاحة حرمها الله، وخيانة للأمانة. عن أسماء بنت يزيد: أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال

(٥) النسائي وابن ماجه.

(٦) ابن حبان.

والنساء فعود عنده، فقال عليه الصلاة والسلام: «لعل رجلاً يقول ما فعله بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها!!»، فلزم القوم - سكتوا وجلين - فقلت: أي والله يا رسول الله. إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن! قال: «فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون»^(٧) وهؤلاء الذين يفعلون ذلك العمل الفاحش يغضبهم الله - تعالى -، ومن يغضه الله فقد خرج من دائرة رحمته، وحرم من النعيم المقيم الذي أعدّه الله لعباده المؤمنين واستحق أن يلقي جزاءه في نار جهنم وبئس المصير.

غير أن النفس البشرية بحكم خلقها وتكوينها، وما ركب فيها من انفعالات وغرائز، يعتربها أحيانا تقلبات في العواطف، وانحرافات في المزاج، فتجيد عن السلوك القويم الذي ينبغي أن تكون عليه، سواء أكان ذلك من الزوج أو الزوجة. ولذلك أرشدنا الإسلام إلى الأسلوب الذي يجب علينا أن نتبعه لعلاج هذا الخلل الذي يطرأ على الحياة الزوجية في بعض مراحلها.. فقال - سبحانه -:

﴿وَالَّذِينَ تَعَذَّلُوا مِنْ زُجْرِهِمْ فَعَظُمَ عَنْهُمْ وَأَخْرَجُوا مِنَ بَيْتِهِمْ فَاتُّبِقُوا إِلَيْهِمْ فَأَنْزَلْنَاهُمْ مِنْهُم مِّنْ نَّارٍ يَخْرُجُونَ وَأَنَّهُ كَانَ مِنْ دُونِ النَّارِ يَخْرُجُونَ﴾

(النساء: ٣٤).
لقد حددت الآية الكريمة علاج الزوجة التي يظهر منها بوادر تشير إلى عصيانها لزوجها وامتناعها عليه، وإلى خروجها عما توجه الحياة

(٧) أحمد.

الزوجية من طاعة لزوجها، وإلى سلوكها مسلكاً فيه سوء العشرة وإلى تمرد لها على زوجها. هذا العلاج حددته الآية الكريمة على مراحل ثلاث بالترتيب الذي ورد في الآية الكريمة:

المرحلة الأولى: الوعظ بالقول الذي يؤثر في النفس، والتوجيه الذي يرشد إلى الصواب، والتذكير بسوء عاقبة النشوز والمعصية، وبيان وشرح تعاليم الإسلام وآدابه وأحكامه في وجوب الالتزام بحسن العشرة بين الزوجين.

المرحلة الثانية: إذا لم تنفع المرحلة الأولى، ولم تنفع الموعظة والنصيحة، فالمرحلة الثانية بعد ذلك هي الهجر في مكان النوم، بأن ينام الزوج في مكان بعيد عن مكان نوم الزوجة، أو ينام معها في فراش واحد ويوليها ظهره ولا يقربها.

المرحلة الثالثة: إذا لم تنفع المرحلتان السابقتان في إصلاح الزوجة فليلجأ الزوج إلى المرحلة الثالثة وهي الضرب.

غير أن هذا الضرب الذي ورد في الآية الكريمة له شروط وضوابط بأن يكون غير مبرح - أي غير شديد ولا مشين - بأن يولمها ولا يكسر لها عظما، ولا يدمي لها جسما ولا يشين جارية، وأن يستعد عن الوجه. كما ورد في حديث سيدنا رسول الله ﷺ فقد روى أنه قال في حجة الوداع: «واتقوا الله في النساء فإنهن عوان لكم - أي أسيرات عندكم - ولكم عليهن أن لا يوطئن

فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح»^(٨). ثم بينت الآية الكريمة ما يجب على الأزواج نحو الزوجات إذا ما تركن النشوز والعصيان وأطعنهم:

﴿فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾
أي فإن رجعت عن النشوز إلى الطاعة وحسن العشرة، فلا تطلبوا سبيلا وطريقا إلى الاعتداء عليهن، ولا تنظلموهن بأي طريق يكون فيه إيذاء لهن سواء بالقول أو بالفعل.

ثم هددت الآية الكريمة الأزواج إذا ظلموا الزوجات: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بَكُورًا﴾ فاحذروا أيها الأزواج مخالفة أمر الله، فإن قدرة الله - تعالى - أعظم من قدرتكم على زواجكم.

وقد بلغ من شدة حرص الإسلام على استمرار العلاقة الزوجية التي شرعها الله، أن وجه الزوجين والأهل والأقارب وولاية الأمر إلى اتباع طريق لعلاج الشقاق والخلاف الذي يحدث بين الزوجين، فقال - تعالى:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَحَقَا إِذَا اتَّفَقَا عَلَى شَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ﴾
﴿وَمَا كَانَ عَلَيْهِمَا الْفِتْنَةُ إِذَا اتَّفَقَا عَلَى شَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ﴾
(النساء: ٣٥)

أي: إن علمتم أيها المؤمنون أن هناك خلافا بين الزوجين حدث عنه نفور شديد بينهما، وقد يتسبب في انقطاع جبال الزوجية بينهما، فعليكم أن تتدخلوا بين الزوجين بأن تختاروا رجلين صالحين عاقلين يكونان

(٨) مسلم.

أهلا للإصلاح ومنع الظالم من الظلم، أحدهما من أهل الزوج والثاني من أهل الزوجة - ويجوز من غير أقاربهما - واعتبرا بهما إليهما في محاولة للإصلاح والتوفيق بينهما، وانتزاع أسباب الخلاف من قلوبهما، ويقضيان بما فيه مصلحة الزوجين.. ومتى صفت النفوس وخلصت البيات فإن الله - تعالى - سيفتقهما إلى الصلح فإن عجزا عن الصلح، واختار الزوجين التفراق فقد انتهت مهمتهما.. ولم يعد أمام الزوجين إلا أن يتفاد قول الله - تعالى -:

﴿فَإِنْ كُنتُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّحُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾
(البقرة: ٢٣١)
وقوله - تعالى -:

﴿وَأَن تَنفِرَا فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلٌ﴾
(النساء: ١٣٠)
فهبل بعد هذا التكريم الذي أعطاه الإسلام للزوجة، والحقوق التي فرضها على الزوج بالنسبة لها، والنظام الذي وضعه الإسلام لعلاج الزوجة عندما تحيد عن الطريق السوي في العلاقة الزوجية، والتوجيه الذي أرشد إليه الإسلام للصلح بين الزوجين.

هل بعد ذلك يمكن أن يقال: إن الإسلام لم يعط المرأة حقوقها كاملة؟ وأنه أهان المرأة وأهدر كرامتها بأن أمر الزوج أن يضرب زوجته؟

﴿كَرِهْتُمُوهُنَّ لَمَا كُنَّ غَوِيَّاتٍ﴾
(الكهف: ٥)

الأمير بدر الدين بيليك

عندما تعصف الأهواء بالحكمة.. كم من ضحايا ذهبت في سبيل الأهواء الصغيرة التي مهدت طريق الأمم المنحدر نحو الضناء..

للكاتب الكبير الأستاذ: محمد فريد أبو حديد

الأبيض، إلى يمين المحفة، يلتفت رأسه بين حين وآخر فيرمقها بحزن. وكان الصمت يلف الصحراء إلا من وقع خفاف الإبل وحوافر الخيل على الرمال الناعمة.

واشتد حر الظهيرة، وبدأ الكلال على الخيل بعد أن واصلت السير قبل أن يطلع الفجر، فأمر بدر الدين بدق الكتوس مؤذناً بوقوف الموكب للراحة، وأنزلت المحفة في رفق فوضعت فوق الرمل على قوائمها، وأشار نائب السلطنة إلى الفرسان المحيطين بها أن يذهبوا ليستريحوا ساعة، فلما بعدوا

سار الموكب العظيم عائداً من بلاد الشام، وكان فرسان المؤخرة يسوقون الأثقال من غنائم أرمينية وأذربيجان وآسيا الصغرى والقوقاز، ولكن السلطان العظيم بيبرس، الذي عاد بتلك الغنائم لم يكن على رأس الجيش في صدر الموكب، كانت المحفة البديعة المزركشة بالأبنوس والعاج والصدف تسير متشدة فوق أعناق الإبل والفرسان، يرفعون نحوها أعينهم في خشوع؛ إذ كان فيها قائدهم العظيم الذي صرعه المرض، وكان الأمير بدر الدين بيليك نائب السلطنة يسير مطرقاً على ظهر جواده

عنه رفع الستار عن المحفة وانحنى في خشوع كأنه يحيى مولاه، ولكن المحفة كانت خالية ليس فيها شيء.

وبعد قليل أتى إليه صديقه الأمير قلاوون صهر السلطان ومعه الطبيب، فأطلا في المحفة وانحيا بالتحية كما فعل بدر الدين ثم تراجعوا إلى الوراء وأعادوا التحية وأسدلوا ستار المحفة الخالية، ثم جلسوا عند باب المحفة ليعدوا نشرة الطبيب معلنة أن السلطان يتماثل للشفاء.

وسار الموكب يوماً بعد يوم.. والمحفة الخالية محمولة في وسطه، والأمير بدر الدين يرفع عنها الستار في كل يوم مرتين، ويدعو الطبيب إلى زيارتها ثم يذيع في الجيش البشرى أن الملك الظاهر يتنسم في هذا السفر نسيم العافية.. وبلغ الموكب أرباض القاهرة.. وخرج الناس إليه ألوفاً ليستقبلوا بطلهم العظيم بيبرس.

وكان الأمير محمد بركة بن بيبرس جالساً في الإيوان الكبير في قلعة صلاح الدين ينتظر موكب والده ومن حوله أمراء الدولة وكانت الشمس تطل في الإيوان فاترة من خلال النوافذ ذات الزجاج الملون، فشاع الضوء الرقيق في جنباته يكسو أرضه الرخامية بألوان متناسقة مختلفة، بين الأحمر والأزرق

والأخضر والبرتقالي، وكان الأمير محمد ولي العهد جالساً فوق كرسي عال من الأبنوس المطعم بالعاج والصدف، إلى جانب كرسي السلطان الرخامي القائم في صدر الإيوان على هيئة المنبر.

وجلس إلى يمينه ويساره أهل الدولة في ترتيبهم المرسوم، ووقف من ورائه كبار الأمراء أصحاب المشورة وتفرق الحجاب والمماليك في جوانب الإيوان الفسيح في ملابسهم المختلفة الألوان وأقيمتهم الصفراء الحريرية.

وبعد حين دقت كتوس الموسيقى تحت نوافذ الإيوان مؤذنة باقتراب طلائع الموكب، ثم سمعت ضجة الموكب، فوقف كل من في المجلس ليستقبلوا السلطان.

ودخل نائب السلطنة مطرقاً يسير في ببطء حتى إذا صار على بضع خطوات من الأمير انحنى بالتحية، حتى لمس بأطراف أصابعه بساط الإيوان ثم رفع يده إلى فمه فقبلها ووضعها على رأسه، وتقدم خطوة أخرى وانحنى بالتحية مرة أخرى وتقدم خطوة ثالثة وأعاد تحيته، ثم وقف متجهاً إلى الأمير خاشعاً. فساد الصمت، وفتح الحاضرون أعينهم من الدهشة؛ إذ رأوا نائب السلطنة يحيى ولي العهد مثل تحية السلطان العظيم، ورفع بدر الدين يديه بالدعاء قائلاً:

- حفظ الله مولاي وأحسن عزاءه -

ووقف مطرقاً وساد الصمت لحظة ثم صبح المجلس باليكاء، وشاعت الأنباء سريعة في القاهرة أن السلطان القاتح قد دفن في دمشق، وأن الموكب الذي أقبل إلى مصر إنما كان يحيط بمحفلة خالية.

واعتكف الأمير بدر الدين بعد ذلك في داره لكي يذوق شيئاً من الراحة بعد سفره الطويل وما كان فيه من مشقة الجسم وكد القلب، فلم يذهب إلى دار النيابة، ولم يبكر إلى خدمة السلطان الجديد، ولم يذهب لعزاء السيدة الوالدة في زوجها العظيم، ولم يشعر بالراحة إلا بعد أيام، فاستطاع أن ينزل من دار الحریم ليجلس في البهو الفسيح من دار الرجال، وكان ذلك المكان آية من آيات الفن تحليه النقوش الدقيقة بألوان متداخلة يمازجها الفضي والذهبي والقرمزي. وكان حول الجدران من أعلاها إطار كتبت فيه آيات من القرآن بأقلام نوابغ فن الخط ووزعت حول البهو تحف مختلفة تتصل بذكریات الحوادث التي مرت بصاحب الدار في حياته المضطربة، وكان أثاث البهو يغطي كل جوانبه وأركانه، حتى لم يكن فيه موضع تظهر منه أرضه الرخامية التي كانت تحليها نقوش من الفسيفساء والأحجار الملونة،

وكان في وسط البهو «فسقية» من الرخام الأبيض رسمت في قاعها أنواع من الأسماك، فإذا امتلأت بالماء في فصل الصيف، خيل إلى من ينظر إليها أن الأسماك تتلاعب في بحيرتها.

جلس الأمير بدر الدين على مقعد في الصلور وجعل يجيل بصره في التحف التي تحيط به، فهذه ستارة من الحرير المذهب من غنائم أنطاكية، وإلى جانبها جوشن أهداه إليه السلطان اعترافاً ببسالته في حرب التار عند حلب، وذاك سيف يعيد إليه ذكرى قاسية، فهو سيف «ليفون» الشاب ابن ملك الأرمن، الذي تصدى له في موقعة «سيس» على نهر الفرات وكاد يقضى عليه لولا أن عثر الجواد بالقتي فأوقعه على الأرض، واكتفى بدر الدين بأن أخذ منه السيف بعد أن أسره، وهناك غير ذلك كله حلل كثيرة زاهية الألوان مزركشة بالذهب، علقت في كل منها منطقة من الذهب الخالص، وهي الجوائز الكثيرة التي فاز بها بدر الدين في مباريات الرماية ولعب الكرة بالصولجان وفي سباق الخيل.

جلس الأمير يستعيد أحداث ذلك الماضي المليء ثم تنفس نفساً طويلاً عميقاً كأنه عاد من رحلة طويلة وأحسن في نفسه انتقياضاً شديداً وهو يستعيد ذكرى ماضيه؛ لأن السلطان

الجديد لم يعث إليه رسولاً في هذه الأيام التي قضاه في داره يستريح ولم يرسل في طلبه ليشرك في الموكب العظيم الذي يشق فيه السلطان الجديد عاصمة ملكه لأول مرة.

فخرج إلى حديقة قصره ليسرى عن نفسه وأخذ يتمشى في مسالكها الضيقة المتعرجة بين أحواض الورد الأصفر والأحمر وحصا البان والعتر وبين الأشجار النادرة التي نقلها من بلاد الشام من مشمش وبرتقال وتفاخ، وكان هواء الأصيل يهب بارداً على غير عادة تلك الأيام من شهر أغسطس، فبعث فيه برد الهواء نشاطاً أزال عنه كثيراً مما خيم على نفسه من الانقباض والغم.

ومال في ركن من الحديقة إلى أريكة تظللها فروع غزيرة من الياسمين، فاضطجع يستريح فأتى إليه خادمه مسرعاً يخبره أن السلطان بعث إليه رسوله يستدعيه.

وأسرع بدر الدين ليستعد للمثول بين يدي سيده وحقق قلبه سروراً لعطف مولاه الذي تذكره وبعث رسوله إليه.

ولما ذهب إلى القصر، لقي فيه ترحاباً جديراً بقدره واستقبله الملك السعيد باسمه وبالغ في إكرامه، حتى إنه أذن له أن يذهب إلى قصر السيدة الوالدة ليعزيها بنفسه.

وذهب بدر الدين إلى قصر السيدة الوالدة

وهو يكاد يسبح في الهواء من السعادة، حتى إذا بلغ موضع الستارة من القصر، جاءت إليه السيدة العظيمة نفسها فرجت به من وراء الستارة وشكرته على ما كان من ولائه وحسن بلائه، وأرسلت إليه كأساً ذهبية على صينية رائعة الحسن لم تقع عين على مثلها، وكان في الكأس شراب مثلج يفوح منه عطر ذكي وقالت السيدة من وراء الستار:

- هذا شراب صنعته بيدي أيها الأمير العظيم أقدمه لك إيفاء بحقك وآية مني على شكرك.

فدعا الأمير لها وقبل الأرض تحية لها ثم شرب الكأس.

الكأس التي تعودت القصور أن تقدمها للذين يؤدون الخدمات الجليلة للسلطين حتى لا يبقى على الأرض أحد يحس أن له فضلاً على سيد البلاد.

وفي اليوم التالي ارتجت القاهرة لجنازة الأمير بدر الدين بسليك بطل الحرب وصاحب الفضل في المحافظة على ملك بيرس، وكان يسير في طليعتها نائب من قبل السلطان الملك السعيد ونائب آخر من قبل السيدة الوالدة أم السلطان.

لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم في رأى أمير البيان شكيب أرسلان؟ (٢)

للاستاذ الدكتور / السيد أحمد فرج

الأستاذ بكلية التربية جامعة المنصورة

أسباب تأليف: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟

أشار رشيد رضا في الجزء الخامس من المجلد الحادى والثلاثين من مجلة المنار الصادر فى ٢٩ من رجب سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠/١٢/٢٠ م، ص ٣٥٤، إلى أن أحد قراء المنار، وهو الشيخ محمد بسيونى عمران - إمام مسجد بجزيرة جاوة (أندونيسيا) - قرأ ما جاء فى مجلة المنار، وكذا تفسير المنار عن بيان لهذا الموضوع، كما قرأ مقالات الشيخ محمد عبده فى كتاب الإسلام والنصرانية - فى الموضوع نفسه، وإنما غرضه أن يكتب فى ذلك أمير البيان شكيب أرسلان بقلمه المؤثر. المعبر عن معارفه الواسعة، وأزافته الناضجة لتجديد التأثير فى نفس المسلمين بما يناسب حالهم الآن.

قال الشيخ رشيد رضا: اقترحت هذا الاقتراح على أخى الأمير شكيب أحسنه على كتابته فى المنار.. فأرجأ الجواب عنه لكثرة الشواغل إلى أن عاد من رحلته الأخيرة من إسبانيا، وقد أثرت فى نفسه حضارة العرب الغارية، وحضارة العرب الواقعة؛ فكتب البلاغ منفعلًا بهذه المؤثرات

(راجع مقدمة الرسالة للشيخ رشيد رضا). وكان الجواب مقالات مطولة فى الأجزاء الخامس والسادس والسابع من المجلد الحادى والثلاثين من المنار. ولما أراد أن يجعلها فى كتاب أو رسالة مستقلة أضاف إليها من الأفكار القريبة مما كتبه، وكانت مختزنة فى داخله،

كذلك التى كتبها فى تعليقات كتاب «حاضر العالم الإسلامى» وحواشيه.

إذن فلم تكن الأفكار التى نشرها شكيب فى: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ بالأفكار الجديدة عليه، فهى تتضمن أموراً عابثها، وكان الناس يضعون فيه ثقتهم ليين لهم أسباب ما صار إليه المسلمون من ضعف وانحطاط، فى ذات الوقت الذى ارتقت فيه أمم الغرب خاصة وأن الموضوع كان من الموضوعات التى تشغله، وجاهد وناضل من أجلها، ونفى عن وطنه بسببها، فالسؤال كان يلح عليه فى داخله من قبل أن يُسأل فيه.

كان شكيب أرسلان لا يرى سبب تخلف المسلمين فى قهر المحتلين لهم ولأرضهم، بقدر ما هو بسبب تخليهم عن جوهر دينهم، وفساد أخلاقهم وأخلاق أمرائهم.

ولقد كان تركيز شكيب فى الأغلب على فساد الأمراء الذين توطن فى نفوسهم أن الأمة خلقت لتكون ملكاً لهم، وقد رسخ هذا المعتقد فيهم فقهاء السوء من العلماء المترلقين.

قال شكيب: «وجاء العلماء المترلقون لأولئك الأمراء، المتقلبون فى نعمائهم المضاربون بالملاعق فى حلوائهم وأفتوا لهم بجواز قتل الناصح بحجة أن الناصح شق عصا الطاعة، وخرج على الجماعة» (ص ٤٣) وأحدث الفتنة،

ولم يكتشف هؤلاء العلماء بذلك، بل دعوا إلى الجمود وترك العمل بالعلوم والفنون العصرية لأنها من عمل الكفار، وبدلاً من أن يوقظوا الناس، ويزيلوا حجب الظلام عن



شكيب أرسلان

أعينهم، أضلّوهم وأغرقوهم فى الظلمات. قدم الشيخ رشيد رضا للكتاب بتقديم غاية فى الإيجاز بين فيه وجوب إيمان الأمة بالتغيير إلى الأفضل، وأن يعملوا بكل طاقاتهم من أجل تحقيق حياة دنيوية طيبة رغدة، توصل إلى حياة أخروية خالدة، وبين كذلك فى المقدمة أن تقدم المسلمين رهن بالعمل بما جاء فى القرآن الكريم، والسير على هده من الحث على العمل والنظر والبحث والتجريب من أجل التقدم فى كل مجالات الحياة الدنيا، ذكروا الآيات الكريمة التى تبين ذلك.

الكتاب يبدأ بعبارات تقريرية

يبدأ كتاب (رسالة) لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ بعبارة تقريرية، وكان الكاتب يريد أن يقول: إن الأمر لا يحتاج إلى

مقدمات إذ هو أمر بات. يقول شكيب: «إن الانحطاط والضعف اللذين عليهما المسلمون شيء عام في المشارق والمغارب» أي في جميع بلاد المسلمين، ولعله أراد بهذه البداية أن يقدم بيان حال المسلمين منذ ألف عام؛ إذ كان المسلمون هم الصدر المقدم للعالم، والسيد المرهوب المطاع بين الأمم شرقاً وغرباً (ص ٤١) وبضدها تبين الأشياء.

وبعد التقرير السابق يقدم أسباب ارتقاء المسلمين في ماضيهم الزاهر في مجالات: القوة العسكرية، والاقتصادية والعلمية، وفي مجالات الثقافة والفنون والصناعات والتجارة، وغير ذلك - فيوجزه فيما يلي:

١- التمسك بالدين والعمل بما جاء في القرآن الكريم، فالعمل بأوامر القرآن ونواهيه أنشأ العرب وكل من دخلوا الإسلام من الأمم نشأة جديدة، فقد كان القرآن في إحدى يديهم وفي اليد الأخرى القوة المادية، وبهما تعاملوا مع الكون، فسخره الله تعالى لهم.

ولأن الإسلام ارتقى بهم، ورفعهم وأعزهم، تقدموا وارتقوا وسادوا ومجدوا، فكان شكيب بذلك يدعوهم قبل طلب النهضة إلى العودة إلى القرآن وفهمه الفهم الصحيح، ثم العمل به.

سبب تقدم الغرب اليوم وتخلف المسلمين:

لقد ارتقى الأوروبيون بحبهم لأوطانهم، وحب الذود عنها، والموت في سبيل نصرتها وبذل الغالي والنفيس في سبيل رفعتها، في ذات الوقت الذي استكانت فيه الأمة الإسلامية لواقعها، ولما أرادت أن تعيد استقلالها ظنت أنه يمكن أن يعود بالدعاء بطلب النصر من الله دون ما تضحية أو فداء بالمال والنفس، فهي تطلب من الله النصر بغير شروط، قال الله تعالى:

﴿وَلَيْتَصَرَّ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ﴾

(الحج: ٤٠)

وقال تعالى:

﴿إِنْ تَضُرُّوا اللَّهَ تَزِدْكُمْ عَذَابًا أَشَدَّ﴾

(محمد: ٧)

وقال تعالى:

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾

(النجم: ٣٩)

ولقد ظن المسلمون أن الله ناصرهم بالصلاة والزكاة والصيام، وبالدعاء بدون بذل المال والنفس، وليس الأمر كذلك، فإن عزائم الدين لا تنحصر في العبادات وكفى.

وإذا كان بذل المال والتضحية بالنفس أهم أسباب الرقي، وإذا كان عدمهما من أسباب الانحطاط، فإن هناك أسباباً أخرى يجب تحقيقها

في مقدمتها التحلي بالأخلاق الكريمة، والتضامن والتكافل فيما بين المسلمين على أعدائهم، وأن يقاطعوها، كل من يقف منهم موقفاً عدالياً، والتعاون فيما بينهم في الحرب على المحتلين في مصر والجزائر وتونس والمغرب وليبيا، ويحثهم شكيب على ذلك، ويتعنى الذين يتكاسلون عن نصرة إخوانهم ويقول فيهم:

«لقد تكاسلوا عن نصرة دينهم وأوطانهم، ومالوا قوى الاحتلال على ابن ملتهم، بل قاتلوا في صفوفهم في الحرب العالمية الثانية؛ لأنهم وعدوهم - كذبا - بالاستقلال، ولولا هذا التبرع بالخيانة، والتسرع في مظاهرة الأجنبي على ابن الملة لما استأسد الأجنبي، وصار يتحكم في المسلمين» (ص ٦٠) لقد كان المسلم في الماضي في الحرب على الأعداء يتقدم للموت قائلاً:

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد

لنفسى حياة مثل أن أتقدما
وفي عصرنا الحاضر: «بينما يموت الفرنسي لأجل حياة فرنسا، والألماني لأجل حياة ألمانيا، والإنجليزي في سبيل حياة إنجلترا، ويجد كل واحد منهم الموت على نفسه واجبا لا يمكن أن يتأخر عن أدائه» (٦١) يتكاسل المسلمون عن نصرة دينهم وأوطانهم. فالأوروبيون يموتون في سبيل أوطانهم، والمسلمون يتسابقون على خيانة

أوطانهم، والخيانة ليست محصورة في العوام والجهلاء الذين لا يدرون ما الكتاب، ولكن أيضا في الخواص من الأمراء وفي الفقهاء الذين يخونون الدين والوطن، تزلفاً للأمراء، «إن هؤلاء الفقهاء خانوا الأمة وساعدتهم خنوع الأمة، ولو كانوا يخشون الأمة ما تجاسروا على الاتجار بدينها، بعد أن تاجروا بدينها» (ص ٦٤) إن الإسلام يهدم بأيدي أبنائه (ص ٦٥)، من المسلمين فصدق فيهم قول الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِدِينِهِ أَنْ يَقْتُلَ ظَاهِرًا وَأَقْرَبًا ضَلُّوا﴾

(هود: ١١٧)

إن هؤلاء وهؤلاء «أبوا إلا أن يكونوا مطايا للأجانب على حساب أوطانهم، وتراهم مع ذلك وافين ناعمي البال، متمتعين بالهناء وصفاء العيش، وهم يأكلون مما باعوا من تراث المسلمين» (ص ٦٨).

أراد شكيب أن يقول: إن سبب تأخر المسلمين هم الذين صنعوه بأيديهم صنعه الأمراء وأيديهم الفقهاء، وسكنت عنه الأمة الخائفة، لكن شكيب لم يفقد الأمل في صحة إسلامية كذلك التي في فلسطين، وفي جهاد العرب والأفغان ضد الأمريكين والإنجليز، ويؤكد على أن النوايا إذا حسنت، واقترب الإيمان بالعمل صلحت هذه الأمة.



الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود

تأليف:

الدكتور مراد هوفمان

تعريب:

عادل المعلم - يس إبراهيم

٣

عرض وتحليل ونقد
الدكتور إبراهيم عوضين

«الديمقراطية، تلك الكلمة ذات البريق الساحر، والذيق الشائع.. ولدت في أثينا، ثمرة تلاقح الفلسفة اليونانية مع جموح المتسلطين والحكام فيها هناك، فبدلاً من استمرار الصدام بين رغبة الفلاسفة والحكماء في إبقاء الناس مطلقاً الحرية التي فطرهم الخالق عليها، وبين رغبة الحكام في إطلاق سلطتهم هم من كل قيد، متوهمين - في كثير من الأحيان - أنهم آلهة، أو أبناء الآلهة، أو أنهم المختارون من الله للقيام بهذا الدور المطلق في الدولة.

بدلاً من استمرار الصدام بين هاتين الرغبةين كان ما عرف باسم «الديمقراطية» لتحقيق نوع من التوازن بين جموح الرغبةين: حتى تستقيم أمور الدولة، ويفرغ الحكام للقيام بالدور المنوط بهم تجاه المحكومين. ولكن الكثير من الحكام لم يقنع بتلك المساحة المحدودة من السلطة، فعمل على تحويل تلك المبادئ عن مسارها، فسجنها داخل إطار النظرية شعاراً جميلاً، ليترد المزيد من السطوة القمعية في قيادة الناس، كما وضع من سلوك الأباطرة الرومانيين، على الرغم من نصج القاعدة القانونية ذات القداسة في ظلالهم، إذ لجأوا إلى حصرها في دوائر تفسيراتهم وتوليدهم.

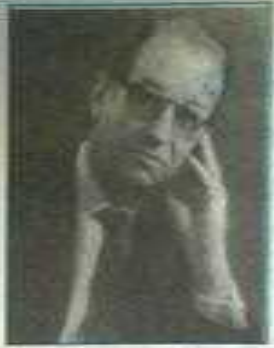
ولما وجد هؤلاء الأباطرة الرومانيون أن المسيح - عليه السلام - بمبادئ التسامح والحب والأخوة الإنسانية التي جاء بها - يكاد يقضي على سلطتهم.. شتوها حرباً شعواء عليه وعلى أتباعه، استشهد فيها كثيرون من المسيحيين، حتى اضطر قادتهم إلى التصالح معهم والتقارب منهم، والرضا بإقامة نوع من التحالف بين السلطة الدينية

والسلطة الدنيوية، تمكن السلطان به من الهيمنة الكاملة على عامة المحكومين، حيث منح رجال الكنيسة نوعاً من السلطة المطلقة، وأطلقت الحرية - في المقابل - لرجال السلطة الدنيوية، متمثلة في العبارة المشهورة «دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» التي تمكن بها كل من إطلاق يده في تكيل عامة المحكومين تحت راية «الديمقراطية». ولما جاء الإسلام مقرراً مبادئ المساواة والإخاء والتسامح، ليقم عليها دعائم العدل والتكافل في ظل رقابة إله حي، قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم.. أصبح - بذلك - سلطان الحاكم، وحرية المحكوم مقيدين بذلك، دون الصفات إلى شعار «الديمقراطية»، فلم يعد هناك مجال للخروج عن هذا المنهج الوسطى تحت أي شعار خادع، بحيث صار كل خارج عن تلك القيم والمبادئ خارجاً - في واقعه وحقيقته - عن الالتزام بمبادئ الإسلام المقررة، والتي يحفظها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، أي كانت شعاراته، فالمهم هو تحقيق مقاصد تلك القيم والمبادئ، ومع هذا.. فإن التاريخ يعلن أن من حكام المسلمين من صنع صنيع الأباطرة، فلوى عنق تلك القيم والمبادئ ليظل مطلق السلطة، ستراً لعيوبه وتجاوزاته، متجاهلاً تلك المبادئ التي يحفظها القرآن الكريم والسنة النبوية من عبث أمثاله وأعوانهم، حتى ظن الكثيرون من الباحثين - بسبب سلوك هؤلاء الحكام - أن الإسلام يعادى «الديمقراطية» ومبادئها، أو أنه يغفلها.

الديمقراطية بين الإسلام والغرب

وقد أدرك الدكتور «هوفمان» أبعاد هذا الظن وآثاره في علاقة الغربيين المسيحيين بالمسلمين، فانتقل - بنهجه العلمي المحايد - بجلى الحقيقة، ففي الفصل السادس «ديمقراطية - شوري قراطية» أوضح: أن توهم الغربيين وغيرهم معاداة الإسلام للديمقراطية ناشئ من جهلهم

الفروق بين المسيحية والإسلام، فالمسيحية - في الغرب - تقوم على فصل الدين عن الدولة، استمراراً لما أدخله أباطرة الرومان قديماً عليها، أما الإسلام فيقوم على مزج الدنيا بالآخرة، ودمج الدين بالدولة، حيث قدم نموذجا يختلف تماماً عن



مراد هوفمان

مفهوم الغرب للدين، فظهرت الأمة الإسلامية كياناً جديداً في تاريخ البشرية لا يعتمد الانتماء إليه على لغة، أو لون، أو أصل، أو جنس، ولكن يعتمد فقط على الدين والإيمان المشترك.

وأوضح: أن معاداة التنويريين الإصلاحيين الغربيين للدين إنما هو رد فعل لما صنعه القيصرون «قسطنطين» باستيلائه على الإمبراطورية الرومانية منذ القرن الرابع الميلادي، وعمله على جعل المسيحية دين الدولة العظمى، فقد أثمر ذلك مصطلحات قادت إلى كوارث ظلامية باسم المسيحية.. تلك الكوارث هي التي فرضت على الإصلاحيين السعي إلى تحية الدين عن السياسة، مثل مصطلحات: مملكة الرب، وتقسيم السلطة الدنيوية بين القيصرون والبابا، والخلاف حول تصيب القيصرون عن طريق البابا، وإقامة دولة الفاتيكان وسموتها، والحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش، ومحكمة الساحرات وحرقةهن، إلى غير ذلك.

ومع هذا.. فإن المتأمل في علمانية الغرب، وفك الرباط الديني بين الكنيسة والدولة يجد: أن السياسة الغربية «الدولة والمجتمع» إنما هي ذات صبغة مسيحية؛ فالدولة في ألمانيا - مثلاً - تقرر الأعياد والإجازات الدينية وتحميها، وتعترف بجمعيات دينية، وتحصل ضريبة من

أجل مساندة الكنيسة، ويقوم المدرسون الحكوميون بتدريس مادة الدين في المدارس الحكومية، ويتم توظيف رجال دين في القوات المسلحة، وينص قانون العقوبات على جرائم تستند على العقوبة فيما يخص الدين والرأي. ولكن هؤلاء، الغربيين يعيرون على المسلمين مثل هذا التوجه، ويلصقون بالإسلام كل الصفات والتعوت الشيطانية، لأنه يدعو لتأييد دور الدين في الدولة، متجاهلين: أن الإسلام لا يهدف إلا إلى دولة يتألف فيها الدين والسياسة، والدين والاقتصاد، والدين والمجتمع، ولا يهدف بأي حال إلى حكم ثيوقراطي يقوده رجال الدين.

يعيب الغربيون على المسلمين هذا، متجاهلين ما يؤكدته الواقع التاريخي من أن المسلمين لا يتقصصهم فهم طبيعة السياسة، ولا الرغبة في تقديم الدولة، والاقتصاد المزدهر، فقد التزم المسلمون تاريخياً بإقامة كيان دولة يضم كل المؤمنين، ويكفل للجميع المساواة، والعدالة، والرفاهية، والحرية، والكرامة، كما صوره القرآن في قوله تعالى:

﴿كُنْزُ خَيْرٍ أَمَّا الْخَيْرُ لَكُمْ﴾

﴿لَا يُؤْمِنُ بِالْغَيْبِ وَالْغُيُوبِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا يَدْعُونَ بِهِ﴾

(آل عمران: ١١٠).

وغافلين عن أن الشريعة الإسلامية لا تتطلب شكلاً محدداً للدولة المثالية، فعلى كل جيل من المسلمين أن يجتهد للوصول إلى تنظيم الدولة الذي يتماشى - على أفضل سبل - مع موروثاته ودرجة تطوره، ويحقق أفضل مصالحه، فلا فرق بين أن يكون الحكم ملكياً أو جمهورياً مادامت شروط الحكم الإسلامي الصحيح متوافرة؛ من قيام الحكم بموافقة الغالبية، حتى يكون هناك عقد اجتماعي يحكم العلاقة بين الشعب والحكومة يُطلق عليه في الإسلام: «البيعة».

إنما هو الاختلاف النقطي

وبعد استعراض آراء المفكرين الإسلاميين حول مصطلح «الديمقراطية» كشف الدكتور «هوفمان»: أن الأمر لا يعدو اختلافاً شكلياً حول علاقة الديمقراطية بالإسلام نشأ عن عدم تحديد المفاهيم، وعن محاولة فرض المفهوم الغربي للديمقراطية؛ لأن الواقع الإسلامي، والنصوص القرآنية والنبوية تؤكد أن مقاصد الديمقراطية متحققة - بشئ أبعادها - مع التطبيق الإسلامي، كما تؤكد: أن ما يثار من مخاوف حول التطبيق الديمقراطي إذا لم يتحقق الإجماع حيث يخشى بعض المسلمين من أن يكون الأخذ بالأغلبية موقفاً في الإضرار عن سبيل الله، مستنداً إلى قوله عز وجل:

﴿وَأَنِيعْ أَتَرَى الْأَرْضَ بِغَيْرِ اللَّهِ﴾

(الأنعام: ١١٦)

لأنها خشية لا مجال لها مع حكم لا يحق للقائمين به أن يصدروا أحكاماً مخالفة لما أقره القرآن والسنة.

هذا... إلى أن البرلمان الإسلامي لا تنحصر وظيفته في البت في الأحكام الموجودة فعلاً في القرآن والسنة، ولكن هناك مجالات أخرى يجب إصدار أحكام فيها بما لا يخالف المبادئ الأساسية والأخلاقية للإسلام.

ويخلص الدكتور «هوفمان» من هذا إلى تأكيد: أن الإسلام - في حد ذاته - لا يعادي الديمقراطية، بل إنه - على النقيض من ذلك - يتضمن تسع لبنات أساسية لتوطيد أركان ديمقراطية إسلامية، ما على المسلمين إلا أن يعملوا على تحقيقها من كل ما يقرر: أن اتهام المسلمين بمعاداة الديمقراطية إن هو إلا ضرب من ضروب العنصرية؛ لأن أساس هذا الاتهام يمكن تطبيقه على الفرنسيين، واتهامهم بعدم ألفتهم للديمقراطية، لأنهم

انتخبوا في مائتي عام خمس جمهوريات، وإمبراطوريتين، ومملكيتين، وحكماً وطنياً.

كل ما يجب استيعابه: أنه ليس ضرورياً تماثل الديمقراطية الإسلامية مع الديمقراطية الغربية، لأن العالم العربي الإسلامي يملك أشكالاً من التعددية، والكونفدرالية، والحضارية، وتوزيع السلطة ذات طبيعة خاصة به فقط.

ومن الخطأ الفادح المتأثر بالعنصرية.. القول بأن المسلم - فيما يخص ممارسة الديمقراطية - موصوم بعدم ممارستها بحكم ميلاده، لأن جميع بلاد العالم عانت - في آخر الأمر - من مسألة الديمقراطية، سواء كانت تدين بالمسيحية، أو بالكونفوشيوسية، أو البوذية، أو الهندوسية، أو اليهودية، أو الإسلامية، من كل ما يؤكد أن الصاق تهمة خروج العالم الإسلامي من التاريخ من قبل انعدام المعرفة بالعلاقات والخلقيات.

ومن هنا... يتقرر: أن على الغرب أن يراجع موقفه المتشكك من قبل جماعات المعارضة الإسلامية التي ترغب في تغيير الأوضاع في أوطانها من خلال المناقشات الديمقراطية، فهناك عوامل مشتركة بين هذه الجماعات وبين الحركات التي تنادي بحقوق الإنسان، وحق المواطنة، وحركات حماية البيئة، وحركات حماية المرأة.

وأباطيل غربية كذلك حول المرأة المسلمة

وفي الفصل السابع «متساو الحقوق أم سواسية» يواصل الدكتور «هوفمان» استعراضه للأباطيل التي وصم الغربيون بها الإسلام، فبعد فضحه باطلهم حول الديمقراطية، عمل على كشف باطلهم حول المرأة المسلمة، وزعمهم أن الإسلام يحط من شأنها، مبتدئاً بتقديم صورة المرأة في القرآن الكريم.

فالقرآن لم يلصق بحواء صفة الغواية، ولم يجعل - بالتالي - حملها الجنين في رحمها عقوبة لتلك الغواية. مختلفاً - بذلك - عن الموروث اليهودي المسيحي الذي يُحمل المرأة ذنباً شتى سألونها بالشيطان في الفكر المسيحي بدءاً من بولس الرسول ووصولاً إلى أول العصر الحديث.

والإسلام استطاع أن يحدد موقفاً إيجابياً غير مضطرب من الجنس، وأن يحافظ عليه؛ فأقام العلاقة بين الزوجين على المشاركة التي يأخذ فيها كل طرف الطرف الآخر في حساباته، والتي لا تحكمها القوى، مختلفاً تماماً عن المسيحية التي يترجح موقفها بين البيوريتانية «التطهريّة» والانفلات الجنسي.

ولكن النقد الغربي يغفل هذه الأساسيات، ويتعلق بأفكار أخرى يزعم أن فيها ما يصم الإسلام، مثل تعدد الزوجات، ووضع المرأة في الزواج، والنصوص المتعلقة بزي المرأة، وحجابها، والفصل بين الجنسين، وسلطة الرجل المطلقة في الطلاق وانتقاص دور المرأة في الميراث والشهادة.

وقد اتبى الدكتور «هوفمان» مفنداً كل ذلك بالتأمل البصير والرؤية المحايدة المستمدة من النظرات الشمولية في النصوص القرآنية والنبوية المتعلقة بهذه الأمور.

وينتهي الدكتور هذا المبحث بقوله: نستطيع أن نقول إن المسلمين يعتقدون بوجود اختلافات بين الجنسين في بعض الأمور المرتبطة بالجنس: مثل الخدمة العسكرية، وإجازة الحمل والوضع.

ويسوق مقولة شاهد لا يرقى إليه الشك هو الأب «ميشيل لولونج» في مقارنته حياة المرأة التونسية والمرأة الفرنسية، جاء فيها: «إنني كثيراً ما أتقي هنا - في فرنسا - مع نساء محجرات، ولكنهن يعانين من عبودية قد تكون أرقى، ولكنها بلا شك ليست أقل خطراً؛ فهؤلاء النساء

أسيرات مخطوط جديدة، مثل الرفاهية، والأزياء، والدعاية، والحياة المهنية، أو حتى السجارية» ويقارن هذا مع ما راقبه ولاحظه بنفسه طويلاً من «الحرية المدهشة التي تمارس بها المسلمة حياتها».

البينة الأنسب لبعث محمد

وفي الفصل الثامن «لماذا محمد؟» انطلق الدكتور «هوفمان» باجتهاده في جولة تأملية، يحاول من خلالها الوقوف على سر بعث محمد بالرسالة على وجه الخصوص.

فرائى: أنه لم يكن هناك موقع جغرافي أفضل من شبه جزيرة العرب لتقديم هذا الدين الجماعي الجديد؛ لأن هذه المنطقة كانت خارجة عن نطاق نفوذ القوتين العظميين في ذلك الوقت، فكانت هي الأنسب حتى يتمكن الإسلام من تكوين كيان أيديولوجي جديد يعادى نظام تلك الممالك والملوك قبل أن تنسب إليه إحدى القوتين.

هذا.. بالإضافة إلى أن تلك المنطقة كانت تتمتع بموقع جيواستراتيجي بالغ الأهمية، حيث تتمتع بموقع وسط يعد عن المغرب وانجلترا بالمقدار الذي يعد به عن الهند والصين.

ورأى أيضاً: أن هناك سبباً معقولاً ومقبولاً منطقياً لتزول القرآن باللغة العربية؛ فقد كانت اللغات المتداولة - وهي لغات الديانات السابقة - قد استفدت في هذا السياق، وباتت معزولة بأحكامها، سواء في ذلك: الرومانية، واليونانية، والفارسية، والعبرية، بينما كانت الديانة الجديدة، والرسالة التي تحملها في حاجة إلى لغة عذرية على المستوى الديني والفلسفي لم تستند بعد، يأتي بها القرآن، ولم تكن تلك اللغة إلا اللغة العربية التي أتبع لها ما هيأها للتفكير الفلسفي التأملية والعلمية.. وللتفكير القرصى.

كما رأى: أن توقفت الوحي القرآني كان ذا مغزى عميق، حيث بات واضحاً - منذ القرن السادس الميلادي - أن المسيحيين واليهود المتفرقين في جميع أنحاء العالم عاجزون عن تصحيح التحريفات التي ألحقوها بدياناتهم، خصوصاً: تصور شعب الله المختار عند اليهود، والطبيعة الإلهية للمسيح عند المسيحيين، ونشبت حول ذلك خلافات وصراعات عنيفة أثمرت القضاء التام على كل ما يعارض الرأي الإمبراطوري المفروض على المسيحيين وإلغاء فكر الأريسيين والمسيحيين اليهود من ذاكرة الناس تماماً، وتم قطع الصلة بين المسيحية واليهودية، فكان لابد من مسعى إرهابيات إعادة الفكر الشوحيدي الإبراهيمي من خارج هذه المعارك، من بلاد العرب على يد رسول عربي يعبد دين إبراهيم، وموسى، وعيسى.

أى يعبد دين الله كما أراد له وكما ينبغي له، فكان محمد آخر الرسل هدف رسالته إعادة الوحدة الثقة.

وبعد استعراض مستفيض لما أدخل على المسيحية من تزيف وتزوير رفضه الإسلام رفضاً باتاً بالنصوص الواضحة، والحجج الحاسمة، دون هوادة أو تهاون، ودون قبول للمساومة أو الحلول الوسط، بعد هذا الاستعراض.. أعلن الدكتور اتفاقه مع «Paul schwarzenau» في قوله: إن القرآن احتجاج على المفهوم المسيحي للصلب.

وخلص من ذلك الاستعراض إلى تقرير: أن معاناة الغرب من الإلحاد والاغتراب عن الكنيسة، والهروب إلى ديانات خاصة غير مفهومة - منذ أكثر من مائة وخمسين عاماً - تقرير: أن كل هذا ذو صلة بما حدث للمسيحية في مجمع «نيقية» أو مجمع «الزنك» سنة ٣٢٥.

ومع وضوح هذا كله.. مازالت الكنيسة تحرم محمداً من إعادة الثقة به، وتصحيح صورته، ورد الاعتبار له؛ لأنها لا تزال أسيرة إنكارها له، مغفلين حقيقة بيته، هي: أن الإسلام يهدف إلى أن يعيد المسيحية لتقف على قدميها، بدلاً من الوقوف على رأسها.

أزمة المسيحية.. معتقداً وعلوماً وتعاليمها

وفي الفصل التاسع «عيسى يفرق - عيسى يوحد» قدم الدكتور «هوفمان» صورة متعددة الأبعاد لرؤى المفكرين الغربيين المسيحيين للمسيح والمسيحية تشير إلى عنوان الفصل - على ما فيه من تقابل - حيث اختلفت الآراء حوله، وحيث اجتمعت الآراء على رفض ما قرره مجمع نيقية «الزنك».

فقد بدأت في القرن التاسع عشر محاولة إجراء مراجعة نقدية تاريخية للمصادر المكتوبة التي تستمد منها المسيحية تعاليمها، وقد قام بهذه المحاولة أساتذة لاهوتيون كاثوليك وبروتستانت، وكان مما توصلت إليه تلك المحاولات ما يلي:

١- استحالة القيام بعملية كتابة صحيحة لتاريخ عيسى للظروف المحيطة بنشأة الأناجيل؛ فرغم الجهود المضنية لا يوجد مصدر أساسي، أى لا يوجد إنجيل عن عيسى؛ لأن النصوص السبعة والعشرين التي يتضمنها العهد الجديد ليست حقيقية ولا واقعية بكل ما تعنيه هذه الكلمة؛ فالنصوص المسيحية المقدسة لا تعود إلى أسباب تاريخية، بل تعود إلى مصالح تتعلق بالكنيسة، أى إن عيسى ليس مؤسس الدين المسيحي بقدر ما هو موضوع هذا الإيمان، وهذا الدين.

واستحالة إمكانية الحديث عن وحدة العهد الجديد، وعن خلوه من الصحة والتناقضات، بغض النظر عن مسألة كتابته؛ فقد تم تدوين هذه النصوص بعد أن

اجتازت المسيحية بداياتها؛ فهي ليست كلمة الله، بل هي كلمة الإنسان، حيث قامت الكنيسة باختيار النصوص التي تحقق أغراضاً بعينها؛ فالتدقيق التاريخي لنشأة العهد الجديد وما يحتويه من مقدمات يؤدي إلى انهيار أبنية الكنيسة وعلم اللاهوت، كما لو كانا بناء من ورق.

٢- وقد توصل بعض علماء اللاهوت إلى أن عيسى رمز جميل، وأن جماله هو الذى فرض اختلافه؛ أى إن تأليف حكاية المسيح تأليف رائع شديد الجمال، وينسم بسحر وغموض يضاهي فكرة ابن الله الحقيقية.

٣- وتوصل بعض هؤلاء العلماء إلى أن هناك «عيسى» بالفعل حدث كقوة تاريخية للمسيحية، لكن ما ترتب على ذلك من المسيحية ما هو إلا تأملات نظرية؛ أى إن الله قد تجلى بكامل وجوده في المسيح عيسى، وعرف نفسه فيه، وظهر من خلاله.

إلى غير ذلك من النظريات والروى التي أثمرتها تلك المراجعات النقدية التي قام بها أساتذة لاهوتيون كاثوليك وبروتستانت، والتي كانت دليلاً واضحاً على الأزمة العميقة التي تعيشها المسيحية وتعاليمها، والتي تعيشها علوم اللاهوت المسيحية في العالم المسيحي.

ومع ما يلائس الصورة من اضطراب وتناقض محتم.. يتوقع الدكتور «هوفمان»: ألا تؤدي هذه الأزمة إلى إسراع حشود المسيحيين للدخول في دين الله، ولكنها - بغير شك - ستدفع إلى فناء الكنيسة، ونهاية المسيحية المرتبطة بها، وإلى زيادة شعور الجماهير المسيحية بالاغتراب عن الدين عامة، وزيادة رغبة الإنسان الفرد في انتقاء ما يريد مما يناسبه من المعروض في سوق الديانات والمعتقدات.

يتبع

قضايا معاصرة

الاقتصاد الإسلامي من منظور غربي

د. حمدي فتوح والي

لقد كانت تنحية الإسلام عن قيادة البشرية حدثاً هائلاً في تاريخها، ونكبة قاصمة في حياتها، نكبة لم تعرف البشرية لها نظيراً في كل ما ألم بها من نكبات.

ولقد امتشعر أصحاب الذوق الإنساني الراقى فظاعة ما حل بالبشرية من خسائر، وفداحة ما تكبدته من أهوال نتيجة غياب هذا المنهج الإلهي القويم لكن غلط الحس، وفساد الذوق، وتبلد المشاعر، والانشغال بالماديات عن المعنويات جعل إحساس الناس بهذه النكبة ضعيفاً خاصة بين أهل الغرب ممن لم يسعدهم الحظ بتذوق الإسلام والعيش في ظلاله والتنعيم بأحكامه حتى إذا بلغت

منظومة الإفساد مداها، فتجاوزت المشاعر والمعنويات، لتصيب الأموال والعقارات، وتصل إلى البطون والمحسوسات، عندها أفلق الغرب من غفوته، واستيقظ من نومه، وأحس بالخطر الحقيقي الذي أصبح يستهدف صنمه المقدس، وإلهه المعبود، فكان ما نراه اليوم ونسمعه، من مشاهد الفرع والهلع والرعب، نتيجة الانهيار المفاجئ للنظام الرأسمالي البشع الذي توحش واستأسد،

ولم يعرف في قاموسه إلا البحث عن الربح وزيادة الأموال، دون اعتبار للدين أو خلق أو عاطفة أو ضمير، فكان أن فتح على نفسه باب حرب لم يدرك خطرها، ولا قدر مداها عندما غاب عنهم قول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿يَخْلُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الْمَصْدَقَ﴾

(البقرة: ٢٧٦)

وكثيراً ما طالعنا أخبار النكبات والأزمات، وأدمنت قلوبنا صور الكوارث والمجاعات، لكنها كانت في الغالب صوراً للبؤساء والجوعى من المحرومين والفقراء في دول العالم الثالث، لكن الجديد الذي نراه اليوم، أمر يدهش ويحير، لأن صور البؤس والتشرد والضياع لرجال ونساء وأطفال زرق العيون، بيض الوجوه صغر الشعور، يعيشون في واشنطن ونيويورك، وهم من خلاصة الشعب الأمريكي، لقد كانت دهشتي كبيرة عندما رأيتهم على شاشة قناة الجزيرة يفترون الأرض ويلتحفون السماء، ويتكفون الناس، وكانت دهشتي أشد وأكثر عندما تقلت الكاميرا فإذا بنا أمام بيوت فاخرة ومفروشة بأفخر الفرش، لكنها مهجورة مغلقة، تصفر فيها الرياح، وتسكنها الأشباح، ولم يخرجني من حيرتي إلا قول المذيع: هذه الأسر المشردة هي ضحية شركات الرهن العقاري التي تناقست في إقراض الناس قروضا ربوية، وقد أعماها الجشع عن التحقق من وجود

ضمانات لهذه القروض، وعندما عجزوا عن السداد، لجأت هذه الشركات إلى مصادرة تلك البيوت من أصحابها، فإذا الناس في الشوارع قد أخرجوا من بيوتهم وإذا بالبيوت حاوية على عروشها، وإذا بأصحاب الشركات يخسرون جميع ما لديهم، وهكذا يبدو المشهد خساراً ووباراً ودماراً، ولأن تلك الأموال المتداولة والتي تقدر بالمليارات ليست في الحقيقة إلا أوراقاً وصكوكاً وسندات لا رصيد لها في الواقع الفعلي، ولا تمثل اقتصاداً حقيقياً يقوم على أصول مضمونة كما هو الحال في الاقتصاد الإسلامي، الذي أسعدنا الله به وأهملناه، وأراد الله لنا الخير به.

وهذه الحالة الرهيبة والمرعبة هي التي دفعت عقلاء الغرب للبحث عن مخرج لمواطنيهم قبل فوات الأوان.

ومن هؤلاء الصحفي المشهور «يوفيس فانسون» رئيس تحرير مجلة «تشانينجر» في المقال الذي كتبه بعنوان: «البابا أو القرآن»، والذي تساءل فيه عن أخلاقيات الرأسمالية، ودور المسيحية كديانة، والكنيسة الكاثوليكية بالذات في تكريسها، حتى وقعت تلك الأزمة، واستفحلت حتى استعصت على الحل.

ويتساءل الكاتب في أسلوب يقترب من التهكم من موقف الكنيسة ومستسلحاً البابا «بتديكت السادس عشر» قائلاً: أظن أننا بحاجة أكثر في هذه

الأزمة إلى قراءة القرآن بدلا من الإنجيل لفهم ما يحدث بنا ومحاربتنا، لأنه لو حاول القائلون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام، وطبقوها، ما حل بنا ما حل من كوارث وأزمات، وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المرير: «لأن التقود لا تلد التقود»^(١).

مضاربات وهمية

وفي نفس الموضوع يطالب الصحفي الفرنسي «رولان لاسكين» رئيس تحرير صحيفة «الوجورنال دي فينانس» في افتتاحية الأسبوع الأول من شهر أكتوبر لهذا العام بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال المالي والاقتصادي لوضع حد لهذه الأزمة التي تهز أسواق العالم من جراء التلاعب بنقواعد التعاملات المالية، والإفراط في المضاربات الوهمية غير المشروعة، ثم يعرض في مقاله الذي كتبه بعنوان «هل تأهلت وول ستريت لاعتناق مبادئ الشريعة الإسلامية؟» للمخاطر التي تحدق بالأسواق المالية، ويشير بضرورة الإسراع للبحث عن خيارات بديلة لإنقاذ الوضع الاقتصادي، ويقدم الكاتب سلسلة من الاقتراحات المثيرة، وفي مقدمتها، تطبيق الشريعة الإسلامية، برغم تعارضها مع التقاليد الغربية ومعتقداتها الدينية.

(١) يشير بذلك إلى الزيادة الربوية التي تأتي من التعاملات المالية في النظام الرأسمالي.

التوازن والتمويل الإسلامي

وإذا كانت هذه الشهادات قد عكست لنا طبيعة ما يجري في أمريكا وفرنسا من قناعات بأن الإسلام وحده هو النقد من هذا النفق المظلم وهذا الانهيار الرهيب، فإن هناك شهادة أشد قوة وأكثر وضوحاً وهي شهادة الباحثة الإيطالية «لورتيانا بليوني» في كتابها الذي صدر مؤخراً بعنوان «اقتصاد ابن آوى» والذي أشارت فيه إلى أهمية التمويل الإسلامي ودوره في إنقاذ الاقتصاد الغربي، واعتبرت الباحثة أن مسئولية الوضع الطارئ في الاقتصاد العالمي، الذي نعيشه اليوم ناتج عن الفساد المستشري، والمضاربات التي تحكم في السوق والتي أدت إلى مضاعفة الآثار الاقتصادية.

وفي إشارة جريئة وصادقة ومنصفة تقول الباحثة: «إن التوازن في الأسواق المالية يمكن التوصل إليه بفضل التمويل الإسلامي، ولكن يعد تخطيط التصنيف الغربي الذي يصمم الاقتصاد الإسلامي بالارهاب..» إلى أن تقول: «إن المصارف الإسلامية يمكن أن تصبح البديل المناسب للبنوك الغربية، فمع انهيار البورصات في هذه الأيام، وأزمة القروض في أمريكا، فإن النظام المصرفي التقليدي بدأ يظهر تصدعاً، ويحتاج إلى حلول جذرية عميقة، وإن التمويل الإسلامي هو الأكثر ديناميكية في عالم المال الكوني».

وإذا كانت هذه الشهادات التي صدرت على ألسنة المفكرين الغربيين، قد شهدت بعظمة المنهج الإسلامي في مجال المعاملات المالية والاقتصادية، وأجمعت على أهمية الأخذ به في قيادة اقتصاد العالم، فإن هناك شهادات أخرى سمع بها العالم أجمع في المجال الاجتماعي والتشريعي، ومن أقرب هذه الشهادات وأقواها ما صرح به كبير أساقفة «كانتربري» في بريطانيا الأسقف «روان ويليامز» بحاجة القانون البريطاني إلى تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في مجال الأحوال الشخصية والميراث، ضماناً لاستقرار الأمن، وتحقيق العدالة بين الناس. وبرغم ما أثاره موقف كبير الأساقفة من ردود أفعال بين مؤيد ومعارض حتى وصل الأمر إلى أن يعرض على أعلى هيئة قضائية في بريطانيا، فقد جاء قرار كبير قضاة بريطانيا مدعماً وساعداً وهذا ما نقرأه في هذا الخبر الذي حملته إلينا مجلة الأزهر^(٢) وهذا نصه:

«بعد الجدل الذي أثاره الأسقف «روان ويليامز» رئيس الكنيسة الإنجيلية البريطانية، بسبب مطالبته بتبني بعض أحكام الشريعة الإسلامية الخاصة بالأحوال الشخصية كالزواج والميراث في القوانين البريطانية أعلن اللورد «نيوكلاس فيليس» كبير قضاة بريطانيا أن بلاده لا تمنع في الاستعانة بالشريعة الإسلامية في النظام القضائي البريطاني. وقال «فيليس» أنه لا يوجد سبب يمنع أن تشكل مبادئ الشريعة الإسلامية أو أي مبادئ دينية أخرى

أساساً للحكم، أو لأي شكل آخر من أشكال حل النزاعات، بشرط عدم تعارضها مع القانون البريطاني».

وأمام هذا التواتر المدهش من شهادات أعداء الإسلام بجدارة هذا الدين وقدرته على حل مشاكل البشرية جميعاً في مجالات حياتها المختلفة، فإنه لا يبقى أمامنا إلا أن نتساءل في حسرة ومرارة: إن كان هذا هو موقف أعداء الإسلام من الإسلام فأين موقف أهل الإسلام من دينهم الذي هو عصمة أمرهم؟ ومن كتابهم الذي فيه سعادتهم ومجدهم؟

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَاكَ كَذِكْرًا وَكَهَدًى لِّقَوْمٍ﴾

(الأنبياء: ١٠)

﴿وَأَنذَرْتُكَ لِكُذِّبٍ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُنصَلُونَ﴾

(الزخرف: ٤٤)

إنني لا أملك في هذا السياق إلا أن أبشر العقلاء في الغرب والمنصفين المخلصين في بلاد الإسلام، بقول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي وَرِثَتَكَ وَرِثَتِي﴾

﴿الْحَقُّ يُظْهِرُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

(التوبة: ٣٣)

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا عَلَىٰ آلِ إِسْرَءِيلَ أَنَّهُمْ لَئِنْ لَمْ يَرْكَبُوا السَّفِينَ لَآتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا بِآيَاتٍ كَثِيرَةٍ لِّعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

(يوسف: ٢١)

(٢) مجلة الأزهر عدد شعبان ١٤٢٩ هـ - أغسطس سنة ٢٠٠٨ م - ١٢٨٧

الأزمة المالية الأمريكية

للاستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

يذكر الخبراء الاقتصاديون أن المجتمع الأمريكي، مجتمع قائم في جوهره على الاقتراض، فإذا أراد أي مواطن أمريكي أن يشتري منزلاً، أو جهاز تليفزيون، أو سيارة، فليس هناك أدنى صعوبة في الحصول على هذه الأشياء، حتى ولو لم يتوفر له المال اللازم لشرائها، ويكفي في هذه الحالة بطاقة الائتمان التي لديه، لكي يشتري ما يريد، فالعائلة الواحدة في الولايات المتحدة الأمريكية، كما يقول الكاتب اللامع، «فريد زكريا»، تملك ١٣ بطاقة ائتمان، ٤٠٪ منها لشراء السلع، ويضيف «زكريا»، أنه مع ازدياد الرغبات في الاقتناء ازدادت الديون العائلية، فبلغت ٦٨٠ مليار دولار عام ١٩٧٤، حتى وصلت حالياً إلى ١٤ تريليون دولار، ولا شك أن هذا الرقم الأخير، ينبئ إلى أي مدى يعتمد الأمريكيون على الاقتراض، لإشباع حاجاتهم، وتلبية رغباتهم.

لقد أشار «زكريا» إلى حجم الديون الوطنية حينما ذكر «أنه في عام ١٩٩٠، كانت الديون الوطنية، ثلاثة تريليونات دولار، وأنه بحلول عام ٢٠٠٠ تضاعف هذا الرقم ليصل إلى ٥,٧٥ تريليون دولار، ما يوازي في الوقت الراهن ١٠,٢ تريليون دولار إن جوهر الأزمة المالية الحالية في الولايات المتحدة الأمريكية، هو الدين (الاقتراض) أو ما يسمى «الفعالية المالية» كما جاء على لسان «فريد زكريا» ويصف الملياردير الأمريكي «وارن بافيت» أصل الأزمة المالية الأمريكية، التي أدت إلى إفلاس الكثير من

المصارف والمؤسسات فيقول: «إن الدين هو الوسيلة الوحيدة التي تجعل من الرجل الذكي مفلساً». وضرب مثلاً على ذلك وقال: «إذا اتخذت خطوات ذكية، ستصبح غنياً جداً في النهاية، وإذا اتخذت خطوات ذكية مستخدماً الدين (الاقتراض) في أمور حياتك، ثم ارتكبت خطأ واحداً، فقد يؤدي ذلك إلى إفلاسك»، هكذا وبهذه السهولة، يحمل الاقتصاد القائم على المديونية بصفة دائمة، عوامل سقوطه، خاصة إذا أسئ استخدام الديون. ويذهب «زكريا» إلى «أن الذين ليس أمراً

مبتداً، إذا استخدم بشكل مستول، وأنه جزء من الرأسمالية العصرية، لكن الخطورة تكمن في إخفاء كميات هائلة وراء «مشتقات مالية معقدة» التي يصفها البعض بالقنابل المالية الموقوتة». وفي هذا السياق يذكر الخبير الاقتصادي الكبير دكتور «حازم البيلال» أسباب الأزمة المالية الأمريكية التي امتد لحيثها إلى العالم فيقول: «إن النظام المالي في الدول الصناعية، قد اكتشف وسيلة جديدة لزيادة حجم الاقتراض، عن طريق اختراع جديد اسمه «المشتقات المالية» وهو اختراع يمكن عن طريقه توليد موجات متتالية من الأصول المالية، على أصل واحد، يرى «البيلال» أن الأزمة المالية الأمريكية الراهنة، سببها ما أطلق عليه «أزمة الرهون العقارية»، فالعقارات في الولايات المتحدة هي أكبر مصدر للاقتراض، فإن حلم المواطن الأمريكي هو أن يملك بيتاً، ولذلك فهو يشتري بيته بالدين من البنك مقابل رهن هذا البيت، ثم ترتفع قيمة هذا العقار، فيحاول صاحبه الحصول على قرض جديد، وذلك مقابل رهن جديد من الدرجة الثانية، يطلق عليه في هذه الحالة اسم «الرهون غير الآمنة»، أو «الرهون الأقل جودة» لأنها رهون من الدرجة الثانية، وبالتالي فهي معرضة أكثر للمخاطر، خاصة إذا انخفضت قيمتها.

أسلحة الدمار الشامل المالية!!

ويمكن القول أن المشتقات المالية التي يتحدث عنها خبراء الاقتصاد بوصفها من الأسباب الجوهرية للأزمة المالية الحالية في الولايات المتحدة الأمريكية، هي من المصادر الجديدة

للتمول، أي عندما يتوفر لدى المصرف «محفظة كبيرة من الرهون العقارية»، فإنه يلجأ حينئذ إلى استخدام هذه المحفظة لإصدار أوراق مالية جديدة «سندات» يقترض بها من المؤسسات المالية الأخرى، ويقتصر الضمان هنا في هذه المحفظة، وهذه العملية يطلق عليها الاقتصاديون اسم «التوريق» securitization فالبنك في هذه الحالة لم يكتف بالاقراض الأول، وهو الاقتراض الأصلي بضمان العقار الأصلي الخاص بالمواطن الأمريكي الذي اشترى عقاره بالدين من البنك، بل قام بإصدار سندات جديدة بضمان محفظة الرهون العقارية التي جمعها لديه، لتقوم مؤسسات مالية أخرى بشرائها، وهكذا فإن العقار الواحد (العقار الأصلي) يعطى مالكة الحق في الاقتراض من البنك، غير أن البنك من جانبه يعيد استخدام نفس العقار ضمن «محفظة أكبر من الرهونات العقارية»، للاقتراض بها من جديد من المؤسسات المالية الأخرى، وهذا باختصار ما يعرف بالمشتقات المالية التي يسميها بعض الاقتصاديين «أسلحة الدمار الشامل المالية»، وتستمر هذه العملية موجة بعد موجة، بحيث ينتج العقار الواحد طبقات متتالية من الإقتراض، فإذا انهارت طبقة بسبب توقف المدين عن السداد، انهارت باقي الطبقات وحدثت الأزمة المالية، لأن كل الطبقات يتأثر بعضها البعض الآخر، وهنا تكمن الخطر، وهو ما يطلق عليه «أزمة الرهن العقاري»، السبب المباشر للأزمة المالية العالمية. ويذهب الخبير المصرفي العالمي «عتريس مرشدي» إلى أن الكثير من البنوك لم تجنب مخصصات للقروض المتعثرة (الديون المعدومة)

ولم تهتمش القوائد، (أى لم توقف القوائد على الديون المتعثرة). ويتساءل «مرشدى» كيف بدأت الأزمة المالية في الولايات المتحدة، في البداية لا بد من التفريق بين نوعين من البنوك، الأول البنوك الاستثمارية، والثاني البنوك التجارية، فالبنوك الاستثمارية لا تعتمد على ودائع الأفراد، وإنما على أموالها، ولا تخضع لرقابة البنك المركزي الأمريكي وتتاجر في الأسهم والسندات، والعقارات بنسب مفتوحة، أما البنوك التجارية فتخضع للبنك المركزي، وتمتع عليها المضاربة أو الرهونات العقارية إلا بنسب محدودة.

كيف أفلست البنوك

ولقد حدثت الأزمة المالية الأمريكية الراهنة في البنوك الاستثمارية التي توسعت في القروض العقارية مثل مؤسستي «فريدي ماك» و «فاني ماي» اللتين أنقذهما مجلس الاحتياط الفيدرالي (البنك المركزي الأمريكي) من الإفلاس، ويذكر «عتريس مرشدى» أن الأزمة المالية الأمريكية بدأت بالتسبب في منح القروض للأمريكيين بضمان بيوتهم (الرهن العقاري)، لدرجة أنه كان يتم إعطاء المنزل من جانب البنك العقاري بدون دفع أى دولار (أى بدون مقدم) ويعطى للمقترض - وهو يشتري العقار - فترة سماح قدرها ثلاث سنوات، لا يدفع خلالها هذا المقترض أى مبالغ، ثم يتم بعدها سداد قيمة القسط الأول، وهكذا.

وفي ضوء هذه التسهيلات من جانب البنك، زاد حجم الإقبال على تملك المنازل بدون عمل

استعلام عن المقترض، من حيث مركزه المالي وحساباته في المصارف ومدى قدرته على سداد الأقساط الدورية في مواعييدها، ونتيجة لهذا التسبب عجز عدد كبير من المقترضين عن سداد الأقساط، وهو ما أثر على البنوك الاستثمارية لعدم وجود سيولة، وقد دفع هذا الوضع المأساوى هذه البنوك إلى تحويل الديون العقارية المتعثرة إلى سندات بضمان الرهن العقاري، وتم بيع السندات إلى المؤسسات المالية وكبار المستثمرين في مختلف دول العالم وفي الولايات المتحدة الأمريكية بالطبع وتزايد غير القادرين من المقترضين على الوفاء بديونهم، وهذا ما أدى إلى انتشار الأزمة، وانتقالها إلى أوروبا وآسيا.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن، والحالة هذه هو: كيف أفلست هذه البنوك؟ والجواب لعدم قدرتها على الوفاء بالتزاماتها، وهناك ١٦ مؤسسة مصرفية في الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت إفلاسها، كان آخرها - حتى كتابة هذا المقال - مصرف «ألفابنك»، ولدى هذا المصرف أصول بقيمة ٣٥٤ مليون دولار، وستنقل ودائعه المؤمنة إلى مصرف آخر هو «بنك سبترنز» الذى سيعيد شراء أصول «ألفا بنك» بقيمة ٣٨,٩ مليون دولار.

وعلى الرغم من أن أزمة الرهن العقاري بدأت منذ عامين إلا أن تأثيرها لم يتضح إلا عندما أعلن بنك «اليمان برازرز» العقاري إفلاسه، أى عدم وفاء أصوله بالتزاماته قبل الغير.

ومن ناحية أخرى يقول الكاتب الأمريكي «بول كيدروسكى» فى مقالة بمجلة «نيوزويك» الأمريكية بتاريخ ٢٨/١٠/٢٠٠٨ تحت عنوان:

«أول كارثة فى عصر الإنترنت» معلقاً على أزمة القروض العقارية التى عصفت باقتصادات دول كثيرة «إن أزمة القروض لم تكن مفاجئة لأحد من المستثمرين والمنظمين، بل كانت كل المعلومات متاحة على شبكة الإنترنت ولكن لم ينتبه إليها أحد، ويضيف قوله: أنه فى مارس ٢٠٠٠م، فى ذروة أزمة التكنولوجيا، ألقى «ألان جرينسيان» - وهو خبير اقتصادى عمل فى السابق محافظاً للبنك المركزى الأمريكى - خطاباً عن ثورة قوامها «شبكة الإنترنت»، وكان فى إمكانها تغيير القطاع المالى، وإعادة توزيع المخاطر من خلال استحداث وتقييم وتبادل منتجات أو أدوات مالية معقدة على نطاق عالمي».

المشتقات المالية!!

وهذه إشارة من جانب «جرينسيان» المحافظ السابق لبنك الاحتياط الفيدرالى (البنك المركزى الأمريكى) إلى ما يعرف باسم «المشتقات المالية» التى وصفها فى خطابه بالمنتجات والأدوات المالية المعقدة، وتعتبر بمثابة قنابل مالية موقوتة، من الممكن أن تفجر من أقل خطأ من جانب البنوك أو المؤسسات المالية المتخصصة فى التمويل العقارى، كما حدث مؤخراً فى الولايات المتحدة الأمريكية، بعد انفجار الفقاعة العقارية، بعد توقف عدد كبير من المقترضين عن سداد أقساط رهونهم العقارية، بالإضافة إلى شح السيولة لدى مؤسسات التمويل العقارى، الناجمة عن ذلك، مما سبب الأزمة المالية الراهنة، ويذكر «بول كيدروسكى» أن غياب الرقابة الرسمية لعب دوراً مؤكداً فى الأزمة

المالية الحالية، وأشار إلى «أن عمليات مقايضة القروض المتعثرة التى تمثلها المشتقات المالية بلغت أكثر من ٥٠ تريليون دولار، وزيادة فى الشفافية، على المؤسسات المالية التى تحرص على أن تتنقل المشتقات المالية من القنوات الإلكترونية الخاصة إلى البورصات العامة، فلا يمكن السماح لمشتقات مالية (مقايضة الديون) غير شفافة يتم الاتجار بها عبر الرسائل القصيرة فى شبكة الإنترنت بالتحويل إلى أسواق، قيمتها تريليون دولار، ولا يمكن لأحد أن يفهمها أو يراقبها».

وهكذا يؤكد «كيدروسكى» على شفافية عمليات شراء وبيع سندات الرهون العقارية المتمثلة فيما يعرف باسم «المشتقات المالية» تجنباً لحدوث أية أزمة مالية، من أجل استقرار الأسواق المالية، حيث إن الشفافية فى التعامل أمر يجعل المتعاملين على بينة من كل شىء.

والجددير بالذكر أن «فرانسيس فوكوياما» اليابانى الأصل، الأمريكى الجنسية أشار إلى أنه كان هناك مفهومان مقدسان، الأول أن التخفيضات الضريبية تمول نفسها بنفسها والثانى أن الأسواق قادرة على تنظيم نفسها بنفسها.

ويضيف «فوكوياما» قوله: «إنه إذا خفضت الضرائب من دون تخفيض الإنفاق فسيؤدى ذلك إلى عجز كبير، ولقد أدت زيادة الضرائب فى تسعينيات القرن الماضى فى عهد كلينتون إلى فائض، كما أدت تخفيضات «بوش» الضريبية فى أوائل القرن الواحد والعشرين إلى عجز أكبر، ويقول «فوكوياما»: «هناك مهام معينة لا يمكن إتقانها إلا عن طريق الحكومة، إن المؤسسات

المالية بحاجة إلى رقابة صارمة، وهذا يدل على أنه إذا اختل أساس من أسس الرأسمالية، لابد من تدخل الدولة، حتى لا ينهار البناء الرأسمالي، ومن هنا لا يجب هذه الدولة أن تفرض رقابة صارمة لضبط الأسواق المالية.

مقايضة الديون!!

ويذكر خبراء الاقتصاد أن القانون القيدري الأمريكي كان يفرض على بنك «جى بى مورجان» الاحتفاظ بكميات هائلة من الأموال الاحتياطية، تحسباً لإفلاس أحد من المدينين، ولكن ماذا لو أن البنك المذكور تمكن من إيجاد أداة توفر الحماية في حالة عجز أولئك المقترضين عن السداد، وبالتالي يصبح في استطاعته الاستفادة من المبالغ الاحتياطية المحتجزة، لقد تفتت أذهان المصرفيين عن اللجوء إلى نوع من التأمين يتحمل فيه طرف ثالث المسؤولية عن احتمال عجز المقترض عن السداد، في مقابل أن تتلقى شركة التأمين دفعات منتظمة من البنك في شكل أقساط تأمين، ومن هنا يمكن أن يكون في مقدور بنك «جى بى مورجان» حذف احتمال الخطر من دفاتره، وبالتالي تحرير أمواله الاحتياطية المحتجزة، وقد أطلق على هذا الأسلوب في التعامل اسم «مقايضة الديون» التي تخلف أصحابها عن السداد، وجاءت الطامة الكبرى عندما أوشك عملاق التأمين في الولايات المتحدة «إيه آى جى» على إعلان إفلاسه، بسبب عجزه عن سداد ١٤ مليار دولار، على شكل قروض، ضمنها للبنوك الاستثمارية وعشرات المؤسسات

المالية، لولا قيام مجلس الاحتياط الفيدرالي «البنك المركزي الأمريكي» بمنح هذا العملاق الذي يعمل في مجال التأمين، قرضاً قيمته ٨٥ مليار دولار، في مقابل حصوله على ٧٩,٩٪ من رأس مالها، ويمثل هذا الإجراء من جانب البنك المركزي الأمريكي أكبر عملية تأمين في الولايات المتحدة التي يقوم اقتصادها على النظام الرأسمالي من أجل توفير السيولة لأكثر شركة تأمين وإنقاذها من الإفلاس الذي كان سيفاقم من حدة الأزمة المالية الأمريكية ويعرض بنوكاً ومؤسسات مالية لمأزق مالي خطير، بوصفها مشترية لوثائق التأمين. وكم كان الملياردير «وارن بافيت» محقاً عندما وصف عملية مقايضة الديون، بأسلحة الدمار الشامل المالية، حيث إن انهيار شركة التأمين قد يؤدي إلى انهيار المؤسسات المالية الأخرى. وتقول «تيرى دهن» من شعبة الديون في نيويورك والتي تتولى الآن رئاسة مؤسستها الاستشارية الخاصة العاملة في مجال «الأوراق المالية المشتقة» في لندن: «مكننا البنوك من إزالة أخطار ديونها من دفاترها، وتحويل تلك الديون إلى مؤسسات غير مالية مثل شركات التأمين و«صناديق معاشات التقاعد». ومن ناحية أخرى أنه في ٢٦ يوليو ٢٠٠٨ أقر الكونجرس الأمريكي قانوناً بإنشاء صندوق بقيمة ٣٠٠ مليار دولار لتوفير قروض ميسرة للمواطنين، يسددون بها سندات القروض العقارية المتعثرة، كما وافق الكونجرس أيضاً على خطة الإنقاذ المالي وقدرها ٧٠٠ مليار دولار لحماية الجهاز المصرفي الأمريكي من الانهيار، وقد وضع

«باراك حسين أوباما» خمسة شروط لموافقته على خطة الإنقاذ المالي، الأول مراقبة المال العام من قبل لجنة مستقلة، والثاني حماية دافعي الضرائب بالتأكد من إمكانية إعادة أموالهم إليهم عند حدوث أزمة، والثالث التأكد من أن الخطة لن تعود بالفائدة على رؤساء مجالس إدارة «وول ستريت» (الحى المالي) الذين يتحملون جزءاً من المسؤولية عن الأزمة المالية الحالية، والرابع مساعدة ملايين العائلات التي تسعى للبقاء في بيوتها دون مصادرة بسبب عجزهم عن سداد الأقساط العقارية الخاصة بهذه البيوت، والخامس التأكد من أن الخطة لن تخدم مصالح أفراد محددين، ويذهب «جيم أمورين» مدير معهد الثمن العقاري في الولايات المتحدة إلى «أن أزمة الرهن العقاري الأمريكية هي سبب الأزمة المالية الحالية، بالإضافة إلى توقف المقترضين عن السداد بنسبة ٧٪ بعدما كانت لا تتجاوز ١٪ في السابق.

بيع القروض!!

وأكد «أمورين» «أن بيع القروض في السوق العقارية هو من أسباب الأزمة، إذ لا يعتمد فيها على الثمن (التقييم)، ناهيك عن المضاريات في السوق، ما جعل هذه القروض أعلى من قيمتها الحقيقية، وقد أدى ذلك إلى انهيار بعض المصارف والشركات العاملة في مجال العقارات».

ويرى «أمورين» «أن المبلغ المخصص لحل الأزمة المالية الأمريكية وقيمته ٧٠٠ مليار دولار لا يكفي، خاصة أن الأسواق المالية الأمريكية



أوباما

خسرت ما بين ٨ و ١٠ آلاف نقطة، وهو ما أفقد هذه الأسواق الثقة».

واعترف «أمورين» بأن تدخل الحكومة الأمريكية المباشر لإنقاذ المصارف والشركات من الإفلاس

«يتعارض مع قوانين منظمة التجارة العالمية ومبادئها» غير أنه استدرك أن التدخل من جانب الحكومة الأمريكية هو من أجل إنقاذ النظام المالي العالمي من الانهيار الشامل.

وفي هذا السياق أشارت دوريات اقتصادية وثيقة الصلة بدوائر المال والأعمال إلى أن «حجم الخسائر الناتجة عن الرهن العقاري في الولايات المتحدة الأمريكية بلغ ١٠٠ مليار دولار، ارتفعت لاحقاً إلى ١٧٠ مليار دولار، وقد وصلت قيمة السوق العقارية الأمريكية إلى ١٣ تريليون دولار، ويكشف الرقم الأخير مدى اعتماد الأمريكيين على القروض العقارية التي تيسر لكل أمريكي أن يمتلك بيتاً، لكنه قائم كما أشرنا في المقدمة على الدين والاقتراض.

وفي الختام يمكن القول أنه بجانب أزمة الرهن العقاري في الولايات المتحدة الأمريكية فإن الحرب الأمريكية على أفغانستان والعراق، التي استنزفت ٨٠٠ مليار دولار من الميزانية الأمريكية، كانت أحد أسباب الأزمة المالية الحالية، حيث أثارت غضب دافعي الضرائب الأمريكيين، الذين تحملوا عبء هذه الحرب التي لا طائل من ورائها غير تشويه صورة أمريكا، وضياغ هبتها، وفقدان تأثيرها الدولي.

إعادة قراءة التاريخ الإسلامي وإسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية

الأستاذ: عاطف مصطفى

تحت شعار إن الدين عند الله الإسلام، انعقد المؤتمر العام الثامن للدعوة الإسلامية، والذي عقدته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس عاصمة الجماهيرية الليبية في أكتوبر الماضي، وبحضور أكثر من ٤٦٠ هيئة ومؤسسة إسلامية، من مختلف قارات العالم، إضافة إلى هيئات دولية وإقليمية، ومنظمات مسيحية مهتمة بأمر الحوار الديني والتواصل الثقافي، وعشرات العلماء والمفكرين المهتمين بأمر الدعوة الإسلامية، إضافة إلى عدد من المثقفين وأساتذة الجامعات، ولقيف من الإعلاميين من مختلف مناطق العالم.

في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، حضر السيد محمد معمر القذافي والدكتور محمود الشريف الأمين العام لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا والدكتور إبراهيم الغويل مقرر عام المؤتمر، كما حضرها الدكتور محمد الزبدي عميد كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس.

■ إله واحد.. دين واحد

وقد تحدث في الجلسة الافتتاحية فضيلة الدكتور على جمعة مفتي الديار المصرية، والذي أكد في كلمته أن الشعار الذي انعقد تحت لوائه المؤتمر العام الثامن:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُهُ﴾

(آل عمران: ١٩)

إنما يعني أن جميع أنبياء الله ورسله من آدم عليه السلام وحي النبي محمد ﷺ، إنما كانوا يتبنون ديناً واحداً، ويدعون إلى عبادة الإله الواحد الذي لا شريك له.

وهذا يعني أن أصحاب الرسالات السماوية المتعاقبة يجب عليهم أن يتعاونوا في نشر دين الله، والدعوة إلى أعمال القيم الدينية العليا ومكارم الأخلاق، ويجب عليهم أيضاً أن يتعايشوا معاً بشكل يؤكد السلام والأمن والأمان، وعلى ممارسة كل إنسان لحقوقه وحرياته بقدر متساوٍ في حدود عدم إبداء الغير أو الإضرار به.

■ عرض لإنجازات جمعية الدعوة الإسلامية

وفي كلمته قال الدكتور محمود الشريف أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية: إن الجمعية قدمت في دراسة لها أهم إنجازاتها على مدى السنوات الأربع الماضية، وهي إنجازات لها أهميتها في عدة مجالات مختلفة أهمها: المجال التعليمي، فهناك كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، وهناك كليات للدعوة تابعة للجمعية في العديد من دول العالم، مثل: سوريا، ولبنان، وغيرهما، وهناك أيضاً مجال العمل الاجتماعي والذي يتمثل في رعاية الأيتام والأرامل والفقراء في قارة أفريقيا وغيرها من القارات الأخرى.

وفي مجال الإغاثة الإسلامية، قدمت الجمعية إغاثات عاجلة في مجال الغذاء والكساء والإيواء، وكذلك في مجال رعاية المهتدين الجدد حديثي العهد بالإسلام في قارة أفريقيا.

وقد طلب الأمين العام من الجمعيات الإسلامية التي تشرف عليها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الليبية، أن يقدموا في جلسات المؤتمر نبذة عما قاموا به من جهود، وحجم الإنجازات التي حققوها، وما قابلهم من معوقات واقتراحاتهم بأساليب تجاوزها، وما يحتاجونه من دعم لمسيرة ناجحة لدورهم.

أما مقرر المؤتمر الأستاذ إبراهيم الغويل فقد قدم شرحاً مفصلاً لأهداف الجمعية وخطة عمل المؤتمر العام الثامن، وما تم إنجازه من قبل الجمعية على مدى السنوات الأربع الماضية.

وأوضح السيد محمد معمر القذافي في كلمته للمؤتمر أن الأخ العقيد معمر القذافي هو الذي أشار بإنشاء جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وأن الجماهيرية الليبية تعمل على دعم هذه الجمعية دعماً كاملاً، وأثنى على إنجازاتها وعلى جهودها المباركة على مدى السنوات الماضية ومنذ إنشائها، وتمنى للمؤتمر أن يخرج بتوصيات ومقررات بناءة مفيدة للمسلمين في كل أنحاء العالم، وفي قارة أفريقيا على وجه الخصوص، والتي يتركز أغلب جهود الجمعية بها.

وبدأت أعمال المؤتمر في نفس اليوم مباشرة، حيث خصصت جلسة العمل الصباحية لعرض

تقرير المجلس العالمي للدعوة الإسلامية حول
أنشطة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وتمت
مناقشته ثم عرض الدكتور قطب مصطفى سامي
الأستاذ بالجامعة الماليزية بحثه بعنوان : «الاجتهاد
ومستجدات العصر».

قوله تعالى :

المسلمين بين ظهريتيهم.

— من الضروري يمكن أن توظف الحملات

■ ضرورة مواجهة الانحلال، وتعتمد تفكيك الروابط الأسرية والاهتمام بالمرأة ثقافياً واجتماعياً .

والورقة الثالثة تضمنت موضوعاً عنوانه: «الثقافية مشروع للنهضة المعاصرة» للباحث علي أبو الخير. وأما الورقة الرابعة والأخيرة في هذه الجلسة فقد دارت حول: «الهوية بين تهديد التمييط وتداعيات التفريط» وقدمها الشيخ «محمد علي التسخيري». أما الجلسة في القاعة الموازية فقد تضمنت أيضاً أربع ورقات بحثية:

- دارت الورقة الأولى حول العالم المعاصر وضرورة الحوار، قدمها مانويل آداماكس.
- وكانت الورقة الثانية بعنوان: «الحوار.. مرجعيته وأهدافه ونتائجه» وقدمها الدكتور محمود أبوب.
- أما الورقة الثالثة فدارت حول: «العولمة ومنظومة القيم الدينية»، قدمها الدكتور نبيل السمالوطي.
- وقد تناولت هذه الورقة مفهوم العولمة وتحدياتها، مع التركيز على العولمة الثقافية عند أنصارها ومعارضها وحجج كل قسم. هذه الورقة أجابت عن عدة تساؤلات مثل:
- هل يمكن تحقيق العولمة الثقافية؟
- وهل يمكن القضاء على عشرة آلاف ثقافة، هي عدد ثقافات العالم المعاصر، من أجل أن تسود ثقافة

واحدة هي ثقافة الغرب؟

وهل التنوع الثقافي يمكن وصفه بأنه عمل خلاق يساعد على التعايش السلمي بين الجميع، أم أنه يمثل خطورة على قيم التعايش السلمي للإنسان؟

■ أهمية قبول الآخر

وأشار البحث إلى تقرير لجنة التنمية الثقافية في الأمم المتحدة برئاسة دي كويلار والتي بدأت منذ سنة ١٩٩٣ إلى سنة ١٩٩٦ تحت عنوان مهم وهو: تنوعنا البشري الخلاق، وقد جاء منه أن التنمية لا تعني مجرد الحصول على المزيد من السلع والخدمات، ولكنها تعني تزايد الحرية في اختيار أسلوب الحياة، وأن التنمية الاقتصادية إذا انفصلت عن سياقها الإنساني والثقافي تصبح كارثة وجسدا بلا روح، وضرورة وضع سياسات ثقافية، وربط الثقافة بالتنمية، ودعم ثقافة الديمقراطية، والقضاء على الفقر والبطالة والجوع والتخلف والمرض والتحجر الفكري وأيضاً أهمية قبول الآخر، والدخول معه في حوار يعود بالنفع على الجميع. وقد عالجت الورقة في قسمها الثاني المخاطر الدولية، والتحديات التي تواجه مؤسسة الأسرة،

والتي تحاول القضاء على بنائها الديني، وعلى وظائفها التربوية والنفسية، وعلى أهدافها واستبدالها بأشكال انحرافية.

● وقد دارت الورقة الرابعة والأخيرة في هذه الجلسة حول تجربة «الكلمة السواء» وقدمها الدكتور العارف النابض. وفي الجلسة المسائية عرض بحث واحد عنوانه: «العلاقات الإنسانية واجتمع المعاصر» قدمه الباحث الدكتور مهدي مفتاح أميرش وهو من البوسنة.

ودارت بقية الجلسة المسائية وجلسة اليوم التالي الصباحية حول عرض تقارير أعضاء المؤتمر عن أنشطتهم الدعوية.

■ التنسيق بين الهيئات الدينية

وفي نهاية المؤتمر توصل الحاضرون إلى مجموعة من التوصيات أهمها:

- التوصية بأن تتحول كلية الدعوة الإسلامية وفروعها إلى جامعة إسلامية تعنى بمختلف العلوم والمعارف.
- الاستمرار في توسيع دائرة العمل الإغاثي، وتوسيع التعاون بشأنه مع الهيئات والمنظمات ذات العلاقة مع استمرار تركيزه على القارة الأفريقية.
- مضاعفة الجهود من أجل الاهتمام بالمرأة

اجتماعياً وثقافياً وتعزيز حضورها في مناسبات الجمعية. - الاستمرار في بذل الجهود من أجل تعزيز الهوية الإسلامية لدى الناشئة، وتجذير الانتماء للإسلام في نفوسهم، وذلك من خلال تطوير التربية الروحية، واستثمار الرصيد التاريخي التراثي للأمم، وتوسيع دائرة التعريف بالتاريخ الإسلامي وإسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية.

■ إدانة كل عمل

يتعمد إشاعة

ثقافة الكراهية

بين الأديان

- تأكيد أهمية الاستمرار في تنظيم اللقاءات الصوفية وتشجيع أنشطتها التربوية والروحية، والعمل على تنقية مسيرة التصوف؛ لتتفق مع ثوابت الدين وأسس العقيدة.

- توفير الإمكانيات وتطوير الأساليب الخاصة بتعليم العربية وتعزيز مكانتها في منظومتنا التربوية والثقافية.

- الدعوة إلى التنسيق بين الهيئات الدينية من أجل مواجهة موجة التفسخ والانحلال ومظاهر العبث بالطبيعة البشرية، وتعتمد تفكيك الروابط الأسرية، وإشاعة الإباحية، وزعزعة المنظومة القيمية للأديان.

- وأخيراً.. الدعوة إلى احترام الخصوصيات العقدية، وإدانة كل عمل ينال من كل تلك الخصوصيات، أو يتعمد تشويه الأديان أو رموزها، أو يشيع ثقافة الكراهية بين الأديان.

من حياة عمر بن عبد العزيز

للاستاذ/ عادل خفاجة

صفحات
مشرقة
وأمثلة
عالية

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر» ورواه مسلم من حديث عائشة. وقيل: إن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: إن من ولدي رجلاً، بوجهه شتر، يملأ الأرض عدلاً. وكان ابن عمر يقول: ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة، يملأ الأرض عدلاً!.

يسمع كل ذلك فلما أصبح قال: يا أسلم، امض إلي ذلك الموضع فانظر من القائلة والمقول لها، وهل لهما من بعل؟ فإذا أيم لا بعل لها، وإذا تيك أمها، ليس لها رجل. فأخبر عمر، فجمع ولده، وقال: فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه؟ فزوجها من عاصم، فولدت أم عاصم، فتزوجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، فولدت له عمر سنة ٦٣ هجرية.

بواكير حياته

حدث سالم الأقطس أن عمر بن عبد العزيز ومجنه دابة، وهو غلام بدمشق، فضمت أم عاصم أمه إليها، وجعلت تصح الدم عن وجهه، ودخل

لعل أولى الصفحات المشرقة في حياة عمر بن عبد العزيز كانت يوم أن خرج جده الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب حيث روت كتب التاريخ أن عمر رضي الله عنه -بينما وهو يعس بالمدينة (ومعه أيسر) أعياء، فأتكا على جدار، فإذا امرأه تقول لا بنتها: قومي إلى ذلك اللبن فامدقيه بالماء. فقالت: يا أمتاه، أما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته؟ قالت: نادى مناديه: لا يشاب اللبن بالماء. فقالت لها: يا بنتاه، قومي فامدقيه. فإنك في موضع لا يراك عمر ولا منادى عمر. فقالت الصبية: ما كنت أطيعه في الملاء، وأعصيه في الخلاء. وعمر

(١) مختصر تاريخ دمشق

وأشده:

هي القناعة فالزمها تكن ملكاً
لو لم يكن لك إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها
هل راح منها بغير القطن والكفن
وقال الشاعر:
الله يغضب إن تركت سواه
وبني آدم حين يسأل يغضب

ضرر الجسد

قال بعض الحكماء: ألزم الناس كتابة: رجل حمود، وخليط الأدباء وهو غير أديب، وحكيم محقر لدى الأقوام. قال علي بن بشر المروزي كتب ابن المبارك هذه الآيات: كل العداوة قد ترجى إمتعتها

إلا عداوة من عاداك من حسد
فإن في القلب منها عقدة عقدت
وليس يفتحها راق إلى الأبد

إلا الإله فإن يرحم يحللها وإن أباه فلا ترجوه من أحد
وقال سليمان التيمي: الحسد يضعف اليقين، ويسهر العين، ويكره الهم
وقد صلى الأحف بن قيس على حارة بن قدامة السعدي فقال:
رحمك الله كنت لا تحمد غنياً، ولا تحقر فقيراً.
وكان يقال: لا يوجد الحر حريصاً، ولا الكريم حسوداً.
وقال شاعر:

حسدوا النعمة لما ظهرت
فمرموها بلباطيل الكلم
وإذا ما الله أسدى نعمة
لم يضرها قول أعداء النعم

دعاء

اللهم ياموتس كل وحيد، وياصاحب كل فريد، وباقريه غير بعيد، ياذا الحبل الشديد، والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد.

حسن التخلص

يقال إن عمر بن الخطاب ولي رجلاً من قريش عدلاً فبلغه أنه قال: اسقني شربة آتد لديها واسق بالله مثلها ابن هشام فأمر بعرله عن عمله، فلما قدم عليه قال له: أأنت القاتل وأشده البيت، فقال الرجل: نعم ياأمير المؤمنين وقد قلت بعده:

عدلاً بارداً بماء سحاب
إني لا أحب شرب للدم
فقال أمير المؤمنين: أكذا قلت؟ وردته إلى عمله.

ما قيل في مسامرة الأيام

قال حكيم: «أصحاب الأيام بالوادعة، ولا تسابق الدهر لتكسب» وقال الشاعر:

من ساق الدهر كما كسوة لم يستغلها من خطا الدهر
فاحط مع الدهر إذا ما خطا واجرم مع الدهر كما يجرى
لا أظن أن الشاعر يقصد من مسامرة الدهر ومجاراته أن يتدفع في التيار الذي يشته أهل الفساد فيه، فإن ذلك فضلاً عن منافاته للكرامة الشخصية، فهو شديد الخطر على المجموع، فإن المدينة الفاضلة تقتضي أن تسود الفضائل، وأن يعلو شأن الخادم، فإذا وطئ كل إنسان نفسه على أن يتفاد لشهوات أهل الشهوات، تغلبت الرذائل على المجموع، وباد كما باد غيره ولا كرامة.
وقال بشار العقيلي:

أعاذل إن الدهر سوف يفيق
وإن يساراً من غد تخليق
وما كنت إلا كالزمان إذا صحا

صحوت وإن ماق الزمان لموق

صيانة ماء الوجه

قال إبراهيم بن حفصة لأبيه: يا بني من شكرك عن لا يستحقه، وأطلب المعروف ممن يحسن طلبك إليه، واستر ماء وجهك بقتاع قناعك، وتسل عن الدنيا بتجافها عن الكرام.

أبوه عليها على تلك الحال، فأقبلت عليه تعذله وتلومه وتقول: ضيعت ابني، ولم تضم إليه خادما ولا خاضعا يحفظه من مثل هذا! فقال: اسكني يا أم عاصم، فطوباك إن كان أشج بني أمية^(٢). وكان بلال ولد عبدالله بن عمر بوجهه شامة، وكانوا يرون أنه هو.

وبعث عبد العزيز بن مروان ابنه عمر إلى المدينة يتأدب بها، وكتب إلى صالح بن كيسان يتعاهده، وكان يلزمه الصلوات، فأبطأ يوما عن الصلاة، فقال: ما حبسك؟ قال: كانت مرجلتى تسكن شعري، فقال: بلغ من تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة، وكتب بذلك إلى والده، فبعث عبد العزيز رسولا إليه فما كلمه حتى حلق شعره^(٣).

وكان لهذه الحادثة أثرها النافذ في حياة عمر فالتفت إلى تحصيل العلم حتى أتم حفظ القرآن فوجدته أمه يكي فقالت: ما يكيك؟ قال: ذكر الموت. فبكت أمه من ذلك^(٤).

وشمر عمر عن ساعد الجد طلبا للعلم النفيس فتعلم الفرائض والسنن، وصاحب خيار الناس فاشتهر بالعلم والعقل مع حداثة سنه حتى سقى نجيب بني أمية.

ثم بعث إليه عبد الملك بن مروان عند وفاة أبيه، وخلطه بولده، وقدمه على كثير منهم، وزوجه بابنته فاطمة التي قيل فيها:

بنت الخليفة، والخليفة جدها أخت الخلائف، والخليفة زوجها

عمر بن عبد العزيز واليا على المدينة

اشتهر عمر بن عبد العزيز بالعلم والعقل منذ حداثة سنه كما اشتهر بالشجاعة وحسن الخلق والخلق، كامل العقل، حسن السمات، جيد السياسة، حريصا على العدل بكل ممكن، وافر العلم، ظاهر الذكاء والفهم، أوها منيبا، قاتنا لله، حنيفا زاهدا ناطقا بالحق، فولاه الوليد بن عبد الملك على الحجاز - المدينة ومكة والطائف - وكان لا يخشى في الله لومة لائم فعارض الحكام عندما تبين له خروجه عن الصراط المستقيم وجابههم وجادلهم بالحسنى، ومن هذه المواقف نذكر:

أنه دخل على سليمان بن عبد الملك وعنده أيوب ابنه وهو يومئذ ولي عهده قد عقد له من بعده فجاء إنسان يطلب ميراثا لبعض نساء الخلفاء فقال سليمان ما إخال النساء يرثن في العقار شيئا فقال عمر بن عبد العزيز سبحان الله فأين كتاب الله؟! قال يا غلام: اذهب فائتني بسجل عبد الملك بن مروان الذي كتب فيه ذلك، فقال له عمر: لكأنك أرسلت إلى المصحف قال أيوب والله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين ثم لا يشعر حتى يفارقه رأسه، قال له عمر إذا أفضى الأمر إليك وإلى مثلك فما يدخل على أولئك أشد مما خشيت أن يصيبهم من هذا. فقال سليمان: مه الأبي حفص تقول هذا؟! قال عمر: والله لئن كان جهل علينا يا أمير المؤمنين ما حلمنا عنه^(٥).

ومنها ما رواه عمر بن عبد العزيز حيث قال: بعث إلى الوليد ذات ساعة من الظهيرة، فدخلت عليه فإذا هو عابس، فأشار إلي أن أجلس، فجلست فقال: ما تقول فيمن يسب الخلفاء أيقتل؟ فسكت، ثم عاد فسكت، ثم عاد فقلت: أقتل يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن سب، فقلت: ينكل به، فغضب وانصرف إلى أهله، وقال لي ابن الريان السيف: اذهب، قال: فخرجت من عنده وما تهب ريح إلا وأنا أظن أنه رسول يردني إليه^(٦).

ولما أراد الوليد بن عبد الملك أن يخلع سليمان قال يا أمير المؤمنين: إنما بايعنا لكما في عقدة واحدة فكيف نخلعه ونتركك؟^(٧)

ومنها أن سليمان بن عبد الملك حج ومعه عمر بن عبد العزيز، فلما أشرف على عقبة عسفان نظر سليمان إلى عسكره فأعجبه ما رأى من حجره وأبنته، فقال: كيف ترى ما ها هنا يا عمر؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين دنيا يأكل بعضها بعضا، أنت المستول عنها والمأخوذ بما فيها^(٨).

نعم المستشار

لما تقل المرحض على سليمان قال: يا رجاء! أستخلف ابني؟ قال: ابنك غائب، قال: فالآخر؟ قال: هو صغير، قال: فمن ترى؟ قال: عمر بن عبد العزيز، قال: أتخوف بني عبد الملك أن لا يرضوا، قال: قوله، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، وتكتب كتابا وتختمه، وتدعوهم إلى بيعه مختوم عليها،

قال: فكتب العهد وختمه، فخرج رجاء، وقال: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تباعوا لمن في هذا الكتاب، قالوا: ومن فيه؟ قال: مختوم، ولا تخبرون بمن فيه حتى يموت، فامتنعوا، فقال سليمان: انطلق إلى أصحاب الشرط، وناد الصلاة جامعة، ومرهم بالبيعة، فمن أبي، فاضرب عنقه، ففعل، فباعوا، قال رجاء: فلما خرجوا، أتاني هشام في موكة، فقال: قد علمت موقفك منا، وأنا أتخوف أن يكون أمير المؤمنين أزالها عني، فأعلمني مادام في الأمر نفس، قلت: سبحان الله! يستكتمني أمير المؤمنين، وأطلعك، لا يكون ذلك أبدا^(٩).

وهكذا تمت البيعة لعمر بن عبد العزيز فزولا على رغبة الخليفة أمير المؤمنين التي ضمنها كتابه المختوم وكان فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز أنني وليته الخلافة من بعدى ومن بعده يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تخلقوا فيطمع فيكم^(١٠).

فلما فتح الكتاب وعلم الناس ما فيه وأن العهد لعمر بن عبد العزيز قالوا: أين عمر - وكان في آخر المسجد - فأخذه رجاء وأجلسه على المنبر فقال: واجتمع الناس إليه فقال: يا أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي مني فيه ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختراروا لأنفسكم

(٦) البداية والنهاية

(٨) حلية الأولياء

(١٠) تاريخ دمشق

(٧) تاريخ دمشق

(٩) سير أعلام النبلاء

(٢) تاريخ دمشق ودمجته أي ركبته برجلها ويقال فرس واحدة أي صحن

(٣) المعرفة والتاريخ للنفوس

(٤) و (٥) تاريخ دمشق

فصاح الناس صيحة واحدة قد اخبرناك يا أمير المؤمنين ورضيناك فلما رأى الأصوات قد هدأت ورضى الناس به جميعا حمد الله - عز وجل - وأثنى عليه وصلى على النبي (ﷺ) فقال: أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلف من كل شيء وليس من تقوى الله خلف فاعملوا لآخرتكم فإنه من عمل لآخرته كفاه الله أمر ديناه، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم فإنه هادم اللذات وإن من لا يذكر من آيائه فيما بينه وبين آدم أباً لمعرق له في الموت وإن هذه الأمة لا تختلف في ربها - عز وجل - ولا في نبيها (ﷺ) ولا في كتابها إنما اختلفوا في الدينار والدرهم وإنني والله لا أعطي أحدا باطلا ولا أمنع أحدا حقاً.^(١١)

وكان أول ما فعله أن أمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال: وما ذاك قال العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي، والعباس جالس فقال: يا عباس ما تقول قال: أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لي بها سجلاً فقال عمر: ما تقول يا ذمي قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل فقال عمر كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك قم فاردد عليه يا عباس ضيعته

(١١) و(١٢) و(١٣) تاريخ دمشق.

(١٤) الطبقات الكبرى.

(١٥) سير أعلام النبلاء.

(١٦) سبط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي.

فردّها عليه فجعل لا يدع شيئاً مما كان في يديه وفي يد أهل بيته من المظالم إلا ردّها مظلمة مظلمة.^(١٢)

موقفه من بيت مال المسلمين

كان أول ما فعله بعد أن ألقى خطبته الأولى في الخلافة أن أمر بالسُّور فهتكت والنياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وإدخال أثمانها في بيت مال المسلمين.^(١٣)

كان عند فاطمة بنت عبد الملك جوهر، فقال لها عمر: من أين صار هذا إليك؟ قالت: أعطانيه أمير المؤمنين. قال: إما أن ترديه إلى بيت المال وإما أن تأذيني في فراقك فأني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت. قالت: لا بل أختارك على أضعافه لو كان لي. فوضعت في بيت المال.^(١٤)

قال الحكم بن عمر، شهدت عمر بن عبد العزيز حين جاءه أصحاب مراكب الخلافة يسألونه العلوقة ورزق خدمها، قال: ابعت بها إلى أمصار الشام يبيعونها، واجعل أثمانها في مال الله، تكفيني بقلتي هذه الشهباء.^(١٥)

ومن مواقفه -أيضاً- أنه كان في الجامع الذي بناه الوليد بدمشق المشهور بجامع بني أمية ستمائة سلسلة من ذهب للقناديل، وما زالت إلى أيام عمر بن عبد العزيز، فجعلها في بيت المال، واتخذ عوضها صفراً وحديداً.^(١٦)

(يتبع)

الخوارزميات

في

الفكر العلمي الإسلامي

بقلم أ.د. / أحمد هؤاد باشا

يزخر التراث الإسلامي بالعديد من المؤلفات العلمية التي تضمنت أفكار ونظريات علمية متقدمة في ميادين علمية عديدة، ولعل ما يعرف اليوم باسم علم «الخوارزميات» يأتي في مقدمة العلوم المعاصرة التي تدين بنشأتها وتطورها لرواد العلم الإسلامي في عصور الازدهار الأولى للمسلمين، وفي مقدمتهم أبو عبدالله محمد بن موسى الخوارزمي الذي يُنسب إلى خوارزم من بلاد أوزبكستان، واليه ينسب علم «الخوارزميات» فمن هو الخوارزمي هذا، وما المقصود بالخوارزميات؟

■ السيرة العلمية للخوارزمي:

لا نعرف الكثير عن مولد محمد بن موسى الخوارزمي ونشأته في خوارزم، لكن أعماله تؤكد أنه عاش في بغداد فيما بين سنتي ١٦٤ و ٢٣٥ هـ (٧٨٠ - ٨٥٠ م)، وبرز في عصر الخليفة المأمون الذي ولاه أميناً على «دار الحكمة».

وقد نبغ الخوارزمي في الرياضيات والفلك والجغرافيا والتاريخ والموسيقى، وله فيها مؤلفات عديدة ضمنها أفكاره العبقريّة، ومنها: كتاب الجمع والتفريق «الطرح» بالحساب الهندي - كتاب الجبر والمقابلة - كتاب البوصايا - كتاب العمل بالأسطرلاب - كتاب المعاملات - كتاب الزيج «جداول فلكية» - كتاب التاريخ

كتاب تقويم البلدان - كتاب صورة الأرض وجغرافيتها - كتاب جمع بين الحساب والهندسة والموسيقى والفلك.

وقد أفاد من أعمال الخوارزمي كل من جاء بعده، واعتمد عليها أهل أوروبا في بناء نهضتهم الحديثة، فقد ترجم كتابه «الجبر والمقابلة» إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي، ليصبح مرجعاً أساسياً في أوروبا ويظل محتفظاً باسمه العربي حتى اليوم في كل لغات العالم، وكان أهم ما دفع الخوارزمي إلى تأسيس هذا العلم الرياضي الجديد هو إيجاد طريقة جديدة لحساب الأنصبة المختلفة للورثة في الشريعة الإسلامية وهو ما يعرف بحساب الموارث.

وفي الفلك احتل «زيج الخوارزمي» منزلة مهمة في بدايات العلم الإسلامي واتخذته كثير من علماء الفلك بعد ذلك أساساً لمؤلفاتهم وأرصادهم، أما كتابه «تقويم البلدان» فقد عرض فيه آراءه الخاصة المستقلة عن العلم الإغريقي، واعتبره المؤرخون تجديدًا لجغرافية «بطليموس».

وفي علم الحساب كان كتاب الخوارزمي المسمى «الجمع والتفريق» أو «الجمع والطرح» أول كتاب من نوعه يترجم إلى اللاتينية ويظل المصدر المعتمد في البحوث الحسابية التي حملت اسم الخوارزمي، ومن هذا الكتاب عرف الأوروبيون الأرقام العربية arabic Numbers

كتاب الخوارزمي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل العلم نوراً
مستنداً على الحق والعدل والبرهان

• منيع لا يشترط فيه حجة ولا برهان
• إلى الله العليّ عظيم الجلال
• من جنس من جنس من جنس من جنس
• خضع من الخس من الخس من الخس
• من جنس من جنس من جنس من جنس
• الولد من جنس من جنس من جنس
• من جنس من جنس من جنس من جنس

• بعد الله العلم والعمل
• الفالح من

• تحت الله ربيع الزمان
• صاير من جنس من جنس من جنس
• على من جنس من جنس من جنس
• من جنس من جنس من جنس من جنس

وأخذوا معنى «الصفّر» الذي دخل لغاتهم بألفاظ محوارة من اللفظ العربي، يقول «روم لاندان» Rom Landan في كتابه «الإسلام والعرب»: «لقد كانت الخدمة الرئيسية التي أسداها العرب في هذا الحقل هي استخدام الصفّر استخداماً عملياً، وقد دعاه العرب بهذا الاسم الذي يعني «الفراغ»، ومنه اقتبست لفظة cifra اللاتينية، التي تعني الشيء الذي لا قيمة له، والصفّر في وقت واحد، وكان العرب قد ظلوا مائتين وخمسين عاماً على الأقل

وهم يستخدمون الصفّر، إلى أن اقتنعت أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي بأن «الفراغ» «الصفّر» لم يكن اختراعاً أحقق إلى الدرجة التي توثقها مدعو العلم الغربيون»^(١).

ولسنا بحاجة إلى القول أنه لولا الصفّر واستعماله في الترقيم لما فاقت الأرقام العربية غيرها من الأرقام، ولما كان لها أية ميزة، بل لما فضلها الأمم المختلفة على الأنظمة الأخرى المستعملة في الترقيم، ولولا الصفّر لما استطعنا أن نحلّ كثيراً من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات بالسهولة التي نحلها بها الآن، ولما تقدمت فروع الرياضيات تقدمها المشهور، وبالتالي لما تقدمت المدنية هذا التقدم العجيب، ومن الغريب أن الأوروبيين لم يتمكنوا من استعمال الأرقام العربية، بما فيها الصفّر، إلا بعد انقضاء قرون عديدة من اطلاعهم عليها، أي أنه لم يعم استعمالها في أوروبا والعالم إلا في أواخر القرن السادس عشر للميلاد^(٢).

■ خوارزميات العمليات الحسابية:

نتيجة لرؤية الخوارزمي في الحساب استحدثت

كلمة «خوارزمية» Algorism أو Algorithm التي تعني طريقة عامة لوصف عملية حسابية محددة بعدد من الخطوات المعتمدة كل منها على سابقتها، وأصبحت الكلمة بعد ذلك علماً قائماً بذاته هو علم «الخوارزميات» في عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة، وتعرف الخوارزمية في المعاجم الحديثة بأنها متتابعة من القواعد أو العمليات تؤدي إلى حل قضية محددة.

مثال (١): عملية الجمع:

لتيسير عملية جمع الأعداد ٣٨٨١ + ٥٤٥٧٧
٩٠٤ + ٥٤٥٧٧
الجمع من اليمين بطريقة تدوين المحفوظات التي يستخدمها الآن بعض معلمى الحساب الابتدائي «كما هو موضح بالرسم» فيكون الناتج هو ٥٩٣٦٢
المحفوظة «المحفوظات» التي تنقل من مرتبة «خانة» إلى المرتبة التي تليها «الأعلى منها» في الخطوات الأولية «الخوارزمية» تساعد على توضيح فكرة جمع الأعداد للمتدربين في العلم.

مثال (٢): عملية الضرب بطريقة الشبكة:

(١) عن زيجريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب «أثر الحضارة العربية في أوروبا» - الترجمة العربية: منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.

(٢) قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، دار الشروق (د.ت).

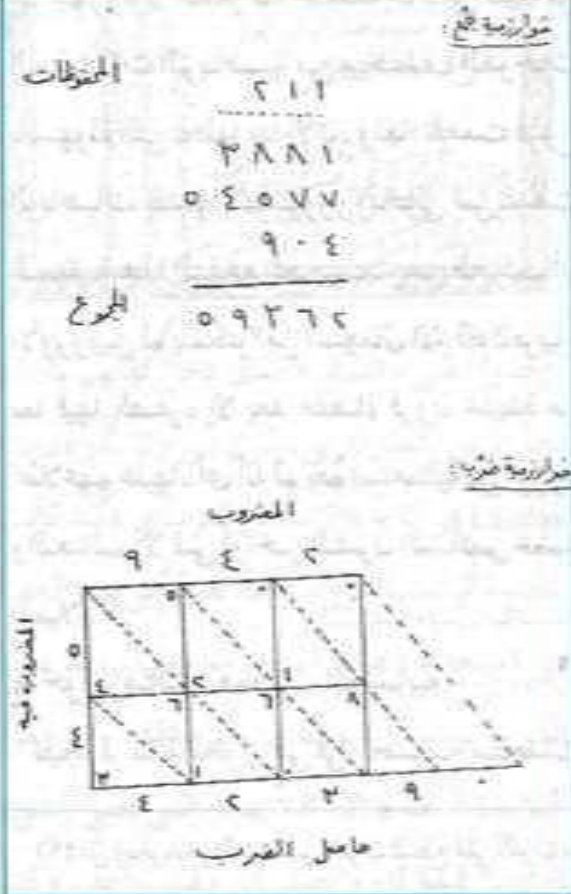
تجرى عملية ضرب العددين 942×45 على سبيل المثال كما هو موضح بالشكل، حيث يكتب المضروب (العدد 942) أفقياً فوق المستطيل، ويكتب المضروب فيه «العدد 45» رأسياً على جانب المستطيل، ثم تكون خانات مستطيلة، ويقسم كل مستطيل قسمين برسم القطر، ثم تجرب عملية ضرب الأرقام بعضها في بعض، وتسجل الأحاد أعلى القطر والعشرات أسفله على النحو التالي:

نبدأ بالرقم الأول من المضروب من جهة اليمين وهو 2 ثم يضرب في كل رقم من أرقام المضروب فيه، ويوضع الناتج في المستطيل الذي يقع تحت رقم المضروب وينظر رقم المضروب فيه، أي نضرب $2 \times 5 = 10$ ونضع الصفر فوق القطر والواحد أسفله في المستطيل المناظر للرقم 5 تحت الرقم 2، ونضع حاصل ضرب $2 \times 4 = 8$ في المستطيل المناظر للرقم 4 تحت الرقم 2، وهكذا.

ويمكن البدء بالرقم الأول من المضروب فيه، وهو 5، فيضرب في كل رقم من المضروب، ويوضع الناتج في المستطيل المناظر، أي يضرب 5 في كل من 2 و 4 و 9 ونضع حواصل الضرب في مستطيلات الصف الأول، ثم نضرب 4 في كل من 2 و 4 و 9 ونضع حواصل الضرب في مستطيلات

الصف الثاني.

وبعد استكمال الشبكة بأى من الطريقتين، نجمع الأعداد كما في الشكل بين كل قطرين، فنجد العدد القطري الأول هو صفر، والأعداد القطرية التالية هي صفر $1 + 8 = 9$ ، والأعداد القطرية بعدها هي $5 + 2 + 6 = 13$ ، فيكتب 3 ويؤخذ الواحد ويجمع على الأعداد القطرية بعدها، وهكذا حتى نصل إلى حاصل الضرب المطلوب 42390.



ومن الجدير بالذكر أن علماء التربية الحديثة في

أوروبا أطلقوا على هذه الطريقة اسم «خوارزمية الضرب بطريقة الشبكة»، وأوصوا باستخدامها في المدارس الابتدائية لسهولة فهمها ومقدرة طلاب هذه المرحلة على استيعابها، فقد جاء في مجلة التربية الحديثة ما نصه:

«... وهذا ما حدا بنا إلى درس الأساليب المتنوعة المذكورة في كتب الحساب القديمة بشيء من التوسع والتعمق، وفعلاً قد وجدنا بينها طرقاً عديدة بحسب الاستفادة منها في التعليم» من ناحية أخرى، أكدت بعض المراجع أن جول نابيير J.Napier (ت 1617م) قد أخذ فكرة الضرب بطريقة الشبكة عن الخوارزمي، ولعل ابتكاره لجداول اللوغاريتمات، بجعل الجمع والطرح يقومان مقام الضرب والقسمة، كان متأثراً بخوارزميات المسلمين.

وتكمن عبقرية الفكر الرياضي عند الخوارزمي ومن جاء بعده من علماء المسلمين في أنهم جعلوا الأرقام والخوارزميات من البساطة بحيث ساعدت على الاستغناء في الحساب عن الأدوات

المساعدة، مثل المعداد abacus، والعمل مباشرة بالأعداد ذاتها، وسهل هذا إدراك طبيعة الأرقام باعتبارها كائنات مجردة يمكن أن تحل محل أى مجموعة من الأشياء العينية، أو يمكن التعامل معها على أنها مجردات بحتة، وإذا كان أوقليدس وغيره من علماء اليونان قد حرروا الهندسة من قيود المسح الأرضي ومسائل البناء، ومكنوا العلماء من التفكير في الخصائص المجردة للفضاء space والانطلاق نحو التعميم، فإن الخوارزمي وغيره من علماء الحضارة العربية الإسلامية قدموا إنجازاً فكرياً مشابهاً فيما يتعلق بالأرقام ونظرية العدد والحساب، ولولا ذلك ما توصل «نابيير» وغيره من علماء أوروبا إلى حساب اللوغاريتمات التي ظلت جداوله أداة لا يستغنى عنها دارسو الرياضيات حتى أواسط القرن العشرين، بعد أن ظهرت الحاسبات الكهربيةية والحواسيب الإلكترونية^(*).

(*) عرف أنصار الخوارزميات التي تحمل اسم الخوارزمي في إسبانيا وألمانيا وإنجلترا، الذين كانوا كفاحاً مبرراً من أجل نشر طريقته الرياضية باسم «الخوارزميين» Algorithmiker وكان ظفرهم على «المعدادين» من أنصار الطريقة الحسابية المعروفة باسم «المعداد» أو «أباكوس» abacus عظيماً، فانتشرت... راجع: زيجريد هولكه، مرجع سابق.

(1) جون ماكليش، العدد من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر، الترجمة العربية، عالم المعرفة (251)، الكويت 1420هـ/ 1999م.

بين المجلة والقارئ

الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

وزاد الطين بلة

والهجوم على السفن التجارية في عرض البحر والاستيلاء عليها تمهيدا لطلب فدية ضخمة للإفراج عنها، كما زاد هذا النشاط الإجرامي على الأرض والطرق البرية، حيث انتشر قطاع الطرق يهددون المسافرين على الطرق البرية في شرق أفريقيا وامتد نشاطهم داخل دول مجاورة عديدة مثل كينيا وجيبوتي والسودان، بل وصل نشاطهم إلى الحدود المصرية والليبية.

وجميع هؤلاء القراصنة يحمل أسماء: أحمد، ومحمد، وعلي، وعبدالله، وعبدالواحد... أسماء إسلامية تشي بديانة هؤلاء القراصنة وتنقل إلى العالم كله رسالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ألا وهي: هذا هو الإسلام!!

الإسلام دين الإرهابيين!!
الإسلام دين القراصنة!!
ليضيع كل الجهد المبذول في الحديث عن سماحة الإسلام وصورته الحقيقية التي تعرضت للتشويه والتخريب ليس على يد أعدائه، وإنما على يد أبنائه ومعتقيه!!

القراصنة ليسوا فقط أبناء الصومال الذين ألجأهم الجوع والفقر والمرض إلى ما صاروا إليه إنما

أجل زاد الطين بلة فبعد ابن لادن والظواهري وطالبان وغيرهم ممن أساءوا بتصرفاتهم الطائشة إبلاغ إساءة للإسلام ترتب عليها وصف أو وصم المسلمين بالإرهاب، وبأن دينهم يحض على الإرهاب. فقامت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها وفي مقدمتهم إسرائيل بشن حرب دعائية ضد الدين الإسلامي، ثم قاموا بتطوير حريهم إلى قتال عسكري مباشر احتلوا على إثره أفغانستان والعراق، مع التلويح بضرب إيران وسوريا.

بعد كل ذلك يلينا بظاهرة القرصنة!!
فجأة ظهر القراصنة بعد اختفائهم منذ حقبة العصور الوسطى! وأين كان ظهورهم؟
في قلب العالم العربي والإسلامي!! في الصومال.. ذلك البلد المنكوب منذ أكثر من عشرين عاما بحرب أهلية لم تدع على وجه الأرض بيتا قائما، وتحولت الأرض الصومالية إلى أكوام من الرماح لاتصلح للحياة!! وصار أهل هذا البلد نهبا للمجاعات.

وفي ظل الإهمال الدولي لهذا البلد والتجاهل العربي والإسلامي لحجم المأساة المروعة التي يعيشها الصوماليون لم يجد القوم عملا يقتاتون من ورائه سوى أعمال القرصنة والسلب والنهب،

شاركهم الجرم أولئك الذين تقاعسوا عن نجدة هذا البلد المنكوب بالحروب الأهلية الطاحنة. والمجاعات المدمرة أصحاب المليارات المكسدة في البنوك الأوروبية والأمريكية.. إنهم أثرياء الأمة العربية والإسلامية الذين يرفضون أن يخرجوا زكاة أموالهم لصالح أبناء هذا البلد وغيره في حين هموا عن بكرة أبيهم لإنفاذ الولايات المتحدة الأمريكية من كارثة الأزمة المالية وقدموا - طوعا - مشات المليارات في شكل هبات وتبرعات لإنقاذ قوم لم يكونوا أبدا إلا حريبا على الإسلام وأهله!!

القراصنة الحقيقيون هم أولئك الذين تكاسلوا عن القيام بواجبهم تجاه أخوة لهم في الدين والعروبة ثم

والى رسائل القراء:

الحج دعوة للسلام العالمي

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ أحمد سعد العش، قال:

من قول الله عز وجل:

﴿وَأَن جَاءَ الْكُفْرَ جَاءَ مَا وَرَّكَهُ عَلَىٰ أَلَمٍ أَلِيمٍ﴾

(الأنفال: ٦١)

وأفرد الإسلام ركنا خاصا من أركانه تتمثل فيه هذه الحقيقة تمثلا كاملا، هذا الركن هو الحج، والذي يعد أبهى ظاهرة دينية إسلامية يحقق فيها السلام لأهل الأرض جميعا.

فمن الأمور المعلومة من الدين بالضرورة أن فريضة الحج تؤدى في الأشهر الحرم، وفي هذه الأشهر نهى الله تعالى المسلمين عن ظلم النفس، يقول تعالى:

ما أكثر ما ظهرت الدعاوى البراقة المنادية بالسلام، والتي لاتحمل من السلام إلا اسمه فقط، وهذه الدعاوى تعاود الظهور من وقت إلى آخر عبر وسائل الإعلام المختلفة خاصة في أوقات الحرب أو بعدها بقليل.

وهذه الدعاوى لم تستطع أن توقف حربا أو تمنع عنفا، أو حتى تحول دون إراقة الدماء، التي تسيل في كل مكان على هذه الأرض في هذا الزمن الذي يزعم أهله أنهم متحضرون ويؤمنون بالعدالة والديمقراطية. والواقع أن كل هذه الدعاوى التي ابتدعها العقل الإنسانى والتي لاتستند إلى أساس سعاوى قد أثبت فشلها في معالجة مشكل. الحرب والسلام.

إن الإسلام يدعو أهله إلى السلام القائم على الحق والعدل، والتمسك به في كل الأحوال، وذلك انطلاقا

﴿إِنَّ دَعْوَةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ تَأْتِيهِمْ فِي كَيْسٍ
وَرَوْحٍ خَالِقِ السَّحَابِ وَلَا تَرْضِيهِمْ إِلَّا بِمَنْ حُرِّمَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ
فَلَا تَحْلُمُوا فِيهِمْ أَنْتُمْ﴾

(التوبة: ٣٦)

يقول الإمام ابن كثير: «فلا تظلموا فيهن أنفسكم» في كلهن، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حراما وعظم حرمانهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم، وقال قتادة: إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواه وإن كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء»^(١)

ومن المعلوم أن النفس الإنسانية تجنح بصاحبها دائما إلى الهوى إلا من عصم الله تعالى من ذلك والنفس التي تسير تبعاً لهواها تحاول الانتصار لنفسها حتى ولو كان على حساب الآخرين فيؤدي هذا الأمر إلى الخصام والتباغض والشقاق.

فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ بِكَيْحِ جَمَاحِ أَنْفُسِهِمْ
خَاصَّةً فِي هَذِهِ الْأَشْهُرِ، وَطَلَبَ مِنَ الَّذِينَ يَنْزِلِقُونَ
خَلْفَ أَهْوَائِهِمُ الْإِيتَاعَ عَنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ الْفَاسِدَةِ،
حَتَّى لَا يَقْعُرُوا فِيمَا يَعْضِبُ، يَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ:

﴿ اَلَمْ يَكُنْ اَنْتَ بِمَعْلُوْمٍ ﴾
 مِّنْ رَّسُوْلٍ مِّنْ اَلَمْ يَكُنْ اَنْتَ بِمَعْلُوْمٍ
 مِّنْ حَيْثُ يَحْكُمُ اَمْرٌ ﴿

(البقرة: ١٩٧)

فقد أمر الله عز وجل الحاج أن يتعد عن الرقعة والفسوق والجدال لأن هذه الأمور تؤدي في النهاية إلى الخصام والتباغض والشقاق.

وأكد النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، وبين أن البعد عن هذه الأمور يؤدي إلى محو الذنوب وزيادة الأجر والثواب. يقول صلى الله عليه وسلم: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

وقد حرم الله تعالى أربعة أشهر في العام يأمن فيها
الناس جميعا على أنفسهم ومصالحهم وأموالهم،
ويسبحوا في الأرض كيفما شاءوا دون خوف أو وجل،
وأبضا حتى يستطيع المسلمون أداء الحج والعمرة في
أمن وأمان.

يقول الله تعالى:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ قُلْ فِيهِمْ كَذِبٌ عَظِيمٌ
سَيُجَنَّبُ عَنْهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ أَفْوَاحٌ
وَالَّذِينَ أُكْرِهُوا فَسَفُوفٌ

(البقرة: ٢١٧).

وانطلاقاً من هذه الآية الكريمة يضع المسلمون
عدة الحرب في هذه الأشهر حتى يحققوا قول الله عز
وجل:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ
يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْقِيَامُ
فَلَا تَعْطُوا فِيهِنَّ نَافِلَةً ﴾

(التوبة: ٣٦)

ويقول سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصْنَعُونَ كَيْدًا عَلَى اللَّهِ وَالسُّجَّادِ الَّذِي
جَعَلَهُ لِنَارٍ سُلَاقًا الْعَالَمِينَ فَوَالْبَاقِ ذَوْنِهِمْ يَمْشُرُونَ
بِظُلْمٍ نُنْزِلُ عَنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

(الحج: ٢٥)

يقول الإمام ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُدْفِئْ يَدَ أَخِيهِ مِزْطَاحًا مِثْلَ نَذَقٍ مِنْ عَذَابِ آيَةٍ﴾

«ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم» أي
يهم فيه بأمر قطع من المعاصي الكبار، وقال العوفي عن ابن
عباس (بظلم) هو أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك
من إساءة أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فإذا
فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم».

وتؤكد هذه الحرمة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فيه: «إن مكة حرمة الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعصدها شجرة. فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب» (١).

والحج سلام حتى مع الحيوان، فقد حرم الله عز وجل على من ارتدى الإحرام قتل أى حيوان يرى، ومن فعل ذلك فقد استعجب الهدى جزاء لما التفت يداها.

يقول تعالى:

[illegible]

(المائدة: ٩٥، ٩٦)

إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباح قتل بعض الحيوانات الضارة بالإنسان بقوله صلى الله عليه وسلم: «خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم: الغراب والحداة والعقرب والفأرة والكلب العقور»^{١٥}.

فعلى من يرفعون شعار السلام، ويرغمون أنهم دعاة
للسلام، ويصفون الإسلام بأنه ضد السلام، وأن أهله
متعاطسون لسفك الدماء بذهب أو بغير ذهب.

عليهم أن يتمعنوا في الأسس والضوابط التي شرعها الله تعالى لأهل الإسلام منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام للسلام الحقيقي الذي يلتزم به كل من نطق بالشهادتين تجاه نفسه وتجاه الآخرين، ليدركوا أن الإسلام دين رحمة للعالمين، فهو دين يدعو للسلام العالمي حتى يعيش الناس جميعا في أمن وأمان.

ومن يخالف هذه الأسس التي شرعها الله تعالى للسلام من أهل الإسلام يقع في المحذور وبذلك يستوجب غضب الله تعالى عليه.

(۳) تفسیر القرآن العظیم ج ۲ ص ۲۰۸ بتصرف.

(٤) مختصر صحيح البخارى ص ٢٨ طبعه: مكتبة الإيمان بالمنصورة.

من أعلام الإسلام : الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان

ومن الأستاذ علي أبو اليزيد - بلقاس - دقهلية - كانت هذه الكلمة عن الإمام أبي حنيفة النعمان :

هو النعمان بن ثابت بن زوطي ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ، ولما شب أخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان في أوائل المائة الثانية وسمع كثيرا من علماء التابعين. وكان أبو حنيفة يبيع نبات الخبز بالكوفة معروفا بصدق المعاملة والبعد عن المماكة، ربعة من الرجال ومن أحسن الناس منطقا. قال جعفر بن الربيع - أقمت مع أبي حنيفة خمس سنين، فما رأيت أطول منه صمتا، فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالأودي وسمعت له دوبا وجهرة في الكلام وكان إماما في القياس ولا يغتاب أحدا أبدا، ولو كان عدوا له اتصل به كثير من الطلبة وأخذوا عنه وعاونوه في وضع المسائل، وفي الإجابة عنها. أما طريقته في الاستنباط، فهي ما قاله عن نفسه : «أني أخذ بكتاب الله إذا وجدته، فإذا لم أجده أخذت بسنة رسول الله من الأحاديث التي شاعت في أيدي العامة، وإذا لم أجده في كتاب الله ولا في سنة رسول الله، أخذت بقول أصحابه من شئت وأترك قول من شئت، ثم لا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى المجتهدين من بعدهم، اجتهد كما اجتهدوا. وقال سهيل بن مزاحم: كلام أبي حنيفة الأخذ بالثقة والفرار من التبع والتفرع في معاملات الناس وما استقاموا عليه وصلاح عليه من أمورهم، ينزل الأمور على القياس. فإذا قبح القياس بمضيه على الاستحسان مادام يمضي له. وكان يوصل الحديث المعروف الذي قد أجمع عليه. ثم يقيس عليه مادام القياس سائغا، ثم يرجع إلى الاستحسان

أيهما أوثق، وكان أبو حنيفة عارفا بحديث أهل الكوفة وفقههم. شديد الاتباع لما كان عليه الناس وكان في زمانه بالكوفة من كبار الفقهاء الثلاثة.

■ الأول: سفيان بن سعيد الثوري من أئمة الحديث. قال عنه أبي عينة: ما رأيت رجلا عالما بالحلال والحرام من الثوري، ولد سنة ٩٧ هـ. وتوفي سنة ١٦١ هـ.

■ والثاني: شريك بن عبد الله النخعي ولد ببخارى سنة ٩٥ هـ. وتوفي بالكوفة ١٧٧ هـ. كان عالما، فقيها، زكيا، تولى القضاء بالكوفة. وكان عادلا في القضاء.

■ والثالث: هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ولد سنة ٧٤ هـ، وتوفي ١٤٨ هـ. وكان من أصحاب الرأي، تولى القضاء بالكوفة سنة ٣٣ هـ. وكان فقيها مفتيا ولي لني أمية، ثم لني العباس. وكان بين هؤلاء الفقهاء وبين أبي حنيفة وحشة. أما الثوري، فقلته من أهل الحديث وأبو حنيفة من أهل الرأي وكان بين الفريقين سوء تفاهم. وأما ابن أبي ليلى، فكان قاضيا للبلاد، وكان أبو حنيفة إذا سئل يفتي بخلاف قضائه. فيأثر ابن أبي ليلى لذلك فشكاه للأمير، فنهاه الأمير عن القضاء، وطلب من أبي حنيفة أن يتولى القضاء فامتنع، وتوفي سنة ١٥٠ هـ.

وله تلاميذ أجادوا في تفریع المسائل وإعداد الجواب عنها. وكانت نسبتهم إليه نسبة المتعلم للمعلم، لا نسبة المقلد لشيوخه، لأنهم قد يخالفونه في كثير من المسائل وأشهر هؤلاء التلاميذ أربعة وهم:

■ الأول - أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، ولد

سنة ١١٢ هـ واشتغل أولا برواية الحديث ثم تفقه مدة بابن أبي ليلى، ثم انتقل إلى أبي حنيفة، فكان أكبر معين له، وهو أول من صنف الكتاب على مذهب أبي حنيفة، وأملى المسائل ونشر علم أبي حنيفة في أقطار الأرض وأثنى على أبي يوسف كثير من أصحاب الحديث. فكان صاحب حديث وفقهيا توفي سنة ١٨٢ هـ.

■ الثاني - زفر بن الهزبل بن قيس الكوفي، ولد سنة ١١٠ هـ. وكان من أهل الحديث، ثم غلب عليه الرأي، فكان أقيس أصحاب أبي حنيفة. ولم يلتفت إلى الدنيا طوال حياته، بل استمر مشغلا بالعلم والتعليم، حتى

مات سنة ١٥٨ هـ.

■ الثالث - محمد بن الحسن بن فرقد العشيبي مولاهم. ولد بواسط سنة ١٣٢ هـ ونشأ بالكوفة، ثم سكن بغداد في كتف العباسيين، طلب العلم في صباه فروى الحديث وأخذ الفقه على طريقة أبي حنيفة.

■ الرابع - الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي متولى الأمصار من تلاميذ أبي حنيفة أولا ثم أخذ عن أبي يوسف ومحمد، وصنف الكتب في مذهب أبي حنيفة، ولم يكن لكتبه وآرائه من الاعتبار مثل ما لكتب محمد وآرائه، توفي سنة ٢٠٤ هـ.

من أعلام الأزهر - الشيخ أحمد الدمنهوري

ومن الأستاذ أمجد عبد الله - الإسكندرية - كانت هذه الكلمات عن فضيلة الشيخ أحمد الدمنهوري شيخ الأزهر الأسبق :

في كل فن، في عصر اشتهر بالتخلف، ولما زار مكة حاجا سنة ١١٧٧ هـ استقبل أعظم استقبال وأقبل عليه العلماء، إذ سبقته شهرته، وأجله «على بك الكبير» وكان يجلس إلى دروسه. وتولى المشيخة سنة ١١٨٢ هـ وكان مهيبا لدى أمراء المماليك فلما نشبت الفتنة بين زعماء المماليك وأتباعهم من طائفتي «العلوية والمحمدية» فر «حسن بك الجداوى» من زعماء العلوية أمام مطاردية فلجأ لبيت الشيخ الدمنهوري فلم يجسر أحد على اقتحامه حتى أجاره «إبراهيم بك» وكان لا يعود من درسه إلا في وقت متأخر من الليل ويحرص على صلاة الفجر، وتحدى علماء عصره بما كان يطرح من أسئلة معجزة ثم يقوم بالإجابة عنها مما جعل «على بك الكبير» يتخذة أستاذا ويستشير به في كثير من أمور الدولة وتركت هذه الأسئلة في خمس:

هو الشيخ أحمد عبد المنعم صيام الدمنهوري، ولد بمدينة «دمنهور» سنة ١١٠١ هـ وقدم الأزهر وهو صغير يتيم لم يكفله أحد فاشتغل بالعلم وجد في التحصيل وأجازه علماء المذاهب الأربعة وكان ذا حافظه قوية وقدرة على التأليف وبرع في الإفتاء على «المذاهب الأربعة».

ولم يكتف بدراسة علوم الدين فقد شغف بدراسة الطب والفلك والهندسة والمنطق رغم نفور الكثيرين من هذه العلوم فسبق أوانه وكأنه تنبأ أن يدرس الأزهر يوما هذه المواد وجلس إلى «الشيخ على الزعترى» وكان عالما بالحساب والهندسة ودرس آثار «ابن الهيثم» في الرياضيات والبصريات وآثار «ابن سينا» في الطب والفلسفة. ولم يترك كتابا قديمة إلا استوعبه، وترك مصنفات

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للاستاذين : عبدالموجود أمين - يحيى سليمان

قرارات مجلس مجمع البحوث الإسلامية

للتشافة والاندماج» في اختيار القراء والتلاوة القرآنية وموافاة اللجنة بنموذج من هذا العمل قبل الموافقة النهائية.

٣- بحث مجلس المجمع مذكرة لجنة البحوث الفقهية بشأن «التوسعة الجديدة بين جبلى الصفا والمروة»، حيث قرر المجلس أنه يرجع فيها إلى مفتى المملكة العربية السعودية وإلى علمائها الفضلاء، فأهل مكة أدرى بشعابها.

٤- قرر مجلس المجمع ترشيح الأستاذ الدكتور أحمد على الإمام - مستشار رئيس جمهورية السودان لشئون التأصيل والتخطيط الاستراتيجي ورئيس مجمع الفقه الإسلامي - لعضوية مجلس مجمع البحوث الإسلامية من خارج جمهورية مصر العربية.

تأمين مكتبة الأزهر

التعاقد مع إحدى الشركات الكبرى المتخصصة في أعمال رفع كفاءة وصيانة مشروع الإنذار المبكر وإطفاء الحريق الآلى لتأمين مبنى المكتبة المكون من أربعة عشر طابقاً.

وقد صرح بذلك فضيلة الأستاذ مهدي شلتوت رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر.

قرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية في جلسته المنعقدة بتاريخ ٣٠/١٠/٢٠٠٨ الآتي:

١- ترشيح السيد الأستاذ الدكتور/ محمد شوقي الفنجرى لجائزة الدولة التقديرية في مجال العلوم الاجتماعية لعام ٢٠٠٩.

٢- ناقش المجلس مذكرة لجنة بحوث القرآن الكريم بتاريخ ٢٥/٦/٢٠٠٨ بشأن مشروعية تحميل القرآن الكريم، وتعليم تلاوته، ونطق كلماته بالعربية على خدمة المحمول.

وقرر المجلس أنه لا مانع - من حيث المبدأ - من الموافقة على مشروع تحميل القرآن الكريم ومعانيه وبعض المواد الإسلامية الأخرى على خدمة الهاتف المحمول «الجوال» بالسويد على أن يتم التنسيق بين الأزهر الشريف والمؤسسة «وقف هور رسولنا

نظراً لما تحتويه مكتبة الأزهر الشريف من نفائس الكتب والمخطوطات وأندر ما كتب عن الإسلام والتراث الإسلامى والإنسانى، فقد قامت مكتبة الأزهر ببناء على توجيهات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بإعادة هيكلة وتشغيل مشروع الإنذار المبكر وإطفاء الحريق الآلى لمبنى المكتبة بالأزهر، وتم

١- «في إبطال الجزء الذى لا يتجزأ» وكان السائد أن المادة لا تتجزأ وكانت سبق علماء الذرة فى ذلك واستدل بقول الله

﴿وَمَا تَعْرَبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

(يونس : ٦١)

والأصغر من الذرة توانها «البروتون» والكويكبات الدائرة حول النواة الإلكترونية.

٢- سأل «ما معنى قول ابن سينا ذات الله نفس الوجود المطلق» وهو سؤال عما يسميه الصوفية «بوحد الوجود» وعلماء الإسلام ينزهون الله عن «الحلول والاتحاد».

٣- سأل ما معنى قول أبى منصور الماترىدى «معرفة الله واجبة بالعقل مع أن المجهول من كل وجه يستحيل طلبه» وشرح آراء المعتزلة وفلاسفة اليونان.

٤- ما معنى قول البرجللى «إن من مات من المسلمين لستأ تتحقق موته على الإسلام» واستدل بحديث رسول الله «إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يعرفه حيث شاء» فالعبرة بالخواتيم.

٥- هل الاستثناء فى الكلمة المشرقة «لا إله إلا الله» متصل أو منفصل وقد اختلف النحويون فى إعراب «لا إله إلا الله» ومن مصنفاته:

١- كشف اللثام عن مخدرات الأفهام فى البسمة والحمدلة.

٢- حلية اللب المصون فى شرح الجوهر الكون «فى البلاغة».

٣- اللطائف الفورية فى المنح الديمقراطية.

٤- نهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف.

٥- درة التوحيد «منظومة فى علم التوحيد».

٦- القول المفيد فى شرح درة التوحيد.

٧- شرح الأوقاف العددية «وهو بحث فى استنباط أفاق المستقبل عن طريق الأعداد».

٨- شفاء الظمان بسر «يس قلب القرآن».

٩- عقد القرائد بما للمثلث من فوائد.

١٠- منتهى الإرادات فى تحقيق الاستعارات «فى البلاغة».

١١- سبيل الرشاد إلى نفع العباد فى الأخلاق.

١٢- القتح الربانى بمفردات ابن حبل الشيطان «فى فقه الحنابلة».

١٣- رسالة عين الحياة فى استنباط المياه «فى الجيولوجيا».

١٤- القول المصرى فى علم التشريح «فى الطب».

١٥- منهج السلوك فى نصيحة الملوك «فى السياسة والأخلاق».

١٦- الدرة البتيمة فى الصنعة الكريمة «فى الكيمياء».

١٧- طريق الاهتداء بأحكام الأمانة والافتداء «على مذهب أبى حنيفة».

١٨- إحياء الفوائد بمعرفة خواص الأعداد «فى الحساب».

١٩- منع الأثيم الحائر عن التماهى فى فعل الكبائر «أخلاق دينية».

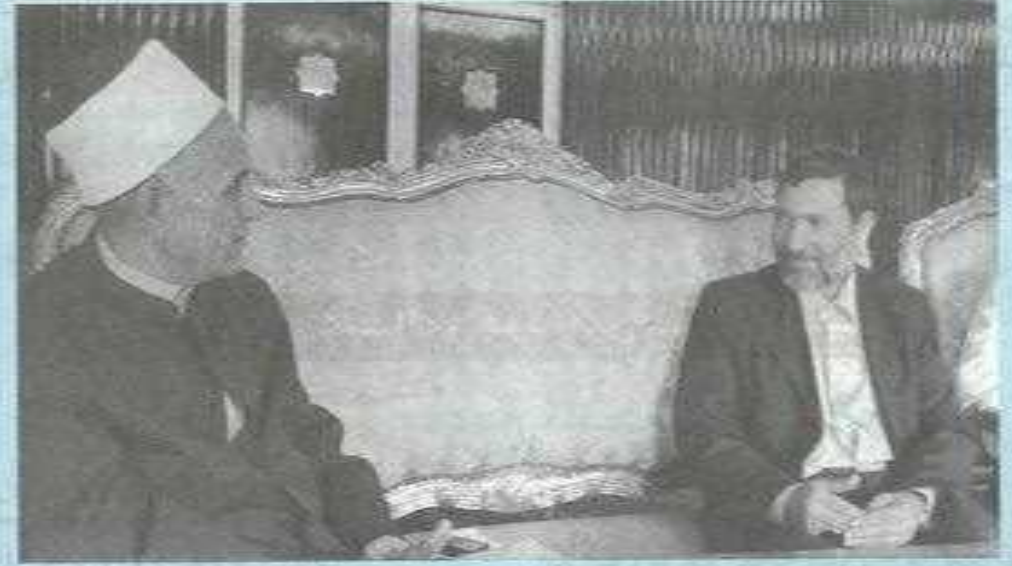
٢٠- الأنوار الساطعات على أشرف المربعات «فى الهندسة».

٢١- خلاصة الكلام على وقف حمزة وهشام «فى القراءات».

٢٢- تحفة الملوك فى علم التوحيد والسلوك «منظومة طويلة».

٢٣- حسن الإنابة فى إحياء ليلة الإجابة «ليلة النصف من شعبان».

ومات فى ١١ من رجب سنة ١١٩٢ هـ



الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية يستقبل المستشار الثقافي الإيراني

قوبل به وقال معبرا عن حبه لمصر وللأزهر الشريف:

زهراء أزهرت الوجود بنورها
فاستولدت نجما لها هو أزهر
أهلاً بكم يا شعب مصر بعرة
ورد ثقافي بفوح وبزهر
مصر وإيران مهاده كل حضارة
الجامعات الكتب فيها مظهر
رفعت رجالهما مصابيح الهدى
ويذكر التاريخ من لا يذكر
أهدى إليكم هذه الآيات كي

تبقى المحبة في القلوب وتظهر
وقد رحب الأمين العام بأى مقترحات إضافية لتفعيل
التعاون والخروج به من الخجل النظري إلى المجال
العملي، خصوصا فيما يتعلق بوحدة الأمة الفكرية.

التقى فضيلة الشيخ على عبد الباقي شحاتة -
الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية - بمكتبه
الدكتور/ محمد حسن زمانى المستشار الثقافى
بسفارة إيران بالقاهرة لبحث دعم أوامر
التواصل والتعاون وتفعيل العلاقات.
وقد أشاد فضيلة الأمين العام بعمق العلاقات بين
دولتي مصر وإيران على جميع الأصعدة خاصة
التي تربط الأزهر الشريف بالمؤسسات الدينية
الإيرانية.

وأضاف فضيلة الأمين العام: إن الأزهر
الشريف يسعد التواصل مع كل المؤسسات
الإسلامية، كما أكد فضيلته أن الأزهر الشريف
احتضن كل المذاهب دون تعصب لمذهب ضد
آخر، وذلك تأكيدا وترسيخا لمكانته الدولية،
ومن جانبه أعرب المستشار الثقافى عن سعادته
بالبالغة والحنو وكرم الضيافة والاستقبال الذى

وأضاف الأمين العام: إن الأزهر الشريف لن
يدخر أى جهد فى محاولة الدفاع عن تلك
الوحدة ودعمها خصوصا فى هذه الآونة، حيث
أصبحت ضرورة ومطلب ملحاً، نظراً لحجم
التحديات التى تواجه الأمة «اقتصادياً -
فكرياً».

هذا وقد وافق الأمين العام على طلب المستشار
الثقافى، بدعم المشروع الإيرانى بإصدار موسوعة
لتقديم العلوم الإنسانية بروى إسلامية، وأوضح
الأمين العام أن مجمع البحوث الإسلامية كانت له
سابقة فى هذا المضمار، حيث قدم هذا النهج فى
بحوث مؤتمراته الأولى، حين أصل لمشل هذه
الأطروحات من الناحية الدينية، بل وصل الأمر
بانحصر أن صاغ دستوراً إسلامياً شمل كل أوجه
الجوانب الحياتية وصاغها فى قالب قانونى نابع من
روح الدين ومسار للعصر، وقام بتوزيعه على كل

الدول الإسلامية لتفعيله.

وتقرر فى نهاية اللقاء: العمل على تهيئة
الأجواء من الناحية الدينية؛ لمزيد من التعاون
والتواصل دعماً لوحدة الأمة الفكرية والعمل -
كذلك - على دحض المخططات الخارجية التى
دأبت على شق الصف الإسلامى فكرياً
وعقائدياً، وإزالة كل ما يقف حجر عثرة أمام
فكرة التقارب ولم شتات الأمة فكرياً، وتهيئة
الجو أمام السياسيين للتقارب السياسى دعماً
لقوة الأمة سياسياً واقتصادياً، والبعد عن تأجيج
الخلاف المذهبى.

وفى نهاية اللقاء تبادل الطرفان بعض
الإصدارات التى تحمل وجهات النظر حول
القضايا الدينية، وقد حضر اللقاء الأستاذ/
إسماعيل أبو الهيثم مدير المركز الصحفى بمكتب
الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية.

الشيخ على عبد الباقي يؤكد: الأزهر لن يدخر أى جهد لتحقيق الوحدة

فضيلته على مثل هذه اللقاءات التى تزيد من المحبة
والإخاء الإنسانى، وكل ما يدعم الوحدة
الإسلامية؛ لأن هذا التلاقى يعمق روح السلام
بيننا، وقدم فضيلته شرحاً مبسطاً لدور الأزهر
التعليمى والدعوى لأبناء المسلمين فى مصر وفى
خارجها، مؤكداً أن الأزهر يستقبل أبناء المسلمين
من دول العالم المختلفة؛ لتلقى علوم الدين
الإسلامى، وذلك على منح من الأزهر كما أنه
يرسل علماء ومدرسيه لكثير من دول العالم
لتعليم أبناء هذه الدول تعاليم الإسلام السمحة.

وأضاف الأمين العام: إن الأزهر الشريف على

التقى فضيلة الشيخ/ على عبد الباقي الأمين العام
لجمع البحوث الإسلامية الوفد التركى المكون من
الأساتذة مصطفى أوزجان رئيس مجلس إدارة
مستشفى السما باسطنبول ومدير مدارس إسلامية،
وجمال ترك رئيس أكاديمية العلوم باسطنبول
وأرجون بابان رئيس تحرير مجلة بنى أوميت «الأمل
الجديد»، ونوزات صواش رئيس تحرير مجلة حراء
واسحاق حنفى مدير مركز تعليمى، وذلك على
هامش زيارتهم للقاهرة لتدشين صدور أول مجلة
تركية باللغة العربية «حراء».

وفى بداية اللقاء رحب الأمين العام بالوفد وأثنى



استعداد لتقديم يد العون لكل ما يدعم الوحدة الإسلامية، خصوصاً في هذه الآونة التي أصبحت فيها روح التعاون بين الأتقاء غير مفصلة، وأكد فضيلته أنه في مثل هذه الأجواء تكتسب هذه اللقاءات تلك الأهمية البالغة التي نعتبر دعمها فريضة دينية. ومن جانبه شكر السيد مصطفى أوزجان الأمين العام على حسن الاستقبال، قائلاً: ليس هذا بغريب على مصر والأزهر ذلك الوجه البشوش وسعة الصدر، وأنهم جاءوا إليها يطلبون الاستشارة حول ما يقيمون به مشروعاتهم التنموية الذي يخدم ٩٠٠ مدرسة إسلامية منتشرة في ١٣٠ دولة في أنحاء العالم، يقوم بالإشراف عليها والإنفاق رجال أعمال أثراك، وذلك بعد نجاح الجهة المشرفة على إقناع رجال الأعمال، بتحويل جزء من أموالهم لدعم هذه المدارس. وأضاف أوزجان: إنهم يتطلعون إلى تحويل المصطلحات القرآنية إلى واقع عملي، خوفاً على هذه المصطلحات من أن تبقى كالتنظريات التي

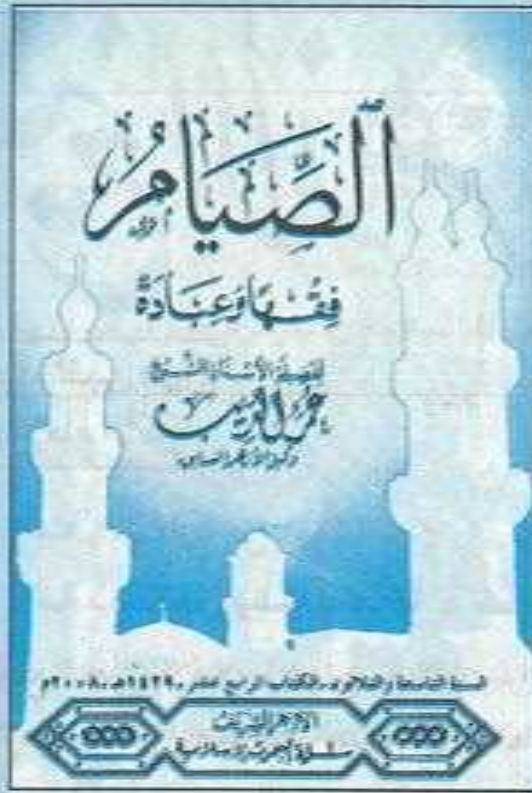
يصعب تحقيقها. وأكد أوزجان أنهم تأسوا بالأزهر الشريف، في دعم سماحة الإسلام، حيث إنهم «في تركيا» يرون الأزهر باعتباره مركز العلم ومصدر الإشعاع، وأنه يحمل أمانة ثقيلة، لا تستطيع الأكتاف الهزيلة حملها. وشدد أوزجان على أنه لا جدوى من رفع لافتات قلة الإمكانيات لأن ذلك يتلاشى أمام العزيمة والإصرار مضيفاً إن أهل الصفة على الرغم من قلة حالتهم المالية، فإنهم تفوقوا على أنفسهم في نشر دين الله، الأمر الذي يستوجب أن تجرى كل المؤسسات في العالم الإسلامي تقويماً صحيحاً وصادقاً، تبحث فيه عن إثبات نفسها كرقم مؤثر في الدعوة إلى الله. واختتم أوزجان حديثه بالتحذير من مغبة التفاعس والانكماش على الذات والنفس وعدم التجاور، وضرورة اكتساب الخبرات من الأزهر الشريف.

زيادة في قبول الطلاب الوافدين

بشهاد العام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩ زيادة في أعداد الطلاب الوافدين في مختلف المراحل التعليمية، حيث تم قبول ٩٣٧ تلميذاً وتلميذة في المرحلة الابتدائية والتمهيدية فقط من مختلف الجنسيات للدراسة بالأزهر الشريف.

كذلك تم إرسال ملفات الطلاب الذين تحدد المسوى التعليمي لهم من بداية الصف الثاني الابتدائي إلى الصف الثاني الإعدادي إلى المعاهد التي يرغب الطالب فيها بالمقرب من مقر سكنه تيسيراً له. كما تم الاختيار الحريري للطلاب في الصف الثالث الإعدادي عن طريق الاختيار الشفهي، وسوف تعلن النتيجة قريباً وترسل ملفاتهم إلى المعاهد لمرحلتها الثانوية وفقاً للصف الدراسي المحدد له بالنتيجة وجدير بالذكر أن الزيادة كل عام تعكس إقبال المسلمين من مختلف دول العالم على الدراسة بالأزهر الشريف.

صرح بذلك فضيلة الشيخ «رجب سليم» مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين.



أصدرت سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتابها الدوري بعنوان: الصيام - فقها وعبادة» لفضيلة الأستاذ الشيخ عمر الدب وكيل الأزهر السابق، وقد تناول فيه أحكام الصيام على ضوء المذاهب الأربعة من ناحية الصوم الواجب - المندوب - المكروه - المحرم - ما يفسد الصوم - وما لا يفسده - حالات وجوب القضاء وكيفية القضاء، ثم تناول ما يتم في رمضان من الاعتكاف وحكمه وزكاة الفطر وحكمها ثم أورد في الكتاب بعض الفتاوى التي تتعلق بالصوم وبعض الأدعية الماثورة والكتاب في مجمله مفيد للقارئ المسلم بأسلوبه السهل البسيط النافع، تتضمنه بعض المسائل العامة في فقه الصيام دون تعقيد أو تشديد. صرح بذلك فضيلة الشيخ عبدالرحمن العسيلي مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث الإسلامي.

قوافل التوعية

بمناسبة قدوم موسم الحج تحت الأمانة العامة للوعظ والإعلام الديني مديرى العموم والوعاظ على أن تكون دروس الفقه والتفسير في المساجد لشرح مناسك الحج وما يجب على الحاج أن يفعله قبل أن يغادر البلاد، ثم أثناء موسم الحج في كل من منى وعرفات ومزدلفة، والعلاقة بين الحاج والآخر أثناء مناسك الحج، كما كلفت الأمانة العامة للدعوة منطقة وعظ السويس برفيق العلماء والوعاظ لتوعية الحجاج المسافرين عن طريق البحر لعقد ندوات توعية للحجاج.

كما صرح فضيلة الشيخ عبدالحميد الأطرش - الأمين العام المساعد للدعوة والوعظ - بأن فضيلة الإمام الأكبر قد وافق على الاستعانة بعلماء الوعظ لسد العجز في أعداد محفظي القرآن الكريم في المعاهد الأزهرية، وقد لاقى هذا القرار ترحيب علماء الوعظ.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عبد النبي فراج
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية يستقبل وفداً أفغانياً

استقبل فضيلة الشيخ على عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية صباح يوم الاثنين الموافق ٢٠٠٨/١١/١٠ نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عدداً من أعضاء قسم التشريع بوزارة العدل الأفغانية وأعضاء من قسم البحث القانوني والصياغة في كل من مجلس النواب والشورى الأفغانيين، وتأتي هذه الزيارة تلبية لدعوة من مركز إبراهيم شحاتة التابع للمكتب العربي الإقليمي للمنظمة الدولية لقانون التسمية طبقاً لبروتوكول التعاون بين المكتب وجمهورية مصر العربية.

وقد أجاب فضيلة الأمين العام على أسئلة الأعضاء المشاركين في الدورة الدراسية للمكتب عن دور الأزهر بالنسبة للتشريع الذي لا يتصادم مع شريعة الإسلام وإذا صدر قانون مخالف للشريعة الإسلامية تعقد لجنة البحوث الإسلامية بالأزهر للنشاور في ذلك حتى يتوافق وشريعة الإسلام وضمان حقوق المسلم وغير المسلم. وعن سؤال فيما يتعلق بقانون الحد والقصاص بمصر ودور الأزهر تجاهه أجاب فضيلته بأن الحد شرعته الأديان جميعها، كما أن الدين وضع ضوابط لردع اغتالف للحد، وهناك فرق بين القصاص وبين الإعدام، فالدين جعل أي اعتداء على جسم الإنسان الذي هو خلق الله يقتض به بقدر ما اعتدى عليه ومن الممكن أن يعفو المعتدى عليه عن الذي اعتدى عليه، أما الجرائم التي لا يوجد لها حد في الإسلام فيرجع مناقشتها لولي الأمر الذي يحكم فيها.

وفي نهاية اللقاء شكر أعضاء الوفد مواقف فضيلة الإمام الأكبر تجاه الشعب الأفغاني في حثهم على أن يتحدوا ويتماسكوا في وجه أي معتد.

الإمام الأكبر في الأمم المتحدة

شارك فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الدكتور على جمعة مفتي الجمهورية في جلسة الحوار رفيع المستوى المنعقدة في الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك يومى ١٣، ١٢ نوفمبر ٢٠٠٨ بناء على طلب السعودية لمتابعة نتائج مؤتمر مدريد للحوار «ثقافة السلام» ويشارك في المؤتمر ملوك السعودية والبحرين والأردن وأمير الكويت ورؤساء كل من: الفلبين - الولايات المتحدة - باكستان - فنلندا - لبنان - فلسطين - ورؤساء وزراء: قطر - المغرب - جيبوتي - وحاكم الفجيرة ممثلاً للإمارات وعبدالله الارباني المستشار الخاص للرئيس اليمني بالإضافة إلى وزراء خارجية الهند - بنجلاديش - كازاخستان - باراجواي - غينيا - ووزير الثقافة في مقدونيا ووزير الشؤون الدينية في سلطنة عمان، وتشارك المملكة المتحدة على مستوى وزير دولة للشؤون الخارجية - واليابان على مستوى وزير خارجية سابق كمبعوث خاص، ومن المحتمل مشاركة فرنسا بالرئيس السابق شيراك ممثلاً خاصاً لفرنسا فضلاً عن مشاركة رئيس الوزراء الإيطالي.

وتعقد جلسة الحوار على نسق جلسات للنقاش العام التي تعقد في إطار الجمعية العامة، وتشتمل المستندات على:

- ١- إعلان مدريد الصادر عن المؤتمر العالمي للحوار الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بمدينة مدريد الأسبانية تحت رعاية الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود من ١٦ حتى ١٨ يوليو ٢٠٠٨.
 - ٢- تقرير أمين عام الأمم المتحدة تحت عنوان «الحوار والتفاهم والتعاون بين الأديان والثقافات من أجل السلام» وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٩٢/٦٢ - الصادر في ١٧ ديسمبر ٢٠٠٧ والذي أعده السكرتير العام في تقريره المشار إليه.
 - ٣- التقرير المقدم من المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) تحت عنوان العقد الدولي لثقافة السلام واللاعنف من أجل أطفال العالم ٢٠٠١-٢٠١٠م وقرار الجمعية العامة رقم ٨٩/٦٢ والذي طالب اليونسكو بتقديم التقرير المشار إليه.
- جاء ذلك من البعثة الدائمة لجمهورية مصر العربية لدى الأمم المتحدة بنيويورك.



للاستاذين: محمود الفشنى - أحمد رضوان

الخاصة بمشروع إنشاء المركز الإسلامي للمعلومات الشبة ودعا المركز المؤسسات ذات الصلة إلى التعاون مع المركز وتزويده بالمعلومات والإحصاءات الضرورية لتسهيل تبادل الخبرات والتجارب في هذا المجال واعتماد أيضا تطوير الطاقة المتجددة وآليات تنفيذها في البلدان الإسلامية.

ودعا المؤتمر الدول الأعضاء إلى وضع استراتيجية وطنية وإقليمية ترمي إلى تطوير الطاقة المتجددة واستخدام الطاقة على النحو الأمثل والمحافظة عليها وفق منظور شمولي يأخذ بعين الاعتبار مختلف القضايا ذات الصلة بالتنمية المستدامة عند تنفيذ البرامج والمشروعات في هذا المجال.

كما اعتمد المؤتمر مشروع النظام الداخلي للمكتب التنفيذي الإسلامي للبيئة وانتخاب أعضاء المكتب التنفيذي الإسلامي للبيئة وانتخب الأمير تركي بن ناصر بن عبد العزيز الرئيس العام للأرصاء وحماية البيئة في السعودية رئيسا للمؤتمر وأوصى المؤتمر بدراسة إنشاء صندوق إسلامي لدعم الأبحاث والمشروعات في مجالات الطاقة المتجددة واعتماد مشروع الإطار العام للتنمية المستدامة في العالم الإسلامي.

صندوق خيرى إسلامى عالمى.. يدعم تمويل برامج الدعوة الإسلامية

أقر المؤتمر العام الثامن لجمعية الدعوة الإسلامية بطرابلس تأسيس صندوق خيرى إسلامى عالمى مقره مدينة طرابلس بليبيا وللدعم تمويل العمل الإسلامى ببرامجه التربوية والثقافية والدعوية والإنسانية وناشد المؤتمر فى ختام أعماله كل المسلمين للعمل من أجل الحفاظ على المقدمات الإسلامية فى كل مكان وفى مقدمتها القدس الشريف والتعاون فى كشف المخططات التى تستهدف تهويد المسجد الأقصى، وأوصى المؤتمر بيزل الجهود من أجل تعزيز الهوية الإسلامية لدى الناشئة وتأمين الانتماء للإسلام فى نفوسهم، وذلك من خلال تطوير برامج التربية الروحية واستثمار الرصيد التاريخى التراثى للمهمة وتوسيع دائرة التعريف بالتاريخ الإسلامى وإسهامات المسلمين فى الحضارة الإنسانية.

مركز إسلامى للبيئة والتنمية

وفى مدينة الرباط عقد برعاية العاهل المغربى المؤتمر الإسلامى الثالث لوزراء البيئة، واعتمد المؤتمر الوثيقة

الإمام الأكبر يستقبل نائب وزير التعليم بدولة بروناى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠٨/١١/٤م الدكتور حاج محمد بن جيران - نائب وزير التعليم بدولة بروناى - يرافقه سفير بروناى بالقاهرة، وتأتى هذه الزيارة لتقوية العلاقات الطيبة بين الأزهر ودولة بروناى فى إطار الناحية التعليمية ورغبة بروناى فى إنشاء جامعة إسلامية بها تسير على نهج جامعة الأزهر، كما طلب الضيف من فضيلة الإمام الأكبر الاستعانة فى الدراسة بمناهج الفقه الميسر الذى يدرس فى الأزهر للمرحلتين الإعدادية والثانوية وكذا مناقشة الناحية التعليمية وبعض الكتب الدراسية. وفى نهاية اللقاء طلب فضيلة الإمام من الضيف التنسيق مع جامعة الأزهر فيما يخص إنشاء الجامعة الإسلامية فى بروناى.

ويستقبل القائم بأعمال سفارة العراق بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه يوم الأربعاء ٢٠٠٨/١١/٥م السيد / سعد محمد رضا القائم بأعمال سفارة العراق بالقاهرة. وتأتى هذه الزيارة بمناسبة انتهاء عمله كسفير لبلاده بجمهورية مصر العربية وتغنى فضيلة الإمام الأكبر لسيادته التوفيق فى مجال عمله الجديد.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر لمواقف فضيلته الإيجابية تجاه العراق حكومة وشعبا لتوحيد الصف العراقى.

اتفاقية تعاون بين الأزهر ولبنان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر صباح يوم الاثنين الموافق ٢٠٠٨/١١/١٠م فضيلة الشيخ محمد رشيد قباني مفتى جمهورية لبنان والوفد المرافق له حيث تم توقيع اتفاقية تعاون بين الأزهر ولبنان فى مجال التعليم وذلك لما للأزهر من دور كبير فى نشر تعاليم الإسلام الصحيحة التى تظهر سماحة الإسلام ووسطيته واعتداله بعيدا عن التشدد والعنف مما جعل له رسالة عالمية يقوم بها مع دول العالم أجمع، وقد رحب الجانب اللبنانى بهذا التعاون البناء وقدم الشكر للأزهر الشريف.

التعريف بالإسلام في البلدان غير الإسلامية



د. عبد الله ترميز

وفي مكة تنظم رابطة العالم الإسلامي مؤتمر مكة التاسع بعنوان «التعريف بالإسلام في البلدان غير الإسلامية الواقع والمأمول» برعاية خادم الحرمين ومشاركة نخبة من العلماء والمفكرين والباحثين والمختصين من الأكاديميين وأساقفة

الجامعات الإسلامية وأوضح الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي أن اختيار الرابطة لموضوع التعريف بالإسلام في البلدان غير الإسلامية موضوعاً للمؤتمر جاء في وقت يتطلع فيه العالم إلى التعرف على حقيقة الإسلام ومبادئه وقيمه من خلال عدة محاور يطرح عبرها المشاركون رؤيتهم ومقترحاتهم.

مؤتمر دولي بهولندا لبحث تطوير التعليم الإسلامي في أوروبا



د. جعفر عبد السلام

وفي أمستردام تشارك رابطة الجامعات الإسلامية في مؤتمر دولي لبحث آليات تطوير التعليم الإسلامي في أوروبا كما سيشارك في المؤتمر لقيف من العلماء والمفكرين من الدول الأوروبية إلى جانب علماء من مصر والمغرب وتركيا.

وصرح الدكتور جعفر عبد السلام بأن هذا المؤتمر يهدف إلى بناء وتنمية العلاقات الإسلامية الأوروبية على أساس من الفهم المشترك وتدعيم قيم الحوار بين الطرفين، والمساهمة

في تطوير برامج ومناهج الدراسات الإسلامية في أوروبا وتبادل الخبرات في هذا المجال، كما يهدف المؤتمر إلى البحث عن القواسم المشتركة بين الجانبين لتحقيق الصالح العام والسلام والأمن العام.

مصر ثاني العالم في حفظ القرآن الكريم

فاز الطفل أحمد عبد الحليم داود - ١٢ عاماً - من الإسكندرية بالمركز الثاني على مستوى العالم في حفظ القرآن الكريم في المسابقة التي نظمتها الهيئة العالمية لحفظ القرآن الكريم في مكة المكرمة. قال الشيخ كرم عبد العزيز رئيس قسم شؤون القرآن الكريم: إن أحمد كان ضمن ١٠ متسابقين مثلوا مصر في المسابقة العالمية.

المصلون يعتصمون في المسجد الأقصى لمنع الطرفين يمين اقتحامه



د. عكرمة صبري

اعتصم مئات المصلين في ساحات وساحات المسجد الأقصى المبارك استجابة لنداء الهيئة الإسلامية العليا في القدس وذلك لإفشال وإحباط مخططات الجماعات اليهودية المتطرفة في اقتحام المسجد.

وكان على رأس المعتصمين د. عكرمة صبري رئيس الهيئة الإسلامية العليا بالقدس وخطيب المسجد الأقصى المبارك والشيخ عبد العظيم سلهب رئيس مجلس الأوقاف في القدس وشخصيات دينية ومقدسية أخرى، حيث قاموا بجولة في أنحاء المسجد الأقصى المبارك وتمركز المعتصمون في المنطقة الواقعة بين باب المغاربة وبين المسجد القبلي المسقوف، داخل

المسجد الأقصى - وهو الموقع الذي تعتمد الجماعات اليهودية التواجد فيه عند بداية اقتحامها - وتصدت مجموعة من المصلين المعتصمين لعدد من اليهود المتطرفين من جهة بوابة المغاربة إلا أن محاولتهم فشلت وأحبطت.

وأشاد الشيخ عكرمة صبري باستجابة المواطنين لنداء الهيئة الإسلامية العليا، وقال: إن استجابة المواطنين للنداء واختصاصهم ورباطهم بالمسجد الأقصى هو الذي منع قيام الجماعات اليهودية في اقتحام المسجد ونحن نندرس كيفية زيادة عدد المعتصمين وحث الشيخ صبري المصلين على مواصلة الاعتصام والرباط في المسجد الأقصى لمنع وإحباط أي محاولة لاقتحامه.

الكنيست يشكل جبهة لمحاربة الإسلام

قررت إسرائيل الاحتفال بنهاية العام على طريقتها العنصرية حيث يحرم الكنيست تنظيم مؤتمر يومي ١٤ - ١٥ ديسمبر المقبل تحت شعار «مواجهة الجهاد» استجابة لاقتراح عضو الكنيست الإسرائيلي أرييه ألداد الذي ينتمي إلى كتلة الاتحاد القومي - المفضل البيعية المتطرفة - والذي سبق أن نظم مؤتمراً تمهيدياً في سبتمبر الماضي للدعاية لمؤتمره العنصري المقبل، وتنبع خطورة المؤتمر بخلاف مكان انعقاده من كونه يمثل البنية الأولى لتحالف برلماني أوروبي إسرائيلي ضد الإسلام حيث يشهد حضوراً برلمانياً أوروبياً كثيفاً يصل إلى حوالي ٢٠ إلى ٣٠ نائلاً أوروبياً.

وتكشف الوجوه التي سوف يستضيفها المؤتمر عن مدى عنصريته التي يعد أبرزها دانيال ياييس مدير منتدى الشرق الأوسط أحد مراكز الأبحاث الأمريكية والتي تعتبر محاربة الإسلام الركيزة الأساسية للدفاع عن المصالح الأمريكية، والذي سبق له أن طالب بهدم الكعبة الشريفة - والعباد بالله - انتقاماً لتدمير برج مركز التجارة العالمي.

تونس والمغرب تمتنعان دخول مجلة فرنسية لإهانتها الإسلام

حظرت تونس العدد الأسبوعي من مجلة «إكسبريس» الفرنسية لإهانتها الإسلام وذلك بعد يوم من حظر المغرب العدد ذاته من المجلة.

قال مسئولون من البلدين: إن العدد يحوي على عدد من المقالات تتحدث عن العلاقة بين المسيحية والإسلام وصفتها بأنها مهينة للإسلام، كما يحمل غلاف المجلة عنوان: «صدمة عيسى ومحمد».

لم تحدد سلطات البلدين مواطني الإهانة بالرغم من أن المجلة أكدت أنها لا تعرف سبب منع توزيع العدد، وأنها حاولت التزم الدقة الشديدة فيما يتعلق بالرأي الإسلامي عند كتابة المقالات التي تتزامن مع اجتماع بين رجال الدين الكاثوليك والمسلمين عقد في روما «المساعدة الحوار بين الإسلام والمسيحية».

شركة ألعاب يابانية تسحب منتجاتها احتراماً لمشاعر المسلمين

اضطر فرع المنتجات الترفيهية لشركة سوني اليابانية العملاقة للإلكترونيات إلى تأجيل إطلاق فيديو جديد بسبب القلق من وجود مقتطفات قرآنية ربما تثير حفيظة المسلمين ومشاعرهم.

وحسب هيئة الإذاعة البريطانية بي. بي. سي. سحبت الشركة لعبة «Little Bi plne» التي كان مفترضاً أن توزع في أسواق العالم، بعد أن تبين أن جزءاً من موسيقى الخلفية الملحقة باللعبة يحوي على آيتين من القرآن وأعربت عن اعتذارها عن أي إساءة ربما تكون اللعبة تسببت فيها، مضيفة أنها عدلت تصميم اللعبة التي سيبدأ إطلاقها في الأسواق قريباً.

Allah, Glory be to Him, says:

{And of them are the ones who hurt the Prophet and say, "He is an ear!" Say "An ear of charity for you. He believes the believers, and (is) a mercy for the ones of you who have believed; and the ones who hurt the Messenger of Allah, for them is a painful torment."}

[At-Tawbah (The Repentance): 61]

Concerning the reason for the descending of the holy verse as the explainers say:

Ibn Abbas (may Allah be pleased with him) said, "Some hypocrites wronged the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), some of them said that they are afraid that Muhammad Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) may know about their saying, others said that they can say whatever they want and swear that they did not say anything. Muhammad will believe them accordingly as he has a listening ear.

This represents the impoliteness of the hypocrites with the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) as they misunderstood his mercy and tolerance in speaking and listening to the people, and accused him of believing every thing told to him without verification.

Their description of the Prophet as an "ear" means exaggerating his attribute of listening. Their envy and malice caused them to attribute him with the most dangerous attribute of a leader. The holy verse has a very tactful style, as it revealed acceptance for their saying followed by nullification of that saying. The explainers here noticed that it is a decisive successful style, as it made the hypocrites believe that it accepts their saying, and then it nullified their saying and disappointed them.

The verse means that he is really "an ear", but "an ear of charity", as he believes in Allah and His revelation extremely in a way that can not be shaken. Also, he has strong confidence in the believers. If he is not attributed by crookedness, he might punish them after hearing this accusation. However, he was tolerant and merciful everyone can believe him. If you attribute him with shallowness, you want to accuse him with your attribute. Your crime will not pass without penalty: a painful torture.

This torture is represented by your painful feeling when you reveal what you don not really feel. As for us, we do not care about your insult, that matter that reveals our superiority.

Then, the student told the Sheikh, "This is all about verse sixty one, what about the following verse?"

The Sheik said, Allah, Glory be to Him, says:

{They swear by Allah to you, to satisfy you. And Allah and His Messenger-it is truly worthier that they should satisfy Him, in case they are believers.}

[At-Tawbah (The Repentance): 62]

As the hypocrites do not bear the responsibility of right, they escape from frankness and confrontation, as they contradict with their crooked nature. Thus, they try to satisfy the surrounding people with their kindness asking for safety and protection. They follow the same approach even if it contradicts with their dignity. They should have looked further not to stop at satisfying the people, but surpassing them to satisfy Allah and His Messenger, because the people's satisfaction can not be gained and is an idle demand. Allah, Glory be to Him, says:

{And Allah and His Messenger-it is truly worthier that they should Him} [At-Tawbah (The repentance) 62]

Saheib Azh-Zhilal says, "How much the people are powerful? The one who does not fear Allah humiliates himself to another human being, it would be better if he submitted to Allah, to Whom all the people are equal.

The question now is, "Why do they swear to attain satisfaction?" Their growing feeling of lying causes them to swear frequently to silence their souls that accuse them of lying. If the believers believe them, it happens because they are human beings, but Allah, Glory be to Him, knows the truth.

Translated by: Eman Ali El-Khateb.

Revised and Edited by: Dr. Ibrahim Al-Assil.

the ancient Egyptian used to visit their temples and present rewards and the Arabs used to visit the Kaaba since it was built by Ibrahim.

It was mentioned in the Islamic knowledge, "Hajj to Arafat was not specified to the Arabs only, as pilgrimage to a certain temple is an old sublime worship as it was mentioned in Pentateuch as a religious obligation. Also, it was mentioned in the Exodus that the person should perform pilgrimage for the sake of Allah thrice. In this context, Allah says:

{For every nation we have made aritval.) (Al-Hajj " The Pilgrimage " : 34).

If hajj in the Islamic religion is strange, its strangeness lies in the fact that it is built on a right basis of Allah's orders and His Messenger's explanations, and its rituals are not invented by some scientists and inventors.

The idea of hajj is not a pagan idea or emphasis on the paganism of the Arabs, as some misguided orientalist claim. On the contrary, it is a correction for monotheism that was distorted by the Arabs. The Arabs turned the idea of monotheism, for which Ibrahim called, to polytheism. However, Hajj corrects this meaning, and the hajjis are asked for repeating the sentences of monotheism in every situation, "O, Lord, here we are, here we are, I praise be to You, and You own all graces and the whole world, You are the only God".

Hajj-as we mentioned before- is one of the bases of Islam and an obligation imposed on the Muslim who has the ability, and the Muslim that does not perform it while being able, deviates from Islam.

One of the hadiths says, "The one who has the ability to go to the Home of Allah and does not go, he may die as a Jewish or Christian, if he wishes, because Allah says," People should perform the rituals of pilgrimage, in case they can, for the sake of Allah."

Immolation is regarded as one of the rituals of hajj, as it reminds us of the grace of sacrifice that Allah bestowed upon Ibrahim. Thus, Allah made these occasions as feast to praise Allah and to renew the remembrance of the sacrifice of Ibrahim. The Muslims in general participate in this feast by immolation, prayers, saying, "Allah is Great" and the aspects of happiness. In these days, the Muslims remember the good pattern of enduring difficulties and being ready to sacrifice for the sake of Allah, as their grandfather Ibrahim did.

Not defending the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)

By: Dr. Mahmoud Imara

Allah, Glory be to him, says:

{And of them are the ones who hurt the Prophet and say, "He is an ear!" Say "An ear of charity for you. He believes in Allah and the believers, and (is) a mercy for the ones of you who have believed; and the ones who hurt the Messenger of Allah, for them is a painful torment." They swear by Allah to you, to satisfy you. And Allah and His Messenger-it is truly worthier that they should satisfy Him, in case they are believers. Do they not know that whoever contravenes Allah and His Messenger, then for him is the Fire of Hell, eternally therein (abiding). That is the tremendous disgrace.} [At-Tawbah (The Repentance): 61-63]

One of my students told me, "After this oppressive campaign against the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), what will you say today?

I said, first: Record my feeling of disappointment, as this storm blew after our call with wisdom and good preaching, and after we argued with "the other" in good manners admitting him as a good companion on the way. Second: In any case, it is a good phenomenon. It is the plan of the orientalist, Zומר, who said that any attempt to suggest doubt to any Islamic fact will fail. Thus, we have no way other than ridiculing the Islamic symbols frequently to shake their personalities as well as the principles they are calling for, that drive its value from that of its representative. It will be good that this ridiculing campaign focuses on the Islamic Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

Returning to Qur'an

The saying of our today opponents is similar to that of the earlier hypocrites. Thus, it will be better to return to Qur'an to remind us of this matter to console and support us.

The Greater Bairam and Hajj....!

By: The Honourable Sheikh.

Abul Wafa Al-Maraghy

Hajj is the fifth Islamic principle according to the narrations of the right hadiths, as it is mentioned in As-Sahih:

"Islam is set upon five principles: Saying that Allah is the only God and Mohammad is His worshipper and Messenger, praying, almsgiving, fasting in Ramadan and performing the rituals of Hajj in case of ability."

This principle or worship is one of the worships in which body and money contribute. Allah says in this context:

(People should perform the rituals of pilgrimage, in case they can, for the sake of Allah, and the one who disbelieves, surely Allah does not need the whole people.) (Al-Imran "The House hold of Iman" : 97).

This verse is like a miracle in its summarization, as the meaning of ability differs from one person to another, as someone can perform it while walking and having his provisions and money, someone can perform it while catching a plane or a train or riding a camel and having enough money and provisions for traveling and someone has good health that enables him to endure the hardships of the rituals. In all cases, the road should be safe and the hajji should have enough money for him and the people he is responsible of till the day of coming back, not to be dependent on the society.

This is the easiness that Allah legislated regarding this worship. Actually, this verse is summarized in a way that is explained and interpreted in many ways; as the lazy and luxurious person may interpret the meaning of ability as the train or plane should be equipped with air conditioner, means of communication, beds and different kinds of food that suit him.

There are many opinions between these two interpretations. Hajj includes abandoning the pleasures of life, self-strife, leaving power, escape from sins, resorting to Allah and asking for His mercy. The hajji, at the time of intending to perform the rituals of hajj, should get rid of the worldly matters, get even with the whole people, devote himself to Allah and cling to the ways of

obtaining Allah's satisfaction and forgiveness. This is a kind of spiritual worship, but there is also a social worship that affects the Muslims in benefiting from it in the worldly and religious affairs.

The meeting of Muslims from different parts of the world is a kind of mixing ideas, exchanging cultures, cooperating in solving the problems, and consultation of the Muslims' needs. Also, it can be a good opportunity for trade. The Noble Qur'an summed up this meaning in the saying of Allah, Glory be to Him:

(And announce to mankind to pilgrimage; they shall come up (hurriedly) to you on foot and upon every slender (conveyance), they definitely come up from every deep ravine that they may witness (things) profitable to them and mention the Name of Allah on days well-known over such brute cattle as He provided them. So eat thereof, and feed the miserable poor.") (Al-Hajj "The pilgrimage" : 27:28).

As hajj is regarded as a sacrifice of effort and money, separation from family and country, and full devotion for Allah, Allah assigned great reward for the hajji, as he comes back free from sins. One hadith says, "The one who performed the rituals of hajj and did not use obscene language or dissipate, he came back free from sins such as the day he was born."

Another hadith says, "The only reward for a blessed hajj is paradise."

Due to this meaning, the Muslims are keen on performing it as it becomes the wish of which they dream. Some Muslims wish that they perform the rituals of hajj such as visiting the Kaaba, walking between As-Safa and Al-Marwa, standing on Arafat Mountain, throwing stones in Mena, ending the rituals by visiting our Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him). They wish by this hajj to complete their Islam, to satisfy Allah and to be included in the people whom Ibrahim mentioned in his invocation as said:

(let people come to them and grant them something to eat to praise You.) (Ibrahim "Abraham" : 27).

Hajj, meaning visiting a sacred place, is a sacred Islamic worship, as the whole nations have some sacred places to which they go devoting themselves to invocation and worship to be free from sins. The Greek have their pilgrimage to their statues in Athens and other places such as Diana, Minrafah and Az-Zahra. Also, the Indians and the Chinese have their pilgrimage, even

This opinion is indicated by the narration of Abu Huraiyrah about the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "It is not permissible for a woman to travel for a day with an unmarried person." Ibn Abbas said that he heard the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) saying, "It is not permissible for a man to stay with a woman while he is an unmarried person, and a woman should not travel alone with an unmarried person. Someone asked the Prophet saying, 'I joined an invasion and my wife went to perform hajj, he told him go to perform hajj with your wife.'

The followers of Al-Shafi'i, Malek, Zhabery and Imamiya Shiites do not stipulate this condition, as Malek says that a woman may travel to perform hajj with a group of women, and the followers of Al-Shafi'i say that it is enough for a woman to travel with a trustworthy woman.

The followers of Az-Zhabery see that it is supposed that the husband should perform hajj with his wife, and if he does not, he becomes disobedient and she should travel for hajj with some women and without him, and he has no right to prevent her from performing hajj. If a woman does not have a husband, she can not travel for hajj alone, as traveling for hajj is not excluded from the rule that a woman should not travel without a husband if she was an unmarried person.

Actually, the reason behind allowing a woman to travel for hajj with a group of women in addition to a safe road is to simplify matters for the women wishing to perform hajj, and that their wish will keep them away from sins.

When a person becomes able to perform hajj, he should do it once in his life, as Muslim in his Sahih, Ahmad in his Musnad and An-Nasa'i in his Sunan mention that Abu Huraiyrah said, "We talked with Allah's Messenger after the descending of hajj verse and said, 'People, hajj is obligatory as Allah imposes it upon you.' A man said, 'Shall we perform it every year?' And he kept silent till he asked it thrice. Then the Prophet said, 'If I said yes, it will be imposed upon you and you may not be able.' Then he said, 'Many nations perished due to the frequency of their questions. Try to abide by my orders and avoid the matters that I prohibit.'

Thus, its obligation is not limited to a certain time, thus the jurists differ. Most of them believe that it is obligatory in the year in which the person is able, and if he postponed it, he will be sinful. Others believe that there is no sin in postponing it to another year, but if he does not become able afterwards, he becomes sinful. Thus, if this person died, he would become sinful and any other person should

perform hajj in on his behalf.

This difference renders to assimilating the time of hajj to the time of the obligatory prayer; some people assimilate the first time of hajj to the first prayer, and others assimilate it to the last prayer to be done.

The other similarity is that there may be another time that this person can not perform it such as the prayer that a person may not be able to perform at a certain time. The similarity with the first time lies in the fact that the delayed prayer should be performed at the time of the due prayer, while delay in hajj happens at the time when another month comes. Thus, it should be done at one time only and, as we can not fast more than one fasting in Ramadan.

The persons who support the opinion of its performance immediately are, "The followers of Hanbal, Malek, as some of his companions said, Abu Yusef and Al-Karkhy, and it is said by the school of Azh-Zhabery and Imamiyah".

It is mentioned in the books of the followers of Ibn Hanbal, "The one who becomes able to perform hajj, should do it at once and should not postpone it." It is mentioned in the books of the followers of Malek, "The two sayings are narrated about Malek and his companions, and they believe that it should be performed at once." It is mentioned in the books of the followers of Abu Hanifah, "There are different opinions and narrations, as Al-Karkhy mentioned that it should be performed at once, and it was said that it is the opinion of Al-Imam and Abu-Yousef, it was said that it can be postponed, and it is the opinion of Mohammad Ibn Al-Hassan.

It is mentioned in Al-Muhallaa by Ibn hazm Azh-Zhabery, "Hajj and Umrah should not be postponed as long as the person is able to perform them, and the one who does not do that, he becomes sinful and disobedient. It is mentioned in the books of the Shiites who follow Malek's school, "The one who is able to perform hajj should do it at once, because delaying it is a kind of sin.

Evidences that support the belief of this group are: Allah's order in the verse: (People should perform the rituals of pilgrimage)

(Al-Imran "The house hold of Imran": 97)

And His saying:

(And perform hajj and Umrah for the sake of Allah) (Al-Baqarah "The cow": 197).

2 - Having money that surpasses his main needs to be able to endure that costs of the journey by a means of transportation not on foot, as walking includes difficulty and the long distance. Allah says:

(Allah does not impose upon you in religion any difficulty.)

Some of the followers of Abu Hanifah say that hajj is not imposed on the person who finds the money necessary for hajj by authorization whether from his parents and sons or from other people.

They believe that ability in respect of money is not realized except by ownership. Also, it is not imposed on the debtor who owns money that meets his basic requirements but does not cover his debt, because returning debts is one of his basic requirements and is related to the rights of others. This meaning includes debt for a certain person or to Allah such as alms or penance.

They say that it is conditioned that the person who wants to perform hajj should have enough money for his sons and family that sustain them from his traveling to his coming back, because they need this money. Also, they say that the person who has not married and can not afford for hajj and marriage together, he should marry first because marriage is one of the basic requirements. Moreover, they say that if a person has enough money, which is indebted to a needy person in a way that can not be paid, is not obliged to perform hajj.

The followers of Imam Shafi'y see that one of the conditions of ability to perform hajj is to be financially capable of affording the costs of the trip till he comes back home, and the money should surpass the need of those of whom he is responsible. If he earns the money from his traveling and his trip to perform hajj, he is not obliged to perform hajj, even if his earning in one day will afford for other days because he may not earn his living for an accidental reason. Also, combining the weariness of traveling and earning one's living is a great difficulty, and the person should not ask people to give him money for hajj, as the money should be overabundant.

Also, The followers of Imam Shafi'y consider that the ability to perform hajj being transported by any means of transportation not walking, even if the person is able to walk.

The followers of iman Ahmad Ibn Hanbal see that one of the conditions of ability to perform hajj is to be financially capable of affording the costs of the trip till he comes back home and he should be able to travel by any means of transportation, even if he comes from a short distance. Also, the money should be

overabundant and he does not need for necessary purpose such as marriage. If the person needs a residence for himself and his family, he is not obliged to perform hajj, and he should not ask any other people whether relatives or not to give him money for hajj, because he takes the money others need.

The followers of Imam Malek see that ability occurs when the person is capable of walking, and when he does not have the costs of the trip and can take it from other people.

The followers of Azh-Zhaheriyah see that self ability is one of the conditions of the obligation of hajj, and it includes wholesomeness, ability to walk and earn money in his trip till he comes back. Also, he should have enough money to afford him for his trip till he comes back.

The Shi'ites who follow the school of Imam Malek see that hajj is obligatory for the person who is able to walk and earn his living even if he is loafer "Ar-Rawdah Al-Bahiyah concerning Damascus gloss part 1 page 159". They see that supplies for the trip depend on the person himself, and that the person should leave the money and supplies that are sufficient for his family. They say that performing hajj on foot is better, except in the case of being weak.

The reason for difference between the group considering hajj is obligatory, only in case of ability to afford enough money and supplies and the other group hajj is obligatory in case of ability to walk and earn living through the trip is that the explanation of ability is not detailed in words. It was mentioned that when the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was asked about the ability to perform hajj, he answered by saying that it means money and supplies necessary for the trip.

3 - They stipulated for realizing the ability to perform hajj that the road should be safe from any enemy, whether this road is terrestrial, marine or aerial, the main factor here is safety. If the person fears for himself, his money and companions to travel through this unsafe road, which is the only possible road, he is not obliged to perform hajj.

In Al-Mughny by Ibn Qudamah, it is mentioned that, "If there is an enemy in the road for hajj, it is not obligatory to perform hajj."

4-The followers of Abu Hanifah and Ahmed ibn hanbal discussed the ability of women, as they see that the woman should travel for hajj with her husband not with unmarried person, and if this condition is not available, she is not obliged to perform hajj, even if she is rich.

the situation was severe, the situation was eased and Zamzam spring flew to satisfy everyone who endured Allah's affliction.

Also, remember the great attraction of the Kaaba to which millions of people come whether Muslims and non-Muslims in the pre-Islamic era.

You should know that the spiritual meanings and psychological perfecting factors that come out of strong belief are the magical power that can not be equaled to any other human power in the world. Also, you know that Allah only can subject powers and assemble hearts to those who resort to Him using His Power and merciful human Messages.

Remember this place, which witnessed the Messenger's work, as he was a boy to sustain himself. He worked as a shepherd to Mecca's inhabitants to win his living and to live continent and self-made without surrendering to poverty and orphanage. Also, this place witnessed the torture of Belal (may Allah be pleased with him) to refrain from his creed, and the eternal words he said that show his adherence to his principle and sacrifice for the sake of right: only One—only One.

Remember the people within whom the Prophet and his companion were besieged, but they were patient being characterized with hope and belief. They continued with the same attitude for years without hesitating to refrain from the right path till gaining victory and the end of siege.

Remember the situation of the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) while taking leave of Mecca immigrating to Medina saying in deep sorrow, "I swear that you are the most preferable place in the world for Allah and for me as well. Unless my

people caused me to come out of you, I would not have left you ever." Then, remember the Prophet's coming back in the day of great conquest after eight years of farewell situation. He was victorious and the brows of the tyrants subjected to him while saying the victory cheer, "Right came true and wrong vanished."

Remember, the standing of the Prophet at Arafat (may the blessings and peace of Allah be upon him) while announcing the extract of the Islamic principles in fixing justice, equality, universal fraternity and peaceful coexistence to strengthen your belief and confidence that it can be a dominating power as before.

Remember, while performing the farewell circumambulation around the Black Stone to return to your homes taking upon yourselves to abide by the Islamic Sharī'a, to cooperate to realize benevolence, piety, to strive and sacrifice to raise the Islamic banner rescuing the oppressed from submission and occupation.

People should perform the rituals of pilgrimage, in case they can, for the sake of Allah...!

By: Dr. Muhammad Sallam Madkour

Muslim in his Sahih, Abu Dawud, and An-Nesa'y narrated that Omar said, "While we were sitting with Allah's Messenger, a man dressed in very white clothes and has very dark hair in a way that does not reveal the effects of traveling and he does not know any of us, he came to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) putting his hands on his thighs and saying:

'Muhammad, tell me about Islam. The Prophet said, "It is to believe that Allah is only God and Muhammad is His worshipper and Messenger, to pray, to give alms, to fast in Ramadan and to perform the rituals of hajj if you can." The man said, 'You are right.' We were amazed by the situation of that man. Then, he asked the Prophet, "Tell me about (iman) belief". The Prophet said, "It is to believe in Allah, His angels, Books, Messengers, the Hereafter and destiny whether good or bad." Then, the man said, 'You are right.' He said, 'Tell me about benevolence.' The Prophet said, 'It is to worship Allah as if you see Him, and if you do not, He sees you.' The man said, 'Tell me about the Hereafter.' The Prophet said, 'Allah knows about it more than anyone else. There are many narrations about this situation.

Hajj to Allah's Home is one of the five pillars of Islam, as it is an obligation that is imposed on the one who is able to perform it. Allah says, "People should perform the rituals of pilgrimage, in case they can, for the sake of Allah."

The reasonable adult Muslim can perform it if he meets the following conditions:

1 - Body wholesomeness and the non-existence of the physical obstacles, as the ill, handicapped, imprisoned and afraid of anything that hinders the people to perform hajj.

Hajj is a physical worship that requires body wholesomeness and the non-existence of the obstacles; and the jurists differ regarding the obligation of the blind and disabled. We will discuss this point in the part of hajj on behalf of some people that if some one can not perform hajj himself and can let some one perform it on his behalf.

Pilgrimage : Memories & Exhortations...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Al-Bukhary narrated about Abdullahi Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) that Allah, Glory be to him, ordered the Prophet Ibrahim (may the peace of Allah be upon him) to leave his wife and son, Ismail in the place which is called Mecca now, and left side. When the Prophet Ibrahim left them lonely in this secluded place and reached a place where no one can see him, he directed himself to the place of Kaaba saying:

{O, Lord! I left my wife and son at a barren place in Kaaba to perform prayers, let people come to them and grant them something to eat to praise You.}

In some of the Prophet Ibrahim's visits to his son, Ismail after his growing up and marriage, he told him that Allah ordered him to establish the Kaaba. Consequently, Ismail cooperated with the Prophet Ibrahim (may the peace of Allah be upon him) to carry out the Allah's order asking Him to bless this place and its people. Allah, Glory be to him, says:

{And as Ibrahim raised up the foundations of the Home and Ismail (with him), (saying), "our Lord, (graciously) accept (this) from us. Surely you, Ever You, are the Ever-Hearing, the Ever-Knowing; Our Lord and make us (both) Muslims to you, and of our offspring a nation Muslim to You, and show us our rituals and relent towards us; surely You Ever You are The Superbly Relenting, The Ever-Merciful. Our Lord, and send forth among them a Messenger, (one) of them, who (will) recite to them your ayat and teach them the Book, and (the) Wisdom, and cleanse them; surely You are Ever-Mighty, The Ever-Wise.} Al n Baqara (The cows) : "127-129"

This was the first Kaaba set up for the people to be a blessing and guidance for the whole people. Allah ordered the Prophet Ibrahim to prepare the Kaaba to receive the visitors without being hindered by any obstacle. He regarded it as a secure place and one of the religious rituals, revealing the wisdom of the call for visiting this Home in a short sentence, as in His saying, Glory be to Him:

{And as We located for Ibrahim the place of the House (saying), "You shall not associate with Me anything; and purify My House for the circumambulators, and the upright ones, and (the ones) oft bowing down (and) prostrating themselves (in prayer). And announce to mankind to pilgrimage; they shall come up (hurriedly) to you on foot and upon every slender (conveyance), they

definitely come up from every deep ravine that they may witness (things) profitable to them and mention the Name of Allah on days well-known over such brute cattle as He provided them. So eat thereof, and feed the miserable poor." Al-Hajj (The Pilgrimage) : "26-28"

The benefits refer to good livelihood that meets with Ibrahim's invocation to grant his family and the people inhabiting the place; It is real good granted by Allah to the residents of Mecca and great welfare that is profitable to the Arabs in general, as they feel safe for their caravans and trade. Also, they abandon wars and raids and it is a great benefit for the whole mankind in all religious and worldly fields including political, social, economic and intellectual fields...etc.

Hajj is Ibrahim's call, which aims only for general welfare for the whole humanity; it is based on monotheism, pure worship, intellectual principles and ideal patterns. It has neither partiality nor fanaticism towards a specific sect, as it is a universal call for the sake of Allah only:

{Ibrahim was neither Jewish nor Christian, but a true Muslim; and he was not a polytheist. {Al-Imran "The House hold of imran":67}

Allah ordered His Messenger Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) to follow this general call with all of its pure constituents:

{Say that Allah guided me to the straight path. It is a valuable religion that was Ibrahim's creed, as he was not a polytheist. (Al-Anam "Cattle": 161)

I wish that everyone who responds to Ibrahim's call to remember the old memories of Ibrahim's story to fill his soul with strong belief, by which he can realize honor and welfare for himself, his society and his nation.

Remember, hajji, that this blessed location where you come to perform hajj rituals would not have had this eternal honor except by the ideal pattern of Mrs. Hajar for satisfaction and confidence in Allah despite her distress. The poor mother was satisfied to stay with her son only when Ibrahim was about to leave her, she asked him, "Did Allah order you to do so? He said, "Yes". Then, she said, "So, He will sustain us." The result of this belief was an inhabited home in that barren place, to which millions of people come to perform hajj rituals, and a Message held by the Prophet Mohammad the last Messenger and the ancestor of Ismail and Ibrahim (may the blessings and peace of Allah be upon him) to the whole humanity.

Remember the condition of the wretched mother, while walking frequently wishing to see water or a human being to help her without losing hope. When

الفهرس السنوى العام لسنة ١٤٢٩

المحرم

- أكثر رسائل الجامعات... هيكل عقلى، الافتتاحية،
للأستاذ الدكتور محمد رجب اليومى ٢
تفسير سورة آل عمران
للمفصلة الإمام الأكر الأستاذ الدكتور محمد سيد عطوى ٨٠
وانقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
للمفصلة الشيخ إبراهيم عطا اليومى ١٦
الهجرة وأثرها فى إقامة الدولة الإسلامية
للمفصلة الشيخ فوزى الزرقاف ٢٢
قطرات من ينابيع الهجرة
للأستاذ الدكتور محمد فتحي فرج ٢٨
خصائص الرضخ الإسلامى قبل الهجرة
للمفصلة الشيخ محمد العزافى ٣٢
الطريق إلى السعادة
للأستاذ الدكتور محمود عمارة ٣٨
أحداث ومواقف بعد الهجرة إلى المدينة
للمفصلة الشيخ الطاهر الحامدى ٤٤
الهجرة بين الدلالات القوية والتنوع لدى والشورى
للأستاذ الدكتور صابر عبدالمجيد ٤٨
مسافر فى الزمان
للشاعر السيد الصديق حافظ ٥١
قصة العدة: فى الطريق إلى مكة
للأستاذ الدكتور إلى حمام ٥٢
استفتاءات القراء
يجيب عنها أ. د. / على جمعة ٥٨
عن الخروج فى القرآن الكريم
للأستاذ الدكتور محمد أحمد العرب ٦٠
الصلح واجب شرعى وقانونى
للمستشار حسن حسن منصور ٦٦
الأصول الإسلامية للطلب البيطرى
للأستاذ الدكتور مصطفى رجب ٧٢
نشأة الاختلاف وأدبه
للأستاذ الدكتور السيد فرج ٧٦
- سباسة العقاب وأدبه فى التشريع الإسلامى (٢)
للمفصلة الشيخ / على عبدالباقى شحاتة ٨٢
كتاب الشهر: الله ليس كذلك
عرض وتحليل أ. د. / إبراهيم عوجين ٨٤
الجملة الفرنسية وبيدات الازدواجية فى نموذج التقدم
للأستاذ الدكتور محمد عمارة ٩٠
عبدالقادر الحسينى: قصيدة
للشاعر الطرب الأستاذ / أحمد حمير ٩٦
تركيا والأزمة الكردية
للأستاذ / صلاح عبدالحليم محمد ١٠٠
الأسونية حكومة العالم الخفية
للأستاذ / محمد حسن عبدالحق ١٠٨
طرائف... ومواقف
للشيخ / عبدالحق محمد عبدالحليم ١١٢
بين الصحف والجلات
إعداد: محمود القشى - علاء الدين ١١٥
مؤتمر مكة الثامن
رسالة مكة من / عاطف مصطفى ١٢٠
طلائع الهجرة
للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ١٢٦
لحظات طيبات مع ابن حزم الأندلسى
للأستاذ / عادل خفاجة ١٣٢
بين المجلة والقارىء
للأستاذ أحمد السيد تقي الدين ١٣٧
أنباء العالم الإسلامى
إعداد: محمد جمعة - أحمد رضوان ١٤١
أنباء مجمع البحوث الإسلامية
إعداد الأستاذ / عبدالمجيد أمين ١٤٥
القسم الإنجليزى
إشراف وإعداد أ. د. / إبراهيم الأحيل ١٥٧
استبانة ١٥٩

AL-AZHAR
MAGAZINE
Hejjah, 1429



ENGLISH
SECTION
Dec, 2008

أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

(الأعراف / ٤٣)

“Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guide, unless Allah has guided us.”

(Al- A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM AL-ASSIL
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الجريدة اليومية والفتاوى الأدبية والدينية

- للأستاذ الدكتور / محمد رجب البومي ١٦٠
- تفسير سورة آل عمران
- للفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد سيد قطاوي شيخ الأزهر ١٦٨
- السنة: كتمان الأسرار شعبة الأخيار
- للفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا القويم ١٧٤
- من وحي الهجرة
- للفضيلة الشيخ / عمر الديب ١٨٠
- وكان حقا علينا نصر المؤمنين
- للدكتور / حمدي فريح والي ١٨٣
- اختلاف الصحابة بعد الرسول ﷺ
- للأستاذ الدكتور / السيد أحمد فرج ١٨٨
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن والسنة النبوية (٢)
- للفضيلة الشيخ / فوزي الزغراف ١٩٢
- هذه عقيدتنا
- للفضيلة الشيخ / علي عبد القادر شحاتة ١٩٨
- كتاب الشهر: الله ليس كذلك
- عرض وتحليل أ. د. إبراهيم عروحين ٢٠٢
- قصة العدد: غلاب
- للأستاذ الكبير / محمد قنبري لطفي ٢٠٩
- الحملة الفرنسية وبدايات الازدواجية في نموذج التقدم
- للأستاذ الدكتور / محمد عمارة ٢١٢
- حتمية النصر وعودة القدس
- للفضيلة الشيخ / صديق بكر عطة ٢١٨
- قصيدة العدد: الشهيد المجهول
- للشاعر الكبير / فراد الخطيب ٢٢٤
- مؤتمر أنا بوليس وتحديات عملية السلام
- بقلم / صلاح عبد الرحيم محمد ٢٢٨
- خطبة الجمعة: الناس بين المدح والقدح
- للأستاذ الدكتور / أحمد الشريامي ٢٣٩

مواقف إسلامية: دور الشباب من القول إلى الفعل

- للأستاذ الدكتور / محمد عمارة ٢٤٠
- دعوة الإسلام إلى التطلي عن الكبر والتعالي بالتواضع
- للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ٢٤٦
- المخطوطات العملية المأخوذة في التراث الإسلامي
- للأستاذ الدكتور / أحمد فراد باشا ٢٥٢
- استفتاءات القراء
- يجب عليها أ. د. / علي جمعة ٢٥٨
- بين الصحف والمجلات
- إعداد أ. / محمود القشبي - أ. علا محمد عبدالرحمن ٢٦١
- دور الخطاب الإسلامي في إشاعة مفاهيم العدل والسلام (٢)
- رسالة مكة من: عاطف مصطفى ٢٦٦
- طرائف ومواقف
- للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٢٧٤
- ذكريات إسلامية لتعمية الذاكرة (٢)
- للأستاذ / محمد مصطفى السيوي ٢٧٧
- أحقاد يهودية قديمة متجددة
- للفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي ٢٨٢
- قراءة في كتاب: اليهود واليهودية .. التاريخ والعقيدة والأخلاق
- للأستاذ / عادل رفاعي حفاجة ٢٨٦
- بين المجلة والقارىء
- للأستاذ / أحمد السيد نفى الدين ٢٩١
- أنبياء العالم الإسلامي
- للأستاذ / محمد جمعة - أحمد رضوان ٢٩٥
- أنبياء مكتب الإمام الأكبر
- للأستاذ / عبد الله إبراهيم فراج ٢٩٩
- أنبياء مجمع البحوث الإسلامية
- للأستاذ / عبد المجيد أمين موسى ٣٠٣
- القسم الإنجليزي
- إعداد وإشراف أ. د. / إبراهيم الأصيل ٣١٧

محمد ﷺ، في مرآة الكاتب الأمريكي، واشنطن
إرفنج، (الافتتاحية)

- للأستاذ الدكتور / محمد رجب البومي ٣٢٠
- تفسير سورة آل عمران
- للفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد سيد قطاوي شيخ الأزهر ٣٢٤
- السنة: أنا دعوة أبي إبراهيم
- للفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا القويم ٣٣٢
- الرسول الداعية ﷺ
- للفضيلة الشيخ / عمر الديب ٣٣٨
- مكانة الرسول ﷺ، وفصل الصلاة عليه
- للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ٣٤٢
- ربيع الشهور وعطر أيام العام بنبيل المصطفى خير الأنام
- للأستاذ الدكتور / محمد فتحي فرج ٣٤٦
- اختلاف الصحابة بعد الرسول ﷺ
- للأستاذ الدكتور / السيد أحمد فرج ٣٥٠
- قصيدة العدد: أبو الزهراء
- للشاعر الكبير الأستاذ / علي الجارم ٣٥٤
- مواقف إسلامية: الطريق إلى العفو
- للأستاذ الدكتور / محمد عمارة ٣٥٨
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم والسنة النبوية (٤)
- للفضيلة الشيخ / فوزي الزغراف ٣٦٤
- الدعوة بالقنطرة
- للدكتور / حمدي فريح والي ٣٦٩
- وعادت صحف الدافعات مرة أخرى للرسوم التي تسوء
- لنبينا الكريم ﷺ
- للأستاذ / عاطف مصطفى ٣٧٤
- مكارم الأخلاق .. غاية الرسالة المحمدية
- للفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي ٣٧٩
- خطبة الجمعة: كان خلقه القرآن
- للفضيلة الشيخ / محمد الغزالي ٣٨٢
- الهجرة النبوية من منظور مصطفى صادق الرافعي
- للأستاذ الدكتور / صابر عبد الدائم ٣٨٨
- الصدقة في ميزان الإسلام
- للفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي ٣٩٤

التوكل على الله ممارسة تربوية للإرادة

- للأستاذ / محمد مصطفى السيوي ٣٩٨
- الدين في حياة البشرية
- للشيخ / صديق بكر عطة ٤٠٤
- ما لم يقل عن طه حسين
- للأستاذ الدكتور / أحمد علي الجارم ٤١١
- طرائف ومواقف
- للفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٤١٤
- قصة العدد: موت أم
- لأمر البيان العربي الأستاذ / مصطفى صادق الرافعي ٤١٧
- تيار المرجعية الإسلامية في نموذج التقدم
- للدكتور / محمد عمارة ٤٢٠
- كتاب الشهر: أوامير الشرق الأوسط
- عرض وتحليل أ. د. / إبراهيم عروحين ٤٢٦
- بين الصحف والمجلات
- للأستاذ / محمود القشبي - علا عبد الرحمن ٤٣٢
- أمة القرآن قصيدة
- للشاعر / السيد صديق حناظ ٤٣٩
- العصر الإمبريالي ومشروع غزة الكبرى
- للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد ٤٤٠
- قراءة في كتاب: اليهود واليهودية .. التاريخ والعقيدة والأخلاق (٢)
- للأستاذ / عادل رفاعي حفاجة ٤٤٧
- بين المجلة والقارىء
- للأستاذ / أحمد السيد نفى الدين ٤٥٣
- أنبياء العالم الإسلامي
- للأستاذ / محمد جمعة - أحمد رضوان ٤٥٨
- أنبياء مجمع البحوث الإسلامية
- للأستاذ / عبد المجيد أمين موسى ٤٦٢
- أنبياء مكتب الإمام الأكبر
- للفضيلة الشيخ / عبد الله إبراهيم فراج ٤٦٦
- القسم الإنجليزي
- إعداد وإشراف أ. د. / إبراهيم الأصيل ٤٧٧

ربيع الآخر

- محمد ، في مرآة الكاتب الأمريكي واشنطن إيرفينج
الافتتاحية، (٢) ٤٨٠
- الأستاذ الدكتور / محمد وجب اليومى ٤٨٠
- تفسير سورة آل عمران
لقضلة الأستاذ الدكتور / محمد سيد قطاوى شيخ الأزهر ٤٨٤
- السنة: قلن المؤمن يوم القيامة صدقته
لقضلة الشيخ / إبراهيم عطا القوي ٤٩٢
- الصدقة في ميزان الإسلام (٢)
لقضلة الشيخ / على عبدالباقى ٤٩٧
- طريق الدعوة
لقضلة الشيخ / عمر الدبيب ٥٠٠
- خطبة الجمعة: رعاية البيت
لقضلة الأستاذ / الدكتور / أحمد الشرباصى ٥٠٣
- العدل صمام الأمن في المجتمع
للمستشار / حسن منصور ٥٠٦
- عناية الإسلام بالأسرة
للاستاذ / عادل خفاجة ٥١٣
- مواقف إسلامية: تساوت الرؤوس وما تساوت النفوس
للاستاذ الدكتور / محمود عمارة ٥١٦
- إبراهيم بن آدم
للاستاذ الدكتور / محمد أحمد العرب ٥٢٢
- قصة العدد: فاجر مريد
للاستاذ / أنى حسام ٥٢٧
- المخطوطات العلمية الشارحة في التراث الإسلامى (٢)
للاستاذ الدكتور / أحمد فراد ياشا ٥٣٢
- جبيننا الصلطفى، قصيدة
للاستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ٥٣٨
- كيف تنصير لرسول الله ﷺ
للاستاذ / حمدى والى ٥٤٠
- الدين في حياة الإنسانية
للاستاذ / صديق بكر عيط ٥٤٥
- تأملات فقهية في حديث نبوى
لقضلة الشيخ / الطاهر الخامدى ٥٥٠
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم والسنة النبوية
لقضلة الشيخ / فوزى الزفراف ٥٥٤
- المؤتمر العشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
للاستاذ / عاطف مصطفى ٥٥٩
- طرائف... ومواقف
للشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٥٦٦
- أرجوزة العدد: خالد بن الوليد
لأمر الشعراء / أحمد شوقي ٥٦٩
- سبيل وحدة الأمة
للاستاذ الدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح ٥٧٢
- استفتاءات القراء
يجب عليها الأستاذ الدكتور / على جمعة ٥٧٦
- تيار المرجعية الإسلامية في نموذج التقدم
للاستاذ / محمد عمارة ٥٨٠
- كتاب الشهر: أوهام الشرق الأوسط
عرض وتحليل: د. إبراهيم عورين ٥٨٥
- لبنان بين الفراغ الرئاسى وتشكيل الحكومة الجديدة
للاستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد ٥٩٠
- بين الصنحف والمجلات
إعداد الأستاذين: محمود القشى - علا عبد الرحمن ٥٩٦
- بين المجلة والقارىء
للاستاذ / أحمد السيد على الدين ٦٠٢
- أنباء العالم
للاستاذين: محمد جمعة - أحمد رخوان ٦١٠
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية
للاستاذ: عبد الجود أمين موسى ٦١٥
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
لقضلة الشيخ / عبدالباقى قراج ٦٢٢
- القسم الإنجليزي
إشراف وإعداد: د. إبراهيم الأصيل ٦٣٧

جمادى الأولى

- من سقطات النقد، الافتتاحية
للاستاذ الدكتور / محمد وجب اليومى ٦٤٠
- تفسير سورة آل عمران
لقضلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد قطاوى ٦٤٨
- السنة: القرآن الكريم رباط بين الأرض والسماء
لقضلة الشيخ / إبراهيم عطا القوي ٦٥٤
- من مبادئ الدعوة
لقضلة الشيخ / عمر الدبيب ٦٦٠
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن والسنة النبوية (٦)
لقضلة الشيخ / فوزى الزفراف ٦٦٤
- رسوم ساخرة ١١ أم إسقاطات ساخرة ١٩
للاستاذ / محمد مصطفى السيوتى ٦٧٠
- نصرة رسول الله ﷺ
للاستاذ / عاطف مصطفى ٦٧٦
- الرد على الفيلم الهولندى المسيحى للقرآن الكريم
للاستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ٦٨٢
- الصدقة في ميزان الإسلام (٣)
لقضلة الشيخ / على عبدالباقى شحاتة ٦٨٤
- خطبة الجمعة: أولو الألباب في القرآن الكريم
للشيخ / محمد الغزالى ٦٨٨
- دور الرسالات السماوية
للشيخ / صديق بكر عيط ٦٩٤
- الثقة القوية أولى خطوات النجاح
للاستاذ / حمدى قراج والى ٧٠٠
- قصة العدد: امتحان
للاستاذ / سهر القلماوى ٧٠٤
- قصيدة العدد: الطين
للشاعر الهجرى / إيليا أبى ماضى ٧٠٧
- منهج الإسلام في مكافحة الفساد
للمستشار / حسن حسن منصور ٧١٠
- الفناء والموسيقى.. جلال أم حرام
للاستاذ / محمد عمارة ٧١٦
- المخطوطات العلمية الشارحة في التراث الإسلامى (٢)
للاستاذ الدكتور / أحمد فراد ياشا ٧٢٢
- قراءة في كتاب: أخلاقيات العلم
للاستاذ الدكتور / محمد فتحى فرج ٧٢٦
- همس الأحجار في غرة قصيدة
للشاعر / السيد الصديق حافظ ٧٣١
- كتاب الشهر: أوهام الشرق الأوسط
عرض وتحليل: د. إبراهيم عورين ٧٣٢
- السوق الخبيجة المشتركة
للاستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد ٧٣٨
- مشكلات التعليم في أفريقييا وواجب المسلمين
للاستاذ الدكتور / عبد الله نجيب محمد ٧٤٤
- بين الصنحف والمجلات
إعداد الأستاذين: محمود القشى - علا عبد الرحمن ٧٥٠
- طرائف... ومواقف
للشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٧٥٦
- دلالات الألفاظ بين جد الأصوليين وعبث الهازلين
للشيخ / الطاهر الخامدى ٧٥٩
- مواقف إسلامية: الدعوة بين الدفاع والانتدفاع
للاستاذ الدكتور / محمود عمارة ٧٦٤
- الإمام ابن دقيق العيد
للاستاذ / عادل رفاعة خفاجة ٧٦٩
- بين المجلة والقارىء
للاستاذ / أحمد السيد على الدين ٧٧٢
- أنباء العالم الإسلامى
للاستاذين: محمد جمعة - أحمد رخوان ٧٧٨
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية
إعداد الأستاذ: عبد الجود أمين موسى ٧٨١
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
لقضلة الشيخ / عبدالباقى قراج ٧٨٥
- القسم الإنجليزي
إشراف وإعداد: د. إبراهيم الأصيل ٧٩٧

جمادى الآخرة

- الكتاب المدرسي عبء ثقیل (الافتتاحية) ٨٧٩
- للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ٨٠٠
- تفسير سورة آل عمران ٨٠٦
- لقضية الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ٨٠٦
- السنة: عمر الإنسان أمانة ٨١٢
- لقضية الشيخ/ إبراهيم عطا القوي ٨١٢
- عقيدة المسلم ٨١٨
- لقضية الشيخ/ عمر الديب ٨٢٢
- الشكر يديم النعم ٨٢٦
- لقضية الشيخ/ علي عبد الباقي شحاتة ٨٢٦
- خطبة الجمعة: من آداب الإسلام ٨٢٦
- لقضية الشيخ/ أحمد الشرباصي ٨٣٠
- صاحب البعثة الكبرى قصيدة ٨٣٠
- للشاعر العراقي الأستاذ/ محمد بهجة الأكرى ٨٣٤
- التعاون على البر والتقوى ٨٣٤
- لقضية الشيخ/ فوزي الزرقاف ٨٣٤
- قصة العدد: تنصرت الأشراف من أجل نظمة ٨٣٩
- للكور/ إلى حسان ٨٤٤
- استفتاءات القراء ٨٤٤
- يجيب عنها الأستاذ الدكتور/ علي جمعة ٨٤٤
- الأذان بين قدسية النداء واعجاز البناء ٨٥٠
- للأستاذ/ محمد مصطفى السيوني ٨٥٥
- الرافعي .. هذا العقل المسلم ٨٥٥
- للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العرب ٨٦٠
- الإسلام والقرب ٨٦٠
- للكور/ حمدي فوج والي ٨٦٠
- مستقبل الوجود الأمريكي في العراق ٨٦٤
- للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد ٨٧٠
- كتاب الشهر: الحضارة الإسلامية المسيحية .. ماذا حدث؟ ٨٧٠
- عرض وتحليل ونقد أ. د. إبراهيم عوجين ٨٧٠
- طرائف .. ومواقف ٨٧٦
- للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٨٧٦
- فقيه عزيز ٨٧٩
- مؤتمر دولي يناقش أهمية التنمية في العالم الإسلامي ٨٨٠
- للأستاذ/ عاطف مصطفى ٨٨٠
- الإسلام أكمل الرسالات ٨٨٨
- للشيخ/ صديق بكر حجة ٨٨٨
- احتفالية الأزهر بفضيلة الإمام الأكبر الشيخ / محمود شلتوت ٨٩٧
- بقلم/ مدير التحرير ٩٠٢
- كلمة الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية ٩٠٢
- كلمة أسرة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ٩٠٤
- لقضية الشيخ/ مهدي شلوت ٩٠٤
- الأستاذ الإمام الشيخ محمود شلتوت إمامة في العلم وعبقريته في التجديد ٩٠٦
- للأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب ٩١٢
- لقضية الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت: رحمه الله - مفسراً ٩١٢
- لقضية الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ٩٢٤
- مع الإمام محمود شلتوت في إحدى فتاواه ٩٢٤
- للأستاذ الدكتور/ محمد الأحمدي أبو النور ٩٢٤
- الإمام محمود شلتوت وقضية التجديد ٩٣٢
- للأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الحدي ٩٤٨
- للأستاذ الدكتور/ محمد رآلت عثمان ٩٤٨
- بين الصحف والجلات ٩٦٧
- إعداد: محمود القشبي - علا عبد الرحمن ٩٦٧
- أبناء مجمع البحوث الإسلامية ٩٧٢
- للأستاذ/ عبد الموجود أمين موسى ٩٧٢
- بين المجلة والقارئ ٩٧٥
- للأستاذ/ أحمد السيد علي الدين ٩٧٥
- أبناء العالم الإسلامي ٩٧٩
- للأستاذين/ أحمد رضوان - محمد جمعة ٩٧٩
- أبناء مكتب الإمام الأكبر ٩٨٢
- لقضية الشيخ/ عبد الله فراج ٩٨٢
- القسم الإنجليزي ٩٨٩
- إعداد وإشراف أ. د. إبراهيم الأصيل ٩٨٩

رجب

- القرية المصرية في الجبل الناصي (الافتتاحية) ٩٩٢
- للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ٩٩٢
- تفسير سورة آل عمران ٩٩٢
- لقضية الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ٩٩٢
- السنة: فضل العلم والعلماء ٩٩٢
- لقضية الشيخ/ إبراهيم عطا القوي ٩٩٢
- القدس وديمة رسولنا - عندنا ٩٩٢
- لقضية الشيخ/ عمر الديب ٩٩٢
- خطبة الجمعة: فلسطين .. الدرة المقتضية ٩٩٢
- لقضية الشيخ/ محمد العراقي ٩٩٢
- رحلة الإيمان وجوهر الأديان ٩٩٢
- للأستاذ الدكتور/ محمد فتحى فرج ٩٩٢
- نهاية إسرائيل محتومة ٩٩٢
- للكور/ حمدي فوج والي ٩٩٢
- جيش أسامة ٩٩٢
- للشاعر الأستاذ/ أنور العطار ٩٩٢
- المسئولية الاجتماعية ضرورة إنسانية ٩٩٢
- للمستشار/ حسن حسن منصور ٩٩٢
- قصة العدد: إيمان قلب ٩٩٢
- للأستاذ/ كامل محمود حبيب ٩٩٢
- مواقف إسلامية: قيمة الوفاء ٩٩٢
- للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ٩٩٢
- طرائف ومواقف ٩٩٢
- للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٩٩٢
- نقطة هي خير وصديقة ٩٩٢
- لقضية الشيخ/ علي عبد الباقي شحاتة ٩٩٢
- حقيقة الوحي الحمدي ٩٩٢
- لقضية الشيخ/ صديق بكر عفة ٩٩٢
- تأملات أصولية حول دلالات الألفاظ (٢) ٩٩٢
- لقضية الشيخ/ الطاهر الحامدي ٩٩٢
- كتاب الشهر: الحضارة الإسلامية المسيحية .. ماذا حدث؟ ٩٩٢
- عرض وتحليل أ. د. إبراهيم عوجين ٩٩٢
- الفتاح في الجامعات التركية بين الحظر والحرية ٩٩٢
- للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد ٩٩٢
- انقضاء والموسيقى في مذاهب الفقه الإسلامي ٩٩٢
- للكور/ محمد عمارة ٩٩٢
- نشأة العلم الإسلامي ومناهجه ٩٩٢
- للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ٩٩٢
- المؤتمر الإسلامي العالي للحوار ٩٩٢
- رسالة مكة بكتبتها أ. عاطف مصطفى ٩٩٢
- مستقبل الحوار في ظل الإساءات المتكررة إلى الإسلام ٩٩٢
- لقضية الشيخ/ فوزي الزرقاف ٩٩٢
- استفتاءات القراء ٩٩٢
- يجيب عنها أ. د. علي جمعة ٩٩٢
- الأذان بين قدسية النداء واعجاز البناء ٩٩٢
- للأستاذ/ محمد مصطفى السيوني ٩٩٢
- بين الصحف والجلات ٩٩٢
- إعداد: الأستاذين: محمود القشبي - علا عبد الرحمن ٩٩٢
- قراءة في كتاب: حقوق المرأة في التشريع الإسلامي ٩٩٢
- عرجي وتقديم: الأستاذ/ عادل عفاة ٩٩٢
- بين المجلة والقارئ ٩٩٢
- للأستاذ/ أحمد السيد علي الدين ٩٩٢
- أبناء العالم الإسلامي ٩٩٢
- للأستاذين: محمد جمعة - أحمد رضوان ٩٩٢
- أبناء مجمع البحوث الإسلامية ٩٩٢
- للأستاذ/ عبد الموجود أمين موسى ٩٩٢
- أبناء مكتب الإمام الأكبر ٩٩٢
- لقضية الشيخ/ عبد الله فراج ٩٩٢
- القسم الإنجليزي ٩٩٢
- إعداد وإشراف أ. د. إبراهيم الأصيل ٩٩٢

شعبان

- الصحافة بين نشر الرذائل وكتمان الفضائل، الافتتاحية، للأستاذ الدكتور محمد رجب اليومى ١١٥٢
- تفسير سورة آل عمران ١١٥٨
- فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد سيد طنطاوى ١١٥٨
- السنة: رضا الله في رضا الوالدين ١١٦٤
- فضيلة الشيخ إبراهيم عطا القويمى ١١٦٤
- العقيدة والتضامن الاجتماعى ١١٧٠
- فضيلة الشيخ عمر الديب ١١٧٠
- خطبة الجمعة: معاصى القلوب .. ومعاصى الجوارح ١١٧٤
- فضيلة الشيخ محمد الغزالي ١١٧٤
- مواقف إسلامية: التناقض المحمود ١١٨١
- للأستاذ الدكتور محمود عمارة ١١٨١
- تحويل القبلة والتميز الحضارى ١١٨٦
- للدكتور حمدي فوح والى ١١٨٦
- قصة العدد: المسافر القريب ١١٩٠
- للدكتور أبى حسام ١١٩٠
- نشأة العلم الإسلامى ومناهجه (٢) ١١٩٦
- للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ١١٩٦
- لماذا فُهِمَ التحريم للموسيقى والغناء ١٢٠٠
- للدكتور محمد عمارة ١٢٠٠
- قصيدة العدد: فلسفة الحياة ١٢٠٩
- للشاعر المهجرى إيليا أبو ماضي ١٢٠٩
- استفتاءات القراء ١٢١٢
- يجب عنها الأستاذ الدكتور على جمعة ١٢١٢
- الأسوة التربوية في الرسائل الحميدية ١٢١٤
- للأستاذ محمد مصطفى السبوتى ١٢١٤
- بين الصحف والمجلات ١٢١٨
- إعداد: محمود القسسى - علاء الرحمن ١٢١٨
- الصناديق السيادية العربية والمخاوف الأمريكية ١٢٢٤
- للأستاذ صلاح عبدالرحيم محمد ١٢٢٤
- كتاب الشهر: الحضارة الإسلامية المسيحية .. ماذا حدث؟ عرض وتحليل وتقديم: د/ إبراهيم عوض ١٢٣٠
- أزمة دارفور .. وواجب الدعاة في هذه المرحلة ١٢٣٦
- للأستاذ الدكتور عبدالله نجيب محمد ١٢٣٦
- الحوار في القرآن والسنة ١٢٤١
- للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ١٢٤١
- مستقبل الحوار في قتل الإساءات المتكررة إلى الإسلام ١٢٤٦
- فضيلة الشيخ فوزى الزرقاف ١٢٤٦
- المؤتمر العالمى للحوار بمدينتي ١٢٥١
- رسالة مبريد بكتيبا: الأستاذ / عاطف مصطفى ١٢٥١
- الصدقة في ميزان الإسلام ١٢٦٧
- لفضيلة الشيخ / على عبدالقادر شحاتة ١٢٦٧
- تعقيب على دلائل الأنفاظ ١٢٧٠
- للدكتور جابر محمد محمود ١٢٧٠
- خطأ في دلائل الأنفاظ وجب رده ١٢٧٢
- لفضيلة الشيخ / الطاهر الخامدى ١٢٧٢
- طرائف .. ومواقف ١٢٧٦
- لفضيلة الشيخ / عبدالحق محمد عبدالحليم ١٢٧٦
- قراءة في كتاب: حقوق المرأة ١٢٧٩
- للأستاذ عادل خفاجة ١٢٧٩
- بين المجلة والقارىء ١٢٨٣
- للأستاذ أحمد السيد تلى الدين ١٢٨٣
- أنباء العالم الإسلامى ١٢٨٧
- إعداد محمد جمعة - أحمد رضوان ١٢٨٧
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية ١٢٩٠
- إعداد الأستاذ عبدالجواد أمين موسى ١٢٩٠
- أنباء مكتب الإمام الأكبر ١٢٩٥
- إعداد فضيلة الشيخ / عبدالحى فراج ١٢٩٥
- القسم الإنجليزى ١٣٠٩
- إشراف وإعداد: د/ إبراهيم الأصيل ١٣٠٩

رمضان

- من حلقات الذكر في شهر رمضان (الافتتاحية) ١٣١٢
- للأستاذ الدكتور محمد رجب اليومى ١٣١٢
- تفسير سورة آل عمران ١٣١٨
- فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد سيد طنطاوى ١٣١٨
- السنة: إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ١٣٢٤
- لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا القويمى ١٣٢٤
- ثمرة الصيام ١٣٣٠
- لفضيلة الشيخ / عمر الديب ١٣٣٠
- مواقف إسلامية: الصيام من ترف العادة .. إلى شرف العبادة ١٣٣٤
- للأستاذ الدكتور محمود عمارة ١٣٣٤
- الصيام والقرآن حصانة دينية ومناعة جسمانية ١٣٣٨
- للأستاذ الدكتور محمد فحى فرج ١٣٣٨
- خطبة الجمعة: شهر التهذيب ١٣٤٢
- لفضيلة الشيخ / أحمد الشرباصى ١٣٤٢
- كيف نستقبل شهر رمضان؟ ١٣٤٦
- للدكتور حمدي فوح والى ١٣٤٦
- الخطاب الرمضانى كيف يفتح الشهية للصيام ١٣٥١
- للأستاذ محمد مصطفى السبوتى ١٣٥١
- القرآن والمعجزات الكونية ١٣٥٦
- لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطه ١٣٥٦
- قراءة إيمانية في كتاب الكون والحياة ١٣٦٢
- للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ١٣٦٢
- دور الوقت في خدمة المجتمع ١٣٦٨
- للمستشار / حسن حسن منصور ١٣٦٨
- الصدقة في ميزان الإسلام (٧) ١٣٧٣
- لفضيلة الشيخ / على عبدالقادر شحاتة ١٣٧٣
- قصيدة العدد: في ذكرى مصطفى صادق الرافعى ١٣٧٦
- رثاء الأمير شبيب أرسلان للرافعى ١٣٨٠
- قراءة في كتاب: حقوق المرأة في التشريع الإسلامى (٣) ١٣٨٤
- للأستاذ عادل خفاجة ١٣٨٤
- قصة العدد: حاسد حقوق يكشف عن نفسه ١٣٨٤
- للدكتور أبى حسام ١٣٨٤
- دلائل الأنفاظ .. الخاص والعام والمشتراك (٤) ١٣٨٩
- لفضيلة الشيخ / الطاهر الخامدى ١٣٨٩
- مستقبل الحوار في قتل الإساءات المتكررة إلى الإسلام ١٣٩٢
- لفضيلة الشيخ / فوزى الزرقاف ١٣٩٢
- المؤتمر العالمى للحوار ١٤٠٠
- رسالة مبريد بكتيبا: عاطف مصطفى ١٤٠٨
- للأنستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ١٤٠٨
- كتاب الشهر: الحضارة الإسلامية المسيحية .. ماذا حدث؟ عرض وتحليل: د/ إبراهيم عوض ١٤١٣
- البرنامج النووى الإيرانى بين الحرب والسلام ١٤٢٠
- للأستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد ١٤٢٠
- القدس .. أمانة عمر في انتظار صلاح الدين ١٤٢٦
- للدكتور محمد عمارة ١٤٢٦
- شهر الخير (قصيدة) ١٤٣٣
- للشاعر الدكتور عبدالفتاح عمرو شعب ١٤٣٣
- استفتاءات القراء ١٤٣٦
- يجب عنها الأستاذ الدكتور على جمعة ١٤٣٦
- طرائف .. ومواقف ١٤٤٠
- للشيخ / عبدالحق محمد عبدالحليم ١٤٤٠
- بين الصحف والمجلات ١٤٤٣
- للأستاذين: محمود القسسى - علاء الرحمن ١٤٤٣
- بين المجلة والقارىء ١٤٤٦
- للأستاذ / أحمد السيد تلى الدين ١٤٤٦
- أنباء العالم الإسلامى ١٤٥١
- للأستاذين: محمد جمعة - أحمد رضوان ١٤٥١
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية ١٤٥٥
- للأستاذ / عبدالجواد أمين موسى ١٤٥٥
- أنباء مكتب الإمام الأكبر ١٤٥٧
- للأستاذ / عبدالحى فراج ١٤٥٧
- القسم الإنجليزى ١٤٦٩
- إشراف وإعداد: د/ إبراهيم الأصيل ١٤٦٩

شوال

- من الأمانة العلمية... تأليفاً تدريجياً.. تقديماً (الافتتاحية) ١٤٧٢
- للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي ١٤٧٢
- تفسير سورة آل عمران ١٤٨٠
- تفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي ١٤٨٠
- السنة: الصدق فضيلة والكذب رذيلة ١٤٨٦
- تفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي ١٤٨٦
- الصدقة في ميزان الإسلام ١٤٩١
- تفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي شحاتة ١٤٩١
- خطبة الجمعة: فرحة العيد ١٤٩٤
- للأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي ١٤٩٤
- مواقف إسلامية: الحياة.. يساوي الحياة ١٤٩٨
- للأستاذ الدكتور / محمود عمارة ١٤٩٨
- نعمة العقل ونقمة الإدمان ١٥٠٤
- تفضيلة الشيخ / عمر الدب ١٥٠٤
- القرآن والعلم الحديث ١٥٠٨
- تفضيلة الشيخ / صديق بكر عطة ١٥٠٨
- قصة العدد: مصرع التفسير ١٥١٥
- للأستاذ / أبي حمام ١٥١٥
- الأسوة التربوية في الرسائل الحمديدية (٢) ١٥٢٠
- للأستاذ / محمد مصطفى السيوني ١٥٢٠
- رمضان ولي ١٥٢٥
- للشاعر / السيد الصديق حافظ ١٥٢٥
- الحوار في القرآن والسنة (٢) ١٥٢٦
- للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ١٥٢٦
- كتاب الشهر: الإسلام في الألفية الثالثة ١٥٣٢
- عرض وتحليل ونقد: أ. د. إبراهيم عوجين ١٥٣٢
- قصيدة العدد: كرامة البصرة ١٥٤٠
- للشاعر العباسي الكبير / ابن الرومي ١٥٤٠
- القدس.. أمانة عمر في انتهاز صلاح الدين (٢) ١٥٤٤
- للأستاذ الدكتور / محمد عمارة ١٥٤٤
- كيف تستعيد الأمة دورها الحضاري؟ ١٥٥٢
- للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا ١٥٥٢
- التفكير الإبداعي ١٥٥٦
- تفضيلة الشيخ / فوزي الزفراف ١٥٥٦
- هل يعرف الغرب قدر الإسلام؟ ١٥٦١
- للأستاذ / حمدي فوح والي ١٥٦١
- مشروع الاتحاد من أجل المتوسط ١٥٦٦
- للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد ١٥٦٦
- بين الصحف والمجلات ١٥٧٢
- إعداد / محمود القشبي - علا عبد الرحمن ١٥٧٢
- تعقيب على مقال خطأ في دلالات الألفاظ وجب رده ١٥٧٦
- للأستاذ الدكتور / محمد محمد عبد الطيف ١٥٧٦
- طرائف... ومواقف ١٥٨٠
- تفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٥٨٠
- أيام من رمضان بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ١٥٨٣
- تفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي ١٥٨٣
- مؤتمر إسلامي عالمي في جاكارتا ١٥٨٨
- للأستاذ / عاطف مصطفى ١٥٨٨
- قراءة في كتاب: أسد الإسلام الظاهر أحمد شاه مسعود ١٥٩٥
- للأستاذ / عادل خفاجة ١٥٩٥
- بين المجلة والقارىء ١٦٠٠
- للأستاذ / أحمد السيد تقي الدين ١٦٠٠
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية ١٦٠٨
- للأستاذ / عبد الموجود أمين موسى ١٦٠٨
- أنباء العالم الإسلامي ١٦١٢
- للأستاذ / محمد جمعة - أحمد رضوان ١٦١٢
- أنباء مكتب شيخ الأزهر ١٦١٦
- تفضيلة الشيخ / عبد الله فراج ١٦١٦
- القسم الإنجليزي ١٦٢٩
- إشراف وإعداد: د. إبراهيم الأصيل ١٦٢٩

ذو القعدة

- الاكتئاب مرض حقيقي (الافتتاحية) ١٦٣٢
- للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي ١٦٣٢
- تفسير سورة آل عمران ١٦٣٨
- تفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي ١٦٣٨
- السنة: مسئولية المرأة في بيت الزوجية ١٦٤٣
- تفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي ١٦٤٣
- الحوار في القرآن والسنة (٤) ١٦٤٨
- للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ١٦٤٨
- الصدقة في ميزان الإسلام ٩ ١٦٥٤
- تفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي شحاتة ١٦٥٤
- خطبة الجمعة: عائد من الحرم ١٦٥٧
- للأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي ١٦٥٧
- الحج أشهر معلومات ١٦٦٢
- تفضيلة الشيخ عمر الدب ١٦٦٢
- الرأي العام الرشيد في الإسلام ١٦٦٧
- للمستشار / حسن منصور ١٦٦٧
- مواقف إسلامية: من خصائص المؤمنين ١٦٧٢
- للأستاذ الدكتور / محمود عمارة ١٦٧٢
- استفتاءات القراء ١٦٨٠
- يجيب عنها الأستاذ الدكتور / علي جمعة ١٦٨٠
- نظرات اجتماعية: النعمة المفقودة ١٦٩٠
- للأستاذ / حمدي فوح والي ١٦٩٠
- القرآن والعلم الحديث ١٦٩٤
- تفضيلة الشيخ صديق بكر عطة ١٦٩٤
- كتاب الشهر: الإسلام في الألفية الثالثة ١٧٠٠
- عرض وتحليل ونقد: أ. د. إبراهيم عوجين ١٧٠٠
- لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ١٧٠٦
- للأستاذ الدكتور / السيد أحمد فرج ١٧٠٦
- بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية ١٧١٨
- للأستاذ الدكتور / محمد عمارة ١٧١٨
- التفكير الإبداعي (٢) ١٧١٦
- تفضيلة الشيخ / فوزي الزفراف ١٧١٦
- قصة العدد: قارسة قصر الباهلي ١٧٢٠
- للأستاذ / محمد فريد أبو حديد ١٧٢٠
- علوم الأرض في تراث المسلمين ١٧٢٨
- للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا ١٧٢٨
- العلم في الإسلام بين النظر والعمل ١٧٣٢
- للأستاذ / محمد مصطفى السيوني ١٧٣٢
- مؤتمر دولي بمدينة طنطا ١٧٣٨
- للأستاذ / عاطف مصطفى ١٧٣٨
- الدع الصاروخي الأمريكي والأمن القومي الروسي ١٧٤٦
- للأستاذ صلاح عبد الرحيم محمد ١٧٤٦
- طرائف... ومواقف ١٧٥٢
- للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٧٥٢
- قراءة في كتاب: أسد الإسلام الظاهر أحمد شاه مسعود ١٧٥٥
- للأستاذ / عادل خفاجة ١٧٥٥
- بين المجلة والقارىء ١٧٦٠
- للأستاذ أحمد تقي الدين ١٧٦٠
- بين الصحف والمجلات ١٧٦٥
- للأستاذ / محمد جمعة - علا عبد الرحمن ١٧٦٥
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية ١٧٦٩
- إعداد: عبد الموجود أمين موسى ١٧٦٩
- أنباء العالم الإسلامي ١٧٧٢
- للأستاذ / محمود القشبي - أحمد رضوان ١٧٧٢
- أنباء مكتب شيخ الأزهر ١٧٧٥
- تفضيلة الشيخ / عبد الله فراج ١٧٧٥
- القسم الإنجليزي ١٧٨٩
- إشراف وإعداد: د. إبراهيم الأصيل ١٧٨٩

فهرس العدد ذو الحجة

- قصة العدد: الأمير بدر الدين بيليك
للكتاب الأستاذ / محمد فريد أبو حديد ١٨٦٤
- لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟
للأستاذ الدكتور / السيد أحمد فرج ١٨٦٨
- كتاب الشهر: الإسلام في الأنسية الثالثة
عرض وتحليل وتقدّم: إبراهيم عوجين ١٨٧٢
- قضايا معاصرة: الاقتصاد الإسلامي من منظور غربي
للكور / حمدي فوح والي ١٨٧٨
- الأزمة المالية الأمريكية
للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد ١٨٨٢
- المؤتمر العام الثامن للدعوة الإسلامية
للأستاذ / عاطف مصطفى ١٨٨٨
- طرائف... ومواقف
للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الخليم ١٨٩٤
- صفات مشرقة وأمثلة عالية من حياة عمر بن عبد العزيز
للأستاذ / عادل خفاجة ١٨٩٧
- الخوازميات في الفكر العلمي الإسلامي
للأستاذ الدكتور / أحمد فوزي باشا ١٩٠١
- بين المجلة والقارئ
للأستاذ / أحمد تقي الدين ١٩٠٦
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية
للأستاذين / عبد الموجد أمين - يحيى سليمان ١٩١٣
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
لفضيلة الشيخ / عبد الله فراج ١٩١٨
- أنباء العالم الإسلامي
للأستاذين / محمود القشبي - أحمد رضوان ١٩٢١
- القسم الإنجليزي
إشراف وإعداد: إبراهيم الأصيل ١٩٢٨
- الفهرس السنوي لعام ١٤٢٩ هـ ١٩٢٩

- في موسم الحج
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي ١٧٩٢
- تفسير سورة آل عمران
لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي ١٨٠٠
- الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب
لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا القوي ١٨٠٨
- من ثمرات فريضة الحج
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ١٨١٢
- خطبة الجمعة: يوم التضرعية
لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشراصي ١٨١٧
- الحجة المجددية: مسيرة اتباع... لا حجة وداع
للأستاذ / محمد مصطفى السيوني ١٨٢٢
- ليشهدوا منافع لهم
لفضيلة الشيخ / عمر الدب ١٨٢٥
- قصيدة العدد: لييك لبيك في أرض النبوة
للشاعر الأستاذ / محمود غيم ١٨٢٨
- عيد الأضحى درس للتضرعية والفداء
للأستاذ الدكتور / محمد فحي فرج بيومي ١٨٣٤
- حديث عن الحج: في الحقل
للكور: محمود عمارة ١٨٣٨
- الصدقة في ميزان الإسلام (١٠)
لفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي شحاتة ١٨٤٤
- القرآن والعلم الحديث
لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة ١٨٤٩
- بين الصحف والمجلات
للأستاذين / محمد جمعة - علاء عبد الحفي ١٨٥٣
- وعاشروهن بالمعروف
لفضيلة الشيخ / فوزي الرفراف ١٨٥٨



AL AZHAR MAGAZINE

Zu - L - Hejjah 1429 A.H - Dec. 2008
VOL. 81 Part XII.



المقن: ٢٠ جم
الغلاف: ١٥٠ جم كرتونه

مطابع **الازهر**

التمن
١٥٠ قرشا